UNIVERSAL
LIBRARY
OU_232501
UNIVERSAL
LIBRARY

٥	[illegible] بن حدون السالمي	١٥	الحكيم الطبيب محمد بن عبد المنعم الغساني
٥	عبد المنعم بن سلمون الغساني	١٦	الاستاذ عبد الوهاب بن محمد القرطبي
٥	عبد الله بن محمد الغساني	١٧	عبيد الله بن المظفر الباهلي
٥	أحمد بن مسعود القرطبي الخزرجي	١٧	سليمان بن ابراهيم بن صافي الغرناطي
٥	أبو العباس القرطبي صاحب المفهم	١٧	طالوت بن [illegible] المعافري
٥	العازف الكبير جعفر بن عبد الله الخزاعي	١٨	ابن خروف
٦	محمد بن عبد الرحمن الخزرجي	١٩	مالك بن مالك من أهل جيان
٦	محمد بن يحيى اللبسي	١٩	أبو علي بن خميس
٧	أبو عبد الله بن الحكيم الرندي ذو الوزارتين	١٩	منصور بن اب الانصاري
١١	الحافظ نجيب الدين اللخمي	١٩	مفرج بن حماد المعافري
١١	أبو بكر بن العربي حفيد الحافظ أبي بكر بن العربي	١٩	محب بن الحسين
١١	ابن الخراز	١٩	مساعد بن أحمد الاصبحي
١١	محمد بن أحمد البكري الشريشي	٢٠	أبو حبيب نصر بن القاسم
١٢	أبو بكر الجياني	٢٠	النعمان بن النعمان المعافري
١٢	أبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب الاندلسي	٢٠	نعم الخلف بن عبد الله الحضرمي
١٣	عمر بن الحسن الهوزني	٢٠	نابت بن المفرج الخثعمي
١٣	يحيى بن قاسم بن هلال القرطبي	٢٠	ضمام بن عبد الله الاندلسي
١٣	يحيى بن مجاهد الفزاري	٢٠	ضرغام بن عروة
١٤	محمد بن أحمد الصدفي الاشبيلي	٢٠	عبد الله بن محمد المعافري
١٤	زكريا بن خطاب الكلبي	٢١	عبد الله بن حمود الزبيدي
١٤	سعد الخير البانسي	٢١	عبد الله بن رشيق القرطبي
١٤	سعيد بن نصر الاستجي	٢١	أبو بكر البابري
١٤	سعيد الاعناقي	٢٢	عبد الله بن محمد بن مرزوق البصري
١٥	عبد الرحمن بن خلف التجيبي	٢٢	عبد الله بن محمد الصريحي
١٥	ابن الطحان الاشبيلي	٢٢	عبد الله بن عيسى الشلبي
١٥	عبد العزيز بن خلف المعافري	٢٢	عبد الله بن موسى الازدي
١٥	عبد العزيز بن عبد الله السعدي	٢٣	عبد الله بن محمد الداني
		٢٣	عبد الله بن يوسف القضاعي
		٢٣	أحمد بن عبد الله الحنفي
		٢٤	أحمد بن صابر القيسي

صحيفه	
٢٥	أبو القاسم ابن الامام القاضي أبي الوليد الباجي
٢٥	ابراهيم بن محمد الساحلي
٢٦	الوليد بن هشام المعروف بابي ركوة
٢٧	أبو زكريا الطليطلي
٢٧	يحيى بن عبد الله المعروف بالمغيلي
٢٧	محمد بن علي الانصاري
٢٨	محمد بن علي العرناطي
٢٩	أبو الحسن المايرقي
٢٩	ابن عتبة الاشبيلي
٢٩	شمس الدين ابن جابر الضرير
٣٥	أبو جعفر الالبيري رفيق ابن جابر
٤٤	أبو مروان عبد الملك بن ابراهيم القيسي
٤٤	ابن البيطار
٤٥	أبو الحسن القلصادي
٤٦	أبو عبد الله الراعي
٤٩	أبو عبد الله بن الازرق
٥١	(الباب السادس) في ذكر بعض الوافدين على الاندلس من أهل المشرق
٥٢	المنيذر الذي يقال انه صحابي
٥٢	أمير الاندلس موسى بن نصير التابعي
٥٢	حنش الصنعاني التابعي
٥٣	علي بن رباح اللخمي التابعي
٥٣	عبد الله بن يزيد المعافري التابعي
٥٣	حيان بن أبي جبلة التابعي
٥٣	المغيرة بن أبي بردة التابعي
٥٤	حيوة بن رجاء التميمي التابعي
٥٤	عياض بن عقبة الفهري التابعي
٥٤	عبد الله بن سماسة الفهري التابعي
٥٤	عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري
٥٤	منصور بن حزامة (من التابعين على ما قيل)
٥٤	مغيث فاتح قرطبة
٥٦	أبو أيوب بن حبيب اللخمي
٥٦	السمح بن مالك الخولاني
٥٨	بلج بن بشر القشيري
٦٢	عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل
٧٧	أبو الاشعث الكلبي
٧٧	جزي بن عبد العزيز أخو عمر بن عبد العزيز
٧٧	بكر بن سوادة الجذامي
٧٨	زريق بن حكيم
٧٨	زيد بن قاصد السكسكي
٧٨	زرعة بن روح الشامي
٧٨	محمد بن أوس بن ثابت الانصاري
٧٨	عبد الملك بن عمر بن مروان الاموي
٧٩	هاشم بن الحسين من نسل سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنه)
٧٩	عبد الله بن المغيرة الكناني
٧٩	عبد الله المعمر
٧٩	عبد الرحمن بن شماسة المهري
٧٩	عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه
٨٠	عبد الرحيم بن أحمد بن نصر التميمي
٨١	عبد الجبار بن أبي سلمة (وقد سبق في صحيفة ٥٤)
٨١	عبد الوهاب بن عبد الله المعروف بالطنطاني
٨١	عبد الخالق بن ابراهيم الخطيب
٨١	عبد اللطيف بن أبي الطاهر المعروف

صحيفه	
	بالترسي
٨٢	عمر بن عثمان الباخرزي
٨٢	علي بن بندار البرمكي
٨٢	عبيد بن محمد النيسابوري
٨٢	سهل بن علي النيسابوري
٨٣	هبة الله بن الحسين المصري
٨٣	يحيى بن عبد الرحمن القيسي
٨٣	اسمعيل بن عبد الرحمن القرشي
٨٤	أبو علي القالي صاحب الامالي والنوادر
٨٦	صاعد بن الحسين البغدادي
٩٧	ابن حمويه السرخسي
١٠٣	ظفر البغدادي
١٠٣	محمد بن موسى الرازي
١٠٣	محمد بن عبد الواحد التميمي الدارمي
١٠٧	أشهب بن العضد الخراساني
١٠٧	أبو الحسن البغدادي الفكيك
١٠٨	ابراهيم بن سليمان الشامي
١٠٨	أبو بكر بن الازرق
١٠٩	زرياب المغني
١١٥	الامير شعبان بن كوحيا
١١٥	أبو اليسر الرياضي
١١٦	أبو اسحق السنهوري
١١٧	عبد الله بن محمد القاري الخراساني
١١٧	زكي الدين الزبزاري
١١٨	(ذكر جملة من النساء القادمات من المشرق على الاندلس)
١١٨	عابدة المدنية
١١٨	فضل المدنية
١١٨	قمر جارية ابراهيم بن حجاج اللخمي
١١٨	الجارية الجعفاء
١١٩	من القادمين على الاندلس من المشرق الشيخ عبد القاهر الموصلي

صحيفه	
١١٩	أحمد بن الحسن النحوي
١١٩	أحمد بن أبي عبد الرحمن القرشي الزهري
١١٩	أبو الطاهر بن الاسكندراني
١٢٠	أبو الحسن الانطاكي
١٢٠	عمر بن مودود الفارسي
١٢٠	نجم الدين بن مهذب الدين
١٢١	تقي الدين بن الفرس الحنفي المصري
١٢٢	سيدي يوسف الدمشقي
١٢٢	(الباب السابع في نبذة مما من الله تعالى به على أهل الاندلس من توقد الاذهان وبذلهم في اكتساب المعارف والمعالي ما عزوهان الخ)
١٢٥	رسالة ابن حزم في بعض فضائل علماء الاندلس
١٣٨	رسالة الشقندي في تفضيل الاندلس وأهله
١٥٦	(ذكر نبذة من كلام الاندلسيين وحكاياتهم الدالة على سبقهم
١٥٨	(ذكر مذهب أهل الاندلس في القديم وانتقالهم الى مذهب الامام مالك
١٦١	ما قاله ابن عبد البر في الرد على من عابه باكل طعام السلطان وقبول جوائزه
١٦٢	(ذكر جملة من شعر ابن بجير وغيره من الاندلسيين وطرف من نوادرهم)
٢٢٦	(قصة الرمادي الشاعر مع المنصور)
٢٢٧	(من حكايات الاندلسيين في العدل)
٢٣٠	(من حكاياتهم في الوفاء وحسن الاعتذار والقيام بحق الاخاء)
٢٣١	(من حكاياتهم في علو الهمة في العلم والدنيا
٢٣١	(من حكاياتهم في الذكاء واستخراج العلوم واستنباطها)

صحيفه	
٢٣٤	(من حكاياتهم فى حب العلم)
٢٤٦	(من لطف أهل الاندلس و رقة طباعهم الخ)
٢٧٠	(ضوابط حروف الزيادة)
٣٠٤	(ترجمة ابن سهل الاسرائيلى الاشبيلى
٣١٨	(من حكايات أهل الاندلس فى الانقباض عن السلطان الخ)
٣١٩	(من دعاباتهم وملحهم)
٣١٩	(من أجوبة ملوكهم)
٣١٩	(من غريب ما يحكى من قوتهم وشجاعتهم
٣٢٢	(من حكاياتهم فى الظرف)
٣٢٢	(من حكاياتهم فى البلاغة)
٣٢٤	(من حكاياتهم فى عدم احتمال الضيم والذل والوصف بالانفة)
٣٢٤	(من حكاياتهم فى الجود والفضل ومكارم الاخلاق)
٣٢٦	(ذكر جملة من بنى مروان بالاندلس)
٣٢٧	(من حكاياتهم فى علو الهمة)
٣٣٧	(الرجوع للكلام على أهل الاندلس جملة)
٣٤٢	ذكر نبذة من سرعة بديهة أهل الاندلس وان مرت من ذلك جملة وستأتى أيضا
٣٤٩	(من حكايات أهل الاندلس فى العفو
٣٦٤	(ترجمة ابن هانئ)
٣٨٣	(ذكر ما يتعلق بكلمة مسهب هل هو بفتح الهاء أو كسرها)
٣٨٤	(المسئلة الزنبورية)
٣٨٧	(ترجمة سيبويه امام النحو)
٤١٦	(ذكر مسئلة تتعلق بكلمة ماذا)
٤٢٧	(الاديبات من نساء الاندلس)
٤٢٧	أم السعد بنت عصام الجيرى المعروفة

صحيفه	
	بسعدونة
٤٢٨	حسانة التميمية
٤٢٩	أم العلاء بنت يوسف الحجارية
٤٢٩	أمة العزيز الشريفة الحسنية
٤٢٩	أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية
٤٢٩	الغسانية البجانية
٤٣٠	العروضية مولاة أبى المطرف عبد الرحمن بن غلبون
٤٣٠	حفصة بنت الحاج الركونية
٤٣٤	(ذكر بعض أحوال أبى جعفر بن سعيد العنسى)
٤٤١	(ذكر ما وقع بين أبى جعفر المذكور وابن سيد الشاعر المشهور باللص)
٤٤٧	(ذكر بعض أخبار اللص المذكور)
٤٤٧	ولادة بنت المستكفى
٤٥١	اعتماد جارية المعتمد بن عباد المشهورة بالرميكية
٤٥٢	(ذكر ما وقع للمعتمد من الخلع والسجن باغمات وما يتعلق بذلك)
٤٦٠	(ترجمة المطمح للاديب أبى جعفر بن البنى
٤٦٢	(ترجمته لابن اللبانة)
٤٦٣	(ترجمته لابى بكر عبد المعطى)
٤٦٥	(ترجمته ليحيى بن بقى القرطبى)
٤٦٥	(ترجمة القلائد للمذكور)
٤٦٩	(ترجمة المعتمد بن عباد)
٤٧١	(ترجمة الراضى بن المعتمد)
٤٨٩	(العبادية جارية المعتضد)
٤٨٩	(بثينة بنت المعتمد بن عباد)
٤٩٠	(حفصة بنت حمدون)
٤٩٠	(زينب المرية)
٤٩١	(غاية المنى)

صحيفه	
٤٩١	(حمدة بنت زياد)
٤٩٢	(عائشة بنت أحمد القرطبية)
٤٩٣	(مريم بنت أبي يعقوب الانصارى)
٤٩٣	(أسماء العامرية)
٤٩٣	(أم الهناء بنت القاضى عبد الحق)
٤٩٤	(مهجة القرطبية صاحبة ولادة)
٤٩٤	هند جارية عبد الله بن مسلمة الشاطبي
٤٩٤	(الشلبية)
٤٩٥	(نزهون الغرناطية)
٥٢١	(الباب الثامن) فى ذكر تغلب العدو الكافر على الجزيرة الخضراء الخ)
٥٢٢	(من أول ما استرد الافرنج من مدن الاندلس العظيمة مدينة طليطلة الخ)
٥٢٣	وقعة الزلاقة
٥٥٠	(ذكر بعض انشاء لسان الدين فى شأن ما يتعلق بجبل الفتح وغيره الخ)
٥٧٣	(وقعة بطرنة)
٥٧٤	(تغلب العدو على بريشتر)
٥٧٧	نهوض العدو للاستيلاء على بلنسية)
٥٨٠	(وقعة كندة)
٥٨٠	(دخول العدو مدينة المرية عنوة)
٥٨١	(رجوعها الى ملك المسلمين وبقاؤها بايديهم سنين)

صحيفه	
٥٨٣	(أخذ العدو كورة عاردة)
٥٨٤	(أخذ العدو جزيرة ميورقة)
٥٨٥	(تاريخ أخذ العدو جزيرة شقر ومدينة سرقسطة واستيلاء الافرنج على شرق الاندلس شاطبة وغيرها وعلى مدينة قرطبة وتملكه على مرسية وحصره لاشبيلية وتملكه لها وتاريخ وقعة انيجة
٥٩٦	(ذكر رسالة خاطب بها ابن عميرة المخزومى أبا عبد الله بن الابار يذكر فيها أخذ العدو مدينه بلنسية)
٦٠٠	(ذكر رسالة ابن الأبار التى رسالة المخزومى جواب عنها)
٦٠١	(ذكر فصول مجموعة من كلام ابن الابار فى كتابه المسمى بدر السمط فى خبر السبط)
٦٠٧	(قصد ملوك الافرنج لاخذ غرناطة وما يتعلق بذلك)
٦١٧	(ذكر السلطان الذى أخذت على يده غرناطة وافترضت بدولته مملكة الاسلام بالاندلس)
٦١٧	(ذكر الرسالة التى كتب بها السلطان المذكور الى سلطان فاس الشيخ الوطاسى)

(تمت)

الجزء الثانى من كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب لغريب زمانه
ونادرة أوانه العلامة احمد المقرى المغربى
المالكى الاشعرى تغمده الله تعالى
برحمته وأسكنه فسيح
جنته آمين
آمين

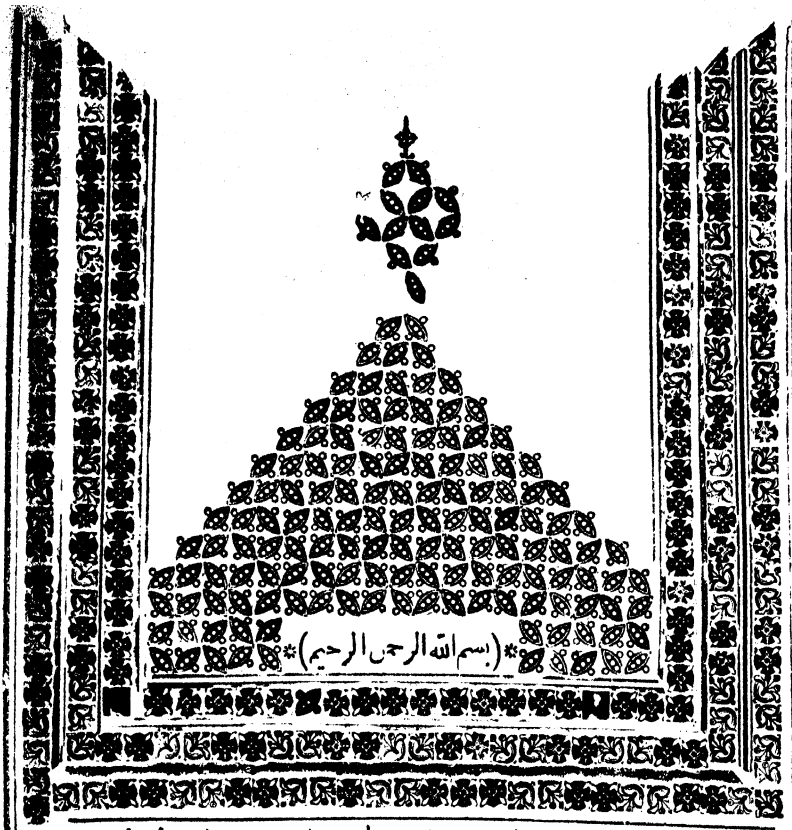
محلاة هوامش أجزائه الاول والثانى والثالث بالتاريخ الفائق نغسمات المثانى والمثالث
المسمى مروج الذهب ومعادن الجوهر للامام ابى الحسن على المسعودى احسن الله مثوبته
فى دار المستقر وافرد هامش جزئه الرابع بالكتاب البديع الرائع المسمى تحفة الاحباب
وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات وما يتبع ذلك للعلامة
السخاوى الهمام أمطره الله تعالى بهوامع الاكرام

(الطبعة الاولى)

(بالمطبعة الازهرية المصرية)

(سنة ١٣٠٢ هجرية)

٢٦٧٦٦٣
ن
٣



(واما أجناس الاكراد وأنواعهم) فقد تنازع الناس فى بدئهم فمنهم من رأى أنهم من ربيعة ابن نزار بن بكر بن وائل انفردوا فى قديم الزمان وانضافوا الى الجبال والاودية دعتهم الى ذلك الانفة وجاوروا ماهنالك من الامم الساكنة المدن والعمائر من الاعاجم والفرس فخالوا عن لسانهم وصارت لغتهم أعجمية وولد كل من الاكراد لغة لهم بالكردية ومن الناس من رأى انهم من مضر بن نزار وأنهم من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن وأنهم انفردوا فى قديم الزمان لوقائع ودماء كانت بينهم وبين غسان ومنهم من رأى انهم من ربيعة ومضر وقد اختصه والى الجبال طلبا للمياه والمراعى فخالوا

*(ومن المرتحلين من الاندلس الى المشرق الامام النحوى اللغوى نور الدين أبو الحسن على ابن أحمد بن محمد بن جذون الحميرى الاندلسى المالقى) قال شرف الدين الصابونى أنشدنا المذكور لنفسه سنة ٦٦٧

فؤادا بايدى النائبات مصاب * وجفن لفيض الدمع فيه مصاب
تناءت ديار قد ألفت وجيرة * فهل لى الى عهد الوصال اياب
وفارقت أوطانى ولم أبلغ المنى * ودون مرادى أبحر وهضاب
مضى زمنى والشيب حل بمفرقى * وأبعد شئ أن يرد شباب
اذا مر عمر المرء ليس براجع * وان حل شيب لم يفده خضاب
لحل حمام الشيب فى فرق لمتى * وقد طار عنها الشباب غراب
وكم عظة لى فى الزمان وأهله * وبين فؤادى والقبول حجاب
فدع شهوات النفس عنك بمعزل * فعذب الليالى مقتضاه عذاب
وسل فؤادا عن رباب وزينب * فما القصد منها زينب ورباب
وأنوى متابا ثم أنقض نيتى * فربع صلاحى بالفساد خراب
أقر بتقصيرى وأطمع فى الرضا * وما القصد الا مرجع ومتاب

ويعتبني في العز خل وصاحب * وهل نافع في الجامدات عتاب
أطهر أثوابي وقلبي مدنس * وأزعم صدقا والمقال كذاب
وفارقت من غرب البلاد مواطنا * فيسقى رباغرب البلاد سحاب
فبالقلب من نار التشوق حرقة * وبالعين من فيض الدموع عباب
وما بلغ المملوك قصدا ولا مني * ولاحط عن وجه المراد نقاب
وأخشى سهام الموت تقعا غفلة * وماسار بي نحو الرسول ركاب
وقلبي معمور بحب محمد * فمالي في غير الحجاز طلاب
يحن الى أوطانه كل مسلم * فقدس منها منزل وجناب
فأسعد اياما ذا قيل هذه * منازل من وادي الحمى وقباب
فجسمي في مصر وروحي بطيبة * فللروح عن جسمي هناك مناب
على مثل هذا العجز والعمر منقض * تشوق قلوب لا تشوق ثياب
وأرجو ثوابا بامتداحي محمدا * وما كل مثن في الزمان يثاب
به أحمدت من قبل نيران فارس * وحقق من طي الفلاة خطاب
وكم قد سقى من كفه الجيش فارتووا * وكم قد شفى منه العيون رضاب
أجيب لما يختار في حضرة العلا * وما كل خلق حيث قال يجاب
فلم تلهه دنياه عن خوف ربه * ولا شغلته عن رضاه كعاب
محمد المختار أعلى الورى ندى * وأكرم مبعوث أتاه كتاب
أتحسب أن تحصى بعد صفاته * وهيهات ما يحصى علاه حساب
ثناء رسول الله خير ذخيرة * وقد ذل جبار وخيف عقاب
وقد نصب الميزان والله حاكم * وذلت لاحكام الاله رقاب
فكل ثناء واجب اصفاته * فما مدح مخلوق سواه صواب
اليك رسول الله أنهى مدائحي * وان رجائي راحة وثواب
اذا قيل من تعني بمدحك كله * فانت اذا خبرت عنه جواب
فليتك تحلو والحياة مريرة * وليتك ترضى والأنام غضاب
فانت أجل العالمين مكانة * وأكرم مدفون حواه تراب

وله يرثي العز بن عبد السلام

أمد الحياة كما علمت قصير * وعليك نقادها وبصير
عجبا لمغتر بدار فنائه * وله الى دار البقاء مصير
فسليمها للنائبات معرض * وعزيزها بيد الردى مقهور
أيظن ان العمر ممدود له * والعمر فيه على الردى مقصور

وهي طويلة ولم يحضرني سوى ما ذكرته *(ومنهم عبد البر بن فرسان بن ابراهيم بن عبد الرحمن الغساني الوادي آشي أبو محمد) وله أخبار كثيرة في الحماسة وعلو الهمة ومن نظمه لما تعمم مخدومه ابن غانية بعمامة بيضاء ولبس غفارة حمراء على جبة خضراء

سليمان بن داود عليهما السلام حين سلب ملكه ووقع على امائه المنافقات الشيطان المعروف بالجسد وعصم الله منه المؤمنات أن يقع عليهن فعلق منه المنافقات فلما رد الله على سليمان ملكه ووضع تلك الاماء الحوامل من الشيطان قال اكردوهن الى الجبال والاودية ففرتهم أمهاتهم وتناكحوا وتناسلوا فذلك بدء نسب الاكراد (ومن الناس) من رأى ان الضحاك ذا الافواه المقدم ذكره في هذا الكتاب الذي تنازعت فيه الفرس والعرب من أي الفريقين هو انه خرج بكتفيه حيتان لا يهدآن الا بادمغة الناس فافنى خلقا كثيرا من فارس واجتمعت الى حربه جماعة كثيرة وافاه أفريدون بهم وقد شالوا رايه من الجلود تسميها الفرس درفش كاويان فاخذ أفريدون الضحاك وقيده في جبل نهاوند على ما ذكرنا وقد كان وزير الضحاك في كل يوم يذبح كبشا ورجلا ويخلط أدمغتهما ويطعم تينك الحيتين اللتين في كتفي الضحاك ويطرد من يخلص الى الجبل فنوحشوا وتناسلوا في تلك الجبال فهم بدء الاكراد وهؤلاء من نسلهم وتشعبوا أفخاذا وما ذكرنا من خبر

فديتك بالنفس التى قد ملكتها * بما أنت موليها من الكرم الغنى
ترديت للحسن الحقيقى بهجة * فصار لها الكلى فى ذاك كالبعض
ولما تلالا نور غرتك التى * تقسم فى طول البلاد وفى عرض
تلفعتها خضراء أحسن ناظر * نبت عنك اجلالا وذاك من الفرض
وأسدلت حمراء الملابس فوقها * بمفرق تاج المجد والشرف المحض
فاصبحت بدر اطالعا فى غمامة * على شفق دان الى خضرة الارض

وقال رحمه الله تعالى

أجبنا ومحى ناصرى وحسامى * وعزا وعزمى قائدى وامامى
ولى منك بطاش اليدين غضنفر * يحارب عن أشباله و يحامى

وقال رحمه الله تعالى لما أسن يستاذن مخدومه فى الحج والزيارة

أمنن بتسريح على وفعله * سبب الزيارة للعظيم و يثرب
ولئن تقول كاشح ان الهوى * درست معالمه وأنكر مذهبى
فمقالتى ما ان ملمت وانما * عمرى أبى حل النجاد ومنكبى
وعجزت عن أن استثير كمينها * واشق بالصمصام صدر الموكب

وقال رحمه الله تعالى ولاخفاء ببراعته

فدى مخضلا ذاك الجناح المنمنما * وسقيا وان لم تشك ياساجعا ظما
أعدهن ألحانا على سمع معرب * يطارح مرتاحا على القضب مقعما
وطر غير مقصوص الجناح مرفها * مسوغ اشتات الحبوب منعما
مخلى وأفراخا بوكرك نوما * ألا ليت أسراخى معى كن نوما

وقال رحمه الله تعالى

كفى حزنا أن الرماح صقيلة * وأن الشبا رهن الصدى بدمائه
وان بياديق الجوانب فرزنت * ولم يعد رخ الدست بيت بنائه

وكان رحمه الله تعالى من جلة الادباء وفحول الشعراء وبرعة الكتاب كتب عن ابن غانية الامير أبى زكريا يحيى بن اسحق بن محمد بن على المسوفى الميرقى الثائر على منصور بن عبد المؤمن ثم على من بعده من ذريته الى أيام الرشيد منهم وكان منقطعا اليه وعن صحبه فى حركاته وكان آية فى بعد الهمة والذهاب بنفسه والغناء فى مواقف الحرب والجنسية علة الضم اذا بن غانية كان غاية فى ذلك أيضا ووجهه الميرقى المذكور عشية يوم من أيام حروبه الى المازق وقد طال العراك وكاد الناس ينفصلون عن الحرب الى ان يباكروها من الغد فلما بلغ الصدر اشتد على الناس وذمر أرباب الحفيظة وأنهى اليهم العزم من أميرهم فى الحملة فانهزم عدوهم شر هزيمة ولم يعد أبو محمد الا فى آخر الليل بالاسلاب والغنيمة فقال له الامير وما حملك على ما صنعت فقال الذى عملت هو شانى واذا أردت من يصرف الناس عن الحرب و يذهب ريحهم فانظر غيرى وتشاجر له ولد صغير مع ترب له من أولاد أمير أبى زكريا فقال منه ولد الامير وقال وما قدر أبيك فلما بلغ ذلك اباه خرج مغضبا الحينه واتى ولد

الفحالة فالفرس لا يتماكرون الفحالة مع ابليس أخبار عجيبة هى موجودة فى كتبهم وتزعم الفرس أن ظهور المقدم ذكره فى ملوك الفرس هو نوح النبى عليه السلام وتفسيره ادريس بالفارسية الفهلوية وهى الاولى الراية والمطرد والعلم (واما الترك وأجناسها) فقد قدمنا كثيرا من أخبارها وقد غلط قوم فزعموا أن الترك من ولد طوج بن أفريدون وهذا غلط ولى طوج على الترك وسلح على الروم وكيف توليه عليهم وهم ولده وما قلنا يدل على أن الترك من غير ولد طوج ابن أفريدون بل لطوج فى الترك عقب مشهور والمعظم فى أجناس الترك هم التبت وهم من حمير على حسب ما ذكرنا أن بعض التبابعة ربتهم هناك وما قلنا من الاكراد فالاشهر عند الناس والاصح من أنسابهم أنهم من ولد ربيعة بن نزار فاما نوع من الاكراد وهم الشاهجان ببلاد ما بين الكوفة والبصرة وهى أرض الدينور وهمذان فلا نذكر بينهم أنهم من ولد ربيعة بن نزار بن معد والعاخوذان وهم من الكيكان ببلاد اذربيجان والملبانية والسراة وما

الامير

الامير الخياط لولده فقال حفظك الله تعالى لست أشك فى أنى خديم أبيك ولكنى أحب أن أعرفك بنفسى ومقدارى ومقدار أبيك اعلم أن أباك وجهنى رسولا الى دار الخلافة ببغداد بكتاب عن نفسه فلما بلغت بغداد أنزلت فى دار اكتريت لى بسبعة دراهم فى الشهر وأجرى على سبعة دراهم فى اليوم وطولبت بكتابى وقيل من المبرق الذى وجهه فقال بعض الحاضرين هو رجل مغربى ثائر على استاذه فأقمت شهرا ثم استدعيت فلما دخلت دار الخلافة وتكلمت مع من بها من الفضلاء وأرباب المعارف والآداب اعتذروا الى وقالوا للغلمة هذا رجل جهل مقداره فاعدت الى محل اكترى لى بسعين درهما وأجرى على مثلها فى اليوم ثم استدعيت فودعت الخليفة واقتضيت ما تيسر من حوائجه وصدر لى شئ له حظ من صلته وانصرفت الى أبيك فالمعاملة الاولى كانت على قدر أبيك عند من يعرف الاقدار والثانية كانت على قدرى وترجمته رحمه الله تعالى واسعة * (ومنهم عبد المنعم بن عمر الغسانى الوادى آشى) المؤلف الرحالة المتجول ببلاد المشرق سائحا صاحب المؤلفات الكثيرة التى منها جامع أنماط السائل فى العروض والخطب والرسائل ومن نظمه

ألا انما الدنيا بحار تلاطمت * فما أكثر الغرقى على الجنبات
وأكثر من لاقيت يغرق الفه * وقل فتى ينجى من الغمرات

توفى سنة ٦٠٣ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو العباس أحمد بن مسعود بن محمد القرطبى الخزرجى) كان اماما فى التفسير والفقه والحساب والفرائض والنحو واللغة والعروض والطب وله تآليف حسان وشعر رائق فمنه قوله رحمه تعالى

وفى الوجنات ما فى الروض لكن * لرونق زهرها معنى عجيب
وأعجب ما التعجب عنه أنى * أرى المستان يحمله قضيب

وتوفى رحمه الله تعالى سنة ٦٠١ *(ومنهم أبو العباس القرطبى صاحب المفهم فى شرح مسلم وهو أحمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر الانصارى المالكى الفقيه المحدث المدرس الشاهد بالاسكندرية) ولد بقرطبة سنة ٥٧٨ وسمع الكثير هنالك ثم انتقل الى المشرق واشتهر وطار صيته وأخذ الناس عنه وانتفعوا بكتبه وقدم مصر وحدث بها واختصر الصحيحين وكان بارعا فى الفقه والعربية عارفا بالحديث وممن أخذ عنه القرطبى صاحب التذكرة ومن تصانيفه رحمه الله تعالى المفهم فى شرح مسلم وهو من أجل الكتب ويكفيه شرفا اعتماد الامام النووى رحمه الله تعالى فى كثير من المواضع وفيه أشياء حسنة مفيدة ومنها اختصاره للصحيحين كما مر وله غير ذلك وتوفى رحمه الله تعالى بالاسكندرية رابع القعدة سنة ٦٥٦ وكان يعرف فى بلاده بابن المزين وله كتاب كشف القناع عن الوجد والسماع أجاد فيه وأحسن وكان يشتغل أولا بالمعقول وله اقتدار على توجيه المعانى بالاحتمال قال الشيخ شرف الدين الدمياطى أخذت عنه وأجاز لى مصنفاته رحمه الله تعالى وحدث بالاسكندرية وغيرها وصنف غير ما ذكرناه وكان اماما عالما جامعا لمعرفة الحديث والفقه والعربية وغيرها *(ومنهم العارف الكبير الولى الصالح الشهير أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد ابن سيد بونة الخزاعى الاندلسى) أحد الاعلام المنقطعين المقربين أولى الهداية كان رضى الله

والبارسان والحابسة والجبانا رفيه والحاوانيه والمسكان ومن حل بلاد الشام من الديابلة وغيرهم فالمشهور فيهم أنهم من مضر بن نزار ومنهم اليعقوبية والحورفان وهم نصارى وديارهم مما يلى الموصل وجبل الجودى (وفى الاكراد) من رأيهم رأى الخوارج والبراءة من عثمان وعلى رضى الله عنهما فهذه جملة من أخبار بوادى العالم وقد أعرضنا عن ذكر القول فيهم (والجلج) وهم أنواع من الترك بحدود بلاد عرس ونصيبين وبست مما يلى بلاد سجستان وكذلك من بلاد كرمان من أرض القفص والملوح والحب (قال المسعودى) فاما أيام العرب ووقائعها وحروبها فقد ذكرناها فيما سلف من كتبنا وما كان بينها فى الجاهلية والاسلام كيوم الهباءة وحروب ذبيان واليمن وحرب داحس والغبراء وحرب بكر بن وائل وتغلب وهى حرب البسوس ويوم الكلاب ويوم جرار ومقتل جساس ابن زهير ويوم ذى قار ويوم شعب جبانة وما كان من بنى عامر وغيرهم وحرب الاوس والخزرج وما كان بين غسان وعك (وسنورد) بعد هذا الباب جملا من أخبار العرب الدائرة وغيرها

وتفريقها فى البلاد ونذكر
والقيافة والكهانة
والنفوس والصدى والهام
وغير ذلك من شيمها
وبالله التوفيق

*(ذكر ديانات العرب
وآرائها فى الجاهلية
وتفرقها فى البلاد وخبر
أصحاب الفيل وعبد المطلب
وغير ذلك مما لحق بهذا
الباب)*

كانت العرب فى جاهليتها
فرقا منهم الموحد المقر
بخالقه المصدق بالبعث
والنشور موقنا بان الله
يثيب المطيع ويعاقب
العاصى وقد تقدم ذكرنا
فى هذا الكتاب وغيره
من كتبنا من دعا الى الله
عزوجل ونبه أقوامه على
آياته فى الفترة كقس بن
ساعدة الايادى ورياب
السبتى وبحيرا الراهب
وكانا من عبد القيس
(وكان من العرب) من
أقر بالخالق وأثبت
حدوث العالم بالبعث
والاعادة وأنكر الرسل
وعكف على عبادة
الاصنام وهم الذين حكى
الله عزوجل قولهم
مانعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى الآية وهذا
الصنف الذين حجوا الى
الاصنام وقصدوها
ونحروا البدن ونسكوا لها النسائك واحلوا لها وحرموا (ومنهم) من أقر بالخالق وكذب بالرسل والبعث ابو

تعالى عنه ونفعنا به كثيرا الأتباع بعيد الصيت فذ اشهيرا قال الحافظ بن الزبير هو أحد
الاعلام المشاهير فضلا وصلاحا قرأ ببلنسية وتفقه وحفظ نصف المدونة وأقرأها وكان يؤثر
التفسير والحديث والفقه على غيرها أخذ عن أبوى الحسن بن النعمة وابن هذيل وحج ولقى
فى رحلته من الاندلس جلة أكبرهم الولى الكبير سيدى أبو مدين شعيب أفاض الله تعالى
علينا من أنواره وانتفع به ورجع عنه بعجائب فشهر بالعبادة وتبرك الناس به فظهرت عليه
بركته توفى رحمه الله تعالى فى شوال سنة ٦٢٤ وعاش نيفا وثمانين سنة وله ترجمة فى الاحاطة
ملخصها ما ذكرناه *(ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب الخزرجى الانصارى الشاطبى
الفقيه القاضى الصدر المتفنن المحصل المجيد) له علم محكم وعقد صحيح مبرم رحل الى المشرق
وحج وكانت رحلته بعد تحصيله فزاد فضلا الى فضل ونبلا الى نبل وكان متثبتا فى فقهه
لايستحضر من النقل الكثير ولكنه يستحضر ما يحتاج اليه وكان له علم بالعربية وأصول الفقه
ومشاركة فى أصول الدين له شرح على الجزولية وكان أبوه قاضيا وبيتهم بيت قضاء وعلم
وسودد متوارث ومجد مكسوب ومنسوب ثم ولى قضاء بجاية فكان فى قضائه على سنن الفضلاء
وطريق الاولياء العقلاء بالحق مع الصدق معارضا للولاة وكان يرى أن لايقدم الشهود الا
عند الحاجة وأما ان حصل من تحصل به الكفاية فلا يقدم غيره ويرى ان الكثرة مفسدة
وقد طلب منه الملك أن يقدم رجلا من أهل بجاية فقال له مشافهة ان شئتم قدمتموه وأخرتموه
وكان اذا جرى الامر فى مجرى الشهادة وما قاله القاضى بن العربى أبو بكر وغيره من أنها قبول
قول الغير على الغير بغير دليل يرى ان هذا من الامر العظيم الذى لايليق أن يمكن منه الا
الآحاد الذين تبين فضلهم فى الوجود وكان يرى ان جنايات الشاهد انما هى فى صحيفة من
يقدمه من باب قوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة وقد سئل
من أولياء الله فقال شهود القاضى لانهم لايأتون كبيرة ولايواظبون على صغيرة وان كانت
الشهادة على هذه الصفة فلا شئ أجل منها وان كانت خطة لاصفة فلا شئ أخس منها ولما
كانت واقعة ابن مزين بطنجة عرض عليه أهلها أن يتقدم وأن يبايعوه فقال والله لا أفسد
دينى ولما توفى عجز القاضى الذى تولى بعده عن سلوك منحاه واقتفاء سننه الذى اقتفاه قال
هذا كله بمعناه وبعضه بحروفه الغبرينى فى عنوان الدراية فى علماء بجاية *(ومنهم محمد
ابن يحيى الاندلسى اللبسى) بلام مفتوحة فسين قاضى القضاة أخذ عن الحافظ بن حجر ونوه به
عند الاشراف حتى ولاه قضاء المالكية بحماة وسار سيرة السلف الصالح ثم حق على نائبها
فى بعض الامور وسافر الى حلب مظهرا ارادة السماع على حافظها البرهان ووصفه ابن حجر
فى بعض مجاميعه بقوله الشيخ الامام العالم العلامة فى الفنون قاضى الجماعة وقال انه انسان
حسن امام فى علوم منها الفقه والنحو وأصول الدين يستحضر علوما كانها بين عينيه ووصفه
أيضا بعلامة دهره وخلاصة عصره وعين زمانه وانسان أوانه جامع العلوم وفريد
كل منثور ومنظوم قاضى القضاة لازالت رايات الاسلام به منصورة وأعلام الايمان به
منشورة ووجوه الاحكام الشرعية بحسن نظره مجبورة ولد سنة ٨٠٦ وتوفى ببرسا من
بلاد الروم أواخر شعبان ٨٨٤ قاله السخاوى فى الضوء اللامع *(ومنهم الوزير الشهير

ال الى قول أهل الدهر وهؤلاء الذين حكى الله تعالى الحادهم وخبر عن كفرهم بقوله تعالى وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون (ومنهم) من مال الى اليهودية والنصرانية (ومنهم) المار على عجهيته الراكب لمجيته وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ويزعمون أنها بنات الله فكانوا يعبدونها لتشفع لهم الى الله وهم الذين أخبر الله عز وجل عنهم بقوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وقوله تعالى افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى (فمن كان) مقرا بالتوحيد مثبتا للوعيد تاركا للتقليد عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وكان حفر بئر زمزم وكانت مطوية وذلك فى ملك كسرى قباذ فاستخرج منها غزالتى ذهب عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلى وسبعة أسياف قلعية وسبعة أدرع سوابغ فضرب من الاسياف بابا للكعبة وجعل احدى الغزالتين صفائح

و عبد الله بن الحكيم الرندى ذو الوزارتين) رحل الى مصر والحجاز والشام وأخذ الحديث عن جماعة وقد ترجمناه فى باب مشيخة لسان الدين عند تعرضنا لذكر ابنه الشيخ أبى بكر بن الحكيم ولا باس أن نزيد هنا ما ليس هنالك فنقول ان من مشايخه برندة الشيخ الاستاذ النحوى أبا الحسن على بن يوسف العبدوى السفاح أخذ عنه العربية وقرأ عليه القرآن بالروايات السبع وأخذ عن الخطيب بها أبى القاسم بن الابيرو أخذ رحمه الله تعالى عن جماعة من أعلام الاندلس وأخذ فى رحلته عن الجلة الذين يضيق عن أمثالهم الحصر فمن شيوخه الحافظ أبو اليمن بن عساكر لقبه بالحرم الشريف وانتفع به وأكثر من الرواية عنه والشيخ أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحرانى المعروف بابن هبة الله والشيخ الشرف أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطى ابن الامام الجزائرى جزائر العرب نزيل بغداد والشيخ أبو الصفاء خليل بن أبى بكر المرادى الحنبلى لقيه بالقاهرة والشيخ رضى الدين أبو بكر القسمطينى والشيخ شرف الدين الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى امام الديار المصرية فى الحديث وحافظها وموثرخها والشهاب بن الخيمى قرأ عليه قصيدته البائية العريدة التى أولها

يا مطلبا ليس لى فى غيره أرب * اليك آل التقضى وانتهى الطلب

وفيها البيت المشهور الذى وقع النزاع فيه

يا بارقا بأعالى الرقمتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

والشيخ جمال الدين أبو صادق محمد بن يحيى القرشى ومن تخريجه الاربعون المروية بالاسانيد المصرية وسمع الحلبيات من ابن عماد الحرانى والشيخ أبى الفضل عبد الرحيم خطيب الجزيرة ومولده سنه ٥٩٨ وزينب بنت الامام أبى محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادى وتكنى أم الفضل وسمعت من أبيها ومن أشياخ ذى الوزارتين بن الحكيم المذكور الملك الاوحد يعقوب ابن الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب والشيخ عبد الرحمن بن سليمان بن طرخان وأخوه محمد بن سليمان فى طائفة كبيرة من مشايخ مصر والشام والعراق وغيرها من البلاد يطول تعدادهم وأخذ ببجاية عن خطيبها أبى عبد الله بن رحيمة الكانى وبتونس عن قاضيها أبى العباس بن الغماز البلنسى وأخذ العربية عن قدوة النحاة أبى الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أبى الربيع القرشى ومن شعر ذى الوزارتين بن الحكيم المذكور قوله

هل الى رد عشيات الوصال * سبب أم ذاك من ضرب المحال
حالة يسرى بها الوهم الى * أنها تثبت برأبا عتلال
وليال ما تبقى بعدها * غير أشواقى الى تلك الليال
اذ مجال الوصل فيها مسرحى * ونعيمى آنف فيها ووال
ولحالات التراضى جولة * مرحت بين قبول واقتبال
فبوادى الخيف خوفى مسعد * وبأكناف منى أنسى موال
لست أنسى الانس فيها أبدا * لاولا بالعذل فى ذاك أبال

ويجعلون الاخرى فى الكعبة وكان عبد المطلب أول من أقام الرفادة والسقاية بمكة عذبا وجعل باب الكعبة ذهبا

و بالترب منها اذ كلتانا جفونا * شفينا فلا باسا نخاف ولا كربا
وحين تبدى للعيون جمالها * ومن بعدها عنا اديلت لنا قربا
نزلنا عن الاكوار منى كرامة * لمن حل فيها أن نلم به ركبا
نسح سجال الدمع في عرصاتها * ونلثم من حب لواطئه الترابا
وان بقائي دونه لخسارة * ولو أن كفي تملأ الشرق والغربا
فيا عجبا ممن يحب بزعمه * يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا
وزلات مثلي لا تعد كثرة * و بعدي عن المختار أعظمها ذنبا انتهى

وخط الوزير ابن الحكيم في غاية الحسن وقد رأيته مرارا وملكت بعض كتبه ونثره رحمه الله تعالى أعلى من شعره كما نبه عليه لسان الدين في الاحاطة ومن نثره في رسالة طويلة كتبها عن سلطانه ماصورته وقد تقرر عند الخاص والعام من أهل الاسلام واشتهر في آفاق الاقطار اشتهار الصباح في سواد الظلام أنا لم نزل نبذل جهدنا في أن تكون كلمة الله هي العليا ونسمح في ذلك بالنفوس والاموال رجاء ثواب الله لا لعرض الدنيا وانما قصرنا عن الاستنفار والاستنصار ولا أقصرنا عن الاعتضاد بكل من أملنا معاملته والاستظهار ولا اكتفينا بطولات الرسائل و بنات الارسال حتى اقتحمنا بنفسنا لجج البحار فسمعنا بالطارف من أموالنا والتلاد وأعطينا رجاء نصرة الاسلام موفور الاموال والبلاد واشترينا بما أنعم الله به علينا ما فرض الله على كافة أهل الاسلام من الجهاد فليكن بين تلبية المدعو وزهده ولا بين قبوله ورده الا كما يحسو الطائر الماء الثماد و يابى الله أن يكل نصرة الاسلام بهذه الجزيرة الى سواه ولا يجعل فيها شيا الا لمن أخلص لوجهه الكريم علانيته ونجواه ولما اسلم الاسلام بهذه الجزيرة الغربية الى مناويه و بقي المسلمون يتوقعون حادثا ساءت ظنونهم لمبادئه القينا الى الثقة بالله تعالى يد الاستسلام وشمرنا عن ساعد الجد في جهاد عبدة الاصنام واخذنا بمقتضى قوله تعالى وأنفقوا في سبيل الله أخذ الاعتزام فامدنا الله تعالى في ذلك بتوالي البشائر ونصرنا بالطاف أغنى فيها خلوص الضمائر عن قود العساكر ونقلنا على أيدي قوادنا ورجالنا من السبايا والغنائم ما غداد كره في الآفاق كالمثل السائر وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكيف يحصيها المحصي أو يحصرها الحاصر وحين أبدت لنا العناية الربانية وجوه الفتح سافرة المحيا وانتشقنا نسائم النصر المنوح عبقة الريا استخرنا الله تعالى في الغزو بنفسنا ونعم المستخار وكتبنا بما قد علمتم الى ما قرب من أعمالنا بالحض على الجهاد والاستنفار وحين وافى من خف للجهاد من الاجناد والمطوعين وغدوا بحكم رغبتهم في الثواب على طاعة الله مجتمعين خرجنا بهم ونصر الله تعالى أهدى دليل وعناية الله تعالى بهذه الفئة المفردة من المسلمين تقضي بتقريب البعيد من آمالنا وتكثير القليل ونحن نسال الله تعالى أن يحملنا على جادة الرضا والقبول وأن يرشدنا الى طريق تفضي الى بلوغ الامنية والمامول وهذه رسالة طويلة سقنا بعضها كالعنوان لسائرها ونال ابن الحكيم رحمه الله تعالى من الرياسة والتحكم في الدولة ما صار كالمثل السائر وخدمته العلماء الاكابر الاخيار كابن خميس وغيره وأفاض عليهم سجال خيره ثم ردت

صدهم الله عز وجل عن ان للبيت ربا مانعا
من يرده بإثم يصطلم رامه تبع فيمن جندت حمير والحي من آل قرم
فانثنى عنه وفي أوداجه جارح أمسك عنه بالكظم
قلت والاشرم يرمي حيلة ان ذا الاشرم غر بالحرم
فجزاك الله فيما قد مضى لم يزل ذاك على عهد ابرهم
نحن درنا ثم عودا عنوة ثم عاد اقبالها ذات الارم
نعبد الله وفينا سنة صلة القربى وايفاء الذمم
لم يزل لله فينا حجة يدفع الله بها عنا النقم

(قال المسعودي) وقد استدل قوم ممن ذهب الى الغلو في بعض المذاهب والخروج عما أوجبته قضية العقل وضرورات الحواس بهذا الشعر وقول عبد المطلب فيما كان منهم في قديم الزمان وأيدوا ذلك الشعر بشعر العباس بن عبد المطلب في مدحه النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه منصرفه من تبوك فاسلم قال سمعت العباس بن عبد المطلب يقول يا رسول الله اني أريد أن أمتدحك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك فانشأ يقول

من قبلها طيبت في الظلال وفي * مستودع حيث يخصف الورق ثم هبطت البلاد لا بشر * ١١ أنت ولا مضغة ولا علق

الايام منه ما وهبت وانقضت أيامه كأن لم تكن وذهبت وقتل يوم خلع سلطانه ومثل به سنة ٧٥٨ رحمه الله تعالى وانتهب من امواله وكتبه وتحفه ما لا يعلم قدره الا الله تعالى أثابه الله تعالى بهذه الشهادة بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم

*(ومن المرتحلين من الاندلس الى المشرق) الحافظ نجيب الدين أبو محمد عبد العزيز ابن الامير القائد أبي علي الحسن بن عبد العزيز بن هلال اللخمي الاندلسي ولد سنة ٥٧٧ تقريبا ورحل فسمع بمكة من زاهر بن رستم وببغداد من أبي بكر أحمد بن سكينة وابن طبرزد وطائفة وبواسط من أبي الفتح بن الميداني وباصبهان من عين الشمس الثقفية وجماعة وبخراسان من المؤيد الطوسي وأبي روح وأصحاب الفراوي وهذه الطبقة وخطه ملبح مغربي في غاية الدقة وكان كثير الاسفار دينا متصوفا كبير القدر قال الضياء في حقه رفيقنا وصديقنا توفي بالبصرة عاشر رمضان سنة ٦١٧ ودفن الى جانب قبر سهل التستري رضي الله تعالى عنه ومارأينا من أهل المغرب مثله وقال ابن نقطة كان ثقة فاضلا صاحب حديث وسنة كريم الاخلاق وقال مفضل القرشي كان كثير المروءة غزير الانسانية وقال ابن الحاجب كان كيس الاخلاق محبوب الصورة لين الكلام كريم النفس حلو الشمائل محسنا الى أهل العلم بماله وجاهه وقيل انه أوصى بكتبه للاشرف المرسي رحمه الله تعالى

*(ومنهم محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد أبو بكر بن العربي الاشبيلي حفيد القاضي الحافظ الكبير أبي بكر بن العربي) قرأ النافع على قاسم بن محمد الزقاق صاحب شريح وحج فسمع من السلفي وغيره ثم رحل بعد نيف وعشرين سنة الى الشام والعراق وأخذ عن عبد الوهاب بن سكينة وطبقته ورجع فأخذ واعنه بقرطبة واشبيلية ثم سافر سنة ٦١٢ وتصوف وتعبد وتوفي بالاسكندرية سنة ٦١٧ قاله الذهبي في تاريخه الكبير

*(ومن المرتحلين من الاندلس يحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز أبو زكريا القرطبي) سمع من العتبي وعبد الله بن خالد ونظرائهما من رجال الاندلس ورحل فسمع بمصر من المزني والربيع بن سليمان المؤذن ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن ميمون وعبد الغني ابن أبي عقيل وغيرهم وسمع بمكة من علي بن عبد العزيز وكانت رحلته ورحلة سعيد ابن عثمان الاعناقي وسعيد بن حميد وابن ابي تمام واحدة وسمع الناس من يحيى المذكور مختصر المزني ورسالة الشافعي وغير ذلك من علم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وكان يميل في فقهه الى مذهب الشافعي وكان مشاورا مع عبيد الله بن يحيى واضرابه وحدث عنه من أهل الاندلس محمد بن قاسم بن بشير وابن عباذة وغير واحد ولم يسمع منه انه محمد لصغره وتوفي سنة ٣٩٥ رحمه الله تعالى ورضي عنه

*(ومنهم الشيخ الامام العالم العامل الزاهد الورع العلامة جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكري الشريشي المالكي) كان من أكابر الصالحين المتورعين ومولده سنة ٦٠١ بشريش وتوفي برباط الملك الناصر بسفح قاسيون سنة ٦٨٥ في ٢٤ رجب ودفن قبالة الرباط وله المصنفات المفيدة تولى مشيخة الصخرة بحرم القدس الشريف وقدم دمشق وتولى مشيخة الرباط الناصري فلما توفي قاضي القضاة جمال الدين المالكي ولوه مشيخة المالكية بدمشق وعرضوا عليه القضاء فلم يقبل

بل جنة تركب السفين وقد
ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم
اذا مضى عالم بدا طبق
أنت لها وارث وأشرقت الـ
أرض وأورى بنورك الافق
حتى احتوى بيتك المهيمن من
خندف علياء تحتها النطق
فنحن في ذلك الضياء وفي النـ
ـور وسبل الرشاد نخترق
قالوا وهذا الخبر قد ذكره أصحاب السير والاخبار والمغازي ونقلوا هذا المديح من قول العباس وما كان من سرور النبي صلى الله عليه وسلم بذلك واستبشاره به فجعلت هذه الطائفة من الغلاة ما ذكرنا من الشعر من شعر عبد المطلب وشعر العباس دلالة لهم على مواطن ادعوها وتغلغلوا الى شبه بعيدة استخرجوها فنشع منها ما تقدم من أوائل العقول وموجبات الفحص ذكر ذلك جماعة من مصنفي كتبهم ومن حذاق مبرزيهم من فرق المحمدية والعلبانية وغيرهم من فرق الغلاة

منهم اسحق بن محمد النخعي المعروف بالاحمر في كتابه المعروف بكتاب الصراط وقد ذكر ذلك الفياض بن علي

و بقي في المشيخة الى أن توفي رحمه الله تعالى ونفعنا به وبامثاله آمين *(ومن الراحلين من الاندلس الفقيه الصالح أبو بكر بن محمد بن علي بن ياسر الجياني المحدث الشهير) ذكره ابن السمعاني وغيره سافر الكثير وورد العراق وطاف في بلاد خراسان وسكن بلخ وأكثر من الحديث وحصل الاصول ونسخ بخطه ما لا يدخل تحت حصر قال ابن السمعاني وله أنس ومعرفة بالحديث لقيته بسمرقند وكان قدمها سنة ٥٤٩ مع جماعة من أهل الحجاز لدين له عليهم وسمعت منه جزأ خرجه من حديث يزيد بن هرون مما وقع له عاليا وجزأ صغيرا من حديث أبي بكر بن أبي الدنيا واحاديث أبي بكر الشافعي في احد عشر جزأ المعروف بالغيلانيات بروايته عن أبي الحسين عن ابن غيلان وكان مولده بجيان سنة ٤٩٣ أو في التي بعدها الشك منه ثم لقيته بنسف في أواخر سنة خمسين ولم أسمع منه شيأ ثم قدم علينا بخارى في أوائل سنة احدى وخمسين وسمعت من لفظه جميع كتاب الزهد لهناد بن السري الكوفي بروايته عن أبي القاسم سهل بن ابراهيم المسجدي عن الحاكم أبي عبد الرحمن محمد بن أحمد الشاذياخي عن الحاكم أبي الفضل محمد بن الحسين الحدادي عن حماد بن أحمد السلمي عن مصنفه وأخبرنا الجياني بسمرقند أنبأنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الكاتب ببغداد أنبأنا ابو طالب محمد بن محمد بن سلمة أنبأنا يزيد بن هرون أنبأنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ناداهم مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا لم تروه قالوا وما هو ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجنبنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم شيأ أحب اليهم من النظر اليه ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقال ابن السمعاني أيضا وأخبرنا الجياني المذكور بسمرقند أنبأنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد ببغداد انبأنا أبو طالب بن غيلان أنبأنا ابو بكر الشافعي أنبأنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي أنبأنا محمد بن حسان أنبأنا مبارك بن سعيد قال أردت سفرا فقال لي الاعمش سل ربك أن يرزقك صحابة صالحين فان مجاهدا حدثني قال خرجت من واسط فسألت ربي أن يرزقني صحابة ولم أشترط في دعائي فاستويت أنا وهم في السفينة فاذا هم أصحاب طنابير وقال ابن السمعاني أيضا اخبرنا ابو بكر الجياني المغربي بسمرقند سمعت الامام أبا طالب ابراهيم بن هبة الله ببلخ يقول قرأت على أبي يعلى محمد بن أحمد العبدي بالبصرة قال قرأت على شيخنا أبي الحسين بن يحيى في كتاب العين باسناده الى الخليل بن أحمد أنه أنشد قول الشاعر

ان في بيتنا ثلاث حبالى * فوددنا أن قد وضعن جميعا
زوجتي ثم هرتي ثم شاتي * فاذا ما وضعن كن ربيعا
زوجتي للغبيص والهر للفا * رة شاتي اذا اشتهين مجيعا

قال أبو يعلى قال شيخنا ابن يحيى وذكر عن الخليل بن أحمد في العين أن المجيع أكل التمر باللبن انتهى *(ومنهم أبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابن حزم الاندلسي المرى) ذكره الحميدي في تاريخه وأثنى عليه وقال كان من اهل العلم والادب

في نقضه لكتاب الصراط محمدية نقضوا هذا الكتاب وهو على مذهب العلمانية وقد أتينا على ذكر هؤلاء من المحمدية والنميرية وسائر فرق الغلاة وأصحاب التفويض والوسائط واستقصينا النقض عليهم وعلى سائر من ذهب الى القول بتناسخ الارواح في أنواع أشلاء الحيوان ممن ادعى الاسلام وغيرهم ممن سلف من اليونانيين والهند والثنوية والمجوس واليهود والنصارى وذكر قول أحمد بن حائط وابن يالوس وجعفر القاضي الى من نجم في وقتنا ممن تقدم وتاخر الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ممن أحدث تفريعا على ما سلف من أصولهم وأبدى شبها أيدها ما تقدم من مذاهبهم مثل الحسين بن منصور المعروف بالحلاج واصحاب أبي يعقوب المرايلي ثم أصحاب السوق ومن تاخر عنهم وفارقهم في أصولهم مثل أبي جعفر محمد بن علي اللقاني المعروف بابن أبي القراقر وغيرهم من أمم وذكرنا الفرق بينهم وبين غيرهم من أصحاب الدورق في هذا الوقت ممن يراعي وقت الظهر وأصحاب هيج الليل والنهار اذ كان هؤلاء قد أثبتوا القول والذكاء

والذكاء والهمة العالية كتب بالاندلس فاكثر ورحل الى المشرق فاحتفل فى العلم والرواية والجمع وذكره الحافظ الخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادى وقال هو من بيت جلالة وعلم ورياسة وأخرج عنه فى غير موضع من مصنفاته وقدم بغداد ودمشق وحدث فيهما ثم عاد الى المغرب فتوفى ببلده المرية سنة ٤٥٤ وحدث عن أبى القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا الزهرى ويعرف بابن الاقليلى الاندلسى النحوى وغيره وكان صدوقا ثقة رحمه الله تعالى * (ومنهم العالم الحسيب أبو حفص عمر بن الحسن الهوزنى) ذكره ابن بسام فى الذخيرة والحجارى فى المسهب ولما تولى المعتضد بن عباد والد المعتمد خاف منه فاستأذنه فى الحج سنة ٤٤٤ ورحل الى مصر والى مكة وسمع فى طريقه كتاب صحيح البخارى وعنه أخذه اهل الاندلس ورجع فسكن اشبيلية وخدم المعتضد فقتله ومن خاف من شئ سلط عليه وكان قتله يوم الجمعة لليلة خلت من ربيع الاول سنة ٤٦٠ رحمه الله تعالى ومن شعره يحرضه على الجهاد قوله

أعباد جل الرزء والقوم هجع * على حالة من مثلها يتوقع
فلى كتابى من فراغك ساعة * وان طال فالموصوف للطول موضع
اذا لم أبث الداء رب شكاية * أضعت وأهل للام المضيع

ووصله بنثر وهو وما أخطأ السبيل من أتى البيوت من ابوابها ولا أرجأ الدليل من ناط الامور بارباب ولرب امل بين أثناء المحاذير مديج ومحبوب فى طى المكاره مدرج فانتهز فرصتها فقد بان من غيرك العجز وطبق مفاصلها فكأن قد أمكنك الحز ولا غرو أن يستمطر الغمام فى الجدب ويستصحب الحسام فى الحرب وله

صرح الشر فلا يستقل * ان نهلتم جاءكم بعد عل
بدء صعق الارض رش وطل * وريا ح ثم غيم أبل
خفضوا فالداء رزء اجمل * واغمدوا سيفا عليكم يسل

وبسبب قتل بنى عباد لابى حفص الهوزنى المذكور تسبب ابنه ابو القاسم فى فساد دولة المعتمد بن عباد وحرض عليه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب المغرب حتى ازال ملكه ونثر سلكه وسبب هلكه كما ذكرناه فى غير هذا الموضع من هذا الكتاب غير مرة فليراجعه من اراده فى محاله وبيت بنى الهوزنى المذكور بالاندلس بيت كبير مشهور ومنهم عدة علماء وكبراء رحمهم الله تعالى اجمعين * (ومنهم ابو زكريا يحيى بن قاسم بن هال القرطبى الفقيه المالكى) احد الائمة الزهاد كان يصوم حتى يعجز توفى سنة ٢٧٢ وقيل سنة ٢٧٨ ورحل الى المشرق وسمع من عبد الله بن نافع صاحب مالك بن انس ومن سحنون بن سعيد وغيرهما وكان فاضلا فقيها عابدا عالما بالمسائل وروى عنه احمد بن خالد وكان يفضله ويصفه بالفضل والعلم وهو صاحب الشجرة قال عباس بن اصبغ كانت فى داره شجرة تسجد لسجوده اذا سجد قاله ابن الفرضى رحمه الله تعالى ورضى عنه ونفعنا به * (ومنهم ابو بكر يحيى بن مجاهد بن عوانة الغزارى الالبيرى الزاهد) سكن قرطبة قال ابن الفرضى كان منقطع القرين فى العبادة بعيد الاسم فى الزهد حج وعنى بعلم القرآن القديم عز وجل أن يجوز عليه شئ مما تقدم فى كتابنا آنفا (وقد) تغلغل بنا الكلام فى ذكر عبد المطلب (تنازع) الناس فى عبد المطلب فمنهم من رأى انه كان مؤمنا موحدا وانه لم يشرك بالله عز وجل ولا أحد من آباء النبى صلى الله عليه وسلم وأنه تنقل فى الاصلاب الطاهرة وانه أخبر انه ولد من نكاح لا من سفاح ومنهم من رأى ان عبد المطلب كان مشركا وغيره من آباء النبى صلى الله عليه وسلم الا من صح ايمانه وهذا موضع فيه تنازع بين الامامية والمعتزلة والخوارج والمرجئة وغيرهم من الفرق فى النص والاختيار وليس كتابنا هذا موسوما للعجاج فنذكر حجاج كل فريق منهم (وقد أتينا) على قول كل فريق منهم وما انتدبه قوله فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات وفى كتاب الاستبصار ووصف أقاويل الناس فى الامامة وفى كتاب الصفوة أيضا (وكان) عبد المطلب يوصى ولده بصلة الارحام واطعام الطعام وبرغبهم فعل من يراعى فى المتعقب معاداو بعثا ونشورا وجعل السقاية والرفادة الى ابنه عبد مناف وهو أبو طالب واوصاه بالنبى

والقراآت والتفسير وسمع بمصر من الاسيوطى وابن الوردوابن شعبان وغيرهم وكان له حظ من الفقه والرواية الا أن العبادة غلبت عليه وكان العمل أملك به ولا أعلمه حدث توفى رحمه الله تعالى سنة ست وستين وثلثمائة ودفن فى مقبرة الربض وصلى عليه القاضى محمد ابن اسحق بن السليم ثم صلى عليه حيان بن مرة ثانية رحمه الله تعالى وأفاض علينا من أنوار عنايته آمين * (ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن ابراهيم الصدفى الاشبيلى الاديب البارع) له نظم حسن وموشحات رائقة قرأ على الاستاذ الشلوبين وغيره ومدح الملوك ورحل من الاندلس فقدم ديار مصر ومدح بها بعض من كان يوصف بالكرم فوصله بنزر يسير فكر راجعا الى المغرب فتوفى ببرقة رحمه الله تعالى وكان من النجباء فى النحو وغيره ومن نظمه من قصيدة

مابى موارد أم بل مصادره * اللحظ أوله والسعد آخره
أرسلت طرفى مرتادا فطال دمى * روض من الحسن مطلول أزاهره
رعيت فى خصبه لحظى فاعقبنى * جدبا بجسمى مايرويه هامره
ولى وان لم أكن بالذكر أشهره * فالوصف فيه لفقد المثل شاهره

وهى طويلة وأثنى عليه أثير الدين أبو حيان وأورد جملة من محاسن كلامه وبدائع نظامه رحمه الله تعالى الجميع * (ومنهم أبو يحيى زكريا بن خطاب الكلاعى التطيلى) رحل سنة ٢٩٣ فسمع بمكة كتاب النسب للزبير بن بكار من الجرجانى الذى حدث به عن على بن عبد العزيز ابن الجمحى عن الزبير وروى موطأ مالك بن أنس رواية أبى مصعب أحمد بن عبد الملك الزهرى عن ابراهيم بن سعيد الحذاء وسمع بها من ابراهيم بن عيسى الشيبانى والغزالى فى آخرين وقدم الاندلس وكان الناس يرحلون اليه الى تطيلة للسماع منه واستقدمه المستنصر الحكم وهو ولى عهد فسمع منه أكثر رواياته وسمع منه جماعة من أهل قرطبة وكان ثقة مامونا ولى قضاء بلده تطيلة احدى مدائن الاندلس بعد عمر بن يوسف ابن الامام * (ومنهم سعد الخير بن محمد بن سعد أبو الحسن الانصارى البلنسى المحدث) رحل الى أن دخل الصين ولذا كان يكتب البلنسى الصينى وركب البحار وقاسى المشاق وتفقه ببغداد على أبى حامد الغزالى وسمع بها أبا عبد الله النعال وطراد او غيرهما وباصبهان أبا سعد المطرز وسكنها وتزوج بها وولدت له فاطمة بها ثم سكن بغداد وروى عنه ابن عساكر وابن السمعانى وأبو موسى المدينى وابو اليمن الكندى وأبو الفرج بن الجوزى وابنته فاطمة بنت سعد الخير فى آخرين وتأدب على أبى زكريا التبريزى وتوفى فى المحرم سنة ٥٤١ رحمه الله تعالى ببغداد وصلى عليه الغزنوى والشيخ الواعظ بجامع القصر وكان وصيه وحضر جنازته قاضى القضاة الزينبى والاعيان ودفن الى جانب عبد الله ابن الامام احمد بن حنبل رضى الله تعالى عنهم أجمعين بوصية منه * (ومنهم ابو عثمان سعيد بن نصر بن عمر بن خلفون الاستجى) سمع بقرطبة من قاسم بن اصبغ وابن أبى دليم وغيرهما ورحل فسمع بمكة من ابن الاعرابى وببغداد من أبى على الصفار وجماعة وبهامات * (ومنهم أبو عثمان سعيد الاعناقى ويقال العناقى القرطبى) كان ورعا زاهدا عالما بالحديث بصيرا

اسمه وان على بن ابى طالب رضى الله عنه كتب فى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر باملاء النبى صلى الله عليه وسلم وكتب على بن ابى طالب باسقاط الالف وقد ذكر عبد المطلب فى شعره وصية ابى طالب بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال

اوصيت من كنيته * بطالب
بابن الذى قد غاب ليس آيب

وقد كان اكبر العرب ممن بقى وذريته ر بالصانع ويستدل على الخالق (وقد كان) فى ملك النمروذ بن كوش بن حام بن نوح هيجان الريح التى نسفت صرح النمروذ ببابل من ارض العراق فبات الناس ولسانهم سريانى وأصبحوا قد تفرقت لغاتهم على اثنين وسبعين لسانا فسمى الموضع من ذلك الوقت بابل فصار من ذلك فى ولد سام بن نوح تسعة عشر لسانا وفى ولد يافث بن نوح سبعة وثلاثون لسانا على حسب ماذكرنا فى صدر هذا الكتاب وكان من تكلم بالعربية يعرب وجرهم وعاد وعنيل وجديس وثمود وعملاق وطسم ووبار وعبد بن ضخم فسار يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ

بطلبه سمع من محمد بن وضاح وصحبه ومن يحيى بن ابراهيم بن مزين ومحمد بن عبد السلام الخشني وغيرهم ورحل فلقي جماعة من أصحاب الحديث منهم نصر بن مرزوق كتب عنه مسند أسد بن موسى وغير ذلك من كتبه ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم والحرث بن مسكين في آخرين وحدث عنه أحمد بن خالد وابن أيمن ومحمد بن قاسم وابن أبي زيد في عدد كثير ومولده سنة ٢٣٣ وتوفي سنة ٣٠٥ بصفر والاعناق نسبة الى موضع يقال له أعناق وعناق * (ومنهم أبو المطرف عبد الرحمن بن خلف التجيبي الاقليشي) روى عن أبي عثمان سعيد بن سالم المجريطي وأبي ميمونة دارس بن اسمعيل فقيه فاس ورحل حاجا سنة ٣٤٩ فسمع بمكة من أبي بكر الآجري وأبي حفص الجمعي وبمصر من أبي اسحق ابن شعبان وروى عنه كتاب الزاهي جميعه وقد قرئ عليه جميعه وحمل عنه ومولده سنة ٣١٢ رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو الاصبغ عبد العزيز بن علي المعروف بابن الطحان الاشبيلي المقرى) ولد باشبيلية سنة ٤٩٨ ورحل فدخل مصر والشام وحلبا وتوفي بحلب بعد سنة ٥٥٩ وله كتاب نظام الاداء في الوقف والابتداء ومقدمة في مخارج الحروف ومقدمة في أصول القراآت وكتاب الدعاء وكان من القراء المجودين الموصوفين بالاتقان ومعرفة وجوه القراآت وسمع الحديث على شريح بن محمد بن أحمد بن شريح الرعيني خطيب اشبيلية وأبي بكر يحيى بن سعادة القرطبي وله شعر حسن منه قوله

دع الدنيا لعاشقها * سيصبح من رشاقتها
وعاد النفس مصطبرا * ونكب عن خلائقها
هلاك المرء أن يضحى * مجدا في علائقها
وذو التقوى يذللها * فيسلم من بوائقها

وأخذ القراآت ببلده عن أبي العباس بن عيشون وشريح بن محمد وروى عنهما وعن أبي عبد الله بن عبد الرزاق الكلبي وروى مصنف النسائي عن أبي مروان بن مسرة وتصدى للاقراء ثم انتقل الى فاس وحج ودخل العراق وقرأ بواسط القراآت وأقرأها أيضا ودخل الشام واشتهر ذكره وجل قدره وروى عنه أبو محمد عبد الحق الاشبيلي الحافظ وعلي بن يونس قال بعضهم سمعت غير واحد يقول ليس بالغرب أعلم بالقراآت من ابن الطحان قرأ عليه الاثير أبو الحسن محمد بن أبي العلاء وأبو طالب بن عبد السميع وغيرهما رحم الله تعالى الجميع * (ومنهم أبو الاصبغ عبد العزيز بن خلف المعافري) قدم مصر سنة ٥٠٢ وولد سنة ٤٤٨ وحدث بالموطا عن سليمان بن أبي القاسم أنبأنا أبو عمر بن عبد البر أنبأنا سعيد بن نصر عن قاسم بن أصبغ عن محمد بن وضاح عن يحيى بن يحيى عن مالك بن أنس امام دار الهجرة رضي الله تعالى عنه * (ومنهم أبو محمد عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة الانصاري الشاطبي) قدم مصر ودمشق وطلب علم وسمع أبا الحسن بن أبي الحديد وأبا منصور العكبري وغيرهما وصنف غريب الحديث لابي عبيد القاسم بن سلام على حروف المعجم وسمعه عليه أبو محمد الاكفاني وتوفي بارض حوران من أعمال دمشق في رمضان سنة ٥٩٠ رحمه الله تعالى ورضي عنه (ومنهم الحكيم الطبيب أبو الفضل محمد بن عبد المنعم الغساني الجليانى) وهو عبد المنعم بن

يا قوم سيروا في الرعيل الاول
انا الندى بالاسان المسهل
الابين المنطق غير المشكل
حشوت والامة في تبلبل
يا قوم سيروا في الرعيل الاول
نحو يمين الشمس في تمهل
حتى بأليمن على ما وصفنا
آ نفا من هذا الكتاب
(وسار بعده عاد بن عوص)
ابن ارم بن سام بن نوح
بوله ومن تبعه وهو يقول
اني انا عاد الطويل البادى
وسام جدى ابن نوح الهادى
فقد رأيتم يعرب الزيادى
وسوقه الطارف والتلادى
حتى بالاحقاف وأدانى
الرمل بين عمان وحضرموت
واليمن وتفرق هؤلاء في
الارض فانتشر منهم ناس
كثير منهم جيرون بن سعد
ابن عاد حل بدمشق فصر
مصرها وجمع عمد الرخام
والمرمر اليها وشيد بنيانها
وتسمى ارم ذات العماد
وقد روى عن كعب
الاحبار في ارم ذات العماد
غير هذا وهذا الموضح
بدمشق في هذا الوقت
وهو سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة سوق من أسواقها
عند باب المسجد الجامع

يعرف بجيرون وجيرون هو بنيان عظيم كان قصر هذا الملك عليه أبواب من نحاس عجيبة بعضها

عمر بن عبد الله بن أحمد بن خضر بن مالك بن حسان ولد بقرية جليانة من أعمال غرناطة سابع المحرم سنة ٥٣١ وقدم الى القاهرة وسار الى دمشق فسكنها مدة ثم سافر الى بغداد فدخلها سنة ٦٠١ ونزل بالمدرسة النظامية وكتب الناس عنه كثيرا من نظمه وكان أديبا فاضلا له شعر مليح المعاني اكثر في الحكم والالهيات وآداب النفوس والرياضات وكان طبيبا حاذقا وله رياضات ومعرفة بعلم الباطن وله كلام مليح على طريق القوم وكان مليح السمت حسن الاخلاق لطيفا حاضر الجواب ومات بدمشق سنة ٦٠٢ وكان يقال له حكيم الزمان وأراد القاضي الفاضل ان يغض منه فقال له بحضرة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كم بين جليانة وغرناطة فقال مثل ما بين بيسان وبيت المقدس ومن شعره قوله

خبرت بني عصري على البسط والقبض * وكاشفتهم كشف الطبائع بالنبض
فانبع فيهم قياسي تخيليا * عن الكل اذ هم آفة الوقت والعرض
ألازم كسر البيت خلوا وان يكن * خروج ففرد ما ملصق الطرف بالارض
أرى الشخص من بعد فاغضى تغافلا * كشدوه بال في مهمته يمضي
ويحسبني في غفلة وفراستي * على الامور من لحى بما قد نوى تقضي
أجانبهم سلما ليسلم جانبي * وليس لحقد في النفوس ولا بغض
تخليت عن قومي ولو كان ممكنا * تخليت عن بعضي ليسلم لي بعضي

وقال

قالوا نراك عن الاكابر تعرض * وسوالك زوارا لهم متعرض
قلت الزيارة للزمان اضاعة * واذا مضى زمن فما يتعوض
ان كان لي يوما اليهم حاجة * فبقدر ما ضمن القضاء تقيض

وقال

حاول مفازك قبل أن يتحولا * فالحال آخرها كحالك أولا
ان المنى من المنية لفظه * لتدل في أصل البناء على البلا

وسماه بعضهم عبد المنعم وذكره العماد في الخريدة وقال هو صاحب البديع البعيد والتوشيح والترشيح والترصيع والتصريع والتجنيس والتطبيق والتوفيق والتلفيق والتقريب والتقرير والتعريف والتعريب وهو مقيم بدمشق وقد أتى العسكر المنصور الناصري سنة ٥٨٦ بظاهر ثغر عكا وكتب الى السلطان صلاح الدين وقد جرح فرسه

أيا ملكا أفنى العداة حسامه * ومتبعا أقفى الغماة ابتسامه
لقاؤك يوما في الزمان سعادة * فكيف بشاو في حماك حمامه
وعبدك شاك دينه وهو شاكر * ندالك الذي يغني الغمام غمامه
ولي فرس أصماؤه سهم فرده * أتاني ربيع بالشلال قيامه
تعمر فيه بالجراحة ساحة * وعطل منه سرجه ولجامه
أتينا لما عودتنا من مكارم * يلوذ بها الراجي فيشفي غرامه
فرجاك غوث لا يغيب نصيره * ونعماك غيث لا يغب انسجامه

على ما كانت عليه والبعض

ابن عوص) ثمود بن عابر
ابن ارم بن سام بن نوح
بولده ومن تبعه وهو يقول
أنا الفتى الذي دعي ثمودا
ياقوم سيروا ودعوا
التترديدا
لعلنا أن ندرك الوفودا
فنلحق البادي لنا الصديدا
انا أبينا اليعرب الحميدا
وعاد ما عاد الفتى الجليدا
فنزل هؤلاء الحجر الى فرع
وقد تقدم ذكرهم فيما
سلف من هذا الكتاب
وخبر نبيهم صالح عليه
السلام وانهم نحو وادي
القرى بين الشام والحجاز
(وسار بعد ثمود) جديس
ابن عملاق بن لاوذ بن
ارم بن سام بن نوح بولده
ومن تبعه وهو يقول
انا جديس والمسير المسلكا
قد تلك نفسي يا ثمود المهلكا
دعوتني فقد قصدت نحوكا
اذ سارت العيس وأبدت ثيفصكا
وقد قلنا فيما سلف انهم
هؤلاء الذين نزلوا اليمامة
(وسار بعد جديس)
عملاق بن لاوذ بن ارم بن
سام بن نوح ومن تبعه
وهو يقول
لما رأيت الناس ذا تبلبل
وسار مناذ واللسان الاول
وحدثنا في اللعاق الاول

* فسرت حثيثا بالسوام المهمل

وله

وله رحمه الله تعالى غير هذا وترجمته واسعة *(ومنهم الاستاذ أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد ابن عبد الوهاب بن عبد القدوس القرطبي مؤلف المفتاح في القراآت ومقرئ أهل قرطبة) رحل وقرأ القراآت على أبي علي الاهوازي وبحران على أبي القاسم الريدي وبمصر على أبي العباس بن نفيس وبمكة على أبي العباس الكازروني وسمع بدمشق من أبي الحسن بن السمسار وكان عجبا في تحرير القراآت ومعرفة فنونها وكانت الرحلة اليه في وقته ولد سنة ٤٠٣ ومات في ذي القعدة سنة ٤٦١ قرأ عليه أبو القاسم خلف بن النحاس وجماعة رحمه الله تعالى *(ومنهم عبيد الله وقيل عبد الله بغير تصغير ابن المظفر بن عبد الله بن محمد أبو الحكم الباهلي الاندلسي) ولد بالمرية سنة ٤٨٦ وحج سنة ٥١٦ وحج أيضا سنة ٥١٨ ودخل دمشق وقرأ بصيدا ومصر وبالاسكندرية ثم مضى الى العراق وأقام ببغداد يعلم الصبيان وخدم السلطان محمود بن ملك شاه سنة ٥٢١ وأنشأ له في معسكره مارستانا ينقل على أربعين جملا فكان طبيبه ثم عاد الى دمشق ومات بها سنة ٥٤٩ ودفن بباب الفراديس وكان ذا معرفة بالادب والطب والهندسة وله ديوان شعر سماه نهج الوضاعة لاولى الخلاعة ذكر فيه جملة شعراء كانوا بمدينة دمشق كطالب الصوري ونصر المنجي وغيرهما كعرقلة وفيه نزهات أدبية ومفاكهات غريبة ممزوج جدها بسخفها وهزلها بظرفها ورثى فيه أنواعا من الدواب وأنواعا من الاثاث وخلقا من المغنين والاطراف وشرح هذا الديوان ابنه الحكيم الفاضل أبو المجد محمد بن أبي الحكم الملقب بأفضل الدولة وكان كثير التنزل والمداعبة دائم اللهو والمجانة وكان اذا أتاه الغلام ومابه شئ فيجس نبضه ثم يقول له تصلح لملك الهريسة وكان أعور فقال فيه عرقلة

لنا طبيب شاعر أعور * أراحنا من طبه الله
ما عاد في صحة يوم فتى * الا وفي باقيه رثاه

وله يرثيه

ياعين سحي بدمع ساكب ودم * على الحكيم الذي يكنى أبا الحكم
قد كان لا رحم الرحمن شيبته * ولا سقى قبره من صوب الديم
شيخا يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستحل دم الحجاج في الحرم

ومن كنايات أبي الحكم المستحسنة قوله

ألم ترني أكابد فيك وجدي * وأحمل منك مالا يستطاع
اذا ما أنجم الجوزا استقلت * ومال الدلو وارتفع الذراع

ومن شعره قوله

محاسن العالم قد جمعت * في حسنه المستكمل البارع
وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في الجامع

*(ومنهم أبو الربيع سليمان بن ابراهيم بن صافي الغرناطي القيسي) وقيسانة من عمل غرناطة الفقيه المالكي ولد سنة ٥٦٤ وقدم القاهرة وناب في الحسبة وله شعر حسن توفي بالقاهرة سنة ٦٣٤ رحمه الله تعالى *(ومنهم طالوت بن عبد الجبار المعافري الاندلسي) دخل

والمغرب وقيل ان هؤلاء بعض فراعنة مصر وقد ذكرنا قول من الحق من العماليق وغيرهم ممن ذكرنا بقطور بن اسحق ابن ابراهيم الخليل وزعم أنهم من ولد العيص على حسب ماذكرنا فيما تقدم وقد كانت العماليق ملوكا كثيرة سلفت في مواضع من الشام وغيره وقد أتينا على أخبارهم وذكر ملكهم وحروبهم في كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب قصة بوشع ابن نون مع ملك العماليق وأنهم انضافوا الى ملك الروم على مشارق الشام والمغرب والجزيرة من ثغور الروم فيما بينهم وبين فارس (فمن ملك الروم) من العماليق أذينة بن الصميدع الذي ذكره الاعشى في قوله

أزال أذينة عن ملكه
وأخرج عن ملكه ذا يزن

وقد كان ملك بعد العماليق حسان بن أذينة ابن ظرب ويقال هو الذي يعرف بأمه ثم ملك عمرو ابن ظرب ويقال هو الذي كان يعرف بأمه وقد كان بينه وبين جذيمة الابرش الازدي بن مالك حروب

٣ ط ني كثيرة فقتله جذيمة على ماذكرنا وما كان من قتل الزباء لجذيمة وقول الشاعر كأن عمرو بن زبالم يعش ملكا

مصر وحج ولقي اماما مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه وعاد الى قرطبة وكان ممن خرج على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن من أهل ربض شقندة يريد خلعه واقامة أخيه المنذر وزحفوا الى قصره بقرطبة فحاربهم وقتلهم وفر من بقي منهم فاستتر الفقيه طالوت عاما عند يهودي ثم ترامى على صديقه أبي البسام الكاتب ليأخذله أمانا من الحكم فوشى به الى الحكم واحضره اليه فعنفه ووبخه فقال له كيف يحل لي أن أخرج اليك وقد سمعت مالك بن أنس يقول سلطان جائر مدة خير من فتنة ساعة فقال الله تعالى لقد سمعت هذا من مالك فقال طالوت اللهم اني قد سمعته فقال انصرف الى منزلك وأنت آمن ثم سأله أين استتر فقال عند يهودي مدة عام ثم اني قصدت هذا الوزير فغدر بي فغضب الحكم على أبي البسام وعزله عن وزارته وكتب عهدا أن لا يخدمه أبدا فرأى أبو البسام بعد ذلك في فاقة وذل فقيل استجيبت فيه دعوة الفقيه طالوت رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد ضياء الدين ونظامه ابن خروف الاديب القيسي القرطبي القيذافي الشاعر) قدم الى مصر ثم سار الى حلب ومات بها مترديا في جب حنطة سنة ٦٠٣ وقيل في التي بعدها وقيل سنة خمس وستمائة وله شرح كتاب سيبويه وحمله الى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار وله شرح جمل الزجاجي وكتب في الفرائض ورد على أبي زيد السهيلي وغير ذلك ومدح الافضل ابن السلطان صلاح الدين ومدح الظاهر بن الناصر أيضا وشعره جيد فمنه قوله في كاس

أنا جسم للعيـــــا * والحيـــــالي روح
بين أهل الظرف أغدو * كل يوم وأروح

وقال في صبي حبس

أقاضي المسلمين حكمت حكما * غداوجه الزمان به عبوسا
حبست على الدراهم ذا اجال * ولم تسجنه اذ سلب النفوسا

وقال

ما أعجب النيل ما أحلى شمائله * في ضفتيه من الاشجار أدواح
من جنة الخلد فياض على ترع * تهب فيها هبوب الريح أرواح
ليست زيادته ماء كما زعموا * وانما هي أرزاق وأرباح

والقيذافي بقاف ثم ياء آخر الحروف بعدها ذال معجمة ثم ألف وفاء وله رسالة كتب بها الى بهاء الدين بن شداد يطلب منه فروة وهي

بهاء الدين والدنيا * ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانوا * من جدوالك جلد أبي
وفضـــلك عالم أني * خروف بارع الادب
حلبت الدهر أشطره * وفي حلب صفا حلبي

ذو الحسب الباهر والنسب الزاهر يسحب ذيول سيراء السيراء ويحب النحاة من أجل الفراء ويمين على الخروف النبيه بجلد أبيه قاني الصباغ قريب عهد بالدباغ ماضل طالب قرظه ولا ضاع بلى ذاع ثناء صانعه وضاع اذا ظهر اهابه يخافه البرد ويهابه

ثم سار طسم) بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بعد عملاق بن لاوذ بولده ومن تبعه وهو يقول

انى أنا طسم وجدى سام
سام بن نوح وهو الامام
لما رأيت الاخ والاعلاما
قلت لنفسي الحقي السواما
أخالك عملاقا وذا الاقدام
يافث لا كان ولي حام

فنزل هؤلاء البحرين وقد كان جميع من ذكرنا بيدوا وانتشروا في الارض على حسب ماذكرنا من مساكنهم وكثرت جديس فملكت عليها الاسود بن عفار وكثرت طسم فملكت عليها عليق بن جديس وقد ذكرنا عبيد بن شريد الجرهمي حين وفد على معاوية وأخبره أن طسم ابن لاوذ بن سام بن نوح هم العرب العاربة وقد كان منزلهم جميعا باليمامة واسمها اذ ذاك جو وكان لطسم ملك يقال له عملوق وكان ظلوما غشوما لا ينهاه شيء عن هواه مع اصراره واقدامه على جديس وتعديه عليهم وقهره اياهم فلبثوا في ذلك دهرا وهم أهل مظالم قد غمطوا النعمة وانتهكوا الحرمة وبلادهم أفضل البلاد وأكثرها خيرا فيها صنوف الشجر والاعناب وهي حدائق ملتفة

أثيث خمائل الصوف يهزأ بكل هوجاء عصوف ما في اللباس له ضريب اذا نزل الجليد والضريب ولا في الثياب له نظير اذا عرى من ورقه الغصن النضير والمولى يمنه فرجي النوع أرجي الضوع يكون تارة لحافا وتارة بردا وهو في الحالين يحيي حرا ويميت بردا لا كطيلسان ابن حرب ولا كجلد عمرو الممزق بالضرب ان عزاه السواد الى حام فحام أو نماه البياض الى سام فسام كانه من جلد جمل الحرباء الذي يرعى القمر والنجم لا من جلد السخلة الحرباء التي ترعى الشجر والنجم لا زال مهديه سعيدا ينجز للاخيار وعدا وللاشرار وعيدا بالمنة والطول والقوة والحول * (ومنهم مالك بن مالك) من أهل جيان رحل حاجا فادى الفريضة وسكن حلبا ولقي عبد الكريم بن عمران وأنشد له قوله

يارب خذ بيدي مما دفعت له * فلست منه على رد ولا صدر
الام ما أنت رائيه وعالمه * وقد عتبت ولا عتب على القدر
من يكشف السوء الا أنت بارئنا * ومن يزيل بصفو حالة الكدر

* (ومنهم أبو علي بن خميس وهو منصور بن خميس بن محمد بن ابراهيم اللخمي) من أهل المرية سمع من أبي عبد الله البوني وابن صالح وأخذ عنهما القراآت وروى أيضا عن الحافظ القاضي أبي بكر بن العربي وأبوي القاسم بن رضا وابن ورد وأبي محمد الرشاطي وأبي الحجاج القضاعي وأبي محمد عبد الحق بن عتيبة وأبي عمر والخضر بن عبد الرحمن وأبي القاسم عبد الحق بن محمد الخزرجي وغيرهم ورحل حاجا فنزل الاسكندرية وسمع منه أبو عبد الله بن عطية الداني سنة ٥٩٦ وحدث عنه بالاجازة أبو العباس العزفي وغيره (ومنهم منصور بن لب ابن عيسى الانصاري) من أهل المرية يكنى أبا علي أخذ القراآت ببلده عن ابن خميس المذكور قبله ورحل بعده فنزل الاسكندرية وأجازه أبو الطاهر السافي في صغره وقد أخذ عنه فيما ذكر بعضهم ومولده سنة ٥٧١ رحمه الله تعالى * (ومنهم مفرج بن حماد بن الحسين بن مفرج المعافري) من أهل قرطبة وهو جد ابن مفرج صاحب كتاب الاحتفال بعلم الرجال صحب المذكور محمد بن وضاح في رحلته الثانية وشاركه في كثير من رجاله وصدر عن المشرق معه فاجتهد في العبادة وانتبذ عن الناس ثم كر راجعا الى مكة عند موت ابن وضاح فنزلها واستوطنها الى ان مات فقبره هنالك وقال في حقه أبو عمر عفيف انه كان من الصالحين رحل فحج وجاور بمكة نحو عشرين سنة الى أن مات بها رحمه الله تعالى (ومنهم محب بن الحسين) من اهل الثغر الشرقي كانت له رحلة حج فيها وسمع بالقيروان من ابي عبد الله بن سفيان الكاتبي الهادي في القراآت من تاليفه وكان رجلا صالحا حدث عنه ابو عبد الله محمد بن عبد الملك التجيبي من شيوخ ابي مروان بن الصيقل * (ومنهم مساعد بن احمد بن مساعد الاصبحي) من اهل اوريولة يكنى اباعبد الرحمن ويعرف بابن زعوقة روى عن ابن ابي تليد وابن بجدر والحافظين أبي علي الصدفي وأبي بكر بن العربي وكتب اليه ابو بكر بن غالب بن عطية ورحل حاجا في سنة اربع وتسعين واربعمائة فادى الفريضة سنة خمس بعدها ولقي بمكة اباعبد الله الطبري فسمع منه صحيح مسلم مشتركا في السماع مع ابي محمد بن جعفر الفقيه ولقي اباعبد الله بن العريضاء وابا بكر بن الوليد الطرطوشي واصحاب الامام ابي حامد الغزالي وابا

بنت ماوزن وزوج لما قد
فارقها يقال له ماشق فاراد
قبض ولده منها فابت عليه
فارتفعا الى الملك عملوق
ليحكم بينهما فقالت المرأة
أيها الملك هذا الذي حملته
تسعا ووضعته دفعا
وأرضعته شفعا ولم أنل
منه نفعا حتى اذا تمت
أوصاله واستوى خصاله
أراد أن باخذه قسرا
ويسلبنيه قهرا ويتركني
منه صفرا قال زوجها قد
أخذت المهر كاملا ولم
أنل منه نائلا الا ولدا
خاملا فافعل ما أنت
فاعلا فامر الملك أن يؤخذ
الولد منها ويجعل في
غلمانه فقالت هزيلة في
ذلك

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا
فابرم حكما في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت
لامتورعا
ولا فهما عند الحكومة
عالما
ندمت فلم أقدر على متزحزح
وأصبح زوجي حائر الرأي
نادما

فبلغ الملك قول هزيلة
فغضب وأمر أن لا تتزوج
امرأة من جديس فتزف
الى زوجها حتى تحمل اليه
فيفتر عها قبل زوجها فلقوا
من ذلك ذلا طويلا ولم تزل
تلك حالتهم حتى تزوجت

عفيرة وقيل الشموس بنت عمار الطسمي أخت الاسود بن عفار فلما كانت ليلة هديها الى زوجها انطلق

بها الى عملوق الملك ليطاها
ويادري الصبح بامر معجب
فالبكر بعدكم من مذهب
فلما دخلت عفيرة على
عملوق وافترعها وخلى
سبيلها فخرجت عفيرة على
قومها في دمائها شاقة جيبها
عن قبلها ودبرها وهي
تقول
لا أحد أذل من جديس
أهكذا يفعل بالعروس
وقالت أيضا تحرض
جديس على طسم وأبت
أن تمضي الى زوجها من
كلمة
أيصلح ما يؤتى الى فتياتكم
وأنتم رجال فيكم عدد الرمل
أيصلح تمشى في الدماء فتياتكم
صبيحة زفت في النساء الى البعل
فان أنتم لا تغضبوا بعد هذه
فكونوا نساء لا تفروا من الكحل
ودونكم طيب العروس فانما
خلقتم لاثواب العروس وللغسل
قبيحا وشيبكالذي ليس دافعا
ويختال يمشي بيننا مشية الفحل
فلو أننا كنا الرجال وكنتم
نساء لكنا لا نقر على الذل
فموتوا كراما واصبروا العدوكم * بحرب تاظى في القرام من الجزل

على عادته ومعه القينات يغنين ويقلن في غنائهن ابدأ بعملوق وقومي فاركبي

عبد الله المازري وجماعة سواهم ساوى بلقائهم مشيختهم وانصرف الى بلده فسمع منه الناس وأخذوا عنه لعلو روايته وكان من أهل المعرفة والصلاح والورع وممن حدث عنه من الجلة أبو القاسم بن بشكوال وأبو الحجاج الثغري الغرناطي وأبو محمد عبد المنعم بن الفرس وغيرهم وأغفله ابن بشكوال فلم يذكره في الصلة مع كونه روى عنه وقال تلميذه أبو الحجاج الثغري الغرناطي أخبرني أبو سليمان بن حوط الله وغيره عنه قال أخبرني الحاج ابو عبد الرحمن بن مساعد رضي الله تعالى عنه انه لقي بالمشرق امرأة تعرف بصباح عند باب الصفا وكان يقرأ عليها بعض التفاسير فجاء بيت شعر شاهد فسألت هل له صاحب فسألوا الشيخ أبا محمد بن العرجاء فقال الشيخ لا أذكر له صاحبا فانشدت

طلعت شمس من أحبك ليلا * واستضاءت فما لها من مغيب
ان شمس النهار تغرب بالليـ * ـل وشمس القلوب دون غروب

ولد في صفر سنة ٤٦٨ وتوفي بالوريولة سنة ٥٤٠ قاله ابن شعبان * (ومنهم أبو حبيب نصر بن القاسم) قال ابن الابار أظنه من اهل غرناطة له رحلة حج فيها وسمع من ابي الطاهر السلفي وحدث عنه عن ابن فتح بمسند الجوهري انتهى * (ومنهم النعمان بن النعمان المعافري) من اهل ميورقة منسوب الى جده رحل حاجا فادى الفريضة وجاور بمكة ثم قفل الى بلده واعتزل الناس وكان يشار اليه باجابة الدعوة وتوفي سنة ٦١٦ رحمه الله تعالى ونفعنا به * (ومنهم نعم الخلف بن عبد الله بن ابي ثور الحضرمي) من اهل طرطوشة او ناحيتها رحل الى المشرق وادى الفريضة ولقي بمكة ابا عبد الله الاصبهاني فسمع منه سنة ٤٢٣ حدث عنه ابنه القاسم بن نعم الخلف ببسبر (ومنهم نابت بالنون ابن المفرج بن يوسف الخثعمي) اصله من بلنسية وسكن مصر يكنى ابا الزهر قال السلفي قدم مصر بعد خروجي منها وتفقه على مذهب الشافعي وتادب وقال الشعر الفائق وكتب الي بشئ من شعره ومات في رجب سنة ٥٤٠ بمصر * (ومنهم ضمام بن عبد الله الاندلسي) رحل الى المشرق ودخل بغداد وهو ممن روى عن عبد السلام بن مسلم الاندلسي وممن روى عن ضمام أبو الفرج أحمد بن القاسم الحشاب البغدادي من شيوخ الدارقطني قال ابن الابار هكذا وقع في نسخة عتيقة من تاليف الدارقطني في الرواة عن مالك في باب مسلمة منه ضمام بالضاد المعجمة وهكذا ثبت في رواية أبي زكريا بن مالك بن عائذ عن الدارقطني وقال فيه غيره همام بن عبد الله بالهاء وتشديد الميم وفي حرف الهاء أثبته أبو الوليد بن الفرضي من تاريخه والاول عندي أصح والله تعالى اعلم انتهى * (ومنهم ضرغام بن عروة بن حجاج بن أبي فريعة) واسمه زيد مولى عبد الرحمن ابن معاوية والداخل معه الى الاندلس من أهل بلله رحلة الى المشرق وكان فقيها ذكره الرازي * (ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر المعافري) من أهل قرطبة وأصله من الجزيرة الخضراء وهو والد المنصور بن أبي عامر ويكنى أبا حفص سمع الحديث وكتبه عن محمد بن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد ومحمد بن فطيس وغيرهم ورحل الى المشرق فادى الفريضة وكان من اهل الخير والدين والصلاح والزهد والقعود عن السلطان اثنى عليه الرواية أبو محمد الباجي وقال كان لي خير صديق أنتفع به وينتفع بي

واقابل

ولا تجرعوا العرب يا قوم انما * تقوم باقوام كرام على رجل فيهلك فيها كل نكس موكل * ٢١ ويسلم فيها ذو النجابة والفضل

وأقابل معه كتبه وكتبي ومات منصرفه من حجه ودفن بمدينة طرابلس المغرب وقيل بموضع يقال له رقادة وكان رجلا عالما صالحا وقال بعضهم انه توفي في آخر خلافة عبد الرحمن الناصر * (ومنهم أبو محمد عبد الله بن حمود الزبيدي الاشبيلي ابن عم أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي اللغوي) كان من مشاهير أصحاب ابي علي البغدادي ورحل الى المشرق فلم يعد الى الاندلس ولازم السيرافي ببغداد الى أن توفي فلازم بعده صاحبه أبا علي الفارسي ببغداد والعراق وحيثما جال واتبعه الى فارس وحكى ابو الفتوح الجرجاني ان أبا علي البغدادي غلس لصلاة الصبح في المسجد فقام اليه أبو محمد الزبيدي من مدود كان لدابته خارج الدار قد بات فيه اوادبج اليه ليكون اول وارد عليه فارتاع منه وقال ويحك من تكون قال انا عبد الله الاندلسي فقال له الى كم تتبعني والله انه ليس على وجه الارض انحى منك وكان من كبار النحاة واهل المعرفة التامة والشعر وجمع شرح الكتاب سيبويه ويقال انه توفي ببغداد سنة ٣٧٣ * (ومنهم عبد الله بن رشيق القرطبي) رحل من الاندلس فاوطن القيروان واختص بابي عمران الفاسي وتفقه به وكان اديبا شاعرا عفيفا خيرا وفي شيخه ابي عمران اكثر شعره ورحل حاجا فادى الفريضة وتوفي في انصرافه بمصر سنة ٤١٩ وانشدني له ابن رشيق في الانموذج قوله رحمه الله تعالى

خير اعمالك الرضا * بالمقادير والقضا
بينما المرء ناضر * قيل قدمات وانقضى

وقوله

ساقطع حبلي من حبالك جاهدا * واهجر هجرا لا يجرانا عرضا
وقد يعرض الانسان عمن يوده * ويلقى بشرا من يسره البغضا

قال في الانموذج وأراد الحج فناله وجع فأتى مصر بعد اشتهاره فيها بالعلم والجلالة وقد بلغ عمره نحو الاربعين سنة رحمه الله تعالى وهو مخالف لما قدمناه من أنه أدى الفريضة وقد ذكر ابن الابار العبارتين والله تعالى أعلم * (ومنهم ابو بكر اليابري ويكنى ايضا ابا محمد وهو عبد الله ابن ملحة بن محمد بن عبد الله) اصله من يابرة ونزل هو اشبيلية وروى عن ابي الوليد الباجي وعن جماعة بغرب الاندلس منهم ابو بكر بن ايوب وابو الحزم بن عليم وابو عبد الله بن مزاحم البطليوسيون وغيرهم وكان ذا معرفة بالنحو والاصول والفقه وحفظ التفسير والقيام عليه وعلق به مدة باشبيلية وغيرها وهو كان الغالب عليه مع القصص فيسر دمنه جلا على العامة وكان متكلما وله رد على ابي محمد بن حزم وكان احد الائمة بجامع العديس ورحل الى المشرق فروى عن ابي بكر محمد بن زيدون بن علي كتابه المؤلف في الحديث المعروف بالزيدوني وألف كتابا في شرح صدر رسالة ابن ابي زيد وبين ما فيها من العقائد وله مجموعة في الاصول والفقه منها كتاب سماه المدخل الى كتاب آخر سماه سيف الاسلام على مذهب مالك الامام الفه للامير علي بن تميم بن المعز الصنهاجي صاحب المهدية وذكر في فصل الحج منه انه رحل الى المهدية سنة ٥١٥ واستوطن مصر مدة ثم رحل الى مكة وبها توفي رحمه الله تعالى روى عنه ابو المظفر الشيباني وابو محمد العثماني وابو الحجاج يوسف بن محمد القيرواني

وفي ذلك يقول أخوها

جاءت تمشي طسم في خميس * كالريح في هشيشة اليبيس
يا طسم ما لقيت من جديس * حقا لك الويل فهيسي هيسي
قال فلما سمعت جديس * بذلك وغيره من قولها
اجتمعت عصبا لذلك * فقال لهم الاسود بن عفار
وكان فيهم سيدا مطاعا * يا جديس أطيعوني فيما
آمركم به وادعوكم اليه ففي * ذلك عز الدهر وذهاب
الذل قالوا وما ذلك قال قد * علمتم أن هؤلاء يعني
طسما ليسوا باعز منكم * ولكن ملك صاحبكم عليكم
وعليهم هو الذي يذعنا * اليه بالطاعة ولولا ذلك
ما كان له علينا من فضل * ولو امتنعنا منه لكان لنا
النصف فقالوا قد قبلنا * قوله ولكن القوم أقراننا
وأكثر عددا وعددا * منا فنخاف ان ظفروا بنا
أن لا يقيلونا فقال والله * يا جديس لتطيعوني فيما
آمركم به وادعوكم اليه أو * لاتركبن على سيفي فاقتل به
نفسي قالوا فانا نطيعك فيما * قد عزمت عليه قال فاني
صانع لعملوق وقومه من * طسم طعاما وداعيهم اليه
فاذا جاؤا اليه منفصلين

من الخيل والبغال نهضنا اليهم ناسافنا فانفردت أنا والملك وانفرد كل رجل منكم برجل منهم فاقتلوا فاذا فعل ما بدا لك واجتمع

قال لا ولكن نمكر بهم فيكون ذلك أمكن لنا من نواصيهم وأبلغ في الانتقام منهم فقالت عفيرة في ذلك أشعارا قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا ثم ان الاسود صنع طعاما كثيرا وأمر قومه فاختبطوا سيوفهم ودفنوها في الرمل حيث أعدوا الطعام ثم قال لهم اذا أتاكم القوم مرفلون في حليهم فخذوا أسيافكم ثم تقدموا عليهم قبل أن يأخذوا مجالسهم وابدؤا بالرؤساء فانكم اذا قتلتموهم لم تبالوا بالسفلة ولم يكن بعد ذلك منهم حال تكره ونهب قالوا نفعل ما قلت ثم دعا الاسود بعملوق الطسمي ومن معه من رؤساء طسم باليمامة فاسرعوا اجابة دعوة الاسود فلما توافوا الى المدعاة وثبت جديس فاستلوا سيوفهم من الرمل وشدوا على عملوق وأصحابه فقتلوهم حتى أفنوهم عن آخرهم ومضوا الى ديارهم فانتهبوها وقال الاسود بن عفار في ذلك أشعارا يرثي بها طسما ويذكر نعيمها وفعل عملوق باخته يطول عن ذكرها الكتاب وقد تقدمت فيما سلف من كتبنا قال وهرب رجل من طسم وكان اسمه رباح بن مرة الطسمي يقول

وابو عمرو عثمان بن فرج العبدوي وابو محمد بن صدقة المنكبي وأبو عبد الله بن يعيش البلنسي وغيرهم وكان سماع ابي الحجاج منه موطأ مالك سنة ٥١٦ رحم الله تعالى الجميع

*(ومنهم ابو محمد عبد الله بن محمد بن مرزوق اليحصبي الاندلسي) رحل حاجا فسمع منه بالاسكندرية ابو الطاهر السلفي كتاب طبقات الامم لابي القاسم صاعد بن أحمد الطليطلي وحدث به عنه عن ابن برال عن صاعد *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الصريحي المرسي) ويعرف بابن مضحنة روى عن أبي بكر بن الفرضي النحوي وتادب به ورحل الى المشرق ولقي أبا محمد العثماني وغيره وحج وقعد لتعليم الآداب وممن أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن عبد السلام وأبو عبد الله المكناسي وغيرهما وأنشد رحمه الله تعالى قال أنشدني أبو محمد عبد الله بن البياسي بالاسكندرية لنفسه

يمد الدهر من أجلي وعمري * كما أني أمد من المداد
لنا خطان مختلفان جدا * كما اختلف الموالي والمعادي
فاكتب بالسواد على بياض * ويكتب بالبياض على السواد

وهذا نظير قول الآخر

ولي خط وللايام خط * وبينهما مخالفة المداد
فأكتبه سوادا في بياض * وتكتبه بياضا في سواد

وبعضهم ينسب الابيات الثلاثة السابقة للسلفي الحافظ فالله تعالى اعلم *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن عيسى الشلبي سمع من الصدفي وغيره وكان من أهل الحفظ للحديث ورجاله والعلم بالاصول والفروع ومسائل الخلاف وعلم العربية والهيئة مع الخير والدين والزهد وامتحن بالامراء في قضاء بلده بعد أن تقلده نحو تسعة أعوام لاقامته الحق واظهاره العدل حتى أدى ذلك الى اعتقاله بقصر اشبيلية ثم سرح فرحل حاجا الى المشرق ودخل المهدية فلقي بها المازري وأقام في صحبته نحو ثلاث سنين ثم انتقل الى مصر وحج سنة ٥٢٧ وأقام بمكة مجاورا وحج ثانية سنة ٥٢٨ ولقي بمكة أبا بكر عتيق بن عبد الرحمن الاوربولي في هذه السنة فحمل عنه ودخل العراق وخراسان وأقام بها اعواما وطار ذكره في هذه البلاد وعظم شأنه في العلم والدين وكان من بيت شرف وجاه في بلده عريض مع سعة الحال والمال وتوفي بهراة سنة ٥٥١ وقيل ان وفاته سنة ٥٤٨ وذكره العماد في الخريدة والسمعاني في الذيل وانشد له

تلونت الايام لي بصروفها * فكنت على لون من الصبر واحد
فان أقبلت ادبرت عنها وان نأت * فاهون بمفقود لا كرم فاقد

وولد سنة ٤٨٤ بشلب رحمه الله تعالى *(ومنهم ابو محمد عبد الله بن موسى الازدي المرسي) ويعرف بابن برطلة سمع من صهره القاضي الشهيد ابي علي الصدفي ورحل حاجا سنة ٥١٠ فأدى الفريضة وسمع من الطرطوشي والاغماطي والسلفي وغيرهم وانصرف الى مرسية بلده وكان حسن السمت خاشعا مخبتا خيرا متواضعا نبيها نزها سالم الباطن وحكى عن شيخه ابي عبد الله الرازي عن ابيه أنه اخبره أن قاضي البراس وكان رجلا صالحا خرج ذات ليلة الى النيل فتوضأ واسبغ وضوءه ثم قام فقرن قدميه وصلى ما شاء الله تعالى ان يصلي فسمع قائلا

فاتى الى حسان بن تبع الحميرى ملك اليمن يومئذ فاستغاث به وقد كان عمد الى جريدة نخل رطبة فجعل

يقول

لولا اناس لهم سود يصومونا * وآخرون لهم ورد يقومونا
لزلزلت ارضكم من تحتكم سحرا * لانكم قوم سوء لا تبالونا

عليها طينا رطبا وحملها معه وأخرج معه كلبة فلما ورد على حسان كسر يد كلبته وفرغ الطين عن الجريدة فخرجت خضراء ودخل الى حسان واستعاذ به وأخبره بالذى صنعت حديس بقومه فقال له الملك لله أبوك فمن اين مبدأك قال أبيت اللعن من أرض قريبة وقوم انتهك منهم مالم ينتهك من أحد أنا رياح بن برة الطسمى دعتنا جديس الى مدعاتهم فاجبناهم متفضلين فى الحلل وقد أعدوا لنا السلاح عند جفانهم فاذقنا طعاما حتى صرنا حطاما بلا طلب دم ولا ترة سلفت فدونك أبيت اللعن قوما قطعوا ارحامنا وسفكوا دماءنا قال الملك حسان امعك خرجت هذه الجريدة وهذه الكلبة قال نعم فقال الملك ان كنت صادقا لقد خرجت من أرض قريبة ووعده بالنصرة ثم نادى فى حمير بالمسير واعلمهم بما فعل بطسم قالوا من فعل هذا أبيت اللعن قال عبيدهم قالوا مالنا فى هذا من ارب هم اخوانا فلا نعين بعضنا على بعض وهم عبيدك ايها الملك فدعهم فقال حسان ما هذا بحسن ارأيتم لو كان هذا فيكم إكان حسنا الملككم أن يهدر دماءكم وما علينا

قال فتجوزت فى صلاتى وادرت طرفى فما رايت شخصا ولا سمعت حسا فعلمت ان ذلك زاجر من الله تعالى وقال ابن برطلة رحمه الله تعالى انشدنى ابو عامر قال دخلت بعض مراسى الثغر فوجدت فى حجر منقوش هذه الابيات

نزلت ولى امل عودة * ولكننى لست ادرى متى
ودافعنى قدر لم اطق * دفاعا لمكروهه اذ أتى
ومن امره فى يدى غيره * سيغلب ان لان أو ان عتا
فيا نازلا بعدنا ههنا * نحييك ان كنت نعم الفتى

فسالت عن منشدها فقيل لى هو ابو بكر بن ابى درهم الوشقى وكان قد حج وارادا العودة فقال هذه الابيات ورواها بعضهم رحلت مكان نزلت وهو أصوب وأبدل قوله يا نازلا بيا ساكنا والخطب سهل فيه وبعض يقول ان الابيات وجدت بجامع مصر والله تعالى اعلم (ومنهم ابو محمد عبد الله بن محمد بن خلف بن سعادة الدانى الاصبحى) لازم ابن سعد الخير واحتذى اول امره مثال خطه فقارب وسمع منه ثم رحل الى المشرق فسمع بالاسكندرية من ابى الطاهر ابن عوف والسلفى وغير واحد قال التجيبى كان معنا بالاسكندرية بالعادلية منها وبقراءته سمعنا صحيح البخارى على السلفى سنة ٥٦٣ قال وانشدنا لشيخه الاستاذ ابى الحسن على ابن ابراهيم بن سعد الخير البلنسى

يا لاحظا تمثال نعل نبيه * قبل مثال النعل لا متكبرا
والثم له فلطالما عكفت به * قدم النبى مروحا ومبكرا
أولا ترى ان المحب مقبل * طللا وان لم يلف فيه مخبرا

وقد سبق ابن سعادة أبو عبد الله وهو غير هذا والله تعالى أعلم * (ومنهم ابو محمد عبد الله بن يوسف القضاعى المرى) سمع من أبى جعفر بن غزلون صاحب الباجى وغير واحد ورحل الى المشرق فسمع بالاسكندرية من السلفى والرازى وتجول هنالك وأخذ عنه أبو الحسن بن المفضل المقدسى وغير واحد وقال ابن المفضل أنشدنى المذكور قال أنشدنى أبو محمد بن صاره

وكوكب ابصر العفريت مسترقا * للسمع فانقض يدنى خلفه لهبه
كفارس حل اعصار عمامته * فجرها كلها من خلفه عذبه

(ومنهم شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن مهاجر الوادى آشى الحنفى) سكن طرابلس الشام ثم انتقل الى حلب وأقام بها وصار من العدول المبرزين فى العدالة نجاب يعرف النحو والعروض ويشتغل فيهما وله انتماء الى قاضى القضاة الناصر بن العديم قال الصفدى رأيته بحلب أيام مقامى بها سنة ٧٢٣ فرأيته حسن التودد وأنشدنى لنفسه من لفظه

مالاح فى درع يصول بسيفه * والوجه منه يضىء تحت المغفر

بالمسير فساروا وسار بهم رباح بن مرة حتى اذا صاروا من اليمامة على ثلاث قال رباح بن مرة للملك حسان ابيت اللعن ان لي أختا متزوجة في جديس ليس في الارض ابصر منها انها تبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليال وانا أخاف ان تنذر القوم بنا فتأمر كل واحد من أصحابك أن يقتلع شجرة من الارض فيجعلها أمامه ثم يسير فأمر حسان بذلك ففعلوا ثم ساروا وكان اسم أخت رباح يمامة فاشرفت من منظرها فقالت يا جديس لقد سارت اليكم الشجر قالوا لها ما ذاك قالت أشجار تسير وراءها شئ وانى لارى رجلا من وراء شجرة ينهش كتفا أو يخصف نعلا فكذبوها وكان ذلك كما ذكرت ففعلوا عن أخذ اهبة الحرب ففي ذلك تقول اليمامة لجديس تحذرهم انى أرى شجرا من خلفها بشر فكيف تجتمع الاشجار والبشر

ثوروا بأجمعكم في وجهه أولهم فان ذلك منكم فاعلموا نظفر

واقبل الملك حسان بحمير حتى اذا كان من جو على مسيرة ليلة مر بي جيوشه فبلغ

الا حسبت البحر مد بجدول * والشمس تحت سحائب من عنبر

قال الصفدي جمع هذا المقطوع بين قول ابن عباد

ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر
حسبنا محياك شمس الضحى * عليها سحاب من العنبر

وبين قول ابي بكر الرصافي

لو كنت شاهده وقد غشي الوغى * يختال في درع الحديد المسبل
لرأيت منه والقضيب بكفه * بحرا يريق دم الكماة بجدول

وقال يمدح الشيخ كمال الدين محمد بن الزملكاني وقد توجه الى حلب قاضي القضاة

بين ترنم فوق الابل طائره * وطائر عمت الدنيا بشائره
وسودد أصبح الاقبال ممتثلا * في أمره ما أخوه الغز آمره

ومنها

من مخبر عني الشهباء أن كما * ل الدين قد شيدت فيه مقاصره
وان تقليده الزاهي وخلعته التي تطرز عطفيها مآثره
بالنفس أفديك من تقليد مجتهد * سواه يوجد في الدنيا مناظره
أنشدت حين ادار البشر كاس طلى * حكت أوائله صفوا أواخره
وقد بدت في بياض الطرس أسطره * سود التبدي ما أهدت محابره
ساق تكون من صبغ ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره
وخلعة قلت اذ لاحت لتزرينا * بالروض تطفو على نهر أزاهره
وقد رآها عدو كان يضمر لي * من قبل سوء فخانته ضمائره
ورام صبرا فاعيته مطالبه * وغيض الدمع فانهلت بوادره
بعودة الدولة الغراء ثالثة * امنت منك ونام الليل ساهره

وقال أيضا

تسعر في الوغى نيران حرب * بايديهم مهندة ذكور
ومن عجب لظى قد سعرتها * جداول قد أقلتها بدور

وقال ما لغزا في قالب لبن

ما آكل في فين * يغوط من مخرجين
مغرى بقبض وبسط * وماله من يدين
ويقطع الارض سعيا * من غير ما قدمين

وخمس لامية العجم مدحا في رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصفدي ولما كنت في حلب كتب الي أبياتا انتهى * (ومنهم أبو جعفر أحمد بن صابر القيسي) قال ابو حيان كان المذكور رفيقا للاستاذ أبي جعفر بن الزبير شيخنا وكان كاتبا مترسلا شاعرا حسن الخط على مذهب أهل الظاهر وكان كاتبا للامير أبي سعيد فرج ابن السلطان الغالب بالله بن الاحمر ملك الاندلس وسبب خروجه من الاندلس انه كان يرفع يديه في الصلاة على ما صح في الحديث

فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله فتوعده بقطع يديه فضج من ذلك وقال ان اقليما تمات فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يتوعد بقطع اليد من يقيمها لجدير ان يرحل منه فخرج وقدم ديار مصر وسمح بها الحديث وكان فاضلا نبيلا ومن شعره

أتنكر أن بيض رأسي لحادث * من الدهر لا يقوى له الجبل الراسي
وكان شعارا في الهوى قد لبسته * فـرأسي أمي وقلـبي عباسي

قلت لو قال شيبي لكان الغاية وأنشد له بعضهم

فلا تحسبا مني هوى خلف ذي علا * لكل على في الانام معاويه

قلت لا يخفى ما فيه من عدم سلوك الادب مع الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين ويرحم الله بعض الاندلسيين حيث قال في رجز كبير

ومن يكن يقدح في معاويه * فذاك كلب من كلاب عاويه

وأنشد ابو حيان للمذكور

أرى الدهر سادبه الارذلو * ن كالسيل يطفو عليه الغثا
ومات الكرام وفات المديح * فـلم يبق للقول الا الرثا

وأنشد له أيضا

لولا ثـلاث هن من الله من * أكبر آمالي في الدنيا
حج لبيت الله أرجو به * ان يقبل النية والسعيا
والعلم تحصيلا ونشرا اذا * رويت أوسعت الورى ريا
وأهـل ود أسال الله أن * يمتع بالبقيا اللقيا
ما كنت أخشى الموت لكن أنى * بل لم أكن أتذبا لحيا

وقال أبو حيان في هذه المادة

أما انه لولا ثـلاث أحبها * تمنيت أني لا أعد من الاحيا
فمنها رجائي أن أفوز بتوبة * تكفر لي ذنبا وتجمع لي سعيا
ومنهن صوني النفس عن كل جاهل * لئيم فلا أمشي الى بابه مشيا
ومنهن أحذي بالحديث اذا الورى * نسوا سنة المختار واتبعوا الرايا
أترك نصا للرسول وتقتدي * بشخص لقد بدلت بالرشد الغيا انتهى

(ومنهم الاستاذ أبو القاسم ابن الامام القاضي أبي الوليد الباجي) سكن سرقسطة وغيرها وروى عن أبيه معظم علمه وخلفه بعد وفاته في حلقته وغلب عليه علم الاصول والنظر وله تا T ليف تدل على حذقه منها العقيدة في المذاهب السديدة ورسالة الاستعداد للخلاص من المعاد وكان غاية في الورع توفي بجدة بعد منصرفه من الحج سنة ٤٩٣ رحمه الله تعالى * (ومنهم الامام الفاضل الاديب ابو اسحق ابراهيم بن محمد الساحلي الغرناطي) قال العز بن جماعة قدم علينا من المغرب سنة ٧٢٤ ثم رجع الى المغرب في هذه السنة و بلغنا انه توفي بمراكش سنة نيف وار بعين وسبعمائة وانشد والدي قصيدة من نظمه امتدحه بها وانا اسمع ومن خطه نقلت وهي

الاسود بن عفار ملكها حتى نزل بدار مأي فجاروه من الملك وغيره من غيران يعرفوه فيذكر ان نسله اليوم في طيئ مذكور فلما فرغ حسان من جديس دعا باليمامة بنت مرة وكانت امرأة زرقاء فامر فنزعت عيناها فاذا في داخلها عروق سود فسألها عن ذلك فقالت حجر أسود يقال له الاثمد كنا نكتحل به فنشب الى بصري وكانت أول من اكتحل به فاتخذوه بعد ذلك كحلا وأمر الملك باليمامة فصلبت على باب جو وقال سموا جو باليمامة فسميت بها الى اليوم (قال المسعودي) ثم سار بعد طسم بن لاوذ وبار بن أميم ابن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه من قومه فنزل بارض وبار بالارض المعروفة برمل عالج فاصابهم نقمة من الله فهلكوا لما كان من بغيهم في الارض وقد قدمنا فصلا من ذلك فيما سلف من هذا الكتاب على ما زعم الاخباريون من العرب وخرجوهم بذلك عن حد العقول والعناد من الامر المفهوم بزعمهم أن الله عز وجل حين أهلك هذه الامة العظيمة المعروفة بوبار كما أهلك طسما وجديسا وداسما وكانت ديار داسم بارض السماوة فاهلكوا

قفا مورداعيناجرت بعدكما دما * أناضى أسفار طوين على ظما
غدون أهلات تناقل أنجما * ورحن حنيات تفوق أسهما
يجشمها الحادى الامرين حسرا * و يوطئها الحادى الاخيرين هيما
على منسميها للشقائق منبت * وفى فويها للشقاشق مرتما

الى أن قال

وتعسالآمال جهام سحابها * ترجى ركاما ما استهل ولاهمى
تجاذبها نفس تجيش نفيسة * ومن لم يجد الا صعيدا تيمما
فهل ذم يرعاه ليل طويته * طوانى سرابين جنبيه منهما
أقبل منه للبروق مباسما * وأرشف من بهماء ظلماته لما
الى أن تجلى من كنانة بدرها * فعرس ركبى فى حماه وخيما
ثمال اليتامى حيث ليس مظال * و كهف الايامى أيما عزمرتمى

ومنها

فيا كفه أنت أم غيث دمثة * أسالت عبابا فى ثرى الجود عيلما
وياسعيه يهنيك أجرثنى به * على معطفى عليا ه برد امسهما
قضى بمنى أوطار نفس كريمة * و روّى صداها حين حل برزمزما
وناداه داعى الحق حى على الهدى * فأسرج طوعا فى رضاه وأجما
فلله ما أهدى وارشد واهتدى * ولله ما أعطى وأوفى وأنعما

ومنها

أمت بآداب وعلم كليهما * اقاما لديك الدعافرضا والزما

وهى طويلة *(ومن الراحلين من الاندلس الوليد بن هشام) من ولد المغيرة بن عبد الرحمن الداخل فيما حكى بعض المؤرخين خرج من الاندلس على طريقة الفقر والتجرد ووصل برقة بركوة لا يملك سواها فعرف بابى ركوة واظهر الزهد والعبادة واشتغل بتعليم الصبيان وتلقينهم القرآن وتغيير المنكر حتى خدع البربر بقوله وفعله وزعم ان مسلمة بن عبد الملك بشر بخلافته بما كان عنده من علم الحدثان وكان يقال عن مسلمة انه أخذ علم الحدثان عن خالد بن يزيد بن معاوية واخرج لهم ارجوزة أسندها الى مسلمة ومنها فى وصفه

وابن هشام قائم فى برقه * به ينال عبد شمس حقه
يكون فى بربرها قيامه * وقرة العرب لها اكرامه

واتفق أن قرة انحرفوا عن الحاكم فخالوا اليه وحصروا معه مدينة برقة حتى فتحوها وخطبوا له فيها بالخلافة وكان قيامه فى رجب سنة ٣٩٧ فهزم عسكر بادیس الصنهاجى صاحب افريقية وعسكر الحاكم بمصر وأحيا أمره وخاطبه بطانة الحاكم لكثرة خوفهم من سفك الحاكم الدماء ورغبوه فى الوصول الى اوسيم وهو مكان بالجيزة قبالة القاهرة فلما وصل اليها قام بحمارته الفضل بن صالح القيام المشهور الى ان هزم أبا ركوة ثم جاء به الى القاهرة فقام الحاكم أن يطاف به على جمل ثم قتل صبرا ١٣ رجب سنة ٣٩٩ وللحاصل فى يد الحاكم كتب اليه

بالريح السوداء الحمارة والنبت وذلك بين دمشق وطبرية من أرض الشام وعملاق وعاد وثمود وأن الجن كانت تسكن فى ديار وبار وجهتها من كل من أرادها وقصد اليها من الانس وأنها كانت أخصب بلاد الله عز وجل وأكثرها شجرا وأطيبها ثمرا وعنبا ونخلا وموزا وان دنا احد من الناس الى تلك البلاد غاطا أو متعمدا حثت الجن فى وجهه التراب وسفت عليه سوافى الرمل وأثارت عليه الزوابع فان أراد الرجوع خبلوه وتيهوه وربما قتلوه وهذا الموضع عند كثير من ذوى الجحا باطل فاذا قيل لهم دلونا على جهته وقفونا على حده زعموا أنهما من أرادها أعمى على قلبه كانهم كبنى اسرائيل الذين كانوا مع موسى فى التيه فصدهم الله تعالى عن الخروج ولم يجعل لهم سبيلا الى أن تم فيهم مراده وانتهى فيهم حكمه وقد قال فى ذلك شاعرهم يخبر بمثل ما وصفنا من قولهم فى هذه الارض المجهولة

دعاجعلا لايهتدى لمقيله * من اللؤم حتى يهتدى لوبار
وداع دعا والليل مرخ سدوله * رجاء القرى يامسلم بن جبار

وأقوالهم فى مثل هذا كثيرة والعرب ممن سلف

فررت ولم يغن الفرار ومن يكن * مع الله لم يعجزه فى الارض هارب
ووالله ما كان الفرار لحاجة * سوى فزعى الموت الذى انا شارب
وقد قادنى جرمى اليك برمتى * كما اجترمينا فى رحى الحرب سالب
وأجمع كل الناس انك قاتلى * فيارب ظن ربه فيه كاذب
وما هو الا الانتقام وينتهى * وأخذك منه واجبا وهو واجب

ولابى ركوة المذكور أشعار كثيرة منها قوله

بالسيف يقرب كل أمر ينزح * فاطلب به ان كنت ممن يفلح

وله

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه ان يساعده الدهر

وقوله

ان لم أجلها فى ديار العدا * تملأ وعر الارض والسهلا
فلا سمعت الحمد من قاصد * يوما ولا قلت له أهلا

وله غير ذلك مما يطول وخبره مشهور * (ومنهم أبو زكريا الطليطلى يحيى بن سليمان) قدم الى الاسكندرية ثم رحل الى الشام واستوطن حلب وله ديوان شعر أكثر فيه من المديح والهجاء قال بعض من طالعه ما رأيته مدح أحدا الا وهجاه وله مصنفات فى الادب ومن نظمه قوله

أرض سقت غيطانها أعطانها * وزهت على كثبانها قضبانها

ومنها

فتكت بالباب الكماة فسيفها * من طرفها وسنانها وسنانها
لم يبق شخص بالبسيطة سالما * الا سبى انسانه انسانها

ومنها

وتصاحبت وتجاوبت أطيارها * وتداولت وتناولت ألحانها
وتنسمت وتبسمت أيامها * وتهللت وتكللت أزمانها
بمديرها ومنيرها ونميرها * ومعيرها حسنا جلاه عيانها

(ومنهم أبو بكر يحيى بن عبد الله بن محمد القرطبى المعروف بالمغيلى) سمع من محمد بن عبد الملك ابن أيمن وقاسم بن اصبغ وغيرهما ورحل فسمع من أبى سعيد بن الاعرابى وكان بصيرا بالعربية والشعر ومؤلفا جيد النظر حسن الاستنباط حدث وتوفى فجأة فى شهر ربيع الاول سنة ٣٦٢ قاله ابن الفرضى * (ومنهم الامام المحدث أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن يحيى بن سلمة الانصارى الغرناطى) قدم المشرق وتوفى بمصر سنة ٧٠٣ عن نحو خمسين سنة بالبيمارستان المنصورى قال قاضى القضاة عبد العزيز بن جماعة الكنانى فى كتابه نزهة الالباب أنشدنا المذكور لنفسه بالقاهرة بعد قدومه من مكة والمدينة وقد رام أن يعود اليهما فلم يتيسر له

لئن بعدت عنى ديار الذى أهوى * فقلبى على طول التباعد لا يقوى

وادى الروم والصمان والدهناء والرمل الذى بدارين وغيرها من الاراضين التى نزلوا فيها يجتمعون عليها طلبا للماء والكلا وزعموا أنه ليس بهذه الارض اليوم أحد الا الجن والابل الوحشية وهى عندهم من الابل التى قد ضربت فيها فحول الجن فالوحشية من نسل ابل الجن والعبدية والعجوجية والعمانية قد ضربت فيها الوحشية وفى ذلك يقول زهير بن أبى سلمى

كأنى على وحشية أو نعامة
لها نسب فى الطير وهو ظليم

والاشعار فى ذلك كثيرة (وفى بسطنا) لجوامع أخبار العرب فيما نقلته عن أسلافها مما أمكن كونه وخرج عن حد الوجوب والجواز خروج عن حد الايجاز والاختصار وقد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا (وسار بعد وبار ابن أميم) عبد ضخم بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه فنزلوا الطائف فهلك هؤلاء ببعض غوائل الدهر فدثروا وذكرتهم الشعراء وفيهم يقول الازدى

وعبد ضخم اذا نسبتهم * ابيض اهل الحى بالنسب ابتدعوا منطقا يجمعهم * فبين الخط قعة العرب

فحدث رعاك الله عن عرب رامة * فانى لهم عبد على السر والنجوى
فان مت شوقا فى الهوى وصبابة * فيا بشرى ان مت فى حب من أهوى
فيا أيها العذال كفوا ملامكم * فاعندكم بعض الذى بى من الشكوى
و يا جيرة الحى الذى ولهى بهم * أما ترحموا صبا يحن الى خزوى
و يا أهل ذياك الحمى وحياتكم * يمين وفى صادق القول والدعوى
ملكتم قيادى فارحموا وترفقوا * فأنتم مرادى لا سعادولا علوى
فمالى سوا كم سادتى لا عدمتكم * فجودوا بوصل أنتم الغاية القصوى انتهى

*(ومنهم الفاضل الاديب أبو عبد الله محمد بن على بن يحيى بن على الغرناطى قال ابن جماعة فى الكتاب المسمى قريبا أنشدنى المذكور لنفسه على قبر سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه

يا سيد الشهداء بعد محمد * ورضيع ذى المجد المرفع أحمد
يا ابن الاعزة من خلاصة هاشم * سرج المعالى والكرام المجد
يا أيها البطل الشجاع المحتمى * دين الاله ببأسه المستأسد
يا تبعة الشرف الاصيل المعتلى * يا ذروة الحسب الاثيل الاتلد
يا نجدة الملهوف فى قحم الوغى * عند التهاب جحيمها المتوقد
يا غيث ذى الامل البعيد مرامه * يا غوث موتور الزمان الانكد
يا من لعظم مصابه خص الاسى * قلب الرسول وعم كل موحد
يا حمزة الخير المؤمل نفعه * يوم الهياج وعند فقد المنجد
وافاك يا أسد الاله وسيفه * وقد ألموا من حمالك بمعهد
حثثاك يا عم الرسول وصنوه * قصد الزيارة فاحتفل بالقصد
وأسأل الهك فى اغتفار ذنوبنا * شيم المزو وقيامه بالعوّد
لذنا بجانبك الكريم توسلا * وكذا العبيد ملاذهم بالسيد
فاشفع لضيفك فالكريم مشفع * عند الكريم ومن يشفع يقصد
يا ابن الكرام المكرمين نزيلهم * أهل المكارم والعلا والسودد
نزل الضيوف جناب ساحتك التى * منها يؤمل كل عطف مسعد
فاجعل أبا يعلى قرانا عطفة * وارغب لربك فى هدانا واقصد
فعسى يمن على الجميع بتوبة * يهدى بها نهج الطريق الارشد
فقد اعتمدنا منك خير وسيلة * نرجو بها حسن التجاوز فى غد
لم لا نؤم وأنت عم محمد * ولديه قد صلت صولة أيد
وصحبته ونصرته وعضدته * وذببت عنه باللسان و باليد
و بذلت نفسك فى رضاه بصولة * فقتلت فى ذات الاله الاوحد
فجزاك عنا الله خير جزائه * وسقاك حيا الغمام المرعد
وعلى رسول الله منه سلامه * وعليك متصل الرضا المتجدد

ولد ببعض أعمال غرناطة قبل التسعين وستمائة وتوفى بالمدينة الشريفة طابة على ساكنها

(وذكر) أن هؤلاء اول من والعشرون حرفا وقد قيل غير ذلك على حسب تنازع بدء الكتابة (وسار) بعد عبد ضخم بن ارم جرهم ابن قحطان بولده ومن تبعه وطافوا البلاد حتى اتوا مكة فنزلوها وفى ذلك يقول مضاض بن عمرو الجرهمى هذا سبيل كسبيل يعرب البادئ القول المبين المعرب
يا قوم سيروا عن فعال الاجنب
جرهم جدّى وقحطان ابى
(وسار امم بن لاوذ بن ارم) بعد جرهم بن قحطان حفل بارض فارس فالفرس على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى باب تنازع الناس فى انساب فارس من ولد كيومرث بن اميم بن لاوذ ابن ارم بن سام بن نوح وفى ذلك يقول بعض من تقدم من أهل الحكمة من شعراء فارس فى الاسلام
ابونا اميم الخير من قبل فارس
وفارس ارباب الملوك بهم فخرى
وما عد قوم من حديث وحادث
من المجد الا ذكرنا افضل الذكر

وقد ذكر جماعة من اهل السير والاخبار ان جميع من ذكرنا من هذه القبائل كانوا اهل خيم وبدو افضل

افضل الصلاة والسلام سنة ٥٠٧ ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى انتهى *(ومنهم الشيخ نور الدين أبو الحسن المايرقى) من أقارب بعض ملوك المغرب وكان من الفضلاء العلماء الادباء وله مشاركة جيدة فى العلوم ونظم حسن ومنه قوله

القضب راقصة والطير صادحة * والنشر مرتفع والماء منحدر
وقد تجلت من اللذات أوجهها * لكنها بظلال الدوح تستتر
فكل وادبه موسى يفجره * وكل روض على حافاته الخضر

وقوله

وذى هيف راق العيون انثناؤه * بقد كريان من البان مورق
كتبت اليه هل تجود بزورة * فوقع لاخوف الرقيب المصدق
فأيقنت من لابالعناق تفاؤلا * كما اعتنقت لاثم لم تتفرق

وهذا أحسن من قول ذى القرنين بن حمدان

انى لأحسد لافى أحرف الهجف * اذا رأيت اعتناق اللام والالف
وما أظنهما طال اعتناقهما * الا لما لقيا من لوعة الاسف

وأحسن من هذا قول القيسرانى

أستشعر الياس من لاثم يظمعنى * اشارة فى اعتناق اللام والالف

وكانت وفاة أبى الحسن المذكور فى ربيع الاول سنة ٦٥٥ ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى والابيات التى أولها القضب راقصة الى آخره نسبها له اليونينى وغيره واحد والصواب انها ليست له وانما هى لنور الدين بن سعيد صاحب المغرب وقد تقدم ذكره ولعل السهو سرى من تشارك الاسم واللقب والقطر ومثل هذا كثيرا ما يقع والله تعالى أعلم *(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق) ابن عتبة الاشبيلى وكان فارق اشبيلية حين تولاها ابن هود واضطرمت بفتنته الاندلس نارا ولما قدم مصر هاربا من تلك الاهوال تغيرت عليه البلاد وتبددت به الاحوال فلما سئل عن حاله بعد بعده عن أرضه وترحاله بادر وأنشد

أصبحت فى مصر مستضاما * أرقص فى دولة القرود
واضيعة العمر فى أخير * مع النصارى أو اليهود
بالجد رزق الانام فيهم * لا بذوات ولا جدود
لا تبصر الدهر من يراعى * معنى قصيد ولا قصود
أودمن لؤمهم رجوعا * للغرب فى دولة ابن هود

وتذكرت بقوله ارقص فى دولة القرود ما وقع لابى القاسم بن القطان وهو مما يستطرف ويستظرف وذلك انه لما ولى الوزارة الزينبى دخل عليه أبو القاسم المذكور والمجلس حافل بالرؤساء والاعيان فوقف بين يديه ودعا له وأظهر الفرح والسرور ورقص فقال الوزير لبعض من يقضى اليه بسره قبح الله هذا الشيخ فانه يشير برقصه الى قول الشاعر

*وأرقص للقرد فى دولته *(ومن المرتحلين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على الهراوى) من أهل المرية ويعرف بشمس الدين بن جابر الضرير وله ترجمة فى الاحاطة ذكرناها مع زيادة

الحيطان وقطع الاشجار وسقف السقوف واتخاذ السطوح وان والد حام بن نوح حلوا ببلاد الجنوب وان ولد كوش بن كنعان خاصة هم النوبة على حسب ما قدمنا آنفا فى باب السودان من هذا الكتاب وان نخذا من ولد كنعان بن حام سار وا نحو بلاد افريقية وطنجة من ارض المغرب فنزلوها وزعم هذا القائل ان البربر من ولد كنعان بن حام (وقد تنازع الناس) فى بدء انساب البربر فمنهم من راى انهم من غسان وغيرهم من اليمن وانهم تفرقوا حول تلك الديار حين تفرق الناس من بلاد مأرب عند ما كان من سيل العرم ومنهم من راى انهم من قيس عيلان ومنهم من رأى غير ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا (ونزل) كنعان بن حام والاغلب من ولد كنعان بلاد الشام فهم الكنعانيون وبهم تعرف تلك الديار فقيل بلاد كنعان وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أخبار مضر ٣ بن حام ومصر والانباط (وسار) بوقر بن لوط بن حام بولده ومن تبعه الى أرض الهند والسند وبالسند اليوم لهم اجسام طوال وهم من بلاد المنصورة من ارض السند فعلى هذا القول ان الهند والسند من ولد

عليها عند تعرضنا لاولاد لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى و رحل الى المشرق ودخل مصر والشام واستوطن حلبا وهو صاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان وسكن حلبا وله أمداح نبوية كثيرة وتا ليف منها شرح ألفية ابن مالك وغير ذلك وله ديوان شعر وأمداح نبوية فى غاية الاجادة ومن نظمه رحمه الله تعالى مورياً باسماء الكتب

عرائس مدحى كم أبين لغيره * فلما رأته قلن هذا من الا كفا
نوادر آدابى ذخيرة ماجد * شمائل كم فيهن من نكت تلفى
مطالعها هن المشارق للعلا * قلائد قد راقت جواهرها رصفا
رسالة مدحى فيك واضحة ولى * مسالك تهذيب لتنبيه من أغفى
فيا منتهى سؤلى ومحصول غايتى * لانت امرؤ من حاصل المجد مستصفى

وقد اشتملت هذه الابيات الخمسة على التورية بعشر بن كتابا وهى العرائس للثعالبى والنوادر للقالى وغيره والذخيرة لابن بسام وغيره والشمائل للترمذى والنكت لعبد الحق الصقلى وغيره والمطالع لابن قرقول وغيره والمشارق للقاضى عياض وغيره والقلائد لابن خاقان وغيره ورصف المبانى فى حروف المعانى للاستاذ ابن عبد النور وهو كتاب لم يصنف فى فنه مثله والرسالة لابن أبى زيد وغيره والواضحة لابن حبيب والمسالك للبكرى وغيره والجواهر لابن شاس وغيره والتهذيب فى اختصار المدونة وغيره والتنبيه لابى اسحق وغيره ومنتهى السؤل لابن الحاجب والمحصول للامام الرازى والغاية للنووى وغيره والحاصل مختصر المحصول والمستصفى للغزالى وما أحسن قول الحكيم موفق الدين

لله أيامنا والشمل منتظم * نظمنا به خاطر التفريق ماشعرا
والهف نفسى على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

وهذه ثلاث كتب مشهورة المختار والمجموع والمختصر وأحسن منه قول الآخر

عن حالتى يا نور عينى لا تسل * ترك الجواب جواب تلك المسئله
حالى اذا حدثت لا تحاولا * جلا لا يضاحى بها من تكمله
عندى جوى يذر الفصيح مبلدا * فاترك مفصله ودونك مجمله
القلب ليس من الصحاح فيرتجى * اصلاحه والعين سحب منقله

وقد أوردنا فى ترجمة أبى عبد الله بن جزى الكاتب الاندلسى جملة مستكثرة فى التورية باسماء الكتب فلتراجع ثمة * (رجع) الى الشمس بن جابر فنقول ومن نظمه رحمه الله تعالى تضمينه للابيات المشهورة

لم يبق فى اصطبار
مذ خلفونى وساروا
والعيس أشاروا
جار الكرام فجاروا
لله ذاك الاوار
يا نوفا الدار دار

والمغرب على حسب ما ذكرنا من الامم وتفرقها فى الشرق وغيره مما يلى جبل الفتح والباب والابواب (و بعث عاد) فى الارض وملكها الجلجان بن الوهم فكانوا يعبدون ثلاثة أصنام وهى صمود وصدا والهباء فبعث الله اليهم هودا على حسب ما قدمنا فكذبوه وهو هود بن عبد الله بن رباح بن خالد ابن الخلود بن عياذ بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وقد قدمنا أن قوم عاد كانوا عشرة قبائل وقد تقدم ذكر أسمائهم فدعا عليهم هود فمنعوا المطر ثلاث سنين وأجدبت الارض فلم يدر عليهم ضرع (وقد كان) من ذكرنا من الامم لا يجحدون الصانع جل وعز ويعلمون أن نوحا عليه السلام كان نبيا وأنه وفى لقومه بما وعدهم من العذاب الا أن القوم دخلت عليهم شبه بعد ذلك لترهم البحث واستعمال النظر ومالت نفوسهم الى الدعة وما تدعو اليه الطبائع من الملاذ والتقليد وكان فى نفوسهم هيبة الصانع والقرب اليه بالتماثيل وعبادتها لظنهم أنها مقربة لهم اليه وكانوا مع ذلك يعظمون موضع الكعبة وكان موضعها على ما ذكرنا بوبة جراء فوفدت

يابدر اهلك جاووا * وعلوك النجرى
كانوا من الود أهلى
ماعاملونى بعدل
أصموا فؤادى بنبل
يابين بينت نكلى
ياروح قلبى قلى
أهم دعوك لقتلى
وحرموا لك وصلى * وحللوا لك هجرى
حسبى وماذا عناد
هم المنى والمراد
وان عن الحق حادوا
أو جاملونى وجادوا
يامن به الكل سادوا
والكل عندى سداد
فليفعلوا ما أرادوا * فانهم أهل بدر

وتذكرت بهذا قول أبى البركات أيمن بن محمد السعدى رحمه الله تعالى

للعاشقين انكسار * وذلة وافتقار
وللملاح افتخار * وعزة واقتدار
وأهل بدرى أثاروا * وودعونى وساروا
يابدر الخ
كتبت والوجد يملى * جد الهوى بعد هزل
وحار ذهنى وعقلى * مابين بدرى وأهلى
يابدر فاحكم بعدل * اذا اتوك بعذل
وحرموا الخ
لولا هواك المراد * ما كنت ممن يصاد
ولا شجانى البعاد * يابدر اهلك جادوا
غلطت جاروا وزادوا * لكنهم بك سادوا
فليفعلوا الخ انتهى

(رجع) الى ابن جابر فنقول توفى رحمه الله تعالى فى البيرة فى جمادى الآخرة سنة ٧٨٠ ومن نظمه قوله

ياأهل طيبة فى مغنا كم قمر * يهدى الى كل محمود من الطرق
كالغيث فى كرم والليث فى حرم * والبدر فى أفق والزهر فى خلق

وقوله

ألا قبح الاله حلوم عاد * فان قلوبهم قفر هواء
لهم صنم يقال له صمود * يقابله صداء والهباء

الشرب والله وحتى جاءتهم الجرادتان فبشتاما معاوية بن بكر تشرحان لهم ما وردوا من أجله وهو

ألا ياقيل ويحك قم فهينم
لعل الله يمطرنا غماما
فيسقى أرض عاد ان عادا
قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو
به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وان الوحش تاتى أرض عاد
فلا تخشى لرامیهم سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم
نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم
ولا لقيوا التحية والسلاما
ثم ان معاوية بن بكر دعا احدى الجرادتين فغنت

ألا ياقيل من عوص
ومن عاد بن سام
وعاد كالشماريخ
من الطول السكرام
سقى الله بنى عاد
معاصوب الغمام
فاستيقظ القوم من غفلتهم وبادروا الى الاستسقاء لقومهم وفى مجىء السحاب واختيارهم لما اختاروه منها ما قد اتضح وفيهم يقول مرثد بن سعد من كلمة

عصت عاد رسولهم فاموا
عطاشا لا تبلهم السماء

أما معانى المعانى فهى قد جمعت * فى ذاته فبدت نارا على علم
كالبدر فى شيم والبحر فى ديم * والزهر فى نعم والدهر فى نقم

وقال

ولما وقفنا كى نودع من نأى * ولم يبق الا أن تحث الركائب
بكينا وحق للمحب اذا بكى * عشية سارت عن حماه الحبائب

وقال

ضحكت فقلت كأن جيدك قد غدا * يهدى لثغرك من جواهر عقده
وكأن ورد الخد منك بمائه * قد شاب عذب لمالك حالة ورده

وقال

منعتنا قرى الجمال وقالت * ليس فى غير زادنا من مجال
فأقمنا على الرحال وقلنا * مالنا حاجة بحمل الرحال

وقال

عذب قلبى رشأ ناعم * أسهر طرفى طرفه الناعس
يحرس باللحظ جنى خده * يا ليته لو غفل الحارس

وقال

وافيت وبهم وقد بعد المدى * ونأى الفريق من الديار وسارا
ما كدت أعرف بعد طول تأمل * دارا بها طاف السرور ودارا

وله

ولست أرى الرجال سوى اناس * همومهم موافاة الرجال
أطالوا فى الندى اهلاك مال * فعاشوا فى الانام ذوى كمال

وقال

أيها المتهمون نفسى فداكم * أنجدونى على الوصول لنجد
وقفوا بى على منازل ليلى * فوجودى هناك يذهب وجدى

وما كتبه على كتاب نسيم الصبا لابن حبيب وصورته لما وقفت على الفصول الموسومة بنسيم الصبا المرسومة فى صفحات الحسن فاذا أبصرها اللبيب صبا افتعش بها الخاطر افتعاش الندت بالغمام وهملت سحائب بيانها فاثمرت حدائق الكلام وأخرجت أرض القرائح ما فيها من النبات وسمعت الآذان ضجة الاذهان بهذه الابيات

هذى فصول الربيع فى الزمن * كم حسن أسندت الى حسن
رقمت وراقت فى شمائلها * بمثل صرف الشمول تتحفنى
كم ملح قد حوت وكم لمح * يعجبنى لفظها ويحزننى
كم فيه من نفث ومن نكت * أشهدنى حسنها فاده شنى
جمع عدمناله النظير فلا * يصرف عن خاطر ولا أذن
يا حبر أهل العلا وبحرهم * أى بديع الكلام لم ترنى

فبصرنا النبى سبيل رشد * وان اله هود هو الهى
على الله التوكل والرجاء * وانى لاحق بالامس هودا
واخوته اذا حق المساء
فارسل الله عز وجل على عاد الريح العقيم من وادلهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا عارض ممطرنا وتباشروا بذلك فلما سمع هود ذلك من قولهم قال بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم الآية فاتتهم الريح يوم الاربعاء فلم تات الاربعاء الثانية ومنهم حى فمن أجل ذلك كره الناس يوم الاربعاء (وقد بينا) فيما يرد من هذا الكتاب كيفية ذلك وكيف وقوعه فى أيام الشهر فى باب الشهور فلما شاهد هود النبى صلى الله عليه وسلم ما قاله قومه انفرد هو ومن معه من المؤمنين وفى ذلك يقول الهيل بن الخليل

لوان عادا سمعت من هود * واتبعت طريقة الرشيد
وقد أتى بالوعد والوعيد * عادا وبالتقريب والتبعيد
ما أصبحت عاثرة الجدود * خبوا على الآناف والخدود
ساقطة الاجساد بالوصيد
ماذا جنى الوفد من الوفود * احدوثة فى الابد الابيد

(وقال مهد بن سعد فى شعره له)

دعاهم خيفة لله هود * فما نفع النذير ولا أجابوا

يدرك فى مطلع الفضائل لا * يكون مثل له ولم يكن
هذى الفصول التى أتيت بها * قد أفحمت كل ناطق لسن
كم فن معنى بها يذكرنى * شجوى لشدو الحمام فى فنن
فن نسيب مع النسيم جرى * لطفا فازرى بالجوهر الثمن
وحسن سجع كالزهر فى أقق * والزهر فى ناعم من الغصن
له معان أعيت مدارکها * كل معان بفيلهن عنى
لازال راق للجيد راقها * ذا سنن حاز احسن السنن

فصول هى للحسن أصول وشمول لما على كل القلوب شمول ليس لقدامة على التقدم اليها حصول ولا لسحبان لان يسحب ذيلها وصول ولا انتهى قس الايادى الى هذه الايادى ولا ظفر بديع الزمان بهذه البدائع الحسان لقد قصر فيها حبيب عن ابنه وحار بين لطافة فضله وفضل ذهنه نزهت فى طرف خمائلها ونبهت بلطف شمائلها تالله انها لسحر حلال وخلال ماسلمها خلال كلام كله كمال ومجال لايرى فيه الاجمال اراقم بردها وناظم عقدها فى كل فصل جاء بكمال فصل وفى كل معنى غمر بالبراعة مغنى أعرب فاغرب وأوجز فاعجز وأطال فاطاب وأجاد حين أجاب فما أنفس فرائده وأنفع فوائده وأفصح مقاله وأفسح مجاله وأطوع للنظم طباعه وأطول فى النثر باعه أزاهر نبتت فى كتاب وجواهر تكونت من ألفاظ عذاب ومواهب لاتدرك بيد اكتساب فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب فصول أحلى فى الافواه من الشهد وأشهى الى النواظر من النوم بعد السهد سبك أدبها فى قالب النكت الحسان وذهب بمحاه مد عبد الحميد ومحاسن حسان فما أحقها أن تسمى فصول الربيع وأصول البديع لازال حسنها يملا الاوراق بمارق ويزين الآفاق بمافاق ولابرحت حدائق براعته نزهة للاحداق وحقائق بلاغته فى جيد الاجادة بمنزلة الاطواق بمن الله تعالى وكرمه انتهى * وحيث جرى ذكر نسيم الصبا فلا باس أن نذكر تقاريظ العلماء له فمن ذلك قول القاضى شرف الدين بن ريان وقفت على هذا الكتاب الذى أبدع فيه مؤلفه ونظم فيه الجواهر النفيسة مصنفه وأينعت حدائق أدبه فدنا ثمرها لمن يقطفه وعرفت مقدار ما فيه من الانشاء وأين من يعرفه فوجدته الطف من اسمه وأحسن من الدرر فى نظمه وأطيب من الورد عند شمه هبت على رياض فصوله نسيم صباها فاقت الازهار فى رباها وتشوقت قلوب الادباء الى انتشاق شذاها وطيب رياها وفاضت عليه انوار البدر فاغنى سناها عن الشمس وضحاها وتحلت نحور البلغاء من كلامه بالدر اليتيم ومن معانيه بالعقد النظيم وترنحت أغصان فنون الفصاحة لما هب عليها ذلك النسيم كل فصل له فى الفضل أسلوب على بابه وطريق انفرد به منشئه محاسن لاتوجد الا فى كتابه صدر هذا الكتاب عن علم سابق وفكر ثاقب وذهن رائق ونفس صادق ورويه ملأت تصانيفها المغارب والمشارق وقريحة اذا ذاقت جناها وشمت سناها تذكرت ما بين العذيب وبارق فالله تعالى يبقى مصنفه قبلة لاهل الادب ويديمه ويبلغه من سعادة الدنيا والآخرة ما يرومه بمنه وكرمه

الجلهان وقد تقدم ذكره فى هذا الباب الملك عاد وثمود وغيرهم وقيل ان أول من ملك عادا من الملوك عاد بن عوص بن ثلثمائة سنة ثم ملك ابن عاد بن عوص قال ولما دثرت هذه الامم من العرب والقبائل خلت منهم الديار فسكنها غيرهم من الناس فنزل قوم من بنى حنيفة اليمامة واستوطنوها وقد كان نزلوا بلاد الجحفة بين مكة والمدينة وقطنوها فقال شاعرهم يرثى من كان فى تلك الديار

ان طسما وجرهما وجديسا
والعمالیق فى السنين الخوالى
عمروا البيت حقبة ثم ولوا
واستمرت بهم صروف الليالى
وأدال الزمان منهم وأضحى
غيرهم ساكنا بتلك الخوالى
و رماهم ريب الزمان فاسوا
دورهم بلقع لمر الشمال

(وقد كان) نزل بلاد الجحفة بين مكة والمدينة عبيد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح هو وولده فهلكوا بالسيل فسمى ذلك الموضع بالجحفة لاجحافها عليهم

(وكان) يثرب بن قانية بن مهليل بن ارم بن عبيد نزل بالمدينة هو وولده ومن تبعه فسميت به يثرب

فهلك هؤلاء أيضا بعض عمر وايثر باوليس بها سف ـ رولا صار خ ولا ذو سنام غرسوا اليها بمجرى معين ثم حفوا السبيل بالارحام (وقد أخبر) الله جل قدرته عنهم فقال كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فأهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية (وقد تنازع) أهل الشرائع فى قوم شعيب ابن نوفل بن رعبيل بن مر ابن عنقا بن مدين بن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وكان لسانه العربية فمنهم من رأى انهم من العرب الدائرة والامم البائدة وبعض من ذكرنا من الاجيال الخالية ومنهم من رأى انهم من ولد المحض بن جندل بن يعصب ابن مدين بن ابراهيم وان شعيبا أخوهم فى النسب وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا فى ممالك متصلة فمنهم المسمى بابى حاد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وهم على ما ذكرنا بنو المحض ابن جندل وأحرف الجمل هى أسماء هؤلاء الملوك وهى التسعة والعشرون حرفا التى عليها حساب الجمل وقد قيل فى هذه الاحرف غير ما ذكرنا من الوجوه على حسب ما قدمنا فى هذا الكتاب وليس كتابنا هذا موضعا لما

انتهى * وقرظ عليه بعضهم بقوله وقف المملوك سليمان بن داود المصرى على فصول الحكم من هذه الفصول ووجد من نسيم الصبا أمارات القبول ونزه طرفه فى رياض هذا الكتاب وخاطب فكره العقيم فى وصفه فعجز عن رد الجواب

ماذا أقول وكل وصف دونه * أين الحضيض من السماك الاعزل

يالها كلمات نقصت قدر الافاضل وفضحت فصحاء الاوائل وسحبت ذيل الفصاحة على سحبان وائل وزادت فى البلاغة على فريد وغيرت حال القدماء فما عبد الرحيم الفاضل وما عبد الحميد وذللت لها تشبيهات ابن المعتز طوعا وملكت زمام البيان فاتركت للبديع منه نوعا

قطف الرجال القول حين نباته * وقطفت أنت القول لما نورا

وخطاب أعجز الخطباء وصفه وجواب ألفى البلغاء رصفه وغرائب تعرفت بمديها وشوارد تألفت بمديها وجنان بلاغة لم يطمث أبكارها انس قبلك ولا جان ولم يقطف أزهارها عين ناظر ولا يد جان معان تطرب السمع لها حكم وأحكام وألفاظ هى الارواح لا ارواح أجسام فلما ألقى فهمه عروة المتماسك وضاقت عليه فى وصفه المسالك وعجز عن وصف بلوغ بلاغته عطف على حسن كتابته فرأى خطا يسبى الطرف ويستغرق الظرف نسيج قلمه الكريم من وشى البلاغة ديباجا واتخذ من محاسن الحسان طريقا ومنهاجا فالفى ألفات كاعتدال القدود ونونات كاهلة السعود وسينات كالطرر ونقطا كالدرر جعل للاقلام حجة قاطعة على السيوف وحلى الاسماع بحلية زائدة على الشنوف فعطف ساعده يطنب فى دعائه وشكره وآونة يميل من طربه بالفاظه وسكره فلله در ألفاظك ودر فضلك وأحسن بوابل الهاطل بالبيان وطلك

لسانك غواص ولفظك جوهر * وصدرك بحر بالفضائل زاخر

والله المسؤل أن يرفع قدر مقالك ومقام قدرك و يوضح نهاج الادب بنور بدرك بمنه وكرمه انه على كل شئ قدير * وكتب قاضى القضاة تاج الدين السبكى رحمه الله تعالى فى تقريظ الكتاب المذكور ما نصه الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم حدقت نحو الحدائق وفوقت سهمى تلقاء الغرض الشائق وطرقت الى سا بضى ء اخا الحجى أسهم الطرائق فما عاد صداى كنسيم الصبا ولا كمثله سهما صائبا صبابه من لا صبا ولا نظرت نظيره حديقة تنبت فضة وذهبا

وتجنى من ملح الكلا * م بطـــارف أو تالده
كلم نوابغ نحوآ * فاق المطالع صاعده
لورامها قس لما * ألـــفى أباه ساعده
أبدى نتائج عيـــه * فى ذى المعانى الشاذه

فعين الله تعالى عليها كلمات عليها منه رقيب ومحاسن تسلى عندها بالحسن حبيب وفوائد حسان يذكرنا بها حسان البعيد حسن القريب كتبه عبد الوهاب بن السبكى انتهى * وكتب ناصر الدين صاحب دواوين الانشاء ما هو رتبه وقفت على هذا الكتاب الذى

أشبه الدر في انتظامه والثغر في ابتسامه وقطر الندى في انسجامه وزهر الروض في البكر اذا غنت على غصونه مطربات حمامه فوجدت بين اسمه ومسماه مناسبة اقتضاها طبع مؤلفه السليم واتصالا قريبا كاتصال الصديق الحميم فتحققت أن مؤلفه أبقاه الله تعالى وجوه أبدع في تاليفه وأصاب في تمييزه بهذا الاسم وتعريفه فهو في اللطافة كالماء في ارواقه وكالهواء المعتدل في ملاءمة الارواح بجوهر صفائه وكالسلك اذا انتقى جوهره وأجيد في انتقائه قد أينعت ثمرات فضائله فاصبحت دانية القطوف وتجلت عرائس بلاغته فظهر بدرها بلا كسوف وانجابت ظلمات الهموم بسماع موصول مقاطعه التي هي في الحقيقة لآذان الجوزا مشنوف فاكرم به من كتاب ما الروض بابهى من وسيمه ولا الريحان باعطر من شميمه ولا المدامة بارق من هبوب نسيمه ولا الدر بأسنى زهرا بل زهوا من رسومه اذا تدبره الاديب أغنته تلك الافانين عن نغمات القوانين واذا تأمله الاريب نزه طرفه في رياض البساتين قد سور على كل نوع من البديع باب لا يدخله الا من خص من البلاغة باللباب والله تعالى يؤتيه الحكمة وفصل الخطاب ويمتع بفضائله التي شهدها أهل العلم وذوو الالباب بمنه وكرمه وكتبه محمد بن يعقوب الشافعي * وكتب الصفدي شارح لامية العجم بما نصه وقفت على هذا المصنف الموسوم بنسيم الصبا والتاليف الذي لو تر بالمجنون لما ألف ليلاه ولا مال اليها ولا صبا والانشاء الذي ان شاء قائله جعل الكلام غيره في هبات الهواء هبا والنثر الذي أغار قائله على سبائك الذهب الابريز وسبا والكلام الذي نباعنه الجاحظ حاسدا وماله ذكر ولا نبا فسبحت جواهر حروفه لمن أوجده في هذا العصر وعلمت ان الفاظه ترمي قلوب حساده بشرر كالقصر وتحققت ان قعقعة طروسه اصوات اعلامه التي تخفق له بالنصر وتيقنت ان سطوره غصون لا تصل اليها كف جناية بجنى ولا هصر

وقلت لاهل النظم والنثر قابلوا * ترائبها مصقولة كالسبنجل
وميلوا باعطاف التعجب انها * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

ولما ملت بعد ما مثلت وعزلت بعد ما هزلت جردت من نفسي شخصا اخاطبه واجاريه في اوصاف محاسنها التي انا هيه منها وانا هبه فقال لي هذا الفن الفذ والنثر الذي قهر اقران هذه الصناعة وبذ والادب الذي سد الطرق على اوابده فما فاته شيء ولا شذ وهذا الانشاء الذي ماله عديل في هذا العديد ولا ضريب وهذا الكلام الذي فاق في الآفاق فما الحبيب بن اوس حسن بن حبيب فعين الله تعالى على هذه الكلم الساحرة والفوائد التي ايقظت جفن الادب بعد ما كان بالساهرة ومتع الله تعالى الزمان واهله بهذا النوع الغض والنقد النض والبز البض والبديع الذي رم ما تشعث من ربع هذا الفن ورض واقتض المعاني ابكاره وافتض وارسل جارح بلاغته على الجوارح فصادها وانقض وانقض وأنبط ماء الفصاحة لما تحدروا رفض واستمال القلب الفظ لما فك ختم ذهوله ونفض انه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير بمنه وكرمه وكتبه خليل الصفدي انتهى * (ومنهم الاديب ابو جعفر الالبيري) رفيق ابن جابر السابق الذكر وهو

سيد القوم أتاه الشخت نار انحت ظله * كونت نارا وأضحت * دار قومي مضمحله

يليها من الحجاز وكان هوز وحطى ملكين ببلاد وج وهي أرض الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد وكان وسعفص وقرشت ملوكا بمدين وقيل ببلاد مصر وكان كمان على ملك جميع من سمينا مشاعا متصلا على ما ذكرنا وأن عذاب يوم الظلة كان في ملك كمان منهم وأن شعيبا دعاهم فكذبوه ووعدهم بعذاب يوم الظلة ففتح عليهم باب من السماء من نار ونجا شعيب بمن آمن معه الى الموضع المعروف بالايكة وهي غيضة نخل ومدين فلما أحس القوم بالبلاء واشتد عليهم الحر وأيقنوا بالهلاك طلبوا شعيبا ومن آمن معه وقد أظلتهم سحابة بيضاء طيبة النسيم والهواء لا يجدون فيهم ألم العذاب فاخرجوا شعيبا ومن آمن معه من موضعهم وأزالوهم عن أماكنهم وتوهموا أن ذلك ينجيهم مما نزل بهم فجعلها الله عليهم نارا فاتت عليهم فرثت حارثة بنت كمان أباها فقالت وكانت بالحجاز

كمان هدم ركني
هلكه وسط المحله

البصير وابن جابر الاعمى وله نظم بديع منه قوله

ابدت لي الصدغ على خدها * فاطلع الليل لنا صبحه
خدها مع قدها قائل * هذا شقيق عارض رمحه

وقوله وقد دخل حمص

حمص لمن اضحى بها جنة * يدنو لديها الامل القاصي
حل بها العاصي الا فاعجبوا * من جنة حل بها العاصي

وقوله

ان بين الحبيب عندي موت * وبه قد حييت منذ زمان
ليت شعري متى تشاهده العيـ * ـن وتقضي من اللقاء الاماني

قال وفيه استخدام لان البين يطلق على البعد والقرب انتهى ومن نظمه أيضا رحمه الله تعالى

ومورد الوجنات دب عذاره * فكانه خط على قرطاس
لما رأيت عذاره مستعجلا * قدرام يخفي الورد منه باآس
ناديته قف لي أودع ورده * ما في وقوفك ساعة من باس

وهذا المعنى قد تبارى فيه الشعراء وتسابقوا في مضماره فمنهم من جلى وبرز وحاز خصل السبق واحرز ومنهم من كان مصليا ومنهم من غدا الجيد الاحسان مجليا ومنهم من عاد قبل الغاية موليا *(رجع) ومن تاليفه رحمه الله تعالى شرحه لبديعية رفيقه ابن جابر المذكور وقال في خطبته ولما كانت القصيدة المنظومة في علم البديع المسماة بالحلة السيرا في مدح خير الورى التي أنشأها صاحبنا العلامة شمس الدين أبو عبد الله بن جابر الاندلسي نادرة في فنها فريدة في حسنها تجني ثمر البلاغة من غصنها وتنهل سواكب الاجادة من مزنها لم ينسج على منوالها ولا سمحت قريحة بمثالها رأيت أن أضع لها شرحا يجلو عرائس معانيها للعانيها ويبدي غرائب مافيها لموافيها لا أمل الناظر فيه بالتطويل ولا أعوقه بكثرة الاختصار عن مدارك التحصيل لخير الامور أوسطها والغرض مايقرب المقاصد ويضبطها فاعرب من الفاظها كل خفي واسكت من لغاتها عن كل جلي والله اسأل أن يبلغنا ماقصدناه ويوردنا أحسن الموارد فيما أردناه انتهى وسمى الشرح المذكور طراز الحلة وشفاء الغلة ومما أورده رحمه الله تعالى في ذلك الشرح من نظم نفسه قوله

طيبة ما اطيبها منزلا * سقى ثراها المطر الصيب
طابت بمن حل بأرجائها * فالقرب منها عنبر طيب
يا طيب عيشي عند ذكرى لها * والعيش في ذاك الحمى أطيب

وقال رحمه الله تعالى في هذا الشرح بعد كلام مانصه واذا أردت ان تنظر الى تفاوت درجات الكلام في هذا المقام فانظر الى اسحق الموصلي كيف جاء الى قصر مشيد ومحل سرور جديد فخاطبه بما يخاطب به الطلول البالية والمنازل الدارسة الخالية فقال

وهم ملكوا أرض الحجاز وأوجها
كمثل شعاع الشمس في صورة البدر
ملوك بني حطي وسعفص ذي الندى
وهو زار باب الثنية والحجر
هم وقطنوا البيت الحرام ورتبوا
خطورا وساموا في المكارم والفخر
(وهؤلاء الملوك) أخبار عجيبة من حروب وسير وكيفية تغلبهم على هذه الممالك وتملكهم عليها وابادتهم من كان فيها عليها من الامم قد أتينا على ذكرها فيما تقدم من كتابنا في هذا المعنى مما كتبناه هذا منبه عليها وباعث على درسها (وأما نوحضورا) وكانت أمة عظيمة ذات بطش وشدة غلبت على كثير من الارض والممالك وقد تنازع الناس فيهم فمنهم من ألحقهم بمن ذكرنا من العرب البائدة ممن سمينا ومنهم من رأى انهم من ولد يافث بن نوح وقيل في أنسابهم غير ماذكرنا من الوجوه وقد كان بعث الله عز وجل اليهم شعيب بن ذي مهدم بن حضورا بن عدي نبيا ناهيا عما كانوا عليه وهذا غير شعيب بن نوفل بن رعيل بن مرعنقاء بن مدين بن ابراهيم

يادار غيرك البلى ومحاك * فأحزن فى موضع السرور وأجرى كلا منهما على عكس الامور

وانظر الى قول القطامى

اناسحول فاسلم أيها الطلل * وان بليت وان طالت بك الطيل

فانظر كيف جاء الى طلل بال ورسم خال فاحسن حين حياه ودعاله بالسلامة كالمبتهج برؤية محياه فلم يذكر دروس الطلل وبلاه حتى آنس المسامع باوفى التحية وأزكى السلامة والذى فتح هذا الباب وأطنب فيه غاية الاطناب صاحب اللواء ومقدم الشعراء حيث قال

الا عم صباحا ايها الطلل البالى * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

وهل يعمن الا سعيد مخلد * قليل هموم مايبيت بأوجال

قيل وهذا البيت الاخير يحسن ان يكون من أوصاف الجنة لان السعادة والخلود وقلة الهموم والاوجال لاتوجد الا فى الجنة انتهى وقال رحمه الله تعالى عند رحيله من غرناطة واعلام نجدة تلوح وحمائمه تشدو على الايك وتنوح

ولما وقفنا للوداع وقد بدت * قباب بنجد قد علت ذلك الوادى

تطرت فالفيت السبيكة فضة * تحسن بياض الزهر فى ذلك النادى

فلما كستها الشمس عاد لجينها * لها ذهبا فاعجب لكسيرها البادى

والسبيكة موضع خارج غرناطة وقال رحمه الله تعالى

هذه عشرة تقضت وعندى * من أليم البعاد شوق شديد

واذا مارأيت اطفا شوقى * بالتلاقى فذاك رأى سديد

وقال رحمه الله تعالى وقد أهدى طاقية

خذها اليك هدية * ممن يعز على أناسك

اخترتها لك عندما * أضحت هدية كل ناسك

أرسلتها طاقية * لتنوب فى تقبيل راسك

وله من رسالة وانى كتابك فوجدناه ازهى من الازهار وابهى من حسن الحباب على الانهار يشرق اشراق نجوم السماء ويسمو الى الاسماع سموحباب الماء وقال رحمه الله تعالى فى العروض على مذهب الخليل

خل الانام ولاتخالط منهم * أحدا ولو أصفى اليك ضمائره

ان الموفق من يكون كانه * متقارب فهو الوحيد بدائره

وقال على مذهب الاخفش

ان الخلاص من الانام لراحة * لكنه مانال ذلك سالك

أضحى بدائرة له متقارب * يرجو الخلاص فعاقه متدارك

وله

دائرة الحب قد تناهت * فحالها فى الهوى مزيد

فبحر شوقى بها طويل * وبحر دمعى بها مديد

و بينهما مئون من السنين وقد كان بين موسى بن عمران و بين المسيح ألف سنة ولما بعث الى حضورا واشتد كفرهم جد نبيهم شعيب بن ذى مهدم فى دعائهم وخوفهم وتوعدهم فقتلوه من بعد ظهور معجزات كانت له ودلائل اظهرها الله على يديه تدل على صدقه وثبوت حجته على قومه فلم يضيع الله دمه ولم يكذب وعيده فاوحى الله تعالى الى نبى كان فى عصره وهو برخيا بن احيا بن روبا بيل بن شالتيل وكان من سبط يهوذا بن اسرائيل ابن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام أن ياتى بختنصر وكان بالشام وقيل غيره من الملوك فيأمره أن يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم فلما اتى برخيا ذلك الملك قال له الملك صدقت لى سبع ليال اومر فى نومى بما ذكرت وانا دى بجيشك الى وابشر ويقال لى عالمرتنى به وانا انتصر للنبى المقتول المظلوم الفريد فسار اليهم فى جنوده وغشى ديارهم فى عساكر موصاح بهم صائح من السماء وقد استعد والحربه من حيث عم الصوت جميعهم وهو يقول

سيغلب قوم غالبوا الله جهرة * وان كايدوه كان اقوى وأكيدا

فانفضت جنودهم وتفرقت جموعهم وولت كتائبهم وأخذهم السيف فحصدوا أجمعين (وقد ذكر) أن فى قصة هلكهم قال الله عز وجل من قائل فلما أحسوا باسنا اذا هم منها يركضون وقد تنوزع فى ديارهم والموضع الذى كانوا فيه فمن الناس من رأى أنهم كانوا بارض السماوة وأنها كانت عمائر متصلة ذات جنان ومياه متدفقة وذلك بين العراق والشام الى حد الحجاز وهى الآن ديار خراب يرارى وقفار ومنهم من رأى أن ديارهم كانت من بلاد سورية وهذه المدن فى هذا الوقت مضافة الى أعمال حلب من بلاد قنسرين من أرض الشام (قال المسعودى) وقد أتينا على جمل من أخبار العرب الماضية والباقية وقد كان قبل ظهور الاسلام للباقى منهم مذاهب وآراء فى النفوس وتعول الغيلان من الهواتف والجن سنورد جملا منها منفردة على حسب ما يقتضيه شرط الاختصار فى هذا الكتاب على حسب ما نمى الينا من اخبارهم واتصل بنا من آثارهم وذكره الناس من آرائهم عن الفانى والباقى ان شاء الله تعالى

وان وجدى بها بسيط * فليفعل الحسن ما يريد

وهذا المعنى استعمله الشعراء كثيرا ومنهم الشيخ شهاب الدين بن صارو البعلى قال ابو جعفر المترجم به انشدنا شهاب الدين المذكور لنفسه بحماة

وبى عروضى سريع الجفا * يغار غصن البان من عطفه
الورد من وجنته وافر * لكنه يمنع من قطفه

قال وانشدنا ايضا لنفسه

وبى عروضى سريع الجفا * وجدى به مثل جفاه طويل
قلت له قطعت قلبى أسى * فقال لى التقطيع داب الخليل

انتهى

وأنشد رحمه الله تعالى لرفيقه ابن جابر الضرير السابق الترجمة فى ذلك

ان صد عنى فانى لا اعاتبه * فما التنافر فى الغزلان تنقيص
شوقى مديد وحبى كامل أبدا * لاجل ذلك قلبى فيه موقوص

وأنشد نا فى ذلك أيضا

عالم بالعروض يخبن قلبى * فى مديد الهوى بلحظ سريع
عنده وافر من الرد فيبدو * وخفيف من خصره المقطوع

وله

سبب خفيف خصرها ووراءه * من ردفها سبب ثقيل ظاهر
لم يجمع النوعان فى تركيبها * الا لأن الحسن فيها وافر

وله

صدوده لى مديد * وأمر حبى طويل
وفيه أسباب حسن * وتلك عندى الاصول
فخصره لى خفيف * و ردفه لى ثقيل

وقد ذكر أبو جعفر رحمه الله تعالى لرفيقه ابن جابر السابق الذكر مقطوعات كثيرة منها قوله

يا أيها الحادى اسقنى كاس السرى * نحو الحبيب ومهجتى للساقى
حى العراق على النوى واحل الى * أهل الحجاز رسائل العشاق
ياحسن ألحان الحداة اذا جرت * نغماتها بمسامع المشتاق

وأورد له أيضا

ياحسن ليلتنا التى قد زارنى * فيها فانجز ما مضى من وعده
قومت شمس جماله فوجدتها * فى عقرب الصدغ الذى فى خده

*(رجع) الى أبى جعفر رحمه الله تعالى ومن فوائده انه لما ذكر فذلكة الحساب فقال هى التى يضعها أهل الحساب آخر جملهم المتقدمة فيقولون فذلك كذا وكذا انتهى ولما أنشد رحمه الله تعالى قول بعضهم

غزال قد غزا قلبى * بالحاظ وأحداق

له الثلثان من قلبى * وثلثا ثلثه الباقى
وثلثا ثلث ما يبقى * وباقى الثلث للساقى
وتبقى اسهم ست * تقسم بين عشاق

قال ما نصه هذا الشاعر قسم قلبه الى ٨١ سهما فجعل لمحبوبه منها الثلثين ٥٤ وبقى الثلث ٢٧ فزاده ثلثيه ١٨ فصار له ٧٢ يبقى ثلث الثلث وهو ٩ زاده منها ثلثى ثلثها وهو اثنان وبقى من الثلث واحد اعطاه للساقى فبقى من التسعة ستة قسمها بين العشاق فاجتمع لمحبوبه ٧٤ وللساقى سهم واحد وللعشاق ستة والجملة ٨١ انتهى

وانشد رحمه الله تعالى فى علم الحساب لرفيقه ابن جابر السابق الذكر

قسم القلب فى الغرام بلحظ * يضرب القلب حين يرسل سهمه
هذه فى هواه يا قوم حالى * ضاع قلبى ما بين ضرب وقسمه

وانشد له فى الهندسة

محيط باشكال الملاحة وجهه * كأن به اقليدسا يتحدث
فعارضه خط استواء وخاله * به نقطة والشكل شكل مثلث

وانشد له فى خط الرمل

فوق خديه للعذار طريق * قد بدا تحته بياض وحمره
قيل ماذا قلت أشكال حسن * تقتضى أن ابيع قلبى بنظره

وانشد له فى علم الخط

قد حقق الحسن نور حاجبه * وخط فى الصدغ واو ريحان
ومد من حسن قده الفا * أوقف عينى وقوف حيران

وانشد له ايضا

ألف ابن مقلة فى الكتاب كقده * والنون مثل الصدغ فى التحسين
والعين مثل العين لكن هذه * شكلت بحسن وقاحة ومجون
وعلى الجبين لشعره سين بدت * حار ابن مقلة عند تلك السين
قل للذى قد خط تحت الصدغ من * خيلانه نقطا لجلب فنون
يا للرجال ويا لها من فتنة * فى وضع ذاك النقط تحت النون

وأورد له فى ذكر الاقلام السبعة وغيرها

تعليق رد فلك بالخصر الخفيف له * ثلث الجمال وقد وفته أجفان
خد عليه رقاع الروض قد جعلت * وفى حواشيه للصدغين ريحان
خط الشباب بطومار العذار به * سطرا ففضاحه للناس فتان
محقق نسخ صبرى عن هواه ومن * توقيع مدمعى المنثور برهان
يا حسن ما قلم الاشعار خط على * ذاك الجبين فلا يسلوه انسان
اقسمت بالمصحف الشامى وأحرفه * مام بالبال يوما عندك سلوان
ولا غبار على حبى فعندك لى * حساب شوقه له فى القلب ديوان

تنازع الناس فى كيفيتها فمنهم من زعم أن النفوس فى الدم لا غير وأن الروح الهواء الذى فى باطن جسم المرى ومنه نفسه ولذلك سموا المرأة نفساء لما يخرج منها من الدم ومن أجل ذلك تنازع فقهاء الامصار فيما له نفس سائلة اذا سقط فى الماء هل ينجسه أم لا

قال تابط شرا لخاله الشنفرى الاكبر وكان من قصته أنه قال لحمته عضبا فسالت نفسه سكبا وقالوا ان الميت لا ينبعث منه الدم ولا يوجد فيه ولكن فى حال الحياة والنماء مع الحرارة والرطوبة لان كل حى فيه حرارة ورطوبة فاذا مات بقى اليبس والبرد ونفيت الحرارة

قال ابن براق من كلمة

ولم لاقيت ذا حب شديد
تسيل به النفوس على الصدور
اذا الحرب العوان به استهامت
وحال فذاك يوم قطرير

(وطائفة منهم) تزعم أن النفس طائر ينبسط فى جسم الانسان فاذا مات أو قتل لم يزل مطيفا به متصورا اليه فى صورة طائر يصرخ على قبره مستوحشا وفى ذلك يقول بعض الشعراء وذكر أصحاب الفيل

سلط الطير والمنون عليهم * فلهم فى صدى المقابر هام

لان هذا الطائر يسمونه الهام والواحدة هامة وجاء

وانشد له

ياصاحب المال لم تمنع * لقوله ماعندكم ينفد
فاعمل به خيرا فوالله ما * يبقى ولا أنت به مخلد

وله

ان شئت أن تجد العدو وقد غدا * لك صاحبا يولى الجميل ويحسن
فاعمل كما قال الخبير بخلقه * فى قوله ادفع بالتى هى احسن

وله

اذا شئت رزقا بلا حسبة * فلذ بالتقى واتبع سبله
وتصديق ذلك فى قوله * ومن يتق الله يجعل له

واورد له ايضا

عمل ان لم يوافق نية * فهو غرس لا يرى منه ثمر
انما الاعمال بالنيات قد * نصه عن سيد الخلق عمر

وقوله

الخير فى اشياء عن خير الورى * وردت فأبدت كل نهج بين
دع ما يريبك واعملن بنية * وازهد ولا تغضب وخلقك حسن

وقوله

حياء المرء يزجره فيخشى * ففف من لا يكون له حياء
فقد قال الرسول بان عما * به نطق الكرام الانبياء
اذا ما انت لم تستحى فاصنع * كما تختار وافعل ما تشاء

وقوله

قال الرسول الحياء خير * فاصحب من الناس ذا حياء
وعن قليل الحياء فابعد * فخيره ليس ذا رجاء

وقوله

من سلم المسلمون كلهم * وآمنوا من لسانه ويده
فذلك المسلم الحقيق بذا * جاء حديث لا شك فى سنده

ولابن جابر مما كتب به الى الصلاح الصفدى

ان البراعة لفظ انت معناه * وكل شئ بديع انت مغناه
انشاد نظمك اشهى عند سامعه * من نظم غيرك لو استحق غناه

وهى طويلة فاجابه الصفدى بقوله

يا فاضلا كرمت فينا سجاياه * وخصنا بالآلى فى هداياه
خصصتنى بقريض شف جوهره * لما تألق منه نور معناه
من كل بيت مبانيه مشيدة * كم من خبايا معان فى زواياه

وهى طويلة *(رجع) الى نظم ابى جعفر فمن ذلك قوله

الاسلام وهم على ذلك يكون صغيرا ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم وهى أبدا تتوحش وتصدح وتوجد أبدا فى الديار المعطلة والنواويس وحيث مصارع الموتى ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت فى محلته يفنائهم لتعلم ما يكون بعده فتخبره به حتى قال الصلت بن أمية لبنيه هامتى تخبرنى بما تستشعر فتجنبوا الشنعاء والمكروها (وفى ذلك يقول فى الاسلام توبة فى ليلى الاخيلية)

ولوان ليلى الاخيلية سلمت * على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة اوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

وهذا من قولهم يدل على ان الصدى ينزل الى قبورهم ويصعد ومن ذلك ماروى عن حاتم طيئ مما سنورد خبره فى هذا الكتاب

اتيت لعجبك تبغى القرى * لدى حفرة صدحت هامها

وسنذكر هذا الشعر فى اخبار الحجاج بن يوسف مع ليلى الاخيلية من هذا الكتاب وقد قيل ان هذه الابيات لغير توبة وهذا كثير فى اشعارهم

تريك قذا على ردف تحاذبه * كأنه وطلة في كثيب الرمل قد نبتت
ريا القرنفل في ريح الصبا سحرا * يضوع منها اذا نحوى قد التفتت

عقد بهما ألفاظ قول امرئ القيس

اذا التفتت نحوى تضوع ريحها * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

واورد له قوله

ولو لا نجاء العيس حول ديارها * غداة منى لم يبق في الركب محرم
فوق ذرى المتنين برد مهلل * وتحت رداء الخز وجه معلم

عقد في الاول قول ابن الخطيم

ديار التي كنا ونحن على منى * تحوط بنا ولا نجاء الركائب

وعقد في الثاني قول ابن أخي ربيعة

أما طت رداء الخز عن حر وجهها * وأرخت على المتنين بردا مهلا

وأورد له قوله

ان ادعى لك مروان الجلال فقل * لا يجهل المرء بين الناس رتبته
ان الجلالة حقا للقول له * هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

وقوله

من منصفي يا قوم من ظبية * تسرف في هجري وتأبى الوصال
وكلما أسأل عن عذرها * تقول لي ما لك عذر يقال

وقوله

هم حسدوا الرسول فلم يجيبوا * وكم حسدوا فصار لهم فرار
وهاجر عند ما هجروا فاضحى * لخيمة أم معبد الفغار

وقوله

يحسبك أن تبيت على رجاء * ولو خطبتك للباس الخطوب
ومهما أكربتك صروف دهر * فقل ما قاله الرجل الاريب
عسى الكرب الذي أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

وقوله

خليلي هذا قبر أشرف مرسل * فقفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
رويد كما نبكي الذنوب التي خلت * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
منازل كانت للتصافي فانفرت * لما نسجتها من جنوب وشمأل

قال ثم جرى على هذا النمط واستخرج الدرر النفيسة من ذلك السفط وقال قبله انه أخذ اعجاز هذه القصيدة من أولها الى آخرها على التوالي وصنع اصدورا وصرفها الى مدح النبي صلى الله عليه وسلم فجاء في ذلك بما لم يسبق اليه ولم يقف أحد في تلك المعاني على ما وقف عليه انتهى وقوله

لم ليال خلت بكم كالليالي * نظمتها لنا يد الازمان

من أهل الملل ممن سلف وخلف كلام كثير في تنقل الارواح قد أتينا على مبسوط ذلك في كتابنا المترجم بسر الحياة وكتاب الدعاوى وبالله التوفيق

(ذكر أقاويل العرب في الغيلان والتغول وما لحق بهذا الباب)

للعرب في الغيلان والتغول أخبار طريفة العرب يزعمون أن الغول يتغول لهم في الخلوات ويظهر لخواصهم في أنواع من الصور فيغاطبونها ويعاضيفوها وقد أكثروا من ذلك في أشعارهم فمنها قول تأبط شرا

وأدهم قد جبت جلبابه * كما اجتابت الكاعب الخيعلا
فاصبحت والغول لي جارة * فيا جارتي أنت ما أهولا
وطالبتها بضعها فالتوت * بوجه تغول فاستغولا
فمن كان يسأل عن جارتي * فان لها بالفلا منزلا

و يزعمون أن رجليها رجلا عنز وكانوا اذا اعترضتهم الغول في الفيافي يرتجزون ويقولون

يا رجل عنزا نهق نهيقا * أن تنزلي السهل والطريقا

وذلك أنها كانت تتراءى لهم في الليالي وأوقات النهار فيتوهمون أنها انسان فيتبعونها فتزيلهم عن الطريق التي هم عليها وتتيههم وكان ذلك قد اشتهر عندهم وعرفوه فلم

أيها الفازحون عن رأى عينى * وهم فى جوانحى وجنانى
ما ألذ الوصال بعد التنائى * وامر الفراق بعد التدانى
قد وكلنا كل رب كريم * غيروان عن عبده فى أوان
ما رحلنا عن اختيار ولكن * رحلتنا تلونات الزمان

وقوله

تشتكى الصفر من يديه وترضى السمر عن راحتيه عند الحروب
أحمر السيف أخضر السيب حيث الارض غبراء من سواد الخطوب

وقوله مما التزم فى أوله الدال

دفاع لمكروه أمان لخائف * سحاب لمستجدى لملك لمستعدى
دروب على الحسنى عفو لمن جنى * مثيب لمن أثنى مجيب لذى قصد
دع الغيث ان أعطى دع الليث ان سطا * دع الروض اذ أهدى دع البدر اذ يهدى

وقوله

غزال ما توسد ظل بان * بهاجرة ولا عرف الظلالا
تبسم لؤلؤا واهتز غضا * وأعرض شادنا وبدا هلالا

وقوله

رفع الخصر فوق منصوب ردف * وجزم القلوب فرعيه جزما
مال غصنا دنا رشا فاح مسكا * باه درا أرخى دجى لاح بدرا

وقوله حين زار قبر قس بن ساعدة بجبل سمعان

هذى منازل ذى العلا * قس بن ساعدة الايادى
كم عاش فى الدنيا وكم * اسدى الينا من أيادى
قد زانها بحلى البلا * غة مفصحا فى كل نادى
قد قر فى بطن الثرى * متفردا بين العباد

قال أبو جعفر زرنا قبره فرأينا موضعا تراح اليه النفس و يلوح عليه الانس وعند قبره عين ماء يقال انه ليس بجبل سمعان عين تجرى غيرها هنالك وأورد له قوله

كرام نخام من ذؤابة هاشم * يقولون للاضياف أهلا ومرحبا
فيفعل فى فقر المقلين جودهم * كفعل على يوم حارب مرحبا

(رجع) الى أبى جعفر رحمه الله تعالى فنقول انه كان بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم سنة ٧٥٥ ولما ذكر الروضة قال قيل ولا تكون الروضة الا بما سقتها أزال جنبها ٣ ولا يقال فى موضع الشجر روضة انتهى وقال

لقوامه الالف التى * جاءت بحسن ما ألف
عانقته فكأننى * لام معانقة الالف

وقال رحمه الله تعالى معتذرا عمن لم يسلم

لا تعتبن على ترك السلام فقد * جاءتك أحرفه كتبا بلا قلم

يكونوا يزولون عما كانوا ورؤس الجبال (وقد ذكر جماعة) من الصحابة منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه شاهد ذلك فى بعض أسفاره الى الشام وان الغول كانت تغوّل له وانه ضربها بسيفه وذلك قبل ظهور الاسلام وهذا مشهور عندهم فى أخبارهم (وقد حكى) عن بعض المتقدمين أن الغول حيوان شاذ من جنس الحيوان لم تحكمه الطبيعة وانه لما خرج منفردا فى نفسه وهيئته توحش من مسكنه فطلب القفار وهو يناسب الانسان والحيوان البهيمى فى الشكل وقد ذهبت طوائف من الهند الى أن ذلك انما يظهر من فعل ما كان غائبا من الكواكب عند طلوعها مثل طلوع الكوكب المعروف بكلب الجبار وهى الشعرى العبور وأن ذلك يحدث داء فى الكلاب وسهيل فى الحمل والذئب فى الدب وحامل رأس الغول يحدث عند طلوعه تماثيل وأشخاص تظهر فى الصحارى وغيرها من العالم فتسميه عوام الناس غولا وهى ثمانية وأربعون كوكبا وقد

٣ قوله الا بما سقتها الخ كذا فى نسخة المؤلف رحمه الله تعالى انتهى من هامش فالسن

فالسين من طرتى واللام مع ألف * من عارضى وهذا الميم ميم فمى

وقال رحمه الله تعالى

لا تقنطنك ذنب * قد كان منك عظيم
فالله قد قال قولا * وهو الجواد الكريم
نبئ عبادى أنى * أنا الغفور الرحيم

وقال

اذا ظلم المرء فاصبر له * فبالقرب يقطع منه الوتين
فقد قال ربك وهو القوى * وأملى لهم ان كيدى متين

ومن نثره لما ذكر قصيدة كعب بن زهير رضى الله تعالى عنه ما نصه وهذه القصيدة لها الشرف الراسخ والحكم الذى لم يوجد له ناسخ أنشدها كعب فى مسجد المصطفى بحضرته وحضرة أصحابه وتوسل بها فوصل الى العفو عن عقابه فسد صلى الله عليه وسلم خاتمه وخلع عليه حلته وكف عنه كف من أراده وأبلغه فى نفسه وأهله مراده وذلك بعد اهدار دمه وما سبق من هذر كله فمحت حسناتها تلك الذنوب وسترت محاسنها وجه تلك العيوب ولولاها لمنع المدح والغزل وقطع من أخذ الجوائز على الشعر الامل فهى حجة الشعراء فيما سلكوه وملاك أمرهم فيما ملكوه حدثنى بعض شيوخنا بالاسكندرية باسناده ان بعض العلماء كان لا يستفتح مجلسه الا بقصيدة كعب فقيل له فى ذلك فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قصيدة كعب أنشدها بين يديك فقال نعم وأنا أحبها وأحب من يحبها قال فعاهدت الله ان لا أخلو من قراءتها كل يوم قلت ولم تزل الشعراء من ذلك الوقت الى الآن ينسجون على منوالها ويقتدون باقوالها تبركا بمن أنشدت بين يديه ونسب مدحها اليه ولما صنع القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر قصيدة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم على وزن بانت سعاد قال

لقد قال كعب فى النبى قصيدة * وقلنا عسى فى مدحه نتشارك
فان شملتنا بالجوائز رحمة * كرحمة كعب فهو كعب مبارك

انتهى

وقال رحمه الله تعالى

لقد كر العذار بوجنتيه * كما كر الظلام على النهار
فغابت شمس وجنته وجاءت * على مهل عشيات العذار
فقلت لناظرى لما رآها * وقد خلط السواد بالاحمرار
تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

وقال

قالوا عشقت وقد أضر بك الهوى * فاجبتهم يا ليتنى لم أعشق
قالوا سبقت الى محبة حسنه * فاجبتهم ما فاز من لم يسبق

ولما أنشدنا رحمه الله تعالى قول ابن الخشاب فى المستضىء بالله

ورد الورى سلسال جودك فارتووا * ووقفت دون الورد وقفة حائم

المعروف بالمدخل الكبير فى النجوم وذكر كيفية صورة كل كوكب عند ظهوره فى أنواع مختلفة (وزعمت طائفة) من الناس أن الغول شئ يعترض للسفار ويتمثل فى ضروب من الصور ذكرا كان أو أنثى الا أن أكثر كلامهم على انه أنثى وقد قال أبو المطراب وحالفنى الوحوش على الوفاء

وتحت عهودهن وبا البعاد وغولا قفرة ذكرا وأنثى

كأن عليهما قطع النجاد

وقال آخر وهو كعب بن زهير الصحابى

فما تدوم على حال تكون بها

كما تلون فى أثوابها الغول

وقد قدمنا ذكر ذلك فيما سلف من هذا الكتاب فى هذا المعنى وأن كل كوكب يظهر فى صورة مخالفة لما تقدمه من الصور يحدث فى هذا العالم نوعا من الافعال ينفرد بفعله عن غيره من الكواكب (وكانت العرب) قبل الاسلام تزعم أن الغيلان تتوقد بالليل النيران للعبث والتحيل واختلال النابلة قال أبو المطراب

فلله در الغول أى رفيقة * لصاحب قفر خالف وهو معبر
أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت * حوالى نيرانا تلوح وتزهر

وقد ذكر قوابين السعلاة والغول قال عبيد بيت بسعلاة وغول بقفرة اذا الليل وارى اللعن فيه أرنت (وقد وصفها بعضهم فقال) جافر العنز فى ساق مدملجة وجفن عين خلاف الانس بالطول (وللناس) كلام كثير فى الغيلان والشياطين والمردة والجن والقرب والقدار وهو نوع من الانواع المشيطنة يعرف بهذا الاسم يظهر فى اكناف اليمن وانتهائم وأعالى صعيد مصر وانه ربما يلحق الانسان فينكعه فيتقدد ره فيموت وربما يتوارى للانسان فيذعره فاذا اصاب الانسان ذلك منه يقول له اهل تلك النواحى التى سمينا المنكوح هو أم مذعور فان قالوا منكوح يئس منه وان كان مذعورا أسكن روعه وشجع مما ناله وذلك ان الانسان اذا عاين ذلك سقط مغشيا عليه ومنهم من يظهر له ذلك فلا يكترث به لشهامة قلبه وشجاعة نفسه وماذكرنا مشهور فى البلاد التى سمينا ويمكن جمع ما قلنا مما حكيناه عما ذكرنا من هذه البقاع التى يكون فيها ضروب من السوانح الفاسدة والخواطر الرديئة او غير ذلك من الآفات فليراجع

وباخرة منى ولو ان عينها * رأت مارأت عينى من الهول جنت

ظما آن أطلب خفة من زحمة * والورد لا يزداد غير تزاحم

قال ما نصه فانظر حسن هذين البيتين كيف جريا كالماء فى سلاسته ووقعا من القلوب كالشهد فى حلاوته مع أن ناظمهما ماخرج عن وصف الماء كلامه ولا تعدى ذلك المعنى نظامه حتى قيل ان فيهما عشرة مواضع من مراعاة النظير فهما فى الحسن مالهما من نظير لكنه ما سلم مليح من عيب ولا خلا من وقوع ريب فمع هذه المحاسن الوافية ما سلما من عيب القافية انتهى ولنختم ترجمته بقوله عند شرح بيت رفيقه

خير الليالى لياليا لخير فى اضم * والقوم قد بلغوا اقصى مرادهم

ما نصه يقول ان خير الليالى التى تنشرح لها الصدور ويحمد فيها الورود والصدور ليالى الخير فى اضم حيث النزيل لم يضم والقوم قد وردوا موارد الكرم وبلغوا اقصى مرادهم فى ذلك الحرم * (ومن الراحلين الولى الصالح ابو مروان عبد الملك بن ابراهيم بن بشر القيسى) وهو ابن اخت ابن صاحب الصلاة البجانسى نسبة الى بجانس قرية من قرى وادى آش وكان رحمه الله تعالى اواسط المائة السابعة وقد ذكره الفقيه ابو العباس احمد بن ابراهيم بن يحيى الازدى القشتالى فى تاليفه الذى سماه تحفة المغرب ببلاد المغرب وقال فيه رأضوا نفوسهم لتنقاد للولى سراو علنا وزهدوا فى الدنيا فلم يقولوا معنا ولا لنا وانتدبوا القول الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال صاحب التاليف المذكور سالت الشيخ أبا مروان يوما فى مسيرى معه من وادى آش الى بلده بجانس سنة تسع وأربعين وستمائة فقلت له أنت ياسيدى لم تكن قرأت ولا لازمت المشايخ قبل سفرك للشرق ولا سافرت مع عالم تقتدى بسيرته فى هذا الطريق فقال لى أقام الله تعالى من باطنى شيخا قلت له كيف قال كنت اذا عرض لى أمر نظرت فى خاطرى فيخطر لى خاطران فى ذلك أحدهما محمود والآخر مذموم فكنت اجتنب المذموم وارتكب المحمود فاذا وصلت الى اقرب بلد سالت عمن فيه من المشايخ والعلماء فاساله عن ذلك فكان يذكر لى المحمود محمودا والمذموم مذموما فأحمد الله تعالى ان وفقنى ومع تتابع ذلك واتصاله دون مخالفة لم اعتمد على ما يقع بخاطرى من الامور الشرعية الى الآن حتى اسال عنه من حضر من العلماء انتهى ومن كلام صاحب التاليف المذكور قوله فى حق الصوفية نفعنا الله تعالى بهم خواطر يق الحق فخاماهم ونور بصائرهم فاصمهم عن الباطل واعماهم واهانوا فى رضاه نفوسهم ورفضوا نعماهم فاعلى قدرهم عنده وعند الناس واسماهم انتهى وما احسن قوله فى التاليف المذكور باهذا من حافظ حوفظ عليه ومن طلب الخير بصدق وصل اليه ومن اخلص العبودية لربه قام الاحرار خدمة بين يديه انتهى * (ومنهم الطبيب الماهر الشهير ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن احمد بن البيطار المالقى) نزيل القاهرة وهو الذى عناه ابن سعيد فى كتابه المغرب بقوله وقد جمع ابو محمد المالقى الساكن الآن بقاهرة مصر كتابا فى هذا الشان حشر فيه ما سمع به فقد رعليه من تصانيف الادوية المفردة ككتاب الغافقى وكتاب الزهراوى وكتاب الشريف الادريسى الصقلى وغيرها وضبطه على حروف المعجم وهو النهاية فى مقصده انتهى وقد ذكرت كلام ابن سعيد هذا بجملته فى غير هذا الموضع

فليراجع وكان ابن البيطار اوحد زمانه فى معرفة النباتات سافر الى بلاد الاغارقة واقصى بلاد الروم والمغرب واجتمع بجماعة كثيرة من الذين يعانون هذا الفن وعاين منابته وتحققها وعاد بعد أسفاره وخدم الكامل بن العادل وكان يعتمد عليه فى الادوية والحشائش وجعله فى الديار المصرية رئيسا على سائر العشابين وأصحاب البسطات ومن بعده خدم ولده الصالح وكان حظيا عنده الى أن توفى بشعبان سنة ٦٤٦ التى توفى بها ابن الحاجب وله من المصنفات كتاب الجامع فى الادوية المفردة وكتاب المغنى أيضا فى الادوية وكتاب الابانة والاعلام بما فى المنهاج من الخلل والاوهام وكتاب الافعال العجيبة والخواص الغريبة وشرح كتاب ديسقوريدوس قال الذهبى انتهت اليه معرفة تحقيق النبات وصفاته وأما كنه ومنافعه وتوفى بدمشق انتهى * (ومنهم الشيخ أبو الحسن على ابن محمد بن محمد بن على القرشى البسطى) الشهير بالقلصادى بفتحات كما قال السخاوى الصالح الرحلة المؤلف الفرضى آخر من له التآليف الكثيرة من أئمة الاندلس واكثر تصانيفه فى الحساب والفرائض كشرحيه الجميين على تلخيص ابن البناء والحوفى وكفاه فخرا أن الامام السنوسى صاحب العقائد أخذ عنه جملة من الفرائض والحساب وأجازه جميع مروياته وأصله من بسطة ثم انتقل الى غرناطة فاستوطنها وأخذ بها عن جماعة كابن فتوح والسرقسطى وغيرهما ثم ارتحل الى المشرق ومر بتلمسان فاخذ بها عن الامام عالم الدنيا ابن مرزوق والقاضى أبى الفضل قاسم العقبانى وأبى العباس بن زاغ وغيرهم ثم ارتحل فلقى بتونس تلامذة ابن عرفة كابن عقاب والقلشانى وحلولو وغيرهم ثم حج ولقى أعلاما وعاد فاستوطن غرناطة الى أن حل بوطنه ماحل فتحيل فى خلاصه من الشرك وارتحل ومر بتلمسان فنزل بها على الكفيف ابن مرزوق ابن شيخه ثم جدت به الرحلة الى أن وافته منيته بباجة افريقية منتصف ذى الحجة سنة ٨٩١ وكان كثير المواظبة على الدرس والكتابة والتأليف ومن تآليفه أشرف المسالك الى مذهب مالك وشرح مختصر خليل وشرح الرسالة وشرح التلقين وهداية الانام فى شرح مختصر قواعد الاسلام وهو شرح مفيد وشرح رجز القرطبى وتنبيه الانسان الى علم الميزان والمدخل الضرورى وشرح ايساغوجى فى المنطق وله شرح الانوار السنية لابن جزى وشرح رجز الشرازى فى الفرائض الذى أوله

بحمد خير الوارثين أبتدى * وبالسراج النبوى أهتدى

وشرح حكم ابن عطاء الله ورجز أبى عمرو بن منظور فى أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وشرح البردة ورجز ابن برى ورجز شيخه أبى اسحق بن فتوح فى النجوم الذى أوله

سبحان رافع السماء سقفا * ناصبها دلالة لا تخفى

وشرح رجز ابن مقرعة وله النصيحة فى السياسة العامة والخاصة وهداية النظار فى تحفة الاحكام والاسرار وكشف الحجاب عن علم الحساب وكشف الاسرار عن علم الغبار والتبصرة وقانون الحساب فى قدر التلخيص وشرحه وشرحان على التلخيص كبير وصغير وشرح ابن الياسمين فى الجبر والمقابلة ومختصره وكليات الفرائض وشرحها وشرحان

ولنذكر فى هذا الكتاب ماذكره اهل الشرائع وما ذكره اهل التواريخ والمصنفون لكتب البدو كوهب بن منبه وابن اسحق وغيرهما ان الله تعالى خلق الجان من نار السموم وخلق منه زوجته كما خلق حواء من آدم وان الجان غشيها فحملت منه وانها باضت احدى وثلاثين بيضة وان بيضة تفلقت من تلك البيض عن قطربة وهى ام القطارب وان القطربة على صورة المرة وان الابالس من بيضة اخرى منهم الحرث ابو مرة وان مسكنهم الجزائر وان الغيلان من بيضة اخرى مسكنهم الخرابات والفلوات وان السعالى من بيضة اخرى سكنوا الحمامات والمزابل وان الهوام من بيضة أخرى سكنوا الهواء فى صورة الحيات ذوات اجنحة يطيرون هنالك وان من بيضة اخرى الحماميص لا ناقد ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا واتينا على ذكر انسابهم والمشهور من اسمائهم ومساكنهم من الارض والبحار وان كان ماذكره اهل الشرع

مما وصفناه ممكنا غير ممتنع ولا واجب وان كان اهل النظر والبحث والمستعملون لقضية العقل والفحص

وغيرهم اذ الواجب على كل ذى تصنيف ان يورد جميع ما قاله اهل الفرق فى معنى ما ذكرناه واتينا ايضا على سائر ما خبرنا من الاشخاص التى هى مرئية من الجن والشياطين وما قالوه فى سلوك الجن فى كتابنا المترجم بكتاب المقالات فى اصول الديانات وبالله التوفيق

(ذكر قول العرب فى الهواتف والجان)

فاما الهواتف فقد كثرت فى العرب واتصلت بديارهم وكان أكثرها أيام مولد النبى صلى الله عليه وسلم وفى أوّليه مبعثه ومن حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئى (قال المسعودى) وقد تنازع الناس فى الهواتف والجان فذكر فريق منهم وقال ان ما تذكره العرب وتنبئ به من ذلك انما يعرض لها من قبل التوحد فى القفار والتفرد فى الاودية والسلوك فى المهامه والمروراة الموحشة لان الانسان اذا صار فى مثل هذه الاماكن يوجد له تفكر ووجل وجبن واذا هو جبن داخلته الظنون الكاذبة والاوهام المؤذية والسوداوية الفاسدة فصوّرت له الاصوات ومثلت له الاشخاص واوهمته المحال وكان

للتلمسانية كبير وصغير وشرح فرائض صالح بن شريف وابن الشاط وفرائض مختصر خليل والتلقين وابن الحاجب وله كتاب الغنية فى الفرائض وغنية النجاة وشرحاها الكبير والصغير وتقريب المواريث ومنتهى العقول البواحث وشرح مختصر العقبانى ولم يتم ومدخل الطالبين ومختصر مفيد فى النحو وشرح رجز ابن مالك والجرومية وجمل الزجاجى وملحة الحريرى والخزرجية ومختصر فى العروض وغير ذلك وأخذ بمصر عن الحافظ ابن حجر والزين طاهر الفويرى وأبى القاسم النويرى والعلامة الجلال المحلى والتقى الشمنى وأبى الفتح المراغى وغيرهم حسبما ذكر ذلك فى رحلته الشهيرة وهى حاوية لشيوخه بالمغرب والمشرق وجملة من احوالهم رحم الله تعالى الجميع

*(ومنهم أبو عبد الله الراعى وهو شمس الدين محمد بن اسمعيل الاندلسى الغرناطى) ولد بها سنة ٧٨٢ تقريبا ونشابها وأخذ الفقه والاصول والعربية عن جماعة منهم أبو جعفر أحمد بن ادريس بن سعيد الاندلسى وسمع على أبى بكر عبد الله بن محمد بن محمد المعافرى ابن الدب ويعرف بابن أبى عامر والخطيب أبى عبد الله محمد بن على بن الحفار ومحمد بن عبد الملك ابن على القيسى المنتورى صاحب الفهرسة الكبيرة الشهيرة ومما أخذ عنه الجرومية باخذه لها عن الخطيب أبى جعفر احمد بن محمد بن سالم الجذامى عن القاضى أبى عبد الله محمد ابن ابراهيم الحضرمى عن مؤلفها أبى عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجى عرف بابن آجروم وجميع خلاصة الباحثين فى حصر حال الوارثين للقاضى أبى بكر بن عبد الله بن يحيى ابن زكريا الانصارى باخذه لها عن مؤلفها واجازله ابو الحسن على بن عبد الله بن الحسن الجذامى والقاضى أبو الفضل قاسم بن سعيد العقبانى والعلامة أبو الفضل محمد بن ابراهيم ابن عبد الرحمن ابن الامام وعالم الدنيا أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمسانى وغيرهم من المغاربة ومن أشياخه من أهل المشرق الكمال بن خير السكندرى والزين أبو بكر المراغى والزين محمد الطبرى وأبو اسحق ابراهيم بن العفيف النابلسى فى آخرين ودخل القاهرة سنة ٨٢٥ فحج واستوطنها وسمع بها من الشهاب المتبولى وابن الجزرى والحافظ ابن حجر وطائفة وأم بالمؤيدية وقتا وتصدى للاشتغال فانتفع به الناس طبقة بعد أخرى لاسيما فى العربية بل هى كانت فنه الذى اشتهر به وبجودة الارشاد لها وشرح كلا من الجرومية والالفية والقواعد وغيرها مما حمله عنه الفضلاء وله نظم وسط قال السخاوى كتبت عنه منه الكثير ومما لم أسمعه منه ما أودعه فى مقدمة كتاب صنفه فى نصرة مذهبه وأثبته دفعا لشئ نسب اليه فقال

عليك بتقوى الله ما شئت واتبع * أئمة دين الحق تهدى وتسعد
فمالكهم والشافعى وأحمد * ونعمانهم كل الى الخير يرشد
فتابع لمن أحببت منهم ولا تمل * لذى الجهل والتعصيب ان شئت تحمد
فكل سواهم فى وجيهة الاقتدا * متابعهم جنات عدن يخلد
وحبهم دين يزين وبغضهم * خروج عن الاسلام والحق يبعد
فلعنة رب العرش والخلق كلهم * على من قلاهم والتعصب يقصد

وكان حاد اللسان والخلق شديد النفرة من الشيخ يحيى المحيسى أضر بآخرة ومات بسكنه بالصالحية يوم الثلاثاء ٢٧ ذى الحجة سنة ٨٥٣ بعد أن أنشد قبيل موته بشهر فى حال صحته الشيخ جمال الدين بن الامانة من نظمه قوله

أفكر فى موتى و بعد فضيحتى * فيحزن قلبى من عظيم خطيئتى
وتبكى دماعينى وحق لها البكى * على سوء أفعالى وقلة حيلتى
وقد ذابت الاكبادى عنا وحسرة * على بعد أوطانى وفقد أحبتى
فمالى الا الله ارجوه دائما * ولا سيما عند اقتراب منيتى
فنسأل ربى فى وفاتى مؤمنا * بجاه رسول الله خير البرية

قال السخاوى ومما كتبته عنه

ألفيته حول المعلم باكيا * ودموعه قد صاغها من كوثر
نثر الدموع على الخدود فخلتها * درا تناثر فى عقيق أحمر

وقوله

عليك بنعمة رب العلا * وراعى الملوك لراعى الذمم
وذو العلم فارع له حقه * والا تفارق وتلق الندم
فهذا مقالى فلتسمعوا * نصيحة حبر من اهل الحكم
اذا كنت فى نعمة فارعها * فان المعاصى تزيل النعم

وقال

للغرب فضل شائع لا يجهل * ولاهله شرف ودين يكمل
ظهرت به أعلام حق حققت * ما قاله خير الانام المرسل
من انهم حتى القيامة لن يزا * لوا ظاهرين على الهدى لن يخذلوا

وممن حدث عنه الراعى الحافظ ابن فهد والبرهان البقاعى ومن تآليفه شرح القواعد وكتاب انتصار الفقير السالك لمذهب الامام الكبير مالك فى كراريس أربعة حسن فى موضوعه وله النوازل النحوية فى عشرة كراريس أو أكثر وفيها فوائد حسنة وابحاث رائقة تكلم معه فى بعضها أبو عبد الله بن العباس التلمسانى وذكر بعضهم انه اختصر شرح شيخه ابن مرزوق على مختصر الشيخ خليل من باب القضاء الى آخر الكتاب انتهى وجرت له فى صغره حكاية دلت على نبله وهى انه دخل على الطلبة رجل وهم بجامع غرناطة فسالهم عمن كان وراء امام فحدث للامام عذر فذهب لاجله مثل الرعاف مثلا فصلوا بعض الصلاة لانفسهم ثم اقتدوا بامام منهم فقدموه فيما بقى فهل تصح صلاتهم ام لا فلم يكن عند أحد من الحاضرين فيها علم فقال هو ان الصلاة باطلة لان النحاة يقولون الاتباع بعد القطع لا يجوز وقد حكى ذلك فى شرحه للجرومية الذى سماه بعنوان الافادة فى باب النعت اذ قال ما نصه كنت حالسا بمسجد قيسارية غرناطة أنتظر سيدنا وشيخنا أبا الحسن على بن سمعت رحمه الله تعالى مع جماعة من كبار طلبته وكنت اذ ذاك من أصغرهم سنا وأقلهم علما فدخل سائل سأل عن مسئلة فقهية نصها ان اماما صلى بجماعة جزأ من صلاة ثم غلب عليه

على غير نظام قوى او طريق مستقيم سليم لان المتفرد فى القفار والمتوحد فى المرورات مستشعر للمخاوف متوهم للتآلف متوقع للمحتوف لقوة الظنون الفاسدة على فكره واغراسها فى نفسه فتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف به واعتراض الجان له وقد كانت العرب قبل ظهور الاسلام تقول ان من الجن من هو على صورة نصف الانسان وانه كان يظهر لها فى اسفارها فى حين خلواتها وتسميه شقا (وذكر) عن علقمة بن صفوان بن امية ابن محدث الكنانى جد مروان بن الحكم لامه انه خرج فى بعض الليالى يريد مالا له بمكة فانتهى الى الموضع المعروف بخط عريان فاذا هو بشق قد ظهر له فى اوصاف ذكرها فقال علقم انى مقتول
وان لحيى ما كول
اضربهم بالمدنول
ضرب غلام مشمول
رحب الذراع بهلول
فقال علقمة
شق مالى وللك
اغمد عنى منصلك
تقتل من لا يقتلك
فضرب كل منهما صاحبه

فخر ميتين وهذا مشهور عندهم وان علقمة بن صفوان قتلته الجن (وذكروا) عن الجن

بيتين من الشعر قالتهما واستدلوا على ان هذا من قول الجن بان احدا من الناس لم يتأت له ان ينشد هذين البيتين ثلاث مرات متواليات لا يتتعتع في انشادها الان الناس قد ينشدون العشرين بيتا والاكثر والاقل اشد من هذا الشعر وانقل منه ولا يتتعتعون فيه (ومن قتلته) الجن مرداس السلمي وهو ابو عباس ابن مرداس السلمي ومنهم القريض المغني بعد أن ظهر غناؤه وقد كانت الجن نهته ان يغني بابيات من الشعر فغناها فقتلته (وحدث) يحيى بن عتاب عن علي بن حرب عن ابي عبيدة معمر بن المثنى عن منصور بن زيد الغائي قال رأيت قبر حاتم طيئ ببيعة وهو اعلى جبل له واد يقال له الحامل واذا قدر عظيمة من بقايا قدوره مكفأة ناحية من القبر من القدور التي كان يطعم فيها الناس وعن يمين قبره أربع جوار من حجارة وعلى يساره اربع جوار من حجارة كلهن صاحبة شعر منشور محتجرات على قبره كالنائحات عليه لم ير مثل بياض اجسامهن وجمال وجوههن مثلهن الجن على قبره ولم يكن قبل ذلك

الحدث فخرج ولم يتخلف لهم فقام كل واحد من الجماعة وصلى وحده جزأ من الصلاة ثم بعد ذلك استخلفوا من أتم بهم الصلاة فهل تصح تلك الصلاة أم لا فلم يكن فيها عند الحاضرين جواب فقلت أنا أجاوب فيها بجواب نحوي فقال هات الجواب فقلت هذا اتباع بعد القطع وهو ممتنع عند النحويين فصلاة هؤلاء باطلة فاستظرفها مني من حضر لصغر سني ثم طلبنا النص فيها فلم نلقه في ذلك التاريخ ولو لقيناه لكان الجواب حسنا انتهى ومن ألغازه قوله

حاجيتكم نحاتنا المصريه * أولى الذكا والعلم والطعميه
ما كلمات أربع نحويه * جمعن في حرفين للاجنبيه

يعني فعل الامر للواحد من وأى يئ اذا أضمر فانك تقول فيه اياز يد على حرف واحد وهو الهمزة المقطوعة فاذا قلت قل او نقلت حركته على لغة النقل الى الساكن صار هكذا قل فذهب فعل الامر وفاعله فهي كلمات أربع فعلا أمر وفاعلاهما جمعن في حرفين القاف واللام فافهم وأحسن من هذا قوله ملغزا في ذلك أيضا

في أي لفظ يا نحاة الملة * حركة قامت مقام الجملة

و بالجملة فمحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى و رضي عنه ومن فوائده قوله حكي لي بعض علماء المالكية قال كنا نقرأ المدونة على الشيخ سراج الدين البلقيني الشافعي فوقعت مسئلة خلافية بين مالك والشافعي فقال الشيخ في مسئلة مذهبنا كذا في مسئلة لم يقل فيها الشافعي بما قال وانما نسبها البلقيني لنفسه ثم فطن وخاف أن ينتقد عليه المالكية و يقولون له أنت شافعي وهذا ليس مذهب الشافعي فقال فان قلتم يا مالكية لسنا بمالكية وانما أنتم شافعية قلنا كذلك أنتم قاسمية وقد اجتمعنا الكل في مالك قال وهذا الكلام حلو حسن في غاية الانصاف من الشيخ قال ولما قرئ عليه كتاب الشفاء مدحه وأثنى عليه الى الغاية وكان يحضره جماعة من المالكية فقال القاضي جمال الدين ابنه مالكم يا مالكية لا تكونون مثل القاضي عياض فقال له أبوه الشيخ سراج الدين المذكور ومالك لا تقول للشافعية مالكم يا شافعية لا تكونون مثل القاضي عياض ومن فوائد الراعي في باب العلم من شرحه على الالفية في الكلام عشر خصال محمودة ينبغي أن تكون في كل فقير لا يزال جائعا وهو من دأب الصالحين ولا يكون له موضع يعرف به وذلك من علامة المتوكلين ولا ينام من الليل الا القليل وذلك من صفات المحبين واذا مات لا يكون له ميراث وذلك من أخلاق الزاهدين ولا يهجر صاحبه وان جفاه وطرده وذلك من شيم المريدين و يرضى من الدنيا بادنى يسير وذلك من اشارة القانعين واذا غلب عن مكانه تركه وانصرف الى غيره وذلك من علامة المتواضعين واذا ضرب وطرد ثم دعي أجاب وذلك من أخلاق الخاشعين واذا حضر شئ من الاكل وقف ينظر من بعد وذلك من أخلاق المساكين واذا رحل لم يرحل معه بشئ وذلك من علامة المتجردين انتهى بمعناه وقد نسبه للحسن البصري رحمه الله تعالى ورضي عنه عنه ومن تصانيفه رحمه الله تعالى كتاب الفتح المنير في بعض ما يحتاج اليه الفقير في غاية الافادة ملكته ولم أره بهذه البلاد المشرقية وحفظت منه فوائد متعة * (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق بعد أخذ جميع بلاد الاندلس) أعادها الله تعالى

قاضي الجماعة بغرناطة أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الازرق قال السخاوي انه لازم الاستاذ ابراهيم بن أحمد بن فتوح مفتي غرناطة في النحو والاصلين والمنطق بحيث كان جل انتفاعه به وحضر مجالس أبي عبد الله محمد بن محمد السرقسطي العالم الزاهد مفتيها أيضا في الفقه ومجالس الخطيب أبي الفرج عبد الله بن أحمد البقني والشهاب قاضي الجماعة بغرناطة ابي العباس احمد بن ابي يحيى بن شرف التلمساني انتهى وله رحمه الله تعالى تأليف منها بدائع السلك في طبائع الملك كتاب حسن مفيد في موضوعه لخص فيه كلام ابن خلدون في مقدمة تاريخه وغيره مع زوائد كثيرة ومنها روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم الاسلام مجلد ضخم فيه فوائد وحكايات لم يؤلف في فنه مثله وقفت عليه بتلمسان وحفظت منه ما انشده لبعض اهل عصره مما يكتب في سيف

ان عمت الافق من نقع الوغى سحب * فشم بها بارقا من لمع ايماضي
وان نوت حركات النصر أرض عدا * فليس للفتح الا فعلى الماضي

ومن انشائه في التأليف المذكور ما صورته قلت ولقد كان شيخنا العلامة أبو اسحق ابراهيم ابن أحمد بن فتوح قدس الله تعالى روحه يفسح لصاحب البحث مجالا رحبا ويوسع المراجع له قبولا ورحبا بل يطالب بذلك ويقتضيه ويختار طريق التعليم به ويرتضيه توقيفا على ما خاص له تحقيقه ووضح له في معيار الاختيار تدقيقه والا فقد كان ما يلقيه غاية ما يتحصل ويتمهد به مختار ما يحفظ ويتصل انتهى وهو يدل على ملكته في الاشياء وتحقق ما يحصله الا أن ذلك اذا طال حتى وقع الملل والضجر أو كاد فينبغي الامساك عن البحث لئلا يفضي الحال الى ما ينهى عنه قال ومخالفة التلميذ الشيخ في بعض المسائل اذا كان لها وجه وعليها دليل قائم يقبله غير الشيخ من العلماء ليس من سوء أدب التلميذ مع الشيخ ولكن مع ملازمة التوقير الدائم والاجلال الملائم فقد خالف ابن عباس عمر وعليا وزيد بن ثابت رضي الله تعالى عنهم وقد كان أخذ عنهم وخالف كثير من التابعين بعض الصحابة واذا أخذوا العلم عنهم وخالف مالك كثيرا من أشياخه وخالف الشافعي وابن القاسم وأشهب مالكا في كثير من المسائل وكان مالك أكبر أساتيذ الشافعي وقال لا أحد أمن علي من مالك وكاد كل من أخذ العلم أن يخالفه بعض تلامذته في عدة مسائل ولم يزل ذلك دأب التلاميذ مع الاساتيذ الى زماننا هذا قال وشاهدنا ذلك في أشياخنا مع أشياخهم رحمهم الله تعالى قال ولا ينبغي للشيخ أن يتبرم من هذه المخالفة اذا كانت على الوجه الذي وصفناه والله تعالى أعلم انتهى ولما أنشد ابن الازرق المذكور في كتابه روضة الاعلام قول القائل في مدح ابن عصفور

نقل النحو الينا الدولي * عن أمير المؤمنين البطل
بدأ النحو علي وكذا * ختم النحو ابن عصفور علي

قال بعده ما نصه علي أن صاحبنا الكاتب الاديب الابرع أبا عبد الله محمد بن الازرق الوادي آشي رحمه الله تعالى قد قال فيما يدافع ابن عصفور عما اقتضاه هذا المدح له بتفضيل الاستاذ المحقق أبي الحسن بن الضائع عليه ولقد أبدع في ذلك ما شاء لما تضمن من التورية بضائعك ابن الضائع للندب قد أتت * بحظ من التحقيق والعلم موفور

نسمع ذلك الى أن يطلع الفجر سكتن وهدأن ورجع السامر فيراهن فيفتتن بهن فيميل اليهن عجبا بهن فاذا دنا منهن وجدهن حجارة (وحدث) يحيى بن عتاب الجوهري قال حدثنا علي قال أنبأنا عبد الرحمن بن يحيى المنذري عن أبي المنذر هشام الكلبي قال حدثنا أبو مسكين بن جعفر بن محرز بن الوليد عن أبيه وكان مولى لابي هريرة يحدث قال كان رجل يكنى أبا البحتري مر في نفر من قومه بقبر حاتم طيئ فنزلوا قريبا منه فبات أبو البحتري يناديه يا أبا الجعد اقرنا فقال قومه مهلا ما تكلم من رمة بالية قال ان طيئا تزعم أنه لم ينزل به أحد قط الا قراه وناموا فانتبه صائحا وارتحلناه فقال له أصحابه ما بالك قال خرج حاتم من قبره بالسيف وأنا أنظر حتى عقرنا قتى قالوا له كذبت ثم نظروا الى ناقته بين نوقهم منجدلة لا تنبعث فقالوا له والله قراك فظلوا يأكلون من لحمها شواء وطبيخا حتى أصبحوا ثم أردفوه وانطلقوا سائرين فاذا راكب بعير يقود آخر قد لحقهم فقال

 أيكم أبو البحتري فقال أبو البحتري أنا ذلك قال أنا عدي بن حاتم وان حاتما جاءني الليلة في النوم

الجبل فذكر شتمك اياه وانه قرا اصحابك براحلتك وأنشد

ونحن نزول وراء هذا
أبا البحترى لأنت امرؤ
ظلوم العشيرة شتامها
أتيت بصحبك تبغى القرى
لدى حفرة صدحت هامها
أتبغى لدى الرم عند المبيت
وحولك طى وانعامها
فانا سنشبع أضافنا
ونأتى المطى فنعتامها
وقد أم فى أن احملك على
بعير مكان راحلتك فدونكه
وقد ذكر هذا سالم بن زرارة
الغطفانى فى مدحه عدى
ابن حاتم حيث يقول
ابوك ابو سباقة الخير لم يزل
لدن شب حتى مات فى الخير راغبا
به تضرب الامثال فى الشعر
ميتا
وكان له اذ ذاك حيا
مصاحبا
قرى قبره الاضياف اذ
نزلوا به
ولم يقر قبر قبله الدهر راكبا

(وحدث) أبو محمد بن الحسن بن دريد عن أبى حاتم السجستانى عن أبى عبيدة معمر بن المثنى قال سمعت شيخا من العرب قد أناف على المائة يقول انه خرج وافدا على بعض ملوك بنى أمية قال فسرت فى ليلة صحيا كيسة حالكة كأن السماء قد برقعت نجومها بطرائق السحاب وضللت الطريق فتوخيت واديا لا اعرفه فاهمتنى نفسى بطرحها حتى - فقلت

فطرت عقابا كاسرا أو ماترى * مطارك قد أعيا جناح ابن عصفور

انتهى وقد نقل عن ابن الازرق صاحب المعيار فى جامعه وأثنى عليه غير واحد ومن أعظم تآليفه شرحه الحافل على مختصر خليل المسمى بشفاء الغليل فى شرح مختصر خليل وقد توارد معه الشيخ ابن غازى على هذه التسمية وكان مولانا العم الامام شيخ الاسلام سيدى سعيد بن أحمد المقرى رضى الله تعالى عنه قال لى حين سألته عن هذا التوارد لعل تسمية ابن الازرق شفاء الغليل بالعين قلت يبعد ذلك أن جماعة من تلامذته الاكابر كالوادى آشى وغيره كتبوه بخطوطهم بالغين فبان انه من تواردا لخواطر وأن كلا منهم لم يقف على تسمية الآخر والله تعالى أعلم وقد رأيت جملة من هذا الشرح بتلمسان وذلك نحو ثلاث مجلدات ولا أدرى هل أكمله أم لا الان تقديره بحسب ما رأيت يكون عشرين مجلدا اذ المجلد الاول ما أتم مسائل الصلاة ورأيت الخطبة وحدها فى أكثر من كراسة أبان فيها عن علوم ولم أر فى شروح خليل مع كثرتها مثله ودخل تلمسان لما استولى العدو على بلاد الاندلس ثم ارتحل الى المشرق فدخل مصر واستنهض عزائم السلطان قايتباى لاسترجاع الاندلس فكان كمن يطلب بيض الانوق أو الابيض العقوق ثم حج ورجع الى مصر فجدد الكلام فى غرضه فدافعوه عن مصر بقضاء القضاة فى بيت المقدس فتولاه بنزاهة وصيانة وطهارة ولم تطل مدته هنالك حتى توفى به بعد سنة خمس وتسعين وثمانمائة حسبما ذكره صاحب الانس الجليل فى تاريخ القدس والخليل فليراجع فانه طال عهدى به ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى قوله فى المحبوبات

ورب محبوبة تبدت * كانها الشمس فى حلاها
فاعجب لحال الانام من قد * أحبها منهم قلاها

ومنه قوله رحمه الله تعالى

عذرى فى هذا الدخان الذى * جاور دارى واضح فى البيان
قد قلتم ان بها زخرفا * ولا يلى الزخرف الا الدخان

وقوله

تأملت من حسن الربيع نضارة * وقد غردت فوق الغصون البلابل
حكت فى غصون الدوح قسا فصاحة * لتعلم أن النبت فى الروض باقل

وقوله

وقائلة صف للربيع محاسنا * فقلت وعندى للكلام بدار
همى ببطاح الارض صوب من الحيا * فلا نبت فى وجه الزمان عذار

وقوله

تعجبت من يانع الورد فى * سنى وجنة نبتها بارض
ولم لا يرى وردها يانعا * وقد سال من فوقها العارض

وقوله رحمه الله تعالى عند وفاة والدته

تقول لى ودموع العين واكفة * ما أفظع البين والترحال ياولدى

فقلت أين السرى قالت لرحمة من * قد عز فى الملك لم يولد ولم يلد

قال تلميذه الحافظ ابن داود مما ألفيته بخط قاضى الجماعة أبى عبد الله بن الازرق عن على رضى الله تعالى عنه من أراد أن يطول الله عمره ويظفر بعدوه ويصان من فتن الدنيا ويوسع عليه باب رزقه فليقل هذا التسبيح اذا أصبح ثلاثا واذا أمسى ثلاثا سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش والحمد لله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش ولا اله الا الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش والله أكبر ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم مثل ذلك وصلى الله على سيدنا محمد وآله مثل ذلك قال وبخطه أيضا اللهم رزق وما يراد يا باسط يا جواد يا على يا عرشك بحق حقك على جميع خلقك ابسط لى رزقك وسخر لى خلقك وبخطه أيضا بسم الله الرحمن الرحيم الدافع المانع الحافظ الحى القيوم القوى القادر الولى الناصر الغالب الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم وبخطه أيضا يا فتاح يا عليم يا نور يا هادى يا حق يا مبين افتح لى فتحا تنور به قلبى وتشرح به صدرى واهدنى الى طريق ترضاه وبين لى أمرى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا انتهى وقال رحمه الله تعالى موريا

من تكن صنعته الانشاء لا * ينكر الرزق لاقصى العمر
ولو استعلى على السبع الدرا * رى بما فى ـــه من درر
فانا الكاتب لكن لو يبا * ع الى العتق لكنت المشترى

هكذا رأيت نسبتها اليه ولتختم ترجمته بل والباب جميعا بقوله رحمه الله تعالى عند نزول طاغية النصارى بمرج غرناطة أعادها الله تعالى للاسلام بجاه النبى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام

مشوق بخيمات الاحبة مولع * تذكره نجد وتغريه لعلع
مواضعكم يا الأيمن على الهوى * فلم يبق للسلوان فى القلب موضع
ومن لى بقلب تلتظى فيه زفرة * ومن لى بجفن تنهمى منه أدمع
رويدك ثم ارقب للطائف موضعا * وخل الذى من شره يتوقع
وصبرا فان الصبر خير غنيمة * وبا فوز من قد كان للصبر يرجع
وبت واثقا باللطف من خير راحم * فألطافه من لحة العين أسرع
وان جاء خطب فانتظر فرجاله * فسوف تراه فى غد عنك يرفع
وكن راجعا لله فى كل حالة * فليس لنا الا الى الله مرجع

(الباب السادس)

فى ذكر بعض الوافدين على الاندلس من أهل المشرق المهتدين فى قصدهم اليها بنور الهداية المضىء المشرق والا كابر الذين حلوا بحلولهم فيها الجيد منها والمفرق والمغربين برؤية قطرها المونق على المشئم والمعرق

أعلم أن الداخلين للاندلس من المشرق قوم كثيرون لا تحصر الاعيان منهم فضلا عن غيرهم

يقول من بطن الوادى تيامن تجاهك تلق الكلأ تسيروتأمن فى المسلك قال فتوجهت حيث اشار الى وقد أمنت بعض الامن فاذا انا بقباس نار تلمع أمامى فى خلالها كالوجوه على قامات كالنخيل السحيقة فسرت وأصبحت باوصال وهو ماء لكلاب يقارب بريه دمشق وقد ذكر الله عز وجل ذلك من فعلهم فقال وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا

(ذكر ما ذهب اليه العرب من القيافة والزجر والسانح والبارح وغير ذلك)

تنازع الناس فى القيافة وغيرها مما ذكر فذهبت طائفة الى تحقيق القيافة والاخذ بها لان الاشباه تنزع وغير جائز أن يكون ولد غير مشبه لابيه او احد من أهله من جهة من الجهات ومنهم من ذهب الى ان فى الولد مواضع تلحقها القيافة دون غيرها من الاعضاء مما لم يحلها الشبه ولا توافق بينها بحد مشترك والى آخرون ما وصفنا اذ كان الناس قد يتشابهون فى حد الانسانية وغير ذلك من الحدود ويفترقون فى غيرها من الصور وليس وجود الاغلب من الاشباه مما يوجب الحاق

ومنهم من اتخذها وطنا وصيرها سكنا الى أن وافته منيته ومنهم من عاد الى المشرق بعد أن قضيت بالاندلس أمنيته * (فمن الداخلين الى الاندلس المنيذر) الذي يقال انه صحابي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن الابار في التكملة المنيذر الافريقي له صحبة وسكن أفريقية ودخل الاندلس فيما ذكره عبد الملك بن حبيب قاله أبو محمد الرشاطي ولم يذكره أحد غيره روى عنه عبد الرحمن الجبلي انتهى وأنكر غير واحد دخول أحد من الصحابة الاندلس وذكر بعض الحفاظ المنيذر المذكور وقال انه المنيذر اليماني وذكر الحجاري انه من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وانه دخل الاندلس مع موسى بن نصير غازيا وقال ابن بشكوال يقال فيه المنيذر لكونه من احداث الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقد حكى ذلك الرازي وذكره ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب في الصحابة وسماه بالمنيذر الافريقي وقال ابن بشكوال ان ابن عبد البر روى عنه حديثا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره أبو علي بن السكن في كتاب الصحابة وقال روى عنه حديث واحد وأرجو أن يكون صحيحا وذكره ابن قانع في معجم الصحابة له وذكره البخاري في تاريخه الكبير اذ قال أبو المنيذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد حدث بافريقية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فانا الزعيم لآخذن بيده فادخله الجنة كذا ذكره البخاري بالكنية وهذا الحديث هو الذي رووه عنه لا يعرف له غيره وذكره أبو جعفر أحمد بن رشد في كتاب مسند الصحابة له فقال المنيذر اليماني اما من مذحج أو غيرها وذكر الحديث سواء وقد أشرنا فيما سبق الى المنيذر هذا (ومن التابعين الداخلين الاندلس اميرها موسى بن نصير) وقد سبق من الكلام عليه ما فيه كفاية * (ومن التابعين الداخلين الاندلس حنش الصنعاني) وفي كتاب ابن بشكوال قال ابن وضاح حنش لقب له واسمه حسين بن عبد الله وكنيته أبو علي ويقال أبو رشدين قال ابن بشكوال وهو من صنعاء الشام وذكره أبو سعيد بن يونس في تاريخ أهل مصر وأفريقية والاندلس فقال انه كان مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وغزا المغرب مع رفيقه رويفع بن ثابت وغزا الاندلس مع موسى بن نصير وكان فيمن ثار مع ابن الزبير على عبد الملك بن مروان فاتى به عبد الملك في وثاق فعفا عنه وكان أول من ولي عشور أفريقية في الاسلام وتوفي بافريقية سنة مائة وذكر ابن يونس عن حنش انه كان اذا فرغ من عشائه وحوائجه وأراد الصلاة من الليل أوقد المصباح وقرب المصحف واناء فيه ماء فاذا وجد النعاس استنشق الماء واذا تعايا في آية نظر في المصحف واذا جاءه سائل يستطعم لم يزل يصبح باهله أطعموا السائل حتى يطعم قال ابن حبيب دخل الاندلس من التابعين حنش بن عبد الله الصنعاني وهو الذي أشرف على قرطبة من الفج المسمى بفج المائدة وأذن وذلك في غير وقت الاذان فقال له أصحابه في ذلك فقال ان هذه الدعوة لا تنقطع من هذه البقعة الا أن تقوم الساعة هكذا ذكره غير واحد وقد كشف الغيب خلاف ذلك فلعل الرواية موضوعة أو مؤولة والله تعالى أعلم وذكره ابن عساكر في تاريخه وطول ترجمته وقال ان صنعاء المنسوب اليها قرية من قرى الشام وليست صنعاء اليمن وقد قيل انه لم يروعن حنش الشاميون وانما روى

الشبه بشبهه ودون أن ما للعرب وما تفردت به دون سائر الامم في الاغلب منها وان كانت الكهانة قد وجدت في غيرها فان القيافة والزجر والتفاؤل والتطير ليس لغيرها في الاغلب من الامور وليس هو موجودا في سائر العرب وانما هو للخاص منها الفطن والمتدرب النظير وان وجد ذلك في بعض الامم كوجود ذلك في الافرنجة وما جانسها ممن هنالك من الامم فيمكن أن يكون ذلك موروثا عن العرب ومأخوذا منها في سالف الدهر لان العرب قد تنقلت في البلاد وتغيرت لغاتها فنسب ذلك الى الجنس الذي قطنت بينهم العرب ويمكن أن تكون الافرنجة ومن وجد فيها ذلك من الامم أخذت بعد ظهور الاسلام عمن جاورهم من أمم العرب ممن سكن بلاد الاندلس من الارض الكبيرة وان كان ذلك قبل ظهور الاسلام فهو ما ذكرنا آنفا ويمكن ان يكون الله عز وجل خص بذلك أمما غير العرب كما خص العرب به اذ كان ذلك داخلا في الامكان خارجا من باب

المتنع فيكون الزجر والفال شاملا لبعض العرب وغيرها من خواص الامم كوجود النعط

عنه المصريون وحدث حنش عن عبد الله بن عباس انه قال له ان استطعت أن تلقى الله تعالى وسيفك حديته حديدا فافعل وكان عبد الملك بن مروان حين غزا المغرب مع معاوية بن حديج نزل عليه بافريقية سنة خمسين فحفظ له ذلك فعفا عنه حين أتى به فى وثاق حين ثار مع ابن الزبير وسئل أبو زرعة عن حنش فقال ثقة ولم يذكر ابن عساكر أن حنشا لقبه وان اسمه حسين بل اقتصر على اسمه حنش والعله الصواب لما قاله ابن وضاح والله تعالى أعلم وفى تاريخ ابن الفرضى أبى الوليد أن حنشا كان بسرقسطة وانه الذى أسس جامعها وبهاماتا وقبره بها معروف عند باب اليهود بغربى المدينة وفى تاريخ ابن بشكوال انه أخذ أيضا قبلة جامع البيرة وعدل وزن قبلة جامع قرطبة الذى هو فخر الاندلس * (ومن التابعين الداخلين للاندلس أبو عبد الله على بن رباح اللخمى) ذكر ابن يونس فى تاريخ مصر انه ولد سنة خمس عشرة عام اليرموك وكان أعور ذهبت عينه يوم ذات السوارى فى البحر مع عبد الله بن سعيد سنة أربع وثلاثين وكان يفد لليمانية من أهل مصر على عبد الملك بن مروان وكانت له من عبد العزيز بن مروان منزلة وهو الذى زف أم البنين بنت عبد العزيز الى الوليد بن عبد الملك ثم عنت عليه عبد العزيز فاغزاه أفريقية فلم يزل بافريقية الى أن توفى بها ويقال كانت وفاته سنة أربع عشرة ومائة قال ابن بشكوال أهل مصر يقولون على بن رباح بفتح العين وأما أهل العراق فعلى بضم العين وقد سبق هذا الكلام عن ابن معين فى الباب الثانى وقال ابنه موسى بن على من قال لى موسى بن على بالتصغير لم أجعله فى حل (ومن التابعين الداخلين أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافرى الجيلى) قال ابن بشكوال انه يروى عن أبى أيوب الانصارى وعبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهم وغيرهم وروى عنه جماعة وذكر البخارى فى تاريخه الكبير انه يعد فى المصريين وذكر ابن يونس فى تاريخ المغرب انه توفى بافريقية سنة مائة وكان رجلا صالحا فاضلا رحمه الله تعالى ويذكر أهل قرطبة انه توفى بقرطبة وانه دفن بقبليها وقبره مشهور يتبرك به والله تعالى اعلم بحقيقة الامر فى ذلك (ومن الداخلين من التابعين حيان بن ابى جبلة) ذكر ابن بشكوال انه مولى قريش ويكنى ابا النضر وذكره ابو العرب محمد بن تميم فى تاريخ افريقية وقال حدثنى فرات بن محمد أن عمر بن عبد العزيز ارسل عشرة من التابعين يفقهون اهل أفريقية منهم حيان بن ابى جبلة روى عن عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس وابن عمر رضى الله تعالى عنهم ويقال توفى بافريقية سنة اثنتين وعشرين ومائة وقيل سنة خمس وعشرين ومائة وذكر ابن الفرضى انه غزا مع موسى بن نصير حين افتتح الاندلس حتى انتهى الى حصن من حصونها يقال له قرقشونة فتوفى به قال وقال لنا ابو محمد الثغرى بين قرقشونة وبرشلونة مسافة خمسة وعشرين ميلا وفيها الكنيسة المعظمة عندهم المسماة شنت مريه ذكر أن فيها سبع سوارى فضة خالصة لم ير الراؤن مثلها لا يحزم الانسان بذراعيه واحدة منها مع طول مفرط هكذا نقله ابن سعيد عمن ذكر والله تعالى أعلم * (ومن الداخلين من التابعين فيما ذكر المغيرة بن أبى بردة نشيط بن كنانة العذرى) روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ويروى عنه مالك فى موطئه وذكره البخارى فى تاريخه الكبير وفى

من أهل البحث والتنقير الى ان القيافة اسم مشتق من القفو وهو معنى استدلالى واصل ذلك ان الاشكال انفصلت فى صورة أشبابها باشياء تخص الانواع بالتشكيل وخواص وجدت لما به ضربت الفواصل اضرابها فى وحيدات الاشخاص وكان التماثل على وساعه وقدر من الغير لما توجبه الطبيعة من اتفاق كل شئ فى حوزته وصرفه الى وجهه كما خصت الطبيعة كل نوع من الجنس بفصل اباينه من أغياره وفرقت بينه وبين اشكاله فلذلك أيضا خصت اوحاد الاشخاص المنفصلة فى الهيئة وتغير الغير من اغياره ولذلك لا تكاد فنون الصور تتراءى فى المرائى لغير من أغياره وكذلك لا تكاد وان ضمها النوع وشملها المادة فالقائف يقارب بين الهيآت فيحكم للاقرب صورة لان تشبيه النسل أقرب من تشبيه النوع وكذلك تشبيه الشخص الى النوع أقرب منه الى الجنس لان النوع والشخص قد ضمهما حدان مشتركان وانما ضمه ضرب من ضروب البحث

والجنس حد واحد فهو أصل القيافة عند الطائفة وهو ضرب من ضروب البحث والحاق النظر فى

كتاب الحافظ ابن بشكوال انه دخل الاندلس مع موسى بن نصير فكان موسى بن نصير يخرجه على العساكر *(ومن التابعين حيوة بن رجاء التميمى) ذكر ابن حبيب انه دخل الاندلس مع موسى بن نصير وأصحابه وانه من جملة التابعين رضى الله تعالى عنهم قاله ابن بشكوال فى مجموعه المترجم بالتنبيه والتعيين لمن دخل الاندلس من التابعين قال ابن الابار وقد سمعته من أبى الخطاب بن واجب وسمعه هو منه انتهى وقال ابن الابار فى موضع آخر مما صورته رجاء بن حيوة مذكور فى الذين دخلوا الاندلس من التابعين وفى ذلك عندى نظر وما أراه يصح والله تعالى أعلم انتهى فانظر هذا فانه سماه رجاء بن حيوة وذلك السابق حيوة بن رجاء فالله سبحانه أعلم بحقيقة الامر فى ذلك *(ومنهم عياض بن عقبة الفهرى) من خيار التابعين ذكره ابن حبيب فى الاربعة الذين حضروا غنائم الاندلس ولم يغلوا *(ومنهم عبد الله بن سماسة الفهرى) ذكر ابن بشكوال انه مضرى وأن البخارى ذكره فى تاريخه (ومنهم عبد الجبار بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى) جده عبد الرحمن أحد العشرة رضى الله تعالى عنهم وهو ممن ذكره ابن بشكوال فى الاربعة من التابعين الذين لم يغلوا *(ومنهم منصور بن حزامة فيما يذكر) قال ابن بشكوال قرأت فى كتاب روايات الشيخ أبى عبد الله ابن عائذ الراوية رحمه الله تعالى قال وممن دخل الاندلس من المعمرين فما وجدت بخط المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الناصر رضى الله تعالى عنه فى بعض كتبه المختزنة انه قال طرأ علينا رجل أسود من ناحية السودان فى سنة تسع وعشرين وثلثمائة فذكر انه منصور بن حزامة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يزعم انه أدرك أيام عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وانه كان مراهقا وكان مع عائشة رضى الله تعالى عنها يوم الجمل وانه شهد صفين وأن حزامة أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عن الاندلس فى سنة ثلاثين وثلثمائة الى المغرب انتهى قلت هذا كله لا أصل له ورحم الله تعالى حافظ الاسلام ابن حجر حيث كتب على هذا الكلام ما صورته هذا هذيان لا أصل له ولا يغتر به وكذلك ترجمة أشيخ العرب اتفق الحفاظ على كذبه انتهى قلت وما هو والامن غط عكراش والله تعالى يحفظنا من سماع الاباطيل بمنه ومن هذه الاكاذيب ما يذكرون عن أبى الحسن على بن عثمان بن خطاب وانه يعرف بابى الدنيا وأنه كان معمرا مشهورا بصحبة على بن أبى طالب كرم الله وجهه وانه رأى جماعة من كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم ووصفهم بصفاتهم وانه رأى عائشة رضى الله تعالى عنها فيما زعم وقدم قرطبة على المستنصر الحكم بن الناصر وهو ولى عهد وساله أبو بكر ابن القوطية عن مغازى على وكتبها عنه وقد ذكره ابن بشكوال وغيره فى كتبهم وتواريخهم فقد ذكر الثقات العارفون بالف انه كذاب دجال ماش جاهل فاياك والاغترار بمثل ذلك مما يوجد فى كتب كثير من المؤرخين بالمشرق والاندلس ولا يلتفت الى قول تميم بن محمد التميمى انه كان اذ لقيه ابن ثلثمائة سنة وخمس سنين قال تميم واتصلت بنا وفاته ببلده فى نحو سنة عشرين وثلثمائة وبالجملة فلا أصل له وانما ذكرناه للتنبيه عليه وقد عرفت بما ذكرناه التابعين الداخلين الاندلس على أن التحقيق انهم لم يبلغوا ذلك العدد وانما هم نحو خمسة أو أربعة كما ألمعنا به فى غير هذا الموضع والله تعالى أعلم (ومن الداخلين الى الاندلس مغيث

الاستدلال من كلام أحد من فقهاء القائسين ولا غيرهم من المسلمين وانما هذا انتزعناه من كلام طائفة من الفلاسفة المتقدمين فيجب أن يكون نظر القائف على قول هذه الطائفة الى القدم لانها نهاية الشكل وغاية الهيئة والولد لو خالف صورة أبيه فى كنه أفعاله وباينه فى سائر شكله فى الاغلب لوافقه فى القدم لان النسل لا بد له من تخصيص قوته بشئ يميزه من غيره ينبه من سواه ولذلك وجدوا الطول فى ازدشنوأة وكذلك صار الجفاة الاجسام والغلظ فى الروم وأصحاب الجمال فى الاكثر من أهل الشام وأوباش مصر واللؤم فى الخزر وأهل حران من بلاد ديار بكر والشح بفارس واللؤم على الطعام باصفهان وصار تفرطح الرجلين وفطس الانوف فى السودان والطرب فى الزنج خاصة وهذا الذى وصفنا عند هذه الطائفة من أسرار الطبيعة وخواص تأثير الانتخاص العلوية والاجسام السماوية وقد قصصنا هذا الشأن على تأله فى كتبنا فى الاسرار الطبيعية العلوية والغرائب النفسية فى كتبنا فى الصور السبعة فى أنواع السياسات المدنية على من

فاتح قرطبة) وقد تقدم بعض الكلام عليه وذكر ابن حيان والحجاري انه رومي زاد الحجاري وليس برومي على الحقيقة والصحيح نسبه انه مغيث بن الحرث بن الحويرث بن جبلة بن الايهم الغساني سبي من الروم بالمشرق وهو صغير فاديه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد وأنجب في الولادة وصار منه بنو مغيث الذين نجبوا في قرطبة وسادوا وعظم بيتهم وتفرعت دوحتهم وكان منهم عبد الرحمن بن مغيث حاجب عبد الرحمن بن معاوية صاحب الاندلس وغيره ونشأ مغيث بدمشق ودخل الاندلس مع طارق فاتحها وجاز على ما في طريقها من البلاد الى الشام وقدمه طارق لفتح قرطبة ففتحها ووقع بينه وبين طارق ثم وقع بينه وبين موسى ابن نصير سيد طارق فرحل معهما الى دمشق ثم عاد ظافرا عليهما الى الاندلس وانسل بقرطبة البيت المذكور وفي المسهب انه فتح قرطبة في شوال سنة ٩٢ ثم فتح الكنيسة التي تحصن بها ملك قرطبة بعد حصار ثلاثة أشهر في محرم سنة ٩٣ ولم يذكر له مولدا ولا وفاة وذكر الحجاري انه تادب بدمشق مع بني عبد الملك فافصح بالعربية وصار يقول من الشعر والنثر ما يجوز كتبه وتدرب على الركوب وأخذ نفسه بالاقدام في مضايق الحروب حتى تخرج في ذلك تخرجا أهله للتقدم على الجيش الذي فتح قرطبة وكان مشهورا بحسن الرأي والكيد وقد قدمنا كيفية فتحه قرطبة وأسره ملكها الذي لم يؤسر من ملوك الاندلس غيره لان منهم من عقد على نفسه أماناً ومنهم من فر الى جليقية وذكر الحجاري انه لما حصل بيده ملك قرطبة وحريمه رأى فيهن جارية كانها بينهن بدر بين نجوم وهي تكثر التعرض له بجمالها فوكل بها من عرض عليها العذاب ان لم تقر بما عزمت عليه في شان مغيث وانه قد فطن من كثرة تعرضها له بحسنها لما أضمرته من المكر في شانه فاقرت انها أكثرت التعرض لتقع بقلبه اذ حسنها فتان وقد أعدت له خرقة مسمومة لتمسح بها ذكره عند وقاعها فحمد الله تعالى على ما ألهمه اليه من مكرها وقال لو كانت نفس هذه الجارية في صدر أبيها ما أخذت قرطبة من ليلة وذكر أن سليمان بن عبد الملك لما أصغى الى طارق في شان سيده موسى بن نصير فعذبه واستصفى أمواله أراد أن يصرف سلطان الاندلس الى طارق وكان مغيث قد تغير عليه فاستشار سليمان مغيثا في توليه طارق وقال له كيف أمره بالاندلس فقال لو أمر أهلها بالصلاة الى أي قبلة شاءها لتبعوه ولم يروا أنهم كفروا فعملت هذه المكيدة في نفس سليمان وبداله في ولايته فالقيه بعد ذلك طارق فقال له لتلك وصفت أهل الاندلس بعصياني ولم تضمر في الطاعة ما أضمرت فقال مغيث ليتك تركت لي العلج فتركت لك الاندلس وكان طارق قد أراد أن ياخذ منه ملك قرطبة الذي حصل في يده فلم يمكنه منه فاغرى به سيده موسى ابن نصير وقال له يرجع الى دمشق وفي يده عظيم من عظماء الاندلس وليس في أيدينا مثله فاي فضل يكون لنا عليه فطالبه منه فامتنع من تسليمه قال ابن حيان فهجم موسى على العلج وانتزعه من مغيث فقيل له ان سرت به معك حيا ادعاه مغيث والعلج لا ينكر ولكن اضرب عنقه ففعل فاضغنها عليه مغيث وبالغ في اذايته عند سليمان وذكر الحجاري في المسهب ان لمغيث من الشعر ما يجوز كتبه فمن ذلك شعر خاطب به موسى بن نصير ومولاه طارقا ويكفي منه هنا قوله

ستة أنفس كانوا نورا بلا أجساد شيث بن آدم وزرادشت والمسيح ويونس واثنان لا يمكن ذكرهما وان النور والظلمة قديمان وانهما لا يريان الا غير ممتزجين وان الاشياء لا تعمل الا في جوهرهما ثم امتزجا من تلقاء انفسهما من غير داخل عليهما ولا مكره أكرههما وهذا المخلف من الكلام والفاسد من المقال وأعجب من هذا القول قول زرادشت نبي المجوس ان القديم تعالى ذكره طالت وحدته فطالت فكرته فلما أن طالت فكرته واشتدت وحشته توالد الهم منه وهو الشيطان من تلك الوحشة التي ولدتها تلك الفكرة ونتجتها الوحدة وان الله عز وجل لو كان قادرا على افناء الهم منه لما ضرب له أجلا ولا أجل له أمرا يغوي عباده ويفسد بلاده وهذا هو المحال بعينه والتناقض بنفسه وعجب آخر من الآراء من قول بولص ان المسيح عليه السلام هو الذي أرسله وان المسيح انسان والله لانه اله صار انسانا وانسان صار الها وقد اتينا على جل من متناقضات أهل الآراء في اثناء ما تقدم من كتبنا وانما تشعب بنا الكلام الى هذا النوع وتغلغل بنا القول الى هذا المعنى لانه من جنس ما كنا فيه لكن عند ذكرنا لما أودعناه كتاب الاسترجاع والابانة عن غرض فيه فلنرجع الآن الى ما كنا فيه من هذا الكتاب (وحدث) المنقري عن العتبي

قال وقف عبيد الراعي ذات يوم مع ركب من ثقيف على نفر وكانوا يريدون استقصاء رجل من تميم اذ سنحت ظباء سود

أعنتكم ولكن ما وفيتم * فسوف أعيث في غرب وشرق

وعنوان طبقته في النثر أن موسى بن نصير قال له وقد عارضه بكلام في محفل من الناس كف لسانك فقال لساني كالمفصل ما أكمه الا حيث يقتل وأضافه ابن حيان والحجاري الى ولاء الوليد بن عبد الملك وهو الذي وجهه الى الاندلس غازيا ففتح قرطبة ثم عاد الى المشرق فاعاده الوليد رسولا عنه الى موسى بن نصير يستحثه على القدوم عليه فوفد معه فوجدوا الوليد قد مات فقدم بعده سليمان بن عبد الملك * (ومن الداخلين أبو أيوب بن حبيب اللخمي) ذكر ابن حيان انه ابن أخت موسى بن نصير وان أهل أشبيلية قدموه على سلطان الاندلس بعد قتل عبد العزيز بن موسى واتفقوا في أيامه على تحويل السلطان من اشبيلية الى قرطبة فدخل اليها بهم وكان قيامه بامرهم ستة أشهر وقيل ان الذي نقل السلطنة من اشبيلية الى قرطبة الحر بن عبد الرحمن الثقفي قال الرازي قدم الحر والي على الاندلس في ذي الحجة سنة سبع وتسعين ومعه أربعمائة رجل من وجوه أفريقية فهم أول طوالع الاندلس المعدودين وقال ابن بشكوال كانت مدة الحر سنتين وثمانية أشهر وكانت ولايته بعد قيام أبي أيوب بن حبيب اللخمي (ومن الداخلين السمح بن مالك الخولاني) ولي الاندلس بعد الحر بن عبد الرحمن السابق قال ابن حيان ولاه عمر بن عبد العزيز وأوصاه أن يخمس من أرض الاندلس ما كان عنوة ويكتب اليه بصفتها وأنهارها وبحارها قال وكان من رأيه أن ينقل المسلمين عنها لانقطاعهم وبعدهم عن أهل كلتهم قالوا ولیت الله تعالى أبقاه حتى يفعل فان مصيرهم مع الكفار الى بوار الا أن يستنقذهم الله تعالى برحمته وذكر ابن حيان أن قدوم السمح كان في رمضان سنة مائة وانه الذي بنى قنطرة قرطبة بعد ما استاذن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وكانت دار سلطانه قرطبة قال ابن بشكوال استشهد بارض الفرنجة يوم التروية سنة اثنتين ومائة قال ابن حيان كانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وذكر انه قتل في الوقعة المشهورة عند أهل الاندلس بوقعة البلاط وكانت جنود الافرنجة قد تكاثرت عليه فاحاطت بالمسلمين فلم ينج من المسلمين أحد قال ابن حيان فيقال ان الاذان يسمع بذلك الموضع الى الآن * وقدم أهل الاندلس على أنفسهم بعده عبد الرحمن ابن عبد الله الغافقي وذكر ابن بشكوال انه من التابعين الذين دخلوا الاندلس وانه يروى عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال وكانت ولايته للاندلس في حدود العشر ومائة من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي صاحب أفريقية واستشهد في قتال العدو بالاندلس سنة خمس عشرة انتهى وفيه مخالفة لما سبق انه ولي بعد السمح وأن السمح قتل سنة ١٠٢ وهذا يقول تولى سنة ١١٠ فاين ذا من ذاك والله تعالى أعلم ووصفه الحميدي بحسن السيرة والعدل في قسمة الغنائم وذكر الحجاري انه ولي الاندلس مرتين وربما يجاب بهذا عن الاشكال الذي قدمناه قريبا ويضعفه أن ابن حيان قال دخل الاندلس حين وليها الولاية الثانية من قبل ابن الحبحاب في صفر سنة ثلاث عشرة ومائة وغزا الافرنج فكانت له فيهم وقائع جمة الى أن استشهد وأصيب عسكره في شهر رمضان سنة ١١٤ في موضع يعرف ببلاط الشهداء قال ابن بشكوال وتعرف غزوته هذه بغزوة البلاط وقد تقدم

منكرة ثم اعترضت الركب مقصرة في حضرها واقفة على شاهنها فانكر ذلك عبيد الراعي ولم ينتبه له أصحابه فقال عبيد

ألم تدر ما قال الظباء السوانح أطفن أمام الركب والركب رائح

فكبر من لم يعرف الزجر منهم

وأيقن قلبي أنهن نوائح

ثم شارفوا مقصدهم فالفوا الرئيس قد نهشته افعى فاتت عليه قال ابو عبيدة معمر بن المثنى وهذا من غريب الزجر وذلك أن السانح مرجو عند العرب والبارح هو المخوف وأظن عبيدا انما زجر الظباء في حالة رجوعها ووصف الحال الاول في شعره كما أن من شرط الواصف أن يبدأ بها وادي الاسباب فيوضح عنها فهذا وجه زجر عبيد الراعي في شعره (ويقال) ان الكهانة لليمن والزجر لبني اسد والقيافة لبني مدلج واحياء مضر بن نزار بن معد لما كان من فعل بني نزار الاربعة في مسيرهم نحو الافعى الجرهمي ووصفهم الجمل الشارد على ما ذكرنا وذلك منهم قيافة فمن هنالك تفرقت القيافة من احياء مضر على حسب ما تغلغل في العروق ونزع واهل العروق

مثل هذا في غزوة السمج فكانت ولايته سنة وثمانية أشهر وفي رواية سنتين وثمانية اشهر وقيل غير ذلك وكان سرير سلطانه حضرة قرطبة * وولي الاندلس بعده عنبسة بن سحيم الكلبي وذكر ابن حيان انه قدم على الاندلس واليا من قبل يزيد بن ابي مسلم كاتب الحجاج حين كان صاحب أفريقية وكان قدومه الاندلس في صفر سنة ١٠٣ فتأخر بقدومه عبد الرحمن المتقدم الذكر قال ابن بشكوال فاستقامت به الاندلس وضبط أمرها وغزا بنفسه الى أرض الافرنجة وتوفي في شعبان سنة ١٠٧ فكانت ولايته أربعة أعوام وأربعة أشهر وقيل ثمانية أشهر وذكر ابن حيان انه في أيامه قام بجليقية علج خبيث يدعى بلاي فعاب على العلوج طول الفرار وذكى قرائحهم حتى سمابهم الى طلب الثار ودافع عن ارضه ومن وقته اخذ نصارى الاندلس في مدافعة المسلمين عما بقي بايديهم من ارضهم والحماية عن حريمهم وقد كانوا لا يطمعون في ذلك وقيل انه لم يبق بارض جليقية قرية فما فوقها لم تفتح الا الصخرة التي لاذ بها هذا العلج ومات أصحابه جوعا الى أن بقي في مقدار ثلاثين رجلا ونحو عشر نسوة ومالهم عيش الا من عسل النحل في جباح معهم في خروق الصخرة ومازالوا ممتنعين بوعرها الى أن أعيا المسلمين أمرهم واحتقروهم وقالوا ثلاثون علجا ما عسى أن يجيء منهم فبلغ أمرهم بعد ذلك في القوة والكثرة والاستيلاء ما لا خفاء به * وملك بعده أذفونش جد عظماء الملوك المشهورين بهذه السمة قال ابن سعيد فآل احتقار تلك الصخرة ومن احتوت عليه الى ان ملك عقب من كان فيها المدن العظيمة حتى ان حضرة قرطبة في يدهم الآن جبرها الله تعالى وهي كانت سرير السلطنة لعنبسة اه * قال ابن حيان والحجاري انه لما استشهد عنبسة قدم اهل الاندلس عليهم عزرة بن عبد الله الفهري ولم يعده ابن بشكوال في سلاطين الاندلس قال ثم تتابعت ولاة الاندلس مرسلين من قبل صاحب أفريقية اولهم يحيى بن سلمة وذكر الحجاري ان عزرة كان من صلحائهم وفرسانهم وصار لعقبه نباهة وولده هشام بن عزرة هو الذي استولى على طليطلة قصبة الاندلس وفي عقبه بوادي آش من مملكة غرناطة نباهة وادب قال ابن سعيد وهم الى الآن ذوو بيت موصل ومجد مؤثل وكان سرير سلطانه عزرة قرطبة * وولي بعده يحيى بن سلمة الكلبي قال ابن بشكوال أنفذه الى الاندلس بشر بن صفوان الكلبي والي افريقية اذ استدعى منه اهلها واليا بعد مقتل أميرهم عنبسة فقدمها في شوال سنة سبع ومائة واقام عليها سنة وستة اشهر ولم يغز فيها بنفسه غزوة ونحوه لابن حيان وكان سريره قرطبة * وتولى بعده عثمان بن أبي نسعة الخثعمي وذكر ابن بشكوال انه قدم عليها واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب أفريقية في شعبان سنة عشر ومائة ثم عزل سريعا بعد خمسة أشهر وكان سرير سلطانه بقرطبة وولي بعده حذيفة بن الاحوص القيسي قال ابن بشكوال وأتى اليها واليا من قبل عبيدة المذكور على اختلاف فيه وفي ابن أبي نسعة أيهما تولى قبل صاحبه وكان قدوم حذيفة في ربيع الاول سنة عشر ومائة وعزل عنها سريعا أيضا وقيل ان ولايته استتمت سنة وكان بقرطبة * وولي بعده الاندلس الهيثم بن عدي الكلابي قال ابن بشكوال ولاه عبيدة المذكور فوالى الاندلس في المحرم سنة احدى عشرة ومائة وقيل انه ولي

من تمر نخلهم فيغيب عنهم السنين ولم يروه ولا شاهدوه فان رأوه بعد مدة علموا أنه الآخذ لتمرهم ولا يكادون يخطؤن وهذا من فعلهم مشهور ولا يكاد تخفى عليهم أقدام أي الناس هم (ورأيت) بهذه الارض اناسا قد رتبهم ولاة المنازل يطوفون في هذا الرمل يعرفون بالقصاص يقصون آثار الناس وغيرهم فيخبرون ولاة المنازل أي الناس هم ممن طرق البلاد وهم لم يروهم بل رأوا آثار أقدامهم وهذا معنى لطيف وحس دقيق (وقد قفت) القافة بقريش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار حتى أتت باب الغار على جحر صلد وصخر صم وجبال لا رمل عليها ولا طين ولا تراب يتبين عليه الاقدام فعجبهم الله تعالى عن تبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من نسج العنكبوت وما سفت عليه الرياح وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام ومعه الجماعة من قريش لا يرون على الصلد ما يرى على الصوان وما يشاهد

 وأبصارهم سليمة والآفات عنها مرتفعة والموانع زائلة ولولا أن هنا لك لطيفة لا يتساوى

الجبال والقفار والدهاس أبر وأعرف (وقد ذهب) قوم من أهل الشريعة من فقهاء الامصار وغيرهم ممن سلف الى الحكم بالقيافة استدلالا على شرف القيافة وعظم خطرها وكبر محلها وتحقيق فضلها لتعجب النبى صلى الله عليه وسلم منها وتصديقه محرزا المدلجى وقد أنكر جماعة من فقهاء الامصار ممن سلف وخلف الحكم بالقيافة والدليل على فساد الحكم بها الحاق النبى صلى الله عليه وسلم الولد بابيه حين شك فيه لعدم التشابه فقال يارسول الله ان امرأتى وضعت غلاما وانه لأسود فقال النبى صلى الله عليه وسلم مقربا الى فهمه وقصد امنه لفساد علته التى قصدها وشك فهل لك من ابل قال نعم قال فما ألوانها قال حمر قال فهل فيها أورق قال نعم قال النبى صلى الله عليه وسلم فمن أين ذلك ٣ لعل عرقا نزع وقوله صلى الله عليه وسلم فى قصة شريك بن سحماء ان جاءت به على النعت المكروه فهو للذى رميت به فلما جاءت به على النعت المكروه وجد التشابه بينه وبين من رميت به فقال النبى صلى عليه وسلم لولا حكم الله لكان لى ولها

سنتين وأياما وقد قيل أربعة أشهر وكان بقرطبة * وولى بعده محمد بن عبد الله الاشجعى قال ابن بشكوال قدمه الناس عليهم وكان فاضلا فصلى بهم شهرين * قال ثم قدم عليهم واليا عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى الذى تقدمت ترجمته وذكرت ولايته الاولى للاندلس وليها من قبل عبيد الله بن الحبحاب صاحب أفريقية الى أن استشهد كما تقدم * وولى الاندلس بعده عبد الملك بن قطن الفهرى وذكر الحجارى أن من نسله بنى القاسم أصحاب البونت وبنى الجد أعيان اشبيلية قال ابن بشكوال قدم الاندلس فى شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائة فكانت مدة ولايته عامين وقيل أربع سنين ثم عزل عنها ذميما فى شهر رمضان سنة ست عشرة ومائة قال وكان ظلوما فى سيرته جائرا فى حكومته وغزا أرض البشكنس فاوقع بهم وذكر ابن بشكوال انه لما عزل وولى عقبة بن الحجاج وثب ابن قطن عليه فخلعه لا أدرى أقتله أم أخرجه وملك الاندلس بقية احدى وعشرين ومائة الى أن رحل بلج بن بشر باهل الشام الى الاندلس فغلبه عليها وقتل عبد الملك بن قطن وصلب فى ذى القعدة سنة ثلاث وعشرين ومائة بعد ولاية بلج بكورة أشهر وصلب بمحراب ربض قرطبة بعدوة النهر حيال رأس القنطرة وصلبوا عن يمينه خنزيرا وعن يساره كلبا وأقام شلوه على جذعه الى أن سرقته موالية بالليل وغيبوه فكان المكان بعد ذلك يعرف بصلب ابن قطن فلما ولى ابن عمه يوسف بن عبد الرحمن الفهرى استأذنه ابنه أمية بن عبد الملك وبنى فيه مسجدا نسب اليه فقيل مسجد أمية وانقطع عنه اسم المصلب وكان سن عبد الملك عند مقتله نحو التسعين وذكر ابن بشكوال أن عقبة بن الحجاج السلولى ولاه عبيد الله بن الحبحاب صاحب افريقية الاندلس ودخلها سنة سبع عشرة ومائة وقيل فى السنة التى قبلها فاقام بها سنين محمود السيرة مثابرا على الجهاد معتقحا للبلاد حتى بلغ سكنى المسلمين أربونة وصار رباطهم على نهر ردونة فاقام عقبة بالاندلس سنة احدى وعشرين ومائة وكان قد اتخذ بقاصى ثغر الاندلس الاعلى مدينة يقال لها أربونة كان ينزلها للجهاد وكان اذا أسر الاسير لم يقتله حتى يعرض عليه الاسلام ويبين له عيوب دينه فاسلم على يديه ألف رجل وكانت ولايته خمس سنين وشهرين قال الرازى فثار أهل الاندلس بعقبة فخلعوه فى صفر سنة ثلاث وعشرين فى خلافة هشام بن عبد الملك وولوا على انفسهم عبد الملك بن قطن وهى ولايته الثانية فكانت ولاية عقبة الاندلس ستة أعوام وأربعة أشهر وتوفى فى صفر سنة ١٢٣ وسيره قرطبة (ومن الداخلين الى الاندلس بلج بن بشر بن عياض القشيرى) قال ابن حيان لما انتهى الى الخليفة هشام بن عبد الملك ما كان من أمر خوارج البربر بالمغرب الاقصى والاندلس وخلعهم لطاعته وعيثهم فى الارض شق عليه فعزل عبيد الله بن الحبحاب عن أفريقية وولى عليها كلثوم بن عياض القشيرى ووجه معه جيشا كثيفا لقتالهم كان فيه مع ما انضاف اليه من جيوش البلاد التى صار عليها سبعون الفا ومع ذلك فانه لما تلاقى مع ميسرة البربرى المدعى للخلافة هزمه ميسرة وجرح كلثوم ولاذ ببسبتة وكان بلج ابن أخيه معه فقامت قيامة هشام لما سمع بما جرى عليه فوجه لهم حنظلة بن صفوان فاوقع بالبربر وفتح الله تعالى على يديه ولما اشتد حصار بلج وعمه كلثوم ومن معهما من قبل أهل الشام بسبتة وانقطعت عنهم الاقوات

وقضى بوجود الفراش وثبوت النص على فساد الحكم بالشبه (وهذا) قصدنا فيه هذا الكلام وانما ذكرنا هذا الفصل لذكر الحكم بضده من القيافة وهذا باب يطول فيه الخطب ويكثر في معانيه الشرح لغموضه ولطفه وقد ذكرنا وجه الكلام في ذلك وما ذهبت اليه كل فرقة من الناس ممن سلف وخلف في كتابنا المترجم بكتاب الرؤس السبعة في الاحاطة بسياسة العالم واسراره وهو كتاب مشهور مستوعب

(ذكر الكهانة وما قيل في ذلك وما اتصل بهذا الباب مما يراه الناس وحد النفس الناطقة)

تنازع الناس في الكهانة فذهبت طائفة من حكماء اليونانيين والروم الى التكهن وكانوا يدعون العلوم من الغيوب فادعى صنف منهم أن نفوسهم قد صفت فهي مطلعة على أسرار الطبيعة وعلى ما تريد أن يكون منها لان صور الاشياء عندهم في النفس الكلية وصنف منهم ادعى أن الارواح المنفردة وهي الجن تخبرهم بالاشياء قبل كونها وأن

ويلغوا من الجهد الى الغاية استغاثوا باخوانهم من عرب الاندلس فتثاقل عنهم صاحب الاندلس عبد الملك بن قطن لخوفه على سلطانه منهم فلما شاع خبر ضرهم عند رجال العرب أشفقوا عليهم فاغاثهم زياد بن عمرو اللخمي بمركبين مشحونين ميرة أمسكا من أرماقهم فلما بلغ ذلك عبد الملك بن قطن ضربه بسبعمائة سوط ثم اتهمه بعد ذلك بتغريب الجند عليه فسمل عينيه ثم ضرب عنقه وصلب عن يساره كلبا واتفق في هذا الوقت أن برابر الاندلس لما بلغهم ما كان من ظهور برابر العدوة على العرب انتقضوا على عرب الاندلس واقتدوا بما فعله اخوانهم ونصبوا عليهم اماما فكثر اتباعهم بجيوش ابن قطن واستفحل أمرهم فخاف ابن قطن أن يأتي منهم ما لقي العرب ببر العدوة من اخوانهم وبلغه انهم قد عزموا على قصده فلم ير أجدى من الاستعداد بصعاليك عرب الشام أصحاب بلج الموتورين فكتب لبلج وقدمات عمه كلثوم في ذلك الوقت فأسرعوا الى اجابته وكانت أمنيتهم فاحسن اليهم وأسبغ النعم عليهم وشرط عليهم أن ياخذ منهم رهائن فاذا فرغوا له من البربر هزمهم الى افريقية وخرجوا له عن الاندلس فرضوا بذلك وعاهدوه عليه فقدم عليهم وعلى جنده ابنيه قطنا وأمية والبربر في جموع لا يحصيها غير رازقها فاقتتلوا قتالا صعبا فيه المقام الى أن كانت الدائرة على البربر فقتلتهم العرب بأقطار الاندلس حتى ألحقوا فلهم بالثغور وخفوا عن العيون فكر الشاميون وقد امتلأت أيديهم من الغنائم فاشتدت شوكتهم وثابت همتهم وبطروا ونسوا العهود وطالبهم ابن قطن بالخروج عن الاندلس الى افريقية فقتلوا عليه وذكروا صنيعه بهم أيام انحصارهم في سبتة وقتله الرجل الذي أغاثهم بالميرة فخلعوه وقدموا على أنفسهم أميرهم بلج بن بشر وتبعه جند ابن قطن وحملوا عليه في قتل ابن قطن فابى فثارت اليمانية وقالوا قد حميت لمضرك والله لا نطيعك فلما خاف تفرق الكلمة أمر بابن قطن فاخرج اليهم وهو شيخ كبير كفرخ نعامة قد حضر وقعة الحرة مع أهل اليمامة فجعلوا يسبونه ويقولون له أفلت من سيوف يوم الحرة ثم طالبتنا بتلك الثرة فعرضتنا لاكل الكلاب والجلود وحبستنا بسبتة محبس الضنك حتى أمتنا جوعا فقتلوه وصلبوه كما تقدم وكان أمية وقطن ابناه عند ما خلع قد هربا وحشد الطلب الثاني واجتمع عليهما العرب الاقدمون والبربر وصارا معهم عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري كبير الجند وكان في أصحاب بلج فلما صنع بابن عمه عبد الملك ما صنع فارقه فانحاز فيمن يطلب ثاره وانضم اليهم عبد الرحمن ابن علقمة اللخمي صاحب أربونة وكان فارس الاندلس في وقته فأقبلوا نحو بلج في مائة ألف أو يزيدون وبلج قد استعد لهم في مقدار اثني عشر ألفا سوى عبيده له كثيرة واتباع من البلديين فاقتتلوا وصبر أهل الشام صبرا لم يصبر مثله أحد قط وقال عبد الرحمن بن علقمة اللخمي أروني بلجا فوالله لاقتلنه أو لأموتن دونه فأشاروا اليه نحوه فحمل باهل الثغر حملة انفرج لها الشاميون والراية في يده فضربه عبد الرحمن ضربتين مات منهما بعد ذلك بايام قلائل ثم ان البلديين انهزموا بعد ذلك هزيمة قبيحة واتبعهم الشاميون يقتلون ويأسرون فكان عسكرا منصورا مقتولا أميره وكان هلاك بلج في شوال سنة أربع وعشرين ومائة وكانت مدته أحد عشر شهرا وسيره قرطبة والعرب الشاميون الداخلون معه الى

أرواحهم كانت قد صفت حتى صارت لتلك الارواح من الحس متفقة (وذهب) قوم من النصارى أن السيد المسيح انما

الاندلس يعرفون عند أهل الاندلس بالشاميين والذين كانوا في الاندلس قبل دخوله يشهرون بالبلديين * ولما هلك بلج قدم الشاميون عليهم بالاندلس ثعلبة بن سلامة العاملي وقد كان عندهم عهد الخليفة هشام بذلك فسار فيهم باحسن سيرة ثم ان أهل الاندلس الاقدمين من العرب والبربر هموا بعد الوقعة لطلب الثار فأرسل أمره معهم الى أن حصروه بمدينة ماردة وهم لا يشكون في الظفر الى ان حضر عيد تشاغلوا به فابصر ثعلبة منهم غرة وانتشارا وأشرا بكثرة العدد والاستيلاء فخرج عليهم في صبيحة عيدهم وهم ذاهلون فهزمهم هزيمة قبيحة وأفشى فيهم القتل وأسر منهم ألف رجل وسبى ذريتهم وعيالهم وأقبل الى قرطبة من سبيهم بعشرة آلاف أو يزيدون حتى نزل بظاهر قرطبة يوم خميس وهو يريد أن يحمل الاسارى على السيف بعد صلاة الجمعة وأصبح الناس منتظرين لقتل الاسارى فاذا بهم قد طلع عليهم لواء فيه موكب فنظروا فاذا أبو الخطار قد أقبل والياً على الاندلس وهو أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي وذكر ابن حيان انه قدم والياً من قبل حنظلة بن صفوان صاحب افريقية والخليفة حينئذ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وذلك في رجب سنة خمس وعشرين ومائة بعد عشرة أشهر وليها ثعلبة بن سلامة قال وكان مع فروسيته شاعرا محسنا وكان في أول ولايته قد أظهر العدل فدانت له الاندلس الى أن مالت به العصبية اليمانية على المضرية فهاج الفتنة العمياء وكان سبب هذه الفتنة أن أبا الخطار بلغ به التعصب لليمانية أن اختصم عنده رجل من قومه مع خصم له من كنانة كان أبلغ حجة من ابن عم أبي الخطار فمال أبو الخطار مع ابن عمه فاقبل الكناني الى الصميل بن حاتم الكلابي أحد سادات مضر فشكاله حيف أبي الخطار وكان ابيا للضيم حاميا للعشيرة فدخل على أبي الخطار وأمض عتابه فنجهه أبو الخطار وأغلظ له فرد الصميل عليه فامر به أبو الخطار فقيم ودع قفاه حتى مالت عمامته فلما خرج قال له بعض من على الباب أبا جوشن ما بال عمامتك مائلة فقال ان كان لي قوم فسيقيمونها وأقبل الى داره فاجتمع اليه قومه حين بلغهم ذلك متعاضين فباتوا عنده فلما أظلم الليل قال ما رأيكم فيما حدث على فانه منوط بكم فقالوا أخبرنا بما تريد فان رأينا تبع رأيك فقال أريد والله اخراج هذا الاعرابي من هذا السلطان على ما خلت وأنا خارج لذلك عن قرطبة فانه ما يمكنني ما أريد الا بالخروج فالى أين ترون أقصد فقالوا اذهب حيث شئت ولا تأت أبا عطاء القيسي فانه لا يوالي على أمر ينفعك وكان أبو عطاء هذا سيدا مطاعا يسكن باستجة وكان مشاحنا للصميل مساميا له في القدر فسكت عند ذكره أبو بكر بن الطفيل العبدي وكان من اشرافهم الا انه كان حدث السن فقال له الصميل ألا تتكلم فقال أتكلم بواحدة ما عندي غيرها قال وما هي قال ان عدوت اتيان أبي عطاء وشتت أمرك به لم يتم أمرنا وهلكنا وان أنت قصدته لم ينظر في شيء مما سلف بيننا وحركته الحمية لك فاجابك الى ما تريد فقال له الصميل أصبت الرأي وخرج من ليلته وقام أبو عطاء في نصرته على ما قدره العبدي وعمد الى ثوابة بن يزيد الجذامي أحد أشراف اليمن وساداتهم وكان سا كنا بجورود قد استفسد اليه أبو الخطار فاجابهما في القيام والتقدم على المضرية فاجتمعوا في شدونة وآل الامر الى أن هزموا أبا الخطار على وادي لكة وحصل اسيرا في أيديهم فاراد وا

تلك النفس في غيره من أشخاص الناطقين لكان يعلم الغيب ولا أمة خلت الا كان فيها كهانة ولم يكن الاوائل من الفلاسفة اليونانية يدفعون الكهانات وشهر فيهم أن فيثاغورس كان يعلم علوما من الغيب وضرو با من الوحي لصفاء نفسه وتجردها من أدران هذا العالم والصابئة تذهب الى أن ازرياسيس وأوايس وأويس الثاني وهما هرمس وأغاثيمون كانوا يعلمون الغيب ولذلك كانوا أنبياء عند الصابئة ومنعوا أن تكون الجن أخبرت من ذكرنا بشيء من ضروب الغيب لكن صفت نفوسهم حتى اطلعوا على ما استتر عن غيرهم من جنسهم (وطائفة) ذهبت الى أن الكهان سبب نفساني لطيف يتولد من صفاء مزاج الطباع وقوة النفس ولطافة الحس (وذكر) كثير من الناس أن الكهانة تكون من قبل شيطان يكون مع الكاهن يخبره بما غاب عنه وأن الشياطين كانت تسترق السمع وتلقيه على ألسنة الكهان فيؤدون الى الناس الاخبار بحسب ما يرد اليهم وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه فقال وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا

قتله

شديد اوشبهها الى آخر القصة وقوله تعالى يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم الآية والشياطين والجن لا تعلم الغيب وانما ذلك لاستراقها السمع مما يسمع من الملائكة بظاهر قوله عز وجل فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين (وطائفة) ذهبت الى أن وجه سبب الكهانة من الوحي الفلكي وأن ذلك في المولد عند ثبوت عطارد على شرفه وأما ما عداه من الكواكب المدبرات من النيرين والخمسة اذا كانت في عقد متساوية وارباع متكافئة ومناظرة متوازية وجب لصاحب المولد التكهن والاخبار بالكائنات قبل حدوثها لاشراق هذه الاشراف الكوكبية (ومن هؤلاء) من أوجب كون ذلك في القرانات الكبار (وذهب) كثير من تقدم وتاخر أن علة ذلك علل نفسانية وأن النفس اذا قويت وزادت قهرت الطبيعة وأبانت للانسان كل سر لطيف وخبرته بكل معنى شريف وغاصت بلطافتها في انتخاب المعاني اللطيفة البديعة فاقتنصته وأبرزتها عن الكمال وكشفت هذه الطائفة وجه اعتلالها فيما ذكرنا فانهم قالوا رأينا الانسان ينسب الى قسمين

قتله ثم أرجؤه وأوثقوه وأقبلوا به الى قرطبة وذلك في رجب سنة ١٢٧ بعد ولاية أبي الخطار بسنتين وأما سجن أبو الخطار في قرطبة امتعض له عبد الرحمن بن حسان الكناني فاقبل الى قرطبة ليلا في ثلاثين فارسا معهم طائفة من الرجالة فهجموا على الحبس وأخرجوه منه ومضوا به الى غرب الاندلس فعاد في طلب سلطانه ودب في يمانيته حتى اجتمع له عسكر أقبل بهم الى قرطبة فخرج اليه ثوابة ومعه الصميل فقام رجل من المضرية ليلا فصاح يا على صوته يا معشر اليمن مالكم تتعرضون الى الحرب وتردون المنايا عن أبي الخطار أليس قد قدرنا عليه لو أردنا قتله لفعلنا لكننا منا وعفونا وجعلنا الامير منكم أفلا تفكرون في أمركم فلو أن الامير من غيركم عذرتم ولا والله لا نقول هذا رهبة منكم ولا خوفا لحربكم ولكن تحرجا من الدماء ورغبة في عاقبة العامة فتسامع الناس به وقالوا صدق فتداعوا للرحيل ليلا فاصبحوا الاعلى أميال قال الرازي وركب أبو الخطار البحر من ناحية تونس في المحرم سنة ١٢٥ وفي كتاب أبي الوليد بن الفرضي كان أبو الخطار أعرابيا عصبيا أفرط في التعصب لليمانيين وتحامل على مضر وأسخط قيسا فثار به زعيمهم الصميل فخلعه ونصب مكانه ثوابة وهاج بين الفريقين الحروب المشهورة وخلع أبو الخطار بعد أربع سنين وتسعة أشهر وذلك سنة ١٢٨ وآل أمره الى أن قتله الصميل وولي الاندلس ثوابة بن سلامة الجذامي قال ابن بشكوال لما اتفقوا عليه خاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب القيروان فكتب اليه بعهد الاندلس وذلك سلخ رجب سنة ١٢٧ فضبط البلد وقام بامره كله الصميل واجتمع عليه أهل الاندلس واقام واليا سنة أو نحوها ثم هلك وفي كتاب ابن الفرضي انه ولي سنتين ثم ولي الاندلس يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري وجده عقبة بن نافع صاحب افريقية وباني القيروان المجاب الدعوة صاحب الغزوات والآثار الحميدة ولهذا البيت في السلطنة بافريقية والاندلس نباهة وذكر الرازي أن مولده بالقيروان ودخل أبوه الاندلس من افريقية مع حبيب بن أبي عبيدة الفهري عند افتتاحهم ثم عاد الى افريقية وهرب عنه ابنه يوسف هذا من افريقية الى الاندلس مغاضبا له فهوى الاندلس واستوطنها فسادها قال الرازي كان يوسف يوم ولي الاندلس ابن سبع وخمسين سنة وأقامه أهل الاندلس بعد أميرهم ثوابة وقد مكثوا بغير وال أربعة أشهر فاجتمعوا عليه باشارة الصميل من أجل انه قرشي رضي به الحيان فرفعوا الحرب ومالوا الى الطاعة فدانت له الاندلس تسع سنين وتسعة أشهر وقال ابن حيان قدمه أهل الاندلس في ربيع الآخر سنة ١٢٩ واستبد بالاندلس دون ولاية أحد له غير من بالاندلس وحكى ابن حيان أنه أنشد قول حرقة بنت النعمان بن المنذر يوم خلعه بالامان من سلطانه ودخوله عسكر عبد الرحمن الداخل المرواني

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

قال ابن حيان لما سمع أبو الخطار بتقديمه حرك يمانيته فاجابوا دعوته فادى ذلك الى وقعة شقندة بين اليمانية والمضرية فيقال انه لم يك بالمشرق ولا بالمغرب حرب أصدق منها جلادا ولا أصبر رجالا طال صبر بعضهم على بعض الى أن فنى السلاح وتجاذبوا بالشعور وتلاطموا

فوجب أن يكون العلم للنفس والنفوس طبقات منها الصافي وهي النفس الحسية والنفس البراعية والنفس الجليلة ومنها مادونه في الانسان أزيد منه فلما كانت النسبة النورية للانسان الى النفس كانت تهدي الانسان الى استخراج الغيب وعلم آلاته وكانت فطنته وظنونه أبعث وأعم فاذا انتت النفس في غاية البروز نهاية الخلوص وكانت تامة النور وكاملة الشعاع كان توجهها في دراية الغائب بحسب ما عليه نفوس الكهنة وبهذا وجد الكهان على هذه السبيل من نقصان الاجسام وتشويه الخلق كما اتصل بنا عن شق وسطيح وسلمة وزوبعة وسديف بن هرماس وظريفة الكاهنة وعمران أخي عمرو مزيقيا وخارثة بنت جهينة وكاهنة باهلة واشباههم من الكهان (وأما العراف) وهو دون الكاهن فمثل الابلق الاسدي والاجلح الزهري وعروة بن زيد الازدي ورباح بن لحلة عراف اليمامة الذي قال فيه عروة

جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجدان هما شفياني

وكهنة صاحب المستنير وكان في نهاية التقدم ومولاي

بالايدي وكل بعضهم عن بعض وثابت للصميل غرة في اليمانية في بعض الايام فامر بتحريك أهل الصناعات باسواق قرطبة فحر جوا في نحو أربعمائة رجل من أنجادهم مما حضرهم من السكاكين والعصي ليس فيهم حامل رمح ولا سيف الا قليلا فرماهم على اليمانية وهم على غفلة وما فيهم من يبسط يدا لقتال ولا ينهض لدفاع فانهزمت اليمانية ووضعت المضرية السيف فيهم فابادوا منهم خلقا واختفى أبو الخطار تحت سرير رحى فقبض عليه وجيء به الى الصميل فضرب عنقه وقد ذكرنا خبر انخلاع يوسف عن سلطانه في ترجمة عبد الرحمن الداخل وهو آخر سلاطين الاندلس الذين ولوها من غير موارثة حتى جاءت الدولة المراونية وذكر ابن حيان أن القائم بدولة يوسف والمستولي عليها الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الكلابي وجده شمر هو قاتل الحسين رضي الله تعالى عنه وكان شمر قد فر من المختار بولده من الكوفة الى الشام فلما خرج كلثوم بن عياض للمغرب كان الصميل فيمن خرج معه ودخل الاندلس في طالعة بلج وكان شجاعا جوادا جسورا على قلب الدول فبلغ ما بلغ وآل أمره الى أن قتله عبد الرحمن الداخل المرواني في سجن قرطبة مخنوقا وذكر ابن حيان انه كان ممن ثار على يوسف الفهري عبد الرحمن بن علقمة اللخمي فارس الاندلس ووالى ثغر أربونة وكان ذا باس شديد ووجاهة عظيمة فبينما هو في تدبير غزو يوسف اذ اغتاله أصحابه وأقبلوا برأسه اليه ثم ثار عليه بعد ذلك بمدينة باجة عروة بن الوليد في أهل الذمة وغيرهم فملك اشبيلية وكثر جمعه الى أن خرج له يوسف فقتله وثار عليه بالجزيرة الخضراء عامر العبدري فخرج له وأنزله على أمان في سكنى قرطبة ثم ضرب عنقه بعد ذلك وقيل ان أول من خرج على يوسف عمرو بن يزيد الازرق في اشبيلية فظفر به فقتله وثار عليه في كورة سرقسطة الحباب الزهري الى أن ظفر به يوسف فقتله ثم جاءته الداهية العظمى بدخول عبد الرحمن ابن معاوية المرواني الى الاندلس وسعيه في افساد سلطانه فتم له ما أراده والله تعالى أعلم

*(ومن الداخلين من المشرق الى الاندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية ابن أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل) وذلك انه لما أصاب دولتهم ما أصاب واستولى بنو العباس على ما كان بايديهم واستقر قدمهم في الخلافة فر عبد الرحمن الى الاندلس فنال بها ملكا أورثه عقبه حقبة من الدهر قال ابن حيان في المقتبس انه لما وقع الاختلال في دولة بني أمية والطلب عليهم فر عبد الرحمن ولم يزل في فراره منتقلا بأهله وولده الى أن حل بقرية على الفرات ذات شجر وغياض يريد المغرب لما حصل في خاطره من بشرى مسلمة فحاكى عنه انه قال اني لجالس يوما في تلك القرية في ظلمة بيت توارى فيه لرمد كان بي وابني سليمان بكر ولدي يلعب قدامي وهو يومئذ ابن أربع سنين أو نحوها اذ دخل الصبي من باب البيت فارعابا كيفاهوى الى حجري فجعلت أدفعه لما كان بي وبأبي الا التعلق وهو دهش يقول ما يقوله الصبيان عند الفزع فخرجت لانظر فاذا بالروع قد نزل بالقرية ونظرت فاذا بالرايات السود عليها منحطة وأخ لي حدث السن كان معي يشتد هاربا ويقول لي النجاء يا أخي فهذه رايات المسودة فضربت بيدي على دنانير تناولتها ونجوت بنفسي والصبي أخي معي واعلمت أخواتي بتوجهي ومكان مقتصدي وأمرتهن أن يلحقنني

ومولاي بدر معهن وخرجت فكمنت في موضع ناء عن القرية فما كان الا ساعة حتى أقبلت الخيل فاحاطت بالدار فلم تجد اثرا ومضيت وتحقق بدر فاتيت رجلا من معارفي بشط الفرات فامرته أن يبتاع لي دواب وما يصلح لسفري فدل على عبد سوء له العامل فما راعنا الا جلبة الخيل تحفزنا فاشتددنا في الهرب فسبقناها الى الفرات فرمينا فيه بانفسنا والخيل تنادينا من الشط ارجعا لا باس عليكما فسبحت حائنا لنفسي وكنت أحسن السبح وسمع الغلام أني قطعنا نصف الفرات قصر أخي ودهش فالتفت اليه لاقوي من قلبه واذا هو قد اصغى اليهم وهم يخدعونه عن نفسه فناديته تقتل يا اخي الى الى فلم يسمعني واذا هو قد اغتر بامانهم وخشي الغرق فاستعجل الانقلاب نحوهم وقطعت انا الفرات وبعضهم قدهم بالتجرد للسباحة في اثري فاستكفه اصحابه عن ذلك فتركوني ثم قدموا الصبي اخي الذي صار اليهم بالامان فضربوا عنقه ومضوا براسه وانا انظر اليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاحتملت فيه ثكلا ملأني مخافة ومضيت الى وجهي احسب أني طائر وانا ساع على قدمي فلجأت الى غيضة آشبة فتواريت فيها حتى انقطع الطلب ثم خرجت هاربا أؤم المغرب حتى وصلت الى افريقية قال ابن حيان وسار حتى اتى افريقية وقد الحقت به اخته شقيقته ام الاصبغ مولاه بدر ومولاه سالما ومعهما دنانير للنفقة وقطعة من جوهر فنزل بافريقية وقد سبقه اليها جماعة من فل بني أمية وكان عندها اليها عبد الرحمن بن حبيب الفهري يهودي حدثاني صحب مسلمة بن عبد الملك وكان يتكهن له ويخبره بتغلب القرشي المرواني الذي هو من ابناء ملوك القوم واسمه عبد الرحمن وهو ذو ضفيرتين يملك الاندلس ويورثها عقبه فاتخذ الفهري عند ذلك ضفيرتين ارسلهما رجاء ان تناله الرواية فلما جاء عبد الرحمن ونظر الى ضفيرتيه قال لليهودي ويحك هذا هو وانا قاتله فقال له اليهودي انك ان قتلته فما هو به وان غلبت على تركه انه لهو وثقل فل بني امية على ابن حبيب صاحب افريقية فطرد كثيرا منهم مخافة وتجنى على ابنين للوليد بن يزيد كانا قد استجارا به فقتلهما واخذ مالا كان مع اسمعيل بن ابان بن عبد العزيز بن مروان وغلبه على اخته فتزوجها بكرهه وطلب عبد الرحمن فاستخفى انتهى وذكر ابن عبد الحكم ان عبد الرحمن الداخل اقام ببرقة مستخفيا خمس سنين وآل امره في سفره الى ان استجار ببني رستم ملوك تيهرت من المغرب الاوسط وتغلب في قبائل البربر الى ان استقر على البحر عند قوم من زناتة واخذ في تجهيز بدر مولاه الى العبور للاندلس لموالي بني امية وشيعتهم بها وكانت الموالي المروانية المدونة بالاندلس في ذلك الاوان ما بين الاربعمائة والخمسمائة ولهم جمرة وكانت رياستهم الى شخصين ابي عثمان عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد وهما من موالي عثمان رضي الله تعالى عنه وكانا يتوليان لواء بني امية يعتقبان حمله ورياسة جند الشام النازلين بكورة البيرة فعبر بدر مولى عبد الرحمن الى ابي عثمان بكتاب عبد الرحمن يذكره فيه ايادي سلفه من بني امية وسببه بهم ويعرفه مكانه من السلطان وسعيه لنيله اذ كان الامر لجده هشام فهو حقيق بوراثته وبسأله القيام بشانه وملاقاة من يثق به من الموالي الاموية وغيرهم ويتلطف في ادخاله الى الاندلس ليبلي عذرا في الظهور عليها ويعده باعلاء الدرجة ولطف المنزلة ويامره

في العرب على الاكثر وفي غيرهم على وجه الندرة لانه شيء يتولد على صفاء المزاج الطبيعي وقوة مادة نور النفس واذا أنت اعتبرت أوطانها رأيتها متعلقة بعفة النفس وقع شرها بكثر الوحدة وادمان التفرد وشدة الوحشة من الناس وقلة الانس بهم وذلك أن النفس اذا هي تفردت فكرت واذا هي فكرت بعدت واذا بعدت هطل عليها سحب العلم النفسي فنظرت بالعين النورية ولحظت بالنور الثاقب ومضت على الشريعة المستوية فاخبرت عن الاشياء على ما هي به وعليه وربما قويت النفس في الانسان فاشرفت على دراية الغائبات قبل ورودها وكان كبراء اليونانيين يعتون هذه الطائفة بالروحانية ويقولون ان النفس اذا هي أدت وكانت أكبر جزء في الانسان تهذبت الى استخراج البدائع والاخبار المستقبلات واستدلوا على ذلك أن الانسان اذا قوي فكره وزادت مواد نفسه وخاطره فكر في الطارئ قبل وروده بعلم صورته وكيف وروده الى ما على تصوره وهكذا النفس أيضا اذا تهذبت

كانت الرؤيا في النوم صادقة وفي الزمان موجودة وقد تنازع الناس في الرؤيا والسبب الموقع لها وماهيتها وكيفية وقوعها فقال

معروف بالعين قائم الصفة يحدث النفس على معان تعبرها وتفرق بينها فتشتغل به عن استعمال الظاهر والباطن الذى ألهى الحواس عن الادراك الى الحماس أعنى الروح لاشتغال الروح عن استعمالها واذا وجب بطلانها سمى نوما عرضيا لانه ليس النوم الكلى الذى يعم الاطفال والعجائز والشيوخ الذين خرجوا من مواقع ومخالقة السحر وكذلك نوم الليل على ماوصفنا والوجه الآخر وهو النوم الكلى الذى يعم الاطفال والعجائز والطبقات الحيوانية ذوات الفكر وغيرها وهى طبيعة توجبها الخلقة فى وقت ضرورة كما يوجب الجوع فى وقته ضرورة لان الجوع عند صناعة أهل الطب علة وهى الموجبة تحديد الكبد من الفراغ والاغذية ومنهم من رأى أن النفس تدرك صورة الاشياء على ضربين أحدهما حس والآخر فكر فالصورة المحسوسة لاتدركها الا فى هيئتها فاذا تخلص علمها عندنا كان ادراكها مفردا من طبعها فيكون فكر الانسان مالم ينم مانعا للحس حتى الانام فعدمت النفس الحواس كلها كانت تلك الصورة التى أخذتها من أعيان الاشياء فيها قائمة

ان يستعين فى ذلك بمن يامنه ويرجو قيامه معه ويأخذ فيه مع اليمانية ذوى الحنق على المضرية لما بين الحيين من التراث فمشى ابو عثمان لما دعاه اليه وباثنائه فيه طماعية وكان عندورود بدر قد تجهز الى ثغر سرقسطة لنصرة صاحبها الصميل بن حاتم وجه دولة يوسف بن عبد الرحمن صاحب الاندلس فقال لصهره عبد الله بن خالد المذكور لو كنا ذاكرنا الصميل خبر بدر وما جاء به لنختبر ما عنده فى موافقتنا وكانا على ثقة فى أنه لا يظهر على سرهما أحدا لمروءته وأنفته فقال له ان نحن فعلنا لم نأمن من أن تدركه الغيرة على سلطان يوسف لما هو عليه من شرف القدر وجلالة المنزلة فيتوقع سقوط رياسته فلا يساعدنا قال أبو عثمان فنمسح اذا على أمره ونذكر له انه قصد لارادة الابواء والامان وطلب أخماس جده هشام لدينا لنتعيش بها لا يريد غير ذلك فاتفقا على هذا فلما أودعا الصميل خلوا به فى ذلك وقد ظهر لهما منه حقد على صاحبه يوسف فى ابطائه عن امداده لما حاربه الحباب الزهرى بكورة سرقسطة فقال لهما أنا معكما فيما تحبان فاكتبا اليه أن يعبر فاذا حضر سألنا يوسف أن ينزله فى جواره وأن يحسن له ويزوجه بابنته فان فعل والا ضربنا صلعته باسيافنا وصرفنا الامر عنه اليه فشكراه وقبلا يده ثم ودعاه وأقام بطليطلة وقد ولاه يوسف عليها وعزله عن الثغر وانصرفا الى وطنهما بالبيرة وقد كانا لقيا من كان معهما فى العسكر من وجوه الناس وثقاتهم فطار حاهم أمر ابن معاوية ثم دسا فى الكور الى ثقاتهما بمثل ذلك فدب أمره فيهم دبيب النار فى الجمر وكانت سنة خلاف بالاندلس بعد خروج من الجماعة التى دامت بالناس وفى رواية ان الصميل لان لهما فى أن يطلب الامر عبد الرحمن الداخل لنفسه ثم دبر ذلك لما انصرفا فترا جع فيه فردهما وقال انى رويت فى الامر الذى أردته معكما فوجدت الفتى الذى دعوتمانى اليه من قوم لو بال أحدهم بهذه الجزيرة غرقنا نحن وأنتم فى بوله وهذا رجل نتحكم عليه ونميل على جوانبه ولا يسعنا بدل منه ووالله لو بلغتما بيوتكما ثم بدا لى فيما فارقتكما عليه لرأيت أن لا أقصر حتى ألقاكما لئلا اغركما من نفسى فانى أعلمكما أن أول سيف يسل عليه سيفى فبارك الله لكما فى رأيكما فقالا له ما نحن الا على رأيك ولا مذهب لنا عنك ثم انصرفا عنه على أن يعينهما فى أمره ان طلب غير السلطان وانفصلا عنه الى البيرة عازمين على التصميم فى أمره ويئسا من مضر وربيعة ورجعا الى اليمانية وأخذا فى تهييج أحقاد اهل اليمن على مضر فوجداهم قوما قد وغرت صدورهم عليهم يتمنون شيا يجدون به السبيل الى ادراك ثارهم واغتنما بعد يوسف صاحب الاندلس فى الثغر وغيبة الصميل فابثا عامر كبا ووجها فيه احد عشر رجلا منهم مع بدر الرسول وفيهم تمام بن علقمة وغيره وكان عبد الرحمن قد وجه خاتمه الى موالية فكتبوا تحت ختمه الى من يرجونه فى طلب الامر فبثوا من ذلك فى الجهات ما دب به أمرهم ولما وجه أبو عثمان المركب المذكور مع شيعته الى فوه بشط دغيلة من بلاد البربر وهو يصلى وكان قد اشتد قلقه وانتظاره لبدر رسوله فبشره بدر بتمكن الامر وخرج اليه تمام مكثر التبشيره فقال له عبد الرحمن ما اسمك قال تمام قال وما كنيتك قال أبو غالب فقال الله أكبر الآن تم أمرنا وغلبنا بحول الله تعالى وقوته وأدنى منزلة أبى غالب لما ملك ولم يزل حاجبه حتى مات عبد الرحمن وبادر عبد الرحمن بالدخول الى المركب فلما هم بذلك أقبل البربر فعرضوا دونه ففرقت فيهم من

كانها محسوسة لان الحس بها فى أعيانها كان قبيل استيلائها بالفكر ضعيفا

مال كان مع تمام صلات على أقدارهم حتى لم يبق أحد حتى أرضاه فلما صار عبد الرحمن بداخل المركب أقبل عاتٍ منهم لم يكن أحدث شيأ فتعلق بحبال المودج يعقل المركب فحول رجل اسمه شاكر يده بالسيف فقطع يد البربرى وأعانتهم الريح على التوجه بمركبهم حتى حلوا بساحل البيرة فى جهة المنكب وذلك فى ربيع الآخر سنة ١٣٨ فاقبل اليه نقباء أبو عثمان وصهره أبو خالد فنقلاه الى قرية طرش منزل أبى عثمان فجاءه يوسف بن بخت وانثالت عليه الاموية وجاءه جدران بن عمرو المذحجى من أهل مالقة فكان بعد ذلك قاضيه فى العساكر وجاءه أبو عبدة حسان بن مالك الكلبى من اشبيلية فاستوزره وانثال عليه الناس انثيالا فقوى أمره مع الساعات فصلا عن الايام وأمده الله تعالى بقوة عالية فكان دخوله قرطبة بعد ذلك بسبعة أشهر وكان خبر دخوله للاندلس قد صادف صاحبها يوسف الفهرى بالثغر وقد قبض على الحباب الزهرى الشاعر بسرقسطة وعلى عامر العبدرى الشاعر معه فبينما هو بوادى الرمل بقربه من طليطلة وقد ضرب عنق عامر العبدرى وابن عامر برأى الصميل اذ جاءه قبل أن يدخل رواقه رسول يركض من عند ولده عبد الرحمن بن يوسف من قرطبة يعلمه بأمر عبد الرحمن ونزوله بساحل جند دمشق واجتماع الموالى المروانية اليه وتشوف الناس لامره فانتشر الخبر فى العسكر لوقته وشمت الناس بيوسف لقتله القرشيين عامر اوابنه وخبره بعهدهما فسارع عدد كثير الى البدار لعبد الرحمن الداخل وتنادوا بشعارهم وقوضوا عن عسكره واتفق أن جادت السماء بوابل لا عهد بمثله لما شاء الله تعالى من التضييق على يوسف فاصبح وليس فى عسكره سوى غلمانه وخاصته وقوم الصميل قيس وأتباعه فاقبل الى طليطلة وقال للصميل ما الرأى فقال بادره الساعة قبل أن يغلظ أمره فانى لست آمن عليك هؤلاء اليمانية لحنقة بهم علينا فقال له يوسف أتقول ذلك ومع من نسير اليه وانت ترى الناس قد ذهبوا عنا وقد أنفضنا من المال وانضينا الظهر ونهكتنا المجاعة فى سفرتنا هذه ولكن نسير الى قرطبة فنستانف الاستعداد له بعد أن ننظر فى أمره ويتبين لنا خبره فلعله دون ما كتب الينا فقال الصميل الرأى ما أشرت به عليك وليس غيره وسوف تتبين غلطك فيما تنكبه ومضوا الى قرطبة وسار عبد الرحمن الداخل الى اشبيلية وتلقاه رئيس عربها أبو الصباح بن يحيى اليحصبى واجتمع الرأى على ان يقصدوا به دار الامارة قرطبة فلما نزلوا بطشانة قالوا كيف نسير بامير لا لواء له ولا علم نهتدى اليه فجاؤا بقناة وعمامة ليعقدوها عليه فكرهوا أن يعملوا القناة لتعقد تطيرا فاقاموها بين زيتونتين متجاورتين فصعد رجل فرع احداهما فعقد اللواء والقناة قائمة كما سياتى وحكى ان فرقدا العالم صاحب الحدثان مر بذلك الموضع فنظر الى الزيتونتين فقال سيعقد بينهما تين لزيتونتين لواء لامير لا يثور عليه لواء الا كسره فكان ذلك اللواء يسعد به هو وولده من بعده ولما اقبل الى قرطبة خرج له يوسف وكانت المجاعة توالت قبل ذلك ست سنين فاورثت اهل الاندلس ضعفا ولم يكن عيش عامة الناس بالعسكر ما عدا أهل الطاقة مذ خرجوا من اشبيلية الا الفول الاخضر الذى يجدونه فى طريقهم وكان الزمان زمان ربيع فسمى ذلك العام عام الخلف وكان نهر قرطبة حائلا فسار يوسف من قرطبة واقبل ابن معاوية على براشبيلية والنهر بينهما فلما رأى يوسف تصميم

فلما ارتفع الحس قوى الفكر فصار يصور الاشياء كانها محسوسة فخطر على بال النائم منها ما يخطر على باله اذا كان يقظان للشئ الذى قد كان أشبه وليس لذلك نظام واغماوما اتفق فلذلك يرى الانسان كانه يطير وليس بطائر وانما صورة الطيران مفردة كما تعلمها اذا غابت ولكن فكرته فيها تقوى حتى كانها معاينة له فاما ما يراه من الاشياء التى تدل على ما يريد فانما ذلك لان النفس عالمة بالصور فاذا خلصت فى المنام من شوائب الاجسام أشرفت على ما يناله وهى عالمة أيضا فى حال اليقظة لا يمكنها معرفة ذلك فتتخيل خيالات تدل بها على تلك الاشياء التى تريد أن تكون حتى اذا تذكرت تلك الخيالات وتلك الاشياء فمن كانت نفسه صافية لم تكد رؤياه تكذب كثيرا ثم ما بين الكدرة والصافية وسائط على حسب مراتبها من الصفاء والكدر يكون صدق ما تخيلته وكذبه (وقال فى طريق آخر) اذا بطل استعمال النفس للحواس ظاهر الم يبطل استعمالها فى نفسها ولم

٩ ط فى يبطل استعمال قواها متنقل فى الاماكن وتشاهد الاشخاص بالقوة الروحانية التى

عبد الرحمن الى قرطبة رجع مع النهر محاذيا له فتسايروا والنهر حاجز بينهما الى ان حل يوسف بحصراء الصارة غربى قرطبة وعبد الرحمن فى مقابلته وتراسلا فى الصلح وقد امر يوسف بذبح الجزور وتقدم بعمل الاطعمة وابن معاوية اخذ فى خلاف ذلك قد اعتد للحرب عدتها واستكمل اهبتها وسهر الليل كله على نظام امره كما سنذكره ثم انهزم اهل قرطبة وظفر عبد الرحمن الداخل ونصر نصرا لا كفاء له وانهزم الصميل وفر الى شوذر من كورة جيان وفر يوسف الى جهة ماردة وذكر أن أبا الصباح رئيس اليمانية قال لهم عند هزيمة يوسف يا معشر يمن هل لكم الى فتحين فى يوم قد فرغنا من يوسف وصميل فلنقتل هذا الفتى المقدم بن معاوية فيصير الامر الينا نقدم رجلا منا ونحل عنه المضرية فلم يجبه أحد لذلك وبلغ الخبر عبد الرحمن فاسرها فى نفسه الى أن اغتاله بعد عام فقتله ولما انقضت الهزيمة أقام ابن معاوية بظاهر قرطبة ثلاثة أيام حتى أخرج عيال يوسف من القصر وعفا وأحسن السيرة ولما حصل بدار الامارة وحل محل يوسف لم يستقر به قرار من افلات يوسف والصميل فخرج فى اثر عدوه واستخلف على قرطبة القائم بامره أبا عثمان واستكتب كاتب يوسف أمية بن زياد واستنام اليه اذ كان من موالى بنى أمية ونهض فى طلب يوسف فوقع يوسف على خبره فخالفه الى قرطبة ودخل القصر وتحصن أبو عثمان خليفة عبد الرحمن بصومعة الجامع فاستنزله بالامان ولم يزل عنده الى أن عقد الصلح بينه وبين ابن معاوية وكان عقد الصلح المشتمل عليه وعلى وزيره الصميل فى صفر سنة ١٢٩ وشارطه على ان يخلى بينه وبين اموالهما حيثما كانت وان يسكن بلاط الحمر منزلة بشرقى قرطبة على ان يختلف كل يوم الى ابن معاوية ويريه وجهه واعفاه رهينة على ذلك ابنه أبا الاسود محمد بن يوسف زيادة على ابنه عبد الرحمن الذى اسره ابن معاوية يوم الوقعة ورجع العسكران وقد اختلطا الى قرطبة وذكر ابن حيان أن يوسف بن عبد الرحمن نكث سنة ١٤١ فهرب من قرطبة وسعى بالفساد فى الارض وقد كانت الحال اضطربت به فى قرطبة ودس له قوم قالوا عليه فى أملاك زعموا انه غصبهم اياها فدفع معهم الى الحكام فأعنتوه وحمل عنه فى التألم بذلك كلام رفع الى ابن معاوية أصاب أعداء يوسف به السبيل الى السعاية به والتخويف منه فاشتد توحشه فخرج الى جهة ماردة واجتمع اليه عشرون ألفا من أهل الشتات فغلظ أمره وحدثته نفسه بلقاء ابن معاوية فخرج نحوه من ماردة وخرج ابن معاوية من قرطبة فبينما ابن معاوية فى حصن المدور مستعدا اذا التقى بيوسف عبد الملك بن عمر بن مروان صاحب اشبيلية فكانت بينهما حرب شديدة انكشف عنها يوسف بعد بلاء عظيم منهزما واستحر القتل فى أصحابه فهلك منهم خلق كثير وسار يوسف لناحية طليطلة فلقيه فى قرية من قراها عبد الله بن عمر والانصارى فلما عرفه قال لمن معه هذا الفهرى يفر قد ضاقت عليه الارض وقتله الراحة له والراحة منه فقتله واحتز رأسه وقدم به الى عبد الرحمن فلما قرب وأذن عبد الرحمن به أمره أن يتوقف به دون جسر قرطبة وأمر بقتل ولده عبد الرحمن المحبوس عنده وضم الى رأسه رأسه ووضعا على قناتين مشهرين الى باب القصر وكان عبد الرحمن لما فر يوسف قد سجن وزيره الصميل لانه قال له أين توجه فقال لا اعلم فقال ما كان ليخرج حتى يعلمك ومع ذلك فان ولدك معه واكد عليه فى ان يحضره فقال لوانه تحت قدمى هذه ما رفعتها لك

ليست بجسم لا بالقوة وملامسة الاشياء اما بالاتصال كاتصال اللون واما بانفصال الجسم من الاماكن والروح تدرك المتصل والمنفصل جميعا الا بمشاركة الجسد الذى يوجب الحاجة الى قرب المدرك (ومنهم) من رأى أن الدم هو اجتماع الدم وجريانه الى الكبد (ومنهم) من رأى أن ذلك هو سكون النفس وهدو الروح (ومنهم) من زعم أن ما يجده الانسان فى نومه من الخواطر انما هو عمل الاغذية والاطعمة والطبائع (ومنهم) من رأى أن بعض الرؤيا من الملك وبعضها من الشيطان واعتل هؤلاء بقوله تعالى انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا (ومنهم) من رأى أنها جزء من احدى وستين جزأ من النبوة وتنازع هؤلاء فى كيفية الجزء وماهيته (ومنهم) من ذهب الى أن الانسان الحاس هو غير هذا الجسم وانه يخرج عن البدن فى حال النوم فيشاهد العالم ويرى الملكوت على حسب صفائه واعتل هؤلاء وغيرهم ممن ذهب الى نحو هذا المعنى بقوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها الى قوله الى أجل مسمى (وذهب)

عنه فاصنع ماشئت فحينئذ امر به للحبس وبحبس معه ولدى يوسف ابا الاسود محمدا المعروف بعدبا الاعمى وعبد الرحمن فتهيأ لهما المهرب من نقب فاما ابو الاسود ففجأ الماء واضطرب فى الارض يبغى الفساد الى أن هلك حتف أنفه واما عبد الرحمن فانه نهر فرد الى الحبس حتى قتل كما تقدم وانف الصميل من المهرب فاقام بمكانه فلما قتل يوسف ادخل ابن معاوية على الصميل من خنقه فاصبح ميتا فدخل عليه مشيخة المضرية فى السجن فوجدوه ميتا بين يديه كاس ونقل كانه بغت على شرابه فقالوا والله انا لنعلم يا اباجوشن انك ماشربتها ولكن سقيتها ومما ظهر من بغض الامير عبد الرحمن بن معاوية وصرامته قتله باحد حاشم دولته ورئيس اليمانية ابى الصباح بن يحيى وكان قد ولاه اشبيلية وفى نفسه منه ما وجب قتله به ومن ذلك النوع حكايته مع العلاء بن مغيث اليحصبى اذ ثار بباجة وكان قد وصل من افريقية على ان يظهر الرايات السود بالاندلس فدخل فى ناس قليلين فارسى بناحية باجة ودعا اهلها ومن حولهم فاستجاب له خلق كثير الى ان لقيه عبد الرحمن بجهة اشبيلية فهزمه وجىء به واعلام اصحابه فقطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه واعناقهم وامر فقرطت الصكاك فى آذانهم باسمائهم وأودعت جوالقا محصنا ومعها اللواء الاسود وانفذ بالجوالق تاجرا من ثقاته وامره ان يضعه بمكة ايام الموسم ففعل ووافق ابا جعفر المنصور قد جمع فوضعه على باب سرادقه فلما كشفه ونظر اليه سقط فى يده واستدعى عبد الرحمن وقال عرضنا هذا البائس يعنى العلاء للحتف ما فى هذا الشيطان مطمع فالحمد لله الذى صير هذا البحر بيننا وبينه ولما أوقع عبد الرحمن باليمانية الذين خرجوا فى طلب ثار رئيسهم أبى الصباح اليحصبى واكثر القتل فيهم استوحش من العرب قاطبة وعلم انهم على دغل وحقد فانحرف عنهم الى اتخاذ المماليك فوضع يده فى الابتياع فابتاع وموالى الناس بكل ناحية واعتضد ايضا بالبربر ووجه عنهم الى بر العدوة فاحسن ان وفد عليه احسانا رغب من خلفه فى المتابعة قال ابن حيان واستكثر منهم ومن العبيد فاتخذ اربعين الف رجل صار بهم غالبا على أهل الاندلس من العرب فاستقامت مملكته وتوطدت وقال ابن حيان كان عبد الرحمن راجح الحلم فاسح العلم ثاقب الفهم كثير الحزم نافذ العزم بريأ من العجز سريع النهضة متصل الحركة لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامور الى غيره ثم لا ينفرد فى ابرامها برأيه شجاعا مقداما بعيد الغور شديد الحدة قليل الطمأنينة بليغا مفوها شاعرا محسنا سمحا سخيا طلق اللسان وكان يلبس البياض ويعتم به ويؤثره وكان قد أعطى هيبة من وليه وعدوه وكان يحضر الجنائز ويصلى عليها ويصلى بالناس اذا كان حاضرا الجمع والاعياد ويخطب على المنبر ويعود المرضى ويكثر مباشرة الناس والمشى بينهم الى أن حضر فى يوم جنازة فتصدى له فى منصرفه عنها رجل متظلم عامى وقاح ذو عارضة فقال له أصلح الله الامير ان قاضيك ظلمنى وأنا أستجيرك من الظلم فقال له تنصف ان صدقت فمد الرجل يده الى عنانه وقال أيها الامير أسالك بالله لما برحت من مكانك حتى تامر قاضيك بانصافى فانه معك فوجم الامير والتفت الى من حوله من حشمه فرآهم فليلا ودعا بالقاضى وأمر بانصافه فلما عاد الى قصره كلمه بعض رجاله ممن كان يكره خروجه وابتذاله فيما جرى فقال له ان هذا الخروج الكثير أبقى الله تعالى الامير

تشتغل أجسادهم من المرة الصفراء يرون فى منامهم النيران ونحو ذلك وما أشبهه والغالب على من كان مزاجه البلغم أن يرى بحورا وأنهارا وعيونا وأحراضا وغدرانا ومياها كثيرة وأمواجا ويرى كانه يسبح أو يصيد سمكا ونحو ذلك وما قاربه والغالب على من كان مزاجه السوداء أن يرى فى منامه أجداثا وقبورا وأمواتا مكفنين بسواد وبكاء ونوحا ورنينا وصراخا وأشياء مفزعة وأمورا مقطعة وفيلة وأسودا والغالب على من كان مزاجه الدم أن يرى خمرا ونبيذا ورياحين ولعبا ووصفا وعزفا وأنواع الملاهى والرقص والسكر والفرح والسرور والثياب المصبغات من الحمرة وغيرها وما لحق بهذا الباب مما وصفنا من أنواع السرور ولا خلاف بين المتطببين فى أن الضحك واللعب وأنواع السرور من الدم وأن كل حزن وخوف وان اختلفت معانيه فان ذلك من المرة السوداء واحتجوا بضروب من الاحتجاجات فهذه جملتها وقد أوضحنا هذا فى كتابنا الرؤيا والكمال وفى كتاب طب النفوس فلاوجه لاطنابنا فى هذا الموضع من كتابنا هذا اذ كان هذا الكتاب كتاب خبر لا كتاب

لا يحمل بالسلطان العزيز وان عيون العامة تخلق تجلته ولا تؤمن بوادرهم عليه فليس الناس كما عهدوا فترك من يومئذ شهود الجنائز وحضور المحافل ووكل بذلك ولده هشاما * ومن نظم عبد الرحمن الداخل ما كتب به الى أخته بالشام

أيها الراكب الميمم أرضى * اقرئى بعض السلام لبعضى
ان جسمى كما تراه بارض * وفؤادى ومالكيه بارض
قدر البين بيننا فافترقنا * وطوى البين عن جفونى غمضى
قد قضى الدهر بالفراق علينا * فعسى بالجتماعنا سوف يقضى

وكتب الى بعض من وفد عليه من قومه لما سأله الزيادة فى رزقه واستقل ما قابله به وذكره بحقه بهذه الابيات

شتان من قام ذا امتعاض * منتضى الشفرتين نصلا
فجاب قفرا وشق بحرا * مساميا لجة ومحلا
دبر ملكا وشاد عزا * ومنبرا للخطاب فصلا
وجند الجند حين أودى * ومصر المصر حين أجلى
ثم دعا اهله اليه * حيث انتأوا أن هلم أهلا
فجاء هذا يريد جوع * شديد روع يخاف قتلا
فنال امنا ونال شبعا * ونال مالا ونال أهلا
الم يكن حق ذا على ذا * أعظم من منعم ومولى

وحكى ابن حيان أن عبد الرحمن لما أذعن له يوسف صاحب الاندلس واستقر ملكه استحضر الوفود الى قرطبة فانثالوا عليه ووالى القعود لهم فى قصره عدة أيام فى مجالس يكلم فيها رؤساءهم ووجوههم بكلام سرهم وطيب نفوسهم مع انه كساهم وأطعمهم ووصلهم فانصرفوا عنه مجبورين مغتبطين يتدارسون كلامه ويتهافتون بشكره ويتهانئون بنعمة الله تعالى عليهم فيه وفى بعض مجالسهم هذه مثل بين يديه رجل من جند قنسرين يستجديه فقال له يا ابن الخلائف الراشدين والسادة الاكرمين اليك فررت وبك عذت من زمن ظلوم ودهر غشوم قليل المال وكثر العيال وشعث الحال فصير الى ندائك المأمول وأنت ولى الحمد والمجد والمرجو للرفد فقال له عبد الرحمن مسرعا قد سمعنا مقالتك وقضينا حاجتك وأمرنا بعونك على دهرك على كرهنا لسوء مقامك فلا تعودن ولا سواك لمثله من اراقة ماء وجهك بتصريح المسئلة والالحاف فى الطلبة واذا ألم بك خطب أو خزبك أمر فارفعه الينا فى رقعة لا تعدوك كيما نستر عليك خلتك ونكف شمات العدو عنك بعد رفعك لها الى مالك الملك ومالكنا عز وجهه باخلاص الدعاء وصدق النية وأمر له بجائزة حسنة وخرج الناس يتعجبون منه من حسن منطقه وبراعة أدبه وكف فيما بعد ذوى الحاجات عن مقابلته بهاشفاها فى مجلسه قال ابن حيان ووقع الى سليمان بن يقظان الاعرابى على كتاب منه سلك به سبيل الخداع أتأبعد فدعنى من معاريض المعاذير والتعسف عن جادة الطريق لتهتدن يدا الى الطاعة والاعتصام بحبل

لما ذهبت اليه الناس فى تحديد النفس وما قاله أفلاطون فى تحديده للنفس ان النفس جوهر ليس بمحرك للبدن وما حده صاحب المنطق أن حد النفس كمال الجسم الطبيعى وحدها من وجه آخر أنه حى بالقوة ولا للفرق بين النفس والروح لان الفرق بينهما أن الروح جسم والنفس لا جسم وأن الروح يحرو به البدن والنفس تبطل أفعالها فى البدن ولا تبطل هى فى ذاتها والنفس تحرك البدن وتنيله الحس وذكره أفلاطون فى كتاب السياسة المدنية نهر البستان وما يلحق الانسان من صفات النفس الداخلة على النفس الناطقة وذكره أفلاطون فى كتابه الى طسماويس وفى كتاب قارون وكيفية سقراط الحكيم وما يتكلم فى ذلك فى النفس والصورة (وقد تكلم الناس) فى طبقات النفوس وصفاتها من أصحاب الالسن وغيرهم من الفلاسفة ثم تنازع أهل الاسلام فى هيئة الانسان الحساس الدراك المأمور المنهى وما قالت المتصوفة وأصحاب المعارف والدعاوى فى طبقات النفوس من النفس المطمئنة والنفس اللوامة والنفس الامارة بالسوء

الجماعة أولا وزوين بنانها عن وصف المعصية فكلا بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد وفى المثل ان عبد الرحمن كان من البلاغة بالمكان العالى الذى يرتد عنه أكثر بنى مروان حسيرا وقد جرى بينه وبين مولاه بدر ما لا يجب اهماله وذلك انه لما سعى بدر فى تكميل دولته من ابتدائها الى استقرارها صحبه عجب وامتنان كاد يردان به حياض المنية فاول ما بدا به أن قال بعنا أنفسنا وخاطرنا بها فى شأن من هانت عليه لما بلغ أقصى أمله وقال وقد أمره بالخروج الى غزاة انما تعبنا اولا لنستريح آخرا وما أرانا الا فى أشد مما كنا وأطال أمثال هذه الاقوال وأكثر الاستراحة فى جانبه فهجره وأعرض عنه فزاد كلامه وكتب له رقعة منها أما كان جزائى فى قطع البحر وجوب القفر والاقدام على تشتيت نظام مملكة واقامة أخرى غير الهجر الذى أهانتنى فى عيون اكفائى وأشمت بى أعدائى وأضعف أمرى ونهيى عند من يلوذ بى ويترمطامع من كان يكرمنى ويحفدنى على الطمع والرجاء وأظن أعداء بنى العباس لو حصلت بايديهم ما بلغوا بى أكثر من هذا فانا لله وانا اليه راجعون فلما وقف عبد الرحمن على رقعته أشتد غيظه عليه فوقع عليها وقفت على رقعتك المنبئة عن جهلك وسوء خطابك ودناءة أدبك ولئيم معتقدك والعجب أنك منى ما أردت أن تبنى لنفسك عندنا مما تأتيت بما يهدم كل مبنات مشيد مما تمن به مما قد أضجر الاسماع تكراره وقدحت فى النفوس اعادته مما استغفرنا الله تعالى من أجله على امرنا باستئصال مالك وزدنا فى هجرك وابعادك وهضمنا جناح ادلالك فلا مال ذلك يقمع منك ويردعك حتى تبلغ منك ما تريد ان شاء الله تعالى فنحن اولى بتأديبك من كل أحد اذ شركك مكتوب فى مثالبنا وخيرك معدود فى مناقبنا فلما ورد هذا الجواب على بدر سقط فى يده وسلم للقضاء وعلم انه لا ينفع فيه قول ووجه عبد الرحمن من استئصال ماله والزمه داره وهتك حرمته وقص جناح جاهه وصيره اهون من قعيس على عمته ومع هذا فلم ينته بدر عن الاكثار من مخاطبته مولاه تارة يستلينه وتارة يذكره وتارة ينفث مصدور الحظ قلمه بما يلقيه عليه بلسانه غير مفكر فيما يؤول اليه الى ان كتب له قد طال هجرى وتضاعف همى وفكرى واشتد على كونى سليما من مالى فعسى ان تأمر لى باطلاق مالى وأتحدبه فى معزل لا اشتغل بسلطان ولا ادخل فى شئ من اموره ما عشت فوقع له ان لك من الذنوب المترادفة مالو سلب معها روحك لكان بعض ما استوجبته ولا سبيل الى رد مالك فان تركك بمعزل فى بلهنية الرفاهية وسعة ذات اليد والتخلى من شغل السلطان اشبه بالنعمة منه بالنقمة فاياس من ذلك فان الياس مريح فسكت لما وقف على هذه الاجابة مدة الى ان اتى عيد فاشتد به حزنه لما رأى من حاجة من يلوذ به وهمهم بما يفرح به الناس فكتب اليه فى ذلك رقعة منها وقد اتى هذا العيد الذى خالفت فيه أكثر من اساء اليك وسعى فى خراب دولتك ممن عفوت عنه فتبتئك النعمة فى ذرا ثروة عز وانا على ضد من هذا سليما من النعمة مطرحا فى حضيض الهوان اياس مما يكون واقرع السن على ما كان فلما وقف على هذه الرقعة امر بنفيه عن قرطبة الى اقصى الثغر وكتب له على ظهر رقعته لتعلم انك لم تزل بمقتك حتى ثقلت على العين طلعتك ثم زدت الى ان ثقل على السمع كلامك ثم زدت الى ان ثقل على النفس جوارك وقد امرنا باقصائك الى اقصى الثغر

(ذكر جمل من أخبار الكهان وسيل العرم وتفرق الازد فى البلدان)

قال المسعودى قد ذكرنا جملا من الكهانة والقيافة والزجر والبارح والسانح فلنذكر الآن لمعا من أخبار الكهان وتفرق ولد سبا فى البلدان ولم يزل ولد قحطان فى أطيب عيش الى أن هلك سبا وكان القوم بعد مضى سبا تداولتهم الاعصار قرنا بعد قرن الى أن أرسل الله عليهم سيل العرم وذلك أن الرياسة انتهت فيهم الى عمرو بن عمرو مزيقيا وهو عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن كهلان بن سبا

وذلك ببلاد مازن من أهلها سيل العرم وهو السد وكان فرسخا في فرسخ بناه لقمان الاكبر العادي وهو لقمان بن عاد بن عاديا وقد ذكرنا خبره وخبر غيره ممن كان عمر منهم عمر النسور وهذا السد هو الذي كان يرد عنهم السيل فيما سلف من الدهر اذا حان أن يغشى أموالهم فخرقهم الله كل ممزق وباعد بين أسفارهم والناس في قصة هلكهم يختلفون وفي سياقة أخبارهم يتباينون (وذكر) أصحاب التاريخ القديم أن أرض سبا كانت من أخصب أرض اليمن وأثراها وأغدقها وأكثرها جنانا وغيضانا وأفسحها مروجا مع بنيان حسن وشجر مصفوف ومساكب للماء متكاثفة وانهار وازهار متفرقة وكانت مسيرة اكثر من شهر للراكب الجد على هذه الحالة وفي العرض مثل ذلك وان الراكب والمار كان يسير في تلك الجبال من اولها الى أن ينتهي الى آخرها لا تواجهه الشمس ولا تعارضه لاستتار الارض بالعمارة الشجيرية واستيلائها عليها واحاطتها بها وكان أهلها في اطيب عيش وارفعه وأهنأ حال وارغد قرى وفي نهاية الخصب وطيب

فبالله الا ما قصرت ولا يبلغ بك زائد الحقت الى ان تضيق بي الدنيا ورأيتك تشكو فلان وتتألم من فلان وما تقولوه عليك ومالك عدو اكبر من لسانك فاطاح بك غيره فاقطعه قبل ان يقطعك * ولما فتح الداخل سرقسطة وحصل في يده ثائرها الحسين الانصاري وشدخت رؤس وجوهها بالعمد وانتهى نصره فيها الى غاية أمله اقبل خواصه يهنئونه فجرى بينهم أحد من لا يؤبه به من الجند فهناه بصوت عال فقال والله لولا ان هذا اليوم يوم اسبغ علي فيه النعمة من هو فوقي فاوجب علي ذلك ان انعم فيه على من هو دوني لاصلينك ما تعرضت له من سوء النكال من تكون حتى تقبل مهنئا رافعا صوتك غير متلجلج ولا متهيب لمكان الامارة ولا عارف بقيمتها حتى كأنك تخاطب اباك أو اخاك وان جهلك ليحملك على العود لمثلها فلا تجد مثل هذا الشافع في مثلها من عقوبة فقال ولعل فتوحات الامير يقترن اتصالها باتصال جهلي وذنوبي فتشفع لي متى اتيت بمثل هذه الزلة لا اعدمنيه الله تعالى فتهلل وجه الامير وقال ليس هذا باعتذار جاهل ثم قال بهنونا على انفسكم اذا لم تجدوا من يبهنأ عليها ورفع مرتبته وزاد في عطائه * ولما أنحى اصحابه على اصحاب الفهري بالقتل يوم هزيمتهم على قرطبة قال لا تستأصلوا شأفة اعداء ترجون صداقتهم واستبقوهم لأشد عداوة منهم يشير الى استبقائهم ليستعان بهم على اعداء الدين ولما اشتد الكرب بين يديه يوم حربه مع الفهري ورأى شدة مقاساة اصحابه قال هذا اليوم هو أس ما يبنى عليه اما ذل الدهر واما عز الدهر فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون تربحوا بها بقية اعماركم فيما تشتهون * ولما خرج من البحر أول قدومه على الاندلس أتوه بخمر فقال اني محتاج لما يزيد في عقلي لا لما ينقصه فعرفوا بذلك قدره ثم اهديت اليه جارية جميلة فنظر اليها وقال ان هذه من القلب والعين بمكان وان أنا اشتغلت عنها بهمتي فيما أطلبه ظلمتها وان اشتغلت بها عما اطلبه ظلمت همتي ولا حاجة لي بها الآن وردها على صاحبها * ولما استقامت له الدولة بلغه عن بعض من أعانه انه قال لولا أنا ما توصل لهذا الملك ولكان منه ابعد من العيوق وأن آخر قال سعده أعانه لا عقله وتدبيره فحركه ذلك الى أن قال

لا يلفعنك عنا قائل * لولاي ما ملك الانام الداخل
سعدي وحزمي والمهند والقنا * ومقادر بلغت وحال حائل
ان الملوك مع الزمان كواكب * نجم يطالعنا ونجم آفل
والحزم كل الحزم ان لا يغفلوا * أبدا وتدبير البرية غافل
ويقول قوم سعده لا عقله * خير السعادة ما حواها العاقل
أبني أمية قد جبرنا صدعكم * بالغرب رغما والسعود قبائل
ما دام من نسلي امام قائم * فالملك فيكم ثابت متواصل

وحكى ابن حيان أن جماعة من القادمين عليه من قبل الشام حدثوه يوما في بعض مجالسهم عنده ما كان من الغمر بن يزيد بن عبد الملك أيام محنتهم وكلامه لعبد الله بن علي بن عبد الله ابن عباس الساطي بهم وقد حضروا رواقه وفيه وجوه السودة من دعاة القوم وشيعتهم رادا على عبد الله فيما أراقه من دماء بني أمية وسلبهم والبراءة منهم فلم تردعه هيبته وعصفريحه

واستغفالي جمعه عن معارضته والرد عليه بتفضيله لاهل بيته والذب عنهم وانه جاء في ذلك بكلام غاظ عبد الله وأغضه بريقه وعاجل الغمر بالحتف فمضى وخلف في الناس ما خلف من تلك المعارضة في ذلك المقام وكثر القوم في تعظيم ذلك فكأن الامير عبد الرحمن احتقر ذلك الذي كان من الغمر في جنب ما كان منعه في الذهاب بنفسه عن الاذعان لعدوهم والانف من طاعتهم والسعي في اقتطاع قطعة من مملكة الاسلام عنه وقام عن مجلسه فصاغ هذه الابيات بديهة

شتان من قام ذا امتعاض ✻ فرما قال واضمحلا
ومن غدا مصلتا لعزم ✻ مجردا للعداة نصلا
فحاب قفرا وشق بحرا ✻ ولم يكن في الانام كلا
فشاد ملكا وشاد عزا ✻ ومنبر اللغطاب فصلا
وجند الجند حين أودى ✻ ومصر المصر حين أجلى
ثم دعا أهله جميعا ✻ حيث انتأوا أن هلم أهلا

وله غير ذلك من الشعر وسياتي بعضه مما يقارب هذه الطبقة ✻ وأول ناصر لعبد الرحمن سائر معه في الخمول والاستخفاء مولاه المتقدم الذكر سعي في سلطانه شرقا وغربا براو بحرا فلما كمل له الامر سلبه من كل نعمة وسجنه ثم أقصاه الى أقصى الثغر حتى مات وحاله أسوأ حال والله تعالى أعلم بالسرائر فلعل له عذرا ولا يلومه من يسمع مبدأه ومآله ورأس الجماعة الذين توجه اليهم بدو في القيام بسلطانه أبو عثمان ولما توطدت دولة الداخل استغنى عنه وعن أمثاله فاراد أبو عثمان أن يشغل خاطره وينظر في شيء يحتاج به اليه فجعل ابن أخته يثور عليه في حصن من حصون البيرة فوجه عبد الرحمن من قبض عليه وضرب عنقه ثم أخذ أبو عثمان مع ابن أخي الداخل وزين له القيام عليه فسعى لعبد الرحمن بابن أخيه قبل أن يتم أمره فضرب عنقه وأعناق الذين دبروا معه وقيل له ان أبا عثمان كان معه وهو الذي ضمن له تمام الامر فقال هو أبو سلمة هذه الدولة فلا يتحدث الناس عنه بما تحدثوا عن بني العباس في شان أبي سلمة لكن ساعته عتبا أشد من القتل وجعل يوعده ورجع به الى ما كان عليه في الظاهر وكان صاحبه الثاني في الموازرة والقيام بالدولة صهره عبد الله بن خالد وكان قد ضمن لابي الصباح رئيس اليمانية عن الداخل أشياء لم يف بها الداخل وقتل أبا الصباح فانعزل عبد الله وأقسم لا يشتغل بشغل سلطان حياته فمات منفردا عن السلطان وكان ثالثهما في النصرة والاختصاص تمام بن علقمة وهو الذي عبر البحر اليه وبشره باستحكام أمره فقتل هشام بن عبد الرحمن ولد تمام المذكور وكذلك فعل بولد أبي عثمان المتقدم الذكر قال ابن حيان فذا قام بشكل ولديهما على يدي أعز الناس عليهما ما أراهما أن أحدا لا يقدر أن ينظر في تحسين عاقبته واذا تتبع الامر في الذين يقومون في قيام دولة كان ما لهم مع من يظهرونه هذا المآل وأصعب ✻ وذكر ان أول حجاب الداخل تمام بن علقمة مولاه ذو العمر الطويل ثم يوسف بن بخت الفارسي مولى عبد الملك بن مروان وله بقرطبة عقب نابه ثم عبد الكريم ابن مهران من ولد الحرث بن أبي شمر الغساني ثم عبد الرحمن بن مغيث بن الحرث بن

الملكة وكانت بلادهم في الارض مثلا وكانوا على طريقة حسنة من اتباع شرف الاخلاق وطلاب الافضال على القاصد والسفير بحسب الامكان وما توجبه القدرة من الحال فمكثوا على ذلك ماشاء الله من الاعصار لا يعاندهم ملك الا قصموه ولا يوافيهم جبار في جيش الا كسروه فذلت لهم البلاد واذعن لطاعتهم العباد فصاروا تاج الارض وكانت المياه التي هي اكثر ما يرد الى ارض سبا تظهر من مخراق من الحجر الصلد والحديد من السد والجبال طول المخراق فيما وصفنا فرسخ وكان وراء السد والجبال أنهار عظام وكان في هذا المخراق الآخذ من تلك الانهار ثلاثون نقبا مستديرة في استدارة الذراع طولا وعرضا مدورة على أحسن هندسة واكمل تقدير وكانت المياه تخرج من تلك الانقاب في مجاريها حتى تاتي الجبال فتريها سقيا وتم شرب القوم وقد كانت ارض سبا قبل ما وصفنا من العمارة والخصب بركبها السيل من تلك المياه وكان ملك القوم

في ذلك الزمان يقرب الحكماء ويدنيهم ويؤثرهم ويحسن اليهم فجمعهم من اقطار الارض للانتجاء الى رأيهم والاخذ من

يهلك الزرع ويسوق من جملته البناء فاجمع القوم رأيهم على عمل مصارف الى براري تقذف به الى البحر واخبروا الملك أن الماء اذا حفرت المصارف الهابطة طلبها وانحدر فيها ولم يترا كم حتى يعلو الجبال لان في طباع الماء طلاب الحفص فحفر الملك المصارف حتى انحدر الماء وانصرف وتدافع الى تلك الجهة وانحدر السيل في الموضع الذي كان فيه بدء جريان الماء من الجبل الى الجبل وجعلوا فيه الخراق على ما وصفنا آنفا ثم اجتذبوا من تلك المياه نهرا مرسلا مقدارا معلوما ينتهي في جريانه الى الخراق ثم ينبعث الماء منه الى تلك الانقاب وهي الثلاثون مخراقا الصغار التي قدمنا ذكرها وكانت البلاد عامرة على ما وصفنا آنفا ثم ان تلك الامم بادت ومرت عليها السنون وضربها الدهر بضرباته وطحنها بكلكله وعمل الماء في أصول ذلك الخراق واضعفه مر السنين عليه وتدافع الماء حوله وقد قيل في المثل اذا أثر تواتر الماء على الحجر الصلد فما ظنك بسيل يتدافع على حديد وحجر مصنوع فلما سكنت أبناء قحطان على ما وصفنا من هذه الديار وتغلبت على من كان فيها من القطان لم تعلم الا فقة من انحطام السدود الخراق وسموا

حويرث بن جملة بن الايهم الغساني وأبوه مغيث فاتح قرطبة الذي تقدمت ترجمته ثم منصور الخصي وكان أول خصي استحجبه بنو مروان بالاندلس ولم يزل حاجبه الى ان توفي الداخل * ولم يكن للداخل من ينطلق عليه سمة وزير لكنه عين أشياخا للمشاورة والموازرة أولهم أبو عثمان المتقدم الذكر وعبد الله بن خالد السابق الذكر وأبو عبدة صاحب اشبيلية وشهيد بن عيسى بن شهيد مولى معاوية بن مروان بن الحكم وكان من سبي البربر وقيل انه رومي وبنو شهيد الفضلاء من نسله وعبد السلام بن بسيل الرومي مولى عبد الله بن معاوية ولولده نباهة عظيمة في الوزارة وغيرها وثعلبة بن عبيد بن النظام الجذامي صاحب سرقسطة لعبد الرحمن وعاصم بن مسلم الثقفي من كبار شيعته وأول من خاض النهر وهو عريان يوم الوقعة بقرطبة ولعقبه في الدولة نباهة * وأول من كتب له عند خلوص الامر له واحتلاله بقرطبة كبير نقبائه أبو عثمان وصاحبه عبد الله بن خالد المتقدما الذكر ثم لزم كتابته أمية بن يزيد مولى معاوية بن مروان وكان في عديد من يشاوره أيضا ويفضل امره وآراءه وكان يكتب قبله ليوسف الفهري وقيل انه ممن اتهم في مماالاة اليزيدي في افساد دولة عبد الرحمن فاتفق أن مات قبل قتل اليزيدي واطلاع عبد الرحمن على الامر * وذكر ابن زيدون ان الداخل ألفى على قضاء الجماعة بقرطبة يحيى بن يزيد اليحصبي فاقره حينا ثم ولى بعده أبا عمر ومعاوية بن صالح الحمصي ثم عمر بن شراحيل ثم عبد الرحمن بن طريف وكان جد ابن عمر ويقضي في العساكر * وكان الداخل يرتاح لما استقر سلطانه بالاندلس الى أن يفد عليه فل بيته بني مروان حتى يشاهدوا تمام الله تعالى عليه وتظهر يده عليهم فوفد عليه من بني هشام بن عبد الملك أخوه الوليد بن معاوية وابن عمه عبد السلام بن يزيد بن هشام قال ابن حيان وفي سنة ١١٣ قتل الداخل عبد السلام ابن يزيد بن هشام المعروف باليزيدي وقتل معه من الوافدين عليه عبيد الله بن أبان بن معاوية بن هشام المعروف باليزيدي وهو ابن اخي الداخل وكانا تحت تدبيره بمانه في طلب الامر فوشي بهما مولى لعبيد الله بن أبان وكان قد ساعدهما على ما هما به من الخلاف ابو عثمان كبير الدولة فلم ينله ما نالهما وذكر الحجاري ان الداخل كان يقول اعظم ما انعم الله تعالى به علي بعد تمكني من هذا الامر القدرة على ايواء من يصل الى من اقاربي والتوسع في الاحسان اليهم وكبرى في اعينهم وأسماعهم ونفوسهم مما منحني الله تعالى من هذا السلطان الذي لا منة على فيه لاحد غيره وذكر ابن حزم انه كان فيمن وفد عليه ابن اخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية فسعى في طلب الامر لنفسه فقتله سنة ١٦٧ وقتل معه من اصحابه هذيل ابن الصميل بن حاتم ونفى أخاه الوليد بن معاوية والد المغيرة المذكور الى العدوة بماله وولده وأهله وفي المسهب حدث بعض موالي عبد الرحمن الخاصين به انه دخل على الداخل اثر قتله ابن اخيه المغيرة المذكور وهو مطرق شديد الغم فرفع رأسه الي وقال ما عجبي الا من هؤلاء القوم سعينا فيما يضجعهم في مهاد الامن والنعمة وخاطرنا نحن بمحياتنا حتى اذا بلغنا منه الى مطلوبنا وبسر الله تعالى أسبابه أقبلوا علينا بالسيوف ولما آويناهم وشاركناهم فيما أفردنا الله تعالى به حتى أمنوا وردت عليهم أخلاف النعم هزوا أعطافهم وشمخوا بآنافهم

وسعوا الى العظمى فنازعونا فيما منحنا الله تعالى فخذلهم الله بكفرهم النعم اذ أطلعنا على عوراتهم فعاجلناهم قبل أن يعاجلونا وأدى ذلك الى أن ساءظننا فى البرى منهم وساء أيضا ظنه فينا وصار يتوقع من تغيرنا عليه ما نتوقع نحن منه وان أشد ما على فى ذلك أخى والدهذا المخذول فكيف تطيب لى نفس بمجاورته بعد قتل ولده وقطع رحمه أم كيف يجتمع بصرى مع بصره أخرج له الساعة فأعتذر اليه وهذه خمسة آلاف دينار أدفعها اليه وأعزم عليه فى الخروج عنى من هذه الجزيرة الى حيث شاء من بر العدوة قال فلما وصلت الى أخيه فوجدته أشبه بالاموات منه بالاحياء فآنسته وعرفته ودفعت له المال وأبلغته الكلام فتأوه وقال ان المشؤم لا يكون بليغا فى الشؤم حتى يكون على نفسه وعلى سواه وهذا الولد العاق الذى سعى فى حتفه قد سرى ما سعى فيه الى رجل طالب العافية وقنع بكسر بيت فى كنف من يحمل عنه معرة الزمان وكله ولا حول ولا قوة الا بالله لا مرد لما حكم به وقضاه ثم ذكر انه أخذ فى الحركة الى بر العدوة قال ورجعت الى الامير فأعلمته بقوله فقال انه نطق بالحق ولكن لا يخدعنى بهذا القول عما فى نفسه والله لو قدر أن يشرب من دمى ما عف عنه لحظة فالحمد لله الذى أظهرنا عليهم بما نوى بناه فيهم وأذلهم بما نووه فينا * واعلم انه دخل الاندلس أيام الداخل من بنى مروان وغيرهم من بنى أمية جماعة كثيرون سرد أسماءهم غير واحد من المؤرخين وذكر أعقابهم بالاندلس ومنهم جزى بن عبد العزيز أخو عمر بن العزيز وسيأتى قريبا * وقد ثار على عبد الرحمن الداخل من أعيان العرب وغيرهم جماعة كثيرون ظفره الله تعالى بهم وقد سبق ذكر بعضهم ومنهم الدعى الفاطمى البربرى بشنت مرية فاعيا الداخل أمره وطال شره سنين متواليه الى أن فتك به بعض أصحابه فقتله ومنهم حيوة بن ملاسر الحضرمى رئيس اشبيلية وعبد الغفار بن حميد اليحصبى رئيس لبلة وعمرو بن طالوت رئيس باجة اجتمعوا وتوجهوا نحو قرطبة يطلبون دم رئيس اليمانية أبى الصباح فقتلوا فى هزيمة عظيمة وقيل نجوا بالفرار فامنهم الداخل وفى سنة ١٥٧ ثار بسرقسطة الحسين بن يحيى بن سعيد بن عبادة الحزرجى وشايعه سليمان بن يقظان الاعرابى الكلبى رأس الفتن وآل أمرهما الى أن فتك الحسين بسليمان وقتل الداخل الحسين كما مر وفى سنة ١٦٣ ثار الدماحس بن عبد العزيز الكنانى بالجزيرة الخضراء فتوجه له عبد الرحمن الداخل فقر فى البحر الى المشرق قال ابن حيان كان مولد عبد الرحمن الداخل سنة ١١٣ وقيل فى التى قبلها بالعلياء من تدمر وقيل بدير حنا من دمشق وبها توفى أبوه معاوية فى حياة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك وكان قد رشحه للخلافة وبقبر معاوية المذكور استجار الكميت للشاعر حين أهدر هشام دمه وتوفى الداخل لست بقين من ربيع الآخر سنة ١٧١ وهو ابن سبع وخمسين سنة وأربعة أشهر وقيل اثنتان وستون سنة ودفن بالقصر من قرطبة وصلى عليه ابنه عبد الله وكان منصورا مؤيدا مظفرا على أعدائه وقد سرد ناس ذلك جملة حتى قال بعضهم ان الراية التى عقدت له بالاندلس حين دخلها لم تهزم قط وان الوهن ما ظهر فى ملك بنى أمية الا بعد ذهاب تلك الراية قال أكثر هذا مؤرخ الاندلس الثبت الثقة أبو مروان بن حيان رحمه الله تعالى ولا بأس أن نورد زيادة على ما سلف وان تكرر بعض ذلك * فنقول قال بعض المؤرخين من أهل المغرب

والعساكر والبنيان حتى انقرض سكان تلك الارض وزالوا عن تلك المواطن فهذه جملة من أخبار سيل العرم وبلاد سبا ولا خلاف بين ذوى الدراية منهم أن العرم هو المسناة التى قد أحكموا عملها لتكون حاجزا بين ضياعهم وبين السيل ففجرته فارة ليكون ذلك اظهر فى الاعجوبة كما أفار الله تعالى الطوفان من جوف تنور ليكون ذلك أثبت فى العبرة وأوعد فى الحجة ولا يتنا كر احلاف قحطان من أهل تلك الديار الى هذا الوقت ما كان من العرم لاستفاضته فيهم وشهرته عندهم (وقد فخر) بعض أولاد قحطان فى مجلس السفاح بمناقب قحطان من جمير وكهلان على ولد نزار وخالد بن صفوان وغيره من نزار بن معد يسطون بابهة السفاح لان اخواله من قحطان فقال السفاح لخالد بن صفوان ألا تنطق وقد غمرتكم قحطان بشرفها وعلت عليكم بقديم مناقبها فقال خالد ماذا أقول لقوم ليس فيهم الا ابغ جلد أو ناسج برد أو سائس قرد

الى أن انتهى الى ما كان
ما قدمناه آنفا (وقد ذكروا)
فى أشعارهم العرم وما
كان لسبا وأرض مارب
وأن مأرب سمة للملك الذى
يتملك على هذه البلدة
وأن هذا الاسم وقع على
هذا البلد فاشتهر به وصار
سمة له وقال الشاعر
من سبا الحاضرين مارب اذ
يبنون من دون سيله العرما
وقد قيل ان مارب سمة
لقصر هذا الملك فى صدر
الزمن قال ابو الطمحان فى
ذلك
ألم تروا مارب اما كان حصنه
وما حوالية من سور
وبنيان
ظل العباد سيبقى فوق ثلثه
ولم يهب ريب دهر حد
خوان
حتى تناوله من بعد ما
هجعوا
ضربا اليه الى أسباب كتان
وقد ذكر الاعشى ما
وصفنا حيث يقول فى كلمته
ففى ذلك المؤتسى اسوة
بمارب عفى عليها العرم
وحام بناه لهم حمير
اذا جاء ماؤهم لم يرم
فاغنى الحروث وأغنى بها
على ساعة ماؤهم قد قسم
فطار الفيول وفيا لها
بها فى فيافى سراب الظلم
وكانوا بذلك موحقبة * فعال بهم جارف منهزم فطاروا سراعا وما يقدمو * ن منه لشرب صبى فطم

بعد كلام ابن حيان الذى قدمناذكره ما نصه كان الامام عبد الرحمن الداخل واسع العقل راسخ الحلم واسع العلم كثير الحزم نافذ العزم لم ترفع له قط راية على عدو الا هزمه ولا بلد الا فتحه شجاعا مقدما شديد الحذر قليل الطمأنينة لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامر الى غيره كثير الكرم عظيم السياسة يلبس البياض ويعتم به ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويصلى بالناس فى الجمع والاعياد ويخطب بنفسه جند الاجناد وعقد الرايات واتخذ الحجاب والكتاب وبلغت جنوده مائة ألف فارس وملخص دخوله الاندلس انه لما اشتد الطلب على فل بنى أمية بالمشرق من وارثى ملكهم بنى العباس خرج مستترا الى مصر فاشتد الطلب على مثله فاحتال حتى وصل برقة ثم لم يزل متوغلا فى سيره الى أن بلغ المغرب الاقصى ونزل بنفزة وهم أخواله فأقام عندهم أياما ثم ارتحل الى مغيلة بالساحل فارسل مولاه بدرا بكتابه الى موالى بنى أمية بالاندلس عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد وتمام بن علقمة وغيرهم فاجابوه واشتروا مركبا وجهزوه بما يحتاج اليه وكان الذى اشتراه عبيد الله بن عثمان وأركب فيه بدرا وأعطاه خمسمائة دينار برسم النفقة وركب معه علقمة بن تمام بن علقمة وبينما هو يتوضأ لصلاة المغرب على الساحل اذ نظر الى المركب فى لجة البحر مقبلا حتى أرسى أمامه فخرج اليه بدر سابحا فبشره بما تم له بالاندلس وبما اجتمع عليه الامويون والموالى ثم خرج اليه تمام ومن معه فى المركب فقال له ما اسمك وما كنيتك فقال اسمى تمام وكنيتى أبو غالب فقال تم أمرنا وغلبنا عدونا ان شاء الله تعالى ثم ركبوا المركب معه فنزل بالمنكب وذلك غرة ربيع الاول سنة ١٣٨ فلما اتصل خبر جوازه بالاموية أتاه عبيد الله ابن عثمان وجماعة فتلقوه بالاعظام والاكرام وكان وقت العصر فصلى بهم العصر وركبوا معه الى قرية طرش من كورة البيرة فنزل بها وأتاه بها جماعة من وجوه الموالى وبعض العرب فبايعوه وكان من أمره ما يذكر وقيل انه أقام بالبيرة حتى كمل من معه ستمائة فارس من موالى بنى أمية ووجوه العرب فخرج من البيرة الى كورة رية فدخلت فى جماعته ثم بايعته أهلها وأجنادها ثم ارتحل الى شذونة ثم الى مدور ثم سار الى اشبيلية وقال بعضهم لما أراد عبد الرحمن قصد قرطبة عند دخوله الاندلس من المشرق نزل بطشانة فاشاروا عليه أن يعقد له لواء فجاؤا بعمامة وقناة فكروا أن يميلوا القناة تطيرا فاقاموها بين شجرتين من الزيتون متجاورتين وصعد رجل على فرع احداهما فعقد اللواء والقناة قائمة وتبرك هو وولده بهذا اللواء فكان بعد أن بلى لا تحل منه العقدة التى عقدت أولا بل تعقد فوقها الالوية الجدد وهى مستكنة تحتها ولم يزل الامر على ذلك حتى انتهت الدولة الى عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وقيل الى ابنه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل فاجتمع الوزراء على تجديد اللواء فلما رأوا تحت اللواء أسما لا خلاقة ملفوفة معقدة جهلوها فاستنزلوها وأمروا بحلها ونبذها وجددوا غيرها وكان جهور بن يوسف بن بخت شيخهم غائبا فحضر فى اليوم الثانى وطولع بالقصة فانكرها أشد انكار وساءه ما فعلوه وقال ان جهلتم شان تلك الاخلاق فكان ينبغى أن تتوقفوا عن نبذها حتى تسألوا المشايخ وتتفكروا فى أمرها وخبرهم خبرها فتطلبوا تلك الاخلاق فلم توجد ويقال كما قال ابن حيان

انه لم يزل يعرف الوهن فى ملك بنى أمية بالاندلس من ذلك اليوم وقد كان الذى عقده أولا عبد الله بن خالد من موالى بنى أمية وكان والده خالد عقد لوا مروان بن الحكم جد عبد الرحمن الاعلى لما اجتمع عليه بنو أمية وبنو كلب بعد انقراض دولة بنى حرب على قتال الضحاك بن قيس الفهرى يوم مرج راهط فانتصر على الضحاك وقتله ولما عرف الامير بقصة اللواء حزن أشد حزن وانفقت عليه أثر ذلك الفتوق العظام وكانوا يرون أنها جرت بسبب اللواء لانه لم ينهزم قط جيش كان تحته على ما اقتضته حكمة الله التى لا تتوصل اليها الافكار وتولى حمل هذا اللواء لعبد الرحمن الداخل أبو سليمان داود الانصارى ولم يزل يحمله ولده من بعده الى أيام محمد بن عبد الرحمن ولما تلاقى عبد الرحمن الداخل مع أمير الاندلس يوسف الفهرى بالقرب من قرطبة وتراسلا فى الصلح تواعده يومين آخرهما يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين ومائة أظهر عبد الرحمن قبول الصلح فبات الناس على ذلك ليلة العيد وكان قد أسر خلاف ما أظهر واستعد للحرب ولما أصبح يوم الاضحى لم ينشب أن غشيت الخيل ووكل عبد الرحمن بخالد بن زيد الكاتب رسول يوسف جماعة وأمرهم ان كانت الدائرة عليهم أن يضربوا عنقه والا فلا فكان خالد يقول ما كان شئ فى ذلك الوقت أحب الى من غلبة عبد الرحمن الداخل عدوه صاحبى وركب عبد الرحمن جوادا فقالت اليمانية الذين اعانوه هذا فتى حديث السن تحته جواد وما نامن أول ردعة نردعها ان يطير منهزما على جواده ويدعنا فاتى عبد الرحمن أحد موالى يسأله فاخبره بقتالهم فدعا أبا الصباح وكان له بغل أشهب يسميه الكوكب فقال له ان فرسى هذا قلق تحتى لا يمكننى من الرمى فقدم الى بغلك المحمود أركبه فقدمه فلما ركب اطمأن اصحابه وقال عبد الرحمن لاصحابه اى يوم هذا قالوا الخميس يوم عرفة فقال فالاضحى غدا يوم الجمعة والتزاحف ان اموى وفهرى والجندان قيس ويمن قد تقابل الاشكال جدا وارجوانه اخو يوم مرج راهط فابشروا واجدوا فذكرهم يوم مرج راهط الذى كانت فيه الوقعة بين جده مروان بن الحكم وبين الضحاك بن قيس الفهرى وكانت يوم جمعة ويوم اضحى فدارت الدائرة لمروان على الضحاك فقتل الضحاك وقتل معه سبعون الفا من قبائل قيس واحلافهم وقيل انه لم يحضر مرج راهط من قيس مع مروان غير ثلاثة نفر عبد الرحمن بن مسعدة الفزارى وابن هبيرة المحاربى وصالح الغنوى وكذا لم يحضر مع عبد الرحمن الداخل يوم الصارة غربى قرطبة من قيس غير ثلاثة جابر بن العلاء بن شهاب والحصين بن الدجن العقيليان وهلال بن الطفيل العبدى وكان الظفر لعبد الرحمن وانهزم يوسف وصبر اسميل بن حاتم بعده معذرا وعشيرته يحفونه فلما خاف انهزامهم عنه تحول على بغله الاشهب معارضة لعبد الرحمن الداخل فمر به أبو عطاء فقال له يا أبا جوشن احتسب نفسك فان للاشباه أشباها أموى باموى وفهرى بفهرى وكلبى بكلبى ويوم أضحى يوم أضحى ويمنى بقيسى والله انى لاحسب هذا اليوم بمثل مرج راهط سواء فقال له الصميل كبرت وكبر علمك الآن تجلى الغماء وصحرك منتفخ فاثنى أبو عطاء لوجهه منقلبا وانهزم الصميل وملك عبد الرحمن قرطبة ويوسف الفهرى هو ابن عبد الرحمن بن حبيب ابن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى بانى القيروان وأمير معاوية على افريقية والمغرب

وأنه بنى هذا السد الذى هو المسناة وأن عمره انتهى على عمر النسور عند ذكرنا لطول الاعمار وما أكثرت العرب فى صفة طول عمر النسر وضربت به الامثال وبلبد وبحمة بدن الغراب فمن ذلك ما ذكره الخارجى فى شعره عند ذكره لطول عمر معاذ بن مسلم بن رجاء مولى القعقاع بن الحكيم من قوله فيه عند ذكره سنه وهرمه وهو

ان معاذ بن مسلم رجل
قد صح فى طول عمره الابد
قد شاب رأس الزمان واختضب الد
هر وأثواب عمره جدد
يا نسر لقمان كم تعيش ولم
تلبس ثوب الحياة يا لبد
قد أصبحت دار جير خربت
وأنت فيها كأنك الوتد
تسأل غربانها اذا جهلت
كيف يكون الصداع والرمد

(وقد قدمنا) فيما سلف فى مواضع من هذا الكتاب ما قالت الاوائل فى علة طول الاعمار وقصرها وعظم الاجسام فى بدو الامر وتناقصها على مرور الاعصار ومضى الدهور وأن الله تبارك وتعالى لما بدأ الخلق كانت الطبيعة التى جعلها الله جبلة للاسلام فى تمام الكثرة ونهاية القوة والكمال والطبيعة اذا كانت تامة القوة كانت الاعمار أطول

وهو مشهور وأما الصميل فهو ابن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن وقيل الصميل بن حاتم ابن عمرو بن جندع بن شمر بن ذى الجوشن كان جده شمر من اشراف الكوفة وهو أحد قتلة الحسين رضى الله تعالى عنه ودخل الصميل الاندلس حين دخل كلثوم بن عياض المغرب غازيا وسادبها وكان شاعرا كثير الشعر أميا لا يكتب ومع ذلك فانتهت اليه فى زمانه رياسة العرب بالاندلس وكان أميرها يوسف الفهرى كالمغلوب معه وكانت ولاية الفهرى الاندلس سنة تسع وعشرين ومائة فدانت له تسع سنين وتسعة أشهر وعنه كما انتقل سلطانها الى بنى أمية واستقل ملكهم بها الى بعد الاربعمائة ثم انتشر سلكهم وباد ملكهم كما وقع لغيرهم من الدول فى القرون السالفة سنة الله التى قد خلت فى عباده وكانت مدة الامراء قبل عبد الرحمن الداخل من يوم فتحت الاندلس الى هزيمة يوسف الفهرى والصميل ستا وأربعين سنة وشهرين وخمسة أيام لان الفتح كان حسبما تقدم لخمس خلون من شوال سنة اثنتين وتسعين وهزيمة يوسف يوم الاضحى لعشر خلون من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة والله غالب على أمره * وحكى أن عبد الرحمن بن معاوية دخل يوما على جده هشام وعند أخوه مسلمة بن عبد الملك وكان عبد الرحمن اذ ذاك صبيا فامر هشام أن ينحى عنه فقال له مسلمة دعه يا امير المؤمنين وضمه اليه ثم قال يا أمير المؤمنين هذا صاحب بنى أمية ووزيرهم عند زوال ملكهم فاستوص به خيرا قال فلم أزل اعرف مزيته من جدى من ذلك الوقت وكان الداخل يقاس بابى جعفر المنصور فى عزمه وشدته وضبط المملكة ووافقه فى أن ام كل منهما بربرية وان كلا منهما قتل ابن اخيه اذ قتل المنصور ابن السفاح وقتل عبد الرحمن ابن اخيه المغيرة بن الوليد ابن معاوية * ومن شعر عبد الرحمن وقد رأى نخلة بر صافته

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة * تناءت بارض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهى فى التغرب والنوى * وطول اكتئابى عن بنى وعن اهلى
نشأت بارض انت فيها غريبة * فمثلك فى الاقصاء والمنتأى مثلى
سقتك غوادى المزن فى المنتأى الذى * يصح ويستمرى المساكين بالوبل

وكان نقش خاتمه بالله يثق عبد الرحمن وبه يعتصم واشاع سنة ١٦٣ الرحيل الى الشام لانتزاعها من بنى العباس وكتب جماعة من اهل بيته ومواليه وشيعته وعمل على أن يستخلف ابنه سليمان بالاندلس فى طائفة ويذهب بعامة من اطاعه ثم اعرض عن ذلك بسبب ام الحسن الانصارى الذى انتزى عليه بسرقسطة فبطل ذلك العزم * ومن شعر عبد الرحمن ايضا قوله يتشوق الى معاهد الشام

ايها الراكب الميمم ارضى * اقرمنى بعض السلام لبعضى
ان جسمى كما علمت بارض * وفؤادى ومالكيه بارض
قدر البين بيننا فافترقنا * وطوى البين عن جفونى غمضى
قد قضى الله بالفراق علينا * فعسى باجتماعنا سوف يقضى

وترجمة الداخل طويلة وقد ذكر منها ما فيه مقنع انتهى والله تعالى الموفق للصواب وفى بنائه جامع قرطبة يقول بعضهم

عمرو بن عامر المقدم ذكره فى هذا الباب أخ كاهن عقيم يقال له عمران وكان

وأبرز في ذات الاله ووجهه * ثمانين الفا من لجين وعسجد
وانفقها في مسجد زانه التقى * وقر به دين النبي محمد
ترى الذهب الوهاج بين شموكه * يلوح كلمع البارق المتوقد

*(ومن الوافدين على الاندلس أبو الاشعث الكلبي) دخل الاندلس وكان شيخا مسنا يروى عن امه عن عائشة رضي الله تعالى عنها الا انه كان منذرا صاحب دعابة وكان مختصا بعبد الرحمن بن معاوية وله منه مكانة لطيفة يدل بها عليه ولما توفي حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وكانت له من عبد الرحمن خاصة لم تكن لاحد من اهل بيته جعل عبد الرحمن يبكي ويجتهد في الدعاء والاستغفار لحبيب وكان الى جنبه ابو الاشعث هذا قائما وكانت له دالة عليه ودعابة يحتملها منه فاقبل عند استقباره كالخاطب للمتوفى على انية يقول يا ابا سليمان لقد نزلت بحفرة قلما يغني عنك فيها بكاء الخليفة عبد الرحمن بعده فاعرض عنه عبد الرحمن وقد كاد التبسم يغلبه هكذا ذكره ابن حيان رحمه الله تعالى في المقتبس ونقله عنه الحافظ ابن الابار *(ومن الداخلين الى الاندلس جزي بن عبد العزيز اخو عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه) دخل الاندلس ومات في مدة الداخل وكان من اولياء الله تعالى مقتفيا سبيل اخيه عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى *(ومنهم بكر بن سوادة بن ثمامة الجذامي) ويكنى ابا ثمامة وجده صحابي وكان بكر هذا فقيها كبيرا من التابعين روى عن جماعة من الصحابة كعبد الله بن عمرو بن العاص وقيس بن سعد بن عبادة وسهل بن سعد الساعدي وسفيان بن وهب الخولاني وحبان بن سمع الصدائي وقيد اسمه الدارقطني رحمه الله تعالى حبان بكسر الحاء المهملة وبباء موحدة بواحدة ونقله الامير كذلك وهو ممن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر قال ابن يونس ويقال فيه حبان بالكسر وحبان بالفتح أصح انتهى وضبطه بعضهم بالياء المثناة تحت (رجع) وممن روى عنه بكر من الصحابة أبو نور الفهمي وأبو عميرة المزني وروى عن جماعة من التابعين أيضا كسعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير وجماعة سواهم يكثر عددهم ويطول سردهم منهم ربيعة بن قيس الحجلي وأبو عبد الرحمن الحبلي وزياد بن نعيم الحضرمي وسفيان بن هانئ الجيشاني وسعيد بن شمر السبائي وعبد الله بن المستورد بن شداد الفهري وعبد الرحمن بن أوس المزني وزيادة بن ثعلبة البلوي وشيبان بن أمية القتباني وعامر بن ذريح الحميري وعمير بن الفيض اللخمي وأبو حزة الخولاني وعياض بن فروخ المعافري ومسلم بن مخشي المدبجي وهانئ بن معاوية الصدفي وغيرهم ممن اشتمل على ذكرهم التاريخان لابن عبد الحكم وابن يونس وممن روى عن بكر المذكور عبد الله بن لهيعة وعمرو بن الحرث وجعفر بن ربيعة وأبو زرعة بن عبد الحكم الافريقي وغيرهم قال ابن يونس توفي بافريقية في خلافة هشام بن عبد الملك وقيل بل غرق في مجاز الاندلس سنة ثمان وعشرين ومائة قال وجده ثمامة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وله بمصر حديث رواه عمرو بن الحرث وقال أبو بكر عبد الله بن محمد الفقيه والمالكي في تاريخه المسمى برياض النفوس وقد ذكر بكرا هذا انه كان أحد العشرة التابعين يعني الموجهين الى

بمارب) وعرف من سيل العرم ان عمران الكاهن أخا عمرو رأى في كهانته ان قومه سوف يمزقون كل ممزق ويباعدبين أسفارهم فذكر ذلك لاخيه عمرو وهو الملك مزيقياء الذي كانت محنة القوم في ايام ملكه والله أعلم بكيفية ذلك وبينا طريقة الكاهنة ذات يوم نائمة اذ رأت فيما يرى النائم ان سحابة غشيت ارضها وارعدت وابرقت ثم صعقت فاحرقت ما وقعت عليه ووقعت الى الارض فلم تقع على شئ الا احرقته ففزعت طريفة لذلك وذعرت ذعرا شديدا وانتبهت وهي تقول ما رايت مثل اليوم قد ذهب عني النوم رايت غيما ابرق وارعد ثم اصعق فما وقع على شئ الا احرق فما بعد هذا الا الغرق فلما راوا ما دا خلهامن الرعب خفضوها وسكنوها من جاشها حتى سكنت ثم ان عمرو بن عامر دخل حديقة من حدائقه ومعه جاريتان له فبلغ ذلك طريفة فاسرعت نحوه وامرت وصيفا لها يقال له سنان ان يتبعها فلما برزت من باب بيتها عارضها ثلاث مناجد منتصبات على ارجلهن

افريقية من قبل عمر بن عبد العزيز فى خلافته ليفقهوا أهل افريقية ويعلموهم امر دينهم قال وأغرب بحديث عن عقبة بن عامر لم يروه غيره فيما علمت حدث عبد الله بن لهيعة عنه عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان رأس مائتين فلا تأمر بمعروف ولا تنه عن منكر وعليك بخاصة نفسك وحكى المالكى أيضا عن أبى سعيد بن يونس قال كان فقيها مفتيا سكن القيروان وكانت وفاته كما تقدم وذكره الحميدى فى الداخلين الى الاندلس ولم يذكره ابن الفرضى *(ومنهم زريق بن حكيم أحد المعدودين فى الداخلين الى الاندلس) ذكره أبو الحسن بن النعمة عن أبى المطرف عبد الرحمن بن يوسف الرفاء القرطبى وحكى انه كتب ذلك من خطه وسماه مع جماعة منهم حبان بن أبى جبلة وعلى بن ابى رباح وأبو عبد الرحمن الحبلى وحنش بن عبد الله الصنعانى ومعاوية بن صالح وزيد بن الحباب العكلى وانتهى عددهم بزريق هذا سبعة ولم يذكره ابن الفرضى ولا غيره قاله الحافظ أبو عبد الله القضاعى *(ومنهم زيد بن قاصد السكسكى) قال ابن الابار وهو تابعى دخل الاندلس وحضر فتحها وأصله من مصر يروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه وروى عنه عبد الرحمن بن زياد بن انعم الافريقى ذكره يعقوب بن سفيان وأورد له حديثا من كتاب الحميدى انتهى *(ومنهم زرعة بن روح الشامى) دخل الاندلس وحدث عنه ابنه مسلمة بن زرعة بحكاية عن القاضى مهاجر بن نوفل *(ومنهم محمد بن أوس بن ثابت الانصارى) قال ابن الابار تابعى دخل الاندلس يروى عن أبى هريرة قرأته بخط ابن حبيش وقال أبو سعيد بن يونس مؤرخ مصر انه يروى عنه الحرث بن يزيد ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان وكان غزا المغرب والاندلس مع موسى بن نصير ويروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وقال الحميدى انه كان من أهل الدين والفضل معروفا بالفقه ولى بحر افريقية سنة ثلاث وتسعين وغزا المغرب والاندلس مع موسى بن نصير فيما حكاه ابن يونس صاحب تاريخ مصر وكان على بحر تونس سنة ثنتين ومائة على ما حكاه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ولما قتل يزيد بن أبى مسلم والى افريقية اجتمع رأى اهلها عليه فولوه أمرهم وذلك فى خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان الى أن ولى بشر بن صفوان الكلبى افريقية وكان على مصر فخرج اليها واستخلف اخاه حنظلة انتهى (ومنهم عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الاموى) فر من الشام خوفا من المسودة فر بمصر ومضى الى الاندلس وقد غلب عليها الامير عبد الرحمن ابن معاوية الداخل فاكرمه ونوه به وولاه اشبيلية لانه كان قعدد بنى أمية ثم انه لما وجد الداخل يدعو لابى جعفر المنصور اشار عليه بقطع اسمه من الخطبة وذكره بسوء صنيع بنى العباس ببنى أمية فوقف عبد الرحمن فى ذلك فما زال به عبد الملك حتى قطع الدعاء له وذلك انه قال له حين امتنع من ذلك ان لم تقطع الخطبة لهم قتلت نفسى فقطع حينئذ عبد الرحمن الخطبة بالمنصور بعد أن خطب باسمه عشرة اشهر ولما زحف اهل غرب الاندلس نحو قرطبة لحرب الامير عبد الرحمن انهض اليهم عبد الملك هذا فنهض فى معظم الجيش وقدم ابنه امية أمامه فى اكثر العساكر فخالطهم امية فوجد فيهم قوة فخاف الفضيحة معهم فانحاز منهزما الى ابيه فلما جاءه سقط فى يده وقال له ما حملك على ان استخففت بى وبرايات الناس على

واضعات ايديهن على
وضعت يدها على عينها
وقعدت وقالت لوصيفها
اذا ذهبت هذه المناجد
عنا فاعلمنى فلما ذهبت
اعلمها فانطلقت مسرعة
فلما عارضها خارج الحديقة
التى فيها عمرو وثبت من
الماء سلحفاة فوقعت على
الطريق على ظهرها وجعلت
تريد الانقلاب فلا تستطيع
فتستعين بذنبها وتحثو
التراب على بطنها وجنبها
وتقذف بالبول فلما
رأتها طريفة جلست الى
الارض فلما عادت السلحفاة
الى الماء مضت الى ان
دخلت على عمرو الحديقة
حين انتصف النهار فى
ساعة شديد حرها فاذا
الشجر يتكفأ من غير ريح
فعدت حتى دخلت على
عمرو ومعه جاريتان على
الفراش فلما رأها استحيا
منها وأمر الجاريتين فنزلتا
عن الفراش ثم قال لها هلمى
ياطريفة الى الفراش
فتكهنت وقالت والنور
والظلماء والارض والسماء
ان الشجر لها لمائل وسيعود
الماء كما كان فى الدهر
السالف قال عمرو من
خبرك بهذا قالت أخبرنى
المناجد بسنين شدائد
يقطع فيها الوالد الواحد قال ما تقولين قالت أقول قول الندمان لهفا

والعدو

والعدوان كنت فررت من الموت فقد جئت اليه فامر بضرب عنقه وجمع اهل بيته وخاصته وقال لهم طردنا من الشرق الى اقصى هذا الصقع ونحسد على لقمة تبقى الرمق اكسروا جفون السيوف فالموت اولى او الظفر ففعلوا وحملوا تقدمهم فهزم اليمانية واهل اشبيلية ولم تقم بعدها اليمانية قائمة وقتل بين الفريقين ثلاثون الفا وجرح عبد الملك فاتاه عبد الرحمن وجرحه يجرى دما وسيفه يقطر دما وقد لصقت يده بقائم سيفه فقبل بين عينيه وجزاه خيرا وقال له يا ابن عم قد انكحت ابني وولي عهدي هشاما ابنتك فلانة واعطيتها كذا وكذا واعطيتك كذا ولولادك كذا واقطعتك واياهم كذا وليتكم الوزارة * ومن شعره لما نظر نخلة منفردة باشبيلية فتذكر وطنه بالشام وقال

يا نخل انت فريدة مثلي * في الارض نائية عن الاهل
تبكي وهل تبكي مكممة * عجماء لم تجبل على جبل
ولوانها عقلت اذا البكت * ماء الفرات ومنبت النخل
لكنها حومت وأخرجني * بغضي بني العباس عن أهلي

* (ومن الداخلين من المشرق الى الاندلس هاشم بن الحسين بن ابراهيم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين) ونزل حين دخوله ببلبلة وتعرف منازلهم فيها بمنازل الهاشمي وذكره أمير المؤمنين الحكم المستنصر في كتابه انساب الطالبيين والعلويين القادمين الى المغرب * (ومن الداخلين الى الاندلس عبد الله ابن المغيرة الكناني حليف بني عبد الدار) سماه أبو محمد الاصيلي الفقيه في الداخلين الاندلس من التابعين حكى ذلك عنه أبو القاسم بن بشكوال في مجموعه المسمى بالتنبيه والتعيين قال ابن الابار وما أراه يتابع عليه وذكره أبو سعيد بن يونس من أهل افريقية انتهى وذكر انه روى عن سفيان بن وهب الخولاني (ومنهم عبد الله المعمر الذي طر أعلى الاندلس في آخر الزمان وكان يزعم انه لقي بعض التابعين) قال ابن الابار وروى عنه أبو محمد أسد الجهني ذكر ذلك القيسي وفيه عندي نظر انتهى (ومنهم أبو عمرو عبد الرحمن بن شماسة بن ذئب المهري) روى عن أبي ذر وقيل عن أبي نضرة عن أبي ذر وعائشة وعمرو بن العاص وابنه عبد الله وزيد بن ثابت وأبي نضرة الغفاري وعقبة بن عامر الجهني وعوف بن مالك الاشجعي ومعاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد وأبي رهم ذكره ابن يونس في تاريخ مصر وسماه ابن بشكوال في الداخلين الاندلس من التابعين وروى ذلك عن الحميدي قاله ابن الابار وقال ابن يونس وآخر من حدث عنه بمصر حرملة بن عمران (ومن الداخلين الى الاندلس من المشرق عبد الله بن سعيد ابن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه) وقد ذكره ابن حيان في مقتبسه وأخبر أن يوسف بن عبد الرحمن الفهري كتب له أن يدافع عبد الرحمن المروانى الداخل للاندلس وكان المذكور اذ ذاك أميرا على اليمانية من جند دمشق وانما ركن اليه في محاربة عبد الرحمن لما بين بني عمار وبني أمية من الثار بسبب قتل عمار بصفين وكان عمار رضي الله تعالى عنه من شيعة علي كرم الله وجهه وهذا عبد الله بن سعيد هو جد بني سعيد أصحاب القلعة الذين منهم عدة رؤساء وامراء وكتاب وشعراء ومنهم صاحب المغرب وغيره واحد ممن عرفناه به في هذا

الشجيرة تكفا قال عمرو متى ترين ذلك قالت هي داهية كبيرة ومصائب عظيمة لامور جسيمة قال وماهي قالت اجل ان لي الويل ومالك فيها من نيل فلي ولك الويل مما يجيء به السيل فالقى عمرو نفسه على الفراش وقال ماهذا ياظريفة قالت هو جمل جليل وحزن طويل وخلف قليل والقليل خير من تركه قال عمرو وما علامة ذلك قال تذهب الى السد فاذا رايت جرذا يكثر في السد الحفر ويقلب برجليه من الجبل الصخر فاعلم ان النقر عقر وانه قد وقع الامر قال وما هذا الامر الذي يقع قالت وعد الله نزل وباطل بطل ونكال بنا نزل فتعمده ياعمرو فليكن الثكل فانطلق عمرو الى السد يحرسه فاذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلا فرجع الى ظريفة فاخبرها الخبر وهو يقول

ابصرت امرا عادلي منه الم * وهاج لي من هوله برح السقم
من جرذ كفعل خنزير اجم * اوتيس صرم من افاوين الغنم

يسحب صخرا من جلاميد العرم * له مخاليب وانياب فطم * مافاته سحلا من الصخر قصم * كانما يرعى حصيرا من سلم

الكتاب ومن مشاهيرهم أبو بكر محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد صاحب أعمال غرناطة فى مدة الملثمين قال وهو القائل يفتخر

ان لم أكن للعلاء أهلا * بما تراه فمن يكون
فكل ما أبتغيه دونى * ولى على همتى ديون
ومن يرم ما يقل عنه * فذاك من فعله جنون
فرع بأفق السماء سام * وأصله راسخ مكين

وقوله

الله يعلم انى * أحب كسب المعالى
* وانما اتوانى * عنها لسوء المآل
تحتاج للكد والبذ * ل واصطناع الرجال
دع كل من شاء يسمو * لها بكل احتيال
فحالهم فى انعكاس * بها وحالى حالى

وتراجمهم واسعة وقد بسطت فى المسهب والمغرب وغيرهما وقد قدمنا فى الباب قبل هذا من أخبار بنى سعيد هؤلاء ما يثلج الصدر فليراجع *(ومن الوافدين على الاندلس من المشرق ابو زكريا عبد الرحيم بن أحمد بن نصر بن اسحق بن عمرو بن مزاحم بن غياث التميمى البخارى الحافظ نزيل مصر) سمع ببخارى بلده من ابراهيم بن محمد بن يزداد وأخيه أحمد وكانا يرويان معا عن عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى وعن أبى الفضل السليمانى بيكند وأبى عبد الله محمد بن أحمد المعروف بغنجار وأبى يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبى وأقرانه باليمن وأبى القاسم تمام بن محمد الرازى بدمشق وابن أبى كامل باطرابلس الشام وأبى محمد عبد الغنى ابن سعيد الحافظ بمصر وله رواية عن أبى نصر الكلاباذى وأبى عبد الله الحاكم وأبى بكر ابن فورك المتكلم وأبى العباس بن الحاج الاشبيلى وأبى القاسم على بن أحمد الخزاعى صاحب الهيثم بن كليب وأبى الفضل العباس بن محمد الحداد التنيسى وأبى الفتح محمد بن ابراهيم بن الجحدرى وأبى بكر محمد بن داود العسقلانى وهلال الحفار وصدقة بن محمد بن مروان الدمشقى ولقى بافريقية العابد ولى الله سيدى محرز بن خلف التميمى مولاهم وصحبه وقال لقد هبته يوم لقيته هيبة لم أجدها لاحد فى نفسى من الناس ودخل الاندلس وبلاد المغرب وكتب بها عن شيوخها ولم يزل يكتب الى ان مات حتى كتب عمن دونه وله رسالة الرحلة وأسبابها وقول لا اله الا الله وثوابها سمع منه أبو عبد الله الرازى وذكره فى مشيخته قال الحافظ ابن الابار ومنها نقلت اسمه وتعرفت دخوله الاندلس وحدث عنه هو وجماعة منهم أبو مروان الطبنى وقال هو من الرحالين فى الآفاق أخبرنى انه يحدث عن مئتين من أهل الحديث وأبو عبد الله الحميدى وأبو بكر الطليطلى وأبو عبد الله بن منصور الحضرمى وأبو سعيد الرهاوى وأبو محمد جعفر بن محمد السراج وأبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقى وأبو الحسن بن مشرف الاغاطى وأبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسى وأبو محمد شعيب بن سبعون الطرطوشى وأبو بكر بن نعمة العابر وأبو الحسن على بن الحسين الموصلى الغراف وأبو عثمان سعد

فقالت له ظريفة ان من فتوضع بين يديك فانها ستمتلئ بين يديك من تراب البطحاء من سهلة الوادى ورمله وقد علمت ان الجنان مظلة ما يدخلها شمس ولا ريح فامر عمرو بزجاجة فوضعت بين يديه فلم تمكث الا قليلا حتى امتلأت من تراب البطحاء فذهب عمرو الى ظريفة فاخبرها بذلك وقال متى ترين هلاك السد قالت فيما بينك وبين السبعين سنة قال ففى أيها يكون قالت لا يعلم ذلك الا الله تعالى ولو علمه أحد لعلمته ولا ياتى عليك ليلة فيما بينك وبين السبعين سنة الا ظننت هلاكه فى غدها او فى تلك الليلة وراى عمرو فى النوم سيل العرم وقيل له ان آية ذلك ان ترى الحصباء قد ظهرت فى سعف النخل فذهب الى سرب النخل وسعفه فوجد الحصباء قد ظهرت فيها فعلم ان ذلك واقع بهم وان بلادهم ستخرب فكتم ذلك واخفاه وأجمع ان يبيع كل شئ له بارض سبا ويخرج منها هو وولده ثم خشى ان يستنكر ذلك فصنع طعاما وأمر بابل فنحرت وبغنم فذبحت وصنع طعاما واسعا ثم بعث الى أهل مأرب أن عمرا صنع يوم مجد وذكر فاحضروا

أصف لكم البلدان فاختاروا أيها شئتم ٨٢ فمن أعجبه منكم صفة بلد فليصر اليها ومن كان منكم ذا هم بعيد وحمل شديد فليلحق

بقصر عمان المشيد قال ومن كان منكم ذا هم بعيد وحمل غير شديد فليلحق بالشعب من كرود قال وهي أرض همدان فلحق به وادعة بن عفر فانتسبوا فيهم وقال الكاهن ومن كان منكم ذا حاجة ووطر ونظر وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مر وكان الذين سكنوه خزاعة لانخزاعها في ذلك الموضع عمن كان معها من الناس وهم بنو عمرو بن لحي فتخزعت هنالك الى هذه الغاية وفي ذلك يقول حسان بن ثابت

ولما هبطنا بطن مر تخزعت
خزاعة منا في ملوك كراكر

في شعر له طويل ومالك وأسلم وبنو قصي بن حارثة ابن عمرو بن مزيقياء وقال الكاهن ومن كان يريد الراسيات في الرحل فليلحق المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل وهي المدينة وكان الذين سكنوها الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقياء قال الكاهن ومن كان يريد منكم الخمر والخمير والديباج والحرير والامر والتدبير فليلحق ببصرى وحفير وهي أرض الشام قال الكاهن ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والكنوز والارزاق

سنة ثلاث عشرة وستمائة وتوفي عفا الله تعالى عنه باشبيلية قريبا من هذا التاريخ وقال فيه ابو القاسم بن فرقد عبد اللطيف بن عبد الله الهاشمي البغدادي النرسي منسوب الى قرية من قرى بغداد سمع صحيح البخاري من ابي الوقت السجزي وروى عن غيره وله تآليف قال ابن الابار في التصوف منها تاليف في اباحة السماع قرأت عليه اكثره وقرأت عليه عوالي النقيب بمدينة اشبيلية بحومة القصر المبارك عام خمسة عشر وستمائة

*(ومنهم ابو بكر عمر بن عثمان بن محمد بن احمد الخراساني الباخرزي المالكي يكنى ابا بكر) سمع من ابي الخير احمد بن اسمعيل الطالقاني القزويني وابي يعقوب يوسف بن عمر بن احمد الخالدي الزنجاني وقدم الاندلس وحدث بصحيفتي الاشيح وجعفر بن نسطور الرومي وسمع منه بغرناطة ومرسية وغيرهما من بلاد الاندلس حدث عنه ابو القاسم الملاحي وسمع منه بمالقة ابو جعفر بن عبد الجبار وابو علي بن هاشم في صفر سنة ٦٠٠ ومولده في ربيع الاول سنة ٥٦٠ انتهى من تكملة ابن الابار قلت ولا يخفى على من له بصر بعلم الحديث أن الاشيح وابن نسطور لا يلتفت اليهما ويرحم الله تعالى السلفي الحافظ اذ قال

حديث ابن نسطور وقيس ويعنم * وبعد أشيح الغرب ثم خراش
ونسخة دينار ونسخة تربه * أبي هدبة القيسي شبه فراش

قال ابن عات كان الحافظ السلفي اذا فرغ من انشاد هذين البيتين ينفخ في يديه اشارة الى أن هذه الاشياء كالريح انتهى *(ومن الوافدين على الاندلس من أهل المشرق علي بن بندار ابن اسمعيل بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي من أهل بغداد قدم الاندلس) تاجرا سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وكان قد أخذ عن أبي الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس الفقيه الداودي وتلمذله وسمع منه الموضح والمنهج من تآليفه في الفقه وماتم له من أحكام القرآن هكذا نقله الحافظ ابن خزم عن أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله المعتنى بهذا الشان رحمه الله تعالى (ومنهم أبو العلاء عبيد بن محمد بن عبيد أبو العلاء النيسابوري) لقيه الحافظ أبو علي الصدفي ببغداد وأخذ عنه اذ قدمها حاجا وهو يحدث عن أبي سعيد عبد الرحمن ابن أحمد البصروي قال أبو علي وأراه دخل الاندلس ويغلب على ظني أني لقيته بسرقسطة ذكر ذلك القاضي عياض في المعجم من تآليفه والله تعالى أعلم * (ومنهم سهل بن علي بن عثمان التاجر النيسابوري يكنى أبا نصر) سمع جماعة من الخراسانيين وغيرهم منهم أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازي وأبو الفتح السمرقندي وأدرك الامام أبا المعالي الجويني وحضر مجلسه ودرسه ولقي بعده أصحابه القشيري والطوسي وغيرهما وكان شافعي المذهب ذكره عياض وقال حدثني بحكايات وفوائد وأنشدني لابي طاهر السلفي وأجازني جميع رواياته وحدثني ان وفاة أبي المعالي كانت بنيسابور سنة خمس أو اربع وسبعين وأربعمائة وقال أبو محمد العثماني انشدني ابو نصر سهل بن علي النيسابوري الحقواني قال أنشدنا ابو الفتح نصر ابن الحسن انشدنا ابو العباس العذري قال انشدنا ابو محمد بن حزم الحافظ لنفسه

ولما رأيت الشيب حل مفارقي * نذيرا بترحال الشباب المفارق

رجعت الى نفسى فقلت لها انظرى * الى ما اتى هذا ابتداء الحقائق
دعى دعوات اللهو قد فات وقتها * كما قد أفات الليل نور المشارق
دعى منزل اللذات ينزل اهله * وجدى لما تدعى اليه وسابقى

قال عياض توفى سهل هذا غريقا فى البحر منصرفا الى بلده من المرية رحمه الله تعالى * (ومنهم ابو المكارم هبة الله بن الحسين المصرى) كان من اهل العلم عارفا بالاصول حافظا للحديث متيقظا حسن الصورة والشارة دخل الاندلس وولى قضاء اشبيلية منها آخر شعبان سنة تسع وسبعين وخمسمائة قال ابن الابار وبه صرف ابو القاسم الخولانى واقام بها سنة وحضر غزوة شنترين وكان قدوم ابى المكارم هذا الاندلس خوفا من صلاح الدين يوسف بن ايوب فى قوم من شيعة العبيدى ملك مصر ووفد ايضا معه ابو الوفاء المصرى ثم استصحبه امير المؤمنين يعقوب المنصور معه فى غزوة قفصة الثانية وولاه حينئذ قضاء تونس وكان قد ولى قضاء فاس وولى ايضا ابو الوفاء صاحبه القضاء وتوفى وهو متولى قضاء تونس سنة ست وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى (ومنهم يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن عبد الله القيسى الدمشقى) أصله من دمشق وبها ولد ويعرف بالاصبهانى فى مجلس أبى طاهر السلفى لدخوله اياها واقامته بها أزيد من خمسة أعوام لقراءة الخلافيات ويكنى أبا زكريا وسمع بالشرق أبا بكر بن ماشاده السكرى وأبى الرشيد بن خالد البيع وأبا الطاهر السلفى وغيرهم وقصد المغرب بعد أداء الفريضة فلقى ببجاية أبا محمد عبد الحق الاشبيلى واجازه وحضه على الوعظ والتذكير فامتثل ذلك ودخل الاندلس وتجول ببلادها واستوطن غرناطة منها وكان فقيها على مذهب الشافعى عارفا بالاصول والتصوف زاهدا ورعا كثير المعروف والصدقة يعظ الناس ويسمع الحديث ولم يكن بالضابط فيما قاله الحافظ ابن الابار قال وله كتاب الروضة الانيقة من تاليفه حدث عنه جماعة من الجلة منهم أبو جعفر بن حميرة الضبى وابنا حوط الله أبو محمد وابو سليمان وأبو القاسم الملاحى وابو العباس بن الحيار وأبو الربيع بن سالم وقال أنشدنى عنه تودد يحيى اياه بغرناطة قال سمعت بعض المذكورين ينشد

يا زائرا زار ومازارا * كانه مقتبس نارا
مر بباب الدار مستعجلا * ماضره لو دخل الدارا
نفسى فداء لك من زائر * مازار حتى قيل قد سارا

وسمع منه أبو جعفر بن الدلال كتاب المعالم للخطابى فى شرح سنن أبى داود بقراءة جميعه عليه ومولده فى شوال سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وتوفى بغرناطة بعد أن سكنها يوم الاثنين سادس شوال سنة ثمان وستمائة قال ابن الابار وفى هذا اليوم بعينه كانت وفاة شيخنا أبى عبد الله بن نوح ببلنسية رحمهما الله تعالى * (ومن الوافدين من المشرق الى الاندلس اسمعيل بن عبد الرحمن بن دلى القرشى) من ذرية عبد بن زمعة أخى سودة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها رحل من مصر الى الاندلس فى زمن السلطان الحاكم المستنصر بالله أعوام الستين وثلثمائة حين ملك بنو عبيد مصر وأظهر وا فيها معتقدهم الخبيث فحل يومئذ من

ولده ومن كان بالحيرة من غسان على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب (قال هشام ابن الكلبى) وأما أبى فكان يقول انما نزل بالحيرة من غسان مع تبع بعد هذا بزمان ثم خرج عمرو بن عامر مزيقياء فلحقوا هم دان وتخلف مالك بن الهيمان بن جهم ابن عدى بن عمرو بن مازن ابن الازد وكان بعدهم بمأرب ملكا الى أن كان من أمرهم ما كان فى الهلاك ثم ساروا حتى اذا كانوا بنجران تخلف أبو حارثة ابن عمرو بن عامر مزيقياء ورعيل بن كعب بن أبى حارثة فانتسبوا الى مذحج قال أبو المنذر ويقال ان أبا حارثة هو جد الحرث بن كعب بن أبى حذيفة الذى بنجران والله أعلم ثم سار عمرو بن عامر حتى اذا كان بادنى المسناة ومكة قام هنالك أناس من بنى نصر من الازد وأقام معهم عمران بن عامر الكاهن أخو عمرو بن عامر مزيقياء وعدى بن حارثة بن عمرو مزيقياء وسار عمرو بن عامر وبنو مازن حتى نزلوا بين بلاد الاشعريين وعك على ماء يقال له غسان بين واديين يقال لهما زبيد ورمع وهما مما يلى صدورهما بين صعيد يقال له صعيد الحلك وبين الجبال التى تدفع به فى زبيد

اما سالت فانا معشر نجب ... الازد نسبتنا والماء غسان

والذين سموا غسان من بني مازن الاوس والخزرج ابنا ثعلبة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن الازدي (وللقوم أخبار) في تفرقهم ومن دخل منهم في معد بن عدنان وما كان بينهم من الحروب الى أن ظفرت بهم بنو معد فاخرجتهم الى أن لحقوا بالسراة والسراة جبل الازد الذين يقال لهم السراة ويقال له الحجاز وانما سمي السراة من هذا الجبل ظهره فيقال لظهره السراة كما يقال لظهر الدابة السراة فاقاموا به وكانوا في سهله وجبله وما قاربه وهو جبل على تخوم الشام وفرز بينه وبين الحجاز مما يلي أعمال دمشق والاردن وبلاد فلسطين وتلا جبل حرا (وقد كان) أهل مارب يعبدون الشمس فبعث الله اليهم رسلا يدعونهم الى الله ويزجرونهم عما هم عليه ويذكرونهم آلاء الله ونعمته عليهم فجحدوا قولهم وردوا كلامهم وأنكروا أن لله عليهم نعمة وقالوا لهم ان كنتم رسلا فادعوا الله أن يسلبنا ما أنعم به علينا ويذهب عنا ما أعطانا وفي ذلك تقول امرأة منهم

الحكم المستنصر محل الرحب والسعة ولما ثارت الدولة العامرية أوى الى اشبيلية واوطنها داراو اتخذها قرارا وبها لقيه ابو عمر بن عبد البر علامة الاندلس فدرس عليه واقتبس من لديه وقد ذكره في تاريخ شيوخه ولم يزل عقبه بها الى ان نجم منهم ابو الحسين سالم بن محمد بن سالم وهو من رجال الذخيرة وله نثر كما تفتح الزهر وتدفق البحر ونظم كما اتسق الدر وسفرت عن محاسنها الانجم الغر فمن نظمه قوله

خليلي هل ليلى ونجدك عهدنا * فيا حبذا ليلى ويا حبذا نجد
عسى الدهر أن يقضي لنا بالتفاتة * فيارب عهد قد يجدده بعد

وله اثناء رسالة

قوس العلا وضعت في كف باريها * وأسهم الخطب عادت نحو راميها
وانما الشمس لاحت في مطالعها * بلى وأجرى جياد الخيل مجريها

ونشأ هذا النجم الثاقب والصيب الساكب وقد اخذ من العلوم في غير ماأن وحقق فيه كل ماظن وذكره في المسهب وسمط الجمان وفضله اشهر رحمه الله تعالى * (ومنهم ابو علي القالي صاحب الامالي والنوادر) وفد على الاندلس ايام الناصر امير المؤمنين عبد الرحمن فاتم ابنه الحكم وكان يتصرف عن امر ابيه كالوزير عاملهم ابن رماحس ان يجي معه ابي علي الى قرطبة ويتلقاه في وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض اهل الكورة تكرمة لابي علي ففعل وسار معه نحو قرطبة في موكب نبيل فكانوا يتذاكرون الادب في طريقهم ويتناشدون الاشعار الى ان تحاوروا بوما وهم سائرون ادب عبد الملك بن مروان ومساءلته جلساءه عن افضل المناديل وانشاده بيت عبدة بن الطبيب

ثم قفنا الى جرد مسومة * أعرافهن لايدينا مناديل

وكان الذاكر للحكاية الشيخ أباعلي فانشد الكلمة في البيت اعرافها لايدينا مناديل فانكرها ابن رفاعة الالبيري وكان من أهل الادب والمعرفة وفي خلقه حرج وزعارة فاستعاد أباعلي البيت متثبتا مرتين في كلتيهما أنشده اعرافها فلوى ابن رفاعة عنانه منصرفا وقال مع هذا يوفد على أمير المؤمنين ويتجشم الرحلة لتعظيمه وهو لا يقيم وزن بيت مشهور بين الناس لا تغلط الصبيان فيه والله لا تبعته خطوة وانصرف عن الجماعة وندبه أمير ابن رماحس أن لا يفعل فلم يجد فيه حيلة وكتب الى الحكم يعرفه ويصف له ماجرى لابن رفاعة ويشكوه فاجابه على ظهر كتابه الحمد لله الذي جعل في بادية من بوادينا من يخطئ وافد أهل العراق الينا وابن رفاعة اولى بالرضا عنه من السخط فدعه لشانه واقدم بالرجل غير منتقص من تكرمته فسوف يعليه الاختبار ان شاء الله تعالى أو يحطه وبعض المؤرخين يزعم أن وفادة ابي علي القالي انما كانت في خلافة الحكم المستنصر بالاندلس لا في خلافة أبيه الناصر والصواب ان وفادته في أيام الناصر لما ذكره غير واحد من حضوره وعيه عن الخطبة يوم احتفال الناصر لرسول الافرنج كما ألمعنا به في غير هذا الموضع وفي القالي يقول شاعر الاندلس الرمادي

من حاكم بيني وبين عذولي * الشجو شجوي والعويل عويلي

في أي جارحة أصون معذبي * سلمت من التعذيب والتنكيل
ان قلت في بصري تنم مدامعي * أو قلت في قلبي تنم غليلي
لكن جعلت له المسامع موضعا * وحجبتها عن عذل كل عذول

ولما سمع المتنبي البيت الثاني قال بصونه في استه وكان الرمادي لما سمع قول المتنبي

كفى بجسمي نحولا أنني رجل * لولا مخاطبتي اياك لم ترني

قال أطنه ضرطة والجزاء من جنس العمل وباسم أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله طرز الشيخ أبو علي القالي كتاب الامالي وكان الحكم كريما معنيا بالعلم وهو الذي وجه الى الحافظ أبي الفرج الاصبهاني ألف دينار على أن يوجه له نسخة من كتاب الاغاني وألف أبو محمد الفهري كتابا في نسب أبي علي البغدادي ورواياته ودخوله الاندلس وحكى ابن الطيلسان عن ابن جابر انه قرأ هذين البيتين في لوح رخام كان سقط من القبة البنية على قبر أبي علي البغدادي عند تهدمها وهما

صلوا الحد قبري بالطريق وودعوا * فليس لمن وارى التراب حبيب
ولا تدفنوني بالعراء فربما * بكى ان رأى قبر الغريب غريب

واسم أبي علي اسمعيل بن القاسم بن عيذون بن هرون بن عيسى بن محمد بن سليمان وجده سليمان مولى عبد الملك بن مروان وكان أبو علي احفظ أهل زمانه باللغة والشعر ونحو البصريين وأخذ الادب عن أبي بكر بن دريد الازدي وأبي بكر بن الانباري وابن درستويه وغيرهم وأخذ عنه ابو بكر الزبيدي الاندلسي صاحب مختصر العين ولابي علي التصانيف الحسان كالامالي والبارع وطاف البلاد وسافر الى بغداد سنة ٣٠٣ وأقام بالموصل لسماع الحديث من أبي يعلى الموصلي ودخل بغداد سنة ٣٠٣ وأقام بها الى سنة ٣٢٨ وكتب بها الحديث ثم خرج من بغداد قاصدا الاندلس وسمع من البغوي وغيره قال ابن خلكان ودخل قرطبة لثلاث بقين من شعبان سنة ثلاثين وثلثمائة انتهى وهو مما يعين انه قدم في زمن الناصر لا في زمن ابنه الحكم كما تقدم وقد صرح بذلك الصفدي في الوافي فقال ولما دخل المغرب قصد صاحب الاندلس الناصر لدين الله عبد الرحمن فأكرمه وصنف له ولولده الحكم تصانيف وبث علومه هناك انتهى وقال ابن خلكان انه استوطن قرطبة الى أن توفي بها في شهر ربيع الآخر وقيل جمادى الاولى سنة ٣٥٦ ليلة السبت لست خلون من الشهر المذكور ودفن ظاهر قرطبة ومولده بمنازكرد من ديار بكر سنة ٢٨٨ وقيل سنة ٢٨٠ وانما قيل له القالي لانه سافر الى بغداد مع أهل قالي قلا وهي من أعمال ديار بكر وهو من محاسن الدنيا رحمه الله تعالى وعيذون بفتح العين وسكون الياء المثناة التحتية وضم الذال المعجمة وقال ابن خلكان في ترجمة ابن القوطية ان أبا علي القالي لما دخل الاندلس اجتمع به وكان يبالغ في تعظيمه قال له الحكم بن عبد الرحمن الناصر من أنبل من رأيته ببلدنا هذا في اللغة فقال محمد بن القوطية وكان ابن القوطية مع هذه الفضائل من العباد النساك وكان جيد الشعر صحيح الالفاظ حسن المطالع والمقاطع الا أنه تركه ورفضه وقال الاديب أبو بكر بن هذيل انه توجه يوما الى ضيعة له بسفح جبل قرطبة وهي من بقاع

خلوف اذ زعق من بينهم ورن وتاوه وقال والضياء والشفق والظلام والغسق اطرقوا كما طرق قالوا اما طارق يا سطيح قال

ذو حبسة فى الوجرة وحرة بعدحرة فى ليلة قرة فانصر فوا عن قوله واستهانوا بامره وتعاصفت مسدود من أودية هنالك فجاءتهم فى ليلة باردة قرة كماذكر فساقت الانعام والمواشى وكادت أن تذهب بعامتهم (ولسطيح الكاهن ولشق بن مصعب أخبار كثيرة) منها رؤيا تبع الحميرى فى ان جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بارض تهمة وكانت منها كل ذات جمجمة ومافسراه له فى ذلك وكذلك خبر سطيح وعبد المسيح فى رؤيا الموبذان وارتجاج الايوان وخبر سلمة وزوبعة وماكان من أمرهما وخبر شان الظليم والسجرة وماكان بين عك وغسان من الحرب فى رقة اللبن وحلاوته وثخنه ونزل غسان أعلى الوادى وعك فى أسفله وماكان فى ذلك من القيافة بينهم فى طلوع الشمس وغروبها على ابلهم وخبر السموأل بن حسان بن عادياء وماكان من أمره وأمر خازن الكاهن وماقاله حين طرقه ليلا وانقياده الى ذمته وماكان من الغير الاقر والظليم الاحمر والفرس الاشقر والجمل الاورق والشيخ الاسدى وغير ذلك مما ذكرناه فيما سلف من

الارض الطيبة الموتقة فصادف ابابكر بن القوطية المذكور صادراعنها وكانت له أيضا هنالك ضيعة قال فلما رآنى مرج على واستبشر بلقائى فقلت مداعبا له

من أين اقبلت ياامن لاشبيه له * ومن هو الشمس والدنيا له فلك

قال فتبسم وأجاب بسرعة

من منزل تعجب النساك خلوته * وفيه ستر على الفتاك ان فتكوا

فما تمالكت أن قبلت يده اذ كان شيخى ودعوت له انتهى وهو صاحب كتاب الافعال التى فتح فيه هذا الباب فتلاه ابن القطاع وله كتاب المقصور والممدود جمع فيه مالا يحد ولا يعد وأعجز من بعده به وفاق من تقدمه رحمه الله تعالى ورضى عنه ومن أخذ عن ابى على القالى بالاندلس ابو بكر محمد الزبيدى صاحب كتاب مختصر العين وغيره وكان الزبيدى كثيرا ماينشد

الفقر فى أوطاننا غربة * والمال فى الغربة أوطان
والارض شئ كلها واحد * والناس اخوان وجيران

وترجمة الزبيدى واسعة وكان مؤدب المؤيد هشام ووصفه بانه كان فى صباه فى غاية الحذق والذكاء رحمه الله تعالى وكان القالى قد بحث على ابن دريد وبه كتاب سيبويه ودقق النظر وانتصر للبصريين وأملى شيأ من حفظه ككتاب النوادر والامالى والمقصور والممدود والابل والخيل والبارع فى اللغة نحو خمسة آلاف ورقة ولم يصنف مثله فى الاحاطة والجمع ولم يتم ورتب كتاب المقصور والممدود على التفعيل بخارج الحروف من الحلق مستقصى فى بابه لايشذ منه شئ وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب مقاتل الفرسان وتفسير السبع الطوال وكان الزبيدى اماما فى الادب ولكنه عرف فضل القالى فمال اليه واختص به واستفاد منه وأقرله وكان الحكم المستنصر قبل ولايته الامر وبعدها ينشط أبا على ويعينه على التأليف بواسع العطاء ويشرح صدره بالافراط فى الاكرام وكانوا يسمونه البغدادى لوصول اليهم من بغداد ويقال ان الناصر هو الذى استدعاه من بغداد لولائه فيهم وفيه يقول الرمادى متخلصا فى لاميته السابق بعضها

روض تعاهده السحاب كانه * متعاهد من عهد اسمعيل
قسه الى الاعراب تعلم أنه * أولى من الاعراب بالتفضيل
حازت قبائلهم لغات فرقت * فيهم وحاز لغات كل قبيل
فالشرق خال بعده وكانما * نزل الخراب بربعه الماهول
فكانه شمس بدت فى غربنا * وتغيبت عن شرقهم بافول
ياسيدى هذا ثنائى لم أقل * زورا ولاعرضت بالتنويل
من كان يامل نائلا فانا امرؤ * لم ارج غير القرب فى تاميلى

وقد تقدمت ابيات القالى التى أجاب بها منذر بن سعيد فى الباب قبل هذا فلتراجع ثمة والله تعالى اعلم * (ومن الوافدين الى الاندلس من المشرق ابو العلاء صاعد بن الحسين بن عيسى البغدادى اللغوى) واصله من الموصل قال ابن بسام ولما دخل صاعد قرطبة ايام المنصور

ابن ابى عامر عزم المنصور على ان يقفى به آثار ابى على البغدادى الوافد على بنى امية فما وجد عنده مما يرتضيه واعرض عنه اهل العلم وقدحوا فى علمه وعقله ودينه ولم ياخذوا عنه شيئا لقلة الثقة به وكان الف كتابا سماه كتاب الفصوص فدحضوه ورفضوه ونبذوه فى النهر ومن شعره قوله

ومهفهف ابهى من القمر * قهر الفؤاد بفاتن النظر
خالسته تفاح وجنته * فاخذتها منه على غرر
فاخافنى قوم فقلت لهم * لاقطع فى ثمر ولا كثر

والكثر الجمار وهذا اقتباس من الحديث وقال الحميدى سمعت ابا محمد بن حزم الحافظ يقول سمعت ابا العلاء صاعدا ينشد بين يدى المظفر عبد الملك بن ابى عامر من قصيدة يهنيه فيها بعيد الفطر سنة ٣٩٦

حسبت المنعمين على البرايا * فالفيت اسمه صدر الحساب
وما قدمته الاكانى * اقدم تاليا ام الكتاب

وذكر الحميدى ان عبد الله بن ما كان الشاعر تناول نرجسة فركبها فى وردة ثم قال لصاعد ولابى عامر بن شهيد صفاها فاخذا وقتا ولم يتجه لهما القول فبينما هم على ذلك اذ دخل الزهيرى صاحب ابى العلاء وتلميذه وكان شاعرا اديبا اميا لا يقرا فلما استقر به المجلس اخبر بما هم فيه فجعل يضحك ويقول

ما للاديبين قد اعيتهما * مليحة من ملح الجنه
نرجسة فى وردة ركبت * كعقلة تطرف فى وجنه انتهى

ومن غريب ما جرى لصاعد أن المنصور جلس يوما وعنده اعيان مملكته ودولته من اهل العلم كالزبيدى والعاصمى وابن العريف وغيرهم فقال لهم المنصور هذا الرجل الوافد علينا يزعم انه متقدم فى هذه العلوم واحب ان يمتحن فوجه اليه فلما مثل بين يديه والمجلس قد احتفل خجل فرفع المنصور محله واقبل عليه وساله عن ابى سعيد السيرافى فزعم انه لقيه وقرا عليه كتاب سيبويه فبادره العاصمى بالسؤال عن مسئلة من الكتاب فلم يحضره جوابها واعتذر بان النحو ليس جل بضاعته فقال له الزبيدى فما تحسن ايها الشيخ فقال حفظ الغريب قال فاوزن اولق فضحك صاعد وقال امثلى يسال عن هذا فما يسال عنه صبيان المكتب قال الزبيدى قد سالناك ولا نشك انك تجهله فتغير لونه وقال أفعل وزنه فقال الزبيدى صاحبكم ممخرق فقال له صاعد اخال الشيخ صناعته الابنية فقال له اجل فقال صاعد وبضاعتى انا احفظ الاشعار ورواية الاخبار وفك المعمى وعلم المويسيقى قال فناظره ابن العريف عليه صاعد وجعل لا يجرى فى المجلس كلمة الا انشد عليها شعرا شاهدا واتى بحكاية تجانسها فاعجب المنصور ثم اراه كتاب النوادر لابى على القالى فقال ان اراد المنصور املیت على كتاب دولته كتابا ارفع منه واجل لا اورد فيه خبرا مما اورده ابو على فاذن له المنصور فى ذلك وجلس بجامع مدينة الزاهرة على كتابه المترجم بالفصوص فلما اكمله تتبعه ادباء الوقت فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم وسالوا المنصور

(قال المسعودى) عدة الشهور عند العرب وسائر الامم اثنا عشر شهرا فلنذكر الآن سنى وشهور وايام ما اشتهر أهله من جل الامم وهم العرب والفرس والروم والسريانيون والقبط اذ كان قول اليونانيين فى ذلك من حسابهم ومن تبعهم على ذلك من أهل الصين وكثير من الممالك والامم اذ كان فى ذلك خروج عما عليه الجمهور والمعهود بين الناس ونجعل المبتدأ بذكر سنى وشهور القبط لموافقتها السريانيين وموافقتها الشهور الروم ثم نعقب ذلك بذكر سنى العرب وشهورها وايامها ولاية علة استحق عندها تسمية كل شهر منها وكل يوم وما قالته العرب فى تسمية الليالى وجمل من ذكر أفعال الشمس والقمر وتاثيرهما فى هذا العالم فى الجماد والنبات والحيوان وغير ذلك مما يقف عليه المتامل عند قراءته ان شاء الله تعالى على ما يريد والله تعالى ولى التوفيق

(ذكر شهور القبط والسريانيين والخلاف فى أسمائهما من التاريخ)

أول شهور القبط توت وهو ايلول وبابه وهو تشرين الاول وهاتور وهو تشرين الثانى وكيهك وهو كانون الاول

في تجليد كراريس بياض تزال جدتها حتى توهم القدم وترجم عليه كتاب النكت تاليف ابي الغوث الصنعاني فترامى اليه صاعد حين رآه وجعل يقبله وقال اي والله قرانه بالبلد الفلاني على الشيخ ابي فلان فاخذه المنصور من يده خوفا ان يفتحه وقال له ان كنت قد قرانه كما تزعم فعلام يحتوي فقال وابيك لقد بعد عهدي به ولا احفظ الآن منه شيا ولكنه يحتوي على لغة منثورة لا يشوبها شعر ولا خبر فقال له المنصور أبعد الله مثلك فما رأيت أكذب منك وأمر باخراجه وأن يقذف كتاب الفصوص في النهر فقال فيه بعض الشعراء

قد غاص في النهر كتاب الفصوص * وهكذا كل ثقيل يغوص

فأجابه صاعد

عاد الى معدنه انما * توجد في قعر البحار الفصوص

قال ابن بسام وما أظن أحدا يجترئ على مثل هذا وانما صاعد اشترط أن لا يأتي الا بالغريب غير المشهور وأعانهم على نفسه بما كان يتنفق به من الكذب وحكى ابن خلكان أن المنصور أثابه على كتاب الفصوص بخمسة آلاف دينار ومن أعجب ماجرى له انه كان بين يدي المنصور فاحضرت اليه وردة في غير وقتها لم يستتم فتحها ورقها فقال فيها صاعد مرتجلا

أتتك أبا عامر وردة * يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت باكمامها راسها

فسر بذلك المنصور وكان ابن العريف حاضرا فحسده وجرى الى مناقضته وقال لابن أبي عامر هذان البيتان لغيره وقد أنشدنيهما بعض البغداديين لنفسه بمصر وهما عندي على ظهر كتاب بخطه فقال له المنصور أرنيه فخرج ابن العريف وركب وحرك دابته حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل زمانه بديهة فوصف له ماجرى فقال هذه الابيات ودس فيها بيتي صاعد

غدوت الى قصر عباسة * وقد جدل النوم حراسها
فالفيتها وهي في خدرها * وقد صرع السكر أناسها
فقالت أسار على هجعة * فقلت بلى فرمت كاسها
ومدت يديها الى وردة * يحاكي لذاك الطيب أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت باكمامها راسها
وقالت خف الله لا تفضحن في ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على غفلة * وماخنت ناسي ولا ناسها

فطار ابن العريف بها وعلقها على ظهر كتاب بخط مصري ومداد أشقر ودخل بها على المنصور فلما رآها اشتد غيظه على صاعد وقال للحاضرين غدا أمتحنه فان فضحه الامتحان أخرجته من البلاد ولم يبق في موضع لي عليه سلطان فلما أصبح وجه اليه فاحضر وأحضر جميع الندماء فدخل بهم الى مجلس محفل قد أعد فيه طبقا عظيما فيه سقائف مصنوعة من جميع النوابير ووضع على السقائف لعب من ياسمين في شكل الجواري وتحت السقائف بركة ماء قد ألقي

وثوبه وهو حزيران وأبيب وهو تموز ومسرى وهو آب والقبط بعد هذا خمسة أيام لواحق تدعى العمائر تزيدها على ماسميناه من شهورها وهي ثلثمائة يوم وستون يوما فتصير السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وأول يوم من السنة عند القبط هو اليوم التاسع والعشرون من آب وعدة كل شهر منها ثلاثون يوما وكانت أيام السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما بعدد أيام سنة الفرس وكانت شهور القبط فيما مضى توافق أوائلها شهور الفرس وكان أول يوم أول آذرماه ثم كل شهر كذلك على هذا الوصف الى آخر سنة القبط آخر آذرماه وهذا الحساب بعينه موجود في كتب الزيجات في النجوم وأهل مصر وسائر القبط في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يستعملون في حسابهم في الشهور غير ماقدمناه وذلك انهم زادوا في أيام السنة ربع يوم على مذهب اليونانيين والروم فصارت شهورهم مخالفة لشهور الفرس وموافقة لشهور السريانيين والروم في

اللآلئ مثل الحصباء وفى البركة حية تسبح فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور ان هذا يوم اما أن تسعد فيه معنا واما أن تشقى بالصد عندنا لانه قد زعم قوم ان كل ما تاتى به دعوى وقد وقفت من ذلك على حقيقة وهذا طبق ماتوهمت أنه حضر بين يدى ملك قبلى شكله فصفه بجميع مافيه وعبر بعض عن هذه القصة بقوله أم فعبى له طبق فيه أزهار ورياحين وياسمين وبركة ماء حصباؤها اللؤلؤ وكان فى البركة حية تسبح وأحضرها صاعد فلما شاهد ذلك قال له المنصور ان هؤلاء يذكرون ان كل ما تاتى به دعوى لاصحة لها وهذا طبق ما ظننت انه عمل لملك مثله فان وصفته بجميع مافيه علمت صحة ماتذكره فقال صاعد بديهة

أبا عامر هل غير جدوالك واكف * وهل غير من عاداك فى الارض خائف
يسوق اليك الدهر كل غريبة * واعجب مايلقاه عندك واصف
وشائع نور صاغها امام الحيا * على حافتيها عبقر وفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت * عليها بانواع الملاهى الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا * تظللها بانياسمين السقائف
وأعجب منها انهن نواظر * الى بركة ضمت اليها الطرائف
حصاها اللآلئ سابح فى عبابها * من الرقش مسموم الثعابين زاحف
ترى ماتراه العين فى جنباتها * من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة فى مثل ذلك الموضع وكتبها المنصور بخطه وكان الى ناحيته من تلك السقائف سفينة فيها جارية من النوار تجذف بمجاذيف من ذهب لم يرها صاعد فقال له المنصور أحسنت الا أنك أغفلت ذكر المركب والجارية فقال للوقت

وأعجب منها غادة فى سفينة * مكللة تصبو اليها المهاتف
اذا راعها موج من الماء تتقى * بسكانها ما أنذرته العواصف
متى كانت الحسناء ربان مركب * تصرف فى يمنى يديه المجاذف
ولم ترعينى فى البلاد حديقة * تنقلها فى الراحتين الوصائف
ولا غروان ساقت معاليك روضة * وشتها أزاهير ربا والزخارف
فأنت امرؤ لو رمت نقل متالع * ورضوى ذرتها من سطاك نواسف
اذا قلت قولا أو بدهت بديهة * فكلنى له انى لمجدك واصف

فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب ورتب له فى كل شهر ثلاثين دينارا وألحقه بالندماء قال وكان شديد البديهة فى ادعاء الباطل قال له المنصور يوما ما الخنبشار فقال حشيشة يعقد بها اللبن بيادية الاعراب وفى ذلك يقول شاعرهم

لقد عقدت محبتها بقلبى * كما عقد الحليب الخنبشار

وقال له يوما وقد قدم اليه طبق فيه تمر ما التمر كل فى كلام العرب فقال يقال تمر كل الرجل تمر كلا اذا التف فى كسائه وكان مع ذلك عالما قال وكان لابن أبى عامر فتى يسمى فاتنا أوحد لا نظير له فى علم كلام العرب فناظر صاعدا هذا فقطعه وظهر عليه وبكته فاعجب المنصور منه

وكان أولها يوم الاحد والذى بين تاريخ المختصر وتاريخ يزدجرد ألف وثلثمائة وتسع وتسعون سنة فارسية وثلاثة أشهر والذى بين تاريخ فليلفوس وتاريخ يزدجرد تسعمائة واثنتان وأربعون سنة من سنى الروم ومائتان وتسع وخمسون يوما وبين تاريخ يزدجرد وتاريخ الهجرة من الايام ألف وستمائة وأربعة وعشرون يوما فاول هذه التواريخ تاريخ المختصر ثم تاريخ فليلفوس ثم تاريخ يزدجرد وتاريخ العرب من اول السنة التى هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وكان اولها يوم الخميس وتاريخ الفرس من أول السنة التى ملك فيها يزدجرد بن شهريار بن كسرى بن ابرويز وكان اولها يوم الثلاثاء وتاريخ الروم والسريانيين من اول السنة من ملك الاسكندر وكان اولها يوم الاثنين والله تعالى اعلم بحقيقة ذلك

(ذكر شهور السريانيين ووصف موافقتها الشهور العرب وعدة ايام السنة ومعرفة الانواء)

فاول ذلك ان ايام السنة

 نى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وهى مختلفة فى العدد فنيسان ثلاثون يوما وايار احد وثلاثون

يوما وحزيران ثلاثون يوما حساب الهند وهو أطول يوم فى السنة وأقصر ليلة وتموز احدو ثلاثون يوما وآب احدو ثلاثون يوما فاذا انسلخ ذهب الحر قال محمد بن عبد الملك الزيات برد الماء وطال الـ ـليل والتذ الشراب ومضى عنك حزيرا ن وتموز وآب وايلول ثلاثون يوما وتخمس منه عيد ذكر ياولعشر منه تطلع الصرفة فينصرف الحر ولثلاث عشرة منه عيد الصليب وهو اليوم الرابع عشر منه وفى هذا اليوم تفتح الترع بمصر على حسب ماذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب ولتمام عشرين منه يستوى الليل والنهار وقال أبو نواس

مضى ايلول وارتفع الحرور
وأذكت نارها الشعرى العبور

وتشرين الاول أحدو ثلاثون يوما وفيه يكون المهرجان وبين النيروز والمهرجان مائة وتسعة وستون يوما وعند الفرس فى معنى المهرجان انه كان لهم ملك فى قديم الزمان من ملوك الفرس قد عم ظلمه خواص الناس وعوامهم وكان يسمى مهرو كانت الشهور تسمى باسماء الملوك فقيل مهرماه ومعنى ما

ولثمان عشرة ليلة منه رجوع الشمس هابطة من السماء على ما أوجبه

فتوفى فاتن هذا سنة ٤٠٢ و بيعت فى تركته كتب مضبوطة جليلة صحيحة وكان منقادا لما نزل به من المشلة فلم يتخذ النساء كغيره وكان فى ذلك الزمان بقرطبة جملة من الفتيان المخانيث ممن أخذ باوفر نصيب من الادب قال ورأيت تأليف رجل منهم يعرف بحبيب ترجمه بكتاب الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة وذكر فيه جملة من أشعارهم وأخبارهم ونوادرهم قال ابن بسام وغيره ومن عجائب ماجرى لصاعد انه أهدى أيلا الى المنصور وكتب على يده موصله

ياحرز كل مخوف وأمان كل مشرد ومعز كل مذال
ياسلك كل فضيلة ونظام كل جزيلة وثراء كل معيل

ومنها

ما أن رأت عينى وعلمك شاهد * جدوى علائك فى معم مخول

ومنها

وأبى مؤنس غربتى وتحفظى * من صفر أيامى ومن مستعملى
عبد جذبت بضبعه ورفعت من * مقداره أهدى اليك بايل
سميته غرسية وبعثته * فى حبله ليصح فيه تفاؤلى
فلئن قبلت فتلك أنفس منة * أهدى بها ذو منحة وتطول
منحتك غادية السرور بعزة * وحللت أوجا بالسحاب المخضل

فقضى فى سابق علم الله سبحانه وتعالى أن ملك الروم غرسية أسر فى ذلك اليوم بعينه الذى بعث فيه بالايل وسماه باسمه على التفاؤل انتهى وكان غرسية أمنع من النجم وسبب أخذه انه خرج يتصيد فلقيته خيل للمنصور من غير قصد فاسرته وجاءته به فكان هذا الاتفاق مما عظم به العجب ولنورد من أخبار صاعد فنقول حكى ان المنصور قال بسبب هذه القضية انه لم يتفق لصاعد هذا الفأل الغريب الا لحسن نيته وسريرته وصفاء باطنه فرفع قدره من ذلك اليوم فوق ماكان ورجحه على أعدائه وحق له ذلك وفى الزهرة الثامنة والعشرين من كتاب الازهار المنثورة فى الاخبار المأثورة حكى أن صاعدا قال جمعت خرق الاكياس والصرر التى قبضت فيها صلات المنصور محمد بن أبى عامر فقطعت لكافور الاسود غلامى منها قميصا كالمرقعة وبكرت به معى الى قصر المنصور فاحتلت فى تنشيطه حتى طابت نفسه فقلت يامولانا العبدك حاجة فقال اذكرها قلت وصول غلامى كافور الى هنا فقال وعنى هذه الحال فقلت لا أقنع بسواه الا بحضوره بين يديك فقال أدخلوه فمثل قائما بين يديه فى مرقعته وهو كالنخلة اشرافا فقال قد حضر وانه ليتأذل الهيئة فمالك أضعته فقلت يامولانا هنالك الفائدة اعلم يامولاى انك وهبت لى اليوم مل عجلد كافورا فلما افتهل وقال لله درك من ثاكر مستنبط لغوامض معانى الشكر وأمر لى بمال واسع وكسوة وكسا كافورا أحسن كسوة انتهى ولما دخل صاعد دانية وحضر مجلس الموفق مجاهد العامرى أمير البلد كان فى المجلس دبب يقال له بشار فقال للموفق دعنى أعبث بصاعد فقال له لا تتعرض اليه فانه سريع الجواب فابى الا مساءلته وكان بشار المذكور أعمى فقال لصاعد يا أبا العلاء

الذي مات فيه مهرجان وتفسيره نفس مهر ذهبت لان الفرس تقدم في لغتها ما تؤخر العرب في كلامها وهذه اللغة الفهلوية وهي الفارسية الاولى وأهل المروآت بالعراق وغيرها من مدن العجم يجعلون هذا اليوم أول يوم من الشتاء فتغير فيه الفرش والآلات وكثيرا من الملابس ويلبس منه وهو تشرين الاول عيد كنيسة القيامة ببيت المقدس وفي هذا اليوم تجتمع النصارى من سائر الارض وتنزل عليهم نار من السماء فيسرج هناك الشمع ويجتمع فيه من المسلمين خلق عظيم للنظر الى العيد ويقتلع فيه ورق الزيتون ويكون للنصارى فيه أقاصيص ولهذه النار حيلة لطيفة وسر عظيم وقد ذكرنا وجه الحيلة في ذلك في كتابنا المترجم بكتاب القضايا والتجارب وتشرين الثاني ثلاثون يوما وكانون الاول أحد وثلاثون يوما ولسبع عشرة منه يكون النهار تسع ساعات وربعا وهو منتهى قصره والليل أربع عشرة ساعة ونصفا وربعا وهو منتهى طوله وليلة الخامس والعشرين منه ميلاد المسيح عليه السلام وكانون الثاني أحد وثلاثون يوما وأول يوم منه الغطاس فيكون

ما الجرنفل في كلام العرب فعرف صاعدا انه وضع هذه الكلمة وليس لها أصل في اللغة فقال بعد أن أطرق ساعة الجرنفل في اللغة الذي يفعل بنساء العميان ولا يتجاوز به الى غيرهن وهو في ذلك كله يصرح ولا يكني فجعل يشاور وانكسر وضحك من كان حاضرا فقال له الموفق قلت لك لا تفعل فلم تقبل انتهى والجرنفل بضم الجيم والراء وسكون النون وضم الفاء وبعدها لام واصاعد أخبار ونوادر كثيرة غير ما تقدم وله مع المنصور بن أبي عامر رحمه الله تعالى من ذلك كثير وبعضه ذكرناه في هذا الكتاب ومن حكاياته انه خرج معه يوما الى رياض الزاهرة فمد المنصور يده الى شئ من الريحان المعروف بالترنجان فعبث به ورماه الى صاعد واشار اليه ان يقول فيه فارتجل (لم أدر قبل ترنجان عبثت به) الابيات الآتية وهذا المنصور بن ابي عامر قد تقدمت جملة من أخباره ومن أعجب ما وقع له ما رأيته بخزانة فاس في كتاب الفه صاحبه في الازهار والانوار حكى فيه في ترجمة النيلوفر ان المنصور لما قدم عليه رسول ملك الروم الذي هو اعظم ملوكهم في ذلك الزمان ليطلع على احوال المسلمين وقوتهم فامر المنصور ان يغرس في بركة عظيمة ذات اميال نيلوفر ثم امر باربعة قناطير من الذهب واربعة قناطير من الفضة فسبكت قطعا صغارا على قدر ما تسع النيلوفرة ثم ملأ بها جميع النيلوفر الذي في البركة وارسل الى الرومي فحضر عنده قبل الفجر في مجلسه السامي بالزاهرة بحيث يشرف على موضع البركة فلما قرب طلوع الشمس جاء الف من الصقالبة عليهم اقبية الذهب والفضة ومناطق الذهب والفضة وبيد خمسمائة اطباق ذهب وبيد خمسمائة اطباق فضة فتعجب الرسول من حسن صورهم وجميل شارتهم فلم يدر ما المراد فحين اشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة وبادروا الاخذ الذهب والفضة من النيلوفر وكانوا يجعلون الذهب في اطباق الفضة والفضة في اطباق الذهب حتى التقطوا جميع ما فيها وجاؤا به فوضعوه بين يدي المنصور حتى صار كوما بين يديه فتعجب النصراني من ذلك واعظمه وطلب المهادنة من المسلمين وذهب مسرعا الى مرسله وقال له لا تعاد هؤلاء القوم فاني رأيت الارض تخدمهم بكنوزها انتهى وهذه القضية من الغرائب وانها لحيلة عجيبة في اظهار عز الاسلام واهله وكان المنصور بن ابي عامر آية الله سبحانه في السعد ونصرة الاسلام قال ابن بسام نقلا عن ابن حيان انه لما انتهت خلافة بني مروان بالاندلس الى الحكم تاسع الائمة وكان مع فضله قد استهواه حب الولد حتى خالف الحزم في توريثه الملك بعده في سن الصبا دون مشيخة الاخوة وفتيان العشيرة ومن كان ينهض بالامر ويستقل بالملك قال ابن بسام وكان يقال لا يزال ملك بني أمية بالاندلس في اقبال ودوام ما توارثه الابناء عن الآباء فاذا انتقل الى الاخوة وتوارثوه فيما بينهم أدبروا نصرم ولعل الحكم لحظ ذلك فلما مات الحكم أخفى جؤذر وفائق فتياه ذلك وعزما على صرف البيعة الى أخيه المغيرة وكان فائق قد قال له ان هذا الايتم لنا الا بقتل جعفر المصحفي فقال له جؤذر ونستفتح أمرنا بسفك دم شيخ مولانا فقال له هو والله ما أقول لك ثم بعثا الى المصحفي ونعيا اليه الحكم وعرفاه رأيهما في المغيرة فقال لهما المصحفي وهل أنا الا تبع لكما وانتما صاحبا القصر ومدبر الامر فشرعا في تدبير ما عزما عليه وخرج المصحفي وجمع أجناده وقواده ونعى اليهم الحكم وعرفهم مقصود جؤذر

فيه بالشام لاهله عيد في كنيسة القسيان بها من القداس عندهم وكذلك لسائر الشام وبيت المقدس ولمصر وأرض النصرانية كلها ومايظهر أهل دين النصرانية بانطاكية من الفرح والسرور وايقاد النيران والمآكل والمشارب وتساعدهم على ذلك عوام الناس وكثير من خواصهم وذلك أن مدينة انطاكية بها كرسي البطرك المعظم عندها في ديانتهم وأن النصرانية تسمي انطاكية مدينة الله ويسمونها أيضا مدينة الملك وأم المدن لان بدو ظهور النصرانية كان فيها (والبطارقة عند النصرانية أربعة) أولهم صاحب مدينة رومية ثم الثاني وهو صاحب مدينة قسطنطينية وهي أقسس واسمها القديم بورنطيا ثم الثالث وهو صاحب الاسكندرية من أرض مصر ثم الرابع وهو صاحب انطاكية ورومية وانطاكية لبيطرس فبدؤا برومية لانها لبيطرس ثم ختموا بانطاكية لانها له وتعظيما وقد أحدثوا كرسيا ببيت المقدس ولم يكن هذا مقدما وانما هو محدث وكان لايليا وهو بيت المقدس اسقف (وبانطاكية) أيضا كنيسة أخرى تدعى استوست

يوقدون في ليلته النيران ويظهرون الافراح لاسيما بمدينة انطاكية ومايكون

وفائق في المغيرة وقال ان بقينا على ابن مولانا كانت الدولة لنا وان بدلنا استبد لنا فقالوا الرأي رأيك فبادر المصحفي بانفاذ محمد بن أبي عامر مع طائفة من الجند الى دار المغيرة لقتله فوافاه ولا خبر عنده فنعى اليه الحكم أخاه فجزع وعرفه جلوس ابنه هشام في الخلافة فقال أنا سامع مطيع فكتب الى المصحفي بحاله وما هو عليه من الاستجابة فأجابه المصحفي بالقبض عليه والاوجه غيره ليقتله فقتله خنقا لما قتل المغيرة واستوثق الامر لهشام بن الحكم افتتح المصحفي أمره بالتواضع والسياسة واطراح الكبر ومساواة الوزراء في الفرش وكان ذلك من أول ما استحسن منه وتوفر على الاستئثار بالاعمال والاحتجان للاموال وعارضه محمد بن أبي عامر فتى ماجد أخذ معه بطرف في نقيض بالبخل جودا وبالاستبداد اثرة وتمالك قلوب الرجال الى ان تحركت همته للمشاركة في التدبير بحق الوزارة وقوى على امره بنظره في الوكالة وخدمته للسيدة صبح ام هشام وكانت حاله عند جميع الخدم أفضل الاحوال بتصديه لمواقع الارادة ومبالغته في تأدية لطيف الخدمة فاخرجت له أم هشام الخليفة الى الحاجب جعفر المصحفي بأن لاينفرد عنه برأي وكان غير متخيل منه سكونا الى ثقته فامتثل الامر واطلعه على سره وبالغ في بره وبالغ محمد بن أبي عامر في مخادعته والنصح له فوصل المصحفي يده بيده واستراح الى كفايته وابن أبي عامر يمكر به ويضرب عليه ويغري به الحرة وينا قضه في أكثر ما يعامل به الناس ويقضي حوائجهم ولم يزل على ماهذه سبيله الى أن انحل أمر المصحفي وهوى نجمه وتفرد محمد بن أبي عامر بالامر ومنع أصحاب الحكم وأجلاهم وأهلكهم وشردهم وشتتهم وصادرهم وأقام من صنائعهم من استغنى به عنهم وصادر الصقالبة وأهلكهم وأبادهم في أسرع مدة قال ابن حيان وجاشت النصرانية بموت الحكم وخرجوا على أهل الثغور فوصلوا الى باب قرطبة ولم يجدوا عند جعفر المصحفي غناء ولا نصرة وكان مما أتى عليه أن أمر أهل قلعة رباح بقطع سد نهرهم لما تخيله من أن في ذلك النجاة من العدو ولم تقع حيلته لاكثر منه مع وفور الجيوش وجموم الاموال وكان ذلك من سقطات جعفر فانف محمد بن أبي عامر من هذه الدنية وأشار على جعفر بتبديد الجيش بالجهاد وخوفه سوء العاقبة في تركه وأجمع الوزراء على ذلك الامن شذ منهم واختار ابن أبي عامر الرجال وتجهز للغزاة واستصحب مائة ألف دينار ونفذ بالجيش ودخل على الثغر الجوفي ونازل حصن الحافة ودخل الربض وغنم وقفل فوصل الحضرة باسبي بعد اثنين وخمسين يوما فعظم السرور به وخلصت قلوب الاجناد له واستهلكوا في طاعته لما رأوه من كرمه ومن أخبار كرمه ماحكاه محمد بن أفلح غلام الحكم قال دفعت الي مالا أطيقه من نفقة في عرس ابنة لي ولم يبق معي سوى لجام محلى ولما ضاقت بي الاسباب قصدته بدار الضرب حين كان صاحبها والدراهم بين يديه موضوعة مطبوعة فاعلمته ماجئت له فابتهج بما سمعه مني وأعطاني من تلك الدراهم وزن اللجام بحديده وسوره فلا أجري وكنت غير مصدق بما جرى لعظمه وعملت العرس وفضلت لي فضلة كثيرة وأحبه قلبي حتى لو جاءني على خلع طاعة مولاي الحكم لفعلت وكان ذلك في أيام الحكم قبل أن يقتعد ابن أبي عامر الذروة وقال غير واحد انه صنع يومئذ قصرا من فضة لصبح أم هشام وحمله على رؤوس الرجال فغلب حبها بذلك وقامت بأمره عند سيدها الحكم وحدث الحكم خواصه بذلك

وقال

وقال ان هذا الفتى قد جلب عقول حرمنا بما يتحفهم به قالوا وكان الحكم لشدة نظره فى علم الحدثان يتخيل فى ابن أبى عامر انه المذكور فى الحدثان ويقول لاصحابه أما تنظرون الى صفرة كفيه ويقول فى بعض الاحيان لو كانت به شجة لقلت انه هو بلا شك فقضى الله أن تلك الشجة حصلت للمنصور يوم ضرب به غالب بعد موت الحكم بمدة قال ابن حيان وكان بين المصحفى وغالب صاحب مدينة سالم وشيخ الموالى وفارس الاندلس عداوة عظيمة ومباينة شديدة ومقاطعة مستحكمة وأعجزا المصحفى أمره وضعف عن مباراته وشكا ذلك الى الوزراء فاشاروا عليه بملاطفته واستصلاحه وشعر بذلك ابن أبى عامر فاقبل على خدمته وتجرد لاتمام ارادته ولم يزل على ذلك حتى خرج الامر بان نهض غالب الى تقدمة جيش الثغر وخرج ابن أبى عامر ظافرا غانما وبعد صيته فخرج أمر الخليفة هشام بصرف المصحفى عن المدينة وكانت فى يده يومئذ وخلع على ابن أبى عامر ولاخبر عند المصحفى وملك ابن أبى عامر الباب بولايته للشرطة وأخذ عن المصحفى وجوه الحيلة وخلاه وليس بيده من الامر الا أقله وكان ذلك باعانة غالب له وضبط المدينة ضبطا أنسى به أهل الحضرة من سلف من الكفاة وتولى السياسة وانهمك ابن أبى عامر فى صحبة غالب فغطن المصحفى لتدبير ابن أبى عامر عليه ككاتب غالب ليستصلحه وخطب أسماء بنته لابنه عثمان فأجابه غالب لذلك وكادت المصاهرة تتم له وبلغ ابن أبى عامر الامر فقامت قيامته وكاتب غالبا يخوفه الحيلة ويهيج حقوده وألقى عليه أهل الدار وكاتبوه فصرفوه عن ذلك ورجع غالب الى ابن أبى عامر فأنكحه البنت المذكورة وتم له العقد فى محرم سنة سبع وستين وثلثمائة فأدخل السلطان تلك الابنة الى قصره وجهزها الى محمد بن أبى عامر من قبله فظهر أمره وعز جانبه وكثر رجاله وصار جعفر المصحفى بالنسبة اليه كلا شئ واستقدم السلطان غالبا وقلده الحجابة شركة مع جعفر المصحفى اودخل ابن أبى عامر على ابنته ليلة النيروز وكانت أعظم ليلة عرس فى الاندلس وايقن المصحفى بالنكبة وكف عن اعتراض ابن أبى عامر فى شئ من التدبير وابن أبى عامر يساره ولا يظاهره وانفض عنه الناس وأقبلوا على ابن أبى عامر الى أن صار المصحفى يغدو الى قصر قرطبة ويروح وهو وحده وليس بيده من الحجابة سوى اسمها وعوقب المصحفى باعانته على ولاية هشام وقتل المغيرة ثم سخط السلطان على المصحفى وأولاده وأهله وأسبابه وأصحابه وطولبوا بالاموال وأخذوا برفع الحساب لما تصرفوا فيه وتوصل ابن أبى عامر بذلك الى اجتثاث أصولهم وفروعهم وكان هشام ابن أخى المصحفى قد توصل الى أن سرق من رؤس النصارى التى كانت تحمل بين يدى ابن أبى عامر فى الغزاة الثالثة ليقدم بها على الحضرة وغاظه ذلك منه فبادره بالقتل فى المطبق قبل عمه جعفر المصحفى فلما استقصى ابن ابى عامر مال جعفر حتى باع داره بالرصافة وكانت من اعظم قصور قرطبة واستمرت النكبة عليه سنتين مرة يحتبس ومرة يترك ومرة يقرب بالحضرة ومرة ينفرعنها ولا براح له من المطالبة بالمال ولم يزل على هذا الحكم حتى استصفى ولم يبق فيه محتمل واعتقل فى المطبق بالزهراء الى ان هلك واخرج الى اهله ميتا وذكر انه سمه فى ماء شربه قال محمد بن اسمعيل سرت مع محمد بن مسلمة الى الزهراء لنسلم جسد

والرفعة وكان الوليد بن عبد الملك بن مروان اقتلع من هذه الكنيسة عمدا عجيبة من المرمر والرخام لمسجد دمشق وبقى الاكثر من هذه الكنيسة الى هذا الوقت (وقد كان الملك) من ملوك الرومية بانطاكية خبر عجيب فى كنيسة استوست وكانت خارج السور من انطاكية وهى فى أيدى اليهود فعوضت اليهود دار الملك بانطاكية بدلا من كنيسة استوست وهذه الدار التى كانت دار الملك بانطاكية تعرف بدار اليهود ولليهود حيلة احتالوها حين خرجت الكنيسة من أيديهم حتى قتلوا من النصرانية خلقا عظيما من نشر خشب فيها وغير ذلك وقدمنا أخبار بطرس وبولص وما كان من أمرهما بمدينة رومية وغيرهما من تلاميذ المسيح وتفرقهم فى البلاد وذكرنا قصة الملك الذى بنى مدينة انطاكية وهو المعروف بافطخس وتفسير ذلك محوط الحوائط وكان اسم انطاكية بالرومية على اسمه افطخس فلما ورد المسلمون وافتتحوها حذفت الاحرف الا الالف والنون والطاء وفى تاريخ النصارى الملكية وغيرهما من أهل دين النصرانية يكون لمولد المسيح الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين

الى المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون هذا ما وجد في تاريخ الملكية في كنيسة القيمان بمدينة انطاكية وسنذكر بعد في هذا الكتاب جملا من التاريخ في باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى فلنرجع الآن الى وصف حساب الشهور شباط ثمانية وعشرون يوما وربع ثلاث سنين متوالية والرابعة كبيسة فيكون تسعا وعشرين يوما وتكون السنة ثلثمائة وستة وستين يوما ولسبعة منه تسقط الجمرة الاولى وهي الجبهة ولاربع عشرة منه تسقط الجمرة الثانية وهي الصرفة وينصرف البرد وثلاثة أيام من آخره أيام العجوز واذا رأحد وثلاثون يوما ولاربعة من أوله تتم أيام العجوز والعرب تسمي هذه السبعة الايام صنا وصنبرا ووبرا وآمرا ومؤتمرا ومعللا ومطفئ الجمر قال بعض العرب في أسماء أيام العجوز

كسع الشتاء بسبعة غبر ... صن وصنبر وبالوبر

فاذا انقضت أيام شتوتنا ... أيام صادرة عن القر

كسع الشتاء مولية هربا ... وأتتك واقدة من الحر

وخمس عشرة من اذار يستوي الليل والنهار وتحل الشمس الحمل وهذا اليوم تحويل سنة العالم قال أبو فراس الايام

جعفر بن عثمان الى أهله بام المنصور وسرنا الى منزله فكان مغطى بخلق كساه لبعض البوابين ألقاه على سريره وغسل على فردة باب اختلع من ناحية الدار وأخرج وما حضر أحد جنازته سوى امام مسجده المستدعى للصلاة عليه ومن حضر من ولده فعجبت من الزمان انتهى وما احسن عبارة المطمح عن هذه القضية اذ قال قال محمد بن اسمعيل كاتب المنصور سرت بامره لتسليم جسد جعفر الى اهله وولده والحضور على انزاله في ملحده فنظرته ولا اثر فيه وليس عليه شئ يواريه غير كساء خلق لبعض البوابين فدعا له محمد بن مسلمة بغاسل فغسله والله على فردة باب اقتطع من جانب الدار وأنا أعتبره من تصرف الاقدار وخرجنا بنعشه الى قبره وما معنا سوى امام مسجده المستدعى للصلاة عليه وما تجاسر أحد منا للنظر اليه وان لي في شأنه لخبرا ما سمع بمثله طالب وعظ ولا وقع في سمع ولا تصور في لحظ وقفت له في طريقه من قصره أيام نهيه وأمره أروم أن أناوله قصة كانت به مختصة فوالله ما تمكنت من الدنو منه بحيلة لكثافة موكبه وكثرة من حفّ به وأخذ الناس السكك عليه وافواه الطرق داعين ومارين بين يديه وساعين حتى ناولت قصتي بعض كتابه الذين نصبهم جناحي موكبه لاخذ القصص فانصرفت وفي نفسي ما فيها من الشرق بحاله والغصص فلم تطل المدة حتى غضب عليه المنصور واعتقله ونقله معه في الغزوات واحتمله واتفق أن نزلت بحليقية الى جانب خبائه في ليلة تهيى فيها المنصور عن وقود النيران ليغفى على العدو أثره ولا ينكشف اليه خبره فرأيت والله عثمان ولده يسقيه دقيقا قد خلطه بماء يقيم به أوده ويمسك بسببه رمقه بضعف حال وعدم زاد وهو يقول

تعاطيت صرف الحادثات فلم أزل * أراها تواتي عند موعدها الحرا

فلله أيام مضت بسبيلها * فاني لا انسى لها ابدا ذكرا

تحافت بها عنا الحوادث برهة * وابدت لنا منها الطلاقة والبشرا

ليالي ما يدري الزمان مكانها * ولا نظرت منها حوادثه شزرا

وما هذه الايام الا سحائب * على كل ارض تمطر الخير والشرا انتهى

واما غالب الناصري فانه حضر مع ابن ابي عامر في بعض الغزوات وصعدا الى بعض القلاع لينظر الى امرها فجرت محاورة بين ابن ابي عامر وغالب فسبه غالب وقال له يا كلب انت الذي افسدت الدولة وخربت القلاع وتحكمت في الدولة وسل سيفه فضربه وكان بعض الناس حبس يده فلم تتم الضربة وشجه فألقى ابن ابي عامر نفسه من راس القلعة خوفا من ان يجهز عليه فقضى الله تعالى انه وجد شفاء في الهواء منعه من الهلاك فاحتمله اصحابه وعالجوه حتى برئ ولحق غالب بالنصارى فجيش بهم وقابله ابن ابي عامر بمن معه من جيوش الاسلام فحكمت الاقدار بهلاك غالب وتم لابن ابي عامر ما جدله وتخلصت دولته من الشوائب قالوا ولما وقعت وحشة بين ابن ابي عامر والمؤيد وكان سببها تضريب الحساد فيما بينهما وعلم انه مادهى الامن جانب حاشية القصر فرقهم ومزقهم ولم يدع فيه منهم الامن وثق به أو عجز عنه ثم ذكر له ان الحرم قد انبسطت ايديهن في الاموال المختزنة بالقصر وما كانت السيدة صبح اخت واثق تفعله من اخراج الاموال عند ما حدث من تغيرها على ابن ابي عامر وانها اخرجت في بعض

الايام مائة كوز مختومة على أعناق الخدم الصقالبة فيها الذهب والفضة وموّهت ذلك كله بالمرى والشهد وغيره والاصباغ المتخذة بقصر الخلافة وكتبت على رؤس الكيزان أسماء ذلك ومرت على صاحب المدينة فاشك انه ليس فيها الا ماهو عليها وكان مبلغ ماحملت فيها من الذهب ثمانين ألف دينار فاحضر ابن أبي عامر جماعة وأعلمهم أن الخليفة مشغول عن حفظ الاموال باتهما كه فى العبادة وان فى اضاعتها آفة على المسلمين وأشار بنقلها الى حيث يؤمن عليها فيه فحمل منها خمسة آلاف ألف دينار عن قيمة ورق وسبعمائة الف دينار وكانت صيحة قد ذاعت عما بالقصر من الاموال ولم تمكن من اخراجها فاجتمع ابن ابى عامر بالخليفة هشام واعترف له بالفضل والغناء فى حفظ قواعد الدولة فحرست السنة العدا والحسدة وعلم المنصور ما فى نفوس الناس لظهور هشام ورؤيتهم له اذ كان منهم من لم يره قط فابرزه للناس وركب الركبة المشهورة واجتمع لذلك من الخلق مالا يحصى وكانت عليه الطويلة والقضيب فى يده زى الخلافة والمنصور يسايره ثم خرج المنصور لآخر غزواته وقد مرض المرض الذى مات فيه وواصل شن الغارات وقويت عليه العلة فاتخذ له سرير خشب ووطئ عليه ما يقعد عليه وجعلت عليه ستارة وكان يحمل على أعناق الرجال والعساكر تحف به وكان هجر الاطباء فى تلك العلة لاختلافهم فيها وأيقن بالموت وكان يقول ان زمانى يشتمل على عشرين ألف مرتزق ما أصبح فيهم أسوأ حالة منى ولعله يعنى من حضر معه تلك الغزاة والا فعساكر الاندلس ذلك الزمان أكثر من ذلك العدد واشتغل ذهنه بامر قرطبة وهو فى مدينة سالم فلما أيقن بالوفاة أوصى ابنه عبد الملك وجماعته وخلا بولده وكان يكرر وصايته وكلما أراد أن ينصرف برده وعبد الملك يبكى وهو ينكر عليه بكاءه ويقول وهذا من أول العجز وأمره أن يستخلف أخاه عبد الرحمن على العسكر وخرج عبد الملك الى قرطبة ومعه القاضى ابوذ كوان فدخلها أول شوّال وسكن الارجاف بموت والده وعرف الخليفة كيف تركه ووجد المنصور خفة فاحضر جماعة بين يديه وهو كالخيال لا يبين الكلام وأكثر كلامه بالاشارة كالمسلم المودع وخرجوا من عنده فكان آخر العهد به ومات لثلاث بقين من شهر رمضان وأوصى أن يدفن حيث يقبض فدفن فى قصره بمدينة سالم اضطرب العسكر وتلوّم ولده أياما وفارقه بعض العسكر الى هشام وقفل هو الى قرطبة فيمن بقى معه وليس فتيان المنصور المسوح والاكسية بعد الوشى والحبر والخز وقام ولده عبد الملك المظفر بالامر وأجراه هشام الخليفة على عادة أبيه وخلع عليه وكتب له لسجل بولاية الحجابة وكان انفتيان قد اضطربوا فقوم المائل وأصلح الفاسد وجرت الامور على السداد وانشرحت الصدور بما شرع فيه من عمارة البلاد فكان أسعد مولود ولد فى الاندلس ولنمسك عنان القلم فى أمر ابن أبي عامر فقد قدمنا فى محله جملة من أحواله وما ذكرناه هنا وان كان محله ما سبق وبعضه قد تكرر معه فهو لا يخلو من فوائد زوائد والله تعالى ولى التوفيق (رجع) الى أخبار صاعد اللغوى البغدادى حكى انه دخل على المنصور يوم عيد عليه ثياب جدد وخف جديد فمشى على حافة البركة لازدحام الحاضرين فى الصف فزلق فسقط فى الماء فضحك المنصور وأمر باخراجه وقد كاد البرد أن يأتى عليه فخلع عليه وأدنى

واكتست الارض من زخارفها
وشى ثياب تخالها حللا
فاشرب على جدة الزمان فقد
أصبح وجه الزمان معتدلا
وليس بحلول الشمس الحمل تستوفى الخمر سنة وانما أراد بحلولها قربها من الحول والقوة (قال المسعودى) وأما شهور الروم فهى موافقة لشهور السريانيين فى العدد وذلك أن أول شهور الروم يواريوس وهو كانون الثانى وقد قدمنا أن فى أول يوم منه يكون الغطاس وشباط فبرواريوس وآذار مارتيوس ونيسان ابريليس وايار مايوس وحزيران يونيوس وتموز يوليوس وآب أغسطوس وايلول سبطمبر وتشرين الاول أقطوبر وتشرين الثانى نوفمبر وكانون الاول دسمبر

(ذكر شهور الفرس)

كلها ثلاثون يوما فاولها فرودرى وأول يوم منه النيروز وبينه وبين المهرجان مائة وأربعة وسبعون يوما والثانى اردبهشت ماه وخرداد ماه وتيرماه نيروز عيد المهاجرين ومرداد ماه وشهريور ماه ويوم الرابع والعشرين منه المهرجان ومهر ماه وابان ماه وآذر ماه عيد الانصار وهذه خمسة أيام الفردوجان ودى ماه وأول

يوم منه يخرج السكوسج فيه را كبا بغاله بالعراق وأرض فارس ولا يعرف ما وصفنا الا بالعراق وأرض العجم وأرض الشام والجزيرة ومصر واليمن لا يعرفون ذلك ويطعم مدة من الايام الجوز والثوم واللحم السمين وما عدى ذلك من الاطعمة الحارة والاشربة المسخنة الدافعة للبرد فيقاهر طاردا للبرد فيصب عليه الماء البارد فلا يجد لذلك شيا من ألمه ويصيح بالفارسية كرما كرما وهذا وقت عيد الاعاجم يطربون فيه ويظهرون السرور وكذلك في أوقات كثيرة من فصول السنة وادورون والاردحش ودرماه ودسمهرورد منا وآذر وبهمن ماه واسفندار مدرون الاسوف واسفندار موزماه فذلك ثلثمائة وخمسة وستون يوما والله اعلم

(ذكر ايام الفرس)

وهي هرمز بهمان وأدربهشت وشهرين واسفندارموز خرداد ومرداد ودينا ودين وادوار وخرداد له ونبر ونبرسودي ومهروانرويس وافرون وبهران وفيه يقول الشاعر

باكر بنا لذة المدام ... في يوم سبت ويوم رام
شريطتي فيه أن تراني ... وقت الضحى فاتر الكلام

وبادورونبرين واردواسال واسار وحامار لا

مجلسه وقال له هل حضرك شئ فقال

شيا من كان في الزمان عجيبة * ضرط ابن وهب ثم وقعة صاعد

فاستبرد ما أتى به أبو مروان الكاتب الجزيري فقال هلا قلت

سروري بغرتك المشرقه * وديمة راحتك المغدقه
ثناني نشوان حتى غرقت * في لجة البركة المطبقه
لئن ظل عبدك فيها الغريق * لجودك من قبلها أغرقه

فقال له المنصور لله درك يا أبا مروان قسناك بأهل بغداد ففضلتهم فبمن نقيسك بعد انتهى

وقال في الذخيرة في ترجمة صاعد وفد على المنصور نجما من المشرق غرب ولسانا عن العرب اعرب واراد المنصور أن يقفي به آثار ابي علي القالي فالفى سيفه كهاما وسحابه جهاما من رجل يتكلم بما في وعيه ولا يوثق بكل ما يذره ولا ما يأتيه انتهى باختصار واصل صاعد من ديار الموصل وقال ارتجالا وقد عبث المنصور بترنجان

لم ادر قبل ترنجان عبثت به * أن الزمرد اغصان واوراق
من طيبه سرق الاترج نكهته * يا قوم حتى من الاشجار سراق
كأنما الحاجب المنصور رعلمه * فعل الجميل فطابت منه اخلاق

وقدمه الجاري بقوله

كأن ابريقنا والراح في فمه * طير تقاول يا قوتا بمنقار

وقبله

وقهوة من فم الابريق صافية * كالدمع مفجوعة بالالف مغيار

وقال في بدائع البدائه دخل صاعد اللغوي على بعض اصحابه في مجلس شراب فلأ الساقي قدحا من ابريق فبقيت على فم الابريق نقطة من الراح قد تكونت ولم تقطر فاقترح عليه الحاضرون وصف ذلك فقال وقهوة من فم الابريق ساكبة البيتين ثم قال بعدهما وانما هدم صاعد قول الشريف ابي البركات علي بن الحسين اللغوي

كأن ريح الروض لما أتت * فتت علينا مسك عطار
كأنما ابريقنا طائر * يحمل يا قوتا بمنقار

انتهى

ومن نظم صاعد

قلت له والرقيب يجمله * مودعا للفراق أين أنا
فدكفا الى ترائبه * وقال سر وادعا فانت هنا

وقال صاعد لما أمر المنصور بن أبي عامر بمعارضة قصيدة لابي نواس

اني لاستحيي علا * ك من ارتجال القول فيه
من ليس يدرك بالرويـ * ـة كيف يدرك باليديه

وقال حاشد البغدادي في صاعد اللغوي وكان صاعد ينشدهما ويبكي ويقول ما هجيت بشئ أشد علي منهما

اقبل هديت ابا العلاء نصيحتي * بقبولها وبواجب الشكر

لاتهجون أسن منك فر بما * تهجو أباك وانت لاتدرى

نعوذ بالله من لسان الشعراء وانواع البلاء بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن نظم صاعد قوله

بعثت اليك من خيرى روض * مخرمة كاوراق العقيق

توكل بالغروب عن التصابى * وتصطاد الخليع من الطريق

وروى صاعد عن القاضى ابى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى وابى على الحسن بن احمد الفارسى وأبى بكر بن مالك القطيعى وأبى سليمان الخطابى وغيرهم قال الحميدى خرج من الاندلس فى الفتنة فمات بها قريبا سنة عشر وأربعمائة وقال ابن حزم توفى بصقلية سنة سبع عشرة وأربعمائة وقال ابن بشكوال فى حقه انه يتهم بالكذب وقلة الصدق فيما يورده عفا الله تعالى عنه وقدم الاندلس من مصر أيام المؤيد وتحكم المنصور ابن أبى عامر فى حدود سنة ٣٨٠ فاكرمه المنصور وزاد فى الاحسان اليه والافضال عليه وكان عالما باللغة والآداب والاخبار سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة فكه المجالسة وقال بعضهم دخل صاعد على المنصور وعنده كتاب ورد عليه من عامل له فى بعض الجهات اسمه برمان بن يزيد يذكر فيه القلب والتزييل وهما عندهم اسم الارض قبل زراعتها فقال له يا أبا العلاء قال لبيك يا مولانا فقال هل رأيت أو وصل اليك من الكتب القوالبة والزوابلة لبرمان بن يزيد قال اى والله ببغداد فى نسخة لابى بكر بن دريد بخطه كراع النمل فى جوانبها فقال له أما تستحيى أبا العلاء من هذا الكذب هذا كتاب عاملى ببلد كذا واسمه كذا يذكر فيه كذا فجعل يحلف له انه ما كذب ولكنه أمر وافق ومات عن سن عالية رحمه الله تعالى *(ومن الوافدين على الاندلس من المشرق الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسى) ولد سنة ٥٧٣ وقد ذكرنى رحلته عجائب شاهدها بالمغرب ومشايخ لقيهم فمنهم الحافظ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الانصارى قال سمعت عليه سنة سبع وتسعين وخمسمائة الحديث وشيأ من تصانيف المغاربة وروى لنا عن الحافظ أبى اسحق ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم بن قرقول وولى ابن حوط الله المذكور قضاء غرناطة وأدرك ابن بشكوال وابن حبيش وابن حميد المرسى النحوى وأبا يزيد السهيلى صاحب الروض وغيرهم ومن الشيوخ الذين لقيهم السرخسى المذكور بالمغرب الفقيه ابن أبى تميم قال وانشدنى

اسمع أخى نصيحتى * والنصح من محض الديانه

لاتقربن الى الشها * دة والوساطة والامانه

تسلم من ان تعزى لزو * ر أو فضول أو خيانه

وذكر أنه أدرك الشيخ الولى العارف بالله سيدى أبا العباس أحمد بن جعفر الخزرجى السبتى صاحب الحالات والكرامات الظاهرة والطريقة الغريبة والاحوال العجيبة قال أدركته بمراكش سنة أربع وتسعين وخمسمائة وقد ناهز الثمانين ومما حصل عنده مال فرقه فى الحال وتركته فى سنة ثمان وتسعين حيا يرزق انتهى وولى الله السبتى قد

هو كاه مشروكاه كاساه وكانت العرب تسمى الايام الخمسة الهرير والهبير وقالب الفهر وحافل الضرع ومدحرج البعر (وكانت الفرس) تكبس فى كل مائة وعشرين شهرا لرب اليوم الفاضل فى الشهور الرومية وتسميه الهارك فاذا كانت سنة كبيسة أخروا ذلك الى مائة وعشرين سنة لان أيامهم كانت سعودا ونحوسا فكرهوا أن يكبسوا فى كل أربع سنين يوما فتنتقل بذلك أيام السعود الى أيام النحوس ولا يكون النيروز أول يوم من الشهر والله تعالى أعلم

(ذكر سنى العرب وشهورها وتسمية أيامها ولياليها)

أشهر الاهلة أولها المحرم وأيامها ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما تنقص عن السريانى أحد عشر يوما وربع يوم فتفرق فى كل ثلاثة وثلاثين سنة فتنسلخ تلك السنة العربية ولا يكون فيها نيروز وقد كانت العرب فى الجاهلية تكبس فى كل ثلاث سنين شهرا وتسميه النسىء وقدم الله تبارك وتعالى

١٣ ط نى فعلهم بقوله انما النسىء زيادة فى الكفر ورسمت العرب الشهور فبدأت بالمحرم لانه أول السنة

المفصلة حدث فيها عن ابن بشكوال وابن غالب الشراط وغيرهما من الاندلسيين الذين لم يلقهم ولا أجازوا له أخذها * عنه ابن الطيلسان وغيره وكان مع هذا فقيها على مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه فصيحا مشاركا فى فنون من العلم سمع الله تعالى له انتهى * (ولا باس أن نذكر جملة من النساء القادمات من المشرق على الاندلس ثم نعود أيضا الى ذكر أعلام الرجال فنقول) ٥ (من النساء الداخلات الاندلس من المشرق عابدة المدنية أم ولد حبيب ابن الوليد المروانى المعروف بدحون) وكانت جارية سوداء من رقيق المدينة حالكة اللون غير انها تروى عن مالك بن أنس امام دار الهجرة وغيره من علماء المدينة حتى قال بعض الحفاظ انها تروى عشرة آلاف حديث وقال ابن الابار انها تسند حديثا كثيرا وهى أم ولد بشر بن حبيب والذى وهبها الدحون فى رحلته الى الحج هو محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان فقدم بها الاندلس وقد أعجب بعلمها وفهمها واتخذها الفراشة رحم الله تعالى الجميع * (ومنهن فضل المدنية) وكانت حاذقة بالغناء كاملة الخصال وأصلها الاحدى بنات هرون الرشيد ونشأت وتعلمت ببغداد ودرجت من هناك الى المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فازدادت ثم طبقتها فى الغناء واشتريت هنالك للامير عبد الرحمن صاحب الاندلس مع صاحبتها علم المدنية وصواحب غيرها اليهن تنسب دار المدنيات بالقصر وكان يؤثرهن لجودة غنائهن ونصاعة ظرفهن ورقة أدبهن وتضاف اليهن جارية قلم وهى ثالثة فضل وعلم فى الحظوة عند الامير المذكور وكانت أندلسية الاصل رومية من سبى الشكنس وحملت صبية الى المشرق فوقعت بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم وتعلمت هنالك الغناء فحذقته وكانت أديبة ذاكرة حسنة الخط راوية للشعر حافظة للاخبار عالمة بضروب الآداب * (ومن النساء الداخلات الى الاندلس من المشرق قمر جارية ابراهيم بن حجاج اللخمى صاحب اشبيلية) وكانت من أهل الفصاحة والبيان والمعرفة بصوغ الالحان وجلبت اليه من بغداد وجمعت أدبا وظرفا ورواية وحفظا مع فهم بارع وجمال رائع وكانت تقول الشعر بفضل أدبها ولها فى مولاها تمدحه

ماتى للغارب من كريم يرتجى * الاحليف الجود ابراهيم
انى حللت لديه منزل نعمة * كل المنازل ماعداه ذميم

وأنشد لها السالمى لما ذكرها عدة أشعار منها قولها تتشوق الى بغداد

آها على بغدادها وعراقها * وظبائها والسحر فى أحداقها
ومجالها عند الفرات باوجه * تبدو أهلتها على أطواقها
ستخيرات فى النعيم كانما * خلق الهوى العذرى من أخلاقها
نفسى الفداء لها فاى محاسن * فى الدهر تشرق من سنى اشراقها

* (ومنهن الجارية الحجفاء) قال الارقى قال لى أبو السائب وكان من أهل الفضل والنسك هل لك فى أحسن الناس غناء فخفنا الى دار مسلم بن يحيى مولى بنى زهرة فاذن لنا فدخلنا بيتا عرضه اثنا عشر ذراعا فى مثلها وطوله فى السماء ستة عشر ذراعا وفى البيت نمرقتان قد ذهب عنهما اللمعة وبقى السدى وقد حشيتا بالليف وكرسيان قد تفكك كما من قدمهما ثم اطلعت

الشتاء بارض الهند فى الحالة التى يكون الصيف بها عندنا والشتاء يكون الصيف عندهم قد ذكرنا علة ذلك ووجه البرهان عليه وأن فلك الشمس فى قربها وبعدها وكذلك علة تكون السودان فى بعض البقاع من الارض دون بعض وتعطر ألوان الصقالبة وشقرتهم وصهوبة شعورهم وما لحق التركمن استرخاء مفاصلهم وتعوج سيقانهم ولين عظامهم حتى ان أحدهم ليرمى بالنشاب من خلف كرميه من قدام فيصير وجهه قفاه وقفاه وجهه ومطاوعة فقارات الظهور لهم على ذلك وكون الحمرة فى وجوههم عند تكامل الحرارة فى الوجه على الاغلب من كونها وارتفاعها الغلبة البرد على اجسامهم فقد أتينا بحمد الله على ماذكرنا فيما سلف من كتبنا فى هذه المعانى المقدم ذكرها ولم نتعرض لذكر مالم يصح عندنا فى العالم وجوده حسا ولا خبرا قاطعا للعذر ولا دافعا للرأى ومزيلا للشك كاخبار العامة فى كون النساس وأن وجوههم على نصف وجوه الناس وانهم ذوو ألباب وقولهم فى عنقاء مغرب وقد زعم كثير من الناس أن الحيوان الناطق ثلاثة

علينا بالحفاء كلفاء عليها هروى أصفر غسيل وكأن وركيها في خيط من وسخها فقلت لابي السائب بابي أنت ما هذه فقال اسكت فتناولت عودا فغنت

بيد الذى شغف الفؤاد بكم * تفريج ما ألقى من الهم
فاستبقنى أن قد كلفت بكم * ثم افعلى ماشئت عن علم
قد كان صرم فى الممات لنا * فعجلت قبل الموت بالصرم

قال فتحسنت فى عيني وبدا ما أذهب الكلف عنها وزحف أبو السائب وزحفت معه ثم تغنت

برح الخفاء فايمانك تكتم * ولسوف يظهر ما تسر فيعلم
مما تضمن من عزيز قلبه * ياقلب انك بالحسان لمغرم
بالليت أنك ياحسام بارضنا * تلقى المراسى طائعا وتخيم
فتذوق لذة عيشنا ونعيمه * ونكون اخوانا فاذا تنقم

فقال أبو السائب ان يقم هذا فاعضه الله تعالى بكذا وكذا من أبيه ولا يكنى فزحفت مع أبى السائب حتى فارقنا النمرقتين وربت الحفاء فى عينى كما يربو السويق بماء فتغنت

ياطول ليلى أعالج السقما * أدخل كل الاحبة الحرما
ما كنت أخشى فراقكم أبدا * فاليوم أمسى فراقكم عزما

فالقيت طيلسانى وأخذت شادكونة فوضعتها على رأسى وصحت كما يصاح على اللوبيا بالمدينة وقام أبو السائب فتناول ربعة فى البيت فيها قوارير ودهن فوضعها على رأسه وصاح صاحب الجارية وكان الغ قوانيفى يعنى قوارير فاصطكت القوارير وتكسرت وسال الدهن على رأس أبى السائب وصدره وقال للحفاء لقد هجت لى داء قديما ثم وضع الربعة وكنا نختلف اليها حتى بعث عبد الرحمن بن معاوية صاحب الاندلس فابتيعت له الحفاء وحملت اليه * (ومن القادمين على الاندلس من المشرق الشيخ عبد القاهر ابن محمد بن عبد الرحمن الموصلى) قال أبو حيان قدم علينا رسولا من ملك مصر الى ملك الاندلس فسمعت منه بالمرية انتهى * (ومنهم أحمد بن الحسن بن الحرث بن عمرو بن جرير ابن ابراهيم بن مالك المعروف بالاشتر بن الحرث النخعى) يكنى أبا جعفر دخل الاندلس فى أيام الامير محمد بن عبد الرحمن وأصله من الكوفة وكان يروى أحاديث عظيمة العدد ذكر ذلك الرازى وحكى أن الامير محمدا روى عنه منها وأنزله بربة * (ومنهم أحمد بن أبى عبد الرحمن واسمه يزيد بن أحمد بن عبد الرحمن القرشى الزهرى من ولد عبد الرحمن بن عوف) من أهل مصر وفد على الناصر بقرطبة وكان دخوله اليها فى محرم سنة ٣٤٣ فاكرم الناصر مثواه وكان فقيه أهل مصر ذكره ابن حيان * (ومنهم أبو الطاهر اسمعيل بن الاسكندرانى) لقى ببلده أبا طاهر السلفى وسمع منه ودرس عليه كتاب الاصطلاح للسمعانى وقدم الاندلس ودخل مرسية تاجرا وكان فقيها على مذهب الشافعى وأنشد على السلفى قوله

أنا من أهل الحديث وهم خير فئه

الاسم على السفلة من الناس والرذال وقد قال الحسن ذهب الناس وبقى النسناس قال الشاعر

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا
خلفا فى أراذل النسناس

أراد به ما وصفنا أى ذهب الناس وبقى من لا خير فيه (وقد ذهب) كثير من الناس الى ان الجن نوعان اعلاهم وأشدهم الجن وأضعفهم الحن وأنشد الراجز

* مختلف سحرهم جن وحن *

وهذا التفصيل بين الجنسين من الجن لم يرد به خبر ولا صح به أثر وانما ذلك من توهم الاعراب على ما بينا آنفا وقد غلب على كثير من العوام الاخبار عن معرفة النسناس وصحة وجوده فى العالم كالاخبار عن وجود الصين وغيرها من الممالك النائية والامصار القاصية فبعضهم يخبر عن وجودهم فى المشرق وبعضهم فى المغرب فاهل الشرق يذكرون كونها بالمغرب وأهل المغرب يذكرون أنها بالمشرق وكذلك كل صقع من البلاد يسير سلطانه الى ان النسناس فيما بعد عنهم من البلاد ونأى عن الديار وقد رووا فى ذلك خبرا مخرجه من طريق الآحاد ان ذلك فى بلاد حضرموت من الشحر وهو ما ذكرناه عن عبد الله بن كثير بن عفير المصرى

عن أبيه يعقوب بن الحرث بن لخيم عن شيبة بن الحرث التميمي قال قدمت الشعر فنزلت على رأسها فتذاكرنا

النساس فقلت صيدوا لنا
منها فلما أن رجعت اليه
اذا بنساس منها مع بعض
أعوانه المهرة فقال لي
النساس أنا بالله وبك فقلت لهم
حلوه فحلوه فلما حضر الغداء
قال هل اصطدتم منها شيا
قالوا نعم ولكن خلاه ضيفك
قال استعدوا فانا خارجون
في قنصه فلما خرجنا الى
ذلك السرح خرج منها
واحد يعدو وله وجه كوجه
الانسان وشعرات في ذقنه
ومثل السدى في صدره
ومثل رجلي انسان رجلاه
وقد ألظ به كلبان وهو يقول
الويل لي مما به دهاني
دهر من الهموم والاحزان
قفا قليلا ايها الركبان
واستمعا قولي وصدقاني
انكما حين تحاربا ني
الفيتماني حضر ايماني
لولا سباتي ما ملكتماني
حتى تموتا أو تفارقاني
ليت بحوار ولا جبان
ولا ينكس رعش الجنان
من قضاء الملك الرحمن
ثل ذا القوة والسلطان
التقيا به كلبان فاخذاه
ون أنهم ذبحوا منها
ساقال آخر من شجرة
ياكل الساق قال
ناس آخر خذوه
بحوه وقالوا لو سكت
عكانه فقال

عشت تسعين وأر * جو أن أعيش لمائه
فعاش كما تمنى رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن اسمعيل بن بشر الانطاكي
الامام أبو الحسن التميمي) نزيل الاندلس ومقريها ومسندها أخذ القراءة عرضا وسماعا عن
ابراهيم بن عبد الرزاق ومحمد بن الاخرم وأحمد بن يعقوب الكاتب وأحمد بن محمد بن خشيش
ومحمد بن جعفر بن بيان وصنف قراءة ورش قرأ عليه جماعة منهم أبو الفرج الهيثم الصباغ
وابراهيم بن مبشر المقرى وطائفة آخرون من قراء الاندلس وسمع منه عبد الله بن أحمد بن
معاذ الدارانى قال أبو الوليد بن الفرضي أدخل الانطاكي الاندلس علما جما وكان
بصيرا بالعربية والحساب وله حظ من الفقه قرأ الناس عليه وسمعت أنا منه وكان اماما
في القراآت لا يتقدمه أحد في معرفتها في وقته وكان مولده بانطاكية سنة ٢٩٩ وما
بقرطبة في ربيع الاول سنة ٣٧٧ رحمه الله تعالى *(ومنهم عمر بن مودود بن عمر الفار
البخاري يكنى أبا البركات) ولد بسلماس ونشأ بها وكتب الحديث هنالك وتعلم العر
والفقه وهو من أبناء الملوك وانتقل الى المغرب فدخل الاندلس ونزل مالقة في سنة
وستمائة ودخل اشبيلية وكانت له رواية بالمشرق قال ابن الابار أجاز لي ما روا
من شيوخه وبلغني أنه سمع صحيح البخاري بالدامغان على أبي عبد الله محمد
اجازته لي سنة ٦٣١ وعاش بعد ذلك وتوفي بمراكش بعد الار بعين
بالاندلس وأخذ عنه الناس وكان من أهل التصوف والتحقق بعلم الت
*(ومنهم الشريف الاجل الرحالة الشيخ نجم الدين بن مهذب الدين) و
البلاد هو من المشرق ثم اني علمت انه من بغداد ذوقفت على
العناية به الاديب العلامة أبو المطرف احمد بن عبد الله بن عمير المرو
العلاء حسان والثاني للكاتب ابي الحسن العنسي وهو الذي يفهم منه
(ونص الاول)

يا ابن الوصي اذا حملت وصيته * أوجبت حقا للمعروف في بصباني
وتحيتي كل التحية بادئا * وكذاك دون رد ولها الاشراف
أحسن بان تلقى الاحسان بهشة * مهتزة لورودها بالاحضان
كالروض بالزهر الجني تعرفها * يا ابن النبي على الذي سبان
وعلاك أن أبا العلا ومكانه * يلفى به الاسعاد والاسعاد
وأحق من عرف الكرام بوصفهم * من جمعت منهم له أو

هذه يا سيدي تحية تجب لما اجابة وحية وتصلح بها هاشة وار بحية
البجالة وبعثتها مع صدر من ابناء الرسالة ولله دره من راضع در النبوة
الابوة نازعته طرف الاشعار وأطراف الاخبار فوجدته بحر احصا
وروضا يجتنى منه أطايب السمر المجليس وينعت بنجم الدين وهو كنعته نج
ويصف بتاج الشرف ربه بناه وقد جاب الفضاء العريض ورأى القص
الجزر بعد ما شرب من ماء جيحون وزار مشاهد الحرمين ثم سار في

وفارق افريقية لهذا الافق مختارا وعبر الى الاندلس فاطال بها اعتبارا وتشوق الى حضرة الانوار المفاضة والنعم السابغة الفضفاضة وجعل قصدها بحجة سفره طواف الافاضة وهمه أن يشاهد سناها العلوى و يبصر ما يحف عنده المرئى والمروى وهى غاية يقول الآمل عليها اطلت حومى وجنة يتلو الداخل لها باليت قومى وسيدى هو منها باب على الفتح بنى وجناب عنان الامل اليه ثنى وقصده من هذا الشريف أجل قاصد وأظلته سماء الجد بجمال المشترى وظرف عطارد ومتى نعتناه فالخبر ليس كالعيان ومتى شبهناه فالتمويه بالشبه عقوق العقيان ومن يفضح قريحته بان يقول لها صفيه لكن يعرف عن نفسه بما ليس فى وسع واصفيه ويقتضى من عزيمة بره ما لا سعة للترخص فيه ان شاء الله تعالى وهو يديم علاكم ويحرس مجدكم وسناكم بمنه ولسلام الكريم [illegible] العميم يخصكم به معظم مجدكم المعتد بذخيرة ودكم المحافظ على كريم عهدكم [illegible] رحمة الله تعالى و بركاته فى الرابع والعشرين لربيع الآخر من سنة ٦٣٩

الثانى) هل لك ياسيدى أبا الحسن فيمن له كل شاهد حسن فى الشرف [illegible] بالوصى والحسن [illegible] الذى ملكته قيادى واسكنته فؤادى [illegible] الآداب النقية وتشـ [illegible] ف المشرقية وتنصف فترى أن فى سلنا [illegible] ولدنا وزرع وادليس مما عهدنا وأنا فى [illegible] وأن المحاسن بـ [illegible] ن وأناضل من يشا [illegible] ك وقد أتانا الله تعالى بحجة تقطع الحجج [illegible] الشريف الاجل [illegible] ارك نجم الدين بن مهذب الدين نجل [illegible] ع ونسيم ورتع فى جميم وهشيم وشاهد [illegible] حتى نزل بشاطئ سلا وقد توجه الآن [illegible] من أصابع العذا الى العقدة ويحصل [illegible] ب خطبة المنبر ولا جميع الايام مثل [illegible] كل حسبه وخلقه فاذا رأيته [illegible] افلاذه والحظ فيما يجب من [illegible] لحواره ويقبس من أنواره [illegible] الميم يهمى وتضرب فى [illegible] (ومنهم تقى الدين [illegible] قال الوادى آشى [illegible] بعض [illegible]

أن المهرة تصطادها فى بلادها وتاكلها (قال المسعودى) ووجدت أهل الشحر من بلاد حضرموت وساحلها وهى تسعون مدينة على الشاطئ من أرض الاحقاف وهى أرض الرمل وغيرها مما اتصل بهذه الديار من أرض اليمن وغيرها من عمان وأرض المهرة يستظرفون أخبار النسناس اذا ما حدثوها ويتعجبون من وصفه ويتوهمون أنه ببعض بقاع الارض عما قد نأى عنهم وبعد كسماع غيرهم من أهل البلاد بذلك عنهم وهذا يدل على عدم كونه فى العالم وانما ذلك من هوس العامة واختلاطها كما وقع لهم أخبار عنقاء مغرب وهذا يدل على عدم كونه فى العالم وروى فيه حديثا عزوه الى ابن عباس ونحن لم نحل وجود النسناس والعنقاء وغير ذلك مما اتصل بهذا النوع من الحيوان الغريب النادر فى العالم من طريق العقل فان ذلك غير ممتنع فى القدرة لكن أحلنا ذلك لان خبر القاطع للعذر أورد وجود ذلك فى العالم [illegible] اع من الحيوان

عشت تسعين وار * جوان أعيش لمائه

فعاش كما تمنى رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن اسمعيل بن بشر الانطاكي الامام أبو الحسن التميمي) نزيل الاندلس ومقريها ومسندها أخذ القراءة عرضا وسماعا عن ابراهيم بن عبد الرزاق ومحمد بن الاخرم وأحمد بن يعقوب النائب وأحمد بن محمد بن خشيش ومحمد بن جعفر بن بيان وصنف قراءة ورش قرأ عليه جماعة منهم أبو الفرج الهيثم الصباغ وابراهيم بن مبشر المقرى وطائفة آخرون من قراء الاندلس وسمع منه عبد الله بن أحمد بن معاذ الداراني قال أبو الوليد بن الفرضي أدخل الانطاكي الاندلس علما جما وكان بصيرا بالعربية والحساب وله حظ من الفقه قرأ الناس عليه وسمعت أنا منه وكان اماما في القراآت لا يتقدمه أحد في معرفتها في وقته وكان مولده بانطاكية سنة ٢٩٩ ومات بقرطبة في ربيع الاول سنة ٣٧٧ رحمه الله تعالى *(ومنهم عمر بن مودود بن عمر الفارسي البخاري يكنى أبا البركات) ولد بسلماس ونشأ بها وكتب الحديث هنالك وتعلم العربية والفقه وهو من أبناء الملوك وانتقل الى المغرب فدخل الاندلس ونزل مالقة في حدود ثلاثين وستمائة ودخل اشبيلية وكانت له رواية بالمشرق قال ابن الابار أجاز لي ما رواه ولم يسم أحدا من شيوخه وبلغني انه سمع صحيح البخاري بالدامغان على أبي عبد الله محمد بن محمود وكانت اجازته لي سنة ٦٣١ وعاش بعد ذلك وتوفي بمراكش بعد الاربعين وستمائة وحدث بالاندلس وأخذ عنه الناس وكان من أهل التصوف والتحقق بعلم الكلام رحمه الله تعالى *(ومنهم الشريف الاجل الرحالة الشيخ نجم الدين بن مهذب الدين) وكنت لا أتحقق من أي البلاد هو من المشرق ثم اني علمت انه من بغداد اذ وقفت على كتابين كتبهما في شان العناية به الاديب العلامة أبو المطرف احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي احدهما لابي العلاء حسان والثاني للكاتب ابي الحسن العنسي وهو الذي يفهم منه انه من بغداد (ونص الاول)

يا ابن الوصي اذا حلت وصيتي * اوجبت حقا للحقوق يضاف
وتحيتي كل التحايا دونها * وكذاك دون رسولها الاشراف
أحسن بان تلقى ابن حسان بها * مهترة لورودها الاعطاف
كالروض باكره الندى فلعرفها * يا ابن النبي على الندى مطاف
وعلاك أن ابا العلا ومكانه * يلفى به الاسعاد والاسعاف
وأحق من عرف الكرام بوصفهم * من جمعت منهم له اوصاف

هذه يا سيدي تحية تجب لها اجابة وحية وتصلح بها هشاشة وارية اودعتها بطن هذه البحالة وبعثتها مع صدر من ابناء الرسالة ولله دره من راضع درة النبوة متواضع مع شرف الابوة نازعته طرف الاشعار وأطراف الاخبار فوجدته بحر احصاء الدر النفيس وروضا يجتنى منه أطايب السمر الجليس ويمتعت بنجم الدين وهو كنعته نجم يضيء مسناه ويحل بيتا من الشرف ربه بناه وقد جاب الفضاء العريض ورأى القصور الحمر والبيض وورد المحون بعد ما شرب من ماء جيحون وزار مشاهد الحرمين ثم سار في أرض العرمين

النسناس فقلت صيدوا لنا منها فلما أن رجعت اليه اذا بنسناس منها مع بعض أعوانه المهرة فقال لي النسناس أنا بالله وبك فقلت لهم حلوه فحلوه فلما حضر الغداء قال هل اصطدتم منها شيا قالوا نعم ولكن خلاه ضيفك قال استعدوا فانا خارجون في قنصه فلما خرجنا الى ذلك السرح خرج منها واحد يعدو وله وجه كوجه الانسان وشعرات في ذقنه ومثل السدى في صدره ومثل رجلي انسان رجلاه وقد ألظ به كلبان وهو يقول الويل لي مما به دهاني
دهر من الهموم والاحزان
قفا قليلا ايها الركبان
واستمعا قولي وصدقاني
انكما حين تحاربا ني
الفيتماني حضر ايماني
لولا سباتي ما ملكتماني
حتى عموتا أو تفارقاني
لست بخوار ولا جبان
ولا بنكس رعش الجنان
لكن قضاء الملك الرحمن
يذل ذا القوة والسلطان
قال فالتقيا به كلبان فاخذاه ويزعمون أنهم ذبحوا منها نسناسا فقال آخر من شجرة كان ياكل السماق قال فقالوا نسناس آخر خذوه فاخذوه وذبحوه وقالوا لو سكت هذا لم يعلم بمكانه فقال نسناس من شجرة أخرى أنا صمت فاخذوه فذبحوه وقالوا لو سكت هذا لم يعلم بمكانه

وفارق افريقية لهذا الافق مختارا وعبر الى الاندلس فاطال بها اعتبارا وتشوق الى حضرة الانوار المفاضة والنعم السابغة الفضفاضة وجعل قصدها بحجة سفره طواف الافاضة وهمه أن يشاهد سناها العلوى ويبصر ما يحف عنده المرئى والمروى وهى غاية يقول الآمل عليها اطالت حومى وجنة يتلو الداخل لها ياليت قومى وسيدى هو منها باب على الفتح بنى وجناب عنان الامل اليه ثنى وقصده من هذا الشريف أجل قاصد وأظلته سماء المجد بجمال المشترى وظرف عطارد ومتى نعتناه فالخبر ليس كالعيان ومتى شبهناه فالتمويه بالشبه عقوق العقيان ومن يفضح قريحته بان يقول لها صفيه لكى يعرف عن نفسه بما ليس فى وسع واصفيه ويقتضى من عزيمة بره ما لا سعة للترخص فيه ان شاء الله تعالى وهو يديم علاكم ويحرس مجدكم وسناكم بمنه والسلام الكريم الطيب العميم يخصكم به معظم مجدكم المعتد بذخيرة ودكم المحافظ على كريم عهدكم ابن عميرة ورحمة الله تعالى وبركاته فى الرابع والعشرين لربيع الآخر من سنة ٦٣٩ انتهى (ونص الثانى) هل لك ياسيدى أبا الحسن فيمن له كل شاهد حسن فى الشرف المنتقى له قدم أثبتها بالوصى والحسن أيها الاخ الذى ملكته قيادى وأسكنته فؤادى عهدى بك تعتام الآداب النقية وتشتاق الاطائف المشرقية وتنصف فترى أن فى سيلنا جفاء وفى مغربنا جفاء وأن الحاسن نبت أرض ما بها ولدنا وزرع وادليس مما عهدنا وأنا فى هذا أشايعك وأتابعك وأناضل من ينازلك وينازعك وقد أنانا الله تعالى بحجة تقطع الحجج وتسكت المهج وهو الشريف الاجل السيد المبارك نجم الدين بن مهذب الدين نجل الذرية المختارة ونجم الدرية السيارة جرى مع زعزع ونسيم ورتع فى جحيم وهشيم وشاهد عجائب كل اقليم وشرق الى مطلع ابن جلا وغرب حتى نزل بشاطئ سلا وقد توجه الآن الى حضرة الامامة الرشيدية أيدها الله تعالى لينتهى من أصابع العد الى العقدة ويحصل من محض الحقيقة على الزبدة وقد علم انه ما كل الخطب تحطبه المنبر ولا جميع الايام مثل يوم الحج الاكبر وأديه ياسيدى من نسبة أفقه بل على شكل حسبه وخلقه فاذا رأيته شهدت بان الشرق قد اتحفه أبرقة بغداذه بل رمانا بجملة افلاذه والحظ فيما يحب من بره وتأنيسه انما هو فى الحقيقة لجليسه فيا غبطة من يسبق لجواره ويقبس من أنواره وأنت لا محالة تفهمه فهمى وتشيم من شيمه عارضا برى القلوب الهيم بهمى وتضرب فى الاخذ من فوائده وقلائده بسهم وددت أنه سهمى والسلام انتهى * (ومنهم تقى الدين محمد ابن الشيخ شهاب الدين أبى العباس أحمد بن الغرس الحنفى المصرى) قال الوادى آشى فيه انه من أعيان مصر قار وسالته هل يقع بين أهل مصر تنازع فى تفضيل بعض المذاهب على بعض فاجابنى بان هذا لا يقع عندهم بين أهل الرسوخ فى العلم وذوى المعرفة والفهم وانما يصدر هذا بين الناشئين قال وللحنفية الظهور عليهم حين يقولون لهم لنا عليكم اليد الطولى فى الخبز لكونه بمصر يطبخ فى الفرن بارواث الدواب وكذلك تسخين الحمام فان المالكية وغيرهم بمصر يدخلون الحنفية فى ذلك قال وسالته حفظه الله تعالى هل للوباء بمصر وقت معلوم فقال لى جرت العادة عندهم بقدر الله تعالى وسره فى خليقته أن كل سنة

أن المهرة تصطادها فى بلادها وتاكلها (قال المسعودى) ووجدت أهل الشحر من بلاد حضرموت وساحلها وهى تسعون مدينة على الشاطئ من أرض الاحقاف وهى أرض الرمل وغيرها مما اتصل بهذه الديار من أرض اليمن وغيرها من عمان وأرض المهرة يستظرفون أخبار النسناس اذا ما حدثوها ويتعجبون من وصفه ويتوهمون أنه ببعض بقاع الارض مما قد نأى عنهم وبعد كسماع غيرهم من أهل البلاد بذلك عنهم وهذا يدل على عدم كونه فى العالم وانما ذلك من هوس العامة واختلاطها كما وقع لهم أخبار عنقاء مغرب وهذا يدل على عدم كونه فى العالم وروى فيه حديثا عزوه الى ابن عباس ونحن لم نحل وجود النسناس والعنقاء وغير ذلك مما اتصل بهذا النوع من الحيوان الغريب النادر فى العالم من طريق العقل فان ذلك غير ممتنع فى القدرة لكن أحلنا ذلك لان الخبر القاطع للعذر لم يرد بصحة وجود ذلك فى العالم

١٦ ط نى وهذا باب هو داخل فى حيز الممكن الجائز خارج عن باب الممتنع والواجب ويحتمل هذه الانواع من الحيوان

النادر ذكرها كالنسناس الطبيعة من القدرة الى الفعل ولم تحكمه ولم يتأت فيه الطبع كتأتيه فى غيره من الحيوان فبقى شاذا فريدا متوحشا نادرا فى العالم طالبا للبقاع النائية من البر مباينا لسائر أنواع الحيوان من الناطقين وغيرهم للضدية التى فيه لغيره مما قد أحكمته الطبيعة وعدم تشاكله به والمناسبة التى بينه وبين غيره من أجناس الحيوان وأنواعه على حسب ما قدمنا فى باب الغيلان فيما سلف من هذا الكتاب وفى الاكثار من هذا خروج عن الغرض الذى اليه قصدنا فى هذا الكتاب وقد مضينا فيما سلف من هذا الكتاب من الاخبار عمن زعم ان المتوكل أمر حسين بن اسحق أو غيره من أهل عصره وممن عنى بهذا الشان من الحكماء أن يأتى له ويحتال فى حمل النسناس والمريد من أرض اليمامة وأن حسينا حمل له شيأ من ذلك وقد أتينا على شرح هذا الخبر فيمن ارسل الى اليمامة فى حمل العريد الى بلاد الشحر وفى حمل النسناس فى كتابنا أخبار الزمان والله تعالى أعلم بصحة هذا الخبر وليس لنا فى ذلك الا النقل وأن نعزوه الى راويه وهو المقلد بعلم ذلك

أولها ثاء مثلثة يكون فيها الوباء والله تعالى أعلم وان هذا متعارف عندهم هكذا قال لى وعيب ما يقع من بعض النقادبتونس وما يصدر عنهم بكثرة من القائهم الاسئلة العويصة فى أصول الدين وغيرها على من يرد عليهم قصدا فى تعجيزه وتعنيته ثم قال ان من المنقول عن الامام أبى حنيفة رحمه الله تعالى ان من حفظت عنه تسعة وتسعون خصلة تقتضى الكفر وواحدة تقتضى الايمان ان الواحدة المقتضية للايمان تغلب وتبقى حرمتها عليه انتهى وقد ذكرنا فى الباب الاول من هذا القسم حكاية البصرى المغنى القادم من المشرق من البصرة على عبد الوهاب الحاجب بافريقية فى دولة بنى المعز بن باديس وسردنا دخوله عليه فى مجلس أنسه وما اتفق فى ذلك له معه وانه وصف له بلاد الاندلس وحسنها وطيبها فارتحل المغنى اليها ومات بها حسبما لخصناه من كلام الكاتب ابن الرقيق الاديب المؤرخ فى كتابه قطب السرور ولولا انه لم يسم المغنى المذكور لجعلنا له ترجمة فى هذا الباب اذ هو به أليق والامر فى ذلك سهل والله تعالى الموفق للصواب *(ومنهم الولى الصالح العارف بالله سيدى يوسف الدمشقى رضى الله تعالى عنه) وهو كما قال ابن داود من كبار الاولياء شاذ فى الطريقة قدم من المشرق الى الاندلس وكان يأتى مدينة وادى آش المكرة بعد المكرة لزيارة معارف له بها وكان من الذين أخفاهم الله لا يتعرف به الا من تعرف له أعاد الله تعالى علينا من بركاته قال العلامة ابن داود وحدثنى مولاى والدى رضى الله تعالى عنه من لفظه بتلمسان امنها الله تعالى يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول الشريف سنة ٨٩٥ قال دخل على سنة شهر رمضان المعظم فى زمان ولايتى الخطابة والامامة بالعراص من خارج وادى آش أعادها الله تعالى فقعدت أول ليلة منه منفردا بالمسجد الاعظم من الرباط المذكور بين العشاءين وفكرت فى ذكر أتخذه فى هذا الشهر المبارك يكون جامعا بين الدنيا والآخرة فاجمعت على مطالعة حاية النواودى ٢ لعلى اقف على ما أختاره لذلك فلما أصبحت دخلت الى المدينة ولم أكن اطلعت على فكرتى أحدا فلقينى الحاج الاستاذ أبو عبد الله بن خلف رحمه الله تعالى فى الطريق فقال لى سيدى يوسف الدمشقى يسلم عليك ويقول لك الذكر الذى تعمر به هذا الشهر الفاضل اللهم ارزقنى الزهد فى الدنيا ونور قلبى بنور معرفتك قال والدى رضى الله تعالى عنه وكان هذا سبب تعرفى له ولقائى اياه وكنت قبل ذلك منكرا عليه لكثرة الدعاوى فى هذا الطريق نفع الله تعالى به انتهى ولنجعل هذه الترجمة آخر هذا الباب تبركا بهذا الولى الصالح نفعنا الله تعالى ببركاته مع علمى بان الوافدين من المشرق على الاندلس كثيرون جدا الا أن عدم المادة التى أستعين بها فى هذه البلاد تبين عذرى ولو اجتمعت على كتبى المخلفة بالمغرب لاتيت فى ذلك وغيره بما يشفى ويكفى *وفى الاشارة ما يغنى عن الكلام*

(الباب السابع)

من

من أحوالهم التي لها على فضلهم أوضح برهان

اعلم أن فضل أهل الاندلس ظاهر كما أن حسن بلادهم باهر ولذلك ذكر ابن غالب في فرحة الانفس لما أثنى على الاندلس وأهلها أن بطليموس جعل لهم من أجل ولاية الزهرة لبلادهم حسن الهمة في الملبس والمطعم والنظافة والطهارة والحب للهو والغناء وتوليد اللحون ومن اجل ولاية عطارد حسن التدبير والحرص على طلب العلم وحب الحكمة والفلسفة والعدل والانصاف * وذكر ابن غالب أيضا ما خصوا به من تدبير المشترى والمريخ * واتفقد عليه بعضهم بان أقاليم الاندلس الرابع والخامس والسادس في ساحلها الشمالي والسابع في جزائر المجوس وللاقليم الرابع الشمس وللخامس الزهرة وللسادس عطارد وللسابع القمر والمشترى للاقليم الثاني والمريخ للثالث ولا مدخل لهما في الاندلس انتهى * ثم قال صاحب الفرحة وأهل الاندلس عرب في الانساب والعزة والانفة وعلو الهمم وفصاحة الالسن وطيب النفوس واباء الضيم وقلة احتمال الذل والسماحة بما في أيديهم والنزاهة عن الخضوع واتيان الدنية هندسيون في افراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لها وروايتهم بغداديون في نظافتهم وظرفهم ورقة أخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة أذهانهم وحدة افكارهم ونفوذ خواطرهم يونانيون في استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لاجناس الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بانواع الخضر وصنوف الزهر فهم أحكم الناس لاسباب الفلاحة ومنهم ابن بصال صاحب كتاب الفلاحة الذي شهدت له التجربة بفضله وهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الاعمال ومقاساة النصب في تحسين الصنائع أحذق الناس بالفروسية وأبصرهم بالطعن والضرب وعدد رحمه الله تعالى من فضائلهم اختراعهم للخطوط المخصوصة بهم قال وكان خطهم اولا مشرقيا انتهى قال ابن سعيد اما اصول الخط المشرقي وما تجده له في القلب واللحظ من القبول فسلم له لكن خط الاندلس الذي رأيته في مصاحف ابن غطوس الذي كان بشرق الاندلس وغيره من الخطوط المنسوبة عندهم له حسن فائق ورونق آخذ بالعقل وترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر والتجويد انتهى ونحو صدر كلام ابن غالب السابق مذكور في رسالة لابن حزم وقال فيها ان اهل الاندلس صينيون في اتقان الصنائع العملية واحكام المهن الصورية تركيون في معاناة الحروب ومعالجات آلاتها والنظر في مهماتها انتهى * وعد ابن غالب في فضائلهم اختراعهم للموشحات التي استحسنها أهل المشرق وصاروا ينزعون منزعها وأما نظمهم ونثرهم فلا يخفى على من وقف عليهما علو طبقاتهم * ثم قال ابن غالب ولما نفذ قضاء الله تعالى على أهل الاندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة الاخيرة المبيرة تفرقوا ببلاد المغرب الاقصى من بر العدوة مع بلاد افريقية فاما اهل البادية فمالوا في البوادي الى ما اعتادوه ودخلوا أهلها وشاركوهم فيها فاستنبطوا المياه وغرسوا الاشجار وأحدثوا الارحى الطاحنة بالماء وغير ذلك وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها فشرفت بلادهم وصلحت امورهم وكثرت مستغلاتهم وعمتهم الخيرات فهم أشبه الناس

وسماها بالعنقاء وأوحى الله تعالى الى موسى بن عمران اني خلقت طائرا عجيبا خلقته ذكرا وانثى وجعلت رزقه

(وأما ما ذكره) عن ابن عباس فهو خبر يتصل بخبر خالد بن سنان العبسي وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب خبر خالد بن سنان العبسي وانه ذكر انه كان في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وذكرنا خبره مع النار واطفائه لها (فلنذكر الآن خبر العنقاء) على حسب ما رووه فلا بد من اعادة خبر خالد لذكر العنقاء واتساع الخبرين ومخرج هذه الاخبار كلها عن ابن عفير حدث الحسن بن ابراهيم قال حدثنا محمد بن عبد الله المروزي قال حدثنا أسد بن سعيد بن كثير عن ابن عفير عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق طائرا في الزمان الاول من أحسن الطير وجعل فيه من كل جنس قسطا وخلق وجهه على مثال وجوه الناس وكان في أجنحته كل لون حسن من الريش وخلق له أربعة أجنحة من كل جانب منه وخلق له يدين فيهما مخالب وله منقار على صفة منقار العقاب غليظ الاصل وجعل له أنثى على مثاله

وأدخل الله موسى وبني اسرائيل في التيه فمكثوا فيه أربعين سنة حتى مات موسى وهرون في التيه وجميع من كان مع موسى من بني اسرائيل وكانوا ستمائة ألف وخلفهم نسلهم في التيه ثم أخرجهم الله تعالى من التيه مع يوشع بن نون تلميذ موسى ووصيه فانتقل ذلك الطائر فوقع بنجد والحجاز في بلاد قيس عيلان ولم يزل هنالك يأكل من الوحوش ويأكل الصبيان وغير ذلك من البهائم الى أن ظهر نبي من بني عبس بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم يقال له خالد بن سنان فشكا اليه الناس ما كانت العنقاء تفعل بالصبيان فدعا الله عليها فقطع نسلها فبقيت صورتها تحكى في البسط وغير ذلك (وقد ذهب جماعة) من ذوي الدراية الى أن أقوال الناس في أمثالهم عنقا مغرب انما هو للامر العجيب النادر وقوعه وقولهم جاء فلان بعنقاء مغرب يريدون أنه جاء بأمر عجيب قال شاعرهم وصبحهم بالجيش عنقاء مغرب

والعنق السرعة قال ابن عباس وكان خالد بن سنان نبي بني عبس بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حضرته الوفاة قال

بالبونانيين فما ذكرت ولان البونانيين سكنوا الاندلس فورثوا عنهم ذلك وأما أهل الحواضر فانهم قالوا الى الحواضر واستوطنوها فاما أهل الادب فكان منهم الوزراء والكتاب والعمال وجباة الاموال والمستعملون في أمور المملكة ولا يستعمل بلدي ما وجد أندلسي وأما أهل الصنائع فانهم قاموا بأهل البلاد وقطعوا معاشهم وأجلوا أعمالهم وصيروهم أتباعا لهم ومتصرفين بين أيديهم ومتى دخلوا في شغل عملوه في أقرب مدة وأفرغوا فيه من أنواع الحذق والتجويد ما يميلون به النفوس اليهم ويصير الذكر لهم قال ولا يدفع هذا عنهم الا جاهل أو مبطل انتهى * وقال ابن سعيد اما ذكر جملة من محاسن الاندلسيين يعلم الله تعالى أني ما أقصد الا انصاف المصنفين الذين لا يميل بهم التعصب ولا يجمح بهم الهوى ولكن الحق أحق ان يتبع فلعل مطلعا يقف على ما ذكره ابن غالب فيقول هذا الرجل تعصب لاهل بلده ثم يغمس التابع له والراضي بنقل قوله في هذه الصيغة ويحمله على ذلك بعده عن الارضين

ولو أبصروا ليلى أقروا بحسنها * وقالوا بانى في الثناء مقصر

ويكفي في الانصاف أن أقول ان حضرة مراكش هي بغداد المغرب وهي أعظم ما في بر العدوة وأكثر مصانعها ومبانيها الجليلة وبساتينها انما ظهرت في مدة بني عبد المؤمن وكانوا يجلبون لها صناع الاندلس من جزيرتهم وذلك مشهور معلوم الى الآن ومدينة تونس بافريقية قد انتقلت اليها السعادة التي كانت في مراكش بسلطان افريقية الآن أبي زكريا يحيى ابن أبي محمد بن ابي حفص فصار فيها من المباني والمساتين والكروم ما شابهت به بلاد الاندلس وعرفا صناعه من الاندلس وتماثيله التي يبنى عليها وان كان أعرف خلق الله تعالى باختراع محاسن هذا الشان فانما اكثرها من أوضاع الاندلسيين وله من خاطره تنبيهات وزيادة ظهر حسن موقعها ووجوه صنائع دولته لا تجدهم الا من الاندلس فصح قول ابن غالب انتهى * قال الحميدي أنشد بحضرة بعض ملوك الاندلس قطعة لبعض أهل المشرق وهي

وماذا عليهم لو أجابوا فسلموا * وقد علموا أني المشوق المتيم
سروا ونجوم الليل زهر طوالع * على انهم بالليل للناس انجم
واخفوا على تلك المطايا مسيرهم * فنم عليهم في الظلام التبسم

فأفرط بعض الحاضرين في استحسانها وقال هذا ما لا يقدر اندلسي على مثله وبالحضرة ابو بكر يحيى بن هذيل فقال بديها

عرفت بعرف الريح أين تمموا * وأين استقل الظاعنون وخيموا
خليلي ردا بي الى جانب الحمى * فلست الى غير الحمى أتيمم
ابيت سمير الفرقدين كانما * وسادي قتاد أو ضجيعي أرقم
واحور وسنان الجفون كأنه * قضيب من الريحان لدن منعم
نظرت الى اجفانه والى الهوى * فايقنت اني است منهن اسلم
كما ان ابراهيم اول نظرة * رأى في الدراري أنه سوف يسقم انتهى

ومن كلام ابن بسام صاحب الذخيرة في جزيرة الاندلس اشراف عرب المشرق اقتعموها

وسادات اجناد الشام والعراق نزلوها فبقي النسل فيها بكل اقليم على عرق كريم فلا يكاد
لد منها يخلو من كاتب ماهر وشاعر قاهر وذكر ان اباعلي البغدادي صاحب الامالي
لوافد على الاندلس في زمان بني مروان قال لما وصلت القيروان وانا اعتبر من أمر به من
هل الامصار فاجدهم درجات في العبارات وقلة الفهم بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها
لقرب والبعد كأن منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاصة ومقايسة قال ابو علي
قلت ان نقص اهل الاندلس عن مقادير من رأيت في امهامهم بقدر نقصان هؤلاء عمن
يليهم فما أحتاج الى ترجمان في هذه الاوطان قال ابن بسام فبلغني انه كان يصل كلامه
ذا بالتعجب من اهل هذا الافق الاندلسي في ذكائهم ويتغلى عنهم عند المباحثة والمناقشة
ول لهم ان علمي علم رواية وليس علم دراية فخذوا عني ما نقلت فلم آل لكم أن صحت هذا
اقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات والاخذ عن الثقات انتهى * ومن
لام الحجاري في المسهب الاندلس عراق المغرب عزة انساب ورقة آداب واشتغالا
ون العلوم وافتنانا في المنثور والمنظوم لم تضق لهم في ذلك ساحة ولا قصرت عنه
حة فما رفيه بمصر الاوفيه نجوم وبدور وشموس وهم اشعر الناس فيما كثره الله تعالى
بلادهم وجعله نصب اعينهم من الاشجار والانهار والطيور والكؤس لا ينازعهم احد
هذا الشان وابن خفاجة سابقهم في هذا المضمار الحائز فيه قصب الرهان واما اذا
نسيم ودار كاس في كف ظبي رخيم ورجع هم وزير وصفق للماء خرير اورقت
ية وخلعت السحب ابرادها الفضية والذهبية او تبسم عن شعاع ثغر نهر او ترقرق
جفن زهر او خفق بارق او وصل طيف طارق او وعد حبيب فزار من الظلماء تحت
ح وبات مع من يهواه كالماء والراح الى أن ودع حين اقبل رائد الصباح او ازهرت
حة السماء زهر كواكبها او قوضت عند فيض نهر الصباح بيض مضاربها فاولئك هم
سابقون السابقون الذين لا يجارون ولا يلحقون وليسوا بالمقصرين في الوصف اذا
قعت السلاح وسالت خلجان الصوارم بين قضبان الرماح وبنت الحرب من العجاج
ماء واطلعت شبه النجوم اسنة وأجرت شبه الشفق دماء وبالجملة فانهم في جميع الاوصاف
التخيلات ائمة ومن وقف على اشعارهم في هذا الشان فضلهم فيه على اصناف الامة وقد
فتهم على الشعر انسابهم العربية وبقاعهم النضرة وهممهم الابية ولشطار الاندلس
ن النوادر والتشكيتات والتركيبات وانواع المضحكات ما تملأ الدواوين كثرته وتضحك
شكلي وتسلي المسلوب قصته مما لو سمعه الجاحظ لم يعظم عنده ما حكي وما ركب ولا
ستغرب أحد ما أورده ولا تعجب الا أن مؤلفي هذا الافق طمعت هممهم عن التصنيف في
هذا الشان فكاد يمر ضياعا فقمت محتسبا بالظرف فتداركته جامعا فيه ما أمسى شعاعا
انتهى * وقد رأيت أن اذكر رسالة أبي محمد بن حزم الحافظ التي ذكر فيها بعض فضائل
لماء الاندلس لاشتمالها على ما نحن بصدده وذلك انه كتب أبو علي الحسن بن محمد بن أحمد
ن الربيب التميمي القيرواني الى أبي المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن حزم يذكر
قصير أهل الاندلس في تخليد أخبار علمائهم وما ثر فضائلهم وسير ملوكهم ما صورته

هو ما حدث به الحسن بن ابراهيم الشعبي القاضي قال احدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله المروزي قال حدثنا أبو الحرث

واحرسوا قبري أياما فاذا رأيتم حمارا أشهب أبتر يدور حول الحقف الذي فيه قبري أياما فاجتمعوا ثم انبشوا قبري وأخرجوني الى شفير القبر وأحضروا الى كاتبا ومعه ما يكتب فيه حتى أملي عليكم ما يكون وما يحدث الى يوم القيامة قال فرصدوا قبره واجتمعوا عليه لينبشوه كما أمرهم فحضر ولده وشهر واسيوفهم وقالوا والله لا تركنا أحدا ينبشه أتريدون أن نصير بذلك غدا وتقول لنا العرب هؤلاء ولد المنبوش فانصرفوا عنه وتركوه قال ابن عباس ووردت ابنة له عجوز قد عمرت على النبي صلى الله عليه وسلم فتلقاها بخير وأكرمها وأسلمت وقال لها مرحبا بابنة نبي ضيعه أهله قال شاعر بني عبس

بني خالد لو أنكم اذ حضرتم
نبشتم عن الميت المغيب في القبر
لابقى عليكم آل عبس ذخيرة
من العلم لا تبلى على سالف الدهر

(وقد روى) عن ابن عفير أخبار كثيرة في هذا المعنى واشباهه من فنون الاخبار من أخبار بني اسرائيل وغيرها (منها) خبر خلق الخيل

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما أراد أن يخلق الخيل أوحى الى الريح الجنوبي اني خالق منك خلقا فاجتمعت فأمر جبريل فأخذ منها ثم قال الله هذه قبضتي قال ثم خلق الله منها فرسا كميتا ثم قال الله خلقتك فرسا وجعلتك عربيا وفضلتك على سائر ما خلقته من البهائم لسعة الرزق والغنائم تقتاد على ظهرك والخير معقود بنواصيتك ثم أرسل فصهل فقال بارك فيك بصهيلك أرعب المشركين وأملأ منهم وأزلزل أقدامهم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله آدم قال يا آدم أخبرني أي الدابتين أحب اليك الفرس أو البراق قال وصورة البراق على صورة البغل لا ذكر ولا أنثى فقال يا رب اخترت أحسنهما وجها فاختار الفرس فقال الله يا آدم اخترت عزك وعز ولدك باقيا ما بقوا وخلدوا قال ابن عباس فذلك الوسم فيه وفي ولده الى يوم القيامة يعني الغرة والتحجيل ولولا أن المصنف حاطب ليل يذكر كل نوع لما ذكرنا (قال المسعودي) رحمه الله وقد ذكر عيسى بن لهيعة المصري في كتابه المترجم بكتاب الحلائب والجلائب وذكره لكل

كتبت ياسيدي وأجل عددي كتب الله تعالى لك السعادة وأدام لك العز والسيادة سائلا مسترشدا وباحثا مستبصرا وذلك اني ذكرت في بلادك اذ كانت قرارة كل فضل ومنهل كل خير ونبل ومصدر كل طرفة وموردكل تحفة وغاية آمال الراغبين ونهاية أماني الطالبين ان بارت تجارة فاليها تجلب وان كسدت بضاعة ففيها تنفق مع كثرة علمائها ووفور ادبائها وجلالة ملوكها ومحبتهم في العلم وأهله يعظمون من عظمه علمه ويرفعون من رفعه أدبه وكذلك سيرتهم في رجال الحرب يقدمون من قدمته شجاعته وعظمت في الحروب نكايته فشيم الجبان واقدم الميدان ونبه الخامل وعلم الجاهل ونطق العي وشعر البكي واستهر البغاث وتشعبن الحفاث فتنافس الناس في العلوم وكثر الحذاق بجميع الفنون ثم هم مع ذلك في غاية التقصير ونهاية التفريط من أجل ان علماء الامصار دونوا فضائل امصارهم وخلدوا في الكتب مآثر بلدانهم وأخبار الملوك والامراء والكتاب والوزراء والقضاة والعلماء فابقوا لهم ذكرا في الغابرين يتجدد على مر الليالي والايام ولسان صدق في الآخرين يتاكد مع تصرف الاعوام وعلماؤكم مع استظهارهم على العلوم كل امرئ منهم قائم في ظله لا يبرح وراتع على كثبه لا يتزحزح يخاف ان صنف أن يعنف وان ألف أن يخالف ولا يؤالف أو تخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق لم يتعب أحدهم نفسه في جمع فضائل أهل بلده ولم يستعمل خاطره في مفاخر ملوكه ولا بل قلما يتعاقب كتابه ووزراؤه ولا دواوين قرطاسا يتحاسن قضاته وعلمائه على انه لو أطلق ما عقل الاغفال من لسانه وبسط ما قبض الاهمال من بيانه لوجد للقول مساغا ولم تضق عليه المسالك ولم تحرج به المذاهب واشتبهت عليه المصادر والموارد ولكن هم أحدهم ان يصيب شأو من تقدمه من العلماء ليحوز قصبات السبق ويفوز بقدح ابن مقبل ويأخذ بكظم دغفل ويصير شجا في حلق العميل فاذا أدرك بغيته واخترمته منيته دفن معه أدبه وعلمه فمات ذكره وانقطع خبره ومن قد مناذ كره من علماء الامصار احتالوا لبقاء ذكرهم احتيال الاكياس فالفوا دواوين بقي لهم بها ذكر مجدد طول الابد فان قلت انه كان مثل ذلك من علمائنا وألفوا كتبا لكنها لم تصل الينا فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق لانه ليس بيننا وبينكم غير روحة راكب او وحلة قارب لو نفث من بلدكم مصدور لاسمع من ببلدنا في القبور فضلا عمن في الدور والقصور وتلقوا قوله بالقبول كما تلقوا دواوين احمد بن عبد ربه الذي سماه بالعقد على انه يلحقه فيه بعض اللوم لاسيما اذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده ومناقب ملوكه بتيمة سلكه اكثر الحز وأخفى المفصل وأطال المنزلسيف غير مصقل وقعد به ما قعد باصحابه من ترك ما يعنيهم واغفال ما يهمهم فارشد أخاك أرشدك الله واهده هداك الله ان كانت عندك في ذلك الجلية وبيدك فصل القضية والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

* فكتب الوزير الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم عند وقوفه على هذه الرسالة ما نصه الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى أصحابه الاكرمين وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته الفاضلين الطيبين أما بعد يا أخي يا أبا بكر سلام عليك

سلام أخ مشوق مالت بينه وبينك الاميال والفراسخ وكثرت الايام والليالى ثم لقيك
فى حال سفر ونقلة ووادك فى خلال جولة ورحلة فلم يقض من محاورتك أربا ولا بلغ فى
محاورتك مطلبا وانى لما احتللت بك وجالت يدى فى مكنون كتبك ومضمون
دواوينك لمحت عينى فى تضاعيفها درجا فأملته فاذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مصاقبنا
فى الدار أهل افريقية ثم ممن ضمته حاضرة قيروانهم الى رجل اندلسى لم يعينه باسمه ولا ذكره
بنسبه يذكر له فيها ان علماء بلدنا بالاندلس وان كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين
العلوم وفى الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف فان همتهم قد قصرت عن تخليد
مآثر بلدهم ومكارم ملوكهم ومحاسن فقهائهم ومناقب قضاتهم ومفاخر كتابهم
وفضائل علمائهم ثم تعدى ذلك الى أن أخلى أرباب العلوم منا من أن يكون لهم تآليف
يحيى ذكرهم ويبقى علمهم بل قطع على أن كل واحد منهم قد مات فدفن علمه معه وحقق ظنه
فى ذلك واستدل على صحته عند نفسه بان شيئا من هذه التآليف لو كان منا موجودا لكان
اليهم منقولا وعندهم ظاهرا لقرب المزار وكثرة السفار وترددهم اليهم وتكررهم علينا ثم
ناضمنا المجلس الحافل باصناف الآداب والمشهد الآهل بانواع العلوم والقصر المعمور
بنواع الفضائل والمنزل المحفوف بكل لطيفة وسيعة من دقيق المعانى وجليل المعالى قرارة
المجد ومحل السودد ومحط رحال الحائمين وملتقى عصا التسيار عند الرئيس الاجل الشريف
الاديب وحسبه الرفيع حديثه ومكسبه الذى أجله عن كل خطة يشركه فيها من لا توازى
قومته نومته ولا ينال حضره هوينا وأربى به عن كل مرتبة يلحقه فيها من لا يسمو الى
المكارم سموه ولا يدنو من المعالى دنوه ولا يعلو فى جيد الخلال علاوه بل اكتفى من مدحه
باسمه المشهور واجتزى من الاطالة فى تقريظه بمنتماه المذكور فحسبى بذينك العلمين
دليلا على سعيه المشكور وفضله المشهور أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم صاحب
البونت أطال الله بقاءه وأدام اعتلاءه ولا عطل الحامدين من تحليه بحلاه ولا أخلى
الايام من تزينها بعلاه فرأيته أعزه الله تعالى حريصا على أن يجاوب هذا المخاطب وراغبا فى
ان يبين له ما اعله قدره فنسى أو بعد عنه فتناولت الجواب المذكور بعد أن بلغنى ان
ذلك المخاطب قد مات رحمنا الله تعالى واياه فلم يكن لقصده بالجواب معنى وقد صارت
المقابر له مغنى فلسنا بمسمعين من فى القبور فصرفت عنان الخطاب اليك اذ من قبلك صرت
الى الكتاب المجاوب عنه ومن لدنك وصلت الى الرسالة المعارضة وفى وصول كتابى على
هذه الهيئة حيثما وصل كفاية لمن غاب عنه من اخبار تآليف اهل بلدنا مثل ما غاب عن هذا
البحث الاول ولله الامر من قبل ومن بعد وان كنت فى اخبارى اياك بما ارسمه فى
كتابى هذا كمهد الى البركان نار الحباحب وبانى رضوى فى مهيع القصد اللاحب فانك
وان كنت المقصود والمواجه فانما المراد من أهل تلك الناحية من نأى عنه علم ما استجليه
السائل الماضى وما توفيقى الا بالله سبحانه فاما مآثر بلدنا فقد ألف فى ذلك أحمد بن محمد
الرازى التاريخى كتابا حاجة منها كتاب ضخم ذكر فيه ممالك الاندلس ومراسيها وأمهات
مدنها وأجنادها الستة وخواص كل بلد منها وما فيه مما ليس فى غيره وهو كتاب مريح

أناسا من الازد فرسا يصيدون عليه فسمى زاد الراكب وكذلك ذكر ابن دريد فى كتاب الخيل وغيره (وللناس فى الخيل) أخبار عظيمة كثيرة قد أتينا على ذكرها فى الالف من كتبنا (وقد ذهبت) طائفة الى أن الاخبار التى تقطع العذر وتوجب العلم والعمل هى أخبار الاستفاضة مارواه الكافة عن الكافة وأن ما عدا ذلك فغير واجب قبوله (وذهب الجمهور) من فقهاء الامصار الى قبول خبر الاستفاضة وهو خبر التواتر وأنه يوجب العلم والعمل وأوجبوا العمل بخبر الواحد وزعموا أنه موجب العمل دون العلم باوصاف ذكروها (ومن الناس) من ذهب الى غير هذه الوجوه فى فنون الاخبار من الضرورة وغيرها وما ذكرنا من حديث النساس والعنقاء وخلق الخيل فغير داخل فى أخبار التواتر الموجبة للعمل واللاحقة بما أوجب العمل دون العلم ولا بالاخبار المضطرة اسامعها الى قبولها عند ورودها واعتقاد صحتها عن مخبرها وهذا النوع من الاخبار قد قدمنا فى خبر الجائز الممكن الذى ليس بواجب أنه لاحق بالاسرائيليات من الاخبار والاعاجيب عن عجائب البحار ولولا ما قدمنا آنفا

مليح وأنا أقول لو لم يكن لاندلسنا الا مارسول الله صلى الله عليه وسلم بشر به ووصف أسلافنا المجاهدين فيه بصفات الملوك على الاسرة في الحديث الذي رويناه من طريق أبي حمزة أنس بن مالك أن خالته أم حرام بنت ملحان زوج أبي الوليد عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين حدثته عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أخبرها بذلك لكفى شرفا بذلك بسر عاجله و يغبط آجله فان قال قائل لعله صلوات الله تعالى عليه انما عنى بذلك الحديث أهل صقلية واقريطش وما الدليل على ما ادعيته من انه صلى الله عليه وسلم عنى الاندلس حتما ومثل هذا من التأويل لا يتساهل فيه ذوورع دون برهان واضح وبيان لائح لا يحتمل التوجيه ولا يقبل التجريح فالجواب وبالله التوفيق انه صلى الله عليه وسلم قد أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب وأمر بالبيان لما أوحي اليه وقد أخبر في ذلك الحديث المتصل سنده بالعدول عن العدول بطائفتين من أمته يركبون ثبج البحر غزاة واحدة بعد واحدة فسألته أم حرام أن يدعو ربه تعالى أن يجعلها منهم فاخبرها صلى الله عليه وسلم وخبره الحق بانها من الاولين وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وهو اخباره بالشيء قبل كونه وصح البرهان على رسالته بذلك وكانت من الغزاة الى قبرس وخرت عن بغلتها هنالك فتوفيت رحمها الله تعالى وهي أول غزاة ركب فيها المسلمون البحر فثبت يقينا الغزاة الى قبرس هم الاولون الذين بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم وكانت ام حرام منهم أخبر صلوات الله تعالى وسلامه عليه ولا سبيل ان يظن به وقد اوتي ما أوتي من البلاغة والبيان أنه يذكر طائفتين قد سمى احداهما اولى الاولى والثالثة لها ثانية فهذا من باب الاضافة وتركيب العدد وهذا مقتضى طبيعة صناعة المنطق اذ لا تكون الاولى اولى الا لثانية والثانية ثانية الا لاولى فلا سبيل الى ذكر ثالث الا بعد ثان ضرورة وهو صلى الله عليه وسلم انما ذكر طائفتين و بشر بفئتين وسمى احداهما الاولين فاقتضى ذلك بالقضاء الصدد آخرين والآخر من الاول هو الثاني الذي أخبر صلى الله عليه وسلم انه خير القرون بعد قرنه واولى القرون بكل فضل بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه خير من كل قرن بعده ركب البحر بعد ذلك ايام سليمان بن عبد الملك الى القسطنطينية وكان الامير بها في تلك السفن هبيرة الفزاري واما قبلية فانها فتحت صدر ايام الاغالبة سنة ٢١٢ ايام قاد اليها السفن غازيا أسد بن الفرات الغازي صاحب أبي يوسف رحمه الله تعالى و بهامات وأما اقريطش فانها فتحت بعد الثلاث والمائتين افتتحها أبو حفص عمر بن شعيب المعروف بابن الغليظ من أهل قرية بطروج من عمل حمص البلوط المجاور لقرطبة من بلاد الاندلس وكان من قبل الربضيين وتداولها بنوه بعده الى ان كان آخرهم عبد العزيز بن شعيب الذي غنمها في أيام أرمانوس بن قسطنطين ملك الروم سنة ٣٥٠ وكان أكثر الفتوحين لها اهل الاندلس وأما في قسم الاقاليم فان قرطبة مسقط رؤسنا ومعلق تمائمنا مع سر من رأى في اقليم واحد فلا من الفهم والذكاء ما اقتضاه فليهنا وان كانت الانوار لاتأتينا الا مغربة عن مطالعها على الجزء المعمور وذلك عند المحسنين للاحكام التي تدل عليها الكواكب ناقص من قوى دلائله فلها من ذلك على كل حال حظ يفوق حظ أكثر البلاد بارتفاع أحد النيرين بها

الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم حملة السنن ونقلة الآثار مما لا يتناكرونه ويعرفونه ولا يدفعونه مع حديث القرد الذي كان في السفينة في عهد بني اسرائيل مع رجل كان يبيع الخمر لاهل السفينة ويشوب الخمر بالماء وأنه جمع من ذلك دراهم كثيرة وان القرد قبض على الكيس الذي كانت فيه الدراهم وصعد على الدور وهو صاري المركب ويدعى بالعراق الدقل فحل الكيس ولم يزل يرمي درهما الى الماء ودرهما الى السفينة حتى قسم ذلك نصفين ومثل ما روى الشعبي عن فاطمة بنت قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك قد رواه عن فاطمة بنت قيس عدة من الصحابة وهو خبر تميم الداري ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عنه أنه أخبره أنه ركب البحر في جماعة من بني عمه في سفينة فاضل بهم البحر والقاهم الى جزيرة فنظروا الى دابة عظيمة قد نشرت شعرها فقالوا لها أيتها الدابة ما أنت فقالت أنا الجساسة التي أخبر آخر الزمان وذكروا عنها كلاما غير هذا وأنها قالت عليكم بصاحب النصر فخروا فاذا هم برجل قصر من حاله ووصفه كذا واذا هم برجل

تسعين درجة وذلك من أدلة التمكن فى العلوم والنفاذ فيها عند من ذكرنا وقد صدق ذلك الخبر وإنا نتيقن بالتجربة فكان أهلها من التمكن فى علوم القرآت والروايات وحفظ كثير من الفقه والشعر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم بمكان رحب الفناء واسع الرقعة متنائى الاقطار فسيح المجال والذى نعاه علينا الكاتب المذكور لو كان كما ذكر لكان فيه شركاء لا كثر أمهات الحواضر وجلائل البلاد ومتسعات الاعمال فهذه القيروان بلد المخاطب لنا ما أذكر انى رأيت فى أخبارها تأليفا غير المعرب عن أخبار المغرب وحاشى تأليف محمد بن يوسف الوراق فانه ألف للمنتصر رحمه الله تعالى فى مسالك افريقية وممالكها ديوانا ضخما وفى أخبارملوكها وحروبهم والقائمين عليهم كتابا جة وكذلك ألف أيضا فى اخبار تيهرت ووهران وتونس وسجلماسة وتكرور البصرة وغيرها تأليف حسانا محمد هذا أندلسى الاصل والفرع آباؤه وادى الحجارة ومدفنه بقرطبة وهجرته اليها وان كانت نشأته بالقيروان ولابد من اقامة الدليل على ما أشرت اليه هنا اذ مرادنا ان نأتى منه بالمطلوب فيما يستأنف ان شاء الله تعالى وذلك ان جميع المؤرخين من أئمتنا السالفين والباقين دون محاشاة احد بل قد تيقنا اجماعهم على ذلك متفقون على ان ينسبوا الرجل الى مكان هجرته التى استقر بها ولم يرحل عنها رحيل ترك اسكانها الى ان مات فان ذكروا الكوفيين من الصحابة رضى الله تعالى عنهم صدروا بعلى وابن مسعود وحذيفة رضى الله تعالى عنهم وانما سكن على الكوفة خمسة اعوام واشهرا وقد بقى ٥٨ عاما واشهرا بمكة والمدينة شرفها الله تعالى وكذلك ايضا اكثر اعمارهم ذكرنا وان ذكروا البصريين بدؤا بعمران ابن حصين وانس بن مالك وهشام بن عامر وابى بكرة وهؤلاء مواليهم وعامة زمن اكثرهم اقامتهم بالحجاز وتهامة والطائف وجمهرة اعمارهم خلت هنالك وان ذكروا الشاميين وهو ابو الدرداء وعبادة بن الصامت وابى الدرداء وابى عبيدة بن الجراح ومعاذ ومعاوية والامر فى هؤلاء كالامر فيمن قبلهم وكذلك فى المصريين عمرو بن العاص وخارجة بن حذافة العدوى والمكيين عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير والحكم فى هؤلاء كالحكم فيمن قصصنا فيمن هاجر الينا من سائر البلاد فنحن أحق به وهو منا بحكم جميع أولى الامر منا الذين اجماعهم فرض اتباعه وخلافه محرم اقترافه ومن هاجر منا الى غيرنا فلاحظ لنا فيه والمكان الذى اراده أسعد به فكما لا ندع اسمعيل بن القاسم فكذلك لا ننازع فى محمد بن هانئ سوانا فدل أولى ما خص عليه والنصف أفضل ما دعى اليه بعد التفصيل الذى ليس هذا محله وعلى ما ذكرنا من الانصاف تراضى الكل وهذه بغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة والمحلة التى سبق أهلها الى حمل ألوية المعارف والتدقيق فى تصريف العلوم ورقة الاخلاق والنباهة والذكاء وحدة الافكار ونفاذ الخواطر وهذه البصرة وهى عين المعمور وفى كل ما ذكرنا وما أعلم فى أخبار بغداد تأليفا غير كتاب أحمد بن أبى طاهر وأما سائر التواريخ التى ألفها أهلها فلم يخصوا بلدتهم بها دون سائر البلاد ولا أعلم فى أخبار البصرة غير كتاب عمر بن شبة وكتاب لرجل من ولد الربيع بن زياد المنسوب الى أبى سفيان فى خطط البصرة وقطائعها وكتابين لرجلين من أهلها يسمى أحدهما عبد القاهر كريزى النسب وصفاها

وساءلهم وأنه الدجال وأنه أخبرهم بجمل الملاحم وأنه لا يدخل مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما ذكر فى هذا الحديث وغيره مما ورد من الاخبار فى معناه وهذا باب كبير يتسع وصفه ويعظم شرحه (ثم رجع بنا القول) الى ما كنا فيه آنفا من ذكر أرباع العالم والطبائع وما اتصل بهذا المعنى وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الكلام فى الطبائع وغيرها مما ينبه على عظم هذا الكتاب وبسوطه وقد زعم جماعة ممن تقدم وتأخر من الاطباء ومصنفى الكتب فى الطبيعيات وغيرها أن للطعام ثلاث انهضاما أما الاول فهى المعدة تهضم الطعام فتأخذ قوته فتمثل ماء الكشك ثم تدفعه الى الكبد فى العروق الى الجسد كاندفاع الماء النهر الى السواقى والى فتهضمه باعضاء الجسد البالية فتصيره الى شبه اللحم لحما والشحم شحما وكذلك العروق والعصب وما سوى ذلك وأن أفتارها اذا استوت استوت أقدار القوى واذا استوت القوى استوى الجسد واعتدل

١٧ ط نى ويصح باذن الله تعالى وأن الزمان أربعة فصول الصيف والخريف والشتاء والربيع فبالصيف تقوى

وذكرا أسواقها ومحالها وشوارعها ولا أعلم في أخبار الكوفة غير كتاب عمر بن شبة وأما الجبال وخراسان وطبرستان وجرجان وكرمان وسجستان والسند والري وارمينية واذربيجان وتلك الممالك الكثيرة الضخمة فلا أعلم في شيء منها تاليفا قصد به أخبار ملوك تلك النواحي وعلمائها وشعرائها وأطبائها ولقد تاقت النفوس الى أن يتصل بها تاليف في أخبار فقهاء بغداد وما علمناه علم على انهم العلية الرؤساء والاكابر العظماء ولو كان في شيء من ذلك تاليف لكان الحكم في الغلب أن يبلغنا كما بلغ سائر تاليفهم وكما بلغنا كتاب حمزة بن الحسن الاصبهاني في أخبار أصبهان وكتاب الموصلي وغيره في أخبار مصر وكما بلغنا سائر تاليفهم في أنحاء العلوم وقد بلغنا تاليف القاضي أبي العباس محمد بن عبدون القيرواني في الشروط واعتراضه على الشافعي رحمه الله تعالى وكذلك بلغنا رد القاضي احمد بن طالب التميمي على أبي حنيفة وتشنيعه على الشافعي وكتب ابن عبدوس ومحمد بن سحنون وغير ذلك من خوامل تاليفهم دون مشهورها وأما جهتنا فالحكم في ذلك ماجرى به المثل السائر أزهد الناس في عالم اهله وقرأت في الانجيل ان عيسى عليه السلام قال لا يفقد النبي حرمته الا في بلده وقد تيقنا ذلك بما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وهم أوفر الناس احلاما واصحهم عقولا واشدهم تمتعا مع ما حصلوا به من سكناهم افضل البقاع وتعديتهم بها كرم المياه حتى خص الله تعالى الاوس والخزرج بالفضيلة التي ابانهم بها عن جميع الناس والله يؤتي فضله من يشاء ولا سيما اذ لسنا فانها خصت من حسد اهلها للعالم الظاهر فيهم الماهر منهم واستقلالهم كثير مما ياتي به واستهجانهم حسناته وتتبعهم سقطاته وعثراته وا كثر ذلك مدة حياته باضعاف ما في سائر البلدان اجاد قالوا سارق مغير ومنتحل مدع وان توسط قالوا غث بارد وضعيف ساقط وان باكر الحيازة لقصب السبق قالوا متى كان هذا ومتى تعلم وفي اي زمان قرأ ولامه الهبل وبعد ذلك ان ولجت به الاقدار احد طريقين اما شفو فادا عما يعليه على نظرائه او سلو كافي غير السبيل التي عهدوها فهنالك حمي الوطيس على البائس وصار غرضا للاقوال وهدفا للطالب ونصبا للتسبب اليه ونهبا للالسنة وعرضة للتطرق الى عرضه وربما نحل مالم يقل وطوق مالم يتقلد والحق به مالم يفه به ولا اعتقده قلبه وبالجراءة وهو السابق المبرز ان لم يتعلق من السلطان بحظ أن لا يسلم من المتالف وينجو من المخالف فان تعرض لتاليف غمز ولمز وتعرض وهمز واشتط عليه وعظم يسير خطبه واستشنع هين سقطه وذهبت محاسنه وسترت فضائله وهتف ونودي بما أغفل فتنكسر لذلك همته وتكل نفسه وتبرد حميته وهذا عندنا يصيب من ابتدأ يحوك شعرا أو يعمل بعمل رياسة فانه لا يفلت من هذه الجمائل ولا يتخلص من هذه النصب الا القاعض الفائت والمطفف المستولي على الامد وعلى ذلك فقد جمع ما ظنه الظان غير مجموع وألفت عندنا تاليف في غاية الحسن لنا خطر السبق في بعضها فمنها كتاب الهداية لعيسى بن دينار وهي أرفع كتب جمعت في معناها على مذهب مالك وابن القاسم وأجمعها للمعاني الفقهية على المذهب فمنها كتاب الصلاة وكتاب البيوع وكتاب الحدار في الاقضية وكتاب النكاح والطلاق ومن الكتب المالكية التي ألفت بالاندلس كتاب القصي لمالك بن علي

المرة الصفراء ويكثر ثم ينقسم عمر الانسان أربعة أقسام الصبا وفيه تقوى الصفراء والفتوة وفيه يقوى الدم والكهولة وفيه تقوى السوداء والشيخوخة وفيه يقوى البلغم وأن البلدان أيضا تنقسم على أربعة أقسام ٣ المشرق وطبيعته الحرارة والرطوبة وفيه يقوى الدم والجنوب وطبيعته البرد والرطوبة وفيه تقوى المرة الصفراء وأن بنية الاصول من الجسد ربما كانت مستوية معتدلة الاخلاط وربما كان أحد الاخلاط أغلب في البنية فتظهر قوته على الامة حتى يكون مقوما لخلط اذا هاج (وقد أبقراط) ينبغي أن نعلم أن كل شيء في هذا العالم مدرا على سبعة أجزاء سبعة والاقاليم سبعة والناس سبعة أولها ثم صبي الى أربع سنة ثم غلام الى عشرين سنة ثم شاب مادام ينشب ويقبل الزيادة الى خمس وثلاثين سنة ثم كهل الى الاربعين ثم شيخ الى سبع وأربعين سنة ثم هرم الى آخر العمر وجميع تغير أحوال الحيوان من الناطقين وغيرهم فمن الهواء يكون ذلك وقد قال الحكيم أبقراط ان تغير حالات الهواء هو وهو

وهو رجل قرشى من بنى فهر لقى أصحاب مالك وأصحاب أصحابه وهو كتاب حسن فيه غرائب ومستحسنات من الرسائل المولدات ومنها كتاب أبى اسحق ابراهيم بن مزين فى تفسير الموطا والكتب المستقصية لمعانى الموطا وتوصيل مقطوعاته من تآليف ابن مزين أيضا وكتابه فى رجال الموطا ومالك عن كل واحد منهم من الآثار فى موطئه وفى تفسير القرآن كتاب أبى عبد الرحمن بقى بن مخلد وهو الكتاب الذى أقطع قطعا لا أستثنى فيه انه لم يؤلف فى الاسلام تفسير مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبرى ولا غيره ومنها فى الحديث مصنفه الكبير الذى رتبه على أسماء الصحابة رضى الله تعالى عنهم فروى فيه عن ألف وثلثمائة صاحب ونيف ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الاحكام فهو مصنف ومسند وما أعلم هذه الرتبة لاحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله فى الحديث وجودة شيوخه فانه روى عن مائتى رجل و ٨٤ رجلا ليس فيهم عشرة ضعفاء وسائرهم أعلام مشاهير ومنها مصنفه فى فضل الصحابة والتابعين ومن دونهم الذى أربى فيه على مصنف أبى بكر بن أبى شيبة ومصنف عبد الرزاق بن همام ومصنف سعيد بن منصور وغيرها وانتظم علما عظيما لم يقع فى شئ من هذه فصارت تآليف هذا الامام الفاضل قواعد الاسلام لا نظير لها وكان متخيرا لا يقلد أحدا وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه ومنها فى أحكام القرآن كتاب ابن أمية الجمارى وكان شافعى المذهب بصيرا بالكلام على اختياره وكتاب القاضى أبى الحكم منذر بن سعيد وكان داودى المذهب قويا على الانتصار له وكلاهما فى أحكام القرآن غاية ولمنذر مصنفات منها كتاب الابانة عن حقائق أصول الديانة ومنها فى الحديث مصنف أبى محمد قاسم بن اصبغ بن يوسف بن ناصح ومصنف محمد بن عبد الملك بن أيمن وهما مصنفان رفيعان احتويا من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس فى كثير من المصنفات ولقاسم بن اصبغ هذا تآليف حسان جدا منها احكام القرآن على ابواب كتاب اسمعيل وكلامه ومنها كتاب المجتبى على ابواب كتاب ابن الجارود المنتقى وهو خير منه وانقى حديثا وأعلى سندا وأكثر فائدة ومنها كتاب فى فضائل قريش وكنانة وكتابه فى الناسخ والمنسوخ وكتاب غرائب حديث مالك بن أنس مما ليس فى الموطا ومنها كتاب التمهيد لصاحبنا أبى عمر يوسف بن عبد البر وهو الآن بعد فى الحياة لم يبلغ سن الشيخوخة وهو كتاب لا أعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله أصلا فكيف أحسن منه ومنها كتاب الاستذكار وهو اختصار التمهيد المذكور ولصاحبنا أبى عمر بن عبد البر المذكور كتب لا مثل لها منها كتابه المسمى بالكافى فى الفقه على مذهب مالك وأصحابه خمسة عشر كتابا اقتصر فيه على ما بالمفتى الحاجة اليه وبوّبه وقربه فصار مغنيا عن التصنيفات الطوال فى معناه ومنها كتابه فى الصحابة ليس لاحد من المتقدمين مثله على كثرة ما صنفوا فى ذلك ومنها كتاب الاكتفاء فى قراءة نافع وأبى عمرو بن العلاء والحجة لكل واحد منهما ومنها كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس مما يجرى فى المذاكرات من غرر الابيات ونوادر الحكايات ومنها كتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته ومنها كتاب شيخنا القاضى أبى الوليد عبد الله بن محمد بن

حالات الهواء استوت حالات الناس وأخلاقهم وقال ان قوى النفس تابعة لمزاجات الابدان ومزاجات الابدان تابعة لتصرف الهواء اذا برد مرة وسكن أخرى خرج الزرع نضيجا ومرة غير نضيج ومرة قليلا ومرة كثيرا ومرة حارا ومرة باردا فتتغير لذلك صورهم ومزاجاتهم واذا اعتدل الهواء واستوى خرج الزرع معتدلا فاعتدل بذلك الصور والمزاجات (فاما علة) تشابه صور الترك فانه لما استوى هواء بلدانهم فى البرد استوت صورهم وتشابهوا وكذلك أهل مصر لما استوت أهواؤهم تشابهت صورهم ولما كان الغالب على هواء الترك البرد وعجزت الحرارة عن تنشيف رطوبات أبدانهم كثرت شحومهم ولانت أبدانهم وتشبهوا بالنساء فى كثير من أخلاقهم فضعفت شهوة الجماع فيهم وقل ولدهم لبرد مزاجهم والرطوبة الغالبة عليهم وقد يكون ضعف الشهوة أيضا لكثرة ركوب الخيل وكذلك نساؤهم لما سمنت أبدانهن ورطبت ضعفت أرحامهن عن جذب

الزرع اليها (وأما حمرة ألوانهم) فللبرد كما ذكرنا لان البياض اذا لحت عليه البرودة صار الى الحمرة وبيان ذلك أن

من الجنوب بلدة كثيرة الامطار كثيرة النبات والعشب وأن أشجارها ذاهبة في الهواء ومياهها عذبة ودوابها عظيمة وهي مخصبة لان تلك البلاد لم يلحقها حر الشمس ولم يلحقها بيس البرد فاجسام أهلها عظيمة وصورهم جميلة وأخلاقهم كريمة فهم في صورهم وقاماتهم واعتدال طبائعهم يشبهون باعتدال زمان الربيع غير أنهم أصحاب دعة لا يحتملون الشدائد والكد وقال أبقراط في معنى ماوصفنا واليه قصدنا من بيان الاهوية وتاثيرها في الحيوان والنبات ان الروح المطبوعة فيها هي التي تجذب الهواء الينا وان الرياح تقلب الحيوان من حال الى حال ومن حر الى برد ومن يبس الى رطوبة ومن سرور الى حزن وكما تغيرها في البيوت من بدن أو عسل أو فضة أو شراب أو سمن فتسخنها مرة وتبردها أخرى وعلة ذلك أن الشمس والكواكب تغير الهواء بحركاتها واذا تغير الهواء تغير بتغيره كل شئ فمن تقدم وعرف أحوال الازمنة وتغيرها والدلائل التي فيها عرف السبب الاعظم من أسباب العالم وتقدم في صحة الابدان (وقال أيضا) ان الجنوب اذا هبت اذابت الهواء وبردته وسخنت البحار

يوسف بن الفرضي في المختلف والمؤتلف في أسماء الرجال ولم يبلغ عبد الغني الحافظ البصري في ذلك الا كتابين وبلغ أبو الوليد رحمه الله تعالى نحو الثلاثين لا أعلم مثله في فنه البتة ومنها تاريخ أحمد بن سعيد ما وضع في الرجال أحد مثله الا ما بلغنا من تاريخ محمد بن موسى العقيلي البغدادي ولم أره وأحمد بن سعيد هو المتقدم في التاليف القائم في ذلك ومنها كتب محمد بن يحيى بن مفرج القاضي وهي كثيرة منها أسفار سبعة جمع فيها فقه الحسن البصري وكتب كثيرة جمع فيها فقه الزهري ومما يتعلق بذلك شرح الحديث لعامر بن خلف السرقسطي فاشاه أبو عبيد الا بتقدم العصر فقط ومنها في الفقه الواضحة والمالكيون لا تمانع بينهم في فضلها واستحسانهم اياها ومنها المستخرجة من الاسمعة وهي المعروفة بالعتبية ولها عند أهل افريقية القدر العالي والطيران الحديث والكتاب الذي جمعه أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن هشام الاشبيلي المعروف بابن الكوى والقرشي أبو مروان المعيطي في جمع أقاويل مالك كلها على نحو الكتاب الباهر الذي جمع فيه القاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن الحداد البصري أقاويل الشافعي كلها ومنها كتاب المنتخب الذي ألفه القاضي محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة وما رأيت لما لكي قط كتابا أنبل منه في جمع روايات المذهب وشرح مستغلقها وتفريع وجوهها وتاليف قاسم بن محمد المعروف بصاحب الوثائق وكلها حسن في معناه وكان شافعي المذهب نظارا جاريا في ميدان البغداديين ومنها في اللغة الكتاب البارع الذي ألفه اسمعيل بن القاسم يحتوي على لغة وكتابه في المقصور والممدود والمهموز لم يؤلف مثله في بابه وكتاب الافعال لمحمد بن عامر العزفي المعروف بابن القوطية بزيادات ابن طريف مولى العبيديين فلم يوضع في فنه مثله وكتاب جمعه أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التياني في اللغة لم يؤلف مثله اختصارا واوثقه نقل وهو أظن في الحياة بعد وههنا قصة لا ينبغي أن تخلو رسالتنا عنها وهي ان أبا الوليد عبد الله ابن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضي حدثني أن أبا الجيش مجاهد اصاحب الجزائر ودانية وجه الى أبي غالب أيام غلبته على مرسية وأبو غالب ساكن بها الف دينار اندلسية على ان يزيد في ترجمة الكتاب المذكور مما الفه تمام بن غالب لابي الجيش مجاهد فرد الدنانير وابى من ذلك ولم يفتح في هذا بابا البتة وقال والله لو بذل لي الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب لاني لم أجمعه له خاصة بل لكل طالب فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها واعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها ومنها كتاب أحمد بن ابان بن سيد في اللغة المعروف بكتاب العالم نحو مائة سفر على الاجناس في غاية الايعاب بدأ بالفلك وختم بالذرة وكتاب النوادر لابي علي اسمعيل بن القاسم وهو مبارك لكتاب الكامل لابي العباس المبرد ولعمري لئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحوا وخبرا فان كتاب أبي علي لاكثر لغة وشعرا وكتاب الفصوص لصاعد بن الحسن الربعي وهو جار في مضمار الكتابين المذكورين ومن الانحاء تفسير الحوفي لكتاب الكسائي حسن في معناه وكتاب ابن سيده في ذلك المنبوز بالعالم والمتعلم وشرح له لكتاب الاخفش ومما الف في الشعر كتاب عبادة بن ماء السماء في أخبار شعراء الاندلس كتاب حسن وكتاب الحدائق لابي عمر

أحمد بن فرج عارض به كتاب الزهرة لابي محمد بن داود رحمه الله تعالى الا ان ابا بكر انما أدخل مائة باب في كل باب مائة بيت وأبو عمر أورد مائتي باب في كل باب مائة بيت ليس مخاباب تكرر اسمه لابي بكر ولم يورد فيه لغير اندلسي شيأ وأحسن الاختيار ما شاء الغاية واتى الكتاب فردا في معناه ومنها كتاب التشبيهات من أشعار أهل جمعه أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الحسن الكاتب وهو حي بعد ومما يتعلق ح أبي القاسم ابراهيم بن محمد الافليلي لشعر المتنبي وهو حسن جدا ومن ار يخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي في أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم وذلك كثير جدا وكتاب له في صفة قرطبة وخططها ومنازل الاعيان بها على نحو ن أبي طاهر في أخبار بغداد وذكر منازل صحابة أبي جعفر المنصور بها وتواريخ يت منها أخبار عمر بن حفصون القائم بريه ووقائعه وسيره وحروبه وتاريخ بار عبد الرحمن بن مروان الجليقي القائم بالحوف وفي أخبار بني قيس والتعيبين يل والثغر وقد رايت من ذلك كتابا مصنفة في غاية الحسن وكتاب مجزأ في شيرة في اخبار ريه وحصونها وحروبها وفقهائها وشعرائها تاليف اسحق بن سلمة حق الليثي وكتاب محمد بن الحرث الخشني في اخبار القضاة بقرطبة وسائر بلاد س وكتاب في اخبار الفقهاء بها وكتاب لاحمد بن محمد بن موسى في انساب مشاهير الاندلس في خمسة اسفار ضخمة من احسن كتاب في الانساب واوسعها وكتاب قاسم ن اصبغ في الانساب في غاية الحسن والايعاب والايجاز وكتابه في فضائل بني امية وكان ن الثقة والجلالة بحيث اشتهر امره وانتشر ذكره ومنها كتب مؤلفة في اصحاب المذاهب لاجناد الستة بالاندلس ومنها كتب كثيرة جمعت فيها اخبار شعراء الاندلس متصر رحمه الله تعالى رايت منها اخبار شعراء البيرة في نحو عشرة اجزاء ومنها كتاب لوالم في انساب اهل الاندلس ومنها كتاب التاريخ الكبير في اخبار اهل الاندلس يف ابي مروان بن حيان نحو عشرة اسفار من اجل كتاب الف في هذا المعنى وهو في الحياة لم يتجاوز الاكتهال وكتاب المآثر العامرية لحسين بن عاصم في سير ابن ابي عامر خباره وكتاب الافشين محمد بن عاصم النحوي في طبقات الكتاب بالاندلس وكتاب كمن بن سعيد في ذلك وكتاب احمد بن فرج في المنتزين والقائمين بالاندلس واخبارهم وكتاب اخبار اطباء الاندلس لسليمان بن حسان وامّا الطب فكتب الوزير يحيى بن اسحق وهي كتب حسان رفيعة وكتب محمد بن الحسن المذحجي استاذنا رحمه الله تعالى وهو المعروف بابن السمانية وهي كتب رفيعة حسان وكتب التصريف لابي القاسم خلف بن عباش الزهراوي وقد ادركناه وشاهدناه واين قلنا انه لم يؤلف في الطب اجمع منه ولا احسن للقول والعمل في الطبائع لنصدقن وكتب ابن الهيثم في الخواص والسموم والعقاقير من اجل الكتب وانفعها واما الفلسفة فاني رايت فيها رسائل مجموعة وعيونا مؤلفة لسعيد بن فحلون السرقسطي المعروف بالحمار دالة على تمكنه من هذه الصناعة واما رسائل استاذنا ابي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي في ذلك فشهورة متداولة وتامة

الابدان والعصب وتورث الكسل وتحدث ثقلا في السماع وغشاوة في البصر لانها تحلل المرة وتنزل الرطوبة الى أصل العصب الذي يكون فيه الحس وأما الشمال فانها تطب الابدان وتصح الادمغة وتحسن اللون وتصفي الحواس وتقوي الشهية والحركة غير أنها تحرك السعال ووجع الصدر (وقد) زعم بعض من تاخر في الاسلام من الحكماء أن الجنوب اذا هبت بارض العراق تغير الورد وتناثر الورق وسخن الماء واسترخت الابدان وتكدر الهواء قال وذلك شبه ما قال أبقراط ان الصيف أوبأ من الشتاء لانه يسخن الابدان فيرخيها ويضعف قواها وان أهل العراق يكون الرجل منهم نائما في فراشه يسخن بهبوبها وانه اذا هبت الشمال برد الخاتم في أصبعه واتسع لانضمام البدن بها واذا هبت الجنوب سخن الخاتم وضاق واسترخى البدن وحدث فيه الكسل وهذا يجده سائر من بالعراق ممن له حس اذا صرف همته الى تامل ذلك وكذلك يجده من تامل ما وصفنا في سائر الامصار في بقاع الارض والبلدان واذا كان ذلك بالعراق فهو أظهر لعموم الاعتدال (ثم قال الحكيم) أبقراط في معنى ما ذكرنا ان الرياح العامة أربعة احداها تهب من جهة

التيسر وهى الشمال (قال المسعودى) وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الاخبار عن الطبائع والاهوية والبلدان وأنواع الارض من العامر والغامر وغير ذلك مما تقدم ذكره وانتظم تصنيفه واتصل بحمد الله ايراده فرأينا ان نختم هذا الباب بجوامع من مساحات الممالك وما بينها من البعد والقرب على حسب ما حكاه الفزارى صاحب كتاب الزيج والقصيدة فى هيئة النجوم والفلك زعم الفزارى أن عمل أمير المؤمنين من فرغانة وأقصى خراسان الى طنجة بالمغرب ثلاثة آلاف وسبعمائة فرسخ والعرض من باب الابواب الى جدة ستمائة فرسخ ومن الباب الى بغداد ثلثمائة فرسخ ومن مكة الى جدة اثنان وثلاثون ميلا (عمل الصين) من المشرق أحد وثلاثون ألف فرسخ فى أحد عشر ألف فرسخ (عمل الهند) فى المشرق أحد عشر ألف فرسخ فى سبعة آلاف فرسخ (عمل التبت) خمسمائة فرسخ فى مائتين وثلاثين فرسخا (عمل ماين شاه) أربعمائة فرسخ فى ستين فرسخا (عمل البلغار) بالترك ألف فرسخ فى خمسمائة فرسخ (عمل الترك) بخاقان سبعمائة فرسخ فى خمسمائة فرسخ (عمل برجان) الف اكار

الحسن فائقة الجودة عظيمة المنفعة واما العدد والهندسة فلم يقسم لنا فى هذا العلم نفاذ ولا تحققنا به فلسنا نثق بانفسنا فى تمييز الحسن من القصر فى المؤلفين فيه من اهل بلدنا الا أنى سمعت من اثق بعقله ودينه من اهل العلم ممن اتفق على رسوخه فيه يقول انه لم يؤلف فى الازياج مثل زيج مسلمة وزيج ابن السمح وهما من اهل بلدنا وكذلك كتاب / فاتقدم الى مثله فى معناه واما ذكرنا التآليف المستحقة للذكر والتى تدخل تحت السمة التى لا يؤلف عاقل عالم الا فى احدها وهى اما شئ يخترعه لم يسبق اليها يتمه او شئ مستغلق يشرحه او شئ طويل يختصره دون ان يخل بشئ من معانيه متفرق يجمعه او شئ مختلط يرتبه او شئ اخطأ فيه صاحبه يصلحه واما التآليف عن مراتب غيرها فلم نلتفت الى ذكرها وهى عندنا من تاليف اهل بلدنا اكثر علمها واما علم الكلام فان بلادنا وان كانت لم تجاذب فيها الخصوم ولا اختل النحل فقل لذلك تطرفهم فى هذا الباب فهى على كل حال غير عرية عنه وقد قوم يذهبون الى الاعتزال نظارا على اصوله ولهم فيه تآليف منهم خليل بن اسحق و السمينة والحاجب موسى بن حدير واخوه الوزير صاحب المظالم احمد وكان داعية الى ا لا يستتر بذلك ولنا على مذهبنا الذى تخيرناه من مذاهب اصحاب الحديث كتاب فى المعنى هو وان كان صغير الحرم قليل عدد الورق يزيد على المائتين زيادة يسيرة الفائدة لانا اسقطنا فيه المشاغب كلها واضربنا عن التطويل جملة واقتصرنا على البرا المنتخبة من المقدمات الصحاح الراجعة الى شهادة الحس وبديهة العقل بالصحة ولنا ما تحققنا به تآليف جمة منها ما قدمنا ومنها ما شارف التمام ومنها ما قد مضى منه صد ويعين الله تعالى على باقيه لم نقصد به قصد مباهاة فنذكرها ولا اردنا السمعة فنسميها والمر بها بنا اجل وجهه وهو ولى العون فيها والمالى بالجزاء عليها وما كان لله تعالى فسبي وحسبنا الله ونعم الوكيل وبلدنا هذا على بعده من ينبوع العلم ونأيه من محلة العلماء ذكرنا من تآليف اهله ما ان طلب مثلها بفارس والاهواز وديار مضر وديار ربيعة وا والشام اعوز وجود ذلك على قرب المسافة فى هذه البلاد من العراق التى هى دار هجرة الف وذويه ومراد المعارف وارباحها ونحن اذا ذكرنا ابا الاجرب جعونة بن الصمة الكلابى الشعر لم نباه به الاجراد الفرزدق لكونه فى عصرهما ولو انصف لاستشهد بشعره فهو على مذهب الاوائل لا على طريقة المحدثين واذا سمينا بقى بن مخلد لم نسابق به الا محمد بن اسمعيل البخارى ومسلم بن الحجاج النيسابورى وسليمان بن الاشعث السجستانى واحمد بن شعيب النسائى واذا ذكرنا قاسم بن محمد لم نباه به الا القفال ومحمد بن عقيل الفريابى وهو شريكهما فى صحبة المزنى بن ابراهيم والتلمذله واذا انتمينا عبد الله بن قاسم بن هلال ومنذر بن سعيد لم نجار بهما الا ابا الحسن بن المغلس والخلال والديباجى ورويم بن احمد وقد شاركهم عبد الله فى ابى سليمان وصحبته واذا اشرنا الى محمد بن عمرو بن لبابه وعمه محمد بن عيسى وفضل بن سلمة لم نقاطع بهم الا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومحمد بن سحنون ومحمد / بن عبدوس واذا صرحنا بذكر محمد بن يحيى الرياحى وأبى عبد الله محمد بن عاصم لم يقصرا عن

وخمسمائة فرسخ فى ثلثمائة فرسخ (عمل الصقالبة) ثلاثة آلاف وخمسمائة فرسخ فى أربعمائة فرسخ وعشرين فرسخا (عمل الروم) ثلاثة آلاف فرسخ فى سبعمائة فرسخ (عمل الاندلس) لعبد الرحمن ابن معاوية ثلثمائة فرسخ (عمل ادريس) الفاطمى ألف ومائتا فرسخ فى مائة وعشرين فرسخا (عمل فاس) لابى المنتصر اربعمائة فرسخ فى ثمانين فرسخا (عمل سجلماسة) الفان وخمسمائة فرسخ فى ستمائة فرسخ (عمل غانة) بلاد الذهب الف فرسخ فى ثمانين فرسخا (عمل ذمار) مائتا فرسخ فى ثمانين فرسخا (عمل بجلة) مائة فرسخ وعشرون فرسخا فى ستين فرسخا (عمل واح) ستون فرسخا فى أربعين فرسخا (عمل البجه) مائتا فرسخ فى ثمانين فرسخا (عمل النجاشى) ألف وخمسمائة فرسخ فى أربعمائة فرسخ بالمغرب (عمل الزنج) بالمشرق وبلاد صعدة ألف وستمائة فرسخ فى مائتين وخمسين فرسخا فذلك الطول اثنان وسبعون ألفا وأربعمائة وثمانون فرسخا والعرض خمسة وعشرون ألفا ومائتان وخمسون فرسخا وأما الكلام فى وصف أصول

أكابر أصحاب محمد بن يزيد المبرد ولو لم يكن لنا من فحول الشعراء الا أحمد بن محمد بن دراج القسطلى لما تأخر عن شأو بشار وحبيب والمتنبى فكيف ولنا معه جعفر بن عثمان الحاجب وأحمد بن عبد الملك بن مروان وأغلب بن شعيب ومحمد بن شخيص وأحمد بن فرج وعبد الملك ابن سعيد المرادى وكل هؤلاء فحل يهاب جانبه وحصان يمسح الغرة ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا وهو حى بعد لم يبلغ سن الاكتهال وله من التصرف فى وجوه البلاغة وشعابها مقدار ما يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لسانى عمرو وسهل ومحمد ابن عبد الله بن مسرة فى طريقه التى سلك فيها وان كنا لا نرضى مذهبه فى جماعة يكثر تعدادهم وقد انتهى ما اقتضاه خطاب الكاتب رحمه الله تعالى من البيان ولم نتزيد فيما رغب فيه الا ما دعت الضرورة الى ذكره لتعلقه بجوابه والحمد لله الموفق للعلم والهادى الى الشريعة المزلفة منه والموصلة وصلى الله على محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وسلم شرف وكرم انتهت الرسالة * وكتب الحافظ ابن حجر على هامش قوله فيها وانا ساكن على الكوفة خمسة أعوام وأشهرا ما نصه صوابه أربعة أعوام انتهى * وقال ابن سعيد بعد ذكره هذه الرسالة ما صورته رأيت أن أذيل ما ذكره الوزير الحافظ أبو محمد بن حزم من مفاخر أهل الاندلس بما حضرنى والله تعالى ولى الاعانة * أما القرآن فمن أجل ما صنف فى تفسيره كتاب الهداية الى بلوغ النهاية فى نحو عشرة أسفار صنفه الامام العالم الزاهد أبو محمد مكى بن أبى طالب القرطبى وله كتاب تفسير اعراب القرآن وعد ابن غالب فى كتاب فرحة الانفس تأليف مكى المذكور فبلغ بها ٧٧ تأليفا وكانت وفاته سنة ٤٣٧ ولابى محمد بن عطية غرناطى فى تفسير القرآن الكتاب الكبير الذى اشتهر وطار فى الغرب والشرق وصاحبه من فضلاء المائة السادسة وأما القراآت فلمكى المذكور فيها كتاب التبصرة وكتاب تيسير لابى عمرو الدانى مشهور فى أيدى الناس وأما الحديث فكان بعصرنا فى المائة الرابعة الامام أبو الحسن على بن القطان القرطبى الماكن بحضرة مراكش وله فى تفسير البيهقى وفى رجاله مصنفان واليه كانت النهاية والاشارة فى عصرنا وسمعت انه كان يشتغل بجمع أمهات كتب الحديث المشهورة وحذف المكرر وكتاب رزين بن عمار السرقسطى فى جمع ما يتضمنه كتاب مسلم والبخارى والموطا والسنن والنسائى والترمذى كتاب جليل مشهور فى أيدى الناس بالمشرق والمغرب وكتاب الاحكام لابى محمد عبد الحق الاشبيلى مشهور متداول القراءة وهى أحكام كبرى وأحكام صغرى قيل ووسطى وكتاب الجمع بين الصحيحين للحميدى مشهور وأما الفقه فالكتاب المعتمد عليه الآن الذى ينطلق عليه اسم الكتاب عند المالكية حتى بالاسكندرية فكتاب التهذيب للبراذعى السرقسطى وكتاب النهاية لأبى الوليد بن رشد كتاب جليل معظم معتمد عليه عند المالكية وكذلك كتاب المنتقى للباجى واما اصول الدين واصول الفقه فللامام أبى بكر ابن العربى الاشبيلى من ذلك ما منه كتاب العواصم والقواصم المشهور بايدى الناس وله تصانيف غير هذا ولابى الوليد بن رشد فى أصول الفقه ما منه مختصر المستصفى وأما التواريخ فكتاب ابن حيان الكبير المعروف بالمتين فى نحو ستين مجلدة وانما ذكر ابن حزم

الطب وهل ذلك ماخوذ من طريق الرياضة والقياس أو من غيره ووصف تنازع الناس فى ذلك فلم نتعرض لايراده فى هذا

من هذا الكتاب في أخبار الواثق على ايضاح جرى بحضرته وقد حضر مجلسه حنين بن اسحق وابن ماسويه وغيرهم من الفلاسفة والمتطببين فاغنى ذلك عن ايراده في هذا الباب ولولا أن الكتاب يرد على اغراض من الناس لماهم عليه من اختلاف الطبائع والتباين في المراد لما ذكرنا مايورد فيه من أنواع العلوم وفنون الاخبار وقد يلحق الانسان الملل بقراءته مالا تهوى نفسه فينتقل منه الى غيره فقصدنا فيه من سائر ما يحتاج الناس من ذوي المعرفة الى علمه ولما تغلغل بنا الكلام في نظمه وتشعبه واتصاله بغيره من المعاني مما لم يتقدم ذكره وقد اتينا على مبسوط سائر ما ذكرناه على الاتساع والايضاح في كتابنا اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط والله تعالى اعلم

(ذكر البيوت المعظمة والهياكل المشرفة وبيوت النيران والاصنام وذكر الكواكب وغير ذلك من عجائب العالم)

كان كثير من اهل الهند والصين وغيرهم من الطوائف

كتاب المقتبس وهو في عشر مجلدات والمتين يذكر فيه أخبار عصره ويعين فيها مما شاهده ومنه ينقل صاحب الذخيرة وقد ذيل عليه أبو الحجاج البياسي أحد معاصرينا وهو الآن بافريقية في حضرتها تونس عند سلطانها تحت احسانه الغمر وكتاب المظفر بن الافطس ملك بطليوس المعروف بالمظفري نحو كتاب المتين في الكبر وفيه تاريخ على السنين وفنون آداب كثيرة وتاريخ ابن صاحب الصلاة في الدولة اللمتونية وذكر ابن غالب ان ابن الصيرفي الغرناطي له كتاب في أخبار دولة لمتونة وأن ابا الحسن المالمي له كتاب في أخبار الفتنة الثانية بالاندلس بدأ من سنة ٥٠٩ ورتبه على السنين وبلغ به سنة ٥٤٧ وأبو القاسم خلف بن بشكوال له كتاب في تاريخ أصحاب الاندلس من فتحها الى زمانه وأضاف الى ذلك من أخبار قرطبة وغيرها ما جاء في خاطره وله كتاب الصلة في تاريخ العلماء وللحميدي قبله جذوة المقتبس وقد ذيل كتاب الصلة في عصرنا هذا أبو عبد الله بن الابار البلنسي صاحب كتاب سلطان افريقية وذكر ابن غالب أن الفقيه أبا جعفر بن عبد الحق الخزرجي القرطبي له كتاب كبير بدأ فيه من بدء الخليقة الى أن انتهى في أخبار الاندلس الى دولة عبد المؤمن قال وفارقته سنة ٥٦٥ وأبو محمد بن حزم صاحب الرسالة المتقدمة الذكر له كتاب جمهرة في التواريخ مثل كتاب نقط العروس في تواريخ الخلفاء وقد صنف أبو الوليد بن زيدون كتاب التبيين في خلفاء بني أمية بالاندلس على منزع كتاب التعيين في خلفاء المشرق للمسعودي وللقاضي ابي القاسم صاعد بن أحمد الطليطلي كتاب التعريف باخبار علماء الامم من العرب والعجم وكتاب جامع أخبار الامم وأبو عمر بن عبد البر له كتاب القصد والامم في معرفة أخبار العرب والعجم وعريب بن سعيد القرطبي له كتاب اختصار تاريخ الطبري قد سعد باغتباط الناس به وأضاف اليه تاريخ افريقية والاندلس ولاحمد ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن الفياض كتاب العبر وكتاب أبي بكر الحصين بن محمد الزبيدي في أخبار النحويين واللغويين بالمشرق والاندلس وكتاب القاضي أبي الوليد الفرضي في أخبار العلماء والشعراء وما يتعلق بذلك وليحيى بن حكم الغزال تاريخ الفه كله منظوما كما صنع أيضا بعده أبو طالب المتنبي من جزيرة شقر في التاريخ الذي أورد منه صاحب الذخيرة ما أورد وكتاب الذخيرة لابن بسام في جزيرة الاندلس ليس هذا محل الاطناب في تفضيلها وهي كالذيل على حدائق ابن فرج وفي عصرها صنف الفتح كتاب القلائد وهو مملوء بلاغة والمحاكمة بين الكتابين ذكرت بمكان آخر ولصاحب القلائد كتاب المطمح وهو ثلاث نسخ كبرى ووسطى وصغرى يذكر فيها من الذين ذكرهم في القلائد ومن غيرهم الذين كانوا قبل عصرهم وكتاب سمط الجمان وسقط المرجان لابي عمرو بن الامام بعد الكتابين المذكورين ذكر من أخلا بتوفيته حفه من الفضلاء واستدرك من أدركه بعصره في بقية المائة السادسة وذيل عليه وان كان ذيلا تصيرا أبو بحر صفوان بن ادريس المرسي بكتاب زاد المسافر ذكر فيه جماعة ممن أدرك المائة السابعة وكتاب أبي محمد عبد الله بن ابراهيم الحجاري المسمى بالمسهب في فضائل المغرب صنفه بعد الذخيرة والقلائد من أول ما عمرت الاندلس الى عصره وخرج فيه عن مقصد الكتابين الى ذكر البلاد وخواصها

مما يختص بعلم الجغرافيا وخلطه بالتاريخ وتفنن الادب على ما هو مذكور في غير هذا المكان ولم يصنف في الاندلس مثل كتابه ولذلك فضله المصنف له عبد الملك بن سعيد وذيل عليه ثم ذيل على ذلك ابناه أحمد ومحمد ثم موسى بن محمد ثم علي بن موسى كاتب هذه النسخة ومكمل كتاب ذلك الادب المحيط بحلى لسان العرب المحتوى على كتابي المشرق في حلى المشرق والمغرب في حلى المغرب فيكفي الاندلس في هذا الشان تصنيف هذا الكتاب بين ستة أشخاص في ١١٥ سنة آخرها سنة ٦٤٥ وقد احتوى على جميع ما يذاكر به ويحاضر بخلاه من فنون الادب المختارة على جهد الطاقة في شرق وغرب على النوع الذي هو مذكور في غير هذا الموضع ومن أغفلت التنبيه على عصره وغير ذلك من المصنفين المتقدمي الذكر فيطلب الملتمس منهم في مكانه المنسوب اليه كابن بسام في شنترين والفتح في اشبيلية وابن الامام في استجة والحجاري في وادي الحجارة * وأما ما جاء منثورا من فنون الادب فكتاب سراج الادب لابي عبد الله بن أبي الخصال الشقوري رئيس كتاب الاندلس صنفه على منزع كتاب النوادر لابي علي وزهر الآداب للحصري وكتاب واجب الادب لوالد موسى بن محمد بن سعيد واسمه يغني عن المراد به وكتاب اللآلئ لابي عبيد البكري على كتاب الامالي لابي علي البغدادي مفيد في الادب وكذلك كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابي محمد بن السيد البطليوسي وأما شرح سقط الزند له فهو الغاية ويكفي ذكره عند أرباب هذا الشان وثناؤهم عليه وشروح أبي الحجاج الاعلم لشعر المتنبي والحماسة وغير ذلك مشهورة * وأما كتب النحو فلاهل الاندلس من الشروح على الجمل ما يطول ذكره فمنها شرح ابن خروف ومنها شرح الرندي ومنها شرح شيخنا أبي الحسن بن عصفور الاشبيلي واليه انتهت علوم النحو وعليه الاحالة الآن من المشرق المغرب وقد أتيت له من افريقية بكتاب المقرب في النحو فتلقي باليمين من كل جهة وطار بجناح لاغتباط ولشيخنا أبي علي الشلوبين كتاب التوطئة على الجزولية وهو مشهور ولابن السيد وابن الطراوة والسهيلي من التقييدات في النحو ما هو مشهور عند أصحاب هذا الشان تعتمد عليه ولابي الحسن بن خروف شرح مشهور على كتاب سيبويه * وأما كتب علم بغرافيا فيكفي في ذلك كتاب المسالك والممالك لابي عبيد البكري الاوبني وكتاب معجم الاستعجم من البقاع والاماكن وفي كتاب المسهب للحجاري في هذا الشان وتذييلنا عليه في هذا الكتاب الجامع ما جمع بد الاولين والآخرين * وأما كتب علم الاوسط فكتاب أبي بكر بن باجة الغرناطي في ذلك فيه كفاية وهو في المغرب بمنزلة أبي نصر الفارابي المشرق واليه تنسب الالحان المطربة بالاندلس التي عليها الاعتماد ولحيي الخدج المرسي كتاب الاغاني الاندلسية على منزع الاغاني لابي الفرج وهو ممن أدرك المائة السابعة وأما كتب الطب فالمشهور بأيدي الناس الآن في المغرب وقد سار أيضا في المشرق لنبله كتاب التيسير لعبد الملك بن أبي العلاء بن زهر وله كتاب الاغذية أيضا مشهور معتبطه المغرب والمشرق ولابي العباس بن الرومية الاشبيلي من علماء عصرنا بهذا الشان كتاب في الادوية المفردة وقد جمع أبو محمد المالقي الساكن الآن بقاهرة مصر كتابا في هذا

فدعاهم ذلك الى أن اتخذوا تماثيل وأصناما على صورة الباري عز وجل وبعضها على صورة الملائكة مختلفة القدود والاشكال ومنها على صورة الانسان وعلى خلافها من الصور يعبدونها ويقربوا لها القرابين ويذبحوا لها النذور لشبهها عندهم بالباري تعالى وقربها منه فاقاموا على ذلك برهة من الزمان وجملة من الاعصار حتى نبههم بعض حكمائهم على أن الافلاك والكواكب أقرب الاجسام المرئية الى الله تعالى وأنها حية ناطقة وأن الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله وأن كل ما يحدث في هذا العالم فانما هو على قدر ما تجري به الكواكب على أمر الله فعظموها وقربوا لها القرابين لتنفعهم فكثروا على ذلك دهرا فلما رأوا الكواكب تختفي بالنهار وفي بعض أوقات الليل لما يعرض في الجو من السواتر امر دد بعض من كان فيهم من حكمائهم ان يجعلوا لها اصناما وتماثيل على صورها واشكالها فجعلوا لها اصناما وتماثيل بعدد الكواكب الكبار المشهورة وكل صنف منهم يعظم كوكبا منها ويقرب لها نوعا من القربان خلاف ما للآخر على أنهم اذا

الشان حشر عليه ما سمع به فقد رعليه من تصانيف الادوية المفردة كالكتاب الغافقي و كتاب الزهراوي و كتاب الشريف الادريسي الصقلي وغيرها وضبطه على حروف المعجم وهو النهاية في مقصده * وأما كتب الفلسفة فامامها في عصرنا أبو الوليد بن رشد القرطبي وله فيها تصانيف جمدها لما رأى انحراف منصور بني عبد المؤمن عن هذا العلم وسجنه بسببها وكذلك ابن حبيب الذي قتله المأمون بن المنصور المذكور على هذا العلم باشبيلية وهو علم عقوت بالاندلس لا يستطيع صاحبه اظهاره فلذلك تخفى تصانيفه * وأما كتب التنجيم فلابن زيد الاسقف القرطبي فيه تصانيف وكان مختصا بالمستنصر بن الناصر المرواني وله ألف كتاب تفضيل الازمان ومصالح الابدان وفيه من ذكر منازل القمر وما يتعلق بذلك ما يستحسن مقصده وتقريبه وكان مطرف الاشبيلي في عصرنا قد اشتغل بالتصنيف في هذا الشان الا أن أهل بلده كانوا ينسبونه الى الزندقة بسبب اعتكافه على هذا الشان فكان لا يظهر شيأ مما يصنف ثم قال ابن سعيد أخبرني والدي قال كنت يوما في مجلس صاحب سبتة أبي يحيى بن أبي زكرياء صهر ناصر بني عبد المؤمن فجرى بين أبي الوليد الشقندي وبين أبي يحيى بن المعلم الطنجي نزاع في التفضيل بين البرين فقال الشقندي لولا الاندلس لم يذكر البر العدوة ولا سارت عنه فضيلة ولولا التوقير للمجلس لقلت ما تعلم فقال الامير أبو يحيى أتريد أن تقول كون أهل برنا عربا و أهل بركم بربر فقال حاش لله فقال الامير والله ما أردت غير هذا فظهر في وجهه انه أراد ذلك فقال ابن المعلم أتقول هذا و ما الملك والفضل الا من بر العدوة فقال الامير الرأي عندي أن يعمل كل واحد منكما رسالة في تفضيل بره فالكلام هنا يطول و يمرضنا عا و أرجو اذا خليتماله فكر كما يصدر عنكما يحسن تخليده ففعلا ذلك فكانت رسالة الشقندي الحمد لله الذي جعل لمن يفخر بالاندلس أن يتكلم مل ء فيه ويطنب ماشا فلا يجد من يعترض عليه ولا من يثنيه اذ لا يقال للنهار يا مظلم ولا لوجه النعيم يا قبيح

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

أحمده على أن جعلني ممن أنشأه وحبانى بان كنت ممن أظهرته فامتد في الفخر باع وأعانني على الفضائل كرم طباعي وأصلي على سيدنا محمد نبيه الكريم وعلى آله وصحبه الاكرمين وأسلم تسليما أما بعد فانه حرك مني ساكنا وملأ مني فارغا فخرجت عن سجية في الاعضاء مكرها الى الحمية والاباء منازع في فضل الاندلس أراد أن يخرق الاجماع ويأتي بما لم تقبله النواظر والاسماع اذ من رأى ومن سمع لا يجوز عنده ذلك ولا يضل من تاه في تلك المسالك رام ان يفضل بر العدوة على بر الاندلس فرام ان يفضل على اليمين اليسار و يقول الليل اضوأ من النهار فيا عجبا كيف قابل العوالي بالزجاج وصاد الصقاة بالزجاج فيا من نفخ في غير ضرم ورام صيد البزاة بالرخم كيف تنكر بما جعل الله قليلا وتتعزز بما حكم الله ان يكون ذليلا ما هذه المباهتة التي لا تجوز كيف تبدو أمام الفتاة العجوز سل العيون الى وجه من تميل واستخبر الاسماع الى حديث من تصغى

لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم

اقن حياءك ايها المغرد بالتحبب المتزين بالخلق المتحبب الى الغواني بالمشيب الخضيب

عظموا ما صوروا من وبنوا الكل صنم بيتا وهيكلا مفردا وسموا تلك الهياكل باسماء تلك الكواكب (وقد ذهب قوم) الى أن البيت الحرام على مرور الدهور معظم في سائر الاعصار لانه بيت زحل وأن زحل تولاه ولا زحل من شانه البقاء والثبوت فما كان له فغير زائل ولا داثر وعن التعظيم غير خامل وذكروا أمورا أعرضنا عن ذكرها لشناعة وصفها ولما طال عليهم العهد عبدوا الاصنام على أنها تقربهم الى الله وألفوا عبادة الكواكب فلم يزالوا على ذلك حتى ظهر بوداسف بارض الهند وكان هنديا خرج من أرض الهند الى السند ثم سار الى بلاد سجستان وبلاد زابلستان وهي بلاد فيروز بن كيك ثم دخل السند الى كرمان فتنبأ وزعم أنه رسول الله وأنه واسطة بين الله و بين خلقه وأتى أرض فارس وذلك في أوائل ملك طيمورث ملك فارس وقيل ذلك في حمر سند وهو أول من أظهر مذاهب الصابئة على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وقد كان بوداسف أمر الناس بالزهد في هذا العالم والاشتغال بما علا من العوالم اذ كان من هنالك بدو النفوس واليها يقع أين

اين عزب عقلك وكيف نكص على عقبه فهمك ولبك ابلغت العصبية من قلبك أن تطمس على نورى بصرك ولبك اما قولك الملوك منا فقد كان الملوك منا ايضا ومانحن الا كما قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

ان كان الآن كرسى جميع بلاد المغرب عندكم بخلافة بنى عبد المؤمن ادامها الله تعالى فقد كان عندنا بخلافة القرشيين الذين يقول فيهم مشرقيهم

وانى من قوم كرام اعزة * لأقدامهم صيغت رؤس المنابر
خلائف فى الاسلام فى الشرك قادة * بهم والهم فخر كل مفاخر

و يقول مغربيهم

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت * بنا الحال او دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وقد نشأ فى مدتهم من الفضلاء والشعراء ما اشتهر فى الآفاق وصار اثبت فى صحائف الايام فى اعناق الحمام من الاطواق

وسار مسير الشمس فى كل بلدة * وهب هبوب الريح فى البر والبحر

ولم تزل ملوكهم فى الاتساق كما قيل

ان الخلافة فيكم لم تزل نسقا * كالعقد منظومة فيه فرائده

الى ان حكم الله بنثر سلكهم وذهاب ملكهم فذهبوا وذهبت اخبارهم ودرسوا ودرست آثارهم

جمال ذى الارض كانوا فى الحياة وهم * بعد الممات جمال الكتب والسير
فكم مكرمة نالوها وكم عثرة أقالوها

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

وكان من حسنات ملكهم المنصور بن أبى عامر وما أدراك الذى بلغ فى بلاد النصارى غازيا الى البحر الاخضر ولم يترك أسيرا فى بلادهم من المسلمين ولم يبرح فى جيش الهرقل وعزمة الاسكندر ولما قضى نحبه كتب على قبره

آثاره تنبيك عن أوصافه * حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتى الزمان بمثله * أبدا ولا يحمى الثغور سواه

وقد قيل فيه من الامداح وألف له من الكتب ما سمعت وعلمت حتى قصد من بغداد وعم خيره وشره أقاصى البلاد ولما ثار بعد انتشار هذا النظام ملوك الطوائف وتفرقوا فى البلاد كان فى تفرقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد اذ نفقت اسوق العلوم وتباروا فى المثوبة على المنثور والمنظوم فما كان أعظم مباهاتهم الاقول العالم الفلانى عند الملك الفلانى والشاعر الفلانى مختص بالملك الفلانى وليس منهم الا من بذل وسعه فى المكارم ونبهت الامداح من مآثره ما ليس طول الدهر بناشم وقد سمعت ما كان من القتيان العامريه بمجاهد ومنذر وخيران وسمعت عن الملوك العربية بنو عباد و بنو

والسجود لها الشبه ذكرها وقرب الى عقولهم عبادتها بضروب من الحيل والخدع وذكروا الخبرة بشان هذا العالم وأخبار ملوكهم انه اول من عظم النار ودعا الناس الى تعظيمها وقال انها تشبه ضوء الشمس والكواكب لان النور عنده افضل من الظلمة وجعل للنور مراتب (ثم تنازع هؤلاء) بعده فعظم كل فريق منهم ما يرون تعظيمه من الاسماء تقربا الى الله بذلك ثم تنازعوا برهة من الزمان (ونشأ عمرو بن لحى) فسار بقومه الى مكة واستولى على امر البيت ثم سار الى مدينة البلقاء من عمل دمشق من ارض الشام فرأى قوما يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه ارباب نتخذها نستنصر بها فنصر ونستسقى بها فنسقى وكل من سألها يعطى فطلب منهم صنما يدعونه هبل فاربه الى مكة ونصبه على الكعبة ومعه اساف ونائلة ودعا الناس الى تعظيمها وعبادتها ففعلوا ذلك الى ان اظهر الله الاسلام و بعث محمدا عليه السلام فطهر البلاد وانقذ العباد (وقد قال هؤلاء) ان البيت الحرام من البيوت السبعة المعظمة المتخذة على أسماء الكواكب من النيرين والخمسة (و بيت عمان) معظم

على رأس جبل باصبهان يقال له مارس وكانت فيه اصنام الى ان اخرجها منه يستاسف الملك لما تجبس وجعله

صمادح وبنو الافطس وبنو ذى النون وبنو هود كل منهم قد خلد فيه من الامداح مالو مدح به الليل لصار أضوأ من الصباح ولم تزل الشعراء تتهادى بينهم تهادى النواسم بين الرياض وتقتطف من أموالهم فتكة البراض حتى ان أحد شعرائهم بلغ به ما رآه من مناقستهم فى أمداحه أن حلف أن لا يمدح أحدا منهم بقصيدة الا بمائة دينار وان المعتضد بن عباد على ما اشتهر من سطوته وافراط هيبته كلفه أن يمدحه بقصيدة فابى حتى يعطيه ما شرطه فى قسمه ومن أعظم ما يحكى من المكارم التى لم نسمع لها أختا ان أبا غالب اللغوى ألف كتابا فبذل له مجاهد العامرى ملك دانية ألف دينار ورم كوباو كسا على أن يجعل الكتاب باسمه فلم يقبل ذلك أبو غالب وقال كتاب الفتيه لينتفع به الناس وأخلد فيه همتى أجعل فى صدره اسم غيرى وأصرف الفخر له لا أفعل ذلك فلما بلغ هذا مجاهدا استحسن انفته وهمته وأضعف له العطاء وقال هو فى حل من أن يذكرنى فيه لانصده عن غرضه وان كان كل ملوك الاندلس المعروفين بملوك الطوائف قد تنازعوا فى ملاءة الحضر فانى أخص منهم بنى عباد كما قال الله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان فان الايام لم تزل بهم كأعياد وكان لهم من الحنو على الادب مالم يتم به بنو حمدان فى حلب وكانوا هم وبنوهم ووزراؤهم صدورا فى بلاغتى النظم والنثر مشاركين فى فنون العلم وآثارهم مذكورة وأخبارهم مشهورة وقد خلدوا من المكارم التامة ما هو متردد فى ألسن الخاصة والعامة وبالله الا سميت لى بمن تفخرون قبل هذه الدعوة المهدية أبسقموت الحاجب أم بصالح البرغواطى أم بيوسف بن تاشفين الذى لولا توسط ابن عباد لشعراء الاندلس فى مدحه ما أجروا له ذكرا ولا رفعوا للملكه قدرا وبعد ما ذكروه بوساطة المعتمد بن عباد فان المعتمد قال له وقد انشدوه أيعلم أمير المسلمين ما قالوه قال لا أعلم ولكنهم يطلبون الخير ولما انصرف عن المعتمد الى حضرة ملكه كتب له المعتمد رسالة فيها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا

فلما قرئ عليه هذان البيتان قال للقارئ يطلب منا جوارى سودا و بيضا قال لا يا مولانا ما أراد الا أن ليله كان بقرب أمير المسلمين نهارا الان ليالى السرور بيض فعاد نهاره ببعده ليلا لان ليالى الحزن ليالى سود فقال والله جيدا كتب له فى جوابه ان دموعنا تجرى عليه ورؤسنا توجعنا من بعده فليت العباس بن الاحنف قد عاش حتى يتعلم من هذا الفاضل رقة الشوق

ولا تنكرن مهما رأيت مقدما * على حر بغما لائم تناسب
فاسكتوا فلولا هذه الدولة لما كان لكم على الناس صولة
وان الورد يقطف من قتاد * وان النار تقبس من رماد

وانك ان تعرضت للمناضلة بالعلماء فاخبرنى هل لكم فى الفقه مثل عبد الملك بن حبيب الذى يعمل باقواله الى الآن ومثل ابى الوليد الباجى ومثل أبى بكر بن العربى ومثل أبى الوليد بن رشد الاكبر ومثل أبى الوليد بن رشد الاصغر وهو ابن الاكبر نجوم الاسلام ومصابيح شريعة

بيت نار وذلك على ثلاثة فراسخ من اصبهان وهذا البيت معظم عند المجوس الى هذه الغاية (والبيت الثالث) يدعى سندوساب ببلاد الهند وله قرابين تقرب وفيه احجار المغناطيس الجاذبة والرافعة والمنفردة من اوصاف لا يسعنا الاخبار عنها فمن اراد أن يبحث عن ذكرها فليبحث فانه بيت مشهور ببلاد الهند (والبيت الرابع) هو البوبهار الذى بناه منوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر وكان من يلى سدانته تعظمه الملوك فى ذلك الصقع وتنقاد الى امره وترجع الى حكمه وتحمل اليه الاموال وكانت عليه وقوف وكان الموكل بسدانته يدعى البرمك وهو سمة عامة لكل سدنته ومن أجل ذلك سميت البرامكة لان خالد ابن برمك كان من ولد من كان على هذا البيت وكان بنيان هذا البيت من أعلى البنيان تشييدا وكان تنصب على أعلاه الرماح عليها اشقاق الحرير الاخضر طول الشقة مائة ذراع فما دونها قد نصب لذلك رماح وخشب تدفع قوة الريح عما عليها من الحرير فيقال والله أعلم ان الريح خطفت يوما من بعض تلك الشقاق

لصين بناه ولد عابور بن يعويل بن يافث بن نوح وافرده للعلة الاولى اذ كان منشأ هذا الملك وعمده وباعث الامور اليه وقيل انما بناه بعض ملوك الترك فى قديم الزمان وجعله سبعة ابيات فى كل بيت منها سبع كوى يقابل كل كوة صورة منصوبة على صورة من الخمسة والنيرين من انواع الجواهر المضافة الى تاثير تلك الكواكب من ياقوت اوزمرذ على اختلاف الوان الجواهر ولهم فى هذا الهيكل سر يسرونه فى بلاد الصين بما قد زخرف لهم فيه القول وزينه لهم الشيطان ولهم فى هذا الهيكل علوم فى اتصال الاجسام السماوية وأفعالها بعالم الكون الذى تحدثه وما يحدث فيه من الحركات والافعال عند تحرك الاجسام السماوية فى هذا العالم وهو على حسب الذى نسج فيه بنصب من حركات الطبائع بتلك الخشب والخيوط الابريسم تحدث ضروب من الحركات فاذا اتصلت أفعاله وتواترت حركاته من النسج للثوب الديباج تمت الصورة فيه فيضرب من الحركات يظهر جناح طائر وبآخر رأسه وبآخر جلاه فلا يزال كذلك حتى تتم الصورة

لمعاقل من سوسن قد شيدت * أيدى الربيع بناءها فوق القضب
شرفاتها من فضة وجماتها * حول الاميرلهم سيوف من ذهب

وهل من شعرائكم من تعرض لذكر العفة فاستنبط ما يسحر به السحر ويطيب به الزهر وهو ابو عمرو بن فرج فى قوله

وطائعة الوصال عففت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت فى الليل سافرة فباتت * دياجى الليل سافرة القناع
ومامن لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعى
فلما كت النهى حجاب شوقى * لأجرى فى العفاف على طباعى
وبت بها مبيت السقب يظما * فيمنعه العكام من الرضاع
كذلك الروض ما فيه لمثلى * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فأتخذ الرياض من المراعى

وهل بلغ أحد من مشبهى شعرائكم أن يقول مثل قول أبى جعفر الماى

عارض أقبل فى جنح الدجا * يتهادى كتهادى ذى الوجا
بددت ريح الصبا لؤلؤه * فانبرى يوقد عنها سرجا

مثل قول أبى حفص بن برد

وكأن الليل حين لوى * ذاهبا والصبح قد لاحا
كلة سوداء احرقها * عامد أسرج مصباحا

وهل منكم من وصف ما تحدثه الخمرة من الحمرة على الوجنة بمثل قول الشريف الطليق

أصبحت شمسا وفوه مغربا * ويد الساقى المحيى مشرقا
واذا ما غربت فى فمه * تركت فى الخد منه شفقا

بمثل هذا الشعر فليطلق اللسان ويفخر على كل انسان وهل منكم من عمد الى قول امرئ القيس

سموت اليها بعد ما نام أهلها * سموّ حباب الماء حالا على حال

فاختلسه اختلاس النسيم لنفحة الازهار وسلبه بلطف استلاب الشمس لرضاب طل الاسحار فلطفه تلطيفا يمتزج بالارواح ويغنى فى الارتياح عن شرب الراح وهو ابن شهيد فى قوله

ولما تملأ من سكره * ونام ونامت عيون الحرس
دنوت اليه على قربه * دنو رفيق درى ما التمس
أدب اليه دبيب الكرى * وأسمو اليه سموّ النفس
أقبل منه بياض الطلى * وأرشف منه سواد اللعس
فبت به ليلتى ناعما * الى أن تبسم ثغر الغلس

وقد تناول هذا المعنى ابن أبى ربيعة على عظم قدره وتقدمه فعارض الصهيل بالنهاق وقابل العذب بالزعاق فقال ولينه سكت

على حسب مراد الصانع فجعلوا هذا المثال واتصال الابريسم بآلة النسج وما يحدثه الصانع فى ذلك من الافعال مثالا لما

ونقصت عنى العين أقبلت مشية الحباب وركنى خيفة القوم أزور
وأنا أقسم لو زار رجل محبوبة له لكان ألطف فى الزيارة من هذا الازور الركن المنقص للعيون لكنه ان أساء هنا فقد أحسن فى قوله

قالت لقد أعييتنا حجة * فأت اذا ما هجع الساهر
واسقط علينا كسقوط الندى * ليلة لاناه ولازاجر

ولله در محمد بن سفر أحد شعراء المتأخرين عصرا المتقدمين قدرا حيث نقل السعى الى محبوبته فقال وليته لم يزل يقول مثل هذا فمثله ينبغى أن يتكلم ومثله يليق أن يدون

وواعدتها والشمس تجنح للنوى * بزورتها شمسا وبدرا الدجى يسرى
فجاءت كما يمشى سنى الصبح فى الدجى * وطورا كما مر النسيم على النهر
فعطرت الآفاق حولى فاشعرت * بمقدمها والعرف يشعر بالزهر
فتابعت بالتقبيل آثار سعيها * كما يتقصى قارئ أحرف السطر
فبت بها والليل قد نام والهوى * تنبه بين الغصن والحقف والبدر
أعانقها طورا وألثم تارة * الى أن دعتنا للنوى رابة الفجر
ففضت عقود المعانق بيننا * فيا ليلة القدر اتركى ساعة النفر

وهل منكم من قيد بالاحسان فأطلق لسانه الشكر فقال وهو ابن اللبانة

بنفسى وأهلى جيرة ما استعفتهم * على الدهر الا واثنيت معانا
أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى * فلم أستطع من أرضهم طيرانا

ومن يقول وقد قطع عنه ممدوحه ما كان يعتاده منه من الاحسان فقابل ذلك بقلة مدحه له فبلغه أنه عتبه على ذلك وهو ابن وضاح

هل كنت الا طائرا بثنائكم * فى دوح مجدكم اقوم واقعد
ان تسلبونى ريشكم وتقلصوا * عنى ظلالكم فكيف اغرد

وهل منكم شاعر راى الناس قد ضجوا من سماع تشبيه الثغر بالاقاح وتشبيه الزهر بالنجوم وتشبيه الخدود بالشقائق فتلطف لذلك فى ان يأتى به فى منزع يصير خلقه فى الاسماع جديدا وكليله فى الافكار حديدا فأغرب احسن اغراب واعرب عن فهمه بحسن تخيله انبل اعراب وهو ابن الزقاق

واغيد طاف بالكؤس ضحا * وحثها والصباح قد وضحا
والروض اهدى لناشقائقه * وآسه العنبرى قد نفحا
قلنا واين الاقاح قال لنا * اودعته ثغر من سقى القدحا
فظل ساقى المدام يجعدها * قال فلما تبسم افتضحا

وقال

ادير اها على الروض الندى * وحكم الصبح فى الظلماء ماضى
وكاس الراح تنظر عن حباب * ينوب لنا عن الحدق المراض
وما غربت نجوم الافق لكن * نقلن من السماء الى الرياض

(ذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين)

البيوت المضاف بناؤها الى من سلف من اليونانيين ثلاثة بيوت فبيت منها كان بانطاكية من ارض الشام على جبل بها داخل المدينة والسور محيط بها وقد جعل المسلمون فى موضعه مرقبا لينذرهم من قد رتب فيه من الرجال بالروم اذا وردوا من البر او البحر وكانوا يعظمونه ويقربون فيه القرابين فخرب عند مجىء الاسلام وقد قيل ان قسطنطين الاكبر بن هيلانه

وقال

ورياض من الشقائق اضحت * يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلد منها * زهرات تروق لون الراح
قلت فاذ نبهـا فقال مجيبا * سرقت جمرة الخدود الملاح

فانظر كيف زاحم بهذا الاختيال المخترعين وكيف سابق بهذا اللفظ المبتدعين وهل منكم من برع في اوصاف الرياض والمياه وما يتعلق بذلك فانتهى الى غاية السباق وفضح كل من طمع بعده في اللحاق وهو ابو اسحق بن خفاجة القائل

وعشي انس اضجعتني نشوة * فيها يهدهدني ويدمث
خلعت على بها الاراكة ظلها * والغصن يصغي والحمام يحدث
والشمس تجنح للغروب مريضة * والرعد يرقى والغمامة تنفث

والقائل

لله نهر سال في بطحاء * أشهى ورودا من لمى الحسناء
متعطف مثل السوار كانه * والزهر يكنفه مجر سماء
قدرق حتى ظن قرصا مفرغا * من فضة في بردة خضراء
وغدت تحفه به الغصون كانها * هدب تحف بمقلة زرقاء
ولطالما عاطيت فيه مدامة * صفراء تخضب أيدي الندماء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى * ذهب الاصيل على لجين الماء

والقائل

حث المدامة والنسيم عليل * والظل خفاق الرواق ظليل
والروض مهتز المعاطف نعمة * نشوان تعطفها الصبا فيميل
ريان فضضه الندى ثم انجلى * عنه فذهب صفحتيه أصيل

والقائل

أذن الغمام بديمة وعقار * فامزج لجينا منهما بنضار
وار بع على حكم الربيع باجرع * هزج الندامى مفصح الاطيار
متقسم الالحاظ بين محاسن * من رد في رابية وخصر قرار
نثرت بحجر الروض فيه يد الصبا * درر الندى ودراهم الانوار
وهفت بتغريد هنالك أيكة * خفاقة بمهب ريح عرار
هزت له أعطافها ولربما * خلعت عليه ملاءة النوار

والقائل

سقيا لها من بطاح خ * ودوح نهر بها مطل
اذ لا ترى غير وجه شمس * أظل فيه عذار طل

والقائل

نهر كما سال اللمى سلسال * وصبا بليل ذيلها مكسال

والتماثيل من الذهب والفضة وأنواع الجواهر وقد قيل ان هذا البيت هو بيت بمدينة انطاكية على يسرة الجامع الى اليوم وكان هيكلا عظيما والصابئة تزعم أن الذي بناه سفلانيوس وهو في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة يعرف بسوق الجزارين وقد كان ثابت بن قرة بن كرايا الصابئ الحراني حين وافى المعتضد في سنة تسع وثمانين ومائتين في طلب وصيف الخادم ابن ثابت أتى هذا الهيكل وعظمه وأخبر من شانه ما وصفنا (والبيت الثاني) من بيوت اليونانيين هو بعض تلك الاهرام التي ببلاد مصر وهو يرى من الفسطاط على أميال منها (والبيت الثالث) هو بيت المقدس على ما زعم القوم والشريعة انما تخبر أن داود عليه السلام بناه وأتمه سليمان بعد وفاة أبيه والمجوس تزعم أن الذي بناه الضحاك وأنه سيكون له في المستقبل من الزمان خطب طويل و يتعقبه فيه ملك عظيم وذلك عند ظهور موسى على بقرة من صفتها كذا ومعه من الناس كذا من العدد وأقاصيص تدعيها المجوس في هذا المعنى واختلاط طويل تنزه كتابنا عن ذكره والله تعالى ولي التوفيق

ومهب نفحة روضة مطلولة * في جانبيها للنسيم مجال
غازلتها والاقحوانة مبسم * والآس صدغ والبنفسج خال

والقائل

وساق كميل اللحظ في شأوحسنه * جماح وبالصبر الجميل حران
ترى للصبا نارا بخديه لم يثر * لها من سوادي عارضيه دخان
سقاها وقد لاح الهلال عشية * كما اعوج في درع الكمي سنان
عقارا نماها الكرم فهي كريمة * ولم تزن بابن المزن فهي حصان
وقد جال من جون الغمامة أدهم * له البرق سوط والسنان عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان
ونمت باسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

والقائل في وصف فرس ولم يخرج عن طريقته

واشقر تضرم منه الوغى * بشعلة من شعل الباس
من جلنار ناضر لونه * واذنه من ورق الآس
تطلع للغرة في شقرة * حبابة تضحك في كاس

وهل منكم من يقول منادما لنديمه وقد بكر روضا بمحبوب وكاس فالفاه قد غطى محاسن ضباب فخاف ان يكسل نديمه عن الوصول اذا رأى ذلك وهو ابو الحسن بن بسام

الا بادر فما ثان سوى ما * عهدت الكاس والبدر التمام
ولا تكسل برؤيته ضبابا * تغص به الحديقة والمدام
فان الروض ملتثم الى أن * توافيه فينحط اللثام

وهل منكم من تغزل في غلام حائك بمثل قول الرصافي

قالوا وقد اكثروا في حبه عذلي * لو لم تهم بمذال القدر مبتذل
فقلت لو كان امري في الصبابة لي * لاخترت ذلك ولكن ليس ذلك لي
علقته حبي الثغر عاطره * حلو اللمى ساحر الاجفان والمقل
غزيل لم تزل في الغزل حائلة * بنانه جولان الفكر في الغزل
جذلان تلعب بالمحوك انمله * على السدى لعب الايام بالاجل
ضمابكفيه أو فحصا بخصره * تخبط الظبي في أشراك محتبل

ومثل قوله في تغلب مسكة الظلام على خلوق الاصيل

وعشي رائق منظره * قد قطعناه على صرف الشمول
وكأن الشمس في اثنائه * الصقت بالارض خد اللنزول
والصبا ترفع أذيال الربا * ومحيا الجو كالنهر الصقيل
حبذا منزلنا مغتبقا * حيث لا يطرقنا غير الهديل
طائر شاد وغصن مثمن * والدجى تشرب صهباء الاصيل

وهل منكم من يقول في موشح فيما يجتره هذا المعنى

بيت ببلاد المغرب بمدينة قرطاجنة وهي تونس وراء بلاد القيروان وهي من أرض الافرنجة وبني على اسم الزهرة بأنواع من الرخام والبيت الثاني بافرنجة وهو بيت عظيم عندهم والبيت الثالث عندهم بمقدونة وقد أتينا على أخباره وأخبار غيره فيما سلف من كتبنا والله تعالى أعلم

(ذكر البيوت المعظمة عند الصقالبة)

كانت في ديار الصقالبة بيوت تعظمها منها بيت كان لهم في هذا الجبل الذي ذكرت الفلاسفة أنه أحد جبال العالم العالية وهذا البيت له خبر في كيفية بنائه وترتيب أحجاره واختلاف ألوانه والمخاريق المصنوعة وما أودع فيه من الجواهر والآثار المرسومة فيه الدالة على الكائنات المستقبلة وما تدل به تلك الجواهر من الاحداث قبل كونها وظهور أصوات من أعاليه بهم وما كان يلحقهم من سماع ذلك (وبيت) اتخذه ملوكهم على الجبل الاسود يحيط به مياه عجيبة ذوات ألوان وطعوم مختلفة عامة المنافع وكان لهم فيه صنم عظيم على صورة رجل قد انحنى على نفسه وهو شيخ بيده عصا يحرك بها

ورداء الاصيل تطويه كف الظلام

وهو أبو القاسم بن الفرس وهل منكم من وصف غلاما جميل الصورة رأقصا بمثل قول ابن خروف

ومنزع الحركات يلعب بالنهى * لبس المحاسن عند خلع لباسه
متأودا كالغصن وسط رياضه * متلاعبا كالظبي عند كناسه
بالعقل يلعب مدبرا أو مقبلا * كالدهر يلعب كيف شاء بناسه
ويضم للقدمين منه راسه * كالسيف ضم ذبابه لرياسه

وهل منكم من وصف خالا بأحسن من قول النشار

ألوّامي على كلفي بحبي * مني من حبه أرجو سراحا
وبين الخد والشفتين خال * كزنجي أتى روضا صباحا
تحير في جناه فليس يدري * أيجني الورد أم يجني الاقاحا

وهل منكم الذي اهتدى الى معنى في لثم وردة الخد ورشف رضاب الثغر لم يهتد اليه أحد غيره وهو أبو الحسن بن سلام المالقي في قوله

لما ظفرت بليلة من وصله * والصب غير الوصل لا يشفيه
أنضجت وردة خده بتنفسي * وطفقت أرشف ماءها من فيه

وهل منكم من هجا من غير النطق باقذاع فبلغ ما لم يبلغه المقذع وهو المخزومي في قوله

يود عيسى نزول عيسى * عساه من دائه يريح
وموضع الداء منه عضو * لا يرتضي مسه المسيح

ولما أقذع أتى أيضا بابدع فقال

يا فارس الخيل ولا فارس * الا على متن جواد الحصى
زدت على موسى وآياته * تفجر الماء وتخفي العصا

وهل منكم من مدح بمعنى فبلغ به النهاية من المدح ثم نقله الى الهجاء فبلغ به النهاية من الذم وهو البكي في قوله مادحا

قوم لهم شرف العلا في حمير * واذا انتموا المتونة فهم هم
لما حووا احراز كل فضيلة * غلب الحياء عليهم فتلثموا

وفي قوله هاجيا

ان المرابط باخل بنواله * لكنه بعياله يتكرم
الوجه منه مخلق لقبيح ما * يأتيه فهو من اجله يتلثم

وهل منكم من هجا أشتر العين بمثل قول أبي العباس بن جنون الاشبيلي

يا طلعة أبدت قبائح جمة * فالكل منها ان نظرت قبيح
أبعينك الشتراء عين ثرة * منها ترقرق دمعها المسفوح
شتر فقلنا زورق في لجة * مالت باحدى دفتيه الريح
وكأنما انسانها ملاحها * قد خاف من غرق فظل يميح

الاخرى غرابيب سود من صور الغداف وغيرها وصور عجيبة لانواع من الاحابيش والزنج (وبيت آخر) على جبل لهم يحيط به خليج من البحر قد بنى باحجار المرجان الاحمر وأحجار الزمرذ الاخضر في وسطه قبة عظيمة تحتها صنم عظيم أعضاؤه من جواهر أربعة زمرذ أخضر وياقوت أحمر وعقيق أصفر وبلور أبيض ورأسه من الذهب الاحمر وباذائه صنم آخر على صورة جارية وكان يتقرب له قرابين ودخن وكان ينسب هذا البيت الى حكيم كان لهم في قديم الزمان وقد أتينا على خبره وما كان من أمره بارض الصقالبة وما أحدث فيهم من الذبول والحيل والخاريق المصطنعة التي اجتذب بها قلوبهم وملك نفوسهم واسترق بها عقولهم مع شراسة أخلاق الصقالبة واختلاف طبائعهم فيما سلف من كتبنا والله تعالى ولي التوفيق

(ذكر بيوت معظمة وهيا كل شريفة للصابئة وغيرها مما لحق بهذا الباب)

للصابئة من الحرانيين هيا كل على اسم الجواهر العقلية والكواكب (فمن ذلك) هيكل العلة الاولى وهو هيكل العقل وما أدري أشاروا الى العقل

وهل منكم من حضر مع عدوّله جاحد لما فعله معه من الخير وأمامهما زجاجة سوداء فيها خمر فقال له الحسود المذكور ان كنت شاعرا فقل فى هذه فقال ارتجالا وهو ابن مجير

ساشكو الى الندمان أمر زجاجة * تردت بثوب حالك اللون أسحم
نصبت بها شمس المدامة بيننا * فتغرب فى جنح من الليل مظلم
وتجحد أنوار الحميا بلونها * كقلب حسود جاحد يدمنعم

وهل منكم من قال لفاضل جمع بينه وبين فاضل وهو أبو جعفر الذهبى

ايها الفاضل الذى قد هدانى * نحو من قد حمدته باختيار
شكر الله ما أتيت وجازا * ك ولازلت نجم هدى لسارى
أى برق أفاد أى غمام * وصباح أدى اضوء منهار
واذا ما غدا النسيم دليلى * لم يحلنى الا على الازهار

وهل منكم أعمى قال فى ذهاب بصره وسواد شعره وهو الطليطلى

أما اشتفت منى الايام فى وطنى * حتى تضايق فيما عن من وطرى
ولا قضت من سواد العين حاجتها * حتى تكر على ماطل فى الشعر

وهل منكم الذى طار فى مشارق الارض ومغاربها وهو ابو القاسم محمد بن هانئ الالبيرى

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

وقد سمعت فائيته فى النجوم ولولا طولها لانشدتها هنا فانها أحسن ما قيل فى معناها

وهل منكم من قال فى الزهد مثل قول أبى وهب العباسى القرطبى

انا فى حالتى التى قد ترانى * ان تأملت أحسن الناس حالا
منزلى حيث شئت من مستقر الارض أسقى من المياه زلالا
ليس لى كسوة أخاف عليها * من مغير وان ترى لى مالا
أجعل الساعد اليمين وسادى * ثم أنى اذا انقلبت الشمالا
ليس لى والد ولا مولود * لا ولا خفت مذ عقلت عيالا
قد تلذذت حقبة بامور * فتأملتها فكانت خيالا

ومثل قول أبى محمد عبد الله بن العسال الطليطلى

انظر الدنيا فان أبصرتها * شيئا يدوم
فاغد منها فى أمان * ان يساعدك النعيم
واذا أبصرتها منك على كرهتهم
فاسل عنها واطرحها * وارتحل حيث تقيم

وهل نشأ عندكم من النساء مثل ولادة المروانية التى تقول مداعبة للوزير ابن زيدون وكان له غلام اسمه على

مالابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولا ذنب لى
ينظرنى شزرا اذا جئته * كأنما جئت لأحصى على

الاول أم الثانى وقد ذكر والعقل الثانى وذكر ذلك معيطوس فى كتابه فى شرح كتاب النفس الذى عمله صاحب المنطق وقد ذكر العقل الاول والثانى الاسكندر والافرديس فى مقالة أفردها فى ذلك قد ترجمها اسحق بن حنين (ومن هياكل الصابئة) هيكل السنبلة وهيكل الصورة وهيكل النفس وهذه مدورات الشكل وهيكل زحل مسدس وهيكل المشترى مثلث وهيكل المريخ مستطيل وهيكل الشمس مربع وهيكل عطارد مثلث الشكل فى جوف مربع مستطيل وهيكل الزهرة مثلث فى جوف مربع وهيكل القمر مثمن الشكل (وقد حكى رجل) من ملكية النصارى من أهل حران يعرف بالحرث بن سنبسطاط للصابئة الحرانيين أشياء ذكرها من قرابين يقربونها من الحيوان ودخن للكواكب يبخرون بها وغير ذلك مما امتنعنا عن ذكره مخافة التطويل (والذى بقى) من هياكلهم المعظمة فى هذا الوقت وهو سبعة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بيت لهم بمدينة حران فى باب الرقة يعرف بمصلينا وهو هيكل آزر أبى ابراهيم الخليل عليه السلام ومثل

عندهم وللقوم فى آزر وابنه ابراهيم كلام كثير ليس فى كتابنا هذا ولا بن

ومثل زينب بنت زياد المؤدب الوادى آشية التى تقول

ولما أبى الواشون الا فراقنا * ومالهم عندى وعندك من ثار
وشنوا على اسماعنا كل غارة * وقل حماتى عند ذاك وانصارى
غزوتهم من مقلتيك وأدمعى * ومن نفسى بالسيف والماء والنار

أنا أختم هذه القطع المتخيرة بقول أبى بكر بن بقى ليكون الختام مسكا

عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الفتيق لناشق
وضممته ضم الكمى لسيفه * وذؤابتاه حمائل فى عاتق
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيئا وكان معانقى
باعدته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على وساد خافق

و يقول القاضى أبى حفص بن عمر القرطبى

هم نظروا لواحظها فهاموا * وتشرب لب شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها * أيذعر قلب حامله الحسام
سما طرفى اليها وهو باك * وتحت الشمس ينسكب الغمام
وأذكرقدها فانوح وجدا * على الاغصان تندب الحمام
وأعقب بينها فى الصدر غما * اذا غربت ذكاء أتى الظلام

بقوله أيضا

لها ردف تعلق فى لطيف * وذاك الردف لى ولها ظلوم
يعذبنى اذا فكرت فيه * و يتعبها اذا رامت تقوم

قد أطلت عنان النظم على انى اكتفيت عن الاستدلال على النهار بالصباح فبالله لما أخبرتنى من شاعركم الذى تقابلون به شاعر اممن ذكرت لا أعرف لكم أشهر ذكرا أضخم شعرا من أبى العباس الجراوى وأولى لكم ان تجعدوا فخره وتنسوا ذكره فقد كفاكم ماجرى من الفضيحة عليكم فى قوله من قصيدة يمدح بها خليفة

اذا كان املاك الزمان ارا قما * فانك فيهم دائم الدهر ثعبان

فما اقبح ماوقع ثعبان وما اضعف ماجاء دائم الدهر ولقد أنشدت احد ظرفاء الاندلس هذا البيت فقال لاينكر هذا على مثل الجراوى فسبحان من جعل روحه ونسبه وشعره تتناسب فى الثقالة وان اردت الافتخار بالفرسان والتفاضل بالشجعان فمن كان قبلنا منهم فى مدة المنصور بن ابى عامر ومدة ملوك الطوائف اخبارهم مشهورة وآثارهم مذكورة وكفاك من ابطال عصرنا ماسمعت عن الامير ابى عبدالله بن مردنيش وانه كان يدفع فى مواكب النصارى ويشقها يمينا و يسارا منشدا

اكر على الكتيبة لا ابالى * أحتفى كان فيها ام سواها

حتى انه دفع يوما فى موكب من النصارى فصرع وقتل وظهر منه ما أعجبت به نفسه فقال شيخ من خواصه عالما بامور الحرب مشهور بها كيف رأيت فقال له لو رآك السلطان زاد فيما لك فى بيت المال واعلى مرتبتك امن يكون راس جيش يقدم هذا الاقدام و يتعرض

عيسون الحرانى القاضى وكان ذا فهم ومعرفة وتوفى بعد الثلثمائة قصيدة طويلة يذكر فيها مذاهب الحرانيين المعروفين بالصابئة ذكر فيها هذا البيت وما تحته من السراديب الاربعة المتخذة لانواع صور الاصنام التى جعلت مثالا للاجسام السماوية وما ارتفع من ذلك من الاشخاص العلوية وأسرار هذه الاصنام وكيفية ايرادهم لاطفالهم الى هذه السراديب وعرضهم لهم على هذه الاصنام وما يحدث ذلك فى ألوان صبيانهم من الاستحالة الى الصفرة وغيرها مما يسمعون ظهور أنواع الاصوات وفنون اللغات فى تلك الاصوات من الاصنام والاشخاص بحيل قد اتخذت ومنافيخ قد عملت تقف السدنة من وراء جدر فتتكلم بانواع من الكلام فتجرى الاصوات فى تلك المنافيخ والمخاريق والمنافذ التى تلك الصور المجوفة والاصنام المشخصة فيظهر منها نطق على حسب ماقد عمل فى قديم الزمان فيصطادون بها العقول وتسترق بها الرقاب و يقام بها الملك والممالك

وعما ذكر فى هذه القصيدة قوله ان نفيس العجائب * بيت لهم فى سراديب تعبد فيه الكواكب * أصنامهم خلف غائب

وهذه الطائفة المعروفة بالحرانيين والصابئة فلاسفة الا انهم من حشوية الفلاسفة وعوامهم مضافون لخواص حكمائهم اضافة سبب لا اضافة حكمة لانهم يونانية وليس كل اليونانيين فلاسفة انما الفلاسفة حكماؤهم

(ورأيت) على باب مجمع الصابئة بمدينة حران مكتوبا بالسريانية قولا لافلاطون فسره مالك بن عفنون منهم وهو من عرف ذاته تأله وقد قال أفلاطون الانسان نبات سماوي والدليل على هذا أنه شبيه شجرة منكوسة أصلها الى السماء وفروعها في الارض ولافلاطون كلام كثير في هل النفس في البدن أو البدن في النفس كالشمس أهي في الدار أو الدار في الشمس وهذا قول تغلغل بنا الكلام فيه كالكلام في تنقل الارواح في انواع الصور

(وقد تنازع) أهل هذه الآراء ممن قصد هذه المقالة في النقلة على وجهين وطائفة من الفلاسفة القدماء اليونانيين والهند ممن لم يثبت كلاما منزلا ولا نبيا مرسلا منهم افلاطون ومن يمم طريقهم فانه حكي عنهم أنهم زعموا أن النفس جوهر ليست بجسم وانها حية عالمة مميزة لاجل ذاتها وجوهرها وانها هي المدبرة للاجسام المركبة من طبائع الارض المتضادة وغرضها في ذلك أن تقيمها

بهلاك نفسه الى هلاكهم فقال له دعني فاني لا أموت مرتين واذا مت انا فلا عاش من بعدي والقائد ابو عبد الله بن قادوس الذي اشتهر من شجاعته ومواقعه في النصارى وحسن بلائه ما صير النصارى من رعبه والاقرار بفضله في هذا الشان أن يقول احدهم لفرسه اذا اسقاه فلم يقبل على الماء ما لك اراك ابن قادوس في الماء وهذه مرتبة عظيمة * والفضل ما شهدت به الاعداء * ولقد اخبرني من اثق به انه خرج من عسكر في كتيبة مجردة برسم الغارة على بلاد النصارى فوقع في جمع كبير منهم فجهد جهده في الخلاص منهم والرجوع الى العسكر فعجز فقاتل مع اصحابه في حالة الفرار الى ان كبا احد جنده فرسه وفر عنه فناداه مستغيثا فقال اصبر ثم نظر الى فارس من النصارى قد طرف فقال اجر الى هذا النصراني فخذ فرسه وركض نحوه فاسقطه وقال لصاحبه اركب فركب ونجا معه سالما وامثال هذا كثير وانما جئت بحصاة من ثبير واما كرم النفس وشمائل الرياسة فانا احكي لك حكاية تتعجب منها وهي مما جرى في عصرنا وذلك ان ابا بكر بن زهر نشأت بينه وبين الحافظ ابي بكر بن الجد عداوة مفرطة للاشتراك في العلم والرياسة وكثرة المال والبلدية فاجرى ابن زهر يوما ذكره في جماعة من اصحابه وقال لقد آذانا هذا الرجل أشد اذية ولم يقصر في القول عند ما يسوء المؤمنين وعند خواص الناس وعوامهم فقال له احد عوامهم انى اذكر لك عليه عقدا وبينه مخاصمة في موضع مما يعز عليه من مواضعه ومتى خاصمته في ذلك بلغت منه في النكاية اشد مبلغ فخرج ابن زهر واظهر الغضب الشديد والانكار لذلك وقال لو كيله امثلي يجازى على العداوة بما يجازى به السفل والاوباش وانى اجعل ابن الجد في حل من موضع الخصومة وامر بان يحمل له العقد ثم قال وانى والله ما اروم بذلك اصالحه فان عداوته شديدة من حد وانا أسال الله تعالى ان يديمها لانها مقترنة بدوام نعم الله علي * وان تعرضت الى ذكر البلاد وتفسير محاسنها وما خصها الله تعالى به مما حرمه على غيرها فاسمع ما يبيت الحسود كمدا * أما اشبيلية فمن محاسنها اعتدال الهواء وحسن المباني وتزيين الخارج والداخل وتمكن التحصيل حتى ان العامة تقول لو طلب ابن الطير في اشبيلية وجد ونهرها الاعظم الذي يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر وفيه يقول ابن سفر

شق النسيم عليه جيب قميصه * فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها * هزأ فضم من الحياء ازاره

وزيادته على الانهار كون ضفتيه مطرزتين بالمنازه والبساتين والكروم والانسام متصل ذلك اتصالا لا يوجد على غيره واخبرني شخص من الاكياس دخل مصر وقد سالته عن نيلها انها لا تتصل بشطيه البساتين والمنازه اتصالها بنهر اشبيلية وكذلك اخبرني شخص آخر دخل بغداد وقد سعد هذا الوادي بكونه لا يخلو من مسرة وان جميع ادوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر لانه عن ذلك ولا منتقد ما لم يؤد السكر الى شر وعربدة وقد رام من وليها من الولاة المظهرين للدين قطع ذلك فلم يستطيعوا ازالته واهله اخف الناس ارواحا واطبعهم نوادر واجلهم امزاح باقبح ما يلون من السب قد مرنوا على ذلك فصار لهم ديدنا حتى صار عندهم من لا يبتذل فيه ولا يتلاعن عمقوتا ثقيلا وقد سمعت عن شرف اشبيلية الذي ذكره احد الوشاحين

موشحة مدح بها المعتضد بن عباد اشبيلية عروسا وبعلها عباد وتاجها الشرف ومسلكها
واد اى شرف قد حاز ما شاء من الشرف اذ عم اقطار الارض خيره وسفر ما يعصر من زيتونه
ن الزيت حتى بلغ الاسكندرية وتزيد قراه على غيرها من القرى بانتخاب مبانيها وتهم
كانها فيها داخلا وخارجا اذ هى من تبييضهم لها نجوم فى سماء الزيتون وقيل لاحد من رأى
صر والشام ايهما رأيت أحسن هذا ام اشبيلية فقال بعد تفضيل اشبيلية وشرفها غاية
لا أسد ونهرها قيل بلا تمساح وقد سمعت عن جبال الرحمة بخارجها وكثرة ما فيها من التين
قوطى والشعرى وهذان الصنفان أجمع المجهولون فى أقطار الارض أن ليس فى غير اشبيلية
ثل لهما وقد سمعت ما فى هذا البلد من أصناف ادوات الطرب كالخيال والكربج والعود
الروطة والرباب والقانون والمؤنس والكثيرة والفنار والزلامى والشقرة والنورة وهما
زماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه والبوق وان كان جميع هذا موجودا فى غيرها
ن بلاد الاندلس فانه فيها أكثر وأوجد وليس فى برا العدوة من هذا شئ الا ما جلب اليه من
لاندلس وحسبهم الدف واقوال والبراو أبو قرون ودبدبة السودان وحماقى البرابر وأما
واريها ومراكبها براو بحرا ومطابخها وفواكهها الخضراء والياسة فاصناف اخذت من
تفضيل باوفر نصيب واما مبانيها فقد سمعت عن اتقانها واهتمام اصحابها بها وكون اكثر
ارها لا تخلو من الماء الجارى والاشجار المتكاثفة كالنارنج واللبم والليمون والرنبوع وغير
ك واما علماؤها فى كل صنف رفيع اووضيع جدا وهزلا فاكثر من أن يعدوا واشهر من
ن يذكروا واما ما فيها من الشعراء والوشاحين والزجالين فالوقسموا على برا العدوة ضاق
هم والكل ينالون خير رؤسائها ورفدهم ومامن جميع ما ذكرت فى هذه البلدة الشريفة
لا وقصدى به العبارة عن فضائل جميع الاندلس فما تخلو بلادها من ذلك ولكن جعلت
اشبيلية بل الله جعلها ام قراها ومركز فخرها وعلاها اذ هى اكبر مدنها واعظم امصارها
*واما قرطبة فكرسى المملكة فى القديم ومركز العلم ومنار التقى ومحل التعظيم والتقديم بها
استقرت ملوك الفتح وعظماؤه ثم الملوك المروانية وبها كان يحيى بن يحيى راوية مالك وعبد
الملك بن حبيب وقد سمعت من تعظيم أهلها للشريعة ومنافستهم فى السودد بعلمها وملوكها
كانوا يتواضعون لعلمائها ويرفعون أقدارهم ويصدرون عن آرائهم وانهم كانوا لا يقدمون
وزيرا ولا مشاورا ما لم يكن عالما حتى ان الحكم المستنصر لما كره له العلماء شرب الخمر هم بقطع
شجرة العنب من الاندلس فقيل له فانها تعصر فى سواها فامسك عن ذلك وانهم كانوا
لا يقدمون أحدا للفتوى ولا للقبول الشهادة حتى يطول اختباره وتعقد له مجالس المذاكرة
ويكون ذا مال فى غالب الحال خوفا من أن يميل به الفقر الى الطمع فيما فى أيدى الناس
فيبيع به حقوق الدين ولقد أخبرت أن الحكم الربضى أراد تقديم شخص من الفقهاء يختص
به للشهادة فاخذ فى ذلك مع يحيى بن يحيى وعبد الملك وغيرهما من اعلام العلماء فقالوا له هو
أهل ولكنه شديد الفقر ومن يكون فى هذه الحالة لا تؤمنه على حقوق المسلمين لاسيما وأنت
تريد انتفاعه وظهوره فى الدخول فى المواريث والوصايا وأشباه ذلك فسكت ولم يرد منازعتهم
وبقى معهم وما من كونهم لم يقبلوا قوله فنظر اليه ولده عبد الرحمن الذى ولى الملك بعده وعلى

من الحركة المضطربة الى
المنتظمة (وزعموا) أنها تلذ
وتألم وتموت وموتها عندهم
انتقالها من جسد الى جسد
بتدبير وبطلان ذلك
الشخص الذى فسد ووصف
بالموت لان شخصها يفسد
ولأن جوهرها ينتقل
(وزعموا) أنها عالمة بذاتها
وجوهرها وفيها قبول علم
المحسوسات من جهة الحس
ولافلاطون وغيره فى هذه
المعانى كلام يطول
ذكره ويعجز عن وصفه
واظهاره لاعتياصه
وغموضه وكذلك صاحب
المنطق وفيثاغورس
وغيرهما من الفلاسفة عن
تقدم وتأخر لان الطالب
لعلم هذه الاشياء والاحاطة
بفهمها وبلوغ غايتها
لا يدرك ذلك لما نصبوا
من الكتب ورتبوا من
التصنيف للعلوم المؤدية
الى معرفة الالفاظ الخمس
وهى الجنس والفصل
والنوع والخاصة والعرض
ثم معرفة المقولات وهى
عشرة الجوهر والكمية
والكيفية والاضافة
وهى النسبة وهذه أربع
بسائط والست الاخر مركبات
وهى الزمان والمكان
والجدة وهى الملك
والوضع والفاعل والمنفعل

ثم بعد ذلك مما يترقى فيه الطالب الى ان ينتهى الى علم ما بعد الطبيعة من معرفة الاول والثانى (ثم

وجهه اثر ذلك فقال مابالك يامولاى فقال الاترى لهؤلاء الذين تقدمهم وتنوه عند الناس بمكانهم حتى اذا كلفناهم مالبس عليهم فيه شططا بل لايعيبهم ولاهو مما يرزؤهم صدونا عنا وغلقوا أبواب الشفاعة وذكر له ماكان منهم فقال يامولاى أنت أولى الناس بالانصاف ان هؤلاء ماقدمتهم أنت ولانوهت بهم وانما قدمهم ونوه بهم علمهم أو كنت تأخذ قوما جاهلا فتضعهم فى مواضعهم قال لاقال فأنصفهم فيما تعبوا فيه من العلم لينالوا به لذة الدنيا وراحة الآخرة قال صدقت ثم قال واما كونهم لم يقبلوا هذا الرجل اشدة فقره فالعلة فى ذلك تنحسر عما يبقى لك فى الصالحات ذكرا قال وماهو قال تعطيه من مالك قدر مايلحق به من الغنى مايؤهله لتلك المنزلة ويزيل عنك تحمل ردهم لك وتكون هذه مكرمة ماسبقك اليها أحد فتهلل وجه الحكم وقال الى الى انها والله شنشنة عبشمية وان الذى قال فينا الصادق

وأبناء أملاك خضارم سادة * صغيرهم عند الانام كبيرهم

ثم استدعى عبد الملك بن حبيب وساله عن قدر مايؤهله لتلك المرتبة من المال فذكر له عددا فامر له به فى الحين ونبه قدره بان أعطاه من اصطبله مركوبا وكانت هذه اول نبهة لاحفيد يعطا * يفنى الزمان ومابذته مخلد * ثم انه اذا كان له من الغنى مايكفيه عن اموال الناس و مايصده عن محارم الله تعالى ومن العلم مالايجهل به التصرف فى الشريعة أباح له الفتوى والشهادة وجعلوا علامة لذلك بين الناس القلانس والرداء وأهل قرطبة أشد الناس محافظة على العمل باصح الاقوال المالكية حتى انهم كانوا لايولون حاكما الا بشرط أن لايعمل فى الحكم عن مذهب ابن القاسم وقال ابن سارة لما دخل قرطبة الحمد لله قد وافرت قرطبة دار العلوم وكرسى السلاطين وهى كانت مجمع جيوش الاسلام ومنها تسرح عبدة الصليب يقال ان المنصور بن أبى عامر حين تم له ملك البربر وتوفرت الجيوش واستعرض بظاهر قرطبة خيله ورجله وقد جمع من أقطار البلاد مانهض به الى قتال النصارى وتدويخ بلاده فضيف الفرسان على مائتى ألف والرجالة على ستمائة ألف وبها حتى الآن من صناديد المسلمين وقوادهم ممن لايفتر عن محاربة ولايميل من مضاربة من أسماء ماقاصى بلاد النصارى مشهورة وآثارهم فيها مأثورة وقلوبهم على البعد بخوفهم معمورة ويحكى أن العمارة فى مبانى قرطبة والزاهرة والزهراء اتصلت الى أن كان يسرج فيها السرج المتصلة عشرة أميال وأما جامعها الاعظم فقد سمعت أن ثريا من ثرياته من نواقيس النصارى وأن الزيادة التى زادها فى بنائه ابن أبى عامر من تراب نقله النصارى على رؤسهم ممن هدم من كنائس بلادهم وقد سمعت أيضا عن قنطرتها العظمى وكثرة أرحى وادبها يقال انها تنيف على خمسة آلاف حجر عن كنبانيتها وما فضل الله تعالى به تربتها من بركة ماينبت فيه من القمح وطيبه وفيها جبال الورد الذى يبلغ الربع منه مرات الى ربع درهم وصار أصحابه يرون الفضل لمن قطف بيده مايجنونه منه ونهرها ان صغر عندها عن عظمه عند اشبيلية فان لتقارب بريه هنالك وتقطع غدره ومروجه معنى آخر وحلاوة أخرى وزيادة أنس وكثرة أمان من الغرق وفى جوانبه من البساتين والمروج مازاده نضارة وبهجة * وأما حيوان فانها بلاد الاندلس قلعة اذهى أكثر مواز رعاو أصرمها أبطالا وأعظمها منعة وكم

رجع) بنا الاخبار عن أحوالهم (فمن ذلك) كتاب رأيته لابى بكر محمد بن زكريا الرازى والفيلسوف صاحب كتاب المنصورى فى الطب وغيره ذكر فيه مذاهب الصابئة الحرانيين منهم دون من خالفهم من الصابئة وهم الكنيارويون وذكر أشياء يطول ذكرها ويقبح عند كثير من الناس وصفها أعرضنا عن حكايتها اذ كان فى ذلك خروج عن حد الغرض فى كتابنا الى وصف الآراء والديانات وقد خاطب مالك بن عفنون وغيره منهم بشئ مما ذكرناه وغيره مما عنه كتبنا فمنهم من اعترف ببعضه وأنكر بعضا من ذكر القرابين وغيره مثل فعلهم بالثور الاسود فانه يضرب وجهه بالمدى اذا سدت عيناه ثم يذبح ويدعى كل عضو من أعضائه ومايظهر منه من الحركات والاختلاج على مايدل ذلك من أحوال السنة وغير ذلك من أسرارهم ومحالاتهم وأحوال قرابينهم (قال المسعودى) وقد ذكر جماعة ممن له تامل بشان أمور هذا العالم والبحث عن الاخبار بان باقاصى بلاد الصين هيكلا مدور اله سبعة ابواب فى داخله قبة مسبعة عظيمة الشان عالية السمك فى أعالى القبة شبه الجوهر رامتها

رامتها عساكر النصارى عند فترات الفتن فرأوها أبعد من العيوق وأعز منالا من بيض الانوق ولاخلت من علماء ولامن شعراء ويقال لما جيان الحمر بها لكثرة اعتنائهم بادية وحاضرة بها بدو والحمر ومما يعد في مفاخرها ما بياسة احدى بلاد أعمالها من الزعفران الذي يسفر براو بحرا وما في أبدة من الكروم التي كاد العنب لا يباع فيها ولا يشترى كثرة وما كان بابدة من أصناف الملاهي والرواقص المشهورات بحسن الانطباع والصنعة فانهن أحذق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف والدلك واخراج القرى والمرابط والمتوجه * وأما غرناطة فانها دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس لها القصبة المنيعة ذات الاسوار الشامخة والمباني الرفيعة وقد اختصت بكون النهر يتوزع على ديارها وأسواقها وحماماتها وأرجائها الداخلة والخارجة وبساتينها وزانها الله تعالى بان جعلها مرتبعة على بسيطها الممتد الذي تفرغت فيه سبائك الانهار بين زبرجد الاشجار والنسيم نجدها وبهجة منظر حورها في القلوب والابصار استلطاف بروق الطباع ويحدث فيها ما شاءه الاحسان من الاختراع والابتداع ولم تخل من أشراف أماثل وعلماء كابر وشعراء أفاضل ولولم يكن لها الا ما خصها الله تعالى به من كونها قد نبغ فيها من الشواعر مثل نزهون القلاعية وزينب بنت زياد وقد تقدم شعرهما وحفصة بنت الحجاج وناهيك في الظرف والادب وهل ترى أظرف منها في جوابها للحسيب الوزير الناظم الناثر أبي جعفر ابن القائد الاجل أبي مروان بن سعيد وذلك انهما ما تباحورا مؤمل على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة ونضارة النعيم فلما حان الانفصال قال أبو جعفر

رعى الله ليلا للمرح بمذهم * عشية وارانا بحورة مؤمل
وقد خفقت من نحو نجد أريحة * اذا نفحت هبت بريا القرنفل
وغرد قمري على الدوح وانثنى * قضيب من الريحان من فوق جدول
ترى الروض مسرورا بما قد ناله * عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتبه اليها بعد الافتراق لتجاوبه على عادتها في ذلك فكتبت له ما لا يخفى فيه قيمتها

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا * ولكنه أبدى لنا الغل والحسد
ولا صفق النهر اطرادا حالفر بنا * ولا صدح القمري الا بما وجد
فلا تحسن الظن الذي أنت أهله * فما هو في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الافق أبدى نجومه * لامر سوى كيما تكون لنا رصد

وأما مالقة فانها قد جمعت بين منظر البحر والبر بالكروم المتصلة التي لا تكاد ترى فيها فرجة لموضع غامر والبروج التي شابهت نجوم السماء كثرة عدد وبهجة ضياء وتخلل الوادي الزاثر لها في فصلي الشتاء والربيع في سرر بطحائها وتوشيحه لخصور أرجائها ومما اختصت به من بين سائر البلاد التين الزبلي المنسوب اليها الان اسمها في القديم ربة ولقد أخبرت انه يباع في بغداد على جهة الاستطراف وأما ما يسافر منه المسلمون والنصارى في المراكب البحرية فاكثر من أن يعبر عنه بما يحصره ولقد اجتزت بهامرة وأخذت على طريق الساحل من سهيل الى أن بلغت الى بليش قدر ثلاثة أيام متعجبا فيما حوته هذه

حاولوا أخذ تلك الجوهرة فلم يدن أحد منها على مقدار عشرة أذرع شيئا وان حاول أحد منهم أخذ هذه الجوهرة بشئ من الآلات الطوال كالرماح وغيرها وانتهت الى هذا المقدار من الذرع انعكست وعملت وان رميت بشئ كان كذلك فليس شئ من الحيل يؤدي الى تناولها ولا بسبب وان تعرض لشئ من هدم هذا الهيكل مات من يروم ذلك من أهل الخبرة لقوة دافعة منفردة قد عملت في أنواع الاحجار المغناطيسية وفي هذا الهيكل بئر مسبعة الرأس متى أكب الانسان على رأس البئر أكبا بامتمكا تهور في البئر فصار في أسفلها على أم رأسه وعلى رأس هذه البئر شبه الطوق مكتوب عليه بقلم قديم أراه بقلم السند هند هذه بئر تؤدي الى مخزن الكتب وتاريخ الدنيا وعلوم السماء وما كان فيما مضى من الدهر وما يكون فيما بقي منه وتؤدي هذه البئر أيضا الى خزائن رغائب هذا العالم لا يصل الى الوصول اليها والاقتباس منها الا من وازت قدرته قدرتنا واتصل علمه بعلمنا وساوت حكمته

٢٠ ـ ط ني حكمتنا فمن قدر على الوصول الى هذا المخزن فليعلم أنه قد وازانا ومن عجز عن الوصول الى ما وصفنا

المسافة من شجر التين وان بعضه ليجتنى جميعها الطفل الصغير من لزوقها بالارض وقد
حوت ما يتعب الجماعة كثرة وتين بلش هو الذى قيل فيه لبربرى كيف رأيته قال
لا تسألنى عنه وصب فى حلقى بالقفة وهو لعمر الله معذور لانه نعمة حرمت بلاده منها وقد
خصت بطيب الشراب الحلال والحرام حتى سار المثل بالشراب المالقى وقيل لاحد الخلفاء
وقد أشرف على الموت اسأل ربك المغفرة فرفع يديه وقال يارب أسألك من جميع ما فى الجنة
خمر مالقة وزبيبى اشبيلية وفيها تنسج الحلل الموشية التى تجاوز اثمانها الآلاف ذات
الصور العجيبة المنتخبة برسم الخلفاء فمن دونهم وساحلها محط تجارة لمراكب المسلمين
والنصارى * وأما المرية فانها البلد المشهور الذكر العظيم القدر الذى خص أهله باعتدال
المزاج ورونق الديباج ورقة البشرة وحسن الوجوه والاخلاق وكرم المعاشرة والصحبة
وساحلها أنظف السواحل وأشرحها وأملحها منظرا وفيها الحصا الملون العجيب الذى يجعله
رؤساء مراكش فى البرادين والرخام الصقيل الملوكى ووادیها المعروف بوادى بجانة من
أفرج الاودية ضفتاه بالرياحين كالعذارين حول الثغر فحق أن ينشد فيها

أرض وطئت الدر وضر اضابها * والترب مسكا والرياض جنانا

وفيها كان ابن ميمون القائد الذى قهر النصارى فى البحر وقطع سفرهم فيه وضرب على بلاد
الرمانية فقتل وسبى وملأ صدور أهلها رعبا حتى كان منه كما قال أشجع

فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوف تلك الاحلام

وبها كان محط مراكب النصارى ومجتمع ديوانهم ومنها كانت تسفر لسائر البلاد بضائعهم
ومنها كانوا يوسقون جميع البضائع التى تصلح لهم وقصد بضبط ذلك بها حصر ما يجتمع فى
أعشارهم ولم يوجد لهذا الشان مثلها لكونها متوسطة ومتسعة قائمة بالوارد والصادر وهى أيضا
مصنع للعلل الموشية النفيسة وأما مرسية فانها حاضرة شرق الاندلس ولاهلها من الصرامة
والاباء ما هو معروف مشهور ووادیها قسيم وادى اشبيلية كلاهما ينبع من شقورة وعليه
من البساتين المتهدبة الاغصان والنواعير المطربة الالحان والاطيار المغردة والازهار
المتنضدة ما قد سمعت وهى من أكثر البلاد فواكه ورياحانا وأهلها أكثر الناس راحات
وفرجا لكون خارجها معينا على ذلك بحسن منظره وهى بلدة تجهز منها العروس التى تنتخب
شورتها لا تفتقر فى شئ من ذلك الى سواها وهى للمرية ومالقة فى صنعة الوشى ثالثة وقد
اختصت بالبسط التنقلية التى تسفر لبلاد المشرق وبالحصر التى تغلف بها الحيطان المبهجة
للبصر الى غير ذلك مما يطول ذكره ولم تخل من علماء وشعراء وأبطال * وأما بلنسية فانها
لكثرة بساتينها تعرف بمطيب الاندلس ورصافتها من أحسن متفرجات الارض وفيها
البحيرة المشهورة الكثيرة الضوء والرونق ويقال انه لمواجهة الشمس لتلك البحيرة يكثر
ضوء بلنسية اذ هى موصوفة بذلك ومما خصت به النسيج البلنسى الذى يسفر لاقطار المغرب
ولم تخل من علماء ولا شعراء ولا فرسان يكابدون مضايقة الاعداء ويتجرعون فيها
النعماء ممزوجة بالضراء وأهلها أصلح الناس مذهبا وأمتنهم دينا وأحسنهم صحبة وأرفقهم
بالغريب * وأما جزيرة ميورقة فمن اخصب بلاد الله تعالى أرجاء وأكثرها زرعا وزقاورا

فليعلم أنا اشد منه باسا
الهيكل والقبة وفيها البئر
أرض حجرية صلبة عالية
من الارض كالجبل الشامخ
لا ترام قلعته ولا يتأتى نقب
ماهو تحته فاذا أدرك
البصر ذلك الهيكل والقبة
والبئر وقع للرائى عند رؤيته
ذلك جزع وحزن واجتذاب
للقلب اليه وحريق على
بنيته وتاسف على افساد
شئ منه أو هدمه والله أعلم
بذلك

*(ذكر الاخبار عن بيوت
النيران وغيرها)*

فاما بيوت النيران ومن
رسمها من ملوك الفرس
الاولى والثانية فاول ما
يحكى ذلك عنه افريدون
الملك وذلك انه وجد نارا
يعظمها أهلها وهم معتكفون
على عبادتها فصالهم عن
خبرها ووجه الحكمة منهم
فى عبادتها فاخبروه أنها
واسطة بين الله وبين خلقه
وانها من جنس الآلهة
النورية واشياء ذكروها
اعرضنا عن ذكرها
لاعتياصها وذلك انهم
جعلوا للنور مراتب وفرقوا
بين طبع النار والنور وان
الحيوان يجتذب فيحرق
نفسه كالفراش الطائر فما
لطف يطرح نفسه فى
السراج فيحرقها وغير ذلك
مما يقع فى صيد الليالى من الغزلان والطير والوحوش وظهور الحيتان من الماء اذا قربت من السراج

وماشية وهي على انقطاعها من البلاد مستغنية عنها يصل فاضل خيرها الى غيرها اذ فيها من الحضارة والتمكن والتمصر وعظم البادية ما يغنيها وفيها من الفوائد ما فيها ولها فضلاء وأبطال اقتصروا على حمايتها من الاعداء المحدقة بها

من كل من جعل الحسام خليله * لا يبتغي أبدا سواه معينا

هذا زان الله تعالى فضلك بالانصاف وشرف كرمك بالاعتراف ما حضرني الآن في فضل جزيرة الاندلس ولم أذكر من بلادها الا ما كل بلد منها مملكة مستقلة يليها ملوك بني عبد المؤمن على انفرادها وغيرها في حكم التبع * وأما علماؤها وشعراؤها فاني لم أعرض منهم الا من هو في الشهرة كالصباح وفي مسير الذكر كمسير الرياح وأنا أحكي لك حكاية جرت لي في مجلس الرئيس الفقيه أبي بكر بن زهر وذلك اني كنت يوما بين يديه فدخل علينا رجل عجمي من فضلاء خراسان وكان ابن زهر يكرمه فقلت له ما تقول في علماء الاندلس وكتابهم وشعرائهم فقال كبرت فلم أفهم مقصده واستبردت ما أتى به وفهم مني أبو بكر بن زهر أني نظرته نظر المستبرد المنكر فقال لي أقرأت شعر المتنبي قلت نعم وحفظت جميعه قال فعلى نفسك اذن فلتنكر وخاطرك بقلة الفهم فلتتهم فذكرني بقول المتنبي

كبرت حول ديارهم لما بدت * منها الشموس وليس فيها المشرق

فاعتذرت للخراساني وقلت له قد والله كبرت في عيني بقدر ما صغرت نفسي عندي حين لم أفهم قبل مقصدك فالحمد لله الذي أطلع من المغرب هذه الشموس وجعلها بين جميع أهله بمنزلة الرؤس وصلى الله على سيدنا محمد نبيه المختار من صفوة العرب وعلى آله وصحبه صلاة متصلة الى غابر الحقب كملت رسالة الشقندي وهو أبو الوليد اسمعيل بن محمد وشقندة المنسوب اليها قرية مطلة على نهر قرطبة مجاورة لها من جهة الجنوب قال ابن سعيد وهو ممن كان بينه وبين والدي صحبة أكيدة ومجالسات انس عديدة ومزاورات تصل ومحاورات لا تكاد تنفصل وانتفعت بمجالسته وله رسالة في تفضيل الاندلس يعارض بها أبا يحيى في تفضيل بر العدوة وأورد فيها من المحاسن ما يشهد له بطلاقة المنزع وعذوبة المشرع وكان جامعا لفنون من العلوم الحديثة والقديمة وعني بمجلس المنصور فكانت له فيه مشاهد غير ذميمة وولي قضاء بياسة وقضاء لورقة ولم يزل محفوظ الجانب محمود المذاهب سمعته ينشد والدي قصيدة في المنصور وقد نهض للقاء العدو منها

اذا انهضت فان السيف منتهض * ترمي السعود بها والعداغرض
لك البسيطة تطويها وتنشرها * فليس في كل ما تنويه معترض

قال وسمعته يقول له أنشدت الوزير أبا سعيد بن جامع قصيدة أولها

استوقف الركب قد لاحت لك الدار * واسال ربع تناءت عنه أقمار
لا خفف الله عني بعد بينهم * فانني سرت والاحباب ما ساروا

ومنها

الا رعى الله ظبيا في قبابهم * منه لهم في ظلام الليل انوار

وله

يقع في جوف المركب والسرج قد جعلت حواليه وان بالنور صلاح هذا العالم وشرف النار على الظلمة ومضادتها لها ومرتبة الماء وزيادته على النار باطفائه ومضادته لها وانه أصل لكل شئ ومبدأ الكل شئ ومبدأ الكل تمام فلما أخبر أفريدون بما ذكرنا أمر بحمل جزء منها الى خراسان فاتخذ لها بيتا بطوس وبنى آخر من بيوب النار بسجستان كراكر كان اتخذه بهمن بن اسفنديار باذ ابن يستاسف وبيت آخر ببلاد السيروان والري وكان فيه أصنام فاخرجها أنوشروان وقيل ان أنوشروان صادف هذا البيت وفيه نار معظمة فنقلها الى الموضع المعروف بالبركة وبيت آخر للنار يقال له كوسجه بناه كيجره الملك وقد كان بقومس بيت للنار معظم لا يدرى من بناه يقال له جريس ويقال ان الاسكندر لما غلب عليها تركها ولم يطفئها ويقال انه كان في ذلك الموضع فيما مضى مدينة عظيمة عجيبة البناء فيها بيت كبير عجيب الهيئة فيه أصنام فاخربت تلك المدينة بما فيها من البيوت ثم بنى بعد ذلك بيت وجعلت فيه تلك النار وبيت آخر بناه فارس بن كاوس الجبار وذلك زمان لهشه بمشرق

علانى بذكر من همت فيه * وعدانى عنه بما أرتجيه
واذا ما طربت يما لارتياحى * فاجعلا خمرتى مدامة فيه
ليت شعرى وكم أطيل الامانى * أى يوم فى خلوة ألتقيه
واذا ما ظفرت يوما بشكوى * قال لى أين كل ما تدعيه
لا دموع ولا سقام فماذا * شاهد عنك بالذى تدعيه
قلت دعنى أمت بدائى فانى * لو برانى الغرام لا أبديه

وقال فى عواده لما مرض

انى مرضت مرضة * اسقطت منها فى يدى
فكان فى الاخوان من * لم أره فى العود
نقلت فى كلهم * قول امرئ مقتصد
أبر الذى قد عادنى * فى أست الذى لم يعد

مات باشبيلية سنة ٦٢٩ انتهى * وقال ابن سعيد أنشدنى والدى للحافظ أبى الطاهر السلفى قال وكفى به شاهدا وبقوله مفتخرا

بلاد أذر بيجان فى الشرق عندنا * كاندلس بالغرب فى العلم والادب
فان تكاد الدهر تلفى مميزا * من اهليهما الا وقد جد فى الطلب

وحكى غير واحد كان الابار ان عباس بن ناصح الشاعر لما توجه من قرطبة الى بغداد ولقى أبا نواس قال له أنشدنى لابى الاجرب قال فانشدته ثم قال أنشدنى لبكر الكنانى فانشدته وهذان شاعران من شعراء الاندلس واعلم اننا ان تتبعنا كلام الاندلسيين وحكاياتهم الدالة على سبقهم طال بنا الكتاب ولم نستوف المراد فرأينا أن نذكر بعضا من ذلك بحسب ما اقتضاه الحال وأبداه ليكون عنوانا دالا على ماعداه * يكفى من الحلى ما قد حف بالعنق * ولنبدأ ما نسوقه من أخبارهم وأشعارهم وحكاياتهم فى الجد والهزل والتولية والعزل بقول الفقيه الزاهد أبى عمران موسى بن عمران المارتلى وكان سكن اشبيلية

لا تبك ثوبك ان أبليت جدته * وابك الذى أبلت الايام من بدنك
ولا تكونن محتالا لجدته * فربما كان هذا الثوب من كفنك
ولا تعفه اذا أبصرته دنسا * فانما اكتسب الاوساخ من درنك

وقال أبو عمرو اليحصبى الاوشى

شرد النوم عن جفونك وانظر * حكمة توقظ النفوس النياما
فحرام على امرئ لم يشاهد * حكمة الله أن يذوق المناما

وقال أيضا

ليس للمرء اختيار فى الذى * يتمنى من حراك وسكون
انما الامر لرب واحد * ان يشأ قال له كن فيكون

وقال أبو وهب القرطبى

تنام وقد أعدلك السهاد * وتوقن بالرحيل وليس زاد

الصين مما يلى البركة وبيت العشرة كانت قبل ظهور زرادشت بن اسبيجان بنى المجوس ثم اتخذ زرادشت ابن اسبيجان بعد ذلك بيوت النيران وكان مما اتخذ بيت بمدينة نيسابور من بلاد خراسان وبيت آخر بمدينة نساوالبيضاء من أرض فارس وقد كان يستاسف الملك يطلب نارا معظمها جمر فوجدت بمدينة خوارزم فنقلها بعد ذلك يستاسف الى مدينة دارابجرد من ارض فارس وكورها بهذا البيت وهذه النار تسمى فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة اذر وحواء وتفسير ذلك نار النهر وذلك أن آذر أحد أسماء النار بالفارسية الاولى والمجوس تعظم هذه النار ما لا تعظم غيرها من النيران والبيوت (وذكرت) الفرس ان كيخسرو لما خرج غازيا الى الترك سار الى خوارزم فمر على تلك الديار فلما وجدها عظمها وسجد لها ويقال ان أنوشروان هو الذى نقلها الى الكارباه فلما ظهر الاسلام تخوفت المجوس أن تطفئها المسلمون فتركوا بعضها بالكارباه ونقلوا بعضها الى نسا والبيضاء من كورة فارس لتبقى احداهما ان طفئت الاخرى (وللفرس) بيت نار باصطخر فارس تعظمه المجوس كان فى قديم الزمان فأخرجته جانى بنت بهمن

وتصبح مثل ما تمشى مضيعا * كانك لست تدرى ما المراد
أتطمع أن تفوز غدا هنيا * ولم يك منك فى الدنيا اجتهاد
اذا فرطت فى تقديم زرع * فكيف يكون من عدم حصاد

وقيل ان الابيات السابقة التى أولها أنا فى حالتى الى آخره وجدت فى ثركته بخطه فى شقف وبعضهم ينسبها لغيره واسم أبى وهب المذكور عبد الرحمن وذكره ابن بشكوال فى الصلة وأثنى عليه بالزهد والانقطاع وكان فى أول أمره قد حسب عامة الناس انه مختل العقل فجعلوا يؤذونه ويرمونه بالحجارة ويصيحون عليه يا مجنون يا أحمق فيقول

ياعاذلى أنت به جاهل * دعنى به لست بمغبون
أما ترانى أبدا والها * فيه كمسحور ومفتون
أحسن ما أسمع فى حبه * وصفى بمختل ومجنون

وقال الخطيب أبو محمد بن برطلة

بار بعة أرجو نجاتى وانها * لاكرم مذخور لدى واعظم
شهادة اخلاصى وحبى محمدا * وحسن ظنونى ثم أنى مسلم

وقال ابن حبيش

قالوا تصبر عن الدنيا الدنية او * كن عبدها واصطبر للذل واحتمل
لابد من احد الصبرين قلت نعم * الصبر عنها بعون الله اوفق لى

وقال ابن الشيخ

اطلب لنفسك فوزها واصبر لها * نظر الشفيق وخف عليها واتق
من ليس يرحم نفسه ويصدها * عما سيهلكها فليس بمشفق

وقال ابو محمد القرطبى

لعمرك ما الدنيا وسرعة سيرها * لسكانها الا طريق مجاز
حقيقتها أن المقام بغيرها * ولكنهم قد أولعوا بمجاز

وقال الشميس

لله فى الدنيا وفى اهلها * معميات قد فككناها
من بشر نحن فن طبعنا * نحب فيها المال والجاها
دعنى من الناس ومن قولهم * فانما الناس اخلاها
لم تقبل الدنيا على ناسك * الا وبالرحب تلقاها
وانما يعرض عن وصلها * من صرفت عنه محياها

وقال ابو القاسم بن بقى

الا انما الدنيا كراح عتيقة * اراد مدبروها بها جلب الانس
فلما اداروها اثارت حقودهم * فعاد الذى رأموا من الانس بالعكس

وقال ابو محمد عبد الله بن العسال الطليطلى

انظر الدنيا فان ابصرتها * شيأ يدوم

بيت للنار معظم عندهم اتخذه دارا بن دارا (وفى مدينة جور) من ارض فارس وهو البلد الذى يحمل منه ماء الورد يذكرون أنه مسجد سليمان ابن داود وبه يعرف وقد دخلته وهو على فرسخ من مدينة اصطخر فرأيت بنيانا عجيبا وهيكلا عظيما واساطين صخر عجيبة على أعلاها صور من الصخر طريفة ومن الحلى وغيره كالحيوان عظيمة القدر والاشكال محيط بذلك جبل عظيم وسور منيع من الحجر وفيه صور لاشخاص قد تشكلت وأبقيت صورها فزعم من جاور هذا الموضع أنها صور الانبياء وهو فى سفح الجبل والريح غير خارجة من ذلك الهيكل فى ليل ولا نهار لها هبوب ودوى يذكر من هنالك أن سليمان بن داود عليهما السلام حبس الريح فى ذلك الموضع وأنه كان يتغدى ببعلبك من ارض الشام ويتعشى فى هذا المسجد وينزل بمدينة تدمر وقلعتها المتخذة فيها ومدينة تدمر فى البرية بين العراق ودمشق وحمص من أرض الشام يكون منها من الشام نحو خمسة أميال أوستة وهى بنيان عجيب من الحجر وكذلك الملعب الذى فيها وفيها خلق من الناس من العرب من قحطان وفى مدينة سابور من أرض فارس

فاغدمنها فى امان * ان يساعدك النعيم
واذا ابصرتها منـ ـك على كره تهيم
فاسل عنها واطرحها * وارتحل حيث تقيم

وقال ابن هشام القرطبى

وابى المدامة لا اريد بشربها * صلف الرقيع ولا انهماك اللاهى
لم يبق من عهد الشباب وطيبه * شئ كعهدى لم يحل الاهى
ان كنت أشربها لغير وفائها * فـ ـتركها للناس لا لله

وقال ابو محمد بن السيد البطليوسى مما نسبه اليه فى المغرب

اخو العـ ـلم حى خالد بعـ ـد موته * واوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى * يظن من الاحياء وهو عديم

وقال أبو الفضل بن شرف

لعمرك ما حصلت على خطير * من الدنيا ولا أدركت شيا
وها أنا خارج منها سليبا * أقلب نادما كفا بكفا
وأبكى ثم أعلم أن مبكا * ى لا يجدى فأمسح مقلتيا
ولم أجزع لقول الموت لكن * بكيت لقلة الباكى عليا
وان الدهر لم يعـ ـلم مكانى * ولا عـ ـرفت بنوه مالديا
زمان سوف أنشر فيه نشرا * اذا أنا بالجمام طويت طيا
أسر بانى ساعيش ميتا * به ويسوءنى أنى مت حيا

وقال الزاهد العارف بالله سيدى أبو العباس بن العريف نفعنا الله تعالى به

سلوا عن الشوق من أهوى فانهم * أدنى الى النفس من وهمى ومن نفسى
فمن رسولى الى قلبى ليسالهـ ـم * عن مشكل من سؤال الصب ملتبس
حلوا فؤادى فما يندى ولو وطئوا * صخر الجلد بماء منـ ـه منبجس
وفى الحشا نزلوا والوهم يخرجهم * فكيف قروا على أذكى من القبس
لا تهضن الى حشرى بجمهـ ـم * لا بارك الله فيمن خانهـ ـم ونسى

قلت وقد زرت قبره المعظم بمراكش سنة عشر وألف وهو ممن يتبرك به فى تلك الديار ويستسقى به الغيث وهو من أهل المرية وأحضره السلطان الى مراكش فمات بها وله كرامات شهيرة ومقامات كبيرة نفعنا الله تعالى به * واعلم ان أهل الاندلس كانوا فى القديم على مذهب الاوزاعى وأهل الشام منذ اوّل الفتح فى دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وهو ثالث الولاة بالاندلس من الامويين انتقلت الفتوى الى رأى مالك بن أنس وأهل المدينة فانتشر علم مالك ورأيه بقرطبة والاندلس جميعا بل والمغرب وذلك برأى الحكم واختياره واختلفوا فى السبب المقتضى لذلك فذهب الجمهور الى أن سببه رحلة علماء الاندلس الى المدينة فلما رجعوا الى الاندلس وصفوا فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره فاعظموه كما قدمنا ذلك وقيل ان الامام مالكا سأل بعض الاندلسيين عن سيرة ملك الاندلس فوصف

عيد وهو احد منتزهات فارس وفى وسط مدينة جور بنيان كانت تعظمه الفرس يقال له البرمال اخربه المسلمون وبين جور ومدينة كوار عشرة فراسخ وبها يعمل ماء الورد الكوارى واليها يضاف وهذا الماء الورد المعمول بجور وكوار أطيب ماء ورد يعمل فى العالم لصحة البرية وصفاء الهواء وألوان سكان هذه البلاد حمرة فى بياض ليست لغيرهم من الامصار ومن كوار الى مدينة شيراز وهى قصبة فارس عشرة فراسخ (ولجور وكوار وشيراز وغيرها) من كور فارس أخبار وما فيها من البنيان اقاصيص يطول ذكرها قد دوّنتها الفرس وكذلك ما كان بارض فارس من الموضع المعروف بماء النار وقد بنى عليه هيكل وكان كورش الملك حين ولد المسيح عليه السلام بعث ثلاثة انفس دفع الى احدهم صرة من لبان والى آخر صرة من مر والى آخر صرة من تبر وسيرهم يهتدون بنجم وصفه لهم فساروا حتى انتهوا الى السيد المسيح وامه بارض الشام والنصارى تغلو فى قصة هؤلاء النفر وهذا الخبر موجود فى الانجيل وان هذا الملك كورش نظر الى نجم قد طلع بمولد

له سيرته فاعجبت مالك الكون سيرة بني العباس في ذلك الوقت لم تكن بمرضية وكابد لما صنع أبو جعفر المنصور بالعلوية بالمدينة من الحبس والاهانة وغيرهما ما هو مشهور في كتب التاريخ فقال الامام مالك رضي الله تعالى عنه لذلك المخبر نسال الله تعالى أن يزين حرمنا بملككم أو كلاما هذا معناه فنميت المسئلة الى ملك الاندلس مع ما علم من جلالة مالك وتدينه فحمل الناس على مذهبه وترك مذهب الاوزاعي والله تعالى أعلم * وحكى أن القاضي الزاهد أبا اسحق ابراهيم بن عبد الله بن أبي يغمور لما ندبه أهل الامر لولاية القضاء بمدينة فاس استعفى فلم يقبل منه وخرج الى تلك الناحية وخرج الناس لوداعه فانشد

عليكم سلام الله اني راحل * وعيناي من خوف التفرق تدمع
فان نحن عشنا فهو يجمع بيننا * وان نحن متنا فالقيامة تجمع

وأنشد أصحابه رحمه الله تعالى ولا أدري هل هي له أو لغيره

كنا نعظه بآمال قدركم * حتى انقضت فتساوى عندنا الناس
لم تفضلونا بشئ غير واحدة * هي الرجاء فسوى بيننا اليأس

وأنشد أيضا

بلوتهم مذ كنت طفلا فلم أجد * كما أشتهي منهم صديقا وصاحبا
فصوبت رأيي في فراري منهم * وشمرت أذيالي وأمعنت هاربا

وأنشد لغيره في الكتمان

أخفي الغرام فلا جوارحه * شعرت بذاك ولا مفاصله
كالسيف يعجبه الحمام ولم * يعلم بما حملت حمائله

وأنشد

قد كنت أمرض في الشبيبة دائما * والموت ليس يمر لي في البال
والآن شبت وصحتي موجودة * وأرى كأن الموت في أذيالي

ولما أنشده تاج الدين بن حمويه السرخسي الوافد على المغرب من المشرق قول بعضهم

فلا تحقرن عدوا رماك * وان كان في ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب * وتجتز عما تنال الابر

قال حسن جيد ولكن اسمع ما قال شاعرنا القسطلي وأنشد

أثرى لكشف الخطب والخطب مشكل * وكاني لليث الغاب وهو هصور
فقد تخفض الاسماء وهي سواكن * ويعمل في الفعل الصريح ضمير
وتنبو والدينيات والطول وافر * ويبعد وقع السهم وهو قصير

وكان الوزير الكريم أبو محمد عبد الرحمن بن مالك المعافري أحد وزراء الاندلس كثير الصنائع جزل المواهب عظيم المكارم على سنن عظماء الملوك واخلاق السادة لم ير بعده مثله في رجال الاندلس ذاكرا للفقه والحديث بارعا في الآداب شاعرا مجيدا وكاتبا بليغا كثير الخدم والاهل ومن آثاره الحمام بحوفي الجامع الاعظم من غرناطة وزاد في سقف الجامع من صحنه

وقد أتينا في كتابنا اخبار الزمان على شرح هذا الخبر وما قالت فيه المجوس والنصارى وخبر الرغفان التي دفعتها اليهم مريم وما كان من الرسل وجعل الخبز تحت الصخرة وغوصها في الارض وذلك بفارس وكيف حضر عليها الماء وأنها وجدت وقد صارت شعلتي نار على وجه الارض تتقدان وغير ذلك مما قيل في هذا الخبر (وقد كان أردشير) بنى بيتا آخر يقال له بار بو في اليوم الثاني من غلبة فارس وبيت نار على خليج القسطنطينية في عساكره فلم يزل هذا البيت هنالك الى خلافة المهدي فخرب وله خبر عجيب وقد كان سابور الجنود اشترط على الروم بناء هذا البيت وعمارته عند حصاره القسطنطينية وكان مسيره في جيوش فارس وغيرها من الترك وملوك الامم فسمي سابور الجنود لكثرة من تبعه من الجنود (وقد كان سابور) لما سار الى بلاد الحيرة عدل عن طريقه فنزل الحصن المعروف بالحضر وقد كان هذا الحصن للساطرون بن استطرون ملك السريانيين في رستاق يقال له أباحر من بلاد الموصل (وقد ذكرته الشعراء) لعظم ملكه وكثرة جيوشه وحسن بنائه بهذا الحصن المعروف

بالحضر فمن ذكر منهم
وأرى الموت قد تدلى من الحضـ
ـر على رب أهله الساطرون
ولقد كان آمنا للدواهى
ذا ثراء وجوهر مكنون
وقد قيل ان النعمان بن المنذر من ولد الساطرون ابن استطرون والساطرون واستطرون هذه ألقاب وهم ملوك ملكوا على السريانيين ثم تملك تلك الديار بعد من ذكرنا من أفناهم الدهر الضيزن بن جهلة وجهلة أمه وهو الضيزن بن نبت بن معاوية ابن العبيد بن حرام بن سعد ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكان كثير الجنود مهادنا للروم متحيزا اليهم يعبر رجاله على العراق والسواد وكان فى نفس سابور عليهم ذلك فلما نزل على حصنه تحصن الضيزن فى الحصر فاقام سابور عليه شهرا لا يجد سبيلا الى فتحه ولا يتاتى له حيلة فى دخوله فنظرت النظيرة بنت الضيزن يوما وقد أشرفت من الحصن الى سابور فهويته وأعجبها جماله وكان من أجمل الناس وأمدهم قامة فأرسلت اليه ان أنت ضمنت لى ان تتزوجنى وتفضلنى على نسائك دللتك على فتح هذا الحصن فضمن لها ذلك فارسلت اليه ائت البرباروهو نهر فى أعلاه

وعوض أرجل قسيه أعمدة الرخام وجلب الرؤس والموائد من قرطبة وفرش صحنه بكذان المخر ووجهه أميره على بن يوسف بن تاشفين الى طرطوشة برسم بنائها فلما حاها سال قاضيها فكتب له جملة من أهلها ممن ضعفت حاله وقل تصرفه من ذوى البيوتات فاستعملهم امناء ووسع أرزاقهم حتى كل له ما أراد من عمله ومن عجز أن يستعمله وصله من ماله فصدر عنها وقد أنعش خلقا رضى الله تعالى عنه ورحمه ومن شعره فى مجلس أطرب سماعه وبسطه احتشاد الانس فيه واجتماعه فقال

لا تلمنى بان طربت لشجو * يبعث الانس فالكريم طروب
ليس شق الجيوب حقا علينا * انما الحق أن تشق القلوب

وخطف غلام من غلمانه نوّارة ومد بها يده الى أبى نصر الفتح بن عبيد الله فقال أبو نصر

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه * وفى كفه من رائق النور كوكب
يروح لتعذيب النفوس ويغتدى * ويطلع فى أفق الجمال ويغرب

فقال أبو محمد بن مالك

ويحسد منه الغصن أى مهفهف * يجىء على مثل الكثيب ويذهب

وقد سبق هذا وكتب الى الفتح من غير ترو يا سيدى جرت الايام بفراقك وكان الله جارك انطلاقك فغيرك روّع بالظعن وأوقد للوداع جاحم الشجن فانك من أبناء هذا الزمن خليفة الخضر لا يستقر على وطن كانك والله يختار لك ما تاتيه وما تدعه موكل بفضاء الارض تذرعه فحسب من نوى بعشرتك الاستمتاع ان بعدك من العوارى السريع الارتجاع فلا يأسف على قلة النوى وينشد * وفارقت حتى لا أبالى من أهوى * ومات رحمه الله تعالى بغرناطة سنة ٥١٨ وحضر جنازته الخاصة والعامة وهو من محاسن الاندلس رحمه الله تعالى * ومن نوادر الاتفاق أن جارية مشت بين يدى المعتمد وعليها قميص لا تكاد تفرق بينه وبين جسمها وذوائبها تخفى آثار مشيها فسكب عليها ماء ورد كان بين يديه وقال

علقت جائلة الوشاح غريرة * تختال بين أسنة وبواتر

وقال لبعض الخدم سر الى أبى الوليد البطليوسى المشهور بالنحلى وخذه باجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ منه فاجاب النحلى لاول وقوع الرقعة بين يديه

راقت محاسنها وراق أديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
وتمايلت كالغصن فى دعص النقا * والتف فى ورق الشباب الناضر
يندى بماء الورد مسبل شعرها * كالطل يسقط من جناح الطائر
تزهى برونقها وعزّ جمالها * زهو المؤيد بالثناء العاطر
ملك تضاءلت الملوك لقدره * وعناله صرف الزمان الجائر
واذا لمحت جبينه ويمينه * أبصرت بدرا فوق بحر زاخر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له أحسنت أومعنا كنت فقال له يا قائل المحال ما قلت وأوحى ربك الى النحل * وأصبح المعتمد يوما متمثلا فدخل الحمام وأمر أن يدخل النحلى معه فجاء وقعد فى مسلخ الحمام حتى يستاذن عليه فجعل المعتمد يحيق فى الحمام وهو حال وقد بقيت فى رأسه

فانظر فيه بمقام اتساعه النظر ان يدخل فادخل الرجال منه فان ذلك المكان

رأسه بقية من السكر وجعل كلما سمع دوى ذلك الصوت يقول الجوز اللوز القسطل ومر على هذا ساعة الى أن تذكر النحلى فصادفه فلما دخل قال له من أى وقت أنت هنا قال من أول ما رتب مولانا الفواكه فى النصبة فغشى عليه من الضحك وأمر له باحسان والنصبة مائدة يصبون فيها هذه الاصناف * ولما استحسن المعتمد قول المتنبى

اذا طرفت منك العيون بنظرة * الى آخره قال ابن وهبون بديهة وقالوا أجاد ابن الحسين الخ وقد تقدم ذكرهما فامر له بمائتى دينار * ولما قال ابن وهبون المذكور

غاض الوفاء فما تلقاه فى رجل * ولا يمر لمخلوق على بال

قد صار عندهم عنقاء مغربة * أو مثل ماحدثوا عن ألف مثقال

فقال له المعتمد عنقاء مغربة وألف مثقال يا عبد الجليل عندك سواء فقال نعم قال قد أمرنا لك بالف دينار وبالف دينار أخرى تنفقها * وذكر القرطبى صاحب التذكرة فى كتابه قمع الحرص بالزهد والقناعة ماصورته روينا أن الامام أبا عمر بن عبد البر رضى الله تعالى عنه بلغه وهو بشاطبة أن أقواما عابوه باكل طعام السلطان وقبول جوائزه فقال

قل لمن ينكر أكلى * لطعام الامراء

أنت من جهلك هذا * فى محل السفهاء

ان الاقتداء بالصالحين من الصحابة والتابعين وأئمة الفتوى من المسلمين من السلف الماضين هو ملاك الدين فقد كان زيد بن ثابت وكان من الراسخين فى العلم يقبل جوائز معاوية وابنه يزيد وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مع ورعه وفضله يقبل هدايا صهره المختار بن أبى عبيد ويأكل طعامه ويقبل جوائزه وقال عبد الله بن مسعود وكان قد تملأ علما لرجل سأله أتقال ان لى جارا يعمل بالربا ولا يجتنب فى مكسبه الحرام يدعونى الى طعامه أفاجيبه قال نعم لك المهنأ وعليه المأثم مالم تعلم الشئ بعينه حراما وقال عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه حين سئل عن جوائز السلاطين لحم ظبى ذكى وكان الشعبى وهو من كبار التابعين وعلمائهم يؤدب بنى عبد الملك بن مروان ويقبل جوائزه ويأكل طعامه وكان ابراهيم النخعى وسائر علماء الكوفة والحسن البصرى مع زهده وورعه وسائر علماء البصرة أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبان بن عثمان والفقهاء السبعة بالمدينة حاشى سعيد بن المسيب يقبلون جوائز السلطان وكان ابن شهاب يقبلها ويتقلب فى جوائزهم وكانت أكثر كسبه وكذلك أبو الزناد وكان مالك وأبو يوسف والشافعى وغيرهم من فقهاء الحجاز والعراق يقبلون جوائز السلاطين والامراء وكان سفيان الثورى مع ورعه وفضله يقول جوائز السلطان أحب الى من صلة الاخوان لان الاخوان يمنون والسلطان لا يمن ومثل هذا عن العلماء والفضلاء كثير وقد جمع الناس فيه أبوابا ولاحمد بن خالد فقيه الاندلس وعالمها فى ذلك كتاب حمله على وضعه وجمعه طعن أهل بلده عليه فى قبوله جوائز عبد الرحمن الناصر اذ نقله الى المدينة بقرطبة وأسكنه دارا من دور الجامع قربه وأجرى عليه الرزق من الطعام والادام والناض وله ولمثله فى بيت المال حظ والمسؤل عن التفليط فيه هو السلطان كما قال عبد الله بن مسعود ذلك المهنأ وعليه المأثم مالم تعلم الشئ بعينه حراما ومعنى قول ابن مسعود هذا قد أجمع العلماء عليه فمن علم

يفضى الى الحصن ففعل ذلك سابور فلم يشعر أهل الحصن الا واصحاب سابور معهم فى الحصن وقد عمدت النظيرة فسقت أباها حتى اسكرته طمعا فى تزويج سابور اياها وأمر سابور بهدم الحصن بعد أن قتل الضيزن ومن معه وعرس سابور بالنظيرة بنت الضيزن فباتت مسهدة فقال لها سابور مالك لا تنامين قالت ان جنبى يتجافى عن فراشك قال ولم فوالله مانامت الملوك على ألين منه وأوطأ وان حشوه لزغب النعام فلما أصبح سابور نظر فاذا ورقة آس بين عكنها فتناولها فكاد بطنها أن يدمى فقال لها ويحك بما كان أبوك يغذيانك فقالت بالزبد والمخ والقمح والشهد وصفو الخمر فقال لها سابور انى أجد برأن لا أستبقيك بعد هلاك أبويك وقومك وكانت حالتك عندهم الحالة التى تصفين فامر بها فربطت بغدائرها الى فرسين جموحين ثم خلا سبيلهما فقطعاها فى هذا المقتول ومن كان معه يقول جدى بن الدهمى العبسى

ألم يحزنك والانباء تنمى * بما لاقت سراة بنى العبيد

وبالابطال سابور الجنود * وأحلاف الكتائب من يزيد أتاهم بالفيول مجللات

 ومصرع ضيزن وبنى أبيه *

الشيء بعينه حراما ماخوذا من غير حله كالجريمة وغيرها وشبهها من الطعام والدابة وما كان مثل ذلك كله من الاشياء المتعينة غصبا أو سرقة أو ماخوذة بظلم بين لا شبهة فيه فهذا الذي لم يختلف أحد في تحريمه وسقوط عدالة آكله واخذه وتملكه وما اعلم من علماء التابعين احدا تورع عن جوائز السلطان الا سعيد بن المسيب بالمدينة ومحمد بن سيرين بالبصرة وهما قد ذهبا مذاهب مثلا في التورع وسلك سبيلهما في ذلك احمد بن حنبل واهل الزهد والورع والتقشف رحمة الله تعالى عليهم اجمعين والزهد في الدنيا من افضل الفضائل ولا يحل لمن وفقه الله تعالى وزهد فيها ان يحرم ما اباح الله تعالى منها والعجب من أهل زماننا يعيبون الشبهات وهم يستحلون المحرمات ومثالهم عندي كالذين سالوا عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما عن المحرم يقتل القراد والحلمة فقال للسائلين له من انتم فقالوا من اهل الكوفة فقال تسالوني عن هذا وأنتم قتلتم الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما وروى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أتاك من غير مسئلة فكله وتموله وروى هذا الحديث أيضا عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ما أتاك من غير مسئلة فكله وتموله وروى أبو سعيد الخدري وجابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم معناه وفي حديث أحدهما انما هو رزق رزقكه الله تعالى وفي لفظ بعض الرواة ولا ترد على الله رزقه وهذا كله مبني على ما أجمعوا عليه وهو الحق فمن عرف الشيء المحرم بعينه فانه لا يحل له المسئلة من كلام ابن عبد البر انتهى * وحضر ابن جبير مع عدوله جاحد المعروفه وأمامهما زجاجة سوداء فيها خمر فقال له الحسود ان كنت شاعرا فقل في هذه فقال ارتجالا ساشكو الى الندمان الى آخر الحكاية وقد تقدمت في رسالة الشقندي رحمه الله تعالى وابن جبير هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن جبير الفهري كان في وقته شاعر المغرب ويشهد له بقوة عارضته وسلامة طبعه قصائده التي صارت مثالا وبعدت على قربها مثالا وشعره كثير يشتمل على أكثر من تسعة آلاف وأربعمائة بيت واتصل بالامير أبي عبد الله بن سعد بن مردنيش وله فيه أمداح وأنشد يوسف بن عبد المؤمن يهنيه بفتح

ان خير الفتوح ما جاء عفوا * مثل ما يخطب الخطيب ارتجالا

وكان أبو العباس الجراوي حاضرا فقطع عليه لحسادة وجدها وقال يا سيدنا اهتدم بيت وضاح خير شراب ما كان عفوا * كانه خطبة ارتجالا فبدر المنصور وهو حينئذ وزير أبيه وسنه قريب العشرين وقال ان كان اهتدمه فقد استحقه لنقله اياه من معنى خسيس الى معنى شريف فسر ابوه بجوابه وعجب الحاضرون * ومر المنصور أيام امرته باوقية من أرض شلب فوقف على قبر الحافظ أبي محمد بن حزم وقال عجبا لهذا الموضع يخرج منه مثل هذا العالم ثم قال كل العلماء عيال على ابن حزم ثم رفع رأسه وقال كما أن الشعراء عيال عليك يا أبا بكر يخاطب ابن جبير * ومن شعر ابن جبير يصف خيل المنصور من قصيدة في مدحه

له حلبة الخيل العتاق كانها * نشاوى تهادت تطلب العرف والنصفا
عرائس أغنتها الحجول عن الحلى * فلم تبغ خلخالا ولا التمست وقفا
فمن يقق كالطرس تحسب أنه * وان جردوه في ملاءته النفا
وابلق اعطى الليل نصف اهابه * وغار عليه الصبح فاحتبس النصفا

فهدم من بروج الحصن منها من الغدر وبابيها وقومها وارشاد سابور الى دخول الحصن يقول عدي ابن زيد العبادي

والحصن صب عليه داهية
من قصره قد أبدتسا كنها
أنتم اذ لبوف والدها
محبها اذ أضاع راقبها
وأسلمت أهلها الليلتها
تظن أن الرئيس خاطبها
وكان حظ العروس اذ حشر الصـ
ـبح وما تجدين سيما سببها

والشعر في هذه القصة كثير (وبارض العراق) بيت للنارفي مدينة السلام بنته بوران بنت كسرى أبرويز الملكة في الموضع المعروف باسبيا وبيوت النيران كثيرة مما بنته المجوس بالعراق وأرض فارس وكرمان وسجستان وخراسان وطبرستان والجبال وأذربيجان والران وفي الهند والسند والصين أعرضنا عن ذكرها وانما ذكرنا ما اشتهر منها (والهيا كل) المعظمة عند اليونانيين وغيرهم كثيرة مثل بيت بعل وهو الصنم الذي ذكره الله عز وجل بقوله أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين وهو بمدينة بعلبك من أعمال دمشق من كور سنير وقد كانت اليونانية اختارت لهذا الهيكل قطعة من الارض

وورد تغشى جلده شفق الدجى * فاذا حازه دلى له الذيل والعرفا
واشقر مج الراح صرفا اديمه * واصفر لم يمسح بها جلده صرفا
واشهب فضى الاديم مدنر * عليه خطوط غير مفهمة حرفا
كما خط الراهى بمهرق كاتب * بخر عليه ذيله وهو ماجفا
تهب على الاعداء منها عواصف * ستنسف ارض المشركين بها نسفا
ترى كل طرف كالغزال فتمترى * اظبيا ترى تحت الحجاجة ام طرفا
وقد كان فى البيداء يالف سربه * فربته مهراوهى تحسبه خشفا
تناوله لفظ الجواد لانه * على ما اردت الجرى اعطاكه ضعفا

ولما اتخذ المنصور مقصورة الجامع بمراكش بدار ملكها وكانت مدبرة على انتصابها اذا استقر المنصور ووزراؤه بمصلاه واختفائها اذا انفصلوا عنها انشد فى ذلك الشعراء فقال ابن مجبر من قصيدة اولها

اعلمتنى التى عصا رالتسيار * فى بلدة ليست بدار قرار

الى ان قال

طورا تكون بمن حوته محيطة * فكانها سور من الاسوار
وتكون حينا عنهم مخبوءة * فكانها سر من الاسرار
وكانها علمت مقادير الورى * فتصرفت لهم على مقدار
فاذا احست بالامام يزورها * فى قومه قامت الى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعده * كتكون الهالات للاقمار

ومن روى عنه ابو على الشلوبين وطبقته وتوفى بمراكش سنة ٥٨٨ وعمره ٥٣ سنة رحمه الله تعالى * وقد حكى الشريف الغرناطى شارح المقصورة هذه الحكاية باتم مما ذكرناه فقال عن الكاتب ابن عياش كاتب المنصور والموحدى قال كانت لابى بكر بن مجبر وفادة على المنصور فى كل سنة فصادف فى احدى وفاداته فراغه من احداث المقصورة التى كان احدثها بجامعه المتصل بقصره فى حضرة مراكش وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه وتخفض لدخوله وكان جميع من بباب المنصور يومئذ من الشعراء والادباء قد نظموا اشعارا انشدوها اياها فى ذلك فليزيدوا على شكره وتجزيته الخير فيما جدد من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى لوصف الحال حتى قام ابو بكر بن مجبر فانشد قصيدته التى اولها اعلمتنى ألقى عصا التسيار واستمر فيها حتى الم بذكر المقصورة فقال يصفها طورا تكون الخ فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها انتهى وقد بطلت حركات هذه المقصورة الآن وبقيت آثارها حسبما شاهدته منذ عشر وألف والله تعالى وارث الارض ومن عليها * ومن نظم ابن مجبر ايضا ما كتب به الى السلطان ملك المغرب رحمه الله تعالى وقد ولد له ولد أعنى لابن مجبر

ولد العبد الذى انعامكم * طينة أنشئ منها جسده
وهو دون اسم لعلمى أنه * لا يسمى العبد الا سيده

أحدهما أقدم من الآخر فيهما من النقوش العجيبة المحفورة فى الحجر الذى لا يتأتى حفر مثله فى الخشب مع علو سمكهما وعظم أحجارهما وطول أساطينهما ووسع فتحهما وعجيب بنيانهما وقد أتينا على خبر هذه الهياكل وما كان من خبر القتل على رأس ابنة الملك وما نال أهل هذه المدينة من سفك الدماء (وهيكل عظيم البنيان) فى مدينة دمشق وهو المعروف بجيرون وقد ذكرنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب وأن بانيه جيرون بن أسعد العادى ونقل اليه عمد الرخام وأنه ارم ذات العماد المذكورة فى القرآن لا ماذكر عن كعب الاحبار أنه دخل على معاوية بن أبى سفيان وساله عن خبرها وذكر عجيب بنيانها من الذهب والفضة والمسك والزعفران وانه يدخلها رجل من العرب يتيه له حلان فيخرج فى طلبهما فيقع اليها وذكر حلية الرجل ثم التفت فى مجلس معاوية فقال هذا هو الرجل وكان الاعرابى قد دخلها يطلب ماند من ابله فاجاز معاوية كعبا وتبين صدق مقالته

وايضاح برهانه فان كان هذا الخبر عن كعب حقا فى هذه المدينة فهو حسن وهو خبر يدخله الفساد من

وهو من صنعة القصاص (وقد تنازع الناس) في هذه المدينة وأين هي ولم

وقوله

ملك ترو يك منه شيمة * انست الظما آن رزق النطف
جمعت من كل مجد فنكت * لفظة قد جمعت من أحرف
يعجب السامع من وصفي لها * ووراء العجز مالم اصف
لو أعار السهم مافي رايه * من سداد وهدى لم يصف
حلمه الراجح ميزان الهدى * يزن الاشياء وزن المنصف

وقال ابن خفاجة

صح الهوى منك ولكنني * اعجب من بيني لنا يقدر
كأننا في فلك دائر * فانت تخفى وانا اظهر

وهما الغاية في معناهما كما قاله ابن ظافر رحمه الله تعالى * وقال الاعمى التطيلي

اذا اشتفت مني الايام في وطني * حتى تضايق فيما عزمن وطري
فلا قضت من سواد العين حاجتها * حتى تكر على ما طال في الشعر

وقال القاضي أبو حفص بن عمر القرطبي

هم نظروا لواحظها فهاموا * وتشرب لب شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها * أيذعر قلب حامله الحسام
سما طرفي اليها وهو باك * وتحت الشمس ينسكب الغمام
وأذكر قدها فانوح وجدا * على الاغصان تنتدب الحمام
فأعقب بينها في الصدر غما * اذا غربت ذكاء أتى الظلام

وقال الحاجب عبد الكريم بن مغيث

طارت بنا الخيل ومن فوقها * شهب براة لجمام الحمام
كأنما الايدي قسي لها * والطير اهداف وهن السهام

وقال أخوه أحمد

اشرب على البستان من كف من * يسقيك من فيه وأحداقه
وانظر الى الايك في برده * ولاحظ البدر باطواقه
وقد بدا السرو على نهره * كغائض شمر عن ساقه

وقال ابو العباس أحمد بن أبي عبد الله بن أمية البلنسي

اذا كان ودي وهو أنفس قربة * يجازى ببغض فالقطيعة أحزم
ومن أضيع الاشياء ودصرفته * الى غير من تحظى لديه وتكرم

ومن حكايات اهل الاندلس في خلع العذار والطرب والظرف وغير ذلك كسرعة الارتجال ما حكاه صاحب بدائع البدائه قال أخبرني من أثق به بما هذا معناه قال خرج الوزير أبو بكر بن عمار والوزير أبو الوليد بن زيدون ومعهما الوزير ابن خلدون من اشبيلية الى منظرة لبني عباد بموضع يقال له القنت تحف بها روج مشرقة الانوار متنسمة الانجاد والاغوار متبسمة عن ثغور النوار في زمان ربيع سقت الارض السحب فيه بوسميها

جهات من النقل وغيره يصح عند كثير من الاخباريين ممن وفد على معاوية من أهل الدراية باخبار الماضين وسنن الغابرين من العرب وغيرهم من المتقدمين وما كان فيها من الكوائن والحوادث وتشعب الانساب وكتاب عبيد بن شرية متداول في أيدي الناس مشهور (وقد ذكر كثير) من الناس ممن له معرفة باخبارهم أن هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب للملوك بروايتها وصال على أهل عصره بحفظها والمذاكرة لها وأن سبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية وسبيل تاليفها تما ذكرنا مثل كتاب اقسان وتفسير ذلك من الفارسية ويقال له اقتابه والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته ودايتها شيرزاد ورسازاد ومثل كتاب وزره وشماس وما فيه من أخبار ملوك الهند والوزراء ومثل كتاب السندباد وغيرها من الكتب في هذا المعنى (وقد كان)

مسجد دمشق قبل ظهور النصرانية هيكلا عظيما فيه التماثيل والاصنام على رأس منارة تماثيل وولها

ورواياها وجلتها فى زاهر ملبسها و باهر حليها وأرداف الرباقد تازرت بالازر الخضر من نباتها وأجياد الجداول قد نظم النوار قلائده حول لباتها ومجارم الزهر تعطر أردية النسائم عند هبابها وهنالك من البهار مايزرى على مداهن النضار ومن النرجس الريان مايهز أبناء عمس الاجفان وقد نو والانفراد للهو والطرب والتنزه فى روضى النبات والادب و بعثوا صاحبا لهم يسمى خليفة هو قوام لذتهم ونظام مسرتهم ليأتيهم بنبيذ يذهبون الهم بذهبه فى لجين زجاجه و يرمونه منه بما يقضى بتحريكه للهرب عن القلوب وازعاجه وجلسوا لانتظاره وترقب عوده على آثاره فلما بصروا به مقبلا من أول الفج بادروا الى لقائه وسارعوا الى نحوه وتلقائه واتفق أن فارسا من الجند ركض فرسه فصدمه ووطئ عليه فهشم أعظمه وأجرى دمه وكسر قعال النبيذ الذى كان معه وفرق من شملهم ما كان الدهر قد جمعه ومضى على غلوائه را كضا حتى خفى عن العين خائفا من متعلق به يحين بتعلقه الحين وحين وصل الوزراء اليه تاسفوا عليه وأفاضوا فى ذكر الزمان وعدوائه والخطب والوائه ودخوله بطوام المضرات على تمام المسرات وتكديره لاوقات المنعمات بالآفات المؤلمات فقال ابن زيدون

أنلهو والحتوف بنا مطيفه * ونامن والمنون لنا مخيفه

فقال ابن خلدون

وفى يوم وما أدراك يوم * مضى قعالنا ومضى خليفه

فقال ابن عمار

هما خمارتا راح وروح * تكسرتا فاشتاق وجيفه

وذكر ابن بسام ما معناه أن أبا عامر بن شهيد حضر ليلة عند الحاجب أبى عامر بن المظفر ابن المنصور بن أبى عامر بقرطبة فقامت تسقيهم وصيفة عجمية صغيرة الخلق ولم تزل تسهر فى خدمتهم الى أن هم جند الليل بالانهزام وأخذ فى تقويض خيام الظلام وكانت تسمى أسماء فعجب الحاضرون من مكابدتها السهر طول ليلتها على صغر سنها فسأله المظفر وصفها فصنع ارتجالا

أفدى أسيماء من نديم * ملازم للكؤس راتب
قد عجبوا فى السهاد منها * وهى لعمرى من العجائب
قالوا تحافى الرقاد عنها * فقلت لا ترقد الكواكب

وحكى ابن بسام ما معناه أن ابن شهيد المذكور كان يوما مع جماعة من الادباء عند القاضى ابن ذكوان فجى ء بها كورة فقال ابن ذكوان لا ينفرد بها الا من وصفها فقال ابن شهيد أنا لها وارتجل

ان لا تلك أحدثت صلفا * فاتخذت من زهر ذا صدفا
يسكن ضراتها النحور وذى * تسكن للحسن روضة أنفا
هامت بلطف الجبال فاتخذت * من سندس فى جنانها الحقفا
شبهتها بالثغور من لطف * حسبك هذا من رمز من لطفا

وأحكم بناءه الوليد بن عبد الملك والصوامع لم تغير وهى منائر الاذان الى هذا الوقت (وقد كان) بدمشق أيضا بناء عجيب يقال له البريص وهو مبنى الى هذا الوقت فى وسطها وكان يجرى فيه الخمر فى قديم الزمان وقد ذكرته الشعراء فى مدحها لملوك غسان من مارب وغيرهم (وهيكل) بانطاكية يعرف بالديماس على يمين مسجدها الجامع مبنى بالآجر العادى والحجر عظيم البنيان وفى كل سنة يدخل القمر عند طلوعه من باب من ابوابه من أعاليه فى بعض الاهلة الصيفية وقد ذكر ان هذا الديماس من بناء الفرس حين ملكت انطاكية وأنه بيت نارلها (قال المسعودى) وقد ذكر ابو معشر المنجم فى كتابه المترجم بكتاب الالوف الهياكل والبنيان العظيم الذى يحدث بناؤه فى العالم فى كل ألف عام وكذلك ذكره ابن المارباز تلميذ أبى معشر فى كتابه المنتخب من كتاب الالوف وقد ذكر غيرهما ممن تقدم عصرهما وممن تأخر عنهما كثيرا من البنيان والعجائب فى الارض وقد أعرضنا عن ذكرها وذكر السد الاعظم وهو سد ياجوج وماجوج وتنازع الناس فى كيفية بنائه

جازابن ذكوان فى مكارمه * حدود كعب ومابه وصفا
قدم درالرياض منتبها * منه لافراس مدحه علفا
أكل ظريف وطعم ذى أدب * والنول يهواه كل من ظرفا
رخص فيه شيخ له قدر * فكان حسبى من المنى وكفا

وقال ابن بسام ان جماعة من أصحاب ابن شهيد المذكور قالوا له يا أبا عامر انك لاتت بالعجائب وجاذب بذوائب الغرائب ولكنك شديد الاعجاب بما يأتى منك هازلعطفك عند النادر يتاح لك ونحن نريد منك أن تصف لنا مجلسنا هذا وكان الذى طلبوه منه زيدة التعنيت لان المعنى اذا كان جلفا ثقيلا على النفس قبيح الصورة عند الحس كلت الفكرة عنه وان كانت ماضية وأساءت القريحة فى وصفه وان كانت محسنة وكان فى المجلس باب مخلوع معترض على الارض ولبد أحمر مبسوط قد صففت خفافهم عند حاشيته فقال مسرعا

وفتية كالنجوم حسنا * كلهم شاعر نبيل
متقد الجانبين ماض * كانه الصارم الصقيل
راموا انصرافى عن المعالى * والحد من دونها فليل
فالشد فى أمرها فسيح * كل كثير له قليل
فى مجلس زانه التصابى * وطاردت وصفه العقول
كانما بابه أسير * قد عرضت دونه نصول
يراد منه المقال قسرا * وهو على ذاك لايقول
ينظر من لبده لدينا * بحر دم تحتنا يسيل
كأن أخفافنا عليه * مراكب مالها دليل
ضلت فلم تدر أين تجرى * فهل على شطه تقيل

فعجب القوم من أمره ثم خرج من عندهم فمر على بعض معارفه من الطرائفيين وبين يديه زنبيل ملآن خرشفا فجعل يده فى لجام بغلته وقال له لا أتركك أو تصف الخرشف فقد وصفه صاعد فلم يقل شيئا فقال له ابن شهيد ويحك أعلى مثل هذه الحال قال نعم فارتجل

هل أبصرت عيناك ياخليلى * قنافذا تباع فى زنبيل
من خرشف معتمد جليل * ذى ابر تنفذ جلد الفيل
كانها أنياب بنت الغول * لو نحست فى استامرئ ثقيل
لقفزته نحو أرض النيل * ليس يرى طى حشا منديل
تقل السخيف المائن الجهول * وأكل قوم نازحى العقول
أقسمت لا أطعمها أكيلى * ولا طعمتها على شمول انتهى

وقال فى بدائع البدائه دخل الوزير أبو العلاء زهر ابن الوزير أبى مروان عبد الملك بن زهر على الامير عبد الملك بن رزين فى مجلس أنس وبين يديه ساق يسقى خمرين من كاسه ولحظه ويبدى درين من جبابه ولفظه وقد بدا خط عذاره فى صحيفة خده وكل حسنه باجتماع الضد منه مع ضده فكانه بسحر لحظه أبدى ليلا فى شمس وجعل يومه فى الحسن أحسن

المرسومة ومابصعيد مصر من البرابى المصنوعة وبغير أرض الصعيد من أرض مصر واخبار مدينة العقاب وماذكر الناس فيها وكونها فى وهاد مصر وأنها فى جهة الواحات مما يلى المغرب والحبشة وخبر العمود الذى ينزل منه الماء فى فصل من السنة بارض عاد وأخبار النمل الذى على قدر الذباب والكلاب وقصة ارض الذهب التى حذاء سلجماسة من ارض المغرب ومن هنالك من وراء النهر العظيم ومبايعتهم من غير مشاهدتهم ولا مخاطبتهم وتركهم المتاع وغدو الناس الى امتعتهم فيجدون اعدة الذهب وقد تركت الى جنب كل متاع من تلك الامتعة فان شاء مالك المتاع اختار الذهب وترك المتاع وان شاء اخذ متاعه وترك الذهب وان أحب الزيادة ترك الذهب والمتاع وهذا مشهور بارض المغرب بسلجماسة ومنها حمل التجار الامتعة الى ساحل هذا النهر وهو نهر عظيم واسع الماء وكذلك باقاصى خراسان مما يلى الترك من أقاصى ديارهم أمة تبايع على هذا الوصف من غير مخاطبة ولا مشاهدة وهم هنالك على نهر عظيم أيضا وخبر البئر المعطلة والقصر

من أمس فسأله ابن رزين أن يصنع فيه فقال بديها

تضاعف وجدى أن تبدى عذاره * ونم نخمان القلب منى اصطباره
وقد كان ظنى أن سيسمح ليله * بدائع حسن هام فيها نهاره
فأظهر ضد ضده فيه اذ وشت * بغدره فى صفحة الخد ناره

واستزاده فقال

محيت آية النهار فامحى * بدرتم وكان شمس نهار
كان يعشى العيون نورا الى أن * شغل الله خده بالعذار

وصنع أيضا

عذار ألم فابدى لنا * بدائع كنا لها فى عما
ونور يحن النهار الظلا * م لم يستبن كوكب فى السما

وصنع أيضا

تمت محاسن وجهه وتكاملت * لما استدار به عذار مونق
وكذلك البدر المنير جماله * فى أن يكنفه سماء أزرق انتهى

وحكى الحميدى وغيره أن عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة بقرطبة كان أديبا شاعرا سريع البديهة كثير النوادر وهو من جلساء الامير محمد بن عبد الرحمن الاموى ملك الاندلس وحكوا انه دخل عليه فى يوم ذى غيم وبين يديه غلام حسن المحاسن جميل الزى كريم الاخلاق فقال الامير يا ابن عاصم ما يصلح فى يومنا هذا فقال عقار ينفد الدنان ويؤنس الغزلان وحديث كقطع الروض قد سقطت فيه مؤنة التحفظ وأرخى له عنان التبسط بدرها هذا الاغيد المليح فاستضحك الامير ثم أمر بمراتب الغناء وآلات الصهباء فلما دارت الكاس واستمطر الامير نوادره أشار الى الغلام ان يلح فى سقيه ويؤكد عليه فلما أكثر رفع راسه اليه وقال على البديهة

ياحسن الوجه لا تكن صلفا * ما الحسان الوجوه والصلف
تحسن أن تحسن القبيح ولا * ترثى لصب متيم دنف

فاستبدع الامير بديهته وامره ببدرة ويقال انه خيره بينها وبين الوصيف فاختارها نفيا للظنة عنه انتهى قلت اذ كرتنى هذه الحكاية ما حكاه على بن ظافر عن نفسه اذ قال كنت عند المولى الملك الاشرف بن العادل بن ايوب سنة ٦٠٣ بالرها وقد وردت اليه فى رسالة فجعلنى بين سمعه وبصره وانزلنى فى بعض دوره بالقلعة بحيث يقرب عليه حضورى فى وقت طلبتى اوارادة الحديث معى فلم اشعر فى بعض الليالى وانا نائم فى فراشى الا به وهو قائم على راسى والسكر قد غلب عليه والشمع تزهر حوله وقد حف مماليكه به وكانهم الاقمار الزواهر فى ملابس كالرياض ذات الازاهر فقمت مروعا فامسكنى وبادر بالجلوس الى جانبى بحيث منعنى عن القيام عن الوساد وابدى من الجميل ما ابدانى بالنفاق بعد الكساد ثم قال غلبنى الشوق اليك ولم ارد ازعاجك والتثقيل عليك ثم استدعى من كان فى مجلسه من خواص القوالين فحضروا واخذوا من الغناء فيما يلائم المسامع التذاذا ويجعل القلوب من الوجد

من الحرف واتصالها بالقرى والفضاء من اعلاها واسفلها وما قاله الناس فى تاويل هذه الآية فيها وهل المراد بالقصر والبئر هذا القصر والبناء أو غيره واخبار مخاليف اليمن وهى القلاع والحصون كقلعة نحل وغيرها واخبار مدينة رومية وكيفية بنائها وما حوته من عجيب الهياكل والكنائس والعمود الذى عليه السودانية من النحاس وما يحمل اليها من الزيتون فى أيامه بالشام وغيره ويحمل ذلك الزيتون المعروف بالسودانية طير فى مخالبه ومناقره فيطرحه على السودانية النحاس فيكثر زيتون رومية وزيتها من ذلك على حسب ما ذكرنا فى أخبار الطلسمات عن مالياس وغيره فى كتابها أخبار الزمان ثم أخبار البيوت السبعة التى ببلاد الاندلس وخبر مدينة الصقر وقبة الرصاص التى بمفاوز الاندلس وما كان من خبر الملوك السالفة فيها وتعذر الوصول اليها ثم ما كان من أمر صاحب عبد الملك ابن مروان فى نزوله عليها وما تهافت فيه المسلمون عند الطلوع على سورها واخبارهم عن أنفسهم أنهم وصلوا الى نعيم الدنيا والآخرة وخبر المدينة التى أسوارها من الصفر على ساحل البحر الحبشى فى أطراف مفاوز الهند وما

فجاذا وكان له فى ذلك الوقت مملوك اسمه ملكه وواسطتا در سلكه وقطبا فلك طربه ووجده وركنا بيت سروره ولهوه وكانا يتناوبان فى خدمته فحضر أحدهما فى تلك الليلة وغاب الآخر وكان كثيرا ما يداعبنى فى أمرهما ويستجلب منى القول فيهما والكلام فى التفضيل بينهما فقلت للوقت

يا مالكا لم يحك سيرته * ماض ولا آت من البشر
اجمع لنا قمريك أنفسنا * فى الليل بين الشمس والقمر

فطرب وأمر فى الحال باحضار الغائب منهما فحضر والنوم قد زاد أجفانه تفتيرا ومعاطفه تكسيرا فقلت بين يديه بديهة فى وصف المجلس

سقى الرحمن عصرا قد مضى لى * بأكناف الرها صوب الغمام
وليلا باتت الانوار فيه * تعاون فى مدافعة الظلام
فنور من شموع أو ندامى * ونور من سقاة أو مدام
يطوف بأنجم الكاسات فيه * سقاة مثل أقمار التمام
تريك به الكؤس جود ماء * فتخسب راحها ذوب الضرام
يميل به غصونا من قدود * غناء مثل أصوات الحمام
فكم من موصلى فيه يشدو * فينسى النفس عادية الحمام
وكم من زلزل للضرب فيه * وكم للزمر فيه من زنام
لدى موسى بن أيوب المرجى * اذا ما ضن غيث بانسجام
ومن كمظفر الدين المليك الاجل الاشرف الندب الهمام
فما شمس تقاس الى نجوم * تحاكى قدره بين الكرام
فدام مخلدا فى الملك يبقى * اذا ما ضن دهر بالدوام

فلما أنشدتها قام فوضع فرجية من خاص ملابسه كانت عليه على كتفى ووضع شربوشه بيده على رأس مملوك صغير كان لى انتهى ولابن ظافر هذا بدائع منها ما حكاه عن نفسه اذ قال ومن أعجب ما دهيت به ورميت الا أن الله بفضله نصر وأعطى الظفر وأعان خاطرى الكليل حتى مضى مضاء السيف الصقيل أنى كنت فى خدمة مولانا السلطان الملك العادل بالاسكندرية سنة احدى وستمائة مع من ضمته حاشية العسكر المنصور من الكتاب والحواشى والخدام ودخلت سنة اثنتين وستمائة ونحن بالثغر مقيمون فى الخدمة مرتضعون لافاويق النعمة فحضرت فى جملة من حضر الهناء من الفقهاء بالثغر والعلماء والمشايخ والكبراء وجماعة الديوان والامراء واتفق أن كان اليوم من أيام الجلوس لامضاء الاحكام والعرض لطوائف الاجناد فلم يبق أحد من أهل البلد ولا من أهل العسكر الاحضر مهنيا ومثل شاكرا وداعيا فحين غص المجلس بأهله وشرق بجمع السلطان وحفله وخرج مولانا السلطان الى مجلسه واستقر فى دسته أخرج من بركة قبائه كتابا ناوله للصاحب الاجل صفى الدين أبى محمد عبد الله بن على وزير دولته وكبير جملته وهو مفوض الختام مفكوك الغدام ففتحه فاذا فيه قطعة وردت من المولى الملك المعظم كتبها اليه يتشوقه

المتخذة للاصنام التى على صورة البدر المتقدم ظهورها فى قديم الزمان بارض الهند وخبر الهيكل المعظم الذى ببلاد الهند المعروف ببلاد الرى وهذا عند الهند يقصد من البلدان الشاسعة وله بلد قد وقف عليه وحوله ألف مقصورة فيها جوار لم تنظر لتعظيم هذا الصنم من الهند وخبر الهيكل الذى فيه الصنم ببلاد المولتان على نهر مهران من أرض السند وخبر سندار كسرى ببلاد مرماسين من أعمال الديبور من ماه الكوفة وكثير من أخبار العالم وخواص بقاعه وأبنيته وجباله وتدافع ما فيه من الخلق وغيره مما قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وكذلك ما خص به كل بلد من اللباس والاخلاق دون غيرهم وما انفردوا به من أنواع الاغذية والمآكل والمشارب والشم وعجائب كل بلد وذكرنا أخبار البحار وما قيل فى اتصال بعضها ببعض وتغلغل مياهها وما يحدث فى كل بحر منها من الآفات وما فيه من الجوهر دون غيره من البحار كتكون المرجان ببحر المغرب وعدمه فى غيره ووجود اللؤلؤ فى البحر الحبشى دون غيره

و يستعطفه لزيارته و يرقه و يستحثه على عود ركابه الى بلاد الشام للمثاغرة بها وقمع عدوها
و يعرض بذكر مصر وشدة حرها ووقد جمرها وذلك بعد أن كان وصل الى خدمته بالثغر
ثم رجع اليها والابيات

أروى رماحك من نحور عدا كا * وانهب بخيلك من أطاع سوا كا
وار كب خيولا كالنعالى شزبا * واضرب بسيفك من بشق عصا كا
واجلب من الابطال كل سميدع * يفرى بعزمك كل من بشنا كا
واسترعف السمر الطوال و روّها * واسق المنية سيفك السفا كا
وسر الغداة الى العداة مبادرا * بالضرب فى هام العدو درا كا
وانكح رماحك للثغو رفانها * مشتاقة أن تبتنى بعلا كا
فالعز فى نصب الخيام على العدا * تردى الطغاة وتدفع الملا كا
والنصر مقرون بهمتك التى * قد أصبحت فوق السماك سما كا
فاذا عزمت وجدت من هو طائع * واذا نهضت وجدت من يخشا كا
والنصر فى الاعداء يوم كريهة * أحلى من الكاس الذى روّا كا
والعجز أن تضحى بمصر راهنا * وتحل فى تلك العراص عرا كا
فأرح حشاشتك الكريمة من لظى * مصر لكى تحظى الغداة بذا كا
فلقد غدا قلبى عليك بحرقة * شغفا ولاح البلاد هنا كا
وانهض الى راجى لقائك مسارعا * فهناه من كل الامور لقا كا
وابرد فؤاد المستهام بنظرة * وأعد عليه العيش من رؤيا كا
واشف الغداة عليل صب هائم * أضحى منا ه من الحياة منا كا
فسعادتى بالعادل الملك الذى * ملك الملوك وقارن الافلا كا
فبقيت لى يا مالكى فى غبطة * وجعلت من كل الامور فدا كا

فلما تلا الصاحب على الحاضرين محكم آياتها وجلى منها العروس التى حازت من المحاسن
أبعد غاياتها أخذ الناس فى الاستحسان لغريب نظامها وتناسق التئامها والثناء
على الخاطر الذى نظم بديع أبياتها وأطلع من مشرق فكره آياتها فقال السلطان نريد من
يجيبه عنا بابيات على قافيتها فالتفت مسرعا الى وأنا عن يمينه وقال يا مولانا مملوكك فلان
هو فارس هذا الميدان والمعتاد للتخلص فى مضايق هذا الشان ثم قطع وصلا من درج
كان بين يديه وألقاه الى وعمد الى دواته فادارها بين يدى فقال له السلطان أهكذا
على مثل هذا الحال وفى مثل هذا الوقت فقال نعم أناجز بته فوجدته متقد الخاطر حاضر
الذهن سريع اجابة الفكر فقال السلطان وعلى كل حال قم الى هنا لتنكف عنك أبصار
الناظرين وتنقطع عنك ضوضاء الحاضرين وأشار الى مكان عن يمين البيت الخشب
الذى هو بالمجلوس فيه منفرد فقمت وقد فقدت رجلى اخذا لا وذهنى اختلالا لهيبة
المجلس فى صدرى وكثرة من حضره من المترقبين لى المنتظرين حلول فترة الشماتة بى
فما هو الا أن جلست حتى ثاب الى خاطرى وانثال الكلام على سرائرى فكمنت أتوهم

له ذلك لارتفاع القلزم
وانخفاض بحر الروم وان
الله عز وجل قد جعل ذلك
حاجزا على حسب ما أخبر
فى كتابه والموضع الذى
حفره بحر القلزم يعرف بذنب
التمساح على ميل من
مدينة القلزم عليه قنطرة
عظيمة يجتاز عليها من يريد
الحج من مصر وأجرى خليجا
من هذا البحر الى موضع
يعرف بالهامة صنعه محمد
ابن على النحرانى من أرض
مصر فى هذا الوقت وهو
سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة فلم يتات له اتصال
ما بين بحر الروم وبحر
القلزم (وحفر خليج) آخر
مما يلى بلاد تنيس ودمياط
وبحيرتهما ويعرف هذا
الخليج بالزنير والحسة
واستمر الماء فى هذا الخليج
من بحر القلزم الذى فى
نحو من هذه القرى ومن
بحر القلزم فى خليج ذنب
التمساح فيتتابع أرباب
المراكب وتقرب حمل ما
فى كل بحر الى آخر ثم ارتدم
ذلك على تطاول الدهور
وملاءته السوافى من الرمل
وغيره (وقد رام الرشيد)
أن يوصل بين هذين
البحرين مما يلى النيل من
أعالى مصب من نحو بلاد
الحبشة وأقاصى صعيد

 مصر فلم يتات له قسمة ماء النيل فرام ذلك مما يلى بلاد الفرما نحو بلاد تنيس على أن يكون مصب بحر

القلزم الى البحر الرومى أن مراكبهم تنتهى من بحر القلزم الى بحر الحجاز فتطرح سراياها مما يلى جدة فيخطف الناس من المسجد الحرام ومكة والمدينة على ماذكرنا فامتنع من ذلك (وقد حكى) عن عمرو بن العاص حين كان بمصر أنه رام ذلك فمنعه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وذلك لما وصفنا من فعل الروم وسراياهم وذلك فى حال ما افتتحها عمرو بن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وآثار الحفريين هذين البحرين فيما ذكرنا من المواضع والخلجان على حسب ماشرعت فيه الملوك السالفة طلبا لعمارة الارض وخصب البلاد وعيش الناس بالاقوات وان يحمل الى كل بلد ما فيه من الاقوات وغيرها من ضروب المنافع وضروب المرافق والله تعالى أعلم

(ذكر جامع التاريخ من بدء العالم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حق بهذا الباب)

قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا جملا من تباين الناس فى بدء العالم ممن اثبت حدوثه ونفاه وماجرت الآراء بهم فيه الى جهات شتى وقد أخبرنا أنهم طوائف وفرق من اليونانيين ومن وافقهم على القول والمحبة

أن فكرى كالبازى الصيود لا يرى كلمة الا أنشب فيها مخالبه ولا معنى الا شك فيه ظفره فقلت فى أسرع وقت

وصلت من الملك المعظم تحفة * ملأت بفاخر درها الاسلا كا
أبيات شعر كالنجوم جلالة * فلذا حكت أوراقها الافلا كا
عجبا وقد جاءت كمثل الروض اذ * لم تذوها بالحر نار ذكا كا
جلت الهموم عن الفؤاد كمثل ما * تجلو بغرة وجهك الاحلا كا
كقميص يوسف اذ شفت يعقوب ر * ياه شفتنى مثله رياكا
قد أعجزت شعراء هذا العصر كلهم * فلم لا تعجز الامثلا كا
ما كان هذا الفضل يمكن مثله * أن يحتويه من الانام سوا كا
لما أغيب عن الشآم وهل له * من حاجة عندى وأنت هنا كا
أم كيف أخشى والبلاد جميعها * محمية فى حاطعن قنا كا
يكفى الاعادى حرباسك فيهم * أضعاف ما يكفى الولى ندا كا
ما زرت مصر لغير ضبط ثغورها * فلذا صبرت فديت عن رؤيا كا
أم البلاد علا على قدرها * لاسيما مذ شرفت بخطاكا
طابت وحق لها ولا وهى قد * حوت المعلى فى القداح أخا كا
أنا كالسحاب أزور أرضا ساقيا * حينا وامنح غيرها سقيا كا
مكنى جهاد للعدو لانى * أغزوه بالرأى السديد درا كا
لولا الرباط وغيره لقصدت بالسير الحثيث اليك نيل رضا كا
ولئن أتيت الى الشآم فانما * يحتثنى شوقى الى لقياكا
انى لامنحك المحبة جاهدا * وهواى فيما تشتهيه هوا كا
فافخر فقد أصبحت بى وبباسك السحامى وكل ممالك يحشا كا
لازلت تقهر من يعادى ملكنا * أبدا ومن عاداك كان فدا كا
وأعيش أبصر ابنك الباقى أبا * وتعيش تخدم فى السعود أبا كا

ثم عدت الى مكانى وقد بيضتها وحليت بزهرها ساحة القرطاس وروضتها فلما رآنى السلطان قد عدت قال لى هل عملت شيئا ظننا منه أن العمل فى تلك اللمعة القريبة معجز متعذر وبلوغ الغرض فيها غير متصور فقلت قد أجبت فقال أنشدنا فصمت الناس وحدقت الابصار وأصاخت الاسماع وظن الناس بى الظنون وترقبوا منى ما يكون فما هو الا أن توالى الانشاد لابياتها حتى صفقت الايدى اعجابا وتغامزت الاعين استغرابا وحين انتهيت الى ذكر مولانا الملك الكامل بانه المعلى فى البنين اذا ضربت قداحهم وسردت أمداحهم اغرورقت عيناه دمعا لذكره وأبان صمته مخفى المحبة حتى أعلن بسره وحين انتهيت الى آخرها فاض دمعه ولم يمكنه دفعه فمد يده مستدعيا اللورقة فناولتها الى يد الصاحب فناولها له وعند حصولها فى يده قام من غير اشعار لاحد بما دار ومن ارادة القيام فى خلده ستر الماظهر عليه من الرقة على الموالى الاولاد وكتما لما عليه من الوجد بهم

والمحبة لهم وانفض المجلس وانما حمل الصاحب على هذا الفعل الذى غر ربى وخاطرنى بالتعريض له أشياء كان يقترحها على فانفذ فيها من بين يديه ويخف الامر منها على لدالتى عليه منها أنى كنت فى خدمته سنة ٥٩٩ بدمشق فورد عليه كتاب من الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين صاحب حماة وقد بعث صحبته نسخة من ديوان شعره فتشاغل ينو يد جواب كتابه فلما كتب بعضه التفت الى وقال اصنع أبياتا أكتبها اليه فى صدر الجواب وأذكر فيها شعره فقلت له على مثل هذه الحال فقال نعم فقلت بقدر ما انجز بقية النسخة

أيا ملكا قد أوسع الناس نائلا * وأغرقهم بذلا وعمهم عدلا
فديناك هب للناس فضلا يزينهم * فقد حزت دون الناس كلهم الفضلا
ودونك فامنحهم من العلم والحجا * كما منحتهم كفك الجود والبذلا
اذا حزت أو فى الفضل عفوا فانما الذى * تركت لمن كان القريض له شغلا
وماذا عسى من ظل بالشعر قاصدا * لبابك أن يأتى به جزلا أو سهلا
فلازلت فى عز يدوم ورفعة * تحوز ثناء يملأ الوعر والسهلا انتهى

ووقع لابن ظافر أيضا من هذا النمط انه دخل فى أصحاب له يعودون صاحبا لهم وبين يديه بركة قد راق ماؤها وصحت سماؤها وقد رص تحت دساتيرها نارنج فتن قلوب الحضار وملأ بالمحاسن عيون النظار فكلما رفعت صوالج فضة على كرات من النضار فاشار الحاضرون الى وصفها فقال بديها

أبدعت يا ابن هلال فى فسقية * جاءت محاسنها بما لم يعهد
عجبا لأمواه الدساتير التى * فاضت على نار نجها المتوقد
فكأنهن صوالج من فضة * رفعت لضرب كرات خالص عسجد انتهى

ومن بديع الارتجال ما حكاه المذكور عن ابن قلاقس الاسكندرى رحمه الله تعالى اذ قال دخل الاعز أبو الفتوح بن قلاقس على بلال بن مدافع بن بلال الفزارى فعرض عليه سيفا قد نظم الفرند فى صفحته جوهره وأذكى الدهر ناره وجد نهره وألبسه من سلخ الافاعى ردا وجسمه ردى لا يمنع من برقه بدر مجن ولا ثر يا مغفر ولا يسلم من حده من ثبت ولا ينجو لطوله من فر فهو يبكى للفراق ويضحك ويرعد للغيظ ويفتك وأمره بصفة شانه فقال على لسانه

أروق كما أروع فان تصفنى * فانى رائق الصفحات رائع
تدافع بى خطوب الدهر حتى * نقلت الى بلال بن مدافع

وقال أيضا فيه

رب يوم له من النقع سحب * مالها غير سائل الدم ودق
قد جلته يمنى بلال بحدى * فكانى وراحة الشمس برق

وقال أيضا فيه

أنا فى الكريهة كالشهاب الساطع * من صفحة تبدو وحد قاطع

للاشخاص الحالة فيها الارواح متى قطعت المسافة التى بين العقدة التى ابتدأت منها حتى تنتهى اليها راجعة ثم تنفصل عنها اعادت كل ما بدأت أولا كهيئته واشخاصه وصوره وضروب اشكاله اذ كانت العلة والسبب اللذين بوجودهما توجد الاشياء ووجود الوجود بدء فوجب ظهور الاشياء متى عادت الى المبدا الذى كان عند الصدر ثم ما نعقب هذا القول من قول الطبيعيين ان علة كون الاشياء الجسمانية والنفسانية من قبل حركات الطبائع واختلاطها لان الطبيعة عندهم تحركت فى بدوها واختلطت فاظهرت الحيوان والنبات وسائر الموجودات فى العالم وجعلت لها أصلا فى التناسل فحركت عن تبقية الاشخاص وعزت الى النسل وأن الطبائع تنتقل من مركب الى بسيط ومن بسيط الى مركب حتى أورى المركب كنه ما فيه وعادت الاشياء الى البسيط وابتدأ الكون على طريقه لان الذى أوجبه أولا قد وجد فحقه

أن يوجد منه بوجود المعنى الذى أوجده فظهر ذلك الظهور كالنبات فى الربيع وتحرك قوته تحت الثرى وذلك أن الشمس

فكانما استملت تلك وهذه * من وصف كف بلال بن مدافع

وقال أيضا فيه

انظر لمطر المياه بصفحتى * ولنار حدى كم بها من صالى
قد عاد شذى فى المضايق شيمتى * كبلال بن مدافع بن بلال

وساله صاحب له وصف مشط عاج قد أشبه الثريا شكلا ولونا وشق ليلا من الشعر جونا فقال

ومتيم بالآبنوس وجسمه * عاج ومن أدهانه شرفاته
كتمت دياجى الشعر منه بدرها * فوشت به للعين عيوقاته

وقال فيه

وأبيض ليل الآبنوس اذا سرى * تمزق عن صبح من العاج باهر
وان غاص فى بحر الشعور رأيته * تبشرنا أطرافه بالجواهر

وقال فيه

ومشرق يشبه ضوء الضحى * حسنا ويسرى فى الدجى الفاحم
وكلما قلب فى لمسة * أضحكها عن ثغره الباسم

وجلس بمصر فى دار الانماط يوما مع جماعة فمرت بهم امرأة تعرف بابنة أمين الملك وهى شمس تحت سحاب النقاب وغصن فى أوراق الشباب فحدقوا اليها تحديق الرقيب الى الحبيب والمريض الى الطبيب فجعلت تتلفت تلفت الظبى المذعور أفرقه القانص فهرب وتثنى تثنى الغصن المطور عانقه النسيم فاضطرب فسالوه العمل فى وصفها فقال هذا يصلح أن يعكس فيه قول العطار الازدى القيروانى

أعرضن لما أن عرضن فان يكن * حذرا فاين تلفت الغزلان

ثم صنع

لها ناظر فى ذرا ناضر * كما ركب السن فوق القناة
لوت حين وات لناجيدها * فاى حياة بدت من وفاة
كما ذعر الظبى من قانص * فمر وكر فى الالتفات

ثم صنع أيضا

ولطيفة الالفاظ لكن قلبها * لم أشك منه لوعة الاعتا
كملت محاسنها فود البدر أن * يحظى ببعض صفاتها أو ينعتا
قد قلت لما أعرضت وتعرضت * يا مؤيسا يا مطمعا قل لى متى
قالت انا الظبى الغرير وانما * ولى وأوجس نبوة فتلفتا

قال على بن ظافر وحضر يوما عند بنى خليف بظاهر الاسكندرية فى قصر رسا بناؤه وسما وكاد يمزق بمزاحمته أثواب السما قد ارتدى جلابيب السحائب ولاث عمائم الغمائم وابتسمت ثغايا شرفاته وانتسمت بالحسن حنايا غرفاته وأشرف على سائر نواحى الدنيا وأقطارها وحبته الرياض بما ائتمنتها عليه السحب من ودائع أمطارها والرمل بغنائه قد نثر تبره فى

الثمر والزهور فى الشجر بادئا كان ظاهرا بالمثال الاول الذى قد بدا فى الشتاء ويبسه وبرده لان علة الكون الحرارة والرطوبة وعلة الفساد البرد واليبس فاذا انتقلت الاشياء من الحرارة والرطوبة الى البرد واليبوسة فارقت الكون المتمم ودخلت الفساد فاذا انتهى بها الفساد الى غايته وأوصلها الى نهايته عاقبها الكون بوصول الشمس الى رأس الحمل فيدأ بها بعادته فى انشائها وأبرز هامن خساسة الفساد الى نفاسة الكون ولو كانت الحواس تضبط شان الاجسام وتحيط بانتقالها من حال الى حال لشاهدت عمرها فى دائرة الزمان مبتدئة فى ربيعها راجعة اليها مشكلة فى محيط الدائرة باشكال تتوافق بعضها والشكول مختلفة باختلاف العلل متفرقة فى المرور كاختلاف الاسباب وفى هذا القول من هذه الطائفة ما صرح بالقول وأبان عنه وقضية الفحص توجب ان الاشياء الموجودة غير خالدة من أحد منزلين اما أن يكون بدأ وانتهاء واما أن يكون بدأ لا انتهاء فواجب أن تكون أجزاؤها وابعاضها غير متناهية وواجب أن يكون الزمان غير عادلها

ز برجد كرومه والجو قد بعث بذخائر الطيب لضمة نسيمه والنخل قد أظهرت جواهرها ونشرت غدائرها والظل ينثر لؤلؤه في مسارب النسيم ومساحبه والبحر برعد غيظا من عبث الرياح به فسأله بعض الحضور أن يصف ذلك الموضع الذي تمت محاسنه وغبط به ساكنه فجاشت لذلك لجج بحره وألقت اليه جواهره لتر صيغ له ذلك القصر ونحره فقال

قصر بمدرجة النسيم تحدثت * فيه الرياض بسرها المستور
خفض الخورنق والسدير سموه * وثنى قصور الروم ذات قصور
لاث الغمام عمامة مسكية * وأقام في أرض من الكافور
غنى الربيع به محاسن وصفه * فافترعن نور يروق ونور
فالدوح يسحب حلة من سندس * تزهو بلؤلؤ طلها المنثور
والنخل كالغيد الحسان تقرطت * بسبائك المنظوم والمنثور
والرمل في حيك النسيم كأنما * أبدى غصون سوالف المذعور
والبحر يرعد متنه فكأنه * درع تشن بمعطفي مقرور
وكأننا والقصر يجمع شملنا * في الافق بين كواكب وبدور
وكذاك دهر بني خليف لم يزل * يثني المعاطف في حبير حبور

ثم قال ابن ظافر وأخبرني الفقيه أبو الحسن علي بن الطوسي المعروف بابن السيوري الاسكندري النحوي بما هذا معناه قال كنت مع الاعز بن قلاقس في جماعة فرأينا أبو الفضائل بن فتوح المعروف بالمصري وهو راجع من المكتب ومعه دواته وهو في تلك الايام قرة العين ظرفا وجمالا وراحة القلب قربا ووصالا كل عين الى وجهه محدقة ولمشهد خديه بخلوق الخجل مخلقة فاقترحنا عليه أن يتغزل فيه فصنع بديها

علقته متعلقا * بالحظ معتكفا عليه
حمل الدواة ولا دوا * لعاشق يرجى لديه
فدماء حبات القلو * ب تلوح صبغا في يديه
لم أدر ما أشكو اليه أهجره أم مقلتيه
والحب يخرسني على * أني ألكح سيبويه
مالي اذا أبصرته * شغل سوى نظري اليه

انتهى

وقد آن وقت الرجعة الى كلام الاندلسيين الذي حلأنا بعدنا عنه بمعامر النجعة فنقول ذكر الفتح في قلائد العقيان كما قال ابن ظافر ما معناه أخبرني الوزير أبو عامر بن بشتغير انه حضر مجلس القائد أبي عيسى بن لبون في يوم سفرت فيه أوجه المسرات ونامت عنه أعين المضرات وأظهرت سقاته غصونا تحمل بدورا وتطوف من المدام بنار مازجت من الماء نورا وشموس الكاسات تطلع في أكفها كالورد في السوسان وتغرب بين أقاحي نجوم الثغور فتذبل نرجس الاجفان وعنده الوزير أبو الحسن بن الحاج اللورقي وهو يومئذ قد بذل الجهد في التحلي بالزهد فأراد القائد بعض السقاة أن يعرض عليه ذهب كاسه ويحببه بزبرجد آسه

نعاين خلقا جديدا وصورا في العالم لم تكن وصورا بادئة قد كانت مماثلة وفي هذا ما يدل على حصر الاشياء وأوقفها في غاية انتهاء صدرها وأوجب ان للاشياء مبدأ وانتهاء وبطل قسم المتوهم أن الاشياء بلا نهاية وأن ليس لها ابتداء ولا غاية وذلك باطل ومحال فاسد ولو وجب أن تكون الاشياء الموجودة بلا بدء ولا نهاية لوجب أن لا يزول شيء من مركزه ولا يتحول عن رتبته ولبطلت الاستحالة وبسطت المتضادة وهذا مستحيل ولوجب أن تكون الاشياء على غير نهاية ولما كان لقولنا اليوم وأمس وغدا معنى لان هذه الازمان بعدها هو بالنهاية ويوجد في حوزاتها ايجادها لم يكن ودخلها في حوزتها ما هو كائن وفيما ذكرنا ما أوضح عن تنقل شان المعاني ودل على حدوث الاجسام وهذه الدلالة ماخوذة من الحس ومستظهرة للعقول والبحث واذ قد وضح أن الاشياء محدثة لكونها بعد أن لم تكن فلا بد من محدث هو بخلافها في الاشكال أولا ومثل لان العقل

لا يقيم شيئا مثلا حتى يعلم له قدرا وزنا يعادله بمثله وشكله وتعالى وجل وعز من لا تعبر عن ذاته اللغات وتحجز العقول أن

تحصره بالصفات وتدركه بالاشارات أو يكون ذا غايات ونهايات (قال المسعودي) فلنرجع الآن الى الكلام في

ويغازله بطرفه ويميل عليه بعطفه ففعل ذلك عجلا فانشد أبو الحسن مرتجلا

ومهفهف مزج الفتور بشدة * وأقام بين تبـــدل وتمنع
يثنيه من فعل المدامة والصبا * سكران سكر طبيعة وتطبع
أوما الى بكاسه فكففتها * ورنا فشـــفعها بلحظ مطمع
والله لولا أن يقال هوى الهوى * منه بفضـــل عزيمة وتورع
لاخذت في تلك السبيل بماخذي * فيما مضى ونزعت فيها منزعي انتهى

وحكى الحميدي أن عبد الملك بن ادريس الجزيري كان ليلة بين يدي الحاجب بن أبي عامر والقمر يبدو تارة ويخفيه السحاب تارة فقال بديها

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيبـــدو ثم يلتحف السحابا
وذاك لانه لما تبـــدى * وأبصر وجهك استحيا فغابا
مقال لو نمى عني اليـــه * لراجعني بتصديق جوابا انتهى

وكان صاعد اللغوي صاحب كتاب الفصوص وقد تكرر ذكره في هذا الكتاب كثيرا ما يمدح بلاد العراق بمجلس المنصور بن أبي عامر ويصفها ويقرظها فكتب الوزير أبو مروان عبد الملك بن شهيد والد الوزير أبي عامر أحمد بن شهيد صاحب الغرائب وقد تقدم بعض كلامه قريبا الى المنصور في يوم برد وكان أخص وزرائه به بهذه الابيات

أما ترى برد يومنا هـــذا * صيرنا للكمون أفذاذا
قد فطرت صحة الكبود به * حتى لكادت تعود أفلاذا
فادع بنا للشمول مصـــطليا * نغذ سيرا اليك اغذاذا
وادع المسمى بها وصاحبه * تدع نبيلا وتدع أستاذا
ولا تبالي أبا العـــلاء زها * بخمر قطربل وكلواذا
مادام من أرملاط مشربنا * دع ديرعمى ودير نا باذا

وكان المنصور قد عزم ذلك اليوم على الانفراد بالحرم فامر باحضار من جرى رسمه من الوزراء والندماء وأحضر ابن شهيد في محفة لنقرس كان يعتاده وأخذوا في شانهم فرلهم يوم لم يشهدوا مثله ووقت لم يعهدوا نظيره وطما الطرب وسما بهم حتى تهايج القوم ورقصوا وجعلوا يرقصون بالنوبة حتى انتهى الدور الى ابن شهيد فاقامه الوزير أبو عبد الله بن عباس فجعل يرقص وهو متوكئ عليه ويرتجل ويومئ الى المنصور وقد غلب عليه السكر

هالك شيخا قاده عذر لكا * قام في رقصته مستهلكا
لم يطق يرقصها مستثبتا * فانثنى يرقصها مستمسكا
عاقه عن هزها منفردا * نقرس أخنى عليه فاتكا
من وزير فيهم رقاصة * قام للسكر يناغي ملكا
انا لو كنت كما تعرفني * قمت اجلالا على رأسي لكا
قهقه الابريق مني ضاحكا * ورأى رعشة رجلي فبكى

قال ابن ظافر وهذه قطعة مطبوعة وطرفها الاخير واسطتها وكان حاضرهم ذلك اليوم رجل

حصر تاريخ العالم لما ذكرنا قول من قال بقدمه ودل على أزليته وقد تقدم ذكرنا لقول الهند في ذلك فيما سلف من هذا الكتاب وأما اليهود فانهم زعموا أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة واخذوا في ذلك ماخذا سريعا وذهبت النصارى الى أن عمر العالم ماذهبت اليه اليهود وأما الصابئة من الحرانيين والكتابيين فقد ذكرنا قولهم في ذلك في جملة قول اليونانيين وأما المجوس فانهم ذهبوا في ذلك الى حد معلوم من نفاد قوة الهرميد وكيده وهو الشيطان ومنهم من ذهب في ذلك الى نحو ماذهب اليه أصحاب الانيس والجلاس وان العالم سيعود بدأ متخلصا من الشرور والآفات وزعمت المجوس ان من وقت زرادشت بن سيمان نبيهم الى الاسكندر مائتين وثمانين سنة وملك الاسكندر ست سنين ومن ملك الاسكندر الى ملك أردشير خمسمائة سنة وأربع وستون سنة فذلك من هبوط آدم الى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ستة آلاف سنة ومائة سنة وست وعشرون سنة منها من هبوط آدم عليه السلام الى الطوفان ألفان ومائتان وست وخمسون سنة ومن

مولد ابراهيم الى ظهور موسى بعد ما نين سنة خلت من عمر موسى بن عمران وهو وقت خروجه بنى اسرائيل من مصر الى التيه خمسمائة وخمس وستون سنة ومن خروجهم الى سنة اربع من ملك سليمان بن داود عليه السلام وذلك وقت ابتدائه فى بناء بيت المقدس ستمائة وست وثلاثون سنة ومن بناء بيت المقدس الى ملك الاسكندر سبعمائة وسبع عشرة سنة ومن ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع وسبعون سنة ومن مولد المسيح الى مولد النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة واحدى وعشرون سنة وبين ان رفع الله المسيح وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة الى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وست واربعون سنة وبين مبعث المسيح وهجرة النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة واربع وتسعون سنة (وكانت وفاته نبينا) صلى الله عليه وسلم فى سنة تسعمائة وخمس وثلاثين سنة من سنى ذى القرنين ومن داود الى محمد صلى الله عليه وسلم

بغدادى يعرف بالفكيك حسن النادرة سريعها وكان ابن شهيد استحضره الى المنصور فاستطبعه فلما رأى ابن شهيد يرقص قائما مع الم المرض الذى كان يمنعه من الحركة قال لله درك ياوزير ترقص بالقائمة وتصلى بالقاعدة فضحك المنصور وأمر لابن شهيد بمال جزيل ولسائر الجماعة وللبغدادى * وقال ابن بسام حدث أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر بن عثمان المصحفى قال دخلت يوما على أبى عامر بن شهيد وقد ابتدأت به علته التى مات بها فانس بى وجرى الحديث الى ان شكوت له تجنى بعض أصحابى على ونفاره عنى فقال لى ساسعى فى اصلاح ذات البين فخرجت عنه واتفق لقائى لذلك المتجنى على مع بعض أصحابى وأعزهم على فلما رآنى ذلك الصديق مولياعنه أنكر عليه وساله عن السبب الموجب فاخبره وزاد فى مشيهما حتى لحقا بى وعزم على فى مكالمة صاحبى وتعاتبنا عتابا أرق من الهوى وأشهى من الماء على الظما حتى جئنا دار أبى عامر فلما رآنا جميعا ضحك وقال من كان الذى تولى اصلاح ما كنا سررنا بفساده قلنا قد كان ما كان فاطرق قليلا ثم أنشد

من لا اسمى ولا أبوح به * أصلح بينى و بين من أهوى
أرسلت من كابد الهوى فدرى * كيف يداوى مواقع البلوى
ولى حقوق فى الحب ثابتة * لكن انى يعد هادعوى

وقد ذكرنا فى هذا الكتاب من غرائب أبى عامر بن شهيد فى مواضع متفرقة الغرائب وقدمنا فى الباب الرابع حكايته مع المرأة الداخلة فى رمضان لجامع قرطبة وحكينا هنالك بلفظ المطمح فلتراجع وعبر ابن ظافر عن معناها بقوله ان أبا عامر كان مع جماعة من أصحابه بجامع قرطبة فى ليلة السابع والعشرين من رمضان فمرت امرأة به من بنات أجلاء قرطبة قد كملت حسنا وظرفا ومعها طفل يتبعها كالظبية تستتبع خشفا وقد حفت بها الجوارى كالبدر حف بالدرارى فحين رأت تلك الجماعة المعروفة بالخلاعة وقدرمقوا ذلك الظبى بعيون اسود رأت فريسة ارتاعت وتخوفت أن تختطف منها تلك الدرة النفيسة فاستدنت اليها خشفها وألزمته عطفها فارتجل ابن شهيد قائلا * وناظرة تحت طى القناع الخ * ومرت فى الباب الرابع هذه الابيات * وقال الرئيس أبو الحسن عبد الرحمن بن راشد الراشدى لما نعيت أبا عامر بن شهيد الى أبى عبد الله الخياط الشاعر وكان قد عرف ما بينهما من المناقسة فبكى وأنشدنى لنفسه بديهة

لما نعى الناعى أبا عامر * أيقنت أنى لست بالصابر
أودى فتى الظرف وترب الندى * وسيد الاول والآخر

وقال ابن بسام اصطبح المعتصم بن صمادح يوما مع ندمائه فأبرز لهم وصيفة مهدوية متصرفة فى أنواع اللعب المطرب من الدك وحضر أيضا هنالك لاعب مصرى ساحر فكان لعبه حسنا فارتجل أبو عبد الله بن الحداد

كذا فلتلعب الزراهرا * وتجنى الهوى ناظرا ناضرا
وسيبك سيب ندى مغدق * أقام لنا هاميا هامرا
وان ليومك ذا رونقا * منيرا كنور الضحى باهرا

صباح اصطباح باسفاره * لحظنا محيا العلا سافرا
وأطلعت فيه نجوم الكؤس * فازال كوكبها زاهرا
وأسمعتنا لاحنا فاتنا * واحضرتنا لاعبا ساحرا
يرفرف فوق رؤس القيان * فتنظر مايذهل الناظرا
ويخطفها ذيل سربالة * فتنظر طالعها غائرا
فظاهرها ينثني باطنا * وباطنها ينثني ظاهرا
وثناه ثان لاعطابه * دقائق تثني الخاطرا
وفي سورة الراح من سحره * خواطر دلهت الخاطرا
اذا ورد اللحظ أثناءها * فما الوهم عن وردها صادرا
ومن حسن دهرك ابداعه * فما انفك عارضها ماطرا
وسعدك يجتلب المغربات * فيجعل غائبها حاضرا

قال وحضر الاديب أحمد بن الشقاق عند القائد بن دريد بجيان هو وأبو زيد بن مقانا الاشبوني فاحضر لهما عنبا أسود مغطى بورق أخضر فارتجل ابن الشقاق

عنب تطلع من حشي ورق لنا * صبغت غلائل جلده بالاثمد
فكانه من بينهن كواكب * كسفت فلاحت في سماء زبرجد

قال وحضر ابن مرزقان ليلة عند ذي النون بن خلدون وبحضرته وصيفة تحمل شمعة فاستحسنها ابن مرزقان فقال بديها

ياشمعة تحملها أخرى * كانها شمس علت بدرا
امتحنت احدا كما مهجتي * بمثل ماتحمن الاخرى

قال ودخل الاديب غانم يوما على باديس صاحب غرناطة فوسع له على ضيق كان في المجلس فقال بديها

صيرفؤادك للحبوب منزلة * سم الخياط مجال للحبين
ولاتسامح بغيضا في معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وأخذه من قول الخليل ماتضايق سم الخياط بمتحابين ولا اتسعت الدنيا لمتباغضين وكان الخليل على غرفة صغيرة والمجلس متضايق فدخل عليه بعض أصحابه فرحب به وأجلسه معه على النمرقة فقال له الرجل انها لاتسعنا فقال ماذكر * وقال ابن بسام أيضا أمر الحاجب المنذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة بعرض بعض الجند في بعض الايام ورئيسهم مملوك له رومي يقال له خيار في نهاية الجمال فجعل ينفخ في القرن ليجتمع أصحابه على عادتهم في ذلك فقال ابن هند الداني فيه ارتجالا

أعن بابل أجفان عينيك تنفث * ومن قوم موسى أنت للعهد تنكث
أفي الحق أن تحكي سرافيل نافخا * وامكث في رمس الصدود وألبث
عساك نبي الحسن تاتي بآية * فتنفخ في ميت الصدود فيبعث

قال وكان بقرطبة غلام وسيم فر عليه ابن فرج الجياني ومعه صاحب له فقال صاحبه انه

سنة وعشرون سنة وعشرة النبي صلى الله عليه وسلم اربعة آلاف سنة واحدى عشرة سنة وستة اشهر وعشرة ايام فجملة التاريخ من هبوط آدم الى الارض الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة المتقي بالله ونزوله الرقة من ديار مضر خمسة آلاف سنة ومائة وست وخمسون سنة (وقد ذكرنا) جملا من التاريخ فيما سلف من هذا الكتاب فلم نعد منه ما تقدم (ونجوس) في التواريخ أقاصيص يطول ذكرها وعود الملك اليهم والى غيرهم من الطوائف السالفة في بدو العالم وفنائه ومن قال منهم ببقائه وان لابدء له ولانهاية ومن ذهب منهم الى ان له انتهاء ولابدء له قد اتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن الاعادة في هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على انفسنا الاختصار والايجاز والتنبيه على ماسلف لنا من الكتب (وقد ذهب) جماعة من اهل البحث والنظر من أهل الاسلام ان الدلالة قد قامت على حدوث العالم وكونه بعد أن لم يكن وأن المحدث له المخالق البارى جل وعز احدثه لامن شيء ويبعثه لامن شيء في الآخرة ليصح بذلك وعده ووعيده

لصبيح لولا صفرة فيه فقال ابن فرج ارتجالا

قالوا به صفرة عابت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه تطلب فى أوتار من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

قال وكان يوما مع لمة من أهل الادب فى مجلس أنس فاحتاج رب المنزل الى دينار فوجه الى السوق فدخل به عليهم غلام من الصيارف فى نهاية الجمال فرمى بالدينار اليهم من فيه تماجنا فقال ابن فرج

أبصرت دينارا بكف مهفهف * يزهى به من كثرة الاعجاب
أو مابه من فيه ثم رمى به * فكانه بدر رمى بشهاب

قال وخرج الاديب أبو الحسن بن حصن الاشبيلى الى وادى قرطبة فى نزهة فتذاكر اشبيلية فقال بديها

ذكرتك ياحص ذكرى هوى * أمات الحسود وتعنيته
كانك والشمس عند الغروب * عروس من الحسن منحوته
غدا النهر عقدك والطود تا * جك الشمس أعلاه ياقوته انتهى

وعبر بعضهم وهو صاحب بدائع البدائه عن بعض حكايات صاحب القلائد بما يقارب بها فى المعنى فقال ان المستعين بن هود ملك سرقسطة والثغور ركب نهر سرقسطة يوما لتفقد بعض معاقله المنتظمة بجيد ساحله وهو نهر رق ماؤه وراق وأزرى على نيل مصر ودجلة العراق قدا كتنفته البساتين من جانبيه وألقت ظلالها عليه فاتكاد عين الشمس ان تنظر اليه هذا على اتساع عرضه وبعد سطح مائه من أرضه وقد توسط زورقه زوارق حاشيته توسط البدر للهالة وأحاطت به احاطة الطفاوة بالغزالة وقد أعد وامن مكايد الصيد ما استخرج ذخائر الماء وأخاف حتى حوت السماء وأهلة الهالات طالعة من الموج فى سحاب وقانصة من بنات الماء كل طائرة كالشهاب فلا ترى الا صيودا كصيد الصوارم وقدود اللهاذم ومعاصم الابكار النواعم فقال الوزير أبو الفضل بن حسراى والطرب استهواه و بديع ذلك المرأى قد استرق هواه

لله يوم أنيق واضح الغرر * مفضض مذهب الآصال والبكر
كانما الدهر لما ساء أعتبنا * فيه بعتبى فابدى صفح معتذر
نسير فى زورق حف السرور به * من جانبيه بمنظوم ومنتثر
مد الشراع به تداعى ملك * بذ الاوائل فى أيامه الاخر
هو الامام المستعين حوى * عليا مؤتمن فى هدى مقتدر
تحوى السفينة منه آية عجبا * بحر تجمع حتى صار فى نهر
تثار من قعره النينان مصعدة * صيدا كما ظفر الغواص بالدرر
وللنداى به عب ومرتشف * كالريق يعذب فى ورد وفى صدر
والشرب فى ود مولى خلقه زهر * يذكو بهجته أبهى من القمر انتهى

ثم قال مامعناه وقوله نينان غير معروف فان نونا لم يجى مجمعها على نينان وقد كان سيبويه

آدم وقد غاب عنا حصر السنين واحصاؤها وتنازع الناس فى بدء التاريخ والكتاب لم يخبر بحصر اوقاته ولا بين عن كيفيته ولا اعداد سنيه فيما مضى وليس علم ذلك مما تهجم عليه الآراء ولا تحصره قضيات العقول ومو جبات الفحص وضرورات الحواس عند مذاكرتها لمحسوساتها فكيف توجب أن بوقت عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة والله عز وجل يقول وقد ذكر الاجيال ومن ضمه الهلاك وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا والله تعالى ذكره يقول فى الشئ الكثير الشئ الحقير وأعلمنا فى كتابه خلق آدم وما كان من أمره وأمر الانبياء بعده وأخبر عن شان بدء الخلق ولم يخبرنا بمقدار ذلك فنقف عليه كوقوفنا عند ما أخبرنا به ولا سيما مع علمنا أن المدة بيننا وبينه متفاوت وأن الارض كثرت بها المدن والملوك والعجائب فلا نحصر مالم يحصر الله عز وجل ولا يقبل من اليهود ما أوردته لنطق القرآن انهم يحرفون الكلم عن

مواضعه و يكتمون الحق وهم يعلمون ونفيهم النبوات وجحدهم ما أتوا به من الآيات

لحن بشار بن برد فى قوله فى صفة السفينة

تلاعب ثينان البحور ورنما * رأيت نفوس القوم من جريها تجرى

فغيره بشار بتيار البحور وقد قال أبو الطيب يصف خيلا

فهن مع السيدان فى البرعسل * وهن مع الثينان فى البحر عوم انتهى

والمستعين بن هود وأحمد بن المؤتمن على أمر الله يوسف بن المقتدر بالله أحمد بن المستضىء بالله سليمان بن هود الجذامى رحمهم الله تعالى الجميع *وعبر المذكور عن قضية ابن وهبون فى هلال شوّال بما نصه خرج ابن وهبون يوما لنظر هلال شوّال وأبو بكر بن القبطرنة الوزير يسايره وهو يومئذ غلام يخجل البدر ويذوى الغصن النضر وصفحته لم يسطرها العذار بانقاسه ووردة خده لم يسترها الشعر بآسه فارتجل عبد الجليل

ياهلال استتر بوجهك عنى * ان مولاك قابض بشمالى

هبك تحكى سناه خذ انخذ * قم فقنى لحظه بمثال انتهى

وقد ذكرنا هذه الحكاية فى غير هذا الموضع بلفظ الفتح فى القلائد ولكنا أعدناها هنا لتعبير صاحب البدائع عنها محا كما الطريقته *وذكر ابن بسام ان الوزير ابا عبد الله بن ابى الخصال وقف بباب بعض القضاة واستأذن عليه فحجب عنه فكتب اليه بديها

جئناك للحاجة المطول صاحبها * وأنت تنعم والاخوان فى بوس

وقد وقفنا طويلا عند بابكم * ثم انصرفنا على رأى ابن عبدوس

أشار به الى قول الوزير أبى عامر بن عبدوس

لنا قاض له خلق * أقل ذميمه الترق

اذا جئناه يحجبنا * فنلعنه ونفترق

وهو تمام مليح سامح الله تعالى الجميع *وقال أبو جعفر الكاتب القرطبى الرضى

وابى المدامة ما أريد بشربها * صلف الرقيع ولا انهماك اللاهى

لم يبق من عصر الشباب وطيبه * شئ كعهد لم يحل الاهى

ان كنت أشربها لغير وفائها * فتركتها للناس لالله

وبعضهم ينسبها لابى القاسم عامر بن هشام والصواب كما قال ابن الابار الاول *وقال ابو جعفر المذكور فى فوّارة رخام كلفه وصفها والى قرطبة

ماشغل الطرف مثل فائرة * تمج صرف الحياة من فيها

اشرب بها والحباب فى جذل * يظهره حسنها ويخفيها

تكاد من رقة تنسمها * تخطفها العين اذ توافيها

كأنها درة منعمة * زهرا قد ذاب نصفها فيها

ومن شعره أيضا

ضحك المشيب برأسه * فبكى باعين كاسه

رجل تخوّنه الزما * ن يئوسه ويباسه

فجرى على غلوائه * طلق الجموح بناسه

البراهين الباهرات والدلائل والعلامات والله عز وجل يخبر بما أهلك من الامم لما كان من فعلهم وكفرهم بربهم قال الله عز وجل الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية الى قوله فهل ترى لهم من باقية ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم كذب النسابون وأمر أن ينسب الى معد ونهى أن يتجاوز بالنسب الى ما فوق ذلك لعلمه بما مضى من الاعصار الخالية والامم الفانية ولولا أن النفوس الى الطارف أحن وبالنوادر أشغف والى قصار الاحاديث أميل وبها أكلف لذكرنا من أخبار المتقدمين وسير الملوك الغابرين ما لم نذكره فى هذا الكتاب ولكن ذكرنا فيه ما قرب تناوله تلويحا بالقول دون الايضاح والشرح اذ كان معوّلنا فى جميع ذلك على ما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا واذا علم الله عز وجل موقع النية ووجه القصد أعان على السلامة من كل مخوف (وقد ذكرنا) فى هذا الكتاب من كل فن من العلوم وكل باب من الآداب على حسب الطاقة أخذا

أخذا بأوفر حظه * لرجائه من ياسه

وقال أحد بني القبطرنة الوزراء

ذكرت سليمى ونار الوغى * بقلبي كساعة فارقتها
وأبصرت قد القنا شبهها * وقد ملن نحوى فعانقتها

وهذا معنى بديع ما أراه سبق به وقال أبو الحسن بن الغليظ المالقي قلت يوما للاديب أبي عبدالله بن السراج المالقي ونحن على خمر ماء أجز * شربنا على ماء كأن خمره فقال مبادرا * بكاء محب بان عنه حبيب

فمن كان مشغوفا كئيبا بالفه * فاني مشغوف به وكئيب

وكتب أبو بكر البلنسي الى الاديب أبي بحر صفوان بن ادريس هذين البيتين يستجيزه القسيم الاخير منهما

خليلي أبا بحر وما قرقف اللمى * بأعذب من قولي خليلي أبا بحر
أجز غير ما مورة سيما نظمته * تامل على مجرى المياه حلى الزهر

فاجازه

تامل على مجرى المياه حلى الزهر * كعهدك بالخضراء والانجم الزهر
وقد ضحكت للياسمين مباسم * سرورا بآداب الوزير أبي بكر
وأصغت من الآس النضير مسامع * لتسمع ما يتلوه من سور الشعر

وقال ابن خفاجة

وما الانس الا في مجاج زجاجة * ولا العيش الا في صرير سرير
واني وان جئت المشيب لموائع * بطرة ظل فوق وجه غدير

وقال ابن خفاجة أيضا

وأسود يسبح في لجة * لاتكتم الحصباء غدرانها
كانها في شكلها مقلة * وذلك الاسود انسانها

وكتب الوزير الشهير أبو الوليد بن زيدون الى الوزير أبي عبدالله بن عبدالعزيز ناثرا صدوره عن بلنسية

راحت فصحبها السقيم * ريح معطرة النسيم
مقبولة هبت قبو * لا فهي تعبق في الشميم
أفضيض مسك أم بلنـ * ـسية لرياها نمي
بلد حبيب أفقه * لفتى يحل به كريم
ايه أبا عبد الاله نداء مغلوب الغريم
ان عيل صبري من فرا * قك فالعذاب به أليم
او أتبعتك حنينها * نفسي فانت لها قسيم
ذكرى لعهدك كالعرا * رسرى فيرح بالسليم
مهما ذممت فاؤنا * في في زمانك بالذميم

اليه المبتدى والمنتهى من علوم العالم وأخباره فلنذكر الآن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولده ومبعثه وهجرته ووفاته وأيام الخلفاء والملوك عصرا فعصرا الى وقتنا هذا ولم نعرض في كتابنا هذا الكثير من الاخبار بل لوحنا بالقول بها تحوفا من الاطالة ووقوع الملل اذ ليس ينبغي للعاقل أن يحمل البنية على ما ليس في طاقتها ويسوم النفس ما ليس في حيلتها وانما الالفاظ على قدر المعاني وقليلها لقليلها وهذا باب كبير وبعضه ينوب عن بعض والجزء منه يوهمك الكل والله تعالى ولي التوفيق

(ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب)

وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا بدء التاريخ في أخبار العالم وأخبار الانبياء والملوك وعجائب البر والبحر وجوامع التاريخ للفرس والروم والقبط وشهور الروم والقبط وما كان من مولد النبي صلى الله عليه وسلم الى مبعثه

زمن كالوف الرضا * ع يشوق ذكراه العظيم
أيام أعقد ناظرى * فى ذلك المرأى الوسيم
وأرى الفتوة غضة * فى ثوب أواه حليم
الله يعلم ان حبك من فؤادى فى الصميم
ولئن تحمل عنك لى * جسم فعن قلب مقيم
قل لى بأى خلال سرك فيك أقبل أو أهيم
أبجدك العمم الذى * نسق الحديث مع القديم
أم طرفك الغض الجنى * أم عرضك الصافى الاديم
أم برك العذب الجما * م و بشرك الغض الجميم
ان أشمست تلك الظلا * قة فالندى منها مغيم
أم بالبدائع كالملا * لى من نثير أو نظيم
لبلاغة ان عد أهلوها فانت بها زعيم
فقرتسوغ بها المدا * م اذا يكررها النديم
ان الذى قسم الحظو * ظ حباك بالخلق العظيم
لا أستزيد الله نعمى فيك لابل أستديم
فلقد أقر العين أنك غرة الزمن البهيم
حسى الثناء بحسن برك مابدا برق وشيم
ثم الدعاء بان تهنأ طول عيشك فى نعيم
ثم السلام تبلغنه فغيب مهديه سليم

ولما ورد اشبيلية نزل بدار الوزير الكاتب ذى الوزارتين أبى عامر بن سلمة وهو يبنى مجلسا فصنع أبياتا كتبت فيه

عمر من يعمر ذا المجلسا * أطول عمرا يهيج الانفسا
و بعدا عوض من داره * عدنا ومن ديباجه السندسا
ولقى النور بها والرضا * ووقى الاساءة والابؤسا
ودام عبادا لعضد الهدى * يحرس حتى يفنى الاحرسا
معتضد بالله احسانه * جم اذا ما الدهر يوما أسا
الملك الغمر الندى المقتنى * من كل حمد علقه الانفسا
ان رام يوما وصف علیائه * مفوه مقتدرا أخرسا
لازال بدرا طالعا نيرا * يكشف عن آمالنا الحندسا

وقال فيه أيضا

أدرها فقد حسن المجلس * وقد آن أن تترع الاكؤس
ولا تنس أن أوان الربيع * اذا لم تجد فقده الانفس
فان خلال أبى عامر * بها يحقر الورد والنرجس

قيل بعثته (وهو محمد) بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ابن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان بن أدبن أدد بن ناحور بن يعور بن يعرب بن يشجب بن ثابت ابن اسمعيل بن ابراهيم خليل الرحمن بن تارخ بن آزر بن ماخور بن ساروغ ابن ارعواء بن فالغ بن عابر ابن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن ملك بن متوشلخ بن خنوخ بن يرد بن مهلاييل بن معسوف بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام هذا فى نسخة ابن هشام فى كتاب جمهرة النسب والنسخ مختلفة الاسماء فى النسب من نزار وفى نسخة ان نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن نام بن يشجب بن يعرب بن الهميسع بن صافوع ابن يافث بن قيدر بن اسمعيل بن ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ارعواء ابن اسروح بن فالح بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن نوح بن متوشلخ بن خنوخ بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم (وفى رواية ابن الاعرابى) عن هشام بن محمد الكلبى وكتب

وكتب الى الوزير أبى المعالى المهلب بن عامر يستدعيه

طابت لنا ليلتنا الخاليه * فلتتبعها هذه الثانيه
أبا المعالى نحن فى راحة * فانقل الينا القدم العاليه
لانها عاطلة ان تغب * عنا فزورنا كى ترى حاليه
أنت الذى لو نشترى ساعة * منه بدهر لم تكن غاليه

وكتب اليه ذو الوزارتين أبو عامر المذكور معاتبا

تباعدنا على قرب الجوار * كأنا صدنا شط المزار
تطلع لى هلال الهجر بدرا * وصار هلال وصلك فى سرار
وشاع شنيع قطعك لى بوصلى * فهلا كان ذلك فى استتار
أيجمل أن ترى عنى صبورا * فاصبح مولعا دون اصطبار
وكنت أزيد سمعك من عتابى * ولكن عاقنى فرط الخمار
فراع مودتى واحفظ جوارى * فان الله أوصى بالجوار
وزرنى منعما من غير أمر * وآنس موحشا من عقر دارى

فكتب اليه ابن زيدون

هواى وان تناءت عنك دارى * كمثل هواى فى حال الجوار
مقيم لا تغيره عواد * تباعد بين احيانى المزار
رأيتك قلت ان الهجر بدر * متى خلت البدور من السرار
ورابك أننى جلد صبور * وكم صبر يكون عن اضطبار
ولم أهجر لعتب غير أنى * أضرت بى معاقرة العقار
وان الخمر ليس لها خمار * يبرح بى فكيف مع الخمار
وهل انسى لديك نعيم عيش * كوشى الخد طرز بالعذار
وساعات يحول اللهو فيها * مجال الظل فى حدق النهار
وان يك فر عنك اليوم جسمى * فديت فما القلبى من فرار
وكنت على البعاد أجل شئ * لدى فكيف اذ أصبحت جارى

وكان أبو العطاف اذود اشبيلية رسولا قد سأله ان يريه شيأ من شعره فخطله به حتى كتب اليه شعرا يستبطئه فاجابه ابن زيدون فى العروض والقافية

أفدتنى من نفائس الدرر * ما أبرزته غواص الفكر
من لفظة قارنت نظائرها * قران سقم الجفون للعور

وهى أكثر مما ذكر * وكتب رحمه الله تعالى أعنى ذا الوزارتين بن زيدون الى ولادة

أضحى التنائى بديلا من تدانينا * وناب عن طيب دنيانا تجافينا
الا وقد قام صبح الليل صبحنا * حيفا فقام لنا للحين ناعينا
من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم * حزنا مع الدهر لا يبلى ويبلينا
ان الزمان الذى مازال يضحكنا * انسا بقربهم قد عاد يبكينا

ابن ناخور بن ساروخ بن ارعواء بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن خنوخ بن يرد بن مهلاييل ابن معسوف بن شيث بن آدم عليه السلام (وفى التوراة) أن آدم عليه السلام عاش تسعمائة سنة وثلاثين سنة فيجب والله أعلم أن آدم عليه السلام كان عند مولد لمك وهو أبو نوح النبى عليه السلام ابن ثمانمائة سنة وأربع وستين سنة وشيث ابن سبعمائة وأربع وأربعين سنة فيجب على هذا الوصف من الحساب أن مولد نوح عليه السلام كان بعد وفاة آدم بمائة وست وعشرين سنة (وقد نهى) النبى صلى الله عليه وسلم على حسب ماذكرنا من نهيه ان يجاوز عن معد فقد ثبت ان نتوقف فى النسب على ماذكرنا فالواجب الوقف عند أمره عليه السلام ونهيه (قال المسعودى) وقد وجدت نسب بن عدنان فى السفر الذى أثبته تاروح بن باريا كاتب أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن معدا بن عدنان بن أدبن الهميسع بن

غظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بان نغص فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقودا بانفسنا * وانبت ما كان موصولا بايدينا
بالامس كنا ومايخشى تفرقنا * واليوم نحن ومايرجى تلاقينا
ياليت شعرى ولم نعتب أعاديكم * هل نال حظا من العتبى اعادينا
لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم * رأيا ولم نتقلد غيره دينا
كنا نرى الياس تسلينا عوارضه * وقد يئسنا فحالياس يغرينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولاجفت مآقينا
تكاد حينا تناجيكم ضمائرنا * يقضى علينا الاسى لولا تاسينا
حالت لفقدكم ايامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
اذ جانب العيش طلق من تالفنا * وموردالله وصاف من تصافينا
واذ هصرنا فنون الوصل دانية * قطوفها فجنينا منه ماشينا
ليسق عهدكم عهد السرور فما * كنتم لار واحنا الا ياحينا
لاتحسبوا نايكم عنا يغيرنا * ان طال ماغير النأى المحبينا
والله ماطلبت أهواؤنا بدلا * منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا
ياساري البرق غاد القصر فاسق به * من كان صرف الهوى والود يسقينا
واسال هنالك هل عيني تذكرني * الفاتذكره أمسى يعنينا
و يانسيم الصبا بلغ تحيتنا * من لو على البعد حي كان يحيينا
من لايرى الدهر يقضينا مساعفة * فيه وان لم يكن عنا بقاضينا
و بيت ملك كأن الله أنشاه * مسكا وقد أنشا الله الورى طينا
اوصاغه ورقا محضا وتوجه * من ناصع التبر ابداعا وتحسينا
اذا تاود أدته رفاهيته * تدمى العقول وأدمته البرى لينا
كانت له الشمس ضرا في تكلله * بل ماتجلى بها الا حايينا
كانما نبتت في صحن وجنته * زهر الكواكب تعويذا وتزيينا
ماضر ان لم نكن أكفاءه شرفا * وفى المودة كاف من تكافينا
يارا وضة طالما أجنت لواحظنا * ورد اجناه الصبا غضا ونسرينا
و ياحياة تملأ نا بزهرتها * مني ضروبا ولذات أفانينا
و يانعيما خطرنا من نضارته * في وشي نعمى سحبنا ذيله حينا
لسنا نسميك احلالا وتكرمة * وقدرك المعتلى عن ذاك يغنينا
اذا انفردت وماشورك في صفة * خبرنا الوصف ايضاحا وتبيينا
ياجنة الخلد أبدلنا بسلسلها * والكوثر العذب زقوما وغسلينا
كانا لم نبت والوصل ثالثنا * والسعد قد غض من أجفان واشينا
سران في خاطر الظلماء تكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا
لاغرو في أن ذكرنا الحزن حين نهت * عنه النهى وترى كنا الصبر ناسينا

ابن عيسى بن افيا بن ايهاز ابن معصر بن ماحب بن رواح ابن سماى بن مر بن عوص بن عوام بن فيدوز بن اسمعيل ابن ابراهيم الخليل عليه السلام وقد كان لارمياء مع معد بن عدنان أخبار يطول ذكرها وما كان من أمرهما بالشام وقد اتينا على ذكر ذلك فيما سلف من كتبنا وانما ذكرنا هذا النسب من هذا الوجه ليعلم تنازع الناس في ذلك (وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تجاوز معد لعلمه من تباعد الانساب وكثرة الآراء في طول هذه المدة والاعصار (وكنيته) صلى الله عليه وسلم أبو القاسم وفي ذلك يقول الشاعر لله من قدر اصفوة وصفوة الخلق بنو هاشم وصفوة الصفوة من هاشم محمد النور أبو القاسم وهو محمد وأحمد والماحي الذي يمحو الله به الذنوب والعاقب والحاشر الذي يحشر الناس على عقبه صلى الله عليه وسلم (وكان مولده) عليه السلام عام الفيل و بين عام الفيل وعام الفجار عشرون سنة والفجار حرب كانت بين قيس عيلان و بين كنانة استحلوا فيها القتال في الاشهر الحرم فسميت الفجار وكنانة بن خزيمة بن مدركة هو

انا قرأنا الاسى يوم النوى سورا * مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا
أما هواك فلم نعدل بعشر به * شرباوان كان يروينا فيظمينا
لم نجف أفق جمال انت كوكبه * سالين عنه ولم نهجره قالينا
ولا اختيارا تجنبناك عن كثب * لكن عدتنا على كره عوادينا
ناسي عليك اذا خفت مشعشعة * فينا الشمول وغنانا مغنينا
لا أكؤس الراح تبدي من شمائلنا * سيما ارتياح ولا الاوتار تلهينا
دومي على العهد ما دمنا محافظة * فالحر من دان انصافا كما دينا
فما استعضنا خليلا عنك يحبسنا * ولا استفدنا حبيبا منك يغنينا
ولو صبا نحونا من أفق مطلعه * بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا
أبلى وفاء وان لم تبذلي صلة * فاللطيف يقنعنا والذكر يكفينا
وفي الجواب امتناع قد شغفت به * بيض الايادي التي مازلت تولينا
عليك مني سلام الله ما بقيت * صبابة بك تخفيها وتخفينا

واغا ذكرت هذه القصيدة مع طولها لبراعتها ولان كثيرا من الناس لا يذكر جملتها ويظن أن ما في القلائد وغيرها منها هو جميعها وليس كذلك فهي وان اشتهرت بالمشرق والمغرب لم يذكر جملتها الا القليل وقد كنت وقفت بالمغرب على تسديس لها لبعض علماء المغرب ولم يحضرني منه الا قوله في المطلع

ما للعيون بسهم الغنج تصمينا * وعن قطاف جني الاعطاف تحمينا
تالف كان يحيينا ويضنينا * تفرق عاث في شمل المحبينا
أضحى التنائي بديلا من تدانينا * ونأب عن طيب دنيانا تجافينا

وما أحسن قوله في هذا التسديس

ما للاحبة دانوا بالنوى ورأوا * تعويض عهد اللقا بالبعد حين ناوا
رعاهم الله كانوا للعهود رعوا * فغيرتهم وشاة بالفساد سعوا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بان نغص فقال الدهر آمينا

وقد ذكرنا في الباب الرابع موشحة ابن الوكيل التي وطاقيها النونية ابن زيدون هذه فلتراجع (رجع) وقال ذو الوزارتين ابن زيدون يتغزل

وضح الصبح المبين * وجلا الشك اليقين
ورأى الاعداء ما غرتهم منك الظنون
أملوا ما ليس يمنى * ورجوا ما لا يكون
وتمنوا أن يخون العهد مولى لا يخون
فاذا الغيب سليم * واذا العهد مصون
قل لمن دان بهجري * وهو اني اذيدين
أرخص الحب فؤادي * لك والعلق ثمين
ياهلا لا تترا * ه نفوس لا عيون

وعامر هو طابخة وعمير هو قمعة وكانت أمهم ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهي خندف فغلب على من ذكرنا الالقاب ونسب ولد الياس الى أمهم خندف وفي ذلك يقول قصي بن كلاب بن مرة انى أرى الحرب تحيي وأبى عند تناديهم بآل وهب معترم الصولة عالي النسب أمي خندف والياس أبي

(وقريش) خمسة وعشرون بطنا وهم بنو هاشم بن عبد مناف بنو الحرث بن عبد المطلب بنو اسد بن عبد العزى بنو عبد الدار بن قصي وهم حجبة الكعبة بنو زهرة بن كلاب بنو تيم بن مرة بنو مخزوم بنو يقظة بنو مرة بنو عدي بن كعب بنو سهم بنو جمح والى هنا تنتهي قريش البطاح على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب بنو مالك بن حنبل بنو معيط بن عامر بنو لؤي بنو أسامة بن لؤي بنو الادوم وهم تيم بن غالب بنو محارب بن فهم بنو الحرث بن عبد الله بن كنانة بنو عائذة وهم خزيمة بن لؤي بنو بانة

وهم سعيد بن لؤي ومن بني مالك الى آخر القبائل من قريش الظواهر على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند

عجبا للقلب يقسو * منك والعطف يلين
ما الذي ضرك لو سر * بمرآك الحزين
وتلطفت بصب * حينه فيك يحين
فوجوه اللطف شتى * والمعاذير فنون

وقال أيضا

اليك من الانام غدا ارتياحي * وأنت من الزمان مدى اقتراحي
وما اعترضت هموم النفس الا * ومن ذكراك ريحاني وراحي
فديتك ان صبري عنك صبري * لدى عطشي عن الماء القراح
ولي أمل لو الواشون كفوا * لاطلع غرسه ثمر النجاح
وأعجب كيف يغلبني عدو * رضاك عليه من أمضى سلاحي
ولما أن جلتك لي اختلاسا * أكف الدهر للعين المتاح
رأيت الشمس تطلع في نقاب * وغصن البان يرفل في وشاح
فلو اسطيع طرت اليك شوقا * وكيف يطير مقصوص الجناح
على حالي وصال واجتناب * وفي يومي دنو وانتزاح
وحسبي أن تطالعك الاماني * بافقك في مساء أو صباح
فؤادي من أسى بك غير خال * وقلبي من هوى لك غير صاح
وأن تهدي السلام الي شوقا * ولو في بعض أنفاس الرياح

وقال

كم ذا أرد يدولا أراد * لله ما ألقى الفؤاد
أصفي الوداد الى الذي * لم يصف لي منه الوداد
كيف السلو عن الذي * مثواه من قلبي السواد
يقضي على دلاله * في كل حين أو يكاد
ملك القلوب بحسنه * فلها اذا أمر انقياد
ياهاجري كم أستفيد الصبر عنك فلا أفاد
أفلا رثيت لمن يبيت وحشو مقلته السهاد
ان أجن ذنبا في الهوى * خطأ فقد يكبو الجواد
كان الرضا وأعيذه * أن يعقب الكون الفساد

وقال

متى أنبيك ما بي * ياراحتي وعذابي
متى ينوب لساني * في شرحه عن كتابي
الله يعلم أني * أصبحت فيك كماني
فما يلذ منامي * ولا يسوغ شرابي
يافتنة المتعري * وحجة المتصابي

د ربا لاطيين وغيرهم شوّال وكان حلف الفضول بعد منصرفهم من الفجار فقال بعضهم

نحن كنا الملوك من آل نجد
وحماة الذمار عند الذمار
ومنعنا الجون من كل حي
ومنعنا الفجار يوم الفجار

وفي ذلك قال خداش بن زهير العامري

فلا توعديني بالفجار فانه
أحل بيطحاء الجون المخازيا

(وقد كان) الحلف في ذي القعدة بسبب رجل من زبيد من اليمن وكان باع سلعة له من العاص بن وائل السهمي فطله بالثمن حتى يئس فعلا جبل أبي قبيس وقريش في مجالسها حول الكعبة فنادى بشعر يصف فيه ظلامته رافعا صوته مناديا يقول

يا للرجال لمظلوم بضاعته
ببطن مكة نادى الحي والنفر
ان الحرام لمن تمت حرامته
ولا حرام لثوي لابس الغدر

فحشت قريش بعضها الى بعض وكان أول من سعى في ذلك الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف واجتمعت قبائل قريش في دار الندوة وكانت للحل والعقد وكان ممن اجتمع بها من قريش بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف وزهرة بن كلاب

الشمس انت توارت * عن ناظري بالحجاب
ما النور شف سناه * على رقيق السحاب
الا كوجهك لما * أضاء تحت النقاب

وقال

هل لداعيك مجيب * أم لشاكيك طبيب
ياقريبا حين ينأى * حاضرا حين يغيب
كيف يسلوك محب * زانه منك حبيب
انما أنت نسيم * تتلقاه القلوب
قد علمنا علم ظن * هو لاشك مصيب
أن سر الحسن مما * أضمرت تلك القلوب

وقال

أنى تضيع عهدك * أم كيف تخلف وعدك
وقد رأتك الامانى * رضا فلم تتعدك
ياليت شعرى وعندى * ماليس فى الحب عندك
هل طال ليلك بعدى * بطول ليلى بعدك
سلمنى حياتى أهبها * فلست أملك ردك
الدهر عبدى لما * أصبحت فى الحب عبدك

وقال رحمه الله تعالى وقد أمره السلطان أن يعارض قطعا كان يغنى بها واستحسن الحانها

يقصر قربك ليلى الطويلا * ويشفى وصالك قلبى العليلا
وان عصفت منك ريح الصدود * تقد نسيم الحياة البليلا
كما أننى ان اطلت العثار * ولم يبد عذرى وجها جميلا
وجدت ابا القاسم الظافر الـ * ـمؤيد بالله مولى مقيلا
لاقلامه فعل اسيافه * يظل الصرير يبارى الصليلا

وقال يهنيه بالقدوم من السفر

ايها الظافر أبشر بالظفر * واجتل التأييد فى ابهى الصور
وتفيأ ظل سعد يجتنى * فيه من غرس المنى أحلى الثمر
ورد النجح فكم مستوحش * شائق منك الى انس الصدر
كان من قربك فى عيش ند * عاطر الآصال وضاح البكر
فثوى دونك مثوى قلق * يشتكى من ليله مطل السحر
قل لساقينا يجدا كؤسه * ولشادينا يطل قطع الوتر

ومنها

لى فيه المثل السائر فى * جالب التمر الى ارض هجر
ثم قد وفق عبد عظمت * نعمة المولى عليه فشكر

فساروا الى دار عبد الله ابن جدعان فتحالفوا هناك فى ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب

حلفت لتعقدى حلفا تميم
وان كنا جميعا أهل دار
نسميه الفضول اذا عقدنا
يبلغه القريب لدى الجوار
ويعلم من حوالى البيت أنا
أباة الضيم نهجر كل عار

وقد قدمنا فى كتابنا الاوسط أخبار الاحلاف والفجارات الاربعة فجار الرجل وفجار زيد بن معشر وفجار ألف ودو وفجار المرأة والفجار الرابع هو فجار البراض ومن الفجار الرابع وحضور النبى صلى الله عليه وسلم ومشاهدته الفجار الرابع الى أن خرج الى الشام فى تجارة خديجة ونظر نسطورا الراهب اليه وهو فى صومعته والنبى صلى الله عليه وسلم مع ميسرة وقد أظلته غمامة فقال هذا نبى وهذا آخر الانبياء أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام والى أن تزوج خديجة بنت خويلد شهران وأربعة وعشرون يوما والى أن شهد بنيان الكعبة وحضر منازعة قريش فى وضع الحجر الاسود عشر سنين

 وقد كان السيل هدم الكعبة فبرق منها لما انهدمت غزال من الذهب وحلى وجواهر فنقضها

لاعدا حظك اقبال يرى * قاضيا ابناؤه كل وطر
واصطبح كاس الرضا من ملك * سرت في ارضائه از كى الخير
حين صمت الى اعدائه * فانتهتهم منك صماء الغير
فاض غمر للندى من فوقهم * كان يروى شر بهم منه الغمر
سبق الناس فصلى سابق * اذراى آثاره مثل الزهر

وهي طويلة وقال رحمه الله تعالى

لم يكن هجر حبيبي عن قلا * لاولاذاك التجنى مللا
سره دعوى ادعائى ثم لم * يدر ماغاية صبرى فابتلى
انا راض بالذى يرضى به * لى من لو قال مت ماقلت لا
مثل فى كل حسن مثل ما * صار حالى فى هواه مثلا
ياقتيت المسك ياشمس الضحى * ياقضيب البان ياظبى الفلا
ان يكن لى امل غير الرضا * منك لا بلغت ذاك الاملا

وقال رحمه الله تعالى

أذكرتنى سالف العيش الذى طابا * ياليت غائب ذاك الوقت قد آبا
اذنحن فى روضة للوصل انعمها * من السرور غمام فوقها صابا
انى لاعجب من شوق يطالبنى * فكلما قيل فيه قد قضى نابا
كم نظرة لك عندى قد علمت بها * يوم الزيارة أن القلب قد ذابا
قلب يطيل معاصاتى لطاعتكم * فان اكلفه يوما سلوتيابى

وقال رحمه الله تعالى

عاودت ذكر الهوى من بعد نسيانى * واستحدث القلب بعد العشق سلوانى
من حب جارية يبدو بها صنم * من اللجين عليها تاج عقيان
غرير لم تفارقها تمائمها * تسبى القلوب بساجى الطرف وسنان
لا أستجدن من عشقى لها بدلا * يحيى سوالف ايامى وازمانى
حتى يكون لمن ابيت خاتمة * نسخت فى حبها كفرا بايمان

وقال رحمه الله تعالى

انت معنى الهوى وسر الدموع * وسبيل الهوى وقصد الولوع
انت والشمس ضرتان ولكن * لك عند الغروب فضل الطلوع
ليس يامؤنسى تكلفك العتب دلالا من الرضا الممنوع
انما انت والحسود معنى * كوكب يستقيم بعد الرجوع

وقال رحمه الله تعالى

ياليل طل لا أشتهى * الا لعهدى تصرك
لو بات عندى قرى * مابت أرعى قمرك
ياليل خبرانى * ألتذ عندى خبرك

قريش وكان فى حيطانها الازلام ويقابلها صورة اسمعيل ابنه على فرس يخبر الناس مقبضا والعاروب قائم على وفد الناس يقسم فيهم وبعد هذه الصورة صور كثيرة من أولادهم الى قصى بن كلاب وغيرهم فى نحو من ستين صورة مع كل واحد من تلك الصور آلة صاحبها وكيفية عبادته وما اشتهر من فعله (ولما بنت قريش) الكعبة ورفعت سمكها وتاتى لها ماأرادت فى بنيانها من الخشب الذى ابتاعوه من السفينة التى رمى بها البحر الى ساحلهم التى بعث بها ملك الروم من القلزم من بلاد مصر الى الحبشة لتبنى هنالك له كنيسة وانتهوا الى موضع الحجر وتنازعوا على ماذكرنا أيهم يضعه فاتفقوا على أن يرضوا باول من يطلع عليهم من باب بنى شيبة فكان أول من ظهر لابصارهم النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك الباب وكانوا يعرفونه بالامين لوقاره وهديه وصدق لهجته واجتنابه القاذورات والادناس فحكموه فيما تنازعوا فيه وانقادوا الى قضائه فبسط ما كان عليه من رداء وقيل كساء وأخذ عليه السلام الحجر فوضعه فى وسطه ثم قال لاربعة رجال من قريش

بالله قل لى هل وفى * فقال لا بل غدرك

وقال رحمه الله تعالى

ان فاتنى منك حظ النظر * لاكتفين بسماع الخبر
وان عرضت غفلة للرقيب * فحسبى تسليمة تختصر
أحاذر أن يتعنى الوشاة * وقد يستدام الهوى بالحذر
فاصبر مستيقنا أنه * سيحظى بنيل المنى من صبر

وقال أيضا رحمه الله تعالى

أيها البدر الذى يملأ عينى من تامل
حمل القلب تباريح التعنى فتحمل
ثم لا تياس فكم قد * نيل أمر لم يؤمل

وقال أيضا رحمه الله تعالى

أجد ومن أهواه فى الحب عابث * وأوفى له بالعهد اذ هو ناكث
حبيب نأى عنى مع القرب والاسى * مقيم له فى مضمر القلب ماكث
جفانى بالطاف العدا وأزاله * عن الوصل رأى فى القطيعة حادث
تغيرت عن عهدى وملت واثقا * بعهدك لكن غيرتك الحوادث
وما كنت اذ ملكتك القلب عالما * بانى عن حتفى بكفى باحث
ستبلى الليالى والوداد بحاله * مقيم وغض وهو للارض وارث
فلو أننى أقسمت انك قاتلى * وأنى مقتول لما قيل حانث

وقال رحمه الله تعالى

ياغزالا أصارنى * موثقا فى يد المحن
اننى مذ هجرتنى * لم أذق لذة الوسن
ليت حظى اشارة * منك أو لحظة بعن
شافعى يا معذبى * فى الهوى وجهك الحسن
كنت خلوا من الهوى * وأنا اليوم مرتهن
كان سرى مكتما * وهو الآن قد علن
ليس لى عنك مذهب * فكما شئت لى فكن

وقال رحمه الله تعالى

أيوحشنى الزمان وأنت أنسى * ويظلم لى النهار وأنت شمسى
وأغرس فى محبتك الامانى * وأجنى الموت من ثمرات غرسى
لقد جازيت غدرا عن وفائى * وبعت مودتى ظلما ببخس
ولو أن الزمان أطاع حكمى * فديتك من مكارهه بنفسى

ومحاسن ابن زيدون كثيرة وقد ذكرنا منها فى غير هذا المحل جملة وسألت جاريته من جوارى الاندلس ذا الوزارتين أبا الوليد بن زيدون أن يزيد على بيت أنشدته اياه وهو

استقسمت قريش بناء الكعبة كستها أربعة الزعماء وهى الوصائل وأعادوا الصور التى كانت مصورة فى الكعبة

وأبقوا شكل ذلك وأحكامه وكان أبو طالب حاضرا فلما سمع هذا الكلام من هذا القائل فى النبى صلى الله عليه وسلم وما يكون من أمره فى المستقبل أنشأ يقول

ان لنا أوله وآخره ... فى الحكم العدل الذى لا ينكره
وقد جهدنا جهدنا ليغمره ... وقد عهدنا أوله وآخره
فان يكن حقا ففينا اكثره

(وكان) من بناء الكعبة الى أن بعثه الله صلى الله عليه وسلم خمس سنين (ومن مولده) الى يوم مبعثه أربعون سنة ويوم (والذى صح) من مولده عليه السلام أنه كان بعد قدوم أصحاب الفيل بمكة بخمسين يوما وكان قدومهم مكة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ثمانمائة واثنتين وثمانين من عهد ذى القرنين وكان قدوم ابرهة مكة لسبع عشرة خلت من المحرم لست عشرة ومائتين من تاريخ العرب الذى أوله حجة العدة ولسنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان (وكان مولده عليه السلام) لثمان خلون من ربيع الاول من هذه السنة بمكة فى دار ابن يوسف ثم بعد ذلك بنتها الخيزران ام الهادى والرشيد مسجدا وكان أبوه عبد الله غائبا بارض الشام فانصرف مريضا فمات بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل وقد وغضارة

يا معطشى من وصال كنت وارده * هل منك لى غلة ان صحت واعطشى

قال وكانت الجارية المذكورة تتعشق فتى قرشيا والوزير يعلم ذلك وهى لا تعلم انه يعلم فقال

كسوتنى من ثياب السقم أسبغها * ظلما وصيرت من لحف الضنى فرشى
أنى بصرف الهوى عن مقلة كحلت * بالسحر مقلتك وخدا بالجمال وشى
لما بدا الصدغ مسودا بأحمره * أرى النشا كل بين الروم والحبش
أو فى الى الخد ثم انصاع منعطفا * كالعقربان انثنى من خوف محترش
لو شئت زرت وسلك الليل منتظم * والافق يختال فى ثوب من الغبش
جفا اذا التذت الاجفان طيب كرى * جفنى المنام وصاح الليل يا قرشى
هذا وان تلفت نفسى فلا عجب * قد كان قتلى فى تلك الجفون حشى

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس صورة رحمون وعزون وحسون فأولع بهم الحافظ الشهير أبو محمد بن السيد البطليوسى صاحب شرح أدب الكاتب وغيره وقال فيهم

أخفيت سقمى حتى كاد يخفينى * وهمت فى حب عزون فعزونى
ثم ارحمونى برحمون وان ظمئت * نفسى الى ريق حسون فحسونى

قال ثم خاف على نفسه فخرج عن قرطبة وهو القائل

نفسى الفداء لجؤذر حلو اللمى * مستحسن بصدوده أفنانى
فى فيه سمط جوهر يروى الظما * لو علنى ببروده أحيانى

وهذان البيتان تخرج منهما عدة مقطعات كما لا يخفى * وقال أبو بكر محمد بن أحمد الانصارى الاشبيلى المعروف بالابيض فى تهنئة بمولود قال ابن دحية وهذا أبدع ما قيل فى هذا المعنى

أصاخت الخيل آذانا لصرخته * واهتز كل هزبر عند ما عطسا
تعشق الدرع مذ شدت لفائفه * وأبغض المهد لما أبصر الفرسا
تعلم الركض أيام المخاض به * فما امتطى الخيل الا وهو قد فرسا

وقال الوزير الكاتب أبو عامر السالمى فى غلام يرش الماء على خديه فيتزاد حمرتهما

لقد نعمت بحمام تطلع فى * أرجائه قمر والحسن يكمله
أبصرته كلما راقت محاسنه * ونعمة الجسم والارداف تخجله
يرش بالماء خديه فقلت له * صف لى لما أحمر الياقوت تصقله
فقال طرفى سفاك بصارمه * دماء قوم على خدى فأغسله

وقال أيضا

أوقد النار بقلبى * ثم هبت ريح صده
فشرار النار طارت * فانطفت فى ما خده

وهو تخييل عجيب * وقال ابن الخياط المكفوف الاندلسى فى المعنى المشهور

لم يخل من نوب الزمان أديب * كلا فشأن الثابات عجيب

وغضارة الايام تابى أن يرى * فيها الابناء الذكاء نصيب
وكذاك من صحب الليالى طالبا * جدا وفهما فاته المطلوب

وكان ابن الرقاق الاندلسى الشاعر المشهور وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب مرات كثيرة يسهر فى الليل و يشتغل بالادب وكان أبوه فقيرا جدا فلامه وقال له نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذى تسهر عليه فاتفق أن برع فى الادب والعلم ونظم الشعر فقال فى أبى بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة أولها

ياشمس خدر مالها مغرب * أرامة خدك أم يثرب
ذهبت فاستعبر طرفى دما * مفضض الدمع به مذهب

ومنها

ناشدتك الله نسيم الصبا * أنى استقرت بعد ناز ينب
لم نسر الا بشذا عرفها * أولا فاذا النفس الطيب
ايه وان عذبنى حبها * فمن عذاب النفس ما يعذب

فاطلق له ثلثمائة دينار فجاء بها الى أبيه وهو جالس فى حانوته مكب على صنعته فوضعها فى حجره وقال خذها فاشتر بها زيتا وقال رحمه الله تعالى فى غلام رام يرمى حجرا فشدخ وجهه

واحوى رمى عن قسى الحور * سهاما يفوقهن النظر
يقولون وجنته قسمت * ورسم محاسنه قد دثر
وما شق وجنته عابثا * ولكنها آية للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى * بها كيف كان انشقاق القمر

وقال أيضا

بابى وغير أبى أغن مهفهف * مهضوم ما خلف الوشاح خميصه
لبس السواد ومزقته جفونه * فاتى كيوسف حين قد قميصه

وقال أيضا

سقتنى بيمناها وفيها فلم أزل * يجاذبنى من ذا ومن هذه سكر
ترشفت فاها اذ ترشفت كاسها * فلا والهوى لم أدر أيهما الخمر

وقال

رق النسيم وراق الروض بالزهر * فنبه الكاس والابريق بالوتر
ما العيش الا اصطباح الراح أو شنب * يغنى من الراح من سلسال ذى أشر
قل للكواعب غضى للكرى مقلا * فاعين الزهر أولى منك بالسهر
وللصباح ألا فانشر رداءك لى * هذا الدجى قد طوته راحة السحر
وقام بالقهوة الصهباء ذو هيف * يكاد معطفه يثنى بالنظر
يطفو عليها اذا ما شجها درر * تخالها اختلست من ثغره الخصر
والكاس من كفه بالراح محدقة * كهالة أحدقت فى الافق بالقمر

ومنهم من قال انه مات فى السنة الثانية من مولده (وامه آمنة) بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب (وفى السنة الاولى) من مولده رفع الى حليمة بنت عبد الله ابن الحرث ترضعه (وفى السنة الثانية) من كونه فى بنى سعد كان أبوه يقول الحمد لله الذى أعطانى هذا الغلام الطيب الاردان قد سادفى المهد على الغلمان أعيذه بالبيت ذى الاركان (وفى رواية أن عبد المطلب قال)

لاهم رب الراكب المسافر
٢ يحمد قلب بخير طائر
تنجى عن طريقه الفواجر
وحيه برصد الطواهر
واحبس كل حلف فاجر
فى درج الريح والاعاصر

(وفى السنة الثالثة) من مولده شق الملكان بطنه واستخرج قلبه فشقاه وأخرجا منه علقة سوداء ثم غسلا بطنه وقلبه بالثلج وقال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنه ثم قال ما زال يزيد حتى بلغ الالف فقال والله لو وزنته بامته لوزنها (وفى السنة الرابعة) ردته الى أمه مرضعته حليمة وقيل فى مستهل السادسة وبين ذلك وبين عام الفيل خمس سنين وشهران وعشرة أيام (وفى السنة السابعة) من مولده خرجت به أمه الى

وقال

تضوع عن أنفاسا واشرقن أوجها * فهن منيرات الصباح بواسم
لئن كن زهرا فالجوانح أبرج * وان كن زهرا فالقلوب كمائم

وهو من بديع التقسيم * وقال السميسر

تحفظ من ثيابك ثم صنها * والاسوف تلبسها حدادا
وميز فى زمانك كل حبر * وناظر أهله تسد العبادا
وظن بسائر الاجناس خيرا * وأما جنس آدم فالبعادا
أرادونى بجمعهم فردوا * على الاعقاب قد نكصوا فرادى
وعادوا بعد ذا اخوان صدق * كبعض عقارب رجعت جرادا

وقال ابن رزين وهو من رجال الذخيرة

لا سرحن نواظرى * فى ذلك الروض النضير
ولآكلنك بالمنى * ولاشربنك بالضمير

وقال سلطان بلنسية عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد العزيز

ولاغرو بعدى أن يسود معشر * فيضحى لهم يوم وليس لهم أمس
كذلك نجوم الجو تبدو وتزدهر * اذا ماتوارت فى مغار بها الشمس

وتحاكم الى أبى أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى المعروف بالمتلمس غلامان جميلان لاحدهما وفرة شقراء وللآخر سوداء أيهما أحسن والمتلمس المذكور هو صاحب كتاب الاحكام فيما لا يستغنى عنه الحكام فقال

وشادنين ألمابى على مقة * تنازعا الحسن فى غايات مستبق
كأن لمة ذا من نرجس خلقت * على بهار وذا مسك على ورق

وحكما الصب فى التفضيل بينهما * ولم يخافا عليه رشوة الحدق
فقام يبدى اليه الريم حجته * مبينا بلسان منه منطلق
فقال وجهى بدر يستضاء به * ولون شعرى مصبوغ من الغسق
وكحل عينى سحر للنهى وكذا * والسحر أحسن ما يعزى الى الحدق
فقال صاحبه أحسنت وصفك لكن فاستمع لمقال فى متفق
أنا على أفق شمس النهار ولم * تغرب وشقرة شعرى جمرة الشفق
وفضل ما عيب فى عينى من ورق * أن الاسنة قد تعزى الى الزرق
قضيت للة الشقراء حيث حكمت * لونى كذا حبها يقضى على رمقى
فقام ذو اللمة السوداء يرشقنى * سهام أجفانه من شدة الحنق
وقال جرت فقلت الجور منك على * قلبى ولى شاهد من دمعى الغدق
فقلت عفوك اذ أصبحت متهما * فقال دونك هذا الحبل فاختنق

وقال أبو محمد عبد الله بن غالب

ومهفهف خنث الجفون كأنما * من أرجل النمل استفاد عذارا

مولده توفى جده عبد المطلب وضمه عمه أبو طالب اليه وكان فى حجره وخرج معه به الى الشام وله ثلاث عشرة سنة ثم خرج فى تجارة لخديجة بنت خويلد الى الشام مع غلامها ميسرة وهو ابن خمس وعشرين سنة (قال المسعودى) وقد أتينا على مبسوط هذا الباب فى كتابنا أخبار الزمان

(ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم وما جاء فى ذلك الى هجرته)

ثم بعث الله رسوله وأكرمه بما اختصه به من نبوته بعد بنيان الكعبة بخمس على ما قدمنا آنفا وهو ابن أربعين سنة كاملة فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة وأخفى أمره ثلاث سنين وتزوج خديجة بنت خويلد وانزل عليه بمكة من القرآن اثنتان وثمانون سورة ونزل تمام بعضها بالمدينة واول ما نزل عليه من القرآن اقرأ باسم ربك الذى خلق واتاه جبريل صلى الله عليه وسلم فى ليلة السبت ثم فى ليلة الاحد وخاطبه بالرسالة فى يوم الاثنين وذلك بحرا وهو اول موضع نزل فيه القرآن وخاطبه باول السورة الى قوله علم الانسان ما لم يعلم ونزل تمامها بعد ذلك وخوطب بفرض الصلوات ركعتين ركعتين ثم امر

فتخاله ليلا اذا استقبلته * وتخال ما يجرى عليه نهارا

وقال أبو القاسم خلف بن فرج السميسر المتقدم

الناس مثل حباب * والدهر لجة ماء
فعالم فى طفو * وعالم فى انطفاء

وقال أحمد بن برد الاندلسى فى النرجس وهو البهار عند الاندلسيين ويسمى العنبر

تنبه فقد شق البهار مغلسا * كمائمه عن نوره المتفضل الندى
مداهن تبرى أنامل فضة * على أذرع مخروطة من زبرجد

وقال الوزير عبد المجيد بن عبدون فى دار أنزلها المتوكل بن الافطس وسقفها قديم فهطل عليه المطر منه

أياسامى من جانبيه الى العلا * سموّ حباب الماء حالا الى حال
لعبدك دار حل فيها كانها * ديار لسلمى عافيات بذى الخال
يقول لها لما رأى من دثورها * ألا عم صباحا أيها الطلل البالى
فقالت ولم تعبأ بردّ جوابه * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
فرصاحب الانزال فيها بفاصل * فان الفتى يهذى وليس بفعال

وهو أبو عذرة تضمين لامية امرئ القيس وقد أولع الناس بعده بتضمينها * وقال الفضل بن حسداى وكان يهوديا فاسلم ويقال انه من ولد موسى على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء الصلاة والسلام

تور يدخدك للاحداق لذات * عليه من عنبر الاصداغ لامات
نيران هجرك للعشاق نار لظى * لكن وصالك ان واصلت جنات
كانما الراح والراحات تحملها * بدور تم وأيدى الشرب هالات
حشاشة ماتركنا الماء يقتلها * الا لتحيا بها منا حشاشات
قد كان من قبلها فى كاسها ثقل * فخف اذ ملئت منها الزجاجات

قد تبارى المشارقة والمغاربة من المتقدمين والمتاخرين فى هذا الوزن والقافية ولولا خوف السآمة لذكرت من ذلك الجملة الشافية الكافية * ومن سرعة جواب أهل الاندلس أن ابن عبدربه كان صديقا لابى محمد يحيى القلفاط الشاعر فقسد ما بينهما بسبب ان ابن عبدربه أمر به يوما وكان فى مشيه اضطراب فقال أباعمر ما علمت انك أبرا اليوم لما رأيت مشيك فقال له ابن عبدربه كذبتك عرسك أبا محمد فعز على القلفاط كلامه وقال له أتتعرض للحرم والله لأرينك كيف الهجاء ثم صنع فيه قصيدة أولها

ياعرس أحمد انى مزمع سفرا * فودعينى سرا من أبى عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك وكان القلفاط يلقب بطلاس لانه كان أطلس اللحية ويسمى صاحب المقدمة جدل الثوم فاتفق اجتماعهما يوما عند بعض الوزراء فقال الوزير للقلفاط كيف حالك اليوم مع أبى عمر فقال مرتجلا

حال طلاس لى عن رائه * وكنت فى قعدد ابنائه

صلى الله عليه وسلم على رأس عشرين سنة من ملك كسرى أبرويز وذلك على رأس مائتى سنة من يوم التحالف بالربذة وذلك لستة آلاف ومائة وثلاث عشرة سنة من هبوط آدم عليه السلام وقد ذكر مثل هذا عن بعض حكماء العرب فى صدر الاسلام ممن قرأ الكتب السالفة على حسب ما استخرج من عاد الكبير وفى ذلك يقول الشاعر فى رأس ألف من السنين الى ثلاث حصلت يقين والمائة المعدودة التمام الى ألوف سدست نظام

أرسله الله لنا رسولا * وكان فينا هاديا سبيلا

(وقد تنوزع) فى على بن أبى طالب كرم الله وجهه وأسلامه فذهب كثير من الناس الى أنه لم يشرك بالله شيأ فستانف الاسلام بل كان تابعا للنبى صلى الله عليه وسلم فى جميع أفعاله مقتديا به وبلغ وهو على ذلك وأن الله عصمه وسدده ووفقه لتبعيته لنبيه عليه السلام لانهما كانا غير مضطرين ولا مجبورين على فعل الطاعات بل مختارين قادرين فاختار اطاعة الرب وموافقة أمره واجتناب منهياته ومنهم من رأى أنه اول من آمن وأن الرسول دعاه وهو موضع التكليف بظاهره وله جل وعز وأنذر عشيرتك الاقربين وكان بدؤه بعلى اذ كان

أقرب الناس اليه وأتبعهم احتج كل فريق لقوله ومنهم من قال بالنص فى الامامة والاختيار وأرض كل فريق وكيفية اسلامه ومقدار سنيه قد أتينا على الكلام فى ذلك على الشرح والايضاح فى كتابنا المترجم بكتاب الصفوة فى الامامة وفى كتاب الاستنصار وفى كتاب الزاهى وغيره من كتبنا فى هذا المعنى * ثم أسلم أبو بكر رضى الله عنه ودعا قومه الى الاسلام فاسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن ابى وقاص وطلحة وعبيد الله فجاءهم النبى صلى الله عليه وسلم فاسلموا فهؤلاء النفر سبقوا الناس بالايمان وقد قال بعض من تقدم من الشعراء فى صدر الاسلام يذكرهم

فيا سائلى عن خيار العباد ... صادفت ذا العلم والمخبره
خيار العباد جميعا قريش ... وخير قريش ذوو الهجره
وخير ذوى الهجرة السابقون ... ثمانية وحدهم نصره
على وعثمان ثم الزبير ... وطلحة واثنان من زهره
وشيخان قد جاورا أحمدا ... وجاور قبراهما قبره
فمن كان بعدهما فاخرا * فلا تذكروا عنده مخبره

(وقد اختلف) فى أول من أسلم فمنهم من رأى

فبدر ابن عبدر به وقال

ان كنت فى قعدد أبنائه * فقد سقى أمك من مائه

فانقطع القلفاط خجلا وعاش ابن عبدربه ٨٢ سنة رحمه الله تعالى * (ومن الحكايات) فى مروءة أهل الاندلس ماذكره صاحب الملتمس فى ترجمة الكاتب الاديب الشهير أبى الحسين بن جبير صاحب الرحلة وقد قدمنا ترجمته فى الباب الخامس من هذا الكتاب وذكرنا هنالك انه كان من أهل المروآت عاشقا فى قضاء الحوائج والسعى فى حقوق الاخوان وأنشدنا هنالك قوله * يحسب الناس بانى متعب * الى آخره وقد ذكر ذلك كله صاحب الملتمس ثم قال أعنى صاحب الملتمس ومن أغرب مايحكى أنى كنت أحرص الناس على أن أصاهر قاضى غرناطة أبا محمد عبد المنعم بن الغرس فجعلته يعنى ابن جبير الواسطة حتى تيسر ذلك فلم يوفق الله بينى وبين الزوجة فجئته وشكوت له ذلك فقال أنا ما كان القصد لى فى اجتماعكما ولكن سعيت جهدى فى غرضك وها أنا أسعى أيضا فى افتراقكما ذهو من غرضك وخرج فى الحين ففصل القضية ولم أر فى وجهه أولا ولا آخرا عنوانا لامتنان ولا تصعيب ثم انه طرق بابا ففتحت له ودخل وفى يده محفظة فيها مائة دينار ومؤمنية ثم قال يا ابن أخى اعلم أنى كنت السبب فى هذه القضية ولم أشك انك خسرت فيها ما يقارب هذا القدر الذى وجدته الآن عند عمك فبالله الا ماسررتنى بقبوله فقلت له أنا ما أستحيى منك فى هذا الامر والله ان أخذ هذا المال لاتلفته فيما أتلفت فيه مال والدى من أمور الشباب ولا يحل لك أن تمكننى منه بعد أن شرحت لك أمرى فتبسم وقال لقد احتلت فى الخروج عن المنة بحيلة وانصرف بها انتهى ثم قال صاحب الملتمس وتذاكرنا يوما معه حالة الزاهد أبى عمران المارتلى فقال صحبته مدة فما رأيت مثله وأنشدنى شعرين ما نسيتهما ولا أنساهما ما استطعت فالاول قوله

الى كم أقول فلا أفعل * وكم أذا أحوم ولا أنزل
وأزجر عينى فلا ترعوى * وأنصح نفسى فلا تقبل
وكم ذا تعلل لى روحها * بعل وسوف وكم تمطل
وكم ذا أؤمل طول البقا * وأغفل والموت لا يغفل
وفى كل يوم ينادى بنا * منادى الرحيل ألا فارحلوا
أمن بعد سبعين أرجو البقا * وسبع أتت بعدها تجعل
كأنى بى وشيكا الى مصرعى * يساق بنعشى ولا أعقل
فيا ليت شعرى بعد السؤال * وطول المقام لما أنقل

والثانى قوله

اسمع أخى نصيحتى * والنصح من محض الديانه
لا تغترن الى الشها * دة والوساطة والامانه
تسلم من ان تعزى لزو * ر أو فضول أو خيانه

قال فقلت له أراك لم تعمل بوصيته فى الوساطة فقال ماساعدتنى رقة وجهى على ذلك انتهى (رجع) الى نظم الاندلسيين وقال ابن أبى الصلت أمية بن عبد العزيز

أفضل ما استصحب النبيل فلا * تعدل به في المقام والسفر
جرم اذا ما التبست قيمته * جل عن التبر وهو من صفر
مختصر وهو واذ تفتشه * عن ملح العلم غير مختصر
ذو مقلة تستبين ما رمقت * عن صائب اللحظ صادق النظر
نحمله وهو حامل فلكا * لولم يدر بالبنان لم يدر
مسكنه الارض وهو ينبئنا * عن كل ما في السماء من خبر
أبدع من ركب فكرة بعدت * في اللطف عن أن تقاس بالفكر
فاستوجب الشكر والثناء به * من كل ذي فطنة من البشر
فهو لذي اللب شاهد عجب * على اختلاف العقول والصور

قلت وهي من أحسن ما سمعت في الاصطرلاب وأمر رحمه الله تعالى أن يكتب على قبره

سكنتك يا دار الفناء مصدقا * بانى الى دار البقاء أصير
وأعظم ما في الامر أنى صائر * الى عادل في الحكم ليس يجور
فيا ليت شعرى كيف ألقاه عندها * وزادى قليل والذنوب كثير
فان أك مجرزيا بذنبي فانني * بشر عقاب المذنبين جدير
وان يك عفو من غنى ومفضل * فثم نعيم دائم وسرور

قال ابن خفاجة وهو مما أورده له صاحب الذخيرة

لقد زارني من أهوى على غير موعد * فعاينت بدرا التم ذاك التلاقيا
وعانقته والعتب يحلو حديثه * وقد بلغت روحى لديه التراقيا
فلما اجتمعنا قلت من فرحي به * من الشعر بيتا والدموع سواقيا
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

ومن مجون الاندلسيين هذه القصيدة المنسوبة لسيدى أبى عبد الله بن الازرق وهى

عم يا تصال الزمن * ولا تبالى بمن
وهو يواسى بالرضا * من سمج أو حسن
أو من عجوز تحتظى * والظهر منها منحنى
أو من مليح مسعد * موافق في الزمن
مهما تبدى خده * يبدو لك الورد الجنى
والغصن في أثوابه * اذا تمشى ينثنى
لا أم لى لام لى * ان لم ابر د شجنى
واخلعن في المجو * ن والتصابى رسنى
وأجعل الصبر على * هجر الملاح ديدنى
ياعاذلى في مذهبي * ارداك شرب اللبن
أعطيت في البطن سنا * نان تخالف سننى
أى فتى خالفنى * يوما وما يلقنى

عمرو بن عنبسة ومنهم من ذهب الى أن أول من أسلم من النساء خديجة ومن الرجال على ومنهم من رأى أن أول من أسلم زيد بن حارثة حب النبي صلى الله عليه وسلم ثم خديجة ثم على كرم الله وجهه وقد ذكرنا ما أحببنا من القول في ذلك فيما قدمناذ كره في هذا المعنى والله تعالى ولى التوفيق

(ذكر هجرته وجوامع مما كان في أيامه صلى الله عليه وسلم الى وقت وفاته)

أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وفرض عليه الجهاد وذلك في سنة احدى من الهجرة وهى السنة التى نزل فيها الاذان وكانت سنة أربع عشرة من المبعث وكان ابن عباس يقول بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر عشرا وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت سنة احدى من الهجرة وهى سنة اثنتين وثلاثين من ملك كسرى ابرويز وسنة تسع من ملك هرقل ملك النصرانية وسنة تسعمائة وثلاث وثلاثين من ملك الاسكندر

٢٥ ط نى المقدونى (قال المسعودى) وقد ذكرنا فى الكتاب الاوسط كيفية فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى

فانني ناصح * وانني وانني
فلا تكن لي لاحيا * وفي الامور استفتني
فلم أزل أعرب عن * نعمى لمن لم يلغني
وان تسفه نظري * ومذهبي وتثنني
فالصفح تستوجبه * نعم وتعف الذقن
والزيل في وجهك يعـ * ـلو باتصال الزمن
وبعد هذا أشتفي * منك ويبرا شجني
وأضرب الكف أما * م ذلك الوجه الدني
طقطق طق طقطق طق * أصخ بسمع الاذن
قعقع قم قعقع قع * الضحك يغلبني ٣
قد كان أولى بك عن * هذى المخازي تنثني
النفي تستوجبه * لواسط أو عدن
عرضت بالنفس كذا * الى ارتكاب المحن
أفدي صديقا كان لي * بنفسه يسعدني
فتارة أنحـ * ـه * وتارة ينحـ * ـني
وتارة ألعنـ * ـه * وتارة يلعنـ * ـني
ورب ما أصـ * ـفعه * ورب ما يصفعني
أستغفر الله فهـ * ـذا القول لا يجدي
بالبيت هـ * ـذا كله * فيما مضى لم يكن
أضحكت والله بذا الـ * ـحديث من يسمعني
دهر تولى وانقضى * عني كطيف الوسن
يا ليتني لم اره * وليتـ * ـه لم يرني
دنست فيه جانبي * وملبسي بالدرن
وبعت فيه عيشتي * لكن بخس الثمن
كأنني ولست أد * ري الآن ما كأنني
والله ما التشبيه عنـ * ـد شاعر بهين
لكنه أنطقني * بالقول ضيق العطن
واحسرتي وا أسفي * زلت وضاعت فطني
لو أنصف الدهر لما * أخرجني من وطني
وليس لي من جنة * وليس لي من مسكن
أسرح الطرف وما * لي دمنة في الدمن
وليس لي من فرس * وليس لي من سكن
يا ليت شعري وعسى * يا ليت أن تنفعني

خروجه من مكة ودخوله وسلم من مكة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وعبد الله بن أريقط الديلي دليل بهم على الطريق ولم يكن مسلما وكان مقام علي بن أبي طالب بعده بمكة ثلاثة أيام الى أن أدى ما أمر بادائه ثم لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم وكان دخوله عليه السلام الى المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول فأقام بها عشر سنين كوامل وكان نزوله عليه السلام في حال موافاته المدينة بقباء على سعد بن خيثمة وكان مقامه بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وسار يوم الجمعة ارتفاع النهار وأتته الانصار حيا حيا يسأله كل فريق النزول عليه ويتعلقون بزمام راحلته وهي تجذبه فيقول عليه السلام خلوا عنها فانها مامورة حتى أدركته الصلاة في بني سالم فصلى بهم يوم الجمعة وكانت تلك أول جمعة صليت في الاسلام وهذا موضع تنازع الفقهاء في العدد الذي بهم تتم صلاة الجمعة فذهب الشافعي في آخرين معه الى أن الجمعة لا تجب اقامتها حتى يكون عدد المصلين أربعين فصاعدا وأقل من ذلك لا يجزي وخالفه غيره من

هل امتطى يوما الى الشرق ظهور السفن
وأجتلى ماشئته * في المنزل المؤتمن
حينئذ أخلع في * هذي القوافي رسني
وتحسن الفكرة بالـ ـفدوش والسمنى
واللحم مع شحم كذا * طوابق الكبش الثنى
والبيض في المقلاة بالزيت اللذيذ الدهن
وجلدة الفروج مشـ ـوياً كثير السمن
من منقذي أفديه من * ذا الجوع والتمسكن
وعلة قد استوى * فيها الفقير والغني
هل للثري دعودة * الى قدشوقني
تغوص فيه أنملي * غوص الاكول المحسن
ولي الى الاسفنج شو * ق دائم يطربني
وللارز الفضل اذ * تطبخه باللبن
وللشواء والرقا * ق من هيام أثنى
واسكت عن الجبن فان نتنه يذهلني
ظاهرها كالورد أو * باطنها كالسوسن
أي امرئ أبصرها * يوما ولم يفتتن
تهيم فيها فكر الا ـتاذ والمؤذن
لو كان عندي معدن * لبعت فيها معدني
لكنني عزمت أن * أبيعكم البدن
والكم قد أكسبه * بعد ولا يكسبني
لا تنسبوا الى سفها * فالجوع قد أرشدني
وهات ذكر الكسكسو * فهو شريف وسني
لاسيما ان كان مصـ ـنوعا بفعل حسن
أرفع منه كورا * بهن تدري أذني
وان ذكرت غيرذا * أطعمة في الوطن
فابدأ من المثوما * تبالجبن الممكن
من فوقها الفروج قد * انهى في التسمن
وثن بالعصيدة التي بها تطربني
لاسيما ان صنعت * على يدي عمركن
كذلك البلياط بالزيت الذي يقنعني
تطبخه حتى يرى * يحمر في التلون
والزبزبن في الحصا * في حسب أهل البطن

استوى على ناقته فسارت لا تعرج على شيء ولا يردها راد حتى أتت الى موضع مسجده عليه السلام والموضع يومئذ لغلامين يتيمين من بني النجار فبركت ثم سارت فمضت غير بعيد ثم عادت الى مبركها فبركت واطمأنت والنبي صلى الله عليه وسلم يراعي مكارم الباري منه وتوفيقه اذ نزل عنها وسار الى منزل أبي أيوب الانصاري وهو خالد بن كليب بن ثعلبة بن عوف ابن سحيم بن مالك بن النجار فاقام في منزله شهرا حتى ابتنى المسجد من بعد ابتياعه الموضع واحدقت به الانصار واشتد سرورهم به وأظهروا التاسف على ما فاتهم من نصرته وفي ذلك يقول صرمة بن أنس احد بني عدي بن النجار من قصيدة

ثوى في قريش بضع عشرة حجة
يذكر لا يلقى صديقا مواتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه
فلم ير من يوفي ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه
وأصبح مسرورا بطيبة راضيا

وأصبح لا يخشى من الناس واحدا * بعيدا ولا يخشى من الناس دانيا

فاسمع قضايا ناصح * يأتى بنصح بين
من اقتنى التقى منى فهو نعم المقتنى
وان فى شاشية الـ * ـفقير انسا للغنى
تبعدنى عن وصلها * عن وصلها تبعدنى
تؤنسنى عن اللقا * عن اللقا تؤنسنى
فأضلعى ان ذكرت * تهفو كمثل الغصن
كم رمت تقريبا لها * لكنه لم يهن
وصدنى عن ذاك قلـ * ـة الوفا بالثمن
ايه خليلى هذه * مطاعم لكننى
أعجب من ريقك اذ * يسيل فوق الذقن
هل نلت منها شبعا * فذكرها أشبعنى
وان تكن جوعان يا * صاح فكل بالاذن
فليس عند شاعر * غير كلام الالسن
يصور الاشياء وهـ * ـى أبدا لم تكن
فقوله بريئما * ليس يرى بالممكن
فاسمح وسامح واقتنع * واطو حشاك واسكن
ولننصرف فقصدنا * أطراف هذا الموطن

انتهى

وقال ابن خفاجة رحمه الله تعالى

درسوا العلوم ليعملوا بجدالهم * فيها صدور مراتب ومجالس
وتزهدوا حتى أصابوا فرصة * فى أخذ مال مساجد وكنائس

وهذا المعنى استعمله الشعراء كثيرا * وقال فيما أظن الفقيه الكاتب المحدث الاديب الشهير أبو عبد الله محمد بن الابار القضاعى وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب فى مواضع

لقد غضبت حتى على السمط نخوة * فلم تتقلد غير منسمها سمعا
وأنكرت الشيب المسلم بلمتى * ومن عرف الايام لم ينكر الوخطا

وقال ابن سعيد فى القدح المعلى فى حقه كاتب مشهور وشاعر مذكور كتب عن ولاة بلنسية وورد رسولا حين أخذ النصارى بمخنق تلك الجهات وأنشد قصيدته السينية

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا

وعارضه جمع من الشعراء ما بين مخطئ ومحروم وأغرى الناس بحفظها اغراء بنى تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم الا أن أخلاقه لم تعنه على الوفاء باسباب الخدمة فقلصت عنه تلك النعمة وأخرعن تلك العناية وارتحل الى بجاية وهو الآن بها عاطل من الرتب خال من حلى الادب مشتغل بالتصنيف فى فنونه متنفل بواجبه ومسنونه ولى معه مجالسات آنق من الشباب وأبهج من الروض عند نزول السحاب ومما أنشدنيه من شعره

نعادى الذى عادى من الناس كلهم جميعا وان كان الحبيب لصافيا

فافترض شهر رمضان وحولت القبلة الى الكعبة بعد قدومه بثمانية عشر شهرا وقد قيل انه أنزل عليه بالمدينة من القرآن اثنتان وثلاثون سورة ثم قبضه الله يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الاول سنة عشر فى الساعة التى دخل فيها المدينة فى منزل عائشة رضى الله عنها وكانت علته اثنى عشر يوما وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم بنفسه ستا وعشرين غزوة ومنهم من رأى أنها سبع وعشرون الاولون جعلوا مصرف النبى صلى الله عليه وسلم من خيبر الى وادى القرى غزوة واحدة والذين جعلوها سبعا وعشرين جعلوا غزوة خيبر مفردة ووادى القرى مصرفه اليها غزوة أخرى غير خيبر فوقع التنازع فى أعداد الغزوات من هذا الوجه وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم حين فتح الله خيبر انصرف منها الى وادى القرى من غير أن يأتى المدينة وكان أول غزواته صلى الله عليه وسلم من المدينة بنفسه الى ودان وهى المعروفة بغزوة الابواء ثم غزوة بواط الى ناحية

يا حبذا بحديقة دولاب * سكنت الى حركاته الالباب
غنى ولم يطرب وسقى وهو لم * يشرب ومنه العود والاكواب
لو يدعى لطف الهواء أو الهوى * ما كنت فى تصديقه أرتاب
وكأنه مما شداه مستهزئ * وكأنه مما بكى نداب
وكأنه بنثاره ومداره * فلك كواكبه لها أذناب

انتهى

وقال أبو المعالى القيجاطى

فقلت يا رب هم أين من * أحببته فيك وأين النديم
فقال عهد قد غدا اسمه * كمثل ما ينثر در نظيم

وقال أبو عمرو بن الحكم القبطلى وقبطلة من أعمال وادى اشبيلية

كم أقطع الدهر بالمطال * ساعات وحق الاله حالى
رحلت أبغى بكم نجاحا * فلم تفيدوا سوى ارتحالى
وعدتم ألف ألف وعد * لكننى عدت بالمحال

قال أبو عمران القلعى

طلعت على والاحوال سود * كما طلع الصباح على الظلام
فقل لى كيف لا أولك شعرى * واخلاص التحية والسلام

قال أبو اسحق ابراهيم بن أيوب المرسى

أنا سكران ولكن * من هوى ذاك الفلانى
كلما رمت سلوا * لم يزل بين عيانى

وقال

حبيبى ما الصبك من مراد * سوى أن لا تدوم على البعاد
وان كان ابتعادك بعد هذا * مقيما فاسلام على فؤادى

قال ابن سعيد وكان المذكور اذا غنى هذه الاشعار اللطيفة على الاوتار لم يبق لسامعه عند سماعه من ثار مع أخلاق كريمة وآداب كانسكاب الديمة انتهى * وقال ابن سعيد فى أبى بكر محمد بن عمار البرجى كاتب ابن هود القائل لمن يشهد حربا تحت رايات ابن هود الخ

يا ابن عمار لقد أحسنت لى ذاك السميا
فى حلى نظم ونثر * علقا فى مسمعيا
ولقد حزت مكانا * من ذرى الملك عليا
مثل ما قد حاز لكن * عش بنعماك هنيا

وقال أبو بكر عبد الله بن عبد العزيز الاشبيلى المعروف بابن صاحب الرد

يا أيدع الخلق بلا مرية * وجهلك فيه فتنة الناظرين
لا سيما اذ تلتقى خطرة * فيغلب الورد على الياسمين
طوبى لمن قد زرته خاليا * فمتع النفس ولو بعد حين
من ذلك الثغر الذى ورده * ما زال فيه لذة الشاربين

بدر الثانية التى قتل فيها صناديد قريش وأشرافها وأسر من اسر من زعمائهم ثم غزوة بنى سليم حتى بلغ الموضع المعروف بالكدر ماء لبنى سليم ثم غزوة السويق طلبا لابى سفيان ابن حرب فبلغ فيها الموضع المعروف بقرقرة الكدر ثم غزوة غطفان الى نجد وتعرف هذه الغزوة بغزوة ذى أمر ثم غزوة بحران وهو موضع بالحجاز من فوق الفرع ثم غزوة احد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة بنى النضير ثم غزوة ذات الرقاع من نجد ثم غزوة بدر الاخيرة ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة المريسيع ثم غزوة الخندق ثم غزوة بنى قريظة ثم غزوة بنى لحيان بن هذيل بن مدركة ثم غزوة ذى قرد ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصده المشركون ثم غزوة خيبر ثم اعتمر عليه السلام عمرة القضاء ثم غزوة مكة ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك قاتل منها فى تسع غزوات بدر واحد والخندق وقريظة وخيبر والفتح

وزاد أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل في غزوة وادي القرى وذلك ان غلامه

وسلم في هذه التسع الغزوات المعروف بعدعم رمى بسهم فقتل وقاتل في يوم الغابة فقتل من المشركين ستة فر وقتل يومئذ محرز بن نضلة ففي قول الواقدي انه قاتل في احدى عشرة غزوة وفي قول ابن اسحق في تسع فقتاله في التسع باتفاق منهما وزاد الواقدي على ماذكر وقد قيل ان اول غزوة غزاها عليه السلام ذات العشيرة (وقد تنازع) من سلف من اهل السير والاخبار في عدة سراياه وبعوثه فقال قوم ان عدة سراياه وبعوثه بين ان قدم المدينة وبين أن قبضه الله خمس وثلاثون بعثا وسرية وذكر محمد بن جرير الطبري في كتابه في التاريخ قال حدثني الحرث قال حدثنا ابن أسعد قال قال محمد بن عمر والواقدي كانت سرايا النبي صلى الله عليه وسلم ثمانيا واربعين سرية وقيل ان سراياه عليه السلام وبعوثه كانت ستة وستين (وقبض صلى الله عليه وسلم) وهو ابن ثلاث وستين سنة على حسب ما تقدم في صدر هذا الكتاب من قول ابن عباس ولم يخلف من الولد الا فاطمة عليها السلام وتوفيت بعده بأربعين يوما وقيل سبعين يوما وقيل غير ذلك (وكان تزويج علي) بن أبي طالب

وماحوى ذاك الازار الذي * لم يعد عنه أمل الزائرين

وهذه الابيات يقولها في غلام كان من أدباء اشبيلية قد فتن بوابه وكان مروره على داره وحكى عنه انه أعطاه في زيارة خمسين دينارا ومرت أيام ثم صاد فه عند داره فقال له أتريد أن أزورك ثانية فقال لا يادغ المؤمن من جحر مرتين وهذا الجواب على ما فيه من قلة الادب وهتك حجاب الشريعة من أشد الاجوبة اصابة للغرض والله تعالى يسمح له فقد قال ابن سعيد في حقه ان بيته باشبيلية من أجل البيوت ولم يزل له مع تقلب الزمان ظهور وخفوت وكان أديبا شاعرا ذوّاقا لاطراف العلوم انتهى ومن المشهورين بالمجون والخلاعة بالاندلس مع البلاغة والبراعة أبو جعفر أحمد بن طلحة الوزير الكاتب وهو من بيت مشهور من جزيرة شقر من عمل بلنسية وكتب عن ولاة من بني عبد المؤمن ثم استكتبه السلطان ابن هود حين تغلب على الاندلس وربما استوزره في بعض الاحيان وقال ابن سعيد وهو من كان والذي يكثر مجالسته ولم أستفد منه الا ما كنت أحفظه في مجالسته وكان شديد التهوّر كثير الطيش ذاهبا بنفسه كل مذهب سمعته مرة وهو في محفل يقول تقيمون القيامة لحبيب والبحتري والمتنبي وفي عصركم من يهتدى الى ما لم يهتد وا اليه فأهوى له شخص له قحة واقدام فقال يا أبا جعفر فأرنا برهان ذلك ما أظنك تعني الا نفسك فقال نعم ولم لا وأنا الذي أقول ما لم يتنبه اليه متقدم ولا يهتدي لمثله متأخر

ياهل ترى أطرف من يومنا * قلد جيد الافق طوق العقيق
وأنطق الورق بعيدانها * مرقصة كل قضيب وريق
والشمس لا تشرب خمر الندى * في الارض الا بكؤس الشقيق

فلم ينصفوه في الاستحسان وردوه في الغيظ الى أضيق مكان فقلت له يا سيدي هذا هو السحر الحلال فبالله الا مازدتني من هذا النمط فقال

أدرها فالسماء بدت عروسا * مضمخة الملابس بالغوالي
وخد الروض أحمره أصيل * وجفن النهر كحل بالظلال
وجيد الغصن يشرق من لآل * تضيء بهن أكناف الليالي

فقلت زدوعد فعاد والارتياح قد ملك عطفه والتيه قد رفع أنفه فقال

لله نهر عند مازرته * عاين طرفي منه سحرا حلال
اذ أصبح الظل به ليلة * وجال فيه الغصن شبه الخيال

فقلت زد فانشد

ولما ماج بحر الليل بيني * وبينكم وقد جددت ذكرا
أراد لقاءكم انسان عيني * فذلله المنام عليه جسرا

فقلت ايه فقال

ولما أن رأى انسان عيني * بمحن الخد منه غريق ماء
أقام له العذار عليه جسرا * كما مد الظلام على الضياء

فقلت أعد فاعاد وقال حسبك لئلا تكثر عليك المعاني فلا تقوم بحق قيمتها وأنشد

هات المدام اذا رأيت شبيهها * في الافق بافردا بغير شبيه
فالصبح قد ذبح الظلام بنصله * فغدت تخاصمه الجماجم فيه انتهى

ثم قال وكان قد تهتك في غلام لابن هود ولكثرة انهزام ابن هود ربما انهزم مع العلج وفيه يقول

ألفت الحرب حتى علمتني * مقارعة الحوادث والخطوب
ولم أك عالما وابيك حربا * بغير لواحظ الرشا الربيب
فها انا بين تلك وبين هذى * مصاب من عدو او حبيب

ولما هرب العلج الى سبتة احسن اليه القائم بها ابو العباس البنتي فلم يقنع بذلك الاحسان وكان باتي بما يوغر صدره فقال يوما في مجلسه رميت مرة بقوس فبلغ السهم الى كذا فقال ابن طلحة لشخص بجانبه لو كان قوس قزح ما بلغ الى كذا فشعر بقوله فاسرها في نفسه ثم بلغه انه هجاه بقوله

سمعنا بالموفق فارتحلنا * وشافهناه حسب وعلم
ورمت بدا اقبلها واخرى * اعيش بفضلها ابدا واسمو
فانشدنا لسان الحال فيه * بدشـــــلا وامر لا يتم

فزاد في حنقه وبقي مترصدا له الغوائل فحفظت عنه ابيات وهو في حالة استهتار في شهر رمضان وهي

يقول اخو الفضول وقد رآنا * على الايمان يغلبنا الجنون
أتنتهكون شهر الصوم هلا * حماه منكم عقل ودين
فقلت اصحب سوانا نحن قوم * زنادقة مذاهبنا فنون
ندين بكل دين غير دين الرعاع فانه أبدا نـــدين
يحي على الصبوح الزهر ندعو * وابليس يقول لنا أمـــين
فيا شهر الصيام اليك عنا * اليك ففيك أكفرنا نكون

فارسل اليه من هجم عليه وهو على هذه الحال وأظهر انه يرضى العامة بقتله فقتله وذلك سنة ٦٣١ انتهى وحاكى الكفر ليس بكافر والله سبحانه وتعالى للزلات غير الكفر غافر وقال محمد بن أحمد الاشبيلي بن البناء

كأنك من جنس الكواكب كنت لم * يفتك طلوعا حالها وتواريا
تجليت من شرق تروق تلألؤا * فلما انتحيت الغرب أصبحت هاويا

ولما أمر المستنصر الموحدي بضرب ابن غالب الدانى ألف سوط وصلبه وضرب باشبيلية خمسمائة فمات وضرب بقية الالف حتى تناثر لحمه ثم صلب قال ابنه أبو الربيع يرثيه

جهـــلا لئيم أن يبكي لما قدرا * وأن يقول أسى يا ليته قبرا
فاضت دموعك أن قاموا بأعظمه * وقد تطاير عنه اللحم وانتثرا

ومنها

ضاقت به الارض مما كان حملها * من الايادى فلت شلوه ضجرا

(وكانت) أول امرأة تزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصي وكانت وفاتها في شوال بعد مبعثه بثلاث سنين (وأسري به) وهو ابن احدى وخمسين سنة وثمانية أشهر وعشرين يوما (وكانت) وفاة عمه أبي طالب واسمه عبد مناف بعد وفاة خديجة بثلاثة أيام وهو ابن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر وقد قيل ان اباطالب اسم له (وتزوج) بعد وفاة خديجة بسودة بنت زمعة بن قيس ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل (وتزوج) بعائشة رضي الله عنها بعد الهجرة بسبعة أشهر وتسعة ايام وقد أتينا على ذكر سائر أزواجه في الكتاب الاوسط فأغنى عن اعادته (روى جعفر) بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم انه قال ان الله عز وجل أدب محمدا صلى الله عليه وسلم فاحسن تأديبه فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما كان كذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم فلما قبل من الله فوض اليه فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وكان يضمن

وعزجسمك أن يحظى به كفن * فما تسر بل الا الشمس والقمرا

وقال ابو العلاء عبد الحق المرسى رحمه الله تعالى

يا ابا عمران دعنى والذى * لم يمل بى خاطرى الا اليه
ما نديمى غير من يخدمنى * لا الذى يجلسنى بين يديه
يرفع الكلفة عنى ويرى * انها واجبة منى عليه

وقال ابن غالب الكاتب بمالقة

لا تخش قولا قد عقدت الالسنا * وابعث خيالك قد سحرت الاعينا
واعطف على فان روحى زاهق * وانظر الى بنظرة ان أمكنا
لا يخدعنك أن ترانى لابسا * ثوبى فقد اصبحت فيه مكفنا
مازال سحرك يستميل خواطرى * بارق من ماء الصفاء وأليفنا
حتى غدوت بحر حب زاخر * فرمت بى الامواج فى شطا الضنا

وقال

ما للنسيم لدى الاصيل عليلا * اتراه يشكو زفرة وغليلا
جر الذيول على ديار أحبتى * فأتى يجر من السقام ذيولا

وقال أبو عبد الله بن عساكر الغسانى قاضى مالقة

أهواك يا بدر وأهوى الذى * يعذلنى فيك وأهوى الرقيب
والجار والدار ومن حلها * وكل من مر بها من قريب
ما ان تنصرت ولكننى * أقول بالتثليث قولا غريب
يطابق الالحان والكاس اذ * تبسم عجبا والغزال الربيب

وكان أبو أمية بن غفير قاضى اشبيلية مع براعته وتقدمه فى العلوم الشرعية أقوى الناس بالعلوم الادبية المرعية وقد اشتهر بسرعة الخاطر فى الارتجال وعدم المناظر له فى ذلك المجال قال ابن سعيد رأيته كثيرا ما يصنع القصائد والمقطعات وهو يتحدث أو يفصل بين الغرماء فى أكثر الاوقات ومن شعره

ديارهم صاح نصب عينى * وليس لى وصلة اليها
الا سلامى لدى ابتعاد * من بعد سكانها عليها

وقوله رحمه الله تعالى

ووجه تغرق الابصار فيه * ولكن يترك الارواح هيما
أتانى ثم حيانى حبيب * به وأباحنى الخد الرقيما
فر لنا مجون فى فنون * سلكت به الصراط المستقيما

قلت أما مجرد الارتجال فامر عن الكثير صادر وأما كونه مع التحدث أو فصل الخصومات فهو نادر وقد حكينا منها فى هذا الكتاب فى القسم الاول موارد ومصادر ويعجبنى من الواقع لاهل المشرق من ذلك قضية على بن ظافر اذ قال بت ليلة والشهاب يعقوب بن أخت نجم الدين فى منزل اعترفت له مشيدات القصور بالانخفاض والقصور وشهدت له

على الله الجنة فاجيز له ذلك يدخل باربع وقبض عليه السلام عن تسع (قال المسعودى) وقد تنوزع فى مقدار عمره عليه السلام وقد قدمنا ما روى فى ذلك عن ابن عباس وهو ما ذكره حماد بن سلمة عن أبى حمزة عن ابن عباس وقد روى عن أبى هريرة مثل قول ابن عباس وذكر عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وهو ابن ثلاث واربعين سنة وأقام بمكة عشرا وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة وكذلك ذكر عن عائشة قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة وقد روى عن ابن عباس من وجه آخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو ابن خمس وستين سنة وكذلك ذكر ابن هشام قال حدثنا على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس وذكر قتادة عن الحسن عن دحيل يعنى ابن حنظلة أن النبى صلى الله عليه وسلم توفى وهو ابن خمس وستين وقد قيل انه قبض وهو ابن ستين وذكر ذلك عن ابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وذكر حماد قال أخبرنا عمرو بن دينار عن عروة بن الزبير قال

ساميات البروج بالاعتلاء والعروج قد ابيضت حيطانه وطاب استيطانه وابتهج به سكانه وقطانه والبدر قد محا خضاب الظلماء وحكى محياه في زرقة قناع السماء وكسا الجدران ثيابا من فضة ونثر كافوره على مسك الثرى بعد أن سحقه ورضه والروض قد ابتسم محياه ووشت بأسراره محاسنه رياه والنسيم قد عانق قامات الاغصان فيها وغص بها مباسم نورها فقبلها وعندنا من قد وقع على تفضيله الاجماع وتغايرت على محاسنه الابصار والاسماع ان بدا فالشمس طالعة وان شدا فالورق ساجعة تغازله مقلة سراج قد قصر على وجهه تحديقه وقابله فقلنا البدر قابل عيوقه وهو يغار عليه من النسيم كلما خفق وهب ويستجيش عليه بتلويح بارقه الموشى بالذهب ويديم حرقته وسهده ويبدل في الطافه طاقته وجهده فتارة يضحكه بخلوقه وتارة يحليه بعقيقه وآونة يكسوه أثواب شقيقه فلم يزل كذلك حتى نعس طرف المصباح واستيقظ نائم الصباح فصنعت بديها في المجلس وكتبت بها الى الاعز بن المؤيد رحمه الله تعالى أصف تلك الليلة التي ارتفعت على أيام الاعياد كارتفاع الرؤس على الاجياد بل فضلت ليلات الدهر كفضل البدر على النجوم الزهر

غبت عني يا ابن المؤيد في وقت شهي يلهي المحب المشوقا
ليلة ظل بدرها يلبس الجد * ران ثوبا مفضضا رمقوقا
وغدا الظل فيه ينثر كافو * را فيعلو مسك التراب السحيقا
وتبدى النسيم يعتنق الاغ * صان ما سرى عنا فارفيقا
بت فيها مناد ما الصديق * ظل بين الانام خلا صدوقا
هو مثل الهلال وجها صبيحا * ومثال النسيم ذهنا رقيقا
وغزال كالبدر وجها وغصن البان قدا والخمرة الصرف ريقا
مظهر للعيون ردفا مهيلا * وحشا ناحلا وقدا رشيقا
ان تغنى سمعت داود أولا * ح تأملت يوسف الصديقا
واذا قابل السراج رأينا * منه بدرا يقابل العيوقا
وأظن الصباح هام بمرآ * ه فابدى قلبا حريقا خفوقا
هو نجم ما لاح في الجدر كافو * ر بياض الا كساه خلوقا
ما بدا نرجس الكواكب الا * قام في قومه برينا الشقيقا
واذا ما بدت جواهرها في * السجو أبدى في الارض منهم عقيقا
فغدونا تحت الدجى نتعاطى * من رقيق الآداب خمرا رقيقا
وجعلنا ريحانة طيب ذكرا * ك فحنناه عنبرا مفتوقا
ذاك وقت لولا مغيبك عنه * كان بالمدح والثناء خليقا

قال فاجاب عنها من الوزن دون الروى

قد أتتني من الجمال قصيد * يا لها من قصيدة غراء
جمعت رقة الهواء وطيب المسك في سبكها وصفو الماء

شيبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال حدثتني عائشة رضي الله عنها وابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث وهو ابن أربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وقبض وهو ابن ستين صلى الله عليه وسلم (وانما حكينا) هذا الخلاف ليعلم من نظر في كتابنا هذا أنا لم نغفل شيأ مما قالوه ولا تركنا شيأ مما ذكروه الا ذكرنا منه ما يتأتى لنا ذكره وأشرنا اليه ميلا الى الاختصار وطلبا للايجاز والذي وجدنا عليه آل محمد عليه الصلاة والسلام أنه ابن ثلاث وستين سنة ولما غسل عليه السلام كفن في ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وثوب حبرة أدرج فيها ادراجا ونزل في قبره علي بن أبي طالب والفضل وقثم بنو العباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكرنا في مقدار الثياب للكفن غير ما ذكرنا والله أعلم بكيفية ذلك ولنرجع الآن الى ذكر لمع من امور وأخبار كانت من مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم

(ذكر أمور وأحوال من مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم) وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب

فارتنا طباعه وشذاه * والذى حاز ذهنه من ذكاه
سيدى هل جمعت فيها اللآلى * يا أخا المجد أم نجوم السماء
أفحمتنى حسنا وحق أياديـ * ـك التى لا تعد بالاحصاء
فتركت الجواب والله عجزا * فابسط العذر فيه يا مولائى
هل يسامى الثرى الثريا وأنى * يدعى النجم فرط نور ذكاء انتهى

(رجع) الى أهل الاندلس * وقال ابن السمان

اياك أن تكثر الاخوان مغتنما * فى كل يوم الى أن يكثر العدد
فى واحد منهم تصفى ودادله * من التكاليف ما يفنى به الجلد

وله

تحن ركابى نحو أرض ومالها * ومالى من ذاك الحنين سوى الهم
وكم راغب فى موضع لا يناله * وأمسيت منه مثل يونس فى اليم
بهذا قضى الرحمن فى كل ساخط * يموت على كره ويحيا على رغم

ولما قام الباجى باشبيلية وخلع طاعة ابن هود وأبدل شعاره الاسود العباسى فى البنود قال أبو محمد عبد الحق الزهرى القرطبى فى ذلك

كانما الراية السوداء قد نصبت * لهم غرابا بين الاهل والولد
مات الهوى تحتها من فرط روعته * فاظهر الدهر منها لبسة الكمد

وأنشدهما القائم الباجى فى جملة قصيدة * وقال الوزير أبو الوليد اسمعيل بن حجاج الاعلم الاشبيلى

أمسى الفراش يطوف حول كؤسنا * اذ خالها تحت الدجى قنديلا
مازال يخفق حولها بجناحه * حتى رمته على الفراش قتيلا

وله

لاموا على حب الصبا والكاس * لما بدا وضح المشيب براسى
والغصن أحوج ما يكون لسقيه * أيام يبدو بالازاهر كاسى

وله وقد رأى على نهر قرطبة ثلاثين نفسا مصلوبين من قطاع الطريق

ثلاثون قد صفوا كلهم * وقد فتحوا أذرعا للوداع
وما ودعوا غير أرواحهم * فكان وداعا لغير اجتماع

وله فى فتى وسيم عض كلب وجنته

وأغيد وضاح المباسم باسم * اذا قام للارواح ناظر مقمر
تعمد كلب عض وجنته التى * هى الورد دينا عاوأبقى بها اثر
فقلت لشهب الافق كيف صماتكم * وقد أثر العواء فى صفحة القمر

وقال الفقيه أبو الحجاج يوسف بن محمد البياسى المؤرخ الاديب المصنف الشهير وكان حافظا لنكت الاندلسيين حديثا وقديما ذاكرا لفكاهاتهم التى صيرته للملوك خليلا ونديما فى صبى من أعيان الجزيرة الخضراء تهافت فى حبه جماعة من الادباء والشعراء وكان من

من ذكر مولده عليه السلام جملا من الكوائن والاحداث فى تضاعيف ذلك وأفردنا هذا الباب لذكر ترتيب جل من السنين من مولده الى وفاته وجل أحداث وكوائن كانت فى أيامه ليقرب تناول ذلك على مريده ويسهل ماخذه على الطالب له وان كنا قد أتينا على لمع من مبسوط هذا الباب فيما تقدمه من الابواب ان شاء الله تعالى

(ففى أول) سنة من مولده دفع الى حليمة بنت عبد الله ابن الحرث بن سحنة بن جابر بن رزام بن نصر بن معد بن عدنان ٣ (وفى السنة الخامسة) من مولده ردته حليمة الى أمه على حسب ماذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب (وفى السنة السادسة) أخرجته أمه الى أخواله زائرة فتوفيت بالابواء بين مكة والمدينة وعنى ذلك الى أم أيمن فخرجت اليه وقدمت به الى مكة وكانت مولاة له قد ورثها عن أمه (وفى السنة التاسعة) خرج مع عمه أبى طالب الى الشأم وقيل انه خرج مع عمه أبى طالب الى الشأم وله ثلاث عشرة سنة وقد كان أبو طالب أخا عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم لابيه وأمه فلذلك كفل بأمر النبى صلى الله عليه وسلم

القوم الذين هاموا بالمذكور وقاموا فيه المقام المشهور أديب يقال له الفار فتسلط على العباسي حتى سافر من الجزيرة وكان يلقب بالقط

عذرت ابا الحجاج من رب شيبة * غدا الابسا في الحب ثوبا من العار
والجأه الفار المشارك للنوى * ولم ار قطا قبله فر من فار

وله

قد سلونا عن الذي تدريه * وجفوناه اذ جفا بالتيه
وتركناه صاغرا الاناس * خدعوه بالزور والتمويه
لمصل يسوقه لمصل * وسفيه يقوده لسفيه

وله وقد كتب الى بعض اصحابه يذكره بالايام السوالف

أباحسن لعمرك ان ذكرى * لايام النعيم من الصواب
امثلي ليس يذكر عهد حمص * وقد جمعت بناخيل التصابي
ونحن نجر اثواب الاماني * مطرزة هنالك بالشباب
وعهد بالجزيرة ليس ينسى * وان أغفلته عند الخطاب
هو الأحلى لدى وان حمانى * عن العسل اجتماع للذباب

وسار الى المحبوب وكان كثير الاجتماع به في جنة لوالده على وادي العسل فقال

جنة وادي العسل * كم لي بها من امل
لو لم يكن ذبابها * يمنع ذوق العسل

قال ابن سعيد ولما اتقينا بتونس بعدايابي من المشرق وقد وجع ظلام الشعر على وجهه المشرق قلت لابي الحجاج مشيرا الى محبوبه وقد غطى هواه عنده على عيوبه

خل ابا الحجاج هذا الذي * قد كنت فيه دائم الوجد
وانظر الى لحيته واعتبر * مما جنى الشعر على الخد

والله سبحانه يسمح للجميع في هذا الهزل الشنيع ويصفح عنا في ذكره انه مجيب سميع

*وقال صاحب البدائع ركب الاستاذ ابو محمد بن صارة مع اصحاب له في نهر اشبيلية في عشية سال أصيلها على لجين الماء عقيانا وطارت زواريقها في سماء النهر عقبانا وابدى نسيمها من الامواج والدارات سرورا وأعكانا في زورق يجول جولان الطرف و يسود اسوداد الطرف فقال بديها

تامل حالنا والجو طلق * محياه وقد طفل الماء
وقد جالت بنا عذرا محبلى * تجاذب مرطها ريح رخاء
بنهر كالسبنجل كوثري * تعبس وجهها فيه السماء

واتفق أن وقف ابو اسحق بن خفاجة على القطعة واستظرفها واستلطفها فقال يعارضها على وزنها وروبها وطريقتها

الا يا حبذا ضحك الحيا * بجانتها وقد عبس الماء
وأدهم من جياد الماء مهر * تنازع جله ريح رخاء

وكان لعبد المطلب ستة عشر ولدا عشرة ذكوروهم من سميناوستة اناث وهم عاتكة وصفية وأميمة والبيضاء وبرة وأروى ولم يسلم منهن الاصفية أم الزبير بن العوام وقد تنوزع في أروى فمنهم من قال انها أسلمت وفي خروجه عليه السلام مع عمه في هذه السنة نظر اليه بحيرا الراهب وأوصاهم بمراعاته من اليهود فانهم أعداؤه لعلمهم بما يكون من نبوته على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لخبر بحيرا الراهب وما كان من اخباره بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في باب أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد عليهما السلام وقد قدمنا انه عليه السلام شهد يوم حرب الفجار وذلك في سنة احدى وعشرين وانها حرب كانت بين قريش وقيس عيلان فيما سلف من هذا الكتاب وغيره وأنها انما سميت بهذا الاسم الذي هو الفجار لانها كانت في الاشهر الحرم وكانت لقيس على قريش وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما شهدها صارت لقريش على قيس وكان على قريش يومئذ عبد الله بن جدعان التيمي وكان نخاسا للعاهلية بياعا للجواري وكانت هذه احدى

وهى يومئذ بنت أربعين وقيل فى سنها غير هذا (وفى سنة ست وثلاثين) بنت قريش الكعبة وتراضت به فوضع الحجر على حسب ما قدمنا (وفى سنة احدى وأربعين) بعثه الله نبيا ورسولا الى كافة الناس وذلك لعشر خلون من ربيع الاول على حسب تنازع الناس فى تاريخ مبعثه عليه السلام (وفى سنة) ست وأربعين كان حصار قريش للنبى صلى الله عليه وسلم وبنى هاشم وبنى عبد المطلب فى الشعب (وفى سنة خمسين) كان خروجه عليه السلام ومن تبعه الى الطائف (وفى هذه السنة) كانت وفاة خديجة زوجه على حسب ماذكرنا على غير هذا التفصيل (وفى سنة احدى وخمسين) كان الاسراء به صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس على حسب ما نطق به التنزيل (وفى سنة) اربع وخمسين كانت هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة (وفيها) بنى صلى الله عليه وسلم مسجده (وفيها) دخل بعائشة بنت ابى بكر رضى الله عنها وهى ابنة تسع تزوج بها بعد الهجرة بسبعة اشهر وقيل عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهى بنت ثمان فاذا

اذا بدت الكواكب فيه غرقى * رأيت الارض تحسدها السماء انتهى

وقال الاديب ابن خفاجة فى ديوانه صاحبت فى صدرى من المغرب سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة أبا محمد عبد الجليل بن وهبون شاعر المعتمد وكان أبو جعفر بن رشيق يومئذ قد تمنع ببعض حصون مرسية وشرع فى النفاق فقطع السبيل وأخاف الطريق ولما حاذينا قلعته وقد احتدمت جمرة الهجير ومل الركب رسيمه وذميله وأخذ كل منا برتاد مقيله اتفقنا على أن لا نطعم طعاما ولا نذوق منا ما حتى نقول فى صورة تلك الحال وذلك الترحال ما حضر وشاء الله أن أجبل ابن وهبون واعتذر وأخذت عفو خاطرى فقلت أتربص به وأعرض بعظم لحيته

ألا قل للمريض القلب مهلا * فان السيف قد ضمن الشفاء
ولم أر كالنفاق شكاة غر * ولا كالدم الوريد له دواء
وقد دحى النجيع هنالك أرضا * وقد شمل البجاج به سماء
وديس به انحطاطا بطن واد * مذاعشب شعر لحيته ضراء

وقال ابن خفاجة أيضا حضرت يوما مع أصحاب لى ومعهم صبى منهم فى نفسه واتفق انهم تحاوروا فى تفضيل الرمان على العنب فانبرى ذلك الصبى فافرط فى تفضيل العنب فقلت بديها أعبث به

صلنى لك الخير برمانة * لم تنتقل عن كرم العهد
لاعنبا أمتص عنقوده * ثديا كأنى بعد فى المهد
وهل برى بينهما نسبة * من عدل الحصية بالنهد

فجعل خجلا شديدا وانصرف قال وخرجت يوما شاطبة الى باب السمارين ابتغاء الفرجة على خرز ذلك الماء بتلك الساقية وذلك سنة ٤٨٠ واذا بالفقيه أبى عمران بن ابى تليد رحمه الله تعالى قد سبقنى الى ذلك فالفيته جالسا على دكان كانت هنالك مبنية لهذا الشان فسلمت عليه وجلست اليه مستأنسا به فجرى أثناء ما تناشدناه ذكر قول ابن رشيق

يامن يمر ولا تمر به القلوب من الفرق
بعمامة من خده * أوخده منها استرق
فكأنه وكأنها * قمر تعمم بالشفق
فاذا بدا واذا انثنى * واذا شدا واذا انطق
شغل الخواطر والحوا * س والمسامع والحدق

فقلت وقد أعجب بها جدا وأثنى عليها كثيرا الحسن ما فى القطعة سياقه الاعداد والافنت تراه قد استرسل فلم يقابل بين ألفاظ البيت الاخير والبيت الذى قبله فينزل بازاء كل واحدة منهما ما يلائمها وهل ينزل بازاء قوله واذا نطق قوله شغل الحدق وكأنه نازعنى القول فى هذا غاية الجهد فقلت بديها

ومهفهف طاوى الحشا * خنث المعاطف والنظر
ملأ العيون بصورة * تليت محاسنها سور

عليك فقلت له ان أنصف سيدى الشيخ نفعنا الله تعالى به أنشدنى من نظم صباه ومن نظم شيخوخته فياخذ كلانا بحظه فضحك وقال ما أعصيك وأنت ضيف ولك حرمة أدب وبسيلة قصد ثم أنشدنى وقد بدا عليه الخشوع وخنقة العبرة

ثق بالذى سوالك من * عدم فانك من عدم
وانظر لنفسك قبل قر * ع السن من فرط الندم
واحذر وقيت من الورى * واصحبهم أعمى أصم
قد كنت فى تيه الى * أن لاح لى أهدى علم
فاقتدت نحو ضيائه * حتى خرجت من الظلم
لكن قناديل الهوى * فى نور رشدى كالحمم

قال فوالله لقد أدركنى فوق ما أدركه وغلب على خاطرى بما سمعت من هذه الابيات وفعلت بى من الموعظة غاية لم أجد منها التخلص الا بعد حين فقال لى الشيخ ان هذه يقظة يرجى معها خيرك والله مرشدك ومنقذك ثم قال لى يابنى هذا ما نحن بسبيله الآن فاسمع فيما مضى والله ولى المغفرة وانا نرجو منه غفران الفعل فكيف القول وأنشد

أطل عذار على خده * فظنوا سلوى عن مذهبى
وقالوا غراب لوشك النوى * فقلت اكتسى البدر بالغيهب
وناديت قلبى أين المسير * وبدر الدجى حل بالعقرب
فقال ولو رمت عن حبه * رحيلا عصيت ولم أذهب

قال فسمعت منه ما يقصر عنه صدور الشعراء وشهدت له بالتقدم وقلت له لم أر أحسن من نظمك فى جد ولا هزل ثم قلت له أأروية عنك فقال نعم ما أرى به باسا بعد اطلاع من يعلم السرائر على ما فى الضمائر فما قدر هذه الفكاهة فى اغضاء من يغفر الكبائر ويغضى عن العظائم قال فقلت له فان أسبغت على النعمة بزيادة شئ من هذا الفن فعلت ما تملك به قلبى آخر الدهر فقال يابنى لا ملك قلبك غير حب الله تعالى ثم قال ولا أجمع عليك رد قول ومنعا وأنشد

ايها الشادن الذى * حسنه فى الورى غريب
لحظ ذاك الجمال يطفئ مالى * من اللهيب
وعليه أحوم دهرى وان كنى أخيب
كلما رمت زورة * قيض الله لى رقيب

قال فمازج قلبى من الرقة واللطافة لهذا الشعر ما أعجز عن التعبير عنه فقلت له زدنى زادك الله تعالى خيرا فانشدنى

ما كان قلبى يدرى قدر حبكم * حتى بعدتم فلم يقدر على الجلد
وكنت أحسب أنى لا أضيق به * ذرعا فحان حتى فت فى عضدى
ثم استمرت على كره مريرته * فكاد يفرق بين الروح والجسد
عساكم أن تلافوا بالقاء رمقى * فليس لى مهجة تقوى على الكمد

وقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف رأس الحكمة معرفة الله ياخيل الله اركبى وبشرى بالجنة الآن حتى الوطيس لا ينقطع فيها عنزان لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يجنى على المرء الا يده ليس الخبر كالمعاينة الشديد من غلب نفسه بورك لامتى فى بكورها ساق القوم آخرهم شربا المجالس بالامانات لو بغى جبل على جبل لدك الباغى منهما ابدا بمن تعول مات حتف أنفه يريد بذلك الفجأة وأنه مات من غير علة ولا تزال أمتى بخير ما لم تر الامانة مغنما والزكاة مغرما قيدوا العلم بالكتابة خير المال عين ساهرة لعين نائمة العلم مرآة المسلم رحم الله من قال خيرا فغنم اوسكت عن شر فسلم المرء كثير باخيه اليد العليا خير من اليد السفلى ترك الشر صدقة فضل العلم خير من فضل العبادة الغنى غنى النفس الاعمال بالنيات أى داء أدوأ من البخل الحياء خير كله الخيل معقود بنواصيها الخير السعيد من وعظ بغيره عدة المؤمن كاظم الغيظ باليد ان من الشعر لحكمة ومن البيان لسحرا عز والملوك بقاء لا لك ارحم من

فعاطنى الراح ان تاركها * من سورة الهم غير منتعش
وأسقنى بالكبار مترعة * فهن أروى لشدة العطش
فانقل الناس كلهم رجل * دعاه داعى الصبا فلم يطش

وهذا أبو الصلت أمية من كبراء أدباء الاندلس العلماء الحكماء وقد ترجمناه فى الباب الخامس فى المرتحلين من الاندلس الى المشرق * وقال رحمه الله تعالى كنت مع الحسن بن على بن تميم بن المعز بن باديس بالمهدية فى الميدان وقد وقف يرمى بالنشاب فصنعت فيه بديها

ياملكا مذخلقت كفه * لم تدر الا الجود والباسا
ان النجوم الزهر مع بعدها * قد حسدت فى قربك الناسا
وودت الامـ ـلاك لو أنها * تحولت تحتك أفراسا
كما تمنى البدر لو أنه * عاد لنشابك برجاسا انتهى

وصنع الوزير أبو جعفر أحمد الوقشى وزير الرئيس أبى اسحق بن همشك صهر الامير أبى عبد الله محمد بن مردنيش فى غلام أسود فى يده قضيب نور بديها

وزنجى أتى بقضيب نور * وقد زفت لنا بنت الكروم
فقال فتى من الفتيان صفها * فقلت الليل أقبل بالنجوم

ولما أفرط أبو يحيى البكى فى هجاء أهل فاس تعصبوا عليه وساعدهم واليهم مظفر الخصى من قبل أمير المسلمين على بن يوسف والقائد عبد الله بن خيار الجيانى وكان يتولى أمورا سلطانية بها فقدموا رجلا ادعى عليه بدين وشهد عليه به رجل فقيه يعرف بالزناتى ورجل آخر يكنى بابى الحسين من مشايخ البلد فثبت الحق عليه وأمر به الى السجن فرفع اليه وسيق سوقا عنيفا فلما وصل الى بابه طلب ورقة من كاتبه وكتب فيها وأنفذها الى مظفر مع العون الذى أوصله الى السجن فكان ما كتب

ارشوا الزناتى الفقيه ببيضة * يشهد بان مظفرا ذو بيضتين
واهدوا اليه دجاجة يحلف لكم * ماناك عبد الله عرس أبى الحسين

وقال أبو الحسن على بن عتيق بن مؤمن القرطبى الانصارى عمل والدى محملا لما كتب من قضبان تشبه سلما فدخل عليه أبو محمد عبد الله بن مفيد فرآه فقال ارتجالا

أيها السيد الذكى الجنان * لاتقسنى بسلم البنيان
فضل شكلى على السلالم أنى * محمل للعلوم والقرآن
خذ من حلية المحبين ضعفى * واصفرارى ورقة الابدان
فادع للصانع المجيد بفوز * ثم وال الدعاء للاخوان

ثم عمل أيضا

أيها السيد الكريم المساعى * التفت صنعتى وحسن ابتداعى
أنا للنسخ محمل خف حملى * أنا فى الشكل سلم الاطلاع

وقال أحمد بن رضى المالقى

سلمة بنت أمية (وفيها) كانت غزوته الى اليهود من بنى النضير وامتنعوا منه بحصونهم فقطعوا نخلهم وشجرهم واضرموا النار عليهم فلما رأى ذلك صالحهم (وفيها) كانت غزوته الى بنى المصطلق (وفيها) وهى سنة أربع كان مولد الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد قيل ان مولد فاطمة رضى الله تعالى عنها قبل الهجرة بثمان سنين (وفى سنة خمس) كانت غزوة الخندق وما كان من حفر الخندق (وفيها) غزا اليهود من بنى قريظة وكان من أمرهم ماقد شهر (وفيها) كان تزويجه بزينب بنت جحش (وفيها) كان تقول أهل الافك على عائشة رضى الله تعالى عنها (وفى سنة ست) كان استسقاؤه عليه السلام لما لحق الناس من الضر والجدب (وفيها) اعتمر عمرته المعروفة بعمرة الحديبية وواعد المشركين (وفيها) أخذ فدك (وفيها) تزوج أم حبيبة بنت أبى سفيان ووجه بالرسل الى كسرى وقيصر وكان فيما أداؤه لكتابة جويرية بنت الحرث وتزويجه بها (وفى سنة سبع) غزا خيبر فافتتحها واصطفى

ليس المدامة مما أستريح له * ولا لمجاوبة الاوتار والنغم
وانما الذتي كتب اطالعها * وخادمي ابدا في نصرتي قلمي

وقال ابو القاسم البلوي الاشبيلي

لمن اشكو مصابي في البرايا * ولا القي سوى رجل مصابي
امور لو تدبرها حكيم * لعاش مدى الزمان اخا اكتئاب
اما في الدهر من افشي اليه * باسراري فيؤنس بالجواب
يئست من الانام فما جليس * يعز علي نهاي سوى كتابي

وقال ابو زكريا يحيي بن صفوان بن ادريس صاحب كتاب الحجالة وزاد المسافر وغيرهما

ليت شعري كيف انتم * وانا الصب المعنى
كل شئ لم تكونوا * فيه لفظ دون معنى

وله في نصراني وسيم لقيه يوم عيد

توحد في الحسن من لم يزل * يثلث والقلب في صده
يشف لك الماء من كفه * ويقتدح النار من خده

وهذان البيتان نسبهما له بعض معاشريه وابوه صفوان سابق الميدان * وقال ابن بسام سار ابن عمار في بعض اسفاره غلامان من بني جهور احدهما اشقر العذار والآخر اخضره فجعل يميل بحديثه لمخضر العذار ثم قال ارتجالا

تعلقته جهوري النجار * حلي الملي جوهري الثنايا
من النفر البيض اسد الزمان * رقاق الحواشي كرام السجايا
ولا غرو ان تغرب الشارقات * وتبقى محاسنها بالعشايا
ولا وصل الاجمان الحديث * نساقطه من ظهور المطايا
شنئت المثلث للزعفران * وملت الى خضرة في التفايا انتهى

ومعناه ان ابن عمار ابغض المثلث لدخول الزعفران فيه لشبهه بعذاره الاشقر منهما واحب خضرة التفاياوهو لون طعام يعمل بالكزبرة لشبهها بعذاره الاخضر منهما * وقال ابو العرب ابن معيشة الكناني السبتي اخبرني شيخ من اهل اشبيلية كان قد ادرك دولة آل عباد وكان عليه من اثر كبر السن ودلائل التعمير ما يشهد له بالصدق وينطق بان قوله الحق قال كنت في صباي حسن الصورة بديع الخلقة لا تلمعني عين احد الا ملكت قلبه وخلبت لبه وسلبت لبه واطلت كربه فبينا انا واقف على باب دارنا اذا بالوزير ابي بكر بن عمار قد اقبل في موكب زجل على فرس كالصخرة الصماء قدت من قنة الجبل فحين حاذاني ورآني اشرأب الي ينظرني و بهت يتاملني ثم دفع بمخصرة كانت بيده في صدري وانشد

كف هذا التهدعني * فبقلبي منه جرح
هو في صدرك نهد * وهو في صدري رمح

وعبر في البدائع على طريقة القلائد بما صورته ذكر الفتح بن خاقان ما هذا معناه اخبرني ذو الوزارتين ابو المطرف بن عبد العزيز انه حضر عند المؤتمن بن هود في يوم اجرى الحوض فيه

اشقر برقه ورمى بنيل ودقه وحملت الرياح فيه اوقار السحاب على اعناقها وتمايلت قامات الاغصان فى الحلل الخضر من اوراقها والازهار قد تفتحت عيونها والكمائم قد ظهر مكنونها والاشجار قد انصقلت بالقطر ونشرت ما يفوق الوان البزو بثت ما يعلو العطر والراح قد اشرقت نجومها فى بروج الراح وحاكت شمسها شمس الافق فتلفعت بغيوم الاقداح ومدرها قد ذاب ظرفا فكاد يسيل من اهابه واخجل خدها حسنا فتكاد بعرق حبابه اذا بقى رومى من اصبع فتيان المؤتمن قد اقبل متدرعا كالبدر اجتاب سحابا والخمرا كتست حبابا والطاوس انقلب حبابا فهو ملك حسنا الا انه جسد وغزال لينا الا انه فى هيئة الاسد وقد جاء يريد استشارة المؤتمن فى الخروج الى موضع كان عوّل فيه عليه وأمره أن يتوجه اليه فخيّر وصل الى حضرته لحه ابن عمار والسكر قد استحوذ على لبه وانبثت سراياه فى ضواحى قلبه فاشار اليه وقربه واستبدع ذلك اللباس واستغربه وجد فى أن يستخرج تلك الدرة من ماء ذلك الدلاص وأن يجلى عنه كما يجلى الخبث عن الخلاص وأن يوفر على ذلك الوفر نعمة جسمه ويكون هو الساقى على عادته القديمة ورسمه فامره المؤتمن بقبول أمره وامتثاله واحتذاء أمثاله فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها ورمت شياطين النفوس من كمت المدام بشهبها ارتجل ابن عمار

وهو يتيه يسقى المدام كانه * قمر يدور بكوكب فى مجلس
متناوح الحركات بندى عطفه * كالغصن هزته الصبا بتنفس
يسقى بكاس فى أنامل سوسن * و يدير أخرى من محاجر نرجس
ياحامل السيف الطويل نجاده * ومصرف الفرس القصير المحبس
اياك بادرة الوغى من فارس * خشن القناع على عذار أملس
جهم وان حسر القناع فانما * كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى ويلعب فى دلال عذاره * كالمهر يلعب فى اللعام المحرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا * وسطا بليث الغاب ظبى المكنس
عنا بكاسك قد كفتنا مقلة * حوراء قائمة بسكر المجلس

وصنع فيه أيضا

وأحور من ظباء الروم عاط * بسالفتيه من دمعى فريد
قسا قلباوشن عليه درعا * فباطنه وظاهره حديد
بكيت وقد دنا ونأى رضاه * وقد يبكى من الطرب الجليد
وان فتى تملكه برق * وأحرز حسنه لفتى سعيد انتهى

وقال فى البدائع مؤلفه ما نصه خرج المعتصم بن صمادح صاحب المرية يوما الى بعض متنزهاته فخل بروضة قد سفرت عن وجهها البهيج وتنفست عن مسكها الاريج وماست معاطف أغصانها وتكللت بلؤلؤ الطل أجياد قضبانها فتشوّف الى الوزير أبى طالب بن غانم أحد كبراء دولته وسيوف صولته فكتب اليه بديها بورقة كرنب بعود من شجرة

أقبل أبا طالب الينا * واسقط سقوط الندى علينا

للؤلفة قلوبهم وفيهم ابو سفيان صخر بن حرب وابنه معاوية (وفيها) كان مولد ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية (وفى سنة تسع) حج أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس وقرأ على ابن أبى طالب عليهم سورة براءة وأمر ان لا يحج مشرك وأنه لا يطوف بالبيت عريان (وفيها) كانت وفاة أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفى سنة عشر) حج رسول الله عليه الصلاة والسلام حجة الوداع وقال ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض (وفيها) كانت وفاة ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وله سنة وعشرة اشهر وثمانية ايام وقيل غير ذلك (وفيها) كان بعثه عليه السلام بعلى الى اليمن واحرم كاحرام النبى صلى الله عليه وسلم على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب قبل هذا الباب من ذكر وفاته ومقدار عمره وما قاله الناس فى ذلك وفى وفاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من تنازع الناس فى مقدار عمرها ومدة بنائها بعد ابيها ومن الذى صلى عليها

وجلس المعتصم بن صماد ح المذكور يوما وبين يديه ساقية قد أخذت بردها حر الاوار والتوى ماؤها فيها التواء فضنة السوار فقال ارتجالا

انظر الى الماء كيف انحط فى صبيه * كانه ارقم قد جد فى هربه

وقال السميسر

بعود شر بن دمى قهوة * وغنينى بضرب الاغانى
كأن عروقى أوتارهن * وجسمى الرباب وهن القنانى

وقيل

بعوض وبرغوث وبق لزمننى * حسبن دمى خمرا فاذلها الخمر
فيرقص برغوث لزمر بعوضة * وبقهم سكت ليستمع الزمر

ومنه

بق وبرغوث أتوا * نحوى وقد شدوا عذابى
وأتى البعوض بزمره * ياقوم أخرج من ثيابى

وأحسن منه قول ابن شرف القيروانى

لك مجلس كملت بشارة أهلنا * فيه ولكن تحت ذاك حديث
غنى الذباب فظل يزمر حوله * فيه البعوض ويرقص البرغوث

والسابق الى هذا المعنى أبو أحمد بن أيوب من شعراء اليتيمة اذ قال

لا أعدل الليل فى تطاوله * لو كان يدرى ما نحن فيه نقص
لى والبراغيث والبعوض اذا * أجننا حندس الظلام قمص
اذا تغنى بعوضه طربا * أطرب برغوثه الغنا فرقص

ونحو هذا قول الحصرى فيما نسبه اليه ابن دحية

ضاقت بلذيذة بى * وزاد عنى غموضى
رقص البراغيث فيها * على غناء البعوض

(رجع) الى أهل الاندلس فنقول كان ابن سعد الخير البلنسى الشاعر كثير الذهول مفرط النسيان ظاهر التغفل على جودة نظمه ورطوبة طبعه وكان كثيرا ما يسلك سكة الاسكافيين الذين يعملون الخفاف على بغلة له فاتخذت البغلة النفور من أطراف الادم وفضلات الجلود الملقاة فى السكة عادة لها واتفق أن عبر فى السكة راجلا ومعه جماعة من أصحابه فلما رأى الجلود الملقاة قفز ووثب راجعا على عقبيه فقال له أصحابه ما هذا أيها الاستاذ فقال البغلة نفرت فعجبوا من تغفله كيف ظن مع ما يقاسيه من ألم المشى ونصب التعب انه راكب وأن حركته الاختيارية منه حركة الدابة الضرورية له فكان تغفله بما أوقعه فى تهمة عند من لم يعرفه فاقترح عليه بعض الامراء أن يصنع بيتين أول أحدهما كتاب وآخره ذئب وأول الآخر جوارح وآخره أنا بيب فصنع بديها

كتاب نجيع لاح فى حومة الوغى * وقارنه نسر هنالك أوذيب
جوارح أهليه حروف وربما * تولته من نقط الطعان أنا بيب

واشتد بكاؤه وظهر أنينه وحنينه وقال فى ذلك

لكل اجتماع من خليلين فرقة
وكل الذى دون الممات قليل
وان افتقادى فاطما بعد أحمد
دليل على أن لا يدوم خليل

(وكان أولاده) صلى الله عليه وسلم من خديجة خلا ابراهيم ولده صلى الله عليه وسلم القاسم وبه يكنى وكان أكبر بنيه سنا ورقية وأم كلثوم وكانتا تحت عتبة وعتيبة ابنى ابى لهب فطلقا هما لخبر يطول ذكره فتزوجهما عثمان بن عفان واحدة بعد واحدة وزينب وكانت تحت أبى العاص بن الربيع وفرق الاسلام بينهما ثم أسلم فردها عليه بالنكاح الاول وهذا موضع خلاف بين أهل العلم فى كيفية رده عليه السلام لزينب على أبى العاص وولدت من أبى العاص أمامة وتزوجها على بعد موت فاطمة عليهما السلام وولد له عليه الصلاة والسلام بعد ما بعث عبد الله وهو الطيب والطاهر الثلاثة الاسماء له لانه ولد فى الاسلام وفاطمة وابراهيم وقد

 أتينا فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط على ما كان من سنة مولده عليه السلام الى مبعثه

ومن مبعثه الى هجرته وثلثمائة وما كان من ذلك من المغازى والسرايات والبعوث والطرائق والاحداث وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا منبهين بذلك على ما سلف من كتبنا ومذكرين لما تقدم من تصنيفنا وبالله التوفيق

(ذكر ما بدأ به عليه الصلاة والسلام من الكلام مما لم يحفظ قبله عن احد من الانام)

قال ابو الحسن على بن الحسين بن على بن عبد الله المسعودى بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ومبشرا للناس أجمعين وقربه الله بالآيات والبراهين النيرات وأتى بالقرآن المعجز فتحدى به قومه وهم الغاية فى الفصاحة والنهاية فى البلاغة وأولوا العلم باللغة والمعرفة بانواع الكلام من الرسائل والخطب والسجع والمقفى والمنثور والمنظوم والاشعار فى المكارم وفى الحب والزجر والتحضيض والاغراء والوعد والوعيد والمدح والتهجين فقرع به أسماعهم وأعجم به أذهانهم وقبح به أفعالهم وذم به آراءهم وسفه به أحلامهم وأزال به ديانتهم وأبطل سنتهم ثم أخبر عن عجزهم مع تظاهرهم أن لا ياتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض

وقال الحميدى ذكر لى أبو بكر المرواني انه شاهد محمو با الشاعر النحوى قال بديهة فى صفة ناعورة

وذات حنين ما تغيض جفونها * من اللجج الخضر الصوافى على شط
وتبكى فتجرى من دموع جفونها * رياض تبدت بالازاهر فى بسط
فمن أحمر قان وأصفر فاقع * وأزهر مبيض وادكن مشمط
كأن ظروف الماء من فوق متنها * لآلى جمان قد نظمن على قرط

وقال أبو الخطاب بن دحية دخلت على الوزير الفقيه الاجل أبى بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور السلمى فوقع الكلام فى علوم لم تكن من جنس فنونه فقال بديها

أيها العالم ادركنى سماحا * فلمثلى يحق منك السماح
ان تخانى اذا نطقت عييا * فبنانى اذا كتبت وقاح
أحرز الشأو فى نظام ونثر * ثم أثنى وفى العنان جماح
فبهزل كما تاود غصن * وبجد كما تهز الصفاح

وقال دخلت عليه منزله بشاطبة فى اليوم الذى توفى فيه وهو يجود بنفسه فانشد بديها

أيها الواقف اعتبارا بقبرى * استمع فيه قول عظمى الرميم
أودعونى بطن الضريح وخافوا * من ذنوب كلومها بادمى
ودعونى بما اكتسبت رهينا * غلق الرهن عند مولى كريم

وقال ابن طوفان دعا أبى أبا الوليد النحلى فلما قضوا طرهم من الطعام سقيتهم وجعلت أترع الكاسات فلما مشت فى النحلى سورة الحميا ارتجل

لابن طوفان أياد * قل فيها مشبهوه ملأ الكاسات حتى * قيل فى البيت أبوه

ونظيره قول المتقبل من شعراء الذخيرة فى الشاعر ابن الفراء

فاذا ما قال شعرا * نفقت سوق أبيه

وذكر فى بدائع البدائه أن جماعة من الشعراء فى أيام الافضل خرجوا متنزهين الى الاهرام ليروا عجائب مبانيها ويتاملوا ما سطره الدهر من العبر فيها فاقترح بعض من كان معهم العمل فيها فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسى

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا * على مارات عيناك من هرمى مصر
أناقا بأعنان السماء فاشرفا * على الجو اشراف السماك أو النسر
وقد وافيا نشز امن الارض عاليا * كانهما نهدان قاما على صدر

وصنع أبو منصور ظافر الحداد

تامل هيئة الهرمين وانظر * وبينهما أبو الهول المحيب
كعمارية بتن على رحيل * بمجمو بين بينهما وقيب
وفيض البحر عندهما دموع * وصوت الريح بينهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب * تخلف فهو محزون كئيب

انتهى

وقال ابن بسام كان للمتوكل بن الافطس فرس أدهم أغر محجل على كفله ست نقط بيض فندب

المتوكل الشعراء لصفته فصنع النحلى أبو الوليد فيه بديها

ركب البدر جوادا سابحا * تقف الريح لادنى مهله
لبس الليل قميصا سابغا * والثريا نقطة فى كفله
وغدير الصبح قد خيض به * فبدا تحجيله من بلله
كل مطلوب وان طالت به * رجله من أجله فى أجله

ثم انتدب الشعراء بعد ذلك للعمل فيه فصنع ابن اللبانة

لله طرف جال يا ابن محمد * فحبت به حوباؤه التاميلا
لما رأى أن الظلام أديمه * أهدى لارتعه الهدى تحجيلا
وكانما فى الردف منه مباسم * تبغى هناك لرجله تقبيلا

وقال فيه أبو عبد الله بن عبد البر الشنتريني من قطعة

وكانما عمر على صهواته * قد تسير به الرياح الاربع

و يعنى بعمر المتوكل المذكور لان اسمه عمر * وقال أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الخزرجى قاضى اشبيلية

لله اخوان تناءت دارهم * حفظوا الوداد على النوى أو خانوا
يهدى لنا طيب الثناء ودادهم * كالند يهدى الطيب وهو دخان

وحكى أن أيوب بن سليمان السهيلى المروانى حضر يوما عند ابن باجة الشاعر وأبو الحسن ابن جودى هناك فتكلم المروانى بكلام ظهر فيه نبل وأدب فتشوف أبو الحسن بن جودى لمعرفته وكان اذ ذاك فتى السن فقال له من أنت أكرمك الله تعالى فقال هلا سألت غيرى عنى فيكون ذلك أحسن لك أدبا ولى توقيرا فقال ابن جودى قد سألت من المعرف عنك فلم يعرفك فقال ياهذا طالما مر علينا زمان يعرفنا من يجهل ولا يحتاج من يرانا فيه الى أن يسال وأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأنشد

انا ابن الالى قد عوض الدهر عزهم * بذل وقلوا واستحبوا التنكرا
ملوك على مر الزمان بمشرق * وغربدها هم دهرهم وتغيرا
فلا تذكرنهم بالسؤال مصابهم * فان حياة الرزء أن يتذكرا

ففطن ابن جودى انه من بنى مروان فقام وقبل رأسه واعتذر اليه ثم انصرف المروانى فقال ابن باجة لابن جودى أساء أدبك بعد ما عهدت منك كيف تعمد الى رجل فى مجلسى تحدثنى قد قربته وأكرمته وخصصته بالاصغاء الى كلامه فتقدم عليه بالسؤال عن نفسه فاحذر أن تكون لك عادة فانها من أسوا الادب فقال ابن جودى لم نزل من الشيخ على ما قاله أبو تمام * نأخذ من ماله ومن أدبه * وحكى أن بكار المروانى لما ترك وطنه وخرج فى الجهاد وقتل قال صاحب السقط انه اجتمع به فى اشبونة فقال قصدت منزله بها ونقرت الباب فنادى من هذا فقلت رجل ممن يتوسل لرؤياك بقرابة فقال لا قرابة الا بالتقى فان كنت من أهله فادخل والا فتنح عنى فقلت أرجو فى الاجتماع بك والاقتباس منك أن أكون من أهل التقى فقال ادخل فدخلت عليه فاذا به فى مصلاه وسبحته أمامه وهو يعد حبوبها

وليس الغرض من هذا وصف أقاويل المختلفين والاخبار عن كلام المتنازعين اذ كان كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر (ثبت) عنه عليه السلام بالعلم الموروث ونقل الينا الباقى عن الماضى من بعد قيام الادلة على صدقه وما أورد من المعجزات والدلائل والعلامات التى أظهر الله على يديه ليؤدى رسالات ربه الى خلقه أنه قال أوتيت جوامع الكلم وقال اختصر لى الكلام مخبرا عما أوتيه من الحكمة والنطق السير والكلام القصير البعيد المعانى الكثيرة الوجوه المتفرقة مع ما فيه من الحكمة وتمام المصلحة (وكان كلامه) صلى الله عليه وسلم أحسن المقال وأوجزه لقلة ألفاظه وكثرة معانيه (فمن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم عند عرضه لنفسه على القبائل بمكة وأبو بكر وقومه على بكر بن وائل وتقدم أبى بكر اليهم وما جرى بينه و بين دغفل من الكلام فى النسب البلاء موكل بالمنطق وهذا مما سبق اليه من الكلام ولم يضف الى غيره من الانام ثم اخباره عن الحرب وقوله

الحرب خدعة فعلم بهذا اللفظ اليسير والكلام الوجيز أن آخر مكايد الحرب القتال بالسيف اذ كان بدؤها خدعة كما

ويسبح فيها فقال لى ارفق على أتمم وظيفتى من هذا التسبيح وأقض حقك فقعدت الى أن فرغ فلما قضى شغله عطف على وقال ما القرابة التى بينى و بينك فانتسبت له فعرف أبى وترحم عليه وقال لى لقد كان نعم الرجل وكان لديه أدب ومعرفة فهل لديك أنت مما كان لديه شئ فقلت له انه كان ياخذنى بالقراءة وتعلم الادب وقد تعلقت من ذلك بما أتميز به فقال لى هل تنظم شيأ قلت نعم وقد ألجأنى الدهر الى أن أرتزق به فقال يا ولدى انه بئسما يرتزق به ونعم ما يتحلى به اذا كان على غير هذا الوجه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولكن تحل الميتة عند الضرورة فانشدنى أصلحك الله تعالى مما على ذكرك من شعرك قال فغلبت بخاطرى شيئا أقابله به مما يوافق حاله فما وقع لى الا فيما لا يوافقه من مجون ووصف خمر وما أشبه ذلك فاطرقت قليلا فقال لعلك تنظم فقلت لا ولكن أفكر فيما أقابلك به فقولى أكثره فيما جانى عليه الصبا والسخف وهو غير لائق بمجلسك فقال يا بنى ولا هذا كله انا لا نبلغ من تقوى الله الى حد نخرج به عن السلف الصالح واذا صح عندنا أن عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومفسر كتاب الله تعالى ينشد مثل قول القائل * ان يصدق الطير ننك لمسا * فمن نحن حتى نابى أن نسمع مثل هذا والله لانشدنى عن السلف الصالح أنشدنى ما وقع لك غير متكلف فلم يمتد نى خاطرى الى غير قولى من شعر أمجن فيه

أبطأت عنى وانى * لفى اشتياق شديد
وفى يدى لك شئ * قد قام مثل العمود
لو ذقته مرة لم * تعد لهذا الصدود

فتبسم الشيخ وقال أما كان فى نظمك أطهر من هذا فقلت له ما وفقت لغيره فقال لا باس عليك فانشدنى غيره ففكرت الى أن أنشدته قولى

ولما وقفت على ربعهم * تجرعت وجدى بالاجرع
وأرسل دمعى شرار الدموع * لنار تاجج فى الاضلع
فقام عذولى لما رأى * بكائى وقفا على الادمع
فقلت له هذه سمتى * لمن حفظ العهد فى الاربع

قال فرأيت الشيخ قد اختلط وجعل يجىء و يذهب ثم أفاق وقال أعد بحق آبائك الكرام فأعدت فاعادما كان فيه وجعل يردد فقلت له لو علمت أن هذا يحركك ما أنشدتك اياه فقال وهل حرك منى الا خير اوعظة يا بنى ان هذه القلوب المخلاة لله كالورق التى جفت وهى مستعدة لهبوب الرياح فان هب عليها أقل ريح لعب بها كيف شاء وصادف منها طوعه فاعجبنى منزعه وتانست به ولم أر عنده ما يعتاد من هؤلاء المتدينين من الانجماع والانكماش بل ما زال يسقينى ويحدثنى باخبار فيها هزل و يذكرلى من تاريخ بنى أمية وملوكها ما أرتاح له ولا أعلم أكثره فلما كثر تانسى به أهويت الى يده كى أقبلها فضمها بسرعة وقال ما شانك فقلت راغبا لك فى أن تنشدنى شيأ من نظمك فقال اما نظمى فى زمان الصبا فكان له وقت ذهب و يجب للنظم أن يذهب معه وأما نظمى فى هذا الوقت فهو فيما انا بسبيله وهو ينقل

قال عليه السلام وهذا كالعائد فى قيئه زاجرا بهذا القول للواهب أن لا يسترجع شيأ وهبه اذ كان القىء لا يرجع فيه من قاءه (وللناس) فى هذا المعنى كلام كثير وخطب طويل وانما الغرض فيما نذكراد كلامه صلى الله عليه وسلم ووصف قوله الذى لم يتقدمه به أحد من الناس وقوله أحثوا فى وجوه المداحين التراب المراد من ذلك اذا كذب المادح ولم يرد عليه السلام اذا شكر الانسان غيره بما أولاه أو وصفه بما هو فيه أو قال ماله أن يقول أن يحثى فى وجهه التراب ولو كان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم اذن ما مدح أحد أحدا اذا كان هذا النهى عموما للصادق والكاذب وأن يحثى فى وجه الجميع التراب وهذا خلاف ما جاء به التنزيل حيث يقول عز وجل مخبرا عن نبيه يوسف وقوله للملك اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم فقدم مدح نفسه ووصف حاله وجميع ما يذكر فى هذا مستفيض فى السير والاخبار متقارب عند العلماء متداول بين الحكماء يتمثل به كثير من الناس و يستعمل العوام كثيرا منه فى الفاظها وتورده فى أمثالها وخطاباتها والا كثر منهم لا يعلم أن عليك

عليك فقلت له ان أنصف سيدى الشيخ نفعنا الله تعالى به أنشدنى من نظم صباه ومن نظم شعوخته فياخذ كلا بلحظه فتبسم وقال ما أعصيك وأنت ضيف ولك حرمة أدب ووسيلة قصد ثم أنشدنى وقد بدا عليه الخشوع وخنقة العبرة

شق بالذى سواك من * عدم فانك من عدم
وانظر لنفسك قبل قر * ع السن من فرط الندم
واحذر وقيت من الورى * واصحبهم أعمى أصم
قد كنت فى تيه الى * أن لاح لى أهدى علم
فاقتدت نحو ضيائه * حتى خرجت من الظلم
لكن قنادبل الهوى * فى نور رشدى كالحمم

قال فوالله لقد أدركنى فوق ما أدركه وغلب على خاطرى بما سمعت من هذه الابيات وفعلت بى من الموعظة غاية لم أجد منها التخلص الا بعد حين فقال لى الشيخ ان هذه يقظة يرجى معها خيرك والله مرشدك ومنقذك ثم قال لى يابنى هذا ما نحن بسبيله الآن فاسمع فيما مضى والله ولى المغفرة وانا لنرجو منه غفران الفعل فكيف القول وأنشد

أطل عذار على خده * فظنوا سلوى عن مذهبى
وقالوا غراب لوشك الثوى * فقلت اكتسى البدر بالغيهب
وناديت قلبى أين المسير * وبدر الدجى حل بالعقرب
فقال ولو رمت عن حبه * رحيلا عصيت ولم أذهب

قال فسمعت منه ما يقصر عنه صدور الشعراء وشهدت له بالتقدم وقلت له لم أر أحسن من نظمك فى جد ولا هزل ثم قلت له أأروبه عنك فقال نعم ما أرى به باسا بعد اطلاع من يعلم السرائر على ما فى الضمائر فما قدر هذه الفكاهة فى اغضاء من يغفر الكبائر ويغضى عن العظائم قال فقلت له فان أسبغت على النعمة بزيادة شىء من هذا الفن فعلت ما تملك به قلبى آخر الدهر فقال يابنى لا ملك قلبك غير حب الله تعالى ثم قال ولا أجمع عليك رد قول ومنعا وأنشد

ايها الشادن الذى * حسنه فى الورى غريب
لحظ ذاك الجمال يطـ * ـفئ مالى مـ * ـن اللهيب
وعليه أحوم دهـ * ـرى ولكننى أخيب
كلما رمت زورة * قيض الله لى رقيب

قال فمازج قلبى من الرقة والاضافة لهذا الشعر ما أعجز عن التعبير عنه فقلت له زدنى زادك الله تعالى خيرا فانشدنى

ما كان قلبى يدرى قدر حبكم * حتى بعدتم فلم يقدر على الجلد
وكنت أحسب أنى لا أضيق به * ذرعا فاحان حتى فت فى عضدى
ثم استمرت على كره مريرته * فكاد يفرق بين الروح والجسد
عساكم أن تلافوا بالقاء متى * فليس لى مهجة تقوى على الكمد

وقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف رأس الحكمة معرفة الله ياخيل الله اركبى وبشرى بالجنة الآن حمى الوطيس لا ينقطع فيها عنان لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يجنى على المرء الا يده ليس الخبر كالمعاينة الشديد من غلب نفسه يورك لامتى فى بكورها سابق القوم آخرهم شربا المجالس بالامانات لو بغى جبل على جبل لدك الباغى منهما ابدا بئس من تعول مات حتف أنفه يريد بذلك الفجأة وأنه مات من غير علة ولا تزال أمتى بخير ما لم تر الامانة مغنما والزكاة مغرما قيدوا العلم بالكتابة خير المال عين ساهرة لعين نائمة المسلم مرآة المسلم رحم الله من قال خيرا فغنم او سكت عن شر فسلم المرء كثير باخيه اليد العليا خير من اليد السفلى ترك الشر صدقة فضل العلم خير من فضل العبادة الغنى غنى النفس الاعمال بالنيات أى داء أدوأ من البخل الحياء خير كله الخيل معقود بنواصيها

ثم قال حسبك وان كلفتني زيادة فالله حسبك فقلت له قد وكلتني الى كريم غفور رحيم فبالله الا ما زدتني وأكببت لاقبل رجليه فضمهما وأنشد

لله من قال لما * شكوت فيه تحولي
أما السبيل لوصل * فماله من وصول
فقلت حسبي التماح * بحسن وجه جميل
وجه تلوح عليه * علامة للقبول
فقال دعني فهذا * تعرض للفضول
فقلت عاتب وخاطب * بالامن أهل العقول

فلا أسمعني عجائب وبسط أنسي وكتبت كل ما أنشدني ثم قلت له لولا خوفي من التثقيل عليك لم أزل أستدعي منك الانشاد حتى لا نجد ما تنشد فقال ان عدت ان شاء الله تعالى الى هنا تذكرت وأنشدتك فما عندي مما أضيفك غير ما سمعته وما تراه ثم قام وجاء من بيت آخر في داره بصحفة فيها حسا من دقيق وكسور باردة فجعل يفت فيها ثم أشار الى أن اشرب فشربت ثم شرب الى أن أتينا على آخرها ثم قال لي هذا غداء عمك نهاره وانه لنعمة من الله تعالى أستديم بشكرها اتصالها فقال فقلت له ياعم ومن أين عيشك فقال يابني عيشتي بتلك الشبكة أصطاد بها في سواحل البحر ما أقتات به ولي زوجة وبنت يعود من غزلهما مع ذلك ما نجد به معونة وهذا مع العافية والاستغناء عن الناس خير كثير جعلنا الله تعالى ممن يلقاه على حالة يرضاها وختم لنا بخاتمة لا يخاف معها فضيحة قال فتركته وقمت وفي نيتي أن أعود الى زيارته ونويت أن يكون ذلك بعد أيام خوف التثقيل فعدت اليه بعد ثلاثة أيام فنقرت الباب فكلمتني المرأة بلسان عليه أثر الحزن وقالت ان الشيخ خرج الى الغزو وذلك بعد انفصالك عنه بيوم ناله كالجنون فقلت له ما شأنك فقال اني أريد أن أموت شهيدا في الغزو وهؤلاء جيراني قد عزموا على الغزو وأنا ان شاء الله تعالى ماض معهم ثم احتال في سيف ورمح وتوجه معهم وقال نفسي هي التي قتلتني بهواها فلا أقتص منها فقتلها قال فقلت لها من خلف للنظر في شأنكم فقالت ليس ذلك لك فالذي خلفنا له لا نحتاج معه الى غيره فاد وكني من جوابها روعة وعلمت انها مثله زهدا وصلاحا فقلت اني قريبه ويجب علي أن أنظر في حالكم بعده فقالت ياهذا انك لست بذي محرم ولنا من المجائز من ينظر منا ويبيع غزلنا ويتفقد أحوالنا فجزاك الله تعالى عنا خيرا انصرف عنا مشكورا فقلت لها هذه دراهم خذوها لتستعينوا بها فقالت ما اعتدنا أن نأخذ شيأ من غير الله تعالى وما كان لنا أن نخل بالعادة فانصرفت نادما على ما فاتني من الاستكثار من شعر الشيخ والتبرك بزيادة دعائه ثم عدت بعد ذلك لداره سائلا عنه فقالت لي المرأة انه قد قبله الله تعالى فعلمت انه قد قتل فقلت لها أقتل فقرأت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية فانصرفت معتبرا من حاله رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وكانت للمروانيين بالاندلس يد عليا في الدين والدنيا * وقال محمد بن أيوب المرواني لما كلف قوما حاجة له سلطانية فما نهضوا بها فكلفها رأس بني مروان القائد سعيد بن المنذر فنهض بها

من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا المستشار مؤتمن من قتل دون ماله فهو شهيد لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث الدال على الخير كفاعله الندم توبة الولد للفراش وللعاهر الحجر كل معروف صدقة لا يشكر الله من لا يشكر الناس لا يؤذي الضالة الا ضال حبك الشيء يعمي ويصم السفر قطعة من العذاب (وقوله للانصار) انكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع وقوله المسلمون عند شروطهم الا شرطا احل حراما أو حرم حلالا الرجل احق بصدر مجلسه وصدر دابته الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الظلم ظلمات يوم القيامة تمام التحية المصافحة جبلت القلوب على حب من أحسن اليها امنك من اعتبك ما نقص مال من صدقة التائب من الذنب كمن لا ذنب له الشاهد يرى ما لا يرى الغائب خذ حقك في عفاف واف أو غير واف أعطوا الاجير أجره قبل أن يجف عرقه أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف يوم القيامة الجنة تحت ظلال السيوف

نهضت بما سألتك غير وان * وقد صعبت لما سألتكها الطريق
وليس يبين فضل المرء الا * اذا كلفته ما لا يطيق

وعتب يوما سعيد بن المنذر في كونه يتعرض لمدح خدام بني مروان فقال له أعزك الله تعالى القائد الوزير انكم جعلتموني ذنبا وجعلوني رأسا والنفس تتوق الى من يكرمها وان كان دونها اكثر ممن يهينها وان كان فوقها واني من هذا وهذا في أمر لا يعلمه الا الله الذي بلاني به و ياويح الشجي من الخلي وأنا الذي أقول فيما يتخلل هذا المنزع

نسبت لقوم ليتني نجل غيرهم * فلي نسب يعلو وحظي يسفل
أقطع عمري بالتعلل والمنى * وكم يخدع المرء اللبيب التعلل
فما لي مكان أرتضيه لهمة * ولا مال منه أستعف وأفضل
ولكنني أقضي الحياة تجملا * وهل يهلك الانسان الا التجمل

فقال له سعيد قد دنا لومك فعطفت اللائمة علينا ونحن أحق بها وسننظر ان شاء الله تعالى فيما يرفع اللوم عن الجانبين ثم تكلم مع الناصر في شأنه فاجرى له رزقا أغناه عن التكفف فكانت هذه من حسنات سعيد وأياديه * وقال المظفر بن عمر المرواني يمدح المظفر بن المنصور بن ابي عامر

ان المظفر لا يزال مظفرا * حكما من الرحمن غير مبدل
وهو الاحق بكل ما قد حازه * من رفعة ورياسة وتفضل
تلقاه صدرا كلما قلبته * مثل السنان بمحفل وبمحفل

وحضر يوما مع شاعر الاندلس في زمانه ابن دراج القسطلي فقال له القسطلي أنشدني أبياتك التي تقول فيها * على قدر ما يصفو الخليل يكدر * فانشده

تخيرت من بين الانام مهذبا * ولم أدر اني خائب حين أخبر
فمازجني كالراح للماء واغتدى * على كل ما جشمته يتصبر
الى أن دهاني اذ أمنت غروره * سقاها وأدناني لما ليس يذكر
وكدر عيشي بعد صفو وانما * على قدر ما يصفو الخليل يكدر

فاهتز القسطلي وقال والله انك في هذه الابيات لشاعر وأنا أنشدك فيما يقابلها لبلال بن جرير

لو كنت اعلم ان آخر عهدهم * يوم الفراق فعلت ما لم أفعل

ولكن جعل نفسه فاعلا وعرضت نفسك لان يقال انك مفعول فقال ومن اين يلوح ذلك فقال القسطلي من قولك واداني لما ليس يذكر فما يظن في ذلك الا انه اداك الى موضع فعل بك فيه فاغتاظ الاموي وقال يا أبا عمرو من اين جرت العادة بان تمزح معي في هذا الشأن فقال له حلم بني مروان يحملنا على ان نخرق العادة في الحمل على مكارمهم فسكن غيظه * وكتب المرواني المذكور الى صاحب له يستعيره منه دابة يخرج عليها للفرجة والخلاعة انهض الله تعالى سيدي باعباء المكارم ان هذا اليوم قد تبسم افقه بعد ما بكى ودقه وصقلت اصداءه اوراقه وفتحت حدائق احداقه وقام نوره خطيبا على ساقه وفضضت

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ما أطلق تاجر صدق الدعاء سلاح المؤمن خير الامور أوسطها اذا أتاكم الزائر فاكرموه اشفعوا تحمدوا وتؤجروا الايمان الصبر والسماحة أفضلكم أفضلكم معرفة ما هلك امرؤ عن مشورة ما عال امرؤ اقتصد ما هلك امرؤ عرف قدره شر العمى عمى القلب الكذب مجانب للايمان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى من أثنى فقد كفى قلة الحياء كفر المؤمنون هينون لينون شر الندامة يوم القيامة شر المعذرة عند الموت أقيلوا عثرات الكرام اطلبوا الخير عند صباح الوجوه الدنيا حلوة خضرة وان الله مستعملكم فيها فينظر كيف تعملون انتظار الفرج عبادة وكادت الفاقة ان تكون كفرا لم يبق من الدنيا الا بلاء وفتنة في كل عام ترذلون زرغبا تزددحبا الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس أو قال جميع الناس (وقوله) لا يلقى الله احدا الا نادما من عمل خيرا قال يا ليتني ازددت ومن عمل غير ذلك قال يا ليتني قصرت وهذا

مثل قوله اياكم والتسويف وطول الامل فانه كان سبب هلاك الامم وقوله ليس منا من غشنا وهذا القول يحتمل معاني

اخبر عنه بما كان من فعله ويحتمل ان يكون على طريق الزجر والنهى عن الغش وقد قيل غير ذلك والله اعلم مثل ما روى عنه ابو مسعود البدرى قال لا يبقى على وجه الارض بعد مائة احد الامات فاستفاضت هذه الرواية عن ابى مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم فجزع الاكثر فافضى ذلك الى على رضى الله عنه فقال صدق ابو مسعود فيما قال وذهب عنه المراد بذلك وانما مراد النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يبقى على وجه الارض احد بعد رأس مائة ممن رأى النبى صلى الله عليه وسلم الامات وقوله استعينوا على اموركم بالكتمان وعلى قضاء حوائجكم بالاسرار (قال المسعودى) وقد جمع كثير ممن تقدم ومن شاهدناه كثيرا من ألفاظ النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك ذكر ابو اسحق الزجاجى النحوى صاحب أبى العباس المبرد وأبو عبد الله نفطويه وجعفر ابن محمد بن حمدان الموصلى وغيرهؤلاء ممن تقدمهم وتاخر عنهم اوردنا من ذلك فى هذا الكتاب ما سهل ايراده وتأتى لنا ذكره على

غدرانه وتوجت اغصانه وبرزت شمسه من حجابها بعد ما تلفعت بسحابها وتنبه فى ارجاء الروض ارج النسيم وعرف فى وجهه نضرة النعيم وقد دعا كل هذا ناظر اخيك الى ان يجيله فى هذه المحاسن ويجدد نظره فى المنظر الذى هو غير مبتذل والماء الذى هو غير آسن والفحص اليوم احسن ما ملح وابدع ما حزن فيه وجمع فخذلى باعارة ما انهض عليه لمشاهدته وبرفع عنى ثقل الابتذال بمناكبة الانذال لازلت نهاضا بالآمال مسعفا بمراد كل خليل غير مقصر ولا آل * وكتب الامير هشام بن عبد الرحمن الى اخيه عبد الله المعروف بالبلنسى حين فر كتابا يقول فى بعض فصوله والعجب من فرارك دون أن ترى شيأ فخاطبه بجواب يقول فيه ولا تتعجب من فرارى دون ان أرى شيأ الا نى خفت ان ارى مالا اقدر على الفرار بعده ولكن تعجب منى ان حصلت فى يدك بعد ما افلت منك * وقال له وزيره احمد بن شعيب البلنسى اليس من العار أن يبلغ بك الخوف من هذا الصبى ان تجعل بينك وبينه البحر وتترك بلاد ملكك وملك ابيك فقال ما اعرف ما تقول وكل ما وقى به اتلاف النفس ليس بعار بل هو محض العقل واول ما ينظر الاديب فى حفظ راسه فاذا نظر فى ذلك نظر فيما بعده * وقال عبد الله بن عبد العزيز الاموى ويعرف بالحجر

اجعل لنا منك حظا ايها القمر * فانما حظنا من وجهك النظر
رآك ناس فقالوا ان ذا قمر * فقلت كفوا فعندى منهما الخبر
البدر ليس بغير النصف بهجته * حتى الصباح وهذا كله قمر

وقال ابو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثى اباه مروان بن سراج

وكم من حديث للنبى أبانه * والبسه من حسن منطقه وشيا
وكم مصعب للنحو قد راض صعبه * فعاد ذلولا بعد ما كان قد اعيا

وحكى انه دخل بعض شعراء الاندلس على الفقيه سعيد بن اضحى وكان من اعيان غرناطة فمدحه بقصيدة ثم مر موشحة ثم برجل فلم يعطه شيأ بل شكا اليه فقرا حتى انه بكى فاخذ الدواة والقرطاس وكتب ووضع بين يديه

شكا مثال الذى اشكوه من عدم * وساءه مثل ما قد ساءنى فبكى
ان المقل الذى أعطاك دمعته * نعم الجواد فتى اعطاك ما ملكا

وقال ابن خفاجة

نهر كما سال اللمى سلسال * وصبا بليل ذيلها مكسال
ومهب نفحة روضة مطلولة * فيها لافراس النسيم مجال
غازلته والاقحوانة مبسم * والآس صدغ والبنفسج خال

وقال

وساق كميل الطرف فى شأو حسنه * جماح وبالصبر الجميل حران
ترى للصبا نارا بخديه لم تثر * لها من سوادى عارضيه دخان
سقاها وقد لاح الهلال عشية * كما عوج فى درع الكمى سنان
عقار اغاها الكرم فهى كريمة * ولم تزن بابن المزن فهى حصان

حسب الحاجة اليه واستحقاق الموضع له وان كنا قد اتينا على جميع ما يحتاج اليه فى هذه المعانى وقد

وقد حان من جون الغمامة أدهم * له البرق سوط والعنان عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان
ونمت باسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

وقال فى وصف فرس أصفر ولم يخرج عن طريقته

وأشقر تضرم منه الوغى * بشعلة من شعل الباس
من جلنا ر ناضر لونه * وأذنه من ورق الآس
يلمع للغرة فى شقرة * حبابة تضحك فى الكاس

وقال أبو بكر محمد بن سهل البكى يهجو

أعد الوضوء اذا نطقت به * مستعجلا من قبل أن تنسى
واحفظ ثيابك ان مررت به * فالظل منه ينجس الشمسا

وقال ابن اللبانة

أبصرته قصر فى المشيه * لما بدت فى خده لحيه
قد كتب الشعر على خده * أو كالذى مر على قريه

وقال الوزير الكاتب أبو محمد عبد الغفور الاشبيلى فى الامير الكبير أبى بكر سير من أمراء المرابطين وكتب بها اليه فى غزاة غزاها

سر حيث سرت يحفه النوار * وأراك فيه مرادك المقدار
واذا ارتحلت فشيعتك سلامة * وغمامة لاديمة مدرار
تنفى الهجير بظلها وتنيم بالرش القتام وكيف شئت تدار
وقضى الالاه بان تعود مظفرا * وقضت بسيفك نحرها الكفار

هذا غير ما تمناه الجعفى حيث قال حيث ارتحلت وديمة وما تكاد تنفذ معها عزيمة واذا سفعت على ذى سفر فما أراها بان تعوق عن الظفر ونعتها بمدرار فكان ذلك أبلغ فى الاضرار وما أحسن قول القائل

فسر ذا راية خفقت بنصر * وعد فى جحفل بهج الجمال
الى حمص فانت بها حلى * تغاير فيه ربات الحجال

وقال الحجارى فى المسهب كتبت الى القاضى أبى عبد الله محمد اللوشى أستدعى منه شعره لاكتبه فى كتابى فتوقف عن ذلك وانقبض عنى فكتبت اليه

يا مانعا شعره عن سمع ذى أدب * نأى المحل بعيد الشخص مغترب
يسير عنك به فى كل مرتحل * كما يمر نسيم الريح بالعذب
انى وحقك أهل أن أفوز به * واسأل فديتك عن ذاتى وعن أدبى

فكان جوابه

يا طالبا شعر من لم يسم فى الادب * ماذا تريد بنظم غير منتخب
انى وحقك لم أبخل به صلفا * ومن يضن على جيد بمختلب
لكننى صنت هذرى عن روايته * فمثله قل عن سام الى الرتب

(باب ذكر خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه)

قال المسعودى ثم بايع الناس أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى سقيفة بنى ساعدة بن كعب ابن الخزرج الانصارى فى يوم الاثنين الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة مستوفيا العمر النبى صلى الله عليه وسلم وهذا اتفاق فى سائر الروايات على ما ذكرنا وكان مولد أبى بكر بعد الفيل بثلاث سنين وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ودفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك قالت عائشة وقد قيل ان أبا بكر كانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من أيامهم ومقادير ولايتهم وكذلك نفرد بعد ما نورده فى هذا الكتاب بعد ذكرنا الايام بنى أمية وبنى العباس بابا نذكر فيه جميع التاريخ

 نى الثانى من الهجرة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى خلافة أبى اسحق المتقى

خذه اليك كما أكرهت مضطربا * محملا ذم مولاه مدى الحقب

قال ثم كتب لى مما أتحفنى به من نظمه محاسن أبهى من الاقمار وأرق من نسيم الاسحار وقال صالح بن شريف فى البحر وهو أحسن ما قيل فيه

البحر أعظم مما أنت تحسبه * من لم ير البحر يوما ما رأى العجبا
طام له حبب طاف على زرق * مثل السماء اذا ما ملئت شهبا

وقال أيضا

ما أحسن العقل وآثاره * لو لازم الانسان ايثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه * كما يصون الحر أسراره
لاسيما ان كان فى غربة * يحتاج أن يعرف مقداره

وقال ابن برطلة

خطوب زمانى ناسبتنى غرابة * لذلك يرمينى بهن مصيب
غريب أصابته خطوب غريبة * وكل غريب للغريب نسيب

وهذا من أحسن التضمين الذى يزرى بالدر الثمين ودخل ابن بقى الحمام وفيه الاعمى التطيلى فقال له أجز

حمامنا كزمان القيظ محتدم * وفيه للبرد بر دغير ذى ضرر

فقال الاعمى

ضدان ينعم جسم المرء بينهما * كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

ولا يخفى حسن ما قال الاعمى * وقد ذكر فى بدائع البدائه البيتين معا منسوبين الى ابن بقى ولنذكر كلامه برمته لما اشتمل عليه من الفوائد ونصه ذكر ابن بسام قال دخل الاديبان أبو جعفر بن هريرة التطيلى المعروف بالاعمى وأبو بكر بن بقى الحمام فتعاطيا العمل فيه فقال الاعمى

ياحسن حمامنا وبهجته * مرأى من السحر كله حسن
ماء ونار حماهما كنف * كالقلب فيه السرور والحزن

ثم أعجبه المعنى فقال

ليس على لهونا مزيد * ولا لحمانا ضريب
ماء وفيه لهيب نار * كالشمس فى ديمة تصوب
وأبيض تحته رخام * كالثلج حين ابتدا يذوب

وقال ابن بقى حمامنا فيه فصل القيظ البيتين فقال الاعمى وقد نظر فيه الى فتى صبيح

هل استهالك جسم ابن الامير وقد * سالت عليه من الحمام أنداء
كالغصن باشر حر النار من كثب * فظل يقطر من أعطافه الماء

قلت تذكرت هنا عند ذكر الحمام ما حكاه بدر الدين الحسن بن زفير الاربلى المتطبب اذ قال رأيت ببغداد فى دار الملك شرف الدين هرون ابن الوزير الصاحب شمس الدين محمد الجوينى حماما متقن الصنعة حسن البناء كثير الاضواء قد احتفت به الازهار والاشجار فادخلنى

مقادير السنين والشهور والايام وتبيين تاريخ أصحاب السير والاخبار بين وغيرهم اذ كان التفاوت بين الفريقين ومعولنا فى ذلك على ما ذكره أصحاب الزيجات

(ذكر نسبه ولمع من اخباره وسيره)

كان اسم أبى بكر رضى الله عنه عبد الله بن عثمان وهو أبو قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب وفى مرة يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ولقبه عتيق لبشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه عتيق الله من النار فسمى يومئذ عتيقا وقيل انما سمى عتيقا لعتق امهاته واستخلف وأبوه فى الحياة وكان أزهد الناس وأكثرهم تواضعا فى أخلاقه ولباسه ومطعمه ومشربه وكان لبسه فى خلافته الشملة والعباءة وقدم اليه زعماء العرب واشرافهم وملوك اليمن وعليهم الحلل وبرد الوشى المثقل بالذهب والتيجان والحبرة فلما شاهدوا ما عليه من اللباس والزهد والتواضع والنسك وما هو عليه من الوقار والهيبة ذهبوا مذهبه ونزعوا مما كان عليهم (وكان ممن وفد عليه) من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير اليه

اليه سائسه وذلك بشفاعة الصاحب بهاء الدين بن الفخر عيسى المنشئ الاربلي وكان سائس هذا الحمام خادما حبشيا كبير السن والقدر فطاف بي عليه وأبصرت مياهه وشبابيكه وأنابيبه المتخذ بعضها من فضة مطلية بالذهب وغير مطلية وبعضها على هيئة طائر اذا خرج منها الماء صوّت باصوات طيبة ومنها أحواض رخام بديعة الصنعة والمياه تخرج من سائر الانابيب الى الاحواض ومن الاحواض الى بركة حسنة الاتقان ثم منها الى البستان ثم أراني نحو عشر خلوات كل خلوة منها صنعتها أحسن من صنعة اختها ثم انتهى بي الى خلوة عليها باب متقفل بقفل حديد ففتحه ودخل بي الى دهليز طويل كله مرخم بالرخام الابيض الساذج وفي صدر الدهليز خلوة مربعة تسع بالتقريب أربعة أنفس اذا كانوا قعودا وتسع اثنين اذا كانوا نياما ورأيت من العجائب في هذه الخلوة أن حيطانها الاربعة مصقولة صقالا لافرق بينه وبين صقال المرآة يرى الانسان سائر بشرته في اي حائط شاء منها ورأيت ارضها مصورة بفصوص حمر وصفر وخضر ومذهبة وكلها متخذة من بلور مصبوغ بعضه اصفر وبعضه احمر فاما الاخضر فيقال انه حجارة تاتي من الروم واما المذهب فزجاج ملبس بالذهب وتلك الصور في غاية الحسن والجمال على هيئات مختلفة في اللون وغيره وهي ما بين فاعل ومفعول به اذا نظر المرء اليها تحركت شهوته وقال لي الخادم السائس هذا صنع على هذه الصفة لخدومي حتى انه اذا نظر الى ما يفعل هؤلاء بعضهم مع بعض من المجامعة والتقبيل ووضع ايدي بعضهم على العجاز بعض تتحرك شهوته سريعا فيبادر الى مجامعة من يحبه قال الحاكي وهذه الخلوة دون سائر الخلوات التي دخلت اليها مخصوصة بهذا الفعل اذا اراد الملك شرف الدين هرون الاجتماع في الحمام بمن يهواه من الجواري الحسان والصور الجميلة والنساء الفائقات الحسن لم يجتمع به الا في هذه الخلوة من اجل انه يرى كل محاسن الصور الجميلة مصوّرة في الحائط ومجسمة بين يديه ويرى كل منهما صاحبه على هذه الصفة ورأيت في صدر الخلوة حوض رخام مضلع وعليه انبوب مركب في صدره وانبوب آخر برسم الماء البارد والانبوب الاول برسم الماء الفاتر وعن يمنة الحوض ويساره عمدان صغار منحوتة من البلور يوضع عليهما باخر النقل والعود وابصرت منها خلوة شديدة الضياء مفرحة بديعة قد أنفق عليها اموال كثيرة وسألت الخادم عن تلك الحيطان المشرقة المضيئة من اي شئ صنعت فقال لي ما اعلم قال الحاكي فما رأيت في عمري ولا سمعت بمثل تلك الخلوة ولا باحسن من ذلك الحمام مع أني ما أحسن ان اصفهما كما رأيتهما فانه لم تتكرر رؤيتي لهما ولا اتفق لي الظفر بصناعتهما ومباشرتهما وفي الذي ذكرت كفاية انتهى وما اتصل أبو القاسم علي بن أفلح البغدادي الكاتب بامير المؤمنين المسترشد بالله العباسي ولقبه جمال الملك وأعطاه أربع ديار في درب الشاكرية اشترى دورا أخرى الى جانبها وهدم الكل وأنشأ داره الكبيرة وأعانه الخليفة في بنائها وأطلق له أموالا وآلات البناء وكان في جملة ما أطلق له مائتا ألف آجرة وأجريت الدار بالذهب وصنع فيها الحمام العجيب الذي فيه بيت مستراح فيه أنبوب ان فركه الانسان يمينا خرج ماء حار وان فركه شمالا خرج ماء بارد وكان على ايوان الدار مكتوبا

والحلي فلما شاهد من ابي بكر ما وصفنا ألقى ما كان عليه وتزيا بزيه حتى انه رؤي يوما في سوق من اسواق المدينة على كتفيه جلد شاة ففزعت عشيرته وقالوا له فضحتنا بين المهاجرين والانصار قال فاردتم ان اكون ملكا جبارا في الجاهلية جبارا في الاسلام لا ها الله لا تكون طاعة الرب الا بالتواضع لله والزهد في هذه الدنيا وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعدا لتكبر وتذللوا بعد التجبر (وبلغ) ابا بكر رضي الله عنه عن ابي سفيان صخر بن حرب امر فأحضره واقبل يصيح عليه وابو سفيان يتملقه ويتذلل له وأقبل أبو قحافة فسمع صياح أبي بكر فقال لقائده على من يصيح ابني فقال له على أبي سفيان فدنا من أبي بكر وقال له أعلى أبي سفيان ترفع صوتك يا عتيق لقد تعديت طورك وجزت مقدارك فتبسم أبو بكر ومن حضره من المهاجرين والانصار وقال له يا أبت ان الله قد رفع بالاسلام قوما وأذل به آخرين (ولم يتقلد) الخلافة وابو مباق غير أبي بكر (وام ابي بكر) سلمى وتكنى ام الخير بنت صخر بن عمر بن عامر بن كعب بن اسعد بن تيم بن مرة (وارتدت العرب) بعد استخلافه بعشرة ايام (وكان له) من الولد

ان عجب المرؤن من ظاهري * فباطني لو علموا أعجب
شيدني من كفه مزنة * يهمل منها العارض الصيب
وديجت روضة أخلاقه * في رياضا نورها مذهب
صدر كما صدري من نوره * شمسا على الايام لا تغرب

وكتب على الطرز

ومن المروءة للفتى * ما عاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخره
هاتيك وافية بما * وعدت وهذي ساخره

وكتب على النادي

وناد كأن جنان الخلود * أعارته من حسنها رونقا
وأعطته من حادثات الزما * ن أن لا تسلم به موثقا
فاضحى يتيه على كل ما * بنى مغربا كان أو مشرقا
تظل الوفود به عكفا * وتمسي الضيوف به طرقا
بقيت له يا جمال الملو * ك والفضل مهما أردت البقا
وسالمه فيك ريب الزمان * ووقيت فيه الذي يتقي انتهى

وعلى ذكر الحمام فما أحكم قول ابن الوردي فيما أظن

وما أشبه الحمام بالموت لامرئ * تذكر لكن أين من يتذكر
يجرد عن أهل ومال وملبس * ويحجبه من كل ذلك مئزر

وقال الشهاب بن فضل الله

وحمامكم كعبة للوفود * تحج اليه حفاة عراه
يكر رصوت أنابيبه * كتاب الطهارة باب المياه

وقد تمثل بهذين البيتين البرهان القيراطي في جواب كتاب استدعاه فيه بعض أهل عصره الى الحمام وافتتح الجواب بقوله

قد أجبنا وأنت أيضا فصبحت بصبحي سوالف وسلاف

وبساق يسبي العقول بساق * وقوام وفق العناق خلافي

ووصله بنثر تمثل فيه بالبيتين كما مر ولبعضهم

ان حامانا الذي نحن فيه * أي ماء به وأية نار
قد نزلنا به على ابن معين * وروينا عنه صحيح البخاري

وألغز بعضهم في الحمام بقوله

ومنزل أقوام اذا ما تقابلوا * تشابه فيه وغده ورئيسه
بنفس كربي اذ بنفس كربه * وبعظم أنسي اذ يقل أنيسه
أذا ما أعرت الجو طرفا تكاثرت * على من به أقماره وشموسه

(رجع) الى ما كنا فيه من كلام أهل الاندلس فنقول وكان محمد بن خلف بن موسى البيري

الى خلافة أبي بكر ومات في خلافته وخلف سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر ولا عقب لعبد الله وأما عبد الرحمن ابن أبي بكر فانه شهد مع المشركين ثم أسلم فحسن اسلامه ولعبد الرحمن أخبار وله عقب كثير بدو وحضر من ناحية الحجاز مما يلي الجادة من طريق العراق في الموضع المعروف بالصفيان والمسح ومحمد ابن أبي بكر أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ومنها عقب جعفر بن أبي طالب وخلف عليها حين استشهد عبد الله وعونا ومحمدا ابني جعفر فقتل عون ومحمد ابنا جعفر بالطف مع الحسين ابن علي ولا عقب لهما وعقب عبد الله بن جعفر على واسمعيل واسحق ومعاوية وتزوجها بعده أبو بكر الصديق فخلف منها محمدا ثم تزوجها علي بن أبي طالب فولدها أولادا درجوا ولا عقب له منها وأم أسماء الجحوز الخرشية كان لها أربع بنات وهذه الجحوز أكثر الناس أصهارا كانت ميمونة الهلالية تحت النبي صلى الله عليه وسلم وأم الفضل تحت العباس بن عبد المطلب وسلمى تحت حمزة بن عبد المطلب وخلف منها بنتا وأسماء تحت من ذكرنا وأم جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فروة بنت القاسم

متكلما متفقها برأي الاشعرية وذاكر الكتب الاصول في الاعتقاد مشاركا في الادب مقدما في الطب ومن نظمه يمدح امام الحرمين رحمه الله تعالى

حب حبر يكنى أبا المعالى * هو ديني ففيه لا تعذلوني
أنا والله مغرم بهواه * علموني بذكره علموني

وكتب أبو الوليد بن الجنان الشاطبي يستدعي بعض اخوانه الى مجلس أنس بما صورته نحن في مجلس أغصانه النداما وغمامه الصبا فبالله الا ما كنت لروض مجلسنا نسيما ولزهر حدينا شميما وللجسم روحا وللطيب ريحا وبيننا عذراء زجاجتها خدرها وحبابها ثغرها بل شقيقة حوتها كمامة أو شمس حجبتها غمامة اذا طاف بها معصم الساقي فوردة على غصنها أو شربها مقهقهة فخمامة على فنها طافت علينا طوفان القمر على منازل الحلول فاتت وحياتك الكيلنا وقد آن حلولها في الاكليل انتهى وقال أبو الوليد المذكور

فوق خد الورد دمع * من عيون السحب يذرف
برداء الشمس أضحى * بعد ما سال يجفف

وتذكرت هنا ما ذكره ما حكاه الشيخ ابو البركات هبة الله بن محمد النصيبي المعروف بالوكيل وكان شيخا ظريفا فيه آداب كثيرة اذ قال كنت في زمن الربيع والورد في داري بنصيبين وقد احضر من بستاني من الورد والياسمين شيء كثير وعملت على سبيل الولع دائرة من الورد تقابلها دائرة من الياسمين فاتفق أن دخل علي شاعران كانا بنصيبين احدهما يعرف بالمهذب والآخر يعرف بالحسن بن البرقعيدي فقلت لهما اعملا في هاتين الدائرتين ففكرا ساعة ثم قال المهذب

يا حسنها دائرة * من ياسمين مشرق
والورد قد قابلها * في حلة من شفق
كعاشق وجبه * تعانقا بالحدق
فاحمر ذا من خجل * واصفر ذا من فرق

قال فقلت للحسن هات فقال سبقني المهذب الى مدلجته في هذا المعنى وهو قولي

يا حسنها دائرة * من ياسمين كالحلى
والورد قد قابلها * في حلة من خجل
كعاشق وجبه * تعانقا بالقبل
فاحمر ذا من خجل * واصفر ذا من وجل

قال فعجبت من اتفاقهما في سرعة الاتحاد والمبادرة الى حكاية الحال انتهى ومما الطف قول بعضهم

أرى الورد عند الصبح قد مد لي يدا * يشير الى التقبيل في حالة اللمس
وبعد زوال الشمس ألقاه وجنة * وقد أثرت في وسطها قبلة الشمس

وقال ابن ظافر في بدائع البدائه اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة والاديب أبو العباس بن صارة الاندلسيان في يوم جلا ذهب برقه واذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس

وسنذكر خبره فيما يرد من هذا الكتاب ومقتله في ايام معاوية بن ابي سفيان (ومات ابو قحافة) في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو ابن تسع وتسعين سنة وذلك في سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهي السنة التي استخلف فيها عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وقد قيل انه مات في سنة اربع عشرة (ولما بويع) ابو بكر في يوم السقيفة وجددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج على فقال أفسدت علينا امورنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقا فقال ابو بكر بلى ولكن خشيت الفتنة وكان للمهاجرين والانصار يوم السقيفة خطب طويل ومحادثة في الامامة وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع فصار الى الشام فقتل هناك في سنة خمس عشرة وليس كتابنا هذا موضعا لخبر مقتله ولم يبايعه احد من بني هاشم حتى ماتت فاطمة رضي الله تعالى عنها ولما ارتدت العرب الا اهل المسجدين ومن بينهما وانا سا من العرب قدم عدي ابن حاتم باهل الصدقة الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فني ذلك يقول الحرث ابن مالك الطائي وفينا وفاء لم ير الناس مثله * وسربلنا امجدا عدي بن حاتم وكان ابو بكر رضي الله عنه قد سمته اليهود

السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فقال ابن القبطرنة

هذى البسيطة كاعب أبرادها * حلل الربيع وحليها النوار

فقال ابن صارة

وكأن هذا الجو فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

ثم قال ابن صارة أيضا

واذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

فقال ابن القبطرنة

من أجل ذلة ذا وعزة هذه * يبكى الغمام وتضحك الازهار

وتذكرت هنا ما حكاه ابن ظافر فى الكتاب المذكور انه اجتمع مع القاضى الاعز يوما فقال له ابن ظافر أجز طار نسيم الروض من وكر الزهر فقال الاعز وجاء مبلول الجناح بالمطر انتهى ويعجبنى قول ابن قرناص

أظن نسيم الروض والزهر قد روى * حديثا ففاحت من شذاه المسالك

وقال دنا فصل الربيع فكله * ثغور لما قال النسيم ضواحك

(رجع) الى الاندلسيين وما أرق قول ابن الزقاق

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح

زرتها والغمام يجلد منها * زهرات تفوق لون الراح

قلت ماذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال أبو اسحق بن خفاجة

تعلقته نشوان من خمر ريقه * له رشفها دونى ولى دونه السكر

ترقرق ماء مقلتاى و وجهه * ويذكى على قلبى ووجنته الجمر

أرق نسيبى فيه رقة حسنه * فلم أدر أى قبلها منهما السحر

وطبنا معا شعرا وثغرا كانما * له منطقى ثغره ولى ثغره شعر

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز

وقائلة ما بال مثلك خامل * أ أنت ضعيف الرأى أم أنت عاجز

فقلت لها ذنبى الى القوم أننى * لما لم يحوزوه من المجد حائز

وما فاتنى شئ سوى الحظ وحده * وأما المعالى فهى عندى غرائز

وقال جد بقلبى وعبث * ثم مضى وما اكترث

واحربا من شاد ن * فى عقد الصبر نفث

يقتل من شاء بعيـ * ـنيه ومن شاء بعث

وقال الفاضل البليغ يحيى بن هذيل أحد أعيان شعراء الاندلس

نام طفل النبت فى حجر النعامى * لاهتزاز الطل فى مهد الخزامى

وسقى الوسمى أغصان النقا * فهوت تلثم أفواه الندامى

كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا فى وجنة الصبح لثاما

عشر يوما ولما احتضر قال ما انا الا على ثلاث فعلتها وددت انى تركتها وثلاث تركتها وددت أنى فعلتها وثلاث وددت انى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فاما الثلاث التى فعلتها وودت أنى تركتها فوددت انى لم أكن فتشت بيت فاطمة وذكر فى ذلك كلاما كثيرا ووددت انى لم أكن حرقت الفجاءة واطلقته نجيحا أو قتلته صريحا ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة قد رميت الامر فى عنق أحد الرجلين فكان أميرا وكنت وزيرا والثلاث التى تركتها ووددت أنى فعلتها وددت أنى يوم أتيت بالاشعث بن قيس أسيرا ضربت عنقه فانه قد خيل لى أنه لا يرى شرا الا أعانه ووددت أنى كنت قد قذفت المشرق لعمر ابن الخطاب فكنت قد بسطت يمينى وشمالى فى سبيل الله ووددت أنى يوم جهزت جيش الردة ورجعت أقمت مكانى فان سلم المسلمون سلموا وان كان غير ذلك كنت صددا للقناء أو مددا وكان أبو بكر قد بلغ مع الجيش مرحلة من المدينة وهو الموضع المعروف بذى القصة والثلاث التى وددت أنى سألت رسول الله صلى الله

تحسب البدر محيا ثم قد سقته راحة الصبح مداما
حوله الزهر كؤس قد غدت مسك الليل عليهن ختاما

وتذكرت هنا قول الآخر وأظنه مشرقيا

بكر العارض تحدوه النعامى فسقاك الرى يا دار أماما
وتمشت فيك أرواح الصبا يتأرجن بانفاس الخزامى
قد قضى حفظ الهوى أن تحمى للمحبين مناخا ومقاما
وبجرعاء الحمى قلبي فعج بالحمى واقر أعلى قلبي السلاما
وترحل فتحدث عجبا ان قلبا سار عن جسم أقاما
قل لجيران الغضى آها على طيب عيش بالغضى لو كان داما
حملوا ريح الصبا من نشركم قبل أن تحمل شيحا وثماما
وابعثوا أشباحكم لى فى الكرى ان أذنتم لجفونى أن تناما

وخرج بعض علماء الاندلس من قرطبة الى طليطلة فاجتاز بجزيرة عكاشة الشجاع المشهور الذى ذكرنا فى هذا الباب ما يدل على شجاعته وقوته وأيده بقلعة رباح فنزل بخارجها فى بعض جنباتها وكتب اليه

يا فريدا دون ثان وهلالا فى العيان
عدم الراح فصارت مثل دهن البلسان

فبعث اليه بها وكتب معها

جاء من شعرك روض حاده صوب اللسان
فبعثناها سلافا كسجايا لك الحسان

وقال الوزير أبو عامر بن شهيد يتغزل

أصباح شيم أم برق بدا أم سنى المحبوب أو ري ازندا
هب من مرقده منكسرا مبلبلا لكم مرخى الردا
يمسح النعسة من عينى رشا صائدى فى كل يوم أسدا
أوردته لطفا آياته صفوة للعيش أرعته ددا
فهو من دل عراه زبدة من مريح لم تخالط زبدا
قلت هب لى يا حبيبى قبلة تشف من عمك تبريح الصدى
فانثنى يهتز من منكبه مائلا لطفا وأعطانى اليدا
كلما كلمنى قبلته فهو اما قال قولا ردا
كاد أن يرجع من لثمى له وارتشاف الثغر منه أزردا
واذا استنجزت يوما وعده أمطل الوعد وقال اصبر غدا
شربت أعطافه ماء الصبا وسقاه الحسن حتى عربدا
فاذا بت به فى روضة أغيد يغزو بنانا أغيدا
قام فى الليل بجيد أتلع ينفض اللمة من دمع الندى

فان بنفسي منهما حاجة ووددت اني سألته هل للانصار فى هذا نصيب فنعطيهم اياه وخلف من البنات اسماء ذات النطاقين وهى أم عبد الله بن الزبير وعمرت مائة سنة حتى عميت وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم (وقد تنوزع فى بيعة على) بن ابى طالب اياه فمنهم من قال بايعه بعد موت فاطمة بعشرة ايام وذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنيف وسبعين يوما وقيل بثلاثة اشهر وقيل ستة وقيل غير ذلك ولما نفذ ابو بكر الامر الى الشام كان فيما وصى به يزيد بن ابى سفيان وهو مشيع له فقال له اذا قدمت على أهل عملك فعدهم الخير وما بعده واذا وعدت فانجز ولا تكثرن عليهم الكلام فان بعضه ينسى بعضا وأصلح نفسك تصلح الناس لك واذا قدمت عليك رسل عدوك فأكرم منزلتهم فانه اول خبرك اليهم وأقلل جلوسهم حتى يخرجوا وهم جاهلون بما عندك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن انت الذى تلى كلامهم ولا تجعل سرك مع علانيتك فيخرج عملك واذا استشرت فاصدق الخبر تصدق لك المشورة ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك واذا بلغك عن العدو عورة فاكتمها حتى تعاينها

ومكان عازب عن جيرة * أصدقاء وهم عين العدا
ذي نبات طيب أعراقه * كعذار الشعر في خد بدا
تحسب الهضبة منه جبلا * وحدو الماء منه أبردا

وقال يرثي القاضي ابن ذكوان نجيب ذلك الاوان وقد افتن في الآداب وسن فيها سنة ابن داب وما فارق ربيع الشباب شرخه ولا استعبد في الكهولة عفاره ولا مرخه وكان لابي عامر هذا قسيم نفسه ونسيم أنسه

ظننا الذي نادى محقا بموته * لعظم الذي أنحى من الرزء كاذبا
وخلنا الصباح الطلق ليلا وانما * هبطنا خدارا من الحزن كاربا
ثكلنا الدنا لما استقل وانما * فقدناك ياخير البرية نائبا
وماذهبت اذ حل في القبر نفسه * ولكنما الاسلام أدبر ذاهبا
ولما أبى الا التحمل رائما * مخناه أعناق الكرام ركائبا
يسير به النعش الاعز وحوله * أباعد كانوا للمصاب أقاربا
عليه حفيف للملائك أقبلت * تصافح شيخا ذاكر الله تائبا
تخال لفيف الناس حول ضريحه * خليطا تخطى في الشريعة هاربا
اذا ما امتروا سحب الدموع تقرعت * فروع البكا عن بارق الحزن لاهبا
فمن ذا الفصل القول يسطع نوره * اذا نحن ناوينا الالد المناوبا
ومن ذا يبيع المسلمين بقوتهم * اذا الناس شاموها بروقا كواذبا
فيالهف قلبي آه ذابت حشاشتي * مضى شيخنا الدفاع عنا النوائبا
ومات الذي غاب السرور لموته * فليس وان طال السرى منه آيبا
وكان عظيما يطرق الجمع عنده * ويعنو لرب الكتيبة هائبا
وذا مقول عضب الغرارين صارم * يروح به عن حومة الدين ضاربا
أباحاتم صبرا الاديم فاني * رأيت جميل الصبر أحلى عواقبا
ومازلت فينا ترهب الدهر سطوة * وصعبا به تعيي الخطوب المصاعبا
ساستعتب الايام فيك لعلها * لصحة ذاك الجسم تطلب طالبا
لئن أفلت شمس المكارم عنكم * لقد أسأرت بدر المعاوكوا كبا

قال في المطمح ودبت الى أبي عامر بن شهيد أيام العلويين عقارب برئت بها منه أباعد وأقارب واجهه بها صرف قطوب وانبرت اليه منها خطوب نبا لها جفنه عن المضجع وبقي بها الى يأرق ولا يهجع الى أن أعلقت في الاعتقال آماله وعقلته في عقال أذهب ماله فاقام مرتهنا ولقي وهنا وقال

قريب بمحتل الهوان مجيد * يجود ويشكو حزنه فيجيد
صبره عند الامام فيماله * عد ولابناء الكرام حسود
وماضره الافراح ورقة * ثنته سفيه الذكر وهو رشيد
جنى ماجنى في قبة الملك غيره * وطوق منه بالعظيمة جيد

من سوالك (وقد اعرضنا) عن ذكر كثير من الاخبار في هذا الكتاب طلبا للاختصار والايجاز (منها) خبر العنسي الكذاب المعروف بالهيعة وما كان من خبره باليمن وصنعاء وتنبيه ومقتله وما كان من فيروز وغيره من الابناء في امرهم وخبر طليحة وتنبيه وخبر سجاح بنت الحرث بن سويد وقيل بنت غطفان وتكنى ام صادرة وهي التي يقول فيها قيس بن عاصم

اضحت نبيتنا انثى نطيف بها
واصبحت انبياء الناس ذكرانا

(وفيها يقول الشاعر)

اضل الله سعي بني تميم
كما ضلت بخطبتها سجاح

وقد كانت مع ادعائها النبوة مكذبة بنبوة مسيلمة الكذاب ثم آمنت بنبوته وكانت قبل ادعائها النبوة متكهنة تزعم ان سبيلها سبيل سطيح والمأمون الحارثي وعمرو بن يحيى وغيرهم من الكهان وصارت الى مسيلمة فنكحها وما كان من خبر مسيلمة كذاب اليمامة وحربه لخالد بن الوليد وقتل وحشي له مع رجل من الانصار وذلك في سنة احدى عشرة وما كان من امره مع الانصار في يوم سقيفة بني ساعدة والمهاجرين

وما في الا الشعر أثبته الهوى * فسار به في العالمين مريد
أفوه بمالم آته متعرضا * لحسن المعاني تارة فازيد
فان طال ذكري بالمجون فانها * عظائم لم يصبر لهن جليد
وهل كنت في العشاق أول عاقل * هوت بحجاه أعين وخدود
فراق وشحو واشتياق وذلة * وجبار حفاظ على عتيد
فمن يبلغ الفتيان أني بعدهم * مقيم بدار الظالمين وحيد
مقيم بدار سا كنوها من الاذى * قيام على جمر الجمام قعود
ويسمع للعيات في جنباتها * بسيط كترجيع الصبا ونشيد
ولست بذي قدير وانما * على اللفظ من سخط الامام قيود
وقلت لصداح الجمام وقد بكى * على القصر الفا والدموع تجود
ألا أيها الباكي على من تحبه * كلانا معنى بالخلاء فريد
وهل أنت دان من محبيك ناي به * عن الالف سلطان عليه شديد
فصفق من ريش الجناحين واقفا * على القرب حتى ما عليه مزيد
ومازال يبكيني وأبكيه جاهدا * وللشوق من دون الضلوع وقود
الى أن بكى الجذلان من طول شجونه * وأجهش باب جانباه حديد
أطاعت أمير المؤمنين كتائب * تصرف في الاموال كيف تريد
فللشمس عنها بالنهار تاخر * وللبدر شحنا بالظلام عدود
الا انها الايام تلعب بالفتى * نحوس تهادى تارة وسعود
وما كنت ذا أيد فاذ عن ذا قوى * من الدهر مبد صرفه ومعيد
وراضت صعابي سلوة علوية * لها بارق نحو الندى ورعود
تقول التي من بينها كف مركبي * أقربك دان أم منالك بعيد
فقلت لها أمري الى من سمت به * الى المجد آباءله وجدود

ثم قال ولزمته آخر عمره علة دامت به سنين ولم تفارقه حتى ترکته يدجنين وأحسب أن الله أراد بها تمحيصه واطلاقه من ذنب كان قنيصه فطهره تطهيرا وجعل ذلك على العقوله ظهيرا فانها أقعدته حتى حل في المحفة وعاودته حتى غدت لرونقه مشتفة وعلى ذلك فلم يعطل لسانه ولم يبطل احسانه ولم يزل يستريح الى القول ويريح مما كان يجده من الغول وآخر شعر قاله قوله

ولما رأيت العيش لوى برأسه * وأيقنت أن الموت لاشك لاحق
تمنيت أني ساكن في عباءة * باعلى مهب الريح في رأس شاهق
أردد سقيط الطل في فضل عيشتي * وحيدا وأحسو الماء ثني المعالق
خليلي من رام المنية مرة * فقد رمتها خمسين قولة صادق
كاني وقد حان ارتحالي لم أنز * قديما من الدنيا بلمحة بارق
فمن مبلغ عني ابن حزم وكان لي * يدا في ملماتي وعند مضايقي

والله ان شئتم لنعيدنها جذعة

وقصة سعد بن عبادة وما كان من بشر بن سعد وتخلي الاوس عن معاضدة سعد خوفا أن يفوز بها الخزرج وأخبار من قعد عن البيعة ومن بايع وما قالت بنو هاشم وما كان من قصة فدك وما قاله أصحاب النص والاخبار في الامامة وما قالوه في امامة المفضول وغيره وما كان من فاطمة وكلامها متمثلة حين عدلت الى قبر أبيها عليه السلام من قبر صفية بنت عبد المطلب

قد كان عندك أنباء وهينمة
لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

الى آخر الشعر الى غير ذلك مما تركنا ذكره من الاخبار في هذا الكتاب اذ كنا قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن ذكره ههنا والله أعلم

(ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

وبويع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما أن دخلت سنة ثلاث وعشرين خرج حاجا فاقام الحج في تلك السنة ثم أقبل حتى دخل المدينة فقتله فيروز أبو

لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين فكانت ولايته

عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال وقتل في صلاة الصبح وهو ابن ثلاث وستين سنة ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر عند رجلي النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان قبورهم مسطرة ابو بكر الى جنب النبي صلى الله عليه وسلم وعمر الى جنب أبي بكر وحج في خلافته سع حجج وبعد أن قتل صلى بالناس عبد الرحمن بن عوف وجعلها شورى الى ستة وهم علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن ابن عوف وصلى عليه صهيب الرومي وكانت الشورى بعد ثلاثة أيام

(ونذكر نسبه واعمامن أخباره وسيره)

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن فرط ابن رياح بن عبد الله بن رداح بن عدي بن كعب وفي كعب يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكانت سوداء وأسلمي الفاروق لانه فرق بين الحق والباطل وكنيته أبو حفص وهو أول من سمي بامير المؤمنين سماه عدي ابن حاتم وقيل غيره والله أعلم وكان أول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة وأول من دعاه بهذا الاسم على المنبر أبو موسى الاشعري فلما قرئ ذلك على عمر قال اني لعبد الله وانى لامير المؤمنين الحمد لله رب العالمين وكان متواضعا خشن

عليك سلام الله اني مفارق * وحسبك زادا من حبيب مفارق
فلا تنس تابيني اذا ما ذكرتني * وتذكار أيامي وفضل خلائقي
وحرك له بالله مهما ذكرتني * اذا غيبوني كل سهم غرائق
عسى هامتي في القبر تسمع بعضه * بترجيع شادا و بتطريب طارق
فلي في ادكاري بعد موتي راحة * فلا تمنعوها لي علالة زاهق
واني لارجو الله فيما تقدمت * ذنوبي به مما درى من حقائق

وكان أبو مروان عبد الملك بن حصن مستوليا على وزارة ابن عبدة ولسانه ينشد

وشيدت مجدي بين أهلي ولم أقل * ألا ليت قومي يعلمون صنيعي

وهيا ابن ذي النون بقوله

تلقبت بالمأمون ظلما وانني * لآمن كل ما حيث لست مؤمنه
حرام عليه أن يجود ببشره * وأما الندى فاندب هنالك مدفنه
سطور المخازي دون أبواب قصره * بحجابه للقاصدين معنونه

فلما تمكن منه المأمون سجنه فكتب الى ابن هود من أبيات

أيارا كب الوجناء بلغ تحيتي * أمير جذام من أسير مقيد
ولما دهتني الحادثات ولم أجد * لها وزرا أقبلت نحوك أعتدي
ومثلك من يعدي على كل حاث * رمى بسهام للردى لم ترصد
فعلك أن تخلو بفكرك ساعة * لتنقذني من طول هم مجدد
وها أنا في بطن الثرى وهو حامل * فيسرع على رقي الشفاعة مولدي
حنانيك ألفا بعد ألف فانني * جعلتك بعد الله أعظم مقصدي
وأنت الذي يدري اذا رام حاجة * تنسل بها الآراء من حيث يهتدي

فرق له ابن هود وتحيل حتى خلصه بشفاعته فلما قدم عليه أنشده

حياتي موهو بة من علا كا * وكيف أرى عادلا عن ذرا كا
ولو لم يكن لك من نعمة * على وأصبحت أبغي سوا كا
لناديت في الارض هل مسعف * مجيب فلم يصغ الا ندا كا

فطرب ابن هود وخلع عليه ثوب وزارته وجعله من أعلام سلطنته وامارته وقال المنصور ابن أبي عامر للشاعر المشهور أبي عمر يوسف الرمادي كيف ترى حالك معي فقال فوق قدري ودون قدرك فاطرق المنصور كالغضبان فانسل الرمادي وخرج وقد ندم على ما بدر منه وجعل يقول أخطأت لا والله ما يفلح مع الملوك من يعاملهم بالحق ما كان ضرني لو قلت له اني بلغت السماء وتمنطقت بالجوزاء وأنشد

متى يأت هذا الموت لا يلف حاجة * لنفسي الا قد قضيت قضاها

لا حول ولا قوة الا بالله ولما خرج كان في المجلس من يحسده على مكانه من المنصور فوجد فرصة فقال وصل الله مولانا الظفر والسعد ان هذا الصنف صنف زور وهذيان لا يشكرون نعمة ولا يرعون الا ولا ذمة كلاب من غلب وأصحاب من أخصب وأعداء من اجدب

وحسبك منهم ان الله جل جلاله يقول فيهم والشعراء يتبعهم الغاوون الى مالا يفعلون والابتعاد منهم أولى من الاقتراب وقد قيل فيهم ماظنك بقوم الصدق يستحسن الامنهم فرفع المنصور رأسه وكان محامى أهل الادب والشعر وقد اسود وجهه وظهر فيه الغضب المفرط ثم قال مابال أقوام يشيرون فى شئ لم يستشاروا فيه ويسيئون الادب بالحكم فيما لايدرون ارضى ام يسخط وأنت أيها المتبعث للشر دون ان يبعث قد علمنا غرضك فى اهل الادب والشعر عامة وحسدك لهم لان الناس كما قال القائل

من رأى الناس له فضلا عليهم حسدوه

وعرفنا غرضك فى هذا الرجل خاصة ولسنا ان شاء الله تعالى نبلغ احدا غرضه فى احد ولو بلغنا كم بلغنا فى جانبكم وانك ضربت فى حديد بارد وخطات وجه الصواب فزدت بذلك احتقارا وصغارا وانى ماطرقت من كلام الرمادى انكارا عليه بل رأيت كلا مايجل عن الاقدار الجليلة وتعجبت من تهذيبه له بسرعة واستنباطه له على قلة من الاحسان الغامر مالا يستنبطه غيره بالكثير والله لوحكمته فى بيوت الاموال لرأيت انها لاترجع ما تكلم به قلبه ذرة واياكم ان يعود احد منكم الى الكلام فى شخص قبل ان يؤخذ معه فيه ولاتحكموا علينا فى اوليائنا ولو ابصرتم منا التغير عليهم فاننا لانتغير عليهم بعض الهم وانحرافا عنهم بل تأديبا وانكارا فانا من نريد ابعاده لم نظهر له التغير بل نتبذه مرة واحدة فان التغير انما يكون لمن نراد استبقاؤه ولو كنت مائل السمع لكل احد منكم فى صاحبه لتفرقتم ايدى سبا وجونبت انا مجانبة الاجرب وانى قد اطلعتكم على مافى ضميرى فلا تعدلوا عن مرضاتى فتجنبوا سخطى بما جنيتموه على انفسكم ثم امر أن يرد الرمادى وقال له أعد على كلامك فارتاع فقال الامر على خلاف ماقدرت الثواب أولى بكلامك من العقاب فسكن لتأنيسه واعاد ماتكلم به فقال المنصور بلغنا ان النعمان بن المنذر حشا فم النابغة بالدر لكلام استملحه منه وقد امرنا لك بما لايقصر عن ذلك ماهو انوه واحسن عائدة وكتب له بمال وخلع وموضع يتعيش منه ثم رد رأسه الى المتكلم فى شان الرمادى وقد كاد يغوص فى الارض لووجد لشدة ماحل به مما رأى وسمع وقال والعجب من قوم يقولون الابتعاد من الشعراء أولى من الاقتراب نعم ذلك لمن ليس له مفاخر يريد تخليدها ولا أيادى يرغب فى نشرها فاين الذين قيل فيهم

على مكثريهم رزق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل

وأين الذى قيل فيه

انما الدنيا أبو دلف * بين مبداه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

أما كان فى الجاهلية والاسلام أكرم ممن قيل فيه هذا القول بلى ولكن صحبة الشعراء والاحسان اليهم أحيت غابر ذكرهم وخصتهم بمفاخر عصرهم وغيرهم لم تخلد الامداح ما أثرهم فدثر ذكرهم ودرس فخرهم انتهى * ومن حكاياتهم فى العدل انه لما بنى المعتصم بن صماد ح ملك المرية قصوره المعروفة بالصماحية غصبوا أحد الصالحين فى جنة

يلبس الجبة الصوف المرقعة بالاديم ويشتمل بالعباءة ويحمل القربة على كتفه مع هيبة قد رزقها وكان أكثر ركابه الابل ورحله مشدودة بالليف وكذلك عماله مع مافتح الله عليه من البلاد وأوسعهم من الاموال (وكان من عماله) سعد ابن عامر بن خريم فشكاه أهل حمص اليه وسألوه عزله فقال عمر اللهم لاتقل فراستى فيهم ماذا تشكون منه قالوا لايخرج الينا حتى يرتفع النهار ولايجيب أحدا بليل وله يوم فى الشهر لايخرج الينا فقال عمر على به فلما جمع بينهم وبينه فقال ماتنقمون منه قالوا لايخرج الينا حتى يرتفع النهار فقال ماتقول ياسعد قال يا أمير المؤمنين انه ليس لاهلى خادم فاعجن عجينى ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ وأخرج اليهم قال وماذا تنقمون منه قالوا لايجيب بليل قال قد كنت أكره أن أذكرهذا انى جعلت الليل كله لربى وجعلت النهار لهم قال وماذا تنقمون منه قالوا له يوم فى الشهر لايخرج الينا قال نعم ليس لى خادم فاغسل ثوبى ثم أجففه فامسى فقال عمر الحمد لله الذى لم يقل فراستى فيكم يا أهل حمص فاستوصوا به اليكم خيرا

ألا ندفعها الى من يأتينا وأحوج ما كنا اليه قالت بلى فصرها صرا ثم دفعها الى من يثق به وقال انطلق بهذه الى فلان و بهذه الى يتيم بني فلان ومسكين آل فلان حتى يبقى منها شئ يسير فدفعه الى امرأته وقال انفقي هذه ثم عاد الى خدمته فقالت له امرأته ألا تبعث بذلك المال فتشترى لنا منه خادما فقال سيأتيك أحوج ما تكونين اليه (ومن عماله على المدائن) سلمان الفارسي وكان يلبس الصوف ويركب الحمار بغير عقبة بغيرا كاف ويأكل خبز الشعير وكان ناسكا زاهدا فلما احتضر بالمدائن قال له سعد بن أبي وقاص يا أبا عبد الله قال نعم قال اذكر الله عند همك اذا هممت وعند لسانك اذا حكمت وعند يدك اذا قسمت فجعل سلمان يبكي فقال له يا أبا عبد الله ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان في الآخرة عقبة لا يقطعها الا المخفون وأرى هذه الاساودة حولي فنظروا فلم يجدوا في البيت الا دواة وركوة ومطهرة (وكان عامله) على الشام أبا عبيدة بن الجراح وكان يظهر للناس وعليه الصوف الجماني فعذل على ذلك وقيل له

وألحقوها بالصمادحية وزعم ذلك الصالح انها لا يتام من أقاربه فبينا المعتصم يوما يشرب على الساقية الداخلة الى الصمادحية اذ وقعت عينه على انبوب قصبة مشمع فامر من يأتيه به فلما أزال عنه الشمع وجد فيه ورقة فيها اذا وقفت أيها الغاصب على هذه الورقة فاذكر قوله تعالى ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب لا اله الا الله أنت ملك قد وسع الله تعالى عليك ومكن لك في الارض ويحملك الحرص على ما يفنى أن تضم الى جنتك الواسعة العظيمة قطعة أرض لأيتام حرمت بها حلالها وخبثت طيبها ولئن تحببت عني بسلطانك واقتدرت على بعظم شانك فنجتمع غدا بين يدي من لا يحجب عن حق ولا تضيع عنده شكوى فلما استوعب قراءتها دمعت عيناه وأخذته خشية خيف عليه منها وكانت عادته رحمه الله تعالى وقال على بالمشتغلين ببناء الصمادحية فاحضروا فاستفسرهم عما زعم الرجل فلم يسعهم الا صدقه واعتذروا بان نقصها من الصمادحية يعيبها في عين الناظر فاستشاط غضبا وقال والله ان عيبها في عين الخالق أقبح من عيبها في عين المخلوق ثم أمر بان تصرف اليه واحتمل تعويرها الصمادحيته ولقدر بعض أعيان المرية وأخيارها مع جماعة على هذا المكان الذي أخرجت منه جنة الايتام فقال أحدهم والله لقد عورت هذه القطعة هذا المنظر العجيب فقال له اسكت فوالله ان هذه القطعة طراز هذا المنظر وفخره وكان المعتصم اذا نظر اليها قال اشعرتم أن هذا المكان المعوج في عيني أحسن من سائر ما استقام من الصمادحية ثم ان وزيره ابن أرقم لم يزل يلاطف الشيخ والايتام حتى باعوها عن رضا بما اشتهوا من الثمن وذلك بعد مدة طويلة فاستقام بها بناء الصمادحية وحصل للمعتصم حسن السمعة في الناس والجزاء عند الله تعالى ولما مات المعتصم بن صمادح ركب البحر ابنه ولي عهده الواثق عز الدولة أبو محمد عبد الله وفارق الملك كما أوصاه المعتصم والده وفي ذلك يقول

لك الحمد بعد الملك أصبحت خاملا * بارض اغتراب لا أمرو لا احلى
وقد أصدأت فيها الجذاذة أعلى * كما نسيت ركض الجياد بها رجلى
فلا مسمعي يصغي لنغمة شاعر * ولا كفي لا تمتد يوما الى بذل

قال ابن اللبانة الشاعر ما علمت حقيقة جور الدهر حتى اجتمعت ببجاية مع عز الدولة بن المعتصم بن صمادح فاني رأيت منه خيرا من يجتمع به كأنه لم يخلقه الله تعالى الا للملك والرياسة واحياء الفضائل ونظرت الى همته تنم من تحت خموله كما نيم فرند السيف وكرمه من تحت الصدا مع حفظه لفنون الادب والتواريخ وحسن استماعه واسماعه ورقة طباعه ولطافة ذهنه ولقد ذكرته لاحد من صحبته من الادباء في ذلك المكان ووصفته بهذه الصفات فتشوق الى الاجتماع به ورغب الي في أن استأذنه في ذلك فلما أعلمت عز الدولة قال يا أبا بكر لتعلم أنا اليوم في حمول وضيق لا يتسع لنا معهما ولا يحمل بنا الاجتماع مع أحد لا سيما مع ذي ادب ونباهة يلقانا بعين الرحمة ويزورنا بنمة التفضل في زيارتنا وفكابد من ألفاظ توجعه وألحاظ تفجعه ما يجدد لنا هما قد بلي ويحيي كمدا قد فني وما لنا قدرة على ان نجود عليه بما يرضي به عن همتنا فدعناك أنساني قبر تتدرع لسهام الدهر بدرع الصبر

واما

وأما أنت فقد اختلطت بنا اختلاط اللحم بالدم وامتزجت امتزاج الماء بالخمر فكأنا لم نكشف حالنا سوانا ولا اظهرنا ما بنا لغيرنا فلا تحمل غيرك بحملك قال ابن اللبانة فلا والله سمعي بلاغة لا تصدر الا عن سداد ونفس أبية متمكنة من أعنة البيان وانصرفت متمثلا

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق الا صورة اللحم والدم
وكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه فى التكلم

وكتب اليه ابن اللبانة

ياذا الذى هز أمداحى بحليته * وعزه أن يهز المجد والكرما
واديك لا زرع فيه اليوم تبذله * فخذ عليه لايام المنى سلما

فتحمل فى قليل بروحه اليه وكتب اليه

المجد يجعل من يفديك من زمن * ثناك عن واجب البر الذى علما
فدونك النزر من مصنف مودته * حتى يوفيك أيام المنى السلما

ومن شعر عز الدولة المذكور

اقدى أبا عمرو وان كان عاتبا * فلا خير فى ود يكون بلا عتب
وما كان ذاك الود الا كبارق * أضاء لعينى ثم أظلم فى قلبى

وقال الشقندى فى الطرف ان عز الدولة أشعر من أبيه وأما أخوه رفيع الدولة الحاجب أبو زكريا يحيى بن المعتصم فله أيضا نظم رائق ومنه ما كتب به الى يحيى بن مطروح يستدعيه لانس

يا أخى بل سيدى بل سندى * فى مهمات الزمان الانكد
قم بأفق غاب عنه بدره * فى اختفاء من عيون الحسد
وتعجل لحبيبى حاضر * وفى يشتاق كاسى فى يدى

فأجابه ابن مطروح وهو من أهل باغة بقوله

أنا عبد من أقل الاعبد * قبلتى وجه بأفق الاسعد
كلما اظمأنى وردفا * منهلى الا بذاك المورد
ها أنا بالباب أبغى اذنكم * والظما قد مد للكاس يدى

وكان قد سلط عليه انسان مختل اذا رآه يقول هذا ألف لا شئ عليه يعنى ان ملكه ذهب عنه وبقى فارغا منه فشكا رفيع الدولة ذلك الى بعض أصحابه فقال انا أكفيك مؤنته وأجتمع مع الاحمق واشترى له حلواء وقال له اذا رأيت رفيع الدولة بن المعتصم فسلم عليه وقبل يده ولا تقل هذا ألف لا شئ عليه فقال نعم واشترط الوفاء بذلك الى أن لقيه فجرى نحوه وقبل يده وقال هذا هو باء بنقطة من أسفل فقامت قيامة رفيع الدولة وكان ذلك اشد عليه وكان به علة الحصا فظن أن الاحمق علم ذلك وقصده وصار كلما أحس به فى موضع تجنبه واستأذن يوما على أحد وجوه دولة المرابطين فقال أحد جلسائه تلك أمة قد خلت استحقارا له واستثقالا للاذن له فبلغ ذلك رفيع الدولة فكتب اليه

عليه فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (وذكر الواقدى) فى كتابه فى فتوح الامصار ان عمر قام فى المسجد فحمد الله وأثنى عليه ثم دعاهم الى الجهاد وحثهم عليه وقال انكم قد أصبحتم فى غير دار مقام بالحجاز وقد وعدكم النبى صلى الله عليه وسلم فتح بلاد كسرى وقيصر فسيروا الى ارض فارس فقام ابو عبيدة فقال يا أمير المؤمنين أنا أول من انتدب من الناس فلما انتدب ابو عبيدة انتدب الناس وقيل لعمر أمر على الناس رجلا من المهاجرين أو الانصار فقال لا أؤمر عليهم الا أول من انتدب فامر أبا عبيدة وفى حديث آخر أنه قيل له أتؤمر رجلا من ثقيف على المهاجرين والانصار فقال كان أول من انتدب فوليته وقد أمرته أن لا يقطع أمرا دون سلمة بن أسلم بن حويس وسليط بن قيس وأعلمته أنهما من أهل بدر وخرج فلقى جمعا من العجم عليهم رجل يقال له جالينوس فانهزم وسار أبو عبيدة حتى عبر الفرات وعقد له بعض الدهاقين جسرا فلما خلف الفرات وراءه أمر بقطع الجسر فقال له سلمة بن أسلم أيها الرجل انه ليس لك عن ما ترى وأنت تخالفنا ووقوف تهلك من معك من المسلمين

خلت أمتى لكن ذاتى لم تخل * وفى الفرع ما يغنى اذا ذهب الاصل
وماضركم لو قلتم قول ماجد * يكون له فيما يجىء به الفضل
وكل اناء بالذى فيه راشح * وهل يمنح الزنبور ما يجمع النحل
سأصرف وجهى عن جناب تحله * ولو لم تكن الا الى وجهك السبل
فما موضع تحتله بمرفع * ولا يرتضى فيه مقال ولا فعل
وقد كنت ذا عذل لعلك ترعوى * ولكن بار باب العلا يحمل العذل

وأما أخوهما أبو جعفر بن المعتصم فله ترجمة فى المسهب والمطرب والمغرب ومن شعره

كتبت وقلبى ذو اشتياق ووحشة * ولو أنه يسطيع مر يسلم
جعلت سواد العين فيه سواده * وأبيضه طرسا وأقبلت ألثم
فخيل لى أنى أقبل موضعا * يصافحه ذاك البنان المسلم

وأما أختهم أم الكرم فذكرناها مع النساء فلتراجع * وقال أبو العلاء بن زهر

تمت محاسن وجهه وتكاملت * لما بداو عليه صدغ مونق
وكذلك البدر المنير جماله * فى أن تكنفه سماء أزرق

وقال أبو الفضل بن شرف

يا من حكى البيدق فى شكله * أصبح يحكيك وتحكيه
أسفله أوسع أجزائه * ورأسه أصغر ما فيه

وقال ابن خفاجة

يا أيها الصب المعنى به * هاهو لاخل ولا خمر
سود ما ورد من خده * فصار فحما ذلك الجمر

وقال أبو عبد الله البياسى

صغر الرأس وطول العنق * شاهدا عدل بفرط الحمق

ولما سمعه أبو الحسن بن حريق قال

صغر الرأس وطول العنق * خلقة منكرة فى الخلق
فاذا أبصرتهما من رجل * فاقض فى الحين له بالحمق

وقال أبو الحسن بن الفضل يذكر مقاما قامه سهل بن مالك وابن عياش

لعمرى لقد سر الخلافة قائما * بخطبته الغراء سهل بن مالك
وأما ابن عياش وقد كان مثله * فضلوا جميعا بين تلك المسالك
وماتوا حسرة وحسادة * وغيظا فقلناها لك فى الهوالك

وسهل بن مالك له ترجمة مطولة رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم فى الوفاء وحسن الاعتذار والقيام بحق الاخاء أن الوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم كان صديقا للوزير هاشم بن عبد العزيز ثابتا على مودته ولما قضى الله تعالى على هاشم بالاسر أجرى السلطان محمد بن عبد الرحمن الاموى ذكره فى جماعة من خدامه والوليد حاضر فاستقصره ونسبه للطيش والعجلة والاستبداد برأيه فلم يكن فيهم من اعتذر عنه غير الوليد فقال أصلح الله تعالى الامير

في هذه القطعة فقال أيها الرجل تقدم فقاتل فقد حم ما ترى وقال سليط ان العرب لم تلق مثل جمع فارس قط ولا كان لهم بقتالهم فاجعل لهم ملجأ ومرجعا من هزيمة ان كانت فقال والله لا فعلت جبنت والله يا سليط فقال سليط والله ما جبنت وأنا أجرأ منك نفسا وقبيلا ولكن أشرت بالرأى فلما قطع أبو عبيدة الجسر واقتحم الناس واشتد القتال نظرت العرب الى الفيلة عليها التجافيف فرأوا شيأ لم يروا مثله قط فانهزم الناس جميعا ثم مات بالفرات أكثر ممن قتل بالسيف وخالف أبو عبيدة سليطا وقد كان عمر أوصاه أن يستشيره ولا يخالفه وكان رأى سليط أن لا يغير حتى يعبروا عليه ولا يقطع الجسر فخالفه وقال سليط فى بعض قوله لولا انى أكره خلاف الطاعة لانخزت بالناس ولكنى أسمع وأطيع وان كنت قد أخطأت وأشركنى عمر معك فقال له أبو عبيدة تقدم أيها الرجل فقال أفعل فتقدما فقتلا جميعا وقد كان أبو عبيدة فى هذا اليوم رجل وقد قتل من الفرس نحو ستة آلاف فدنا من الفيل ورمحه فى يده فطعنه فى عينه فقتل الفيل أبا عبيدة بيده وجال الناس وتراجعت رجال فارس فأخذ الناس

انه لم يكن على هاشم التحير في الامور ولا الخروج عن المقدور بل قد استعمل جهده واستفرغ نصحه وقضى حق الاقدام ولم يكن ملاك النصر بيده فخذله من وثق به وفشل عنه من كان معه فلم يزحزح قدمه عن موطن حفاظه حتى ملك مقبلا غير مدبر مبليا غير فشل فحوزى خيرا عن نفسه وسلطانه فانه لا طريق للام عليه وليس عليه ما جنته الحرب الغشوم وأيضا فانه ما قصد أن يجود بنفسه الا رضا للامير واجتنابا لسخطه فاذا كان ما اعتمد فيه ارضا جالب التقصير فذلك معدود في سوء الحظ فأعجب الامير كلامه وشكر له وفاءه وأقصر فيما بعد عن تفنيده هاشم وسعى في تخليصه واتصل الخبر بهاشم فكتب اليه الصديق من صدقك في الشدة لا في الرخاء والاخ من ذب عنك في الغيب لا في المشهد والوفي من وفى لك اذا خانك زمان وقد أتاني من كلامك بين يدي سيدنا جعل الله تعالى نعمته سرمدا ما زادني عمودتك اغتباطا و بصداقتك ارتباطا ولذلك ما كنت أشد يدي على وصلك وأخصك باخائي وأنا الآن بموضع لا أقدر فيه على جزاء غير الثناء وأنت اقدر مني على أن تزيد ما بدأت به بان تتم ما شرعت فيه حتى تتكمل لك المنة و يستوثق عقد الصداقة ان شاء الله تعالى وكتب اليه بشعر منه

أياذا كرني بالغيب في محفل به * تصامت جمع عن جواب به نصري
أتتني والبيداء بيني و بينها * رقى كلمات خلصتني من الاسر
لئن قرب الله اللقاء فانني * سأجزيك فالا ينقضي غابر الدهر

فأجابه الوليد خلصك الله أيها البدر من سراك وعجل بطلوعك في أكمل تمامك وابداركه وصلني شكرك على أن قلت ما علمت ولم أخرج عن النصح للسلطان بما زكيته من ذلك والله تعالى شاهد على أن ذلك في مجالس غير المجالس المنقول لسيدي ان خفيت عن المخلوق فما تخفى عن الخالق ما أردت بها الا أداء بعض ما أعتقده لك وكم سهرت وأنا نائم وقمت في حقي وأنا قاعد والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم ذكر أبياتا لم تحضرني الآن * ومن حكاياتهم في علو الهمة في العلم والدنيا انه دخل أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة جامع غرناطة و به نحوى حوله شباب يقرؤن فنظروا اليه وقالوا له مستهزئين به ما يحمل الفقيه وما يحسن من العلوم وما يقول فقال لهم أجعل اثني عشر ألف دينار وهاهي تحت ابطي وأخرج لهم اثني عشرة ياقوتة كل واحدة منها بالف دينار وأما الذي أحسنه فاثنا عشر علما أدونها علم العربية الذي تبحثون فيه وأما الذي أقول فانتم كذا وجعل يسبهم هكذا انقلت هذه الحكاية من خط الشيخ أبي حيان النحوي رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم في الذكاء واستخراج العلوم واستنباطها أن أبا القاسم عباس بن فرناس حكيم الاندلس أول من استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة وأول من فك بها كتاب العروض للخليل وأول من فك الموسيقى وصنع الآلة المعروفة بالمثقال ليعرف الاوقات على غير رسم ومثال واحتال في تطيير جثمانه وكسا نفسه الريش ومد له جناحين وطار في الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه فتأذى في مؤخره ولم يدر أن الطائر انما يقع على زمكه ولم يعمل له ذنبا وفيه قال مؤمن بن سعيد الشاعر

جل مشيخة قريش وشاورهم فقالوا أقم وابعث غيرك ليكون للمسلمين ان انهزموا فئة وخرجوا فدخل اليه ومعهم المثنى بن حارثة وقد فقد من الناس أربعة آلاف غرقا وقتلا وكان على جيش فارس في هذا اليوم هاذويه ومعه راية فارس التي كانت لا فريدون حتى ثار الناس من الوهاد وهي المعروفة بدرفس كاسان وكانت من جلود النمور طولها اثنا عشر ذراعا وفي عرض ثمانية أذرع على خشب طوال موصل وكانت فارس تتيمن بها وتظهرها في الامر الشديد وقد قدمنا الخبر عن هذه الراية في أخبار الفرس الاول فيما سلف من هذا الكتاب ولما قتل أبو عبيدة الثقفي بالجسر شق ذلك على عمر وعلى المسلمين فخطب عمر بالناس وحثهم على الجهاد فأمرهم بالتأهب لارض العراق وعسكر عمر وهو يريد الشخوص وقد استعمل على مقدمته طلحة بن عبيد الله وعلى ميمنته الزبير بن العوام وعلى ميسرته عبد الرحمن ابن عوف ودعا الناس فاستشارهم فاشاروا عليه بالمسير ثم قال لعلي ماترى يا أبا الحسن اسير أم ابعث فقال سر بنفسك فانه أهيب للعدو وأرهب له فخرج من عنده فدعا العباس في

من أبيات

يطم على العنقاء فى طيرانها * اذا ما كسا جثمانه ريح قشعم

وصنع فى بيته هيئة السماء وخيل للناظر فيها النجوم والغيوم والبروق والرعود وفيه يقول مؤمن بن سعيد أيضا

سماء عباس الاديب أبى القاسم ناهيك حسن رائقها
أما صراط استه فراعدها * فليت شعرى ما لمع بارقها
لقد تمنيت حين دونها * فكرى فى البصق فى است خالقها

وأنشد ابن فرناس الامير محمدا من أبيات

رأيت أمير المؤمنين محمدا * وفى وجهه بذر المحبة يثمر

فقال له مؤمن بن سعيد قبحا لما ارتكبته جعلت وجه الخليفة محرثا يثمر فيه البذر فجعل وسبه

* وأول من اشتهر فى الاندلس بعلم الاوائل والحساب والنجوم أبو عبيدة مسلم بن احمد المعروف بصاحب القبلة لانه كان يشرق فى صلاته وكان عالما بحركات الكواكب وأحكامها وكان صاحب فقه وحديث دخل المشرق وسمع بمكة من على بن عبد العزيز ومصر من المزنى وغيره * ومنهم يحيى بن يحيى المعروف بابن السميدة من أهل قرطبة وكان بصيرا بالحساب والنجوم واللغة والعروض ومعانى الشعر والفقه والحديث والاخبار والجدل ودخل الى المشرق وقيل انه كان معتزلى المذهب * وأبو القاسم اصبغ بن السمح وكان بارعا فى علم النجوم والهندسة وله تآليف منها كتاب المدخل الى الهندسة فى تفسير اقليدس وكتاب كبير فى الهندسة وكتابان فى الاسطرلاب وزيج على مذاهب الهند المعروف بالسند هند * وأبو القاسم بن الصفار وكان عالما بالهندسة والعدد والنجوم وله زيج مختصر على مذاهب السند هند وله كتاب فى عمل الاسطرلاب * ومنهم أبو الحسن الزهراوى كان عالما بالعدد والطب والهندسة وله كتاب شريف فى المعاملات على طريق البرهان

* ومنهم أبو الحكم عمر الكرمانى من أهل قرطبة من ارسخين فى علم العدد والهندسة ودخل المشرق واشتغل بحران وهو أول من دخل برسائل اخوان الصفا الى الاندلس * ومنهم أبو مسلم بن خلدون من أشراف اشبيلية وكان متصرفا فى علوم الفلسفة والهندسة والنجوم والطب وتلميذه ابن برغوث وكان عالما بالعلوم الرياضية وتلميذه أبو الحسن مختار الرعينى وكان بصيرا بالهندسة والنجوم وعبد الله بن أحمد السرقسطى كان ناقدا فى علم الهندسة والعدد والنجوم ومحمد بن الليث كان بارعا فى العدد والهندسة وحركات الكواكب وأبو يحيى قرطبى بصير بالهندسة والنجوم وخرج عن الاندلس سنة اثنتين واربعين وأربعمائة ولحق بمصر ودخل اليمن واتصل بامير هرا الصليحى القائم بدعوة المستنصر العبيدى فحظى عنده وبعثه رسولا الى بغداد الى القائم بامر الله وتوفى باليمن بعد انصرافه من بغداد وأبو الوقشى الطليطلى عارف بالهندسة والمنطق والتوجيح ممن يطول تعدادهم وكان الحافظ أبو الوليد هشام الوقشى من اعلم الناس بالهندسة وآراء الحكماء والنحو واللغة ومعانى الاشعار والعروض وصناعة الكتابة والفقه والشروط والفرائض وغيرها وهو كما قال الشاعر

عبد الرحمن بن عوف فليس ذلك لهزيمتك وانك ان تهزم أو تقتل يكفر المسلمون ولا يشهدوا أن لا اله الا الله أبدا قال أشر على من أبعث قال قلت سعد بن أبى وقاص قال عمر أعلم أن سعدا رجل شجاع ولكنى أخشى أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب قال عبد الرحمن هو على ما تصف من الشجاعة وقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد بدرا فاعهد اليه عهدا وشاورنا فيما أردت أن تحدث اليه فانه لن يخالف أمرك ثم خرج فدخل عثمان عليه فقال له يا أبا عبد الله أشر على أسير أم اقيم فقال عثمان اقم يا امير المؤمنين وابعث بالجيوش فانه لا آمن ان اتى عليك آت أن ترجع العرب عن الاسلام ولكن ابعث الجيوش ودارکها بعضها على بعض وابعث رجلا له تجربة بالحرب ومضر بها قال عمر ومن هو قال على بن ابى طالب قال فالقه وكلمه وذاكره ذلك فهل تراه مسرعا اليه اولا فخرج عثمان فلقى عليا فذاكره ذلك فابى على ذلك وكرهه فعاد عثمان فاخبره فقال له عمرو من ترى قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال ليس بصاحب ذلك

وكان

وكان من العلوم بحيث يقضى * له فى كل فن بالجميع

ومن شعره قوله

قد بينت فيه الطبيعة أنها * بدقيق أعمال المهندس ماهره
عنيت بمبسمه فخطت فوقه * بالمسك خطا من محيط الدائره

وعزم على ركوب البحر الى الحجاز فعاله ذلك فقال

لا ارتكب البحر ولو أننى * ضربت فيه بالعصا انفلق
ما ان رأت عينى أمواجه * فى فرق الا تناهى الفرق

وكان الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن شهيد مصنف الادوية المفردة آية الله تعالى فى الطب وغيره حتى انه عانى جميع ما فى كتابه من الادوية المفردة وعرف ترتيب قواها ودرجاتها وكان لا يرى التداوى بالادوية ما امكن بالاغذية او ما يقرب منها واذا اضطر الى الادوية فلا يرى التداوى بالمركبة ما وجد سبيلا الى المفردة واذا اضطر الى المركب لم يكثر التركيب بل يقتصر على اقل ما يمكنه وله غرائب مشهورة فى الابراء من الامراض الصعبة والعلل المخوفة بأيسر علاج واقربه * ومنهم ابن البيطار وهو عبد الله بن احمد المالقى الملقب بضياء الدين وله عدة مصنفات فى الحشائش لم يسبق اليها وتوفى بدمشق سنة ست واربعين وستمائة كل عقار اقاتلافات عن ساعته رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم فى الحفظ أن الاديب الاوحد حافظ اشبيلية بل الاندلس فى عصره ابا المتوكل الهيثم بن احمد بن ابى غالب كان اعجوبة دهره فى الرواية للاشعار والاخبار قال ابن سعيد اخبرنى من اثق به انه حضر معه ليلة عند احد رؤساء اشبيلية فجرى ذكر حفظه وكان ذلك فى اول الليل فقال لهم ان شئتم تختبرونى اجبتكم فقالوا له بسم الله انا نريد ان نحدث عن تحقيق فقال اختاروا اى قافية شئتم لا اخرج عنها حتى تعجبوا فاختاروا القاف فابتدأ من اول الليل الى ان طلع الفجر وهو ينشدون (أرق على ارق ومثلى يأرق) وسماره قد نام بعض وضج بعض وهو ما فارق قافية القاف وقال ابو عمران بن سعيد دخلت عليه يوما بدار الاشراف باشبيلية وحوله أدباء ينظرون فى كتب منها ديوان ذى الرمة فمد الهيثم يده الى الديوان المذكور فمنعه منه أحد الادباء فقال يا ابا عمران أواجب أن يمنعه منى وما يحفظ منه بيتا وأنا أحفظه فأكذبته الجماعة فقال اسمعونى وأمسكوه فابتدأ من أوله حتى قارب نصفه فأقسمنا عليه أن يكف وشهدنا له بالحفظ وكان آية فى سرعة البديهة مشهورا بذلك قال أبو الحسن بن سعيد عهدى به فى اشبيلية يملى على أحد الطلبة شعرا وعلى ثان موشحة وعلى ثالث زجلا كل ذلك ارتجالا ولما أخذ الحصار بمخنق اشبيلية فى مدة الباجى خرج خروج القارظين ولا يدرى حيث ولا اين ومن شعره وقد نزل بداره عبيد السلطان وكتب به الى صاحب الانزال

كم من يد لك لا أقوم بشكرها * وبها أشير اليك ان خرست فى
وقد استشرتك فى الحديث فهل ترى * أن يدخل الغربان وكر الهيثم

وله يجفى الفقير ويغشى الناس قاطبة * باب الغنى كذا حكم المقادير

ضروب بالسيف رام بالنبل ولكنى اخشى ان لا يكون له معرفة بتدبير الحرب قال ومن هو يا أمير المؤمنين قال سعد قال عثمان هو صاحب ذاك ولكنه رجل غائب فى عمل قال عمر أرى ان أوجهه واكتب اليه ان يسير من وجهه ذلك قال عثمان ومره فليشاور قوما من اهل التجربة والتبصر بالحرب ولا يقطع الامور حتى يشاورهم ففعل عمر ذلك وكتب الى سعد بالتوجه نحو العراق (وقد كان جرير) بن عبد الله البجلى قدم على عمر وقد اجتمعت اليه بجيلة فسرحهم نحو العراق وجعل لهم ربعا فاظهروا عليه من السواد وساهمهم مع المسلمين وخرج عمر فشيعهم ولحق جرير بناحية الايلة ثم صاعد الى ناحية المدائن وفى قدوم جرير الى مرزبان المدائن وكان فى عشرة آلاف من فارس من الاساورة وذلك بعد يوم الجسر ومقتل ابى عبيدة وسليط فقال بجيلة لجرير اعبر الدجلة الى المدائن فقال جرير ليس ذلك بالرأى وقد مضى لكم فى ذلك عبرة من قتل اخوانكم يوم الجسر ولكن أمهلوا القوم

 فان جمعهم كثير حتى يعبروا اليكم فان فعلوا فهو الظفر ان شاء الله تعالى فاقامت الفرس أياما بالمدائن ثم

أخذوا فى العبور فلما عبر منهم النصف أو نحوه حمل عليهم جرير فيمن سرع معه من بجيلة فثبتوا ساعة فقتل المرزبان وأخذهم السيف وغرق اكثرهم فى دجلة واخذ المسلمون ما كان فى عسكرهم وسار جرير فاجتمع مع المثنى بن حارثة الشيبانى بالجلة فاقبل اليهما مهران فى جيوشه فامتنع المسلمون من العبور اليهم فعبر مهران فقتله جرير بن عبد الله البجلى وحسان بن المنذر بن ضرار الضبى ضربه البجلى وطعنه الضبى وفاز جرير بمنطقته وسلبه وتنازع جرير وحسان فى ايهما القاتل لمهران وقد كان جرير ضربه بعد ان طعنه حسان ولحسان فى ذلك ابيات

الم ترنى خالست مهران نفسه
باسمر فيه كالخلال طرير
فخر صريعا والتقانى برجله
وبادر فى رأس الهمام جرير

فقال قتيلى والحوادث جمة
وكاد جرير للسرور يطير

فقال أبا عمرو وقتلى قتلته
ومثلى قليل والرجال كثير

فارسل يمينا ان رجلك ناله
وأكرم أن تحلف وأنت أمير

(وقد تنازع) أهل الاخبار والسير فى جرير والمثنى فمن الناس من ذهب الى أن جريرا كان المولى على الجيش ومنهم من

وانما الناس أمثال الفراش فهم * بحيث تبدو مصابيح الدنانير

وله

عندى لفقدك أوجال أبيت بها * كأننى واضع كفى على قبس
ولا ملامة ان لم أهد نيره * حتى تمد اليها كف مقتبس
قد كنت أودع سر الشوق فى طرس * لكننى خفت أن يعدو على الطرس

وأنشد له أبو سهل شيخ دار الحديث بالقاهرة فى املائه

قف بالكثيب لغيرك التأنيب * ان الكثيب هوى له محبوب
يا راحلين لنا عليكم وقفة * ولكم علينا دمعنا المسكوب
تخلى الديار من المحبة والهوى * أبدا وتعمر أضلع وقلوب

وقال ارتجالا فى وصف فرس أصفر

أطرف فات طرفى أم شهاب * هفا كالبرق ضرمه التهاب
أعار الصبح صفحته نقابا * فغر به وصح لنا النقاب
فهذا خال الصبح وافى * ليطلب ما استعار فما يصاب
اذا ما انقض كل النجم عنه * وضلت عن مسالكه السحاب
فيا عجبا له فضل الدراري * فكيف أزال أربعه التراب
سل الارواح عن أدنى مداه * فعند الريح قد يلفى الجواب

وقال أبو عمر الطلمنكى دخلت مرسية فتشبث بى اهلها يسمعون على الغريب المصنف فقلت انظروا من يقرأ لكم وأمسكت أنا كتابى فأتونى برجل اعمى يعرف بابن سيده فقرأه على من أوله الى آخره فعجبت من حفظه وكان اعمى وابن سيده المذكور هو ابو الحسن على بن احمد ابن سيده وهو صاحب كتاب المحكم ومن نظمه مما كتب به الى ابن الموفق

الاهل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن فى ذاك واليمنا
ضحيت فهل فى بردظلك نومة * لذى كبد حرى وذى مقلة وسنا

وتوفى ابن سيده المذكور سنة ثمان وخمسين وار بعمائة وعمره نحو الستين رحمه الله تعالى

*ومن حكاياتهم فى حب العلم ان المظفر بن الافطس صاحب بطليوس كان كما قال ابن الابار كثير الادب جم المعرفة محبا لاهل العلم جماعة للكتب ذا خزانة عظيمة لم يكن فى ملوك الاندلس من يفوقه فى ادب ومعرفة قاله ابن حيان وقال ابن بسام كان المظفر اديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة والمشتهر ايضا اسمه بالكتاب المظفرى فى خمسين مجلدا يشتمل على فنون وعلوم من مغاز وسير ومثل وخبر وجميع ما يختص به علم الادب ابقاه للناس خالدا وتوفى المظفر سنة ستين وار بعمائة وكان يحضر العلماء للمذاكرة فيفيد ويستفيد رحمه الله تعالى ومن التآليف الكبار لاهل الاندلس كتاب السماء والعالم الذى الفه احمد بن ابان صاحب شرطة قرطبة وهو مائة مجلد رايت بعضه بفاس وتوفى ابن ابان سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى ولاهل الاندلس دعابة وحلاوة فى محاوراتهم واجوبة بديهية مسكتة والظرف فيهم والادب كالغريزة حتى فى صبيانهم وسوقتهم فضلا عن علمائهم واكابرهم *ولنذكر جملة

من ذكر الجملة فنقول حكى عن عالم المرية القاضى ابى الحسن مختار الرعينى وكان فيه حلاوة ولوذعية ووقار وسكون انه استدعاه يوما زهير ملك المرية من مجلس حكمه فجاءه يمشى مشية قاض قليلا قليلا فاستعجله رسول زهير فلم يعجل فلما دخل عليه قال له يا فقيه ما هذا البطء فتأخر الى باب المجلس وطلب عصا وشمر ثيابه فقال له زهير ما هذا قال هذا يليق باستعجال الحاجب لى فوقع فى خاطرى انه عزلنى عن القضاء وولانى الشرطة فتحملت زهيرا واستجلاه ولم يعد الى استعجاله وهذا القاضى هو القائل وقد دخل حماما فجلس بازائه عامى اساء الادب عليه

ألا لعن الحمام دارا فانه * سواء به ذو العلم والجهل فى القدر
تضيع به الآداب حتى كانها * مصابيح لم تنفق على طلعة الفجر

وروى ان المقرئ اباعبدالله محمد بن الفراء امام النحو واللغة فى زمانه وكانت فيه فطنة ولوذعية ابطأ فى وجه يوما الى تلامذته فطال بهم الكلام فى المذاكرة فقال احدهم نصف بيت وكان فيهم وسيم من ابناء الاعيان وكان ابن الفراء كثير الميل اليه فلما خرج قال له يا استاذ عملت نصف بيت واريد ان تتممه فقال ما هو فقال * الا يأبى شادن اوطف * فقال الاستاذ ابن الفراء بديها

اذا كان ورد لا يقطف * وثغر ثنا باك لا يرشف
فأى اضطرار بنا ان نقول * الا يأبى شادن اوطف

وهذا ابن الفراء هو القائل

قيل لى قد تبدلا * فاسل عنه كاسلا
لك سمع وناظر * وفؤاد فقلت لا
قيل غال وصاله * قلت لما غلا حلا
ايها العاذل الذى * بعذابى توكلا
عد صحيحا مسلما * لا تعير فتبتلى

وقد ذكرت بهذا ما انشده لسان الدين فى كتابه روضة التعريف بالحسب الشريف

قلت للساخر الذى * رفع الانف فاعتلى
انت لم تأمن الهوى * لا تعير فتبتلى

ومن بديع نظم ابن الفراء المذكور قوله

شكوت اليه بفرط الدنف * فأنكر من قصتى ما عرف
وقال الشهود على المدعى * واما انا فعلى الحلف
فجئنا الى الحاكم الاعمى قاضى المجون وشيخ الطرف
وكان بصيرا بشرع الهوى * ويعلم من اين اكل الكتف
فقلت له اقض ما بيننا * فقال الشهود على ما اتصف
فقلت له شهدت ادمعى * فقال اذا شهدت تنتصف
ففاضت دموعى من حينها * كفيض السحاب اذا ما يكف

الفرس ذلك وسار شيراز فى جمع فارس الاعظم ويقال له بوران وقد كانت جمهرة الاساورة تقدمت وتقدم أمامهم رستم فتحمى المسلمون لما بلغهم مسيره فلحق جرير بكاظمة فنزلها وسار المثنى بقومه من بكر ابن وائل فنزل بسيراف وبها آثار كثيرة وهى من الكوفة على ثلاثة أميال من المنزل المعروف بواقصة وكان المثنى قد أصيب بجراحات كثيرة فى بدنه فى يوم الجسر وغيره فمات بسيراف رحمه الله تعالى

(ولما ورد كتاب عمر) على سعد بن أبى وقاص فنزل زيالة على حسب ما أمره به عمر ثم أتى سيراف وأتاه الناس من الشأم وغيرها ثم سار فنزل العذيب وهو على فم البر وطرف السواد مما يلى القادسية فالتقى جيش المسلمين وجيش الفرس وعليهم رستم والمسلمون يومئذ فى ثمانية وثمانين ألفا وقيل ان من أسهم له ثلاثون ألفا والمشركون فى ستين ألفا امام جيوشهم الفيلة عليها الرجال وحرض الناس بعضهم بعضا وبرزوا أهل النجدات فأشبوا القتال وخرج اليهم أقرانهم من صناديد قريش فاعتوروا الضرب والطعن وخرج غالب بن عبدالله الاسدى فى ذلك اليوم وهو يقول

قد علمت واردة المسالح * فخرج اليه هرمز وكان من ملوك الباب والابواب وكان متوجا فاسره غالب أسرا فاتى سعدا وكر راجعا الى المطاردة وحمى الوطيس وخرج عاصم بن عمر وهو يقول

قد علمت بيضاء صفراء اللبب
مثل اللجين يتغشاه الذهب
أنى امرؤ لا من يصيبه السبب
مثلى على مثلك يعديه الكتب

فبرز اليه عظيم من أساورتهم فخالاثم ان الفارس ولى واتبعه عاصم حتى لحق الى صفوفهم وعموه وغاص عاصم بينهم حتى ايس الناس منه ثم خرج فى مجنبات القلب وقدامه بغل عليه صناديق موكبية باتة لحسنة فأتى به سعدا فى مالك وعلى البغل رجل عليه مقطعات ديباج وقلنسوة مذهبة واذا هو خباز الملك وفى الصناديق لطائف الملك من الاخبصة والعسل المعقود فلما نظر اليه سعد قال انطلقوا الى أهل موقفه وقولوا ان الامير قد نفلكم هذا فكلوه (وكانت وقعة القادسية) فى المحرم سنة أربع عشرة ومال سبعة عشر فيلا على كل فيل عشرون رجلا وعلى الفيلة بهجة

فدرك راسا اليناوقال * دعوا يامهاتيك هذا الصاف
كذا تقتلون مشاهيرنا * اذا مات هذا فأين الخلاف
واوما الى الوردان يحتنى * واوما الى الريق ان يرتشف
فلما رآه حبيبى معى * ولم يختلف بيننا مختلف
ازال العناد فعانقته * كأنى لام وحبى الف
فظلت اعاتبه فى الجفا * فقال عفا الله عما سلف

وحكى عن الزهرى خطيب اشبيلية وكان اعرج انه خرج مع ولده الى وادى اشبيلية فصادف جماعة فى مركب وكان ذلك بقرب الاضحى فقال بعضهم له بكم هذا الخروف واشار الى ولده فقال له الزهرى ماهو للبيع فقال بكم هذا التيس واشار الى الشيخ الزهرى فرفع رجله العرجاء وقال هو معيب لا يجزئ فى الضحية فضحك كل من حضر وعجبوا من لطف خلقه * وركب مرة هذا النهر مع الباجى يوم خميس فلما أصبحا وصعد الزهرى يخطب يوم الجمعة والباجى حاضر قدامه فنظر اليه الباجى واومأ الى محل الحدث واخرج لسانه فجعل الزهرى يلمس عصا الخطابة يشير بالعصا الى جوابه على ما قصد رحمه الله تعالى * ومر العالم ابو القاسم بن ورد صاحب التآليف فى علم القرآن والحديث بجنة لاحد الاعيان فيها ورد فوقف بالباب وكتب اليه

شاعر قد اتاك يبغى اباه * عندما اشتاق حسنه وشذاه
وهو بالباب مصغيا للجواب * يرتضى بالذى فاذا تراه

فعندما وقف على البيتين علم انه ابن ورد فبادر من جنته اليه واقسم فى النزول عليه ونثر من الورد ما استطاع بين يديه * وحكى ان ابا الحسن سليمان بن الطراوة نحوى المرية حضر مع ندماء والى جانبه من اخذ بمجامع قلبه فلما بلغت النوبة اليه استعفى من الشرب وابدى القطوب فأخذ ابن الطراوة الجام من يده وشرب بها عنه ويابرد ها على كبده ثم قال بديها

يشرب بها الشيخ وأمثاله * وكل من تحمد أفعاله
والبكر ان لم يستطع صولة * تلقى على البازل أثقاله

ودخل عليه وهو مع ندمائه غلام والكاس فى يده فقال

ألا بابى وغير أبى غزال * اتى و براحه للشرب راح
فقال منادمى فى الحسن صفه * فقلت الشمس جاء بها الصباح

وقال فيمن جاء بالراح

ولما رأيت الصبح لاح بخده * دعوتهم رفقا لكم الشمس
وأطلعها مثل الغزالة وهو كالـ * ـغزال فتم الطيب واكتمل الانس

وقال وقد شرب ليلة فى القمر

شربنا صباح السماء مدامة * بشاطى غدير والازاهر تتفح
وظل جهول يرقب الصبح ضلة * ومن أكؤس لم يبر ح الليل يصبح

وكان عبد الله بن الحاج المعروف بدغليس صاحب الموشحات يشرب مع ندماء ظراف فى جنة

بهجة فجاءتهم ووقه من ثقيل يرغب فى الاذن وكان له ابن مليح فكتب اليه مدغليس

سيدى هذا مكان * لايرى فيه بخيه
غير تيس مصفعانى له بالصفع كديه
أوله ابن شافع فيه فيلقى بالتحيه
أيها القابل أقبل * سائقا تلك المطيه

وكان مدغليس هذا مشهورا بالانطباع والصنعة فى الازجال خليفة ابن قزمان فى زمانه وكان أهل الاندلس يقولون ابن قزمان فى الزجالين بمنزلة المتنبى فى الشعراء ومدغليس بمنزلة أبى تمام بالنظر الى الانطباع والصناعة فابن قزمان ملتفت الى المعنى ومدغليس ملتفت للفظ وكان أديبا معربا بالكلام مثل ابن قزمان ولكنه لما رأى نفسه فى الزجل أنجب اقتصر عليه ومن شعره قوله

ماضر كم لو كتبتم * حرفا ولو باليسار
اذ أنتم نور عينى * ومطلبى واختيارى

وقال الخطيب الاديب النحوى أبو عبد الله بن الفراء المذكور قبل هذا بقريب الضرير فى صبى كان يقرأ عليه النحو اسمه حسن وهو فى غاية الجمال بعد أن سأله كيف تقول اذا تعجبت من حسنك فقال أقول ما أحسنى

ياحسنا مالك لم تحسن * الى نفوس بالهوى متعبه
رقت بالو ردو بالسوسن * صفحة خد بالسنى مذهبه
وقد أبى صدغك أن أجتنى * منه وقد ألذ عنى عقربه
ياحسنه اذ قال ما أحسنى * و يالذاك اللفظ ما أعذبه
فوق السهم ولم يخطنى * واذر آنى ميتا أعجبه
وقال كم عاش وكم حبنى * وحبه اياى قد عذبه
يرحمه الله على أننى * قتلى له لم أدر ما أوجبه

وقد كان ابن الفراء من فضلاء المائة السادسة ذكره ابن غالب فى فرحة الانفس فى فضلاء العصر من الاندلس وكان شاعرا مجيدا يعلم بالمرية القرآن والنحو واللغة وكانت فيه فطنة ولوذعية وذكاء والمعية خرق بها العوائد وحكى ان قاضى المرية قبل شهادته فى سطل ميزه فى حمام باللمس واختبره فى ذلك بحكاية طويلة وذكره صفوان فى زاد المسافر ووصفه بالخطيب وجده القاضى أبو عبد الله بن الفراء مشهور بالصلاح والفضل والزهد ومن العجائب انه ليس له ترجمة فى المغرب ولما كتب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الى أهل المرية يطلب منهم المعونة جاوبه بكتابه المشهور الذى يقول فيه ماصورته فاذ كره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخرى عن ذلك وان الباجى وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والاندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اقتضاها وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه فى قبره ولا يشك فى عدله فليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بضجيعه فى قبره ولا ممن لا يشك فى عدله فان كان الفقهاء والقضاة أنزلوك بمنزلته فى العدل

الرجال والخيول فبعث الى بنى أسد لما نظر الى الموكب والفيول قد مالت الى بجيلة فارهم يعونتهم ومالت عشرون فيلا نحو القلب فخرج طلحة بن خويلد الاسدى مع فرسان بنى أسد فقتل منهم خمسمائة رجل سوى من قتل من غيرهم فباشروا قتال الفيلة حتى أوقفوها واشتد الجلاد على بنى أسد فى هذا اليوم من سائر الناس وهذا اليوم يعرف بيوم اغواث فلما أصبح الناس فى اليوم الثانى أشرف على الناس خيول المسلمين من الشأم والامداد سائرة قد غطت بأسنتها الشمس عليها هاشم بن عتبة بن أبى وقاص فى خمسة آلاف فارس من بنى ربيعة ومضر وألف من اليمن ومعه القعقاع بن عمرو وذلك بعد فتح دمشق بشهر وقد كان عمر رضى الله عنه كتب الى أبى عبيدة ابن الجراح بصرف أصحاب خالد بن الوليد الى العراق ولم يذكر فى كتابه خالدا فشح أبو عبيدة بتخلية خالد عن يده و بعث برجاله وعليهم هاشم بن عتبة على ماذكرنا وقد كان فى نفس عمر على خالد أشياء من

أيام أبى بكر فى قصة مالك بن نويرة وغير ذلك وكان خالد بن الوليد بن خالد بن عمر تقدم القعقاع فى أوائل المدد فاتقن

فالله تعالى سائلهم عن تقاعدهم فيك وما اقتضاها عمر رضى الله تعالى عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف أن ليس عنده درهم واحد فى بيت مال المسلمين ينفقه عليهم فلتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة من أهل العلم وتحلف أن ليس عندك درهم واحد ولا فى بيت مال المسلمين وحينئذ تستوجب ذلك والسلام انتهى وأما ابن الفراء الاخفش بن ميمون الذى ذكره الحجارى فى المسهب فليس هو من هؤلاء بل هو من حصن الفيداق من أعمال قلعة بنى سعيد وأدب فى قرطبة ثم عاد الى حضرة غرناطة واعتكف بها على مدح وزيرها اليهودى وهو القائل

صانع محياه تلق النجح فى الامل * وانظر بنانيه حسن الشمس فى الحمل
ما ان يلاقى خليل فيه من خلل * وكلما حال صرف الدهر لم يحل

وكان يهاجى المنفتل شاعر البيرة ومن هجاء المنفتل له قوله

لابن ممون قريض * زمهرير البرد فيه
فاذا ما قال شعرا * نفقت سوق أبيه

ولما وفد على المرية مدح رفيع الدولة بن المعتصم بشعر فقال له بعض من أراد ضره يا سيدى لا تقرب هذا اللعين فانه قال فى اليهودى

ولكن عندى للوفاء شريعة * تركت بها الاسلام يبكى على الكفر

فقال رفيع الدولة هذا والله هو الحر الذى ينبغى أن يصطنع فلولا وفاؤه ما بكى كافرا بعد موته وقد وجدنا فى أصحابنا من لا يرعى مسلما فى حياته فقال فيه المنفتل

ان كنت أخفش عين * فان قلبك أعمى
فكيف تنثر نثرا * وكيف تنظم نظما

ومن شعر الاخفش المذكور قوله

اذا زرتكم غبا فلم ألق بالبر * وان غبت لم أطلب ولم أجر فى الذكر
فانى اذن أولى الورى بفراقكم * ولا سيما بعد التجلد والصبر

ولما وفد على المنصور بن أبى عامر الشاعر المشهور أبو عبد الله محمد بن مسعود الغسانى البجالى اتهم برهق فى دينه فسجنه فى المطبق مع الطليق القرشى والطليق غلام وسيم وكان ابن مسعود به كلفا يومئذ وفيه يقول

غدوت فى السجن خدنا لابن يعقوب * وكنت أحسب هذا فى التكاذيب
رامت عداتى تعذيبى وما شعرت * ان الذى فعلوه ضد تعذيبى
راموا بعادى عن الدنيا وزخرفها * فكان ذلك ادنائى وتقريبى
لم يعلموا أن سجنى لا أبالهم * قد كان غاية مأمولى ومرغوبى

وسجن ابن مسعود والطليق قبله ووقع بينه وبين الطليق وعاد المدح هجاء فقال فيه

ولى جليس قربه منى * بعد الامانى كذبا عنى
قد قذيت من لحظه مقلتى * وقرحت من لفظه أذنى
هون لى فى السجن من قربه * أشد فى السجن من السجن

الصف ونادى هل من مبارز فبرز اليه عظيم منهم فقال له القعقاع من أنت قال انا بهمن حادويه وهو المعروف بذى الحاجب فنادى القعقاع بالشارات ابى عبيدة وسليط وأصحابهم يوم الجسر وقد كان ذو الحاجب مبارز الهم على ما ذكرنا من قتله اياهم فما لا فقتله القعقاع ويقال ان القعقاع جل فى ذلك اليوم ثلاثا وثلاثين جملة كل جملة يقتل فيها وكان آخر من قتل عظيما من عظمائهم يقال له بزرجمهر ففيه يقول القعقاع

جبوبة جباشة بالنفس * هدارة مثل شعاع الشمس
فى أغواث من قبيل الفرس * أنخس بالقوم أشد نخس
* حتى يفيض معرى ونفسى *

وبارز فى ذلك اليوم الاعور بن قطنة شهريار سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه فقال أخو الاعور فى ذلك

لم أر يوما كان أحلى وأمر * من يوم اغواث دواوين الشعر
من غير ضحك كان أسوا وأشر * واعتل سعد فتخلف فى حصن العذيب وجلس فى أعلاه يشرف على الناس وقد تواقف الفريقان جميعا وأمسى الناس ينتهمون فلما سمع ذلك سعد قال لمن

لو أن خلقا كان ضدّ اله * زاد على يوسف فى الحسن
اذا ارتمى فكرى فى وجهه * سلط ابطيه على ذهنى
كأنما يجلس من ذا وذا * بين كتيفين من اللحن

وقال يخاطب المنصور من السجن

دعوت لما عيل صبرى فهل * يسمع دعواى الملك الحليم
مولاى مولاى الاعطفة * تذهب عنى بالعذاب الاليم
ان كنت أضمرت الذى زخرفوا * عنى فدعنى للقدير الرحيم
فعنده نزاعة للشوى * وعنده الفردوس ذات النعيم

وركب بعض أهل المرية فى وادى اشبيلية فمر على طاقة من طاقات شنتبوس وهو يغنى ٣خلنى من وادومن قوارب ومن تراها فى شنتبوس غرس الحبق الذى فى دارى أحب عندى من الفردوس فأخرجت رأسها جارية وقالت له من أى بلد أنت يا من غنى فقال من المرية فقالت وما أعجبك فى بلدك حتى تفضله على وادى اشبيلية وهو بوجه مالح وقفا أحرش وهذا من أحسن تعييب وذلك انها أتته بالنقيض من اشبيلية فان وجهها النهر العذب وقفاها بجبال الرحة أشجارا التين والعنب لا تقع العين الا على خضرة فى أيام الفرج وأين اشبيلية من المرية وفى المرية يقول السميسر شاعرها

بئس دار المرية اليوم دارا * ليس فيها لساكن ما يحب
بلدة لا تمار الا ريح * ربما قد تهب أو لا تهب

يشير الى أن مرافقها مجلوبة وأن الميرة تأتيها فى البحر من بر العدوة وفيها يقول أيضا

قالوا المرية فيها * نظافة قلت ابه
كأنها طست تبر * و يبصق الدم فيه

وحكى مؤرخ الاندلس أبو العباس البياسى انه دخل عليه فى مجلس انس شيخ ضخم الجثة مستثقل فقال البياسى

اسقنى الكاس صاحيه * ودع الشيخ ناحيه

فقال الكاتب أبو جعفر أحمد بن رضى

ان تكن ساقيا له * ليس تروية ساقيه

وحكى ان العالى ادريس الحمودى لما عاد الى ملكه بمالقة و بخ قاضيها الفقيه أبا على بن حسون وقال له كيف بايعت عدوّى من بعدى وصحبته فقال وكيف تركت أنت ملكك لعدوك فقال ضرورة القدرة حملتنى على ذلك فقال وأنا أيضا حصلت فى يد من لا يسعنى الا طاعته ومن نظم القاضى المذكور

رفعت من دهرى الى جائر * و يبتغى العدل باحكامى
أضحت به أملاكه مثل أشـ * ـكال خيال طوع أيامى
هذا لما أبرم ذا ناقض * كأنهم فى حكم أحلام

وكان الفقيه العالم أبو محمد عبد الله الوحيدى قاضى مالقة جرى كما قال الحجارى فى صباه طلق

فأيقظونى فان ذلك شر
واشتد القتال فى الليل
وكان أبو محجن الثقفى
محبوسا فى أسفل القصر
فسمع انتماء الناس فى
آبائهم وعشائرهم ووقع
الحديد وشدة البأس
فتأسف على ما يفوته من
تلك المواقف فجاء حتى
صعد الى سعد يستشفعه
و يستقيله و يسأله أن يخلى
عنه ليخرج فرآه سعد
ورده فانحدر راجعا فنظر
الى سلمى بنت حفصة
زوجة المثنى بن حارثة
الشيبانى وقد كان سعد
تزوجها بعده فقال يا بنت
حفصة هل لك فى خير
فقالت وما ذاك قال تخلين
عنى وتعيرنى البلقاء والله
على ان سلمنى الله أن أرجع
اليك حتى أضع رجلى فى
القيد فقالت وما انا وذاك
فرجع يرسف فى قيده
وهو يقول

كفى حزنا ان ترتدى الخيل بالقنا
وأترك مشدودا على وثاقيا
اذا قمت عنانى الحديد
فأغلقت
مصارع من دونى وصم
المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وثروة
فقد تركونى واحدا لا أخا ليا

٣ قوله خلنى الخ هكذا بالاصل ولينظر وقوله من الفردوس فى نسخة من الغروس هكذا بهامش الاصل

الجموح يعاقب بين غبوق وصبوح الى أن دعاه النذير فاهتدى منه بسراج منير وأحلته تلك الرجعة فيما شاء من الرفعة وقال بعض معاشريه كنت أماشيه زمن الشباب فكلما مررنا على امرأة يدعوحسنها وشكلها الى أن تحير فيه الالباب أمال اليها طرفه ولم ينع عنها صرفه ثم سايرته بعد ما رجع عن ذلك واقتصر فرأيته يغض البصر ويخلى الطريق معرضا الى ناحية متى زاحمته امرأة ولو حكت الشمس صاحية فقلت له فى ذلك فقال

ذاك وقت قضيت فيه غرامى * من شبابى فى سترة الاظلام
ثم لما بدا الصباح لعينى * من مشيبى ودعته بسلام

ومن شعره فى صباه

لا ترتجوا رجعتى باللوم عن غرض * ولتتركونى وصيدى فرصة الخلس
طلبتم رد قلبى عن صبابته * ومن يرد عنان الجامح الشرس

ولما أقصر باطله وعريت أفراس الصبا ورواحله قال

ولما بدا شيبى عففت عن الهوى * كما يهتدى حلف السرى بنجوم
وفارقت أشياع الصبابة والصبا * وملت الى أعلى علا وعلوم

ولما ألب بنوحسون على القاضى الوحيدى المذكور صادر عنه العالم الاصولى أبو عبد الله بن الفخار وطلع فى حقه الى حضرة الامامة مراكش وقام فى مجلس أمير المسلمين ابن تاشفين وهو قد غص بأربابه وقال انه لمقام كريم نبدأ فيه بحمد الله على الدنو منه ونصلى على خيرة أنبيائه محمد الهادى الى الصراط المستقيم وعلى آله وصحابته نجوم الليل البهيم أما بعد فانا نحمد الله الذى اصطفاك للمؤمنين أميرا وجعلك للدين الحنيفى نصيرا وظهيرا ونفزع اليك مما دهمنا فى حماك ونبث اليك ما لحقنا من الضيم ونحن تحت ظل علاك وبالى الله ان يدهم من احتمى بأمير المسلمين ويصاب بضيم من ادرع بحصنه الحصين شكوى قمت بها بين يديك فى حق أمرك الذى عضده مؤيده لتسمع منها ما تختبره برأيك وتنقده وان قاضيك ابن الوحيدى الذى قدمته فى مالقة للاحكام ورضيت بعدله فيمن بها من الخاصة والعوام لم يزل يدل على حسن اختيارك بحسن سيرته ويرضى الله تعالى ويرضى الناس بظاهره وسريرته ما علمنا عليه من سوء ولا در يناله موقف خزى ولم يزل جاريا على ما يرضى الله تعالى ويرضيك ويرضينا الى أن تعرضت بنوحسون الى الطعن فى أحكامه والهدم من أعلامه ولم يعلموا أن اهتضام المقدم راجع على المقدم بل جعوا فى لجاجهم فعموا وصموا وفعلوا وامضوا ما به هموا والى السحب يرفع الكف من قد جف عنه مسيل عين ونهر فلا سمعه بلاغة أعقبت نصره ونصر صاحبه * ومن شعر ابن الفخار المذكور ويعرف بابن نصف الربض قوله

أمستنكر شيب المفارق فى الصبا * وهل ينكر النور المفتح فى الغصن
اظن طلاب المجد شيب مفرقى * وان كنت فى احدى وعشرين من سنى

وقوله اقل عتابك ان الكريم * يجازى على حبه بالقلى

فلله عهد لأخيس بعهده فأطلقته وقالت شأنك وما أردت فاقتاد بلقاء سعد وأخرجها من باب القصر الذى يلى الخندق فركبها ثم دب عليها حتى اذا كان بحيال ميمنة المسلمين كبر ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين فأوقف ميسرتهم وقتل رجالا كثيرا من نساكهم ونكس آخرين والفريقان يرمقونه بأبصارهم وقد تنوزع فى البلقاء فمنهم من قال انه ركبها عريا ومنهم من قال بل ركبها بسرج ثم غاص فى المسلمين فخرج فى ميسرتهم وحمل على ميمنة القلب فأوقفهم وجعل يلعب برمحه وسلاحه لا يبدو له فارس الا هتكه فأوقفهم وهابته الرجال ثم رجع فغاص فى قلب المسلمين ثم برز أمامهم ووقف بازاء قلب المشركين ففعل مثل أفعاله فى الميمنة والميسرة وأوقف القلب حتى لم ير زمنهم فارس الا اختطفه وحمل عن المسلمين الحرب فتعجب الناس منه وقالوا من هذا الفارس الذى لم نره فى يومنا فقال بعضهم هو ممن قدم علينا من اخواننا من الشأم من أصحاب هاشم ابن عتبة المرقال وقال بعضهم ان كان الخضر عليه السلام شهد الحرب وخل

ونحل اجتنابك ان الزمان * يمر بتكديره ما احتلا
وواصل اخاك بعلاته * فقد يلبس الثوب بعد البلى
وقل كالذى قاله شاعر * نبيل وحقك ان تنبلا
اذا ما خليل اساءة * وقد كان فيما مضى مجملا
ذكرت المقدم من فعله * فلم يفسد الآخر الاوّلا

ولما وفد ابو الفضل بن شرف بن برجة فى زى تظهر عليه البداوة بالنسبة الى اهل حضرة المملكة العظمى انشده قصيدته القافية

مطل الليل بوعد الغلق * وتشكى النجم طول الارق
ضربت ريح الصبا مسك الدجى * فاستفاد الروض طيب العبق
والاح الفجر خدا اخجلا * جال من رشح الندى فى عرق
جاور الليل الى انجمه * فتساقطن سقوط الورق
واستفاض الصبح فيه فيضة * أيقن النجم لها بالغرق
فانجلى ذاك الدنى عن حلك * وانمحى ذاك الدجى عن شفق
بأبى بعد الكرى طيف سرى * طارقا عن سكن لم يطرق
زارنى والليل ناع سدفه * وهو مطلوب بباقى الرمق
ودموع الطل تمرجا الصبا * يجفون الروض غرقى الحدق
فتأنى فى ازار ثابت * وتثنى فى وشاح قلق
وتجلى وجهه عن شعره * فتجلى فلق عن غسق
نهب الصبح دجى ليلته * فحبا الخد بعض الشفق
سلبت عيناه حدى سيفه * وتحلى خده بالرونق
وامتطى من طرفه ذا خبب * يلثم الغبراء ان لم يعنق
أشوس الطرف علته نخوة * يتهادى كالغزال الخرق
لو تملى بين أسراب المها * نازعته فى الحشا والعنق
حسرت دهمته عن غرة * كشفت ظلما وهاعن يقق
لبست أعطافه ثوب الدجى * وتحلى خده بالبلق
وانبرى تحسبه أجفل عن * لعة أو جنة أو ولق
مدركا بالمهل ما لا ينتهى * لاحقا بالرفق ما لم يلحق
ذو رضا مستتر فى غضب * ذو وقار منطوى فى خرق
وعلى خد كعضب أبيض * اذن مثل سنان أزرق
كلما نصبها مستمعا * بدت الشهب الى مسترق
حاذرت منه شباخطية * لا يحيد الخط ما لم يمشق
كلما شامت عذارى خده * خفقت خفق فؤاد فرق
فى ذرا ظاعن فيه هيف * لم يدعه للقضيب المورق

وانا وفدهم فى كل يوم * فان عتبوا فسل بهم وعريقا

لولا أن الملائكة لا تباشر الحروب لقلنا انه ملك
وأبو محجن برز كالليث الضرغام قد هتك الفرسان كالعقاب يجول عليهم ومن حضر من فرسان المسلمين مثل عمرو ابن معديكرب وطليحة بن خويلد والقعقاع وهاشم ابن عتبة المرقال وسائر قبائل العرب وأبطالها ينظرون اليه وقد حارت فى أمره وجعل سعد يفكر و يقول وهو مشرف على الناس من فوق القصر والله لولا محبس أبى محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء فلما انتصف الليل تحاجز الناس وتراجعت الفرس على أعقابها وتراجع المسلمون الى مواضعهم على تعبيتهم ومصافهم وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر من حيث خرج ولا يعلم به وورد البلقاء الى مربطها ووضع رجله فى القيد ورفع عقيرته وهو يقول

لقد علمت ثقيف غير فخر
بأنا نحن أكرمهم سيوفا
وأكرمهم دروعا سابغات
وأصبرهم اذا كرهوا الوقوفا
وليلة قارس لم يشعروا بى
ولم أشعر بهم حتى الزحوفا
فان أحبس فذلكم بلائى

فقالت له سلمى يا أبا محجن فى أى شئ حبسك هذا الرجل تعنى سعدا فقال

يتلقانى بكف مصقع * يقتفى شأو عذار مفلق
ان يدر دورة طرف يلتمع * أو يجل جول لسان ينطق
عصفت ريح على انبوبه * وجرت أكعبه فى زئبق
كلما قلبه باعد عن * متن ملساء كمثل البرق
جمع السرد قوى أزرارها * فتآخذن بعهد موثق
أوجبت فى الحرب من وخز القنا * فتوارت حلقا فى حلق
كلما دارت بها أبصارها * صورت منها مثال الحدق
زل عنه متن مصقول القوى * يرتمى فى مائها بالحرق
لونضا وهو عليه ثوبه * لتعرى عن شواظ محرق
اكهب من هبوات أخضر * من فرند أحمر مر علق
وارتوت صفحاه حتى خلته * بحيا من لكفيك سقى
يابنى معن لقد ظلت بكم * شجر لولا كم لم تورق
لوسقى حسان احسانكم * ما بكى نديمانه فى جلق
أودنا الطائى من حيكم * ماحدا البرق لربع الابرق
أبدعوا فى الفضل حتى كلفوا * كاهل الايام مالم يطق

فلما سمعها المعتصم لعبت بارتياحه وحسده بعض من حضر وكان من جملة من حسده ابن أخت غانم فقال له من أى البوادى أنت قال أنا من الشرف فى الدرجة العالية وان كانت البادية على بادية ولا أنكر خالى ولا أعرف بخالى فقال ابن اخت غانم خجلا وشمت به كل من حضر وابن شرف المذكور هو الحكيم الفيلسوف أبو الفضل جعفر ابن أديب افريقية أبى عبد الله محمد بن شرف الجذامى ولد ببرجة وقيل انه دخل الاندلس مع ابيه وهو ابن سبع سنين ومن نظمه قوله

رأى الحسن ما فى خده من بدائع * فاعجبه ماضم منه وحرفا
وقال اقد ألفيت فيه نوادرا * فقلت له لا بل غريبا مصحفا

وقوله

قد وقف الشكر بى لديكم * فلست أقوى على الوفاده
وقلت أقصى المراد منكم * فصرت أخشى من الزياده

وقوله

اذا ما عدوك يوما سما * الى رتبة لم تطق نقضها
فقبل ولا تأنفن كفه * اذا أنت لم تستطع عضها

وقوله وقد تقدم به على كل شاعر

لم يبق للجور فى أيامهم أثر * غير الذى فى عيون الغيد من حور

وأول هذه القصيدة قوله

قامت تجر ذيول العصب والحبر * ضعيفة الخصر والميثاق والنظر

وكان قد قصر أمداحه على المعتصم وكان يفد عليه فى الاعياد وأوقات الفرج والفتوحات فوفد عليه مرة يشكو عاملا ناقشه فى قرية يحرث فيها وأنشده الرائية التى مر مطلعها الى أن بلغ

وان أترك أذيقهم الحتوفا
والله ما حبسنى بحرام
أكلته ولا شربته ولكنى
كنت صاحب شراب فى
الجاهلية وأنا امرؤ شاعر
يدب الشعر على لسانى
فأصف القهوة وتداخلنى
أريحية فأتلذ بمدحى
اياها فلذلك حبسنى لانى
قلت فيها
اذا مت فادفنى الى جنب
كرمة
تروى عظامى بعد موتى
عروقها
ولا تدفنى بالفلاة فانى
أخاف اذا مامت أن
لا أذوقها

وهى أبيات وقد كان بين سلمى وسعد كلام كثير أوجب غضبه عليها لذكرها المثنى عند مختلف القنا فأقامت مغاضبة له عشية ازمار وليلة الهدار وليلة السواد حتى اذا أصبحت أتته فرضته وصالحته ثم أخبرته خبرها مع أبى محجن فدعا به فاطلقه وقال اذهب فأنا مؤاخذك بشئ تقوله حتى تفعله قال لاجرم والله لا أجبت لسانى الى صفة قبيح أبدا وأصبح الناس فى اليوم الثالث وهم على مصافهم وهو يوم عماس وأصبحت الاعاجم على مواقفها وأصبح بين الفريقين كالدجلة العوراء والفرات فى عرض ما بين الصفين وقد قتل من

قوله لم يبق للجور البيت فقال له كم في القرية التي تحرث فيها فقال فيها نحو خمسين بيتا فقال له أنا أسوغك جميعها لهذا البيت الواحد ثم وقع له بها وعزل عنها نظر كل وال وله ابن فيلسوف شاعر مثله وهو أبو عبد الله محمد بن الفضل المذكور وهو القائل

وكريم أجارني من زمان * لم يكن من خطوبه لي بد
منشد كلما أقول تناهى * ما لمن يبتغي المكارم حد

وابن أخت غانم هو العالم اللغوي أبو عبد الله محمد بن معمر من أعيان مالقة متفنن في علوم شتى الا أن الغالب عليه علم اللغة وكان قد رحل من مالقة الى المرية فحل عند ملكها المعتصم بن صمادح بالمكانة العلية وهو القائل في ابن شرف المذكور

قولوا لشاعر برجة هل جاءمن * أرض العراق فخاز طبع البحتري
وافى بأشعار تضج بكفه * وتقول هل أعزى لمن لم يشعر
ياجعفر ارد القريض لاهله * واترك مباراة لتلك الابحر
لا تزعمن ما لم تكن أهلا له * هذا الرضاب لغير فيك الابخر

وذكره ابن اليسع في مغربه وقال انه حدثه بداره في مالقة وهو ابن مائة سنة وأخذ عنه عام أربعة وعشرين وخمسمائة وله تآليف منها شرح كتاب النبات لابي حنيفة الدينوري في ستين مجلدا وغير ذلك * وغانم خاله الذي يعرف به هو الامام العالم غانم المخزومي نسب اليه لشهرة ذكره وعلو قدره ولما قرأ العالم الشهير أبو محمد بن عبدون في أول شبابه على أبي الوليد بن ضابط النحوي المالقي جرى بين يديه ذكر الشعر وكان قد ضجر منه فقال

الشعر خطة خسف فقال ابن عبدون معرضا به حين كان مستجديا بالشعر وكان اذ ذاك شيخا

لكل طالب عرف
للشيخ عيبة عيب * وللفتى ظرف ظرف

وابن ضابط هو القائل في المظفر بن الافطس

نظمنا لك الشعر البديع لاننا * علمنا بأن الشعر عندك ينفق
فان كنت مني بامتداح مظفرا * فاني في قصدي اليك موفق

ودخل غانم المخزومي السابق ذكره وهو من رجال الذخيرة على الملك ابن حيوس صاحب غرناطة فوسع له على ضيق كان في المجلس فقال

صير فؤادك للحبوب منزلة * سم الخياط مجال للحبين
ولا تسامح بغيضا في معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وهو القائل

وقد كنت أغدو نحو قطرك فارطا * فها أنا أغدو نحو قبرك ثاكلا
وقد كنت في مدحيك سحبان وائل * فها أنا من فرط التأسف باقلا

وله أيضا

الصبر أولى بوقار الفتى * من ملك يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حالة * كان على أيامه بالخيار

فقال سعد أيها الناس من شاء غسل الشهيد الميت والرثيث ومن شاء فليدفنهم بدمائهم وأقبل المسلمون على قتلاهم فاحرزوهم وجعلوهم وراء ظهورهم وكان النساء والصبيان يدفنون الشهيد ويحملون الرثيث الى النساء ويعالجن في كلومهم وكان بين موضع الوقعة مما يلي القادسية وبين حصن العذيب نخلة فاذا حمل الجريح وفيه تمييز وعقل ونظر الى تلك النخلة ولم يكن هنالك يومئذ نخلة غيرها واليوم بها نخل كثير قال فحامله قد قربت من السواد فأربحوني تحت ظل هذه النخلة فيرتاح تحتها ساعة فسمع رجل من الجرحى يقول

ألا فاسلمي يا نخلة بين فارس
وبين العذيب لا يجاورك النخل

وسمع آخر من بني تيم الله وقد أريح تحتها وحشوته خارجة من جوفه وهو يقول

أيا نخلة الجرحى ويا نخلة العدا
سقتك الغوادي والغيوث الهواطل

وأثخن الاعور بن قطنة بخيل من المعركة فسأل حامله أن يريحه تحتها حتى اذا بلغ اليها قال

وكتب أبو علي الحسن بن الغليظ الى صاحبه ابي عبدالله بن السراج وقد قدم من سفر

يامن أقلب طرفي في محاسنه * فلا أرى مثله في الناس انسانا
لو كنت تعلم ما لاقيت بعدك ما * شربت كاسا ولا استحسنت ريحانا

فورد عليه من حينه وقال أردت مجاوبتك فخفت أن أبطئ وصنعت الجواب في الطريق

يامن اذا ما سقتني الراح راحته * أهدت الي بها روحا ورحانا
من لم يكن في صباح السبت يأخذها * فليس عندي بحكم الظرف انسانا
فكن على حسن هذا اليوم مصطبحا * مذاكرا حسنا فيه واحسانا
وفي الساتين ان ضاق المحل بنا * مندوحة لاعدمنا الدهر بستانا

ووفد أبو علي الحسن بن كسر بن المالقي المشهور على ملك اشبيلية السيد أبي اسحق ابراهيم ابن أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي فأنشده قصيدة طار مطلعها في الافطار كل مطار وهو

قسما بحمص انه لعظيم * فهي المقام وأنت ابراهيم

ووصف الشاعر عطاء المالقي غادة جعلت على رأسها تاجا فقال

وذات تاج رصعوا دوره * فزاد في لألائها باللآل
كانها شمس وقد توجت * بأنجم الجوزاء فوق الهلال
قد اشتكى الخلخال منها الى * سوارها فاشتبها في المقال
وأجر ياذكر الوشاح الذي * ما نيل من خصرها في مجال
فقال لم ارض بما نلته * وليتني مثلك ما ازال
اغص بالخصر وأعيابه * كغص ظمآن بماء زلال
وانما الدهر بغير الرضا * يقضي فكل غير راض بحال

وهو القائل

سل بحمامنا الذي * كل عن شكره فمي
كم ادانى بقربه * جنة في جهنم

وكان يحضر حلقة الامام السهيلي وضيء الوجه من تلامذته فانقطع العارض فخرج السهيلي مارا في الطريق الذي جرت عادته بالمشي فيه فوجد فتاة تصلح فنعته من المرور فرجع وسلك طريقا آخر فمر على دار تلميذه الوضيء فقال له بعض اصحابه مما زجا بعبوره على منزله فقال نعم وانشد ارتجالا

جعلت طريقي على بابه * ومالي على بابه من طريق
وعاديت من اجله جيرتي * وآخيت من لم يكن لي صديق
فان كان قتلي حلالا لكم * فسيروا بروحي سيرا رفيق

وابو القاسم السهيلي مشهور عرف به ابن خلكان وغيره ويكنى ايضا بأبي زيد وهو صاحب كتاب الروض الانف وغيره واجتاز على سهيل وقد غزر به العدو لما اغار عليه وقتلوا اهله واقار به وكان غائبا عنهم فاستأجر من اركبه دابة واتى به اليه فوقف بازائه وانشد

أيا نخلة بين العذيب فتلعة * سقتك الغوادي الداجنات من النخل وأصبح الناس صبيحة يوم القادسية

وهي صبيحة ليلة الهرير وهي تسمى ليلة القادسية من تلك الايام والناس حيارى ولم يغمض لليلتهم كلها وحرض رؤساء القبائل عشائرهم واشتد الحملات الى أن جاء وقت الزوال فكان أول من زال حين قام قائم الظهيرة الهرمزان فتأخر وسار حتى انتهى وانفرج القلب حين قام قائم الظهيرة وهبت ريح عاصف فقطعت طيارة رستم عن سريره فهوت في نهر العتيق والريح دبور فثار الغبار عليهم وانتهى القعقاع وأصحابه الى سرير رستم فعثروا به وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة الى بغال قد قدمت عليهم بمال يومئذ فهي واقفة فاستظل في ظل بغل منها وحمله وضرب هلال بن علقمة الحمل الذي رستم في ظله فقطع حباله ووقع على رستم أحد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به فأزال من ظهره فقارة ومضى رستم الى نحو نهر العتيق فرمى بنفسه فيه واقتحم هلال عليه فتناوله برجله ثم خرج به الى الخندق وضربه بالسيف حتى قتله ثم جاء به يجره حتى رماه بين أرجل البغال وصعد السرير ونادى قتلت رستم ورب الكعبة الى آلى يادار

يادار أين البيض والآرام * أم أين جيران على كرام
راب المحب من المنازل انه * حيا فلم يرجع اليه سلام
لما أجابني الصدى عنهم ولم * يلج المسامع للحبيب كلام
طارحت ورق حمامها مترنما * بمقال صب والدموع سجام
يادار ما فعلت بك الايام * ضامتك والايام ليس تضام

وجرى بين السهيلي والرصافي الشاعر المشهور ما اقتضى قول الرصافي

عفا الله عني فاني امرؤ * اتيت السلامة من بابها
على أن عندي لمن هاجني * كنائن غصت بنشابها
ولو كنت ارمي بها مسلما * لكان السهيلي اولى بها

وتوفي السهيلي بمراكش سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ورزت قبره بها مرارا سنة عشر والف وسكن رحمه الله تعالى اشبيلية مدة ولازم القاضي ابا بكر بن العربي وابن الطراوة وعنه اخذ لسان العرب وكان ضريرا ومن شعره ايضا لما قال كيف أمسيت مكان كيف اصبحت

لئن قلت صبحا كيف امسيت مخطئا * فما انا في ذاك الخطا بملوم
طلعت وافني مظلم لفراقكم * فخلتك بدرا والمساء هموم

*وحكي ان الوزير الكاتب ابا الفضل بن حسداي الاسلامي السرقسطي وهو من رجال الذخيرة عشق جارية ذهبت بلبه وغلبت على قلبه فخبل بها جنونه وخلع عليها ديناره وعلم بذلك صاحبها فزفها اليه وجعل زمامها في يديه فتعامى عن موضعه من وصلها ثقة من أن يظن الناس أن اسلامه كان من أجلها فحسن ذكره وخفي على كثير من الناس أمره ومن شعره قوله

وأطر بناغيم يمازج شمسه * يستطورا بالسحاب ويكشف
ترى قزحا في الجو يفتح قوسه * مكبا على قطن من الثلج يندف

وكان في مجلس المقتدر بن هود ينظر في مجلد فدخل الوزير الكاتب أبو الفضل بن الدباغ وأراد أن يندر به فقال له وكان ذلك بعد اسلامه يا أبا الفضل ما الذي تنظر فيه من الكتب لعله التوراة فقال نعم وجلدها من جلد بغيه من تعلم فمات خجلا وضحك المقتدر وأراد الشاعر أبو الربيع سليمان السرقسطي حضور نديم له فكتب اليه

بالراح والريحان والياسمين * وبكرة الندمان قبل الاذين
وبهجة الروض بأنداته * مقلد منه بعقد ثمين
الا أجب بقاندائي الى الـ * ـكاس تبدت لذة الشاربين
هامت بها الاعين من قبل أن * يخبرها الذوق بحق اليقين
لاحت لدينا شفقا معلنا * فكن لها بالله صحابا مبين

وكتب علي بن خير التطيلي الى ابن عبد الصمد السرقسطي يستدعيه الى مجلس أنس انا أطال الله تعالى بقاء الكاتب سراج العلم وشهاب الفهم في مجلس قد عبقت تفاحه وضحكت راحه وخفقت حولنا اللطرب ألوية وسالت بيننا اللهو أودية وحضر تنا مقلة

وانهزموا وأخذهم السيف فمن غريق وقتيل وقد كان ثلاثون الفا منهم قرنوا انفسهم بعضهم الى بعض بالسلاسل والحبال وتحالفوا بالنور وبيوت النيران لا يبرحون حتى يقتحموا أو يقتلوا فجثوا على الركب وقرع بين ايديهم قنابيل النشاب فقتل القوم جميعا (وقد تنوزع) فيمن قتل رستم فذهب الاكثر الى ان قاتله هلال بن علقمة بن تيم الرباب على ما قدمنا ومنهم من راى ان قاتله رجل من بني اسد ولذلك يقول شاعرهم في ذلك اليوم وهو عمرو بن شاس الاسدي من ابيات

جلبنا الخيل في اكناف هف
الى كسرى بوافقها رعالا
تركن بهم على الاصنام سحرا
وبالحقوين أياما طوالا
قتلنا رستما وبنيه قسرا
تثير الخيل فوقهم الهمالا
تركنا منهم حيث التقينا
قيا ما لا يريدون ارتحالا

وأخذ ضرار بن الخطاب في ذلك اليوم من فارس الراية العظمى المقدم ذكرها أنها من جلود النمور المعروفة ببدرفس كاسان وكانت مرصعة بالياقوت واللؤلؤ وأنواع الجوهر فعوض منها بثلاثين الفا وكانت قيمتها ألفي الف ومائتي ألف وقتل في ذلك اليوم حول هذه الراية

والعذيب فذهب كثير من الناس الى ان ذلك كان فى سنة خمس عشرة ومنهم من رأى انه كان فى سنة أربع عشرة والذى قطع عليه محمد بن اسحق انها كانت فى خمس عشرة وقال فى سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطاب بالقيام فى شهر رمضان لصلاة التراويح وذهب كثير من الناس منهم المدائنى وغيره أن عمر أنفذ عتبة بن غزوان فى سنة أربع عشرة الى البصرة فنزلها ومصرها وذهب كثير من الناس انها مصرت فى ربيع سنة ست عشرة وان عتبة بن غزوان انما خرج اليها من المدائن بعد فراغ سعد بن أبى وقاص من حرب جلولاء وتكريت وان عتبة قدم البصرة وهى يومئذ تدعى أرض الهند وفيها حجارة بيض فنزل موضع الحرببة ومصر سعد بن ابى وقاص الكوفة فى سنة خمس عشرة ودلهم على موضعها نفيلة الغسانى وقال لسعد أدلك على أرض ارتفعت عن البر وانحدرت عن الفلاة فدله على موضع الكوفة الى اليوم (قال المسعودى) وكان عمر لا يترك أحدا من العجم يدخل المدينة فكتب اليه المغيرة بن شعبة ان عندى غلاما كلما

تسأل منك انسانها وصحيفة فكن عنوانها فان رأيت أن تجعل الينا القصد لنحصل بك فى جنة الخلد صقلت نفوسا أصداها بعدك وأبرزت شمسا أدجاها فقدك فأجابه ابن عبد الصمد فضضت أيها الكاتب العليم والمصقع الخبر الصميم طابع كتاب فتحنى منه جوهر منتخب لا يشوبه مخشلب هو السحر الا انه حلال دل على ودحنيت ضلوعك عليه ووثيق عهد انتدب كريم سجيتك اليه فسالت فالق الحب وعام القلب بالحب أن يصون لى حظى منك ويدر الى النوائب عنك ولم يمنعنى أن أصرف وجه الاجابة الى مرغوبك وامتطى جواد الانحدار الى محبوبك الا عارض ألم الم بى فقيد بقيده نشاطى وتركنى أتحامل على فراشى كالسليم واستمطر الاصباح من الليل البهيم وانا منتظر لادباره (ومن لطف اهل الاندلس ورقة طباعهم) ماحكاه ابو عمر وبن سالم المالقى قال كنت جالسا بمنزلى بمالقة فهاجت نفسى أن اخرج الى الجبانة وكان يوما شديد الحر فراودتها على القعود فلم تمكنى من القعود فمشيت حتى انتهيت الى مسجد يعرف برابطة الغبار وعنده الخطيب ابو محمد عبد الوهاب بن على المالقى فقال لى انى كنت ادعو الله تعالى ان يأتينى بك وقد فعل فالحمد لله فأخبرته بما كان منى ثم جلست عنده فقال انشدنى فأنشدته لبعض الاندلسيين

غصبوا الصباح فقسموه خدودا * واستوعبوا قضب الاراك قدودا
وراوا حصا الياقوت دون نحورهم * فتقلدوا شهب النجوم عقودا
لم يكفهم حد الاسنة والظبا * حتى استعاروا أعينا وخدودا

فصاح الشيخ وأغمى عليه وتصبب عرقا ثم أفاق بعد ساعة وقال يا بنى اعذرنى فشأن يقهرانى ولا أملك نفسى عندهما النظر الى الوجه الحسن وسماع الشعر المطبوع انتهى وستأتى هذه الابيات فى هذا الباب بأتم من هذا وعلى كل حال فهى لاهل الاندلس لا لابن دريد كما ذكره بعضهم وسيأتى تسمية صاحبها الاندلسى كما فى كتاب المغرب لابن سعيد العنسى المشهور رحمه الله تعالى وقال بعض الادباء ليحيى الجزار وهو يبيع لحما ضأن لحم اناث الكباش مهزول فقال يحيى يقول للمشترين مه زولوا وقال التطيلى الاعمى فى وصف أسد رخام يرمى بالماء على بحيرة

أسد ولو أنى أنا * قشه الحساب لقلت صخره
وكانه أسد السما * ء يميز من فيه المجره

وحضر جماعة من أعيان الادباء مثل الابيض وابن بقى وغيرهما من الوشاحين واتفقوا على أن يصنع كل واحد منهم موشحة فلما أنشد الاعمى موشحته التى مطلعها

ضاحك عن جمان * سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان * وحواه صدرى

خرق كل منهم موشحته ونحاكت امرأة الى القاضى أبى محمد عبد الله الازدى الاصبحى وكانت ذات جمال ونادرة فحكم لزوجها عليها فقالت له من يضيع قلبه كل طرف فاترجدير أن يحكم بهذا تشير الى قوله

أين قلبى أضاعه كل طرف * فاتر يصرع الحليم لديه

كلما ازداد ضعفه ازداد فتكا * أي صبر ترى يكون عليه

وحضر أبو اسحق بن خفاجة مجلسا بمرسية مع أبي محمد جعفر بن عتق الفضة الفقيه السالمي وتذاكرا فاستطال ابن عتق الفضة ولعب بأطراف الكلام ولم يكن ابن خفاجة يعرفه فقال له يا هذا لم تترك لاحد حظا في هذا المجلس فليت شعري من تكون فقال أنا القائل

الهوى علمني سهد الليال * ونظام الشعر في هذي اللآل
كلما هبت شمال منهم * لعبت بي عن يمين وشمال
وأرقت فكرتي أرواحها * فأتت منهن بالسحر الحلال
كان كا لملح اجاجا خاطري * وسحاب الحب أبدته زلال

فاهتز ابن خفاجة وقال من يكون هذا قوله لا ينبغي أن يجهل ولك المعذرة في جهلك فانك لم تعرفنا بنفسك فبالله من تكون فقال أنا فلان فعرفه ووقى حقه وحكى ابن غالب في فرحة الانفس ان الوزير ابا عثمان بن شنتغير وأبا عمر بن عبد شلب وفدا رسولين على المعتمد بن عباد عن اقبال الدولة بن مجاهد والمعتصم بن صمادح والمقتدر بن هود لاصلاح ما كان بين المعتمد وبين ابن ذي النون فسر المعتمد بهم وأكرمهم ودعاهم الى طعام صنعه لهم وكان لا يظهر شرب الراح منذ ولي الملك فلما رأوا انقباضه عن ذلك تحاموا الشراب فلما أمر بكتب أجوبتهم كتب له أبو عامر

بقيت حاجة لعبد رغيب * لم يدع غيرها له من نصيب
هي خيرية المساء حديثا * وأتاني الصباح أخشى رقيبي
فاذا أمس كان عندي نهارا * لم تخفني عليه بعد الغروب
واذا الليل جن حدثت جلا * سي بما كان من حديث غريب
قيل ان الدجى لديك نهار * وكذاك الدجى نهار الاريب
فتمنيت ليلة ليس فيها * لذكا ذلك السني من مغيب
حيث أعطيك في الخلاء وتعطيني مداما كمثل ريق الحبيب
ثم أغدو وكانني كنت في النو * م وأخفي المنام خوف هزيب

والهزيب الرقيب العتيد في كلام أهل الاندلس فسر المعتمد وانبسط بانبساطه وضحك من مجونه وكتب اليه

يا مجابا دعا الى مستجيب * فسمعنا دعاءه من قريب
ان فعلت الذي دعوت اليه * كنت فيما رغبت عين رغيب

واستحضره فنادمه خاليا وكساه ووصله وانقلب مسرورا وظن المعتمد أن ذلك يخفى من فعله عن ابن شنتغير فاعلمه بالامر القائد بن مرتين فكاد يتقطر حسدا وكتب الى المعتمد

أنا عبد ولي تلك بر * لم تدع من فنون برك فنا
غير رفع الحجاب في شرب الرا * ح فاذا جئناه أن يتجنى
وتمنى شراب سؤرك في الكا * س فبالله أعطه ما تمنى

فسر ته أبياته وأجابه

فقال له يا أمير المؤمنين استخلف على امة محمد فانه لو جاءك راعي ابلك أو غنمك وترك ابله او غنمه لاراعى بها لمته وقلت له

وقد كان المغيرة جعل عليه كل يوم درهمين وكان يدعى أبا لؤلؤة وكان مجوسيا من أهل نهاوند فلبث ما شاء الله ثم أتى عمر يشكو اليه ثقل خراجه فقال له عمر ما تحسن من الاعمال قال نقاش نجار حداد فقال له عمر ما خراجك بكثير في كنه ما تحسن من الاعمال فمضى عنه وهو مدبر قال ثم مر بعمر يوما آخر وهو قاعد فقال له عمر ألم احدث عنك أنك تقول لو شئت ان اصنع رحا تطحن بالريح لفعلت فقال أبو لؤلؤة لاصنعن لك رحا يتحدث الناس بها ومضى ابو لؤلؤة فقال عمر اما العلج فقد توعدني آنفا فلما ازمع بالذي اوعده به أخذ خنجرا فاشتمل عليه ثم قعد لعمر في زاوية من زوايا المسجد في الغلس وكان عمر يخرج في السحر فيوقظ الناس فمر به فثار اليه فطعنه ثلاث طعنات احداهن تحت سرته وهي التي قتلته وطعن اثني عشر رجلا من أهل المسجد فمات منهم ستة وبقي ستة ونحر نفسه بخنجره فمات فدخل عليه ابنه عبد الله ابن عمر وهو يجود بنفسه

فقد استخلف أبو بكر وان اتركهم فقد تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيئس منه عبد الله حين سمع ذلك منه (وكان اسلام عمر) قبل الهجرة باربع سنين وكان يخضب بالحناء والكتم وكان له من الولد عبد الله وحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعاصم وفاطمة وزيد من ام وعبد الرحمن وفاطمة وبنات اخر وعبد الرحمن الاصغر وهو المحدود في الشراب وهو المعروف بابي شحمة من ام (وذكر عبد الله بن عباس) ان عمر ارسل اليه فقال يا ابن عباس ان عاملك حمص هلك وكان من أهل الخير واهل الخير قليل وقد رجوت أن تكون منهم وفي نفسي منك شيء لم أره منك واعيانني ذلك فما رأيك في العمل قال لن اعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك قال وما تريد الى ذلك قال اريده فان كان شيأ أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت وان كنت بريأ من مثله علمت اني لست من أهله فقبلت عملك هنالك فاني قلما رأيت او ظننت شيأ الا علانيته فقال يا ابن عباس اني خشيت ان ياتي على الذي هو آت وانت في عملك فتقول هلم الينا أهنئ

يا كريم المحل في كل معنى * والكريم المحل ليس يعنى
هذه الخمر تبتغيك فخذها * أو فدعها أو كيفما ماشئت كنا

وكان يقرأ في مجلس ملك السهلة ابي مروان بن رزين ذي الرياستين ديوان شعر محمد بن هانئ وكان القارئ فيه بله فلما وصل الى قوله * حرام حرام زمان الفقير * اتفق أن عرض للملك ما اشتغل به فقال للقارئ أين وقفت فقال في حرام فقام الملك وقال هذا موضع لا أقف معك فيه ادخل أنت وحدك ثم دخل الى قصره وانقلب المجلس ضحكا وكان للملك المذكور وزير من أعاجيب الدهر وهو الكاتب أبو بكر بن سدراي وذكره الحجاري في المسهب وقال ان له شعرا أرق من نسيم السحر وأندى من الطل على الزهر ومنه قوله

ماضركم لو بعثتم * ولو بأدنى تحيه
تهزني من شذاها * اليكم الا ريحيه
خذوا سلامي اليكم * مع الرياح النديه
في كل سحرة يوم * تترى وكل عشيه
يارب طال اصطباري * ما الوجد الا بليه
غيلان بالشرف أضحى * وحلت الغربميه

وقوله سابقى المجد في شرق وغرب * فما ساد الفتى دون اغتراب
فان بلغت مأمولا فاني * جهدت ولم اقصر في الطلاب
وان انا لم افز بمراد سعيي * فكم من حسرة تحت التراب

وقال ملك بلنسية مروان بن عبد العزيز لما ولي مكانه من لا يساويه

ولا غرو بعدي أن يسود معشر * فيمحى لهم يوم وليس لهم امس
كذاك نجوم الجو تبدو وتزهر * اذا ما توارت في مغار بها الشمس

وقال ابن دحية دخلت عليه وهو يتوضأ فنظر الى لحيته وقد اشتعلت بالشيب اشتعالا فانشد لنفسه ارتجالا

ولما رايت الشيب أيقنت أنه * نذير لجسمي بانهدام بنائه
اذا ابيض مخضر النبات فانه * دليل على استحصاده وفنائه

واعتل ابن ذي الوزارتين ابي عامر بن الفرج وزير المأمون بن ذي النون وهو من رجال الذخيرة والقلائد فوصف له ان يتداوى بالخمر العتيق وبلغه ان عند بعض الغلمان منها شيأ فكتب اليه يستهديه

ابعث بها مثل ودك * ارق من ماء خدك
شقيقة النفس فانضح * بها جوى ابني وعبدك

وهو القائل معتذرا عن تخلفه عمن جاء منذرا

ما تخلفت عنك الا لعذر * ودليلي في ذاك خوفي عليكا
هبك أن الفرار من غير عذر * اتراه يكون الا اليكا

وله من رسالة هنأ

اهنئ بالعيد من وجهه * هو العيد لولاح لى طالعا
وادعو الى الله سبحانه * بشمل يكون لنا جامعا

وكتب الى الوزير الحصرى يستدعيه ان يكون من ندمائه فكتب اليه الوزير الحصرى يستعلمه اليوم فلما اراده كتب اليه

هاقد اهبت بكم وكلكم هوى * واحقكم بالشكر منى السابق
كالشمس انت وقد اطل طلوعها * فاطلع وبين يديك فجر صادق

وله فى رئيس مرسية ابى عبد الرحمن بن طاهر وكان ممتع المحالسة كثير النادرة

قد راينا منك الذى قد سمعنا * فغدا الخبر عاضد الاخبار
قد وردنا لديك بحرا غزيرا * وارتقينا حيث النجوم الدرارى
ولكم مجلس لديك انصرفنا * عنه مثل الصباح عن الازهار

وشرب الاديب الفاضل ابو الحسن على بن حريق عشية مع من يهواه ورام الانفصال عنه لداره فمنعه سيل حال بينه وبين داره فبات عنده على غير اختياره فقال ابن حريق

ياليلة جادت الليالى * بها على رغم أنف دهرى
للسيل فيها على نعمى * يقصر عنها لسان شكرى
أبات فى منزلى حبيبى * وقام فى أهله بعذر
فبت لاحالة كعالى * ضجيع بدر صريع سكر
ياليلة القدر فى الليالى * لانت خير من ألف شهر

ومن حسنات ابن حريق المذكور قوله

ياويح من بالمغرب الاقصى ثوى * حلف النوى وحبيبه بالمشرق
لولا الحذار على الورى لملأت ما * بينى وبينك من زفير محرق
وسكبت دمعى ثم قلت لسكبه * من لم يذب من زفرة فليغرق
لكن خشيت عقاب ربى ان أنا * أحرقت أو أغرقت من لم أخلق

وله لم يبق عندى للصبا لذة * الا الاحاديث على الخمر

وله فقبلت اثرك فوق الثرى * وعانقت ذكرك فى مضجعى

وله ان ما كان فى وجنتها * وردته السن حتى نشفا
وذوى العناب من أخلها * فاعادته الليالى حشفا

وأورد له أبو بحر فى زاد المسافر قوله

كلمته فاحمر من خجل * حتى اكتسى بالسعد الورق
وسألته تقبيل راحته * فأبى وقال أخاف أحترق
حتى زفيرى عاق عن أملى * ان الشفاء بريقه شرق

وقوله فى السواقى

وكانما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح مدة الطوفان
فاذا رأينا الماء يطفح نضنضت * من كل خرق حية بلسان

وتركتكم قال والله قد رأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك قال والله ما أدرى أضن بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم أم خشى ان تتابعوا بمنزلتكم منه فيقع العقاب ولابد من عتاب فقد قرعت لك قال فما رأيك قال قلت ارانى لا اعمل لك قال ولم قلت ان عملت لك وفى نفسك ما فيها لم ابرح قذى فى عينك قال فأشر على قلت انى ارى ان تستعمل صحيحا منك صحيحا لك (وذكر) علقمة بن عبد الله المزنى عن معقل بن يسار أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان فى فارس واصبهان واذربيجان فقال له اصبهان الرأس وفارس واذربيجان الجناحان فان قطعت احد الجناحين نأى الرأس بالجناح الآخر وان قطعت الرأس وقع فابدأ بالرأس فدخل المسجد فاذا هو بالنعمان بن مقرن يصلى فقعد الى جنبه فلما قضى صلاته قال ما أرانى الا مستعملك قال أما جابيا فلا ولكن غازيا قال فانك غاز فوجهه وكتب الى أهل الكوفة أن يمدوه وبعث معه الزبير بن العوام

وعمرو بن معديكرب وحذيفة وابن عمر والاشعث بن قيس فارسل النعمان المغيرة بن شعبة الى ملكهم

فقال ماترون فقالوا اقعد له فى بهجة الملك فصعد على سريره ووضع التاج على رأسه وأقعد أبناء الملوك سماطين عليهم الاقراط واسورة الذهب والديباج وأذن للمغيرة فأخذ بضبعيه رجلان ومعه سيفه ورمحه قال فجعل المغيرة يطعن برمحه فى بسطهم يخرقها لينظروا فيغضبهم بذلك حتى قام بين يديه وجعل يكلمه والترجمان يترجم بينهما فقال انكم معشر العرب أصابكم جهد فان شئتم مرنا كم ورجعتم فتكلم المغيرة بحمد الله وأثنى عليه ثم قال انا معشر العرب كنا أذلة يطؤنا الناس ولا نطؤهم ونأكل الكلاب والجيف ثم ان الله تعالى بعث منا نبيا فى شرف منا أوسطنا حسبا وأصدقنا حديثا وبعث النبى صلى الله عليه وسلم ببعثه وأخبرنا باشياء وجدناها كما قال لنا وانه وعدنا فيما وعدنا به أنا سنملك ماههنا ونغلب عليه وانى أرى ههنا هيئة وبزة ما من خلفى بتاركيها يصيبونها أو يموتوا فقالت لى نفسى لو جمعت جراءة مثرى ووثبت فقعدت مع العلج على سريره حتى يتطير قال فوثبت وثبة فاذا أنا معه على سريره فجعلوا يلكزونى بارجلهم ويجذبونى بايديهم أبو

وقال الفيلسوف أبو جعفر بن الذهبى فيمن جمع بينه وبين أحد الفضلاء

أيها الفاضل الذى قد هدانى * نحو من قد حمدته باختيار
شكر الله ما أتيت وجازا * ك ولازلت نجم هدى لسارى
أى برق أفاد أى غمام * وصباح أدى لضوء نهار
واذا ما النسيم كان دليلى * لم يحلنى الا على الازهار

وأنشد أبو عبد الله محمد بن عبادة الوشاح المعتصم بن صمادح شعرا يقول فيه

ولولم أكن عبد الاله صمادح * وفى أرضهم أصلى وعيشى ومولدى
لما كان لى الا اليهم ترحل * وفى ظلهم أمسى وأضحى وأغتدى

فارتاح وقال يا ابن عبادة ما أنصفناك بل أنت الحر لا العبد فاشرح لنا فى أملك فقال أنا عبدكم كما قال ابن نباتة

لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

فالتفت الى ابنه الواثق يحيى ولى عهده وقال اذا اصطنعت الرجال فمثل هذا فاصطنع ضمه اليك وافعل معه ما تقتضيه وصيتى به ونبهنى اليه كل وقت فأقام نديما لولى العهد المذكور وروله فيهما الموشحات المشهورة كقوله

كم فى قدود البان تحت اللمم من أقرع واطى
بأغن ليل وبنان مثل الغنم لم تنبرى للعاطى

ولما بلغ المعتصم أن خلف بن فرج السميسر هجاه احتال فى طلبه حتى حصل فى قبضته ثم قال له انشدنى ما قلت فى فقال له وحق من حصلنى فى يدك ما قلت شرا فيك وانما قلت

رأيت آدم فى نومى فقلت له * أبا البرية ان الناس قد حكموا
أن البرابر نسل منك قال اذن * حواء طالقة ان كان ما زعموا

فأباح ابن بلقين صاحب غرناطة دمى فخرجت الى بلادك هاربا فوضع على من أشاع ما بلغك عنى لتقتلنى أنت فيدرك ثاره بك ويكون الاثم عليك فقال وما قلت فيه خاصة مضافا الى ما قلته فى عامة قومه فقال لما رأيته مشغوفا بتشييد قلعته التى يتحصن فيها بغرناطة قلت

يبنى على نفسه سفاها * كأنه دودة الحرير

فقال له المعتصم لقد أحسنت فى الاساءة اليه فاخترهل أحسن اليك وأخلى سبيلك أم أجيرك منه فارتجل

خير نى المعتصم * وهو بقصدى أعلم
وهو أن يجمع لى * امنا ومنا أكرم

فقال خاطرك خاطر شيطان ولك الامن والامان فأقام فى احسانه باوطانه حتى خلع عن ملكه وسلطانه ولما أنشده عمر بن الشهيد قصيدته التى يقول فيها

سبط البنان كأن كل غمامة * قد ركبت فى راحتيه أناملا
لا عيش الا حيث كنت وانما * تمضى لياليك العمر بعدك باطلا

التفت الى من حضر من الشعراء وقال هل فيكم من يحسن أن يجلب القلوب بمثل هذا فقال

فقلت لهم انا لا نفعل برسلكم هكذا وان كنت غدرت واستخففت فلا تؤاخذوني فان الرسل لا يصنع بها هكذا فقال الملك ان شئتم قطعنا اليكم وان شئتم قطعتم الينا قلت بل نقطع اليكم فقطعنا اليهم قال فقسلوا كل خمسة وستة حتى لا تغزوا فدنونا اليهم فضايقناهم فرشقونا حتى أسرعوا فينا فقال المغيرة للنعمان انه قد أسرع في الناس وقد جرحوا فلو حملت فقال النعمان انك لذو مناقب وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال وكان اذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر ثم قال انى هازلوائى ثلاث مرات فاما اول هزة فليفض الرجل حاجته وليتوضأ وأما الثانية فلينظر الرجل الى شسعه وليلزم سلاحه فاذا هززت الثالثة فاحملوا ولا يلوين أحد على أحد وان قتل النعمان وانى داع الى الله بدعوته وأقسمت على كل امرئ منكم لما أمن عليها وقال اللهم ارزق النعمان اليوم شهادة في نصر وفتح عليهم فأمن القوم فهز لواءه ثلاثا ثم أدنى درعه وحمل ثم حمل الناس فكان أول صريع قال معقل فاتيت عليه فذكرت عزمة لا أقف عليها وعلمت علما لا أعرف مكانه ووضعنا القتل فيهم ووقع ذو الحماحم عن بغلة له شهباء فانشقت.

أبو جعفر الخزاز البطرنى نعم ولكن للسعادة هبات وقد أنشدت مولانا قبل هذا أبياتا أقول فيها

وما زالت أجنى منك والدهر معمل * ولا ثمر يجنى ولا الزرع يحصد
ثمار وأبدانيات قطوفها * لاغصانها ظل على ممدد
برى جار ياماء المكارم تحتها * وأطيار شكرى فوقهن تغرد

فارتاح المعتصم وقال أأنت أنشدتنى هذا قال نعم قال والله كانها ما مرت بسمعى الى الآن صدقت للسعد هبات ونحن نجيزك عليها بجائزتين الاولى لها والثانية لطل راجيها وغمط احسانها انتهى * وقال بعض ذرية ملوك اشبيلية

نثر الورد بالخليج وقد درج أمواهه هبوب الرياح
مثل درع الكمى مزقها الطعـ ـن فسالت بها دماء الجراح

وقال ابن صارة في النارنج

كرات عقيق في غصون زبرجد * بكف نسيم الريح منها صوالج
نقبلها طورا وطورا نشمها * فهن خدود بيننا ونوافج

وقال أبو الحسن بن الزقاق ابن أخت ابن خفاجة

وماشق وجنته عابثا * ولكنها آية للبشر
جلاها لنا الله كما ترى * بها كيف كان انشقاق القمر

وقال

ضربوا ببطن الوادين قبابهم * بين الصوارم والقنا الميادا
والورق تهتف حولهم طربا بهم * فبكل محنية ترنم شادى
يابانة الوادى كفى حزننا * أن لا نطارح غير بانة وادى

وقال

نحن في مجلس به كل انـ ـس ولو زرتنا لزاد كمالا
طلعت فيه من كؤس الحيا * ومن الزهر أنجم تتلالا
غير أن النجوم دون هلال * فلتكن منعما لهن الهلالا

وقال

وهويتها سمراء غنت وانثنت * فنظرت من ورقاء في أملودها
تشدو ووسواس الحلى يجيبها * مهما انثنت في وشيها وعقودها
أوليس من بدع الزمان حمامة * غنت فغنى طوقها في جيدها

وقال

لئن بكيت دما والعزم من شيمى * على الخليط فقد يبكى الحسام دما

وقال ابو تمام غالب بن رباح الحجام في دولاب طار منه لوح فوقف

وذات شد ومالها حلم * كل فتى بالضمير حياها
وطار لوح بها فأوقفها * كلمة العين حين أجراها

وكان المذكور ربى في قلعة رباح غربى طليطلة ولا يعلم له أب وتعلم الحجامة فأتقنها ثم تعلق بالادب حتى صار آية وهو القائل في ثريا الجامع

تحكى الثريا الثريا في تألقها * وقد عراها نسيم فهى تتقد
كانها لذوى الايمان اقئدة * من الخشوع جوف الليل ترتعد

فاتيت الى مكان النعمان فصادفته وبه رمق فاتيته باداوة ففسلت وجهه فقال

وقال
زرت الحبيب ولاشئ أحاذره * فى ليلة قدلوت بالغمض أشفارا
فى ليلة خلت من حسن كواكبها * دراهما وحسبت البدر دينارا

وقال فى الثريا أيضا

انظر الى سرج فى الليل مشرقة * من الزجاج تراها وهى تلتهب
كانها ألسن الحيات قد برزت * عند الهبير فما تنفك تضطرب

وقال
ترى النسر والقتلى على عدد الحصا * وقد مزقت أحشاءها والترائبا
مضرجة مما أكلن كانها * عجائز بالحنا خضبن ذوائبا

وقال وقد أبدع غاية الابداع وأتى بما يحير الالباب وان كان أبو نواس فاتح هذا الباب

وكاس ترى كسرى بها فى قرارة * غريقا ولكن فى خليج من الخمر
وما صورته فارس عبثا به * ولكنهم جاؤا باخفى من السحر
أشاروا بما كانوا له فى حياته * فتومى اليه بالسجود وما تدرى

وما أحلى قوله

الا قم وان رمى عليك ظلامة * لما عنفت عليه بالمسواك
لا يحمل النور الانيق نسمه * كف يعود بشامة وارالك
وجلاؤه المخلوق فيه قد كفى * من أن يراع عراره بسواك

وقوله
صغار الناس أكثرهم فسادا * وليس لهم لصالحة نهوض
ألم ترفى سباع الطير سرا * تسالمنا ويأكلنا البعوض

وقد بلغ غاية الاحسان فى قوله

فالملك ليس يرى مكانى * وقد كحلت لواحظه بنورى
كذا المسواك مطرحا مهانا * وقد أبقى جلاء فى الثغور

ومن حسناته قوله

لى صاحب لا كان من صاحب * فانه فى كبدى جرحه
يحكى اذا أبصر لى زلة * ذيابة تضرب فى قرحه

ولقيه أبو حاتم الحجارى على فرس فى غاية الضعف والرذالة قد أهلكها الوجى وكانا فى جماعتين فقال له يا أبا تمام أنشدنى قولك

وتحتى ريح تسبق الريح ان جرت * وفاخلت أن الريح ذات قوائم
لها فى المدى سبق الى كل غاية * كأن لها سبقا يفوق عزائمى
وهمة نفسى تزهقها عن الوحى * فيا عجبا حتى العلا فى البهائم

فلما أنشده اياها رد رأسه أبو حاتم الى الجماعتين وقال ناشدتكم الله أيجوز لمجام على فرس مثل هذه الرمكة الهزيلة العرجاء أن يقول مثل هذا فضحك جميع من حضر وأقبل أبو تمام من غيظه يسبه ومن شعر الحجام المذكور قوله

لا يفخر السيف والاقلام فى يده * قد صار قطع سيوف الهند للقصب
فان يكن أصلها لم يقو قوتها * فان فى الخمر معنى ليس فى العنب

بطنه وفتح الله على المسلمين

من هذا قلت معقل بن يسار قال ما فعل الله بالناس قلت فتح الله عليهم قال الحمد لله كثيرا كتبوا بذلك الى عمر وفاضت نفسه واجتمع الناس الى الاشعث ابن قيس وأرسلوا الى أم ولده هل عهد اليك النعمان عهدا له أم عندك كتاب قالت سقط فيه كتاب فاخرجوه فاذا فيه ان قتل فلان فلان وان قتل فلان فلان فاقتتلوا وفتح الله على المسلمين فتحا عظيما (قال المسعودى) رحمه الله وهذه وقعة نهاوند وقد كان للاعاجم جمع كثير وقتل هنالك من المسلمين خلق كثير منهم النعمان بن مقرن وعمرو بن معديكرب وغيرهم وقبورهم الى هذا الوقت مبنية معروفة على نحو فرسخ من نهاوند فيما بينها وبين الدينور وقد أتينا على وصف هذه الوقعة فيما سلف من كتبنا (وذكر) أبو مخنف لوط بن يحيى قال لما قدم عمرو بن معديكرب من الكوفة على عمر ساله عن سعد بن أبى وقاص فقال فيه ما قال من الثناء ثم سأله عن السلاح فاخبره بما علم ثم سأله عن قومه فقال له أخبرنى عن قومك مذحج ودع طيأ قال سلنى عن أيهم شئت قال أخبرنى عن مذلة بن

وقال

خالد قال هم فرسان اعراضنا وشفاة امراضنا وهم أعتقنا وأنجبنا وأسرعنا طلبا وأقلناهربا وهم أهل الصباح والسماح والرماح قال عمرفما أبقيت لسعد العشيرة قال هم أعظمنا حميما واسخانا نفوسا وخيرنا رئيسا قال فما أبقيت لمراد قال هم أوسعنا دارا مخيرنا جارا وأبعدنا ثارا وهم الاتقياء البررة والساعون الغفرة قال فاخبرنى عن بنى زبيد قال أنا عليهم ضنين ولو سألت الناس عنهم لقالوا هم الرأس والناس الاذناب قال فأخبرنى عن طيئ قال خصوا بالجود وهم جمرة العرب قال فما تقول فى عبس قال هم عظيم وزبن أثير قال فأخبرنى عن حمير قال رعوا العفو وشربوا الصفو قال فاخبرنى عن كندة قال ساسوا العباد وتمكنوا من البلاد قال فاخبرنى عن همدان قال أبناء الليل وأهل النيل يمنعون الجار ويوفون الذمار قال فاخبرنى عن الازد قال هم أقدمنا ميلادا وأوسعنا بلادا قال فأخبرنى عن الحرث بن كعب قال هم الحسكة المسكة تلقى المنايا على أطراف رماحهم قال فاخبرنى عن لخم قال آخرنا ملكا وأولنا هلكا قال فاخبرنى عن جذام قال أولئك كالعجوز العيراء وهم أهل مقال وفعال قال فاخبرنى عن غسان قال أرباب فى الجاهلية نجوم فى الاسلام قال

وقال
ثقلت على الاعداء الانها * خفت على السباب والابهام
أخذت من الليل البهيم سواده * وبدت تمزق أوجه الايام

وقال
نظر الحسود فازدرى لى هيئة * والفضل منى لا يزال مبينا
قبحت صفاتى من تغيروده * صد المراة يقبح التحسينا

وقال
تصبر وان أيدى العدو مذمة * فهمار مى ترجع اليه سهامه
كما يفعل النحل الملم بلسعه * يريد به ضرا وفيه حمامه

وقال
وبارد الشعر لم يؤلم به ولقد * أضر منه جميع الناس واعتزلا
كانه الصل لا تؤذيه رقيته * حتى اذا جمها فى غيره قتلا

وقال ابن الزقاق
دعاك خليل والاصيل كانه * عليل يقضى مدة الرمق الباقى
الى شط منساب كانك ماؤه * صفاء ضمير أو عذوبة أخلاق
ومهوى جناح للصبا يمسح الربا * خفى الخوافى والقوادم خفاق
على حين راح البرق فى الجو مغمدا * ظباه ودمع المزن من جفنه راق
وقد حان منى للرياض التفاتة * حبست بها كاسى قليلا عن الساقى
على سطح خيرى ذكرتك فانثنى * يميل بأعناق ويرنو بأحداق
فصل زهرات منه هذا كانها * وقد خضلت قطرا محاجر عشاق

ولما مدح الحسيب أبو القاسم بن سعدة الاوسى أمير المؤمنين عبد المؤمن بقوله
حنانيك مدعوا ولبيك داعيا * فكل بما ترضاه أصبح راضيا
طلعت على أرجائنا بعد فترة * وقد بلغت منا النفوس التراقيا
وقد كثرت منا سيوف لدى العلا * ومن سيفك المنصور نبغى التقاضيا
وغيرك نادينا زمانا فلم يجب * وعزمك لم يحتج علاه مناديا

كتب اسمه وزير عبد المؤمن فى جملة الشعراء فلما وقف على ذلك عبد المؤمن ضرب على اسمه وقال انما يكتب اسم هذا فى جملة الحساب لا تدنسوه بهذه النسبة فلسنا ممن يتغاضى على غمط حسبه ثم أجزل صلته وأمر له بضيعة يحرث له بها يعنى بذلك انه من ذرية ملوك لان جده كان ملك وادى الحجارة * وقال أبو بكر محمد بن أزرق
هل علم الطائر فى ايكه * بأن قلبى للعمى طائر
ذكرنى عهد الصبا شجوه * وكل صب للصبا ذاكر
سقى عهود الهم بالحمى * دمع له ذكرهم ناثر

وقال أبو جعفر بن ازرق
أراك ملكت الخافقين مهابة * بها ما تلح الشهب بالخفقان
وتغضى العيون عن سناك كانها * تقابل منك الشمس فى اللمعان
وتصفر ألوان العداة كانما * رموا منك طول الدهر باليرقان

وقال أبو القاسم بن أزرق

فأخبرني عن الاوس والخزرج قال هم الانصار وهم أعزنا دارا وأمنعنا ذمارا وقد كفانا الله مدحهم في القرآن فقال والذين تبوؤا الدار والايمان الآية قال فأخبرني عن خزاعة قال أولئك مع كنانة لنا نسبهم وبهم نصرنا قال فأي العرب أبغض اليك أن تلقاه قال أما من قومي فوادعة من همدان وغطيف من مراد وبلحرث من مذحج وأما من معد فعدي من فزارة وعرة من ذبيان وكلاب من عامر وشيبان من بكر ابن وائل ثم لوجلت بفرسي على مياه معد ما خفت هيج أحد ما لم يلقني حراها وعبداها قال ومن حراها وعبداها قال أما حراها فعامر بن الطفيل وعيينة ابن الحرث بن شهاب التيمي وأما عبداها فعنترة وسليك ثم سأله عن الحرب فقال سألت عنها خبيرا هي والله يا أمير المؤمنين مرة المذاق اذا شمرت عن ساق من صبر فيها ظفر ومن ضعف فيها هلك قلت ولقد أحسن واصفها وأجاد الحرب أول ما تكون فتية تبدو بزينتها لكل جهول حتى اذا حميت وشب ضرامها عادت عجوزا غير ذات حليل شمطاء جزت رأسها وتنكرت مكروهة للشم والتقبيل

ثم سأله عن السلاح فأخبره حتى بلغ السيف قال هنالك قارعتك أمك عن ثكلها فعلاه عمر بالدرة وقال بل

والخزرج قال هم الانصار وهم أعزنا دارا وأمنعنا ذمارا وقد كفانا الله مدحهم

ذاك الزمان الذي تقضى * ياليته عاد منه حين
بكل عمري الذي تبقى * وما أنافي الشراغبين

وقال راشد بن عريف الكاتب

جمع في مجلس ندامى * تحسدني فيهم النجوم
فقال لي منهم نديم * مالك اذ قمت لا تقوم
فقلت ان قمت كل حين * فان حظي بكم عظيم
وليس عندي اذن ندامى * بل عندي المقعد المقيم

وقال الحسيب أبو جعفر بن عائش

ولي أخ أو رده سلسلا * لكنه يورد لي مالحا
ألقاه كي أبسطه ضاحكا * ويلتقيني أبدا كالحا
وليس ينفك عنائي به * مارمت من فاسده صالحا

قال الجاري وكتب الي جدي ابراهيم في يوم صحو بعد مطر

اذا رأيت الجو يصحو فلا * تصحو سقاك الله من سكر
تعال فانظر لدموع الندى * ما فعلت في مبسم الزهر
ولا تقل انك في شاغل * فليس هذا آخر الدهر
تخلف ما فات سوى ساعة * تقتص فيها لذة الخمر

فأجابه

لبيك لبيك ولو أنني * أسعى على الرأس الى مصر
فكيف والدار جواري وما * عندي من شغل ولا عذر
ولو غدا الى ألف شغل بلا * عذر تركت الكل للعشر
وكلما أبصرني ناظر * بيابكم عظم من قدري
الا الذي يشرب بها دائما * ما حضرت في الصحو والقطر
وليس تقلى أبدا بعدها * الا الذي يعهد من شكري

قال وفيه يقول جدي يمدحه

ولو كان ثان في الندى لابن عائش * لما كان في شرق وغرب أخو فقر
يهش الى الامداح كالغصن للصبا * وينشر محياه ينوب عن الزهر
فيا رب زدني في عمره ان عمره * حياة أناس قد كفوا كلفة الدهر

وقتله ابن مسعدة ملك وادي الحجارة الثائر بها ولما قدمه ليقتله قال ارفق علي حتى أخاصم عن نفسي فقال على لسانك قتلناك فقال له لا رفق الله عليك يوم تحتاج الى رفقه فقال بجبروتيته مارهبنا السيوف الحداد ونرهب دعاء الحساد * وقال أبو الحسن علي بن شعيب

انزعي الوشي فهو يسترحسنا * لم تحزه برقهن الثياب
ودعيني عسى اقبل ثغرا * لذ فيه اللمى وطاب الرضاب
وعجيب أن تهجريني ظلما * وشفيعي الى صباك الشباب

وقال

أملك فارعتلك والله انى لاهم أن أقطع لسانك فقال الحمى أصرعتنى اليوم وخرج من عنده وهو يقول

أتوعدنى كانك ذو رعين
بانعم عيشة أوذى نواس
فكم قد كان قبلك من مليك
عظيم ظاهر الجبروت قاسى
فأصبح أهله بادوا وأمسى
ينقل من أناس فى أناس
فلا يغررك ما لك كل ملك
يصير مذلة بعد الشماس

وقال الجيدى فى الجذوة

قل لمن نال عرض من لم ينله * حسبنا ذو الجلال والاكرام
لم يزدنى شيأ سوى حسنات * لا ولا نفسه سوى آثام
كان ذا منعة فنقل ميزا * نى بهذا فصار من خدامى

وقال ابو محمد القاسم بن الفتح

ايام عمرك تذهب * وجميع سعيك يكتب
ثم الشهيد عليك منـ * ـك فأين اين المهرب

وقال ابو مروان عامر بن غصن

فديتك لا تخف منى سلوا * اذا ما غير الشعر الصغارا
اهيم بدن خمر صار خلا * واهوى لحية كانت عذارا

وقال قد الحف الغيم بانسكابه * والتحف الجو فى سحابه
وقام داعى السرور يدعو * حى على الدن وانتهابه
وتاه فيه النـ ـديم مما * يزدحم الناس عند بابه

وكان أحد الاعلام فى الآداب والتاريخ والتأليف ونقم عليه المأمون بن ذى النون بسبب صحبته لرئيس بلده ابى عبيدة وبلغه انه يقع فيه فنكبه اشر نكبة وحبسه فكتب اليه من السجن

فديتك هل لى منك رحمى لعلنى * أفارق قبرا فى الحياة فانشر
وليس عقاب المذنبين بمنكر * ولكن دوام السخط والعتب منكر
ومن عجب قول العداة مثقل * ومثلى فى الحاحه الدهر يعذر

وألف المأمون رسالة السجن والمسجون والحزن والمحزون ورسالة اخرى سماها بالعشر كلمات وقال

يا فتية خيرة فدتهم * من حادثات الزمان نفسى
شربهم الخمر فى بكور * ونطقهم عندها بهمس
أما ترون الشتاء يلقى * فى الارض بسطا من الدمقس
مقطب عابس ينادى * يوم سرور و يوم انس

وأخبر عنه الجيدى فى الجذوة انه شاعر أديب دخل المشرق وتأدب وحج ورجع وشعره كثير

امرأة بادية الجمال على فرش لها فلما نظرت الى والى الخيل استعبرت فقلت ما يبكيك فقالت والله ما أبكى على نفسى ولكننى أبكى

وله أبيات كتبها في طريق الحج الى أحد القضاة

يا قاضيا عدلا كأن أمامه * ملك يريه واضح المنهاج
طافت بعبدك في بلادك علة * قعدت به عن مقصد الحجاج
واعتل في البحر الاجاج فكان له * بحرا من المعروف غير اجاج

وقال الزاهد الورع المحدث أبو محمد اسمعيل بن الديواني

ألا أيها العائب المعتدي * ومن لم يزل مؤذيا أزدد
مساعيك يكتبها الكاتبون * فبيض كتابك أو سود

وقال ابنه أبو بكر

خاصم عدوك باللسا * ن وان قدرت فبالسنان
ان العداوة ليس يصلحها الخضوع مدى الزمان

وقال ابراهيم الخباري جد صاحب المسهب

لئن كرهوا يوم الوداع فانني * أهيم به وجدا من أجل عناقه
أصافح من أهواه غير مساير * وسر التلاقي مودع في فراقه

وقال

كن كما شئت انني لا أحول * غير مصغ لما يقول العذول
لك والله في الفؤاد محل * ما ليه مدى الزمان وصول
ومرادي بأن تزور خفيا * ليت شعري متى يكون السبيل

وقال

قد تواليت في حالتينا الظنون * فلنصدق ما كذبته العيون
ومرادي بأن تلوح بأفقي * بدر تم وذاك ما لا يكون
أنا قد قلت ما دعاني اليه * كثرة الياس والحديث شجون
واذا شئت أن تسفه رأيي * فعلي من الرقيب مصون
وبه ما تشاء من كل معنى * كل من لم يجب له مجنون
والى كم تضل ليل الاماني * ومن الياس لاح صبح مبين

وقال

سألته عن أبيه * فقال خالي فلان
فانظر عجائب ما قد * أتت به الازمان
دهر عجيب لديه * عن المعالي حران
فعاله غير ذم * كما تدين تدان

وقال الكاتب العالم أبو محمد بن خيرة الاشبيلي صاحب كتاب الريحان والريعان يمدح السيد أبا حفص ملك اشبيلية ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن من قصيدة

كأنما الافق صرح والنجوم به * كواعب وظلام الليل حاجبه
ولليلال اعتراض في مطالعه * كأنه أسود قد شاب حاجبه
وأقبل الصبح فاستحيت مشارقه * وأدبر الليل فاستخفت كواكبه
كالسيد الماجد الاعلى الهمام أبي * حفص لرحلته ضمت مضاربه

وأنشد له ابن الامام في سمط الجمان

حسد البنات عمي يسلمن الوادي فقلت لاصحابي لاتحدثوا شيأ حتى آتيكم ثم همزت فرسي حتى علوت كثيبا فاذا أنا بغلام أصهب الشعر أهدب أقنى أقب يخصف نعاله وسيفه بين يديه وفرسه عنده فلما نظر الي رمى النعل من يده ثم أحضر غير مكترث فأخذ سلاحه وأشرف علي ثنية فلما نظر الى الخيل محيطة ببيته ركب ثم أقبل نحوي وهو يقول

أقول لما منحتني فاها
وألبستني بكرة رداها
اني سأحوي اليوم من حواها
فليت شعري اليوم من دهاها

فحملت عليه وأنا أقول

عمرو علي طول الردى دهاها
بالخيل تتبعها على هواها
حتى اذا حل بها حواها
فاذا هو أزوغ من هر فزاغ عني ثم حمل علي فضربني بسيفه ضربة جرحني فلما أفقت من ضربتي حملت عليه فزاغ والله ثم حمل علي ثم صرعني ثم استاق ما في أيدينا ثم استويت على فرسي فلما رآني أقبل وهو يقول

أنا عبيد الله محمود الشيم * وخير من يمشي بساق وقدم عدوه يفديه من كل السقم فحملت عليه وأنا أقول رعيا

رعيا لمنزله الخصيب وظله * وسقى الثرى النجدى سح ربابه
واها على ساداته لا أدعى * كلفا بزينبه ولا بربابه

ويعرف رحمه الله تعالى بابن المواعينى * وقال ابنه أبو جعفر أحمد

يا أخى هاتها واحجب سناها * عن مثير بها جفونا وسخفا
هذه الشمس ان بدت لضعيف العين زادت فى ذلك الضعف ضعفا
انما يشرب المدامة من ان * خشنت كفه جفاها وكفا

وكتب الوزير أبو الوليد اسمعيل بن حبيب الملقب بحبيب الى أبيه لما خلق الربيع من أخلاق الغر وسرق زهره من شيمك الزهر حسن فى كل عين منظره وطاب فى كل سمع خبره وتاقت النفوس الى الراحة فيه ومالت الى الاشراف على بعض ما يحتويه من النور الذى بسط على الارض حتى ترى فى أثنائها خللا سلوك نثرت على الثرى وقد ملئت مسكا وعنبرا ان تنسمتها فأرجه أو توسمتها فبهجه

فالارض فى بزته من يانع الزهر * تزرى اذا قستها بالوشى والحبر
قد أحكمتها أكف المزن واكفة * وطرزتها بما تهمى من الدرر
تبرجت فسبت منا العيون هوى * وفتنة بعد طول الستر والخفر

فاوجد لى سبيلا الى اعمال بصرى فيها لاجلو بصيرتى بمحاسن نواحيها والفصل على أن يكمل أوانه و يتصرم وقته وزمانه فلا تخلنى من بعض التشفى منه لاصدر نفسى متيقظة عنه فالنفوس تصدأ كما يصدأ الحديد ومن سعى فى جلائها فهو الرشيد السديد ومن شعره يصف وردا بعث به الى أبيه

يا من تأزر بالمكارم وارتدى * بالمجد والفضل الرفيع الفائق
انظر الى خد الربيع مركبا * فى وجه هذا المهرجان الرائق
ورد تقدم اذ تأخر واغتدى * فى الحسن والاحسان أول سابق
وافاك مشتملا بثوب حيائه * خجلا لان حياك آخر لاحق

وله

أرى الباقلاء الباقل اللون لابسا * جرود سحاء من سحائبها غذى
ترى نوره يلتاح فى ورقاته * كبلق جياد فى جلال زمرد

وقال

اذا ما أدرت كؤس الهوى * ففى شربها لست بالمرتقل
مدام تعتق للناظرين * وتلك تعتق بالارجل

وكان وهو ابن سبع عشرة سنة ينظم النظم الفائق وينثر النثر الرائق وأبو جعفر بن الابار هو الذى صقل مرآته وأقام قناته وأطلعه شهابا ثاقبا وسلك به الى فنون الآداب طريقا لاحبا وله كتاب سماه بالبديع فى فصل الربيع جمع فيه أشعار أهل الاندلس خاصة أعرب فيه عن أدب غزير وحفظ من الادب موفور وتوفى وهو ابن اثنتين وعشرين سنة واستوزره داهية الفتنة ورحى المحنة قاضى اشبيلية عباد جد المعتمد ولم يزل يصغى الى مقاله و يرضى بفعاله وهو ماجاوز العشرين اذ ذاك وأكثر نظمه ونثره فى الازاهر وذلك يدل على رقة نفسه رحمه الله تعالى * وقال الوزير الكاتب أبو الحسن على بن حصن

من يلقنى يودى كما أودى ارم
أتركه تحما على ظهر وضم
فزاغ والله عنى ثم حمل على
فضربنى ضربة أخرى ثم
صرخ صرخة ورأيت الموت
والله يا أمير المؤمنين ليس
دونه شئ وخفته خوفا لم
أخف قط أحدا مثله وقلت
له من أنت ثكلتك أمك
فوالله ما اجترأ على أحد
قط الا عامر بن الطفيل
لاعجابه بنفسه وعمرو بن
كلثوم لسنه وتجربته فمن
أنت قال بلى من أنت خبرنى
والا قتلتك قلت أنا عمرو
ابن معديكرب قال وأنا
ربيعة بن مكدم قلت
اختر منى أحد ثلاث خصال
ان شئت اجتلدنا بسيفينا
حتى يموت الاعجز منا وان
شئت اصطرعنا وان شئت
السلم وانت يا ابن أخى
حدث قد جرحتنى جراحتين
ولا يرالانى فوالله ما كف
عنى حتى نزلت عن فرسى
فاخذ بعنانه ثم أخذ بيدى
فى يده وانصرفنا الى الحى
وأنا أجر رجلى حتى طلعت
علينا الخيل فلما رأونى
غمز واخيولهم الى فنادينهم
اليكم وأراد وا ربيعة فقضى
والله كانه ليث حتى شقهم
ثم أقبل على فقال يا عمرو
لعل أصحابك يريدون غير
الذى تريد فصمت والله
القوم ما فيهم أحد ينطق وأعظمهم اما رأوا منه فقلت يا ربيعة بن مكدم لا يريدون الا خيرا

وفرسه ومضى ومضينا معه حتى نزل فقامت اليه صاحبته وهي ضاحكة تمسح وجهه ثم أمر بابل فنحرت فضربت علينا قباب فلما أمسينا جاءت الرعاء ومعهم أفراس لربيعة لم أر مثلها قط قال أما لو كان عندي بعضها ما لبثت في الدنيا الا قليلا لا تضحك وما ينطق أحد من أصحابي فاقمنا عنده يومين ثم انصرفنا (قال) وقد كان عمرو بن معديكرب بعد ذلك بزمان أغار على كنانة في صناديد قومه فأخذ غنائمهم واخذ امرأة ربيعة ابن مكدم فبلغ ذلك ربيعة وكان غير بعيد فركب في الطلب على فرس عرى ومعه رمح بلا سنان حتى لحقه فلما نظر اليه قال يا عمرو خل عن الظعينة وما معك فلم يلتفت اليه ثم اعاد اليه فلم يلتفت اليه فقال ياعمرو أما تقف فوقف عمرو وقال لقد أنصف القارة من راماها قف لي يا ابن اخي فوقف له ربيعة فحمل عليه عمرو وهو يقول

أنا ابن ثوار ووقاف الزلق
لست بأفون ولا في خرق
واسد القوم اذا احمر الحدق * اذا الرجال عضهم ناب الفرق * وجدتني بالسيف هتاك الخلق

اذا

وزير المعتضد بن عباد

على أن أتذلل * له وأن يتدلل
خد كأن الثريا * عليه قرط مسلسل

وقال طل على خده العذار * فاقتضح الآس والبهار
وابيض ذا واسود هذا * فاجتمع الليل والنهار

وقال الوزير أبو الوليد بن طريف في المعتمد بعد خلعه

يا آل عباد الاعطفة * فالدهر من بعدكم مظلم
من الذي يرجى لنيل العلا * ومن اليه يفد المعدم
ما أنكر الدهر سوى أنه * بجودكم في فعله يزعم

وله من حلقت لحية جاره * فليسكب الماء على لحيته

وقد أجرينا في هذا الكتاب ذكر جملة من أخبار المعتمد بن عباد ونظمه في أما كن متعددة فلتراجع ومن نظمه

ثلاثة منعتها عن زيارتها * خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلي وما * تحوي معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلي تنزعه ما حيلة العرق

وقال يوم يقول الرسول قد أذنت * فأت على غير رقبة ولج
أقبلت أهوي الى رحالهم * أهدي اليها ريحها الارج

قال ويستدل على الملوكية بالطيب في المواطن التي يكون الناس فيها غير مروفين كالحمام ومعارك الحرب ومواسم الحج (رجع) الى ما كنا فيه وقال أبو العباس أحمد الخزرجي القرطبي

وفي الوجنات ما في الروض لكن * لرونق زهرها معنى عجيب
وأعجب ما التعجب منه أني * أرى البستان يحمله قضيب

وقال الوزير أبو سليمان بن أبي أمية يخاطب رئيسا قد بلغه عن بعض أصحابه كلام فيه غض منه

هون عليك كلامه * واسمح له فيمن سمح
ماذا يسوءك ان هجا * ماذا يسرك ان مدح
أوما علمت بلى جهلت بأنه غل طفح
وخفى حقدك من * دأبواله حتى اتضح
هذا بستن الوقا * رفكيف لو دار القدح
فاشكر عوارف ذي الجلا * لعما وقى وبما منح

وقال أبو علي عمر بن أبي خالد يخاطب أبا الحسن علي بن الفضل

أبا حسن وما قدمت عهود * لنا بين المنارة والجزيره
أتذكرأنسنا والليل داج * بخمر في زجاجتها منيره

اذا الملاح ضل رنا اليها * فابصر في مناحيه مسيره

وقال الكاتب عبد الله المهيريس وكان حلو النادرة لما شرب عند الوزير أبي العلاء بن جامع وقد نظر الى فاختة فأعجبه حسنها ولحنها

ألا خذها اليك أبا العلاء * على الامداح ترفل في الثناء
وهيفاء تجلى عروسا * خضيب الكف قانية الرداء
لأجعلها محل جليس انسي * واغني بالهديل عن الغناء

وحكي انه ناوله ليمونة وأمره بالقول فيها فقال

أهدي الى بروضة ليمونة * وأشار بالتشبيه فعل السيد
فصمت حينا ثم قلت كجاهل * من فضة تعلوه صفرة عسجد

وقال الكاتب ابو بكر بن البناء يرثي احد بني عبد المؤمن وقد عزل من بلنسية وولي اشبيلية فمات بها

كانك من جنس الكواكب لم تكن * تفارق طلوعا حالها وتواريا
تجليت عن شرق تروق تلألؤا * فلما انتحيت الغرب أصبحت هاويا

وكان محمد بن مروان بن زهر كما في المغرب والمسهب والمطرب وقد قدمنا بعض أخباره منشأ الدولة العبادية أول من تثنى عليه الخناصر وتستحسنه البواصر فضاقت الدولة العبادية عن مكانه وأخرج عن بلده فاستصفيت أمواله فلحق بشرق الاندلس وأقام فيه بقية عمره ونشأ ابنه الوزير ابو مروان عبد الملك بن محمد فبلغ اشده حتى سد مسده ومال الى التفنن في انواع التعاليم من الطب وغيره ورحل الى المشرق لاداء الفرض فلأ البلاد جلالة ونشأ ابنه أبو العلاء زهر بن عبد الملك فاخترع فضلا لم يكن في الحساب وشرع نبلا قصرت عنه نتائج اولي الالباب ونشأ بشرق الاندلس والآفاق تتهادى عجائبه والشام والعراق تتدارس بدائعه وغرائبه ومال الى علم الابدان فلولا جلالة قدره لقلنا جاذب هاروت طرفا من سحره ولولا ان الغلو آفة المديح لما اكتفى فيه بالكناية عن التصريح ولم يزل مقيما بشرق الاندلس الى ان كان من غزاة امير المسلمين يوسف بن تاشفين ومن انضم اليه من ملوك الطوائف ما علم وشخص أبو العلاء معهم فلقيه المعتمد بن عباد واستماله واستهواه وكاد يغلب على هواه وتصرف عليه املاكه فحن الى وطنه حنين الكئيب الى عطنه والكريم الى سكنه ونزع الى مقر سلفه نزوع الكوكب الى بيت شرفه الا انه لم يستقر باشبيلية الا بعد خلع المعتمد وحل عند يوسف بن تاشفين محلا لم يحله الماء من العطشان ولا الروح من جسد الجبان ولما كتب اليه حسام الدولة بن رزين ملك السهلة بقوله

عادا للئيم فانت من اعدائه * ودع الحسود بغيه وبدائه
لا كان الا من غدت أعداؤه * مشغولة أفواههم بحفائه
أبا العلاء لئن حسدت لطالما * حسد الكريم بجوده ووفائه
فخر العلاء فكنت من آبائه * وزها السناء فكنت من أبنائه
كن كيف شئت مشاهدا أو غائبا * لا كان قلب لست في سوداه

ثم وقف له عمرو فحمل عليه ربيعة وهو يقول أنا الغلام بن الكناني لابذخ
كم من هزبر قد رآني فانثنى
فقرع بالرمح رأسه ثم قال خذها اليك يا عمرو ولولا أني اكره قتل مثلك لقتلتك فقال عمرو لا ينصرف الا احدنا فقف لي فحمل عليه حتى اذا ظن انه قد خالطه السنان اذا هو حزام لفرسه ثم حمل عليه ربيعة فقرع بالرمح راسه ايضا وقال خذها اليك يا عمرو ثانية وانما العفو مرتان وصاحت به امراته السنان الله درك فاخرج سنانا من مسبل ازاره كانه شعلة نار فركبه على رمحه فلما نظر اليه عمرو وذكر طعنته بالاسنان قال له عمرو خذ الغنيمة قال دعها وانج فقالت بنو زبيد اتترك غنيمتنا لهذا الغلام فقال لهم عمرو يا بني زبيد والله لقد رأيت الموت الاحمر في سنانه وسمعت صريره في تركيبه فقالت بنو زبيد لا يتحدث العرب ان قوما من بني زبيد فيهم عمرو بن معديكرب تركوا غنيمتهم لمثل هذا الغلام قال عمرو انه لا طاقة لكم به وما رأيت مثله قط فانصرفوا عنه واخذ ربيعة امرأته والغنيمة وعاد الى قومه (قال المسعودي) رحمه الله تعالى ولعمر بن الخطاب رضي الله تعالى

الاسلام واخباره وسياسات حسان وما كان فى ايامه من الكوائن والاحداث وفتوح مصر قد اتينا على مبسوطها فى كتابنا اخبار الزمان والكتاب الاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا مما لم نذكره فيما سلف من كتبنا وبالله التوفيق

(ذكر خلافة عثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنه)

بويع يوم الجمعة غرة محرم سنة ثلاث وعشرين وقيل غير ذلك مما سنورده بعد هذا الموضع الى اثنين وعشرين من ذى الحجة سنة اربع وثلاثين فجميع ما ولى اثنتا عشرة سنة الا ثمانية ايام وقتل وهو ابن اثنتين وستين سنة ودفن بالمدينة بموضع يعرف بحش كوكب وكانت خلافته رضى الله تعالى اثنتى عشرة سنة الا ثمانية ايام

(ونذكر نسبه ولمعا من اخباره وسيره)

هو عثمان بن عفان بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى بابى عبد الله وامه اروى بنت كريز بن جابر بن حبيب ابن عبد شمس وكان له من الولد عبد الله الاكبر وعبد الله الاصغر امهما رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابان وخالد وسعيد والوليد والمغيرة وعبد الملك وعمرو

أجابه ياصار ماحسم العداء بضائه * وتعبد الاحرار حسن وفائه
ما أثر العضب الحسام بذاته * الا بأن سميت من أسمائه

وكانه الحسام المذكور القول فى غلام قائم على رأسه وقد عذر فقال

محيت آية النهار فأضحى * بدرتم وكان شمس نهار
كان يعشى العيون نارا الى أن * أشغل الله خده بالعذار

وقال

عذار ألم فأبدى لنا * بدائع كنا لها فى عمى
ولولم يجن النهار الظلا * م لم يستبن كوكب فى السما

وقال

ياراشقى بسهام مالها غرض * الا الفؤاد وما منه له عوض
وممرضى بجفون لحظها عنج * صحت وفى طبعها التمريض والمرض
أمن ولو بخيال منك يؤنسنى * فقد يسد مسد الجوهر العرض

وهذا معنى فى غاية الحسن وكان بينه وبين الامام أبى بكر بن باجة بسبب المشاركة ما يكون بين النار والماء والارض والسماء ولما قال فيه ابن باجة

ياملك الموت وابن زهر * جاوزتما الحد والنهايه
ترفقا بالورى قليلا * فى واحد منكما الكفايه

قال أبو العلاء

لابد للزند يق أن يصلبا * شاء الذى يعضده أو أبى
قد مهد الجذع له نفسه * وسدد الرمح اليه الشبا

والذى يعضده مالك بن وهيب جليس أمير المسلمين وعامله وأما حفيده أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر فهو وزير اشبيلية وعظيمها وطبيبها وكريمها ومن شعره

رمت كبدى أخت السماء فاقصدت * الا بأبى رام يصيب ولا يخطى
قريبة ما بين الخلاخيل ان مشت * بعيدة ما بين القلادة والقرط
نعمت بها حتى أتيحت لنا النوى * كذا شيم الايام تأخذ ما تعطى

وتوفى سنة خمس وتسعين وخمسمائة وأمر أن يكتب على قبره

تأمل بفضلك ياواقفا * ولاحظ مكانا رفعنا اليه
تراب الضريح على صفحتى * كانى لم أمش يوما عليه
أداوى الانام حذار المنون * فها أنا قد صرت رهنا لديه

رحمه الله تعالى وعفا عنه وفى هذه الابيات اشارة الى طبه ومعالجته للناس رحمه الله تعالى وقد ذكرت بعض أخباره فى غير هذا الموضع وقال ابو الوليد بن حزم

مرآك مرآك لا شمس ولا قمر * و وردخديك لا ورد ولا زهر
فى ذمة الله قلب أنت ساكنه * ان بنت بان فلا عين ولا أثر

وقال

لله أيام على وادى القرى * سلفت لنا والدهر ذو ألوان
اذ نجتنى فى ظله ثمر المنى * والطير ساجعة على الاغصان
والشمس تنظر من محاجر أرمد * والظل يركض فى النسيم الوانى
فلثمت فاه والتزمت عناقه * ويد الوصال على قفا الهجران

وقال

وقال ابن عبد ربه

يا قابض الكف لازالت مقبضة * فما أناملها للناس أرزاق
وغب اذا شئت حتى لا ترى أبدا * فما لفقدك في الاحشاء اقلاق

وقال في المدح

وما خلقت كفاك الا لاربع * عقائل لم تخلق لهن يدان
لتقبيل أفواه واعطاء نائل * وتقليب هندي وحبس عنان

وقال الكاتب أبو عبد الله بن مصادق الرندي الاصل

صارمته اذ رأت عارضه * عاد من بعد الشباب أشيبا
قلت ما ضرك شيب فلقد * بقيت فيه فكاهات الصبا
هو كالعنبر غال نفعه * وشذاه أخضرا أو اشهبا

وقال

ووردة وردت في غير موقتها * والسحب قد هملت أجفانها هطلا
وانما الروض لما لم يفد ثمرا * يقر يكه انفتحت في خده خجلا

وله

لم أحتفل لقدوم العيد من زمن * قد كان يبهجني اذ كنت في وطني
لم ألق أهلي ولا التي ولا ولدي * فليت شعري سروري واقع بمن

وقال

يقول لي العاذل تب عن هوى * من ليس يدنيك الى مطلب
وكيف لي والدين دين الهوى * فلا أرى أرجع من مذهبي
أليس باب التوب قد سده * طلوعه شمسا من المغرب

وله

امنع كرائمك الخروج ولا * تظهر لذلك وجه منبسط
لا تعتبر منهن مسخطة * نيل الرضا في ذلك السخط
أولسن مثل الدر في شبهه * والدر من صدف الى سفط

وقال المعتمد بن عباد

تم له الحسن بالعذار * واختلط الليل بالنهار
أخضر في أبيض تبدى * فذاك آسي وذا بهاري
فقد حوى مجلسي تماما * ان يك من ريقه عقاري

وقال ابن فرج الجياني رحمه الله تعالى

وطائعة الوصال صدرت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت في الليل سافرة فباتت * دياجي الليل سافرة القناع
وما من لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعي
فلكت الهوى جمحات قلبي * لاجري في العفاف على طباعي
كذاك الروض ما فيه لمثلي * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فأتخذ الرياض من المراعي

وقال

بأبي هما أنا في الحسن بادي * بشكر الضيف أم طيف الرقاد
سري لي فازدري أمري ولكن * عففت فلم أنل منه مرادي

جماله وحسنه وكان كثير التزوج كثير الطلاق وكان ابان ابرص احول قد حمل عنه اصحاب الحديث عدة من السنن وولي لبني مروان مكة وغيرها وكان الوليد صاحب شراب وفتوة ومجون وقتل ابوه وهو مخلق الوجه سكران عليه مصبغات واسعة وبلغ عبد الله من السن ستا وسبعين عاما فتقره دين على عينه فكان ذلك سبب موته وعبد الله مات صغيرا ولا عقب له (وكان عثمان) في نهاية الجود والكرم والسماحة والبذل في القريب والبعيد فملك عماله وكثير من اهل عصره طريقته وتأسوا في فعله وبنى داره في المدينة وشيدها بالجر والكلس وجعل ابوابها من الساج والعرعر واقتنى اموالا وجنانا وعيونا بالمدينة (وذكر) عبد الله بن عتبة ان عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون ومائة الف دينار والف الف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة الف دينار وخلف خيلا كثيرا وابلا (وفي ايام عثمان) اقتنى جماعة من اصحابه الضياع

والدور منهم الزبير بن العوام بنى داره بالبصرة وهي المعروفة في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

وماذكر من دوره وضياعه فعلوم غير مجهول الى هذه الغاية (و بلغ مال الزبير) بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف الزبير ألف فرس وألف عبد وألف امة وخطط البحيث ذكرنا من الامصار وكذلك طلحة ابن عبيد الله التيمى ابتنى داره بالكوفة المشهورة به هذا الوقت المعروفة بالكناس بدار الطلحتين وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار وقيل اكثر من ذلك و بناحية سراة اكثر مما ذكرنا وشيد داره بالمدينة و بناها بالآجر والجص والساج وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهرى ابتنى داره ووسعها وكان على مربطه مائة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم و بلغ بعد وفاته ربع ثمن ماله اربعة وثمانين الفا (وابتنى سعد) بن ابى وقاص داره بالعقيق فرفع سمكها ووسع فضاءها وجعل اعلاها شرفات (وقد ذكر) سعيد بن المسيب ان زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤس غير ما خلف من الاموال والضياع بقيمة مائة الف دينار (وابتنى المقداد) داره بالمدينة فى الموضع المعروف بالجرف على اميال من المدينة فاجابه

وما لى النوم من حرج ولكن * جريت مع العفاف على اعتيادى

وقال الرصافى

وعشى أنس للسرور وقد بدا * من دون قرص الشمس ما يتوقع
سقطت فلم يملك نديمك ردها * فوددت يا موسى لو انك يوشع

وقال ابن عبد ربه

براعة غرنى منها وميض سنى * حتى مددت اليها الكف مقتبسا
فصادفت حجرا لو كنت تضربه * من لؤمه بعصا موسى لما ابجسا
كانما صيغ من لؤم ومن كذب * فكان ذلك له روحا وذا نفسا

وقال ابن صارة فى فروة

أودت بذات يدى فريبة أترب * كفؤاد عروة فى الضنى والرقة
يتجشم الفراء من ترقيعها * بعد المشقة فى قريب الشقة
لو أن ما أنفقت فى ترقيعها * يحصى لزاد على رمال الرقة
ان قلت بسم الله عند لباسها * قرأت على اذا السماء انشقت

وقال الغزالى

والمرء يعجب من صغيرة غيره * أى امرئ الا وفيه مقال
لسنا نرى من ليس فيه غميزة * أى الرجال القائل الفعال

وقال أبو حيان

لا تربحون دوام الخير من أحد * فالشر طبع وفيه الخير بالعرض
ولا تظن امرأ أسدى اليك يدا * من أجل ذاك بل أسداه للغرض

وقال ابن شهيد

ولما فشا بالدمع ما بين وجدنا * الى كاشحينا ما القلوب كواتم
أمرنا بامساك الدموع جفوننا * ليشجى بما نطوى عذول ولائم
أبى دمعنا يجرى مخافة شامت * فنظمه بين المحاجر ناظم
وراق الهوى منا عيون كريمة * تبسم حتى ما تروق المباسم

وقال فى الانتحال

و بلغت أقواما تجيش صدورهم * على وانى فيهم فارغ الصدر
أصاخوا الى قولى فاسمعت معجزا * وغاصوا على سرى فأعجزهم أمرى
فقال فريق ليس ذا الشعر شعره * وقال فريق أين من الله ماندرى
فمن شاء فليغبر فانى حاضر * ولا شئ أجلى للشكوك من الخبر

وينظر الى مثل هذا قصة أبى بكر بن بقى حين استهدى من بعض اخوانه أقلاما فبعث اليه بثلاث من القصب وكتب معها

خذها اليك أبا بكر العلا قصبا * كانما صاغها الصواغ من ورقه
يزهى بها الطرس حسنا ما نثرت بها * مسك المداد على الكافور من ورقه

فأجابه أبو بكر

أرسلت نحوى ثلاثا من قناشاب * منادة تطعن القرطاس فى ورقه
فاللحظ ينكرها والخط يعرفها * والرق يخدمها بالرق فى عنقه

فحسده عليه بعض من سمعه ونسبه الى الانتحال فقال ابو بكر يخاطب صاحبه الاول

وجاهل نسب الدعوى الى كلمى * لما رآه بمثل النبل فى حدقه
فقلت سن حنق لما تعرض لى * من ذا الذى اخرج اليربوع من نفقه
ما ذم شعرى وايم الله لى قسم * الا امرؤ ليست الاشعار من طرقه
الشعر يشهد أنى من كواكبه * بل الصباح الذى يستن من أفقه

وقال ابن شهيد أيضا فى ضيف

وما انفك معشوق الثنايا نمده * بيسر وترحيب وبسط بنان
الى أن تشهى البين من ذات نفسه * وحن الى الاهلين حنة حانى
فأتبعته ما سد خلف خياله * وأتبعنى ذكرا بكل مكان

وقال وبتنا نراعى الليل لم يطو برده * ولم يجل شيب الصبح فى فوده وخطا
تراه كملك الزنج من فرط كبره * اذا رام مشيا فى تختره أبطا
مطلا على الآفاق والبدر تاجه * وقد جعل الجوزاء فى أذنه قرطا

وقال بعضهم فى لباس أهل الاندلس البياض فى الحزن مع ان أهل المشرق يلبسون فيه السواد

ألا يا أهل أندلس فطنتم * بلطفكم الى أمر عجيب
لبستم فى مآتمكم بياضا * فجئتم منه فى زى غريب
صدقتم فالبياض لباس حزن * ولا حزن أشد من المشيب

وقال ابو جعفر بن خاتمة

هل جسوم من النوى ودعوها * باقيات لسوء ما اودعوها
يا حداة القلوب ما العدل هذا * أتبعوها اجسامها اودعوها

وقال القسطلى يصف هول البحر

اليك ركبنا الفلك تهوى كانها * وقد ذعرت عن مغرب الشمس غربان
على لجج خضر اذا هبت الصبا * ترامى بها فينا ثبير وثهلان
موائل ترعى فى ذراها موائلا * كما عبدت فى الجاهلية اوثان
مقاتل موج البحر والهم والدجا * يموج بها فيها عيون وآذان
الا هل الى الدنيا معاد وهل لنا * سوى البحر قبر أو سوى الماء اكفان

وقال الرمادى يهنى ابن العطار الفقيه بمولود

يهنيك ما زادت الايام فى عددك * من فلذة برزت للسعد من كبدك
كانما الدهر دهر كان مكتئبا * من انفرادك حتى زاد فى عددك
لا خلفتك الليالى تحت ظل ردى * حتى ترى ولدا قد شب من ولدك

وقال ابن صارة فى النار

خمسمائة الف دينار وديونا على الناس وعقارات وغير ذلك من التركة ما قيمته مائة الف دينار وهذا باب يشهد ذكره ويكثر وصفه فيمن تملك من الاموال فى ايامه ولم يكن مثل ذلك فى عصر عمر ابن الخطاب بل كانت جادة واضحة وطريقة بينة (وحج عمر) فانفق فى ذهابه ومجيئه الى المدينة ستة عشر دينارا وقال لولده عبد الله لقد اسرفنا فى نفقتنا فى سفرنا هذا ولقد شكا الناس اميرهم سعد بن ابى وقاص وذلك فى سنة احدى وعشرين فبعث عمر محمد بن مسلمة الانصارى حليف بنى عبد الاشهل فحرق عليه باب قصر الكوفة وجمعهم فى مساجد الكوفة يسالهم عنه فحمده بعضهم وساءه بعض فعزله وبعث الى الكوفة عمار بن ياسر على الخراج وعثمان بن حنيف على الخراج وعبد الله بن مسعود على بيت المال وامره ان يعلم الناس القرآن ويفقههم فى الدين وفرض لهم فى كل يوم شاة فجعل شطرها وسواقطها لعمار ابن ياسر والشطر الآخر بين عبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيف فاين عمر ممن ذكرنا واين هو ممن

وصفنا (وقدم) على عثمان عمه الحكم بن ابى العاص وعمه مروان وغيرهما من بنى امية ومروان هو طريد رسول

هات التى للابك اصل ولادها * ولها جبين الشمس فى الاشماس
يتقشع الياقوت فى لباتها * بوساوس تشفى من الوسواس
انس الوحيد وصبح عين المجتلى * ولباس من امسى بغير لباس
حمراء ترفل فى السواد كانما * ضربت بعرق فى بنى العباس

وقال فيها أيضا

لابنة الزند فى الكوانين جمر * كالدرارى فى الليلة الظلماء
خبرونى عنها ولا تكذبونى * اليها صناعة الكيمياء
سبكت فحمها سبائك تبر * رصعته بالفضة البيضاء
كلما ولول النسيم عليها * رقصت فى غلالة حمراء
سفرت عن جبينها فأرتنا * حاجب الليل طالعا بالعشاء
لو ترانا من حولها قلت قوم * يتعاطون أكؤس الصهباء

وقال فيها الفقيه الاديب ابن اللبان

فحم ذكاه حشاه جمر * فقلت مسك وجلنار
أوخده من قد هويت لما * أطل من فوقه العذار

وكان أبو المطرف الزهرى جالسا فى باب داره مع زائر له فخرجت عليهما من زقاق جارية سافرة الوجه كالشمس الطالعة فحين نظرتهما على حين غفلة منها نفرت خجلة فرأى الزائر ما أبهته فكلفه وصفها فقال مرتجلا

ياظبية نفرت والقلب مسكنها * خوفا لحتلى بل عمدا التعذيبى
لا تخشى فابن عبد الحق أنحلنا * عدلا يؤلف بين الظبى والذيب

وقال ابن شهيد

أصباح لاح أم بدر بدا * أم سنى المحبوب أورى زندا
هب من نعسته منكسرا * مسبل اللكم مرخ للردا
يمسح النعسة من عينى رشا * صائد فى كل يوم أسدا
قلت هب لى ياحبيبى قبلة * تشف من حبك تبريح الصدى
فانثنى يهتز من مذكبه * قائلا لا ثم أعطانى اليدا
كلما كلمنى قبلته * فهو ماقال كلاما رددا
قال لى يلعب صدلى طائرا * فترانى الدهر أجرى بالكدى
واذا استنجزت يوما وعده * قال لى يطل ذكرنى غدا
شربت أعضاؤه خمر الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا
رشأ بل غادة ممكورة * عممت صبحا بليل أسودا
أخجلت من عضة فى نهدها * ثم عضت حر وجهى عمدا
فأنا الجروح من عضتها * لا شفانى الله منها أبدا

وقال محمد بن هانئ فى الشيب

ولابصفا صلد عن الخير معزل * ولكننى اروى من الخمر هامتى * وامشى الملا بالساحب المسلسل

الله صلى الله عليه وسلم ابن ابى معيط على الكوفة وهو ممن اخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه من اهل النار وعبد الله بن ابى سرح على مصر ومعاوية بن ابى سفيان على الشام وعبد الله ابن عامر على البصرة وصرف عن الكوفة الوليد ابن عقبة وولاها سعيد بن العاص وكان السبب فى صرف الوليد وولاية سعيد على ماروى ان الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من اول الليل الى الصباح فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج منفصلا فى غلائله فتقدم الى المحراب فى صلاة الصبح فصلى بهم اربعا وقال تريدون ان ازيدكم وقيل انه قال فى سجوده وقد طال اشرب واسقنى فقال له بعض من كان خلفه فى الصف الاول ماترى بدا لازادك الله مزيد الخير والله لا اعجب الا ممن بعثك الينا والينا وعلينا اميرا وكان هذا القائل عتاب بن غيلان الثقفى (وخطب) الناس الوليد فحصبه الناس بحصباء المسجد فدخل قصره يترنح ويتمثل بابيات لتأبط شرا ولست بعيدا عن مدام وقينة

بنتم فلولا أن اغبر لمتى * ألقاكم يوما على غضابا
لخضبت شيبا فى مفارق لمتى * ومحوت محو النقس عنه شبابا
وخضبت مبيض الجداد عليكم * لو أننى اجد البياض خضابا
واذا أردت على المشيب وفادة * فاجعل مطيك دونه الاحقابا
فلتأخذن من الزمان حمامة * ولتدفعن الى الزمان غرابا

وكتب ابن عمار الى ابن رزين وقد عتب عليه ان اجتاز ببلده ولم يلقه

لم تثن عنك عنانى سلوة خطرت * ولا فؤادى ولا سمعى ولا بصرى
لكن عدتنى عنكم خجلة خطرت * كفانى العذر منها بيت معتذر
لو اختصرتم من الاحسان زورتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

وقال ابن الحداد

وانى لصب للتلاقى وانما * يصدر كابى عن معاهدك العصر
أذوب حياء من زيارة صاحب * اذا لم يساعدنى على بره الوفر

وقال ابن عبد ربه

يا من عليه حجاب من جلالته * وان بدا لك يوما غير محجوب
ما أنت وحدك مكسوا ثياب ضنى * بل كلنا بك من مضنى ومشحوب
ألقى عليك يد اللضر كاشفة * كشاف ضر نبى الله أيوب

وقال النحلى

ولاعية الوشاح بغصن بان * لها أثر بتقطيع القلوب
اذا سوت طريق العود نقرا * وغنت فى محب أو حبيب
فيمناها تقلبها فؤادى * ويسراها تعذبها ذنوبى

وقال ابن شهيد

كلفت بالحب حتى لو دنا أجلى * لما وجدت لطعم الموت من ألم
وعاقنى كرمى عمن ولهت به * ويلى من الحب أو ويلى من الكرم

وكان صوفى بشريش حافظا للشعر فلا يعرض فى مجلسه معنى الا وهو ينشد عليه فاتفق أن عطس رجل بمجلسه فشمته الحاضرون فدعا لهم فرأى الصوفى انه ان شمته قطع انشاده بما لا يشاكله من النظم وان لم يشمته كان تقصيرا فى البر فرغب حين أصبح من الطلبة نظم هذا المعنى فقال الوزير الحسيب أبو عمرو بن أبى محمد

يا عاطسا يرحمك الله اذ * أعلنت بالحمد على عطسته
ادع لنا ربك يغفر لنا * وأخلص النية فى دعوته
وقل له يا سيدى رغبتى * حضور هذا الجمع فى حضرتك
وأنت يا رب الندى والنوى * بارك رب الناس فى ليلتك
فان يكن منكم لنا عودة * فأنت محمود على عودتك

وهذا الوزير المذكور كان يصرف شعره فى أوصاف الغزلان ومخاطبات الاخوان وكتب

نادى وقد تمت صلاتهم
أأزيدكم نعلا وما يدرى
ليزيدهم أخرى ولو قبلوا
لقرنت بين الشفع والوتر
حسوا عنانك فى الصلاة
ولو
خلوا عنانك لم تزل تجرى
وأشاعوا بالكوفة فعله
وظهر فسقه ومداومته
شرب الخمر فهجم عليه جماعة
من المسجد منهم أبو زينب
ابن عوف الازدى وابو جندب
ابن زهير الازدى وغيرهما
فوجدوه سكران مضطجعا
على سريره لا يعقل فايقظوه ثم
من رقدته فلم يستيقظ
ثقيا أعليهم ما شم خاتمه من
الخمر فانتزعوا من فوره
يده وخرجوا فاتوا عثمان
الى المدينة شهدوا عنده
ابن عفان انه شرب الخمر
على الوليد بن وما يدريكما
فقال عثمان لعلى اقم عليه
انه شربه فقال بل نشربها
الخمر التى كانت خاتمه
الجاهلية وفرزأهما
فدفعاه اليه ورهما وقال
ودفع فى صدره وأتيا على
تحيا عنى فخرج على الله عنه
ابن ابى طالب رضى عثمان
واخبراه بالقصة فقال
وهو يقول دفعت الشهوس
وابطلت الحدود فقال له
عثمان فما ترى قال ارى
ان تبعث الى صاحبك فان

اقاما الشهادة عليه فى وجهه ولم يدل بحجة اقمت عليه الحد فلما حضر الوليد دعاهما عثمان فأقاما الشهادة

عليه ولم يدل بحجة فالتقى عثمان السوط الى علي فقال علي لابنه الحسن قم يابني فأقم عليه ما أوجب الله عليه فقال يكفيه بعض ما ترى فلما نظر الى امتناع الجماعة عن اقامة الحد عليه توقيا لغضب عثمان لقرابته منه اخذ على السوط ودنا منه فلما أقبل نحوه سبه الوليد وقال ياصاحب مكس فقال عقيل بن ابي طالب وكان ممن حضر انك لتتكلم يا ابن أبي معيط كأنك لا تدري من انت وانت علج من اهل صفورية وهي قرية بين عكا واللجون من ارض الاردن من بلاد [illegible] ذكر أن اباه كان [illegible] فاقبل الوليد [illegible] فاجتذبه فضرب [illegible] على علاه بالسوط [illegible] ليس لك ان [illegible] بلى وشر [illegible] منع حق [illegible] منه [illegible] بعده سعيد [illegible] دخل سعيد [illegible] اني ان يصعد [illegible] سل وامر بغسله [illegible] كان نجسا رجسا [illegible] ايام سعيد [illegible] ظهرت منه امور [illegible] واشتبه بالاموال

وقال في بعض الايام وكتب به الى عثمان انما هذا السواد قطيع لقريش فقال له الاشتر وهو مالك بن الحرث النخعي اتجعل ما افاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستانا لك ولقومك ثم خرج

الى الشريشي شارح المقامات يستدعي منه كتاب العقد

اياما من غدا لبكا لجيد معارفه * ومن لفظه زهر أنيق لقاطفه
محبك أضحى عاطل الجيد فاتجد * بعقد على لباته وسوالفه

ووعك في بعض الاعياد فعاده من أعيان الطلبة جلة فلما هموا بالانصراف أنشدهم ارتجالا

لله در أفاضل أمجاد * شرف الندى بقصدهم والنادي
لما أشار وا بالسلام وأزمعوا * أنشدتهم وصدقت في الانشاد
في العيد عدتم وهو يوم عروبة * يافرحتي بثلاثة الاعياد

قال الشريشي في شرح المقامات ولقد زرته في مرضه الذي توفي فيه رحمه الله تعالى أنا وثلاثة فتيان من الطلبة فسألني عنهم وعن آبائهم فلما أرادوا الانصراف ناول أحدهم محبرة وقال له اكتب وأملى عليه ارتجالا

ثلاثة فتيان يؤلف بينهم * ندى كريم لا أرى الله بينهم
تشابه خلق منهم وخليقة * فان قلت أين الحسن فانظره أينهم
وزينهم استاذهم اذ غدا لهم * معلم آيات فتم دينهم
فان خفت من عين ففي الكل فلتقل * وقى الله رب الناس للكل عينهم

وقال الشريشي حدثنا شيخنا أبو الحسين بن زرقون عن أبيه أبي عبد الله قعد مع صهره أبي الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب على بحر الجاز وهو مضطرب الامواج فقال له ابو الحسن أخ

وملتطم الغوارب موجته * يوارح في مناكبها غيوم

فقال أبو عبد الله

تمنع لا يعوم به سفين * ولو جذبت به الزهر النجوم

وكان لابن عبدربه فتى يهواه فأعلمه انه يسافر غدا فلما أصبح عاقه المطر عن السفر فانجلى عن ابن عبدربه همه وكتب اليه

هلا بتكرت لبين أنت مبتكر * هيهات يأبى عليك الله والقدر
مازلت أبكي حذار البين ملتهبا * حتى رثى لي فيك الريح والمطر
بارده من حمائم على كبد * نيرانها بغليل الشوق تستعر
آليت أن لا أرى شمسا ولا قمرا * حتى أراك فأنت الشمس والقمر

وقال ابن عبدربه

صل من هويت وان أبدى معاتبة * فأطيب العيش وصل بين لينين
واقطع حبائل خدن لا تلائمه * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وقال أبو محمد غانم بن الوليد المالقي

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا في معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وكان المتوكل صاحب بطليوس ينتظر وفود أخيه عليه من شنتبرين يوم الجمعة فأتاه يوم السبت

السبت فلما لقيه عانقه وأنشده

تخيرت اليهود السبت عيدا * وقلنا فى العروبة يوم عيد
فلما أن طلعت السبت فينا * أطلت لسان محتج اليهود

وقال أبو بكر بن بقى

أقمت فيكم على الاقتار والعدم * لو كنت حرا أبى النفس لم أقم
فلا حديقتكم يجنى لها ثمر * ولا سماؤكم تنهل بالديم
أنا امرؤ ان نبت فى أرض أندلس * جئت العراق فقامت بى على قدم
ما العيش بالعلم الا حيلة ضعفت * وحرفة وكلت بالعقد والبرم

وقال الابيض فى الفقهاء المراثين

أهل الرياء لبستم ناموسكم * كالذئب يذبح فى الظلام العاتم
فلكتم الدنيا بمذهب مالك * وقسمتم الاموال بابن القاسم
وركبتم شهب البغال بأشهب * وبأصبغ صبغت لكم فى العالم

وقال قل للامام سنا الائمة مالك * نور العيون ونزهة الاسماع
لله درك من همام ماجد * قد كنت راعينا فنعم الراعى
فضيت محمود النقيبة طاهرا * وتركتنا فنصال شر سباع
أكلوا بك الدنيا وأنت بمعزل * طاوى الحشا متكفف الاضلاع
تشكوك دنيا لم تزل بك برة * ماذا رفعت بها من الاوضاع

وقال ابن صارة

يا من يعذبنى لما تملكنى * ماذا تريد بتعذيبى واضرارى
تروق حسنا وفيك الموت أجمعه * كالصقل فى السيف أو كالنور فى النار

وقال عبدون البلنسى

يا من محياه جنات مفتحة * وهجره لى ذنب غير مغفور
لقد تناقضت فى خلق وفى خلق * تناقض النار بالتدخين والنور

وقال الوزير ابن الحكيم

رسخت أصول علاكم تحت الثرى * ولكم على خط المجرة دار
ان المكارم صورة معلومة * أنتم لها الاسماع والابصار
تبدو شموس الدجن من أطواقكم * وتفيض من بين البنان بحار
ذلت لكم نسم الخلائق مثل ما * ذلت لشعرى فيكم الاشعار
فتى مدحت ولا مدحت سواكم * فديحكم فى مدحه اضمار

وقال القاضى أبو جعفر برطال

أستودع الرحمن من لو داعهم * قلبى وروحى آذنا بوداعى
بانوا وطرفى والفؤاد ومقولى * بالك ومسلوب الفؤاد وداعى
فقول يا مولاى حفظهم ولا * تجعل تفرقنا فراق وداع

الاشتروا صحابه اياما لا يخرج لهم من عثمان فى سعيد شئ وامتدت أيامهم بالمدينة وقدم على عثمان امراؤه من الامصار منهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح من مصر ومعاوية من الشام وعبد الله بن عامر من البصرة وسعيد بن العاص من الكوفة فاقاموا بالمدينة اياما لا يردهم الى امصارهم كراهة ان يرد سعيدا الى الكوفة وكره ان يعزله حتى كتب اليه من بامصارهم يشكون كثرة الخراج وتعطيل الثغور فجمعهم عثمان وقال ماترون فقال معاوية أما انا فارض بى جندى وقال عبد الله بن عامر بن كريز ليكفك امرؤ ما قبله اكفك ما قبلى وقال عبد الله بن سعد بن أبى سرح ليس بكثير عزل عامل للعامة وتولية غيره وقال سعيد بن العاص انك ان فعلت هذا كان اهل الكوفة هم الذين يولون ويعزلون وقد صاروا حلقا فى المسجد ليس لهم غير الاحاديث والخوض فجهزهم فى البعوث حتى يكون هم احدهم أن يموت على ظهر دابته قال فسمع

مقالته عمرو بن العاص فخرج الى المسجد فاذا طلحة والزبير جالسان فى ناحية منه فقالا له الينا فصار اليهما فقالا له فاوراءك

قال الشر ما ترك شيأ من المنكر الا اتى به وامر به وجاء الاشتر فقال له ان عاملكم الذى قتم فيه خطباء قد ردعليكم وامر بتجهيزكم فى البعوث وبكذا وكذا فقال الاشتر والله قد كنا نشكو سوء سيرته وما قنا به خطباء فكيف وقد قنا وايم الله على ذلك لولا أنى انفذت النفقة وانضيت الظهر لسبقته الى الكوفة حتى امنعه دخولها فقال له فعندنا حاجتك التى تقوتك فى سفرك قال فاسلفانى اذن مائة ألف درهم قال فاسلفه كل واحد منهما خمسين ألف درهم فقسمها بين اصحابه وخرج الى الكوفة فسبق سعيد وصعد المنبر وسيفه فى عنقه ماوضعه بعد ثم قال اما بعد فان عاملكم الذى أنكرتم تعديه وسوء سيرته قد رد عليكم وامر بتجهيزكم فى البعوث فبايعوني على أن لا يدخلها فبايعه عشرة آلاف من اهل الكوفة وخرج راكبا متخفيا يريد المدينة او مكة فلقى سعيد ابا قصة فاخبره بالخبر فانصرف الى المدينة وكتب الاشتر الى عثمان انا والله ما منعنا عاملك الا ليفسد عليك عملك وول من احببت فكتب اليهم انظروا من كان عاملكم ايام عمر بن الخطاب فولوه فنظروا فاذا هو أبو موسى الاشعرى فولوه (وفى سنة خمس وثلاثين) كثر الطعن على عثمان رضى الله عنه وظهر عليه النكير لاشياء ذكروها الملقب

وقال ابن خفاجة

وما هاجنى الا تألق بارق * لبست به برد الدجنة معلما

وهى طويلة وقال من أخرى

جمعت ذوائبه ونور جبينه * بين الدجنة والصباح المشرق

وقال ذوالوزارتين أبو الوليد بن الخضر مى البطليوسى فى غلام للتوكل بن الافطس يرثيه

غالته أيدى المنايا * وكن فى مقلتيه

وكان يسقى الندامى * بطرفه ويديه

خمر من ذوى وهلال * جارا الكسوف عليه

وقال الفقيه العالم أبو أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى عالما فى المذهب المالكى وقد تحاكم اليه وسيمان أشقروا كحل فمن يفضل بينهما

وشادنين ألمابى على مقة * تنازعا الحسن فى غايات مستبق

كأن لمة ذا من نرجس خلقت * على بهار وذا مسك على ورق

وحكما الصب فى التفضيل بينهما * ولم يخافا عليه رشوة الحدق

فقام يبدى هلال الدجن حجته * مبينا بلسان منه منطلق

فقال وجهى بدر يستضاء به * ولون شعرى مقطوع من الغسق

وكحل عينى سحر للنهى وكذا * لك الحسن أحسن ما يعزى الى الحدق

وقال صاحبه أحسنت وصفك لكن فاستمع لمقال فى متفق

أنا على أتقى شمس النهار ولم * تغرب وشقرة شعرى شقرة الشفق

وفضل ما عيب فى العينين من زرق * أن الاسنة قد تعزى الى الزرق

قضيت للة الشقرا حيث حكمت * نورا كذا حبها يقضى على رمق

فقام ذو اللمة السوداء يرشقنى * سهام أجفانه من شدة الحنق

وقال جرت فقلت الجور منك على * قلبى ولى شاهد من دمعى الغدق

وقلت عفوك اذ أصبحت بينهما * فقال دونك هذا الجبل فاختفق

وكان فيه ظرف وأدب وعنوان طبقته هذه الابيات وقال

وغاب من الاكواس فيها ضراغم * من الراح ألباب الرجال فريسها

قرعت بها سن الحلوم فأقطعت * وقد كاد يسطو بالفؤاد رسيسها

وله رحمه الله تعالى شرح البخارى وأكثر ابن حجر من النقل عنه فى فتح البارى وله كتاب الاحكام وغير ذلك وترجمته شهيرة * وقال الاديب النحوى المؤرخ أبو اسحق ابراهيم ابن الاعلم البطليوسى صاحب التأليف التى بلغت نحو خمسين

ياحمص لازلت دارا * لكل بؤس وساحه

ما فيك موضع راحه * الا وما فيه راحه

وهو شيخ أبى الحسن بن سعيد صاحب المغرب وأنشده هذين البيتين لما ضجر من الاقامة باشبيلية أيام فتنة الباجى * وقال الاديب الطبيب أبو الاصبغ عبد العزيز البطليوسى

الملقب بالقلندر

جرت مني الخمر مجرى دمي * فحل حياتي من سكرها
ومهما دجت ظلم الهموم * فتمزيقها بسني بدرها

وخرج يوما وهو سكران فلقي قاصيا في نهاية من قبح الصورة فقال سكران خذوه فلما أخذه الشرطة قال القاضي بحق من ولاك على المسلمين بهذا الوجه القبيح عليك الا ما فضلت على وتركتني فقال القاضي والله لقد ذكرتني بفضل عظيم ودر أعنه الحد * وقال ابن جاخ الصباغ البطليوسي وهو من أعاجيب الدنيا لا يقرأ ولا يكتب

ولما وقفنا غداة النوى * وقد أسقط البين ما في يدي
رأيت الهوادج فيها البدور * عليها البراقع من عسجد
وتحت البراقع مقلوبها * تدب على ورد خد ندي
تسالم من وطئت خده * وتلدغ قلب الشجي المكمد

وقال في المتوكل وقد سقط عن فرس

لا عتب للطرف ان زلت قوائمه * ولا يدنسه من عائب دنس
حملت جودا و باسا فوقه ونهى * و كيف يحمل هذا كله الفرس

وقال الشاعر المشهور بالكميت البطليوسي

لا تلوموني فاني عالم * بالذي تأتيه نفسي وتدع
بالحيا والحيا صبوتي * وسوى حبهما عندي بدع
فضل الجمعة يوم وأنا * كل أيامي بافراحي جمع

وقال أبو عبد الله محمد بن البين البطليوسي وهو ممن يميل الى طريقة ابن هانئ

غصبوا الصباح فقسموه خدودا * واستنهبوا قضب الاراك قدودا
ورأوا حصا اللياقوت دون محلهم * فاستبدلوا منه النجوم عقودا
واستودعوا حدق المها أجفانهم * فبوا بهن ضراغما واسودا
لم يكفهم حمل الاسنة والظبا * حتى استعانوا أعينا ونهودا
وتضافروا بضفائر أبدوا لنا * ضوء النهار بليلها معقودا
صاغوا الثغور من الاقاحي بينها * ماء الحياة لواغتدى مورودا

وكان عند المتوكل مضحك يقال له الخطارة فشرب ليلة مع المتوكل وكان في السقاة وسيم فوضع عينه عليه فلما كان وقت السحر دب اليه وكان بالقرب من المتوكل فاحس به فقال له ما هذا يا خطارة فقال له يا مولاي هذا وقت تفريخ الخطارة الماء في الرياض فقال له لا تعد لئلا يكون ماء أحمر فرجع الى نومه ولم يعد في ذلك كلمة بقية عمره معه ولا أنكر منه شيأ ولم يحدث بها الخطارة حتى قتل المتوكل رحمه الله تعالى والخطارة صنف من الدواليب الخفاف يستقى به أهل الاندلس من الاودية وهو كثير على وادي اشبيلية وأكثر ما يباكرون العمل في السحر * وقال الوزير أبو زيد عبد الرحمن بن مولود

أرى يوما من الدهر على وفق الاماني

عن عثمان من اجله (ومن ذلك ما نال عمار بن ياسر من الفتن والضرب وانحراف بني مخزوم عن عثمان من أجله (ومن ذلك) فعل الوليد بن عقبة في مسجد الكوفة وذلك انه بلغه عن رجل من اليهود من ساكني قرية من قرى الكوفة مما يلي جسر بابل يقال له زرارة يعمل انواعا من الشعبذة والسحر يعرف بمطروى فاحضره فأراه في المسجد ضربا من التخاييل وهو ان اظهر له في الليل فيلا عظيما على فرس في صحن المسجد ثم صار اليهودي ناقة يمشي على حبل ثم اراه صورة حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره ثم ضرب عنق رجل ففرق بين جسده ورأسه ثم امر السيف عليه فقام الرجل وكان جماعة من اهل الكوفة حضورا منهم جندب بن كعب الازدي فجعل يستعيذ بالله من فعل الشيطان ومن عمل يبعد من الرحمن وعلم ان ذلك هو ضرب من التخييل والسحر فاخترط سيفه وضرب به اليهودي ضربة اطارت رأسه ناحية من بدنه وقال جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد قيل ان ذلك كان نهارا وان جندبا خرج الى السوق ودنا من بعض الصياقلة واخذ سيفا ودخل فضرب به عنق اليهودي وقال ان كنت صادقا فأحي نفسك

ليله الى الصبح فقال له انج بنفسك فقال له جندب تقتل بي قال ليس ذلك بكثير في مرضاة الله والدفع عن ولي من اولياء الله فلما اصبح الوليد دعا به وقد استعد لقتله فلم يجده فسأل السجان فاخبره بهربه فضرب عنق السجان وصلبه بالكناس (ومن ذلك) ما فعل بابي ذر وهو انه حضر مجلسه ذات يوم فقال عثمان ارأيتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره فقال كعب لا يا امير المؤمنين فدفع ابو ذر في صدر كعب وقال له كذبت يا ابن اليهودي ثم تلا ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الآية فقال عثمان اترون بأسا ان نأخذ مالا من بيت مال المسلمين فنفقه فيما ينوبنا من امورنا ونعطيكموه فقال كعب لا باس بذلك فرفع ابو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب وقال يا ابن اليهودي ما اجرأك على القول في ديننا فقال له عثمان ما اكثر اذاك لي غيب وجهك عني فقد آذيتني فخرج ابو ذر الى الشام فكتب معاوية الى عثمان ان ابا ذر تجتمع اليه الجموع الا تعجل من ان يفسدهم عليك فان كان لك في القوم حاجة فاحمله اليك فكتب اليه عثمان يحمله

ثم دعني بعد هذا * كيفما شئت ترانى

وقال أديب الاندلس وحافظها أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري البابري وهو من رجال الذخيرة والقلائد وشهرته مغنية عن الزيادة يخاطب المتوكل وقد أنزله في دار وكفت عليه

أياساميا من جانبيه كليهما * سمـــوحباب الماء حالا على حال
لعبدك دار حل فيها كانها * ديار لسلمـــى عافيات بذى خال
يقول لها ما راى من دثورها * ألا عم صـــباحا أيها الطلل البالى
فقالت وما عيت جوابا بردها * وهل يعمن من كان في العصر الخالى
فمر صاحب الانزال فيها بعاجل * فان الفتى يهـــذى وليس بفعال

وقال في جمع حروف الزيادة حسبما ذكره عنه في المغرب

سألت حروف الزائدات عن اسمها * فقالت ولم تكذب أمان وتسهيل

قلت وعلى ذكر حروف الزيادة فقد أكثر الناس في انتقاء الكلمات الضابطة لها وقد كنت جمعت فيها نحو مائة ضابط ولنذكر الآن بعضها فنقول منها أهوى تلمسانا ونظمتها فقلت

قالت حروف زيادات لسائلها * هل هويت بلدة أهوى تلمسانا

وجمعها ابن مالك في بيت واحد بأربعة أمثلة من غير حشو وهو

هناء وتسليم تلا يوم انسه * نهاية مسؤل أمان وتسهيل

ومنها هويت السمان وحكى أن أبا عثمان سئل عنها فانشد

هويت السمان فشيبنني * وقد كنت قدما هويت السمانا

فقيل له اجبنا فقال اجبتكم مرتين و يروى انه قال سألتمونيها فاعطيتكم ثلاثة اجوبة هكذا حكاه بعض المحققين وهو ارق مما حكاه غير واحد على غير هذا الوجه * ومنها اليوم تنساه الموت ينساه اسلمني وتاه هم يتساءلون التناهي سموّ تنمي وسائله اسلمي تهاون تهاوني أسلم التمس هواني ماسألت يهون مؤنس التياه لم يأتناسهو يا اويس هل غمت نويت سؤالهم نويت مسائله سألتم هواني تاملها يونس اتاني وسهيل هوني مسألتها سألت مايهون وسليمان اتاه تسال من يهوى استملاني هو اسلمت وهناى هو استمالني سايل وانت هم ياهول استتم اتاه وسليمان قلت وليس هذا تكرارا مع السابق الذي هو وسليمان اتاه لان التقديم والتأخير يصيرهما شيئين * ومنها الوسمي هتان اوليتم سناه واليتم أنسه امسيت وناله انله توسما املتني سهوا اتوسل بمنها سألتهن يوما سألت يومنها سألت مايوهن نهوى ماسألت يهون ماسألت وقد سبق سألت مايهون وعدهما شيئين من اجل التقديم والتأخير كما مر نظيره الانس يومه ليتاس ماؤه سله موتى انا انسته اليوم سألتم هوينا آوى من تسأله وهين ماسألت وهني ماسألت مسألتي نواه * ومنها مسألتي هاون سهوان يتالم أيلتم سهوان اويلتم ناسه مسألتي اهون اوميت تنساه سموتن اليها املت سهوان وسألتم هينا يهون ماتسال اتلو من سهيا

حمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطيرون به حتى اتوا به المدينة قد تسلخت بوانه الخ فاذه

اسلموا انتهى يتأمل سهوان يتأمل ناسوه يتأمل اسوه ايتأمل نسوه الهوى اتنسم وليت ماه آسن تولين اسهما اتلواسهمين اول ساهمتني اسماؤه تنيل يتأملنه سوا اولم يتسناه آمن ويتساهل امستين لهوا توسميه لنساء هوما تسألين لايها تتوسم ايهما تتوسل اتاني لسموه سميتهن اولا اولاهن سميت سلمتي اهوا اسلمتني هوا اونستميلها استهلونا هنأت الموسى سليم انتهوا وانت سائلهم ساءلته يمو تهنأ لايسمو اسألي مؤنته سألتي موهنا التمسي هونا استملي اهون التناء موسى لهواء يتسنم نهوى ماتسأل ماؤه ليتأسن تنسمي لهواء تلومي انسها المتني سهوا ستولينا امه يتمهلون اسا امهلتني سوا التناسي وهم اهويت سلمان هويت المأنس امانس تهوى هويت ام ناسل اوليس تم هنا استوهن املى استهون المى استملن وهيأ اتسلمونيها ايتسلمونها الايتسمونه اليس توهمنا الايتسنموه فهذه مائة وار بعة وثلاثون تركيبا منها ماهو متين ومنها ماهو غير متين وقد جمع ابن خروف فيها اثنين وعشرين تركيبا محكيا وغير محكي واحسنها بيت ابن عبدون السابق ويليه بيت ابن مالك وقال الطغمي جامعها لها اربع مرات

آلمتي سهوا تلومي ان سها * اوليس تم هنا الهوا يتسنم

هكذا بخطه يتسنم ولو قال يتنسم لكان انسب وقال ايضا

وليت ماسناه وا لتمسي هنا * ماتسألين هو الهنا يتوسم انتهى

قلت وقد جمعت في المغرب زيادة على ماتقدم وكنت قدرت رسالة فيها اسميها اتحاف اهل السيادة بضوابط حروف الزيادة * وقال ابو محمد عبد الله بن الليث يستدعي الوزير ابا الحسن اليابري في يوم غيم

رقم الربيع بروضنا ازهاره * فجرى على صفحاته انهاره
فعسى تشرفنا بهجة سيد * ألقى على ليل الخطوب نهاره
تتمتع الآداب من نفحاته * فيشم منها وردها وبهاره
ياسيدا بهر البرية سودد * أبدى اليناسره وجهاره
يوم أظل الغيم وجه ضيائه * فعليك ياشمس العلا أظهاره

وقال أبو القاسم بن الابرش

أدر كاس المدام فقد تغنى * بفرع الايك طائره الصدوح
وهب على الرياض نسيم صبح * يمر كما دنا سار طليح
ومال النهر يشكو من حصاه * جراحات كما أن الجريح

وقال

حلفت ويشهد دمعي بما * أقاسيه من هجرك الزائد
فان كنت تجحد ما أدعي * وحاشاك تعرف بالجاحد
فان النبي عليه السلام * قضى باليمين مع الشاهد

وقال أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني صاحب الذخيرة وشهرته تغني عن ذكره ونظمه دون نثره يخاطب أبا بكر بن عبد العزيز

أبا بكر المجتبى للأدب * رفيع العماد رفيع الحسب

اموت وادع مايزن قيراطا فقال له عثمان وارعني وجهك فقال اسير الى مكة قال لا والله قال فتمنعني من بيت ربي اعبده وكاد ان يتلف فقيل له انك تموت من ذلك فقال هيهات لن اموت حتى انفي وذكر جوامع مانزل به بعد ومن يتولى دفنه فأحسن اليه في داره اياما ثم دخل اليه فجلس على ركبتيه وتكلم باشياء وذكر الخبر في ولد ابي العاص اذا بلغوا ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ومر في الخبر بطوله وتكلم بكلام كثير وكان في ذلك اليوم قد اتى عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف الزهري من المال فنضت البدر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم فقال عثمان اني لارجو لعبد الرحمن خيرا لانه كان يتصدق ويقري الضيف وترك ماترون فقال كعب الاحبار صدقت يا أمير المؤمنين فشال ابو ذر العصا فضرب بها راس كعب ولم يشغله ماكان فيه من الالم وقال يا ابن اليهودي تقول لرجل مات وترك هذا المال ان الله اعطاه خير الدنيا وخير الآخرة وتقطع على الله بذلك وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مايسرني أن

غير ماذكرت لك ولو تركتنى فى دار هجرتى ما اردت شيأ من البلدان فسيرنى حيث شئت من البلاد قال فانى مسيرك الى الربذة قال الله اكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبرنى بكل ما أنا لاق قال عثمان وما قال لك قال أخبرنى بانى أمنع عن مكة والمدينة واموت بالربذة ويتولى مواراتى نفر ممن يردون من العراق نحو الحجاز وبعث أبو ذر الى جمل له فحمل عليه امرأته وقيل ابنته وامر عثمان ان يتجافاه الناس حتى يسير الى الربذة فلما طلع عن المدينة ومروان يسيره عنها اذ طلع عليه على ابن ابى طالب رضى الله عنه ومعه ابناه وعقيل اخوه وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر فاعترض مروان فقال يا على ان امير المؤمنين قد نهى الناس ان يصحبوا اباذر فى مسيره ويشيعوه فان كنت لم تدر بذلك فقد اعلمتك فحمل عليه على بن ابى طالب بالسوط بين اذنى راحلته وقال تنح نحاك الله الى النار ومضى مع ابى ذر فشيعه ثم ودعه وانصرف فلما اراد على الانصراف بكى ابو ذر وقال رحمكم الله اهل البيت اذا رايتك يا ابا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطوى

أيلحن فيك الزمان الخؤن * ويعرب عنك لسان العرب
وان لم يكن أفقنا واحدا * فينظمنا شمل هذا الادب

وقد ذكرناه فى غير هذا المحل قوله

ألا بادر فلا ان سوى ما * عهدت الكاس والبدر التمام

الابيات وتأخر وفاته الى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة وهو منسوب الى شنترين من الكور الغربية البحرية من أعمال بطليوس * وقال أبو عمر يوسف بن كوثر

مررت به يوما يغازل مثله * وهذا على ذا بالملاحة يمتن
فقلت اجمعا فى الوصل رأيكما فما * لمثلكما كان التغزل والمجن
عسى الصب يقضى الله بينكما له * بخير فقالا الى اشتهى العسل السمن

وقال أبو محمد بن سارة

أعندك أن البدر بات ضجيعى * فقضيت أوطارى بغير شفيع
جعلت ابنة العنقود بينى وبينه * فكانت لنا أما وكان رضيعى

وقال

أيام حارت الافكار فيه * فلم تعلم له الا قدار كنها
بجيد الفيل منا عقد أنس * أقام بغير واسطة فكنها

وقال أبو الحسن منذر الاشبونى

فديتك انى عن جنابك راحل * فهل لى يوما من لقائك زاد
وحسبك والايام خون غوادر * فراق كما شاء العداو بعاد

وقال خلف بن هرون القطينى

من أنبت الورد فى خديك ياقمر * ومن حمى قطفه اذ ليس مصطبر
الزهر فى الروض مقرون بأزمنة * وروض خدك موصول به الزهر

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس حسن وعزون ورحون فأولع بهم الامام أبو محمد بن السيد النحوى وقال فيهم

أخفيت سقمى حتى كاد يخفينى * وهمت فى حب عزون فعزونى
ثم ارحونى برحون فان ظمئت * نفسى الى ريق حسون فحسونى

ثم خاف على نفسه فخرج من قرطبة هكذا رأيته بخط بعض المؤرخين انتهى والله أعلم * وقال ابن خفاجة يداعب من يقل عذاره

أيها التائه مهلا * سامنى أن تهت جهلا
هل ترى فيما ترى الاشـ * ـبابا قد تولى
وغراما قد تسرى * وفؤادا قد تسلى
أين دمع فيك يجرى * أين جنب يتقلى
أين نفس بك تهذى * وضلوع فيك تصلى
أى باك كان لولا * عارض وافى لولى
وتخلى عنك الا * سفا لا يتخلى

وانطوى الحسن فهلا * أجل الحسن وهلا

أما بعد أيها النبيل النبيه فانه لا يجتمع العذار والتيه قد كان ذلك وغصن تلك الشبيبة رطب ومنهل ذلك المقبل عذب وأما العذار فقد يقبل والزمان قد انتقل والصب قد صحا فعقل فقد ركدت رياح الاشواق ورقدت عيون العشاق فدع عنك من نظرة التجنى ومشية التثنى وغض من عنانك وخذ فى تراضى اخوانك وهش عند اللقاء هشة أريحية واقنع بالايماء رجع تحية فكانى بقنائك مهجورا وبرائرك مأجورا والسلام * وقال الرصافى لما بعث اليه من يهواه سكينا

تفاءلت بالسكين لما بعثته * لقد صدقت منى القيافة والزجر
فكان من السكين سكاك فى الحشا * وكان من القطع القطيعة والهجر

وحضر الفقيه أبو بكر بن حبيش ليلة مع بعض الجلة وطفئ السراج فقال ارتجالا

أذلك السراج يرينا غرة سفرت * فباتت الشمس تستحيى وتستتر
أوخله فكفانا وجه سيدنا * لا يطلب النجم من فى بيته قمر

وقصد أحد الادباء بمرسية أحد السادة من بنى عبد المؤمن فأمر له بصلة خرجت على يد ابن له صغير فقال المذكور ارتجالا

تبرك بنجل جاء باليمن والسعد * يبشر بالتأييد طائفة المهدى
تكلم روح الله فى المهد قبله * وهذا براه بدل اللام فى المهد

وخرج الاستاذ أبو الحسن بن جابر الدباج يوما مع طلبته للنزهة بخارج اشبيلية وأحضرت بجنات فاخبا نارها ولاهد أوارها فحاد عنها ولا كف ولا صرف حرها عن اقتضابها البنان ولا الكف فقال

أحلى مواقعها اذا قرت بها * وبخارها فوق الموائد سام
ان أحرقت لمسا فان أوارها * فى داخل الاحشاء برد سلام

وقال أبو بكر أحمد بن محمد الابيض الاشبيلى يتهكم برجل زعم انه ينال الخلافة

أمير المؤمنين نداء شيخ * أفادك من نصائحه اللطيفه
تحفظ أن يكون الجذع يوما * سريرا من أسرتك المنيفه
أفكر فيك مصلوبا فأبكى * وتضحكنى امانيك السخيفه

وقال صفوان

ونهار أنس لو سألنا دهرنا * فى أن يعود بمثله لم يقدر
خرق الزمان لنابه عاداته * فلو اقترحنا النجم لم يتعذر
فى فتية علمت ذكاء بحسنهم * فتلفعت من غيمها فى مئزر
والسرحة الغناء قد قبضت بها * كف النسيم على لواء اخضر
وكأن شكل الغيم منخل فضة * يلقى على الآفاق رطب الجوهر

واجتاز بعض الغلمان على أبى بكر بن يوسف فسلم عليه باصبعه فقال أبو بكر فى ذلك وأشار فى البيت الثالث الى أن والد الغلام كان خطيب البلد

من يعذرنى من على رد رسولى عما وجهته له وفعل كذا والله لنعطينه حقه فلما رجع على استقبله الناس فقالوا ان أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك اباذر فقال على غضب الخيل على اللجم ثم جاء فلما كان بالعشى جاء الى عثمان فقال له ما حملك على ما صنعت بمروان واجترأت على وردد رسولى وأمرى قال اما مروان فانه استقبلنى يردنى فرددته عن ردى وأما أمرك فلم ارده قال عثمان أولم يبلغك انى قد نهيت الناس عن أبى ذر وعن تشييعه فقال على أوكل ما أمرتنا به من شئ يرى طاعة لله والحق فى خلافه اتبعنا فيه أمرك بالله لا نفعل قال عثمان أقد مروان قال وما أقيده قال ضربت بين أذنى راحلته قال على أما راحلتى فهى تلك فان أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل وأما أنا فوالله لئن شتمنى لاشتمنك أنت مثلها بما لا أكذب فيه ولا أقول الا حقا قال عثمان ولم لا يشتمك اذا شتمته فوالله ما أنت عندى بافضل منه فغضب على بن أبى طالب وقال الى تقول هذا القول ومروان

 تعدلنى فانا والله أفضل منك وأبى أفضل من أبيك وأمى أفضل من أمك وهذه قبيلتى قد نلتها وهلم

مر الغـزال بنـار وعانـقـرا * كشبيهه في التفرد يبصلـده
ثم السلامي في السلام تسترا * ثم انثني حذر الرقيب الراصـده
هلا تـكلف وقفـة لمحبـه * ولو انهـا قصرا لجلسة والده

وقال أبو الحسن بن الحجاج

كفى حزنا أن المشارع جمة * وعنـدي اليها غلة وأوام
ومن نكد الايام أن يعدم الغنى * كريم وأن المكثرين لئام

وقال أبو القاسم القبتوري

واحسرتا لامور ليس يبلغها * مالي وهن مني نفسي وآمالي
أصبحت كالآل لاجدوى لدي وما * آليت جدا ولكن جدي الآلي

وقال أحمد بن أمية البلنسي

قال رئيسي حين فاوضـته * ومادري أن مقامي عسير
أقم فقلت الحال لاتقتضي * فقال سر قلت جناحي كسير

وقال ابن برطلة

لله ما ألقـاه من همـة * لاترتضي الا السها منزلا
ومن خمول كل مارمت أن * اسمو به بين الورى قال لا

وكتب ابن خروف لبعض الرؤساء

يامن حوى كل مجد * بجده و بجـده
أتاك نجل خروف * فامنن عليه بجده

و كتب أيضا لبعضهم يستدعي فروة

بهاء الدين والدنيا * ونور المجـد والحسب
طلبت مخافة الانوا * ء من جدوك جلد أبي
وفضـلك عالم أني * خروف بارع الادب
حلبت الدهر أشطره * وفي حلب صـفا حلبي

و بعد كتبي لماذ كرخشيت أن يكون لابن خروف المشرقي لا الاندلسي والله تعالى أعلم * وركب محبوب، أبي بكر بن مالك كاتب ابن سعد بغلة رديف رجـل يعرف بالدب فقال أبو بكر في ذلك

و بغلة مالهـا مثال * يركبها الدب والغزال
كأن هذا وذا عليها * سحابة خلفها هـلال

وخرج محبوب لابي الحسن بن حريق يوما للنزهة وعرض سيل عاقه عن دخول البلد فبات ليلة عند أبي الحسن فقال في ذلك

ياليلة جادت الاماني * بهاعـلى رغم أنف دهري
تسيل فيها على نعمى * يقصر عنها لسان شكري
أبات في منزلي حبيـبي * وقام في أهـله بعـذر

فأقبل بنو ذلك فغضب عثمان واجر وجهه فقام ودخل داره وانصرف على فاجتمع اليه أهل بيته ورجال من المهاجرين والانصار فلما كان من الغد واجتمع الناس الى عثمان شكا اليهم عليا و قال انه يعيبني ويظاهر من يعيبني يريد بذلك ابا ذر وعمار بن ياسر وغيرهما فدخل الناس بينهما وقال له عـلى والله ما أردت تشييع أباذر الا لله وقد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول أبي سفيان صخر ابن حرب في دار عثمان عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان ودخل داره ومعه بنو أميـة فقال أبو سفيان أفيكم أحد من غيركم وقـد كان عمي قالوا لا قال يابني أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لـكم ولتصيرن الى صبيانكم وراثة فانتهـره عثمان وساءه ماقال ونمى هذا القول الى المهـاجرين والانصار وغـير ذلك مـن الـكلام فقام عمار في المسجـد فقال يامعشر قريش أما اذا صرفتم هذا الامر عن أهـل بيت نبيكم ههنا مرة وههنـا مرة فـأنا أنا آمن أن ينزعه الله فيضعـه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله وقام المقداد فقال ما رأيت مثل ما أوذي به أهل هذا البيت بعـد نبيهم فقال له عبـد الرحمن بن عوف وما أنت وذاك يامقداد بن عمرو فقال اني

وبت لاحالة كحالى * صريع سكر ضجيع بدر
يا ليلة القدر فى الليالى * لانت خير من الف شهر

وقال أبو الحسن بن الزقاق

عذيرى من هضيم الكشح أحوى * رخيم الدل قد لبس الشبابا
أعد الهجر هاجرة لقلبى * وصيره وعده فيها سرابا

وقال أبو بكر بن الجزار السرقسطى

ثناء الفتى يبقى ويفنى ثراؤه * فلا تكتسب بالمال شيأ سوى الذكر
فقد أبلت الايام كعبا وحاتما * وذكرهما غض جديد الى الحشر

وقال الاديب أبو عبد الله الجذامى كان لشخص من أصحابنا قينة فبينما هو ذات يوم قد رام تقبيلها على اثر سواك أبصره بمبسمها اذ مر قوال ينادى على قول بيده قال فكلفنى أن أقول فى ذلك شيأ فقلت

ولم انس يوم الانس حين سمعت لى * واهديت لى من فيك قول سواك
ومر بنا القوال للقول مادحا * وما قصده فى المدح قول سواك

وشرب يوما ابو عبد الله المذكور عند بعض الاجلة وذرعه القىء فارتجل فى العذر

لا تؤاخذ من اخل به * قهوة فى الكاس كالقبس
كيف يلهى فى المدام فتى * اخذته اخذة فترس
دخلت فى الحلق مكرهة * ضاق عنها موضع النفس
خرجت من موضع دخلت * انفت من مخرج النجس

وجلس سلمة بن احمد الى جنب وسيم يكتب من محبرة فانصب الحبر منها على ثوب سلمة فجعل الغلام فقال سلمة

صب المداد وما تعمد صبه * فتورد الخد المليح الازهر
يا من يؤثر حبره فى ثوبنا * تأثير لحظك فى فؤادى اكبر

وكان لابى الحسن بن حزمون بمرسية محبوب يدعى ابا عامر وسافر ابو الحسن فبينما هو بخارج المرية اذ لقى فتى يشبه محبوبه وسأله عن اسمه فأخبره بأنه يدعى ابا عامر فقال ابو الحسن فى ذلك

الى كم افر أمام الهوى * وليس لذا الحب من آخر
وكيف أفر أمام الهوى * وفى كل وادا بو عامر

وحضر ابو بكر بن مالك كاتب ابن سعد مع محبوبه لارتقاب هلال شوال فاغمى على الناس ورآه محبوبه فقال ابو بكر فى ذلك

توارى هلال الافق عن اعين الورى * ولاح لمن اهوا ه منه وحياه
فقلت لهم لم تفهموا كنه سره * ولكن خذوا عنى حقيقة معناه
بدا الافق كالمرآة راق صفاؤه * فابصر دون الناس فيه محياه

وكتب ابو بكر بن حبيش لمن يهواه بقوله

متى ما ترم شرحا لحالى وتبيينا * فصف على قلبى علومك تحبينا

اعجب من قريش وانت تطؤلهم على الناس أهل هذا البيت قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده من أيديهم أما وايم الله يا عبد الرحمن لو أجد على قريش أنصارا لقاتلتهم كقتالى اياهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وجرى بينهم من الكلام خطب طويل قد أتينا على ذكره فى كتابنا أخبار الزمان فى اخبار الشورى والدار (ولما كان سنة) خمس وثلاثين سار مالك ابن الحرث النخعى من الكوفة فى مائتى رجل وحكيم بن جبلة العبدى فى مائة رجل من أهل البصرة ومن اهل مصر ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى وقد ذكر الواقدى وغيره من أصحاب السير انه ممن بايع تحت الشجرة الى آخرين ممن كان بمصر مثل عمرو بن الجموح الخزاعى وسودان بن احمد التجيبى ومنهم محمد بن ابى بكر الصديق وقد كان تكلم بمصر وحرض الناس على عثمان لامر يطول ذكره كان السبب فيه مروان بن الحكم فنزلوا فى الموضع المعروف بخشب فلما علم عثمان

ينزولهم بعث الى على بن ابى طالب فاحضره وساله ان يخرج اليهم ويضمن لهم عنه كل ما يريدون من العدل وحسن السيرة فسار

اراد انى بحبلك مولع * وكتب القاضى بن السليم الى الحكم المستنصر بالله

لو ان اعضاء جسمى السن نطقت * بشكر نعماك عندى قل شكرى لك
او كان ملكنى الرحمن من اجلى * شيأ وصلت به يا سيدى اجلك
ومن تكن فى الورى آماله كثرت * فانما املى فى أن ترى أملك

وقال الوزير ابن ابى الخصال

وكيف أؤدى شكر من ان شكرته * على بر يوم زادنى مثله غدا
فان رمت اقضى اليوم بعض الذى مضى * رايت له فضلا على مجددا

وقال الرصافى

قلدت جيدا الفكر من تلك الحلى * ماشاء المنثور والمنظوم
وأشرت قدامى كانى لائم * وكأن كفى ذلك الملثوم

وقال

وبالك نعمة رمنا مداها * فاوصل اللسان ولا الضمير
عجزنا أن نقوم لها بشكر * على أن الشكور لها كثير

وقال ابن باجة

قوم اذا انتقبوا رأيت أهلة * واذا هم سفروا رأيت بدورا
لا يسألون عن النوال عفاتهم * شكرا ولا يحمون منه نقيرا
لو أنهم مسحوا على جدب الربا * باكفهم نبت الاقاح نضيرا

وقال ابن الابار يمدح اباز كريا سلطان افريقية

تحملت بعليائك الليالى العواطل * وذانت لسقياك السحاب الهواطل
ومازينة الايام الامناقب * يفرعها أصلان باس ونائل
اذا الطول والصول استقلا براحة * ترقت لها نحو النجوم أنامل

وقال ايضا فى سعيد بن حكم رئيس مزقة

سعيد أيد رئيس بئيس * فى اسار يره صفات الصباح
قمر فى افق المعالى تجلى * وتحلى بالسؤدد الوضاح
سلم البحر فى السماحة منه * بجواد سموه بحر السماح

وقال ابو العباس احمد الاشبيلى

يا افضل الناس أجماعا ومعرفة * تغنى وما الحسن فى ريب ولا ريب
ورثت عن سلف ماشئت من شرف * فقد بهرت بموروث ومكتسب

وقال ابن زهر الحفيد

يا من يذكرنى بعهد احبتى * طاب الحديث بذكرهم و يطيب
اعد الحديث على من جنباته * ان الحديث عن الحبيب حبيب
ملأ الضلوع وفاض عن احنائها * قلب اذا ذكر الحبيب يذوب
مازال يخفق ضاربا بجناحه * يالبت شعرى هل نطير قلوب

وقال فى زهر الكتان

على اليهم فكان بينهم خطب طويل فاجابوه الى ما اراد وانصرفوا فلما صاروا الى الموضع المعروف بحمس اذا هم بغلام على بعير وهو مقبل من المدينة فتاملوه فاذا هو ورش غلام عثمان فقرروه فاقر واظهر كتابا الى ابن ابى سرح صاحب مصر اذا قدم عليك الجيش فاقطع يد فلان واقتل فلانا وافعل بفلان كذا واحص اكثر من فى الجيش وأمر فيهم بما أمر وعلم القوم ان الكتاب بخط مروان فرجعوا الى المدينة واتفق رأيهم ورأى من قدم من العراق ونزلوا المسجد وتكلموا وذكروا ما نزل بهم من عمالهم ورجعوا الى عثمان فحصروه فى داره ومنعوه الماء فاشرف على الناس وقال ألا احد يسقينا وقال يم تستحلون قتلى وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان او زنا بعد احصان او قتل نفس بغير نفس ووالله ما فعلت ذلك فى جاهلية ولا اسلام فبلغ عليا طلبه فجاء فبعث اليه بثلاث قرب ماء فاوصل اليه ذلك حتى خرج جماعة من موالى بنى هاشم وبنى امية وارتفع الصوت وكثر الضجيج وأحدقوا بداره بالسلاح وطالبوه بمروان فابى ان يخلى عنه وفى الناس بنو زهرة لاجل عبد الله بن مسعود لانه كان من

اهلا لزهر اللازورد موحبا * في روضة الكتان تعطفه الصبا
لو كنت ذا جهل لخلتك لجة * وكشفت عن ساق كما فعلت سبا

ولما قال الموشحة المشهورة التي أولها * صادني ولم يدر ما صادا * قال ابو بكر بن الجد ليسئل عما صادا قال تيس بلحية حمراء ولما قال الموشحة التي اولها هات بنت العنب واشرب الى قوله وفده بأبي ثم بي سمعها ابوه فقال يفديه بالعجوز السوآة واما انا فلا * وهنالك ابو بكر بن زهر الاصغر وهو ابن عم هذا الاكبر ومن نظم الاصغر

والله ما ادري بما اتوسل * اذ ليس لي ذات بها اتوصل
لكن جعلت مودتي مع خدمتي * لعلاك احظى شافع يتقبل
ان كنت من ادوات زهر عاطلا * فالزهر منهن السماك الاعزل

وهذه الابيات خاطب بها المأمون بن المنصور صاحب المغرب * وقال الاديب ابو جعفر عمر ابن صاحب الصلاة

ومازالت الدنيا طريقا لهالك * تباين في احوالها وتخالف
ففي جانب منها تقوم مآتم * وفي جانب منها تقوم معازف
فمن كان فيها قاطنا فهو ظاعن * ومن كان فيها آمنا فهو خائف

وقال ابو بكر محمد بن صاحب الصلاة يخاطب اخيل لما انتقل الى العدوة

لا تنكرن زمانا * رماك منه بسهم
وانت غاية مجد * في كل علم وفهم
هذي دموعي حتى * يراك طرفي تهمي
ياليت ما كنت اخشى * عليك عدوان هم
وانما الدهر يبدي * ما لا يجوز ربوهم
مازال شيبهم مس * لكل يقظان شهم

ولما وفد اهل الاندلس على عبد المؤمن قام خطيبا ناثرا وناظما فاتى بالعجب وباهى به اهل الاندلس في ذلك الوقت وله في عبد المؤمن

هم الالى وهبوا للحرب انفسهم * وانهبوا ما حوت ايديهم الصفدا
ما ان يغبون كحل الشمس من رهج * كانما عينها تشكو لهم رمدا

وقال ابن السيد البطليوسي في ابي الحكم عمرو بن مذحج بن حزم وقد غلب على لبه واخذ بمجامع قلبه

راى صاحبي عمرا فكلف وصفه * وحملني من ذاك ما ليس في الطوق
فقلت له عمرو كعمرو فقال لي * صدقت ولكن ذاك شب عن الطوق

وفيه يقول ابن عبدون

يا عمرو رد على الصدور قلوبها * من غير تقطيع ولا تحريق
وادر علينا من خلالك كؤسا * لم تأل تسكرنا بغير رحيق

وفيه يقول احدهما

ابي بكر وغيرهم ولا يحمل ذكره كتابنا فلما بلغ عليا انهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين ومواليه بالسلاح الى بابه لنصرته وأمرهم أن يمنعوه منهم وبعث الزبير ابنه عبد الله وبعث طلحة ابنه محمدا وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم اقتداء بمن ذكرنا فصدوهم عن الدار فرمى من وصفنا بالسهام واشتبك القوم وجرح الحسن وشج قنبر وجرح محمد بن طلحة فخشي القوم أن يتعصب بنو هاشم وبنو أمية فتركوا القوم في القتال على الباب ومضى نفر منهم الى دار قوم من الانصار فتسوروا عليها وكان ممن وصل اليه محمد ابن أبي بكر ورجلان آخران وعند عثمان زوجته وأهله ومواليه مشاغيل بالقتال فأخذ محمد بن أبي بكر بلحيته فقال يا محمد والله لو رآك أبوك لساءه مكانك فتراخت يده وخرج عنه الى الدار ودخل رجلان فوجداه فقتلاه وكان المصحف بين يديه يقرأ فيه فصعدت امرأته فصرخت وقالت قد قتل أمير المؤمنين فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما

ن بني أمية فوجدوه قد فاضت نفسه رضي الله عنه فبكى واقبل ذلك على وطلحة والزبير وسعد وغيرهم من المهاجرين

قال لعمرو بن مذحج * جاءما كنت ارتجى
شارب من زبرجد * ولمى من بنفسج

وكتب اليه ابن عبدون

سلام كما هبت من المزن نفحة * تنفس عنها الفجر من وجهها الزهر

ومنها

أباحسن أبلغ سلام فى يدى * أبى حسن وارفق فكلتاهما بحر
ولا تنس يمناك التى هى والندى * رضيعا لبان لا اللجين ولا التبر

فأجابه من أبيات

تحير ذهنى فى مجارى صفاته * فلم أدر شعرا مابه فهت أم سحر
أرى الدهر أعطاك التقدم فى ٣ * وان كان قدوافى أخيرا بك الدهر
لئن حازت الدنيا لك الفضل آخرا * فنى أخريات الليل ينبلج الفجر

ولعمرو فى أبى العلاء بن زهر

قدمت علينا والزمان جديد * ومازلت تبدى فى الندى وتعيد
وحق العلا لولام اتبك العلا * لما اخضر فى أفق المكارم عود
فلوحوا بنى زهر فان وجوهكم * نجوم بأفلاك العلاء سعود

وقوله لابى الوليد ابن عمه

أنى لاعجب أن يدنو بنا وطن * ولا يقضى من العليا لنا وطر
لا غروان بعدت دار مصاقبة * بنا وجد بنا للعضرة السفر
فجعر العين لا يلقاه ناظرها * وقد توسع فى الدنيا به النظر

وقال ابن عمه أبو بكر محمد بن مذحج يخاطب ابن عمه أبا الوليد

ولما رأى حمص استخفت بقدره * على انها كانت به ليلة القدر
تحمل عنها والبلاد عريضة * كما سل من غمد الدجى صارم الفجر

وقال أبو الوليد المذكور

أتجزع من دمعى وأنت أسلته * ومن نار أحشائى وأنت لهيبها
وتزعم أن النفس غيرك علقت * وأنت ولا من علك حبيبها
اذا طلعت شمس على بسلوة * أثار الهوى بين الضلوع غروبها

وله أيضا

لما استحالت معشرم أرضهم * والقول فيك كما علمت كثير
داريت دونك مهجتى فتماسكت * من بعدما كادت اليك تطير
فاذهب فغير جوانحى لك منزل * واسمع فغيرك فائك المشكور

وقال

يقول وقد لمته فى هوى * فلان وعرضت شيأ قليلا
أتحدثنى قلت لا والذى * أحلك فى الحب منى وبيلا
وكيف وقد حل ذاك الجناب * وقد سلك الناس ذاك السبيلا

وله مما يكتب على قوس

انى اذا رفعت سماء عجاجتى * والحرب تقعد بالردى وتقوم

والانصار فاسترجع القوم وأنتماء على الباب ولطم الحسن وضرب الحسين وشتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله بن الزبير فقال له طلحة لا تضرب يا أبا الحسن ولا تشتم ولا تلعن لو دفع مروان ما قتل وهرب مروان وغيره من بنى أمية وطلبوا ليقتلوا فلم يوجدوا وقال على لزوجته نائلة بنت الفرافصة من قتله وأنت كنت معه فقالت دخل اليه رجلان وقصت خبر محمد بن أبى بكر فلم ينكر ما قالت وقال والله لقد دخلت عليه وأنا أريد قتله فلما خاطبنى بما قال خرجت ولا أعلم بتخلف الرجلين عنى والله ما كان لى فى قتله سبب ولقد قتل وأنا لا اعلم بقتله وكان مدة ما حوصر عثمان فى داره تسعا وأربعين يوما وقيل أكثر من ذلك (وقتل) فى ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذى الحجة وذكر أن أحد الرجلين كنانة بن بشر التجيبى ضربه بعمود على جبهته والآخر منهما سودان ابن حمران المرادى ضربه بالسيف على حبل عاتقه

قوله (وقد قيل) ان عمرو ابن الحمق طعنه بسهام تسع طعنات وكان فيمن مال

٣ قوله ارى الدهر الخ هكذا بالاصل ووزنه ومعناه غير مستقيمين ولعل اصله التقدم فى الورى وان الخ اه

وتمر

عليه عمير بن ضابئ البرجمي التميمي وخضخض بسيفه بطنه (ودفن) على ما وصفنا

وتمرغوا الابطال في جنباتها * والموت من فوق النفوس يحوم
مرقت لهم منا الحتوف كانما * نحن الاهلة والسهام نجوم

وقال أبو الحسين بن قندلة في كلب صيد

خمعت بمن لو رمت تعبير وصفه * لقل ولو أني غرفت من البحر
بأخطل وثاب طموح مؤدب * ثبوت يصيد النسر لو حل في النسر
كلون الشباب الغض في وجهه سنى * كأن ظلاما ليس فيه سوى البدر
اذا سار والبازي أقول تعجبا * ألا ليت شعري يسبق الطير من يجري

ولا يلتفت الى قول أبي العباس بن سيد فيه

الموت لا يبقى على مهجة * لاسدا يبقى ولا نعثله
ولا شريفا لبني هاشم * ولا وضيعا لبني قندله

وكان ابن سيد مسلطا على هذا البيت قال ابن سعيد وانما يهج الكلب القمر قال أبو العباس النبار كان أبو الحسين يلقب بالوزغة فوصلت الى بابه يوما فتحجب عني فكتبت على الباب

تحجب القندلي عني * فساء من فعله ضميري
ينفر من رؤيتي كاني * مضمخ الجيب بالعبير

قال ومن عادة الوزغة أن تكره رائحة الزعفران وتهرب منه * وقال أبو القاسم بن حسان

الا ليتني ما كنت يوما معظما * ولا عرفوا شخصي ولا علموا قصري
أكاف في حال المشيب بمثل ما * تحملته والغصن في ورق نضر
فاعاش في الايام في حرعيشة * سوى رجل ناء عن اللهى والام

وقال أبو بكر بن مرتين

صحبت منك العلا والفضل والكرما * وشيمة في الندى لا ترتضي السأما
مودة في ثرى الانصاف راسخة * وسمكها فوق أعناق السماء سما

وقال أنصفتني فعضتك الود الذي * يجزى بصفوته الخليل المنصف
لا تشكرن سوى خلالك انها * جلبت اليك من الثناء ما يعرف

وقال ياهلا لا يتجلى * وقضيبا يتثنى
كل أنس لم تكنه * فهو لفظ دون معنى

وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن زرقون

ذكر العهد والديار غريب * فجرى دمعه وهج النحيب
ذكر العهد والنوى من حبيب * حبذا العهد والنوى والحبيب
أذ صفاء الوداد غير مشوب * بتجن وودنا مشوب
واذ الدهر دهرنا واذ الدا * رقريب واذ يقول الرقيب

ومنها أسأل الله عفوه فلئن سا * مقالي لقد تعف القلوب
قد ينال الفتى الصغائر طرفا * لا سواها وللذنوب ذنوب
وأخو الشعر لا جناح عليه * وسواء صدوقه والكذوب

في الموضع المعروف بحش كوكب وهذا الموضع فيه مقابر بني أمية ويعرف أيضا بحل وصلى عليه جبير ابن معطم وحكيم بن حزام وأبو جهم بن حذيفة (ولما حوصر عثمان) كان أبو ايوب الانصاري رضي الله عنه يصلي بالناس ثم امتنع فصلى بهم سهل بن حنيف فلما كان يوم النحر صلى بهم علي وقيل ان عثمان قتل ومعه في الدار من بني أمية ثمانية عشر رجلا فيهم مروان بن الحكم (وفي مقتله) تقول زوجته نائلة بنت الفرافصة

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة
قتيل التجيبي الذي جاء من مصر
ومالي لا أبكي وتبكي قرابتي
وقد غيبوا عنا فضول أبي عمرو

وقال حسان بن ثابت فيمن تخلف عنه وخذله من الانصار وغيرهم وأعان على قتله والله أعلم بما قاله من أبيات

خذلته الانصار اذ حضر الموت وكانت ولاية الانصار من عذيري من الزبير ومن طلـ
ـحة اذ جاء أمره مقدار
فتولى محمد بن أبي بكـ
ـر عيانا وخلفه عمار

في شعره طويل يذكر فيه غير من ذكرنا وينسبهم الى التمالئ على قتله والرضا بما فعل به والله أعلم وكان

وقال يامعدن الفضل وطود الحجا * لازلت من بحر العلا تغترف
عبدك بالباب فقل منعما * يدخل أو يصبر أوينصرف

وقال الخطيب أبو عبدالله محمد بن عمر الاشبيلي

وكل الى طبعه عائد * وان صده المنع عن قصده
كذا الماء من بعد اسخانه * يعود سريعا الى برده

وقال امام اللغة أبو بكر محمد بن الحسين الزبيدي الاشبيلي

ماطلبت العلوم الا لانى * لم أزل من فنونها فى رياض
ماسواها له بقلبي حظ * غير ماكان للعيون المراض

وقال أشعرن قلبك ياسا * ليس هذا الناس ناسا
ذهب الابر بزمنهم * فبقوا بعد نحاسا
سام بين يقولو * ن جميعا لامساسا

وكان كتاب العين للخليل مختل القواعد فامتعض له هذا الامام وصقل صدأه كما يصقل الحسام وأبرزه فى أجمل منزع حتى قيل هذا مما أبدع واخترع وله كتاب فى النحو يسمى الواضح وصيره الحكم المستنصر مؤد بالولده هشام المؤيد وبالجملة فهو فى المغرب بمنزلة ابن دريد فى المشرق * وقال النحوى أبو بكر محمد بن طلحة الاشبيلي وشعره رقيق خارج عن شعر النحاة ومنه

الى أى يوم بعده يرفع الخمر * وللورق تغريد وقد خفق النهر
وقد صقلت كف الغزالة افقها * وفوق متون الروض أردية خضر
وكم قد بكت عين السماء بدمعها * عليها ولولاذاك مابسم الزهر

وقال بدا الهلال فلما * بدا نقصت وتما
كأن جسمى فعل * وسحر عينيه لما

وكان لايملك نفسه فى النظر الى الصور الحسان وأتاه يوما أحد أصحابه بولد له فتان الصورة فعند ماد خل مجلسه قصر عليه طرفه ولم يلتفت الى والده وجعل والده يوصيه عليه وهو لايعلم مايقوله ولم يلتفت الى والده وقد افتضح فى طاعة هواه فقال له الرجل ياأبا بكر حقق النظر فيه لعله مملوك ضاع لك وقد جبره الله تعالى عليك ولكن على من يتركه عندك لعنة الله هذا ماعلمت بمحضرى والله ان غاب معك عن بصرى لحظة لتفعلن به ماشتهر عنك وأخذ ولده وانصرف به فانقلب المجلس ضحكا * وقال أبو جعفر أحمد بن الابار الاشبيلي وهو من رجال الذخيرة

زارنى خيفة الرقيب مريبا * ينثنى منه القضيب الكثيبا
رشأ راش لى سهام المنايا * من جفون يسبى بهن القلوبا
قال لى ماترى الرقيب مطلا * قلت دعه اتى الجناب الرحيبا
عاطنى أكؤس المدام دراكا * وأدرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها من خمر عينيك صرفا * واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا

عثمان حسانيا منحرفا عن
ياليت شعرى وليت الطير
يخبرنى
ماكان شأن على وابن
عفانا
لنسمعن وشيكا فى ديارهم
الله اكبر ياثارات عثمانا
وكان عثمان رضى الله
عنه كثيرا ماينشد أبياتا
قالها ويطيل ذكرها مالا
يعرف لغيرها منه وهى
تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها
من الحرام ويبقى الاثم
والعار
يلقى عواقب سوء من
مغبتها
لاخير فى لذة من بعدها النار
وكان الوليد بن عقبة بن
أبى معيط أخا عثمان لامه
فسمع فى الليلة الثانية من
مقتل عثمان ينديه وهو
يقول
بنى هاشم ايه فما كان بيننا
وسيف ابن أروى عندكم
وحرائبه
بنى هاشم ردوا سلاح ابن
أختكم
ولاتنهبوه ماتحل مناهبه
غدرتم به كى ماتكونوا
مكانه
كما غدرت يوما بكسرى
مرازبه
وهى أبيات فاجابه عن هذا
الشعر وفيما رمى به بنى
هاشم ونسب اليهم الفضل
ابن العباس بن عبد المطلب فقال فلاتسألونا سيفكم ان سيفكم * أضيع والقاه لدى الروع صاحبه قال

قال لابد أن تدب عليه * قلت إبني رشا وآخذ ذيبا
قال فابد إبنا وثن عليه * قلت عمري لقد أتيت قريبا
فوثبنا على الغزال وكوبا * وسعينا على الرقيب دبيبا
فهل ابصرت أو سمعت بصب * ناك محبوبه ونالك الرقيبا

وأنشد له ابن حزم

أوما رأيت الدهر أقبل معتبا * متنصلا بالعذر مما أذنبا
بالامس اذبل في رياضك ايكة * واليوم أطلع في سمائك كوكبا

وقيل انه خاطب بهما ابن عباد ملك اشبيلية وقد مات له بنت وولد له ابن وبعضهم ينسبهما لغيره * ودخل الاديب أبو القاسم العطار الاشبيلي حماما باشبيلية فجلس الى جانبه وسيم خمري العينين فافتتن بالنظر اليه والمحادثة الى أن قام وقعد في مكانه اسود فقال

مضت جنة المأوى وجاءت جهنم * فها أنا أشقى بعدما كنت أنعم
وما كان الا الشمس حان غروبها * فاعقبها جنح من الليل مظلم

وقال الاديب المصنف أبو عمرو عثمان بن علي بن عثمان بن الامام الاشبيلي صاحب سمط الجمان

عذيري من الايام لا درد رها * لقد حملتني فوق ما كنت أرهب
وقد كنت جلدا ما يهنهني النوى * ولا يستبيني الحادث المتغلب
يقاسي صروف الدهر مني مع الصبا * جذيل حكاك أو عذيق مرجب
وكنت اذا ما الخطب مد جناحه * على ترائي تحته أتقلب
فقد صرت خفاق الجناح يروعني * غراب اذا أبصرته وهو ينعب
وأحسب من ألقى حبيبا مودعا * وان بلاد الله طرا محصب

وقد امتعض للآداب في صدر دولة بني عبد المؤمن لجمع شمل الفضلاء الذين اشتملت عليهم المائة السابعة الى مبلغ سنه منها في ذلك الاوان واستولى بذلك على خصل الرهان وانفرد بهذه الفضيلة التي لم ينفرد بها الا فلان وفلان * وكان الاديب العالم الصالح أبو الحسن علي بن جابر الدباج الاشبيلي اماما في فنون العربية ولكن شهر بالقراءة كتب الآداب كالكامل للمبرد ونوادر القالي وما أشبه ذلك وكان مع زهده فيه ملوذعيه ومن ظرفه أن أحد تلامذته قال لغلام جميل الصورة بالله أعطني قبلة تملك رمقي فشكاه الى الشيخ وقال له يا سيدي قال لي هذا كذا فقال له الشيخ واعطيته ما طلب فقال لا فقال له ما هذه الثقالة ما كفاك أن حرمته حتى تشتكي به ايضا وحسبك من جلالة قدره ان اهل اشبيلية رضوا به اماما في جامع العدبس وله

لما تبددت وشمس الافق بادية * ابصرت شمسين من قرب ومن بعد
من عادة الشمس تعشي عين ناظرها * وهذه نورها يشفي من الرمد

وقال مالك بن وهب

أرامي بالسحر من لحظاتها * نعيذك كيف الرمي من دون اسهم

سلوا أهل مصر عن سلاح ابن أختنا
فهم سلبوه سيفه وحرائبه
وكان ولي العهد بعد محمد
علي وفي كل المواطن صاحبه
على ولي الله أظهر دينه
وأنت مع الاشقين فيما تحاربه
وأنت امرؤ من اهل صيفور مارح
فمالك فينا من حميم تعاتبه
وقد أنزل الرحمن أنك فاسق
فمالك في الاسلام سهم تطالبه

(قال المسعودي) رحمه الله ولعثمان أخبار وسير وما ثر حسان قد أتينا على ذكرها في كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وكذلك ما كان في ايامه من الكوائن والاحداث والفتوح والحروب مع الروم وغيرهم والله ولي التوفيق

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني اوله ذكر خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه ورضي عنه

الا فاعلمي أن قد اصبت فؤاد لي * سهامك او كفي فلست بمسلم
فانسان عين الدهر أصمت فاحذري * مطالبة بالقلب واليدوالفم
اماهو في غيل غداة غابه القنا * تحف به آساد كل ملثم
ولو أن لي ركاشديد ابنجدة * اويت له من باس لحظك فارحمي

وهو الشبيلي كان من اهل الفلسفة كما في المسهب قال وهو فيلسوف المغرب ظاهر الزهد والورع استدعاه من اشبيلية امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الى حضرة مراكش وصيره جليسه وانيسه وفيه يقول بعض اعدائه

دولة لابن تاشفين علي * طهرت بالكمال من كل عيب
غير أن الشيطان دس اليها * من خبايا ه مالك بن وهيب

وامر على مناظرة محمد بن تومرت الملقب بالمهدي الذي انشأ دولة بني عبد المؤمن * وقال أبو الصلت امية بن عبد العزيز المذكور في غير هذا الموضع من هذا الكتاب يستدعي بعض اخوانه

بعا ليك وجدك * جد بلقياك لعبدك
حضر الكل ولكن * لم يطب شئ لفقدك

وقال وراغب في العلوم مجتهد * لكنه في القبول جلمود
فهو كذي عنة به شبق * ومشتهى الاكل وهو معدود

وقال لئن عرضت نوى وعدت عواد * أدالت من دنوك بالبعاد
فما بعدت عن اللقيا جسوم * تدانت بالمحبة والوداد
ولكن قرب دارك كان اندى * على كبدي واحلى في فؤادي

وله في مجمرة

ومحرورة الاحشاء لم تدر ما الهوى * ولم تدر ما يلقى المحب من الوجد
اذا ما بدا برق المدام رأيتها * تثير غماما في الندى من الند
ولم أر نارا كالمشاعل جمرها * رأيت الندامى منه في جنة الخلد

وقوله من قصيدة

وان هم نكصوا يوما فلا عجب * قد يكهم السيف وهو الصارم الذكر
العود أحمد والايام ضامنة * عقبى النجاح ووعد الله منتظر

وقال تقريب ذي الامر لاهل النهى * أفضل ما ساس به أمره
هذا به أولى وماضره * تقريب أهل اللهو في الندره
عطارد في جدل أوقاته * أدنى الى الشمس من الزهره

وقوله تفكر في نقصان مالك دائما * وتغفل عن نقصان جسمك والعمر
ويثنيك خوف الفقر عن كل بغية * وخيفة حال الفقر شر من الفقر

وقوله يا ليلة لم تبن من القصر * كانها قبلة على حذر
لم تك الا كلا ولا ومضت * تدفع في صدرها يد السحر

*(ذكر خلافة أمير المؤمنين اليوم الذي قتل فيه عثمان ابن عفان رضي الله عنه فكانت خلافته الى أن استشهد أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام وقيل أربع سنين وتسعة أشهر الا يوما وكانت الفرقة بينه وبين معاوية على ما ذكرنا في خلافته وكان مولده في الكعبة وقيل ان خلافته كانت خمس سنين وثلاثة أشهر وسبع ليال واستشهد وهو ابن ثلاث وستين سنة وعاش بعد الضربة الجمعة والسبت وتوفي ليلة الاحد وقد قيل في مقدار عمره أقل مما ذكرنا وقد تنوزع في موضع قبره فمنهم من قال انه دفن في مسجد الكوفة ومنهم من قال انه حمل الى المدينة فدفن عند فاطمة ومنهم من قال حمل في تابوت على جمل وان الجمل تاه ووقع الى وادي طيئ وقد قيل من الوجوه غير ما ذكرنا وقد أتينا على ذلك في كتابنا في أخبار الزمان والكتاب الاوسط (ونذكر نسبه ولمعا من أخباره وسيره) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف و يكنى أبا الحسن وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ابن عبد مناف ولم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا من خلافة المتقي من اسمه علي وقال

وقال فيمن نظر اليه فأعرض عنه

قالوا تنح عنك بعد البشر صفحته * فهل اصاخ الى الواشي فغيره
فقلت لا بل درى وجدى بعارضه * فرد صفحته عمدا لابصره

وقال حكمت الزمان تلونا * لحبها العانى الاسير
فوصالها برد الاصيل وهجرها حر الهجير

وقال يستدعى

هو يوم كما تراه مطير * جلب القر فيه والزمهرير
وأرانا الغمام والبرد تبيين علينا كلاهما مجرور
ولدينا شمسان شمس من الرا * ح وشمس تسعى بها وتدور
فمن الرأى ان تشب الكوانين باجزالها وترخى الستور
فاترك الاعتذار فيه فترك الشرب فى مثل يومنا تغرير

وقال هو البحر غص فيه اذا كان ساكنا * على الدر واحذره اذا كان مزبدا

وقال غبت عنا فغاب كل جمال * ونأى اذ نأيت كل سرور
ثم لما قدمت عاودنا الانس وقرت قلوبنا فى الصدور
فلوانا نجزى البشير بنعمى * لوهبنا حياتنا للبشير

وقال كم ضيعت منك المنى حاصلا * كان من الاحزم أن يحفظا
فالفظ بها عنك فمن حق ما * يخفى صواب الرأى أن يلفظا
فان تعللت باطماعها * فانما تخلب مستيقظا

وقال يقولون لى صبرا وانى لصابر * على نائبات الدهر وهى فواجع
سأصبر حتى يقضى الله ما قضى * وان أنالم أصبر فأنا صانع

وقال بابى خود شموع * أقبلت تحمل شمعه
فالتقى نوراهما واختلفا قدرا ورفعه
ومسير الشمس تستهدى بضوء النجم بدعه

وقال فى فرس أشهب

واشهب كالشهاب أضحى * يلوح فى مذهب الجلال
قال حسودى وقد رآه * يخب تحتى الى القتال
من أجم الصبح بالثريا * واسرج البرق بالهلال

وقال رمتنى صروف الدهر بين معاشر * اصحهم ود اعدو مقاتل
وما غربة الانسان فى غير داره * ولكنها فى قرب من لا يشاكل

وقال أصبحت صبا دنفا مغرما * أشكو جوى الحب وأبكى دما
هذا وقد سلم اذ مرى * فكيف لو مر وما سلما

وقال وقفنا للنوى فهفت قلوب * أضر بها الجوى وهمت شؤن
يناجى بعضنا بالحظ بعضا * فتعرب عن ضمائرنا العيون

وفيها يقول ببلاد نجران من أبيات كثيرة

أشاقتك هند أم ناك سؤالها * كذلك هند أم نأت وطوالها

وقد قيل انه بويع البيعة العامة بعد قتل عثمان بار بعة أيام وقد ذكرنا البيعة الاولى فيما سلف من هذا الكتاب وتنازع الناس فى اسم أبى طالب أبيه وولد أبى طالب بن عبد المطلب أربعة ذكور وابنتان فطالب وعقيل وجعفر وعلى وفاختة وجمانة لاب وأم أمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم و بين كل واحد من البنين عشر سنين بين جعفر وعلى عشر سنين و بين جعفر وعقيل عشر سنين و بين عقيل وطالب عشر سنين وأخرج مشركو قريش طالب بن أبى طالب يوم بدر الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم كرها ومضى ولم يعرف له خبر وحفظ من قوله هذا اليوم يارب اما خرجوا بطالب فى مقنب من تلكم المقانب فاجعلهم المغلوب غير الغالب والرجل المسلوب غير السالب وكان زوج فاختة بنت أبى طالب أبو وهب هبيرة ابن عمرو بن عابد بن عمرو ابن مخزوم وخلف عليها ابنا و بنتا وهاجرت ومات زوجها بنجران مشركا النوى أسبابها وانتقالها

وهي طويلة وكانت تكنى أم هانئ وقد استعمل على حين أفضت الخلافة اليه ابنها جعدة بن هبيرة وجعدة هو القائل

وانى من مخزوم ان كنت سائلا
ومن هاشم أمى لخير قبيل
فمن ذا الذى ينأى على بحاله
وخالى على ذو الندى وعقيل

وجمانة بنت أبى طالب كان بعلها سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهى أول هاشمية ولدت بهاشمى كذلك ذكر الزبير بن بكار فى كتابه فى أنساب قريش وأخبارها وهاجرت وماتت بالمدينة فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم وكان مسير على الى البصرة فى سنة ست وثلاثين وفيها كانت وقعة الجمل وذلك فى يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى منها وقتل فيها من أصحاب الجمل وأهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر الفا وقتل من أصحاب على خمسة آلاف وقد تنازع الناس فى مقدار ما قتل من الفريقين فمن مقلل ومكثر فالمقلل يقول قتل بينهم سبعة آلاف على حسب ميل الناس وأهوائهم الى كل فريق منهم وكانت وقعة واحدة فى يوم واحد وقيل انه كان بين خلافة على الى وقعة الجمل وبين أول الهجرة خمس وثلاثون سنة

فلا والله ما حفظت عهود * كما ضمنوا ولا قضيت ديون
ولو حكم الهوى يوما بعدل * لانصف من يفى ممن يخون
أمر بداركم وأغض طرفى * مخافة أن تظن بى الظنون

ولما رأى عبد الرحمن بن سبلاق الحضرمى الاشبيلى فى النوم انه مر على قبر وقوم يشربون حوله وسط أزاهر فأمروه أن يرثى صاحب القبر وهو أبو نواس الحسن بن هانئ قال

جادك يا قبر انسكاب الغمام * وعادبالروح عليك السلام
فيك أضحى الظرف مستودعا * واستترت عنا عيون الظلام

وقال أبو بكر محمد بن نصر الاشبيلى

وكانما تلك الرياض عرائس * ملبوسهن معصفر ومزعفر
او كالقيان لبسن موشى الحلى * فلهن فى وشى اللباس تبختر

وقال أحمد بن محمد الاشبيلى

اما ترى النرجس الغض الذكى بدا * كانه عاشق شابت ذوائبه
او المحب شكا لما أضر به * فرط السقام فعادته حبائبه

وقال

رب ليل وفرغدا مخجل الرا * ئى اليه نفاسة وغرابه
كمليك للزنج فى قبة بيـ * ـضاء يدنو الدجا فيغلق بابه

وقال أبو الاصبغ بن سيد

كانما النرجس فى منظر الـ * ـحسن الذى امثاله تبتغى
أنامل من فضة فوقه * كاس من التبر به أفرغا

وقال أبو اسحق ابراهيم بن خيرة الصباغ مما أنشده له أبو عامر بن سلمة فى كتاب حديقة الارتياح

يوم كأن سحابه * لبست عمامى المصامت
حجبت به شمس الضحى * بمثال أجنحة الفواخت
فالغيث يبكى فقدها * والبرق يضحك مثل شامت
والرعد يخطب مفصحا * والجو كالمحزون ساكت
والروض يسقيه الحيا * والنور ينظر مثل باهت
فاشرب ولذ بجنة * واطرب فان العمر فائت

وله

رب ليل طال لاصبح له * ذى نجوم اقسمت ان لا تغور
قد هتكنا جنحه من فلق * من خمور ووجوه كالبدور
ان بدت تشبهها فى كاسها * نار ابراهيم فى برد ونور
صرعتنا أن علونا ظهرها * فى ميادين التصابى والسرور
وكأنا حين قمنا معشر * نشر وابعدمات من قبور

وقال أبو بكر بن حجاج

لما كتمت الحب لاعن قلى * ولم أجد الا البكا والعويل
ناديت والقلب به مغرم * يا حسبى الله ونعم الوكيل

وقال

وقال يقولون ان السحر في أرض بابل * وما السحر الا ما أرتك محاجره
وما الغصن الا ما انثنى تحت برده * وما الدعص الا ما طوته مآزره
وما الدر الا ثغره وكلامه * وما الليل الا صدغه وغدائره

وهذه الابيات من قصيدة في محمد بن القاسم بن حمود ملك الجزيرة الخضراء أعادها الله تعالى * وقال الرصافي أبو عبد الله الشاعر المشهور وهو ابن رومي الاندلس في حريري

وبنفسي من لا أسميه الا * بعض المامة وبعض اشاره
هو والظبي في المحال سواء * ما استعار الغزال منه استعاره
اغيد يمسك الحرير بفيه * مثل ما يمسك الغزال العراره

وهو القائل يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي

لو جئت نار الهدى من جانب الطور * قبست ما شئت من علم ومن نور

ولابي جعفر أحمد بن الجزار

ومازلت أجني منك والدهر يحمل * ولا ثمر يجني ولا زرع يحصد
ثمار اياد دانيات قطوفها * لاوراقها ظل على ممدد
يرى جاريا ماء المكارم تحتها * واطيار شكري فوقهن تغرد

ولما نفي ابو جعفر بن البني من ميورقة واقلع في البحر ثلاثة اميال ونشأت ريح ردته لم يتجاسر احد من اخوانه على اتيانه فكتب اليهم

احبتنا الالى عنتوا علينا * وأقصونا وقد ازف الوداع
لقد كنتم لناجذلا وانسا * فبالعيش بعدكم انتفاع
اقول وقد صدرنا بعد يوم * اشوق بالسفينة ام نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها شراع

وله غصبت الثريا في البعاد مكانها * واودعت في عيني صادق نوئها
وفي كل حال لم تزالي بخيلة * فكيف اعرت الشمس حلة ضوئها

وله في غلام يرمي الطيور

قالوا اتصيب طيور الجو أسهمه * اذا رماها فقلنا عندها الخبر
تعلمت قوسها من قوس حاجبه * وأيد السهم من اجفانه الحور
يلوح في بردة كالنقس حالكة * كما اضاء بجنح الليلة القمر
وربما راق في خضراء مونقة * كما تفتح في اوراقه الزهر

وقال الاديب الكاتب القاضي ابو المطرف بن عميرة المخزومي لما قص شعر ملك الاندلس ريان بن مردنيش مزين في يوم رفع فيه ابو المطرف شعر الفرجت صلة المزين ولم تخرج صلة أبي المطرف

أرى من جاء بالموسى مواسي * وراحة من أذاع المدح صفرا
فأنجح سعي ذا اذ قص شعرا * وأخفق سعي ذا اذ قص شعرا

واسم أبي المطرف احمد وهو من جزيرة شقر من كورة بلنسية وكان الكاتب الحسيب

للقتال بصفين ستة أشهر وثلاثة عشر يوما وبين ذلك وأول الهجرة ست وثلاثون سنة وثلاثة عشر يوما وقتل بصفين سبعون ألفا من أهل الشام ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفا وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام وقتل بها من الصحابة ممن كان مع علي خمسة وعشرون رجلا منهم عمار بن ياسر أبو اليقظان المعروف بابن سمية وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وكانت عدة الوقائع بين أهل العراق والشام سبعون وقعة وفي سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين وهما عمرو بن العاص وأبو موسى الاشعري بارض البلقاء من أرض دمشق وقيل بدومة الجندل وهي على عشرة أميال من دمشق وكان من أمرهما ما قد شهر وسنورد في هذا الكتاب جوامع ما ذكرناه ان كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما سلف من كتبنا وفي هذه السنة جملت الخوارج وهم الشراة وكان ممن شهد صفين مع علي من اصحاب بدر سبع وثمانون رجلا منهم سبعة عشر من المهاجرين وسبعون من

الانصار وشهد معه من الانصار ممن بايع تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان من المهاجرين والانصار من أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم تسعمائة وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة وفى سنة ثمان وثلاثين

أبو جعفر أحمد بن طلحة يعشى عليها من علوج ابن هود وبماشيه فى غزواته وفيه يقول

ما أحضر الغزو من صلاح * كلا ولا رغبة الجهاد
لكن لكيما يكون داع * لقربنا خيرة الجياد

وقد تقدمت حكايته فالتراجع وكان صنوبرى الاندلس أبو اسحق بن خفاجة وهو من رجال الذخيرة والقلائد والمسهب والمطرب والمغرب وشهرته تغنى عن الاطناب فيه مغرى بوصف الانهار والازهار وما يتعلق بهما وأهل الاندلس يسمونه الجنان ومن اكثر من شئ عرف به وتوفى سنة ثلاث او خمس وثلاثين وخمسمائة وولد سنة خمسين وأربعمائة ومن نظمه قوله

ربما استضحك الحباب حبيب * نفضت لونها عليه المدام
كلما ماس قاصرا من خطاه * يتهادى كما تهادى الغمام
سلم الغصن والكثيب علينا * فعلى الغصن والكثيب السلام

وبات مع بعض الرؤساء فكاد ينطفئ السراج ثم تراجع نوره فقال

واغر ضاحك وجهه مصباحه * فأنار ذا اقمرا وذلك فرقدا
ما ان خبا تلقاء نور جبينه * حتى ذكا بذكائه فتوقدا

وله

كتبت وقلبى فى يديك أسير * يقيم كما شاء الهوى ويسير
وفى كل حين من هواك وادمعى * بكل مكان روضة وغدير

وله

كتابنا ولدينا البدر ندمان * وعندنا كؤس للراح شهبان
والقضب مائسة والطير ساجعة * والارض كاسية والجو عريان

ولما سئل أبو بكر محمد بن احمد الانصارى المعروف بالابيض عن لغة فعجز عنها بمحضر من خجل منه اقسم ان يقيد رجليه بقيد حديد ولا ينزعه حتى يحفظ الغريب المصنف فاتفق ان دخلت عليه امه فى تلك الحال فارتاعت فقال

رعت عجوزى أن رأتنى لابسا * حلق الحديد ومثل ذاك يروع
قالت جننت فقلت بل هى همة * هى عنصر العلياء والينبوع
سن الفرزدق سنة فتبعتها * انى لما سن الكرام تبوع

وكان شاعرا وشاحا وطاح دمه على يد الزبير أمير قرطبة لما هجاه بمثل قوله

عكف الزبير على الضلالة جاهدا * ووزيره المشهور كلب النار
مازال يأخذ سجدة فى سجدة * بين الكؤس ونغمة الاوتار
فاذا اعتراه السهو صيح خلفه * صوت القيان ورنة المزمار

ولما بلغ الزبير عنه ذلك وغيره أمر باحضاره فقرعه وقال مادعاك الى هذا فقال انى لم أر احق بالمعروف منك ولو علمت ما أنت عليه من التخازى لهجوت نفسك انصافا ولم تكلها الى أحد فلما سمع الزبير ذلك قامت قيامته وأمر بقتله وأنشد له ابن غالب فى فرحة الانفس قوله فى حلقة حائط

وحلقة كشعاع الشمس صافية * لو قابلت كوكبا فى الجو لاانتهبا
تانق القين فى احكام صنعتها * حتى أفاض على اطرافها الذهبا

كانها

كان خروجه مع أهل النهروان من الخوارج وقعد عن بيعته جماعة عثمانية لم يروا الا الخروج عن الامر منهم سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر وبايع يزيد بعد ذلك والحجاج لعبد الملك بن مروان ومنهم قدامة بن مظعون ووهبان ابن صيفى وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة الثقفى وممن اعتزل من الانصار كعب بن مالك وحسان بن ثابت وكانا شاعرين وأبو سعيد الخدرى ومحمد بن مسلمة حليف بنى عبد الاشهل وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة ومسلمة ابن خالد فى آخرين ممن لم نذكرهم من العثمانية من الانصار وغيرهم من بنى أمية وسواهم وانتزع على أملاك كانت لعثمان أقطعها جماعة من المسلمين وقسم ما فى بيت المال على الناس ولم يفضل أحدا على أحد وبعث أم حبيبة بنت أبى سفيان الى أخيها معاوية بقميص عثمان مخضبا بدمائه مع النعمان ابن بشير الانصارى واتصلت بيعته على بالكوفة وغيرها من الامصار وكانت أهل الكوفة أسرع اجابة الى بيعته وأخذله البيعة على أهلها أبو موسى الاشعرى حتى تكاثر الناس عليه

وكان عليها عاملا لعثمان وأتاه جماعة ممن تخلف عن بيعته من بني أمية منهم سعيد بن العاص ومروان ابن الحكم والوليد بن عقبة ابن أبي معيط فجرى بينه وبينهم خطب طويل وقال له الوليد انا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك لكنا قوم وترنا الناس وخفنا على نفوسنا فعذرنا فيما نقول واضح أما انا فقتلت أبي صبرا وضربني حدا وقال سعيد بن العاص كلاما كثيرا وقال له الوليد أما سعيد فقتلت أباه صبرا وأهنت مثواه وأما مروان فانك شتمت أباه وكبت عثمان في صنعه اياه وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى أن حسان بن ثابت وكعب ابن مالك والنعمان بن بشير قبل نفوذه بالقميص أتوا عليا في آخرين من العثمانية فقال كعب بن مالك يا أمير المؤمنين ليس مسيئا من أعتب وخير كف عما محاه عذر في كلام كثير ثم بايع وبايع من ذكرنا جميعا وقد كان عمرو ابن العاص انحرف عن عثمان لانحرافه وتولية مصر غيره فنزل الشام فلما اتصل به أمر عثمان وما كان من بيعة على كتب الى معاوية يهزه ويثير عليه بالمطالبة بدم عثمان وكان فيما كتب به اليه ما كنت

كانها بيضة قد قد قونسها * وكل جنب لها بالطعن قد نقبا

وقال فيمن يحدث نفسه بالخلافة

أمير المؤمنين نداء شيخ * أفادك من اماليه اللطيفه
تحفظ أن يكون الجزع يوما * سريرا من أسرتك المنيفه
واذكر منك مصلوبا فابكي * وتضحكني أمانيك السخيفه

وهاجى ابن سارة فقال فيه ابن سارة

ومن العجائب أن يكون الابيض * بحماره بين السوابق يركض

وقال امام النحاة بالاندلس أبو علي عمر الشلوبين فيمن اسمه قاسم

ومما شجا قلبي وفيض مدمعي * هوى قد قلبي اذ كلفت بقاسم
وكنت أظن الميم أصلا فلم تكن * وكانت كميم أحقت بالزراقم

والزراقم الحيات مشتقة من الزرقة والميم زائدة يريد أن ميم قاسم كميمها فهو قاس وهو منسوب الى حصن شلوبينية على ساحل غرناطة وله من الشهرة والتأليف ما يغني عن الاطناب في وصفه وله التوطئة وشرح الجزولية وغيرهما وكان مغفلا ومع ذلك فهو آية الله تعالى في العربية وكان في لسانه لكنة ولما أراد مأمون بني عبد المؤمن التوجه الى مرسية وقد ثار بها ابن هود وأنشده الشعراء وتكلم في مجلسه الخطباء قام الشلوبين وقال دعاء منه تملك الله وتترك يريد سلمك الله ونصرك لانه بلكنته يبدل السين والصاد ثاء فكان كما قال عاد المأمون وقد ثلم عسكره ونثر * ولما مرض الفقيه الزاهد أبو اسحق ابراهيم الالبيري دخل عليه الوزير أبو خالد هاشم بن رجاء فرأى ضيق مسكنه فقال لو اتخذت غير هذا المسكن لكان أولى بك فقال وهو آخر شعر قاله

قالوا ألا تستجيد بيتا * تعجب من حسنه البيوت
فقلت ماذا لكم صوابا * عيش كثير لمن يموت
لولا شتاء ولفح قيظ * وخوف لص وحفظ قوت
ونسوة يبتغين سترا * بنيت بنيان عنكبوت

وقال أبو بكر بن عبادة القزاز الموشح في ابن بسام صاحب الذخيرة

يا منيفا على السماكين سام * حزت خصل السباق عن بسام
ان تحث مدحة فانت زهير * أو تشب فعروة بن حزام
أو تباكر صيد المها فابن حجر * أو تبكي الديار فابن جذام
أو تذم الزمان وهو حقيق * فابو الطيب البعيد المرامي

ولما انتثر سلك نظام ملك لمتونة تفرق ملك الاندلس رؤساء البلاد وكان من جملتهم الامير أبو الحسن بن نزار لما له من الاصالة في وادي آش فحسده أهل بلده وقصدوا تاخيره عن تلك المرتبة فخطبوا في بلدهم لملك شرق الاندلس محمد بن مردنيش ووجه لهم عماله وأوصاهم أن يخرج هذا الاسد من غيله ويفرق بينه وبين تأميله ورفعوا له أشعارا كان يستريح بها على كاسه ويتهايم بحضرة من يركن اليه من جلاسه ومنها قوله وقد استشعر من نفسه

صانعا اذا قشرت من كل شئ تملكه فاصنع ما أنت صانع فبعث اليه معاوية فسار اليه فقال له معاوية يا يعني قال والله

في ذلك
معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل
به منك دنيا فانظرن كيف
تصنع
فان تعطني مصرا فأربح
صفقة
أخذت بها شيخا يضر وينفع
وأتى المغيرة بن شعبة عليا
فقال له ان حق الطاعة
النصيحة وان الرأي اليوم
تحوز به ما في غد وان
التضارع اليوم تضيع به
ما في غد أقرر معاوية على
عمله واقرر ابن عامر على عمله
وأقرر العمال على أعمالهم
حتى اذا أتتك طاعتهم
وطاعة الجنود استبدلت
أو تركت قال حتى أنظر
فخرج من عنده وعاد اليه
من الغد فقال اني أشرت
عليك بالامس برأي وتعقبته
وانما الرأي ان تعالجهم
بالنزع فتعرف السامع من
غيره ويستقل أمرك ثم
خرج فتلقاه ابن عباس
خارجا وهو داخل فلما
انتهى الى علي قال رأيت
المغيرة خارجا من عندك
ففيم جاءك قال جاءني امس
بكيت وكيت وجاءني
اليوم بذيت وذيت فقال
اما امس فقد نصحك وانا
اليوم فقد غشك قال فما
الرأي قال كان الرأي ان
تخرج حين قتل عثمان أو قبل ذلك فتأتي مكة فتدخل دارك فتغلق عليك بابك فان العرب كانت

انها أهل للتقديم مستحقة لطالب سلفه القديم

الآن أعرف قدر النفع والضرر * فكيف أصدر ما للملك من صدر
وكيف أطلع في افق العلا قمرا * ويستهل بكفي واكف الدرر
وكيف أملأ صدر الدهر من رعب * وأستقل بحمل الحادث النكر
وأستعد لما ترمي الخطوب به * وأستطيل على الايام بالفكر
لكنني ربما بادرت منتهزا * لفرصة مرقت كالمح بالبصر
في أم رأسي ما يعيا الزمان به * شرحا فصل بعدها الايام عن خبري

فعند ما وقف ابن مردنيش على هذا القول وجه الى وادي آش من حمله اليه وقيده وقدم به الى مرسية أسيرا بعد ما كان مرتقبا أن يقدم أميرا فلما وقعت عين ابن مردنيش عليه قال له أمكن الله منك يا فاجر فقال أنت أعز الله أولى بقول الخير من قول الشر ومن امكنه الله من القدرة على الفعل فما يليق به ان يستقدر بالقول فاستحيا منه وامر به للسجن فمكث فيه مدة وصدرت عنه اشعار في تشوقه الى بلاده منها قوله

لقد بلغ الشوق فوق الذي * حسبت فهل للتلاقي سبيل
فلو انني مت من شوقكم * غراما لما كان الا قليل
تعللني بالتداني المنى * وينشدني الدهر صبر جميل
فقل كيفية اذا أصبحت * بعيدا فلم يسل عنها جميل
أغض جفوني عن غيرها * وسمعي عن اللوم فيها يميل

ولم يزل على حاله من السجن الى ان تحيل في جارية محسنة للغناء حسنة الصوت وصنع موشحته التي اولها

نازع البدر اللياح * بنت الدنان
فلم يدع لك اقتراح * على الزمان

وفيها يقول

ياهل اقول للحسود * والعيس تحدى
يالائمي على السراح * كانت امانى
آخرجها ذاك السماح * الى العيان

وجعل يلقنها على الجارية حتى حفظتها واحكمت الغناء بها واهداها الى ابن مردنيش بعد ما اوصاها انه متى دعاها الى الغناء وظفرت به في اطرب ساعة واسرها غنته بهذه الموشحة ولطفت في شأن رغبتها في سراح قائلها فلعل الله تعالى يجعل في ذلك سببا واتفق ان ظفرت بما اوصاها به واحسنت غناء الموشحة فطرب ابن مردنيش لسماع مدحه واعجبه مقاصد قائلها فسألها لمن هي فقالت لمولاي عبدك ابن زرارفقال اعيدي على قوله يالائمي على السراح فاعادته فداخلته عليه الرقة والاريحية بما اصابه فامر في الحين بحل قيده واستدعى به الى موضعه في ذلك الوقت فلما دخل خلع عليه وادناه وقال له يا ابا الحسن قد امرنا لك بالسراح على رغم الحسود فارجع الى بلدك مباحا لك ان تطلب الملك بها وبغيرها ان قدرت فانت اهل لان تملك جميع الاندلس لاوادي آش فقال له والله يا سيدي

بل ألتزم طاعتك والاقرار بانك بعثتنى من قبر رمانى فيه الحساد والوشاة ثم شربا حتى تمكنت بينهما المطايبة فقال له يا ابن نزار الآن اريد أن اسألك عن شئ قال وما هو يا سيدى قال عما فى أم رأسك حين قلت

فى أم رأسى ما يعيا الزمان به * شر حافل بعدها الايام عن خبرى

فقال له يا سيدى لا تسمع الى غرور نفس الفتنة على لسان نشوان لعبت بافكاره الاماني وغطت على عقله الآمال والله لقد بقيت فى دارى أروم الاجتماع بجارية مهينة قدر سنة فما قدرت على ذلك ومنعتنى منها زوجتى فكيف أطلب مادونه قطع الرؤس ونهب النفوس فنحل ابن مردنيش وجد له الاحسان وجهزه الى بلده وأمر عماله أن يشاركوه فى التدبير ويستأذنوه فى الصغير والكبير فتأمل به مجده وعظم سعده ومن شعره قوله

انظر الى الروض سحيرا وقد * بث به الطل علينا العيون
يرقب منا يقظة للسنى * فقل لها أهلا بداعى المجون
وخل شمسا الى أن ترى * شمس الضحى تطرق تلك الجفون

وقوله تنبه لمعشوق وكاس وقينة * وروض ونهر ليس يبرح خفاقا
فقد نبهت هذى الحدائق ورقها * وفتح فيها الصبح بالطل احداقا
ومهما تكن فى ضيقة فأدرلها * كؤس الطلى فالكر يوسع ماضاقا

وقوله عطف القضيب مع النسيم تميلا * والنهر موشى الخمائل والحلى
تركته أعطاف الغصون مظللا * ولثاغن النهج القويم مضللا
أمسى يغار لنا بمقلة أشهل * والطرف أسحر ماتراه أشهلا

وقال بعضهم استدعانى أبو الحسن بن نزار بمجلس أنس بوادى آش فلما احتفل مجلسنا وطابت لذتنا قال والله ما تمام هذه المسرة الاحضور أبى جعفر بن سعيد وهو الآن بوادى آش فوافقناه على ذلك لما نعلم من طيب حالتنا معهما وانهما لا يأتيان الا بما يأتى به اجتماع النسيم والروض فخلا فى موضع وكتب له

ياخير من يدعى لكاس دائر * ووجوه أقمار وروض ناضر
أنا حضرنا فى الندى عصابة * معشوقة من ناظم أو ناثر
كل يخلى للذى يختاره * فى الامن من ناه له أو زاجر
ما ان لهم شغل بغير واحد * بل كل ما يجرى بوفق الخاطر
شدو ورقص واقتطاف فكاهة * وتعانق وتغامز بنواظر
وهم كما تدرى بأفق أنجم * لكن لناشوق لبدر زاهر

سيدى لا زلت متقدما لكل مكرمة هل يجمل التخلف عن نادقام فيه السرور على ساق وضحك فيه الانس بل فيه وانسدل به ستر الصون وفاء عليه ظل النعيم وسفرت فيه وجوه الطرب وركضت خيل اللهو وثار قتام الند وهطلت سحاب ماء الورد وجليت الكؤس كالعرائس على كراسى العروس المتقلة بالعاج والآبنوس وكأن قطع النهار ممتزجة بقطع الظلام أو بنى حام قد خالطت بنى سام وعلى رؤس الاقداح تيجان تظمها امتزاج الماء بالراح

بان يلزموك شعبة من هذا الامر ويشهدون فيك على الناس وقال المغيرة بحضرته فلم يقبل فغششته وذكرانه قال واما أنا فما نحته قبلها ولا أنحته بعدها (قال المسعودى) وجدت فى وجه آخر من الروايات ان ابن عباس قال قدمت من مكة بعد مقتل عثمان بخمس ليال فجئت عليا ادخل عليه فقيل لى عنده المغيرة بن شعبة فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلم على وقال متى قدمت قلت الساعة ودخلت على على وسلمت عليه فقال أين لقيت الزبير وطلحة قلت بالنواصف قال ومن معهما قلت أبو سعيد بن الحرث ابن هشام بن قتيبة من قريش فقال على اما انهم لم يكن لهم بد أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان والله يعلم أنهم قتلة عثمان فقلت أخبرنى عن شأن المغيرة ولم خلا بك قال جاءنى بعد مقتل عثمان بيومين فقال أخلنى ففعلت فقال ان النصح رخيص وأنت بقية الناس وأنا لك ناصح وأنا أشير عليك أن لا ترد عمال عثمان عاملك هذا فاكتب اليهم باثباتهم على أعمالهم فاذا بايعوا لك واطمان

 أمرك عزلت من أحببت واقررت من أحببت فقلت له والله لا أداهن فى دينى ولا أعطى الرياء فى أمرى قال

فطورا تستحي فيبدو خجلها وطورا تمتزج فيظهر وجلها والعود ترجمان المسرة قد جعلته أمه في حجرها كرلد ترضعه بدرها وساقي الشرب كالغصن الرطيب أوراقه أردية الشرب وأزهاره الكؤس التي لا تزال تطلع وتغرب كالشموس ساق يفهم بالاشارة حلو الشمائل عذب العبارة ذو طرف سقيم وخد كانه من خفره لطيم ولديننا من أصناف الفواكه والازاهر ما يحار فيه الناظر وهل تكمل لذة دون احضار خدود الورد وعيون النرجس وأصداغ الآس وتهود السفرجل وقدود قصب السكر ومباسم قلوب الجوز وسرر التفاح ورضاب ابنة العنب فقد اكتمل بهذه الاوصاف المختلسة من أوصاف الحبائب الطرب

فطار بجناح الشوق عند وصولها * اليك ولا تجعل سواك جوابها
فلا عين الا هي ترنو بطرفها * اليك فسر في المطال حسابها
فقد أصبحت تعلو عليها غشاوة * لبعدك فا كشف عن سناها ضبابها

قال أبو جعفر فجعلت وصولي جواب ما نظم ونثر وألفيت الحالة يقصر عن خبرها الخبر فانغمسنا في النعيم انغماس عرف الزهر في النسيم ومر لنا يوم غض الدهر عنه جفنه حتى حسبناه عنوانا لما وعد الله تعالى به في الجنة * وشرب يوما مع أبي جعفر بن سعيد والكتندي الشاعر في جنة بزاوية غرناطة وفيها صهريج ماء قد أحدق به شجر نارنج وليمون وغير ذلك من الاشجار وعليه انبوب ماء تتحرك به صورة جارية راقصة بسيوف وطيفور رخام يصنع في انبوبة الماء صورة خباء فقالوا نقتسم هذه الاوصاف الثلاثة فقال أبو جعفر يصف الراقصة

وراقصة ليست تحرك دون أن * يحركها سيف من الماء مصلت
يدور بها كرها فتمضي صوارما * عليه فلا تعيا ولا هو يبهت
اذا هي دارت سرعة خلت أنها * الى كل وجه في الرياض تلفت

وقال ابن نزار في خباء الماء

رأيت خباء الماء ترسل ماءها * فما زعزعها هب الرياح رداءها
تطاوعه طورا وتعصيه تارة * كراقصة حلت وضمت قباءها
وقد قابلت خير الانام فلم تزل * لديه من العليا تبدي حياءها
اذا أرسلت جودا أمام يمينه * أبى العدل الا ان يرد اباءها

وقد قيل ان هذه الابيات صنعها بحضرة الامير أبي عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس وانه لما ألجأته الضرورة أن يرتجل في مثل ذلك شيأ وكانت هذه عنده معدة فزعم انه ارتجلها قال أبو عمر بن سعيد وهذا هو الصحيح فانه ما كانت عادته ان يخاطب عمي أبا جعفر بخير الانام فان كل واحد منهما كفؤ الآخر وقال الكتندي

وصهريج تخال به لجينا * يذاب وقد يذهبه الاصيل
كأن الروض يعشقه فضنه * على ارجائه ظل ظليل
وتمنحه اكف الشمس عشقا * دنانيرا فضنه لها قبول
اذا رفع النسيم القضب عنها * فحينئذ يكون لها سبيل
وللنارنج تحت الماء لما * تبدى عكسها جرم بليل

فان كنت قد أبيت فانزع حجة في ابائه فقد كان عمر ولاه الشام كلها فقلت له لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبدا فخرج من عندي على ما أشار به ثم عاد فقال اني أشرت عليك بما أشرت به وأبيت علي فنظرت في الامر واذا انت مضيت لا ينبغي ان تأخذ أمرك بخدعة ولا يكون فيه دالسة قال ابن عباس فقلت له أما اول ما أشار عليك فقد نصحك واما الآخر فقد غشك وانا اشير عليك ان تثبت معاوية فان بايع لك فعلى أن أقلعه من منزله قال لا والله لا أعطيه الا السيف ثم تمثل

فما منة ان منها غير عاجز * بعار اذا ما قالت النفس غالها

فقال يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة فقال علي بلى قاتل أما والله لئن أطعتني لاصدرن بهم بعد ورد ولا تركنهم ينظرون في أعقاب أمرهم الامر ولا يدرون ما كان وجهها من غير نقص لك ولا اثم عليك فقال يا ابن عباس لست من هنياتك وهنيات معاوية في شيء يسير مالك عندي الطاعة والله ولي التوفيق

(ذكر الاخبار عن يوم الجمل وبدئه وما كان فيه من الحرب وغيره) ودخل طلحة والزبير مكة وليمون

وقد كانا استأذنا عليا فى العمرة فقال لعلكما تريدان البصرة والشام فاقسما أنهما لا يقصدان غير مكة وقد كانت عائشة رضى الله عنها بمكة وقد كان عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة هرب عنها حين أخذ البيعة لعلى بها على الناس حارثة ابن قدامة السعدى ومصير عثمان بن حنيف الانصارى اليها على خراجها من قبل على رضى الله عنه وانصرف من اليمن عامل عثمان وأعطى عائشة وطلحة والزبير اربعمائة درهم وكراعا وسلاحا وبعث الى عائشة بالجمل المسمى عسكرا وكان شراؤه عليه باليمن مائتى دينار فارادوا الشام فصدهم ابن عامر وقال ان به معاوية ولا ينقاد اليكم ولا يطيعكم لكن هذه البصرة لى بها صنائع وعدد فجهزهم بالف ألف درهم ومائة من الابل وغير ذلك وسار القوم نحو البصرة فى ستمائة راكب فانتهوا فى الليل الى ماء لبنى كلاب يعرف بالحوأب عليه ناس من بنى كلاب فعوت كلابهم على الركب فقالت عائشة ما اسم هذا الموضع فقال لها السائق بجملها الحوأب فاسترجعت وذكرت ما قيل لها فى ذلك فقالت ردونى الى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لى فى المسير فقال ابن الزبير بالله ما هذا الحوأب ولقد غلط فيما اخبرك به وكان طلحة فى ساقة الناس فلحقها

وللمون فيه دون سبك * جلاجل زخرفت نصبا تجول
فيا روضا به صقلت جفونى * وأرهف متنه الزهر الكليل
تناثر فيك أسلاك الغوادى * وقبل صفح جدولك القبول
ولا برحت تجمع فيك شملا * من الاكياس والكاس الشمول
بدور تستنير بها نجوم * مع الاصباح ليس لها افول
يهيم بهم نسيم الروض الفا * فمن وجد له جسم عليل

وروى ان الوزير أبا الاصبغ عبد العزيز بن الارقم وزير المعتصم بن صماح رأى رايته خضراء فيها ضيقة ٣ بيضاء فى يد علج من علوج المعتصم نشرها على رأسه فقال

نشرت عليك من النعيم جناحا * خضراء صيرت الصباح وشاحا
تحكى بخفق قلب من عاديته * مهما يصافح صفحها الارواحا
ضمنت لك النعمى برأى ظافر * فترقب الفأل المثير نجاحا

وكان هذا الوزير آية الله تعالى فى الوفاء وأرسله المعتصم الى المعتمد بن عباد فاعجبت المعتمد محاولته ووقع فى قلبه فأراد افساده على صاحبه وأخذه معه فى أن يقيم عنده فقال له ما رأيت من صاحبى ما أكره فأوثر عند غيره ما أحب ولو رأيت ما أكره لما كان من الوفاء تركى له فى حين فوض الى أمره ووثق بى وحملنى أعباء دولته فاستحسن ذلك ابن عباد وقال له فاكتم على فلما عاد الى صاحبه سأله عن جميع ما جرى له فقال له فى أثناء ذلك وجرى لى معه ما ان أعلمتك به خفت ان تحسب فيه كالامتنان والاستظهار وتظن أن خاطرى فسد به وان كتمتك لم أوف النصيحة حقها وخفت أن تطلع عليه من غيرى فيحطنى ذلك من عينك وتحسب فيه كيدا فحمل عليه فى أن يعلمه فأعلمه بعد أن تلطف هذا التلطف وهو من رجال الذخيرة والمسهب وابنه الوزير أبو عامر من رجال القلائد ومن نظم أبى عامر

فتى الخيل يقتادها ذابلا * خفافا تبارى القنا الذابلا
ترى كل أجرد سامى التليل * وتحسبه غصنا مائلا

وللوزير الكاتب أبى محمد بن فرسان واسمه عبد البر وهو حسنة وادى آش يخاطب يحيى الميورقى

أنعم بشخ يح على فعله * سبب الزيارة للحطيم ويثرب
ولئن تقول كاشح ان الهوى * أرست معالمه وانك مذهبى
فلقد تنى ما ان ملكت واغما * عمرى أبى حمل النجاد بمنكبى
وعجزت عن أن أستثير كمينها * وأشق بالصمصام صدر الموكب

وهذه الابيات كتب بها اليه وقد أسن ومل من الجهد معه يرغب فى سراحه الى الحجاز رحمه الله تعالى وتقبل نيته بمنه ويمنه وقال حاتم بن سعيد العنسى وكان صاحب سيف وقلم وعلم وعلم

يا دانيا منى وما أنا زائر * لا أنت معذور ولا أنا عاذر
ماذا ضرك اذ ظللت بظلمة * ان لا يطالع منك بدر زاهر

فاقسم ان ذلك ليس بالحواب وشهد معهما خمسون رجلا ممن كان معهم فكان ذلك اول شهادة زور اقيمت في الاسلام فاتوا البصرة فخرج اليهم عثمان بن حنيف فانعهم وجرى قتال قال ثم انهم اصطلحوا بعد ذلك على كف الحرب الى قدوم على فلما كان في بعض الليالي بيتوا عثمان ابن حنيف فاسروه وضربوه ونتفوا لحيته ثم ان القوم استرجعوا وخافوا على مخلفيهم بالمدينة من اخيه سهل بن حنيف وغيره من الانصار فخلوا عنه وارادوا بيت المال فانعهم الخزان والموكلون به وهم السالحون فقتل منهم سبعون رجلا غير من جرح وخمسون من السبعين ضربت رقابهم صبرا من بعد الاسر وهؤلاء اول من قتلوا ظلما في الاسلام وصبروا وقتلوا حكيم بن جبلة العبدي وكان من سادات عبد القيس وزهاد ربيعة ونساكها وتشاح طلحة والزبير في الصلاة بالناس ثم اتفقوا على ان يصلي بالناس عبد الله بن الزبير يوما ومحمد بن طلحة يوما في خطب طويل كان بين طلحة والزبير الى ان اتفقا على ما وصفنا وسار على من المدينة بعد اربعة اشهر وقيل غير ذلك في تسعمائة راكب منهم أربعمائة من المهاجرين والانصار منهم سبعون بدريا وباقيهم من الصحابة ابن

وتوفي المذكور بغرناطة سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة وقال التطيلي الاعمى في اسد نحاس يقذف الماء

اسد ولو اني انا * قشه الحساب لقلت صخره
فكانه اسد السما * يميح من فيه المجره

قال ابن ظافر صرنا في بعض العشايا على الساتين المجاورة للنيل فرأينا فيها بئرا عليها دولابان متحاذيان قد كادت افلاكهما نجوم القواديس ولعبت بقلوب ناظريهما لعب الاماني بالمفاليس وهما يثنان انين الاشواق ويفيضان ماء اغزر من دموع العشاق والروض قد جلا للاعين زبرجده والاصيل قد راقه حسنه فنثر عليه عسجده والزهر قد نظم جواهره في اجياد الغصون والسواقي قد اذالت من سلاسل فضتها كل مصون والنبت قد اخضر شاربه وعارضه وطرف النسيم قد ركضه في ميادين الزهر رأكضه ورضاب الغيث قد استقر من الطين في لمى وحيات المجاري حائرة تخاف من زمرد النبات أن يدركها العمى والبحر قد صقل النسيم درعه وزعفران العشي قد ألقى في ذيل الجو ردعه فأوسعنا ذلك المكان حسنا وقلوبنا استحواذا وملأ ابصارنا وأسماعنا مسرة والتذاذا وملنا الى الدولابين شاكين أزمر احيين شجيت قيان المطر بالحانها وشدت على عيدانها أم ذكرا نغما وطابا وكانا أغصانا رطابا ففنيا عنهما لذيذ الهجوع ورجعا النوح وافاضا الدموع طلبا للرجوع وجلسنا نتذاكر ما في تراكيب الدواليب من الاعاجيب ونتناشد ما وصفت به من الاشعار الغالية الاسعار فأفضى بنا الحديث الذي هو شجون الى ذكر قول الاعمى التطيلي في اسد نحاس يقذف الماء اسد ولو اني الخ فقال القاضي ابو الحسن علي بن المؤيد رحمه الله تعالى يتولد من هذا في الدولاب معنى يأخذ بمجامع المسامع ويطرب الرائي والسامع فتأملت ما قاله بعين بصيرتي البصيرة واستمددت مادة غزيرة فظهر لي معنى ملأني اطرابا واوسعني اعجابا واطرق كل منا ينظم ما جاش به مدبجره وانبأه به شيطان فكره فلم يكن الا كنقرة العصفور الخائف من الناطور حتى كمل ما اردناه من غير ان يقف واحد منا على ما صنعه الآخر فكان الذي قال

حبذا ساعة العشية والدو * لاب يهدي الى النفوس المسره
ادهم لا يزال يعدو ولكن * ليس يعدو ومكانه قد زره
ذو عيون من القواديس يبكي * كل عين من فائض الدمع ثره
فلك دائر يرينا نجوما * كل نجم يبدي لدينا المجره

وكان الذي قلت

ودولاب يئن أنين ثكلى * ولا فقد اشكاه ولا مضره
ترى الازهار في ضحك اذا ما * بكى بدموع عين منه ثره
حكى فلكا تدور به نجوم * تؤثر في سرائرنا المسره
يظل النجم يشرق بعد نجم * ويغرب بعد ما تجرى المجره

وعجبنا من اتفاقنا وقضى العجب منه سائر رفاقنا انتهى (رجع) وكان لابي محمد عبد الله

وقد كان استخلف على المدينة سهل بن حنيف الانصارى فانتهى الى

ابن شعبة الوادى آشى ابن شاعر فعرض عليه شعرا نظمه فاعجبه فقال

شعرك كالبستان فى شكله * يجمع بين الآس والورد
فاصنع به ان كنت لى طائعا * مايصنع الفارس بالبند

ولشاعر الاندلس أبى عبدالله بن الحداد الوادى آشى وهو من رجال الذخيرة

لزمت قناعتى وقعدت عنهم * فلست أرى الوزير ولا الامير
وكنت سمير أشعارى سفاها * فعدت بها الفلسفتى سمير

وله فى العروض تاليف مزج فيه بين الانحاء الموسيقية والآراء الخليلية وردفيه على السرقسطى المنبوز بالحمار وله فى المعتصم بن صمادح

لعلك بالوادى المقدس شاطئ * فللمنبر الهندى ما أنا واطئ
وانى فى رياك واجد بحهم * بجمر الاسى بين الجوانح ناشئ
ولى فى السرى من نارهم ومنارهم * هداة حداة والنجوم طوالئ
لذلك ماحنت ركابى وحمحمت * عرابى وأوحى سيرها المتباطئ
فهل هاجنى ماهاجها ولعلها * الى الوجد من نيران قلبى لواجئ
رويدا فذا وادى لبينى وانه * لوردلباباتى وانى لظامئ
موارد تهيامى ومسرح ناظرى * فللشوق غايات بها ومبادئ

واعترض عليه بعضهم بانه همز فى هذه القصيدة مالا يهمز فقال

عجبت لغماز ين علمى بجهلهم * وان قناتى لاتلين من الغمز
تجلت لهم آيات فهمى ومنطقى * مبينة الاعجاز لازمة الحرز
ولاحت لهم همزية أوحديه * وويل بها ويل لذى الهمز واللمز
رموها بنقص بينت فيه نقصهم * ومن لمس الافعى شكا ألم النكز
فان أنكرت أفهامهم بعض همزها * فقد عرفت أكبادهم صحة الهمز

وله وهو مما يتغنى به بالاندلس

فذر العقيق بجانبا العقوقه * ودع العذيب عذيب ذات الخال
أفق محلى بالقواضب والقنا * للاغيد المعطار لا المعطال
حجبوك الامن توهم خاطرى * وحموك الامن تصور بالى
والقارظان جميل صبرى والكرى * فمتى أرجى منك طيف خيال

ومن بدائعه قوله

سامح أخاك اذا أتاك بزلة * فخلوص شئ قلما يتمكن
فى كل شئ آفة موجودة * ان السراج على سناه يدخن

وأنشد أحد الادباء هذين البيتين متمثلا فاعجبا المعتصم وسأل عن قائلهما فاخبر فتبسم وقال أتعرف الى من أشار بهذا المعنى قال ما أعرف الا انه مليح فقال المعتصم كنت فى الصبا وهو معى ألقب بسراج الدولة فقاتله الله ما أشعره فسلوه فلما باحثوه فى ذلك أقر بحسن حدس المعتصم واكتنفته سعايات وكان ممن يغلب لسانه على عقله ففر من المرية

الربذة بين الكوفة ومكة من طريق الجادة وفاته طلحة والزبير وقد كان على أرادهم فانصرف حين فاتوه الى العراق فى طلبهم ولحق بعلى من أهل المدينة جماعة من الانصار فيهم خزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين وأتاه من طيئ ستمائة راكب وكاتب على من الربذة أبا موسى الاشعرى ليستنفر الناس فثبطهم ابو موسى وقال انما هى فتنة فنمى ذلك الى على فولى على الكوفة قرظة ابن كعب الانصارى وكتب الى ابى موسى اعتزل عملنا يا ابن الحائك مذموما مدحورا فلما هذا أول يومنا منك وان لك فيها لهنات وهنيات وسار على بمن معه حتى نزل بذى قار وبعث ابنه الحسن وعمارا الى الكوفة يستنفر الناس فساروا عنها ومعهما من اهل الكوفة نحو من سبعة آلاف وقيل ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلا فانتهى الى البصرة وراسل القوم وناشدهم الله فأبوا الا قتاله وذكر عن المنذر بن الجارود فيما حدث به ابو حنيفة الفضل بن الحباب الجمحى عن ابن عائشة عن معن بن عيسى عن المنذر بن الجارود قال لما قدم على رضى الله عنه البصرة دخل مما يلى الطف فأتى الزاوية

فخرجت انظر اليه فورد موكب ٢٩٤ نحو الف فارس يقدمهم فارس على فرس اشهب عليه قلنسوة وثياب بيض متقلد سيفا معه

وحبس أخوه بها فقال

الدهر لا ينفك من حدثانه * والمرء منقاد لحكم زمانه
وعلمت أن السعد ليس بمنجح * ما لا يكون السعد من أعوانه
والجد دون الجد ليس بنافع * والرمح لا يمضي بغير سنانه

و بلغت الابيات المعتصم فقال شعره أعقل منه صدق فانه لا يتهيأ له صلاح عيش الا باخيه وهو منه بمنزلة السنان من الرمح ثم أمر باطلاقه وبلحاقه به ولما قال فى المعتصم

يا طالب المعروف دونك فاتركن * دار المذلة وارفض ابن صماح
رجل اذا أعطاك حبة خردل * ألفاك فى قيد الاسير الطامح
لو قد مضى لك عمر نوح عنده * لا فرق بينك والبعيد النازح

اغتاظ عليه وأبعده ففر من بلده ومن المنسوب اليه فى النساء

خن عهدها مثل ما خانتك منتصفا * وامنح هواها بنسيان وسلوان
فالغيد كالروض فى خلق وفى خلق * ان مر جان أتى من بعده جانى

وله حيثما كنت ظاعنا أو مقيما * دم رفيعا وعش منيعا سليما

وقال ابن دحية فى المطرب ان من المجيدين فى الجد والهزل ورقيق النظم والجزل صاحبنا الوزير أبا بلال وقال لى انه كان ورد شبابه قشيب وغصن اعتداله رطيب بقميص النسك متقمص و بعلم الحديث متخصص فاجتاز يوما وبيده مجلد من صحيح مسلم يقصر بعض الملوك الاكابر ومن بعض مناظره ناظر ومجلسه بخواص ندمائه حال وصوت المثانى والمثالث عال فقال أطلعوا الناهذا الفقيه فلعلنا نضحك منه فلما مثل بين يديه وحيا أمر الساقى بمناولته كاس المحيا فتقبض متأففا وأبدى تمعرا وتقشفا والسلطان يستغرب ضحكاتهم عليه و يد الساقى ممدودة اليه واتفق أن انشقت من ذاتها الزجاجة فظهر من السلطان التطير من ذلك فأنشد الفقيه مرتجلا

ومجلس بالسرور مشتمل * لم يخل فيه الزجاج من أدب
سرى باعطافه برنحه * فشق أثوابه من الطرب

فسر السلطان وسرى عنه واستحسن من الفقيه ما بدا منه وأمر له بجائزة سنية وخلعة رائقة وما أحسن قول ابن البراق

يا سرحة الحمى يا مطول * شرح الذى بيننا يطول
ولى ديون عليك حلت * لو انه ينفع المطول

وقوله انظر الى الوادى اذا ما غردت * أطياره شق النسيم ثيابه
أتراه أطرب بالهديل وزاده * طربا وحقك أن حللت جنابه

وله فى غلام على فمه أثر المداد

يا عجبا للمداد أضحى * على فم ضمن الزلالا
كالقار أضحى على الحميا * والليل قد لامس الهلالا

و كتب أبو محمد عبد الله فى معذرة الى بعض أصحابه من الاسر فى طليطلة

راية واذا تيجان القوم الاغلب عليها البياض و الصفرة مدججين فى الحديد والسلاح فقلت من هذا فقيل ابو ايوب الانصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الانصار وغيرهم ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض متقلد سيفا متنكب قوسا معه راية على فرس اشقر فى نحو الف فارس فقلت من هذا فقيل هذا خزيمة بن ثابت الانصارى ذو الشهادتين ثم مر بنا فارس آخر على فرس كميت معتم بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء و عليه قباء أبيض مصقول متقلد سيفا متنكب قوسا فى نحو ألف فارس من الناس ومعه راية فقلت من هذا فقيل لى أبو قتادة ابن ربعى ثم مر بنا فارس آخر على فرس أشهب عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه ومن خلفه شديد الادمة عليه سكينة ووقار رافع صوته بقراءة القرآن متقلد سيفا متنكب قوسا معه راية بيضاء فى ألف من الناس مختلفى التيجان حوله مشيخة وكهول وشباب كأن قد

أوقفوا للحساب أثر السجود قد أثر فى جباههم فقلت من هذا فقيل عمار بن ياسر فى عدة من الصحابة من لو

لو كنت حيث تجيبني * لاسداد قلبك ما أقول
يكفيك مني أنني * لا أستقل من الكبول
واذا أردت رسالة * لكم فما ألفي رسول
هذا وكم بثنا وفي * أيماننا كاس الشمول
والعود يخفق والدحا * ن العنبري به يجول
حال الزمان ولم ازل * مذ كنت اعهده يحول

ولابي الحسن علي بن مهلهل الجليانى فى ابي بكر بن سعيد صاحب اعمال غرناطة فى دولة الملثمين

لولا النهود لما عراك تنهد * وعلى الخدود القلب منك يخدد
يا نافذا قلبي بسهم جفونه * مالي على سهم رميت به يد

وقال ابو زكريا يحيى بن مطروح فى غلام كاتب اطل عذاره

يا حسنه كاتبا قد خط عارضه * فى خده طا كيا ماخط بالقلم
لام العذول عليه حين ابصره * فقلت دعني فزين البرد بالعلم
وانظر الى عجب مما تلوم به * بدر له هالة قدت من الظلم
قولوا عن البحر ما شئتم ولا عجب * من عنبر الشحر او من در مبتسم

وله وقد عزل عن مالقة وال غير مرضي ونزل المطر على اثره وكان الناس فى جدب

ورب وال سرنا عزله * فبعضنا هنأه البعض
قد واصلتنا السحب من بعده * ولذ فى اجفاننا الغمض
لو لم يكن من نحس شخصه * ما طهرت من بعده الارض

وكان الكاتب ابو بكر محمد بن نصر الاوسي مختصا بوزير عبد المؤمن ابي جعفر بن عطية فقال فيه

ايا جعفر نلت الذى نال جعفر * ولا زلت بالعليا تسر وتحبر
عليك لنا فضل و بروانعم * ونحن علينا كل مدح يحبر

وحدث من حضر مجلس الوزير ابن عطية وقد احس من عبد المؤمن التغير الذى افضى الى قتله وقد افتتح ابن نصر مطلع هذه القصيدة فتغير وجه ابي جعفر لان جعفر بن يحيى كان آخر امره الصلب فكأن هذا عمم الدعاء والعجب انه قتل مثل جعفر بعد ذلك وهذا الشاعر هو القائل

وما انا عن ذاك الهوى متبدل * وذا الغدر بالاخوان غير كريم
بغيرك اجرى ذكر فضلك فى الندى * كما تجرى بالروض هب نسيم
وان كان عندى للجديد لذاذة * فلست بناس حرمة القديم

ولابي عبد الله محمد بن علي اللوشي يخاطب صاحب المسهب

بي اليكم شوق شديد ولكن * ليس يبقى مع الجفاء اشتياق
ان يغيركم الفراق فودي * لو خبرتم يزيد فيه الفراق

وله لو أن لي قلبا كقلبك كنت اهجر هجركا

وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء متنكب قوسا متقلد سيفا تخط رجلاه فى الارض فى الف من الناس الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض معه راية صفراء قلت من هذا قيل هذا قيس بن سعد بن عبادة فى الانصار وابنائهم وغيرهم من قحطان ثم مر بنا فارس على فرس أشهل فما رأينا أحسن منه عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه بلواء قلت من هذا قيل هو عبد الله بن العباس فى عده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالاولين قلت من هذا قيل قثم بن العباس او سعيد بن العاص ثم اقبلت المواكب والرايات يتقدم بعضها بعضا واشتبكت الرماح ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات فى اوله راية كبيرة يتقدمهم رجل كأنما كسر وجبر (قال ابن عائشة وهذه صفة رجل شديد الساعدين نظره الى الارض اكثر من نظره الى فوق كذلك تخبر العرب فى وصفها اذا أخبرت ان الرجل انه كسر وجبر) كأنما على رؤسهم الطير وعن ميسرتهم شاب حسن الوجه قلت من هؤلاء قيل هذا على بن ابي طالب

يكفيك انك قد نسيت ولست أنسى ذكركا
ومن العجائب أننى * أفنى وأنت تسركا
كن كيفما تختاره * فالحب يبسط عذركا

وله هل عندكم علم بما فعلت بنا * تلك الجفون الفاتكات بضعفها
نصحا لكم أن تأمنوها انها * سحر النهى ما تبصرون بطرفها

ولابنه أبى محمد عبد المولى وكان ماجنا لما نعى اليه وهو على الشراب أحد أصحابه مرتجلا

انما دنياك أكل * وشراب وتحاب * ثم من بعد صراخ * ووداع وتراب

وله يانديم اشرب على أفق صقيل وحديقه
واسقنى ثم اسقنى * ثم اسقنى خمر اوريقه
من غزال تطلع الشمس بخديه انيقه
لا تفوت ساعة من * كاس خمر وعشيقه
واجتنب ما سخرت جهلا له هذى الخليقه
رغبوا فى باطل زو * ر وزهد فى الحقيقه
ليس الا ما تراه * أنا أدرى بالطريقه

قال أبو عمران موسى بن سعيد قلنا له ما هذا الاعتقاد الفاسد الذى لا ينبغى لاحد أن يعتقد به فقال هذا قول لا فعل وقد قال الله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون ثم قال ابن سعيد ولولا أن حاكى الكفر ليس بكافر ما ذكرتها وهذا منزع من قال من المجوس

خذ من الدنيا بحظ * قبل أن ترحل عنها
فهى دار لا ترى من * بعدها أحسن منها

وهذا كفر صراح وقائله قد تقمص كفرا اللهم غفرا وطلب منه بعض الارذال أن يكتب له شفاعة عند أحد العمال فكتب له رسالة فيها هذه الابيات

كتبته مولاى فى طالع * ما طار فيه طائر الميمن
وفكرة جائلة والحشا * ينهب بالهم والحزن
كلفنيه ساقط أحرف * مشتهر بالطعن والقرن
أكذب خلق الله أرداهم * أخوفهم فى الخوف والامن
يكفر ما يسدى اليه ولا * يعذر خلقا سيئ الظن
فان صنعت الخير ألفيته * شرا وأضحى الحمد ذا غبن
وانتقد الناس عليك الذى * تسدى له فى أى ما فن
فافعل به ما هو أهل له * وبسمعه تفسيرا ولا أكنى
أهنه واصفعه ولا تترك البواب يكرمه لدى الاذن
واقطع بفيه القول واحرمه من * رد جواب أنسه بدنى
وكلما استنبط رأيا فهه ودعه مسخن الجفن

عبد الله بن جعفر بن ابى طالب وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بنى هاشم وهؤلاء المشايخ اهل بدر من المهاجرين والانصار فساروا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية فصلى اربع ركعات وعفر خديه على التربة وقد خالط ذلك دموعه ثم رفع يديه يدعو اللهم رب السموات وما اظلت والارضين وما اقلت ورب العرش العظيم هذه البصرة اسألك من خيرها واعوذ بك من شرها اللهم انزلنا فيها خير منزل وانت خير المنزلين اللهم هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتى وبغوا على ونكثوا بيعتى اللهم احقن دماء المسلمين وبعث اليهم من يناشدهم الله فى الدماء وقال علام يقاتلونى فأبوا الا الحرب فبعث رجلا من اصحابه يقال له مسلم معه مصحف يدعو الى الله فرموه بسهم فقتلوه فحمل الى على وقالت امه

يارب ان مسلما اتاهم * يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه لحاهم

وامه قائمة تراهم

وامر على رضى الله عنه ان يصافوهم ولا يبدؤهم بقتال ولا يرموهم بسهم ولا يضربوهم ولا يطعنوهم برمح حتى جاء عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى

فهو اذا أكرمته فاسد * وصالح بالهون واللعن
شفاعتي في مثله هذه * فلا سقاه هاطل المزن

ودفع اليه الكتاب مختوما فسر به وحمله الى العامل وسافر اليه أياما فلما دفعه اليه قرأه وضحك ودفعه الى من يشاركه في ذلك من أصحابه فوعده بخير وأخرجه الى شغل لم يرضه فلما عاد منه قال له أخرجتني لارذل شغل وأخسه فما فائدة الشفاعة اذن فقال له أو تريد أن أفعل معك ما تقتضيه شفاعة صاحبك قال لا أقل من ذلك فأمر من يأتيه بالابيات فقرئت عليه فانصرف في أسوأ حال فلما دخل عليه غرناطة وكان عبد المولى تزوج فيها امرأة اغتبط بها فتزيا هذا الرجل بزي أهل البادية وزوّر كتابا على لسان زوجة لعبد المولى في بلدة أخرى وقال في الكتاب وقد بلغني انك تزوجت غيري وأردت أن أكتب اليك في أن تطلقني فوصلني كتابك تعرفني فيه أن الزوجة الجديدة لم توافق اختيارك وأنك ناظر في طلاقها فردني ذلك عما عزمت عليه فانظر في تجميل ما وعدت به من طلاقها فانك ان لم تفعل لم أبق معك أبدا فلما مر بدار عبد المولى رأى جارية زوجته فقال لها أنا رجل بدوي أتيت من عند فلانة زوجة أبي محمد عبد المولى فعند ما سمعت ذلك أعلمت ستها وأخذت الكتاب فوقفت على ما فيه غير شاكة في صحته فلما دخل عبد المولى وجدها على خلاف ما فارقها عليه فسألها عن حالها فقالت أريد الطلاق فقال ما سبب هذا وأنا أرغب الناس فيك فألقت اليه الكتاب فلما وقف عليه حلف لها أن هذا ليس بصحيح وأن عدوّا له اختلقه عليه فلم يفد ذلك عنده شيأ ولم يطب له بعد ذلك معها عيش فطلقها وعلم أن ذلك الرجل هو الذي فعل ذلك فقال له لا جزاك الله خيرا ولا أصلح لك حالا فقال وأنت كذلك فهذه بتلك والبادي أظلم فما كان ذنبي عندك حين كتبت في حق ما كتبت فقال له مثلك لا يقول ما ذنبي أنت كلك ذنوب

ألست بألام الثقلين طرا * وأثقلهم وأخشهم لسانا
فهما تبغ براعند شخص * تزدمنه بما تبغي هوانا

فانصرف عنه عالي اللسان بلعنته وكان أحد بني عبد المؤمن قد ألزمه أن ينسخ له كتابا بموضع منفرد فخطر له يوما جلد عميرة واتفق أن مر السيد يوما بذلك الموضع فنظر اليه في تلك الحال فقال له السيد ما تصنع فقال الدواة جفت ولم أجد ما أسقيها به الا ماء ظهري فضحك السيد وامر له بجارية فقال

قل للعميرة طلقت بعد طول زواج
قد كان مائي ضياعا * يمر في غير حاج
حتى حباني بحسنا * وقابل للنتاج
فكان ناقل خمر * من حنتم لزجاج
كانت تمر ضياعا * فاصبحت كالسراج

وقال حاتم بن سعيد

جنبوني عن المدامة الا * عند وقت الصباح او في الاصيل
واشفعوها بكل وجه مليح * ودعوني من كل قال وقيل

فقال على اللهم اشهد وأعذروا الى القوم ثم قام عمار بن ياسر بين الصفين فقال أيها الناس ما أنصفتم نبيكم حيث كشفتم عتقاء تلك الخدور وأبرزتم عقيلته للسيوف وعاتكة على جمل في هودج من دفوف الخشب قد ألبسوه المسوح وجلود البقر وجعلوا دونه اللبود قد غشي على ذلك بالدروع فدنا عمار من موضعها فنادى الى ماذا تدعيني قالت الى الطلب بدم عثمان فقال قتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق ثم قال أيها الناس انكم لتعلمون أنا المطالبون في قتل عثمان ثم أنشأ يقول وقد رشقوه بالنبل

فمنك البكاء ومنك العويل * ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام * وقاتله عندنا من أمر

وتواتر عليه الرمي واتصل فرك فرسه وزال عن موضعه فقال ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم الا الحرب فقام علي رضي الله عنه فقال ايها الناس اذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيرا ولا تتبعوا موليا ولا تطلبوا مدبرا ولا

 تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل ولا تهتكوا ستارا ولا تقربوا من أموالهم الا ما تجدونه في عسكرهم من

صلى الله عليه وسلم لا سلاح عليه فنادى يا زبير اخرج الي فخرج شاكا في سلاحه فقيل لعائشة فقالت واحر باه باسماء فقيل لها ان عليا حاسر فاطمأنت واعتنق كل واحد منهما صاحبه فقال له على ويحك يا زبير ما الذى أخرجك قال دم عثمان قال قتل الله أولانا بدم عثمان اما تذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني بياضة وهو راكب حماره فضحك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحكت أنت معه فقلت أنت يا رسول الله ما يدعو على زهوه فقال لك ليس به زهو أنت تحبه يا زبير فقلت اني والله لاحبه فقال لك انك والله ستقاتله وأنت له ظالم فقال الزبير أستغفر الله لو ذكرتها ما خرجت فقال يا زبير ارجع فقال وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان هذا والله العار الذي لا يغسل فقال يا زبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار فرجع الزبير وهو يقول

اخترت عارا على نار مؤججة ... ما ان يقوم لها خلق من الطين

نادى علي بأمر لست أجهله ... عار لعمرك في الدنيا وفي الدين

واذا ما اردتم طيب عيشي * فاجيبوني عن كل وجه ثقيل

وقال مالك بن محمد بن سعيد

اتاني زائرا فبسطت خدي * له ويقل بسط الخد عندي

فقلت له اياموالاي ألفا * فقال وانت ألفا عبد عبدي

وعانقني وقبلني ونادى * بلطف منه كيف رايت وعدي

وقال في استهداء مقص

الا قل نم في مطلب قد حكاه لا * يفصل اذ نبغي الوصال مفصلا

نشق به صدر النهار وقد بدا * ظلاما بامثال النجوم مكللا

وقال سارت كبد وليل الخدر يسترها * ولو بدا وجهها جاءتك بالغلق

ودونها من صليل اللامعات حمى * فالبرق والرعد دون الشمس في الافق

واجتمع بغرناطة محمد بن غالب الرصافي الشاعر المشهور ومحمد بن عبد الرحمن الكتندي الشاعر وغيرهما من الفضلاء والرؤساء فأخذوا يوما في أن يخرجوا لنجد أو لمحوز مؤمل وهما منتزهان من أشرف وأطرف منتزهات غرناطة ليتفرجوا ويصقلوا الخواطر بالتطلع في ظاهر البلد وكان الرصافي قد أظهر الزهد وترك الخلاعة فقالوا ما الناغي عن أبي جعفر بن سعيدا كتبوا له فصنعوا هذا الشعر وكتبوه له وجعلوا تحته أسماءهم

بعثنا الى رب السماحة والمجد * ومن ماله في مسلة الظرف من ند

ليسعدنا عند الصبيحة في غد * لنسعى الى الحوز المؤمل أو نجد

نسرح منا أنفسا من شجونها * ثوت في شجون هن شر من اللحد

ونظفر من بخل الزمان بساعة * ألذ من العليا وأشهى من الخلد

على جدول ما بين ألفاف دوحة * تهز الصبا فيها لواء من الرند

ومن كان ذا شرب يخلى بشأنه * ومن كان ذا زهد تركناه للزهد

وما ظرفه يأبى الحديث على الطلى * ولا أن يديل الهزل حينا من الجد

تهز معاني الشعر أغصان ظرفه * ويمرح في ثوب الصبابة والوجد

وما نغص العيش الهنأ غير ان * يمازجه تكليف ما ليس بالود

نظمنا من الخلان عقد فرائد * ولما نجد الا لك واسطة العقد

فاذا تراه لا عدمناك ساعة * فنحن بما نبديه في جنة الخلد

ورشدك مطلوب وامرك نحوه ار * تقاب وكل منك يهدى الى الرشد

فكان جوابه لهم

هو القول منظوما أو الدر في العقد * هو الزهر نفاح الصبا لم شذا الود

أتاني وفكري في عقال من الاسى * فحل بنفث السحر ما حل من عقد

ومن قبل علمي أين مبعث وجهه * علمت جناب الورد من نفس الورد

وأيقنت ان الدهر ليس براجع * لتقديم عصر أو وقوف على حد

فكل أوان فيه أعلام فضله * ترادف موج البحر ردا الى رد

فقالت حسبك من عدل أبا حسن * فبعض هذا الذى قد قلت يكفينى فقال ابنه عبد الله أين ٢٩٩ تدعنا فقال يا بنى أذكرنى أبو

فكم طيها من فائت مسترقم * يهز بما قد ضمرت معطف الصلد
فيا من بهم ترهى المعالى ومن لهم * قياد المعالى ما سوى قصدكم قصدى
فسمعا وطوعا للذى قد أشرتم * به لا أرى عنه مدى الدهر من بد
فقوموا على اسم الله نحو حديقة * مقلدة الاجياد موشية البرد
بها قبة تدعى الكمامة فاطلعوا * بها زهرا أذكى نسيما من الند
وعندى ما يحتاج كل مؤمل * من الراح والمعشوق والكتب والنرد
فكل الى ما شاءه لست ثانيا * عنانا له ان المساعد ذو الود
ولست خليا من تأنس قينة * اذا ما شدت ضل الخلى عن الرشد
لها ولد فى حجرها لا تزيله * أوان غناء ثم ترميه بالبعد
فيا ليتنى قد كنت منها مكانه * تقلبنى ما بين خصر الى نهد
ضمنت لمن قد قال انى زاهد * اذا حل عندى أن يحول عن الزهد
فان كان يرجو جنة الخلد آجلا * فعندى له فى عاجل جنة الخلد

فركبوا الى جنته فرأيهم أحسن يوم على ما اشتهوا وما زالوا بالرصافى الى أن شرب لما غلب عليه الطرب فقال الكندى

غلبناك عما رمته يا ابن غالب * براح وريحان وشدو وكاعب

فقال أبو جعفر

بدا زهده مثل الخضاب فلم يزل * به ناصلا حتى بدا زور كاذب

فلما غربت الشمس قالوا ما رأينا أقصر من هذا اليوم وما ينبغى أن يترك بغير وصف فقال أبو جعفر أنا له ثم قال بعد فكرة وهو من عجائبه التى تقدم بها المتقدمين وأعجز المتأخرين

لله يوم مسرة * أضحوا وأقصر من ذباله
لما نصبنا للمنى * فيه بأوتار حباله
طار النهار به كما * تاع فاجفلت الغزاله
فكأنما من بعده * بعثا الهداية بالضلاله

والنهار ذكر الحبارى واليه أشار بقوله طار النهار والغزالة الشمس ولا يخفى حسن التورية فسلم له الجميع تسليم السامع المطيع وعلى ذكر الغزالة فى هذا الموضع فلابى جعفر أيضا فيها وهو من بدائعه قوله

بدا ذنب السرحان ينبئ أنه * تقدم سبت والغزالة خلفه
ولم ترعينى مثله من متابع * لمن لا يزال الدهر يطلب حتفه

وقوله

اسقنى مثل ما أمار لعينى * شفق ألبس الصباح جماله
قبل أن تبصر الغزالة تستد * رج منه على السماء غلاله
وتامل لعسجد سال نهرا * كرعت فيه أو تقضى غزاله

ومن نظم أبى جعفر قوله

لو لم يكن شدو الحمائم فاضلا * شدو القيان لما استخف الاغضنا

حسن بامر كنت قد أنسيته فقال لا والله ولكنك فررت من سيوف بنى عبد المطلب فانها طوال حداد تحملها فتية انجاد قال لا والله ولكنى ذكرت ما أنسانيه الدهر فاخترت العار على النار أبا الجبين تعيرنى لا أبا لك ثم أمال سنانه وشد فى الميمنة فقال على أفرجوا له فقدها جوه ثم رجع فشد فى الميسرة ثم رجع فشد فى القلب ثم عاد الى ابنه فقال أيفعل هذا جبان ثم مضى منصرفا حتى أتى وادى السباع والاحنف ابن قيس معتزل فى قومه من بنى تميم فاتاه آت فقال له هذا الزبير مارا فقال ما أصنع بالزبير وقد جمع بين فئتين عظيمتين من الناس يقتل بعضهم بعضا وهو مار الى منزله سالما فلحقه نفر من بنى تميم فسبقهم اليه عمرو بن جرموز وقد نزل الزبير الى الصلاة فقال أتؤمنى أو أؤمك فامه الزبير فقتله عمرو فى الصلاة وقتل الزبير رضى الله عنه وله خمس وسبعون سنة وقد قيل ان الاحنف بن قيس قتله بارسال من أرسل من قومه وقدر ثمه الشعراء وذكرت غدر ابن جرموز به ومن رثاه زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل أخت سعيد بن زيد فقالت

طرب ثنى حتى الجماد ترنحا * وأفاض من دمع السحائب أعينا

وقوله في الروض منك مشابه من أجلها * يهفو له طرفي وقلبي المغرم
الغصن قد والازاهر حلية * والورد خد والاقاحي مبسم

وقوله الا حبذا نهر اذا ما لحظته * أبى ان يرد اللحظ عن حسنه الانس
ترى القمرين الدهر قد عنيا به * يفضضه بدر وتذهبه شمس

وقوله وقد مر بقصر من قصور أمير المؤمنين عبد المؤمن وقد رحل عنه
قصر الخلافة لا اخليت من كرم * وان خلوت من الاعداد والعدد
جزنا عليه فلم تنقص مهابته * والغيل يخلو وتبقى هيبة الاسد

وقوله من أبيات
سرح لحاظك حيث شئت فانه * في كل موقع لحظة متأمل

وقوله أيضا ولقد قلت للذي قال حلوا * ههنا سر فانتما ما سئمنا
لا تعجبن لنا مكانا ولكن * حيثما مالت الاواحظ ملنا

وقال الا هاتها ان المسرة قربها * وما الحزن الا في توالي جفائها
مدام بكى الابريق عند فراقها * فأضحك ثغر الكاس عند لقائها

وقال عرج على الحوزوخيم به * حيث الاماني ضافيات الجناح
واسبق له قبل ارتحال الندى * ولا تزره دون شاد وراح
وكن مقيما منه حيث الصبا * تمتار مسكا من أريج البطاح
والقضب مال البعض منها على * بعض كما يثنى القدود الرياح
وشق جيب الصبر قصفا اذا * شقت جيوب الظل منه الرياح
لم أحص كم غادية ثابتا * واسترقصتني الراح عند الرواح

وقوله الا حبذا روض بكرناه ضحى * وفي جنبات الروض للطل أدمع
وقد جعلت بين الغصون نسيمة * تمزق ثوب الظل منها وترقع
ونحن اذا ما ظلمات القضب ركعا * نظل لها من هزة السكر تركع

وكان ابن الصابوني في مجلس أحد الفضلاء بإشبيلية فتقدم فيما قدم خيار فجعل أحد الادباء يقشرها بسكين فخطف ابن الصابوني السكين من يده فألح عليه في استرجاعها فقال له ابن الصابوني كف عني والا جرحتك بها فقال له صاحب المنزل اكفف عنه لئلا يجرحك ويكون جرحك جبارا تعريضا بقول النبي صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار فاغتاظ ابن الصابوني وخرج من الاعتدال وأخطأ بلسانه وما كف الا بعد الرغبة والتضرع ومن نظم ابن الصابوني

بعثت بمرآة اليك بديعة * فأطلع بسامي أفقها قمر السعد
لتنظر فيها حسن وجهك منصفا * وتعذرني فيما اكن من الوجد
فأرسل بذاك الخد لحظك برهة * لتجني منه ما جناه من الورد
مثالك فيها منك أقرب ملمسا * وأكثر احسانا وأبقى على العهد

وقوله في لابس أحمر

في أكله فقتله فمر به على بعد الوقعة في موضعه في قنطرة قرة فوقف عليه فقال انا لله وانا اليه راجعون

أقبل في حلة موردة * كالبدر في حلة من الشفق
تحسبه كلما أراق دمي * يمسح في ثوبه ظبا الحدق

ورحل الى القاهرة والاسكندرية فلم يلتفت اليه ولا عول عليه وكان شديد الانحراف فانقلب على عقبه بعض يديه على ما جرى عليه فمات عند ابنه الى الاسكندرية كما ولم يعرف له بالديار المصرية مقدار وحضر يوما بين يدي المعتضد الباجي ملك اشبيلية وقد نثرت أمامه جملة من دنانير سكت باسمه فأنشد

قد فخر الدينار والدوهم * لما علا ذين لكم ميسم
كلاهما يفصح عن مجدكم * وكل جزء منه فرد فم

ومر فيها الى أن قال في وصف الدنانير

كأنها الانجم والبعد قد * حفق عندي انها الارجم

فأشار السلطان الى وزيره فأعطاه منها جملة وقال له بدل هذا البيت لئلا يبقى ذما وكان يلقب بالحمار ولذا قال فيه ابن عتبة الطبيب

يا عير حمص عير تلك الحمير * بأكلك البر مكان الشعير

وهو أبو بكر محمد ابن الفقيه أبي العباس احمد بن الصابوني شاعر اشبيلية الشهير الذكر والذي أظهره مأمون بني عبد المؤمن وله فيه قصائد عدة منها قوله في مطلع

استول سباقا على غاياتها * نجح الامور بين في بدآتها

وله الموشحات المشهورة رحمه الله تعالى ومن حكايات الصبيان أن ابن أبي الخصال وهو من شقورة اجتاز بادية وهو صبي صغير يطلب الادب فأضافه بها القاضي ابن مالك ثم خرج معه الى حديقة معروشة فقطف لهما منها عنقودا أسود فقال القاضي * انظر اليه في العصا * فقال ابن ابي الخصال * كرأس زنجي عصي * فعلم انه سيكون له شان في البيان وحدث ابو عبد الله ابن زرقون ان ابا بكر بن المخلل وابا بكر الملاح الشلبيين كانا متواخيين متصافيين وكان لهما ابنان صغيران قد برعا في الطلب وحازا قصب السبق في حلبة الادب فتهاجى الابنان بأقذع الهجاء فركب ابن المخلل في سحر من الاسحار مع ابنه عبد الله فجعل يعتبه على هجاء بني الملاح ويقول له قد قطعت ما بيني وبين صديقي وصفيي أبي بكر في أقذاعك بابنه فقال له ابنه انه بدأني والبادي اظلم وانما يجب ان يلحى من بالشر تقدم فعذره ابوه فيما هما عليه من ذلك اذا قبلا على وادتنق فيه الضفادع فقال ابو بكر لابنه اجز * تنق ضفادع الوادي * فقال ابنه بصوت غير معتاد * فقال الشيخ * كأن نقيق مقولها * فقال ابنه * بنو الملاح في النادي * فلما أحست الضفادع بهما صمتت فقال ابو بكر * وتصمت مثل صمتهم * فقال ابنه اذا اجتمعوا على زاد * فقال الشيخ * فلا غوث للهوف * فقال الابن * ولا غيث لمرتاد * ولا خفاء أن هذه الاجازة لو كانت من الكبار لحصلت منها الغرابة فكيف ممن هو في سن الصبا ومن حكايات النصارى واليهود من أهل الاندلس اعادها الله تعالى الى الاسلام عن قريب انه سمع عجيب ما حكى ان ابن المرغوى النصراني الاشبيلي اهدى كلبة صيد للمعتمد بن عباد وفيها يقول

والله لكنت كارها لهذا
أنت والله كما قال القائل
فتى كان يدنيه الغنى من صديقه
اذا ماهو استغنى ويبعده الفقر
كأن الثريا علقت في يمينه
وفي خده الشعرى وفي الآخر البدر

وذكر أن طلحة رضي الله عنه لما ولي سمع وهو يقول

ندامة هاندمت وضل حلمي
ولهفي ثم لهف أبي وأمي
ندمت ندامة الكسعي لما
طلبت رضا بني خزم بزعمي

وهو يمسح عن جبينه الغبار وهو يقول وكان أمر الله قدرا مقدورا وقيل انه سمع وهو يقول هذا الشعر وقد جرحه في جبهته عبد الملك ورماه مروان في أكله وقد وقع صريعا يجود بنفسه وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عبيد الله بن عمر ابن كعب بن سعيد بن تيم الله وهو ابن عم أبي بكر الصديق ويكنى أبا محمد وأمه الصعبة وكانت ابنة أبي سفيان صخر بن حرب كذلك ذكر الزبير بن بكار في كتابه في أنساب قريش وقتل وهو ابن أربع وستين سنة وقيل غير ذلك ودفن بالبصرة وقبره ومسجده الى هذه الغاية وقبر

لم ارملهى لذى اقتناص * ومكسبا مقنع الحريص
كمثل خطار ذات جيد * اتلع فى صفرة القميص
كالقوس فى شكلها ولكن * تنفذ كالسهم للقنيص
ان تخذت انفها دليلا * دل على الكامن العويص
لو أنها تستطير برقا * لم يجد البرق من محيص

ومنها فى المديح

يشفع تنويله بود * شفع القياسات بالنصوص

وقال

الله أكبر انت بدر طالع * والنقع دجن والكماة نجوم
والجود افلاك وانت مديرها * وعدوك الغاوى وهن رجوم

وقال

نزلت فى آل مكعول وضيفهم * كنازل بين سمع الارض والبصر
لا تستضىء بضوء فى بيوتهم * ما لم يكن لك تطفيل على القمر

وسببهما انه نزل عندهم فلم يوقدوا له سراجا * وقال نسيم الاسرائيلى

يا ليتنى كنت طيرا * أطير حتى أرا كا
بمن تبدلت غيرا * ولم نحل عن هوا كا

وهو شاعر وشاح من أهل اشبيلية وذكره الحجارى فى المسهب * وقال ابراهيم بن سهل الاسرائيلى فى أصفر ارتجالا

كأن محياك له بهجة * حتى اذا جاءك ماحى الجمال
أصبحت كالشمعة لما جنى * منها الضياء اسود فيها الذبال

وهو شاعر اشبيلية ووشاحها وقرأ على أبى على الشلوبين وابن الدباج وغيرهما وقال العزفى حقه وكان أظهر الاسلام ماصورته كان يتظاهر بالاسلام ولا يخلو مع ذلك من قدح واتهام انتهى وسئل بعض المغاربة عن السبب فى رقة نظم ابن سهل فقال لانه اجتمع فيه ذلان ذل العشق وذل اليهودية ولما غرق قال فيه بعض الاكابر عاد الدر الى وطنه ومن نظم ابن سهل المذكور قوله

وألمى بقلبى منه جمر مؤجج * تراه على خديه يندى ويبرد
يسائلنى من أى دين مذاهبا * وشمل اعتقادى فى هواه مبدد
فؤادى حنيفى ولكن مقلتى * مجوسية من خده النار تعبد

ومنه قوله

هذا أبو بكر يقود بوجهه * جيش الفتور مطرز الرايات
أهدى ربيع بعذاره لقلوبنا * حرالصيف فشبها الفعات
خد جرى ماء النعيم بجمره * فاسود مجرى الماء فى الجمرات

وذكر الحافظ أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهرى فى رحلته الكبيرة القدر والجرم المسماة بملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة خلافا فى اسلام ابن سهل باطنا وكتب على هامش هذا الكلام الخطيب العلامة سيدى

الزمامة ينتظر نفاد سهامهم فاتاه على فقال هلا حملت فقال لا اجد متقدما الا على سهم او سنان وانى لمنتظر أبو

أبو عبد الله بن مرزوق ما نصه صح لنا من أدركناه من أشياخنا انه مات على دين الاسلام انتهى ورأيت في بعض كتب الادب بالمغرب انه اجتمع جماعة مع ابن سهل في مجلس انس فسألوه لما أخذت منه الراح عن اسلامه هل هو في الظاهر والباطن أم لا فأجابهم بقوله للناس ما ظهر والله ما استتر انتهى واستدل بعضهم على صحة اسلامه بقوله

تسليت عن موسى بحب محمد * هديت ولولا الله ما كنت أهتدى
وما عن قلى قد كان ذاك وانما * شريعة موسى عطلت بمحمد

وله ديوان كبير مشهور بالمغرب حاز به قصب السبق في النظم والتوشيح وما أحسن قوله من قصيدة

تأمل لظى شوقي وموسى يشبها * تجد خير نار عندها خير موقد

وأنشد بعضهم له قوله

لقد كنت أرجو أن تكون مواصلي * فأسقيتني بالبعد فاتحة الرعد
فبالله بردا ما بقلبي من الجوى * بفاتحة الاعراف من ريقك الشهد

وقال الراعي رحمه الله تعالى سمعت شيخنا ابا الحسن علي بن سمعة الاندلسي رحمه الله تعالى يقول شيآن لا يصحان اسلام ابراهيم بن سهل وتوبة الزمخشري من الاعتزال ثم قال الراعي قلت وهما من مروياتي اما اسلام ابراهيم بن سهل فيغلب على ظني صحته لعلمي برواياته واما الثاني وهو توبة الزمخشري فقد ذكر بعضهم انه راى رسما بالبلاد المشرقية محكوما فيه بتضمن توبة الزمخشري من الاعتزال فقوي جانب الرواية انتهى باختصار وقال الراعي أيضا ما نصه وقد نسكت الاديب البارع ابراهيم بن سهل الاسرائيلي الاندلسي على الشيخ ابي القاسم في تغزله حيث قال

اموسى اي بعضي وكلي حقيقة * وليس مجازا قولي الكل والبعضا
خفضت مكاني اذ جزمت وسائلي * فكيف جمعت الجزم عندي والخفضا

وفي هذا دليل على ان يهود الاندلس كانوا يشتغلون بعلم العربية فان ابراهيم قال هذين البيتين قبل اسلامه والله تعالى اعلم وقد روينا انه مات مسلما غريقا في البحر فان كان حقا فالله تعالى رزقه الاسلام في آخر عمره والشهادة انتهى ومن نظم ابن سهل في التوجيه باصطلاح النحاة قوله

رقت عوامله واحسب رتبتي * بنيت على خفض فان تتغيرا

ومنه

تنأى وتدنو والتفاتك واحد * كالفعل يعمل ظاهرا ومقدرا

وقوله

اذا كان نصر الله وقفا عليكم * فان العدا التنوين يحذفه الوقف

وقوله

وقر أنا باب المضاف عناقا * وحذفنا الرقيب كالتنوين

وقوله

نبات بناء الحرف خارم طبعه * فصرت لتأثير العوامل جازما

وقوله

لئن الثناء فان يذكر سوالك به * يوما فكالرابع المعهود في البدل

يعني الغلاظ وقوله

اذا اليأس ناجى النفس منك بلن ولا * اجابت ظنونى ربما وعساى

قال اقرب الناس قرابة وابغضهم اليك انا محمد اخوك يقول لك امير المؤمنين هل أصابك شيء قالت ما أصابني الا سهم

فوقف فاتاه على فضربه بقائم سيفه وقال ادركك عرق من امك واخذ الراية وحمل وحمل الناس معه فما كان القوم الا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وطافت بنو امية بالجمل واقبلوا يتحزون ويقولون

نحن بنو ضبة اصحاب الجمل
نازل الموت اذا الموت نزل
ردوا علينا شيخنا ثم بجل

عثمان ردوه باطراف الاسل
والموت احلى عندنا من العسل

وقطع على خطام الجمل سبعون يدا من بني ضبة معهم كعب بن سور القاضي متقلدا مصحفا كلما قطعت يد واحد منهم قام آخر فاخذ الخطام وقال انا الغلام الضبي ورمى الهودج بالنشاب والنبل حتى صار كانه قنفذ وعرقب الجمل وهو لا يقع وقد قطعت اعضاؤه واخذته السيوف حتى سقط ويقال ان عبد الله بن الزبير قبض على خطام الجمل وهو لا يقع وقد ناشده على فخلى عنه ولما سقط الجمل ووقع الهودج جاء محمد بن ابي بكر فادخل يده فقالت من انت

لم يضربني فجاء على حتى وقف عليها فضرب الهودج بقضيب وقال ياحميراء رسول الله أمرك بهذا أم يامرك أن تقري في بيتك والله ما انصفك الذين اخرجوك اذ صانوا عقائلهم وابرزوك وامر أخاها محمد افانزلها في دار صفية بنت الحرث بن ابي طلحة العبدي وهي ام طلحة الطلحات ووقع الهودج والناس مقتتلون يقتتلون والتقى الاشتر بن مالك بن الحرث النخعي وعبد الله بن الزبير فاعتركا وسقطا الى الارض عن فرسيهما والناس حولهما يجولون وابن الزبير ينادي اقتلوني وما لكا واقتلوا ما الكا هي فلا يسمعهما احد لشدة الجلاد ووقع الحديد ولا يراهما راء لظلمة النقع وترادف العجاج وجاء ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت الى علي فقال يا امير المؤمنين لا تنكس اليوم راس محمد واردد اليه الراية فدعا به ورد عليه الراية وقال اطعنهم طعن ابيك تحمد لاخير في حرب اذا لم توقد بالمشرفي والقنا المسرد ثم استسقى فاتي بعسل وماء فحسا منه حسوة وقال هذا الطائفي وهو غريب البلد فقال له عبد الله بن جعفر ما شغلك ما نحن فيه عن علم هذا قال انه والله يا بني ما حلا بصدر عملك شيء قط من امر الدنيا ثم دخل البصرة وكانت الوقعة في الموضع المعروف بالحريبة يوم الخميس واصبح

وقوله
وقلت عساه ان اقمت برقلي * وقد نسخت لاعنده ما اقتضت عسى

وقوله
ينفي لي الحال ولكنه * يدخل لافي كل مستقبل

وقوله
خفضت مقامي اذ خزمت وسائلي * فكيف جمعت الحزم عندي والخفضا

وقوله في غلام شاعر
كيف خلاص القلب من شاعر * رقت معانيه عن النقد
يصوغ نثر الدر عن نثره * ونظمه جل عن العقد
وشعره الطائل في حسنه * طال على النابغة الجعدي

وحدث ابو حيان عن قاضي القضاة ابي بكر محمد بن ابي النصر الفتح بن علي الانصاري الاشبيلي بغرناطة ان ابراهيم بن سهل الشاعر الاشبيلي كان يهوديا ثم اسلم ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدة طويلة بارعة قال ابو حيان وقفت عليها وهي من ابدع ما نظم في معناها وكان سن ابن سهل حين غرق نحو الاربعين سنة وذلك سنة تسع وار بعين وستمائة وقيل انه جاوز الاربعين وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم وما أحسن قوله

مضى الوصل الا منية تبعث الاسى * أداري بها همي اذا الليل عسعسا
أتاني حديث الوصل زورا على النوى * أعد ذلك الزور اللذيذ المؤنسا
ويا أيها الشوق الذي جاء زائرا * أصبت الامانى خذ قلوبا وأنفسا
كساني موسى من سقام جفونه * رداء وسقاني من الحب أكؤسا

ومن أشهر موشحاته قوله

ليل الهوى يقظان * والحب ترب السهر
والصبر لي خوان * والنوم عن عيني بري

وقد عارضه غير واحد فما شقوا له غبارا * وأما ابراهيم بن الفخار اليهودي فكان قد تمكن عند الادفونش ملك طليطلة النصراني وصيره سفيرا بينه وبين ملوك المغرب وكان عارفا بالمنطق والشعر قال ابن سعيد أنشدني لنفسه يخاطب أديبا مسلما كان يعرفه قبل أن تعلو رتبته ويسفر بين الملوك ولم يزده على ما كان يعامله به من الاذلال فضاق ذرع ابن الفخار وكتب اليه

أيا جاعلا أمر بن شبهين ماله * من العقل احساس به يتفقد
جعلت الغنى والفقر والذل والعلا * سواء فما تنفك تشقى وتجهد
وهل يستوي في الارض نجد وتلعة * فتطلب تسهيلا وسيرك مصعد
وما كنت ذا ميز لمن كنت طالبا * بما كنت في حال الفراغ تعود
وقد حال ما بيني وبينك شاغل * فلا تطلبني بالذي كنت تعهد
فان كنت تأبى غير اقدام جاهل * فانك لا تنفك تلحى وتطرد
الا فأت في أبوابه كل مسلك * ولا تك فلا حيثما قمت تقعد

قال ابن سعيد وأنشدني لنفسه

ولما دجا ليل العذار بخده * تيقنت أن الليل أخفى وأستر

وأصبح غدا الى يقولون صاحب * فاخلو به جهرا ولا أتستر

وقال يمدح الادفونش لعنهما الله تعالى

حضرة الادفنش لا برحت * غادة يامها عرس

واخلع النعلين تكرمة * فثراها انها قدس

قال وأدخلوني الى بستان الخليفة المستنصر فوجدته في غاية الحسن كانه الجنة ورأيت على بابه بوّابا في غاية القبح فلما سألني الوزير عن حال فرجي قلت رأيت الجنة الا اني سمعت ان الجنة يكون على بابها رضوان وهذه على بابها مالك فضحك واخبر الخليفة بما جرى فقال له قل له انا قصدنا ذلك فلو كان رضوان عليها بوّابا لخشينا ان يرده عنها ويقول له ليس هذا موضعك ولما كان هناك مالك ادخله فيها وهو لا يدري ما وراءه ويخيل انها جهنم قال فلما اعلمني الوزير بذلك قلت له الله اعلم حيث يجعل رسالاته * وكان في زمان الياس بن المدور اليهودي الطبيب الرندي طبيب آخر كان يجري بينهما من المحاسدة ما يجري بين مشتركين في صنعة فأصلح الناس بينهما مرارا وظهر لالياس من ذلك الرجل الطبيب ما ينفر الناس منه فكتب اليه

لا تخدعن فما تكون مودة * ما بين مشتركين امرا واحدا

انظر الى القمرين حين تشاركا * بسناهما كان التلاقي واحدا

يعني انهما معا لما اشتركا في الضياء وجب التحاسد بينهما والتفرقة هذا يطلع ليلا وهذه تطلع نهارا واعتراضهما يوجب الكسوف * وكتب ايوب بن سليمان المرواني الى بسام بن شمعون اليهودي ابوشقي في يوم مطير لما كنت وصل الله تعالى اخاك وحفظك مطمح نفسي ومنتزع اختياري من ابناء جنسي على جوانبك اميل وارتع في رياض خلقك الجميل هزتني خواطر الطرب والارتياح وهذا اليوم المطير الداعي بكأوه الى ابتسام الاقداح واستنطاق البم والزير فلم ارمعينا على ذلك ومبلغا ما هنالك الاحسن نظرك وتحشمك من المكارم ما جرت به عادتك وهذا يوم حرم الطرف فيه الحركة وجعل في تركها الخير والبركة فهل توصل مكرمتك اخاك الى التخلي معك في زاوية متكئا على دن مستندا الى خابية ونحن خلال ذلك نتجاذب أهداب الحديث التي لم يبق من اللذات الاهي وتجيل الالحاظ فيما تعوّدت عندك من المحاسن والاسماع في أصناف الملاهي وانت على ذلك قدير وكرمك بتكلفه جدير ولا يعين المرء يوما على راحته الا كريم الطباع وها أنا والسمع مني الى الباب وذوا الشوق حليف استماع

فان أتى داع بنيل المنى * ودع أثبجاني ونعم الوداع

وهذا المرواني من ذرية عبد العزيز أخي عبد الملك بن مروان وهو من أهل المائة السادسة * وكانت بالاندلس شاعرة من اليهود يقال لها قسمونة بنت اسمعيل اليهودي وكان أبوها شاعرا واعتنى بتأديبها وربما صنع من الموشحة قسما فأتمتها هي بقسم آخر وقال لها أبوها يوما أجيزي

لي صاحب ذو بهجة قد قابلت * منها بظهر واستحلت جرمها

من التاريخ وخلب الناس بالبصرة خطبته الطويلة التي يقول فيها يا أهل المسجد يا أهل المؤتفكة التفكت بأهلك من الدهر ثلاثا وعلى الله تمام الرابعة يا جند المرأة يا أتباع البهيمة رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم أخلاقكم رقاق وأعمالكم نفاق ودينكم زيغ وشقاق وما ألوكم جاج زعاق وقد دم على أهل البصرة بعد هذا الموقف مرارا كثيرة وبعث بعبد الله ابن عباس الى عائشة يأمرها بالخروج الى المدينة فدخل اليها بغير اذنها واجتذب وسادة فجلس عليها فقالت يا ابن عباس أخطأت السنة المأمور بها دخلت الينا بغير اذننا وجلست على رحلنا بغير أمرنا فقال لها لو كنت في البيت الذي خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دخلنا الا باذنك وما جلسنا على رحلك الا باذنك ان أمير المؤمنين يأمرك بسرعة الاوبة والتأهب للخروج الى المدينة فقالت أبيت ما قلت وخالفت ما وصفت فمضى الى علي فخبره بامتناعها فرده اليها وقال ان أمير المؤمنين يعزم عليك أن ترجعي فانعمت وأجابت الى الخروج

 وجهزها على وأتاها في اليوم الثاني ودخل عليها ومعه الحسن والحسين وباقي أولاده وأولاد اخوته

وفتيان أهله من بني هاشم وقلن يا قاتل الاحبة فقال لو كنت قاتل الاحبة لقتلت من في هذا البيت وأشار الى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر وغيرهم فضرب من كان معه بايديهم الى قوائم سيوفهم لما علموا من في البيت مخافة أن يخرجوا فيقتلوهم فقالت لهم عائشة بعد خطب طويل كان بينهما اني أحب ان أقيم معك فاسير الى قتال عدوك عند سيرك فقال بل ارجعي الى البيت الذي تركك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته أن يؤمن ابن أختها عبد الله ابن الزبير فامنه وتكلم الحسن والحسين في مروان فأمنه وأمن الوليد بن عقبة وولد عثمان وغيرهم من بني أمية وأمن الناس جميعا وقد كان نادى يوم الوقعة من ألقى سلاحه فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن واستدحزن على على من قتل من ربيعة قبل ورود البصرة وهم الذين قتلهم طلحة والزبير من عبد القيس وغيرهم من ربيعة وجدد حزنه قتل زيد بن صوحان قتله في ذلك اليوم عمرو بن سبرة ثم قتل عمار بن ياسر عمرو بن سبرة في ذلك اليوم أيضا وكان على يكثر من قوله وما

ففكرت غير كثير وقالت

كالشمس منها البدر يقبس نوره * أبدا ويكسف بعد ذلك جرمها

فقام كالمختبل وضعها اليه وجعل يقبل رأسها ويقول أنت والعشر كلمات أشعر مني ونظرت في المرآة فرأت جمالها وقد بلغت أوان التزوج ولم تتزوج فقالت

أرى روضة قد حان منها قطافها * ولست أرى جان يمد لها يدا

فوا أسفا يمضي الشباب مضيعا * ويبقى الذي سألت اسمه مفردا

فسمعها أبوها فنظر في تزويجها وقالت في ظبية عندها

يا ظبية ترعى بروض دائما * اني حكيتك في التوحش والحور

أمسي كلانا مفردا عن صاحب * فالنصطبر أبدا على حكم القدر

واستدعى أبو عبد الله محمد بن وشيق القلعي ثم الغرناطي بعض أصحابه الى انس بقوله

سيدي عندي اترج ونارنج و راح
وجنى آس وزهر * وجمانا لا يباح
ليس الا مطرب يسلي الندامى والملاح
ومكان لانتهاك * قد نأى عنه الملاح
لا يرى يطلع فيه * دون أكواس صباح
فيه فتيان لهم في * لذة العيش جماح
طرحوا الدنيا يسارا * فاستراحت واستراحوا
لا كقوم أوجعتهم * لهم فيها نباح

وله

قال العذول الى كم * تدعو لمن لا يجيب
فقلت ليس عجيبا * أن لا يجيب حبيب
هون عليك فاني * من حبه لا أتوب

قال أبو عمران بن سعيد دخلت عليه وهو مسجون بدار الاشراف باشبيلية وقد بقي عليه من مال السلطان اثنا عشر ألف دينار قد أفسدها في لذات نفسه فلما لحني أقبل يضحك ويشتغل بالنادر والحكايات الظريفة فقلت له قالوا انك أفسدت للسلطان اثني عشر ألف دينار وما أحسبك الا زدت على هذا العدد لما أراك فيه من المسرة والاستبشار فزاد ضحكا وقال يا أبا عمران أترانى اذا لزمت الهم والفكر يرجع على ذلك العدد الذي أفسدت ثم فكر ساعة وأنشدني

ليس عندي من الهموم حديث * كلما ساءني الزمان سررت
أترانى أكون للدهر عونا * فاذا مسني بضر ضجرت
غمرة ثم تنجلي فكأني * عندما قلاع همها ما ضررت

وقال النحوي اللغوي أبو عيسى لب بن عبد الوارث القلعي

بدا ألف التعريف في طرس خده * فيا هل تراه بعد ذاك ينكر
وقد كان كافورا فهل أنا تارك * له عند ما حياه مسك وعنبر

وماخير روض لايرف نباته * وهل أفتن الاثواب الا المشهر

وقال أبى لى أن أقول الشعر أنى * أحاول أن يفوق السحر شعرى
وأن يصغى اليه كل سمع * ويعلو ذكره فى كل ذكر

قال الجارى أخبرنى انه احب أحد أولاد الاعيان ممن كان يقرأ عليه فلما خلا به شكا اليه ما يجده فقال له الصبيان يفطنون بنا فاذا أردت أن تقول شيأ فاكتبه لى فى ورقة فلما سمعت ذلك منه تمكن الطمع منى فيه وكتبت له

يا من له حسن يفوق به الورى * صل هائما قد ظل فيك محيرا
وامنن على بقبلة أو غيرها * ان كنت تطمع فى الهوى أن تؤجرا

وكتب بعدها من الكلام ما رأيته فلما حصلت الورقة عنده كتب الى فى غيرها أنا من بيت عادة أهله أن يكونوا اسم فاعل لا اسم مفعول وانما أردت أن يحصل عندى خطك شاهدا على ما قابلتنى به لئلا اشكوك الى أبى فيقول لى حاش لله ان يقع الفقيه فى هذا وانما أنت خبيث رأيته يطالبك بالتزام الحفظ فاختلقت عليه لأخرجك من عنده فأبقى معذبا معك ومعه وان أنا أوقفته على خطك صدقنى واسترحت ولكن لا أفعل هذا ان كففت عنى وان انتهيت فلا اخبر به احدا قال ابن عبد الوارث فلما وقفت على خطه علمت قدر ما وقعت فيه وجعلت ارغب اليه فى ان يرد الرقعة الى فأبى وقال هى عندى رهن على وفائك بأن لا ترجع تتكلم فى ذلك الشان قال فكان والله يبطل القراءة فلا اجسر كلما لانى رأيت صيانتى وناموسى قد حصل فى يده وتبت من ذلك الحين عن هذا وامثاله * وقال جابر بن خلف الفصى وكان فى خدمة عبد الملك بن سعيد وقرأ مع ابى جعفر بن سعيد وتهذب معه يخاطبه حين عاثت الذئاب فى غنمه

ايا قائدا قد سما فى العلا * وساد علينا بذات وجد
غدا الذئب فى غنمى عائثا * وقد جئت مستعديا بالاسد

وكتب عليه الدين فكتب اليه ايضا

انى اياملك الغرر * اموت كذا من الضرر
واخبط فى دجاهمى * ووجهك طلعة القمر

فضحك وادى دينه * ولما خلع اهل المرية طاعة عبد المؤمن وقتلوا نائبه ابن مخلوف قدموا عليهم ابا يحيى بن الرميمى ثم كان عليه من النصارى ما علم ففر الى مدينة فاس وبقى بها ضائعا خاملا يسكن فى غرفة ويعيش من النسخ فقال

امسيت بعد الملك فى غرفه * ضيقة الساحل والمدخل
تستوحش الارزاق من وجهها * فما تزال الدهر فى معزل
النسخ بالقوت لديها ولا * تقرعها كف اخ مفضل

وانشدها البعض الادباء فبينما هو ليلة ينسخ بضوء السراج واذا بالباب يقرع ففتحه فاذا شخص متنكر لا يعرفه وقد مد يده اليه بصرة فيها جملة دنانير وقال خذها من كف اخ لا يعرفك ولا تعرفه وانت المفضل بقبولها فأخذها وحسن بها حاله وقال له بعض هذا شعرك

عبد القيس تطوف بالقتلى
فوجدت ابنين لها قد قتلا وقد
كان قتل زوجها وأخوان
لها فيمن قتل قبل مجيء
على البصرة فانشأت تقول
شهدت الحروب فشيبتنى
فلم أر يوما كيوم الجمل
أضر على مؤمن فتنة
وأقتله لشجاع بطل
فليت الظعينة فى بيتها
وليتك عكرم ترتحل
وقد ذكر المدائنى أنه رأى
بالبصرة رجلا مصطلم الاذن
فساله عن قصته فذكر
انه خرج يوم الجمل ينظر
الى القتلى فنظر الى رجل
منهم يخفض رأسه ويرفعه
وهو يقول
لقد أورد تنا حومة الموت
أمنا
فلم ننصرف الا ونحن رواء
أطعنا بنى تيم لشقوة جدنا
وما تيم الا أعبد واماء
فقلت سبحان الله أتقول
هذا عند الموت قل لا اله الا
الله فقال يا ابن اللخناء اياى
تأمر بالجزع عند الموت
فوليت عنه متعجبا منه
فصاح بى ادن منى لقنى
الشهادة فصرت اليه فلما
قربت منه استدنانى ثم
التقم اذنى فذهب بها
فجعلت ألعنه وادعو عليه
فقال اذا صرت الى املك
فقالت من فعل هذا بك

فقل عمير بن الاهلب الضبى مخدوع المرأة التى ارادت ان تكون امير المؤمنين وخرجت عائشة من البصرة

وغيرهما البسهن العمائم وقلدهن السيوف وقال لهن لا تعلمن عائشة انكن نسوة كأنكن رجال وكن اللاتى تلين خدمتها وحملها فلما اتت المدينة قيل لها كيف رايت مسيرك قالت كنت بخير والله لقد اعطى على بن ابى طالب فاكثر ولكنه بعث معى رجالا فعرفها النسوة امرهن فسجدت وقالت ما ازددت والله يا ابن ابى طالب الا كرما وودت انى لم أخرج وان اصابتنى كيت وكيت من امور ذكرتها وانما قيل لى تخرجين فتصلحين بين الناس فكان ما كان وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ان الذى قتل من اصحاب على فى ذلك اليوم خمسة آلاف ومن اصحاب الجمل وغيرهم من اهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر الفا وقيل غير ذلك ووقف على على عبد الرحمن بن عتاب ابن اسيد بن ابى العاص ابن امية وهو قتيل يوم الجمل فقال لهفى عليك يعسوب قريش قتلت الغطاريف من بنى عبد مناف شفيت نفسى وجدعت انفى فقال له الاشتر ما أشد جزعك

ايام خلعك فهل قلت ايام امرك قال نعم لما قتل اهل المرية ابن مخلوف عامل عبد المؤمن واكرهونى ان اتولى امرهم قلت

ارى فتنا تكشف عن لظاها * رمادا بالنفاق له انصداع
وآل بها النظام الى انتثار * وسادبها الاسافل والرعاع
سأجعل كل ما جشمت منها * بصدر فيه للهول اتساع

واصل بنى الرميمى من بنى امية ملوك الاندلس ونسبوا الى رميمه قرية من اعمال قرطبة وقال ابو بحر يوسف بن عبد الصمد

فوصلت اقطار الغير اجبة * ومدحت اقواما بغير صلات
اموال اشعارى نمت فتكاثرت * فجعلت مدحى للبخيل زكاتى

وهذا من غريب المعانى وفى بنى عبد الصمد يقول بعض اهل عصرهم لما راى من كثرة عددهم والتئامهم بالسلطان

ملأت قلبى هموما مثل ما * ملأ الدنيا بنو عبد الصمد
كاثر الشيخ أبوهم آدما * فغدا أكثر نسلا وولد
كلهم ذئب أذا أمنته * والرعايا بينهم مثل النقد

وكان الوزير الكاتب أبو جعفر أحمد بن عباس وزير زهير الصقلى ملك المرية بذا الناس فى وقته باربعة أشياء المال والبخل والعجب والكتابة قال أبو حيان وكان قبل محنته صير هبيراه أوقات لعب الشطرنج أو ما يسنح له هذا البيت

عيون الحوادث عنى نيام * وهضمى على الدهر شئ حرام

وذاع هذا البيت فى الناس حتى قلب له مصراعه الاخير بعض الادباء فقال

سيوقظها قدر لا ينام وكان حسن الكتابة جميل الخط مليح الخطاب غزير الادب قوى المعرفة مشاركا فى الفقه حاضر الجواب جماعا للدفاتر حتى بلغت أربعمائة ألف مجلد وأما الدفاتر المخرومة فلم يوقف على عددها لكثرتها وبلغ ماله خمسمائة ألف مثقال جعفريه سوى غير ذلك وكان مقتله بيد باديس بن حيون ملك غرناطة وكفى دليلا على اعجابه قوله

لى نفس لا ترتضى الدهر عمرا * وجميع الانام طرا عبيدا
لو ترقت فوق السماك محلا * لم تزل تبتغى هناك صعودا
أنا من تعلمون شيدت مجدى * فى مكانى ما بين قومى وليدا

وكان يتهم بداء أبى جهل فيما ينقل حتى كتب بعض الادباء على برجه بالمرية

خلوت بالبرج فاذا الذى * تصنع فيه يا سخيف الزمان

فلما نظر اليه أمر أن يكتب

أصنع فيه كل ما اشتهى * وحاسدى خارجه فى هوان

وكان الاعمى التطيلى شاعرا مشهورا وكان الصبيان يقولون له تحتاج كحلا يا أستاذ فكان ذلك سبب انتقاله من مرسية وقيل له يا أبا بكر لم تقع فى الناس فقال أنا أعمى وهم

يعلمهم يا أمير المؤمنين وقد أرادوا بك ما نزل بهم فقال لى انه قامت عنى وعنهم نسوة لم يقمن عنك واصيب

لا يبرحون حفرا فما عذري في وقوعي فيهم فقال له السائل والله لا كنت قط حفرة لك وجعل يواليه بره ورفده ومن شعره

وجوه تعز علي معشر * ولكن تهون على الشاعر
قرونهم مثل ليل المحب * وليل المحب بلا آخر

وله

زنجيكم بالفوق داري * يدلى من الحرص كالحمار
يخلو بنجل الوزير سرا * فيوجع الليل في النهار

ومن شعر أبي جعفر أحمد بن الخيال الاستجي كاتب ابن الاحمر فيمن اسمه فضل الله

من الناس من يؤتى بنقد ومنهم * بكره ومنهم من يناك اذا انتشى
ومنهم فتى يؤتى على كل حالة * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

ولعبد الملك بن سعيد الخازن

ما حمدناك اذ وقفنا ببابك * للذي كان من طويل حجابك
قد ذممنا الزمان فيك فقلنا * أبعد الله كل دهر أتى بك

وقال في المسهب كنت بمجلس القاضي ابن حمدين وقد أنشده شعراء قرطبة وغيرها وفي الجملة هلال شاعر غرناطة ومحمد بن الاستجي شاعر استجة الملقب برحكون فقام الاستجي وأنشده قصيدة منها

اليك ابن حمدين انتخلت قصائدا * بهار قصت في القضب ورق الحمائم
أنا العبد لكن بالمودة أشترى * اذا كان غيري يشترى بالدراهم

فشكره ابن حمدين ونبه على مكان الاحسان فحسده هلال البياني على ذلك فلما فرغ من القصيدة قال له هلال أعد على البيت الذي فيه ورق الحمائم فاعاده فقال له لو أزلت النقطة عن الحاء كنت تصدق فقال له في الحين ولو أزلت أنت النقطة عن العين كنت تحسن وكان على عين هلال نقطة فكان ذلك من الاتفاق العجيب والجواب الغريب وعمل فيه * ولما قال المقدم بن المعافى في رثاء سعيد بن جودي

من ذا الذي يطعم أو يكسو * وقد غدا حلف الندى الرمس
لا اخضرت الارض ولا أورق الـ * ـعود ولا اشرقت الشمس
بعد ابن جودي الذي ان ترى * اكرم منه الجن والانس

فقيل له أترثيه وقد ضربك فقال والله انه نفعني حتى بذنوبه ولقد نهاني ذلك الادب عن مضار جمة كنت اقع فيها على راسي افلا أرعى له ذلك والله ما ضربني الا وانا ظالم له افابقى على ظلمي له بعد موته وقيل له لم لا تهجو مؤمن بن سعيد فقال لا اهجو من لو هجا النجوم ما اهتدى احد بها * وقال عبد الملك بن مروان بن نظيف

لا اشرب الراح الا * مع كل خرق كريم
ولست اعشق الا * ساجي الجفون رخيم

ومدح هلال البياني ابن حمدين بقصيدة اولها

عرج على ذاك الجناب العالي * واحكم على الاموال بالآمال

اليوم الذي وجد فيه الكف بعد يوم الجمل بثلاثة أيام ودخل على بيت مال الكوفة في جماعة من المهاجرين والانصار فنظر الى ما فيه من العين والورق فجعل يقول يا صفراء غري غيري وادام النظر الى المال مفكرا ثم قال اقسموه بين اصحابي ومن معي خمسمائة خمسمائة ففعلوا فانقص درهم واحد وعدد الرجال اثنا عشر الفا وقبض ما كان في عسكرهم من سلاح ودابة ومتاع وآلة وغير ذلك فباعه وقسمه بين اصحابه واخذ لنفسه ما أخذ لكل واحد ممن معه من اصحابه واهله خمسمائة درهم فاتاه رجل من اصحابه فقال يا امير المؤمنين اني لم آخذ شيأ وخلفني عن الحضور كذا وادلى بعذر فاعطاه الخمسمائة التي كانت له وقيل لابي لبيد الجهمي من الازد أتحب عليا قال وكيف أحب رجلا قتل من قومي في بعض يوم ألفين وخمسمائة وقتل من الناس حتى لم يكن أحد يعزي أحدا واشتغل أهل كل بيت بمن لهم وولي على على البصرة عبد الله بن عباس

وسار الى الكوفة فكان دخوله اليها لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب وبعث الى الاشعث بن

فيه ابن حمدين الذى لنواله * من كل أرض شد كل رحال

فقال له القاضى ما هذا الوثوب على المدح من اوّل وهلة الا تدرى انهم عابوا ذلك كما عابوا الطول ايضا وان الاولى التوسط فقال له ياسيدى اعذرنى بما لك فى قلبى من الاجلال والمحبة فانى كلما ابتدأت فى مدحك لم يتركنى غرامى فى اسمك الا ان اتركه عند اول بيت فاستحسن ذلك منه وأحسن اليه ومن هذه القصيدة

قاض موال بره ونواله * فله جميع العالمين موالى

وكان يهوى وسيما من متأدبى قرطبة فصنع فيه شعرا انشده منه

وكأن عينى برعى النجم فى الظلم * وعبرتى قد غدت ممزوجة بدمى

فقال له الغلام انت لا تبرح بكوكب من عينك ليلا ولا نهارا وعاشقا وغير عاشق فجعل هلال وكان على عينه نقطة * وحكى ابن حيان ان الامير عبد الرحمن عثرت به دابته وهو سائر فى بعض اسفاره وتأطأت فكاد يكبو لفيه ولحقه جزع وتمثل اثره بقول الشاعر

* وما لا نرى مما يقى الله أكثر * وطلب صدر البيت فعز به عنه وأمر بالسؤال عنه فلم يوجد من يحفظه الا الكاتب محمد بن سعيد الزجالى وكان يلقب بالاصمعى لذكائه وحفظه فانشد الامير * نرى الشمس مما يتقى فنهابه * فاعجب الامير واستحسن شكله فقال له الزم السرادق وأعقب ابنا يسمى حامدا وحضر مع الوزير عبد الواحد بن يزيد الاسكندرانى فى مجلس فيه رؤساء فعرض عليهم فرس مطهم فتمثل فيه عبد الواحد بقول امرئ القيس * يريد السرى بالليل من خيل بربرا * ففهم الزجالى انه عرض بأنه من البربر فلم يحتمل ذلك وأراد الجواب فقال مدمجا لما أراده ومعرضا أحسن عندى من ليل يسرى بى فيه على مثل هذا يوم على الحال التى قال فيها القائل

ويوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وانما عرض للاسكندرانى بأنه كان يشهد مجالس الراحات فى أوّل أمره ومعرفة الغناء فقلق الوزير وشكاه الى الحاجب عيسى بن شهيد فاجتمع مع الزجالى وأخذ معه فى ذلك فحكى له الزجالى ما جرى من الاوّل الى الآخر وأنشد

وما الحر الا من يدين بمثل ما * يدان ومن يخفى القبيح وينصف

هم شرعوا التعريض قذفا فعندما * تبعناهم لاموا علينا وعنفوا

ومن نوادر ابنه حامد انه غلط امامه فى قوله تعالى الزانية والزانى بأن قال فانكحوهما فاشده حامد

أبدع القارئ معنى * لم يكن فى الثقلين

أمر الناس جميعا * بنكاح الزانيين

وقال لبعض أصحابه حينئذ أما سمعت ما أتى به امامنا من تبديل الحدود تضاحكا * وكتب الوزير أبو عبد الله بن عبد العزيز الى المنصور وصاحب بلنسية ويعرف بالمنصور الصغير قطعة أوّلها

يا أحسن الناس آدابا وأخلاقا * وأكرم الناس أغصانا وأوراقا

قيس يعزله عن أذربيجان من العزل وما خاطبه به حين قدم عليه فيما اقتطع هنالك من الاموال ووجه بجرير بن عبد الله الى معاوية وقد كان جرير قال لعلى ابعثنى اليه فانه لم يزل لى مستنصحا وواداً فأتيه وأدعوه الى أن يسلم هذا الامر وأدعو أهل الشام الى طاعتك فقال الاشتر لا تبعثه ولا تصدقه فوالله انى لاظن هواه هواهم ونيته نيتهم فقال على دعه حتى ننظر ما يرجع به الينا فبعثه وكتب الى معاوية معه يعلمه مبايعة المهاجرين والانصار اياه واجتماعهم عليه ونكث الزبير وطلحة وما أوقع الله بهما ويأمره بالدخول فى طاعته ويعلمه أنه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة فلما قدم عليه جرير دافعه وساءله ان ينتظره وكتب الى عمرو بن العاص على ما قدمنا فى صدر هذا الباب فاشار عليه عمرو بالبعثة الى وجوه الشام وان يلزم عليا دم عثمان ويقاتلهم به فقدم جرير على على فاخبره خبرهم واجتماع اهل الشام مع معاوية على قتاله وانهم يكونون على عثمان ويقولون ان عليا قتله وآوى قتلته ومنع منهم وانهم لا بد لهم من قتاله حتى يفنوه او يفنيهم فقال الاشتر قد كنت اخبرتك

ويا حيا الارض لم فكبت عن سنني * وسقت نحوى ارعادا وابراقا
و يا سني الشمس لم اظلمت في بصري * وقد وسعت بلاد الله اشراقا
من اى باب سعت غير الزمان الى * رحيب صدرك حتى قيل قد ضاقا
قد كنت احسبني من حسن رأيك لي * أني أخذت على الايام ميثاقا
فالآن لم يبق لي بعد انحرافك لي * أسى عليه وأبدى منه اشفاقا

فاجابه بهذه القطعة

مازلت اوليك اخلاصا واشفاقا * وانثني عنك مهما غبت مشتاقا
وكان من أملي ان أقتنيك أخا * فاخفق الامل المأمول اخفاقا
فقلت غرس من الاخوان أكلؤه * حتى أرى منه أثمارا واوراقا
فكان لما زها ازهاره ودنا * اثمارها حنظلا لما لمن ذاقا
فلست اول اخوان سقيتهم * صفوى واعلقتهم بالقلب اعلاقا
فاجزوني باحساني ولا عرفوا * قدري ولا حفظوا عهدا وميثاقا

والوزير المذكور قال في حقه في المطمح انه وزير المنصور بن عبد العزيز ورب السبق في وده والتبريز ومنقض الامور ومبرمها ومحمد المتن ومضرمها اعتقل بالرهى واستقل بالامر والنهى على انتهاض بين الاكفاء واعتراض المحول سومه والاعفاء فاستمر غير مراقب وامر ماشاء غير ممتثل للعواقب ينتضى عزائم تنتضى فان المت من الايام مظلمة اضا الى ان اودى وغارمنه الكوكب الاهدى فانتقل الامر الى ابنه ابى بكر فناهيك من اى عرف ونكر فقدر بى على الدها وماصبا الى الظبية والمها واستقل بالهول يقتحمه والامر يسديه ويلحمه فاى ندى افاض واى اجنحة بمدى ماض فانقادت اليه الآمال بغير خطام ووردت من نداه بحر طام ولم يزل بالدولة قائما وموقظا من بهجتها ما كان نائما الى ان صار الامر الى المأمون بن ذى النون اسد الحروب ومسدد الثغور والدروب فاعتمد عليه واتكل ووكل الامر الى غيروكل فما تعدى الوزارة الى الرياسة ولا تردى بغير التدبير والسياسة فتركه مستبدا ولم يجد من ذلك بدا وكان ابو بكر هذا ذا رفعة غير متضائلة وآرا لم تكن T فلذ ادرك بها ما احب وقطع غارب كل منافس وجب الى ان طلعه العمر وانضاه واغمده الذى انتضاه فخلا الامر الى ابنيه فتبلدا في التدبير ولم يفرقا بين القبيل والدبير فغلب عليهما القادر بن ذى النون وجلب اليهما كل جلب ما خلا المنون فانجلوا بعدما القوا ما عندهم وتخلوا وكان لابى عبد الله نظم مستبدع يوضع بين الجوانح ويودع انتهى المقصود من الترجمة * وكان للوزير ابى الفرج ابن مكبود قد اعياه علاجه وتهيأ للفساد مزاجه فدل على خمر قديمة فلم يعلم بها الا عند حكم وكان وسيما للحس قسيما فكتب اليه

ارسل بها مثل ودك * ارق من ماء خدك
شقيقة النفس فانضح * بها جوى ابنى وعبدك

وكتب رحمه الله تعالى معتذرا عما جناه منذرا

واقام حتى لم يدع بابا نرجو منه الا فتحه ولا بابا يخاف منه الا أغلقه فقال جرير لو كنت ثم لقتلوك والله لقد ذكروا انك من قتلة عثمان قال الاشتر لو اتيتهم والله يا جرير لم يعيني جوابهم ولا ثقل على خطابهم ولحملت معاوية على خطة اعجلته فيها عن الفكر ولو اطاعني امير المؤمنين قبل لحبسك واشباهك في محبس فلا تخرجون منه حتى يستقيم هذا الامر فخرج جرير عند ذلك الى بلاد قرقيسيا والرحبة من شاطئ الفرات وكتب الى معاوية يعلمه ما نزل به وأنه أحب مجاورته والمقام في داره فكتب اليه معاوية بالمسير اليه وبعث معاوية الى المغيرة بن شعبة التقفي عند منصرف على من الجمل وقبل مسيره الى صفين بكتاب يقول فيه قد ظهر من رأى ابن أبي طالب ما كان يقدم من وعده لك في طلحة والزبير فما الذى بقي في رأيه فينا وذلك أن المغيرة بن شعبة لما قتل عثمان وبايع الناس عليا دخل عليه المغيرة فقال يا أمير المؤمنين ان لك عندى نصيحة فقال وما هى قال ان أردت أن يستقيم لك ما أنت فيه فاستعمل طلحة بن عبيد الله على الكوفة والزبير بن العوام على البصرة وابعث الى معاوية

ماتغيبت عنك الا لعذر * ودليلي في ذاك حرصي عليكا
هبك ان الفرار من غير ذنب * اتراه يكون الا اليكا

وقال في المطمح في حق ابي الفرج من ثنية رياسة وعثرة نفاسة ما منهم الا من تحلى بالامارة وتردى بالوزارة واضاء في آفاق الدول ونهض بين الخيل والخول وهو احد امجادهم ومتقلد نجادهم فاقهم أدبا ونبلا وباراهم كرما وتحالا وبلا الا انه بقي وذهبوا ولقي من الايام ما رهبوا فعاين تنكرها وشرب عكرها وجال في الآفاق واستدر أخلاف الارزاق وأجال الرجاء قداحا متواليات الاخفاق فاخجل قدره وتوالى عليه جور الزمان وغدره فاندفنت آثاره وعفت أخباره وقد أثبت له بعض ما قاله وحاله قد أدبرت والخطوب اليه قد انبرت أخبرني الوزير الحكيم أبو محمد المصري وهو الذي آواه وعنده استقرت نواه وعليه كان قادما وله كان منادما انه رغب اليه في أحد الايام أن يكون من جملة ندمائه وأن لا يحجب عنه وتكون منة من أعظم نعمائه فاجابه بالاسعاف واستساغ منه ما كان يعاف لعلمه بقلته وافراط خلته فلما كان ذلك اليوم كتب اليه

أنا قد أبهت بكم وكلكم هدى * وأحقكم بالشكر مني السابق
فالشمس أنت وقد أطل طلوعها * فاطلع وبين يديك فجر صادق

انتهى

وقال الوزير أبو عامر بن مسلمة

حج الحجيج منى ففازوا بالمنى * وتفرقت عن خيفه الاشهاد
ولنا بوجهك حجة مبرورة * في كل يوم تنقضي وتعاد

وقال الفتح في حقه ما صورته بيت شرف باذخ ومفخر على ذوائب الجوزاء شامخ وزروا للخلفاء فانتجعتهم الادباء واتبعتهم العظماء وانتسبت لهم النعماء وتنفست عن نور بهجتهم الظلماء وابو عامر هذا هو جوهرهم المنتخل وجوادهم الذي لا يبخل وزعيمهم المعظم وسلك مفخرهم المنظم وكان فتى المدام ومستقى الندام وأكثر من النعت للراح والوصف وآثر الافراح والقصف وارى قينات السرور مجلوة وآيات الحسن متلوة وله كتاب سماه حديقة الارتياح في وصف حقيقة الراح واختص بالمعتضد اختصاصا جرعه رداه وصرعه في مداه فقد كان في المعتضد من عدم تحفظه للارواح وتهاونه باللوام في ذلك والالواح فاطمان اليه أبو عامر واغتر وأنس الى ما ابسم من مؤانسته وافتر حتى أمكنته في اغتياله فرصة لم يعلق بها حصة ولم يضيق عليه الا انه زلت به قدمه فسقط في البحيرة وانكفا ولم يعلم به الا بعد ما طفا فاخرج وقد قضى وادرج منه في الكفن حسام الجد منتضى فمن محاسنه قوله يصف السوسن وهو مما ابدع فيه واحسن

وسوسن راق مرآه ومخبره * وجل في اعين النظار منظره
كانه اكؤس البلور قد صنعت * مسدسات تعالى الله مظهره
وبينها ألسن قد طوقت ذهبا * من بينها قائم بالملك يؤثره

(ذكر جوامع مما كان بين اهل العراق واهل الشام بصفين)

الى

بعهده على الشام حتى تلزمه رأي فيهما وامامعاوية فلا والله لا رأى الله أستعين به مادام على أبدا ولكني ادعوه الى ما عرفته فان اجاب والا حاكمته الى الله فانصرف المغيرة وقال نصحت عليا في ابن هند مقالة فردت فلا يسمع لها الدهر ثانيه

وقلت له أرسل اليه بعهده على الشام حتى يستقر معاويه

ويعلم اهل الشام أن قد ملكته

وام ابن هند عند ذلك هاويه

فلم يقبل النصح الذي جئته به

وكانت له تلك النصيحة كافيه

(قال المسعودي) رحمه الله وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ما كان من المغيرة مع علي وما اشار به وهذا احد الوجوه المروية في ذلك فهذه جوامع ما يحتاج اليه من اخبار يوم الجمل وما كان فيه دون الاكثار والتطويل وتكرار الاسانيد في ذلك والله ولي التوفيق

الى ان قال واجتمع بجنبة بخارج اشبيلية مع اخدان له علية فبينما هم يديرون الراح ويشربون من كاسها الافراح والجوصاح اذ بالافق قد غيم وارسل الديم بعد ما كسا الجو بمطارف الرذاذ واشعر الغصون دهر قباذ والشمس منتقبة بالسحاب والرعد يبكيها بالانتحاب فقال

يوم كأن سحابه * لبست عمامات الصوامت
حجبت به شمس الضحى * بمثال اجنحة الفواخت
والغيث يبكى فقدها * والبرق يضحك مثل شامت
والرعد يخطب مفصحا * والجو كالمحزون ساكت

وخرج الى تلك الخميلة والربيع قد نشر رداه ونثر على معاطف الغصون نداه فاقام بها وقال

وخميلة رقم الزمان اديمها * بمفضض ومقسم ومشوب
رشفت قبيل الصبح ريق غمامة * رشف المحب مراشف المحبوب
وطردت فى أكنافها ملك الصبا * وقعدت واستوزرت كل أديب
وادرت فيها الدهر كاس مدامة * مع كل وضاح الجبين مهوب

وقال الوزير الكاتب أبو حفص أحمد بن برد

قلبى وقلبك لا محالة واحد * شهدت بذلك بيننا الالحاظ
فتعال فلنغظ الحسود بوصلنا * ان الحسود بمثل ذاك يغاظ

وقال يا من حرمت لذاذتى بمسيره * هذى النوى قد صيرت لى خدها
زودجفونى من جمالك نظرة * والله يعلم ان رأيتك بعدها

وقال فى المطمع فى ابن برد المذكور انه غذى بالادب وعلا الى أسمى الرتب ومامن أهل بيته الا شاعر كاتب ملازم لباب السلطان مراقب ولم يزل فى الدولة العامرية بسبق يذكر وحق لا ينكر وهو بديع الاحسان بليغ القلم واللسان ملبح الكتابة فصيح الخطابة وله رسالة السيف والقلم وهو أول من قال بالفرق بينهما وشعره مثقف المبانى مرهف كالحسام اليمانى وقد أثبت منه ما يلهيك سماعا ويريك الاحسان لماعا فمن ذلك قوله يصف النهار

تأمل فقد شق النهار كما ترى * وأبرز عن نوّاره الخضل الندى
مداهن تبر فى أنامل فضة * على أذرع مخروطة من زبرجد

وله يصف معشوقا أهيف القد ممشوقا أبدى صفحة ورد وبدا فى ثوب لازورد

لما بدا فى لازور * دى الحرير وقد بهر
كبرت من فرط الجمال * لو قلت ما هذا بشر
فأجابنى لا تنكرن * ثوب السماء على القمر

وقال الوزير الكاتب أبو جعفر بن اللمائى

أما فديتك كما نستلم * منازل سلمى على ذى سلم

عنه بالبصرة وما كان يوم الجمل فلنذكر الآن جوامع من سيره الى صفين وما كان فيها من الحروب ثم نعقب ذلك بشأن الحكمين والنهروان ومقتله عليه السلام وكان سيره على من الكوفة الى صفين لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عامر الانصارى فاجتاز فى مسيره بالمدائن ثم أتى الانبار وسار حتى نزل الرقة فعقد له هناك جسرا فعبر الى جانب الشام وقد تنوزع فى مقدار ما كان معه من الجيش فكثر ومقلل والمتفق عليه من قول الجميع تسعون ألفا وقال رجل من أصحاب على لما استقر وا ما بالى الشام من أبيات كتب بها الى معاوية

اثبت معاوى قد أتاك الحافل
تسعون ألفا كلهم مقاتل
عما قليل يضمحل الباطل

وسار معاوية من الشام وقد تنوزع فى مقدار من كان معه فكثر ومقلل والمتفق عليه من قول الجميع خمس وثمانون ألفا فسبق عليا الى صفين

وعسكر فى موضع سهل افيح اختاره قبل قدوم على على شريعة لم يكن على الفرات فى ذلك الموضع

أسهل منها للوارد الى الماء بالشريعة مع أربعين ألفا وكان على مقدمته وبات على وجيشه في البرعطاشا قد حيل بينهم وبين الورود الى الماء فقال عمرو بن العاص لمعاوية ان عليا لايموت عطشا هو وتسعون ألفا من أهل العراق وسيوفهم على عواتقهم ولكن دعهم يشربون ونشرب فقال معاوية لا والله أو يموتوا عطشا كما مات عثمان وعلى يدور في عسكره بالليل فسمع قائلا وهو يقول

أيمنعنا القوم ماء الفرات ... وفينا الرماح وفينا الخيف
وفينا على له صولة ... اذا خوّفوه الردى لم يخف
ونحن غداة لقينا الزبير ... وطلحة خضنا غمار التلف
فحابا لنا الامس أسد العرين ... وحابا لنا اليوم شاة النجف
وألقى في فسطاط الاشعث ابن قيس رقعة فيها
لئن لم يحل الاشعث اليوم كربة ... من الموت عنا للنفوس تعلت
ونشرب من ماء الفرات بسيفه ... فهينا اناسا قبل كانوا افترت

فلما قرأها حمي وأتى عليا رضي الله عنه فقال له اخرج في أربعة آلاف من الخيل حتى تهجم في وسط عسكر معاوية فتشرب

وماعداها أنواق عالية ومواضع الى الماء وعرة ووكل أبا الاعور السلمي

منازل كنت بها نازلا * زمان الصبا بين جيد وفم
أما تجدن الثرى عاطرا * اذا ما الرياح تنفسن ثم

وقال في المطمح فيه امام من أئمة الكتابة ومفجر ينبوعها والظاهر على مصنوعها بمطبوعها اذا كتب نثر الدر في المهارق ونمت فيه أنفاسه كالمسك في المهارق وانطوى ذكره على انتشار احسانه مع امتداد لسانه فلم تظل لدوحته فروع ولا اتصل لها من نهر الاحسان كروع فاندفنت محاسنه من الاهمال في قبر وانكسرت الآمال بعدم بدائعه كسرا بعد جبر وكان كاتب علي بن حمود العلوي وذكر انه كان يرتجل بين يديه ولا يروّي فيأتي على البديه بما يفعله المروّي و بديه فمن ذلك ما كتب به متفننا من ضمن رسالة روض القلم في فنائك مونق وغصن الادب بمائك مورق وقد قذف بحر الهند درره و بعث روض نجد زهره فاهدى ذلك على يدي فلان الجاري في جهده على مباني قصده

*وقال الوزير حسان بن مالك بن أبي عبدة في المهرجان

أرى المهرجان قد استبشرا * غداة بكى المزن واستعبرا
وسر بلت الارض امواهها * وجللت السندس الاخضرا
وهز الرياح صنابيرها * فضوّعت المسك والعنبرا
تهادى به الناس الطافه * وسامى المقل به المكثرا

وقال في حقه في المطمح من بيت جلالة وفخر أصالة كانوا مع عبد الرحمن الداخل وتوغلوا معه في متشعبات تلك المداخل وسعوا في الخلافة حتى حضر مبايعها وكثر مشايعها وجدوا في الهدنة وانعقادها وأخذوا نار الفتنة عند اتقادها فانبرمت عراها وارتبطت أولاها وأخراها فظهرت البيعة وانتخت وأعلنت الطاعة وأفصحت وصاروا تاج مفرقها ومنهاج طرقها وهو ممن بلغ الوزارة بعد ذلك وأدركها وحل مطلعها وفلكها مع اشتهار في اللغة والآداب والنحاط في سلك الشعراء والكتاب وابداع لما ألف وانتهاض بما تكلف ودخل على المنصور و بين يديه كتاب ابن السري وهو به كلف وعليه معتكف فخرج وعمل على مثاله كتابا سماه بديعة وعقيل جرد له من ذهنه أي سيف صقيل وأتى به منتسخا مصوّرا في ذلك اليوم من الجمعة الاخرى وأبرزه والحسن يتبسم عنه ويتفرى فسر به المنصور وأعجب ولاغاب عن بصره ساعة ولا عجب وكان له بعد هذه المدة حين أدجت الفتنة ليلها وأزجت ابلها وخيلها اغتراب كاغتراب الحرث بن مضاض واضطراب بين القوافي والمواضي كالحية النضناض ثم اشتهر بعد وافترله السعد وفي تلك المدة يقول يتشوّق الى أهله

سقى بلدا أهلي به واقاربي * غواد بأثقال الحيا ورواتح
وهبت عليهم بالعشي و بالضحى * نواسم برد والظلال فوائح
تذكرتهم والنأي قد حال دونهم * ولم أنس لكن أو قد القلب لافح
وما شجاني هاتف فوق أيكة * ينوح ولم يعلم بما هو نائح
فقلت اتئد يكفيك أني نازح * وأن الذي أهواه عني نازح

ولى صبية مثل الفراخ بقفرة * متى خاضتا فيها طحتها الطوائح
اذا عصفت ريح أقامت رؤسها * فلم يلقها الا طيور بوارح
فمن لصغار بعد فقد أبيهم * سوى سانح فى الدهر لو عن سانح

واستوزره المستظهر عبد الرحمن بن هشام أيام الفتنة فلم يرض بالحال ولم يمض فى ذلك الانتحال وتثاقل عن الحضور فى كل وقت وتغافل فى ترك الغرور بذلك المقت وكان المستظهر يستبد بأكثر تلك الامور دونه وينفرد معفيا عنه شؤنه فكتب اليه

اذا غبت لم أحضر وان جئت لم أسل * فسيان منى مشهد ومغيب
فأصبحت تيما وما كنت قبلها * لتيم ولكن الشبيه نسيب

وله رأت طالعا للشيب بين ذوائبى * فباحت بأسرار الدموع السواكب
وقالت أشيب قلت صبح تجار بى * انا رعلى أعقاب ليل نوائبى

ولما مات رثاه الوزير أبو عامر بن شهيد بقوله

أى كل عام مصرع لعظيم * أصاب المنايا حادثى وقديمى
وكيف اهتدائى فى الخطوب اذا دجت * وقد فقدت عيناى ضوء نجوم
مضى السلف الوضاح الا بقيته * كغرة سود القميص بهيم
فان ركبت منى الليالى هضيمة * فقبلى ما كان اهتضام تميم
أبا عبدة انا غدرنالك عندما * رجعنا وغادرنالك غير ذميم
أنخذل من كنا نروض بأرضه * ونكرع منه فى اناء علوم
ويجلو العمى عنا بأنوار رأيه * اذا أظلمت ظلماء ذات غيوم
كأنك لم تلقح بريح من الحجا * عقائم افكار بغير عقيم
ولم نعتمد مغنالك غدوا ولم نزر * رواحا لفضل الحكم دار حكيم انتهى

وقال الوزير الفقيه ابو ايوب بن امية

أمسك دار بين حيالك النسيم به * ام عنبر الشحر ام هذى البساتين
بشاطئ الروض حيث الروض مؤتلق * والراح تعبق ام تلك الرياحين

وجلاه فى المطمع بقوله واحد الاندلس الذى طوقها فخارا وطبقها باوانه افتخارا ماشئت من وقار لا تحيل الحركة سكونه ومقدار يتمنى مخبر أن يكونه اذا لاح رايت المجد مجتمعا واذا فاه اضحى كل شئ مستمعا تكتحل منه مقل المجد وتنتحل المعالى افعاله انتحال ذى كلف بهاو وجد لو تعرفت فى الخلق سجاياه لحمدت الشيم واستسقيت بحياه لما استمسك الديم ودعى للقضاء فارضى واعفى عنه فكانه ما استقضى لديه تثبتت الحقائق وتبينت العلائق وبين يديه يسلك عين الجدد ويدع الالد الدد وله ادب اذا حاضر به فلا البحر اذا عصف ولا ابو عثمان اذا وصف مع حلاوة فيما شاءه تستهوى تحبيره وانشاءه وقد اثبت له بدعا يثنى اليها الاحسان جيدا واخدعا فمن ذلك قوله فى منزل حله متنزها

يا منزل الحسن اهواه وآلفه * حقا لقد جمعت فى صحنك البدع

بعد ما طارت كلانا * طيرة مست لهانا فله المن علينا * وبه درات رحانا

الاشعث وهو يقول مرتجزا

لاوردن خيلى الفراتا

شعث النواصى أو يقال ماتا

ثم دعا على الاشتر فسرحه فى أربعة آلاف من الخيل والرجالة فصار يؤم الاشعث صاحب رايته وهو رجل من النخع يرتجز ويقول

يا أشتر الخيرات يا خير النخع
وصاحب النصر اذا عال الفزع
قد خرج القوم وعالوا بالفزع
ان تسقنا اليوم فما هو بالبدع

ثم سار على رضى الله عنه وراء الاشتر بباقى الجيش ومضى الاشعث فارد وجهه حتى هجم على عسكر معاوية فازال أبا الاعور عن الشريعة وغرق منهم بشرا وخيلا وأورد خيله الفرات وذلك ان الاشعث داخلته الحمية فى هذا اليوم وكان يقدم رمحه ثم يحث أصحابه فيقول ارجوهم مقدار هذا الرمح فيزيلوهم عن ذلك المكان فبلغ ذلك من فعل الاشعث عليا فقال هذا اليوم نصرنا فيه بالحمية وفى ذلك يقول رجل من أهل العراق

كشف الاشعث عنا
كربة الموت عيانا
وارتحل معاوية عن

الموضع وورد الاشتر وقد
فى الموضع الذى كان فيه
معاوية فقال معاوية
لعمرو بن العاص يا أبا
عبد الله ما ظنك بالرجل
اتراه يمنعنا الماء لمنعنا اياه
وقد انحاز باهل الشام الى
ناحية فى البرنا شيأ عن
الماء فقال له عمرو لان
الرجل جاء لغير هذا وانه
لا يرضى حتى تدخل فى
طاعته أو يقطع حبال
عاتقك فارسل اليه معاوية
يستأذنه فى وروده مشرعته
واستقاء الناس من طريقه
ودخل رسله عسكره فاباحه
على كل ماسال وطلب منه
ولما كان أول يوم من ذى
الحجة بعد نزول على على
هذا الموضع بيومين بعث
الى معاوية يدعوه الى
اتحاد الكلمة والدخول
فى جماعة المسلمين وطالت
المراسلة بينهما فاتفقوا على
الموادعة الى آخر المحرم سنة
سبع وثلاثين وامتنع
المسلمون عن الغزو فى
البحر والبر لشغلهم بالحروب
وقد كان معاوية صالح
ملك الروم على مال يحمله
اليه لشغله بعلى ولم يتم بين
على ومعاوية صلح على غير
ما اتفقا عليه من الموادعة
فى المحرم وعزم القوم على
الحرب بعد انقضاء المحرم

لله ما اصطنعت نعماك عندى * يوم نعمت به والشمل مجتمع

وحل منية صهره الوزير ابى مروان بن الدب بعدوة اشيلية المطلة على النهر المشتملة على بدائع الزهر وهو معرس ببنته فأقام بها اياما متأنسا ولجذوة السرور مقتبسا واولاه من التحف واهدى اليه من الطرف ما غمر كثره وبهر نفاسة واثره فلما ارتحل وقد اكتحل من حسن ذلك الموضع بما اكتحل كتب اليه

قل للوزير وابن الشكر من منن * جاءت على سنن تترى وتتصل
غشيت معتنك والروض الانيق به * يندى وصوب الحيا يهمى وينهمل
وجال طرفى فى ارجائه مرحا * وقت اجتيازى يستعلى ويستفل
يرنو بلفتته حيث ارتمى زهر * عليه من منثنى أفنانه كلل
محل أنس نعمنا فيه آونة * من الزمان ووانانا به الأمل

وحل بعد ذلك منتزها بها على عادته فاحتفل فى موالاة ذلك البر واعادته فلما رحل كتب اليه

يا دار أمنك الزما * ن صروفه ونوائبه
ودنت سعودك بالذى * يهوى نزيلك آيبه
فلنعم ماوى الضيف أنـ * ـت اذا تحاموا جانبه
خطر شأوت به الدنا * وأذعنت لك قاطبه

وصنع له ابن عبد الغفور رسالة سماها بالساجعة حذا بها حذو أبى العلاء المعرى فى الصاهل والساجع وبعث بها اليه فعرضها عليه فأقامت عنده أياما ثم استدعاها منه فصرفها اليه وكتب معها بكر زففتها أعزك الله تعالى نحوك وهززت بمقدمها سنانك وسروك فلم ألفظها عن شبع ولا جهلت ارتفاعها عما يحتلى من نوعها ويستمع ولكن لما أنست من أنسك بانتجاعها وحرصك على ارتجاعها دفعت فى صدر الولوع وتركت بينها وبين مجاشمها ثلاث الربوع حيث الادب غض وماء البلاغة مرفض فأسعد أعزك الله بكرتها وسلها عن افانين معرتها بما تقطفه من ثمارك وتغرفه من بحارك وترتاح له ولاخوانه من نتائج أفكارك وانها لشنشنة أعرفها فيكم من أخزم وموهبة حزتموها وأحرزتم السبق فيها منذ كم انتهى * وابن عبد الغفور هو الوزير أبو القاسم الذى قال فيه الفتح فتى زكا فرعا وأصلا وأحكم البلاغة معنى وفصلا وجرد من ذهنه على الاغراض نصلا قد هابه وفراها وقدح زند المعالى حتى أورأها مع صون يد تديه ولا يكاد يبديه وشيبة ألحقته بالكهول فأقفرت منه ربعها الماهول وشرف ارتداه وسلف اقتدى اثره الكريم وافتداه وله شعر بديع السرد مفوف البرد وقد اثبت له منه ما ألفيت وبالدلالة عليه اكتفيت فمن ذلك قوله

ترکت التصابى للصواب واهله * وبيض الطلى للبيض والسمر للسمر
مدامى مدادى والكؤس محابرى * وندمائى اقلامى ومنقلتى سفرى

وله لا تنكروا اننا فى رحلة أبدا * نحث فى نقف طورا وفى هدف

فنى ذلك يقول حابس بن سعد الطائى صاحب راية معاوية فدهرنا

فادون المنايا غير سبع * بقين من المحرم أو ثمان ولما كان في اليوم الآخر من المحرم قبل غروب الشمس بعث الى أهل الشام اني قد احتجت عليكم بكتاب الله ودعوتكم اليه واني قد نبذت اليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين فلم يردوا عليه جوابا الا السيف بيننا وبينك أو يهلك الاعجز منا وأصبح علي يوم الاربعاء وكان أول يوم من صفر فعبأ الجيش وأخرج الاشتر أمام الناس وأخرج اليه معاوية وقد تصاف أهل الشام وأهل العراق حبيب ابن مسلم الفهري وكان بينهم قتال شديد وانصرفت عن قتلى من الفريقين جميعا وانصرفوا فلما كان يوم الخميس وهو اليوم الثاني أخرج علي هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري المرقال وهو ابن أخي سعد ابن أبي وقاص وانما سمي المرقال لانه كان يرقل في الحرب وكان أعور ذهبت عينه يوم اليرموك وكان من شيعة علي وقد أتينا على خبره في اليوم الذي ذهبت فيه عينه وحسن بلائه في ذلك اليوم في الكتاب الاوسط في فتوح الشام فاخرج اليه معاوية أبا الاعور السلمي وهو سفيان ابن عوف وكان من شيعة معاوية والمنحرفين عن علي وكان بينهم الحرب سجالا وانصرفوا في آخر يومهم عن قتلى كثير واخرج

فدهرنا سدفة ونحن انجمها * وليس ينكر مجرى النجم في السدف
لو اسفر الدهر لي أقصرت عن سفري * وملت عن كفي بهذه الكلف

وله من قصيدة

رويدك يا بدر التمام فانني * أرى العيس حسري والكواكب طلعا
كأن اديم الصبح قد قد انجما * وغود درع الليل فيها مرقعا
فاني وان كان الشباب محببا * الي وفي قلبي اجل واوقعا
لآنف من حسن بشعري مفتري * وآنف من حسن بشعري قنعا انتهى

وقال الوزير ابو الوليد بن حزم

اليك اباحفص وماعن ملالة * ثنيت عناني والحبيب حبيب
مقالا يطير الجمر عن جنباته * ومن تحته قلب عليك يذوب
مضت لك في أفياء ظلي صولة * لها بين احناء الضلوع دبيب
ولكن ابى الا ليلك النفاثة * فزاد عليه من هواك رقيب
وكم بيننا لو كنت تحمد ماضى * اذا العيش غض والزمان قشيب
وتحت جناح الغيم احشاء روضة * بها الخفوق العاصفات وجيب
وللزهر في ظل الرياض تبسم * وللطير منها في الغصون نحيب

وقال في الزهد

ثلاث وستون قد جزتها * فماذا تؤمل او تنتظر
وحل عليك نذير المشيب * فما ترعوى اوفما تزدجر
تمر ليالي لك مراحثيثا * وانت على ما ارى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضي * من العمر لاعتضت خيرا بشر
فمالك لا تستعد اذن * لدار المقام ودار المقر
أترغب عن جنة أزلفت * للنون وتعلم أن ليس منها مفر
فاما الى جنة أزلفت * واما الى سقر تستعر

وقال ابن أبي زمنين

الموت في كل حين ينشر الكفنا * ونحن في غفلة عما يرادينا
لا تطمئن الى الدنيا و بهجتها * وان توشحت من أثوابها الحسنا
أين الاحبة والجيران ما فعلوا * أين الذين هم كانوا الناسكنا
سقاهم الموت كاسا غير صافية * فصيرتهم لاطباق الثرى رهنا
تبكي المنازل منهم كل منسجم * بالمكرمات وترثي البر والمننا
حسب الحمام لوا بقاهم وأمهلهم * أن لا يظن على معلومه حسنا

وقال في المطمع الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين فقيه متبتل وزاهد لا منحرف الى الدنيا ولا منغمس هجرها هجر المنحرف وحل أوطانه فيها محل المعترف لعلمه بارتحاله عنها وتفويضه وايداله منها وتعويضه ينظر بقلبه لا بعينه وانتظر يوم فراقه و بينه ولم

يكن له بعد ذلك بها اشتغال ولا فى شعاب تلك المسالك ايغال وله تأليف فى الوعظ والزهد وأخبار الصالحين تدل على تخليته عن الدنيا واتراكه والتفلت من حبائل الاغترار وأشراكه والتنقل من حال الى حال والتأهب للارتحال ويستدل به على ذلك الانتحال فمنها قوله الموت فى كل حين ينشر الكفنا * فذكر الابيات انتهى وقال خلف بن هرون يمدح الحافظ أبا محمد بن حزم

يخوض الى المجد والمكرمات * بحار الخطوب وأهوالها
وان ذكرت للعلا غاية * ترقى اليها وأهوى لها

وقال فى المطمح فيه فقيه مستنبط ونبيه بقياسه مرتبط ماتكلم تقليدا ولا عدا اختراعا وتوليدا ماتمنت به الاندلس أن تكون كالعراق ولا حنت الانفس معه الى تلك الآفاق أقام بوطنه ومابرح عن عطنه فلم يشرب ماء الفرات ولم يقف عيشة الثمرات ولكنه أربى على من ذلك غدى وأزرى على من هنالك نعلى وحذى تفرد بالقياس واقتبس نار المعارف أى اقتباس فناظر بها أهل فاس وصنف وحبر حتى أفنى الانفاس ونابذ الدنيا وقد تصدت له بأفنان محيا وأهدت اليه أعبق عرف وريا وخلع الوزارة وقد كسته ملاها وألبسته حلاها وتجرد للعلم وطلبه وجد فى اقتنائه نخبه وله تا ليف كثيرة وتصانيف أثيرة منها الايصال الى فهم كتاب الخصال وكتاب الاحكام لاصول الاحكام و كتاب القصد فى الاهواء والملل والنحل وكتاب مراتب العلوم وغير ذلك مما لم يطر مثله من هنالك مع سرعة الحفظ وعفاف اللسان واللحظ وفيه يقول خلف بن هرون * يخوض الى المجد والمكرمات * ولابن حزم فى الادب سبق لا ينكر و بديهة لا يعلم انه روى فيها ولا فكر وقد أثبت من شعره ما يعلم انه أوحد ومامثله فيه أحد ثم ذكر جملة من نظمه ذكرناها فى غير هذا الموضع وكتب أبو عبد الله بن مسرة الى أبى بكر اللؤلؤى يستدعيه فى يوم طين ومطر لقضاء أرب من الانس ووطر

أقبل فان اليوم يوم دجن * الى مكان كالضمير مكنى
لنا بحكم فيه أشهى فن * فأنت فى ذا اليوم أمشى منى

وقال فى المطمح ان ابن مسرة كان على طريق من الزهد والعبادة تسبق فيها وانتسق فى سلك متقفيها وكانت له اشارات غامضة وعبارة عن منازل الملحدين غير داحضة ووجدت له مقالات رديه واستنباطات مرديه نسب بها اليه رهق وظهر له فيها مرحل عن الرشد ومزهق فتتبعت مصنفاته بالحرق واتسع فى استباحتها الخرق وغدت مهجورة على التالين محجورة وكان له تنميق فى البلاغة وتدقيق لمعانيها وترويق لاغراضها وتشييد لمبانيها انتهى وهو من نمط الصوفية الذين تكلم فيهم والتسليم أسلم والله تعالى بأمرهم أعلم * (ومن حكايات أهل الاندلس) فى الانقباض عن السلطان والفرار من المناصب مع العذر اللطيف ماحكاه فى المطمح فى ترجمة الفقيه أبى عبد الله الحسنى اذ قال كان فصيح اللسان جزيل البيان وكان أنوفا منقبضا عن السلطان لم يتشبث بدنيا ولم ينكث له مبرم عليا دعاه الامير محمد الى القضاء فلم يجب ولم يظهر رجاءه المحتجب وقال أبيت عن أمانة هذه الديانة كما أبت

على فى اليوم الثالث وهو المهاجرين والانصار فيمن شرع معهم من الناس وأخرج اليه معاوية عمرو ابن العاص فى تنوخ وبهراء وغيرهما من أهل الشام وكانت بينهم سجالا الى الظهر ثم حمل عمار بن ياسر فيمن ذكرنا فازال عمرا عن موضعه وألحقه بعسكر معاوية واسفرت عن قتلى كثيرة من أهل الشام و دونهم من أهل العراق وأخرج على فى اليوم الرابع وهو يوم السبت ابنه محمد ابن الحنيفة فى همدان وغيرهما ممن خف معه من الناس فاخرج اليه معاوية عبيد الله بن عمر بن الخطاب فى جمع وخم وجذام وقد كان عبيد الله بن عمر لحق بمعاوية خوفا من على أن يقيده بالهرمزان وذلك أن أبا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قاتل عمر كان فى أرض العجم غلاما للهرمزان فلما قاتل عمر شد عبيد الله على الهرمزان فقتله وقال لا أترك بالمدينة فارسيا ولا فى غيرها الا قتلته وكان الهرمزان عليلا فى الوقت الذى قتل فيه عمر فلما صارت الخلافة الى على أراد قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان لقتله اياه ظلما من غير سبب استحقه فلجأ الى معاوية فاقتتلوا فى ذلك اليوم وكانت على أهل الشام ونجا ابن عمر

السموات والارض عن حمل الامانة ابايه اشفاق لا ابايه عصيان ونفاق وكان الامير قد أمر الوزراء باجباره أو حمل السيف ان تمادى على تأبيه واصراره فلما بلغه قوله هذا أعفاه قال وكان الغالب عليه علم النسب واللغة والادب ورواية الحديث وكان مأمونا ثقة وكانت القلوب على حبه متفقة وله رحلة دخل فيها العراق ثم عاد الى هذه الآفاق وعندما اطمأنت داره وبلغ اقصى مناه مداره قال * كأن لم يكن بين ولم تلك فرقة * الابيات انتهى وهذه الابيات قدمناها في الباب الخامس في ترجمة القاضي ابن أبي عيسى فأنت ترى كلام الفتح قد اضطرب في نسبتها فمرة نسبها الى هذا ومرة نسبها الى ذاك وهي قطعة عرفها ذاك (ومن دعابات اهل الاندلس وملحهم) ما يحكى عن ابى الحلى وهو على ابو الحلى الكناني ابو الحسن قال لسان الدين كان شيخنا امام الحديث حافظا للمسائل الفقهية قائما على الدولة مضطلعا بمشكلاتها كثير الحكايات يحكى انه شاهد غرائب وملحا فينمقها عليه بعض الطلبة ويتعددون ذلك الى الافتعال والمداعبة حتى جمعوا من ذلك جزأ سموه السالك والحلى في اخبار ابن أبي الحلى فمن ذلك أنه كانت له هرة فدخل البيت يوما فوجدها قد بلت احدى يديها وجعلتها في الدقيق حتى علق بها ونصبتها بازاء كوة فأرور فعت اليد الاخرى لصيده فناداها باسمها فزوت رأسها وجعلت أصبعها على فمها على هيئة المشير بالصمت وأشباه ذلك وتوفى المذكور سنة ٤٠٦ قال في الاحاطة (ومن اجوبة ملوك الاندلس) ان نزارا العبيدى صاحب مصر كتب الى المرواني صاحب الاندلس كتابا يسبه فيه ويهجوه فكتب اليه المرواني أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام فاشتد ذلك على نزار وأفحمه عن الجواب وحكى انه كتب الى العبيدى ملك مصر مفتخرا

أالسنا بنى مروان كيف تبدلت * بنا الحال او دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

(ومن غريب ما يحكى من قوة اهل الاندلس وشجاعتهم) أن الامير حريز بن عكاشة من ذرية عكاشة بن محصن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بساحته اذفونش ملك ملوك الروم فبدأهم بخراب ضياعها وقطع الشجر فكتب اليه حريز ليس من أخلاق القدر الفساد والتدمير فان قدرت على البلاد فسدت ملكك ولو كان الملك في عشرة أمثال عددى لم ينزل لى بساحة ولا تمكن منها براحة فلما وصلته الرسالة عف وأمر بالكف وبعث الملك يرغبه في الاجتماع به فاسترهنه في نفسه عدة من ملوك الروم فأجاب الى ما ارتهن ولما سار وا الى المدينة البيضاء وهى قلعة رباح غربى طليطلة خرج حريز لا بسا لأمة حربه يرمق الروم منه شخصا أوتى بسطة في الجسم والبسالة يتحدثون بآلات حربه ويتعجبون من شجاعة قلبه ولما وصل فسطاط الملك تلقته الملوك بالرحب والسعة ولما أراد النزول عن فرسه ركز رمحه فأبصر الملك منه هيئة تشهد له بما عاينه حدث وهيبة يجزع للقائها الشجاع ويكثرث فدعاه الى البراز عظيم أبطالهم فقال له الملك ياحريز أريد أن أنظر الى مبارزتك هذا البطل فقال له حريز المبارز لا يبارز الا كفاءه وان لى بينة على صدق قولى أن ليس لى فيهم كفؤ هذا رمحى قدر كزته فمن ركب واقتلعه بارزته كان واحدا او عشرة وكأن عينيه سراجا سليط وهو يقف على طوائف الناس في مراتبهم يحثهم ويحرضهم حتى انتهى الى وأنا في كثيف من الناس

في آخر النهار هربا وأخرج على في اليوم الخامس وهو يوم الاحد عبد الله بن العباس فأخرج اليه معاوية الوليد بن عقبة بن أبي معيط فاقتتلوا واكثر الوليد من سب بني عبد المطلب بن هاشم فقاتله ابن عباس قتالا شديدا وناداه ابرز الى ياصفوان وكان لقب الوليد وكانت الغلبة لابن عباس وكان يوما صعبا وأخرج على في اليوم السادس وهو يوم الاثنين سعيد بن قيس الهمداني وهو سيد همدان يومئذ فأخرج اليه معاويه ذا الكلاع وكانت بينهما الى آخر النهار وأسفرت عن قتلى وانصرف الفريقان جميعا وأخرج على في اليوم السابع وهو يوم الثلاثاء الاشتر في النخع وغيرهم فأخرج اليه معاوية حبيب ابن سلمة الفهرى فكانت بينهم سجالا وصبر كلا الفريقين وتكاثروا وتواقفوا للحرب واسفرت عن قتلى منهما والجراح في أهل الشام أعم وخرج في اليوم الثامن وهو يوم الاربعاء على رضى الله تعالى عنه بنفسه في الصحابة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والانصار وربيعة وهمدان قال ابن عباس رأيت في هذا اليوم عليا وعليه عمامة بيضاء

فقال يا معشر المسلمين عموا الاصوات وأكلوا الملاءمة واستشعروا الخشية واقلقوا السيوف في الاجفان قبل السلة والحظوا الشزر واطعنوا الهبر وناضلوا الصبا وصلوا السيوف بالخطا والنبال بالرماح وطيبوا عن أنفسكم أنفسا فانكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله عاودوا الكر واستحيوا الفر فانه عار في الاعقاب ونار يوم الحساب ودونكم هذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا نهجه فان الشيطان راكب صعيده معترض ذراعيه قد قدم للوثبة يدا وأخر للنكوص رجلا فصبرا جميلا حتى تنجلي عن وجه الحق وأنتم الاعلون والله معكم ولن يترككم أعمالكم وتقدم على الحرب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء وخرج معاوية في عدد أهل الشام فاصرفوا عند المساء وكل غير ظافر وخرج في اليوم التاسع على وهو يوم الخميس وخرج معاوية فاقتتلوا الى ضحوة من النهار وبرز أمام الناس عبيد الله بن عمر بن الخطاب في أربعة آلاف من المضرية معممين بشقق الحرير الاخضر متقدمين للموت يطلبون بدم عثمان وابن عمر يقدمهم وهو يقول

انا عبيد الله يمنعني عمر ... خير قريش من مضى ومن غبر * غير نبي الله والشيخ الاغر

قد بطأت في نصر عثمان مضر * والربعيون فلا أسقوا المطر فيه

فركب عظيمهم فلم يهز الرمح من مكانه حين رامه ثم فعل ذلك مرارا فقال له الملك أرني يا حريز كيف تقلعه فركب واشار بيده واقتلعه فعجب القوم ووصله الملك واكرمه انتهى وكان حريز هذا شاعرا ولما اجتازبه كاتب ابن ذي النون الوزير ابو المطرف بن المثنى كتب اليه

يا فريدا دون ثانى * وعلا في العيان

عدم الراح فصارت * مثل دهن البلان

فجاوبه حريز وهو يومئذ اسير قلعته

يا فريدا الايجارى * بين ابناء الزمان

جاء من شعرك روض * جاده صوب البيان

فبعثنا هاسلافا * كسبجا بك الحسان

وكان لحريز كاتب يقال له عبد الحميد بن لاطون فيه تغفل شديد فامره ان يكتب الى المأمون ابن ذي النون في شأن حصن دخله النصارى فكتب وقد بلغني ان الحصن الفلاني دخله النصارى ان شاء الله تعالى فهذه الواقعة التي ذكرها الله تعالى في القرآن بل هي الحادثة الشاهدة باشراط الزمان فانالله على هذه المصيبة التي عدت قواعد المسلمين وأبقت في قلوبهم حسرة الى يوم الدين فلما وصل الكتاب للمأمون ضحك حتى وقع للارض وكتب لابن عكاشة جوابه وفيه وقد عهدناك منتقيا لامورك نقادا لصغيرك وكبيرك فكيف جاز عليك أمر هذا الكاتب الابله الجلف وأسندت اليه الكتب عنك دون أن تطلع عليه وقد علمت ان عنوان الرجل كتابه ورائد عقله خطابه وما أدري من أي شئ يتعجب منه هل من تعليقه ان شاء الله تعالى بالماضي أم من حسن تفسيره للقرآن ووضعه مواضعه ام من تورعه عن تأويله الا بتوقيف من سماع عن امام أم من تهويله لما طرأ على من يخاطبه ام من علمه بشأن هذا الحصن الذي لو انه القسطنطينية العظمى مازاد على عظمه وهوله شيأ ولو أن حقيرا يخفى عن علم الله تعالى يخفى عنه هذا الحصن ناهيك من صخرة حيث لا ماء ولا مرعى منقطع عن بلاد الاسلام خارج عن سلك النظام لا يعبره الا اص فاجر أو قاطع طريق غير متظاهر حراسه لا يتجاوزون الخمسين ولا يرون خبز البر عندهم الا في بعض السنين باعه احدهم بعشرين دينارا ولعمري انه لم يغبن في بيعه ولا ربح ارباب ابتياعه واراح من الشين بنسبته والنظر في خداعه ذليت شعري ما الذي عظمه في عين هذا الجاهل حتى خطب في امره بما لم يخطب به في حرب وائل فلما وقف حريز على الكتاب كتب لابن ذي النون جوابا منه وان المذكور ممن له حرمة قديمة تغنيه عن ان يمت بسواها وخدمة محمودا ولاها واخراها ولسنا ممن اتسعت مملكته وعظمت حضرته فنحتاج الى انتقاء الكتاب والتحفظ في الخطاب وانما نحن احلاس ثغور وكتاب كتائب لاسطور وان يكن الكاتب المذكور لا يحسن فيما يلقيه على القلم فانه يحسن كيف يصنع في مواطن الكرم وله الوفاء الذي تحدث به فلان وفلان بل سارت بشأنه في اقصى البلاد الركبان وليس ذلك يقدح عندنا فيه بل زاده لكونه دالا على صحة الباطن والسذاجة في الاكرام والتنويه انتهى ولهذا الكاتب شعر يسقط فيه سقوط الاغبياء وقد يتنبه

فيه تنبه الاذكياء فمنه قوله من قصيدة يمدح عزيزا المذكور مطلعها

يذكرني بهم العنبر * وظلم ثنايا هم سكر

الى ان قال

ولولا معالبك ياذا الندى * لما كان في الارض من يشعر
فلا تنكرن زحاما على * ذراك وفي كفك الكوثر

ومشى في موكبه وهم في سفر وكان فصل المطر والطين فحمل فرسه في ذنب فرس ابن عكاشة فلما اثارت يد افرسه طينا جاء في عنق أميره فقطن لذلك الامير فقال له يا ابا محمد تتقدم فقال معاذ الله ان اسيء الادب بالتقدم على اميري فقال فان كان كذلك فتأخر مع الخيل فقال مثلي لا يزال على ركابك في مثل هذه المواضع فقال له فقد والله اهلكتني عما ترمي يد افرسك على من الطين فقال اعز الله الامير فوالله ما علمت ان يد فرسي تصل الى عنقك فضحك ابن عكاشة حتى كاد يسقط عن مركوبه وكان بسر قسطة غلام اسمه يحيى بن بطفت من بني يفرن قد نشأ عند ملكها المقتدر بن هود وتخلق بالركوب والادب وكان في غاية الجمال والحلاوة والظرف فعلق بقلب ابن هود وكتم حبه زمانا فلم يتمكنه فكتب له

ياظبي بالله قل لي * مني ترى في جبالي
يمر عمري وحالي * من خيبتي منك خالي

فكتب له الغلام في ظهر الرقعة

ان كنت ظبيا فأنت الدهر بر تبغي اغتيالي
وليس يخطر يوما * حلول غيل ببالي

ثم كتب بعدهما هذا ما اقتضاه حكم الجواب في النظم وانا بعد قد جعلت رسني بيد سيدي فعسى ان يقودني الى ما احب لا ما اكره والذي احبه ان يكون بيننا من المحبة ما يقضي بدوام الاخلاص ونأمن في مغبته من العار والقصاص فتركه مدة ثم كتب له يوما على الصورة التي ذكرها

ماذا ترى في يوم أمن طرزت * حلل السحاب به البروق المذهبه
واناوكاسي لا جليس غيره * ملآن لا يخلو الى ان تشربه
والانس ان يسرته متيسر * ومتى تصعبه فيا ما أصعبه

فاجابه

ياما لكابن الملوك بعلمه * وخلاله وعلوه في المرتبه
وأفي ندالك فكرت عند جوابه * اذ ما تضمن ريبة مستغربه
انا اذا نخلو تقول حاسد * وغدا بهذا الامر ينصر مذهبه
هبني الى يوم تطيش به النهى * والبيض تنضى والقنا متناشبه
وهنالك فانظرني بعين بصيرة * فالشبل يعرف أصله من جربه

ثم أعلاه الى درجة الوزارة والقيادة الى أن قتل في جيش كان قدمه عليه فقال فيه من قصيدة

ياصارما أغمدته * عن ناظري الصوارم

أطلب بدم عثمان قال أنت تطلب بدم عثمان والله يطلبك بدم الهرمزان وأمر على الاشتر النخعي بالخروج اليه فخرج الاشتر اليه وهو يقول

انى أنا الاشتر معروف السير
انى أنا الافي العراق الذ
لست من الحي ربيع أو مضر
لكني من مذجح البيض الغرر

فانصرف عنه عبيد الله و يبارزه وكثرت القتلى يومئذ وقال عمار بن ياسر اني لارى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لكنا على الحق وكانوا على الباطل وتقدم عمار فقاتل ثم رجع الى موضعه فاستسقى فاتته امرأة من نساء بني شيبان من مصافهم بعس فيه لبن فدفعته اليه فقال الله أكبر الله أكبر اليوم ألقى الاحبة محمدا وحزبه تحت الاسنة صدق الصادق وبذلك خبر الناطق وهو اليوم الذي وعدت فيه ثم قال أيها الناس هل من رائح الى الله تحت العوالي والذي نفسي بيده لنقاتلنكم على تأويله كما قاتلناكم على ضربا يزيل الهام عن مقيله

٤١ ط ني تنزيله وتقدم وهو يقول نحن ضربناكم على تنزيله * فاليوم نضربكم على تأويله

وزهرة غيبتها * من الطيور وكائم
يا كوكبا خر من أنجمي وأنى راغم
بكت على وشقت * جيوبهن الغمائم
قل للغمائم انى * أصبحت أحكى الحمائم
وأثر الدمع مهما * رأيت للزهر باسم
تالله لا لذ عيش * لمعترف للعادم

ولما رحل الوزير عبد البر بن فرسان من وادى آش الى على الميورقى صاحب فتنة افريقية أقبل عليه ثم ولى أخوه يحيى الامارة بعده فأسند جميع أموره اليه فقال يخاطبه

أجبنا ورحى ناصرى وحسامى * وعزا وعزمى قائدى وامامى
ولى منك بطاش اليدين غضنفر * يحارب عن أشباله و يحامى
ألا غنياني بالصهيل فانه * سماعى ورقراق الدماء مدامى
وحطا على الرمضاء رحلى فانها * مهادى وخفاق البنود خيامى

وكان الامير أبو عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس من ابطال عصره وكان يدفع فى المواكب و يشقها يمينا وشمالا منشدا

أكر على الكتيبة لا أبالى * أحتفى كان فيها أم سواها

حتى انه دفع مرة فى موكب من النصارى فصرع منهم وقتل وظهر منه ما أعجبت به نفسه فقال لشخص من خواصه عالم بأمور الحرب كيف رأيت قال لو رآك السلطان لزاد فيما لك فى بيت المال وأعلى مرتبتك أمن يكون رأس جيش يقدم هذا الاقدام و يتعرض بهلاك نفسه الى هلاك من معه فقال له دعنى فانى لا أموت مرتين واذا مت أنا فلا عاش من بعدى

*(ومن حكاياتهم فى الظرف) أن القاضى أبا عبد الله محمد بن عيسى من بنى يحيى بن يحيى خرج الى حضور جنازة وكان لرجل من اخوانه منزل بقرب مقبرة قريش فعزم عليه فى الميل اليه فنزل وأحضر له طعاما وغنت جارية

طابت بطيب لثاتك الاقداح * وزها بحمرة وجهك التفاح
واذا الربيع تنسمت أرواحه * نمت بعرف نسيمك الارواح
واذا الخمائل ألبست ظلماءها * فضياء وجهك فى الدجى مصباح

فكتبها القاضى طرابا على ظهر يده قال الراوى فلقد رأيته يكبر على الجنازة والابيات على ظهر يده *(ومن حكاياتهم فى البلاغة) ما ذكره فى المطمح أن الوليد بن عقال لما انصرف من الحج اجتمع مع أبى الطيب فى مسجد عمرو بن العاص بمصر فقاوصه فلم يلائم قال له أنشدنى للمليح الاندلسى يعنى ابن عبد ربه فانشده

يا لؤلؤا يسبى العقول أنيقا * ورشا بتعذيب القلوب رفيقا
ما أن رأيت ولا سمعت بمثله * درا يعود من الحياء عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه * أبصرت وجهك فى سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقة * ما بال قلبك لا يكون رقيقا

ويذهل الخليل عن خليله
المادية العاملى وأبو حواء
السكسكى واختلفا فى سلبه
فاحتكما الى عبد الله بن
عمرو بن العاص فقال لهما
اخرجا عنى فانى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول أو قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبغت
قريش بعمار مالهم ولعمار
يدعوهم الى الجنة ويدعونه
الى النار وكان قتله عند
المساء وله ثلاث وتسعون
سنة وقبره بصفين وصلى
عليه على عليه السلام ولم
يغسله وكان يغير شيبه
وقد تنوزع فى نسبه فمن
الناس من الحقه ببنى
مخزوم ومنهم من رأى أنه
من حلفائهم ومنهم من رأى
غير ذلك وقد أتينا على خبره
فى كتاب مزاهر الاخبار
وظرائف الآثار عند
ذكرنا لاشتراط الخمسين
الذين بايعوا عليا على الموت
وفى قتله يقول الحجاج بن
عربة الانصارى أبياتا رثاه
بها

يا للرجال لعين دمعها
جارى
قد هاج حزنى أبو اليقظان
عمار
أهوى اليه أبو حواء فوارسه
يدعو السكون وللجيشين
اعصار
فاختل صدر أبى اليقظان معترضا * للرمح قد وجبت فيناله النار

فلما كمل انشادها استعادها ثم صفق بيديه وقال يا ابن عبدربه لقد تأنق العراق حبوا انتهى * وقال مؤلف كتاب واجب الادب مما يجب حفظه من مخترعات الاندلسيين قول ابن عبدربه

ياذا الذى خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة و بلابلا
ما كنت أقطع أن لحظك صارم * حتى حملت من العذار حمائلا انتهى

وحكى أن الوزير أبا الوليد بن زيدون توفيت ابنته و بعد الفراغ من دفنها وقف للناس عند منصرفهم من الجنازة ليشكرهم فقيل انه ما أعاد فى ذلك الوقت عبارة قالها لاحد قال الصفدى وهذا من التوسع فى العبارة والقدرة على التفنن فى أساليب الكلام وهو أمر صعب الى الغاية وأرى انه أشق مما يحكى عن واصل بن عطاء انه ما سمعت منه كلمة فيها راء لانه كان يلثغ بحرف الراء لثغة قبيحة والسبب فى تهوين هذا الامر وعدم تهويله أن واصل ابن عطاء كان يعدل الى مايرادف تلك الكلمة مما ليس فيه راء وهذا كثير فى كلام العرب فاذا أراد العدول عن لفظ فرس قال جواد أو سابح أو صافن أو العدول عن رمح قال قناة أو صعدة أو يزنى أو غير ذلك أو العدول عن لفظ صارم قال حسام أو لهذم أو غير ذلك وأما ابن زيدون فاقول فى حقه أقل ما كان فى تلك الجنازة وهو وزير ألف رئيس ممن يتعين عليه أن يتشكر له و يضطر الى ذلك فيحتاج فى هذا المقام الى ألف عبارة مضمونها الشكر وهذا كثير الى الغاية لاسيما من محزون فقد قطعة من كبده

ولكنه صوب العقول اذا انبرت * سحائب منه أعقبت بسحاب

وقد استعمل الحريرى هذا فى مقاماته عند ما يذكر طلوع الفجر وهو من القدرة على الكلام وأرى الخطيب بن نباتة ممن لا يلحق فى هذا الباب فانه أملى مجلدة معناها من أولها الى آخرها يا أيها الناس اتقوا الله واحذروه فانكم اليه راجعون وهذا أمر بارع معجز والناس يذهلون عن هذه النكتة انتهى كلام الصفدى ملخصا وقال فى الوافى بعد ذكره جملة من أحوال ابن زيدون ما نصه وقال بعض الادباء من لبس البياض وتختم بالعقيق وقرأ لابى عمرو وتفقه للشافعى وروى شعر ابن زيدون فقد استكمل الظرف وكان يسمى بحترى المغرب لحسن ديباجة نظمه وسهولة معانيه انتهى (رجع) الى كلام أهل الاندلس * وكان الاديب المحدث ابو الربيع سليمان بن على الشلبى الشهير بكنير يهوى من يخفى عليه و يقول انه أبرد من الثلج لغاطبه كثير بقوله

ياحبيبا له كلام خلوب * قلبت فى لظى هواه القلوب
كيف تعزو الى محبك بردا * ومن الحب فى حشاه لهيب
أنت شمس وقلت انى ثلج * فلهذا اذا طلعت اذوب

وقال ابن مهران مما يشتمل على اربعة امثال

المال زين والحياة شهية * والجود يفقر والشجاعة تقتل
والبخل عيب والجبان مذمم * والقصد احكم والتوسط اجمل

وقال ابن السيد البطليوسى متغزلا

قد عالج الحياة حتى ملا * لابد أن يقل أو يفلا أسلمهم بذى الكعوب سلا

ثم قصدها شم بن عتبة

قال النبى له تقتلك شرذمة
سيطت لحومهم بالبغى
فخار
فاليوم يعرف أهل الشام
أنهم
أصحاب تلك وفيها النار
والعار

ولما صرع عمار تقدم سعيد ابن قيس الهمدانى فى همدان وتقدم سعد بن عبادة الانصارى فى الانصار وربيعة وعدى بن حاتم فى طيئ وسعيد بن قيس الهمدانى فى أول الناس فخلطوا الجمع بالجمع واشتد القتال وحطمت همدان أهل الشام حتى قذفتهم الى معاوية وقد كان معاوية صمد فيمن كان معه لسعيد بن قيس ومن معه من همدان وأمر على الاشتر أن يتقدم باللواء الى أهل حمص وغيرهم من أهل قنسرين فاكثر القتل فى أهل حمص وقنسرين بمن معه من القراء وأتى المرقال بومئذ بمن معه فلا يقوم له شئ وجعل يرقل كما يرقل الفحل فى قيده وعلى وراءه يقول يا أعور لا تكن جبانا تقدم والمرقال يقول قدما كثر القوم وما أقلا أعور يبغى أهله محلا

نفسي الفداء لجؤذر حلو اللمى * مستحسن بصدوده إضنائي
في فيه سمط جوهر يروى الظما * لو علني ببروده احيائي

ويخرج من هذه القطعة عدة قطع * وقال ابن صارة مضمنا

الى كم ينفد الدينار مني * ويطلب كف من عنه يحيد
ألم انشده في وادي هيامي * به لو كان يعطفه النشيد
حبيبي انت تعلم ما أريد * ولكن لا ترق ولا تجود
ولم غنيت حين تنكبتني * مني شيطانها ابدا مريد
يريد المرء أن يؤتى مناه * ويأبى الله الا ما يريد

وقال ذو الرياستين ابو مروان عبد الملك بن رزين

بالله ان لم تزدجر * يا مشبه البدر المنير
لا سرحن نواظري * في ذلك الورد النضير
ولا كلنك بالمنى * ولاشربنك بالضمير

وقال ابن عبدربه

اشرب على المنظر الانيق * وامزج بريق الحبيب ريقي
واحلل وشاح الكعاب رفقا * خوفا على خصرها الرقيق
وقل لمن لام في التصابي * خذوا قليلا عن الطريق

وسيأتي ان شاء الله تعالى قريبا من بلاغة اهل الاندلس في الجد والهزل ما فيه مقنع لمن اقتصر عليه * (ومن حكاياتهم في عدم احتمال الضيم والذل والوصف بالانفة) انه لما ثار ايوب بن مطروح في المائة الخامسة في الفتنة على ملك غرناطة عبد الله بن بلقين بن حبوس وخاض بحار الفتنة حتى رماه موجها فيمن رمى على الساحل وحصل فيما بث عليهم يوسف ابن تاشفين من الجبائل وكانت له همة وانفة عظيمة وخلع عن امارته وحصل في حبالته ادخل راسه تحته فانتظر من حضر معه ان يتكلم او يخرج راسه فلم يكن الا قليل حتى وقع ميتا رحمه الله تعالى * ولما ثار المورق بافريقية على بني عبد المؤمن الثورة المشهورة وخدمه جملة من أعيان أهل الاندلس وكان من جملتهم مالك بن محمد بن سعيد العنسي كتب عنه من رسالة وبعد فانا لا نحتاج لك الى برهان على أمير اسانه الحسام ويده التأييد الرباني الذي لا يرام قد نصب خيامه بالبراح ولم يتخذ سورا غير سمر القنا وبيض الصفاح له من العزم رداء ومن الحزم كمين اذا صدق الحسام ومنتضيه * فكل قرارة حصن حصين وهو من القوم الذين لا يجورون على جار ولا يرحلون بخزية ولا يتركون من عار دينهم دين التقوى وان كنت من ذلك في شك فاقدم علينا حتى يصح لك اختبار الذهب بالسبك وأنت بالخيار في الظعن والاقامة فان حللت نزلت خير منزل وان رحلت ودعت أفضل وداع وسرت في كنف السلامة اذ قد شهرنا بالاتقياد الا بالاحسان وأن ندع لاختياره كل انسان * (ومن حكايات أهل الاندلس في الجود والفضل ومكارم الاخلاق) أن أبا العرب الصقلي حضر مجلس المعتمد بن عباد فأدخلت عليه جملة من دنانير السكة فأمر له

المرقال لذي الكلاع وهو
أثبت فاني لست من فزعي
مضر
نحن اليمانيون ما فينا
ضجر
كيف ترى وقع غلام من
عذر
ينمي ابن عفان ويلحى من
غدر
يا أعور العين رمى فيها
العور
سيان عندي من سعى ومن
أمر
فاختلفا طعنتين فطعنه
هاشم المرقال فقتله وقتل
بعده سبعة عشر رجلا وحمل
هاشم المرقال وحمل ذو
الكلاع ومع المرقال
جماعة من أسلم قد آلوا
أن لا يرجعوا أو يفتحوا
أو يقتلوا فاجتلد الناس
فقتل هاشم المرقال وقتل
ذو الكلاع جميعا فتناول
ابن المرقال اللواء حين قتل
أبوه في وسط المعركة وكر
في الحجاج وهو يقول
يا هاشم بن عتبة بن مالك
أعزز بشيخ من قريش
هالك
يخبط الخيلين بالسنابك
أبشر بحور العين في الارائك
والروح والريحان عند ذلك
ووقف على رضي الله عنه
عنده صرع المرقال ومن
صرع حوله من الاسلميين
وغيرهم فدعا لهم وترحم عليهم وقال من أبيات جزى الله خيرا عصبة أسلمية * صباح الوجوه صرعوا حول هاشم بخربطين

بخريطتين منها وبين يديه تصاوير عنبر من جملتها صورة جمل مرصع بنفيس الدر فقال أبو العرب ما يحمل هذه الدنانير الاجمل فتبسم المعتمد وأمر له به فقال

أعطيتني جملا حونا شفعت به * جملا من الفضة البيضاء والجملا
نتاج جودك في أعطان مكرمة * لا قد تصرف من منع ولا عقلا
فاعجب لشأني فشأني كله عجب * رفعتني فحملت الحمل والجملا

ومن نظم أبي العرب المذكور

الام اتباعي للامانى الكواذب * وهذا طريق المجد بادي المذاهب
أهم ولي عزمان عزم مشرق * وآخر يثني همتي للمغارب
ولا بد لي أن أسأل العيس حاجة * تشق على أخفافها والغوارب
اذا كان أصلي من تراب فكلها * بلادي وكل العالمين أقاربي

وذكر الحافظ الجاري في المسهب انه سأل عمه أبا محمد عبد الله بن ابراهيم عن أفضل من لقي من أجواد تلك الحلبة فقال يا ابن أخي لم يقدر أن يقضي لي الاصطحاب بهم في شباب أمرهم وعنفوان رغبتهم في المكارم ولكن اجتمعت بهم وأمرهم قد هرم وساءت بتغير الاحوال ظنونهم وملوا الشكر وضجروا من المروءة وشغلتهم المحن والفتن فلم يبق فيهم فضل للافضال وكانوا كما قال أبو الطيب

أتى الزمان بنوه في شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم

فان يكن أتاه على الهرم فانا أتيناه وهو في سياق الموت ثم قال ومع هذا فان الوزير أبا بكر ابن عبد العزيز رحمه الله تعالى كان يحمل نفسه ما لا يحمله الزمان ويبسم في موضع القطوب ويظهر الرضا في حال الغضب ويجهد أن لا ينصرف عنه أحد غير راض فان لم يستطع الفعل عوض عنه القول قلت له فالمعتمد بن عباد كيف رأيته فقال قصدته وهو مع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في غزوته للانصاري المشهورة فرفعت له قصيدة منها

لا روع الله سربا في رحابهم * وان رموني بترويع وابعاد
ولا سقاهم على ما كان من عطش * الا بعض ندى كف ابن عباد
ذي المكرمات التي ما زلت تسمعها * أنس المقيم وفي الاسفار كالزاد
يا ليت شعري ما ذا ترتضيه لمن * ناداه يا موئلي في جحفل النادي

فلما انتهيت الى هذا البيت قال أما ما ارتضيه لك فلست أقدر في هذا الوقت عليه ولكن خذ ما ارتضى لك الزمان وأم خادمه له فاعطاني ما أعيش في فائدته الى الآن فانى انصرفت به الى المرية وكان يجبني سكناها والتجارة بها لكونها مينا لمراكب التجار من مسلم وكافر فتجرت فيها فكان ابقاء ما وجهني على يديه رحمة الله تعالى عليه ثم أخذ البطاقة وجعل يجيل النظر والفكر في القصيدة وأنا مترقب لنقده لكونه في هذا الشان من أئمته وكثيرا ما كان الشعراء يتحامونه لذلك الا من عرف من نفسه التبريز ووثق بها الى ان انتهى الى قولي

ولا سقاهم على ما كان من عطش * الا بعض ندى كف ابن عباد

فقال لاى شئ بخلت عليهم أن يسقوا بكفه فقلت اذن كان يلحقني من النقد ما لحق ذا الرمة

وعروة لا ينفد ثناه وذكره اذا سل بالبيض الخفاف الصوارم

واستشهد في ذلك اليوم صفوان وسعد ابنا حذيفة ابن اليمان وقد كان حذيفة عليلا بالكوفة في سنة ست وثلاثين فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلي فقال أخرجوني وادعوا الصلاة جامعة فوضع على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وعلى آله ثم قال أيها الناس ان الناس قد بايعوا عليا فعليكم بتقوى الله وانصروا عليا ووازروه فوالله انه لعلى الحق آخرا وأولا وانه لخير من مضى بعد نبيكم ومن بقي الى يوم القيامة ثم أطبق يمينه على يساره ثم قال اللهم اشهد أني قد بايعت عليا وقال الحمد لله الذي أبقاني الى هذا اليوم وقال لابنيه صفوان وسعد احملاني وكونا معه فسيكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس فاجتهدا ان تستشهدا معه فانه والله على الحق ومن خالفه على الباطل ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام وقيل بار بعين يوما واستشهد عبد الله بن الحرث النخعي أخو الاشتر واستشهد فيه عبد الله وعبد الرحمن ابنا بديل بن

فى قوله ولا زال منهلا بجرعائك القطر وكان طوفان نوح أهون عليهم من ذلك فتألقت غيرته وبدت مسرته وقال اناالله على أن لم يعنا الزمان على مكافأة مثلك قال وكنت ممن زاره بسجنه باغمات وحملتنى شدة الحمية له والامتعاض لما حل به أن كتبت على حائط سجنه متمثلا

فان تسجنوا التسرى لا تسجنوا اسمه * ولا تسجنوا امعروفه فى القبائل

ثم تفقدت الكتابة بعد أيام فوجدت تحت البيت لذلك سجناه

ومن يجعل الضرغام فى الصيد بازه * تصيده الضرغام فيما تصيدا

فما أدرى من جاوب بذلك ثم عدت له ووجدته قد محى وأعلمت بذلك ابن عباد فقال صدق المجاوب وأنا الجانى على نفسه والحافر بيده لرمسه ولما أردت وداعه امرلى باحسان على قدر ما استطاع فارتجلت

آليت لا أقبل احسانكم * والدهر فيما قد عراكم مسى
فى الذى أسلفتم غنية * وان يكن عندكم قد نسى

قال وفيه أقول من قصيدة

ياطالب الانصاف من دهره * طلبت أمرا غير معتاد
فلو يكون العدل فى طبعه * لما عدا ملك ابن عباد

وللعجارى المذكور كتاب فى البديع سماه الحديقة وأنشد لنفسه فيه

وشادن ينصف من نفسه * أمنحنى من سطوة الدهر
ينام للشرب على جنبه * ويصرف الذنب الى الخمر

وله فى فرس

ومستبق يحار الطرف فيه * ويسلم فى الكفاح من الجماح
كأن أديمه ليل بهيم * تحجل باليسير من الصباح
اذا احتدم التسابق صار جرما * تقلب بين اجنحة الرياح

وكتب أبو العلاء ادريس بن أزرق الى ابن رشيق ملك مرسية وقد طالت اقامته عند ابن عبد العزيز

ألا ليت شعرى هل أعود الى الذى * عهدت من النعمى لديكم بلا جهد
فوالله ما فارقتكم ما تخلصت * من الدهر عندى ساعة دون ما كد
فذوا باذن كى أطير اليكم * فلا عار فى شوق الى المال والمجد

ووقف بعض اعدائه على هذه الابيات فوشى بها الى ابن عبد العزيز فاصدا ضرره وكان ذلك فى محفل ليكون أبلغ فقال والله لقد ذكرتنى أمره ولقد أحسن الدلالة على حاله فان الرجل كريم وعلينا موضع اللوم لا عليه ووالله لا وسعنه مالا ووجدا بقدر وسعى ثم أخذ فى الاحسان اليه حتى يرجيه رحمه الله تعالى

هكذا هكذا تكون المعالى * طرق الجد غير طرق المزاح

ولنذكر جملة من بنى مروان بالاندلس فنقول قال محمد بن هشام المروانى صاحب كتاب

ورقاء الخزاعى فى خلق من لم يبق الا الصبر والتوكل وأخذك الترس وسيف مصقل
ثم التمشى فى الرعيل الاول
فقتل ثم قتل عبد الرحمن أخوه بعده فيمن ذكرنا من خزاعة ولما رأى معاوية القتل فى أهل الشام وكلب أهل العراق عليهم استدعى بالنعمان بن جبلة التنوخى وكان صاحب راية قومه فى تنوخ ونهد وقال له لقد هممت أن أولى قومك من هو خير منك مقدما وانصح منك دينا فقال له النعمان أنا لو كنا ندعى الى جيش ممنوع لكان فى لكع بعد الاناة فكيف ونحن ندعوهم الى سيوف قاطعة وردينية شاغرة وقوم ذوى بصائر نافذة والله لقد نصحتك على نفسى وآثرت ملكك على دينى وتركت لهواك الرشد وأنا أعرفه وحدت عن الحق وأنا أبصره وما وفقت لرشد حين أقائل عن ملكك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول مؤمن به ومهاجر معه ولو أعطيناه ما أعطيناك لكان أرأف بالرعية وأجزل فى العطية ولكن قد بذلنا لك الامر ولا بد من اتمامه كان غيا أو رشدا وحاشا ان يكون رشدا وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها اذ حرمنا

أخبار الشعراء

وروضة من رياض الحزن حالفها * طل اطاف به في افقها الحلل
كأنما الورد فيما بينها ملك * موف ونوارها من حوله خول

وكان في مدة الناصر وأدخل عليه يوما ليذاكره فاستحسنه وأمره بالتزام بنيه ليؤدبهم بحسن أدبه ويتخلقوا بخلقه فاستعفى من ذلك وقال ان الفتيان لا يتعلمون الا بشدة الضبط والقيد والاغلاظ وأنا أكره أن أعامل بذلك أولاد الخليفة فيكرهوني وقد يحقد لي بعضهم ذلك الى أن يقدر على النفع والضر فقالوا وكان يتعشق المستنصر بالله ولي عهد الناصر وهو غلام وله فيه

متع بوجهك جفني * يا كوكبا فوق غصن
يا من تحجب حتى * عن كل فكر وأذن
وخام الخوف فيه * فما يمر بذهن
فليس للطرف والقلـ * ـب غير دمع وحزن
فاتني ذو ذنوب * وانت جنة عدن

وقال أخوه أحمد بن هشام

قطعت الليالي بارتجاء وصالكم * ومانلت منكم غير متصل الهجر
وما كنت أدري ما التصبر قبلكم * فعلمتموني كيف أقوى على الصبر
وما كنت ممن يعلق الصبر فكره * ولكن خشيت الصبر يذهب بالعمر

*(ومن حكاياتهم في علو الهمة) أنه كان سبب قراءته واجتهاده انه حضر مجلسا فيه القائد أحمد بن أبي عبدة وهو غلام فاستخبره القائد فرآه بعيدا من الادب والظرف ورأى له ذهنا قابلا للصلاح فقال أي سيف لو كانت عليه حلية فقامت من هذه الكلمة قيامته وثابت له همة ملوكية عطف بها على الادب والتعلم الى أن صار ابن أبي عبدة عنده كما كان هو عند ابن ابي عبدة اولا فحضر بعد ذلك معه وجالا في مضمار الادب فرأى ابن ابي عبدة جوادا لا يشق غباره فقال ماهذا اين هذا مما كان فقال ان كلمتك عملت في فكري ما اوجب هذا فقال والله ان هذه حلية تليق بهذا السيف فجزاك الله عن همتك خيرا ثم قال له سر ان لي عليك حقا اذ بعثتك على التأدب والتميز فاذا حضرنا في جماعة فلا تتطاول علي تقصيرا وحافظ على أن لا أسقط من العيون بارتياء غيري على فقال لك ذلك وزيادة وكان المنذر ابن الامير عبد الرحمن الاوسط سيئ الخلق في أول أمره كثيرا لاصغاء الى أقوال الوشاة مفرط القلق مما يقال في جانبه معاقبا على ذلك من يقدر على معاقبته مكثرا التشكي ممن لا يقدر عليه لوالده الامير عبد الرحمن فطال ذلك على الامير فقال لو كيل خاص به عارف بالقيام بما يكلفه به الموضع الفلاني الذي بالجبل الفلاني المنقطع عن العمران تبنى فيه الآن بناء أسكن فيه ابني المنذر وأوصاه بالاجتهاد فيه ففرغ عنه وعاد اليه فقال له تعلم المنذر أني أمرته بالانفراد فيه ولا تترك أحدا من أصحابه ولا أصحاب غيره يزوره ولا يتكلم معه البتة فاذا ضجر من ذلك وسألك عنه فقل له هكذا أمر أبوك فتولى الثقة ذلك على ما أمر به ولما حصل المنذر في ذلك المكان وبقي

خرج الى القتال قام اليه نساؤه فشددن عليه سلاحه ماخلا الشيبانية بنت هانئ بن قبيصة فخرج في هذا اليوم وأقبل على الشيبانية وقال لها اني قد عبأت اليوم لقومك وايم الله اني لارجو أن أربط بكل طنب من اطناب فسطاطي سيدا منهم فقالت ما أبغض الا أن تقاتلهم قال ولم قالت لانه لم يتوجه اليهم صنديد الا أبادوه وأخاف ان يقتلوك وكاني بك قتيلا وقد اتيتهم أسألهم أن يهبوا لي جيفتك فرماها بقوس فشجها وقال لها ستعلمين بمن آتيك من زعماء قومك ثم توجه فحمل عليه حريث بن جابر الجعفي فطعنه فقتله وقيل ان الاشتر النخعي هو الذي قتله وقيل ان عليا ضربه فقطع ما عليه من الحديد حتى خالط سيفه حشوة جوفه وان عليا قال حين ضربه فطلبه ليقيد منه بالهرمزان لئن فاتني في هذا اليوم لا يفوتني في غيره وكلمت نساؤه معاوية في جيفته فامر ان يأتين ربيعة فيبذلن في جيفته عشرة آلاف ففعلن ذلك فاستأمرت ربيعة عليا فقال انما جيفته جيفة كلب لا يحل بيعها ولكن قد اجبتهم الى ذلك فاجعلوا جيفته لابنة هانئ بن قبيصة الشيباني زوجته فقالوا لنسوة عبيد الله ان شئتن شددناه

وحده وقد خولوه ومن كان يستريح معه ونظر الى ما سلبه من الملك ضجر فقال للثقة عسى أن يصلي غلماني وأصحابي أتانس بهم فقال له الثقة ان الامير أمر أن لا يصلك احد وان تبقى وحدك لتستريح مما يرفع لك اصحابك من الوشاية فعلم ان الامير قصد محنته بذلك وتاديبه فاستدعى دواة وكتب الى أبيه اني قد توحشت في هذا الموضع توحشا ما عليه من مزيد وعدمت فيه من كنت آنس اليه وأصبحت مسلوب العز فقيد الامر والنهي فان كان ذلك عقابا بالذنب كبير ارتكبته وعلمه مولاي ولم أعلمه فاني صابر على تأديبه ضارع اليه في عفوه وصفحه

وان أمير المؤمنين وفعاله * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

فلما وقف الامير على رقعته وعلم ان الادب بلغ به حقه استدعاه فقال له وصلت رقعتك تشكو ما أصابك من توحش الانفراد في ذلك الموضع وترغب أن تأنس بخولك وعبيدك وأصحابك ان كان لك ذنب يترتب عليه أن تطول سكناك في ذلك المكان وما فعلت ذلك عقابا لك وانما رأيناك تكثر الضجر والتشكي من القال والقيل فأردنا راحتك بأن نحجب عنك سماع كلام من يرفع لك وينم حتى تستريح منهم فقال له سماع ما كنت أضجر منه أخف علي من التوحد والتوحش والتخلي مما أنا فيه من الرفاهية والامر والنهي فقال له فاذ قد عرفت وتأدبت فارجع الى ما اعتدته وعول على أن تسمع كانك لم تسمع وترى كانك لم تر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لو تكاشفتم ما تدافنتم واعلم انك أقرب الناس الي وأحبهم في وبعد هذا فما يخلو صدرك في وقت من الاوقات عن انكار علي وسخط لما أفعله في جانبك أو جانب غيرك مما لو أطلعني الله تعالى عليه لساءني لكن الحمد لله الذي حفظ ما بين القلوب بستر بعضها عن بعض فيما يحول فيها وانك لذو هممة ومطمع ومن يكن هكذا يصبر ويغض ويحمل ويبدل العقاب بالثواب ويصير الاعداء من قبيل الاصحاب ويصبر من الشخص على ما يسوء فتدري عنه بعد ذلك ما يسر ولقد يخف علي اليوم من قاسيت من فعله وقوله ما لو قطعتهم عضوا عضوا لما ارتكبه مني ما شفيت منهم غيظي ولكن رأيت الاعضاء والاحتمال لاسما عند الاقتدار أولى ونظرت الى جميع من حولي ممن يحسن ويسيء فوجدت القلوب متقاربة بعضها من بعض ونظرت الى المسيء يعود محسنا والمحسن يعود مسيئا وصرت أندم على من سبق له مني عقاب ولا أندم على من سبق له مني ثواب فالزم يا بني معالي الامور وان جماعها في التغاضي ومن لا يتغاضى لا يسلم له صاحب ولا يقرب منه جانب ولا ينال ما تترقى اليه همته ولا يظفر بأمله ولا يجد معينا حين يحتاج اليه فقبل المنذر يده وانصرف ولم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده حتى تخلق بالخلق الجميل وبلغ ما أوصاه به أبوه ورفع قدره ومن شعره في ابن عم له

ومولى أبى الاذاى وانني * لاحلم عنه وهو بالجهل يقصد
تودد ته فازداد بعدا وبغضة * وهل نافع عند الحسود التودد

وقوله

خالف عدوك فيما * اتاك فيه لينصح
فانما يبتغي أن * تمام عنه فيربح

وقيل ان هذا الشعر لسديل بن ورقاء قاله في ذلك اليوم ثم نادى على ومن

الى ذنب بغل ثم ضربناه حتى يدخل الى عسكر معاوية فصرخ وقال هذا أشد علينا وأخبر بن معاوية بذلك فقال لهن ائتوا الشيبانية فسلوها أن تكلمهم في جيفته ففعلن وأتت القوم وقالت انا بنت هانئ بن قبيصة وهذا زوجي القاطع الظالم قد حذرته فاصار اليه فهبوا لي جيفته ففعلوا والقت اليهم عطرف خز فادرجوه فيه ودفعوه اليها فشد رجله الى طنب فساطها من فساطيطهم ولما قتل عمار ومن ذكرنا في هذا اليوم حرض علي عليه السلام الناس وقال لربيعة أنتم درعي ورمحي فانتدب له ما بين عشرة آلاف الى أكثر من ذلك من ربيعة وغيرهم قد جادوا بانفسهم لله عز وجل وعلى أمامهم على البغلة الشهباء وهو يقول

من أي يومي من الموت أفر
أيوم لم يقدر أم يوم قدر
وحمل وحملوا معه حملة رجل واحد فلم يبق لاهل الشام صف الا انتقض وأهمدوا كل ما أتوا عليه حتى أتوا الى قبة معاوية وعلى لا يمر بفارس الا قده وهو يقول

أضربهم ولا أرى معاويه
الاخزر العين العظيم الهاويه
تهوي به في النار أم هاويه

ومن كرم نفسه أن أحد التجار أهدى له جارية بارعة الحسن واسمها طرب ولها صنعة فى الغناء حسنة فعند ما وقع بصره على حسنها ثم أذنه على غنائها أخذت بمجامع قلبه فقال لاحد خدامه ماترى أن ندفع لهذا التاجر عوضا عن هذه الجارية التى وقعت منا أحسن موقع فقال تقدر ما تساوى من الثمن وتدفع له بقدرها فقومت بخمسمائة دينار فقال المنذر للخديم ما عندك فيما ندفع له فقال الخمسمائة فقال ان هذا اللؤم رجل أهدى لنا جارية فوقعت منا موقع استحسان فنقابله بثمنها ولو أنه باعها من يهودى لوجد عنده هذا فقال له ان هؤلاء التجار لؤماء بخلاء وأقل القليل يقنعهم فقال وانا كرماء سمحاء فلا يقنعنا القليل لمن نجود عليه فادفع له ألف دينار واشكره على كونه خصنا بها واعلمه بأنها وقعت منا موقع رضا وفيها يقول

ليس يفيد السرور والطرب ● ان لم تقابل لواحظى طرب
أبهت فى الكاس لست أشربها * والفكر بين الضلوع يلتهب
يعجب منى معاشر جهلوا * ولو رأوا حسنها لما عجبوا

وقال له أيوه يوما ان فيك لتيها مفرطا فقال له حق لفرع أنت اصله أن يعلو فقال له يابنى ان العيون تميح التيه والقلوب تنفر عنه تقال يا أبى لى من العز والنسب وعلو المكان والسلطان ما يحمل عن ذلك وانى لم أر العيون الا مقبلة على ولا الاسماع الا مصغية الى وان لهذا السلطان رونقا يريقه التبذل وعلوا يخفضه الانبساط ولا يصونه ويشرفه الا التيه والانقباض وان هؤلاء الاندال لهم ميزان يسبرون به الرجل منا فان رأوه راجحا عرفوا له قدر رجاحته وان رأوه ناقصا عاملوه بنقصه وصيروا تواضعه صغرا وتخفضه خسة فقال له أبوه لله أنت فابق وما رأيت * وكان له أخ أديب أيضا اسمه المطرف بن عبد الرحمن الاوسط ومن شعره

أفنيت عمرى فى الشر * ب والوجوه الملاح
ولم أضيع أصيلا * ولا اطلاع صباح
أحيى الليالى سهدا * فى نشوة وبراح
ولست أسمع ماذا * يقول داعى الفلاح

والعياذ بالله من هذا الكلام وحاكى الكفر ليس بكافر وعتبه أحد اخوانه على هذا القول فقال انى قلته وأنا لا أعقل ولم أعلم أنه يحفظ عنى وأنا أستغفر الله تعالى منه والذى يغفر الفعل أكرم من أن يعاقب على القول ومن جيد شعره قوله

يا أخى فرقت صروف الليالى * بيننا غير زورة الاحلام
فغدونا بعد ائتلاف وقرب * تتناجى بألسن الاقلام

وقال أخوهما الثالث هشام بن عبد الرحمن فيمن اسمه ريحان

أحبك يا ريحان ما عشت دائما * ولولاى فى حبك الانس والجان
ولولاك لم أهو الظلام وسهده * ولا حببت لى فى ذرا الدار غربان
وما عشق الريحان الا لانه * شريكك فى اسم فيه قلبى هيمان
على انه لم يكمل الظرف مجلس * اذا لم يكن فيه مع الراح ريحان

استقامت له الامور فقال له عمرو قد أنصفك الرجل فقال له معاوية ما أنصفت وانك لتعلم انه لم يبارزه رجل قط الا قتله أو أسره فقال له عمرو وما تحمل بك الا لمبارزته فقال له معاوية طمعت فيها بعدى وحقدها عليه وقد قيل فى بعض الروايات ان معاوية أقسم على عمرو لما أشار عليه بهذا ان يبرز الى على فلم يجد عمرو من ذلك بدا فبرز فلما التقيا عرفه على وشال السيف ليضربه به فكشف عمرو عن عورته وقال مكره أخوك لا بطل فحول على وجهه وقال قبحت ورجع عمرو الى معاوية وقد ذكر هشام بن محمد الكلبى عن السرقى بن اليقظان أن معاوية قال لعمرو بعد انقضاء الحرب هل غششتنى منذ صحبتنى قال لا قال بلى والله يوم أشرت على بمبارزة على وأنت تعلم ما هو قال دعاك الى المبارزة فكنت من مبارزته على احدى الحسنيين اما أن تقتله فتكون قد قتلت قاتل الاقران وتزداد شرفا الى شرفك واما أن يقتلك فتكون قد استعجلت مرافقة الشهداء والصالحين

 وحسن أولئك رفيقا فقال معاوية يا عمرو الثانية أشر من الاولى وكان فى هذا اليوم من القتال ما لم يكن

وله فيه

اذا أنا مازحت الحبيب فانما * قصدت شفاء الهم فى ذلك المزح
فما العيش الا أن أراه مضاحكا * كما ضحك الليل البهيم عن الصبح

وقال أخوهم الرابع يعقوب بن عبد الرحمن

اذا أنا لم أجد يوما وقومى * لهم فى الجود آثار عظام
فمن يرجى لتشييد المعالى * اذا قعدت عن الخير الكرام

ومدحه بعض الشعراء فأمر له بمال جزيل فلما كان مثل ذلك الوقت جاءه بمدح آخر فقال احد خدام يعقوب هذا اللئيم له دين عندنا يقتضيه فقال الامير ياهذا ان كان الله تعالى خلقك مجبولا على كرم الصنائع فاجر على ما جبلت عليه فى نفسك ولا تكن كالاجرب يعدى غيره وان هذا رجل قصدنا قبل فكان منا ما أشر به وحمله على العودة وقد ظن فينا خيرا فلا نخيب ظنه والحديث أبدا يحفظ القديم وقد جاءنا على جهة التهنئة بالعمر ونحن نسأل الله تعالى أن يطيل عمرنا حتى يكثر ترداده ويديم نعمنا حتى نجد ما ننعم به عليه ويحفظ علينا مروءتنا حتى يعيننا على التجمل معه ولا يبلينا بخلس مثلك يقبض أيدينا عن اسداء الايادى وأمر للشاعر بما كان أمر له به قبل واوصاه بالعود عند حلول ذلك الاوان مادام العمر * وقال اخوهم الخامس الامير محمد ابن الامير عبد الرحمن لاخيهم السادس ابان وقد خلا معه على راحة هل لك امل نبلغك اياه فقال لم يبق لى امل الا ان يديم الله تعالى عمرك ويخلد ملكك فأعجب ذلك الامير وقال ما مالت اليك نفسى من باطل وكان كل واحد منهما يهيم بالآخر وفى ذلك يقول ابان

يا من يلوم ولا يدرى بمن افتتنا * لو ابصرته ما كنت تلحانى
من مازجت روحه روحى وشاطرنى * يا حسنه حين اهواه ويهوانى

وكان للامير محمد ابن الامير عبد الرحمن ثلاثة اولاد نجباء القاسم والمطرف ومسلمة ولهم اخ رابع اسمه عثمان فمن نظم القاسم فى عثمان اخيه وقد زاره فاستسقاه ماء فأبطأ عليه غلامه لعلة لم يقبلها القاسم

الماء فى دار عثمان له ثمن * والخبز شئ له شان من الشان
فاسلح على كل عثمان مررت به * غير الخليفة عثمان بن عفان

وله

شغلت بالكيمياء دهرى * فلم افد غير كل خسر
اتعب فكرى خداع عقل * فساد مال ضياع عمر

وقال شقيقه المطرف ويعرف بابن غزلان وهى امه وكانت مغنية بديعة محسنة عوادة اديبة

هل أشكى مشرفا على نهر * ارمى بطرفى اليه من قصرى
عند اخ لو دهته حادثة * اعطيته ما احب من عمرى

وقال اخوهما مسلمة

ان شيبا وصبوة للحال * اولى بأن أن يكون زوال
فدع النفس عن مزاح ولهو * تلك حال مضت وجاء تلك حال

قبل ووجدت فى بعض بنفسه رفع رأسه فاذا عبيد الله بن عمر مطروح الى قربه جريحا فتناحتى دنا منه فلم يزل يعض على ثديه حتى ثبتت فيه أسنانه لعدم السلاح والقوة لانه أصيب فوقه ميتا هو ورجل من بكر بن وائل قد زحف الى عبيد الله فشأه وانصرف القوم الى مواضعهم وخرج كل فريق منهم يحملون من أمكن من قتلاهم ومر معاوية فى خواص من أصحابه فى الموضع الذى كان ميمنته فنظر الى عبد الله ابن بديل بن ورقاء الخزاعى معفرا بدمائه وقد كان على ميسرة على فحمل على ميمنة معاوية فاصيب على ما قدمنا آنفا فاراد معاوية ان يمثل به فقال عبد الله بن عامر وكان صديقا لابن بديل والله لا تر كتك واياه فوهبه له فغطاه بعمامته فواراه فقال له معاوية قد والله واريت كبشا من كباش القوم وسيدا من سادات خزاعة غير مدافع لو ظفرت بنا خزاعة لاكلونا ولو أنا فى جندل دون هذا الكبش وأنشأ يقول متمثلا

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت يوما به الحرب شمرا

وكان يقول انى لا افارق الامن اختار مفارقتى ومن خادعنى انخدعت له وارتبته انى غير فطن بخداعه ليجيبه امره وادخل عليه مسرة بنفسه ورايه * وقال محمد ابن الامير المنذر ابن الامير محمد فى جاريته الاراكة

قل للاراكة قد زا * دبالدنو اشتياقى
وهاج مالى اليها * تمثلى للعناق
وانى وبقلبى * جمر جرى فى المآقى
طويت مالى ليوم * يكون فيه التلاقى
فان اعد لاجتماع * حرمت يوم افتراق
لا يعرف الشوق الا * من ذاق طعم الفراق

وقال عبد الله بن الناصر وقد اهدى له سعيد بن فرج ياسمينا ابيض واصفر وكتب معه

مولاى قد اوسلت نحوك تحفة * بمرادما ابغيه منك تذكر
من ياسمين كالعجين تبرجت * بيضا وصفرا والسماح يعبر

فأجابه بما نصه

اتاك تفسيرى ولما يحل * منى على أضغاث احلام
فاجعله رسما دائما زائرا * منى ومنك غرة العام

وبعث اليه بهذين البيتين مع ملء الطبق دنانير ودراهم فقال ابن فرج

قد سمعنا بجود كعب وحاتم * ماسمعنا جودا مدى العمر لازم
فدعائى بأن تدوم دعاء * لى لازال طول ماعشت دائم
ماسمعنا كمثل هذا اختراعا * هكذا هكذا تكون المكارم

وتشبيه هذه الحكاية حكاية اتفقت لبعض ملوك افريقية وذلك ان رجلا أهدى له فى قادوس وردا أحمر وأبيض فأمر أن يملأ له دراهم فقالت له جاريته من جواريه ان رأى الامير أن يأمر ان ما أعطاه حتى يوافق ما أهداه فاستحسن ذلك الامير وأمر أن يملأ دنانير ودراهم وكان المروانى المذكور يسايره أحد الفقهاء الظرفاء فرأى الجميل فمال عبد الله بطرفه الى وجهه وظهر ذلك لمسايره فتبسم ففهم عبد الله تبسمه فقال ان هذه الوجوه الحسان خلابة ولكنا لا نتغلغل فى نظرها ولا ندعى العفة عنها بالجملة وفيها اعتبار وتذكار بالحور العين التى وعد الله تعالى فقال له الفقيه احتج لى وحلك بما شئت فقال أوما هى حجة تقبل فقال الفقيه يقبلها من رق طبعه وكاد يضيق عن الصبر وسعه فقال وأراك شريكا لى فقال ولولا ذلك لما لتك فأطرق عبد الله ساعة ثم أنشد

أفدى الذى مر بى فمال له * لحظى ولكن ثنيته غصبا
ماذاك الا لخوف منتقد * فالله يعفو ويغفر الذنبا

فقال له الفقيه ان كنت ثنيت لحظك خوف انتقادى فانى أدعوه اليك حتى تملأه منه ولا تنسب الى ما نسبت فتبسم عبد الله وقال ولا هذا كله وقال له ان مثلك فى الفقهاء لمعدوم فقال له ما كنت الا أديبا ولكنى لما رأيت سوق الفقه بقرطبة نافقة اشتغلت به فقال له ومن عقل

إخواننا المحاط بهم يقول لكم على كبر وانتم احملوا ونحمل حتى نلتقى فحمل الجعفى فطعن فى عرضهم حتى انتهى

اليهم فاخبرهم بمقالة على فكبروا ثم شدوا حتى التقوا بعلى وشد خواسبعمائة من أهل الشام وقتل خوشب ذو ظليم وهو كبش من كباش اليمن فى أهل الشام وكان على راية هذيل بن سنان وغيرها من ربيعة الحضين ابن المنذر بن الحرث بن وعلة الذهلى وفيه يقول على فى هذا اليوم لمن راية سوداء يخفق ظلها اذا قلت قدمها حضين تقدما فامره بالتقدم واختلط الناس وبطل النبل واستعملت السيوف وجثم الليل وتنادوا بالشعار وتقصفت الرماح وتصادم القوم وكان يعتنق الفارس الفارس ويقعان جميعا على الارض عن فرسيهما وكانت ليلة الجمعة وهى ليلة الهرير فكان جملة من قتل على يكفه فى يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلا اكثرهم فى اليوم وذلك انه كان اذا قتل رجلا كبرا ذا ضرب ولم يكن يضرب الا قتل ذكر ذلك عنه من كان يليه فى حربه ولا يفارقه من ولده وغيرهم وأصبح القوم على قتالهم وكسفت الشمس وارتفع القتام وتقطعت الالوية ولم يعرفوا مواقيت الصلاة وغدا الاشتر يرتجز وهو يقول نحن قتلنا خوشبا * لما غدا قداعلما وذا الكلاع قبله * ومعبدا ذ قدما وقال

المرء أن لا يفنى عمره فيما لا ينفعه عصره وكان عبد الله المذكور يسمى الزاهد فبايع قوما على قتل والده الناصر وأخيه الحكم المستنصر ولى العهد فأخذ يوم عيد الاضحى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة فذبح بين يديه رحمه الله تعالى وقال أخوه أبو الاصبغ عبد العزيز بن الناصر وقد دخل ابن له الكتاب فكتب أول لوح فبعثه الى أخيه الحكم المستنصر ملك الاندلس ومعه

هالك يا مولاى خطا * مطه فى اللوح مطا
ابن سبع فى سنيه * لم يطق اللوح ضبطا
دمت يا مولاى حتى * يلد ابن ابنك سبطا

وله زارنى من همت فيه سحرا * يتهادى كنسيم السحر
اقبس الصبح ضياء ساطعا * فأضاء والفجر لم ينفجر
واستعار الروض منه نفحة * بشهاب بين الصبا والزهر
أيها الطالع بدرا نيرا * لاحلت الدهر الا بصرى

وكان مغرى مغرما بالخمر والغناء فقطع الخمر فبلغه أن المستنصر لما بلغه تركه للخمر قال الحمد لله الذى أغنانا عن مفاتحته وده على ما نريد منه ثم قال لو ترك الغناء لكمل خيره فقال والله لاتركنه حتى تترك الطيور تغريدها ثم قال

أنا فى صحة وجاه ونعمى * هى تدعو لهذه الالحان
وكذا الطير فى الحدائق تشدو * للذى سر نفسه بالقيان

وقال أخوه محمد بن الناصر لما قدم أخوهما المستنصر من غزوة

قدمت بحمد الله أسعد مقدم * وضدك أضحى لليدين وللفم
لقد حزت فيها السبق اذ كنت أهله * كما حاز باسم الله فضل التقدم

واما اخوهما محمد بن عبد الملك بن الناصر فقال الحجارى فيه انه لم يكن أحد ولد الناصر ممن لم يل الملك اشعر منه ومن ابن اخيه وكتب الى العزيز صاحب مصر

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت * بنا الحال أو دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وكان جواب العزيز له اما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لهجوناك وله فى الصنوبر

ان الصنوبر حصن * لديه حرز وباس
حفت مزاجل ارها * ب من عداه تراس
كانما هو ضد * لما حواه الرياس

وبعض سيوف الاندلس محفور صدر الرياس على صورة قشور الصنوبر الا ان تلك ناتئة وهذه محفورة وقال

اتانى وقد خط العذار بخده * كما خط فى ظهر الصحيفة عنوان
تزاحمت الالحاظ فى وجناته * فشقت عليه للشقائق أردان
وزدت غراما حين لاح كانما * تفتح بين الورد والآس سوسان

وقال

وقال لئن كنت خلاع العذار بشادن * وكأس فانى غير نزر المواهب
وانى لطعان اذا اشتجر القنا * ومقتحم طرفى صدور الكتائب
وانى اذا لم ترض نفسى بمنزل * وجاش بصدرى الفكر جم المذاهب
جليد يود الصخر لو أن صبره * كصبرى على ما نابنى للنوائب
وأسرى الى ان يحسب الليل انني * لطول مسيرى فيه بعض الكواكب

وأما ابن اخيه مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر فكان فى بنى امية شبيه عبد الله بن المعتز فى بنى العباس بملاحة شعره وحسن تشبيهه ومن شعره القصيدة المشهورة

غصن يهتز فى غصن نقا * يجتنى منه فؤادى حرقا
سال لام الصدغ فى صفحته * سيلان التبر وافى الورقا
فتناهى الحسن فيه انما * يحسن الغصن اذا ما أورقا

ومنها أصبحت شمسا وفوه مغربا * ويد الساقى المحيى مشرقا
فاذا ما غربت فى فيه * تركت فى الخد منه شفقا

ومنها وكأن الورد يعلوه الندى * وجنة المحبوب تندى عرقا

قالوا وهذا النمط قد فاق به أهل عصره ويظن انه لا يوجد لاحد منهم أحلى واكثر أخذا بمجامع القلوب من قوله

ودعت من أهوى أصيلا ليتنى * ذقت الحمام ولا أذوق نواه
فوجدت حتى الشمس تشكو وجده * والورق تندب شجوها بهواه
وعلى الاصائل رقة من بعده * فكأنها تلقى الذى ألقاه
وغدا النسيم مبلغا ما بيننا * فلذاك رق هوى وطاب شذاه
ما الروض قد مزجت به أنداؤه * سحرا بأطيب من شذا ذكراه
والزهر مبسمه ونكهته الصبا * والورد أخضله الندى خداه
فلذاك أولع بالرياض لانها * أبدا تذكرنى بمن أهواه

ولله قوله

وعشى كأنه صبح عيد * جامع بين بهجة وشجوب
هب فيه النسيم مثل محب * مستعيرا شمائل المحبوب
ظلت فيه ما بين شمسين هذى * فى طلوع وهذه فى غروب
وتدلت شمس الاصيل ولكن * شمسنا لم تزل بأعلى الجنوب
رب هذا خلقته من بديع * من رأى الشمس أطلعت فى قضيب
أى وقت قد أسعف الدهر فيه * وأجابت به المنى عن قريب
قد قطعناه نشوة ووصالا * وملأناه من كبار الذنوب
حين وجه السعود بالبشر طاق * ليس فيه أمارة للقطوب
ضيع الله من يضيع وقتا * قد خلا من مكدر ورقيب

وبات عند أحد رؤساء بنى مروان فقدم اليه ذلك الرئيس قدحا من فضة فيه راح أصفر وقال

سبعين رأسا محرما أضحوا بصفين وقد
لاقوا نكالا مؤلما
وكان الاشتر فى هذا اليوم وهو يوم الجمعة على ميمنة على وقد أشرف على الفتح ونادت مشيخة أهل الشام الله الله فى الحرمات والنساء والبنات وقال معاوية هلم مخبأتك يا ابن العاص فقد هلكنا وتذكر ولاية مصر فقال عمرو أيها الناس من كان معه مصحف فليرفعه على رمحه فكثر فى الجيش رفع المصاحف وارتفعت الضجة ونادوا كتاب الله بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد أهل الشام ومن لثغور العراق بعد أهل العراق ومن لجهاد الروم ومن للترك ومن للكفار ورفع فى عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف وفى ذلك يقول النجاشى بن الحرث

فاصبح أهل الشام قد رفعوا القنا
عليها كتاب الله خير قران
ونادوا عليا يا ابن عم محمد
أما تتقى أن تهلك الثقلان

فلما رأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا نجيب الى كتاب الله ونتوب اليه وأحب القوم الموادعة وقيل لعلى قد أعطاك معاوية الحق دعاك الى كتاب الله فاقبل منه وكان أشدهم فى ذلك اليوم الاشعث بن قيس فقال على

اشرب وصف فداك ابن عمك فقام اجلالا وشرب صائحا بسروره ثم قال الدواة والقرطاس فأحضرا وكتب

اشرب هنيئا لاعدالك الطرب * شرب كريم فى العلا منتخب
وافاك بالراح وقد ألبست * برد أصيل معلما بالحبب
فى قدح لم يك يسقى به * غير أولى المجد وأهل الحسب
ما جاراذ أسقاك من كفه * فى جامد الفضة ذوب الذهب
فقم على رأسك برابه * واشرب على ذكراه طول الحقب

ويحكى انه لما قتل أباه وقد وجده مع جارية له كان يهواها سجنها المنصور بن أبى عامر مدة الى أن رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم يأمره باطلاقه فأطلقه فمن أجل ذلك عرف بالطليق * قال أحمد بن سليمان بن أحمد بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصرى ابن حزم لما عاداه علماء عصره

لما تحلى بخلق * كالمسك أو نشر عود
نجل الكرام ابن حزم * وقام فى العلم عودى
فتواه جددينى * جدواه أورق عودى

وله فى أبى عامر بن المظفر بن أبى عامر من قصيدة يمدحه بها

بأبى عامر وصلت حبالى * فزمانى به زمان سعيد
فتى زدت فيه وداوشكرا * فنداه وقد تناهى يزيد
كيف لى وصفه وفى كل يوم * منه فى المكرمات معنى جديد

وقال أبو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثى أبا مروان بن سراج

وكم من حديث للنبى أبانه * وألبسه من حسن منطقه وشيا
وكم مصعب للنحو قد راض صعبه * فعاد ذلولا بعدما كان قد أعيا

وقال عبيد الله بن محمد المهدى وهو من حسنات بنى مروان ويعرف بالاقرع

أقول لآمالى ستبلغ ان بدا * محيا ابن عطاف ونعم المؤمل
فقالت دعانى كل يوم تعلل * فقلت لها ان لاح يفنى التعلل
لئن كان منى كل حين ترحل * فانى ان أحلل به لست أرحل
فتى ترد الآمال فى بحر جوده * وليس على نعمى سواه المعول

وقال هذه فى الوزير ابن عطاف فضن عليه حتى يرجع الجواب فكتب اليه بقصيدة منها

أيها الممكن من قدرته * لا يراك الله الا مجتنا
انما المرء بما قدمه * فتخير بين ذم وثنا
لا تكن بالدهر غرا واذا * كنت فانظر فعله فى ملكنا
كل ما خولت منه ذاهب * انما تحسب منه الكفنا
مد كفا نحو كف طالما * أمطرت منه السحاب الهتنا
أو أرحنى بجواب ؤيس * فطال البر من شر العنا

فاصبحت اليوم مأمورا وقد أحببتم البقاء فقال الاشتران معاوية لا خلف له من رجاله ولك بحمد الله الخلف ولو كان له مثل رجالك لما كان له مثل صبرك ولا نصرك فاقدع الحديد واستعذ بالله وتكلم رؤساء أصحاب على نحو من كلام الاشتر فقال الاشعث بن قيس انا لك اليوم على ما كنا عليه أمس وليس ندرى ما يكون غدا وقد والله فل الحديد وكلت البصائر وتكلم معه غيره بكلام كثير فقال على ويحكم ما رفعوها الا نكم تعلمونها ولا يعلمون بها وما رفعوها لكم الا خديعة ودهاء ومكيدة فقالوا له انه ما يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فنأبى أن نقبله فقال ويحكم انما قاتلتهم ليدينوا بحكم الكتاب فقد عصوا الله فيما أمرهم به ونبذوا كتابه فامضوا على حقكم وقصدكم وخذوا فى قتال عدوكم فان معاوية وابن العاص وابن أبى معيط وحبيب بن مسلمة وبنى النابغة وعدة غيرهؤلاء ليسوا باصحاب دين ولا قرآن وأنا أعرف بهم منكم صحبتهم أطفالا ورجالا فهم شر أطفال ورجال وجرى له مع القوم خطب طويل قد أتينا بعضه وتهددوه أن يصنع به ما صنع بعثمان

فلم يعطه شيأ وكان له كاتب فتحيل فى خمسين درهما فأعطاها له فلما سمع الوزير بذلك طرده وقال له من أنت حتى تحمل نفسك هذا وتعطيه قال فوالله ما لبث الا قليلا حتى مات الوزير وتزوج الكاتب بزوجته وسكن فى داره وتخول فى نعمته فحملنى ذلك على أن كتبت بالفحم فى حائط داره

أيا دار قولى اين ساكنك الذى * ابى لؤمه ان يترك الشكر خالدا
تسمى وزيرا والوزارة سبة * لمن قد أبى ان يستفيد المحامدا
وولى ولكن ليس يبرح ذمه * فهاهو قد ارضى عدوا وناقدا
واضحى وكيل كان يأنف نعله * نزيلك فى الحوض الممنع واردا
جزاه باحسان لذا واساءة * لذاك وساع ورث الحمد قاعدا

والمثل السائر فى هذا رب ساع لقاعد * وقال سليمان بن المرتضى بن محمد بن عبد الملك بن الناصر وكان فى غاية الجمال ويلقب بالغزال

قدم الربيع عليك بعد مغيب * فتلقه بسلافة وحبيب
فصل جديد فلتجدد حالة * يأتى الزمان بها على المرغوب
الجو طلق فالقه بطلاقة * واذا تقطب فالقه بقطوب
لله أيام ظفرت بها ومن * أهواه منقاد بغير رقيب

وله

لى فى كفالات الرماح لوانها * وفت ضمان يبلغ الآمالا
وكأن دهرى فى اقتضاء ضمانها * ضنانه أن لا يحول فحالا

وكان مولعا بالفكاهة والنادر محبا للظرفاء وكان يلتزم خدمته المضحك المشهور بالزرافة و يحضره معه ولعبوا فى مجلس سليمان لعبة أفضوا فيها الى أن تقسموا اثنين اثنين كل شخص ورفيقه فقال سليمان ومن يكون رفيقى فقال له المضحك يا مولاى وهل يكون رفيق الغزال الا الزرافة فضحك منه على عادته ودخل عليه وهو قاعد فى رحبة قصره وقد أطال عذاره فقال له ما تطلب الزرافة فقال ترعى الحشيش وأشار الى عذاره فقال له اعزب لعنك الله ومر سليمان به يوما وهو سكران وقد أوقف ذكره وجعل يقول له ماذا رأيت فى القيام فى هذا الزمان أما رأيت كل ملك قام كيف خلع وقتل والله انك سيئ الرأى فقال له سليمان ويم لقبت هذا الاثر فقال يا مولاى بصفته القائم فقال و يحتاج الى خاتم فقال نعم و يكون خاتم سليمان فقال له أخزاك الله ان الكلام معك لفضيحة * وقال سعيد بن محمد المروانى وقد هجره المنصور بن أبى عامر مدة لكلام بلغه عنه فدخل والمجلس غاص وأنشد

مولاى مولاى أما آن أن * ترحمنى بالله من هجركا
وكيف بالهجر وأنى به * ولم أزل أسبح فى بحركا

فضحك ابن أبى عامر على ما كان يظهره من الوقار وقام وعانقه وعفا عنه وخلع عليه وله

والبدر فى جو السماء قد انطوى * طرفاه حتى عاد مثل الزورق
فتراه من تحت المحاق كانما * غرق الكثير وبعضه لم يغرق

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز

ان شئت فاتاه الاشعث فسأله فقال له معاوية نرجع نحن وأنتم الى كتاب الله والى ما أمر به فى كتابه تبعثون منكم رجلا ترضونه وتختارونه ونبعث برجل ونأخذ عليهما العهد والميثاق ان يعملا بما فى الكتاب ولا يخرجا عنه وننقاد جميعا الى ما اتفقا عليه من حكم الله فصوب الاشعث قوله وانصرف الى على فاخبره بذلك فقال اكثر الناس رضينا وقبلنا وسمعنا واطعنا فاختار اهل الشام عمرو بن العاص وقال الاشعث ومن ارتد بعد ذلك الى راى الخوارج رضينا نحن بابى موسى الاشعرى فقال على قد عصيتمونى فى اول الامر فلا تعصونى الآن انى لا ارى ان اولى ابا موسى الاشعرى فقال الاشعث ومن معه لا نرضى الا بابى موسى الاشعرى قال فيحكم ليس بثقة قد فارقنى وخذل الناس وفعل كذا وكذا وذكر اشياء فعلها ابو موسى ثم انه هرب شهورا حتى امنته ليكن هذا عبد الله بن عباس اوليه ذلك فقال الاشعث واصحابه والله لا يحكم فينا مضرى قال على فالاشتر قالوا وقد هاج هذا الامر الاشتر قال فاصنعوا الآن ما اردتم وافعلوا ما بدا لكم ان تفعلوه فبعثوا الى ابى موسى وكتبوا له القضية

(ذكر الحكمين وبدء التحكيم)

كان ابو موسى الاشعرى يحدث قبل وقعة صفين ويقول ان الفتن لم تزل فى بنى اسرائيل ترفعهم وتخفضهم حتى يبعثوا الحكمين يحكمان بما لا يرضى به من اتبعهما فقال سويد بن علقمة اياك ان ادركت ذلك الزمان أن تكون احد الحكمين قال انا قال نعم انت فكان يخلع قميصه ويقول لاجعل الله لى اذا فى السماء مصعدا ولا فى الارض مقعدا فلقيه سويد بن علقمة بعد ذلك فقال ياابا موسى اتذكر مقالتك قال سل ربك العافية وكان فيما كتب فى الصحيفة أن يحيى الحكمان ما احيا القرآن ولا يتبعان الهوى ولا يداهنان فى شئ من ذلك فان فعلا فلا حكم لهما والمسلمون من حكمهما برآء وقال على للحكمين حين اكره على امرهما ورد الاشتر وكان قد اشرف فى ذلك اليوم على الفتح فاخبره مخبر بما قالوا فى على وانه لم يرده الى معاوية وفعل به ما فعل بابن عفان فانصرف الاشتر خوفا على على على ان تحكما بما فى كتاب الله وكتاب الله كله لنا فان لم تحكما بما فى كتاب الله فلا حكم لكما وصيروا الاجل

وانظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

وقال قاسم بن محمد المروانى يستعطف المنصور بن أبى عامر وقد سجنه لقول صدر عنه

ناشدتك الله العظيم وحقه * فى عبدك المتوسل المتحرم
بوسائل المدح المعاد نشيدها * فى كل مجمع كوكب أو موسم
لا تستجيح منى حمى ارعى له * يا من يرى فى الله أحمى محتمى

وقال الاصم المروانى يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على بجبل الفتح معارضا بائية أبى تمام *السيف أصدق انباء من الكتب* بقصيدة طويلة منها

ما للعداة جنة أوقى من الهرب * أين المفر وخيل الله فى الطلب
وأين يذهب من فى رأس شاهقة * اذا رمته سماء الله بالشهب

ومنها وطود طارق قد حل الامام به * كالطور كان لموسى أيمن الرتب
لو يعرف الطود ما غشاه من كرم * لم يبسط النور فيه الكف للسحب
ولو تيقن بأساحل ذروته * لصار كالعين من خوف ومن رهب
منه يعاود هذا الفتح ثانية * أضعاف ما حدثوا فى سالف الحقب
و يلبس الدين غضا ثوب عزته * كأن أيام بدر عنه لم تغب

وقال فى نارنجة

وبنت أيد دنا من لثمها قزح * فصار منه على أرجائها اثر
يبدو لعينيك منها منظر عجب * زبرجد ونضار صاغه المطر
كان موسى نبى الله اقبسه * نارا وجر عليها كفه الخضر

وقال وشادن قلت له صف لنا * بستاننا هذا ونارنجنا
فقال لى بستانكم جنة * ومن جنى النارنج نار اجنى

وقال فى زلبانى

لله سفاح يد الى مسحرا * فأفاد علم الكيميا بيمينه
ذهبت فضة خده بلواحظى * وكذاك تفعل ناره بعجينه

وقال وقد نزل فى فندق لا يليق بمثله

يا هذه لا تفندينى * أن صرت فى منزل هجين
فليس قبح المحل مما * يقدح فى منصبى ودينى
فالشمس علوية ولكن * تغرب فى حمأة وطين

وقال احمد المروانى

حلفت بمن رمى فأصاب قلبى * وقلبه على جمر الصدود
لقد اودى تذكره بقلبى * ولست أشك أن النفس تودى
فقيدوه وموجود بقلبى * فوا عجبا لموجود فقيد

وقال الاصبغ القرشى يرثى ابن شهيد وهو من اصحابه

ايامن به كان السرور مواصلا * واسلم قلبى للصبابة والفكر

ومنها لعمرك ما يجدى النعيم اذا نات * وجوههم عنى ولا فسحة العمر

وقال سليمان بن عبد الملك الاموى

وذى جدل اطال القول منه * بلا معنى وقد خفى الصواب
فقلت اجبه فازداد ردا * فقلت له قد ازدحم الجواب
ولم ار غير صمتى من مريح * اذا ما لم يفد فيه الخطاب

وقال ابو يزيد بن العاصى

عابه الحاسد الذى لام فيه * أن رأى فوق خده جدريا
انما وجهه هلال تمام * جعلوا برقعا عليه الثريا

وله اذا شئت ان يصفو صديقك فاطرح * نزاع الذى يبديه فى الهزل والجد
وان كنت من اخلاقه فى جهنم * فأنزله من مثواك فى جنة الخلد
الى ان يتيح الله من لطف صنعه * فراقا جميلا فاجعل العذر فى البعد

وليكن هذا آخر ما نورده من كلام بنى مروان رحمهم الله تعالى * ولنرجع الى اهل الاندلس جملة فنقول ام ابو الحجاج المنصفى ان يكتب على قبره

قالت لى النفس اتاك الردى * وانت فى بحر الخطايا مقيم
هلا ادخرت الزاد قلت اقصرى * لا يحمل الزاد لدار الكريم

وقد ذكرنا هذين البيتين فى غير هذا الموضع * وقال ابن مرج الكحل اجتمعنا فى حانوت بعض الاطباء باشبيلية فاضجرناه بكثرة جلوسنا عنده وتعذرت المنفعة عليه من أجلنا فأنشدنا

خففوا عنا قليلا * رب ضيق فى براح
هل شكوتم من سقام * أو جلسنا للصحاح

فأضفت اليهما ثالثا وأنشدته اياها على سبيل المداعبة

ان أتيتم ففرادى * ذاك حكم المستراح

ودخل محمد بن غانم بن وليد مجلس باديس بن حيوس فوسع له على ضيق كان فيه فقال

صم فؤادك للحبيب منزلة * سم الخياط مجال للحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما اتسع الدنيا بغيضين

ودخل على أبى جعفر اللمائى بعض أصحابه عائدا فى علته التى مات فيها وجعل يروح عليه بمروحة فقال أبو جعفر على البديهة

روحى عائدى فقلت له * لا لا تزدنى على الذى أجد
أما ترى النار وهى خامدة * عند هبوب الرياح تتقد

وقال الاعلم ليكن محفوظك من النظم مثل قول ابن القبطرنة

دعاك خليلك واليوم طل * وعارض وجه الثرى قد بقل
لقدرين فاحا وشمامة * وابريق راح ونعم المحل
ولو شاء زاد ولكنه * يلام الصديق اذا ما احتفل

وقال أبو عامر بن نيق الشاطبى

وكان الوقت الذى كتبت فيه الصحيفة لايام بقين من صفر سنة سبع وثلاثين وقيل بعد هذا الشهر منها ومر الاشعث بالصحيفة يقرؤها على الناس فرحا مسرورا حتى انتهى الى مجلس لبنى تميم فيه جماعة من زعمائهم منهم عروة ابن الزبير التميمى وهو أخو بلال الخارجى فقرأها عليهم فجرى بين الاشعث وبين أناس منهم خطب طويل وان الاشعث كان بدء هذا الامر والمانع لهم من قتال عدوهم حتى يفيئوا الى أمر الله وقال عروة بن أدية التحكمون فى دين الله وأمره ونهيه الرجال لا حكم الا لله فكان أول من قالها وحكم بها وقد تنوزع فى ذلك وشد بسيفه على الاشعث فضم فرسه عن الضربة فوقعت فى عجز الفرس ونجا الاشعث وكادت العصبية أن تقع بين النزارية واليمانية لولا اختلاف كلمتهم فى الديانة والتحكيم وفى فعل عروة ابن أدية بالاشعث يقول رجل من بنى تميم فى أبيات

عروبا عروكل فتنة قوم * سلفت انما تكون فتيه
ثم تنمى ويعظم الخطب فيها * فاحذرن غب ما أتيت عريه

أعلى الاشعث المعصب بالتاج حملت السلاح يا ابن اديه * انها فتنة كفتنة ذى الجد ـ ل يا عروة العصا والعصيه

ما أحسن العيش لو أن الفتى أبدا * كالبدر يرجو تماما بعد نقصان
اذ لا سبيل الى تخليـــــد مأثرة * اذ لا سبيل الى تخليـــد جثمان

وقال أبو الحسن الاورقى

عجبا لمن طلب المحا * مد وهو يمنع ماليه
ولباســـــط آماله * للخير لم يبسط يديه
لم لا أحب الضيف أو * أرتاح من طرب اليه
والضيف يأكل رزقه * عندى ويحمدنى عليه

وقال أبو عيسى بن لبون وهو من قوّاد المأمون بن ذى النون

نفضت كفى من الدنيا وقلت لها * اليك عنى فانى الحق أغتبن
من كسر بيتى لى روض ومن كتبى * جليس صدق على الاسرار مؤتمن
أدرى به ما جرى فى الدهر من خبر * فعنده الحق مبسوط ومختزن
وما مصابى سوى موتى ويدفنى * قوم وما لهـــم علم بمن دفنوا

وقال أبو عامر بن الحمار

ولى صاحب أحنو عليه وانه * ليوجعنى حينا فلا أتوجع
أقيم مكانى ما جفانى وربما * يسائلنى الرجعى فلا أتمنع
كأنى فى كفيه غصن اراكة * تميل على حكم النسيم وترجع

وقال أبو العباس بن السعود

تبا لقلب عن الاحباب منصرف * يهوى أحبته ما خالس النظرا
مثل السجنجل فيه الشخص تبصره * حتى اذا غاب لم يترك به أثرا

ومرض أبو الحكم بن علندة فعاده جماعة من أصحابه فيهم فتى صغير السن فوفاه من بره ما أوجب تغيرهم فقطن لذلك وأنشدهم ارتجالا

تكثر من الاخوان للدهر عدة * فكثرة در العقد من شرف العقد
وعظم صغير القوم وابد أبحقه * فمن خنصرى كفيك تبدأ بالعقد

وقال القاضى أبو موسى بن عمران

ما للخارب من مدى * والمرء منها فى ازدياد
قد كنت أحسب ذا العلا * من حاز علما واستفاد
فاذا الفقيه بغـــيرما * لـــك كالحمام بلا عماد
شرف الفتى بنضاره * ان الفقير أخو الجماد
ما العـــلم الا الجوهر * قد بيع فى سوق الكساد

وقال أبو بكر بن الجزار السرقسطى

اياك من زلل اللسان فانما * عقل الفتى فى لفظه المسموع
والمرء يختبر الاناء بنقره * ليرى الصحيح به من المصدوع

وقال أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد تناول بعض أصحابنا نرجسة فركبها فى وردة ثم دفعها

فانظر اليوم ما يقول على بصفين فقد ذكر احمد بن الدورقى عن يحيى بن معين ان عدة من قتل بها من الفريقين فى مائة يوم وعشره ايام مائة ألف وعشرة آلاف من الناس من اهل الشام تسعون الفا ومن اهل العراق عشرون الفا ونحن نذهب الى ان عدد من حضر الحرب من اهل الشام بصفين اكثر مما قيل فى هذا الباب وهو خمسون و مائة الف مقاتل سوى الخدم والاتباع وعلى هذا يجب ان يكون مقدار القوم جميعا من قاتل منهم ومن لم يقاتل من الخدم وغيرهم ثلثمائة الف بل اكثر من ذلك لان اقل من فيهم معه واحد يخدمه وفيهم من معه الخمسة والعشرة من الخدم والاتباع واكثر من ذلك واهل العراق كانوا فى عشرين ومائة الف مقاتل دون الاتباع والخدم واما الهيثم ابن عدى الطائى وغيره مثل الشرقى بن القطامى وابى مخنف لوط بن يحيى فذكروا اما قدمناه وهو أن جملة من قتل من الفريقين جميعا سبعون الفا من اهل الشام خمسة واربعون الفا ومن اهل العراق خمسة وعشرون الفا فيهم خمسة وعشرون بدريا وان العدد كان يقع بالقضيب

الى والى صاعد وقال قولا فأبهمت دونتا ابواب القول فدخل الزبير وكان اميا لا يذكر من الكلام الا ما علق بنفسه فى المجالس وينفذ مع هذا فى المطولات من الاشعار فأشعر بأمرنا فجعل يقول دون رويه

ما للاديبين قد اعيتهما * مليحة من ملح الجنه
نرجسة فى وردة ركبت * كعقلة تطرف فى وجنه

وقال ابو محمد بن حزم فى طوق الحمامة

خلوت بها والراح ثالثة لنا * وجنح ظلام الليل قد مد واعتلج
فتاة عدمت العيش الا بقربها * فهل فى ابتغاء العيش ويحك من حرج
كانى وهى والكاس والخمر والدجا * حيا وثرى والدر والتبر والسبج

قال وهذه خمس تشبيهات لا يقدر أحد على أكثر منها اذ تضيق الاعاريض عنه قال أبو عامر ابن مسلمة ولا أذكر مثلها الا قول بعض

فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

الا انه لم يعطف خمسة على خمسة كما صنع ابن حزم بل اكتفى بالعلم فى التشبيهات قال ومن أغرب ما وقع لى من التشبيهات فى بيت قول ابن برون الاكشونى الاندلسى يصف فرسا وردا اغر محجلا

فكأن غرته وتحجيلاته * خمس من السوسان وسط شقائق

قال وهذا على التحقيق ستة على ستة ولم أسمع بمثله لاحد قال ابن الجلاب وكلام ابى عامر هذا لا يخلو من النقد * وقال ابن صارة

انظر الى البدر واشراقه * على غدير موجه يزهر
كمثحذ من حجر أخضر * خط عليه ذهب أحمر

وقال أبو القاسم بن العطار الاشبيلى

ركبنا سماء النهر والجو مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم
وقد ألبسته الايك بردا لالها * وللشمس فى تلك البرود رقوم

وقال ابن صارة

والنهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من ذهب الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كانها * عكن الخصور تضمها الاعجاز

وقال سهل بن مالك

ورب يوم وردنا فيه كل منى * وقل فى مثل ذاك اليوم أن نردا
فى روضتين بشطى سلسل شبم * كما اجتليت من المحبوب مفتقدا
يبدد القطر فى أثنائه حلقا * فتنظم الريح منها فوقه زردا

وقال ابن صارة

انظر النهر فى رداء عروس * صبغته بزعفران العشى
ثم لما هب النسيم عليه * هز عطفيه فى دلاص الكمى

وعلى صلاتهم عبد الله بن الكرواء اليشكرى من بكر بن وائل فخرج على اليهم وكانت له معهم مناظرات فدخلوا جميعا

يعرف ومن لا يعرف وفيهم من غرق وفيهم من قتل فى البر فاكلته السباع فلم يدركهم الاحصاء وغير ذلك مما يعسر ما وصفنا وسمعت امراة بصفين وقد قتل لها ثلاثة اولاد وهى تقول

اعينى جودا بدمع سرب * على فتية من خيار العرب
وماضرهم غير جنى النفوس * باى امرئ من قريش غلب

ولما وقع التحكيم تباغض القوم جميعا يتبرأ الاخ من اخيه والابن من ابيه وامر على بالرحيل لعلمه باختلاف الكلمة وتفاوت الرأى وعدم النظام لامورهم وما لحقه من الخلاف منهم وكثرة التحكيم فى جيش أهل العراق وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف وتسابوا ولام كل فريق منهم الآخر فى رأيه وسار على يؤم الكوفة ولحق معاوية بدمشق من أرض الشام وفرق عساكره فلحق كل جند منهم ببلده ولما دخل على رضى الله عنه الكوفة انحاز عنه اثنا عشر ألفا من القراء وغيرهم فلحقوا وراءه قرية من قرى الكوفة وجعلوا عليهم شبيب بن ربعى التميمى

وهب بن جابر بن حازم عن الصلت بن بهرام قال لما قدم على الكوفة جعلت الحرورية تناديه وهو على المنبر خرجت من البلية ورضيت بالقضية وقبلت الدنية لاحكم الا لله فيقول حكم الله أنتظر فيكم فيقولون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فيقول على فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون * وفى سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين بدومة الجندل وقيل بغيرها على ما قدمنا فى وصف التنازع فى ذلك وبعث على بعبد الله بن العباس وشريح بن هانئ الهمدانى فى أربعمائة رجل فيهم ابو موسى الاشعرى وبعث معاوية بعمرو بن العاص ومعه شرحبيل ابن السمط فى اربعمائة فلما تدانى القوم من الموضع الذى كان فيه الاجتماع قال ابن عباس لابى موسى ان عليا لم يرض بك حكما لفضل غيرك والمتقدمون عليك كثير وان الناس أبوا غيرك وانى لاظن ذلك لشر يراد بهم وقد ضم داهية العرب معك ان نسيت فلا تنس أن عليا بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وليس فيه خصلة فقد

ولبعضهم فى شكل يرمى الماء مجوفا مثل الحباب وتمزقه الريح أحيانا

ومطنب للماء ما أوتاده * الانتائج فكرطب حاذق
لعبت به أيدى الصبا فكانها * أيدى الصبابة بالفؤاد العاشق

وقال صفوان بن ادريس يصف تفاحة فى ماء

ولم أر فيما تشتهى العين منظرا * كتفاحة فى بركة بقرار
يفيض عليها ماؤها فكانها * بقية خد فى اخضرار عذار

وقال أبو جعفر بن وضاح فى دولاب

وباكية والروض يضحك كلما * ألحت عليه بالدموع السواجم
بروقك منها ان تأملت نحوها * زئير اسود والتفاف أراقم
تخلص من ماء الغدير سبائكا * فتنبتها فى الروض مثل الدراهم

وقال الوزير ابن عمار

يوم تكاثف غيمه فكانه * دون السماء دخان عود أخضر
والطل مثل برادة من فضة * منثورة فى تربة من عنبر
والشمس احيانا تلوح كانها * أمة تعرض نفسها للمشترى

وقال أبو الحسن بن سعد الخير

لله دولاب يفيض بسلسل * فى روضة قد اينعت افنانا
قد طارحته بها الحمائم شجوها * فيجيبها ويرجع الالحانا
فكانه دنف يدور بمعهد * يبكى ويسأل فيه عمن بانا
ضاقت مجارى طرفه عن دمعه * فتفتحت اضلاعه اجفانا

وقال ابن ابى الخصال

ووردجنى طالعتنا خدوده * يبشر ونشر يبعثان على السكر
وحف ترنجان به فكانه * خدود العذارى فى مقانعها الخضر

وقال ابن صارة

يارب نارنجة يلهو النديم بها * كانها كرة من احمر الذهب
أو جذوة حملتها كف قابسها * لكنها جذوة معدومة اللهب

وقال الخفاجى

ومياسة تزهو وقد خلع الحيا * عليها حلى حمر اوارديه خضرا
يذوب بها ريق الغمامة فضة * و يجمد فى اعطافها ذهبا نضرا

وقال ابن صارة ايضا

ونارنجة لم يدع حسنها * لعينى فى غيرها مذهبا
فطورا ارى ذهبا مضرما * وطورا ارى سفنا مذهبا

وقال ابن وضاح فى السرو

ايا سرو لا يعطش منابتك الحيا * ولا يدع عن اعطافك الخضر النضر

فقد كسيت منك الجذوع بمثل ما * تلف على الخطى راياته الخضر

وقال ابو اسحق الخولانى

نيلوفر شكله كشكلى * يعوم فى البحر الدموع
قد البست عطفه دروعا * خود لريح الصبا شموع
يلوح اذلونه كاونى * من فوق فضفاضة هموع
مثل مسامير مذهبات * فى حلقات من الدروع

وقال ابن الابار

وسوسنات ارت من حسنها بدعا * ولم يزل عصر مولانا يرى بدعه
شبيهة بالثريا فى تألقها * وفى تألقها تلتاح ملتمعه
هامت بيمناه تبغى أن تقبلها * واستشرفت تجتلى مرآه مطلعه
ثم انثنى بعضها من بعضها غلبا * على البدار فوافت وهى مجتمعه

ورفع هذه الابيات الى الامير أبى يحيى زكريا

وقال حازم

لانور يعدل نور اللوز فى أنق * وبهجة عند ذى عدل وانصاف
نظام زهر يظل الدر منتثرا * عليه من كل هامى القطر وكاف
بينا ترى وهى أصداف لدر حيا * بيض غدت درر افى خضر أصداف

وقال ابن سعد الخير فى رمانة

وساكنة فى ظلال الغصون * بروض يروقك أفنانه
تضاحك أترابها فيه اذ * غدا الجو تدمع أجفانه
كما فتح الليث فاه وقد * تضرج بالدم أسنانه

وقال ابن نزار الوادى آشى

ورمانة قد فض عنها ختامها * حبيب أعار البدر بعض صفاته
فكسر منها نهد عذراء كاعب * وناولنى منها شبيه لداته

وقال بعضهم فى القراسيا يقال له بالمغرب حب الملوك

ودوح تهدل اشطانه * رعى الدهر من حسنه ما اشتهى
فما احمر منه فصوص العقيق * وما اسود منه عيون المها

وقال بعضهم

وأين معاهد للحسن فيها * وللانس التقاء البهجتين
وللاوتار والاطيار فيها * لدى الاسحار أطرب ساجعين
فكم بدر تجلى من رباها * ومن بطحائها فى مطلعين
وأغدر تربى من تلعتيها * ومن ثمر القلوب بمرتعين
اذا أهوى لسوسنة يمينا * عجبت من التقاء السوسنين
وكم يوم توشح من سناه * ومن زهر اتها فى حلتين

حين فارقه وهو يريد الاجتماع بابى موسى فقال يا أبا عبد الله ان أهل العراق قد أكرهوا علينا على أبى موسى وأنا وأهل الشام راضون بك وقد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الرأى فأخذ الجد وطبق المفصل ولا تلقه برأيك كله ووافاهم سعد ابن أبى وقاص وعبد الله ابن عمر وعبد الرحمن بن يغوث الزهرى والمغيرة بن شعبة الثقفى وغيرهم وهؤلاء ممن قعد عن بيعة على فى آخرين من الناس وذلك فى شهر رمضان فلما التقى أبو موسى وعمرو قال عمرو لابى موسى تكلم وقل خيرا فقال أبو موسى بل تكلم انت يا عمرو فقال عمرو ما كنت لافعل واقدم نفسى قبلك ولك حقوق كلها واجبة لسنك وصحبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت ضيف فحمد الله ابو موسى واثنى عليه وذكر الحديث الذى حل بالاسلام والخلاف الواقع باهله ثم قال يا عمرو هلم الى امر يجمع الله فيه الالفة ويلم الشعث ويصلح ذات البين فجزاه عمرو خيرا وقال ان للكلام اول وآخرا ومتى تنازعنا الكلام

خطبا لم نبلغ آخره حتى ننسى اوله فاجعل ما كان من كلام نتصادر عليه فى كتاب يصير اليه امرنا قال فاكتب فدعا

وراح أصيله ما بين نهر * ودولاب يدور بمسمعين
بنهر كالسماء يجول فيه * سحائب من ظلال الدوحتين
تدرع للنواسم حين هزت * عليه كل غصن كالردينى
ملاعب فى غرامى عند ذكرى * صباه وغضه المتلاعبين

وقال الوزير محمد بن عبد الرحمن بن دانئ

ياحرقة البين كويت الحشا * حتى أذبت القلب فى أضلعه
اذ كيت فيه النار حتى غدا * ينساب ذاك الذوب من مدمعه
ياسؤل هذا القلب حتى متى * تؤسى برشف الريق من منبعه
فان فى الشهد شفاء الورى * لاسيما ان مص من مكرعه
والله يدنى منكم عاجلا * ويبلغ القلب الى مطمعه

ولو لم يكن للاندلسيين غير كتاب شذور الذهب لكفاهم دليلا على البلاغة ومؤلفه هو على ابن موسى بن على بن محمد بن خلف أبو الحسن الانصارى الجيانى نزيل فاس وولى خطابتها ولم ينظم أحد فى الكيمياء مثل نظمه بلاغة معان وفصاحة ألفاظ وعذوبة تراكيب حتى قيل فيه ان لم يعلمك صناعة الذهب علمك الادب وفى عبارة بعضهم ان فاتك ذهبه لم يفتك أدبه وقيل فيه انه شاعر الحكماء وحكيم الشعراء وتوفى رحمه الله تعالى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة * ولنذكر هنا نبذة من سرعة بديهة أهل الاندلس وان مر ت من ذلك جملة وستأتى أيضا زيادة على الجميع فنقول قال فى بدائع البدائه ماصورته روى عبد الجبار بن حمديس الصقلى قال صنع عبد الجليل بن وهبون المرسى الشاعر لنا نزهة بوادى اشبيلية فأقمنا فيه يومنا فلما دنت الشمس للغروب هب نسيم ضعيف غضن وجه الماء فقلت للجماعة أجيزوا * حاكت الريح من الماء زرد * فأجازه كل منهم بما تيسر له فقال لى أبو تمام غالب بن رياح الحجاج كيف قلت ياأبا محمد فأعدت القسيم له فقال * أى درع لقتال لو جمد * انتهى وقد ذكرنا فى هذا الكتاب ما يخالف هذا فليراجع فى محله ثم قال صاحب بدائع البدائه بعد ما سبق ماصورته وقد نقله ابن حمديس الى غير هذا الوصف فقال

نثر الجو على الترب برد * أى در لنحور لو جمد

فتناقض المعنى بذكر البرد وقوله لو جمد اذ ليس البرد الا ما جمده البرد اللهم الا أن يريد بقوله لو جمد دام جموده فيصح و ينعقد عن التحقيق * ومثل هذا قول المعتمد بن عباد يصف قوارة

ولربما سلمت لنا من مائها * سيفا وكان عن النواظر مغمدا
طبعته لجيا فزانت صفحة * منه ولو جدت لكان مهندا

وقد أخذت أنا هذا المعنى فقلت أصف روضا

فلو دام ذاك النبت كان زبرجدا * ولو جمدت أنهاره كن بلورا

وهذا المعنى مأخوذ من قول على التونسى الايادى من قصيدته الطائية المشهورة

ألؤلؤ قطر هذا الجو أم نقط * ما كان أحسنه لو كان يلتقط

وهذا المعنى كثير للقدماء قال ابن الرومى من قطعة فى العنب الرازقى

عمرو بصحيفة وكاتب وكان الكاتب غلاما لعمرو فتقدم اليه ليبدأ به اولا دون ابى موسى لما اراد من المكر به ثم قال له بحضرة الجماعة اكتب فانك شاهد علينا ولا تكتب شيأ يأمرك به احدنا حتى تستأمر الآخر فيه فاذا امرك فاكتب واذا نهاك فانته حتى يجتمع رأينا اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه فلان وفلان فكتب وبدأ بعمرو فقال له عمرو لا أم لك اتقدمنى قبله كانك جاهل بحقه فبدأ باسم عبد الله ابن قيس وكتب تقاضيا على انهما يشهدان أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ثم قال عمرو نشهد ان ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بكتاب الله وسنة رسول الله حتى قبضه الله اليه وقد ادى الحق الذى عليه قال ابو موسى اكتب ثم قال فى عمر مثل ذلك ثم قال عمرو اكتب وان عثمان ولى هذا الامر بعد عمر على اجماع من المسلمين وشورى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضا منهم وانه كان مؤمنا فقال ابو موسى الاشعرى ليس بهذا مما قعدنا له قال عمرو والله لابد من ان يكون مؤمنا او كافرا قال ابو موسى اكتب قال عمرو فظلما قتل عثمان او مظلوما قال ابو موسى بل قتل مظلوما

قال عمرو افليس قد جعل الله لولي المظلوم سلطانا يطلب بدمه قال ابو موسى نعم قال

لوانه يبقى على الدهور * قرط آذان الحسان الحور

قال علي بن ظافر وأخبرني من أثق به قال ركب المعتمد على الله أبو القاسم بن عباد للنزهة بظاهر اشبيلية في جماعة من ندمائه وخواص شعرائه فلما أبعد أخذ في المسابقة بالخيول فجاء فرسه بين السماتين سابقا فرأى شجرة تين قد أينعت وزهت وبرزت منها ثمرة قد بلغت وانتهت فسدد اليها عصا كانت في يده فأصابها وثبتت على أعلاها فأطرب به ما رأى من حسنها وثباتها والتفت ليخبر به من لحقه من أصحابه فرأى ابن جامع الصباغ أول من لحق به فقال أجز * كانها فوق العصا * فقال * هامة زنجي عصي * فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله وأمر له بجائزة سنية * قال علي بن ظافر وأخبرني أيضا أن سبب اشتهار ابن جامع هذا ان الوزير ابا بكر بن عمار كان كثير الوفادة على ملوك الاندلس لا يستقر ببلدة ولا يستفزه عن وطره وطن وكان كثير التطلب لما يصدر عن ارباب المهن من الادب الحسن فبلغه خبر ابن جامع هذا قبل اشتهاره فمر على حانوته وهو آخذ في صناعة صباغته والنيل قد جرى على يديه ذيلا وأعادنهارهما ليلا فأراد أن يعلم سرعة خاطره فأخرج زنده وبيده بيضاء من غير سوء وأشار الى يده وقال كم بين زند وزند فقال ما بين وصل وصد فعجب من حسن ارتجاله ومبادرة العمل واستحضاره وجذب بضبعه وبلغ من الاحسان اليه غاية وسعه وبلغني أيضا انه دخل سرقسطة فبلغه خبر يحيى القصاب السرقسطي فمر عليه ولحم خرفان بين يديه فأشار ابن عمار الى اللحم وقال * لحم سباط الخرفان مهزول * فقال

* يقول للفلسين مه زولوا * انتهى وما صنع المتوكل على الله بن الافطس صاحب بطليوس هذا القسيم * الشعر خطة خسف * أرتج عليه فاستدعى أبا محمد عبد المجيد بن عبدون صاحب الرائية التي أولها * الدهر يفجع بعد العين بالاثر * وقد تكرر ذكره في هذا الكتاب وهو أحد وزراء دولته مخواص حضرته فاستجازه اياه فقال

لكل طالب عرف للشيء * وللفتى طرف ظرف

قائل القسيم الاول الاستا * ضابط وان عبد المجيد أجازه ارتجالا وهو ابن ثلاث

عشرة سنة وقد ذكرنا ما * في هذا الكتاب وذكر ابن بسام في الذخيرة أن

يوما للاديب أبي عبد الله بن السراج المالقي ونحن على جرية ماء أجز

شمر بنا على ماء كأن خريره * فقال بديها * بكاء محب بان عنه حبيب

فمن كان مشغوفا كئيبا بالفه * فاني مشغوف به وكئيب

وذكر ابن بسام في الذخيرة انه اجتمع ابن عبادة وابن القابلة السبتي بالمرية فنظر الى وسيم يسبح في البحر وقد تعلق بسكان بعض المراكب فقال ابن عبادة أجز

انظر الى البدر الذي لاح لك * فقال ابن القابلة * في وسط اللجة تحت الحلك *

قد جعل الماء سماءله * واتخذ الفلك مكان الفلك

وقال ابو عامر بن شهيد لما قدم زهير الصقلي الى حضرة قرطبة من المرية وجه وزيره أبو جعفر ابن عباس الى لمة من أصحابنا منهم ابن بردو أبو بكر المرواني وابن الخياط والطبني فحضروا اليه فسألهم عني وقال وجهوا اليه فوافاني رسوله مع دابة بسرج حلي ثقيل فسرت اليه ودخلت

عمرو فهل تعلم لعثمان وليا اولى من معاوية قال ابو موسى لا قال عمرو افليس لمعاوية ان يطلب قاتله حيثما كان حتى يقتله او يعجز قال ابو موسى بلى قال عمرو للكاتب اكتب واره ابو موسى فكتب قال عمرو فانا نقيم البينة أن عليا قتل عثمان قال ابو موسى هذا أمر قد حدث في الاسلام وانما اجتمعنا لله فهلم الى أمر يصلح الله به امة محمد قال عمرو وما هو قال ابو موسى قد علمت ان اهل العراق لا يحبون معاوية ابدا وان اهل الشام لا يحبون عليا ابدا فهل نخلعهما جميعا ونستخلف عبد الله بن عمر وكان عبد الله بن عمر على بيت ابي موسى قال عمرو ما يفعل ذلك عبد الله بن عمر قال ابو موسى نعم اذا حمله الناس على ذلك فعل فعمد عمرو الى كل ما مال اليه ابو موسى فصوبه وقال له هل لك في سعد قال له ابو موسى لا فعدد له عمرو جماعة وابو موسى يأبى ذلك الا ابن عمر فاخذ عمرو الصحيفة وطواها وجعلها تحت قدمه بعد أن ختماها جميعا وقال عمرو ارايت ان رضي اهل العراق بعبد الله ابن عمرو ابى اهل الشام ايقاتل اهل الشام قال ابو موسى لا قال عمرو فان رضي اهل الشام وابى

المجلس وأبو جعفر غائب فتحرك المجلس لدخولى وقاموا جميعا الى حتى طلع ابو جعفر علينا ساحبا ذيلا لم أر أحدا سحبه قبله وهو يترنم فسلمت عليه سلام من يعرف قدر الرجال فرد ردا لطيفا فعلمت أن فى أنفه نعرة لا تخرج الا بسوط الكلام ولا تراض الا بمستحصد النظام ورأيت أصحابى يصيخون الى ترنمه فقال لى ابن الخياط وكان كثير الانحاء على جالبا فى المحافل ما يسوء الى ان الوزير حضره قسيم وهو يسألنا اجازته فعلمت انى المراد فاستشدته فأنشد * مرض الجفون ولثغة فى المنطق * فقلت لمن حضر لا تجهدوا أنفسكم فما المراد غيرى ثم أخذت الدواة فكتبت * سيبان جراعشق من لم يعشق *

من لى بأنى لا أزال حديثه * يذكى على الاحشاء جمرة محرق
يبنى فيبنو فى الكلام لسانه * فكأنه من خمر عينيه سقى
لا ينعش الالفاظ من عثراتها * ولو انها كتبت له فى مهرق

ثم قمت عنهم فلم ألبث أن وردوا على وأخبرونى أن أبا جعفر لم يرض بما جئت به من البديهة وسألونى أن أحل مكاوى المحاء على حتاره فقلت

أبو جعفر كاتب محسن * مليح سنا الحظ حلو الخطابه
تملأ شعما وحماوما * يليق تملؤه بالكتابه
له عرق ليس ماء الحياة * ولكنه رشح ماء الجنابه
جرى الماء فى سفله جرى لين * فأحدث فى العلو منه صلابه

وذكر الوزير أبو بكر بن اللبانة الدانى فى كتابه سقيط الدرر ولقيط الزهر أن المعتمد بن عباد صنع قسيما فى النبة المعروفة بسعد السعود فوق المجلس المعروف بالزاهى وهو سعد السعود يتيه فوق الزاهى * ثم استجاز الحاضرين فعجزوا فصنع ولده عبد الله الرشيد وكلاهما فى حسنه متناهى *

ومن اغتدى سكان مثل محمد * قد [illegible] عن الاشياه
لا زال يبلغ فيهما ما شاءه * ودوائع [illegible] الخطوب دواهى

وخرج القاضى الفقيه أبو الحسن على بن القاسم بن [illegible] احد رؤساء المغرب الاوسط فى جماعة من أصحابه منهم محمد بن عيسى بن سوار الاشبونى ورجل يسمى بأبى موسى خفيف الروح ثقيل الجسم فجعل يعبث بالحاضرين بأبيات من الشعر يصنعها فيهم فصنع القاضى أبو الحسن معاتبا له * وشاعر أثقل من جسمه * ثم استجاز ابن سوار فقال * تأتى معانيه على حكمه

يهجو ولا يهجى فهل عندكم * ظلامة تعدى على ظلمه
لسانه فى هجوه حية * منية الحية فى سمه
يصيب سر المرء فى رميه * كأنما العالم فى علمه
أما أبو موسى ففى كفه * عصا ابنه والسحر فى نظمه

وفى المقتبس فى تاريخ الاندلس أن الامير عبد الرحمن خرج فى بعض أسفاره فطرقه خيال جارية طروب أم ولده عبد الله وكانت أعظم حظاياه عنده وأرفعهن لديه لا يزال كلفا بها

اهل العراق ايقاتل أهل فقم فاخطب الناس واخلع صاحبنا وتكلم باسم هذا الرجل الذى تستخلف فقال ابو موسى بل أنت قم فاخطب فانت أحق بذلك قال عمرو ما احب ان أتقدمك وما قولى وقولك للناس الا قول واحد فقم راشدا فقام أبو موسى فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس انا قد نظرنا فى امر نا فرأينا اقرب ما يحضرنا من الامن والصلاح ولم الشعث وحقن الدماء وجمع الالفة خلعنا عليا ومعاوية وقد خلعت عليا كما خلعت عمامتى هذه واهوى الى عمامته فخلعها واستخلفنا رجلا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصحب ابوه النبى صلى الله عليه وسلم فبرز فى سابقته وهو عبد الله بن عمرو أطراه ورغب الناس فيه ونزل فقام عمرو فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس ان أبا موسى عبد الله ابن قيس خلع عليا وأخرجه من هذا الامر الذى يطلب وهو أعلم به الا وانى خلعت عليا معه وأثبت معاوية على وعليكم وان أبا موسى قد كتب فى الصحيفة أن عثمان

هائما بحبها فانثنيه وهو يقول

شاقك من قرطبة السارى * فى الليل لم يدر به الدارى

ثم أتاه عبد الله بن الشمر نديمه فاستجازه كمال البيت فقال

زار خفيا ظلام الدجا * أحجب به من زائر سارى

وصنع الامير عبد الرحمن المذكور فى بعض غزواته قسيما وهو * نرى الشئ مما يتقى فنهابه * ثم ارتجع عليه وكان عبد الله بن الشمر نديمه وشاعره غائبا عن حضرته فأراد من يجيزه فأحضر بعض قواده محمد بن سعيد الزجالى وكان يكتب له فأنشده القسيم فقال

ومالا نرى مما يقى الله اكثر * فاستحسنه وأجازه وحمله استحسانه على أن استوزره وذكر ابن بسام أن المعتمد بن عباد أمر بصياغة غزال وهلال من ذهب فصيغا فجاءا وزنهما سبعمائة مثقال فأهدى الغزل الى السيدة ابنة مجاهد والهلال الى ابنه الرشيد فوقع له الى أن قال

بعثنا بالغزال الى الغزال * وللشمس المنيرة بالهلال

ثم أصبح مصطبحا وجاء الرشيد فدخل عليه وجاء الندماء والجلساء وفيهم أبو القاسم بن المرزبان فحكى لهم المعتمد البيت وأمرهم باجازته فبدر ابن المرزبان فقال

فذا سكنى أبوئه فؤادى * وذا نجلى أقلده المعالى

شغلت بذا الظلا خلدى ونفسى * ولكنى بذاك رخى بال

دفعت الى يديه زمام ملكى * محلى بالصوارم والعوالى

فقام يقرعينى فى مضاء * ويسلك مسلكى فى كل حال

قد منا للعلاء ودام فينا * فانا للسماح وللنزال

ولما أنشد أبو القاسم بن الصيرفى قول عبد الله بن السمط

حار طرف تأملك * ملك أنت أم ملك

قال بديها بل تعاليت وتبة * فلك الارض والفلك

وذكر ابن بسام فى الذخيرة انه غنى يوما بين يدى العالى بالله الادريسى بمالقة بيت لعبد الله ابن المعتز

هل ترين البين يحتال * أن غدت للعين أجمال

فأمر الفقيه أبا محمد غانم بن الوليد المالقى باجازته فقال بديها

انما العالى امام هدى * جليت فى عصره الحال

ملك اقبال دولته * لذوى الافهام اقبال

قل لمن أكدت مطالبه * راحتاه الجاه والمال

وغنى أبو الحسن زرياب يوما بين يدى الامير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بهذين البيتين وهما لابى العتاهية

قالت ظلوم سمية الظلم * مالى رأيتك ناحل الجسم

يامن رمى قلبى فأقصده * أنت الخبير بموقع السهم

فقال عبد الرحمن هذان البيتان منقطعان فلو كان بينهما ما يوصلهما لكان أبدع فصنع

رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصحب أبوه النبى صلى الله عليه وسلم وأطراه ورغب الناس فيه وقال هو الخليفة علينا وله طاعتنا وبيعتنا على الطالب بدم عثمان فقال أبو موسى كذب عمرو لم نستخلف معاوية ولكنا خلعنا معاوية وعليا معا فقال عمرو بل كذب عبد الله بن قيس قد خلع عليا ولم يخلع معاوية (قال المسعودى رحمه الله) ووجدت فى وجه آخر من الروايات انهما اتفقا على خلع على ومعاوية وان يجعلا الامر بعد ذلك شورى يختار الناس رجلا يصلح لها فقدم عمرو أبا موسى فقال ابو موسى انى قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم وتنحى وقام عمرو من مكانه فقال ان هذا قد خلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبى معاوية فقال أبو موسى مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت انما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا فقال له عمرو بل اياك يلعن الله كذبت وغدرت انما مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ثم وكز أبا

عبيد الله بن قرناس بديها

فأجبتها والدمع منحدر * مثل الجمان وهي من النظم

فاستحسنه وأمر له بجائزة وذكر ابن بسام أيضا أن المعتمد بن عباد غنى بين يديه بقول ابن المعتز

وخمارة من بنات الحبوس * ترى الزق في بيتها شائلا

وزنا لها ذهبا جامدا * فكانت لنا ذهبا سائلا

فقال بديها يجيزه

وقلت خذي جوهرا ثابتا * فقالت خذوا عرضا زائلا

وركب المعتمد في بعض الايام قاصدا الجامع والوزير أبو بكر بن عمار يسايره فسمع أذان مؤذن فقال المعتمد

هذا المؤذن قد بدا بأذانه فقال ابن عمار يرجو بذاك العفو من رحمانه

فقال المعتمد

طوبى له من شاهد بحقيقة فقال ابن عمار ان كان عقد ضميره كلسانه

وقال عبد الجبار بن حمديس الصقلي أقمت باشبيلية لما قدمتها على المعتمد بن عباد مدة لا يلتفت الي ولا يعبأ بي حتى قنطت لحينتي مع فرط تعبي وهممت بالنكوص على عقبي فاني لكذلك ليلة من الليالي في منزلي اذا بغلام معه شمعة ومركوب فقال لي أجب السلطان فركبت من فوري ودخلت عليه فأجلسني على مرتبة فنك وقال لي افتح الطاق التي تليك ففتحتها فاذا بكور زجاج على بعد والنار تلوح من بابه وواقدة تفتحهما تارة وتدهما أخرى ثم دام سد أحدهما وفتح الآخر فحين تأملتهما قال لي أجز

أنظرهما في الظلام قد نجما فقلت كمارنا في الدجنة الاسد

فقال يفتح عينيه ثم يطبقها فقلت فعل امرئ في جفونه رمد

فقال فابتزه الدهر نور واحدة فقلت وهل نجا من صروفه احد

فاستحسن ذلك وأمر لي بجائزة سنية والزمني خدمته وقد ذكرنا هذه الحكاية في هذا الكتاب ولكن ماهنا أتم مساقا فاذلك نبهت عليه وذكر صاحب فرحة الانفس في أخبار أهل الاندلس ان أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر جلس في جماعة من خواصه ومعهم أبو القاسم لب وكان يعده للمجون والتطايب فقال له اهج عبد الملك بن جهور يعني أحد وزرائه فقال اخافه فقال لعبد الملك فاهجه أنت فقال أخاف على عرضي منه فقال اهجوه أنا وأنت ثم صنع لب أبو القاسم ذو لحية * كبيرة في طرلها ميل

فقال عبد الملك

وعرضها ميلان ان كسرت * والعقل مأبون ومخبول

فقال الناصر للب اهجه فقد هجاك فقال بديها

قال أمين الله في عصرنا * لي لحية أزري بها الطول

وابن جهير قال قول الذي * مأكله القرضيل والفول

راحلته ولحق بمكة ولم يعد على ما بقي ومضى ابن عمر وسعد الى بيت المقدس وفي فعل الحكمين يقول ايمن ابن خريم بن فاتك الاسدي

لو كان للقوم رأي يعظمون به عند الخطوب رموكم بابن عباس

لكن رموكم بوغد من ذوي يمن لم يدر ما ضرب اخماس باسداس

وفي اختلاف الحكمين والحكمة يقول بعض من حضر ذلك

رضينا بحكم الله لا حكم غيره وبالله ربا والنبي وبالذكر

وبالاصلع الهادي الى امامنا رضينا بذاك الشيخ في العسر واليسر

رضينا به حيا وميتا فانه امام الهدى في موقف النهي والامر

ولابي موسى يقول ابن عباس

أبا موسى بليت وكنت شيخا قريب العفو مخزون اللسان

وما عمرو صفاتك يا ابن قيس ولا الله من شيخ يماني

فما سيت العشية ذا اعتذار ضعيف الركن منكوب العنان

تعض الكف من ندم وماذا * يرد عليك عض الكف للبنان

وقيل انه لم يكن بينهما غير ما كتباه في الصحيفة لولا

لولا حياتي من امام الهدى * نخست بالمنخس شو

ثم سكت فقال له الناصر هات تمام البيت فامتنع فقال له قولو يعني تمام البيت كلمة قالها الناصر مترسلا غير متحفظ من زيادة الواو وابدال الهاء واوا اذ صوابها قاله على حكم المشي مع الطبع والراحة من التكلف فقال اب يا مولانا أنت هجوته فقط الناصر والحاضرون وضحكوا وأمر له بجائزة والقرضيل شوك له ورق عريض تأكله البقر وقوله شو اسم الرجل بالرومية وقولو اسم للاستهانة فكأنه قال لولا حياتي من امام الهدى نخست بالمنخس الذي هو الذكر استه * وقال ابن ظافر اخبرني من اثق به قال اجتمع الوزير ابو بكر ابن القبطرنة والاستاذ ابو العباس بن صارة في يوم جلا ذهب برقه واذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فترافدا في صفتها فقال ابن صارة

هذي البسيطة كاعب ابرادها * حلل الربيع وحليها النوار

فقال ابن القبطرنة

وكأن هذا الجو فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

فقال ابن صارة

فاذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

فقال ابن القبطرنة

فمن اجل عزة ذاو ذلة هذه * تبكي الغمام وتضحك الازهار

وقال ابو بكر محمد بن الزبيدي النحوي صاحب الشرطة يخاطب الوزير ابا الحسن جعفر بن عثمان المصحفي لما كتب كتابا له فيه فاضت نفسه بالضاد مبينا له الخطأ دون تصريح

قل للوزير السني محتده * لي ذمة منك انت حافظها
عناية بالعلوم معجزة * قد بهظ الاولين باهظها
يقر لي عمرها ومعمرها * فيها ونظامها وحاظها
قد كان حقا قبول حرمتها * لكن صرف الزمان لافظها
وفي خطوب الزمان لي عظة * لو كان يثني النفوس واعظها
ان لم تحافظ عصابة نسبت * اليك قدما فمن يحافظها
لا تدعن حاجتي بطرحة * فان نفسي قد فاظ فائظها

فاجابه المصحفي

خفض فواقا فانت أوحدها * علما ونقابها وحافظها
كيف تضيع العلوم في بلد * ابناؤها كلهم يحافظها
الفاظهم كلها معطلة * ما لم يعول عليك لافظها
من ذا يساويك ان نطقت وقد * اقر بالعجز عنك حاظها
علم ثنى العالمين عنك كما * ثنى عن الشمس من يلاحظها
وقد اتتني فديت شاغلة * للنفس أن قلت فاظ فائظها

يخطبا وذلك ان عمر اقال لابي موسى سم من شئت حتى أنظر معك فسمى أبو موسى ابن عمر وغيره ثم قال لعمرو قد سميت أنا فسم أنت قال نعم اسمي لك أقوى هذه الامة عليها وأسدها رأيا واعلمها بالسياسة معاوية بن أبي سفيان قال لا والله ما هو لذلك باهل قال فآتيك بآخر ليس هو بدونه قال من هو قال أبو عبد الله عمرو بن العاص قال فلما قالها علم ابو موسى أنه يلعب به فقال فعلتها لعنك الله فتسابا فلحق أبو موسى بمكة فلما انصرف أبو موسى انصرف عمرو بن العاص الى منزله ولم يأت الى معاوية فارسل اليه معاوية يدعوه فقال انما كنت أجيئك اذ كانت لي اليك حاجة فاما اذ كانت الحاجة الينا فانت أحق أن تأتينا فعلم معاوية ما قد وقع اليه فقد الرأي وأعمل الحيلة وأمر معاوية بطعام كثير فصنع ثم دعا بخاصته وموالية وأهله فقال اني سأغدو الى هذا فاذا دعوته فادعوا مواليه وأهله فليجلسوا قبلكم فاذا شبع رجل وقام فليجلس رجل منكم مكانه فاذا خرجوا ولم يبق في البيت أحد فأغلقوا باب البيت واحذروا أن يدخل أحد منهم الا أن آمركم وغدا اليه معاوية وعمرو جالس

ولادعاه اليها فجاء معاوية وجلس على الارض واتكأ على الفرش وذلك أن عمرا

فأوضحتها تفز بنادرة * قد بهظ الاولين باهظها

فاجابه الزبيدى وضمن شعره الشاهد على ذلك

اتانى كتاب من كريم مكرم * فنفس عن نفس تكاد تفيظ
فسر جميع الاولياء وروده * وسىء رجال آخرون وغيظوا
لقد حفظ العهد الذى قد اضاعه * لدى سواه والكريم حفيظ
وباحثت عن فاظت وقبلى قالها * رجال لديهم فى العلوم حظوظ
روى ذاك عن كيسان سهل وأنشدوا * مقال أبى الغياظ وهو مغيظ
وسميت غياظا ولست بغائظ * عدوا ولكن الصديق يغيظ
فلا رحم الرحمن روحك حية * ولاهى فى الارواح حين تفيظ

قلت وفى خطاب الوزير بهذا البيت وان حكى عن قائله ما لا يخفى أن اجتنابه المطلوب على أنه قد يقال فاضت نفسه بالضاد كما ذكره ابن السكيت فى خلق الالفاظ والله أعلم * وكتب الزبيدى المذكور الى أبى مسلم بن فهد

أبا مسلم ان الفتى بجنانه * ومقوله لا بالمراكب واللبس
وليست ثياب المرء تغنى قلامة * اذا كان مقصورا على قصر النفس
وليس يفيد العلم والحلم والحجا * أبا مسلم طول القعود على الكرسى

وقال وقد استأذن الحكم المستنصر فى الرجوع الى أهله باشبيلية ولم يأذن له فكتب الى جاريته سلمى

وبحك يا سلم لا ترامى * لابد للبين من زماع
لا تحسبينى صبرت الا * كصبر ميت على النزاع
ما خلق الله من عذاب * أشد من وقفة الوداع
ما بينها والحمام فرق * لولا المناحات والنواعى
ان يفترق شملنا وشيكا * من بعد ما كان ذا اجتماع
فكل شمل الى افتراق * وكل شعب الى انصداع
وكل قرب الى بعاد * وكل وصل الى انقطاع

واجتمع جماعة من الادباء فيهم أبو الحسن سهل بن مالك والمهر بن الفرس وغيرهما بمدينة سبتة سنة ٥٨١ فتذاكروا محبوبا لهم يسكن الجزيرة الخضراء أمامهم فقالوا ليقل كل واحد منكم شيأ فيه فقال سهل بن مالك

لما حططت بسبتة قتب النوى * والقلب يرجو أن يحول حاله
والجو مصقول الاديم كأنما * يبدى الخفى من الامور صقاله
عاينت من بلد الجزيرة مكنسا * والبحر يمنع أن يصاد غزاله
كالشكل فى المرآة تبصره وقد * قربت مسافته وعز مناله

فقال الجماعة والله لا يقول أحد منا بعد هذا شيأ * ولما قرأ أبو محمد عبد الله بن مطروح البلنسى صداق املاك وغير فيه حال القراءة لفظة غير برفع ما كان منصوبا أو بالعكس أنشد

على عرشه فلم يقم له عنها
كان يحدث نفسه انه قد
ملك الامر واليه العهد
يضعها فيمن يرى ويندب
للخلافة من يشاء فجرى
بينهما كلام كثير وكان
مما قال له عمرو هذا الكتاب
الذى بينى وبينه عليه
خاتمى وخاتمه وقد أقر بأن
عثمان قتل مظلوما فأخرج
علينا من هذا الامر وعرض
على رجال أمرهم أهلها
وهذا الامر الى أستخلف
من شئته قد أعطانى أهل
الشام عهودهم ومواثيقهم
فحادثه معاوية ساعة
وأخرجه عما كانوا عليه
وضاحكه وداعبه ثم قال
يا أبا عبد الله هل من غداء
قال أما والله شىء يشبع من
ترى فلا فقال معاوية هلم
يا غلام غداءك فجىء
بالطعام المستعد فوضع
فقال يا أبا عبد الله ادع
مواليك وأهلك فدعاهم
ثم قال له عمرو ودع أنت
أصحابك قال نعم يأكل
أصحابك ثم يجلس هؤلاء
بعد فجعلوا كلما قام رجل
من حاشية عمرو قعد موضعه
رجل من حاشية معاوية
حتى خرج أصحاب عمرو
وجلس أصحاب معاوية
فقام الذى وكله بغلق
الباب فاغلق الباب فقال
له عمرو فعلتها فقال اى والله بينى وبينك أمر ان اخترأيهما شئت البيعة لى أو قتلك ليس والله غيرهما

قال عمرو فاذن لغلامي وردان حتى أشاوره وأنظر رأيه قال لاتراه والله ولا يراك الا قتيلا أو على ما قلت لك قال فأولني اذا مصر قال هي لك ما عشت فاستوثق كل واحد منهما من صاحبه وأحضر معاوية الخواص من أهل الشام ومنع أن يدخل معهم أحد من حاشية عمرو فقال لهم عمرو قد رأيت أن ابايع معاوية فلم أر أحدا أقوى على هذا الامر منه فبايعه أهل الشام وانصرف الى منزله خليفة ولما بلغ عليا ما كان من أمر ابي موسى وعمرو قال اني كنت تقدمت اليكم في هذه الحكومة ونهيتكم عنها فابيتم الا عصياني فكيف رأيتم عاقبة أمركم اذ أبيتم على والله اني لاعرف من حلكم على خلافي والترك لامري ولو أشاء أخذه لفعلت ولكن الله من ورائه يريد بذلك الاشعث بن قيس والله أعلم وكنت فيما أمرت به كما قال أخو بني خثعم

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

من دعا الى هذه الخصومة فاقتلوه قتله الله ولو كان تحت عمامتي هذه الا أن هذين الرجلين الخاطئين اللذين اخترتموهما حكمين قد تركا حكم الله وحكما بهوى أنفسهما بغير حجة ولا حق معروف فأما انا فأحيا القرآن وأحييا

بديها بعد الفراغ معتذرا عن لحنه

غيرت غيرا فصرت عيرا * وهكذا من يجد سيرا

فأجابه الحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعي وكان الى جانبه بديهة

ما أنت ممن يظن فيه * بذاك جهل فظن خيرا

ووقف أبو أمية بن حمدون بباب الاستاذ الشلوبين فكتب في ورقة أبو أمية بالباب ودفع الورقة لخادم الاستاذ فلما نظر اليها الاستاذ نون تاء أمية ولم يزد على ذلك وأمر الخادم بدفع الورقة اليه فلما نظر فيها أبو أمية انصرف علما منه أن الاستاذ صرفه فانظر الى فطنة الشيخ والتلميذ مع أن الشيخ منسوب الى التغفل في غير العلم * (ومن حكايات أهل الاندلس في العفو) أن المعتصم بن صمادح كان قد أحسن للنحلي البطليوسي ثم ان النحلي سار الى اشبيلية فمدح المعتضد بن عباد بشعر قال فيه

أبادا بن عباد البرايا * وأفنى ابن معن دجاج القرى

ونسي ما قاله حتى حل بالمرية فاحضره ابن صمادح لمنادمته وأحضر للعشاء موائد ليس فيها غير دجاج فقال النحلي يا مولاي ما عندكم في المرية غير الدجاج فقال انما أردنا أن نكذبك في قولك وأفنى ابن معن دجاج القرى فطار سكر النحلي وجعل يعتذر فقال له خفض عليك انما ينفق مثلك بمثل هذا وانما العتب على من سمعه فاحتمل منك في حق من هو في نصابه ثم أحسن اليه وخاف النحلي ففر من المرية ثم ندم فكتب الى المعتصم

رضا ابن صمادح فارقته * فلم يرضني بعده العالم
وكانت مريته جنة * فجئت بما جاءه آدم

فما زال يتفقده بالاحسان على بعد داره وخروجه عن اختياره انتهى * وقال في بلنسية أبو عبد الله الرصافي وقد خرج منها صغيرا

بلادي التي ربيت قو يدمتي بها * فريخا وآوتني قرارتها وكرا
مهادي ولين العيش في ريق الصبا * أبى الله أن أنسى اعتيادي بها خيرا

وقال أبو بكر محمد بن يحيى الشلطيشي

وفاة المرء سر لم يكاشف * ولم تثبت حقيقته درايه
سيفني كل ذي شبح ونفس * وتلتحق النهاية بالبدايه
ويصدع الجميع الى صدوع * تعود به البرية كالبرايه
كان مصائب الدنيا سهام * لها الايام أغراض الرمايه
فنل ما شئت ان الفقر بدء * وعش ما شئت ان الموت غايه

وقال أبو بكر محمد بن العطار البنبسي وهو من رجال الذخيرة

أمطيت عزمك منه متن سابحة * خلت الحباب على لباتها لببا
تبدو على الموج أحيانا ويضمرها * كالعيس تعتسف الاهضاب والكثبا

وقال محمد بن الجيلي النحوي

وما الانس بالناس الذين عهدتهم * بأنس ولكن فقد رؤيتهم أنس

اذا سامت نفسي ودينى منهم * فحسبي أن العرض منى لهم ترس

وقال محمد بن حرب

طوبى لروضة جنة * لك قد نويت ورودها
نظمت على لباتها * أيدى الغمام عقودها
وسقت بماء الورد والـ * ـمسك الفتيت صعيدها
والطير تشدو فى الغصو * ن المائدات قصيدها
وتعير سمع المستعـ * ـير نظيمها ونشيدها

وكان فى دار محمد بن اليسع شاعر الدولة العامرية وردة وكان يهدى وردها كل عام الى عارض الجيش أحمد بن سعيد فغاب العارض سنة فقال

قال لى الورد وقد لا * حظته فى روضتيه
وهو قد أينع طيبا * جمع الحسن لديه
أين مولاى الذى قد * كنت تهدينى اليه
قلت غاب العام فايأس * أن ترى بين يديه
فبدا يذبل حتى * ظهر الحزن عليه

وقال محمد بن أفلح

ما أستريح الى حال فاحمدها * بالبين قلبى وقبل البين قد ذهبا
ان كان لى أرب فى العيش بعدكم * فلا قضيت اذن من حبكم أربا

وقال أحمد بن توليد الكاتب

لم ارض بالذل وان قلا * والحر لا يحتمل الذلا
يارب خل كان لى خامل * صار الى العزة ما خلا
حرمت المامى على بابه * ووصله لم أره حلا
تأبى على النفس من أن أرى * يوما على مستقل كلا

وقال اسحق بن المنادم وقد أهدى له من يهواه تفاحة

مجال العين فى ورد الخدود * يد كرطيب جنات الخلود
وآرجة من التفاح تزهو * بطيب النشر والحسن الفريد
أقول لها فضحت المسك طيبا * فقالت لى بطيب أبى الوليد

وقال غالب بن عبد الله الثغرى

يا راحلا عن سواد المقلتين الى * سواد قلب عن الاضلاع قد رحلا
غدا الجسم وأنت الروح فيه فما * يفنك مر تحملا ما دمت مرتحلا
وللغـ * ـراق جوى لو مر أبرده * من بعد فرقتكم بالماء لاشتعلا

وقال الوزير أبو الحسن بن الامام الغرناطى يهجو مر اكش المحروسة

يا حضرة الملك ما اشهالك لى وطنا * لولا ضروب بلاء فيك مصبوب
ماء زعاق وجو كله كدر * وأكلة من بذنجان ابن معيوب

اما أمانه واختلف فى حكمهما فتأهبوا للجهاد واستعدوا للسير وأصبحوا فى عساكرهم ان شاء الله تعالى (قال المسعودى) وقد اختلفت الفرق من أهل ملتنا فى الحكمين وقالوا فى ذلك أقاويل كثيرة وقد اتينا على ماذهبوا اليه فى ذلك فى كتاب المقالات وما قاله كل فريق منهم ومن ايد قوله من الخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم من فرق هذه الامة فى كتابنا فى المقالات فى اصول الديانات وذكرنا فى كتاب اخبار الزمان قول على فى مواقفه وخطبه وما قاله فى ذلك وما كره عليه وما بينه لهم بعد الحكومة وما تقدم الحكومة من تحذيره اياهم منها حين الحوا فى تحكيم أبى موسى الاشعرى وعمرو حيث قال الا ان القوم قد اختاروا لانفسهم اقرب الناس مما يحبون وأخترتم لانفسكم اقرب الناس مما تكرهون انما عهدكم بعبد الله بن قيس بالامس وهو يقول الا انها فتنة فقطعوا اقبيها اوتارهم وكسروا قسيكم فان يك صادقا فقد اخطأ فى مسيره غير مستكره عليه وان يك كاذبا فقد لزمته التهمة وهذا كلام ابى موسى فى تخذيله الناس وتحريضه على الجلوس عن امير المؤمنين على فى حروبه ومسيره الى الجمل وغيره ثم ما قاله فى بعض

وابن معيوب هذا كان من خدام أبى العلاء بن زهر يزعم الناس أنه سم ابن باجة لعداوته لابن زهر فى باذنجان * ولما بنى الفقيه أبو العباس بن القاسم قصره بسلا وشيده وصفته الشعراء وهنئته به ودعت له وكان بالحضرة حينئذ الوزير أبو عامر بن الحمارة ولم يكن أعد شيأ فأنكر قليلا ثم قال

يا أوحد الناس قد شيدت واحدة * تخل فيها حلول الشمس فى الحمل
فما كدارك فى الدنيا الذى أمل * ولا كدارك فى الاخرى لذى عمل

وفيهم يقول ابى بقى فى موشحته الشهيرة التى آخرها

ان جئت أرض سلا * تلقاك بالمكارم فيدان
هم سطور العلا * ويوسف بن القاسم عنوان

وكان محمد بن عبادة بالمرية ومعه ابن القابلة السبتى فنظرا الى غلام وسيم يسبح وقد تعلق بسفينة فقال ابن عبادة

انظر الى البدر الذى لاح لك * فقال ابن القابلة فى وسط اللجة تحت الحلك
قد جعل الماء مكان السما * واتخذ الفلك مكان الفلك

وقال ابن خروف ويروى لغيره

أيتها النفس اليه اذهبى * فحبه المشهور من مذهبى
مفضض الثغر له شامة * مسكية فى خده المذهب
أيأسنى التوبة من حبه * طلوعه شمسا من المغرب

واجتمع فى بستان ثلاثة من شعراء الاندلس وهم ابن خفاجة وابن عائشة وابن الزقاق فقال ابن خفاجة يصف الحال هنالك

لله نورية المحيا * تحمل نارية الحميا
درنا بها تحت ظل دوح * قد راق مرأى وطاب زيا
تجسم النور فيه نورا * فكل غصن به ثريا

وقال ابن عائشة

ودوحة قد علت سماء * تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا علينا * فخلتها أرسلت رجوما
كأنما الافق غار لما * بدت فاغرى بها النسيما

وقال ابن الزقاق

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلب منها * زهرات تريك لون الراح
قلت ماذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال الاديب أبو الحسن بن زنون وقع بيدى وأنا أسير بقيجاطة أعادها الله تعالى دار اسلام كتاب ترجمته كتاب التحف والظرف لابن عفيون فوجدت فيه قال الحسين ابن الضحاك

فى خلافته كلام كثير فقا
وقد زعمت قريش أن ابن
أبى طالب شجاع واسكن
لا علم له بالحروب تربت
أيديهم وهل فيهم أشد
مراسا لها منى لقد نهضت
فيها وما بلغت الثلاثين
وها أنا ذا قد أربيت على
نيف وستين ولكن لا راى
لمن لا يطاع (قال المسعودى
واذ قد تقدم ذكرنا لجمل
من أخبار الجمل وصفين
والحكمين فلنذكر الآن
جوامع من أخبار يوم
النهروان ونعقب ذلك
بذكر مقتله عليه السلام
وان كنا قد أتينا على
مبسوط سائر ما تقدم لنا
فى هذا الكتاب وما تأخر
فيما سلف من كتبنا والله
أعلم

(ذكر خروجه رضى الله عنه مع أهل النهروان وما لحق بهذا الباب من مقتل محمد ابن أبى بكر الصديق رضى الله عنه والاشتر النخعى وغير ذلك)

واجتمعت الخوارج فى أربعة آلاف فبايعوا عبد الله بن وهب الراسبى ولحقوا بالمدائن وقتلوا عبد الله بن خباب عامل على عليها ذبحوه وبقروا بطن امرأته وكانت حاملا

وقتلوا غيرها من النساء وقد كان على انفصل عن الكوفة فى خمسة وثلاثين ألفا وأتاه من البصرة من

قبل ابن عباس وكان عامله في سنة ثمان وثلاثين فنزل على الانبار واتاه انيه العساكر فخطب الناس وحرضهم على الجهاد وقال سيروا الى قتلة المهاجرين والانصار قد طالما سعوا في اطفاء نور الله وحرضوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه الا ان رسول الله أمرني بقتال القاسطين وهم هؤلاء الذين سرنا اليهم والناكثين وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم والمارقين ولم نلقهم بعد فسيروا الى القاسطين فهم أهم علينا من الخوارج سيروا الى قوم يقتلونكم كيما يكونوا جبارين يتخذهم الناس أربابا ويتخذون عباد الله خولا ومالهم دولا فابوا الا أن يبدؤا بالخوارج فسار على اليهم حتى أتى النهروان فبعث اليهم بالحرث بن مرة العبدي رسولا يدعوهم الى الرجوع فقتلوه وبعثوا الى علي ان تبت من حكومتك وشهدت على نفسك بالكفر بايعناك وان ابيت فاعتزلنا حتى نختار لانفسنا اماما فانا منك برآء فبعث اليهم على أن ابعثوا الى بقتلة اخواني فأقتلهم ثم أتاركم الى ان افرغ من قتال اهل المغرب ولعل الله يقلب قلوبكم فبعثوا اليه كلنا قتلة أصحابك وكلنا مستحل لدمائهم مشتركون وجثتي عليها عشرة آلاف فيهم الاحنف بن قيس وحارثة بن قدامة السعدي وذلك

ما كان أحوجني يوما الى رجل * في وسطه ألف دينار على فرس
في كفه حربة يفري الدروع بها * وصارم مرهف الحدين كالقبس
فلو رجعت ولم أظفر بمهجته * وقد خضبت ذباب الصارم الشكس
فلا اغتبطت بعيش وابتليت بما * يحول بيني وبين الشادن الانس

ووقف على هذه القطعة أبو نواس فقال

ما كان أحوجني يوما الى خنث * حلو الشمائل في باق من الغلس
في كفه قهوة يسبي النفوس بها * محكم الطرف للالباب مختلس
فلو رجعت ولم أظفر بتكته * وقد وريت من الصهباء كالقبس
فلا هنيت بعيش وابتليت بما * يكون منه صدود الشادن الانس
هذا ألذ وأشهى من مني رجل * في وسطه ألف دينار على فرس

ووقف على ذلك الوزير أبو عامر بن شهيد فقال

ما كان أحوجني يوما الى رجل * يردد الذكر في باق من الغلس
في حلقه غنة يشفي النفوس بها * وفي الحشا زفرة مشبوبة القبس
فلو رجعت ولم أوثر تلاوته * على سماع غناء الشادن الانس
فلا حمدت اذن نفسي ولا اعتمدت * بي النجائب قصد البيت ذي القدس
ولا أسلت لقبر المصطفى مقلا * تبكي عليه بهامي الدمع منبجس

قال ابن زنون فقلت وكل ينفق مما عنده ومن عجائب صنع الله تعالى انه عند فراغي من كتب هذه القطعة وصل الفكاك الى وحل قيمودي وأخرجني الى بلاد المسلمين وهي

ما كان أحوجني يوما الى رجل * يأتي فينبهني في فحمة الغلس
يفك قيدي وغلي غير مرتقب * ولا مبال من الحجاب والحرس
وقوله لي تأنسا وتسليه * هذا سلاحي فالبسه وذا فرسي
فلو جبنت ولم أقبل مقالته * وأمتطى الطرف وثبا فعل مفترس
اذن خلعت لباس الجد من عنقي * وصار حظي منه حظ مختلس
وأخلفتني أماني التي طمعت * نفسي اليها واحسانى لكل مسي

وقال أبو بكر بن جيش وقد زاره بعض أوداده في يوم عيد فطر

أ كل ذا الاجمال في ذا الجمال * لله أستحفظ ذاك الكمال
يا مالكا بالبر رقي أما * يكفيك أن تملكني بالوصال
سرت الى ربعي زورا كما * سرى الى المهجور طيف الخيال
العيد لي وحدي بين الورى * حقا لاني قد رأيت الهلال
صومي مقبول وبرهانه * أني أدخلت جنان الوصال

وقال أبو بكر بن يوسف اللخمي وقد عاده في شكاية فتى وسيم من الاعيان كان والده خطيب البلد

يا عائدي وهو أصل مابي * أفديك من ممرض طبيب
أصميت لما رميت قلبي * بسهم الحاظك المصيب

وجئتنى منكر السقمى * وتلك من عادة الحبيب
ياساعة قد غفرت فيها * ماكان للدهر من ذنوب
ما كان فى فضلها مثال * لولم تكن جلسة الخطيب

وخاطب أبو زيد بن أبى العافية أباعبد الله بن العطار القرطبى بقصيدة منها هذا البيت

وكيف يفيق ذو صبر قصير * حليف وساوس حول طوال

يعرض له بطوله وحوله ولصاحبه محمد بن بلال بقصره فراجعه أبو عبد الله المذكور بهذه الابيات يعرض له فيها بجربه وكان أبو زيد أصابه جرب كثير

أجل ياناقث السحر الحلال * أتانى منك نظم كاللآلى
بروقك أولا لفظا ومعنى * ويلدغ آخر الدغ الصلال
تعرّض فيه أنك ذو مطال * حليف وساوس حول طوال
كأنك لم تجرب قط خلقا * ولم تعرف بتجربة الليالى
أأنسيت التجارب اذ تجارى * بهن الجرب امع الشمال
فلا تغفل عن التجريب يوما * ولو أعطيت فيه جراب سال
وجرب جار بيتك واختبره * وجرب جاره ان كان قالى
وجار بنيك لا تستحى منه * ومن تجار بابك لا تبالى
وأجر بيالك الجرباء تبصر * نجوم الافق تجرى بانتقال
وجرب أهل جربة تلف قوما * أبو البلس الجوارب والنعال
تجارا باعة تجروا بزيت * تسموا بالتجار بغير مال
اذا سمعوا بتمر فى جريب * جروا ببغالة التمر البوالى
اذا جربت هذا الخلق أبدى * لك التجريب أجربة خوالى
ترى بالنجح دهراجر بؤسا * عليك وجار بالنوب الثقال

وخرج ثلاثة أدباء لنزهة خارج مرسية وصلوا خلف امام بمسجد قرية فاخطأ فى قراءته وسها فى صلاته فلما خرج أحدهم كتب على حائط المسجد

ياخلتى لصلاة * صليتها خلف جلف

فلما خرج الثانى كتب تحته

أغض عنها احياء * من المهيمن طرفى

فلما خرج الثالث كتب تحته

فليس تقبل منا * لو أنها ألف ألف

وقال أبو اسحق بن حنيف فى أحدب أخذ مع صبى فى خلوة فضربا وطيف بهما والاحدب على عنق الصبى

رأيت اليوم محمولا * وأعجب منه من حمله
جمال الناس تحملهم * وهذا حامل جمله

وقال أبو الصلت الاندلسى

طبرستان فى هذا الوقت وهذا النهر عليه قنطرة تعرف بقنطرة طبرستان بين حلوان وبغداد من بلاد خراسان فقال على والله ماعبروه ولا يقطعونه حتى نقتلهم بالرميلة دونه ثم تواترت عليه الاخبار بقطعهم لهذا النهر وعبورهم هذا الجسر وهو يأبى ذلك ويحلف انهم لم يعبروه وان مصارعهم دونه ثم قال سيروا الى القوم فوالله لا يفلت منهم الا عشرة ولا يقتل منكم عشرة فسار على فاشرف عليهم وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على ما قال لاصحابه فلما اشرف عليهم قال الله أكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصاف القوم ووقف عليهم بنفسه فدعاهم الى الرجوع والتوبة فأبوا ورموا أصحابه فقيل له قد رمونا فقال كفوا فكروا القول عليه ثلاثا وهو يأمرهم بالكف حتى أتى برجل قتيل متشحط بدمه فقال على الله أكبر الآن حل قتالهم احملوا على القوم فحمل رجل من الخوارج على أصحاب على فخرج فيهم وجعل يغشى كل ناحية ويقول

أضربهم ولو أرى عليا * ألبسه أبيض مشرفيا فخرج اليه على رضى الله عنه وهو يقول

يا أيها المبتغي عليا * اني أراك جاهلا شقيا * قد كنت عن كفاحه غنيا * هلم نابرزه هنا اليا

وقائلة مابال مثلك خاملا * أأنت ضعيف الرأي أم أنت عاجز
فقلت لها ذاني الى القوم أنني * لمالم يحوزوه من المجد حائز

وكتب بعض المغاربة لابي العباس بن نصال يذكره بحاله

ياغارسا لي ثمار مجد * سقيتها العذب من زلالك
أخاف من زهرها سقوطا * ان لم يكن سقيها ببالك

وكتب الكاتب أبو عبد الله القرطبي مستنجزا وعدا

أبا عبد الاله وعدت وعدا * فانجز نرج الشكر الجزيلا
ولا تمطل فان المطل يمحو * من الاحسان رونقة الصقيلا
اذا كان الجميل يحب طبعا * فاني أكره الصبر الجميلا

وكتب ابن هزيل الفزاري للغني بالله سلطان لسان الدين بن الخطيب

ليس يا مولاي لي من جابر * اذ غدا قلبي من البلوى جذاذا
غير صك أحمر تكتب لي * فيه يمناك اعتناء صح هذا

وقال أبو الحسن بن الزقاق في غلام يهودي كان يجالس معه ويناديمه يوم سبت

وحبب يوم السبت عندي أنني * ينادمني فيه الذي أنا أحببت
ومن أعجب الاشياء اني مسلم * حنيف ولكن خير أيامي السبت

وقال أبو حيان

ويعجبني رشف تلك الشفاه * وعض الخدود وهصر القوام
محاسن فاقت قضيب الاراك * وورد الرياض وكاس المدام

وكتب أحد الادباء برسية الى فتى وسيم من أعيانها كان يلازم حانوت بعض القضاة بها للتفقه عليه بابيات في غرض فراجعه عنه أبو العباس بن سعيد بقوله

ما للمحب لدى غير صبابة * تقضي عليه ولوعة وغرام
فدع الطماعة واستر ح باليأس من * وصل عليك الى الممات حرام

وقال السميسر

قرابة السوء شر داء * فاحمل أذاهم تعش حميدا
ومن تكن قرحة بفيه * يصبر على مصه الصديدا

وقال ابن خفاجة

ان الجنة بالاندلس * مجتلى عين وريا نفس
فسني صحتها من شنب * ودجا ليلتها من لعس
فاذا ماهبت الريح صبا * صحت واشوقي الى الاندلس

وقال بعض الاندلسيين ممن لم يحضرني اسمه الآن

اذا صال ذو دبوس صديقه * فيا أيها النحل المصاحب لي صل بي
فاني مثل الماء لينا لصاحبي * وناهيك للاعداء من رجل صلب

وقال أبو يحيى بن هشام القرطبي

وجعل عليه على فقتله ثم خرج منهم آخر فحمل على الناس ففتك فيهم وجعل يكر عليهم وهو يقول أضربهم ولو أرى أبا حسن ألبسته بصارمي ثوب غبن فخرج اليه علي وهو يقول يا أيها المبتغي أبا حسن اليك فانظر أينا يلقى الغبن وحمل عليه على وشكه بالرمح وترك الرمح فيه فانصرف علي وهو يقول لقد رأيت أبا حسن فرأيت ما تكره وحمل أبو أيوب الانصاري على زيد بن حصن فقتله وقتل عبد الله ابن وهب الذي قتل هانئ ابن حاطب الازدي وزياد ابن حفصة وقتل حرقوص ابن زهير السعدي وكان جملة من قتل من أصحاب علي تسعة ولم يفلت من الخوارج الا عشرة وأتى علي على القوم وهم أربعة آلاف فيهم المخدج ذو الثدية الامن ذكرنا من هؤلاء العشرة وأمر علي بطلب المخدج فطلبوه فلم يقدروا عليه فقام علي وعليه أثر الحزن لفقد المخدج فانتهى الى قتلى بعضهم فوق بعض فقال افرجوا ففرجوا يمينا وشمالا واستخرجوه فقال علي رضي الله عنه الله أكبر ما كذبت على محمد وانه لناقص اليد ليس فيها عظم طرفها حلمة مثل ثدي المرأة عليها خمس شعرات وخائط

أوسبع رؤسها معقفة ثم قال ائتوني به فنظر الى عضده فاذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة عليه شعرات سود اذا مدت اللحمة امتدت حتى تحاذي بطن يده الاخرى ثم تترك فتعود الى منكبه فثنى رجله ونزل وخر لله ساجدا ثم ركب ومر بهم وهم صرعى فقال لقد صرعكم من غرركم قيل ومن غرهم قال الشيطان وأنفس السوء فقال أصحابه قد قطع الله دابرهم الى آخر الدهر فقال كلا والذي نفسي بيده انهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء لا تخرج خارجة الا خرجت بعدها مثلها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الاسمط يخرج اليه رجل منا أهل البيت فيقتلهم ولا يخرج بعدها خارجة الى يوم القيامة وجمع على ما كان في عسكر الخوارج فقسم السلاح والدواب بين المسلمين ورد المتاع والعبيد والاماء الى أهليهم ثم خطب الناس فقال ان الله قد أحسن اليكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم فقالوا يا أمير المؤمنين قد كللت سيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت أسنة رماحنا فدعنا نستعد باحسن عدتنا وكان الذي كله بهذا الاشعث بن قيس فعسكر على بالنخيلة فجعل أصحابه يتسللون ويلحقون باوطانهم فلم يبق معه الا نفر يسير ومضى الحرث بن

وخائط رائع جمالا * وصاله غاية اقتراحي
تنعم منه الخيوط فتلا * بين اقاح و بين راح
تراه في السلم ذا طعان * بنافذات بلا جراح
حلته اشبهت فؤادي * لكثرة الوخز في النواحي
تقطع الثوب راحتاه * كصنع الحاظه الملاح
فقبله ما رأيت بدرا * مزقا بردة الصباح

وقال أبو جعفر أحمد بن عبد الولي البلنسي

غصبت الثريا في البعاد مكانها * وأودعت في عيني صادق نومها
وفي كل حال لم تزالي بخيلة * فكيف أعرت الشمس حلة ضوئها

قال ابن الابار أنشد مؤلف قلائد العقيان هذين البيتين لابي جعفر البني اليعمري وأحدهما غالط من قبل اشتباه نسبهما والتفرقة بينهما مستوفاة من تأليفي المسمى بهداية المعتسف في المؤتلف والمختلف انتهى وأبو جعفر بن عبد الولي المذكور أحرقه القنبيطور لعنه الله تعالى حين تغلبه بالروم على بلنسية قال ابن الابار وذلك في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وقيل ان احراقه كان سنة تسعين وأربعمائة انتهى وقال أبو العباس القيجاطي فيما انشده له ابن الطيلسان

ليس الخمول بعار * على امرئ ذي جلال
فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالي

وقال ابو محمد بن الخباز المعافري البلنسي

اقول وقد خوفوني القران * وما هو من شره كائن
ذنوبي اخاف واما القران * فاني من شره آمن

وابوه ابو احمد هو المحرق ببلنسية كما ذكرناه في غير هذا الموضع وقال ابو العباس

و بين ضلوعي للصبابة لوعة * بحكم الهوى تقضي علي ولا أقضى
جنى ناظري منها على القلب ما جنى * فيا من رأى بعضا يعين على بعض

ودخل ابو القاسم بن عبد المنعم وكان أزرق وسيما ومعه ابو عبد الله الشاطبي وابو عثمان سعيد بن قوشترة على صاحب كتاب مشاحذ الافكار في ما تؤخذ النظار فقال ابن قوشترة عابوه بالزرق الذي يجفونه * والماء ازرق والسنان كذلكا

فقال الشاطبي

والماء يهدي للنفوس حياتها * والرمح يشرع للمنون مسالكا

فقال ابو بكر بن طاهر صاحب كتاب المشاحذ

وكذاك في اجفانه سبب الردى * لكن أرى طيب الحياة هنالكا

وهذا من بارع الاجازة وكم لاهل الاندلس من مثل هذا الديباج الخسرواني رحمهم الله تعالى وسامحهم وكتب الشيخ الامام العالم العلامة ابو عبد الله محمد بن الصائغ الاندلسي النحوي عند قول الحريري أمنا أن يعز زابشالث ما نصه قد جيء لهما بثالث ورابع في قافيتهما

وهو قول بعض الفضلاء

ما الامة اللكعاء بين الورى * كمثلهم حرائى ملأمه
فيه اذا استجديت من قول لا * فالحر لا يملأ منها فمه

ثم قال وبخ امس وسادس

انقد مهوى أزره فانثنى * مه ياعذولى فى الذى انقدمه
مندمة قتل المعنى فلا * ترسل سهام اللحظ تأمن دمه انتهى

قلت رأيت فى المغرب فى هذا المعنى ما يضيف على سبعين بيتا كلها ماجلة لبيتى الحريرى رحمه الله تعالى وقال أبو بكر بن عبادة الشاعر فى أبى بكر والد الوزير أبى الوليد بن زيدون

أى ركن من الرياسة هيضا * وجموم من المكارم غيضا
حملوه من بلدة نحو أخرى * كى يوافوا به ثراه الاريضا
مثل حمل السحاب ماء طبيبا * لتداوى به مكانا مريضا

وكان المذكور توفى فى ضيعة له ونقل تابوته الى قرطبة فدفن فى الربض سنة ٤٠٠ وولد سنة ٣٠٤ وقال أبو بكر بن قزمان صاحب الموشحات

وعهدى بالشباب وحسن قدى * حكى ألف ابن مقلة فى الكتاب
فصرت اليوم منحنيا كأنى * أفتش فى التراب على شبابى

وقال

يارب يوم زارنى فيه من * أطلع من غرته كوكبا
ذو شفة لمياء معسولة * ينشع من خديه ماء الصبا
قلت له هب لى بها قبلة * فقال لى مبتسما حبا
فذقت شيأ لم أذق مثله * لله ما أحلى وما أعذبا
أسعدنى الله باسعاده * ياشقوتى ياشقوتى لو أبى

قال لسان الدين كان ابن قزمان نسيج وحده أديبا وظرفا ولوذعية وشهرة قال ابن عبد الملك كان أديبا بارعا حلو الكلام ملىح النثر مبرزا فى نظم الزجل قال لسان الدين وهذه الطريقة الزجلية بديعة تتحكم فيها القاب البديع وتنفسح لكثير مما يضيق على الشاعر سلوكه وبلغ فيها أبو بكر رحمه الله تعالى مبلغا حجره الله عن سواه فهو آيتها المعجزة وحجتها البالغة وفارسها المعلم والمبتدئ فيها والمتمم وقال الفتح فى حقه مبرز فى البيان ومحرز للسبق عند تسابق الاعيان اشتمل عليه المتوكل على الله فرقاه الى مجالس وكساه ملابس فامتطى أسمى الرتب وتبوأها ونال أسنى الحظوظ وماتملأها وقد أثبت له مايعلم به رفيع قدره ويعرف كيف أساءله الزمان بغدره كقوله

ركبوا السيول من الخيول وركبوا * فوق العوالى السمر زرق نطاف
وتجللوا الغدران من مأذيهم * مرتجة الاعلى الاكناف

والمأذى العسل والنطاف جمع النطفة وهى الماء الصافى قل أو كثر وقال الفقيه أبو بكر ابن القوطية صاحب الافعال فى اللغة والغريب فى زمن الربيع

ضحك الثرى وبدا لك استبشاره * فاخضر شار به وطرز عذاره

أنفسهم وقد أبى ذلك كثير من الناس وذكروا ان سامة بن لؤى ما أعقب وقد حكى عن على فيهم ماقد ذكرناه فى كتابنا فى أخبار الزمان ولست ترى ساميا الا منحرفا عن على من ذلك ماظهر عن على بن الجهم الشاعر السامى من التعصب والانحراف وقد أتينا على لمع من شعره واخباره فى الكتاب الاوسط ولقد بلغ من انحرافه ونصبه العداوة لعلى عليه السلام انه كان يلعن أباه فسئل عن ذلك ويم استحق اللعن منه فقال بتسميته اياى عليا فسرح عليهم على معقل ابن قيس الرياحى فقتل الحرث ومن معه من المرتدين بسيف البحر وسبى عيالهم وذراريهم وذلك بساحل البحرين فنزل معقل بن قيس بعض كور الاهواز بسبى القوم وكان هنالك مصقلة بن هبيرة الشيبانى عاملا لعلى فصاح به النسوة امنن علينا فاشتراهم بثلثمائة ألف وأعتقهم وأدى من المال مائتى ألف وهرب الى معاوية فقال على قبح الله مصقلة فعل فعل السيد وفر فرار العبد لو أقام أخذناه ما قدرنا على أخذه فان أعسر أنظرناه وان عجز لم نؤاخذه بشئ وانفذ العتق وفى ذلك

يقول مصقلة بن هبيرة من أبيات ترکت نساء الحي بكر بن وائل * واعتقت سبيا من لؤي بن غالب

ودنت حدائقه وزهر رنته * وتعطرت أنواره وثماره
واهتز ذابل كل ماء قرارة * لما أتى متطلعا آذاره
وتعممت صلع الربا بنباته * وترنمت من عجبها أطياره

وقال في المطمح في حق ابن القوطية المذكور انه ممن له سلف وثنية كلها شرف وهو أحد المجتهدين في الطلب والمشتهرين بالعلم والادب والمنتدبين للعلم والتصنيف والمرتبين له بحسن الترتيب والتأليف وكان له شعر نبيه وأكثره أوصاف وتشبيه انتهى وقال القاضي الاجل يونس بن عبد الله بن مغيث

أتواحسه اذ قيل جد نحوله * فلم يبق من لحم عليه ولا عظم
فعادوا قيصا في فراش فلم يجد * ولا لمسوا شيأ يدل على جسم
طواه الهوى في ثوب سقم من الضنى * وليس بمحسوس بعين ولا وهم

وقال في المطمح فيه انه قاضي الجماعة بقرطبة فاضل ورع مبرز في النسك والزهاد دائم الارق في التخشع والسهاد مع التحقق بالعلم والتميز بحمله والتحيز الى فئة الورع وأهله وله تآليف في التصوف والزهد منها كتاب المنقطعين الى الله وكتاب المجتهدين وأشعار في هذا المعنى منها قوله

فررت اليك من ظلمي لنفسي * وأوحشني العباد وأنت أنسي
قصدت اليك منقطعا غريبا * لتؤنس وحدتي في قعر رمسي
وللعظمى من الحاجات عندي * قصدت وأنت تعلم سر نفسي

ولما أراد المستنصر بالله غزو الروم تقدم الى أبي محمد والده بالكون في صحبته ومسايرته في غزوته فاعتذر بعذر يجده وألم لا يجده فقال له الحكم ان ضمن لي أن يؤلف في أشعار خلفائنا بالمشرق والاندلس مثل كتاب الصولي في أشعار خلفاء بني العباس أعفيته من الغزاة وجازيته أفضل المجازاة فأجابه اليه على أن يؤلفه بالقصر فزعم انه رجل مزور وأن ذلك الموضع ممتنع على من يلم به ويزور فألفه بدار الملك المطلة على النهر وأكمله فيما دون شهر وتوفي المستنصر اذ ذاك انتهى وقال ابن سيده صاحب الحكم يخاطب اقبال الدولة

ألا هل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن في ذاك واليمنا

قال في المطمح الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن سيده امام في اللغة والعربية وهمام في الفئة الادبية وله في ذلك أوضاع لافهام اخلافها استدرار واسترضاع حررها تحريرا واعاد طرف الذكاء بها قريرا وكان منقطعا الى الموفق صاحب دانية وبها ادرك أمانيه ووجد تجرده للعلم وفراغه وتفرد بتلك الاراغة ولاسيما كتابه المسمى بالمحكم فانه أبدع كتاب واحكم ولما مات الموفق رائش جناحه ومثبت غرره وأوضاحه خاف من ابنه اقبال الدولة وأطاف به مكروها بعض من كان حوله اذ أهل الطلب لحميات مساورة ففر الى بعض الاعمال المجاورة وكتب اليه منها مستعطفا

الا هل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن في ذاك واليمنا
فتنضي هموم طلحته خطوبها * ولا غار بايقين منه ولا متنا

وفارقت خير الناس بعد محمد
لمال قليل لا محالة ذاهب
وفي ذلك يقول الآخر
ومصقلة الذي قد باع بيعا
ربيحا يوم ناحية بن سام
ولمصقلة أفعال أتاها
وحيل عملها قد ذكرناها
وما قال في ذلك من الشعر في الكتاب الاوسط وقال علي بن محمد بن جعفر العلوي فيمن انتمى الى سامة بن لؤي بن غالب بن محمد
أسامة منا فامابنوه
فامرهم عندنا مظلم
اناس أتونا بانسابهم
خرافة مضطجع يحلم
وقلنا لهم مثل قول الوصي
وكل أقاويله محكم
اذا ما سئلت فلم تدر ما
تقول فقل ربنا أعلم

وفي سنة ثمان وثلاثين وجه معاوية عمرو بن العاص الى مصر في أربعة آلاف ومعه معاوية بن حديج وابو الاعور السلمي واستعمل عمرا عليها حياته ووفى له بما تقدم من ضمانه فالتقوا هم ومحمد بن أبي بكر وكان عامل علي عليها بالموضع المعروف بالمنشأة فاقتتلوا فانهزم محمد لاسلام أصحابه اياه وتركهم له وصار الى موضع بمصر فاختفى فيه فأحيط بالدار فخرج اليهم محمد ومن معه

غريب نأى أهلوه عنه وشفه * هواهم فأمسى لا يقر ولا يهنا
فيا ملك الاملاك انى مخلأ * عن الورد لا عنه اذا دولا أدنى
تحققت مكروها فأقبلت شاكيا * لعمرى أما أذون لعبدك أن يعنى
وان تتأكد فى دمى لك نية * فأنى بسيف لا أحب له جفنا
اذا ما غدا من حرسيفك باردا * فقد ما غدا من برد نعماكم سخنا
وهل هى الا ساعة ثم بعدها * ستقرع ما عمرت من ندم سنا
ومالى من دهرى حياة الذها * فتجعلها نعمى على وتمتنا
اذا ميتة ارضتك عنا فهاتها * حبيب الينا ما رضيت به عنا

وقال الفقيه ابو محمد غانم بن الوليد الاندلسى المخزومى المالقى

صبر فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط محال للعبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وله

الصبر اولى بوقار الفتى * من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حالة * كان على أيامه بالخيار

وقال فى المطمع فيه انه عالم متفرس وفقيه مدرس وأستاذ متجرد وامام لاهل الاندلس مجود وأما الادب فكان جل شرعته وهو رأس بغيته مع فضل وحسن طريقه وجد فى جميع الامور وحقيقه انتهى وقال المحدث الحافظ أبو عمر بن عبد البر يوصى ابنه بمقصورة

تجاف عن الدنيا وهون لقدرها * ووف سبيل الدين بالعروة الوثقى
وسارع بتقوى الله سرا وجهرة * فلا ذمة أقوى هديت من التقوى
ولا تنس شكر الله فى كل نعمة * يمن بها فالشكر مستجلب النعمى
فدع عنك ما لا حظ فيه لعاقل * فان طريق الحق أبلج لا يخفى
وشمر بأيام بقين قلائل * وعمر قصير لا يدوم ولا يبقى
ألم تر أن العمر يمضى موليا * فحدثه تبلى ومدته تفنى
نخوض ونلهو غفلة وجهالة * ونشرع اعمالا وأعمارنا تطوى
تواصلنا فيه الحوادث بالردى * وتنتابنا فيه النوائب بالبلوى
عجبت لنفس تبصر الحق بينا * لديها وتأبى أن تفارق ما تهوى
وتسعى لما فيه عليها مضرة * وقد علمت أن سوف تجزى بما تسعى
ذنوبى أخشاها ولست بآيس * وربى أهل أن يخاف وأن يرجى
وان كان ربى غافرا ذنب من يشا * فانى لا ادرى أأكرم ام أخزى

وقال فى المطمع الفقيه الامام العالم الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر امام الاندلس وعالمها الذى التاحت به معالمها صحيح المتن والسند ومميز المرسل من المسند وفرق بين الموصل والقاطع وكسا الملة منه نورا ساطع حصر الرواة وأحصى الضعفاء منهم والثقات وجد فى تصحيح السقيم وجد منه ما كان كالكهف والرقيم مع معلنات العلل ٢ وارهاف ذلك العلل والتنبيه والتوقيف والاتقان والتثقيف وشرح المقفل

من أصحابه فقاتلهم حتى حمار وأضرموه بالنار وذلك بموضع فى مصر يقال له كوم شريك وقيل انه فعل به ذلك وبه شئ من الحياة وبلغ معاوية قتل محمد وأصحابه فاظهر الفرح والسرور وبلغ عليا قتل محمد وسرور معاوية فقال جزعنا عليه على قدر سرورهم فما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحرب جزعى عليه كان لى ربيبا وكنت أعده ولدا كان بى برا وكان ابن أخى فعلى مثل هذا نحزن وعند الله نحتسبه وولى على الاشتر مصر وانفذه اليها فى جيش فلما بلغ ذلك معاوية دس الى دهقان وكان بالعريش فارغبه وقال أترك خراجك عشرين سنة فاحتل للاشتر بالسم فى طعامه فلما نزل الاشتر العريش سأل الدهقان اى الطعام والشراب احب اليه قيل العسل فاهدى له عسلا وقال ان من امره وشانه كذا وكذا ووصفه للاشتر وكان الاشتر صائما فتناول منه شربة فما استقرت فى جوفه حتى تلف وأتى من كان معه على الدهقان ومن كان معه وقيل كان ذلك بالقلزم والاول أثبت فبلغ ذلك عليا فقال لليدين وللفم وبلغ ذلك معاوية فقال ان لله جندا من العسل وقبض أصحابه عن على فى هذه السنة ثلاثة واستدرك

واستدراك المغفل وله فنون هى للشريعة رتاج وفى مفرق الملة تاج أشهرت للحديث ظبا وفرعت لمعرفته ربا وهيبت لتفهمه شمالا وصبا ونفت منه وصبا وكان نقه والانفس على تفضيله متفقه وأما أدبه فلا تعبر لجته ولا تدحض حجته وله شعر لم نجد منه الا ما نفث به أنفة وأقصى فيه عن معرفة فمن ذلك قوله وقد دخل اشبيلية فلم يلق فيها مبرة ولم ير من أهلها تهلل أسرة فاقام بها حتى أخلقه مقامه واطبقه اغتمامه فارتحل وقال

تنكر من كنا نسر بقربه * وعاد زعافا بعدما كان سلسلا
وحق لجار لم يوافقه جاره * ولا امتته الدار أن يتحولا
بليت بحمص والمقام ببلدة * طويلا لعمرى مخلق يورث البلى
اذا هان عرعند قوم أتاهم * ولم يناعنهم كان أعمى وأجهلا
ولم تضرب الامثال الا لعالم * وما عوتب الانسان الا ليعقلا انتهى

وقال الفقيه أبو بكر بن أبى الدودس

اليك أبا يحيى مددت يد المنى * وقد ما غدت عن جود غيرك تقبض
وكانت كنور العين يلمع بالدجا * فلما دعاه الصبح لباه ينهض

وقال فى المطمح انه من أبدع الناس خطا وأصحهم نقلا وضبطا اشتهر بالاقراء واقتصر بذلك على الامراء ولم يخط لواهم ومطل الناس بذلك ولواهم وكان كثير التحول عظيم التجول لا يستقر فى بلد ولا يستظهر على حرمانه بجلد فقذفته النوى وطردته عن كل ثوى ثم استقر آخر عمره بأغمات وبهامات وكان له شعر بديع يصونه ابدا ولا يمتذيه بدا أخبرنى من دخل عليه بالمرية فرآه فى غاية الاملاق وهو فى ثياب أخلاق وقد توارى فى منزله توارى المذنب وقعد عن الناس قعود مجتنب فلما علم ما هو فيه وترفعه عمن يجتديه عاتبه فى ذلك الاعتزال وآخذه حتى استزله بغيض الانزال وقال له هلا كتبت الى المعتصم فانى فى ذلك ما يصم فكتب اليه اليك أبا يحيى مددت يد المنى البيتين انتهى

*وقال الفقيه القاضى الفاضل أبو الفضل بن الاعلم حين أقلع وأناب وودع ذلك الجناب وتزهد وتنسك وتمسك من طاعة الله بما تمسك وتذكر يوما يتجرد من أمله وينفرد فيه بعمله

الموت يشغل ذكره * عن كل معلوم سواه
فاعد له ربع ادكا * ركى فى العشية والغداه
واكحل به طرف اعتبا * رك طول ايام الحياه
قبل ارتكاض النفس ما * بين التراثب واللهاه
فيقال هذا جعفر * رهن بما كسبت يداه
عصفت به ريح المنو * ن فصيرته كما تراه
فضعوه فى اكفانه * ودعوه يجنى ما جناه
وتمتعوا بمتاعه * الحزون واحووا ما حواه

أصبهان فخطب الناس وقال اغدوا الى عطاء رافع فوالله ما أنا لكم بخازن وكان فى عطائه يأخذ كما يأخذ الواحد منهم ولم يكن بين على ومعاوية من الحرب الا ما وصفنا بصفين وكان معاوية فى بقية أعماله على يبعث سرايا تغير وكذلك على كان يبعث من يمنع سرايا معاوية من أذية الناس وقد أتينا على ذكر السرايا والغارات فيما سلف من كتبنا (قال المسعودى رحمه الله) وقد تكلم طوائف من الناس ممن سلف وخلف من أهل الآراء فى الخوارج وغيرهم من فعل على يوم الجمل وصفين وتباين حكمه فيهما وفيمن قتل من أهل صفين مقبلين ومدبرين واجهازه على جرحاهم ويوم الجمل لم يتبع موليا ولا أجهز على جريح ومن ألقى سلاحه أو دخل داره كان آمنا وما أجابهم به شيعة على فى تباين حكم على فى هذين اليومين لاختلاف حكمهما وهو أن أصحاب الجمل لما انكشفوا لم يكن لهم فئة يرجعون اليها وانما رجع القوم الى منازلهم غير محاربين ولا منابذين ولا لامره مخالفين فرضوا بالكف عنهم وكان الحكم فيهم رفع السيف اذ لم يطلبوا عليه أعوانا وأهل صفين كانوا يرجعون

الى فئة مستعدة وامام منتصب يجمع لهم السلاح ويسنى لهم الاعطية ويقسم لهم الاموال ويجبر كسيرهم ويحمل راجلهم ويردهم فيرجعون الى الحرب وهم الى امامته منقادون ولرأيه متبعون ولغيره مخالفون ولامامته تاركون ولحقه جاحدون وبانه يطلب ماليس له قائلون فاختلف الحكم لما وصفنا وتباين حكمهما لما ذكرنا ولكل فريق من السائل والمجيب كلام يطول ذكره ويتسع شرحه قد اتينا على استيعابه وماذكره كل فريق منهم فيما سلف من كتبنا فأغنى ذلك عن اعادته والله اعلم

(ذكر مقتل علي بن ابي طالب رضي الله عنه)

وفي سنة اربعين اجتمع عكة جماعة من الخوارج فتذاكروا الناس وما هم فيه من الحرب والفتنة وتعاهد ثلاثة منهم على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص وتواعدوا واتفقوا على ان لاينكص رجل منهم عن صاحبه الذي يتوجه اليه حتى يقتله أو يقتل دونه وهم عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله وكان من تجيب وكان عدادهم في مراد فنسب اليهم وحجاج بن عبد الله الصريمي ولقبه البرك وزادويه مولى بني العنبر فقتل ابن ملجم أنا أقتل عليا وقال البرك أنا أقتل معاوية

يامنظرا مستبشعا * بلغ الكتاب به مداه
لقيت فيه بشارة * تشفي فؤادي من جواه
ولقيت بعدك خير من * نباه ربي واجتباه
في دار خفض ما اشتهت * نفس المقيم بها اتاه

وقال في المطمح انه كهل الطريقة وفتى الحقيقة تدرع الصيانة وبرع في الورع والديانة وتماسك عن الدنيا عفافا وماتماسك التماسا بأهلها والتفافا فاعتقل النهى وتنقل في مراتبها حتى استقر فيها في السها وعطل ايام الشباب ومطل فيها سعاد وزينب والرباب الاساعات وقفها على المدام وعطفها الى الندام حتى تخلى عن ذلك واترك وأدرك من المعلومات ما ادرك وتعرى من الشبهات وسرى الى الرشد مستيقظا من تلك السنات وله تصرف في شتى من الفنون وتقدم في معرفة المفروض والمسنون وأما الادب فلم يجاره في ميدانه أحد ولا استولى على احسانه فيه حصر ولا حد وجده أبو الحجاج الاعلم هو خلده منه ما خلد ومنه تقلد ما تقلد وقد أثبت لابي الفضل هذا ما يسقيك ماء الفضل زلالا ويريك سحر البيان حلالا فمن ذلك ما كتب به الى وقد مررت على شنت مرية بعد ما رحل عنها وانتقل واعتقل من نواناو بيننا ما اعتقل وشنت مرية هذه داره وبها كمل هلاله وابداره وفيها استقضى وشيم مضاؤه وانتضى فالتقينا بها على ظهر وتعاطينا ذكر ذلك الدهر فجددت من شوقه ما كان قد شب عن طوقه فرامني على الاقامة وسامني على ذلك بكل كرامة فأبيت الا النوى وانثنيت عن الثوى فودعني ودفع الى تلك القطعة حين شيعني

بشراي أطلعت السعود على * آفاق أنسي بدرها كملا
وكسا أديم الارض منه سنى * فكست بسائطها به حللا
ايه أبا نصر وكم زمن * قصرا دكارك عندي الامللا
هل تذكرن والعهد يخجلني * هل تذكرن أيامنا الاولا
أيام نعشر في أعنتنا * ونجر من أبرادنا خيلا
ونحل روض الانس مؤتنقا * ونحل شمس مرادنا الحجلا
ونرى ليالينا مساعفة * تدعو رفاقتنا لنا الجفلى
زمن نقول على تذكره * ماتم حتى قيل قد رحلا
عرضت لزورتكم وما عرضت * الا التمحق كل ما فعلا

ووافيته عشية من العشايا أيام ائتلافنا وعودنا الى مجلس الطلب واختلافنا فرأيته مستشرفا متطلعا يرتاد موضعا يقيم به لثغور الانس مرتشفا ولثديه مرتضعا فحين مقلني تقلدني اليه واعتقلني وملنا الى روضة قد سندس الربيع في بساطها وديج الزهر دراني أوساطها وأشعرت النفوس فيها بسرورها وانبساطها فأقمنا بها نتعاطى كؤس أخبار ونتهادى أحاديث جهابذة وأحبار الى أن نثرز عنان العشي وأذهب الانس خوف الوحشي فقمت وقام وعوج الرعب من ألسنتنا ما كان استقام وقال

وعشية كالسيف الاحدّه * بسط الربيع بها النعلى خده
عاطيت كاس الانس فيها واحدا * ماضره ان كان جمعا وحده

وتنزه يوما بحديقة من حدائق الحضرة قد اطرد نهرها وتوقد زهرها والريح يسقطه فينظم بلبة الماء ويتبسم به فتخاله كصفحة خضرة السماء فقال

انظر الى الازهار كيف تطلعت * بسماوة الروض الجود نجوما
وتساقطت فكأن مسترقا دنا * للسمع فانقضت عليه رجوما
والى مسيل الماء قد رقت به * صنع الرياح من الحباب رقوما
ترمى الرياح لها نثير أزاهر * فتمدّه فى شاطئيه رقيما

وله يصف قلم براعة وبرع فى صفته أعظم براعة

ومهفهف ذلق صليب المكسر * سبب لنيل المطلب المتعذر
متألق تنبيك صفرة لونه * بقديم صحبته لآل الاصفر
ماضره أن كان كعب براعة * وبحكمه اطردت كعوب السمهرى

وله عند ما شارف الكهولة واستأنف قطع صرة كانت موصولة

أما أنا فقد ارعويت عن الصبا * وعضضت من ندم عليه بنانى
فأطعت نصاحى ورب نصيحة * جاؤا بها فلجعت فى العصيان
أيام أسحب من ذيول شبيبتى * مرحا وأعثر فى فضول عنانى
وأجل كاسى أن ترى موضوعة * فعلى يدى أو فى يدى ندمانى
أيام أحيا بالغوانى والغنا * وأموت بين الراح والريحان
فى فتية فرضوا اتصال هواهم * فناهم دن من الادنان
هزت علاهم أريحيات الصبا * فهى النسيم وهم غصون البان
من كل مخلوع الاعنة لم يبل * فى غيه بصارف الازمان

الى أن قال ومن نثره يصف فرسا انظر اليه سليم الاديم كريم القديم كأنما نشأ بين الغبراء والنجوم نجم اذا بدا وهم اذا عدا يستقبل بغزال ويستدبر برال ويتحلى بشيات تقسيمات الجمال * وله يصف سرجا برة جياد ومركب أجواد جميل الظاهر رحيب ما بين القادمة والآخر كأنما قد من الخدود أديمه واختص باتقان الحبك تقويمه * وله فى وصف لجام متناسب الاشلاء صريح الانتماء الى ثرياء السماء فكله نكال وسائره جمال * وله فى وصف رمح مطرد الكعوب صحيح اتصال الغالب والمغلوب أخ ينوب كلما استنيبت ويصيب * وله فى وصف قيس كافورى الاديم بابلى الرسوم تباشر منه الجسوم ما يباشر الروض من النسيم * وله فى وصف بغل مترف النسب مستخبر الشرف آمن الكبب ان ركب امتنع اعتماله أو وكب استقل به أخواله * وله فى وصف حمار وثيق المفاصل عتيق النهضة اذا ونت المراسل انتهى ببعض اختصار * وقال الاديب الشاعر أبو عمرو يوسف بن هرون الكندى المعروف بالرمادى

أومى لتقبيل البساط خنوعا * فوضعت خدى فى التراب خضوعا

وقال زادويه أنا قتل عمر بن العاص واتعدوا ان يكون ذلك ليلة سبع عشرة من شهر رمضان وقيل ليلة احدى وعشرين فخرج عبد الرحمن بن ملجم المرادى الى على فلما قدم الكوفة أتى قطام بنت عمه وكان على قتل أباها واخاها يوم النهروان وكانت أجمل أهل زمانها فخطبها فقالت لا أتزوج حتى تسمى لى قال لا تسألينى شيأ الا أعطيته فقالت ثلاثة آلاف وعبدا وقينة وقتل على فقال ماسألت هو لك مهرا الا قتل على فلا أرالك تدركينه قالت فالتمس غرته فان أصبته شفيت نفسى ونفعك العيش معى وان هلكت فما عند الله خير لك من الدنيا فقال والله ما جاء بى الى هذا المصر وقد كنت هاربا منه الا لذلك وقد أعطيتك ما سألت وخرج من عندها وهو يقول

ثلاثة آلاف وعبد وقينة
وقتل على بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من على وان علا
ولا قتل الا دون قتل ابن ملجم

فلقيه رجل من أشجع يقال له شبيب بن بجيرة من الخوارج فقال له هل لك فى شرف الدنيا والآخرة فقال وما ذاك قال تساعدنى على قتل على قال ثكلتك أمك لقد جئت شيأ اذا قد عرفت غناءه فى

ما كان مذهبه الخنوع لعبده * الا زيادة قلبه تقطيعا
قولوا لمن أخذ الفؤاد مسلما * يمن على برده مصدوعا
العبد قد يعصى وأحلف انني * ما كنت الا سامعا ومطيعا
مولاى يحيى فى حياة كاسمه * وانا اموت صبابة وولوعا
لا تنكروا غيث الدموع فكل ما * ينحل من جسمى يكون دموعا

والرمادى المذكور عرف به غير واحد منهم الحافظ أبو عبد الله الحميدى فى كتابه جذوة المقتبس وقال أظن أن أحد آبائه كان من أهل الرمادة وهى موضع بالمغرب وهو قرطبى كثير الشعر سريع القول مشهور عند الخاصة والعامة هنالك لسلوكه فى فنون من المنظوم والمنثور مسالك حتى كان كثير من شيوخ الادب فى وقته يقولون فتح الشعر بكندة وختم بكندة يعنون امرأ القيس والمتنبى ويوسف بن هرون على ان فى كون المتنبى من كندة القبيلة كلاما مشهورا واخذ ابو عمر بن عبد البر عن الرمادى هذا قطعة من شعره وضمنها بعض تأليفه قال ابن حيان توفى الرمادى سنة ٤٠٣ وذكر ابن سعد فى المغرب ان الرمادى اكتسب صناعة الادب من شيخه ابى بكر بن هذيل الكفيف عالم ادباء الاندلس وهو القائل رحمه الله تعالى

لا تلمنى على الوقوف ببدار * اهلها صيروا السقام ضجيعى
جعلوا الى هواهم سبيلا * ثم سدوا على باب الرجوع

وروى الرمادى عن أبى على كتاب النوادر ومدح أبا على بقصيدة كما أشرنا اليه فى غير هذا الموضع وقال فى المطمع انه شاعر مفلق انفرج له من الصناعة المغلق ومض له برقها المؤتلق وسال بها طبعه كالماء المندفق فأجمع على تفضيله المختلف والمتفق فتارة يحزن وأخرى يسهل وفى كلتاهما بالبديع يعل ويهل فاشتهر عند الخاصة والعامة بانطباعه فى الفريقين وابداعه فى الطريقين وكان هو وأبو الطيب متعاصرين وعلى الصناعة متغايرين وكلاهما من كنده ومامنهما الا من اقتدح فى الاحسان زنده وتمادى بأبى عمرو طلق العمر حتى افرده صاحبه ونديه وهو يق شبابه واستشن اديمه ففارق تلك الايام وبهجتها وادرك الفتنة فخاض لجتها واقام فرقا من هيجانها شرقا باشجانها ولحقته فيها افاقة نهكته وبعدت عنه الافاقة حتى اهلكته وقد اثبت من محاسنه ما يعجبك سرده ولا يمكنك نقده فمن ذلك قوله

شطت نواهم بشمس فى هوادجهم * لولا الثلاثة اوهانى ليلهن عشوا
شكت محاسنها عينى وقد غدرت * لانها بضمير القلب تخمش
شعر ووجه تبارى فى اختلافهما * بحسن هذا وذاك الروم والحبش
شككت فى سقمى منها أفى فرشى * منها تشكست الا لطيف والفرش

الى ان قال وكان كلفا بفتى نصرانى استهل لباس زناره والخلود معه فى ناره وخلع برده لمسوحه وتشرع من صبيحه وراح فى بيعته وغدا من شيعته ولم يشرب نصيبه حتى حط عليه صليبه فقال

الاسلام وسابقته مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابن ملجم ويحك اما تعلم انه قد حكم الرجال فى كتاب الله وقتل اخواننا المصلين فنقتله ببعض اخواننا فاقبل معه حتى دخل على قطام وهى فى المسجد الاعظم وقد ضربت كلة بها وهى معتكفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر رمضان فاعلمتهما أن مجاشع بن وردان بن علقمة قد انتدب لقتله معهما فدعت لهما بحرير وعصبتهما وأخذوا أسيافهم وقعدوا مقابلين لباب السدة التى يخرج منها على المسجد وكان على يخرج كل غداة أول الاذان للصلاة وقد كان ابن ملجم مربالاشعث وهو فى المسجد فقال له فضحك الصبح فسمعها جعدة بن عدى فقال قتلته يا أعور قتلك الله وخرج على رضى الله عنه ينادى أيها الناس الصلاة فشد عليه ابن ملجم واصحابه وهم يقولون الحكم لله لا لك وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف فى قرنه وأما شبيب فوقعت ضربته بعضادة الباب وأما ابن وردان فهرب وقال على لا يفوتنكم الرجل وشد الناس على ابن ملجم يرمونه بالحصباء ويتناولونه ويصيحون فضرب ساقه رجل من همدان برجله وضرب المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وجهه فصرعه وأقبل به

الى الحسن ودخل شيب بين الناس فنجا بنفسه وهرب حتى أتى رحله فدخل

أدرها مثل ريقك ثم صلب * كعادتهم على وهمى وكاسى
فيقضى ما أمرت به اجتلابا * اسرورى وزاد خضوع راسى

وله فى مثله

ورأيت فوق النحر در * عافاقعا من زعفران
فزجرته لوناسقا * مى بالنوى والزجر شانى
يامن تأى عنى كما * تنأى العيون الفرقدان
فأرى بعينى الفرقدين ولا أراه ولا يرانى
لاقدرت لك أوبة * حتى يؤوب القارظان
هل ثم الاالموت فر * دالا تكون منيتان

وله أيضا

اشرب الكاس بانصيروهات * ان هذا النهار من حسناتى
بأبى غرة ترى الشخص فيها * فى صفاء أصفى من المرآت
تنزح الناس نحوها بازدحام * كازدحام الحجيج فى عرفات
هاتها يانصير انا اجتمعنا * بقلوب فى الدين مختلفات
انما نحن فى مجالس لهو * نشرب الراح ثم انت مواتى
فاذاما انقضت ديانة ذا الله * واعتمدنا مواضع الصلوات
لومضى الدهر دون راح وقصف * لعددناه ذا من السيئات

وشاعت عنه أشعار فى دولة الخلافة وأهلها سددا اليهم صائبات نبلها وسقاهم كؤس نهلها أوغرت عليه الصدور ونعرت عليه المنايا ولكن لم يساعدها المقدور فمحنه الخليفة دهرا وأسكنه من النكبة وعرا فاستعطفه أثناء ذلك واستلطفه وأجناه كل زهر من الاحسان وأقطفه فما أصغى اليه ولا ألفى موجدته عليه وله فى السجن اشعار صرح فيها بشكه وأفصح فيها عن جل الخطب لفقد صبره ونكثه فمن ذلك قوله

* لك الامن من شجو يزيد تشوقى * ومنها

فوا فوا بنا الزهراء فى حال خالع الأئمة لاستيفائهم فى التوثق
وحولى من أهل التأدب مأتم * ولاجؤذر الابشوب مشفق
فلوأن فى عينى الحمام كروضها * وان كان فى ألوانه غير مشفق
ونادى حمامى مهجتى لتقلقلت * فهلا أجابت وهو عندى بمخنق
أعينى ان كانت لدمعى فضلة * تثبت صبرى ساعة فتدفقى
فلوساعدت قالت أمن عدة الاسى * تنفث دمعى أم من البحر تستقى

ومنها

وقالت تظن الدهر يجمع بيننا * فقلت لها من لى بظن محقق
ولكننى فيما زجرت بمقلتى * زجرت اجتماع الشمل بعد التفرق
فقد كانت الاشعار فى مثل بعدنا * فلما التقت بالطيف قالت سنلتقى
أباكية يوما ولم يأت وقته * سينفد قبل اليوم دمعك فارفقى

الى أن قال وله أيضا

على كبرى تهمى السحاب وتذرف * ومن جزعى تبكى الحمام وتهتف

عليه عبد الله بن بحره وهو أحد بنى أبيه فرآه ينزع الحرير عن صدره فسأله عن ذلك فخبره بخبره فانصرف عبد الله الى رحله وأقبل اليه بسيفه فضربه حتى قتله وقيل ان عليا لم ينم تلك الليلة وانه لم يزل يمشى بين الباب والحجرة وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التى وعدت فلما صرخ بط كان للصبيان صاح بين بعض من فى الدار فقال على ويحك دعهن فانهن نوائح وقد ذكر طائفة من الناس أن عليا رضى الله عنه أوصى الى ابنيه الحسن والحسين لانهما شريكاه فى آية التطهير وهذا قول كثير ممن ذهب الى القول بالنص ودخل عليه الناس يسألونه فقالوا يا أمير المؤمنين أرأيت ان فقدناك ولا نفقدك أنبايع الحسن قال لا آمركم ولا أنهاكم انتم ابصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما اوصيكما بتقوى الله وحده ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تأسفا على شئ منها قولا الحق وارحما اليتيم واعينا الضعيف وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ولا تأخذكما فى الله لومة لائم ثم نظر الى ابن الحنفية فقال هل سمعت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك وتزيين أمرهما ولا تقطعن

ما كان مذهبه الخنوع لعبده * الا زيادة قلبه تقطيعا
قولوا لمن أخذ الفؤاد مسلما * يمنن علي برده مصدوعا
العبد قد يعصى وأحلف انني * ما كنت الا سامعا ومطيعا
مولاي يحيي في حياة كاسمه * وانا اموت صبابة وولوعا
لا تنكروا غيث الدموع فكل ما * ينحل من جسمي يكون دموعا

والرمادي المذكور عرف به غير واحد منهم الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتابه جذوة المقتبس وقال أظن أن أحد آبائه كان من أهل الرمادة وهي موضع بالمغرب وهو قرطبي كثير الشعر سريع القول مشهور عند الخاصة والعامة هنالك لسلوكه في فنون من المنظوم والمنثور مسالك حتى كان كثير من شيوخ الادب في وقته يقولون فتح الشعر بكندة وختم بكندة يعنون امرأ القيس والمتنبي ويوسف بن هرون على ان في كون المتنبي من كندة القبيلة كلاما مشهورا واخذ ابو عمر بن عبد البر عن الرمادي هذا قطعة من شعره وضمنها بعض تأليفه قال ابن حيان توفي الرمادي سنة ٤٠٣ وذكر ابن سعد في المغرب ان الرمادي اكتسب صناعة الادب من شيخه ابي بكر بن هذيل الكفيف عالم ادباء الاندلس وهو القائل رحمه الله تعالى

لا تلمني على الوقوف ببدار * اهلها صيروا السقام ضجيعي
جعلوا الى الهوى هم سبيلا * ثم سدوا على باب الرجوع

وروى الرمادي عن أبي علي كتاب النوادر ومدح أبا علي بقصيدة كما أشرنا اليه في غير هذا الموضع وقال في المطمح انه شاعر مفلق انفرج له من الصناعة المغلق ومض له برقها المؤتلق وسال بها طبعه كالماء المندفق فأجمع على تفضيله المختلف والمتفق فتارة يحزن وأخرى يسهل وفي كلتاهما بالبديع يعل وينهل فاشتهر عند الخاصة والعامة بانطباعه في الفريقين وابداعه في الطريقين وكان هو وأبو الطيب متعاصرين وعلى الصناعة متغايرين وكلاهما من كنده ومامنهما الا من اقتدح في الاحسان زنده وتمادى بأبي عمرو طلق العمر حتى افرده صاحبه ونديه وهريق شبابه واستشن اديمه ففارق تلك الايام وبهجتها وادرك الفتنة فخاض لجتها واقام فرقا من هيجانها شرقا باشجانها ولحقته فيها فاقة نهكته وبعدت عنه الافاقة حتى اهلكته وقد اثبت من محاسنه ما يعجبك سرده ولا يمكنك نقده فمن ذلك قوله

شطت نواهم بشمس في هوادجهم * لولا تلاؤها في ليلهن عشوا
شكت محاسنها عيني وقد غدرت * لانها بضمير القلب تفتحش
شعر ووجه تباري في اختلافهما * بحسن هذا وذاك الروم والحبش
شككت في سقمي منها أفي فرشي * منها تنكست الا الطيف والفرش

الى ان قال وكان كلفا بفتى نصراني استهل لباس زناره والخلود معه في ناره وخلع برده لمسوحه وتشرع من صبيحه وراح في بيعته وغدا من شيعته ولم يشرب نصيبه حتى حط عليه صليبه فقال

الاسلام وسابقته مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن ملجم ويحك اما تعلم انه قد حكم الرجال في كتاب الله وقتل اخواننا المصلين فنقتله ببعض اخواننا فاقبل معه حتى دخل على قطام وهي في المسجد الاعظم وقد ضربت كلتيهما وهي معتكفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر رمضان فاعلمتهما أن مجاشع بن وردان بن علقمة قد انتدب لقتله معهما فدعت لهما بحرير وعصبتهما وأخذوا أسيافهم وقعدوا مقابلين لباب السدة التي يخرج منها على المسجد وكان علي يخرج كل غداة أول الاذان للصلاة وقد كان ابن ملجم مربا لاشعث وهو في المسجد فقال له فضحك الصبح فسمعها جعدة بن عدي فقال قتلته يا أعور قتلك الله وخرج علي رضي الله عنه ينادي أيها الناس الصلاة فشد عليه ابن ملجم وأصحابه وهم يقولون الحكم لله لا لك وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف في قرنه وأما شبيب فوقعت ضربته بعضادة الباب وأما ابن وردان فهرب وقال علي لا يفوتنكم الرجل وشد الناس على ابن ملجم يرمونه بالحصباء ويتناولونه ويصيحون فضرب ساقه رجل من همدان برجله وضرب المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وجهه فصرعه وأقبل به

أدرها مثل ريقك ثم صلب * كعادتهم على وهمى وكاسى
فيقضى ما أمرت به اجتلابا * لسروري وزاد خضوع راسى

وله فى مثله
ورأيت فوق النحر در * عافاقعا من زعفران
فزجرته لوناسقا * مى بالنوى والزجر شانى
يامن نأى عنى كما * تنأى العيون الفرقدان
فأرى بعينى الفرقدين ولا أراه ولا يرانى
لاقدرت لك أوبة * حتى يؤوب القارظان
هل ثم الا الموت فر * دالا تكون منيتان

وله أيضا
اشرب الكاس يانصير وهات * ان هذا النهار من حسناتى
بأبى غرة ترى الشخص فيها * فى صفاء أصفى من المرآت
تنزح الناس نحوها بازدحام * كازدحام الحجيج فى عرفات
هاتها يانصيرانا اجتمعنا * بقلوب فى الدين مختلفات
انما نحن فى مجالس لهو * نشرب الراح ثم انت مواتى
فاذاما انقضت ديانة ذا اله * واعتمدنا مواضع الصلوات
لومضى الدهر دون راح وقصف * لعددناه ذا من السيئات

وشاعت عنه أشعار فى دولة الخلافة وأهلها سددا اليهم صائبات نبلها وسقاهم كؤس نهلها أوغرت عليه الصدور ونعرت عليه المنايا ولكن لم يساعدها المقدور فمحنه الخليفة دهرا وأسكنه من النكبة وعرا فاستعطفه أثناء ذلك واستلطفه وأجناه كل زهر من الاحسان وأقطفه فما أصغى اليه ولا ألفى موجدته عليه وله فى السجن اشعار صرح فيها ببثه وأفصح فيها عن جل الخطب لمقدصبره ونكثه فمن ذلك قوله

* لك الامن من شجو يزيد تشوقى * ومنها

فواأسفا بنا الزهراء فى حال خالع الأئمة لاستيفائهم فى التوثق
وحولى من أهل التأدب مأتم * ولاجؤذر الا بثوب مشقق
فلوأن فى عينى الحمام كروضها * وان كان فى ألوانه غير مشفق
ونادى حمامى مهجتى لتقلقلت * فهلا أجابت وهو عندى بمخنق
أعينى ان كانت لدمعى فضلة * تثبت صبرى ساعة فتدفقى
فلوساعدت قالت أمن عدة الاسى * تنفث دمعى أم من البحر تستقى

ومنها
وقالت تظن الدهر يجمع بيننا * فقلت لها من لى بظن محقق
ولكننى فيما زجرت بمقلتى * زجرت اجتماع الشمل بعد التفرق
فقد كانت الاشعار فى مثل بعدنا * فلما التقت بالطيف قالت سنلتقى
أباكية يوما ولم يأت وقته * سينفد قبل اليوم دمعك فارفقى

الى أن قال وله أيضا
على كبرى تهمى السحاب وتذرف * ومن جزعى تبكى الحمام وتهتف

عليه عبد الله بن بحره وهو أحد بنى أبيه فرآه ينزع الحرير عن صدره فسأله عن ذلك فخبره فانصرف عبد الله الى رحله وأقبل اليه بسيفه فضربه حتى قتله وقيل ان عليا لم ينم تلك الليلة وانه لم يزل يمشى بين الباب والحجرة وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التى وعدت فلما صرخ بط كان للصبيان صاح بهن بعض من فى الدار فقال على ويحك دعهن فانهن نوائح وقد ذكر طائفة من الناس أن عليا رضى الله عنه أوصى الى ابنيه الحسن والحسين لانهما شريكاه فى آية التطهير وهذا قول كثير ممن ذهب الى القول بالنص ودخل عليه الناس يسألونه فقالوا يا أمير المؤمنين أرأيت ان فقدناك ولا نفقدك أنبايع الحسن قال لا آمركم ولا أنهاكم انتم ابصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما اوصيكما بتقوى الله وحده ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تأسفا على شئ منها قولا الحق وارحما اليتيم واعينا الضعيف وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ولا تأخذكما فى الله لومة لائم ثم نظر الى ابن الحنفية فقال هل سمعت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك وتزيين أمرهما ولا تقطعن

أمر ادونهما ثم قال لهما أوصيكما به فانه سيفكما وابن أبيكما فأكرماه واعرفا حقه فقال له رجل من

كأن السحاب الواكفات غواسلى * وتلك على فقدى نواح هتف
الا ظعنت ليلى وبان قطينها * ولكننى باق فلوموا وعنفوا
وآنست فى وجه الصباح لبينها * نحولا كأن الصبح مثلى مدنف
واقرب مهدرشفة بلت الحشا * فعاد شتاء باردا وهو صيف
وكانت على خوف فولت كانها * من الرد فى قيد الخلاخل ترسف

وله

قبلته قدام قيسه * شربت كاسات بتقديسه
يفزع قلبى عند ذكرى له * من فرط شوقى قرع ناقوسه

وسجن معه غلام من أولاد العبيدى فيه مجال وفى نفس متأمله من لوعته أوجال فكتب يخاطب الموكل بالسجن بقطعة منها

جليسك من اتلف الحب قلبه * ويلذع قلبى حرقة دونها الجمر
هلال وفى غير السماء طلوعه * وريم ولكن ليس مسكنه القفر
تأملت عينيه فخامر فى الاسكر * ولا شك فى أن العيون هى الخمر
أناطقه كيما يقول وانما * أناطقه عمدا لينثر الدر
أناعبده وهو المليك كما اسمه * فلى منه شطر كامل وله شطر

انتهى باختصار وقال محمد بن هانئ

قد مررنا على مغانيك تلك * فرأينا بها مشابه منك
عارضتها المها الجوادل سربا * عند اجراعها فلم نسل عنك
لا برع للهاب كرك سرب * أشبهتك فى الوصف ان لم تكنك
كن عذيرى لقد رأيت معاجى * يوم تبكى بالجزع ولهى وأبكى
بحنين مرجع وتشك * وأنين موجع كتشكى

وقال صاحب المطمح فى حقه الاديب أبو القاسم محمد بن هانئ ذخر خطير وروض ادب مطير غاص فى طلب الغريب حتى أخرج درره المكنون وبهرج بافتنانه فيه كل الفنون وله نظم تتمنى الثريا أن تتوج به وتتقلد ويود البدر أن يكتب ما اخترع فيه وولد زهت به الاندلس وتاهت وحاسنت ببدائعه الاشعس وباهت فحسد المغرب فيه المشرق وغص به من بالعراق وشرق غير أنه نبت به أكنافها وشمخت عليه آنافها وبرئت منه وزويت الخيرات فيها عنه لانه سلك مسلك المعرى وتجرد من التدين وعرى وأبدى الغلو وتعدى الحق الجلو فجته الانفس وأزعجته الاندلس فخرج على غير اختيار وما عرج على هذه الديار الى أن وصل الزاب واتصل بجعفر بن الاندلسيه مأوى تلك الجنسيه فناهيك من سعد ورد عليه فكرع ومن باب ولج فيه وما قرع فاسترجع عنده شبابه وانتجع وبله وربابه وتلقاه بتأهيل ورحب وسقاه صوب تلك السحب فافرط فى مدحه فيه فى الغلو وزاد وقرع عنده تلك المزاد ولم يتورع ولا ثناه ذو ورع وله بدائع يتحير فيها ويحار ويخال لرقتها أنها السحار فانه اعتمد التهذيب والتحرير واتبع فى أغراضه الغرزدق مع جرير وأما تشبيهاته فخرق فيها المعتاد وماشاه منها اقتاد وقد أثبت له

القوم الا تعهد يا أمير المؤمنين قال لا ولكن أتركهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما ذا تقول لربك اذا أتيته قال أقول اللهم انك أبقيتنى فيهم ما شئت ان تبقينى ثم قبضتنى وتركتك فيهم فان شئت أفسدتهم وان شئت أصلحتهم ثم قال أما والله انها الليلة التى ضرب فيها يوشع بن نون ليلة سبع عشرة وقبض ليلة احدى وعشرين وبقى على الجمعة والسبت وقبض ليلة الاحد ودفن بالرحبة عند مسجد الكوفة وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار تنازع الناس فى موضع قبره وما قيل فى ذلك وقبض وقد أتى عليه اثنتان وسبعون سنة وقيل اثنتان وستون وقد قدمنا تنازع الناس فى مقدار سنه وكان كما قال الحسن والله لقد قبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الاولون الا بفضل النبوة ولا يدركه الآخرون وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعثه المبعث فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه

وكان الذى صلى عليه الحسن ابنه فوكبر عليه سبعا وقيل غير ذلك ولم يترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة

دره‍م بقيت من عطائه أراد أن يشترى بها خادما لاهله وقال بعضهم ترك لاه‍له مائتين وخمسين درهما ومصحفه وسيفه ولما أرادوا قتل ابن ملجم لعنه الله قال عبد الله بن جعفر دعونى حتى أشفى نفسى منه فقطع يديه ورجليه وأحمى له مسمارا حتى اذا صار جمرة كحله به فقال سبحان الذى خلق الانسان انك لتكحل عمك بمكحول بصاص ثم ان الناس أخذوه وادرجوه فى بوارى ثم طلوها بالنفط وأشعلوا فيها النار فاحترق وفيه يقول عمران بن حطان الرقاشى يمدحه فى ضربته من شعر له طويل

ياضربة من تقى ما أراد بها
الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
انى لاذكره يوما فاحسبه
أوفى البرية عند الله ميزانا
فاجابه القاضى أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعى
انى لابرأ مما أنت قائله
عن ابن ملجم الملعون بهتانا
ياضربة من شقى ما أراد بها
الا ليهدم للاسلام أركانا
انى لاذكره يوما فالعنه
دينا وألعن عمرانا وحطانا
عليه ثم عليه الدهر متصلا
لعائن الله اسرارا واعلانا

ما تحن له الاسماع ولا تتمكن منه الاطماع فمن ذلك قوله

اليلتنا اذ أرسلت وارد اوحفا * وبتنا رى الجوزاء فى أذنها شنفا
وبات لنا ساق يقوم على الدجا * بشمعة صبح لا تقط ولا تطفا
أغن غضيض خفف اللين قده * وثقلت الصهباء أجفانه الوطفا
ولم يبق اذ عاش المدام له يدا * ولم يبق فى اعنات التثنى له عطفا
نزيف نضاه السكر الا رتجاجة * اذا كل عنها الخصر حملها الردفا
يقولون حقف فوقه خيزرانة * أما يعرفون الخيزرانة والحقفا
جعلنا حشايانا ثياب مدامنا * وقدت لنا الازهار من جلدها لحفا
فمن كبد توحى الى كبد هوى * ومن شفة تؤوى الى شفة رشفا

ومنها كأن السماكين اللذين تراهما * على لبد تيه ضامنان له حتفا
فذا رامح يهوى اليه سنانه * وذا أعزل قد عض أنمله لهفا
كأن سهيلا فى مطالع أفقه * مفارق ألف لم يجد بعده الفا
كأن بنى نعش ونعشا مظافل * بوجرة قد أضللن فى مهمه خشفا
كأن سهاها عاشق بين عوّد * فآونة يبدو وآونة يخفى
كأن قدامى النسر والنسر واقع * قصصن فلم تسم الخوافى له ضعفا
كأن أخاه حين حوّم طائر * اتى دون نصف البدر فاختطف النصفا
كأن ظلام الليل اذ مال ميلة * صريع مدام بات يشرب بها صرفا
كأن عمود الصبح خافان معشر * من الترك نادى بالنجاشى فاستخفى
كأن لواء الشمس غرة جعفر * رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

وله أيضا

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من علوا لحديد الاحمر
أبنى العوالى السمهرية والسيو * ف المشرفية والعديد الاكثر
من منكم كالملك المطاع كأنه * تحت السوابغ تبع فى حمير
جيش تعد له الليوث وقوفها * كالفيل من قصب الوشيج الاخضر
وكأنما سلب القشاعم ريشها * مما يشق من النجاج الاكدر
لحق التبول مع الدبور وسارنى * جمع الهرقل وعزمة الاسكندر
فى فتية صدأ الحديد لباسهم * فى عبقرى البيض جنة عبقر
وكفاه من حب السماحة أنه * منها بموضع مقلة من محجر

ومنها نعماؤه من رحمة ولباسه * من جنة وعطاؤه من كوثر

وله أيضا من قصيدة فى جعفر بن على

ألا أيها الوادى المقدس بالندى * واهل الندى قلبى اليك مشوق
ويا أيها القصر المنيف قبابه * على الزاب لا يسدد اليك طريق

فأنتما من كلاب النار جاءا به * نص الشريعة برهانا وتبيانا وزاد بعضهم على هذه الابيات بيتا آخر وهو

ويا ملك الزاب الرفيع عماده * بقيت لجمع المجد وهو فريق
فلم أنس لا أنس الأمير اذا غدا * يروع قوى ملكه وبروق
فللعود مجرى من صفيحة وجهه * اذا كان من ذاك الجبين شروق
وهزته للمجد حتى كأنما * جرت في سجاياه العذاب رحيق
أما وأبي تلك الشمائل انها * دليل على أن النجار عتيق
فكيف بصير النفس عنه ودونه * من الارض مغبر الفجاج عميق
فكن كيف شاء الناس أو شئت دائما * فليس لهذا الملك غيرك فوق
ولا تشكر الدنيا على نيل رتبة * فما نالتها الا وأنت حقيق

وله من أخرى

خليلي أين الزاب مني وجعفر * وجنات عدن نبت عنها وكوثر
فقل لي نأى عن جنة الخلد آدم * فما راقه من جانب الارض منظر
لقد سرني أني أمر ببلده * فيخبره عني بذلك مخبر
وقد ساءني أني أراه ببلدة * بها منسك منه عظيم ومشعر
وقد كان لي منه شفيع مشفع * به يعصم الله الذنوب ويغفر
أتى الناس أفواجا اليك كأنما * من الزاب بيت او من الزاب محشر
فانت لمن قد رزق الله شمله * ومعشره والاهل اهل ومعشر

وله أيضا

ألا طرقتنا والنجوم ركود * وفي الحي أيقاظ وهن هجود
وقد أعجل الفجر الملمع خطوها * وفي اخريات الليل منه عمود
سرت عاطلا غضي على الدهر وحده * ولم يدر نحر مادها وجيد
فما برحت الا ومن سلك ادمعي * قلائد في لباتها وعقود
وياحسنها في يوم نضت سوالفا * تريع الى اترابها وتحيد
الم يأتها انا كبرنا عن الصبا * وانا بلينا والزمان جديد
ولا كالليالي مالهن مواثق * ولا كالغواني مالهن عهود
ولا كالمعز ابن النبي خليفة * له الله بالفخر المبين شهيد

وله من قصيدة يمدح بها يحيى بن علي بن رمان

قفا بي فلا مسرى سرينا ولا نسري * والا نرى مشى القطا الوارد الكدر
قفا نتبين أين ذا البرق منهم * ومن حيث تأتي الريح طيبة النشر
لعل نرى الوادي الذي كنت مرة * أزورهم فيه تضوع للسفر
والا فاوديه بعنبر * والا فما تدري الركاب ولا ندري
اكل كنيس بالصريم تظنه * كناس الظباء الدعج والشدن العفر
وهل عجموا أني اسائل عنهم * وهم بين احناء الجوانح والصدر
وهل علموا أني ايمم ارضهم * ومالي بها غير التعسف من خبر

حطان لعنه الله في ابن ملجم اخزاه الله
قل لابن ملجم والاقدار غالبة
هدمت ويلك للاسلام اركانا
قتلت افضل من يمشي على قدم
واول الناس اسلاما وايمانا
واعلم الناس بالقرآن ثم بما
سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبي ومولانا وناصره
اضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له
مكان هرون من موسى بن عمرانا
وكان في الحرب سيفا صارما ذكرا
ليثا اذا ما التقى الاقران اقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر
فقلت سبحان رب الناس سبحانا
اني لاحسبه ما كان من بشر
يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مراد اذا عدت قبائلها
وأخسر الناس عند الله ميزانا

كما قر الناقة الاولى التي جلبت * على ثمود بارض الحجر خسرانا

ولى سكن تاتى الحوادث دونه * فيبعد عن عينى و يقرب من فكرى
اذا ذكرته النفس جاشت بذكره * كما عثر الساقى بجام من الخمر
فلا تسألانى عن زمانى الذى خلا * فوا العصر انى بعد يحيى لفى خسر
وآليت لا اعطى الزمان مقادتى * على مثل يحيى ثم اغضى على الوتر
حنفى اليه ظاعنا ومخيما * وليس حنين الطير الا الى الوكر

وله من قصيدة

فتكات طرفك ام سيوف ابيك * وكؤس خمرك ام مراشف فيك
اجـــلادم هفة وفيك محاجر * لا انت راحـــــة ولا اهلوك
يا بنت ذى السيف الطويل نجاده * اكذا يجوز الحكم فى ناديك
عيناى ام مغناك موعدنا على * وادى الكرى القاك ام واديك

وله ايضا

احببتها تيك القباب قبابا * لا بالحـــداة ولا الركاب ركابا
فيها قلوب العاشقين تخالها * عنما بايدى البيض ام عنابا
والله لولا ان يعنفنى الهـــوى * و يقول بعض العاذلين تصابى
لكسرت دملجها بضيق عناقها * ورشفت من فيها البرود رضابا
بنتم فلولا ان اغـــيرلمتى * عبثا والقاكم عـــلى غضابا
لخططت شيبا فى مفارق لمتى * ومحوت محو النفس عنه شبابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم * لو أننى اجـــد البياض خضابا
واذا اردت على المشيب وفادة * فاحثث مطيـــك دونه الاحقابا
فلتأخذن من الزمان حمامة * ولتبعثن الى الزمان غـــرابا

ومنها

قد طيب الاقطار طيب ثنائه * من اجـــل ذا تجدا الثغور عذابا
لم تدنى ارض اليك وانما * جئت السماء ففتحت ابوابا
ورايت حولى وفد كل قبيلة * حتى توهمت العراق الزابا
ارض وطئت الدر من رضراضها * والمســـك تربا والرياض جنابا
ورايت اجبل ارضها منقادة * فـــدتها مدت اليـــك رقابا
ســـد الامام بها الثغور وقبلها * هزم النبى بقومـــك الاحزابا انتهى

وقال ابن هانئ يصف الاسطول

معطفة الاعناق نحو متونها * كما نبهت أيدى الحواة الافاعيا
اذا ما وردنا الماء سوقا لبرده * صدرن ولم يشربن غرقى صواديا
اذا أعملوا فيها المجاذيف سرعة * ترى عقربا منها على الماء ماشيا

وقال الاديب أبو عمر أحمد بن فرج الجيانى رحمه الله تعالى

وطائعة الوصال غدوت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت فى الليل سافرة ظلام الدياجى منه سافرة القناع
وما من لحظـــة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعى

الا أبلغ معاوية بن حرب * فلا قرت عيون الشامتينا
أفى شهر الصيام فجعتمونا * بخير الناس طرا اجمعينا

لقوله فى شقى ظل مجترما
ونال ما ناله ظلما وعدوانا
ياضربة من تقى ما أراد بها
الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
بل ضربة من غوى أورثته لظى
مخلدا قداتى الرحمن غضبانا
كانه لم يرد قصدا بضربته
الا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

ولعمران بن حطان ولابيه حطان اخبار كثيرة قد اتينا على ذكرها فى كتابنا اخبار الزمان فى باب اخبار الخوارج من الازارقة والاباضية والحمرية والصفرية والمحربة وغيرهم من فرق الخوارج الى سنة ثمان عشرة وثلثمائة وكان آخر من خرج منهم ربيعة المعروف بفروان فادخل على المقتدر بالله بعث به ابن حمدان من هرمونا وقد كان خرج فى ايامه ايضا المعروف بابى شعيب وقد رثى الناس امير المؤمنين عليا رضى الله عنه فى ذلك الوقت والى هذه الغاية وذكروا مقتله وممن رثاه فى ذلك الوقت ابو الاسود الدؤلى من ابيات

فلكت النهى مجاج شوقى * لأجرى بالعفاف على طباعى
وبت بهام بيت الطفل يظما * فيمنعه الفطام عن الرضاع
كذاك الروض ليس به لمثلى * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فأتخذ الرياض من المراعى

وقال للروض حسن فقف عليه * واصرف عنان الهوى اليه
أما ترى نرجسا نضيرا * يرنو اليه بمقلتيه
نشر حبيبى على رباه * وصفرتى فوق وجنتيه

وقال بمملكة يستهلك الحمد عفوها * ويترك شمل العزم وهو مبدد
ترى عاصف الارواح فيها كأنها * من الاين تمشى ظالع أو مقيد

وقال فى المطمع محرز الخصل مبرز فى كل معنى وفصل متميز بالاحسان منتم الى فئة البيان ذكى الخاطر مع قوة العارضه والمنة الناهضه حضر مجلس بعض القضاة وكان مشتهر الضبط مشهورا لمن انبسط فيه بعض البسط حتى ان أهله لا يتكلمون فيه الا رمزا ولا يخاطبون الا ايماء فلا تسمع لهم ركزا فكلم فيه خصماله كلاما استطار به عليه لفضل بيانه وطلاقة لسانه ففارق عادة المجلس فى رفض الانفه وخفض الحجة المؤتنفه وهز عطفه وحسر عن ساعده وأشار بيده مادا بها لوجه خصمه خارجا عن حد المجلس ورسمه فهم الاعوان بتقويمه وتثقيفه ووزعهم رهبة منه وخشية حتى تناوله القاضى بنفسه وقال له مهلا عافاك الله اخفض صوتك واقبض يدك ولا تفارق مركزك ولا تعد حقك وأقصر عن ادلالك فقال له مهلا يا قاضى أمن المخدرات أنا فاخفض صوتى وأستر يدى واغطى معاصمى لديك أم من الانبياء أنت فلا يجهر بالقول عندك وذلك لم يجعله الله تعالى الا لرسوله عليه الصلاة والسلام لقول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى الى قوله لا تشعرون ولست به ولا كرامة وقد ذكر الله تعالى أن النفوس تجادل فى القيامة فى موقف الهول الذى لا يعدله مقام ولا يشبهه استقامه انتقام فقال تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها الى قوله تعالى وهم لا يظلمون لقد تعديت طورك وعلوت فى منزلك وانما البيان بعبارة اللسان وبالنطق يستبين الحق من الباطل ولابد فى الخصام من افصاح الكلام وقام وانصرف فبهت القاضى ولم يحر جوابا وكان فى الدولة صدرا من اعيانها وناسق درر تبيانها نفق فى سوقها وصنف وقرط محاسنها وشنف وله الكتاب الرائق المسمى بالحدائق وادركه فى الدولة سعى وفض له فيها رمى واعتقله الخليفة واوثقه فى مكان اخيه فلم يوض له عفو ولم يشب كدر حاله صفو حتى قضى معتقلا ونعى للنائبات نعيا مثكلا وله فى السجن اشعار كثيره واقوال مبدعات منيره فمن ذلك ما انشده ابن حزم يصف خيالا طرقه بعد ما اسهره الوجد وارقه

بأيها انا فى الشكر بادى * بشكر الطيف ام شكر الرقاد
سرى وازداد فى املى ولكن * عففت فلم اجد منه مرادى

اذا استقبلت وجه ابى حسين
رايت النور فوق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت
بانك خيرهم حسبا ودينا
وانطلق البرك الصريمى الى معاوية فطعنه بخنجر فى ألبته وهو يصلى فاخذ وأوقف بين يديه فقال له ويلك وما انت وما اخبرك قال لا تقتلنى واخبره قال انا بعثنا فى هذه الليلة عليك وعلى على وعلى عمرو فان أردت فاحبسنى عندك فان كانا قتلا والا خليت سبيلى فطلبت قتل على وذلك على أن أقتله وأن آتيك حتى أضع يدى فى يدك فقال بعض الناس قتله يومئذ وقال بعضهم حبسه حتى جاءه خبر قتل على فاطلقه وانطلق زاد ويه عمرو بن بكر التميمى الى عمرو بن العاص فوجد خارجة قاضى مصر جالسا على السرير يطعم الناس فى مجلس عمرو وقيل بل صلى خارجة بالناس الغداة ذلك اليوم وتخلف عمرو عن الصلاة لعارض فضربه بالسيف فدخل عليه عمرو وبه رمق فقال اخارجة والله ما أراد غيرك فقال عمرو ولكن الله أراد خارجة وأوقف الرجل بين يدى عمرو فسأله عن خبره فقص عليه القصة وأخبره

وما فى النوم من حرج ولكن * جريت من العفاف على اعتيادى انتهى

وقال الشاعر المشهور ابو عبد الله محمد بن الحداد

ياغائبا خطرات القلب محضره * الصبر بعدك شئ لست اقدره
تركت قلبى وأشواقى تفطره * ودمع عينى وأحداقى تحدره
لو كنت تبصر فى تدبير حالتنا * اذن لاشفقت مما كنت تبصره
فالعين دونك لا تخلو بلذتها * والدهر بعدك لا يصفو تكدره
أخفى اشتياقى وما أطويه من أسف * عن البرية والانفاس تظهره

قال فى المطمع هو شاعر مادح وعلى أيك الندى صادح لم ينطقه الا معن أو صمادح فلم يرم مثواهما ولم يبتغ سواهما واقتصر على المرية واختصر قطع المهامه وخوض البريه فعكف فيها ينثر درره فى ذلك المنتدى و يرشف ابدا ثغور ذلك الندى مع تميزه بالعلم وتحيزه الى فئة الوقار والحلم وانتمائه الى آية سلف ومذاهبه مذاهب أهل الشرف وكان له لسان ور واء يشهدان له بالنباهه و يقلدان كاهله ماشاء من الوجاهه وقد أثبت له بعض ما قذفه من درره وفاه به من محاسن غرره فمن ذلك قوله

الى الموت رجعى بعد حين فان أمت * فقد خلدت خلد الزمان مناقبى
وذكراى فى الآفاق طيبا كانها * بكل لسان طيب عذراء كاعب
ففى أى عين لم تبرز سوابقى * وفى أى فن لم تبرز كتائبى

وحضر مجلس المعتصم بحضور ابن اللبانة فانشد فيه قصيدا أبرز به من عرا الاحسان ما لم ينفصم واستمر فيها يكمل بدائعها وقوافيها فاذا هو قد أغار على قصيد ابن الحداد الذى أوله

عج بالحمى حيث الظباء العين * فقال ابن الحداد مرتجلا
حاشا لعدلك يا ابن معن أن يرى * فى سلك غيرى درى المكنون
واليكها تشكو استلاب مطيها * عج بالحمى حيث الظباء العين
فاحكم لها واقطع لسانا لايدا * فلسان من سرق القريض يمين

وله

ان المدامع والزفير * قد أعلنا ما فى الضمير
فعلام أخفى ظاهرا * سقمى على به ظهير
هب لى الرضا من ساخط * قاسى بساحته الاسير

وله أيضا

ايها الواصل هجرى * أنا فى هجران صبرى
ليت شعرى اى نفع * لك فى ادمان ضرى

وله ايضا يامشبه الملك الجعدى تسمية * ومخجل القمر البدرى انوارا

وله

تطالبنى نفسى بما فيه صونها * فاعصى و يسخوشوقها فأطيعها
ووالله ما يخفى على ضلالها * ولكنها تهوى فلا استطيعها

وقال بخافقة القرطين قلبك خافق * و عن خرس القلبين دمعك ناطق
وفى مشرق الصدغين للبدر مغرب * وللفكر حالات وللعين سارق
و بين حصا اللياقوت ماء وسامة * مخلأة عنه الظباء السوابق

قتلك فبكى فقيل له أجزعا من الموت مع هذا الاقدام فقال لا والله ولكن غما أن يفوز صاحبى بقتل على ومعاوية ولا أفوز انا بقتل عمرو فضرب عنقه وصلب وكان على رضى الله عنه كثيرا ما يتمثل

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى * فلا ورب مكة ما بروا ولا ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتى لهم * بذات ودقين لا يعفو لها أثر

وكان يكثر من ذكر هذين البيتين

أشدد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت * اذا حل بواديكا

وسمعا منه فى الوقت الذى قتل فيه فانه قد خرج الى المسجد وقد عسر عليه فتح باب داره وكان من جذوع النخل فاقتلعه وجعله ناحيه وانحل ازاره فشده وجعل ينشد هذين البيتين المتقدمين وقد كان معاوية دس أناسا الى الكوفة يشيعون موته وأكثر الناس القول فى ذلك حتى بلغ عليا فقال فى مجلسه قد أكثرتم من نعى معاوية والله ما مات ولا يموت حتى يملك ما تحت

 قدمى وانما أراد ابن أكلة الاكبادان يعلم ذلك منى فيبعث من يشيع ذلك فيكم ليعلم ويتيقن ما عندى

وحشو قباب الرقم احوى مقرطق * كما آس روض عطفه والقراطق

انتهى باختصار * وقال الاسعد بن بليطة

برامة ريم زارنى بعد ما شطا * تقنصته بالحلم فى الشط فاشتطا
رعى من افانين الهوى ثمر الحشا * جنيا ولم يرع العهود ولا الشرطا
خيال لمرقوم غرير برامة * تأوبنى بالرقتين لدى الاوطى
فأكسبنى من خدها روضة الجنى * وألدغنى من صدغها حية رقطا
وباتت ذراعاها نجاد العاتقى * اذا التقتا بالحلى غنى لها الغطا
وسل اهتصارى غصنها من مخصر * طواه الضنى طى الطوامير فامتطا
وقد غاب كحل الليل فى دمع فجره * الى ان تبدى الصبح فى الليلة الشمطا

ومنها فى وصف الديك

وقام لها ينعى الدجا وشقيقة * يدير لنا من عين اجفانه نقطا
اذا صاح اصغى سمعه لاذانه * ويادر ضربا من قوادمه الابطا
كأن أنوشروان اعلاه تاجه * وناطت عليه كف مارية القرطا
سبى حلة الطاوس حسن لباسها * ولم يكفه حتى سبى المشية البطا

ومن غزلها

غلامية جاءت وقد جعل الدجا * لخاتم فيها فص غاليه خطا
فقلت احاجيها بما فى جفونها * وما فى الشفاء اللعس من حسنها المعطى
مخمرة العينين من غير سكرة * متى شربت الحاظ عينيك اسفنطا
ارى نكهة المسواك فى خمرة اللمى * وشاربك المخضر بالمسك قد خطا
عسى قرح قبلته فأخاله * على الشفة اللمياء قد جاء مختطا

وقال فى المطمع فى تحلية الاسعد انه سرد البدائع احسن السرد وافترس المعانى كالاسد الورد وابرز درر المحاسن من صدفها وحاز من فخر الاجادة وشرفها ومدح ملوكا طوقهم من مدائحه قلائد وزف اليهم منها خرائد وجلاها عليهم كواعب بالالباب لواعب فأسالت العوارف وما تقلص له من الحظوة ظل وارف وقد اثبت له ما يعترف بحقه ويعرف به مقدار سبقه فمن ذلك قوله

لو كنت شاهدنا عشية امسنا * والمزن يبكينا بعينى مذنب
والشمس قد مدت اديم شعاعها * فى الارض تحبخ غير أن لم تغرب

وقوله

ولقد تعذيبى كأنك خلتنى * عودا فليس يطيب ما لم يحرق

وهو مأخوذ من قول ابن زيدون

تظنونى كالعود حقا وانما * تطيب لكم انفاسه حين يحرق

انتهى ببعض اختصار وقال الاديب أبو بكر عبادة بن ماء السماء وهو كما فى المطمع من فحول الشعراء وأئمتهم الكبراء وكان منتجعا بشعره مسترجعا من صرف دهره وكانت له همة أطالت همه وأكثرت كده وغمه

فيه وما يكون من أمره فى يزيد ومروان وبنيه وذكر الحجاج وما يسومهم من العذاب فارتفع الضجيج وكثر البكاء والشهيق فقام قائم من الناس فقال يا أمير المؤمنين لقد وصفت أمورا عظيمة آلله ان ذلك كائن قال على والله ان ذلك لكائن ما كذبت ولا كذبت فقال آخرون متى ذلك يا أمير المؤمنين قال اذا خضت هذه من هذه ووضع احدى يديه على لحيته والاخرى على رأسه فأكثر الناس من البكاء فقال لا تبكوا فى وقتكم هذا فستبكون بعدى طويلا فبكا كثير أهل الكوفة معاوية سرا فى أمورهم واتخذوا عنده الايادى فوالله ما مضت الأيام قلائل حتى كان ذلك وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب بعد ذكرنا لزهده وملخ من كلامه وجمل من أخباره أيضا أخبار معاوية بن أبى سفيان والله ولى التوفيق

(ذكر لمع من كلامه وأخباره وزهده رضوان الله عليه)

لم يلبس عليه السلام فى أيامه ثوبا جديدا ولا اقتنى ضيعة ولا ربحا الا شيأ كان له يسرف مما تصدق به وحبسه والذى حفظ الناس عنه من خطبه فى سائر مقاماته أربعمائة خطبة

يؤرقني الليل الذي أنا ثمه * فتجهل ما ألقى وطرفك عالمه
وفي الهودج المرقوم وجه طوى الغشا * عن الحسن فيه الحسن قد حار راقمه
اذا شاء وقفا أرسل الحسن فرعه * يضلهم عن منهج القصد فاحمه
أظلام أو تقليده الدر أم زروا * بتلك اللآلي اتهن تمائمه

وقال الاديب أبو عبد الله بن عائشة في فتى طرزت غلالة خده وركب من عارضه سنانا على صعدة قده

اذا كمنت تهوى خده وهو روضة * به الورد غض والاقاح مفلج
فزد كلفا فيه وفرط صبابة * فقد زيد فيه من عذار بنفسج

وحلاه في المطمح بأن قال اشتهر صونا وعفافا ولم يعقيلة حضره زفافا فاثر انقباضا وسكونا واعتمد اليهار كونا الى أن أنهضه أمير المسلمين الى بساطه فهب من مرقد خموله وشب لبلوغ مأموله فبدا منه في الحال انزواء في تسنم تلك الرسوم والتواء وقعود عن مراتب الاعلام وجمود لا يحمد فيه ولا يلام الا أن أمير المسلمين ألقى عليه منه محبه جلبت اليه مسرى الظهور ومهبه وكان له أدب واسع المدى يانع كالزهر بلله الندى ونظم مشرق الصفحه عبق النفحه الا انه قليلا ما كان يحل ربعه ويذيل له طبعه وقد أثبت له منه ما يبدع الالباب حائره والقلوب اليه طائره فمن ذلك قوله في ليلة سمحت له بفتى كان يهواه ونفحت له هبة وصل أبدت جواه

لله ليل بات عندي به * طوع يدي من مهجتي في يديه
وبت أسقيه كؤس الطلا * ولم أزل اسهر شوقا اليه
عاطيته حمراء ممزوجة * كأنها تبصر من وجنتيه

وخرج من بلنسية يوما الى منية الوزير لاجل ابي بكر بن عبد العزيز وهي من ابدع منازل الدنيا وقد مدت عليها ادواحها الافيا واهدت اليها ازهارها العرف والريا والنهر قد غص بمائه والروض قد خص بمثل انجم سمائه وكانت لبني عبد العزيز فيها اطراب تهيأ لهم فيها من الايام آراب فلبسوا فيها الانس حتى ابلوه ونشروا فيها الحظ وطووه أيام كانوا بذلك الافق طلوعا لم تضم عليهم الثوب ضلوعا فقعد ابو عبد الله مع لمة من الادباء تحت دوحة من ادواحها فهبت ريح انس من ارواحها سطت باعصارها واسقطت لؤلؤها على باسم ازهارها فقال

ودوحة قد علت سماء * تطلع ازهارها نجوما
هفا نسيم الصبا عليها * فأرسلت فوقنا رجوما
كأنما الجو غار لما * بدت فأغرى بها النسما

وكان في زمان عطلته ووقت اصفراره وعلته ومقاساته من العيش أنكده ومن التخوف اجهده كثيرا ما ينشرح بجزيرة شقر ويستريح ويستطيب تلك الريح ويجول في اجارع واديها وينتقل من نواديها الى بواديها فانها صحيحة الهواء قليلة الادواء خضلة العشب والازاهر قد احاط بها نهرها كما تحيط بالمعاصم الاساور والايك قد نشرت ذوائبها على

مثلت لك به الدنيا نفسك وبصرعه مصرعك غدا لا ينفعك بكاؤك ولا يغني عنك احباؤك ولا تسمع في مدح الدنيا احسن من

قال الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساؤا استغفروا واذا ابتلوا صبروا واذا غضبوا غفروا (وكان) يقول الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها الدنيا مسجد أحباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحيه ومتجر أوليائه اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت بينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها ومثلت لهم ببلائها البلاء وشوقت بسرورها الى السرور وراحت بفجيعة وابتكرت بعافية تحذيرا وترغيبا وتخويفا فمهما رجال غب الندامة وجدها آخرون غب المكافأة ذكرتهم فذكروا تصاريفها وصدقتهم فصدقوا حديثها فيا أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها متى استدامت لك الدنيا بل متى غرتك من نفسها أبمضاجع آبائك من البلى ام بمصارع امهاتك من الثرى كم قد علت بكفك ومرضت بيدك من تبغي له الشفاء وتستوصف له الاطباء لم تنفعه بشفائك ولم تستعفه بطلبتك قد

صفيحه والروض قد عطر جوانبه بريحه وابو اسحق بن خفاجة هو كان منزع نفسه ومصرع انسه تفجع له بالمنى عبق وشذا ومسح عن عيون مسراته القذى وغدا على ما كان وراح وجرى متهافتا فى ميدان ذلك المراح قريب عهد بالفطام ودهره ينقاد فى خطام فاما اشتعل رأسه شيبا وزرت عليه الكهول جيبا اقصر عن تلك الهنات واستيقظ من تلك السنات وشب عن ذلك الطوق واقصر عن الهوى والشوق وقنع بأدنى تحيه وما يستشعره فى وصف تلك العهاد من اريحيه فقال

الا خليلى والاسى والقوافيا * أردد ها شجوى واجهش باكيا
أ آمن شخص للمسرة باديا * واندب رسما للشبيبة باليا
تولى الصبا الا توالى فكرة * قدحت بها زندا ومازلت واريا
وقد بان حلوا العيش الا تعلة * تحدثنى عنها الامانى خاليا
ويا برد هذا الماء هل منك قطرة * تهل فاستسقى غمامك صاديا
وهيهات حالت دون حزوى وأهلها * ليال وأيام تحاكى الليساليا
فقل فى كبير عاده صائد الظبا * ٢ اليهن متاجا وقد كان سالبا
فيارا كبا يستعمل الخط قاصدا * ألا عج بشقرا رائحا ومغاديا
وقف حيث سال النهر ينساب أرقا * وهب نسيم الايك ينفث راقيا
وقل لاثيلات هنالك واجرع * سقيت أثيلات وحييت واديا

انتهى ببعض اختصار وابن عائشة أشهر من أن يسأل فى أمره وليس الخبر كالعيان * وقال أبو عمرو يزيد بن عبد الله بن أبى خالد اللخمى الاشبيلى الكاتب فى فتح المهدية سنة ٦٠٢

كم غادر الشعراء من متردم * نخرت عظائمه لخير معظم
تبعا لمذخور الفتوح فانه * جاءت له بخوارق لم تعلم
من كل سامية المنال اذا انتمت * رفعت الى اليرموك صوت المنتمى
وتوسطت فى النهروان بنسبة * كرمت ففازت بالمحل الاكرم

قال ابن الابار فى تحفة القادم هو صدر فى نبهائها وأدبائها يعنى اشبيلية وممن له قدر فى منجبيها ونجبائها والى سلفه ينسب العقل المعروف بحجر أبى خالد وتوفى بها سنة ٦١٢ وأورد له قوله

ويا للجوارى المنشآت وحسنها * طوائر بين الماء والجو عوما
اذا نشرت فى الجو أجنحة لها * رأيت به روضا ونورا منمنما
وان لم تهبه الريح جاء مصالحا * فمدت له كفا خضيبا ومعصما
مجاذيف كالحيات مدت رؤسها * على وجل فى الماء كى تروى الظما
كما أسرعت عدا أنامل حاسب * بقبض وبسط يسبق العين والفما
هى الهدب فى أجفان أكحل أوطف * فهل صنعت من عندم أو بكت دما

قال ابن الابار أجاد ما أراد فى هذا الوصف وان نظر الى قول أبى عبد الله بن الحداد يصف اسطول المعتصم بن صمادح

الآخرة قد دنت مقبلة ولهذه أبناء ولهذه أبناء فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا وكونوا من الزاهدين فى الدنيا والراغبين فى الآخرة ان الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقوضوا الدنيا تقويضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ومن راقب الخير سارع فى الخيرات الا وان لله عبادا يرون أهل الجنة فى الجنة منعمين مخلدين قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة أنفسهم عفيفة وحاجتهم خفيفة صبروا أياما قليلة فصارت لهم العقبى راحة طويلة أما الليل فصافوا أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم يجارون الى ربهم ويسعون فى فكاك رقابهم وأما النهار فعلماء حكماء برره أتقياء كانهم القداح براهم الخوف والعبادة ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض أم خولطوا فقد خالطهم أمر عظيم من ذكر النار ومن فيها (وقال لابنه الحسن) يا بنى استغن

هام صرف الردى بهام الاعادى * ان سمت نحوهم لها أجياد
وتراءت بشرعها كعيون * دأبها مثل خائفيها سهاد
ذات هدب من المحاذيف حالك * هدب بالك لدمعه اسعاد
جسم فوقها من البيض نار * كل من أرسلت عليه رماد
ومن الخط فى يدى كل در * ألف خطها على البحر صاد

قال وما أحسن قول شيخنا أبى الحسن بن حريق فى هذا المعنى من قصيد أتدنيه

وكانما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح خشية الطوفان
فاذا رأين الماء يلمع نضنضت * من كل خرق حية باسان

قال ولم يسبقهم الى الاحسان وانما سبقهم بالزمان على بن محمد الايادى التونسى فى قوله

شرعوا جوانبها مجاذيف اتعبت * شادى الرياح لها ولما تتعب
تنصاع من كثب كما نفر القطا * طورا وتجتمع اجتماع الربرب
والبحر يجمع بينها فكأنه * ليل يقرب عقربا من عقرب
وعلى جوانبها أسود خلافة * تختال فى عدد السلاح المذهب
وكأنما البحر استعار بزيهم * ثوب الجمال من الربيع المعجب

ومن هذه القصيدة الفريدة فى ذكر الشراع

ولها جناح يستعار يطيرها * طوع الرياح وراحة المتطرب
يعلو بها حدب العباب مطاره * فى كل لج زاخر مغلولب
يسمو بأخرى الهواء منصب * عريان منسرح الذؤابة شوذب
يتنزل الملاح منه ذؤابة * لورام يركبها القطا لم يركب
وكأنما رام استراق مقعد * للسمع الا انه لم يشهب
وكأنما جن ابن داود هم * ركبوا جوانبها بأعنف مركب
سجروا جواهم بينهم فتقاذفوا * منها بألسن مارج متلهب
من كل مسجون الحريق اذا انبرى * من سجنه انصلت انصلات الكوكب
عريان يقدمه الدخان كأنه * صبح يكر على ظلام غيهب

ومن أولها اعجب بأسطول الامام محمد * وبحسنه وزمانه المستغرب
لبست به الامواج أحسن منظر * يبدو لعين الناظر المتعجب
من كل مشرفة على ما قابلت * اشراف صدر الاجدل المتنصب

ومنها جوفاء تحمل موكبا فى جوفها * يوم الرهان وتستقل بموكب

وهى طويلة من غرر القصائد وقد سرد جملة منها صاحب المناهج وغيره * وقال أبو عمر القسطلى

وحال الموج بين بنى سبيل * يطير بهم الى الصوب ابن ماء
أغر له جناح من صباح * يرفرف فوق جنح من سماء

وأخذه أبو اسحق بن خفاجة فقال

وجارية ركبت بها ظلاما * يطير من الصباح بها جناح

(ودخل) عليه رجل من أصحابه فقال كيف أصبحت يا أمير المؤمنين قال أصبحت ضعيفا مذنبا آكل رزقى وأنظر أجلى قال وما تقول فى الدنيا قال وما أقول فى دار أولها غم وآخرها موت من استغنى فيها افتتن ومن افتقر فيها حزن حلالها حساب وحرامها عقاب قال فأى الخلق أنعم قال أجساد تحت التراب قد أمنت العقاب وهى تنتظر الثواب (ودخل) ضرار بن حمزة وكان من خواص على على معاوية وافدا فقال له صف لى عليا قال اعفنى يا أمير المؤمنين قال معاوية لابد من ذلك فقال اما اذ كان لابد من ذلك فانه كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يجتنب من الطعام ما خشن ومن اللباس ما قصر وكان والله يجيبنا اذا دعوناه ويعطينا اذا سألناه وكنا والله على تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له ولا نبتدئه لعظمه فى نفوسنا يبسم عن ثغر كاللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويرحم المساكين ويطعم فى المسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة يكسو العريان وينصر اللهفان ويستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس

السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول يا دنيا غرى غيرى لى تعرضت أم الى تشوقت هيهات هيهات لاحان حينك قد ابتتك ثلاثا لا رجعة لى فيك عمرك قصير وعيشك حقير وخطرك يسير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق فقال له معاوية زدنى شيأ من كلامه فقال ضرار كان يقول أعجب ما فى الانسان قلبه وله مواد من الحكمة واضدادها من خلافها فان سنح له الرجاء اماله الطمع وان مال به الطمع أهلكه الحرص وان ملكه القنوط قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان أسعده الرضا نسى التحفظ وان أماله الخوف فضحه الجزع وان أفاد مالا أطغاه الغنى وان عضته فاقة فضحه الفقر وان أجهده الجوع اقعده الضعف وان أفرط به الشبع كظته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد فقال له معاوية زدنى كل ما وعيته من كلامه قال هيهات أن آتى على جميع ما سمعته منه ثم قال سمعته يوصى كميل بن زياد يا كميل ذب عن المؤمن فان ظهره حمى الله ونفسه كريمة على الله وظالمه خصم الله وأحذركم من ليس له ناصر الا الله ومن

اذا الماء اطم أن ورق خضرا * علا من موجه ودف رداح
وقد فغر الحمام هناك فاه * وأتلع جيده الاجل المتاح

ولا يخفاك حسن هذه العبارة الصقيلة المرآة فالله تعالى يرحم قائلها * وقال ابن الابار وقد قلت أنا فى ذلك

يا حبذا من بنات الماء سابحة * تطفو لما شب أهل النار تطفئه
تطيرها الريح غرابا ناب أجنحة الـ * ـحمائم البيض للاشراك ترزؤه
من كل أدهم لا يلفى به جرب * فما لراكبه بالقار يهنؤه
يدعى غرابا وللفتخاء سرعته * وهو ابن ماء وللشاهين جؤجؤه

واجتمع ابن أبى خالد وأبو الحسن بن الفضل الاديب عند أبى الحجاج بن مرطير الطبيب بحضرة مراكش وجرى ذكر قاضيها حينئذ أبى عمران موسى بن عمران بينهم وما كان عليه من القصور والبعد عما يتبع له وأوثر به فقال أبو الحجاج ليس فيه من أبى موسى شبه فقال أبو الحسن فأبوه فضة وهو شبه فقال ابن أبى خالد

كم دعاه اذ رآه عرة * وأباه اذ دعاه يا أبه

انتهى

وقال أبو العباس الاعمى

بهيمة لو جرى فى الخيل أكبرها * لغابت الريح فى الاجلال والغرر
تجرى فلا الماء ساقاها ولا دربت * ولا رياح جناحا طائر حذر
قد قسمتها يد التقدير بينهما * على السواء فلم تسبح ولم تطر

وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الاسطول

يا حسنها يوما شهدت زفافها * بنت الفضاء الى الخليج الازرق
ورقاء كانت أيكة فتصورت * لك كيف شئت من الحمام الاورق
حيث الغراب يجر شملة عجبه * وكأنه من غرة لم ينعق
من كل لابسة الشباب ملاءة * حسب اقتدار الصانع المتأنق
شهدت لها الاعيان أن شواهنا * أسماؤها فتصحفت فى المنطق
من كل ناشرة قوادم أجنح * وعلى معاطفها وهادة سودق
زأرت زئير الاسد وهى صوامت * وزحفن زحف مواكب فى مأزق
ومحاذف تحكى أراقم ربوة * نزلت لتكرع من غدير مترقرق

وقال ابن خفاجة

سقيا لها من بطاح خز * ودوح نهر بها مطل
فاترى غير وجه شمس * أظل فيه عذار ظل

وهو من بديع الشعر ولم لابن خفاجة من مثله * وقال عبيد الله بن جعفر الاشبيلى وقد زار صاحبا له مرات ولم يزره وقد كتب على بابه

يا من يزارعلى بعد المحل ولا * يزور نا مرة من بين مرات
زر من يزورك واحذر قول عاذلة * تقول عنك فتى يؤتى ولا ياتى

ومن مجونياته سامحه الله تعالى

وأغيد ليس تعدوه الامانى * ولو حكمت عليه باشتطاط
سقيت الراح حتى مال سكرا * ونام على النمارق والبساط
وأسلمنى على طول التجنى * وأمكننى على فرط التعاطى
فأولجت المقادر جيد بكر * ولا كفران فى سم الخياط
وغنانى بصوت من حشاه * فاطربنى وبالغ فى نشاطى
فانقر المثانث والمثانى * بأطرب من تلاحين الضراط
ولولا الريق لم أظفر بشئ * على عدم اهتبالى واحتياطى
فلا تسخر بريق بعد هذا * فان الريق مفتاح اللواط

وقال أبو الحسن على بن جحدر الزجال

كيف أصبحت أيها الحبيب * نحن مرضى الهوى وأنت الطبيب
كل قلب اليك يهفو غراما * وتجافى على منك القلوب
ان تلح حومت عليك هياما * أو تغب حنها عليك الوجيب
غير أنى من بينهم مستريب * حين تبدو وليس لى مايريب
كل ما قد ألفاه منك ومنى * دون هذا له تشتى الجيوب

وقال أحمد المعروف بالكساد فى موسى الذى كان يتغزل فيه شعراء اشبيلية

ما موسى قد ذخر الله لنا * فاض نورا غشاه ضوء سناه
وأنا قد صعقت من نور موسى * لا أطيق الوقوف حين أراه

ولله دره فى رثاء موسى المذكور اذ قال

فر الى الجنة حوريها * وارتفع الحسن من الارض
وأصبح العشاق فى مأتم * بعضهم يبكى الى بعض

وقوله فيه هتف الناعى بشجو الابد * اذ نعى موسى بن عبد الصمد
ما عليهم ويحهم لو دفنوا * فى فؤادى قطعة من كبدى

ولقب بالكساد لقوله * وبيع الشعر فى سوق الكساد * وقال أبو القاسم بن أبى طالب الحضرمى المفتشى

صاغت يمين الرياح محكمة * فى نهر واضح الاسارير
فكلما ضاعفت به حلقا * قام لها القطر بالمسامير

وقال أبو زيد عبد الرحمن العثمانى وهو من بيت امارة

لا تسلنى عن حالتى فهى هذى * مثل حالى لا كنت يا من يرانى
ملنى الاهل والاخلاء لما * أن جفانى بعد الوصال زمانى
فاعتبر بى ولا يغرك دهر * ليس منه ذو غبطة فى أمان

وقال أبو زكريا يحيى بن محمد الاوكشى

لا حبذا المال والافضال يتلفه * والبخل يحميه والاقدار تعطيه

فلم يحل أجله حتى مر به رجل والبعير معقول فقال بكم هذا فقال بمائتى درهم فقال قد أخذته فوزن له الثمن فدفع على منه مائة

ابتاعه منه ودخل بالستين الباقية على فاطمة عليها السلام فسالته من أين

وقال
لاتبكين لاخوان تفارقهم * فانني قبلك استخبرت اخواني
فاحمد تهم في حال قربهم * فكيف في حال ابعاد وهجران

وقال ابو عمران موسى الطرياني لما دخل يوم نيروز الى بعض الاكابر وعادتهم أن يصنعوا في مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها صور مستحسنة فنظر الى صورة مدينة فاعجبته فقال له صاحب المجلس صفها وخذها

مدينة مسوره * تحار فيها البصره
لم تبنها الايدا * عذراء أو مخدره
بدت عروسا تجتلى * من درملك مزعفره
ومالها مفاتح * الا لبنان العشره

وقال أبو عمرو بن حكم

حاشا لمن أملكم أن يخيب * وينثني نحو العدا مستريب
هذا ولم أقرأ في بشركم * نصر من الله وفتح قريب

وقال أبو الحسن علي بن الجعدي القرموني

اياك من زلل اللسان فانه * قدر الفتى من لفظه المسموع
فالمرء يخبر بالاناء بنقره * ليرى الصحيح به من المصدوع

وقال الفقيه أبو الحسن علي بن ليال في محبرة عناب محلاة بفضة

منعلة بالهلال ملجمة * بالنسر مجدولة من الشفق
كانما حبرها يتبع في * فرضتها سائلا من الغسق
فأنت مهما ترد تشبهها * في كل حال فانظر الى الافق

وقال في محبرة آبنوس

وخدمة للعلم في أحشائها * كلف بجمع حرامه وحلاله
لبست رداء الليل ثم توشحت * بنجومه وتتوجت بهلاله

وقال ابو العباس أحمد بن شكيل الشريشي

تفاحة بت بها ليلتي * أبثها سري والشكوى
أضمها معتنقا لاثما * اذا ذكرت خد من أهوى

وقال
تفاحة حامضة عضها * في ثمل من قطب الوجها
ولم أخل من قبلها محسنا * يجرى عليه العض والنجها

وقال أبو جعفر أحمد الشريشي

على حسن نور الباقلاء أدرهما * على الصب كاسي خمرة وجفون
يذكرني بلق الحمام وتارة * يؤكد للاشجان شهل عيون

وقال عمرو بن غياث

وقالوا مشيب قلت واعجبا لكم * أينكر صبح قد تخلل غيهبا
وليس مشيبا ما ترون وانما * كميت الصبا لما جرى عاد أشهبا

وأر بعين درهما للذي هي فقال هذه تصديق لما جاء به أبوك صلى الله عليه وسلم من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأمر ابن عباس بقوم ينالون من علي ويسبونه فقال لقائده أدنني منهم فادناه فقال أيكم الساب لله قالوا نعوذ بالله ان نسب الله فقال أيكم الساب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نعوذ بالله ان نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم الساب علي بن أبي طالب قالوا أما هذه فنعم قال أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سبني فقد سب الله ومن سب عليا فقد سبني فاطرقوا فلما ولى قال لقائده كيف رأيتهم فقال نظروا اليك بأعين مزورة نظر النيوس الى شفار الجازر فقال زدني فداك أبي وأمي فقال خزر العيون منكسي أذقانهم نظر الذليل الى العزيز القاهر قال زدني فداك أبي وأمي قال ما عندي مزيد ولكن عندي

أخيا ؤهم تجني على أموالهم * والميتون فضيحة للغابر وقد ذكر جماعة من أهل النقل عن أبي عبد الله

وقال

وقال الوزير أبو بكر محمد بن ذي الوزارتين أبي مروان عبد الملك بن عبد العزيز يخاطب ابن عبدون

في ذمة الفضل والعلياء مرتحل * فارقت صبري اذا فارقت موضعه
ضاءت به برهة أرجاء قرطبة * ثم استقل فسد البين مطلعه
عذرا الى المجد عني حين فارقني * ذاك الجلال فاعيا أن أشيعه
قد كنت أصحبه قلبي وأقعدني * ما كان أودعني عن أن أودعه

وفيهم يقول ابن عبدون

بحور بلاغة ونجوم عز * واطواد رواس من جلال

وقال الوزير الكاتب أبو القاسم بن ابي بكر بن عبد العزيز

نديمي لا عدمتك من نديم * ادرها في دجى الليل البهيم
فخير الانس أنس تحت ستر * يصان عن السفيه والحليم

وقال الناثر ابو عبد الله الجزيري

في أم رأسي سر * يبدو لكم بعد حين
لابلغن مرادي * ان كان سعدي معيني
أولا فأكتب ممن * سعى لاظهار دين

وسبب قوله هذا أن بني عبد المؤمن لما غيروا رسم مهديهم وصيروا الخلافة ملكا وتوسعوا في الزفاهية وأهملوا حق الرعية جعل يستر وقال هذه الابيات وشاع سره في مدة ناصر بني عبد المؤمن فطلبه فغر ولم يزل يتنقل مستخفيا مع أصحابه الى أن حصل في حصن قولية من عمل مدينة بسطة فبينما هو ذات يوم في جامعها مع أصحابه وهم يأكلون بطيخا ويرمون قشره في صحن الجامع اذ أنكر ذلك رجل من العامة وقال لهم ما تتقون الله تعالى تتهاونون ببيت من بيوته فضحكوا منه واستهزؤا به وأهل تلك الجهة لا تحتمل شيأ من ذلك فصاح بقية من العامة فاجتمع جمع وحملوا الى الوالي فكان عند الوالي من عرفه فقتلوا جميعا وأمر الناصر أن يرفع عن جميع أرض قولية جميع تكاليف السلطان * ولما عتب المنصور ابن أبي عامر على الكاتب عبد الملك الجزيري وسجنه في الزاهرة ثم صفح عنه قال وكتب به اليه

عجبت من عفو أبي عامر * لابد أن تتبعه منه
كذلك الله اذا ما عفا * عن عبده أدخله الجنه

فاستحسن ذلك وأعاده الى حاله * وقال على لسان بهار العامرية وهو النرجس

حدق الحسان تقر لي وتغار * وتضل في وصفي النهى وتحار
طلعت على قضبي عيون نمائمي * مثل العيون تحفها الاشفار
وأخص شيء بي اذا شبهته * درتمنطق سلكه دينار
أنا نرجس حقا بهرت عقولهم * بديع تركيبي فقيل بهار

وقال في بنفسجها

شهدت لنوار البنفسج ألسن * من لونه الاحوى ومن ايناعه

نى أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ومن خطبه قبل هذا وتهيبه في هذه الدنيا قوله في بعض مقاماته

الليلة التي ضربه فيها عبد الرحمن بن ملجم بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم كل امرئ ملاقيه ما يفر منه والاجل تساق النفس اليه والهرب منه موافاته كم اطردت الايام أتحينها عن مكنون هذا الامر فابى الله عز وجل الا اخفاءه هيهات علم مكنون اما وصيتي فلا تشركوا به شيأ ومحمد لا تضيعوا سنته اقيموا هذين العمودين وخفف عن الحملة رب رحيم ودين قويم وامام عليم كفاني اعصار ودوي رياح تحت ظل غمامة اضمحل راكدها فخطها من الارض حيا وبقي من بعدي خبرها واستكنه بعد حركة كاظمة بعد نطق ليعظكم هدوئي وخفوت اطرافي انه اوعظ لكم من نطق البليغ ودعتكم وداع امرئ مرصد للتلاق وغدا ترون ويكشف عن ساق عليكم السلام اليوم المرام كنت بالامس صاحبكم واليوم عظة لكم وغدا افارقكم ان افق فانا ولي دمي وان امت فالقيامة ميعادي والعفو اقرب للتقوى الا تحبون

غدا الا انكم في ايام امل
وراءه اجل فمن اخلص في
ايام امله قبل حضور اجله
فقد حسن عمله فاعملوا الله
في الرغبة كما تعملون في
الرهبة الا واني لم ار كالجنة
نام طالبها ولا كالنار نام
هاربها الا وانه من لم ينفعه
الحق يضره الباطل ومن
لا يستقيم له الهدى يخزيه
الضلال وقد امرتم بالظعن
ودللتم على الزاد فان اخوف
ما اخاف عليكم اتباع الهوى
وطول الامل * وفضائل علي
ومقاماته ومناقبه ووصف
زهده ونسكه اكثر من
ان يأتي عليه كتابنا هذا
او غيره من الكتب او
يبلغه اسهاب مسهب او
اطناب مطنب وقد اتينا
على جمل من اخباره وزهده
وسيره وأنواع من كلامه
وخطبه في كتابنا المترجم
بكتاب حدائق الاذهان
في اخبار آل محمد عليه
الصلاة والسلام وفي كتاب
مزاهر الاخبار وظرائف
الآثار للصفوة النورية
والذرية الزكية أبواب
الرحمة وينابيع الحكمة
(قال المسعودي) والاشياء
التي استحق بها أصحاب
رسول الله صلى الله عليه
وسلم الفضل هي السبق
إلى الايمان والهجرة والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والقرب منه والقناعة وبذل النفس له

بمشابه الشعر الاحم أعاره القمر المنير الطلق نور شعاعه
ولربما جعد النجيع من الطلى * في صارم المنصور يوم قراعه
فكأنه غير مخالف في لونه * لا في روائحه وطيب طباعه

وقال في القمر حين جعل يختفي بالسحاب ويبدو أمام المنصور

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيظهر ثم يلتحف السحابا
وذلك انه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا وغابا

وقال الجاري في المسهب سألت أبا الحسن علي بن حفص الجزيري أن ينشدني شيأ من شعره فقال يا أبا محمد اذا لم ينظم الانسان مثل قول شرف

لم يبق للجور في أيامكم أثر * الا الذي في عيون الغيد من حور

فالاولى له أن يترك نظم الشعر الى أن خرجت معه يوما الى سيف الجزيرة الخضراء فلقي غلاما قد كدر رونق حسنه السفر وأثر في وجهه كآثار الكلف في القمر فصافحه ثم قال

بأبي الذي صافحته فتوردت * وجناته وأنا نحوي قده
فبدا كلف السري في خده * لما توالى في الترحل جهده
لكن معالم حسنه تمت كما * قد تم في صدأ الحسام فرنده

فحفظتها من سمعه ثم قلت له قد أخذت عنك من نظمك بغير شكرك فضحك وقال فاحفظ هذا وأنشد

لا تقولن فلان * صاحب قبل اختبار
وانتظر وبحك نقدا * لليل فيه والنهار
أنا جربت فلم ألـ * ـف صديقا باختياري

وأنشد

كم قد بكرت الى الرياض وقضبها * قد ذكرتني موقف العشاق
يا حسنها والريح يلحف بعضها * بعضا كاعناق الى اعناق
والورد والاقاحي مبسم * وغدا البهار ينوب عن احداق
لم انفصل عنها بكاس مدامة * حتى حلت محاسن الاخلاق

ولما كتب ابو الحسن بن سعيد الى الاديب القائد ابي العباس احمد بن بلال يستدعيه ليوم انس بقوله

ابا العباس نور بصرت حولي * ندامى بادروا العيش الهنيا
يبيحون المدام ولا انتقاد * وقارهم ويزدادون غيا
وهم مع ما بهم اللث من عفاف * يحبون الصبية والصبيا
ويهوون المثالث والمثاني * ويشرب الراح صبحا وعشيا
على الروض الذي يهدي لطرف * وانف منظرا بهجا وريا
فلا تلم السري على ارتياح * حكى طربا بجانبه سريا
وبادر نحونا دما خلاعن * ندالك فقد عهدتك لوذعيا

اجابه بقوله

ابيت سوى المعالي يا عليا * فما تنفك دهرك أريحيا

تميل اذا النسيم سرى كغصن * وتسرى للمكارم مشرفيا
وترتاح ارتياحا بالمثانى * وتقتض الصبية والصبيا
وتهوى الروض قلده نداه * والبسه مع الحمل الحليا
وان غنى الحمام فلا اصطبار * وان خفق الخليج فنيت حيا
تذكرنى الشباب فلست ادرى * اصبحا حين تذكرام عشيا
فلو ادركتنى والغصن غض * لادركت الذى تهوى لديا
ولم اترك وحقك قدر لحظ * وقد نادیتنى ذاك النديا

وقال بعض اهل الاندلس

وفرع كان يوعدنى بأسر * وكان القلب ليس له قرار
فنادى وجهه لاخوف فاسكن * كلام الليل يمحوه النهار

ولست على يقين أن قائلهما أندلسى غير أنى رأيت فى كلام بعض الافاضل نسبتهما لاهل الاندلس والله تعالى أعلم * وقال أبو الوليد القسطلى

وفوق الدوحة الغناء غدير * تلألأ صفحة وسجا قرارا
اذا ما انصب أزرق مستقيما * تدور فى البحيرة فاستدارا
يجرده فم الانبوب صلتا * حساما ثم يفلته سوارا

ولابى كثير الطريفى يمدح الناصر من المنصور

فتوح لها يهتز شرق ومغرب * كما اطردت فى السهرية أكعب
تجلت على الدنيا شموس منيرة * فلم يبق فى ليل الكآبة غيهب
أقام بها الاسلام شد ومغرد * وظلت بأرض الشرك بالخطب تخطب
فلا سمع الا وهو قد مال نحوها * ولا قلب الا فى مناها يقلب

وقال أبو عامر بن الحد

لله ليلة مشتاق ظفرت بها * قطعتها بوصال اللثم والقبل
نعمت فيها بأوتار تعللنى * أحلى من المن أو امنية الغزل
أحبب الى بها اذ كلها سحر * أراحت الصب من عذر ومن عذل

وقال الكاتب أبو عبد الله محمد الشبلى كاتب ملك افريقية عبد الواحد بن أبى حفص

مد الى الكاس من لحظه * لايحوج الشرب الى الكاس
ومنذ حيانى بأس فلم * أيأس ولكن كان لى آس
وقال لولا الناس قبلته * ما أشأم الناس على الناس

وقال أبو بكر محمد بن المليح وهو من رجال الذخيرة على لسان حال سوار مذهب

أنا من الفضة البيضاء خالصة * لكن دهتنى خطوب غيرت جسدى
علقت غصنا على أحوى فأجسدنى * جرى الوشاح وهذى صفرة الجسد

وما أحسن قوله من قصيدة فى المعتضد والد المعتمد

غرته الشمس والحيا يده * بينهما للنجيع قوس قزح

والعلم كله ذلك لعلى عليه السلام منه النصيب الاوفر والحظ الاكبر الى ما ينفرد به من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين آخى بين أصحابه أنت أخى وهو صلى الله عليه وسلم لا ضد له ولا ند وقوله صلوات الله عليه أنت منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى وقوله عليه الصلاة والسلام من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ثم دعاؤه عليه السلام وقد قدم اليه أنس الطائر اللهم أدخل الى احب خلقك اليك يأكل معى من هذا الطائر فدخل عليه على الى آخر الحديث فهذا وغيره من فضائله وما اجتمع فيه من الخصال مما تفرق فى غيره والكل فضائل ممن تقدم وتأخر وقبض النبى صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم مخبر عن بواطنهم بموافقتها لظواهرهم بالايمان وبذلك نزل التنزيل وتولى بعضهم بعضا فلما قبض الرسول صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحى حدثت أمور تنازع الناس فى صحتها ولا يقطع عليهم بها واليقين من أمورهم

ما تقدم وما روى مما كان فى احداثهم بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم فغير متيقن بل هو ممكن ونحن نعتقد

فيهم ما تقدم والله أعلم بما

ثم بويع الحسن بن علي ابن ابي طالب بالكوفة بعد وفاة ابيه بيومين في شهر رمضان من سنة اربعين ووجه عماله الى السواد والجبل وقتل الحسن عبد الرحمن بن ملجم على حسب ماذكرنا ودخل معاوية الكوفة بعد صلح الحسن بن علي لخمس بقين من شهر ربيع في سنة احدى واربعين وكانت وفاة الحسن وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سنة بالسم ودفن بالبقيع مع امه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ولي التوفيق

(ذكر لمع من أخباره وسيره رضي الله عنه)

حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال دخل الحسين على عمي الحسن بن علي لما سقي السم فقام لحاجة الانسان ثم رجع فقال لقد سقيت السم عدة مرار فما سقيت مثل هذه لقد لفظت طائفة من كبدي فرأيتني أقلبه بعود في يدي فقال له الحسين يا أخي من سقاك قال وما تريد بذلك فان كان الذي أظنه فالله حسيبه وان كان غيره فما أحب ان يؤخذ بي بريء فلم يلبث بعد ذلك الا ثلاثا حتى

واما ابنه أبو القاسم فهو من رجال المسهب وكان اشتغل أول أمره بالزهد وكتب التصوف فقال له أبوه يا بني هذا الامر ينبغي أن يكون آخر العمر وأما الآن فينبغي أن تعاشر الادباء والظرفاء وتأخذ نفسك بقول الشعر ومطالعة كتب الادب فلما عاشرهم زينوا له الراح فتهتك في الخلاعة وفر الى اشبيلية وتزوج بامرأة لا تليق بحاله وصار يضرب معها بالدف فكتب اليه أبوه

يا سخنة العين يا بنيا * ليتك ما كنت لي بنيا
أبكيت عيني أطلت حزني * أمت ذكري وكان حيا
حططت قدري وكان أعلى * في كل حال من الثريا
أما كفاك الزنا ارتكابا * وشرب مشمولة الحميا
حتى ضربت الدفوف جهرا * وقلت للشرجئ اليا
فاليوم أبكيك ملء عيني * ان كان يغني البكاء شيا

فاجاب أباه بقوله

يا لائم الصب في التصابي * ما عنك يغني البكاء شيا
أوجفت خيل العتاب نحوي * وقبل وثبتها اليا
وقلت هذا قصير عمر * فارج من الدهر ما تهيا
قد كنت أرجو المتاب مما * فتنت جهلا به وغيا
لولا ثلاث شيوخ سوء * أنت وابليس والحميا

وقال أبو بكر محمد بن عبد القادر الشبلي يستدعي

قد يتملك بكر نحو قبة روضة * تسبح بها الامواه والطير تهتف
وقد طلعت شمس الدنان بأفقها * ونحن لديها في انتظارك وقف
فلا تتخلف ساعة عن محلة * صدودك عمن حل فيها تخلف

وقال أخو امام نحاة الاندلس أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي وهو أبو الحسن علي ابن السيد

يارب ليل قد هتكت حجابه * بزجاجة وقادة كالكوكب
يسعى بها ساق أغن كأنها * من خده ورضاب فيه الاشنب
بدران بدر قد أمنت غروبه * يسعى ببدر جانح للمغرب
فاذا نعمت برشف بدر طالع * فانعم ببدر آخر لم يغرب
حتى ترى زهر النجوم كأنها * حول المجرة ربرب في مسرب
والليل منحفز يطير غرابه * والصبح يطرده بباز أشهب

ولما مدح أبو بكر محمد بن الروح الشبلي الامير ابراهيم الذي خطب به القتح في القلائد وهو ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وكان يدل عليه وينادمه بقصيدته التي أولها

أنا شاعر الدنيا وأنت أميرها * فعلى لا يسري الى سرورها

اشار الامير الى مخدمه كان حاضرا أن يخبق له القول أنا شاعر الدنيا فقال له ابن الروح على

من خبقت يعنى انه يحتمل أن يكون ذلك الفعل لقوله أنا شاعر الدنيا أو لقوله وأنت أميرها ففطن الامير لما قصده وضحك وتغافل * وقال أبو بكر بن المخلل الشلبي

كم ليلة دارت على كواكب * للغمر تطلع ثم تغرب فى فمى
قبلتها فى كف من يسعى بها * وخلعت قبلتها بقبلة معصم
وكأن حسن بنانه مع كاسه * غيم يشير لنا ببعض الانجم

وقال ذو الوزارتين أبو بكر بن عمار

قرأت كتابك مستشفعا * بوجه أبى الحسن من رده
ومن قبل فض ختام الكتاب * قرأت الشفاعة فى خده

وقال

غزا القلوب غزال * حجت اليه العيون
قد خط فى الخد نونا * وآخر الحسن نون

قال الحجارى وا كثار ابن عمار فى المعذرين واحسانه فيهم يدلك على انه كما قيل عنه كان مشغوفا بالكاس والاستلقاء عن غير نعاس * وكان أبو الفضل بن الاعلم من أجل الناس وأذكاهم فى علم الادب والنحو وأقرأ علم النحو قبل أن يلتحى فقال ابن صارة فيه

أكرم بجعفر الليب فانه * مازال يوضح مشكل الايضاح
ماء الجمال بخده متر قرق * فالعين منه تجول فى ضحضاح
ماخده جرحته عينى انما * صبغت غلالته دماء جراحى
لله زاى زبرجد فى عسجد * فى جوهر فى كوثر فى راح
ذى طرة سجية ذى غرة * عاجية كالليل والاصباح
رشأ له خد البرى ء ولحظه * أبدا شريك الموت فى الارواح

وقال الرمادى

ونور غيث مسبل * وقهوة تسلسل
تدور بين فتية * بخلقهم تمثل
والافق من سحابه * طل ضعيف ينزل
كأنه من فضة * براد تغسر بل

وقال

بدر بدا يحمل شمسا بدت * وخدها فى الحسن من خده
تغرب فى فيه ولكنها * من بعد ذا تطلع فى خده

ومن نظام أبى الفضل بن الاعلم السابق الذكر

وعشية كالسيف الاحده * بسط الربيع بها النعلى خده
عاطيت كاس الانس فيها واحدا * ماضره أن كان جمعا وحده

وهو جعفر ابن الوزير أبى بكر محمد ابن الاستاذ الاعلم من رجال القلائد والمسهب وسمط الجمان وكان قاضى شنتمرية والاستاذ الاعلم هو امام نحاة زمانه ابو الحجاج يوسف بن عيسى من رجال الصلة والمسهب والسمط وهو شارح الاشعار الست ومن نظمه يخاطب المعتمد بن عباد

يا من تملكنى بالقول والعمل * ومبلغى فى الذى أملته أمل

معاوية دس اليها انك ان احتلت فى قتل الحسن وجهت اليك بمائة ألف درهم وزوجتك يزيد فكان ذلك الذى بعثها على سمه فلما مات وفى لها معاوية بالمال وارسل اليها انا نحب حياة يزيد ولولا ذلك لوفينا لك بيتزويجه (وذكر) ان الحسن قال عند موته لقد حاقت شربته وبلغ امنيته والله ما وفى بما وعد ولا صدق فيما قال وفى فعل جعدة يقول النجاشى الشاعر وكان من شيعة على فى شعر له طويل

جعدة بكيه ولا تأسى * بعد بكاء المعول الباكل
لم يسبل الستر على مثله * فى الارض من حاف ومن ناعل
كان اذا شبت له ناره * يرفعها بالسند العاقل
كيما يراها بائس مرمل * وفرد قوم ليس بالآهل
يغلى بنى ء اللحم حتى اذا * أنضجه لم يغل كل آكل

اعنى الذى اسلمنا هلكه للزمن المستخرج الماحل وفى ذلك يقول آخر من شيعة على رضى الله عنه

تأس فكم لك من سلوة * تفرج عنك غليل الحزن
بموت النبى وقتل الوصى

وقتل الحسين وسم الحسن (قال المسعودى رحمه الله) ووجدت فى كتاب الاخبار لابى الحسن على بن محمد بن سليمان النوفلى

كيف الثناء وقد أعجزتني نعما * مالي بشكري عليها الدهر من قبل
رفعت للعود أعلاما مشهرة * فبابك الدهر منها عام السبل

وقال أبو علي ادريس بن اليمان العبدري

قبلة كانت على دهش * اذهبت مالي من العطش
ولها في القلب منزلة * لو عدتها النفس لم تعش
طرقتني والدجا لبست * خلعا من جلدة الحنش
وكأن النجم حين بدا * درهم في كف مرتعش

وساله المعتضد أن يمدحه بقصيدة يعارض بها قصيدته السينية التي مدح بها ابن حمود فقال له اشعاري مشهورة وبنات صدري كريمة فمن أراد أن ينكح بكرها فقد عرف مهرها وكانت جائزته مائة دينار ومن مشهور شعره بالمغرب والمشرق قوله

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

وكانت بين الاديب الحسيب أبي عمرو بن طيفور والحافظ ابي الهيثم مهاجاة فقال فيه الحافظ

لابن طيفور قريض * فيه شوك وغموض
عدمت فيه القوافي * والمعاني والعروض

وقال فيه ابن طيفور

انما الهيثم سفر * من كلام الناس ضخم
لا تطالبه بفهم * ليس للديوان فهم

وقال أبو عمران بن سعيد اخبرني والدي انه زار ابن حمدين بقرطبة في مدة يحيى بن غانية فوجده في هالة من العلماء والادباء فقام وتلقاني ثم قال يا أبا عبد الله ما هذا الجفاء فاعتذرت بأني أخشى التثقيل وأعلم أن سيدي مشغول بما هو مكب عليه فأطرق قليلا ثم قال

لو كنت تهوانا طلبت لقاءنا * ليس الحبب عن الحبيب بصابر
فدع المعاذر انما هي جنة * لمخادع فيها ولست بعاذر

فقلت تصديق سيدي عندي أحب الي وان ترتبت علي فيه الملامة من منازعته منتصرا لحق فاستحسن جوابي وقال لي كرره فانه والله ماح لكل ذنب ثم سألته كتب البيتين عنه فقال لي وما تكتب فيهما فقلت لاجدما أخبر به والدي اذا أبت اليه فأملاهما علي فقلت من قائلهما قال قائلهما فعلمت أنهما له وقنعت بذلك * وقال الجاري صاحب المسهب في أخبار المغرب

كم بت من أسر السها بليلة * ناديت فيها هل لمحنك آخر
اذ قام هذا الصبح يظهر ملة * حكمت بان ذبح الظلام الكافر

وعلى ذكر المسهب فقد كنت كثيرا ما أستشكل هذه التسمية لما قال غير واحد ان المسهب انما هو بفتح الهاء كقولهم سيل مفعم بفتح العين والفقرة الثانية وهي المغرب تقتضي أن

عن صالح بن علي بن عطية الاصم قال حدثنا عبد الرحمن بن العباس الهاشمي عن أبي عون صاحب الدولة عن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عن أبيه عن جده عن العباس بن عبد المطلب قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل علي بن أبي طالب فلما رآه اسفر في وجهه فقلت يا رسول الله انك لتسفر في وجه هذا الغلام فقال يا عم رسول الله والله لله أشد حبا له مني ولم يكن نبي الا وذريته الباقية بعده من صلبه وان ذريتي بعدي من صلب هذا انه اذا كان يوم القيامة دعي الناس باسمائهم واسماء امهاتهم سترا من الله عليهم الا هذا وشيعته فانهم يدعون باسمائهم واسماء آبائهم لصحة ولادتهم ولما دفن الحسن رضي الله عنه وقف محمد بن الحنفية اخوه على قبره فقال لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ولنعم الزوج روح تضمنه كفنك ولنعم الكفن كفن تضمن بدنك وكيف لا تكون هكذا وأنت عقبة الهدى وخلف أهل التقوى وخامس أصحاب الكساء غذتك يد التقوى أكف الحق وارضعتك ثدي الايمان وربيت في حجر الاسلام فطبت حيا وميتا وان كانت انفسنا غير سخية بفراقك رحمك الله أبا محمد (ووجدت) في وجه آخر يكون

يكون بكسر الهاء ولم يزل ذلك يتردد فى خاطرى الى أن وقفت على سؤال فى ذلك رفعه المعتمد ابن عباد سلطان الاندلس الى الفقيه الاستاذ أبى الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوى الشنتمرى المشهور بالاعلم ونص السؤال سألك الله أبقاك الله الوزير الكاتب أبو عمرو بن غطمش سلمه الله عن المسهب وزعم أنك تقول بالفتح والكسر والذى ذكر ابن قتيبة فى ادب الكاتب والزبيدى فى مختصر العين أسهب الرجل فهو مسهب اذا أكثر الكلام بالفتح خاصة فبين لى أبقاك الله تعالى ما تعتقد فيه والى أى كتاب تسند القولين لاقف على صحة من ذلك فأجابه وصل الى أدام الله تعالى توفيقك هذا السؤال العزيز وقفت على ما تضمنه والذى ذكرته من قول ابن قتيبة والزبيدى فى الكتابين موضوع كما ذكرته والذى احفظه وأعتقده أن المسهب بالفتح المكثر فى غير صواب وأن المسهب بالكسر البليغ المكثر فى الصواب الا أنى لا أسند ذلك الى كتاب بعينه ولكنى أذكره عن أبى على البغدادى عن كتاب البارع أو غيره معلقا فى عدة نسخ من كتاب البيان والتبيين على بيت فى صدره لمكى بن سوادة وهو

حصر مسهب جرى عجبان * خير عى الرجال عى السكوت

والمعلقة تقول العرب أسهب الرجل فهو مسهب وأحصن فهو محصن وألفج فهو ملفج اذا افتقر قال الخليل يقال رجل مسهب ومسهب قال أبو على أسهب الرجل فهو مسهب بالفتح اذا أكثر فى غير صواب وأسهب فهو مسهب بالكسر اذا أكثر واصاب قال ابو عبيدة اسهب الرجل فهو مسهب اذا اكثر من خرف وتلف ذهن وقال ابو عبيد عن الاصمعى اسهب الرجل فهو مسهب بالفتح اذا خرف وأهتر فان اكثر من الخطا قيل افند فهو مفند انتهت المعلقة فرأى مولاك أيدك الله تعالى واعتقاده أن المسهب بالفتح لا يوصف به البليغ المحسن ولا المكثر المصيب ألا ترى الى قول الشاعر حصر مسهب انه قرن فيه المسهب بالحصر وذمه بالصفتين وجعل المسهب أحق بالعى من الساكت والحصر فقال

* خير عى الرجال عى السكوت * والدليل على أن المسهب بالكسر يقال للبليغ المكثر فى الصواب أنهم يقولون للجواد من الخيل مسهب بالكسر خاصة لانها بمعنى الاجادة والاحسان وليس قول ابن قتيبة والزبيدى فى المسهب بالفتح هو المكثر من الكلام بموجب أن المكثر هو البليغ المصيب لان الاكثار من الكلام داخل فى معنى الذم لانه من الثرثرة والهذر ألا تراهم قالوا رجل مكثار كما قالوا ثرثار ومهذار وقال الشاعر

* فلا تمارون ان ماروا با كثار * فهذا ما عندى والله تعالى الموفق للصواب قال الاعلم ثم نظمت السؤال العزيز والجواب المذكور فقلت

سلام الاله وريحانه * على الملك المحتبى المنتخل
سلام امرئ ظل من سيبه * خصيب الجناب رحيب المحل
أتانى سؤالك أعززبه * سؤال مبر على من سال
يسائل عن حالتى مسهب * ومسهب المبتلى بالعال
لما اختلفا فى بنائيهما * وحكمهما واحد فى فعل

حماتك لقد فجع مماتك
وكيف لا تكون كذلك
وانت خامس أهل الكساء
وابن محمد المصطفى وابن
على المرتضى وابن فاطمة
الزهراء وابن شجرة طوبى
ثم انشأ يقول رضى الله عنه
أأدهن رأسى ام تطيب
مجالسى
وخدك معفور وانت
سليب
أأشرب ماء المزن من غير
مائه
وقد ضمن الاحشاء منك
لهيب
سأبكيك ما ناحت حمامة
ايكة
وما اخضر فى دوح الحجاز
قضيب
غريب وا كناف الحجاز
تحوطه
الا كل من تحت التراب
غريب

(ووجدت) فى بعض كتب التواريخ فى اخبار الحسن ومعاوية ان بخلافة الحسن صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة لان ابا بكر الصديق رضى الله عنه تقلدها سنتين وثلاثة اشهر وثمانية أيام وعمر رضى الله عنه عشر سنين واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وعثمان رضى الله عنه احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وعلى رضى الله عنه اربع سنين وتسعة اشهر ويوما والحسن رضى الله

أتى ذا على مفعل لم يعل * وذاك على مفعل قد أعل
فقلت مقالا على صدقه * شهيد من العقل لا يستزل
بناء البليغ أتى سالما * سلامته من فضول الخطل
واسهب ذاك مسيئا فزل * ذليلا ثنى متنه فانخذل
وأحسن ذا فجرى وصفه * على سنن المحسن المستقل
فهذا مقالي مستبصرا * ولست كمن قال حدسا فضل
تقلدت في رأيه مذهبا * يخصك بين الظبا والاسل
سموك في الروع مستشرفا * الى مهجة المستميت البطل
كأنك فيها هلال السما * يزيد بهاء اذا ما أهل
بل أنت مطل كبدر السما * يضيء الظلام اذا ما أطل انتهى

قلت ورأيت في بعض الحواشي الاندلسية أن ابن السكيت ذكر في بعض كتبه في بعض ما جعله بعض العرب فاعلا وبعضهم مفعولا رجل مسهب ومسهب لكثير الكلام وهذا يدل على انهما بمعنى واحد انتهى * وسأل بعض الادباء الاستاذ الاعلم المذكور عن المسئلة الزنبورية المقترنة بالشهادة الزورية الجارية بين سيبويه والكسائي أو الفراء والقضاء بينهم فيها وهي ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي أو اياها وعن نسب سيبويه هل هو صريح أو مولى وعن سبب لزومه الخليل بعد أن كان يطلب الحديث والتفسير وعن علة تعرضه لمناظرة الكسائي والفراء وعن كتابه الجاري بين الناس هو هل أول كتاب أو أنشأه بعد كتاب أول ضاع كما زعم بعض الناس فأجاب أما المسئلة الزنبورية المأثورة بين سيبويه والكسائي أو بينه وبين الفراء على حسب الاختلاف في ذلك بحضرة الرشيد أو بحضرة يحيى بن خالد البرمكي فيما يروى فقد اختلفت الرواة فيها فمنهم من زعم أن الكسائي أو الفراء قال لسيبويه كيف تقول ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي أو اياها فاجاب سيبويه بعد أن اطرق شيأ فاذا هو اياها على بعض الاقاويل وزعم آخرون انه قال فاذا هو هي ففيها من الاختلاف عنهم ما ترى فان كان أجاب باذا هو هي فقد أصاب لفظا ومعنى ولم تدخل عليه في جوابه شبهة ولا علقة لمعترض لان اذا في المسئلة من حروف الابتداء المتضمنة للتعليق بالخبر فاذا اعتبرت المضمرين بعدها بالاسمين المظهرين لزمك أن تقول فاذا الزنبور العقرب أو اللسعة اللسعة أي مثلها سواء فلو قلت فاذا هو اياها بنصب الضمير الاخير للزمك ان تقول فاذا الزنبور العقرب بالنصب وهذا الوجه له فاذا لم يجز نصب الخبر المظهر فكيف يجوز نصب الخبر المضمر الواقع موقعه ويروى في المسئلة أن الكسائي أو الفراء قال لسيبويه بعد أن اجاب برفع الضميرين على ما وجبه القياس كيف تقول يا بصري خرجت فاذا زيد قائم أو قائما فقال سيبويه أقول قائم ولا يجوز النصب فقال الكسائي أقول قائم وقائما والقائم والقائم بالرفع والنصب في الخبر مع النكرة والمعرفة فتأول الكسائي والفراء في اختيارهما فاذا هو اياها حمل الخبر المضمر في النصب على الخبر المظهر مع الاعراب بوجه النصب فكأنه قال فاذا الزنبور العقرب كما تقول فاذا زيد قائما

على بن مجاهد عن محمد بن اسحق عن الفضل بن العباس بن ربيعة قال وفد عبد الله بن العباس على معاوية قال فوالله اني لفي المسجد اذ كبر معاوية في الخضراء فكبر أهل الخضراء ثم كبر اهل المسجد بتكبير اهل الخضراء فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف من خوخة لها فقالت سرك الله يا امير المؤمنين ما هذا الذي بلغك فسررت به قال موت الحسن بن علي فقالت انا لله وانا اليه راجعون ثم بكت وقالت مات سيد المسلمين وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية نعم والله ما فعلت انه كان كذلك اهلا ان يبكى عليه ثم بلغ الخبر ابن عباس رضي الله عنهما فراح فدخل على معاوية قال علمت يا ابن عباس أن الحسن توفي قال ذلك كبرت قال نعم قال والله ماموته بالذي يؤخر اجلك ولا حفرته بسادة حفرتك ولئن اصبناه فقد اصبنا بسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين ثم بعد بسيد الاوصياء فجبر الله تلك المصيبة ورفع تلك العبرة فقال ويحك يا ابن عباس ما كلمتك الا وجدتك معدا

فيجرى المعرفة فى النصب مجرى النكرة وقولهما فى هذا خطأ من جهتين احداهما أن نصب الخبر بعد اذا لا يكون الا بعد تمام الكلام الاول فى الاسم مع حرف المفاجأة ومع كون الخبر نكرة كقولك خرجت فاذا زيد قائم لانك لو قلت خرجت فاذا زيد تم الكلام لتعلق المفاجأة بزيد على معنى حضوره ثم تبين حاله فى المفاجأة المتعلقة به فتقول قائما أى خرجت ففاجأنى زيد فى هذا الحال وقوله فى المسئلة اياها لا يتم الكلام فى الاسم الاول دونها ألا ترى أنك لو قلت ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو وسكت لم يتم الكلام أولا ولا أفدت بذكر المفاجأة وتعليقها بالزنبور فائدة وانما المفاجأة للضمير الآخر فلا بد من ذكره والاعتماد عليه وهذا يوجب الرفع فى الخبر لان الظرف له لا للمخبر عنه فهذا بين واضح والجهة الاخرى فى غلطهما ان اياها معرفة والحال لا تكون الا نكرة فقد اجتمع فى قولهما أن أتيا بحال لم يتم الكلام دونها معرفة والحال لا تكون الا بعد تمام الكلام ومع التنكير فقد تبين خطؤهما واصابة سيبويه فى لزوم الرفع فى الخبر فقط وأما من زعم عن سيبويه انه قال خرجت فاذا زيد قائم بالرفع لا غير فباطل وكيف ينسب اليه وهو وعلمنا أن الظرف اذا كان مستقرا للاسم المخبر عنه نصب الخبر واذا كان مستقرا للخبر رفع الخبر ونحن نقول خرجت فاذا زيد فيتم الكلام وننظرت فاذا الهلال طالع فيتبعه الخبر رفعا كما تقول فى الدار زيد قائم وقائما واليوم سيرك سريع وسريعا ولكن الخبر اذا كان الظرف له ولم يتعلق الا به لم يكن الا رفعا كقولك اليوم زيد منطلق وغدا عمرو خارج لان الظرف لا يكون مستقرا للاسم المخبر عنه اذا كان زمانا والمخبر عنه جثة وكذلك المفاجأة اذا كانت للخبر لم يكن الا مرفوعا معرفة كان أو نكرة فاذا كانت للمخبر عنه والخبر نكرة انتصب على الحال فجرى قولك ظننت ان العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى وظننت زيدا عالما فاذا هو جاهل فى لزوم الرفع فى الخبر مجرى اليوم زيد منطلق وغدا عمرو خارج كما جرى خرجت فاذا زيد قائم وقائما فى جواز الرفع والنصب مجرى فى الدار زيد جالس وجالسا فتأمل الفرق بينهما وحصله فان النحويين المتقدمين والمتأخرين قد أغفلوا الفرق بين المفاجأتين وأما نصب الخبر المعرفة بعد اذا تم الكلام أو لم يتم فباطل لا تقوله العرب ولا يجيزه الا الكوفيون وان كان سيبويه رحمه الله تعالى اجاب بقوله فاذا هو اياها كما روى بعضهم فظاهر جوابه مدخول لما قدمت جوابه والخطأ فيه بين من جهة القياس كما ذكرنا فان كان قاله والتزمه دون الرفع فقد أخطأ خطأ لا مخرج له منه وان كان قد قاله وهو يرى ان الرفع أولى وأحق الا انه آثر النصب للاعراب حملا على المعنى الخفى دون ما يوجبه القياس واللفظ الجلى فلجوابه عندى وجهان حسنان أحدهما أن يكون الضمير المنصوب وهو اياها كناية عن اللسعة لا عن العقرب والضمير المرفوع كناية عن الزنبور فكأنه قال ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا الزنبور لسعة العقرب أى فاذا الزنبور يلسع لسعة العقرب فاختزل الفعل لما تقدم من الدليل عليه بعد أن أضمر اللسعة متصلة بالفعل فكأنه قال فاذا الزنبور يلسعها فاتصل الضمير بالفعل لوجوده فلما اختزل الفعل انفصل الضمير لعدم الفعل ونظير هذا من كلام العرب قولهم انما أنت شرب الابل أى انما أنت تشرب شرب الابل فاختزل الفعل وبقى عمله فى المصدر ولم

أهل الخضراء ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء فخرجت فاختة بنت قرظة من خوخة لها فقالت سرك الله يا امير المؤمنين ما هذا الذى بلغك قال اتانى البشير بصلح الحسن وانقياده فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد أهل الجنة وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين فالحمد لله الذى جعل فئتى احدى الفئتين ولما صالح الحسن معاوية لما ناله من أهل الكوفة وما نزل به أشار عمرو بن العاص على معاوية وذلك بالكوفة أن يأمر الحسن فيقوم فيخطب الناس فكره ذلك معاوية وقال ما أريد أن يخطب قال عمرو ولكنى أريد أن يبدو عيه فى الناس بانه يتكلم فى أمور لا يدرى ما هى ولم يزل به حتى أطاعه فخرج معاوية فخطب الناس وأمر رجلا أن ينادى بالحسن بن على فقام اليه فقال قم يا حسن فكلم الناس فتشهد فى بديهته ثم قال أما بعد أيها الناس فان الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة

 والدنيا دول قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان أدرى اقريب ام بعيد ما توعدون

انه يعلم الجهر من القول
كلامه ذلك يا أهل الكوفة
لم تذهب نفسي عنكم الا
لثلاث خصال أذللت
مقتلكم لابي وسلبكم ثقلي
وطعنكم في بطني وانى قد
بايعت معاوية فاسمعوا له
وأطيعوا وقد كان أهل
الكوفة انتهبوا سرادق
الحسن ورحله وطعنوا
بالخنجر في جوفه فلما تيقن
ما نزل به انقاد الى الصلح
وقد كان علي رضي الله
عنه وكرم الله وجهه اعتل
فأمر ابنه الحسن رضي الله
عنه أن يصلي بالناس يوم
الجمعة فصعد المنبر فحمد
الله واثنى عليه ثم قال ان
الله لم يبعث نبيا الا اختار
له نفسا ورهطا وبيتا
فوالذي بعث محمدا بالحق
لا ينقص من حقنا أهل
البيت أحد الا نقصه الله
من عمله مثله ولا يكون
علينا دولة الا وتكون لنا
العاقبة ولتعلمن نبأه بعد
حين * ومن خطب الحسن
رضي الله عنه في أيامه في
بعض مقاماته انه قال نحن
حزب الله المفلحون وعترة
رسول الله صلى الله عليه
وسلم الاقربون وأهل بيته
الطاهرون الطيبون وأحد
الثقلين اللذين خلفهما
رسول الله صلى الله عليه
وسلم والثاني كتاب الله فيه تفصيل كل شئ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والمعوّل عليه في

برفع لانه غير الاسم الاوّل فلو أضمرت شرب الابل لا تصل الضمير بالفعل فلو حذفته لا نفصل
الضمير فقلت انما أنت اياه فتدبره تجده منقادا صحيحا والوجه الآخر أن يكون قوله فاذا هو
اياها محمولا على المعنى الذي اشتمل عليه أصل الكلام من ذكر الظن أولا وآخرا لان الاصل
في تأليف المسئلة ظننت أن العقرب اشد لسعة من الزنبور فلما السعني الزنبور ظننته هو اياها
فاختصر الكلام لعلم المخاطب وحذف الظن آخر الما جرى من ذكره أوّلا ودلت عليه اذا لما
فيها من المفاجاة على الفعل الواقع بعد لما الدالة على وقوع الشئ لوقوع غيره فاذا جاز حذف
الكلام ايثارا للاختصار مع وجود الدليل على المحذوف كان قولنا فاذا هو اياها بمنزلة قولنا
فلما السعني الزنبور ظننته هو اياها فحذف الظن مع مفعوليه الاوّل وبقي الضمير الذي هو العماد
والفصل مؤكدا للضمير المحذوف مع الفعل ودالا على ما يأتي بعده من الخبر المحتاج اليه فيكون
في حذف الخبر عنه لما تقدم من الدليل عليه مع الاتيان بالعماد والفصل المؤكد له المثبت
لما بعده من الخبر المحتاج اليه مثل قوله ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم فحذف البخل الذي هو المفعول الاول لقوله يحسبن وبقي الضمير مؤكدا له مثبتا
لما بعده من الخبر وجاز حذفه لدلالة يبخلون عليه والمعنى لا يحسبن الذين يبخلون البخل هو
خيرا لهم فهو في المسئلة عماد مؤكد لضمير الزنبور المحمول على الظن المضمر ومثبت لما يجيء
بعده من الخبر الذي هو اياها فتفهمه فانه متمكن من جهة المعنى وجار من الاختصار لعلم
المخاطب على قياس وأصل وشاهده القرآن في الحذف واستعمال العرب النظائر وهي
أكثر من أن تحصى فمنها قولهم ما أغفله عنك شيأ أي تثبت شيأ ودع الشك وقولهم لمن
أنكر عليه ذكر انسان ذكره من أنت زيدا أي من أنت تذكر زيدا وربما قالوا من أنت زيد
بالرفع على تقدير من أنت ذكرك زيد فحذفوا الفعل مرة وأبقوا عمله وحذفوا المبتدا أخرى
وأبقوا خبره وكل ذلك اختصار لعلم المخاطب بالمعنى وكذلك قولهم هذا ولا زعماتك أي هذا
القول والزعم الحق ولا أتوهم زعماتك فحذف هذا العلم السامع مع تحصل المعنى وقيامه عند
المخاطب والحمل في كلامهم على المعنى أكثر من أن يحصى فان كان الضمير الاول في المسئلة
للزنبور والضمير الآخر للعقرب لم يجز البتة الا رفع الضميرين بالابتداء والخبر على حد قولك
ظننت زيدا عاقلا فاذا هو أحمق وحسبت عبد الله قاعدا فاذا هو قائم ولو تقدم ذكر الخبر
والخبر عنه لقلت فاذا هو هو ولم يجز فاذا هو اياه البتة ويجوز في المسئلة أن تقول فاذا هي هو
على التقديم والتأخير على حد قولك فاذا العقرب الزنبور أي سواء في شدة اللسعة كما تقول
خرجت فاذا قائم زيد على تقدير فاذا زيد قائم ويجوز أن يكون هو كناية عن اللسع بدلالة
اللسعة عليه وتكون هي كناية عن اللسعة على تقدير فاذا لسع الزنبور لسعة العقرب ويجوز
فاذا هي هو على اضمار اللسعة واللسع والتقدير فاذا لسعة الزنبور لسع العقرب وهذا كله
لا يجوز فيه الا الرفع عند البصريين لان الآخر هو الاول والخبر معرفة متعلق بالمفاجأة فلا
يجوز فيه الحال والكوفيون يجيزون النصب كما تقدم وهو غلط بين وخطأ فاحش لا تقوله
العرب ولا تعلق له بقياس فاعلمه ويجوز في المسئلة فاذا هو هو على تقدير فاذا اللسع اللسع
ويجوز فاذا هي هي على تقدير فاذا اللسعة اللسعة وفي هذا كفاية ان شاء الله تعالى * وأما

كل شئ لا يخطئنا تأويله بل نتيقن حقائقه فأطيعوا فاطاعتنا مفروضة اذ كانت بطاعة الله والرسول وأولى الامر مقرونة فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم واحذركم الاصغاء لهتاف الشيطان انه لكم عدو مبين فتكونون كأوليائه الذين قال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى مالا ترون فتلقون للرماح ازرا وللسيوف جزرا وللعمد خطأ وللسهام غرضا ثم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا والله أعلم

نسب سيبويه ففارسى مولى لبنى الحرث بن كعب بن علة بن خالدة بن مالك وهو من ذحج واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر وكنيته أبو بشر ولقبه الذى شهر به سيبويه ومعناه بالفارسية رائحة التفاح وكان من أطيب الناس رائحة وأجملهم وجها وقيل معنى سى ثلاثون ومعنى بويه رائحة فكان معناه الذى ضوعف طيب رائحته ثلاثين مرة وأما سبب تعويله على الخليل فى طلب النحو مع ما كان عليه من الميل الى التفسير والحديث فانه سأل يوما حماد بن سلمة فقال له أحدثك هشام بن عروة عن أبيه فى رجل رعف فى الصلاة بضم العين فقال له حماد أخطأ ثم انما هو رعف بفتح العين فانصرف الى الخليل فشكا اليه ما لقيه من حماد فقال له الخليل صدق حماد ومثل حماد يقول هذا ورعف بضم العين لغة ضعيفة وقيل انه قدم البصرة من البيداء من قرى شيراز من عمل فارس وكان مولده ومنشؤه بها ليكتب الحديث ويرويه فلزم حلقة حماد بن سلمة فبينما هو يستملى على حماد قول النبى صلى الله عليه وسلم ليس من أصحابى الا من لو شئت لاخذت عليه ليس أبا الدرداء فقال سيبويه ليس أبو الدرداء بالرفع وظنه اسم ليس فقال حماد لحنت يا سيبويه فقال سيبويه سأطلب علما لا تلحننى فيه فلزم الخليل وبرع فى العلم * وأما سبب وفوده على الرشيد ببغداد وتعرضه لمناظرة الكسائى والفراء فلما كانا عليه من تمكن الحال والقرب من السلطان وعلو همته وطلبه للظهور مع ثقته بعلمه لانه كان أعلم أهل زمانه وكان بينه وبين البرامكة أقوى سبب فوفد على يحيى ابن خالد بن برمك وابنيه جعفر والفضل فعرض عليهم ما ذهب اليه من مناظرة الكسائى فسعوا له فى ذلك وأوصلوه الى الرشيد فجرى بينه وبين الكسائى والفراء ما ذكروا واشتهر وكان آخر أمره ان الكسائى واصحابه لما ظهروا عليه بشهادة الاعراب على حسب ما التمسوا أن قال يحيى بن خالد أو الكسائى للرشيد يا أمير المؤمنين ان رأيت أن لا يرجع خائبا فعلت فامر له بعشرة آلاف درهم وانصرف الى الاهواز ولم يعرج على البصرة واقام هناك مدة الى ان مات كمدا وروى انه ذربت معدته فمات فيرون انه مات غما وروى ان الكسائى لما بلغه موته قال للرشيد يا أمير المؤمنين فانى أعاف ان اكون شاركت فى دمه ولما احتضر وضع رأسه فى حجر أخيه فقطرت دمعة من دموعه على خده فرفع عينيه وقال

أخيين كنا فرق الدهر بيننا * الى الامد الاقصى ومن يأمن الدهرا

ومات على السنة والجماعة رحمه الله تعالى * وأما كتابه الجارى بين الناس فلم يصح انه أنشأه بعد كتاب آخر قبله على أن ذلك قد ذكر فهذا ما حضر فميما سألت عنه فمن قرأه وأشرف فيه على تقصير فليبسط العذر فانه لساعتين من نهار املاه يوم الثلاثاء عشى النهار لثمان خلون لصفر سنة ٤٧٦ انتهى وقال الالبيرى رحمه الله تعالى

لا شئ أخسر صفقة من عالم * لعبت به الدنيا مع الجهال
فغدا يفرق دينه أيدى سبا * ويذيله حرصا بجمع المال
لا خير فى كسب الحرام وقلما * يرجى الخلاص لكاسب الحلال
فخذ الكفاف ولا تكن ذا فضلة * فالفضل تسئل عنه اى سؤال

وكان أبو الفضل بن الاعلم من أحسن الناس وجها وأذكاهم فى علم النحو والادب وأقرأ

(ذكر لمع من أخباره وسيره ونوادر من بعض أفعاله) وفى سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية حجر بن عدى

(ذكر خلافة معاوية ابن أبى سفيان)

بويع معاوية فى شوال سنة احدى واربعين ببيت المقدس فكانت أيامه تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وتوفى فى رجب سنة احدى وستين وله ثمانون سنة ودفن بدمشق بباب الصغير وقبره يزار فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وعليه بيت مبنى يفتح كل يوم اثنين وخميس

النحو فى صباه وفيه يقول ابن صارة الاندلسى رحمه الله تعالى

أكرم بجعفر اللبيب فانه * مازال يوضح مشكل الايضاح
ماء الجمال بوجهه متدفق * فالعين منه تجول فى ضحضاح
ماخطه جرحته عيني انما * صبغت غلالته دماء جراحى
لله زاى زبرجد فى عسجد * فى جوهر فى كوثر فى راح
ذى طرة سجية ذى غرة * عاجية كالليل والاصباح
رشأ له خد البرىء ولحظه * أبدا شريك الموت فى الارواح

وقال محمد بن هانئ الاندلسى من قصيدة

السافرات كانهن كواكب * والنا عمات كانهن غصون
ماذا على حلل الشقيق لونها * عن لابسيها فى الخدود تبين
لا أعطش الروض بعدهم ولا * يرويه لى دمع عليهم هتون
أعير لحظ العين بهجة منظر * وأخونهم انى اذن لخؤون
لا الجو جو مشرق وان اكتسى * زهوا ولا الماء المعين معين
لا يعدن اذا العبير له ثرى * والبان روح والشموس قطين
الظل لا متنقل والحوض لا * متكدر والأمن لا ممنون

وقال القسطلى فى اسطول أنشأه المنصور بن أبى عامر من قصيدة

تحمل منه البحر بحرا من القنا * يروع بها أمواجه ويهول
بكل عمالات الشراع كانها * وقد حملت أسد الحقائق غيل
اذا سابقت شأو الرياح تخيلت * خيولا مدى فرسانهن خيول
سحائب ترجيها الرياح فان وقت * أطافت بأجياد النعام فيول
ظباه شمام مالهن مفاحص * وورق حمام مالهن هديل
سواكن فى أوطانهن كأن سما * بها الموج حيث الراسيات نزول
كما رفع الآل الهوادج بالضحى * غداة استقلت بالخليط حمول
أراقم تحوى ناقع السم مالها * بما حملت دون العداة مقيل

وقد أطنب الناس فى وصف السفن وأطابوا وقرطسوا القريض وأصابوا وقد ذكرنا نبذة من ذلك فى هذا الكتاب * وقال أبو بحر صفوان بن ادريس التجيبى حدثنى بعض الطلبة بمراكش أن أبا العباس الجراوى كان فى حانوت وراق بتونس وهناك فتى يميل اليه فتناول الفتى سوسنة صفراء وأومأ بها الى خديه مشيرا وقال أين الشعراء تجريكا للجراوى فقال ارتجالا

وعلوى الجمال اذا تبدى * أراك جبينه بدرا أنارا
أشار بسوسن يحكيه عرفا * ويحكى لون عاشقه اصفرارا

قال أبو بحر ثم سألنى ان أقول فى هذا المعنى فقلت بديها

أومى الى خده بسوسنة * صفراء صيغت من وجنتى عبده

الكندى وهو أول من أهل الكوفة وأربعة من غيرها فلما صار على أميال من الكوفة برادبه دمشق أنشأ ابنته تقول ولا عقب له من غيرها

ترفع أيها القمر المنير
لعلك ان ترى حجرا يسير
يسير الى معاوية بن حرب
ليقتله كذا زعم الامير
ويصلبه على باب دمشق
وتأكل من محاسنه النسور
تخيرت المنايا بعد حجر
وطاب لها الخورنق والسدير
ألا يا حجر حجر بنى عدى
تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى عليا

وشيخا فى دمشق له زئير

ألا يا ليت حجرا مات موتا
ولم ينحر كما نحر البعير
فان تهلك فكل عميد قوم
الى هلك من الدنيا يصير

ولما صار الى مرج عذراء على اثنى عشر ميلا من دمشق تقدم البريد بأخبارهم الى معاوية فبعث برجل أعور فلما أشرف على حجر وأصحابه قال رجل منهم ان صدق الزجر فانه سيقتل منا النصف وينجو الباقون فقيل له وكيف ذلك قال أما ترون الرجل المقبل مصابا باحدى عينيه فلما وصل اليهم قال لحجر ان أمير المؤمنين أمرنى بقتلك يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولى

لم ترعينى من قبله غصنا * سوسنه نابت اذا ورده
أعملت زجرى فقلت ربما * قرب خد المشوق من خده

فحدثنى المذكور انه اجتمع مع أبى بكر بن بحير رحمه الله تعالى قبل اجتماعه بى فى ذلك الموضع الذى اجتمع فيه بعينه فحدثه بالحكاية كما حدثنى وسأله أن يقول فى تلك الحال فقال بديها

بى رشأ وسنان مهما انثنى * حار قضيب البان فى قده
مذ ولى الحسن وسلطانه * صارت قلوب الناس من جنده
أودع فى وجنته زهرة * كانها تجزع من صده
وقد تفاءلت على فعله * أنى أرى خدى على خده

فتعجبت من تواردخاطرينا على معنى هذا البيت الاخير قال أبو بحر ثم قلت فى تلك الحال

أبرز من وجنته وردة * أودعها سوسنة صفرا
وانما صورته آية * ضمنها من سوسن عشرا

وقال بعضهم فى الباذنجان

ومستحسن عند الطعام مدحرج * غذاه نمير الماء فى كل بستان
تطلع فى أقفاعه فكأنه * قلوب نعاج فى مخالب عقبان

وقال ابن خروف ويقال انها فى وصف دمشق

اذا رحلت عروبة عن حماها * تأوه كل أواه حليم
الى سبت حكى فرعون موسى * يجمع كل سحار عليم
فتبصر كل أملود قويم * يميس بكل ثعبان عظيم
اذا انسابت أراقمها عليها * تذكرنا بها الليل البهيم
وشاهدنا بها فى كل حين * حبالا القيت نحو الكليم

وقال أبو القاسم بن هشام ارتجالا فى وسيم عض وردة ثم رمى بها وسئل ذلك منه امتحانا

ومعجز الاوصاف والوصاف فى * بردى جمال طرزا بالتيه
سوسان أنمله تناول وردة * فغدا يميزقها أقاحى فيه
فكأننى شبهت وجنته بها * فرمى بها غضبا على التشبيه

وقال أيضا فيمن عض كلب وجنته

وأغيد وضاح المحاسن باسم * اذا قام الاسياف ناظره قمر
تعمد كلب عض وجنته التى * هى الورد اينا عا وأبقى بها أثر
فقلت لشهب الافق كيف صماتكم * وقد أثر العواء فى صفحة القمر

وقال آخر يصف شجة فى خد وسيم

عذيرى من ذى صفحة يوسفية * بها شجة جلت عن اللثم واللمس
يقولون من عجب أتحسن وصفها * فقلت هلال لاح فى شفق الشمس

وقال القاضى أبو الوليد الوقشى فيمن طر شاربه

قد بينت فيه الطبيعة أنها * لبديع أفعال المهندس باهره

كان معه ان الصبر على حد السيف لا يسر علينا مما تدعونا اليه ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب الينا من دخول النار وأجاب نصف من كان معه الى البراءة من على فلما قدم حجر ليقتل قال دعونى أصل ركعتين فجعل يطول فى صلاته فقيل له اجزعا من الموت فقال لا ولكنى ما تطهرت للصلاة قط الا صليت وما صليت قط أخف من هذه وكيف لا أجزع وانى لارى قبرا محفورا وسيفا مشهورا وكفنا منشورا ثم قدم فنحر والحق به من وافقه على قوله من أصحابه وقيل ان قتلهم كان فى سنة خمسين وذكر أن عدى بن حاتم الطائى دخل على معاوية فقال له معاوية ما فعلت الطرفات يعنى اولاده قال قتلوا مع على قال ما أنصفك على قتل أولادك وبقاء أولاده فقال عدى ما أنصفك على اذ قتل وبقيت بعده فقال معاوية أما انه قد بقى قطرة من دم عثمان ما يمحوها الا دم شريف من أشراف اليمن فقال عدى والله ان قلوبنا التى أبغضناك بها لفى صدورنا وان أسيافنا التى قاتلناك بها لعلى عواتقنا ولئن أدنيت الينا من الغدر فترا لندنين اليك من الشر شبرا وان خز

عنيت بمبسمه فخطت فوقه * بالمسك خطا من محيط الدائره

وقال أبو الحسن بن عيسى

عابوه أسمر ناحلا ذا زرقة * وعدا وظنوا أن ذاك يشينه
جهلوا بأن السمهرى شبيهه * وخضابه بدم القلوب يزينه

وقال الاستاذ أبو ذر الخشنى

أنكر صحبى اذ رأوا طرفه * ذا حرة يشقى بها المغرم
لا تنكروا واما احمرّ من طرفه * فالسيف لا ينكر فيه الدم

وقال أبو عبد الله محمد بن أبى خالص الرندى

ياشادنا برز العذار بخده * وازداد حسنا ليته لم يبرز
الآن أعلم حين جد بى الهوى * كم بين مختصر وبين مطرز

وقال أبو الحسين عبد الملك بن مفوز المعافرى

ومعذر من خده ورقيبه * شغلان حلا عقد كل عزيمة
خد وخب عيل صبرى منهما * هذا بنعمة وذا بنميمة

وقال أبو الوليد بن زيدون فيمن أصابه جدرى

قال لى اعتل من هويت حسود * قلت أنت العليل و يحك لاهو
ما الذى قد أنكرت من بثرات * ضاعفت حسنه وزانت حلاه
جسمه فى الصفاء والرقة الما * ء فلاغر وأن حباب علاه

وقال الهيثم

قالوا به جرب فقلت لهم قفوا * تلك الندوب مواقع الابصار
هو روضة والقد غصن ناعم * أرأيتم غصنا بلا أنوار

وقال أبو بكر محمد بن عياض القرطبى فى مخضوبة الانامل

وعلقتها فتانة أعطافها * تزرى بغصن البانة المياد
من للغزالة والغزال بحسنها * فى الخد أو فى العين أو فى الهادى
خضبت أناملها السواد وقلما * أبصرت أقلاما بغير مداد

وقال أبو الحسين النقرى

بدا بوسفا وشدا معبدا * فللعين ما تشتهى والاذن
كأن بأعلامه قمرية * تغرد من قده فى غصن

وقال ابن صارة

مقام حر بأرض هون * عجز لعمرى من المقيم
سافر فان لم تجد كريما * فن لئيم الى لئيم

وقال المعتمد بن عباد رحمه الله تعالى

مولاى أشكو اليك داء * أصبح قلبى به قريحا
سخطك قد زادنى سقاما * فابعث الى الرضا مسيحا

الحلقوم وحشرجة الحيزوم لاهون علينا من أن نسمع المساءة فى على فسل السيف يامعاوية لباعث السيف فقال معاوية هذه كلمات حكم فاكتبوها وأقبل على عدى محادثا له كأنه ما خاطه بشئ (وذكر) أن معاوية ابن أبى سفيان تنازع اليه عمرو بن عثمان بن عفان وأسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرض فقال عمرو لاسامة كانك تنكرنى فقال أسامة مايسرنى نسبك بولائى فقام مروان ابن الحكم فجلس الى جانب الحسن وقام عبد الله بن عامر فجلس الى جانب أسامة فقام سعيد بن العاص فجلس الى جانب مروان فقام الحسين فجلس الى جانب الحسن وقام عبد الله ابن عامر فجلس الى جانب سعيد فقام عبد الله بن جعفر فجلس الى جانب الحسين وقام عبد الرحمن ابن الحكم فجلس الى جانب ابن عامر فقام عبد الرحمن ابن العباس فجلس الى جانب ابن جعفر فلما رأى ذلك معاوية قال لا تجهلوا انا كنت شاهدا اذ أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة فقام الهاشميون فخرجوا ظاهرين وأقبل الامويون عليه فقالوا ألا كنت أصلحت بيننا قال دعونى فوالله ماذكرت

عيونهم تحت المغافر بصفين الا لبس على قلق وان الحرب أولها نجوى وأوسطها شكوى وآخرها قال

قال بعضهم وقوله مسيحا من القوافي التي يتحدى بها وكتب الى أبيه جوابا عن تحفة

يا مالكا قد أصبحت كفه * ساخرة بالعارض الهاطل
قد أخجلتني منة مثلها * يضيق القول على القائل
وان أكن قصرت في وصفها * فحسنها عن وصفها شاغلي

وكتب الى وزيره ابن عمار

لما نأت نأى الكرى عن ناظري * وردته لما انصرفت عليه
طلب البشير بشارة يجزى بها * فوهبت قلبي واعتذرت اليه

وقال في جارية له كان يحبها وبينما هي تسقيه اذ لمع البرق فارتاعت

يروعها البرق وفي كفها * برق من القهوة لماع
يا ليت شعري وهي شمس الضحى * كيف من الانوار ترتاع

ومن تواردالخواطر أن ابن عباد أنشد عبد الجليل بن وهبون البيت الاول وأمره أن يذيله فقال

ولن ترى أعجب من أنس من * من مثل ما يمسك يرتاع

وقال المعتمد رحمه الله تعالى

داوى ثلاثته بلطف ثلاثة * فشفى بذاك رقيبه لم يشعر
اسراره بتستر واواره * بتصبر وخياله بتوقر

وكانت له جارية اسمها جوهرة وكان يحبها فجرى بينهما عتاب ورأى أن كتب اليها يسترضيها فأجابته برقعة لم تعنونها باسمها فقال

لم تصف لي بعدوالاقلم * لم أر في عنوانها جوهره
درت بأني عاشق لاسمها * فلم ترد للغيظ أن تذكره
قالت اذا أبصره ثابتا * قبله والله لا أبصره

وقال في هذه الجارية

سرورنا بعد كم ناقص * والعيش لا صاف ولا خالص
والسعد ان طالعنا نجمه * وغبت فهو الآفل الناكص
سموك بالجوهر مظلومة * مثلك لا يدركه غائص

وقال فيها أيضا

جوهرة عذبني * منك تمادي الغضب
فزفرتي في صعد * وعبرتي في صبب
يا كوكب الحسن الذي * زري بزهر الشهب
مسكنك القلب فلا * ترضى له بالوصب

وقال في جارية اسمها وداد

اشرب الكاس من وداد ودادك * وتانس بذكرها في انفرادك
قد رغاب عن جفونك مرآ * ه وسكناه في سواد فؤادك

قفية
تدنو بزينتها لكل جهول
ثم قال ما في القلوب يشب الحروب والامر الكبير يدفعه الامر الصغير وتمثل قد يلحق الصغير بالجليل وانما القرم من الافيل وتسحق النخل من الفسيل (قال المسعودي) ولما هم معاوية بالحاق زياد بابي سفيان ابيه وذلك في سنة أربعين شهد عنده زياد بن أسماء الحرمازي ومالك ابن ربيعة السلولي والمنذر ابن الزبير بن العوام أن اباسفيان اخبر انه ابنه وان اباسفيان قال لعلي عليه السلام حين ذكر زياد عند عمر بن الخطاب اما والله لو اخوف شخص يراني يا علي من الاعادي لبني امره صخر بن حرب ولم يكن المجعم عن زياد ولكني اخاف صروف كف لها نقم ونفي عن بلادي فقد طالت محاولتي ثقيفا وتركي فيهم ثمر الفؤاد ثم زاده يقينا الى ذلك شهادة ابي مريم السلولي وكان اخبر الناس بهذا الامر وذلك انه جمع بين ابي سفيان وسمية ام زياد في الجاهلية على زنا وكانت سمية من ذوات الرايات

بالطائف تؤدي الضريبة الى الحرث بن كلدة وكانت تنزل بالموضع الذي ينزل فيه البغايا بالطائف خارجا عن الحضر في محلة

وقال لله كم أودعت قلبي من أسى * وكم لك ما بين الجوانح من كلم
لحاظك طول الدهر حرب لمهجتي * ألا رحمة تثنيك يوما الى سلمى

وقال قلت متى ترحني * قال ولا طول الابد
قلت فقد أيأستني * من الحياة قال قد

وأهدى أبو الوليد بن زيدون باكورة تفاح الى المعتضد والد المعتمد وكتب له معها

يا من تزينت الرياض * ستحين ألبس ثوبها
جاءتك حامدة المدا * م فخذ عليها ذوبها

وقال المعتمد وقد أمره أبوه المعتضد أن يصف مجنا فيه كواكب فضة

مجن حكى صانعوه السما * لتقصر عنه طوال الرماح
وقد صوروا فيه شبه الثريا * كواكب تقضى له بالنجاح

وقال ابن اللبانة كنت بين يدي الرشيد بن المعتمد في مجلس انسه فورد الخبر باخذ يوسف بن تاشفين غرناطة سنة ٤٩٣ فتفجع وتلهف واسترجع وتأسف وذكر قصر غرناطة فدعونا لقصره بالدوام ولملكه بتراخي الايام وأمر عند ذلك أبا بكر الاشبيلي بالغناء فغنى

يا دارمية بالعلياء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الامد

فاستحالت مسرته وتجهمت اسرته وأمر بالغناء من ساعته فغنى

ان شئت أن لا ترى صبرا لمصطبر * فانظر على أي حال أصبح الطلل

فتأكد تطيره واشتد ارباده وجهه وتغيره وأمر مغنية أخرى بالغناء فغنت

يا لهف نفسي على مال أفرقه * على المقلين من أهل المروآت
ان اعتذاري الى من جاء يسألني * ما لست املك من احدى المصيبات

قال فتلافيت الحال بأن قلت

محل مكرمة لاهدمبناه * وشمل مأثرة لاشتت الله
البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفا * ان الرشيد مع المعتد ركناه
ثاو على أنجم الجوزاء مقعده * وراحل في سبيل السعد مسراه
حتم على الملك أن يقوى وقد وصلت * بالشرق والغرب يمناه ويسراه
ياس توقد فاحمرت لواحظه * ونائل شب فاخضرت عذاراه

فلعمري لقد بسطت من نفسه وأعادت عليه بعض انسه على اني وقعت فيما وقع فيه الكل لقولي البيت كالبيت وأمر اثر ذلك ابا بكر بالغناء فغنى

ولما قضينا من منى كل حاجة * ولم يبق الا أن تزم الركائب

فأيقنا ان هذا التطير يعقبه التغير * وقد كان المعتضد بن عباد حين تصرمت ايامه وتداني حمامه استحضر مغنيا يغنيه ليجعل ما يسد أبه فالا وكان المغني السوسي فأول شعر قاله

نطوي المنازل عاما أن ستطوينا * فشمشعيها بماء المزن واسقينا

يقال لها حارة البغايا وكان أخرج منها سهل بن حنيف فضرب زياد بعضهم بعضا حتى غلب عليها وما زال يتنقل في كورها حتى صلح أمر فارس ثم ولاه على اصطخر وكان معاوية يتهدده ثم أخذ بسر بن أرطاة عبيد الله وسلمان ولديه وكتب اليه يقسم ليقتلنهما ان لم يرجع ويدخل في طاعة معاوية ويرده على عمله فقدم زياد على معاوية وكان المغيرة بن شعبة قال لزياد قبل قدومه على معاوية ارم الغرض الاقصى ودع عنك الفضول فان هذا الامر لا يمد اليه أحد يدا الا الحسن بن علي وقد بايع لمعاوية فخذها نفسك قبل التوطين قال زياد فأشر علي قال أرى أن تنقل أصلك الى اصله وتصل حبلك بحبله وتغير الناس منك اذنا صماء فقال زياد يا ابن شعبة أأغرس عودا في غير منبته ولا مدرة فتحبيه ولا عرق فيسقيه ثم ان زيادا عزم على قبول الدعوى وأخذ برأي ابن شعبة وارسلت اليه جويرية بنت أبي سفيان عن أمر أخيها فاتاها فأذنت له وكشفت عن شعرها بين يديه وقالت انت اخي اخبرني بذلك أبو مريم ثم أخرجه معاوية الى المسجد وجمع الناس فقام

فمات بعد خمسة ايام وكان الغناء من هذا الشعر فى خمسة ابيات * وقال المعتمد بعد ما خلع وسجن

قبح الدهر فاذا صنعا * كلما اعطى نفيسا نزعا
قد هوى ظلما بمن عاداته * أن ينادى كل من يهوى لعا
من اذا قيل الخناصم وان * نطق العافون همسا سمعا
قل لمن يطمع فى نائله * قد زال اليأس ذاك الطمعا
راح لا يملك الا دعوة * جبر الله العفاة الضيعا

وقال ابن اللبانة كنت مع المعتمد باغمات فلما قاربت الصدر وازمعت السفر صرف جبله واستنفد ما قبله وبعث الى مع شرف الدولة ولده وهذا من بنيه احسن الناس سمتا واكثرهم صمتا تخجله اللفظه وتجرحه اللحظه حريص على طلب الادب مسارع فى اقتناء الكتب مثابر على نسخ الدواوين مفتح فيها من خطه زهر الرياحين بعشرين مثقالا مرابطية وثوبين غير مخيطين وكتب معها ابياتا منها

اليك النزر من كف الاسير * وان تقنع تكن عين الشكور
تقبل ما يذوب له حياء * وان عذرته حالات الفقير

فامتنعت من ذلك عليه واجبته بأبيات منها

تركت هواك وهو شقيق دينى * لئن شقت برودى عن عذورى
ولا كنت الظليق من الرزايا * اذا اصبحت اجحف بالاسير
جذيمة انت والزباء خانت * وما انا من يقصر عن قصير
تصرف فى الندى حبل المعالى * فتسمع من قليل بالكثير
وأعجب منك أنك فى ظلام * وترفع للعفاة منار نور
رويدك سوف توسعنى سرورا * اذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلنى رتب المعالى * غداة تحل فى تلك القصور
تزيد على ابن مروان عطاء * بها وأزيدكم على جرير
تأهب أن تعود الى طلوع * فليس الخسف ملتزم البدور

واتبعتها ابياتا منها

حاش لله ان اجيح كريما * يتشكى فقرا وقد سد فقرا
وكفانى كلامك الرطب نيلا * كيف ألغى دراوأطلب تبرا
لم تمت انما المكارم مانت * لا سقى الله بعدك الارض قطرا

ورأى ابن اللبانة احد ابناء المعتمد وهو غلام وسيم وقد اتخذ الصياغة صناعة وكان يلقب ايام سلطانهم من الالقاب السلطانية بفخر الدولة فنظر اليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ وقد جلس فى السوق يتعلم الصياغة فقال

شكا تنالك يا فخر العلا عظمت * والرزء يعظم ممن قدره عظما
طوقت من نائبات الدهر مخنقة * ضاقت عليك وكم طوقتنا نعما

فى الجاهلية فقال ابغنى بغيا فأتيته وقلت لم أجد الا جارية الحرث بن كلدة سمية فقال ائتنى بها على دفرها وقذرها فقال له زياد مهلا يا أبا مريم انما بعثت شاهدا ولم تبعث شاتما فقال أبو مريم لو كنتم أعفيتمونى لكان احب الى وانما شهدت بما عاينت ورأيت والله لقد اخذ بكم درعها وأغلقت الباب عليهما وقعدت دهشان فلم ألبث أن خرج على يسيح جبينه فقلت مه يا ابا سفيان فقال ما أصبت مثلها يا أبا مريم لولا استرخاء من ثديها ودفر من فيها فقام زياد فقال ايها الناس هذا الشاهد قد ذكر ما سمعتم ولست ادرى حق ذلك من باطله وانما كان عبد نبيا مبرورا أو وليا مشكورا والشهود اعلم بما قالوا فاقام يونس بن عبيد أخو صفية بنت عبيد بن اسد بن علاج الثقفى وكانت صفية مولاة سمية فقال يا معاوية قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الولد للفراش وللعاهر الحجر وقضيت انت ان الولد للعاهر وان الحجر للفراش مخالفة لكتاب الله تعالى وانصرافا عن سنة رسول الله صلى

٥٠ ط نى الله عليه وسلم بشهادة ابى مريم على زنا ابى سفيان فقال معاوية والله يا يونس لتنتهين أولا طيرن بك طيرة

وعاد طوقك فى دكان قارعة * من بعدما كنت فى قصر حكى ارما
صرفت فى آلة الصواغ انملة * لم تدر الا الندى والسيف والقلما
يدعوك للتقبيل تبسطها * فتستقل الثريا أن تكون فما
ياصائغا كانت العليا تصاغ له * حليا وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ فى الصور هول ما حكاه سوى * هول رأيتك فيه تنفخ الفهما
وددت اذ نظرت عينى اليك به * لو أن عينى تشكو قبل ذاك عمى
ما حط ذاك الدهر لما حط عن شرف * ولا تحيف من أخلاقك الكرما
لم فى العلا كوكبا ان لم تلح قمرا * وقم بها ربوة ان لم تقم علما
واصبر فرب تما أحمدت عاقبة * من يلزم الصبر يحمد عنه ما لزما
والله لو انصفتك الشهب لانكسفت * ولو وفى لك دمع العين لانسجما
أبكى حديثك حتى الدر حين غدا * يحكيك رهطا وألفاظا ومبتسما

وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى وقفت على قبر المعتمد بن عباد بمدينة أغمات فى حركة راحة أعملتها الى الجهات المراكشية باعثها لقاء الصالحين ومشاهدة الآثار سنة ٧٦١ وهو بمقبرة أغمات فى نشز من الارض وقد حفت به سدرة والى جانبه قبر اعتماد حظيته مولاة رميك وعليهما هيئة التغريب ومعاناة الخمول من بعد الملك فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما فانشدت فى الحال

قد زرت قبرك عن طوع باغمات * رأيت ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يدا * و ياسراج الليالى المدلهمات
وانت من لو تخطى الدهر مصرعه * الى حياتى لجادت فيه أبياتى
اناف قبرك فى هضب يميزه * فتنتحيه حفيات التحيات
كرمت حيا وميتا واشتهرت علا * فانت سلطان أحياء وأموات
ماريء مثلك فى ماض ومعتقدى * أن لا يرى الدهر فى حال وفى آتى انتهى

وقد زرت انا قبر المعتمد بن عباد بمدينة اغمات سنة ١٠١٠ ورأيت فيه مثل ماذكره لسان الدين رحمه الله تعالى فسبحان من لا يبيد ملكه لا اله الا هو واخبار المعتمد كثيرة وقال وزيره ابو الوليد بن زيدون

متى اخف الغرام يصفه جسمى * بألسنة الضنى الخرس الفصاح
فلو ان الثياب تنم عنى * خفيت خفاء خصرك فى الوشاح

وقال يخاطب المعتمد

وطاعة امرك فرض ارا * ه من كل مفترض اوكدا
هى الشرع اصبح دين الضمير * فلو قد عصاك لقد الحدا

وقال فيه

ياندى يمنى ابى القاسم غم * ياسنا بشر المحيا أشمس
وارتشف معسول ثغر اشنب * لحبيب من عجاج العس

وقال

مهما امتدحت سواك قبل فانما * مدحى الى مدحى لك استطراد

بطيئا وقوعها فقال يونس فى ذلك ويقال انه ليزيد ابن مقرع الحميرى ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة عن الرجل اليمانى أتغضب ان يقال أبوك عف وترضى ان يقال ابوك زانى فاشهد ان رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الاتان وفى زياد واخوته يقول خالد النجارى

ان زيادا ونافعا وابا * بكرة عندى من اعجب العجب
ان رجالا ثلاثة خلقوا * من رحم انثى مخالفى النسب
ذا قرشى فيما يقول وذا * مولى وذا ابن عمه عربى

ولما قتل على كرم الله وجهه كان فى نفس معاوية من يوم صفين على هاشم ابن عتبة بن ابى وقاص المرقال وولده عبد الله بن هاشم احن فلما استعمل معاوية زيادا على العراق كتب اليه اما بعد فانظر عبد الله بن هاشم بن عتبة فشد يده الى عنقه ثم ابعث به الى فحمله زياد من البصرة مقيدا مغلولا الى دمشق وقد كان زياد طرقه بالليل فى منزله بالبصرة فادخل الى معاوية وعنده عمرو ابن العاص فقال معاوية لعمرو بن العاص هل تعرف هذا قال لا قال هذا الذى يقول أبوه يوم صفين

تغشى الميادين الفوارس حقبة * كيما يعلمها النزال طراد
وقال يحيينى بريحان الجنى * ويحجبنى معتقة السماح
فها انا قد ثملت من الايادى * اذا اتصل اغتباقى باصطباحى

وكتب الى ابى عامر يستدعيه

ابا المعالى نحن فى روضة * فانقل الينا القدم العاليه
انت الذى لو تشترى ساعة * منه بدهر لم تكن غاليه

وتذكرت هنا قول بعض المشارقة فيما اظن

لله ايام مضت مأنوسة * ما كان احسنها وانضرها معا
لو ساعة منها تباع شريتها * ولو انها بيعت بعمرى اجمعا

(رجع) وقال ابو القاسم اسعد من قصيدة فى المعتصم بن صمادح

وقد ذاب كحل الليل فى دمع فجره * الى ان تبدى الليل كالمة الشمطا
كأن الدجا جيش من الزنج نافذ * وقد ارسل الاصباح فى اثره القبطا

ومنها اذا سار سار الجود تحت لوائه * فليس يحط المجد الا اذا حطا

وقال ابن خلعة المكفوف النحوى من قصيدة

ملك تملك حر المجد لا يده * نالت بظلم ولا مالت الى البخل
مهذب المجد ماضى الحد مضطلع * لما تحمله العلياء من ثقل
اغر لا وعده يخشى له ابدا * خلف ولا رايه يؤتى من الزلل
قد جاوزت نطق الجوزاء همته * به ومازحلت عن مرتقى زحل
يأبى له ان يحل الذم ساحته * ما صد من جلل اوسد من خلل

ومنها ان لم تكن بكم حالى مبدلة * فما انتفاعى بعلم الحال والبدل

وقال ابن الحداد يمدح المعتصم بن صمادح

عج بالحمى حيث الغياض العين * فعسى تعن لنا المهاة العين
واستقبلن ارج النسيم فدارهم * تندية الارجاء لادارين
افق اذا مارمت لحظ شموسه * صدتك للنفع المثار دجون
أنى اراعى لهم وبين جوانحى * شوق يهون خطبهم فيهون
انى يصاب ضرابهم وطعانهم * صب بألحاظ العيون طعين
فكانما بيض الصفاح جداول * وكأنما سمر الرماح غصون
ذرنى اسر بين الاسرة والظبا * فالقلب فى تلك القباب رهين
يا ربة القرط المعير خفوقه * قلبى أما لحراكه تسكين
تورى يدخدك للصبابة مورد * وفتور طرفك للنفوس فتون
فاذا رقدت فوحى حبك منزل * واذا نطقت فانه تلقين

ومنها فى وصف قصر

راس بظهر النون الا انه * سام فقبته بحيث النون

* اعور يبغى اهله محلا
قد عالج الحياة حتى ملا
لابد أن يفل او يفلا
اسلمهم بذى الكعوب سلا
لا خير عندى فى كريم ولى
فقال عمرو متمثلا
وقد ينبت المرعى على دمن الثرى
وتبقى حزازات النفوس كما هيا
دونك يا امير المؤمنين الضب الضب فاشخب اوداجه على اسباجه ولا ترده الى اهل العراق فانه لا يصبر على النفاق وهم اهل غدر وشقاق وحرب ابليس ليوم هيجانه وان له هوى سيؤديه ورأيا سيطغيه وبطانة ستقويه وجزاء سيئة سيئة مثلها فقال عبد الله يا عمرو ان أقتل رجل اسلمه قومه وادركه يومه أفلا كان هذا منك اذ تحيد عن القتال ونحن ندعوك الى النزال وانت تلوذ بشمال النطاف وعقائق الرصاف كالامة السوداء والنعجة القوداء لا تدفع يد لامس فقال عمرو أما والله لقد وقعت فى لهاذم شذقم للاقران ذى لبد ولاحسبك منفلتا من مخالب امير المؤمنين فقال عبد الله اما والله يا ابن العاص انك ليطر

فى الرخاء جبان عند اللقاء غشوم اذا ولیت هياب اذا لقيت تهدر كما يهدر العود المنكوس المقيد بين مجرى الشول

لهم ايد شداد والسنة حداد يدعمون العوج ويذهبون الحرج يكثرون القليل ويشفون الغليل ويعزون الذليل فقال عمرو أما والله لقد رأيت أبالئ يومئذ تحقق أحشاؤه وتبق أمعاؤه وتضطرب أصلاؤه كانما انطبق عليه ضمد فقال عبد الله يا عمرو اناقد بلوناك ومقالتك فوجدنا لسانك كذوبا غادر اخلوت باقوام لا يعرفونك وجند لا يسأمونك ولو رمت المنطق فى غير أهل الشام لحظ اليك عقلك ولتلجلج لسانك ولاضطرب لحذاك اضطراب القعود الذى أثقله حمله فقال معاوية ايها عنكما وأمر باطلاق عبد الله فقال عمرو لمعاوية امرتك امرا حازما فعصيتنى وكان من التوفيق قتل ابن هاشم

ألبس أبوه يا معاوية الذى أعان عليا يوم حز الغلاصم
فلم ينثنى حتى جرت من دمائنا بصفين أمثال البحور الخضارم

وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه

هو جنة الدنيا تبوأ أرضها * ملك تملكه التقى والدين
فكأنما الرحمن عجلها له * ليرى بما قد كان ما سيكون
وكأن باتيه سنمارفا * يعدوه تحسين ولا تحصين
وجزاؤه فيه نقيض جزائه * شتان ما الاحياء والتعيين

ومنها فى المديح

لا تلتقى الاحكام حيفا عنده * فكأنما الافعال والتنوين

ومنها

وبداه هلال الافق أحنى ناسخا * عهد الصيام كأنه العرجون
فكأن بين الصوم خط نحوه * خطا خفيا بان منه النون

وقال عبد الجليل بن وهبون

زعموا الغزال حكاه قلت لهم نعم * فى صده عن عاشقيه وهجره
وكذا يقولون المدام كريقه * يارب ما علموا مذاقة ثغره

وقال أبو الحسن على بن أحمد بن أبى وهب الاندلسى

قالوا تذيت من وداعهم * ولم نر الصبر عنك مغلوبا
فقلت للعلم أننى بغد * أسمع لفظ الوداع مقلوبا

وهذا كقول بعض شعراء اليتيمة

اذا دهاك الوداع فاصبر * ولا يروعنك البعاد
وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادوا

وقال ابن اللبانة

ان تكن تبتغى الوداع فدعنى * عنك فى حومة القتال أحامى
خذ جنانى عن جنة ولسانى * عن سنان وخاطرى عن حسام

وقال القزاز يمدح ابن صمادح وخلط النسيب بالمديح

نفى الحب عن مقلتى الكرى * كما قد نفى عن يدى العدم
فقد قر حبك فى خاطرى * كما قر فى راحتيك الكرم
وفر سلوك عن فكرتى * كما فر عن عرضه كل ذم
فحبى ومفخره باقيا * ن لا يذهبان بطول القدم
فابق لى الحب خال وجد * وأبقى له الفخر خال وعم

وقال أبو الحسن بن الحاج

أذوب اشتياقا يوم يحجب شخصه * وانى على ريب الزمان لقاسى
وأذعر منه هيبة وهو انسى * كما يذعر الخمور أول كاس

وقال

من لى بطرف كان لى أبدا * منه بغير المدام مخمور
ما أصدق القائلين حين بدا * عاشق هذا الجمال معذور

وقال

أيا جعفرمات فيك الجمال * فأظهر خدك لبس الحداد
وقد كان ينبت نور الربيع * فقد صار ينبت شوك القتاد

ويوشك ان تقرع به سن نادم * فقال عبد الله يحيه معاوى ان المرء عمرا أبت له * ضغينة صدر غشها غير نائم فهل

فهل كنت من عبد شمس فأخشى * عليك ظهور شعار السواد

وقال وما أحكمه

ما عجبي من بائع دينه * بلذة يبلغ فيها هواه
وانما أعجب من خاسر * يبيع أخراه بدنياسواه

وقال من محمسة يرثي فيها ابن صمادح ويندب الاندلس زمن الفتنة

من لي بمعقول على ظلم البشر * صحف في أحكامه حاء الحور
مر بنا يسحب أذيال الخفر * ما أحسد الظبي له اذا نفر
وأشبه الغصن به اذا خطر

كافورة قد طرزت بمسك * جوهرة لم تمتهن بسلك
نبذت فيها ورغي ونسكي * بعد لجاجي في التقى ومحكي
فاليوم قد صح رجوعي واشتهر

نهيت قدماناظري عن نظر * علما بما يجني ركوب الغرر
وقلت عرج عن سبيل الخطر * فاليوم قد عاين صدق الخبر
اذ بات وقفا بين دمع وسهر

سقى الحما عهد النا بالطاق * معترك الالباب والاحداق
وملتقى الانفس والاشواق * أيأس فيه الدهر عن تلاقي
ور بما ساءك دهر ثم سر

أحسن به مطلعا ما أغربا * قابل من دجلة مرأى معجبا
ان طلعت شمس وقد هبت صبا * حسبته ينشر بردا مذهبا
بمنظر فيه جلاء للبصر

يارب أرض قد خلت قصورها * وأصبحت آهلة قبورها
يشغل عن زائرها مزورها * لا يأمل العودة من يزورها
هيهات ذاك الورد ممنوع الصدر

تنتحب الدنيا على ابن معن * كأنها ثكلى أصيبت بابن
أكرم مأمول ولا أستثني * أثنى بنعماه ولا أثني
والروض لا ينكر معروف المطر

عهدي به والملك في ذماره * والنصر فيما شاء من أنصاره
يطلع بدرا تم من أزراره * وتكمن العفة في ازوراره
و يحضر السودد أيان حضر

قل للنوى جدنا انطلاق * ما بعدت مصر ولا العراق
اذا حدانحوهما اشتياق * ومن دواء الملل الفراق
ومن نأى عن وطن نال وطر

سار بذي برد من الاصباح * راكب نشوى ذات قصد صاح

على انهم لا يقتلون أسيرهم اذا منعت منه عهود المسالم وقد كان منا يوم صفين نقرة عليك جناها هاشم وابن هاشم قضى ما انقضى منها وليس الذي مضى ولا ما جرى الا كاضغاث حالم فان تعف عني تعف عن ذي قرابة وان ترقبلي تستحل محارمي

فقال معاوية أرى العفو عن عليا قريش وسيلة الى الله في يوم العصيب القماطر ولست أرى قتل العداة ابن هاشم بادراك ثاري في لؤي وعامر بل العفو عنه بعد ما بان جرمه وزلت به احدى الجدود العواثر

فكان أبوه يوم صفين جمرة علينا فاردته رماح شهابر

وحضر عبد الله بن هاشم ذات يوم مجلس معاوية فقال معاوية من يخبرني عن الجود والنجدة والمروءة فقال عبد الله يا أمير المؤمنين أما الجود فابتذال المال والعطية قبل السؤال واما النجدة فالجراءة على الاقدام والصبر عند

مسودة مبيضة الجناح * تسبح بين الماء والرياح
يزورها عن طافح المرج زور
يقتحم الهول بها اغترارا * فى قتية تحبها سكارى
قد افترشن المسد المغارا * حتى اذا شارفت المثارا
هب كابل العليل المحتضر
يوم عدل الملك الرضى * الهاشمى الطاهر النقى
والمجتبى من صفوة النبى * من ولد السفاح والمهدى
فخر معد ونزار ومضر
حيث ترى العباس يستقى به * والشرف الاعظم فى نصابه
والامر موقوفا على أربابه * والدين لا تختلط الدنيا به
وسيرة الصديق تمضى وعمر

وقال ابن خفاجة فى صفة قوس

عرجاء تعطف ثم ترسل تارة * فكأنما هى حية تنساب
واذا انتحت والسهم منها خارج * فهى الهلال انقض منه شهاب

وقال وعسى الليالى أن تمن بنظمنا * عقدا كما كنا عليه وأكملا
فلر بما نثر الجمان تعمدا * ليعاد أحسن فى النظام وأجملا

وهو من قول مهيار

عسى الله يجعلها افرقة * تعود بأكمل مستجمع

وقول المتنبى سألت الله يجعله رحيلا * يعين على الاقامة فى ذراكا

وقال اقض على خلك أو ساعد * عشت بجد فى العلا صاعد
فقد بكى جفنى دما سائلا * حتى لقد ساعده ساعدى

وقال وأسود يسجح فى بركة * لا تكتم الحصباء غدرانها
كأنها فى صفوها مقلة * زرقاء والاسود انسانها

وقال حيا بها ونسيمها كنسيمه * فشربته من كفه فى وده
منساغة فكأنها من ريقه * محمرة فكأنها من خده

وقال لعمرى لو أوضعت فى منهج التقى * لكان لنا فى كل صالحة نهج
فما يستقيم الامر والملك جائر * وهل يستقيم الظل والعود معوج

وقال يرثى صديقا من أبيات

تيقن أن الله أكرم جيرة * فأزمع عن دار الحياة رحيلا
فان أقفرت منه العيون فانه * تعوض منها بالقلوب بديلا
ولم أر أنسا قبله عاد وحشة * وبردا على الاكباد عاد غليلا
ومن تلك أيام السرور قصيرة * به كان ليل الحزن فيه طويلا

وقال تفاوت نجلا أبى جعفر * فمن متعال ومن منسفل

اذ وزار الاقدام وأما رضى الله عنه قيس بن سعد بن عبادة عن مصر وجه مكانه محمد ابن أبى بكر فلما وصل اليها كتب الى معاوية كتابا فيه من محمد ابن أبى بكر الى الغاوى معاوية بن صخر أما بعد فان الله بعظمته وسلطانه خلق خلقه بلا عبث منه ولا ضعف فى قوته ولا حاجة به الى خلقهم لكنه خلقهم عبيدا وجعل منهم غويا ورشيدا وشقيا وسعيدا ثم اختار على علم واصطفى وانتخب منهم محمدا صلى الله عليه وسلم فانتخبه لعلمه واصطفاه لرسالته وائتمنه على وحيه وبعثه رسولا ومبشرا ونذيرا فكان اول من اجاب وأناب وآمن وصدق وأسلم وسلم أخوه وابن عمه على بن ابى طالب صدقه بالغيب المكتوم وآثره على كل حميم ووقاه بنفسه كل هول وحارب حربه وسالم سلمه فلم يبرح مبتذلا لنفسه فى ساعات الليل والنهار والخوف والجوع والخضوع حتى برز سابقا لا نظير له فيمن اتبعه ولا مقارب له فى فعله وقد رايتك تساميه وانت انت وهو هو واصدق الناس نية وافضل الناس ذرية وخير الناس زوجة وافضل الناس ابن عم اخوه الشارى بنفسه يوم موته وعمه سيد الشهداء يوم فهذا

فهذا يمين بها أكله * وهذا شمال بها يغتسل

وقال ابن الرفاء

ولما رأيت الغرب قد غص بالدجا * وفي الشرق من ضوء الصباح دلائل
توهمت أن الغرب بحر أخوضه * وأن الذي يبدو من الشرق ساحل

وقال أبو محمد بن عبد البر الكاتب

لا تكثرن تأملا * وامسك عليك عنان طرفك
فلربما أرسلته * فرماك في ميدان حتفك

وقال أبو القاسم السميسر

يا آكلا كل ما اشتهاه * وشاتم الطب والطبيب
عمارما قد غرست تجني * فانتظر السقم عن قريب
يجتمع الداء كل يوم * أغذية السوء كالذنوب

وكان كثير الهجاء وله كتاب سماه بشفاء الامراض في أخذ الاعراض والعياذ بالله تعالى

ومن قوله

خنتم فهنتم وكم أهنتم * زمان كنتم بلا عيون
فانتم تحت كل تحت * وأنتم دون كل دون
سكنتم يا رياح عاد * وكل ريح الى سكون

وقال

يا مشفقا من خول قوم * ليس لهم عندنا خلاق
ذلوا وياطا لما أذلوا * دعهم يذوقوا الذي أذاقوا

وقال

وليتم فما أحسنتم مذوليتم * ولا صنتم عن يصونكم عرضا
وكنتم سماء لا ينال منالها * فصرتم لدى من لا يسائلكم أرضا
ستسترجع الايام ما أقرضتكم * ألا انها تسترجع الدين والقرضا

وقال ابن شاطر السرقسطي

قد كنت لا أدري لأية علة * صار البياض لباس كل مصاب
حتى كساني الدهر سحق ملاءة * بيضاء من شيبي لفقد شبابي
فهذا تبين لي اصابة من رأى * لبس البياض على نوى الاحباب

وهذه عادة أهل الاندلس ولهذا قال الحصري

اذا كان البياض لباس حزن * بأندلس فذاك من الصواب
ألم ترني لبست بياض شيبي * لاني قد حزنت على الشباب

وما أحسن قوله رحمه الله تعالى

لو كنت زائرتي لراعك منظري * ورأيت بي ما يصنع التفريق
ولحال من دمعي وحر تنفسي * بيني وبينك لجة وحريق

وقال ابن عبد الصمد يصف فرسا

على سابح فرد يفوت بارب * له أربعا منها الصبا والشمائل
من الفتح خوان العنان كأنه * مع البرق سار أو مع السيل سائل

اللعين ابن اللعين لم تزل انت وابوك تبغيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الغوائل وتجهدان في اطفاء نور الله تجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتؤلبان عليه القبائل على ذلك مات ابوك وعليه خلفته والشهيد عليك من تدنى ويلجأ اليك من بقية الاحزاب ورؤساء النفاق والشاهد لعلي مع فضله المبين القديم انصاره الذين معه الذين ذكرهم الله بفضلهم واثنى عليهم من المهاجرين والانصار وهم معه كتائب وعصائب يرون الحق في اتباعه والشقاء في خلافه فكيف بالك الويل تعدل نفسك بعلي وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ووصيه وابو ولده اول الناس له اتباعا واقربهم به عهدا يخبره بسره ويطلعه على امره وانت عدوه وابن عدوه فتمتع في دنياك ما استطعت بباطلك وليمدك ابن العاص في غوايتك فكأن اجلك قد انقضى وكيدك قد وهى ثم يتبين لك لمن تكون العاقبة العليا واعلم انك انما تكايد ربك الذي آمنك كيده ويئست من روحه فهو لك بالمرصاد وانت منه في غرور والسلام على من اتبع الهدى (فكتب اليه معاوية) من معاوية بن صخر الى الزاوي

به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله مع كلام كثير لك فيه تضعيف ولا يملك فيه تعنيف ذكرت فيه فضل ابن ابي طالب وقديم سوابقه وقرابته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواساته اياه في كل هول وخوف فكان احتباجك على وعيبك لي بفضل غيرك لا بفضلك فاحمد ربا صرف هذا الفضل عنك وجعله لغيرك فقد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحقه لازما امامبرورا علينا فلما اختار الله لنبيه صلى الله عليه الصلاة والسلام ما عنده وأتم له ما وعده واظهر دعوته قابل حجته وقبضه الله اليه صلوات الله عليه كان ابوك وافور قومه اول من اجتزه حقه وخالفه على أمره على ذلك اتفاقا واتساقا ثم انهما دعواه الى بيعتهما فابطأ عنهما وتلكأ عليهما فهما به الهموم وأراد به العظيم ثم انه بايع لهما وسلم لهما وأقام الا يشركانه في امرهما ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضهما الله ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرهما فعبته انت وصاحبك حتى طمع فيه الاقاصي من اهل المعاصي فسلبتماه الغرائل واظهرتما عداوتكما حتى بلغتما فيه منا كما

وقال ابن عبد الحميد البرجي

أرح متن المهند والجواد * فقد تعبا بجدك في الجهاد
قضيت بعزمة حق العوالي * فقض براحة حق الموادي

وقال عبادة

انما الفتح هلال طالع * لاح من أزراره في فلك
خده شمس وليل شعره * من رأى الشمس بدت في حلك

وقال ابن المطرف المنجم

يرى العواقب في أثناء فكرته * كأن أفكاره بالغيب كهان
لا طرفة منه الا تحتها عمل * كالدهر لا دورة الا لها شان

وقال أبو الحسن بن اليسع

راموا ملامي وكان اغرا * وذم حبي وكان اطرا
لو علم العاذلون مابي * لانقلبت فيه لامهم را

وقال

لما قدمت وعندي * شطر من الشوق وافى
قدمت قلبي قبلي * فصنته حتى أوافى

ولما خاطب المستنصر ملك افريقية ابن سيد الناس بقوله

ما حال عينيك يا عين الزمان فقد * أورثتني حزنا من أجل عينيكا
وليس لي حيلة غير الدعاء فيا * رب براوي الصحيحين حنانيكا

أجابه الحافظ أبو المطرف بن عميرة المخزومي خدمة عن الحافظ أبي بكر بن سيد الناس

مولاي حالهما والله صالحة * لما سألت فأعلى الله حالكا
ما كان من سفر أو كان من حضر * حتى تكون الثريا دون نعليكا

وقال الاديب أبو العباس الرصافي وهو من أصحاب أبي حيان

هذا هلال الحسن أطلع بيننا * وجميعنا بجلى محاسنه شغف
لما رأى طل العذار بخده * ماء النعيم أتى اليه ليرتشف
فكأن ذاك الخد أنكر أمره * فاحمر من حنق عليه وقال قف

وقال

وعشية نعمت بها أرواحنا * والخمر قد أخذت هنالك حقها
وكأنما ابريقنا لما جثا * ألقى حديثا للكؤس وقهقها

وقال الامام الحافظ أبو الربيع بن سالم

كأنما ابريقنا عاشق * كل عن الخطو فما أعمله
غازل من كاسي حبيباله * فكلما قبله أخجله

وقال أبو القاسم بن الابرش

رأيت ثلاثة تحكي ثلاثا * اذا ما كنت في التشبيه تنصف
فتجوا النيل منفعة وحسنا * وشنتر ين مصر وأنت يوسف

وقال في غريق وقيل انه مما تمثل به

الحمد لله على كل حال * قد أطفأ الماء سراج الجمال
أطفأه ما كان محياله * قد يطفئ الزيت ضياء الزبال

وهو القائل لولم يكن لي آباء أسود بهم * ولم يؤسس رجال الغرب لي شرفا
ولم أنل عند ملك العصر منزلة * لكان في سيبويه الفخر لي وكفى
فكيف علم ومجد قد جمعتهما * وكل مختلق في مثل ذا وقفا

وقال أبو الحسن بن حريق

أصبحت تدبير مصرا كاسمها * وأبو يوسف فيها يوسفا

وقال أبو القاسم بن العطار الاشبيلي في بعض الهوزنيين وقد غرق في نهر طليرة عند فتحها

ولما رأوا أن لا مقر لسيفه * سوى هامهم لاذوا بأجرامهم
فكان من النهر المعين معينهم * ومن ثم السدا الحسام المثلم
فيا عجبا للبحر غالته نطفة * وللاسد الضرغام أرداه أرقم

وقال أبو العباس اللص

وقائلة والضنا شامل * علام سهرت ولم ترقد
وقد ذاب جسمك فوق الفرا * ش حتى خفيت على العوّد
فقلت وكيف أرى نائما * ورائي المنية بالمرصد

ولما قرئ عليه ديوان أبي تمام ومر فيه وصف سيف قال أنا أشعر منه حيث أقول

تراه في غداة الغيم شمسا * وفي الظلماء نجما أو ذبالا
يروعهم معاينة ووهما * ولو ناموا لروّعهم خيالا

وقال أبو اسحق الالبيري

تمر لداتي واحدا بعد واحد * وأعلم اني بعدهم غير خالد
وأحمل موتاهم وأشهد دفنهم * كاني بعيد عنهم غير شاهد
فها أنا في علمي لهم وجهالتي * كسيقة ظير تربو بمقلة راقد

قيل ولو قال في البيت الثاني كاني عنهم غائب غير شاهد لكان أحسن وأبدع وأبرع في الصناعة الشعرية قاله ابن الابار رحمه الله تعالى * وقال الوزير أبو الوليد بن مسلمة

اذا خانك الرزق في بلدة * ووافاك من همها ما كثر
ففتاح رزقك في بلدة * سواها فردها تنل ما يسر
كذا المبهمات بوسط الكتا * ب مفتاحها أبدا في الطرر

وقال أبو الطاهر اسمعيل الخشني الجياني المعروف بابن أبي راكب وقيل ان أخاه الاستاذ أبا بكر هو المعروف بذلك

يقول الناس في مثل * تذكر غائبا تره
فما لي لا أرى سكني * ولا انسى تذكره

وأنشد أبو المعالي الاشبيلي الواعظ بمسجد رحبة القاضي من بلنسية أبياتا منها

أنا في الغربة أبكي * ما بكت عين غريب
لم أكن يوم خروجي * من بلادي بمصيب

الجبال بحلمه لا يلين عن قسر قناته ولا يدرك ذو مقال اناته مهد مهاده و بنى لملكه وشاده فان بك ما نحن فيه صوابا فابوك استبد به ونحن شركاؤه ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ولسلمنا اليه ولكنا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فاخذنا بمثله فعاب اباك بما بدا لك أو دع ذلك والسلام على من اناب

(ومما كتب به معاوية الى علي) أما بعد فلو علمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وانا وان كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نرد به ما مضى ونصلح به ما بقي وقد كنت سألتك الشأم على ان لا تلزمني لك طاعة وأنا أدعوك اليوم الى ما دعوتك اليه أمس فانك لا ترجو من البقاء الا ما أرجو ولا تخاف من القتال الا ما أخاف وقد والله رقت الاجناد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل يستذل به عزيز ويسترق به حر والسلام

(فكتب اليه على كرم الله وجهه) من علي بن ابي طالب

٥١ ط نى الى معاوية بن ابى سفيان اما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر فيه انك لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت

عجبا لى ولتركى * وطنا فيه حبيبى

وقال أبو القاسم بن الانقر السرقسطى

احفظ لسانك والجوارح كلها * فلكل جارحة عليك لسان
واخزن لسانك ما استطعت فانه * ليث هصور والكلام سنان

وقال أبو القاسم خلف بن يحيى بن خطاب الزاهد مما نسبه لابى وهب الزاهد

قد تخيرت أن أكون مخفا * ليس لى من مطيهم غير رجلى
فاذا كنت بين ركب فقالوا * قدموا للرحيل قدمت نعلى
حيثما كنت لا أخلف رحلا * من رآنى فقد رآنى ورحلى

وقال أبو عبد الله بن محمد بن فتح الانصارى الثغرى

كم من قوى قوى فى تقلبه * مهذب الرأى عنه الرزق ينحرف
ومن ضعيف ضعيف الرأى مختبل * كأنه من خليج البحر يغترف

وقال أبو القاسم محمد بن نصير الكاتب

مضت أعمارنا ومضت سنونا * فلم نظفر بذى ثقة يدان
وجربنا الزمان فلم يفدنا * سوى التخويف من أهل الزمان

وحكى عن الفقيه الاديب النحوى ابى عبد الله محمد بن ميمون الحسينى قال كانت لى فى صبوتى جارية وكنت مغرى بها وكان أبى رحمه الله تعالى يعذلنى فيها ويعرض لى ببيعها لانها كانت تشغلنى عن الطلب والبحث عليه فكان عذله يزيدنى اغراء بها فرأيت ليلة فى المنام كان رجلا أتينى فى زى أهل المشرق كل ثيابه بيض وكان يلقى فى نفسى انه الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما وكان ينشدنى

تصبوا لى محى ومحى لاتنى * تزهو بحلوالك التى لاتنقضى
وخذ ارك القوم الالى مامتهم * الا امام أو وصى أونبى
فاثن عنانك للهدى عن ذى الهوى * وخف الاله عليك ويحك وارعوى

قال فانتبهت فزعا مفكرا فيما رأيته فسألت الجارية هل كان لها اسم قبل أن تتسمى بالاسم الذى أعرفه فقالت لاثم عاودتها حتى ذكرت انها كانت تسمى مية فبعتها حينئذ وعلمت انه وعظ وعظنى الله به عز وجل وبشرى * وقال ابن الحداد أول قصيدته حديقة الحقيقة

ذهب الناس فانفرادى أنيسى * وكتابى محدثى وجليسى
صاحب قد أمنت منه ملالا * واختلالا وكل خلق بئيس
ليس فى نوعه مجىء ولكن * يلتقى الحى منه بالمرموس

وقال بعض أهل الجزيرة الخضراء

ألحاظكم تجرحنا فى الحشا * ولحظنا يجرحكم فى الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فالذى أوجب جرح الصدود

وقال ابن النعمة انهما لابن شرف وقد ذكرناهما مع جوابهما فى غير هذا الموضع * وقال المعتمد بن عباد

لم يجنها بعضنا على بعض وانا
أعطيك اليوم ما منعتك امس واما استواؤنا فى الخوف والرجاء فلست بأمضى على الشك منى على اليقين وليس أهل الشأم على الدنيا بأحرص من أهل العراق على الآخرة واما قولك نحن بنو عبد مناف فكذلك نحن وليس اميه كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كابى طالب ولا الطليق كالمهاجر ولا المبطل كالمحق وفى ايدينا فضل النبوة التى قتلنا بها العزيز ويعنيها الحر والسلام (وحدث) أبو جعفر محمد ابن جرير الطبرى عن محمد ابن حميد الرازى عن أبى مجاهد عن محمد بن اسحق ابن ابى نجيح قال لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد فلما فرغ انصرف معاوية الى دار الندوة فأجلسه معه على سريره ووقع معاوية فى على وشرع فى سبه فزحف سعد ثم قال أجلستنى معك على سريرك ثم شرعت فى سب على والله لأن يكون فى خصلة واحدة من خصال كانت لعلى أحب الى من ان يكون لى ما طلعت عليه الشمس والله لأن أكون صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم لى من الولد ما لعلى احب الى من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس

اقنع بحظك في دنياك ما كانا * وعز نفسك ان فارقت أوطانا
في الله من كل مفقود مضى عوض * فأشعر القلب سلوانا وايمانا
أكلما سخت ذكرى طربت لها * جحت دموعك في خديك طوفانا
أما سمعت بسلطان شبيهك قد * بزته سود خطوب الدهر سلطانا
وطن على الكره وارقب اثره فرجا * واستغنم الله تغنم منه غفرانا

وقال أبو عامر البرياني في الصنم الذي بشاطبة

بقية من بقايا الروم معجبة * أبدى الثبات بها من علمهم حكما
لم أدر ما أضمروا فيه سوى أمم * تتابعت بعد سموه لنا صنما
كالمبرد الفرد ما أخطا مشبهه * حقا لقد برد الايام والامما
كأنه واعظ طال الوقوف به * مما يحدث عن عاد وعن ارما
فانظر الى حجر صلد يكلمنا * أسمى وأوعظ من قس لمن فهما

قيل لو قال مكان حكما علما لاحسن * وقال السميسر

اذا شئت ابقاء أحوالكا * فلا تحرجاها على بالكا
وكن كالطريق لمحتازها * يمر وأنت على حالكا

وقال

هن اذا نالت حظا * فاخوالعقل يهون
فتى حظك دهر * فكما كنت تكون

وقال أبو الربيع بن سالم الكلاعي أنشدني أبو محمد الشلبي أنشدني أبو بكر بن مخلل لنفسه

مضت لي ست بعد سبعين حجة * ولي حركات بعدها وسكون
فيالیت شعري أين أو كيف أو متى * يكون الذي لابد أن سيكون

وقال أبو محمد عبد الحق الاشبيلي

لايخدعنك عن دين الهدى نفر * لم يرزقوا في التماس الحق تأييدا
عمي القلوب عموا عن كل فائدة * لانهم كفروا بالله تقليدا

وقال أبو محمد بن صارة

بنو الدنيا يجهل عظموها * فعزت عندهم وهي الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على العقيره

وقال

اسعد بمالك في الحياة ولا تكن * تبقي عليه حذار فقر حادث
فالبخل بين الحادثين وانما * مال البخيل لحادث أو وارث

ودخل أبو محمد الطائي القرطبي على القاضي أبي الوليد بن رشد فأنشده ارتجالا

قد قام لي السيد الهمام * قاضي قضاة الورى الامام
فقلت قم بي ولا تقم لي * فقلما يؤكل القيام

وقال الحافظ أبو محمد بن حزم

لا تلمني لان سبقت لحظ * فات ادراكه ذوي الالباب
يسبق الكلب وثبة الليث في العد * ويعلو النخال فوق اللباب

السيد محمد الحميري سائل قريشا بها ان كنت ذا عمه * من كان أثبتها في الدين اوتادا

ورسوله ويحب الله ورسوله ليس بفرار يفتح الله على يديه احب الي من ان يكون لي ما طلعت عليه الشمس والله لأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ما قال له في غزوة تبوك الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبي بعدي احب الي من ان يكون لي ما طلعت عليه الشمس وايم الله لا دخلت لك دارا ما بقيت ونهض (ووجدت) في وجه آخر من الروايات وذلك في كتاب علي بن محمد بن سليمان النوفلي في الاخبار عن ابن عائشة وغيره أن سعدا لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضرط له معاوية وقال له اقعد حتى تسمع جواب ما قلت ما كنت عندي قط الا أم منك الآن فهلا نصرته ولم قعدت عن بيعته فاني لو سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم مثل الذي سمعت فيه لكنت خادما له على ما عشت فقال سعد والله اني لاحق بموضعك منك فقال معاوية يأبى عليك بنو عذرة وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة فقال النوفلي وفي ذلك يقول

من كان يقدم فى الهيجاء ان نكلوا
عنها وان يخلوا فى أزمة جادا
من كان أعدلها حكما وأقسطها
علما وأصدقها وعدا وابعادا
ان يصدقوك فلم يعدوا أبا حسن
ان أنت لم تلق للابرار حسادا
ان أنت لم تلق من تيم أخا صلف
ومن عدى لحق الله جحادا
أو من بنى عامر أو من بنى أسد
رهط العبيد ذوى جهل وأوغادا
أو رهط سعد وسعد كان قد علموا
عن مستقيم صراط الله صدادا
قوم تداعوا زنيما ثم سادهم
لولا تحول بنى زهر لما سادا
وكان سعد واسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ومحمد بن سلمة ممن قعد عن على بن أبى طالب وأبوا أن يبايعوه هم وغيرهم ممن ذكرنا من القعاد عن بيعته وذلك انهم قالوا انها فتنة ومنهم من قال لعلى أعطنا سيوفا نقاتل بها معك فاذا ضربنا بها المؤمنين لم تعمل فيهم ونبت عن أجسامهم واذا

وقال أبو عبد الله الجبلى الطبيب القرطبى

اشدد يديك على كلب ظفرت به * ولا تدعه فان الناس قد ماتوا

قلت تذكرت بهذا قول الآخر

اشدد يديك بكلب ان ظفرت به * فأكثر الناس قد صاروا خنازيرا

وقال محمد بن عبد الله الخضرمى مولى بنى أمية

عاشر الناس بالجميل وسدد وقارب
واحترس من أذى الكرا * م وجد بالمواهب
لا يسود الجميع من * لم يقم بالنوائب
ويحوط الاذى ويرعى ذمام الاقارب
لا تواصل الا الشريف الكريم المناصب
من له خير شاهد * وله خير غائب
واجتنب وصل كل وغد دنى المكاسب

وقال الكاتب الحافظ أبو عبد الله بن الابار

لله نهر كالحباب * ترقيشه سامى الحباب
يصف السماء صفاوة * فحصاه ليس بذى احتجاب
وكأنما هو رقة * من خالص الذهب المذاب
غارت على شطيه أيـ * ـكار المنى عصر الشباب
والظل يبدو فوقه * كالخال فى خد الكعاب
لا بل أدار عليه خمـ * ـر فى الشمس منه كالنقاب
مثل الجمرة جر فيـ * ـها ذيله جون السحاب

وقال

شتى محاسنه فمن زهر على * نهر تسلسل كالحباب تسلسلا
غربت به شمس الظهيرة لا تنى * احراق صفحته فيبدو مشعلا
حتى كساه الدوح من أفنانه * بردا يزين فى الاصيل مسلسلا
وكأنما لمع الظلال بمتنه * قطع الدماء جمدن حين تحللا

وقال يمدح المستنصر صاحب افريقية

ان البشائر كلها جمعت * للدين والدنيا وللامم
فى نعمتين جسيمتين هما * برء الامام وبيعة الحرم

قال ابن الابار واخبرنى بعض اصحابنا يعنى ابا عمرو بن عبد الغنى انه انشدهما الخليفة فسبقه الى عجز البيت الثانى فقلت له على البديهة

فخر لشعرى على الاشعار يحفظه * خليفة الله كان الله حافظه

واشار بقوله بيعة الحرم الى ماذكره ابن خلدون وغيره واحد من المؤرخين ان اهل مكة خطبوا للمستنصر صاحب تونس بعرفة وكتبوا له بيعة من انشاء ابن سبعين المتصوف وقد ذكر ابن خلدون نص البيعة فى ترجمة المستنصر فليراجعها من أرادها * وقال ابن الابار

ألا اسمع في الامير مقال صدق * وخذه عن امرئ خدم الاميرا
متى يكتب ترد وشلا اجاجا * وان يركب ترد عذبا غديرا

وقال يحيى التجاني

أيها الصاحب الصفي مباح * لك عني فيما نصصت الروايه
ان عناني اسعاف قصدك فيها * فلكم لم تزل بها ذا عنايه
ولها شرطها فحافظ عليه * ثم كافئ وصيتي بالكفايه
وتحام الاخلال جهدك لاقيت من الله عصمة وحمايه

ونص استدعاء التجاني

ان رأى سيدي الذي حاز في العلم مع الحلم والعلا كل غايه
وحوى المجد عن جدود كرام * كلهم في السماح والفضل آيه
أن أرى عنه بالاجازة أروى * كل ما فيه لي تصح الروايه
من حديث وكل نظم ونثر * وفنون له بهن درايه
فله في ذاك الثواب من الله ومنا الثناء دون نهايه
دام في رفعة وعز وسعد * وأمان ومكنة وحمايه
ما تولى جيش الظلام هزيما * وعلت للصباح في الافق رايه

ولابن الابار ترجمة واسعة ذكرتها في أزهار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض فلتراجع فيه * وأما التجاني أبو عبد الله هذا المذكور فقد وصفه قريبه أبو الفضل محمد حفيد عمه في كتابه الحلى التيجانيه قال ابن رشيد وجمعه باسمنا حفظه الله تعالى وشكره وقال في موضع آخر انه باسمه واسم صاحبه الوزير ابن الحكيم رحمهما الله تعالى انتهى * وقال ابن مفوز أبو الحسين

اذا عرتك عيلة * يعجز عنها ما تجد
فلتقتصد فانه * ما عال قط مقتصد

وقال حاز دنياه كلها * محرزا أكبر المنن
من حوى قوت يومه * آمنا سالم البدن

وقال أعن أخاك في الذي * يأمله ويرتجيه
فالله في عون الفتى * ما كان في عون أخيه

وقال أنفس ما أودعته * قلبك ذكرى موقظه
وخير ما أتلفته * مال أفاد موعظه

وقال أبو البركات القميحي أنشدنا أبو العباس بن مكنون وقد رأى اهتزاز الثمار وتمايلها مرتجلا

حارت عقول الناس في ابداعها * ألسكرها أم شكرها تتأود
فيقول ارباب البطالة تنثني * ويقول أرباب الحقيقة تسجد

قال الشيخ أبو البركات القميحي قلت لابن مكنون ما الذي يدل على انهما في وصف الثمار فقال وطيء أنت لهما فقلت

معرضون (وذكر) أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره من الاخباريين ان الامر لما أفضى الى معاوية أتاه أبو الطفيل الكناني فقال له كيف وجدك على خليلك أبي الحسن قال كوجد أم موسى على موسى وأشكو الى الله التقصير فقال معاوية أكنت فيمن حضر قتل عثمان قال لا ولكني فيمن حضر فلم ينصره قال فما منعك من ذلك وقد كانت نصرته عليك واجبة قال منعني ما منعك اذ تربص به ريب المنون وأنت بالشام قال أوما ترى طلبي بدمه نصرة له قال بلى ولكنك واياه كما قال الجعدي

لا الفينك بعد الموت تندبني * وفي حياتي ما زودتني زادا

ودخل على معاوية ضرار ابن الخطاب فقال له كيف حزنك على أبي الحسن قال حزن من ذبح ولدها على صدرها فما ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها (ومما جرى) بين معاوية وبين قيس بن سعد بن عبادة حين كان عاملا على مصر فكتب اليه معاوية أما بعد فانك

يا من أتى متنزها في روضة * أزهارها من حسنها تتوقد
انظر الى الاشجار في دوحاتها * والريح تنسف والطيور تغرد
فترى الغصون تمايلت أطرافها * وترى الطيور على الغصون تعربد

قال ابن رشيد غلط المذكور في نسبته البيتين لابن مكنون وانما هما لابي زيد الفازازي من قصيدة أولها

نعم الاله بشكره تتقيد * فالله يشكر في النوال ويحمد
مدت اليه أكفنا محتاجة * فأنالها من جوده ما تعهد

والبيتان في أثنائها غير أن أولهما في ديوانه هكذا تاهت عقول الناس في حركاتها انتهى ورأيت في روضة التعريف للسان الدين بعدهما بيتا ثالثا وهو

واذا أردت الجمع بينهما فقل * في شكر خالقها تقوم وتقعد انتهى

وحكى أن حافظ الاندلس امام الادباء ورئيس المؤلفين حسنة الزمان نادرة الاحسان أبا محمد عبد الله بن ابراهيم الصنهاجي الجزاري صاحب كتاب المسهب كان سبب اتصاله بعبد الملك بن سعيد جد علي بن موسى صاحب المغرب أنه وفد عليه في قلعته فلما وقف ببابه وهو يزيد اوة ازدراه البوابون فقال لهم استأذنوا لي على القائد فضحكوا به وقالوا له ما كان وجد القائد من يدخل عليه في هذه الساعة الا أنت فذيده الى دواة في خزامه وسحاءة وكتب بها بباب القائد الاعلى لازال آهلا بأهل الفضيلة رجل وفد عليه من شلب بقصيدة مطلعها

عليك أحالني الذكر الجميل * فان رأى سيدي أن يحجب من بلده شلب ومن قصيده هذا فهو أعلم بما يأتي ويذر ولا عتب على القدر ورغب الى احد غلمانه فأوصل الورقة فلما وقف عليها القائد قال من شلب بلده وهذا مطلع قصيدته ما لهذا الشأن ولعله الوزير ابن عمار وقد نشر الى الدنيا عجلوا بالاذن له فأذن له فدخل وبقي واقفا لم يسلم ولا كلم احدا فاستثقله الحاضرون واستبردوا مقصده ونسبوه للجهل وسوء الادب فقال له احدهم مالك لا تسلم على القائد وتدخل مداخل الادباء والشعراء فقال حتى أخجل جميعكم قدر ما أخجلتموني على الباب مع أقوام أنذال وأعلم أيضا من هو الكثير الفضول من أصحاب القائد أعزه الله تعالى فأكون أنقيه ان قدر لي خدمته فقال له عبد الملك أتأخذنا بما فعل السفهاء منا قال لا والله بل أغفر لك ذنوب الدهر أجمع وانما هي أسباب نقصدها التحاور بها مثلك اعزك الله تعالى ويتمكن التأنيس وينحل قيد الهيبة ثم انشد من راسه ولا ورقة في يده

عليك أحالني الذكر الجميل * فصح العزم واقتصر الرحيل
وودعت الحبيب بغير صبر * ولم اسمع لما قال العذول
واسبلت الظلام على سترا * ونجم الافق ناظره كليل
ولم اشك الهجير وقد دعاني * الى ارجائك الظل الظليل

وهي طويلة فأكرمه وقربه رحم الله تعالى الجميع * واهديت للمعتمد بن عباد شمعة فقال في وصفها ابو القاسم بن مرزقان الاشبيلي وهو ممن قتل في فتنة المعتمد

مدينة في شمعة صورت * قامت حماة فوق اسوارها

وما رايناقبلها روضة * تتقد النار بنوارها
تصير الليل نهارا اذا * ما اقبلت ترفل فى نارها
كانها بعض الايادى التى * تحت الدجى تسرى بأنوارها
من ملك معتمد ماجد * بلاده أوطان زوارها

وقال أبو الاصبغ بن رشيد الاشبيلى لما هطلت باشبيلية سحابة بقطر أحمر يوم السبت الثالث عشر من صفر عام أربعة وستين وخمسمائة

لقد آن للناس أن يقلعوا * ويمشوا على السنن الاقوم
متى عهد الغيث ياغافلا * كلون العقيق أو العندم
اطل الغمام فى جوها * بكت رحمة للورى بالدم

وفيها ايضا

لا تكن دائم الكآبة مما * قد غدا فى الثرى غمير انجيعا
لطم البرق صفحة المزن حتى * سال منه على الرياض نجيعا

وله فى دولاب

ومنجنون اذا دارت سمعت لها * صوتا اجش وطل الماء ينهمل
كان أقداسها ركب اذا سمعوا * منها حداء بكوا اللبين وارتحلوا

وله فيمن اسمه مالك

غزالى الجفون شقيق بدر * تبسم عن عقيق فوق در
له نفحات مسك أى مسك * له نفثات سحر أى سحر
شكوت له الهوى والهجر منه * فقال عليك باسمى سوف تدرى
تعلمت القساوة من سمى * وأحرقت القلوب بنار هجرى

وقال ابو بكر بن حجاج الغافقى فى موسى وسيم اشبيلية الذى كان شعراؤها يتغزلون فيه

من مبلغ موسى المليح رسالة * بعثت له من كافرى عشاقه
ما كان خلق راغبا عن دينه * لو لم تكن توراته من ساقه

وقال

ان الزويلى فتى شاعر * قد اعجب العالم من نظمه
وانت يا موسى قد اخترته * واختار موسى قبل من قومه

وقال

على معاذ قرون لو يعاينها * فرعون ما قال اوقدلى على الطين
قالت له عرسه اذ جاء ينكحها * ماذا دهيت به من كل عنين
هلا استعنت بميمون فقال لها * انى استعنت على نفسى بميمون

وقال ابو وهب عبد الرؤف النحوى وكان له حظ فى قرض الشعر وكان سقاطا

ليس لمن ليست له لحية * باس اذا حصلته ليسا
وصاحب اللحية مستقبح * يشبه فى طلعته التيسا
ان هبت الريح تلاهت به * وماست الريح به ميسا

وقال ابو عبد الله محمد بن يحيى القلفاط

ياغزالا عن لى فابـ ـترقلبى ثم ولى

شجاع اذا ما أمكنتنى فرصة * والا تكن لى فرصة فجبان

(وذكر أبو مخنف) لوط بن يحيى عن أبى الاغر التيمى

الله طاعة واما وصية رسول الله بنا فمن آمن به رعاها بعده وأما قولك يا أبى الحقير الغدرة فليس دون الله يد تحجزك منا يامعاوية فقال معاوية يموه ارفعوا حوائجكم وقد كان قيس بن سعد من الزهد والديانة والميل الى على بالموضع العظيم وبلغ من خوفه الله وطاعته اياه انه كان يصلى فلما أهوى للسجود اذا فى موضع سجوده ثعبان عظيم مطرق فمال عن الثعبان برأسه وسجد الى جانبه فتطوق الثعبان برقبته فلم يقصر من صلاته ولا نقص منها شيأ حتى فرغ ثم أخذ الثعبان فرمى به كذلك ذكر الحسن بن على بن عبد الله بن المغيرة عن معمر ابن خلاد عن أبى الحسن على بن موسى الرضا وقال عمرو بن العاص لمعاوية ذات يوم قد أعيانى ان أعلم أجبان أنت أم شجاع لانى أراك تتقدم حتى أقول أراد القتال ثم تتأخر حتى أقول أراد الفرار فقال له معاوية والله ما أتقدم حتى أرى التقدم غنما ولا أتأخر حتى أرى التأخر حزما كما قال القطامى

انت مني بفؤادي * يامسني نفسي اوالي

وقال احمد بن المبارك الحبيبي في الناصر قيل ان بلي عهد جده

ياعابد الرحمن فقت الورى * بهذه العلياوهذا الكرم
ماجعل الله الندى في امرئ * الاوقد جنبه كل ذم

واستدعى الوزير عبيد الله بن ادريس أبابكر أحمد بن عثمان المروانى ونادمه ليلة فلما قرب الصباح قال له أين ماتحدث عنك من حسن الشعر فهذا موضعه فقال الدواة والقرطاس فأمر له باحضارهما فجعل يفكر ويكتب الى أن أنشده هذه الابيات

بتنا ندامى صفاء يستحث لنا * في جامد الفضة التبر الذي سبكا
كل مصيخ الى ماقال صاحبه * ولايبالي أصدقا قال أم افكا
موقرون خفاف عند شربهم * ولايخافون فيما أحدثوا درکا
لاتعدمن اذا أبصرتهم فرحا * اماترى الصبح من بشر بهم ضحكا

وقال أبو محمد عبد الله المروانى في الخيري

عجبت من الخيري يكتم عرفه * نهارا ويسري بالظلام فيعرب
فتجني عروس الطيب منه يد الدجا * ويبدوله وجه الصباح فيحجب

وقال ابراهيم بن ادريس العلوى

للبين في تعذيب نفسي مذهب * ولنائبات الدهر عندي مطلب
أمادون الحادثات فانها * تأتي لوقت صادق لايكذب

وخرج الاديب النحوى هذيل الاشبيلي يوما من مجلسه فنظر الى سائل عاري الجسم وهو يرعد ويصيح الجوع والبرد فأخذ بيده ونقله الى موضع بلغته الشمس وقال له صح الجوع فقد كفاك الله مؤنة البرد * ومر المعتمد بن عباد ليلة مع وزيره ابن عمار بباب شيخ كثير التنذير والتهكم يمزج ذلك بانحراف ويضحك الثكلى فقال لابن عمار تعال نضرب على هذا الشيخ الساقط بابه حتى نضحك معه فضربا عليه الباب فقال من هذا فقال ابن عباد انسان يرغب أن تقدله هذه المتيلة فقال والله لو ضرب ابن عباد بابي في هذا الوقت مافتحته له فقال فانى ابن عباد فقال مصفوع الف صفعة فضحك ابن عباد حتى سقط الى الارض وقال لوزيره امض بنا قبل أن يتعدى الصفع من القول الى الفعل فهذا شيخ زكيك ولما كان من غد تلك الليلة وجه له ألف درهم وقال لموصلها قل له هذه حق الالف صفعة التي كانت البارحة * وكان في زمان المعتمد السارق المشهور بالبازى الاشهب وكان له في السرقة كل غريبة وكان مسلطا على أهل البادية و بلغ من سرقته أنه سرق وهو مصلوب لان ابن عباد أمر بصلبه على ممر أهل البادية لينظروا اليه فبينما هو على خشبته على تلك الحال اذ جاءت اليه زوجته و بناته وجعلن يبكين حوله و يقلن لمن تتركنا ضيعة بعدك واذا يبدوى على بغل وتحته حمل ثياب وأسباب فصاح عليه ياسيدى انظر في أي حالة أنا ولي عندك حاجة فيها فائدة لي ولك قال وماهي قال انظر الى تلك البقر لما أرهقني الشرط رميت فيها مائة دينار فعسى تحتال في اخراجها وهذه زوجتي و بناتي يمكن بغلك خلال ماتخرجها فعمد البدوى الى حبل

قال بينا انا واقف بصفين كانهما شعلتا نار أو عينا ارقم و بيده صفيحة له يمانية يقلبها واذا بنا تلوح في شفرتها وهو على فرس صعب فبينا هو يعشه ويمنعه ويلين من عريكته اذ هتف به هاتف يقال له غرادين أدهم من أهل الشام ياعباس هلم الى النزال قال فالنزول اذا فانه اياس من الحياة فنزل اليه الشامي وهو يقول

ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا
أو تنزلون فانا معشر نزل

وثنى العباس وركد وهو يقول

الله يعلم أنا لانحبكم
ولانلومكم أن لاتحبونا

ثم عصر فضلات درعه في محزمه يريد منطقته ودفع فرسه الى غلام له أسود كاني والله انظر فلا قل شعره ثم زحف كل واحد منهما الى صاحبه وكف الفريقان اعنة الخيول ينظرون مايكون من الرجلين فتكافحا بسيفيهما ملیا نهارهما لايصل واحد منهما الى صاحبه لكمال لامته الى ان لحظ العباس وهنا في درع الشامي فاهوى اليه بيده وهتكه الى تندوته ثم عاد لمجاولته وقد أفرج له عن فتق الدرع فضربه العباس ضربة انتظم بها جوانح صدره فخر الشامي لوجهه فكبر الناس

ودلى نفسه فى البئر بعدما اتفق معه على أن يأخذ النصف منها فلما حصل أسفل البئر قطعت زوجة السارق الحبل وبقى حائرا يصيح وأخذت ما كان على البغل مع بناتها وفرت به وكان ذلك فى شدة حر وما سبب الله شخصا يغيثه الا وقد غبن عن العين وخلص فتحيل ذلك الشخص مع غيره على اخراجه وسألوه عن حاله فقال هذا الفاعل الصانع احتال على حتى مضت زوجته وبناته بثيابى وأسبابى ورفعت هذه القصة الى ابن عباد فتعجب منها وأمر باحضار البازى الاشهب وقال له كيف فعلت هذا مع انك فى قبضة الهلكة فقال له ياسيدى لو علمت قدر لذتى فى السرقة خليت ملكك واشتغلت بها فلعنه وضحك منه ثم قال له ان سرحتك واحسنت اليك وأجريت عليك رزقا يقلك أتتوب من هذه الصنعة الذميمة فقال يامولاى كيف لا أقبل التوبة وهى التى تخلصنى من القتل فعاهده وقدمه على رجال أنجاد وصار من جملة حراس أحواز المدينة * ويحكى ان منصور بنى عبد المؤمن لما أراد بناء صومعة اشبيلية العظيمة الغدر احضر لها العرفاء والصناع من مظانهم فعرف بشيخ مغفل صحيح المذهب عارف بالبناء الذى يجهله كثير من الصناع فأحضر فقال له المنصور كم تقدر ان ينفق على هذه الصومعة فضحك وقال ياسيدى البنيان انما هو مثل ذكر ليس يقدر حتى يقوم فكاد المنصور يفتضح من الضحك وصرف وجهه عنه وبقيت حكايته يضحك عليها زمانا * وكان احمد المقرى المعروف بالكساد شاعرا وشاحا زجالا اشبيليا وقال فى موسى الذى تغزل فيها ابن سهل

ما لموسى قد ذخر الله لما * فاض نور أغشاه ضوء سناه
وأنا قد صعقت من نور موسى * لا أطيق الوقوف حين أراه

وقال فى رثائه

فرا الى الجنة حوريها * وارتفع الحسن من الارض
وأصبح العشاق فى مأتم * بعضهم يبكى على بعض

وقال فيه

هتف الناعى بشجو الابد * اذ نعى موسى بن عبد الصمد
ما عليهم وحدهم لو دفنوا * فى فؤادى قطعة من كبدى

ولابن سهل الاسرائيلى فى موسى هذا ما هو مثبت فى ديوانه * وكان محمد بن أحمد بن ابى بكر القرموطى المرسى من أعرف اهل الاندلس بالعلوم القديمة المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب فيلسوفا طبيبا ماهرا آية الله فى المعرفة بالاندلس يقرى الامم بألسنتهم فنونهم التى يرغبون فيها وفى تعلمها ولما تغلب طاغية الروم على مرسية عرف له حقه فبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود وقال له يوما وقد ادنى منزلته لو تنصرت وحصلت الكمال كان لك عندى كذا وكذا فأجابه بما اقنعه ولما خرج من عنده قال لاصحابه انا عمرى كله أعبد الها واحدا وقد عجزت عما يجب له فكيف حالى لو كنت اعبد ثلاثة كما طلب الملك منى انتهى * وقال ابو عبد الله محمد بن سالم القيسى الغرناطى يخاطب السلطان على ألسنة اصحابه الاطباء الذين ببابه مورية باسمائهم

قد جمعنا بابكم سطر علم * لبلوغ المنى ونيل الاراده
ومن اسمائنا لكم حسن فال * سالم ثم غالب وسعاده

ورائى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين الآية فالتفت فاذا بعلى رضى الله عنه فقال يا ابن الاغر من المبارز لعدو قاتل ابن اخيكم العباس بن ربيعة قال وانه لهو العباس قلت نعم فقال ياعباس ألم أنهك وعبد الله ابن عباس ان تحلا بمركز أو تبارز أحدا قال ان ذلك كما قلت قال على فاعد افيما بدا لك أفادعى الى البراز فلا اجيب قال طاعة امامك أولى بك من اجابة عدوك وتغيظ واستطار ثم تطامن وسكن ورفع يديه مبتهلا فقال اللهم اشكر للعباس مقامه واغفر ذنبه اللهم انى قد غفرت له فاغفر له وتأسف معاوية على غرار بن أدهم وقال متى ينطف مثل بمثله ايطل دمه لاها الله الا رجل يشرى نفسه يطلب بدم غرار فانتدب له رجلان من لخم من اهل الياس ومن صناديد الشأم فقال اذهبا فايكما قتل العباس فله مائة أوقية من التبر ومثلها من اللجين وبعددهما من برود اليمن فاتياه فدعواه الى البراز وصاحا بين الصفين ياعباس ياعباس ابرز الى الداعى فقال ان لى سيدا أريد ان أوامره فاتى عليا وهو

وقال ابو عبد الله بن عمر الاشبيلي الخطيب

وكل الى طبعه عائد * وان صده المنع عن قصده
كذا الماء من بعد اسخانه * يعود سريعا الى برده

وقال الكاتب ابو زيد عبد الرحمن العثماني لما تغير حاله باشبيلية

لا تسلني عن حالتي فهي هذى * مثل حالي لا كنت يا من يراني
ملئ الاهل والاخلاء لما * ان جفاني بعد الوصال زماني
فاعتبر بي ولا يغرك دهر * ليس منه ذو غبطة في امان

ودخل الاديب النحوي ابو عمران موسى الطبراني الى بعض الاكابر يوم نيروز وعادتهم ان يصنعوا في مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها صور مستحسنة فنظر الى مدينة اعجبته فقال له صاحب المجلس صفها وخذها فقال

مدينة مسوره * تحار فيها البصره
لم تبنها الايدا * عذراء او مخدره
بدت عروسا تجتلى * من درمك مزعفره
وما لها مفاتح * الا لبنان العشره

ورفع الى القائد أبي السرور صاحب ديوان سبتة قصيدة يعرض له فيها بزاد وقد عزم على سفر فأنعم عليه بذلك ثم أتبعه بتحف مما يكون في الديوان مما يجلبه الافرنج الى سبتة ولم يكن التمس منه ذلك ولا خطر بخاطره فكتب اليه

أيا ساقيا بالذي لم يجل * بفكري ولم يبد لي في خطاب
ويا غائصا في بحار الندى * ويا فاتحا للعلا كل باب
كذا فلتكن نعم الاكرمين * تفاجي بنيل المنى والطلاب
ولم أر اعظم من نعمة * أتتني ولم تك لي في حساب
سأشكرها شكر عهد الرضى * وأذكرها ذكر غض الشباب

وكتب مجاهد صاحب دانية الى المنصور بن أبي عامر الاصغر ملك بلنسية رقعة ولم يضمنها غير بيت الحطيئة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فأخرجت المنصور وأقامته وأقعدته فأحضر وزيره أبا عامر بن التاكرني فكتب عنه

شتمت مواليها عبيد نزار * شيم العبيد شتيمة الاحرار

فسلا المنصور عما كان فيه * ومن شعر المذكور في المنصور

انهض على اسمك انه منصور * وارم العدو فانه مقهور
ولو اعتنيت عن النهوض كفيتهم * فبذكر بأسك كلهم مذعور
ولتبلغن مدى مرادك فيهم * و يكون يوم في العدا مشهور

وقال له المنصور يوما والله لقد سئمت من هؤلاء الجند وودت الراحة منهم فقال له يصبر مولاي فلابد من الساعة فهي على حالتين اما ممن يكون أمرك اليه أو يكون أمره اليك والحمد لله

فأخبره الخبر فقال علي والله يود معاوية انه ما بقي من بني هاشم نافخ ضرمة الا طعن في جناح الميمنة يحرض الناس في بطنه اطفاء لنور الله (ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) اما والله ليملكنكم من ارجل ورجال يسومونهم سوم الخسف حتى تعفو الآثار ثم قال يا عباس ناولني سلاحك بلاحي فناوله ووثب على فرس العباس وقصد اللخميين فلم يشكا انه العباس فقالا له أذن لك صاحبك فتحرج ان يقول نعم فقال (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) وكان العباس أشبه الناس في جسمه وركوبه بعلي فبرز له احدهما فأخطاه ثم برزله الآخر فالحقه بالاول ثم أقبل وهو يقول (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) ثم قال يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحي فان عادلك احد فعد لي ونما الخبر الى معاوية فقال قبح الله اللجاج انه لعقور ما ركبته قط الا اخذلت فقال عمرو ابن العاص المخذول والله اللخميان والمغرور من غررته لا أنت المخذول قال اسكت ايها الرجل فليس هذا من شانك قال وان لم يكن رحم الله اللخميين ولا أراه يفعل قال ذلك والله أضيق لحجتك وأخسر الذي

لصفقتك قال قد علمت ذلك ولولا مصر وولايتها لركبت المنجاة منها فانى اعلم أن على بن أبى طالب على الحق وانا على ضده فقال معاوية مصر والله اعتلك ولولا مصر لافيتك بصيرا ثم ضحك معاوية ضحكا ذهب به كل مذهب قال مم تضحك يا أمير المؤمنين اضحك الله سنك قال اضحك من حضور ذهنك يوم بارزت عليا واوبدائك سوأتك اما والله يا عمرو لقد واقعت المنايا ورأيت الموت عيانا ولو شاء لقتلك ولكن أبى ابن أبى طالب فى قتلك الا تكرما فقال عمرو اما والله انى لعن يمينك حين دعاك الى البراز فاحولت عيناك وبدا سحرك وبدا منك ما اكره ذكره لك من نفسك فاضحك أودع

(وذكر ابو مخنف) لوط ابن يحيى ان معاوية برز فى بعض أيام صفين أمام الناس وكر على ميسرة على وكان على فيها فى ذلك الوقت يعبى الناس فغير على لأمته وجواده وخرج بلأمته بعض أصحابه وصمد له معاوية فلما تدانيا انتبه معاوية فغمز برجليه على جواده وعلى وراءه حتى فاته ودخل فى مصاف أهل الشام فاصاب على رجلا من مصافهم دونه ثم رجع وهو يقول

يا لهف نفسى فاتنى معاويه * فوق طمر كالعقاب الضاريه

الذى رفعه عن الحالة الاولى وقال بعض العجائبين فى رندة

قبح الرندة مثل ما * قبحت مطالعة الذنوب
بالدعلمه وحشة * ما ان يفارقه القطوب
ماحاها أحد فينـ * ـوى بعد بين أن يؤوب
لم تهاعند الضحى * الا وخيل الى الغروب
أفق أغم وساحة * تملا القلوب من الكروب

وقال حلاص الشاعر الرندى

لا تفرحن بولاية سوغتها * فالثور يعلف أشهرا كى يذبحا

وله فى بعض رؤساء الملثمين من قصيدة

ولو لم تكن كالبدر نورا وروعة * لما كنت غرا بالسحاب ملثما
وماذاك الا للنوال علامة * كذا القطر مهما الثم الافق انهمى

فاهتز الملثم وأعجبه وأمر له بكسوة وذهب * ولما ذكر أبو بكر بن عمر الرندى فى مجلس بعض الرؤساء بحضرة أبى الحسن على بن سعيد وأطنب فى الثناء عليه وعمر المجلس بشكره وأخبر بذلك أطرق ساعة ثم قال

لا تذكرن ما غاب عنى من ثنا * أطنبت فيه فليس ذلك يجهل
فتى حضرت بمجلس وجرى به * خبرى فان الذكر فيه يجمل

ولما نفى بنو ذى النون أرقم من نسبهم لانه كان ابن أمة مهينة واقعها أبو الظافر فى حال سكره ولم يكن فيهم من ينظم ويتولع بالادب غيره وولى ابنه يحيى وكان أحسد من طلعت عليه الشمس فمال على أرقم بالاذاية حتى فر عن مملكته وقال مرتجلا

لئن طبتم نفسا بترك دياركم * فنفسى عنكم بالتفرق أطيب
اذا لم يكن لى جانب فى دياركم * فما العذر لى أن لا يكون تجنب
زعمتم بأنى لست فرعا لاصلكم * فهلا علمتم أننى عنه أرغب
وحسبى اذا ما البيض لم ترع نسبة * بأنى الى سيفى ورمحى أنسب
وان مدت الايام عمرى للعلا * يشرق ذكرى فى الورى و يغرب

وكتب الوزير الكاتب أبو محمد بن سفيان الى أبى أمية بن عصام قاضى القضاة بشرق الاندلس عين زمانه فوقعت نقطة على العين فتوهمها وظن انه أبهمها واعتقدها وعددها واتقدها فقال

لا تلزمنى ما جنته يراعة * طمست بريقتها عيون ثماء
حقدت على لزامها فتحولت * أفعى تمج سمامها بسحاء
غدر الزمان وأهله عرف ولم * أسمع بغدر يراعة وإباء

وشرب المأمون بن ذى النون مع أبى بكر محمد بن أرفع رأسه الطليطلى وحفل من رؤساء ندمائه كابن لبون وابن سفيان وابن الفرج وابن المثنى فجرت مذاكرة فى ملوك الطوائف فى ذلك العصر فقال كل واحد ما عنده بحسب غرضه فقال ابن أرفع رأسه ارتجالا

دعوا الملوك وأبناء الملوك فمن * أضحى على البحر لم يشتق الى نهر
ما فى البسيطة كالمأمون ذو كرم * فانظر لتصدق ما اسمعت من خبر
يا واحدا ما على علياء مختلف * مذ جاد كفك لم تحتج الى المطر
وقد طلعت لنا شمسا فانظرت * عين الى كوكب يهدى ولا قمر
وقد بدوت لنا وسطى ملوكهم * فلم تعرج على شذر ولا درر

فدا خل ابن ذى النون من الارتياح ما ليس عليه مزيد وأمر له باحسان جزيل عتيد وقال أبو أحمد عبد المؤمن الطليطلى

رأيت حيائى قادحا فى معيشتى * ويصعب تركى للحياء ويقبح
وقد فسد الناس الذين عهدتهم * وقد طال تأنيى لمن ليس يصلح

وله ولما غدوا بالغيد فوق جمالهم * طفقت أنادى لا أطيق بهم همسا
عسى عيس من أهوى تجود بوقفة * ولو كوقوف العين لاحظت الشمسا

وقال الزاهد ابو محمد عبد الله بن الغسال

أعندكم علم بأنى متيم * والا فبالى المدامع تسجم
وما بال عينى لا تغمض ساعة * كانى فى رعى الدرارى منجم

وكان الوزير أبو جعفر الوقشى تياها معجبا بنفسه ومن شعره فى غرضه الفاسد

اذا لم أعظم قدر نفسى وانى * عليم بما حازته من عظم القدر
فغيرى معذور اذا لم يبرنى * ولا يكبر الانسان شئ سوى الكبر

وله يرومون بى غير المكان الذى له * خلقت وبعضى منكر ذاك من بعضى
فقولوا لبدر الافق يترك سماءه * ويحتل من اجل التواضع فى الارض

وقال تكبروان كنت الصغير تظاهرا * وباعدا خاصدق متى ما اشتهى قربا
وكن تابعا للهر فى حفظ أمره * الست تراه عند ما يصر الكلبا

وقال له بعض ندمائه لكه يوما صاحب جيان بن همشك يا ابا جعفر أنت جملة محاسن وفيك الادوات العلمية التى هى اهل لكل فضيلة غير انك قد قدحت فى ذلك كله بكثرة تعجبك واذا مشيت على الارض تشمئز منها فقال له كيف لا اشمئز من شئ اشترك معك فى الوطء عليه فضحك جميع من حضر من جوابه وله جوابا لمن اعتذر عن غيبته عنه

لئن الفضل فى ان لا تلوح لناظرى * وتبعدنى ما بقيت مدى الدهر
فوجهك فى لحظى كما صور الردى * ولفظك فى سمعى حديث عن الفقر
ومن حاز ما قد حزته من ركاكة * وغاب فلا يحتاج الى كلفة العذر

وله لئن يومان لم تلح لعيانى * ولئن الفضل فى زيارة شهر
ولئن الفضل فى زيارة عام * ولئن الفضل فى زيارة دهر
ولئن الفضل أن تغيب عنى * ذلك الوجه ما تطاول عمرى

وله وقد شرب على صهريج فاختنق الاسد الذى يرمى بالماء فنفخ فيه رجل أبخر فجرى

ليث بديع الشكل لا مثل له * صيغ من الماء له سلسله

تخطاك المنايا الا تموت

فاجابه عمرو

فلست بميت ما دمت حيا
واست بميت حتى تموت

(وذكر) ان معاوية لما نظر الى عساكر أهل العراق وقد أشرفت وأخذت الرجال مراتبها من الصفوف ونظر الى على على فرس أشقر حاسر الرأس يرتب الصفوف كانه يغرسهم فى الارض غرسا فيثبتون كانهم بنيان مرصوص قال لعمرو يا أبا عبد الله اما تنظر الى ابن أبى طالب وما هو عليه فقال له عمرو من طلب عظيما خاطر بعظيم وقد كان معاوية فى سنة اربعين بعث بشر ابن ارطاة فى ثلاثة آلاف حتى قدم المدينة وعليها ابو ايوب الانصارى فتنحى وجاء بشر حتى صعد المنبر وتهدد أهل المدينة بالقتل فاجابوه الى بيعة معاوية وبلغ الخبر عليا فانفذ حارثة ابن قدامة السعدى فى ألفين ووهب ابن مسعود فى ألفين ومضى بشر الى مكة ثم سار الى اليمن وكان عبد الله بن العباس بها فخرج عنها ولحق بعلى واستخلف عليها عبد الله بن عبد المدان الحرفى وخلف ابنيه عبد الرحمن وقثم عند امهما جورية بنت قارط الكنانية

بالمدينة و بين المسجدين خلقا كثيرا من خزاعة وغيرهم وكذلك بالجرف قتل بها خلقا كثيرا من رجال همذان وقتل بصنعاء خلقا كثيرا من الابناء ولم يبلغه عن أحد انه يمالئ عليا أو يهواه الا قتله ومما اليه خبر حارثة بن قدامة السعدى فهرب وظفر حارثة بابن اخى بشر مع أربعين من أهل بيته فقتلهم وكانت جويرية أم ابنى عبد الله بن العباس اللذين قتلهما بشر تدور حول البيت ناشرة شعرها وهى من أجل الناس وهى تقول ترثيهما

هما من أحس من ابنى اللذين هما
كالدرتين تشظى عنهما الصدف
هما من أحس من ابنى اللذين هما
مخ العظام فمخى اليوم مزدهف
نبئت بشرا وما صدقت ما زعموا
من قولهم ومن الافك الذى وصفوا

يقذف بالماء على حينه * كأنه عاف الذى قبله

وقال أبو الوليد هشام الوقشى

برح بى أن علوم الورى * اثنان ما ان فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها * و باطل تحصيله لا يفيد

وقال

وفاره يركبه فاره * مر بنا فى يده صعده
سنانها مشتمل لحظه * وقدها منتحل قده
يزحف للسالك فى جحفل * من حسنه وهو يرى وحده
قلت لنفسى حين مدت لها الآمال والآمال ممتده
لا تطمعى فيه كما الشمس لا * يطمع فى تدنيسه حده

وقال

عجبا للمدام ما اذا استعارت * من سجايا معذبى وصفاته
طيب أنفاسه وطعم ثنايا * ه وشكر العقول من لحظاته
وسناوجهه وتوريد خديـ * ـه ولطف الديباج من بشراته
والتداوى منها بها لك التداوى * برضا من هويت من سطواته
وهى من بعد ذا على حرام * مثل تحريمه جنى رشفاته

ومن تأليفه نكت الكامل للمبرد وقد مر ذكر هذا الرجل الفرد قبل هذا وحضر يوما مجلس ابن ذى النون فقدم نوع من الحلوى يعرف بآذان القاضى فتهافت جماعة من خواصه عليها يقصدون التنديز فيه وجعلوا يكثرون من أكلها وكان فيما قدم من الفاكهة طبق فيه نوع يسمى عيون البقر فقال له المأمون يا قاضى أرى هؤلاء يأكلون أذنيك فقال وأنا أيضا آكل عيونهم وكشف عن الطبق وجعل يأكل منه وكان هذا من الاتفاق الغريب *وكان الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبى جعفر الوقشى آية الله فى الظرف وكيف لا ووالده الوزير أبو جعفر وصهره أبو الحسين بن جبير وشيخه فى علم الموسيقى والتهذيب والظرف والتدريب أبو الحسين بن الحسن بن الحاسب شيخ هذه الطريقة وقد رزق أبو الحسين المذكور فيها ذوقا مع صوت بديع أشهى من الكاس للخليع قال أبو عمران بن سعيد ما سمعته الا تذكرت قول الرصافى

ومطارح مما تجس بنانه * لحنا أفاض عليه ماء وقاره
يثنى الحمام فلا يروح لوكره * طربا ورزق بنيه فى منقاره

وكنت أرتاح الى لقائه ارتياح العليل الى شفائه ولم أزل أقرع بابا بابا واخرق للاتصال حجابا حجابا حتى هجمت مع شفيع لا يرد عليه وجلست بين يديه فحينئذ حرضه حسبه على الاكرام وتلقى بما اوسع من البشر والسلام وقال ليعلم سيدى انى كنت اود الناس فى لقائه واجهم فى اخائه والحمد لله الذى جعلنى انشد

وليس الذى يستتبع الويل رائدا * كمن جاءه فى داره رائد الويل

ثم قام الى خزانته فأخرج منها عود غناء يطرب دون ان تجس اوتاره وتلحن اشعاره واندفع يغنى دون ان اسأله ذلك ولا اتجشم تكليفه الدخول فى تلك المسالك

أنحى على ودجى ابنى مرهفة * مشحوذة وكذاك الاثم يقترف

(وذكر الواقدى) قال دخل عمرو بن العاص يوما على

المؤمنين ما بقى مما تستلذه
فقال اما النساء فلا أرب
لى فيهن وأما الثياب فقد
لبست من لينها وجيدها
حتى وهى بها جلدى فما
ادرى أيها ألين وأما الطعام
فقد أكلت من لينه وطيبه
حتى ما أدرى ايه الذ واطيب
وانا الطيب فقد دخل
خياشيمى منه حتى ما أدرى
ايه اطيب فاشئ الذ عندى
من شراب بارد فى يوم
صائف ومن أن أنظر الى
بنى وبنى بنى يدورون حولى
فما بقى منك يا عمرو قال
مال أغرسه فاصيب من
ثمرته ومن غلته فالتفت
معاوية الى وردان فقال
ما بقى منك يا وردان قال
صنيعة كريمة سنية أعقلها
فى اعناق قوم ذوى فضل
واخطار لا يكافؤنى بها
حتى القى الله تعالى
وتكون لعقبى فى اعقابهم
بعدى فقال معاوية تبا
لمجلستنا سائر اليوم ان هذا
العبد غلبنى وغلبك وفى
سنة ثلاث وار بعين مات
عمرو بن العاص بن وائل
ابن سهم بن سعيد بن سعد
بمصر وله تسعون سنة
وكانت ولايته مصر عشر
سنين وأربعة أشهر
ولما حضرته الوفاة قال اللهم لا براءة لى فأعتذر ولا قوة لى فانتصر امرتنا فعصينا ونهيتنا فركبنا اللهم بما

ومازلت ارجو فى الزمان لقاءكم * فقد يسر الرحمن ما كنت ارتجى
فذكركم مازلت اتلوه دائبا * اذا ذكروا ما بين سلمى ومنعج

فلما فرغ من استهلاله وعمله قبلت راسه وقلت له لا ادرى علام اشكرك قبل هل على تعجيلك بما لم تدعنى اسالك فى شأنه ام على ما تفردت باحسانه فما هذا الصوت قال هذا نشيد خسروان من الحيرى قال وانشدنى لنفسه

حننت الى صوت النواعير سحرة * فاضحى فؤادى لا يقر ولا يهدا
وفاضت دموعى مثل فيض دموعها * اطارحها اثلاث الصبابة والوجدا
وزاد غرامى حين أكثر عاذلى * فقلت له اقصر ولا تقدح الزندا
اهيم بهم فى كل وادصبابة * وازداد مع طول البعاد لهم ودا

وانشدنى لنفسه

ولقد مررت على المنازل بعدهم * ابكى واسأل عنهم وانوح
واقول ان سألوا بحالى فى النوى * ماحال جسم فارقته الروح

وقال وكتب الى

ياحسرة ما قضت من لذة وطرا * اين الزمان الذى يرجى به الخلف
ابكيك ملء جفونى ثم يرجعنى * الى التصبر انى سوف انصرف

قال ابو عمران وكنت فى ايام الفتنة اذا ركنت الى الآمال هولت على نفسى ما القى من اهوالها بقولى مع خاطرى * اين الزمان الذى يرجى به الخلف * انتهى * وكان ابو الحسين على بن الحمارة ممن برع فى الالحان وعلمها وهو من اهل غرناطة واشتهر عنه انه كان يعمد الى الشعراء فيقطع العود بيده ثم يصنع منه عودا للغناء و ينظم الشعر و يلحنه و يغنى به فيطرب سامعيه ومن شعره قوله

اذا ظن وكرا مقلتى طائر الكرى * راى هدبها فارتاع خوف الحبائل

وقال بعض العلماء فى حقه انه آخر افلاسفة الاندلس قال واعجب ما وقع له فى الشعر انه دخل سلا وقد فرغ ابن عشرة من بناء قصره والشعراء تنشده فى ذلك فارتجل ابن الحمارة هذين البيتين وانشدهما بعدهم

ياواحد الناس قد شيدت واحدة * فحل فيها محل الشمس فى الحمل
فما كدارك فى الدنيا الذى املا * ولا كدارك فى الاخرى لذى عمل

وسيأتى ذكر هذين البيتين * وكان اهل الاندلس فى غاية الاستحضار للمسائل العلمية على البديهة قال ابن مسرى أملى علينا ابن المناصف النحوى بدانية على قول سيبويه هذا باب ما الكلام العربية عشرين كراسا بسط القول فيها فى مائة وثلاثين وجها انتهى وهذا وأشباهه يكفيك فى تبحر أهل الاندلس فى العلم ور بما سئل العالم منهم عن المسئلة التى يحتاج فى جوابها الى مطالعة ونظر فلم يحتج الى ذلك و يذكر من فكره ما لا يحتاج معه الى زيادة * (ومن الحكايات فى مثل ذلك أن الاديب البليغ الحافظ أبا بكر بن جبيش لما قال فى تخميسه المشهور بما ذا على كل من الحق أوجبت اعترض عليه أبو زكريا اليفرنى بما

بما نصه استعمل الخمس ماذا فى البيت تكثيرا وخبرا والمعروف من كلام العرب استعمالها استفهاما فجاء به بقوله أما استعمالها استفهاما كما قال فكثير لا يحتاج الى شاهد وأما استعمالها فى ألسن فصحاء العرب للكثرة فكثير لا يحتاج الى شاهد لو وصل بحث واستعمل مكث فلم يعترض على ولى ولا تشكك فى جلى

وليس يصح فى الافهام شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

قال الله تعالى فى سورة يونس قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ووقع فى صحيح البخارى فى رثاء المقتولين من المشركين يوم بدر

وماذا بالقليب قليب بدر * من الفتيان والشرب الكرام

وماذا بالقليب قليب بدر * من الشيزى تكلل بالسنام

وفى السير فى رثاء المذكورين أيضا

ماذا ببدر فالعقنقل من مراز به جماجم

وهذا الشعر لأمية بن أبى الصلت الثقفى ووقع فى الاغانى للوليد بن يزيد يرثى نديما له يعرف بابن الطويل

لله قبر ضمنت * فيه عظام ابن الطويل

ماذا تضمن اذ ثوى * فيه من الرأى الاصيل

والخبر طويل وأجلى من هذا وأعلى وأحق بكل تقديم وأولى ولكن الواو لا تفيد رتبه ولا تتضمن نسبه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا أنزل الليلة من الفتن وهو فى الصحاح ووقع فى الحماسة وقد أجمعوا على الاستشهاد بكل ما فيها

ماذا أجال وثيرة بن سماك * من دمع باكية عليه وباك

وفى الحماسة أيضا واظنها لابى دهبل

ماذا رزئنا غداة الحل من زمع * عند التفرق من خيم ومن كرم

ووقع فى نوادر القالى لكعب بن سعد الغنوى يرثى أخاه أبا المغوار

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا * وماذا يرد الليل حين يؤوب

ووقع فى شعر الخنساء ترثى أخاها صخرا

ألا تبكيان أم الذين غدوا به * الى القبر ماذا يحملون الى القبر

وماذا يوارى القبر تحت ترابه * من الجود فى بؤسى الحوادث والدهر

وبجر يروه وفى الحماسة

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك لا يزال معينا

غيض من عبراتهن وقلن لى * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وفى الحماسة ايضا * ماذا من البعدين البخل والجود * ووقع فى الحماسة أيضا وهو لامرأة

هوت أمهم ماذا بهم يوم صرعوا * بجيشان من أسباب مجد تصرما

اراد ت ماذا تصرم لهم يوم صرعوا بجيشان من أسباب مجد تصرما ومما يستظهر به قول أبى الطيب المتنبى

اصبعه فى فيه حتى مات وصلى عليه ابنه عبد الله يوم الفطر فبدأ بالصلاة عليه قبل صلاة العيد ثم صلى بالناس بعد ذلك صلاة العيد وكان ابو موسى المستهزئين وفيه نزلت ان شانئك هو الابتر (وولى معاوية) ابنه عبد الله بن عمر وما كان لابيه وخلف عمرو من العين ثلثمائة الف دينار وخمسة وعشرين الف دينار ومن الورق الفى الف درهم وضيعته المعروفة بالرهط قيمتها عشرة آلاف درهم وفيه يقول ابن الزبير الاسدى الشاعر من ابيات المتران الدهر اخنت صروفه

على عمرو السهمى تجبى له مصر

فلم يغن عنه حزمه واحتياله

ولا جمعه لما اتيح له الدهر

وامسى مقيما بالعراء وضلت

مكايده عنه واموا له الدثر

وفى سنة خمس واربعين ولى معاوية زيادا ابن ابيه البصرة واعمالها وقال لما دخلها

الارب مسرور بما لا يسره

وآخر محزون بما لا يضره

وقد كان معاوية عزل فى هذه السنة شقران بن عوف العامرى وأمر أن يبلغ الطوانة فاصيب معه خلق من الناس فعم الناس الحزن بمن أصيب بارض الروم وبلغ معاوية أن

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها * انى بما أنا باك منه محسود

وقوله أيضا

وماذا بمصر من المضحكات * ولكنه ضحك كالبكاء

ومن ملح المتأخرين كان بمرسية أبو جعفر المذكور فى المطمع وكان يلقب بالبقيرة فقال فيه بعض أهل عصره

قالوا البقيرة يهجونا فقلت لهم * ماذا دهيت به حتى من البقر
هذا وليس بثور بل هو ابنته * وأين منزلة الانثى من الذكر

وأنشد صاحب الزهر ولا أذكر قائله

ماذا لقيت من المستعربين ومن * قياس قولهم هذا الذى ابتدعوا
ان قلت قافية بكرا يكون لها * معنى يخالف ما قالوا وما وضعوا
قالوا الحنت وهذا الحرف منتصب * وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وضربوا بين عبد الله واجتهدوا * و بين زيد فطال الضرب والوجع

وقال صاحب الزهر أنشد أبو حاتم ولم يسم قائله

ألا فى سبيل الله ماذا تضمنت * بطون الثرى واستودع البلد القفر

هذا ما حضر بفضل الله من الاستشهاد على أن ماذا تستعمل بمعنى الخبر والتكثير ووالله الذى لا اله غيره ما طالعت عليه كتابا ولا فتحت فيه بابا وانما هو غالة من حوض التذكار وصبابة مما علق به شرك الافكار وأثر مما سلك به السمع أيام خلوّ الذرع وعقدت عليه الحجى فى عصر الصبى ورحم الله من تصفح وتلمح فتسمح وصحح ما وقع اليه من الاعتلال وأصلح ما وضع لديه من الاختلال فخير الناس من أخذ بالبر والايناس فبصر من جهله وادكر عن وهله وانما المؤمنون اخوه وتحابهم فى الله رتعة وحظوه ولهم فى السلف الكريم ومحافظتهم على الود القديم اسوة كريمة وقدوه انتهى قال ابن الطراح انظر تحصيل هذا الامام والرئيس الاسمى النفيس واستحضاره كلام الادباء وسير النقاد البلغاء ومساجلته مع فرسان المعانى ووصفه تلك المغانى وقد كان حامل لواء الادب وفائق أبناء جنسه فى مراقب الطلب وهذه الكلمة أعنى ماذا جرت بسببها مناظرة بين الاستاذ أبى الحسين بن أبى الربيع النحوى المشهور و بين مالك بن المرحل بسبتة حتى ألف مالك كتاب الرمى بالحصا والضرب بالعصا وفيه هنات لا ينبغى لعاقل أن يذكرها ولا لذى طى فى البيان أن ينشرها وفى ذلك قال الاستاذ أبو الحسين رحمه الله تعالى

كان ماذا اليتها عدم * جنبوها قربها اندم
ليتنى يا مال لم أرها * انها كالنار تضطرم

انتهى وقوله يا مال ترخيم مالك وحكى الاستاذ ابن غازى انهم اختلفوا هل يقال كان ماذا أم لا وقال ان الاستاذ ابن أبى الربيع تطفل على مالك بن المرحل فى الشعر كما ان ابن المرحل تطفل عليه فى النحو قال ومن نظم مالك بن المرحل فى هذه القضية

اذا اتكأت على الانماط مرتفقا
بدير مروان عندى أم كلثوم
فحلف عليه ليغزون وأردف به شقران فسميت هذه الغزاة غزاة الرادفة وبلغ الناس فيها الى القسطنطينية وفيها مات أبو أيوب الانصارى ودفن هناك على باب القسطنطينية واسم أبى أيوب خالد بن زيد وقد قيل ان أبا أيوب مات فى سنة احدى وخمسين غاز يا مع يزيد وقد أتينا على خبر هذه الغزاة وما كان من يزيد فيها فى الكتاب الاوسط وفى سنة تسع وأربعين كان الطاعون بالكوفة فهرب منها المغيرة بن شعبة وكان واليها ثم عاد اليها فطعن فمات فرأى عرابى عليه وهو يدفن فقال

ارسم ديار للمغيرة تعرف
عليها دوانى الانس والجن تعزف
فان كنت قد لاقيتها مان بعدنا
وفرعون فاعلم أن ذا العرش منصف

(وذكر) أن المغيرة ركب الى هند بنت النعمان بن المنذر وهى فى ديرها فى الحيرة مترهبة وهو أمير الكوفة يومئذ وقد كانت هند عميت فلما جاء الدير استأذن عليها فأتتها

عاب قوم كان ماذا * ليت شعري كان ماذا
ان يكن ذلك جهلا * منهم فكان ماذا انتهى

ومن نظم ابن حبيش المذكور قوله

اذا ماشئت أن تحيا هنيا * رفيع القدر ذا نفس كريمه
فلا تشفع الى رجل كبير * ولا تشهد ولا تحضر وليمه

وله أيضا

لا عملن الى لقياكم قدمي * ولو تجشمت بين الطين والماء
لأن يبل ثيابي الغيث أهون بي * من أن تحرق نار الشوق أحشائي

وأبو زكريا المعترض على ابن حبيش هو الفقيه النحوي الاديب أبو زكريا يحيى بن علي بن سلطان اليفرني ولد سنة ٦٤١ وبرع في العربية وكان يلقب في المشرق جبل النحو وكان عند نفسه مجتهدا وكان لا يجيز نكاح الكتابيات خلافا للامام مالك وهو مذهب الامام أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى ويتمسك بقوله تعالى وجعل بينكم مودة ورحمة وكان يرى أن الطلاق لا يكون الا مرتين مرة للاستبراء ومرة للانفصال ولا يقول بالثلاث وهو خلاف الاجماع وكان يقول في نهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل ذي ناب من السباع أي مأكول كل ذي ناب وتبقى هي على الاباحة ويدل عليه قوله تعالى وما أكل السبع وكان يقول في قوله تعالى ان هذان لساحران الهاء اسم ان وذان لساحران جملة خبر لان ولا تحتاج لرابط لانها تفسيرية والمعنى عنده وأسروا النجوى قالوا انها أي نجوانا هذان لساحران أي قولنا هذان لساحران تثبيطا للناس عن اتباعهما وخط المصحف بردة لكن في المصحف أشياء كتبت على غير المصطلح مثل مال هذا ولا اوضعوا ولا اذبحنه قال ابن الطراح ورأيت هذا المعنى لغيره وأظنه ابن النحاس وتوفي اليفرني المذكور سنة ٧٠٠ ومن شعره

ماذا على الغصن المياس لو عطفا * على صبابة صب حالف الدنفا
يا رحمة لفؤادي من معذبه * كم ذا يحمله أن يحمل الكلفا
ويا رعى الله دهرا ظل يجمعنا * في ظل عيش صفا من طيبه وصفا
مودة بيننا في الحب كاملة * ونحن لا نعرف الاعراض والصلفا

(رجع) الى كلام الاندلسيين قال صالح بن شريف الرندي رحمه الله تعالى في سكين الكتابة

أنا صمصامة الكتابة مالي * من شبيه في المرهفات الرقاق
فكاني في الحسن يوم وصال * وكاني في القطع يوم فراق

وقال في المقص

ومصطحبين ما التهما بعشق * وان وصفا بضم واعتناق
لعمر أبيك ما اجتمعا لشئ * سوى معنى القطيعة والفراق

ولبعض الاندلسيين

هلا اقتدى ذو خلة بفعالنا * فيكون واصل خله كوصالنا
مهما يجئ أحد ليقطع بيننا * نقطعه ثم نعد لاحسن حالنا

اليه أثاثا فالقت اليه وسادة من شعر فلما دخل قعد عليها وقال أنا المغيرة فقالت له قد عرفتك عامل المدرقة فما جاء بك قال أتيتك خاطبا اليك نفسك قالت اما والصليب لو أردتني لدين أو جمال ما رجعت الا بحاجتك ولكني أخبرك الذي أردت ذلك اه قال وما هو قالت اردت انك تتزوجني حتى تقوم في الموسم في العرب فتقول تزوجت ابنة النعمان قال ذلك اردت ولكن اخبريني ما كان ابوك يقول في هذا الحي من ثقيف قالت كان ينسبهم من اياد وقد افتخر عنده رجلان من ثقيف احدهما من بني سالم والآخر من بني يسار فسألهما عن انسابهما فانتسب احدهما الى هوازن والآخر الى اياد فقال ابي ما الحي معد على اياد فضل فخر جا وابي يقول ان ثقيفا لم تكن هوازنا ولم تناسب عامرا ولا مازنا الا حديثا واثبتوا المحاسنا فقال المغيرة اما نحن فنحن هوازن وابوك اعلم قال فاخبريني اي العرب كان احب الى ابيك قالت اطوعهم له قال ومن اولئك قالت بكر بن وائل قال فأين بنو تميم قالت ما استعفتهم

في طاعة قال فقيس قالت ما اقتربوا اليه بما يحب الا استعقبوه بما يكره قال فكيف اطاع

وجرح بعض الكتاب يده بالمقص فانشده أحد جلسائه وغالب ظني انه اندلسي

عداوة لا تكفك من قديم * فلا تعجب لمقراض لئيم
لئن أدماك فهو للاشيبه * وقد يعدو اللئيم على الكريم

ولما ألف ابن عصفور كتابه المغرب في النحو انتقده جماعة من أهل قطره الاندلسيين وغيرهم منهم ابن الصائغ وابن هشام والجزيري وله عليه المنهج المعرب في الرد على المغرب وفيه تخليط كثير وتعسف

وفي تعب من يحسد الشمس نورها * ويأمل أن يأتي لها بضريب

ومنهم ابن الحاج وأبو الحسن حازم القرطاجني الخزرجي وسماه شد الزيار على جفلة الحمار وابن مؤمن القابسي وبهاء الدين بن النحاس * ومن شعر حازم الاندلسي المذكور قوله

لم تدر اذ سألتك ما أسلاكها * أبكيت أسى أم قطعت أسلاكها

وعارضه التجاني بقوله

ياساحر الالحاظ يافتاكها * فتياجواز الصد من أفتاكها

*(ومن حكاياتهم في الجنون وما يجري مجراه أن الوزير أبا بكر بن المليح كان له ابن شاب فاسترسل مع الادب الى أن خرج من القول الى الفعل وأتى باشياء لا تليق بمثله فكتب اليه أبوه

ياسخنة العين يا بنيا * ليتك ما كنت لي بنيا
أبكيت عيني أطلت حزني * أمت صيتي وكان حيا
حططت قدري وكان أعلى * في كل حال من الثريا
أما كفاك الزنا ارتكابا * وشرب مشمولة الحميا
حتى ضربت الدفوف جهرا * وقلت للشرجي هيا
فاليوم أبكيك ملء عيني * لو كان يغني البكاء شيا

فأجابه ابنه بقوله

يا لائم الصب في التصابي * ماعنك يغني البكاء شيا
أوجفت خيل العتاب نحوي * وقبلت وثبتها اليا
وقلت عمر الهناء قصير * فاربح من العيش ماتهيا
قد كنت أرجو المتاب مما * فتنت جهلا به وغيا
لولا ثلاث شيوخ سوء * أنت وابليس والحميا انتهى

وقال أبو جعفر بن صفوان المالقي رحمه الله تعالى

سألته الاتيان نحوي مقبلا * فقال سل نحوي كي تحصلا
قرأت باب الجمع من شوقي له * وهو بالاشتغال عني قد سلا
للاستغاثة ابتدأت تاليا * وهو لافعال التعدي قد تلا
وكلما طلبت منه في الهوى * عطفا غدا يطلب مني بدلا
وان أرم محض اضافة له * أعمل في قطعي عنه الحيلا

زياد فكان اول من جمع له ولاية العراقين البصرة والكوفة وفي سنة ثمان وار بعين قبض معاوية فدك من مروان بن الحكم وقد كان وهبها له قبل ذلك فاستردها وقد كان معاوية حج في سنة خمسين وامر بحمل منبر النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى الشام فلما حمل كسفت الشمس ورؤيت الكواكب بالنهار فجزع من ذلك واعظمه ورده الى موضعه وزاد فيه ست مراق وفي سنة ثلاث وخمسين هلك زياد ابن ابيه بالكوفة في شهر رمضان وكان يكنى ابا المغيرة وقد كان كتب الى معاوية انه قد ضبط العراق بيمينه وشماله فارغة فجمع له الحجاز مع العراقين واتصلت ولايته باهل المدينة فاجتمع الصغير والكبير بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجوا الى الله ولاذوا بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام لعلمهم بما هو عليه من الظلم والعسف فخرجت في كفه بثرة ثم حكها ثم سرت واسودت فصارت اكلة سوداء فهلك بذلك وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل اثنتين وخمسين ودفن بالنوبة

في ألف الوصـــل ظللت باحثا * وهو بباب الفصل قد تكفلا
فلست موصولا وليس عائدا * وليس حالي عن أسى منتقلا
فيامـــني نفسي ومن لفهمه * دانت فهوم الاذكياء النبلا
وجدي موقوف عليك لا أرى * عنك مدى الدهر له منتقلا
فما الذي يمنـــع من تسكينه * والوقف بالتسكين حكم أعملا
والحب مرفوع اليك مفرد * فلم ترى لضمـــني مستثقلا
فاضم للرفع غـــداة علامة * في مفرد مثلي فأوضح مشكلا
لازلت للهيام عـــني رافعا * للوصل ناصبا لقولي معملا
للشوق مسكنا للهجر صارفا * بالقرب من حال البعاد مبدلا
تجزم أمرا في الامانى ماضيا * وتبتدي بما تشاء مستقبـــلا

وقال محمد بن ادريس القضاعي الاصطبوني

علا روض أورقت بحامد * تنور بالجـــدوى وتثمر بالامل
تسح عليها من نداه غمامـــة * تروى ثرى المعروف بالعل والنهل
وهل هو الا الشمس نفسا ورفعة * فيقرب بالجدوى ويبعد بالامل
تعم أياديه البـــريه كلها * فدان وقاص جود كفيه قد شمل

وقال محمد التطيلي الهذلي من أعيان غرناطة

حارت عـــلى لواحظ الآرام * لما رمت أجفانها بسهام
حكمت على بحكمها فتبسمت * الضنى منها لدى أحكام
ياقاتلي عمـــدا بسيف لحاظه * أغمد ظباه قبل وقع حمام
كم رمت وصلك والصدود يصدني * ويفـــل عزمي امره ومرامي
اني عدمت النفس يوم فراقكم * والين اسلمها الى الاعـــدام
كيف المقام وأصل جسمي ناحل * ان النفوس مقيمة الاجسام
صعب العلاج فليس يمكن برؤها * حتى يعود الشهر مثل العام
قد كنت أفرح بالسلو فهانا * قد زم قلبي في الهوى بزمام
مالت به نحـــو الفتون بدائع * من شادن يحكيه بدر تمام
فقوام أغصاننا بلذة وصـــله * وجميع أعيننا عليه سوام
قد أبرزت خداه روض محاسن * عظمت على الافكار والاوهام
تنـــدى بماء شبيبة وتنعم * فتروق روق الزهر في الاكمام
فكأنما وجناتها في لونها * ورد الرياض رابيصوب غمام
وكأنما درع الدجى من شعره * قد حاكه منها يد الاظـــلام
وكأنما ريق حواه ثغره * مسك أذيف بعنـــبر ومدام
وكأنما سيف نضت ألحاظه * سيف الامير محمد الاسلام
ذاك الامير محمـــد بن محمد * ناهيـــك من ملك أغر همام

يحرضهم على لعن علي فمن أبى ذلك عرضه على السيف فذكر عبد الرحمن بن السائب قال حصرت فصرت الى الرحبة ومعي جماعة من الانصار فرأيت شيأ في منامي وأنا جالس في الجماعة وقد خفقت وهو اني رايت شيأ طويلا قد اقبل فقلت ما هذا فقال انا النقاد ذو الرقبة بعثت الى صاحب هذا القصر فانتبهت فزعا فما كان الا مقدار ساعة حتى خرج خارج من القصر فقال انصرفوا فان الامير عنكم مشغول واذا به قد اصابه ماذكرنا من البلاء وفي ذلك يقول عبد الله بن السائب من ابيات ما كان منتهيا عما اراد بنا
حتى تأتي له النقاد ذو الرقبه
فاسقط الشق منه ضربة ثبتت لما تناول ظلما صاحب الرحبه
يعني بصاحب الرحبة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقد ذهب جماعة الى ان عليا دفن في القصر بالكوفة ويقال ان زيادا طعن في يده وانه شاور شريحا في قطعها فقال له لك رزق مقسوم واجل معلوم واني اكره ان كان لك مدة ان تعيش اجذوان حم اجلك ان تلقى ربك مقطوع اليد فاذا سألك لم قطعتها قلت بغضا للقائك وفرارا من قضائك فلام الناس شريحا فقال انه استشارني والمستشار مؤتمن ولولا

ملك علا فوق السماك علاؤه * وسما فادرك غاية الاعظام
لو كان يعتقل السهالات فى * شكل الفتاة ملثما بلثام
أو كان يرضى بالمجرة أجردا * لجرت الى الاسراج والالجام
فالسعد يفعل للامانى قولها * والنصر يخدمه مع الايام
واليوم يعشقه ويحسد ليله * فيه كعشق سيوفه للهام
نامت عيون الشرك خوف سنانه * لولاه ما اكتحلت بطيف منام
بهر الانام بسيفه وبيأسه * فسبى وأنعم أيما انعام
فالمعتفى يجنى جزيل هباته * والمعتدى يصلى الردى بحسام
مهما استعنت به فضيغم معرك * واذا استجرت به فطود شمام
أجرى مياه العدل بعد جفوفها * وأزال نار الظلم بعد ضرام
كم من كتيبة جحفل قد هدها * فى معرك بمهند صمصام
المقتنى الجرد المذاكى عدة * للكر فى الاعداء والاقدام
من كل مبيض كأن أديمه * لون الصباح أتى عقيب ظلام

ومنها

يا خير من ركب الجياد وقادها * تحت اللواء وعمدة الاقوام
لازلتم والسعد يخدم أمركم * فى غبطة موصولة بدوام
حتى يصير الأمن فى أرجائنا * عبدا يقوم لنا على الاقدام
والله ينصركم ويعلى مجدكم * ماسح اثر الصحب وماء غمام

وكان يحيى السرقسطى أديبا فرجع الى الجزارين فلام الحاجب ابن هود أبا الفضل ابن حسداى أن يوبخه على ذلك فكتب اليه

تركت الشعر من عدم الاصابه * وملت الى التجارة والقصابه

فاجابه يحيى

تعيب على مألوف القصابه * ومن لم يدر قدر الشئ عابه
ولو أحكمت منها بعض شئ * لما استبدلت منها بالحجابه
ولو تدرى بها كافى ووجدى * علمت علام أحتمل الصبابه
وانك لو ظلعت على يوما * وحولى من بنى كلب عصابه
لهالك سار أيت وقلت هذا * هزبر صير الاوضام غابه
وكم شهدت لنا كلب وهر * بأن المجد قد حزنا لبابه
فتكنا فى بنى العنزى فتكا * أقر الذعر فيهم والمهابه
ولم نقلع عن الثورى حتى * مزجنا بالدم القانى لعابه
ومن يغترمنهم بامتناع * فان الى صوار منا ايابه
و يبرز واحد منا لالف * فيغلبهم وذاك من الغرابه

ومنها

أبا الفضل الوزير أجب ندائى * وفضلك ضامن عنك الاجابه
وأصغاء الى شكوى شكور * أطلت على صناعته عتابه

آمانة المشورة لوددت أن الله قطع يده يوما ورجله يوما وساثر جسده يوما وفى سنة تسع وخمسين وفد على معاوية وفد الامصار من العراق وغيرها فكان ممن وفد من أهل العراق الاحنف بن قيس فى آخرين من وجوه الناس فقال معاوية للضحاك بن قيس انى جالس من غد للناس فأتكلم بما شاء الله فاذا فرغت من كلامى فقل فى يزيد الذى يحق عليك وادع الى بيعته فانى قد أمرت عبد الرحمن بن عثمان الثقفى وعبد الله بن عمارة الاشعرى وثور بن معن السلمى ان يصدقوك فى كلامك وان يجيبوك الى الذى دعوتهم اليه فلما كان من الغد قعد معاوية فاعلم الناس بما رأى من حسن رعيته يزيد ابنه وهديه وان ذلك دعاه الى ان وليه عهده ثم قام الضحاك ابن قيس فأجابه الى ذلك وحض الناس على البيعة ليزيد وقال لمعاوية اعزم على ما أردت ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفى وعبد الله بن عمارة الاشعرى وثور بن معن فصدقوا قوله ثم قال معاوية أين الاحنف بن قيس فقام الاحنف فقال ان الناس قد امسوا فى منكر زمان قد سلف ومعروف زمان يؤتنف و يزيد حبيب قريب فان توله عهدك فعن غير كبر مفن او مرض مضن وحقك

وحقك ما تركت الشعر حتى * رأيت البخل قد أوصى صحابه
وحتى زرت مشتاقا خليلى * فأبدى لى التحيل والكآبه
وظن زيارتى لطلاب شئ * فنافرنى وغلظ لى حجابه

وقال الاديب أبو الحسن بن الحداد

قالت وأبدت صفعة * كالشمس من تحت القناع
بعت الدفاتر وهى آ * خر ما يباع من المتاع
فأجبتها ويدى على * كبدى وهمت بانصداع
لا تعجبى ممارأيـ * ـت فنحن فى زمن الضياع

وقال الاديب أبو زكريا بن مطروح من أهل مدينة باغة وقد عزل وال فنزل المطر على اثره وهو من أحسن شعر قاله وكان الوالى غير مرضى

ورب وال سرنا عـ * ـزله * فبعضنا هنأه البعض
قد واصلتنا السحب من بعده * ولذنى أجفاننا الغمض
لو لم يكن من نحس شخصه * ما طهرت من بعده الارض

وقال القاضى أبو البركات بن الحاج البلفيقى رحمه الله تعالى

وعشية حكمت على من تاب من * أهل الخلاعة أن يعود لما مضى
جمعت لنا شمل السرور بفتية * جمعوا من اللذات شمل المرتضى
ما عاقنى عن أن أسير بسيرهم * الا الرياء مع الخطابة والقضا

وقال أبو الحجاج يوسف الفهرى من أهل دانية

أبى الله الا أن أفارق منزلا * يطالعنى وجه المنى فيه سافرا
كأن على الايام أن لا أحله * رويدا فما أغشاه الا مسافرا

وقال بعضهم فى الرثاء

عبرات تفيض حزنا وثكلا * وشجون تعم بعضا وكلا
ليس الا صابة أضرمتها * حسرة تبعث الاسى ليس الا

ولابى جعفر البغيل أحد شعراء المرية وكتابها

عزاء على هذا المصاب الذى دهى * وشتت شمل الانس من بعدنا انتهى
بفرع علاء فى منابت سؤدد * تسامى رقيا فى المعالى الى السها
أصبت به من بعد ما تم مجده * وقد شمخت منه الشمار يوازدهى
فأية شمس فيه للبعد كورت * وأى بناء للكارم قد وهى
فصبرا عليه لا رزئت بمثله * فمثلك من يعزى الى الحلم والنهى

وقال الكاتب الماهر أبو جعفر أحمد بن أيوب المالقى المالقى

طلعت طلائع للربيع فاطلعت * فى الروض ورد اقبل حين أوانه
حيا أمير المؤمنين مبشرا * ومؤملا للنيل من احسانه
ضنت سحائبه عليه بمائه * فأتاه يستسقيه ماء بنانه

الامر من بعدك واعض راى من يأمرك ولا يقدرك ويشير عليك ولا ينظر لك فقام الضحاك بن قيس مغضبا فذكر اهل العراق بالشقاق والنفاق وقال اردد رايهم فى نحورهم وقام عبد الرحمن بن عثمان فتكلم بنحو كلام الضحاك ثم قام رجل من الازد فاشار الى معاوية وقال انت امير المؤمنين فاذا مت فأمير المؤمنين يزيد فمن ابى هذا فهذا واخذ بقائم سيفه فسله فقال له معاوية اقعد فأنت من اخطب الناس فكان معاوية اول من بايع ليزيد ابنه بولاية العهد وفى ذلك يقول عبد الله بن هشام السلولى

فان تأتوا برملة او بهند
نبايعها اميرة مؤمنينا
اذا ما مات كسرى قام كسرى
نعد ثلاثة متتابعينا
فيا لهفا لوان لنا الوفا
ولكن لا نعود كما عهدنا
اذا الضربتموا حتى تعودوا
بمكة تلعقون بها السخينا
خشينا الغيظ حتى لو شربنا
دماء بنى امية ما روينا
لقد ضاعت رعيتكم وانتم
تصيدون الارانب غافلينا

وانفذت الكتب ببيعة يزيد الى الامصار وكتب معاوية الى مروان بن الحكم وكان على المدينة يعلمه باختياره يزيد وما بايعته اياه بولاية العهد ويأمره ببيعته واخذ البيعة

له على من قبله فلما قرا مروان ذلك خرج مغضبا الى اهل بيته واخواله من بني كنانة حتى اتى دمشق فنزلها ودخل على معاوية

دامت لنا ايامه موصولة * بالعز والتمكين في سلطانه

وقال أبو جعفر أحمد بن طلحة من جزيرة شقر

ياهل ترى أطرف من يومنا * قلد جيدا لافق طوق العقيق
وأنطق الورق بعيدانها * مطربة كل قضيب ورق
والشمس لاتشرب خمر الندى * في الروض الا بكؤس الشقيق

وقال أبو جعفر الغساني من أهل وادي آش واستوطن غرناطة ثم مات بالمرية فكتب على حمالة قراب لموطا الامام مالك بعد ما استنجد قرائح أدباء عصره واستصرخ اختراعاتهم لنصره فكلهم قصر عن غرضه وأداء مفترضه فقال هو

ياطالبا لكمالك * حفظي أتم كمالك
فما تقلدت مثلي * اذلم تقلد كمالك

وقال أبو بكر يحيى بن بقي

خذها على وجه الربيع المخصب * لم يقض حق الروض من لم يشرب
هممي سماء علا وهمي مارد * فارجمه من تلك الكؤس بكوكب

وهو رحمه الله تعالى صاحب الابيات المشهورة

زحرحته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على فراش خافق

وانتقد عليه بعض اللطفاء فقال انه كان جافي الطبع حيث قال زحرحته ولو قال باعدت عنه أضلعا تشتاقه لكان أحسن * وقال السلطان المتوكل بن الافطس صاحب بطليوس يستدعي

انهض أبا طالب الينا * واسقط سقوط الندى علينا
فنحن عقد بغير وسطى * مالم تكن حاضر الدنيا

وتذكرت هنا قول بعض المشارقة فيما أظن والله تعالى أعلم

نحن في مجلس أنس * مابه غير محبك
فتصدق بحضور * واجمع الوقت بقربك
وخف الآن عتابي * مثل خوفي عند عتبك

*(رجع) وقال أبو عبد الله بن خاصة الضرير

ولو جاد بالدنيا وثنى بمثلها * لظن من استصغارها انه ضنا
ولاعيب في انعامه غير أنه * اذا من لم يتبع مواهبه منا

وله أيضا

ياما لكا حسدت عليه زمانه * اممخلت من قبله وقرون
مالي ارى الآمال بيضا وضحا * ووجوه آمالي حوالك جون
انا آمن فرق وراج آيس * وروصدو مسرح مسجون
لاتعدني انواء سيبك لاعدا * لك النصر والتأييد والتمكين

وقال ابن اللبانة

كرمت فلا بحر حكاك ولاحيا * وفت فلا عجم شأتك ولاعرب

يمشي بين السماطين حتى اذا كان منه بقدر ما يسمعه صوته سلم وتكلم بكلام كثير يوهم به معاوية منه اقسم الامور يا ابن ابي سفيان واعدل عن تأميرك الصبيان واعلم ان لك من قومك نقراء وان لك على مناواتهم وزراء فقال له معاوية انت نظير امير المؤمنين وعدته في كل شديدة وعضده والثاني بعد ولي عهده وجعله ولي عهد يزيد ورده الى المدينة ثم انه عزله عنها وولاها الوليد ابن عتبة بن ابي سفيان ولم يف لمروان بما جعل له من ولاية عهد يزيد ابن معاوية *(ذكر جمل من أخلاقه وسياسته وطرائف من عيون اخباره)*

قد ذكرنا فيما تقدم جملا من اخباره وسيره فلنذكر الآن في هذا الباب جملا من أخلاقه وسياسته واخباره وغير ذلك مما يحق بهذا المعنى الى وفاته كان من اخلاق معاوية انه كان يأذن في اليوم والليلة خمس مرات كان اذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه ثم يدخل فيؤتى بصحيفة فيقرا جزأه ثم يدخل الى منزله فيأمر وينهى ثم يصلي اربع ركعات ثم يخرج الى مجلسه فيأذن للخاصة الخاصة فيحدثهم ويحدثونه ويدخل عليه

وأوليتنى منك الجميل فواله * عسى السيح من نعمائك يتبعه السكب

وقال ابو على اليمانى

ابنات المديل اسعدن أو عد * ن قليل العزاء بالاسعاد
بيد أنى لا أرتضى ما فعلتن * فأطوا قكس فى الاجياد

وقال ابو جعفر احمد بن الدود من كلمه

فغدت غوادى الحى عنك عجائبا * واسلن الحاظ الرباب ربابا

وقال ابن ابى الخصال فى مليحة لها اربع جوار قبيحات

وليلة طولها على سنة * بات بها الجفن نادبا وسنه
بأربع بينهن واحدة * كسيئات وبينها حسنه

وقال غالب بن تمام الملقب بالحمام

صغار الناس اكثرهم قبيحا * وليس لهم بصالحة نهوض
الم ترفى سباع الطير نسرا * يسالمنا ويؤذينا البعوض

وقال ابن عائشة

وروضة قد علت سماء * تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا عليها * فخلتها ارسلت رجوما
كأنما الجو غار لما * بدت فأغرى بها النسيما

وله يصف فرسا وهو من بدائعه

قصرت له تسع وطالت اربع * وزكت ثلاث منه للتأمل
وكانما سال الظلام بمتنه * وبدا الصباح بوجهه المتهلل
وكأن راكبه على ظهر الصبا * من سرعة أو فوق ظهر الشمأل

وقال تربة مسك وجو عنبرة * وغيم ندوطش ماورد
كانما جائل الحباب به * يلعب فى جانبيه بالنرد

وتروى هذه الابيات لغيره وقال

هم سلبونى حسن صبرى اذ بانوا * بأقمار أطواق مطالعها بان
لئن غادرونى بالاوان مهجتى * مسايرة أطعانهم حيثما كانوا

وقال أبو محمد بن سفيان وهو من أبدع التخلص

فقلت وجفنى قد تداعت شؤنه * وحرضلوعى مقعد ومقيم
لئن دهمت دهم الخطوب وآلمت * فان أباعيسى أغر كريم

وقال ابن الزقاق

بأبى وغير أبى أغن مهفهف * مهضوم ماتحت الوشاح خميصه
لبس الفؤاد وزرقته جفونه * فاتى كيوسف حين قد قميصه

وقال سلام على أيامكم مابكى الحيا * وسقيا لذاك العهد ما ابتسم الزهر
كأن لم نبت فى ظل أمن تضمنا * من الليلة الظلماء أردية خضر

فضلة عشائه من جدى بارد او فرخ او ما يشبهه ثم يتحدث طويلا ثم يدخل منزله لما اراد ثم يخرج فيقول ياغلام اخرج الكرسى فيخرج الى المسجد فيوضع فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسى ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابى والصبى والمراة ومن لا احد له فيقول ظلمت فيقول اعزوه ويقول عدى على فيقول ابعثوا معه ويقول صنع بى فيقول انظروا فى امره حتى اذا لم يبق احد دخل فجلس على السرير ثم يقول ائذنوا للناس على قدر منازلهم ولا يشغلنى احد عن رد السلام فيقال كيف اصبح امير المؤمنين اطال الله بقاءه فيقول بنعمة من الله فاذا استووا جلوسا قال ياهؤلاء انما سميتم اشرافا لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ارفعوا الينا حوائج من لا يصل الينا فيقوم الرجل فيقول استشهد فلان فيقول افرضوا لولده ويقول آخر غاب فلان عن اهله فيقول تعاهدوهم اعطوهم اقضوا حوائجهم اخدموهم ثم يؤتى بالغداء ويحضر الكاتب فيقوم عند راسه ويقدم الرجل فيقول له اجلس على المائدة فيجلس فيمد يده فيأكل لقمتين او ثلاثا والكاتب يقرأ كتابه فيأمر فيه بامر

ويتقدم آخرهن يأتي على اصحاب الحوانيج كلهم وربما قدم عليه من اصحاب

ولم تعتبق تلك الاحاديث قهوة * وكم مجلس طيب الحديث به نجر
ألا في ضمان الله في كل ساعة * يجـــدد لي فيها شوق له ذكر
يذكرنيه البرق جذلان باسما * ويذكرني اسفار غرته الفجر
ومارق زهر الروض الا تبسمت * لناظر عيني منه آدابه الزهـــر

وقال يحيى السرقسطي

هاتها عسجدية كوثريه * بنت كرم رحيقة عطريه
كلما شفها النحول تقوت * فاعجبوا من ضعيفة وقويه
رب خمارة سريت اليها * والدجا في ثيابه الزنجيـــه

ومنها

كم عقار بدلته بعقار * وثياب صبغتها خمريه
ان خير البيوع ما كان نقدا * ليس ما كان آجلا بنسيه

وله

نسيتم الظلم لعمالكم * ونمتم عن قبيح أعمالكم
والله لو حكمتم ساعة * ما خطر العدل على بالكم

وقال الرصافي في الدولاب

وذي حنين يكاد شجوا * يختلس الانفس اختلاسا
اذا غدا للرياض جارا * قال لها المحل لا مساسا
يبتسم الروض حين يبكي * بأدمع ما رأين باسا
من كل جفن يسل سيفا * صارله عقده رياسا

وخرج أبو بكر الصابوني لنزهة بوادي اشبيلية وكان يهوى فتى اسمه علي فقال

أياحسن أياحسن * بعادك قد نفى وسنى
وما أنسى تذكره * فهل أنسى فيذكرني

ويشبه هذا قول الطاهر بن أبي ركب

يقول الناس في مثل * تذكر غائب تاره
فمالي لا أرى سكني * وما أنسى تذكره

وكتب بعض الادباء الى ابن حزم الاندلسي بقوله

سألت الوزير الفقيه الاجل * سؤال مدل على من سأل
فقلت أياخير مسترشد * ويا خير من عن امام نقل
أيحـــرم ان نالني قبلة * غزال ترشف فيه الغزل
وعانقني والدجا خاضب * فبتنا ضجيعين حتى نصل
وجئتك أسأل مسترشدا * فبين فديت لمن قد سأل

فأجابه ابن حزم بقوله

اذا كان ما قلتـــه صادقا * وكنت تحريت جهد المقل
وكان ضجيعك طاوي الحشا * أعار المهاة احورار المقل
قريـــ الرضا وله غنة * تميت الهموم وتحيي الجذل

فقال يا عبد الله أعقب فيقوم الحوانيج أربعون او نحوهم على قدر الغداء ثم يرفع الغداء ويقال للناس اجيزوا فينصرفون فيدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادي بالظهر فيخرج فيصلي ثم يدخل فيصلي اربع ركعات ثم يجلس فيأذن لخاصة الخاصة فان كان الوقت وقت شتاء اتاهم بزاد الحاج من الاخبصة اليابسة والخشكانج والاقراص المعجونة باللبن والسكر من دقيق السميذ والكعك المنضد والفواكه اليابسة وان كان وقت صيف اتاهم بالفواكه الرطبة ويدخل اليه وزراؤه فيؤامرونه فيما احتاجوا اليه بقية يومهم ويجلس الى العصر ثم يخرج فيصلي العصر ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى اذا كان في آخر اوقات العصر خرج فجلس على سريره ويؤذن للناس على منازلهم فيؤتى بالعشاء فيفرغ منه مقدار ما ينادي بالمغرب ولا ينادي له باصحاب الحوانيج ثم يرفع العشاء وينادي بالمغرب فيخرج فيصليها ثم يصلي بعدها اربع ركعات يقرأ في كل ركعة خمسين آية يجهر تارة ويخافت اخرى ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادي

ففي أخذ أشهب عن مالك * عن ابن شهاب عن الغير قل
بترك الخلاف على جمعهم * على أن ذلك حـــل وبل

ونظر الرصافي يوما الى صبي يبكي ويأخذ من ريقه ويدل عينيه كي يحكي أثر البكاء فارتجل الرصافي

عذيري من جذلان يبدي كآبة * وأضاءه مما يحاوله صغر
أميلد مياس اذا قاده الصبا * الى ملح الادلال أيده السحر
يدل ما تحت مقلتيه بريقه * ليحكي البكا عمدا كما يتسم الزهر
أبوهم أن الدمع بل جفونه * وهل عصرت يوما من النرجس الخمر

وكان المذكور أعني الرصافي يميل في شبيبته لبعض فتيان الطلبة وأجمع الطلبة على أن يصنعوا نزهة بالوادي الكبير بمالقة فركبوا زورقا للسير الى الوادي فوافق أن اجتمع في الزورق شمل الرصافي بمحبوبه ثم ان الريح الغربية عصفت وهاج البحر ونزل المطر فنزلوا من الزورق وافترق شمل الرصافي من محبوبه فارتجل في ذلك ويقال انها من أول شعره

غاربي الغرب اذ رآني * مجتمع الشمل بالحبيب
فأرسل الماء عن فراق * وأرسل الريح عن رقيب

فلما سمع ذلك استاذه استنبله وقال له انك ستكون شاعر زمانك * وحكي ان أبا بكر بن مجبر قال في ابن لابي الحسن بن القطان بمحضر والده

جاء وفي يساره * قوس وفي اليمنى قدح
كأنه شمس بدت * وحولها قوس قزح
يالائمي في حبه * ما كل من لام نصح

فقال ابن عياش الكاتب هذه أبيات لاندلسي استوطن المشرق في ترجمة فأقسم أبو بكر انه لم يسمع شيأ من ذلك وانما ارتجلها وقيل انها لابي الفتح محمد بن عبيد الله من أهل بغداد وأولها جد بقلبي ومزح فالله أعلم بحقيقة الامر * وخرج أبو بكر بن طاهر وأبو ذر الخشني والقاضي أبو حفص بن عمر وهو اذ ذاك وسيم فأثرت الشمس في وجهه فقال أبو ذر

وسمتك الشمس ياقمر * سمة في القلب تنتشر

فقال الآخر علمت قدر الذي صنعت * فأنت صفراء تعتذر

وقال أبو الحسين البلنسي الصوفي كان لي صديق أمي لا يقرأ ولا يكتب فعلق فتى وكان خرج لنزهة فأثرت الشمس في وجهه فأعجبه ذلك وأنشد

رأيت أحمد لما جاء من سفر * والشمس قد أثرت في وجهه أثرا
فانظر لما أثرته الشمس في قمر * والشمس لا ينبغي أن تدرك القمرا

واجتمع أبو الوليد الوقشي وأبو مروان عبد الملك بن سراج القرطبي وكانا فريدي عصرهما حفظا وتقدما فتعاروا فوتسالما ثم بادر أبو الوليد بالسؤال وقال كيف يكون قول القائل

ولو أن مابي بالحصا فعل الحصا * وبالريح لم يسمع لهن هبوب

ما ينبغي أن يكون مكان فعل الحصا فقال أبو مروان فلق الحصا فقال وهمت انما يكون فلق

والحاشية فيؤامره الوزراء فيما أرادوا صدرا من ليلتهم ويستمر الى ثلث الليل في اخبار العرب وايامها واجهم وملوكها وسياستها لرعيتها وسائر ملوك الامم وحروبها ومكايدها وسياستها لرعيتها وغير ذلك من اخبار الامم السالفة ثم تأتيه الطرف الغريبة من عند نسائه من الحلوى وغيرها من المآكل اللطيفة ثم يدخل فينام ثلث الليل ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك واخبارها والحروب والمكايد فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون وقد وكلوا بحفظها وقراءتها فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الاخبار والسير والآثار وأنواع السياسات ثم يخرج فيصلي الصبح ثم يعود فيفعل ما وصفنا في كل يوم وقد كان هم بأخلاقه جماعة بعده مثل عبد الملك ابن مروان وغيره فلم يدركوا خلقه ولا اتقانه للسياسة ولا التأني للامور ولا مداراته للناس على منازلهم ورفقه بهم على طبقاتهم وبلغ من احكامه للسياسة واتقانه لها واجتذابه قلوب خواصه وعوامه أن رجلا من اهل

٥٤ ط ني الكوفة دخل على بعير له الى دمشق في حال منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال هذه ناقتي

الحصا ليكون مطابقا لقوله لم يسمع لهن هبوب يريد أن مابه يحرك ماشأنه السكون و يسكن ماشأنه الحركة فقال أبوم وان مايريد الشاعر بقوله

وراكعة في ظل غصن منوطة * بلؤلؤة نيطت بمنقار طائر

وكان اجتماعهما في مسجد فأقيمت الصلاة أثر فراغ ابن سراج من انشاد البيت فلما انقضت الصلاة قال له الوقشي ألغز الشاعر باسم أحد فأراكعة الحاء والغصن كناية عن الالف واللؤلؤ الميم ومنقار الطائر الدال فقال له ابن سراج ينبغي أن تعيد الصلاة اشغل خاطرك بهذا الالغز فقال له الوقشي بين الاقامة وتكبيرة الاحرام فكتبه والبيت لعبد الله بن الدمينة و بعده

ولو أني أستغفر الله كلما * ذكرتك لم تكتب علي ذنوب

وقال الوزير أبو الحسن بن أضحى

ومستشفع عندي بخير الورى عندي * واولاهم بالشكر مني و بالحمد

وصلت فلما لم اقم بجـــــزائه * لفقت له رأسي حياء من المجد

وكان سبب قوله هذين البيتين انه كتب اليه أحد الوزراء شافعا لاحد الاعيان فلما وصل اليه بره وأنزله وأعطاه عطاء استعظمه واستجزله وخلع عليه خلعا وأطلعه من الجمال بدرا لم يكن مطلعا ثم اعتقد انه قد جاء مقصرا فكتب اليه معتذرا بالبيتين هكذا حكاه في الفتح وقال بعد ذلك ماصورته ومن باهر جلاله وظاهر خلاله انه اعف الناس بواطن واشرفهم في التقى مواطن ماعلمت له صبوة ولاحلت له الى مستنكر جبوه مع عدل لاشيء يعدله وتحجب عما يتقي مما يرسل عليه حجابه و يسدله وكان لصاحب البلد الذي يتولى القضاء به ابن من احسن الناس صوره وكانت محاسن الاقوال والافعال عليه مقصوره مع ماشئت من لسن وصوت حسن وعفاف واختلاط بالبهاء والتفاف قال الفتح وحملنا الاحدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فخلنا قرية على ضفة نهر احسن من شاذن مهر تشقها جداول كالصلال ولاترمقها الشمس من تكاثف الظلال ومعناجلة من اعيانها فأحضر نا من انواع الطعام واراناً من فرط الاكرام والانعام مالا يطاق ولايحد ويقصر عن بعضه العد وفي اثناء مقامنا بدا لي من ذلك الفتى المذكور ماانكرته فقابلته بكلام اعتقده وملام احقده فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابه ولم ارمنه ماعهدته من الانابه فكتبت اليه مداعبا له فراجعني بهذه القطعة

اتتني أبا نصر نبيجة خاطـــر * سريع كرجع الطرف في الخطرات

فأعربت عن وجدي كمين طويته * بأهيـــــف طاوفاتر اللحظات

غزال احم المقلتين عرفتـــه * بخيف مني للحسن اوعـــرفات

رمالك فأصمى والقلوب رميـــة * لكل كحيل الطرف ذي فتكات

وظن بأن القلب منك محصـــب * فلبالك من تعنيفه بالحجـــرات

تقرب بالنسك في كل منسك * وضحى غداة النحر بالمهجات

وكانت له جيان مثوى فأصبحت * ضلوعـــك مثواه بكل فـــلاة

أخذت مني بصفين فارتفع معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير اليه فقال الكوفي اصلحك الله انه جمل وليس بناقة فقال معاوية هذا حكم قد مضى ودس الى الكوفي بعد تفرقهم فاحضره وسأله من ثمن بعيره فدفع اليه ضعفه وبره واحسن اليه وقال له ابلغ عليا اني اقابله بمائة الف ماشيهم من يفرق بين الناقة والجمل ولقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له انه صلى بهم عند مسيرهم الى صفين الجمعة في يوم الاربعاء وأعاروه رؤسهم عند القتال وحملوه بها وركبوا الى قول عمرو بن العاص ان عليا هو الذي قتل عمار ابن ياسر حين أخرجه لنصرته ثم ارتقى بهم الامر في طاعته الى أن جعلوا لعن علي سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير (قال المسعودي) وذكر بعض الاخباريين انه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم من أبو تراب هذا الذي يلعنه الامام على المنبر قال أراه اصاب من اصوص الفتن (وحكى الجاحظ) قال سمعت رجلا من العامة وهو حاج وقد ذكر له البيت يقول اذا أتيته من يكلمني منه وانه اخبره صديق له انه قال له رجل منهم وقد سمعه يصلي

يعز علينا ان تهيم فتنطوى * كئيبا على الاشجان والزفرات
فلو قبلت للناس فى الحب فدية * فديناك بالاموال والبشرات

ومن ايثار ديانته وعلامة حفظه للشرع وصيانته وقصده مقصد المتورعين وجريه مجرى المتشرعين ان احد اعيان بلده كان متصلا به اتصال الناظر بسواده محتفلا فى عينه وفؤاده لا يسلمه الى مكروه ولا يفرده فى حادث يعروه وكان من الادب فى منزلة تقتضى اسعافه ولا تورده من تشفيعه فى مورد قد عافه فكتب اليه ضارعا فى رجل من خواصه اختلط بمراة طلقها ثم تعلقها وخاطبه فى ذلك بشعر فلم يسعفه وكتب اليه مراجعا

أيا أيها السيد المجتبى * ويا أيها الالمعى العلم
أتتنى ابياتك المحكمات * بما قد حوت من بديع الحكم
ولم ار من قبلها مثلها * وقد نفثت سحرها فى الكلم
ولكنه الدين لا يشترى * بنثر ولا بنظام نظم
وكيف ابيح حمى مانعا * وكيف احل ما قد حرم
الست اخاف عقاب الاله * ونارا مؤججة تضطرم
أ أصرفها طالقا بتة * على أنوك قد طغى واجترم
ولو أن ذاك الغوى الذوى * تثبت فى أمره ما ندم
ولكنه طاش مستعجلا * فكان أحق الورى بالندم

انتهى كلام الفتح الذى أردت جلبه هنا ولا خفاء أن هذه الحكاية مما يدخل فى حكايات عدل قضاة الاندلس ومن نظم ابن أضحى المذكور ما كتب به الى بعض من يعز عليه

يا ساكن القلب رفقا لم تقطعه * الله فى منزل قد ظل مثواكا
يشيد الناس للخصين منزلهم * وأنت تهدمه بالعنف عينا كا
والله والله ما جى لفاحشة * أعاذنى الله من هذا وعافا كا

وله فى مثل ذلك

روحى اليك فرديه الى جسدى * من لى على فقده بالصبر والجلد
بالله زورى كثيبا لا عزاء له * وشرفيه ومثواه غداة غد
لو تعلمين بما ألقاه يا أملى * يا منتهى الود تصفيه بداد بيد
عليك منى سلام الله ما بقيت * آثار عينيك فى قلبى وفى كبدى

واذ وصلت الى هذا الموضع من كلام أهل الاندلس فقد رأيت أن أذكر جملة من نساء أهل الاندلس اللاتى لهن اليد الطولى فى البلاغة كى يعلم أن البراعة فى أهل الاندلس كالغريزة لهم حتى فى نسائهم وصبيانهم * (فمن النساء المشهورات بالاندلس أم السعد بنت عصام الحجرى من أهل قرطبة وتعرف بسعدونة ولها رواية عن أبيها وجدها وغيرهما كما حكاه ابن الابار فى ترجمتها من التكملة وأنشدت لنفسها فى تمثال نعل النبى صلى الله عليه وسلم تكملة لقول غيرها

سألتم التمثال اذ لم أجد * للثم نعل المصطفى من سبيل

قال كنت مارا فى السوق ببغداد فاذا أنا برجل عليه الناس مجتمعون فنزلت عن بغلتى وقلت لشئ ما هذا الاجتماع ودخلت بين الناس واذا برجل يصف كحلا معه انه ينجح من كل داء يصيب العين فنظرت اليه فاذا عينه الواحدة برشاء والاخرى مأسوكة فقلت له يا هذا لو كان كحلك كما تقول نفع عينيك فقال لى أها هنا اشتكت عيناى انما اشتكتا بمصر فقال كلهم صدق وذكر انه ما انفلت من نعالهم الا بعد كد (وذكر) لى بعض اخوانى ان رجلا من العامة بمدينة السلام رفع الى بعض الولاة الطالبين لاصحاب الكلام على جاره انه يتزندق فسأله الوالى عن مذهب الرجل فقال انه مرجىء قدرى أباضى رافضى فلما نص عن ذلك قال انه يبغض معاوية بن الخطاب الذى قاتل على بن العاص فقال له الوالى ما أدرى على أى شئ أحسدك على علمك بالمقالات أو على بصرك بالانساب (وأخبرنى) رجل من اخواننا من أهل العلم قال كنا نقعد نتناظر فى أبى بكر وعمر وعلى ومعاوية ونذكر ما يذكره أهل العلم وكان قوم من العامة يأتون فيستمعون منا فقال لى ذات يوم بعضهم وكان من اعقلهم واكبرهم

ومعاوية وفلان وفلان فقلت له فما تقول أنت فى ذلك قال من تريد قلت على فما تقول

ماصورته لعلى أحظى بتقبيله * فى جنة الفردوس أسنى مقيل
فى ظل طوبى ساكنا آمنا * أسقى بأكواس من السلسبيل
وأمسح القلب به علله * يسكن ماجاش به من غليل
فطالما استشفى باطلال من * يهواه أهل الحب فى كل جيل

وأنشدنى ابن جابر الوادى آشى عن شيخه المحدث أبى محمد بن هرون القرطبى لجدته سعدونة وأظنها هذه

آخ الرجال من الابا * عدوا الاقارب لاتقارب
ان الاقارب كالعقا * رب أو أشد من العقارب

هكذا نقله الخطيب ابن مرزوق ورأيت نسبة البيتين لابن العميد فالله اعلم * ومنهن حسانة التميمية بنت أبى الحسين الشاعر تأدبت وتعلمت الشعر فلما مات ابوها كتبت الى الحكم وهى اذذاك بكر لم تتزوج

انى اليك أبا العاصى موجعة * ابا الحسين سقته الواكف الديم
قد كنت أرتع فى نعماه عاكفة * فاليوم آوى الى نعماك ياحكم
انت الامام الذى انقاد الانام له * وملكته مقاليد النهى الامم
لاشئ أخشى اذا ما كنت لى كنفا * آوى اليه ولا يعروبى العدم
لازلت بالعزة القعساء مرتديا * حتى تذل اليك العرب والعجم

فلما وقف الحكم على شعرها استحسنه وأمر لها باجراء مرتب وكتب الى عامله على البيرة فجهزها بجهاز حسن ويحكى انها وفدت على ابنه عبد الرحمن بشكية من عامله جابر بن لبيد والى البيرة وكان الحكم قد وقع لها بخط يده تحرر أملاكها فلم يفدها فدخلت الى الامام عبد الرحمن فأقامت بفنائه وتلطفت مع بعض نسائه حتى أوصلتها اليه وهو فى حال طرب وسرور فانتسبت اليه فعرفها وعرف أباها ثم أنشدته

الى ذى الندى والمجد سارت ركائبى * على شحط تصلى بنار الهواجر
ليجبر صدعى انه خير جابر * ويمنعنى من ذى الظلامة جابر
فانى وأيتامى بقبضة كفه * كذى ريش أضحى فى مخالب كاسر
جدير لمثلى أن يقال مروعة * لموت أبى العاصى الذى كان ناصرى
سقاه الحيا لو كان حيا لما اعتدى * على زمان باطش بطش قادر
أيعدو الذى خطت يمناه جابر * لقد سام بالاملاك احدى الكبائر

ولما فرغت رفعت اليه خط والده وحكت جميع أمرها فرق لها وأخذ خط أبيه فقبله ووضعه على عينيه وقال تعدى ابن لبيد طوره حتى رام نقض رأى الحكم وحسبنا أن نسلك سبيله بعده ونحفظ بعد موته عهده انصرفى ياحسانة فقد عزلته لك ووقع لها بمثل توقيع أبيه الحكم فقبلت يده وأمر لها بجائزة فانصرفت وبعثت اليه بقصيدة منها

ابن الهشامين خير الناس مأثرة * وخير منتجع يوما لرواد
ان هز يوم الوغى أثناء صعدته * روى أنابيبها من صرف فرصاد
قل للامام أياخير الورى نسبا * مقابلا بين آباء وأجداد

لحية كم تطعنون فى على فيه قال أليس هو ابو فاطمة قلت ومن كانت فاطمة قال امرأة النبى عليه السلام بنت عائشة أخت معاوية قلت فما كانت قصة على قال قتل فى غزاة حنين مع النبى صلى الله عليه وسلم وقد كان عبد الله بن على حين خرج فى طلب مروان الى الشام وكان من قصة مروان ومقتله ماقد ذكر ونزل عبد الله بن على الشام ووجه الى أبى العباس السفاح اشياخا من اهل الشأم من أرباب النعم والرياسة يخلفهم والى العباس السفاح انهم ماعلموا الرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بنى امية حتى وليتم الخلافة فقال فى ذلك ابراهيم بن المهاجر البجلى

أيها الناس اسمعوا أخبركم * عجبا زاد على كل العجب
عجبا من عبد شمس انهم * فتحوا للناس أبواب الكذب
ورثوا المجد فيما زعموا * دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله مانلمه * يحرز الميراث الا من قرب

وقد كان ببغداد رجل فى أيام هرون الرشيد متطبب يطبب العامة بصفاته وكان دهريا يظهر أنه من أهل السنة والجماعة ويلعن أهل البدع ويعرف بالسنى تنقاد اليه العامة فكان

جوّدت طبعى ولم ترض الظلامة لى * فهاك فضل ثناء رائح غاد
فان أفت ففى نعماك عاطفة * وان رحلت فقد زوّدتنى زادى

*(ومنهن أم العلاء بنت يوسف الجبارية ذكرها صاحب المغرب وقال انها من أهل المائة الخامسة ومن شعرها

كل ما يصدر منكم حسن * وبعليا كم تحلى الزمن
تعطف العين على منظركم * وبذكراكم تلذ الاذن
من يعش دونكم فى عمره * فهو فى نيل الامانى يغبن

وعشقها رجل أشيب فكتبت اليه

الشيب لا يخدع فيه الصبى * بحيلة فاسمع الى نصحى
فلا تكن أجهل من فى الورى * يبيت فى الجهل كما يضحى

ولها أيضا

أفهم مطارح أحوالى وما حكمت * به الشواهد واعذرنى ولا تلم
ولا تكلنى الى عذر ابينه * شر المعاذير ما يحتاج للكلم
وكل ما جئته من زلة فبما * أصبحت فى ثقة من ذلك الكرم

والجارية بالراء المهملة نسبة الى وادى الجارة *(ومنهن امة العزيز قال الحافظ ابو الخطاب ابن دحية فى كتاب المطرب من أشعار المغرب أنشدتنى اخت جدى الشريفة الفاضلة امة العزيز الشريفة الحسنية لنفسها

لحاظكم تجرحنا فى الحشا * ولحظنا يجرحكم فى الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فما الذى اوجب جرح الصدود انتهى

قلت هذا السؤال يحتاج الى جواب وقد رأيت لبلدينا القاضى الامام الفاضل ابى الفضل قاسم العقبانى التلمسانى رحمه الله تعالى جوابه والغالب انه من نظمه وهو قوله

اوجبه منى يا سيدى * جرح بخد ليس فيه الجحود
وأنت فيما قلته مدع * فأين ما قلت وأين الشهود انتهى

*(ومنهن أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية) *قال ابن سعيد فى المغرب كانت تنظم الشعر وعشقت الفتى المشهور بالجمال من دانية المعروف بالسمار وعملت فيه الموشحات ومن شعرها فيه

يا معشر الناس ألا فاعجبوا * مما جنته لوعة الحب
لولا لم ينزل بدر الدجا * من أفقه العلوى للترب
حسبى بمن أهواه لو أنه * فارقنى تابعه قلبى

*(ومنهن الشاعرة الغسانية البجانية) بالنون نسبة الى بجانة وهى كورة عظيمة وتشتهر باقليم المرية وهى من أهل المائة الرابعة فمن نظمها من ابيات

عهدتهم والعيش فى ظل وصلهم * انيق ورو ض الوصل أخضر فينان
لياليّ سعد لا يخاف على الهوى * عتاب ولا يخشى على الوصل هجران

قائما على قدميه فقال لهم يا معشر المسلمين قلتم لا ضار ولا نافع الا الله فلاى شئ تسألونى عن مضاركم ومنافعكم الجؤا الى ربكم وتوكلوا على بارئكم حتى يكون فعلكم مثل قولكم فيقبل بعضهم على بعض فيقولون اى والله قد صدقنا فكم من مريض لم يعالج حتى مات ومنهم من كان يتركه حتى يسكن ثم يريه الماء فيصف له الدواء فيقول ايمانك ضعيف ولا لولا ذلك لتوكلت على الله كما أمرضك فهو يبرئك فكان يقتل بقوله هذا خلقا كثيرا لتزهيده اياهم فى معالجة مرضاهم ومن اخلاق العامة ان يسودوا غير السيد ويفضلوا غير الفاضل ويقولوا بعلم غير العالم وهم اتباع من سبق اليهم من غير تمييز بين الفاضل والمفضول والفضل والنقصان ولا معرفة للحق من الباطل عندهم ثم انظر هل ترى اذا اعتبرت ماذكرنا ونظرت فى مجالس العلماء هل تشاهدها الا مشحونة بالخاصة من اولى التمييز والمروءة والحجى وتقصد العامة فى احتشادها وجموعها فلا تراهم الدهر الا مرقلين الى فائدب وضارب بدف على سياسة قرد ومنشوقين الى اللهو واللعب أو مختلفين الى مشعبذ منمس مخرف أو

(ومنهن العروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكلب تسكنت بلنسية وكانت قد أخذت عن مولاها النحو واللغة لكنها فاقته في ذلك وبرعت في العروض وكانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر للقالي وتشرحهما قال أبو داود سليمان بن نجاح قرأت عليها الكتابين وأخذت عنها العروض توفيت ببلنسية بعد سيدها في حدود الخمسين والاربعمائة رحمها الله تعالى * (ومنهن حفصة بنت الحاج الركونية الشاعرة الاديبة المشهورة بالجمال والحسب والمال ذكرها الملاجي في تاريخه وأنشد لها مما قالته في أمير المؤمنين عبد المؤمن ابن علي ارتجالا بين يديه

يا سيد الناس يا من * يؤمل الناس رفده
أمن على بطرس * يكون للدهر عدة
تخط يمناك فيه * الحمد لله وحده

وأشارت بذلك الى العلامة السلطانية عند الموحدين فانها كانت أن يكتب السلطان بيده بخط غليظ في رأس المنشور الحمد لله وحده وتذكرت بذلك والشيء بالشيء يذكر انه لما قفل السلطان الناصر أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين يعقوب المنصور ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي سلطان المغرب والاندلس من افريقية سنة ثلاث وستمائة بعد فتح المهدية هنأته الشعراء بذلك ثم اجتمع أبو عبد الله بن مرج الكحل بالشعراء والكتاب فتذاكروا الفتح وعظمه فأنشدهم ابن مرج الكحل في الوقت لنفسه

ولما توالى الفتح من كل وجهة * ولم تبلغ الاوهام في الوصف حده
تركنا أمير المؤمنين لشكره * بما أودع السر الالهي عنده
فلا نعمة الا تؤدي حقوقها * علامته بالحمد لله وحده

فاستحسن الكتاب له ذلك ووقع أحسن موقع * وحكى صاحب كتاب روح الشعر وروح السحر وهو الكاتب أبو عبد الله محمد بن الجلاب الفهري أن أمير المؤمنين يعقوب المنصور لما قفل من غزوة الاراكة المشهورة وكانت يوم الاربعاء تاسع شعبان سنة احدى وتسعين وخمسمائة وردعليه الشعراء من كل قطر يهنئونه فلم يمكن لكثرتهم أن ينشد كل انسان قصيدته بل كان يختص منها بالانشاد البيتين او الثلاثة المختارة فدخل أحد الشعراء فأنشده

ما أنت في امراء الناس كلهم * الا كصاحب هذا الدين في الرسل
أحييت بالسيف دين الهاشمي كما * أحياه جدك عبد المؤمن بن علي

فأمر له بألفي دينار ولم يصل أحد غيره لكثرة الشعراء وأخذا بالمثل منع الجميع أرضى للجميع قال وانتهت رقاع القصائد وغيرها الى ان حالت بينه وبين من كان امامه لكثرتها انتهى * (رجع الى أخبار حفصة وأنشد لها أبو الخطاب في المطرب قولها

ثنائي على تلك الثنايا لانني * أقول على علم وأنطق عن خبر
وأنصفها لا اكذب الله انني * رشفت بها ريقا أرق من الخمر

وتولع بها السيد ابو سعيد عبد المؤمن ملك غرناطة وتغير بسببها على أبي جعفر بن سعيد حتى أدى تغيره عليه ان قتله وطلب ابو جعفر منها الاجتماع فطلته قد وشهر بن فكتب لها

مسمعين الى قاص كذاب أو مجتمعين حول مضروب اووقوفا عند مصلوب ينعق بهم ويصاح بهم فلا يرتدعون لا ينكرون منكرا ولا يعرفون معروفا ولا يبالون ان يلحقوا البار بالفاجر والمؤمن بالكافر وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فيهم حيث يقول الناس اثنان عالم ومتعلم وما عدا ذلك همج رعاع لا يعبأ الله بهم وكذلك ذكر عن علي وقد سئل عن العامة فقال همج رعاع اتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق واجمع الناس في تسميتهم على انهم غوغاء وهم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا ثم تدبر تفرقهم في احوالهم ومذاهبهم فانظر الى اجماع ملئهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يدعو الخلق الى الله اثنتين وعشرين سنة وهو ينزل عليه الوحي ويمليه على اصحابه فيكتبونه ويدونونه ويلتقطونه لفظة لفظة وكان معاوية في هذه المدة بحيث علم الله ثم كتب له صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهور فاشادوا من ذكره ورفعوا من منزلته بأن جعلوه كاتبا للوحي وعظموه بهذه الكلمة واضافوه اليها وسلبوها عن غيره واسقطوا ذكر سواه واصل ذلك العادة والالف وما ولدوا عليه ومانشؤا فيه فالغوا وقت التحصيل والبلوغ

يامن اجانب ذكر اسمه وحبي علامه
ما ان أرى الوعد يقضى * والعمر اخشى انصرامه
اليوم ارجوك لاان * يكون لى فى القيامه
لوقد بصرت بحالى * والليل أرخى ظلامه
أنوح شوقا ووجدا * اذ تستريح الحمامه
صب أطال هواه * على الحبيب غرامه
لمن يتيه عليه * ولا يرد سلامه
ان لم تنيلى أريحى * فاليأس يثنى زمامه

فاجابته

يامدعى فى هوى الحسن والغرام الامامه
أتى قريضك لكن * لم أرض منه نظامه
امدعى الحب يثنى * ياس الحبيب زمامه
ضللت كل ضلال * ولم تفدك الزعامه
مازلت تعجب مذ كنت فى السباق السلامه
حتى عثرت وأخللت باقتضاح السآمه
بالله فى كل وقت * يبدى السحاب انسجامه
والزهر فى كل حين * يشق عنه كمامه
لو كنت تعرف عذرى * كففت غرب الملامه

ووجهت هذه الابيات مع موصل ابياته بعد ما لعنته وسبته وقالت له لعن الله المرسل والمرسل فما فى جميعكما خير ولا لى برؤيتكما حاجة وانصرف بغاية من الحزى ولما أطل على ابى جعفر وهو فى قلق لانتظاره قال له ماوراءك ياعصام قال ما يكون وراءه من وجهه خلف الى فاعلة تاركة اقرأ الابيات تعلم فلما قرأ الابيات قال للرسول ما أسخف عقلك واجهلك انها وعدتنى للقبة التى فى جنتى المعروفة بالكمامة سر بنا فبادروا الى الكمامة فما كان الا قليلا واذا بها قد وصلت وأراد عتبها فانشدت

دعى عد الذنوب اذا التقينا * تعالى لانعد ولا تعدى

وجلسا على أحسن حالة واذا برقعة الكتندى الشاعر لابى جعفر وفيها

اباجعفر يابن الكرام الاماجد * خلوت بمن تهواه رغما لحاسد
فهل لك فى خل قنوع مهذب * كتوم عليم باختفاء المراصد
يبيت اذا يخلو المحب بحبه * ممتع لذات بخمص ولائد

فقرأها على حفصة فقالت لعنه الله قد سمعنا بالوارش على الطعام والواغل على الشراب ولم نسمع اسما لمن يعلم باجتماع محبين فيروم الدخول عليهما فقال لها بالله سميه لنكتب له بذلك فقالت اسميه الحائل لانه يحول بينى وبينك ان وقعت عينى عليه فكتب له فى ظهر رقعته

يامن اذا ما أتانى * جعلته نصب عينى
تراك ترضى جلوسا * بين الحبيب وبينى

وسر بورود ه لاختياره اياه على أخيه وأوسعه حلما واحتمالا فقال له يا أبا يزيد كيف تركت عليا فقال

الدراية والادباء قال الشاعر

لا تهنى بعد اذ أكرمتنى
فشديد عادة منتزعة
وقال آخر معاتبا لصاحبه
ولكن قطام النفس اثقل محملا
من الضخرة الصماحين ترومها

وقد قالت حكماء العرب العادة املك بالارب وقالت حكماء العجم العادة هى الطبيعة الثانية وقد صنف ابو عثمان الكاتب كتابا فى اخلاق العوام يصف فيه اخلاقهم وشيمهم ومخاطباتهم وسماه بالملهى ولولا انى اكره التطويل والخروج عما قصدنا اليه فى هذا الكتاب من الايجاز لشرحت من نوادر العامة واخلاقها وظرائف افعالها عجائب ولذكرت مراتب الناس فى اخلاقهم وتصرفهم فى احوالهم (فلنرجع) الآن الى اخبار معاوية وسياسته وما اوسع الناس من اخلاقه وما افاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب به القلوب واستدعى به النفوس حتى آثروه على الاهل والقرابات من ذلك أنه وفد عليه عقيل بن ابى طالب منتجعا وزائرا فرحب به معاوية

لرددت عليك أبا يزيد جوابا
تألم منه ثم أحب معاوية
ان يقطع كلامه مخافة ان
يأتي بشئ يحفظه فوثب
عن مجلسه وأمره ان ينزل
وحمل اليه مالا عظيما فلما
كان من غد جلس وارسل
اليه فاتاه فقال له يا ابا يزيد
كيف تركت علينا خالك
قال تركته خيرا لنفسه منك
وانت خير لي منه فقال له
معاوية انت والله كما قال
الشاعر
واذا عددت فخار آل محرق
فالمجد منهم في بني عتاب
فعل المجد من بني هاشم
منوط فيك يا ابا يزيد ما تغيرك
الايام والليالي فقال عقيل
اصبر لحرب انت جانيها
لابد ان تصلى بحاميها
وانت والله يا ابن ابي سفيان
كما قال الآخر
واذا هوازن اقبلت بفخارها
يوما فخرتهم بآل مجاشع
يا لحاملين على الموالي
عزمهم والضاربين الهام
يوم القارع * ولكن انت
يا معاوية اذا افتخرت بنو
امية فيمن تفخر فقال معاوية
عزمت عليك ابا يزيد
لما امسكت فاني لم اجلس
لهذا وانما اردت ان اسألك
عن اصحاب علي فانك

ان كان ذاك فماذا * تبغي سوى قرب حيني
والآن قد حصلت لي * بعد المطال بديني
فان أتيت فدفعا * منها بكلتا اليدين
اوليس تبغي وحاشا * لك ان ترى طير بين
وفي مبيتك بالحمس كل قبح وشين
فليس حقك الا الخلو بالقمرين

وكتب له تحت ذلك ما كان منها من الكلام وذيل ذلك بقوله

سمالك من اهواه حائل * ان كنت بعد العتب واصل
مع ان لونك مزعج * لو كنت تحبس بالسلاسل

فلما رجع اليه الرسول وجده قد وقع مغمورة بحاسة وصار هتكة فلما قرأ الابيات قال للرسول اعلمهما بحالي فرجع الرسول واخبرهما بذلك فكاد أن يغشى عليهما من الضحك وكتبا اليه ارتجالا كل واحد بيتا بيتا وابتدأ أبو جعفر فقال

قل للذي خلصنا * من الوقوع في الخزا
ارجع كما شاء الخزا * يا ابن الخزا الى ورا
وان تعد يوما الى * وصال ناس وفترى
يا اسقط الناس ويا * انذلهم بلا مرا
هذا مدى الدهر تلا * قي لو أتيت في السكرا
يا لحية تشغف في السخر * وتشتنا العنبرا
لاقرب الله اجتماعا * عابك حتى تقبرا

ومن شعرها

سلام يفتح في زهره الكلام وينطق ورق الغصون
على نازح قد ثوى في الحشا * وان كان تحرم منه الجفون
فلا تحسبوا العبد ينساكم * فذلك والله ما لا يكون

وقولها من أبيات

ولو لم يكن نجما لما كان ناظري * وقد غبت عنه مظلما بعد نوره
سلام على تلك المحاسن من شيح * تناءت بنعماه وطيب سروره

وقولها سلوا البارق الخفاق والليل ساكن * اظل بأحبابي بذكرى وهنا
لعمري لقد اهدى لقلبي خفقه * وأمطرني منهل عارضه الجفنا

ونسب بعض انيها البيتين المشهورين

أغار عليك من عيني رقيبي * ومنك ومن زمانك والمكان
ولو اني خبأتك في عيوني * الى يوم القيامة ما كفاني

والله تعالى أعلم وكتبت الى أبي جعفر

رأست فما زال العذاة بظلمهم * وعلمهم الناهي يقولون لم رأس

ذو معرفة بهم فقال عقيل سل عما بدا لك فقال ميز لي اصحاب علي وابدأ بآل صوحان فانهم مخاريق الكلام وهل

ويفتق مارتق قليل النظير وأما زيد وعبد الله فانهما نهران جاريان يصب فيهما الخلجان ويغاث بهما البلدان رجلا جدلا لعب معه وأما بنو صوحان فكما قال الشاعر

اذا نزل العدو فان عندى اسودا تخلس الاسد النفوسا

فاتصل كلام عقيل بصعصعة فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم ذكر الله اكبر به يستفتح المستفتحون وانتم مفاتيح الدنيا والآخرة اما بعد فقد بلغ مولاك كلامك لعدو الله وعدوه فحمدت الله على ذلك وسألته ان يفيء بك الى الدرجة العليا والقضيب الاحمر والعمود الاسود فانه عمود من فارقه الدين الازهر ولئن نزعت بك نفسك الى معاوية طلبا لماله انك لذو علم بجميع خصاله فاحذر ان تعلق بك ناره فيضلك عن الحجة فان الله قد رفع عنكم اهل البيت ما وضعه في غيركم فما كان من فضل او احسان فبكم وصل الينا فأجل الله اقدارکم وحيى اخطاركم وكثب آثاركم فان اقداركم مرضية واخطاركم مجيبة وآثاركم بدرية وانتم سلم الله الى خلقه ووسيلته الى طرقه ايد عليه ووجوه جليه

وهل مذكر أن ساد أهل زمانه * جموح الى العلياء حرون عن الدنس

وقال ابن دحية حفصة من أشراف غرناطة وخيمة الشعر رقيقة النظم والنثر انتهى ومن قولها في السيد أبي سعيد ملك غرناطة تهنئه بيوم عيد وكتبت بذلك اليه

ياذا العلا وابن الخليفة والامام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى * فيه بما تهوى القضا
وأتاك من تهواه في * قيد الانابة والرضا
ليعيد من لذاته * ماقد تصرم وانقضى

وذكر الملاحي في تاريخه انها سألتها امرأة من أعيان غرناطة أن تكتب لها شيأ بخطها فكتبت اليها

ياربة الحسن بل يا ربة الكرم * غضي جفونك عما خطه قلمي
تصفحيه بلحظ الود منعطفا * لاتحفلي بردي الخط والكلم

واتفق ان بات أبو جعفر بن سعيد معها في بستان يحوز مؤمل على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة ونضارة النعيم فلما حان الانفصال قال أبو جعفر وكان يهواها كما سبق

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم * عشية وارانا بحوزمؤمل
وقد خفقت من نحو نجد أريحة * اذا نفحت هبت بريا القرنفل
وغردقرى على الدوح واثنى * قضيب من الريحان من فوق جدول
يرى الروض مسرورا اذا قد بداله * عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتب بها اليها بعد الافتراق تعجبه على عادتها في مثل ذلك فكتبت اليه بقولها

لعمرك ماسر الرياض بوصلنا * ولكنه ابدى لنا الغل والحسد
ولاصفق النهر ارتياحا لقربنا * ولاغرد القمري الا وجد
فلاتحسن الظن الذي أنت أهله * فاهوى في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الافق أبدى نجومه * لامرسوى كيما تكون لنا رصد

وقال ابن سعيد في الطالع السعيد كتبت حفصة الركونية الى بعض أصحابها

ازورك ام تزورفان قلبي * الى ما تشتهي أبدا يميل
فثغري مورد عذب زلال * وفرع ذؤابتي ظل ظليل
وقد أملت أن تظما وتضحى * اذا وافى البلك بي المقيل
فبجل بالجواب فما جميل * اباؤك عن بثينة يا جميل

قال التجاني تشبه أبيات حفصة هذه أبيات أنشدها ابن أبي الحسين في تاريخه لسلمى بنت القراطيسي من أهل بغداد وكانت مشهورة بالجمال وهي

عيون مها الصريم فداء عيني * وأجياد الظباء فداء جيدي
أزين بالعقود وان نحري * لازين للعقود من العقود
ولا أشكو من الاوصاب ثقلا * وتشكو قامتي ثقل النهود

وبلغت هذه الابيات المقتفي أمير المؤمنين فقال اسألوا هل تصدق صفتها قولها فقالوا

وتغرس الا فى منابتها النخل

(وحدث) ابو الهيثم عن ابى سفيان عمرو بن يزيد عن البراء بن يزيد عن محمد بن عبد الله بن الحرث الطائى ثم احد بنى عفان قال لما انصرف على من الجمل قال لاذنه من بالباب من وجوه العرب قال محمد بن عمير بن عطارد التميمى والاحنف بن قيس وصعصعة ابن صوحان العبدى رجال سماهم فقال ائذن لهم فدخلوا فسلموا بالخلافة فقال لهم انتم وجوه العرب عندى ورؤساء اصحابى فأشيروا على فى امر هذا الغلام المترف يعنى معاوية فافتتح بهم المشورة عليه فقال صعصعة ان معاوية ترفه الهوى وحببت اليه الدنيا فهانت عليه مصارع الرجال وابتياع آخرته بدنياهم فان تعمل فيه برأى ترشد وتصب ان شاء الله والتوفيق بالله وبرسوله وبك يا امير المؤمنين الرأى ان ترسل اليه عينا من عيونك وثقة من ثقاتك بكتاب تدعوه الى بيعتك فان اجاب واناب كان له مالك وعليه ما عليك والا جاهدته وصبرت لقضاء الله حتى يأتيك اليقين فقال على عزمت عليك يا صعصعة الا كتبت الكتاب بيدك وتوجهت به الى معاوية فطالب

ما يكون أجلد منها فقال اسألوا عن عفافها فقالوا له هى أعف الناس فأرسل اليها مالا جزيلا وقال تستعين به على صيانة جمالها ورونق بهجتها انتهى *(رجع الى حفصة) وقال أبو جعفر بن سعيد أقسم ما رأيت ولا سمعت بمثل حفصة ومن بعض ما أجعله دليلا على تصديق عزمى وبرقسمى أنى كنت يوما فى منزلى مع من يحب أن يخلى معه من الاجواد الكرام على راحة سمعت بها غفلات الايام فلم نشعر الا بالباب يضرب فخرجت جارية تنظر من الضارب فوجدت امرأة فقالت لها ما تريدين فقالت ادفعى لسيدك هذه الرقعة فجاءت برقعة فيها

زائر قد أتى بجيد الغزال * مطلع تحت جنحه للهلال
بلحاظ من سحر بابل صيغت * ورضاب يفوق بنت الدوالى
يفضح الورد ما حوى منه خدّ * وكذا الثغر فاضح للاآلى
ما ترى فى دخوله بعد اذن * أو تراه لعارض فى انفصال

قال فعلمت أنها حفصة وقت مبادرة الباب وقابلتها بما يقابل به من يشفع له حسنه وآدابه والغرام به وتفضله بالزيارة دون طلب فى وقت الرغبة فى الانس به انتهى قلت واذ قد جرى ذكر أبى جعفر بن سعيد سابق الحلبة فلنلم ببعض أحواله فنقول هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى قال قريبه أبو الحسن على بن موسى بن سعيد فى المغرب سمعت أبى يقول لا أعلم فى بنى سعيد أشعر منه بل لا أعلم فى بلده وعشق حفصة شاعرة الاندلس وكانا يتجاوبان تجاوب الحمام ولما استبد والده بأمر القلعة حين ثار أهل الاندلس بسبب صولة بنى عبد المؤمن على الملثمين اتخذه وزيرا واستنابه فى أموره فلم يصبر على ذلك واستعفى فلم يعفه وقال أو مثل هذا الوقت الشديد تركن الى الراحة فكتب اليه

مولاى فى أى وقت * أنال فى العيش راحه
ان لم أنلها وعمرى * ما ان أنار صباحه
وللملاح عيون * تميل نحو الملاحه
وكاس راحى ما ان * تمل منى راحه
والخطب عنى أعمى * لم يقترب لى ساحه
وأنت دونى سور * من العلا والرجاحه
فأعفنى وأقلنى * مما رأيت صلاحه
ما فى الوزارة حظ * لمن يريد راحه
كل وقال وقيل * مما يطيل نباحه
أنسى أتى مستقيلا * فاترك فديت سراحه

فلما قرأ الابيات قال لا يفع الله بما لا يكون مركبا فى الطبع مائلة له النفس ثم وقع على ظهر ورقته قد تركنا سراح أنسك والحقنا يومك بامسك ولما رجع ثوار الاندلس الى عبد المؤمن وبايعه عبد الملك بن سعيد فغمره احسانا وبرا وولى السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن غرناطة طلب كاتبا من أهلها فوصف له فضل أبى جعفر وحسبه وأدبه فاستكتبه

فطلب أن يعفيه فابى الى أن شرب أبو جعفر يوما مع بعض خواصه وخرج ثانى يوم الى الصيد وكان اليوم ذا غيم وبرد ولما اشتد البرد مالوا الى خيمة ناطور وجعلوا يصطلون ويشربون على ما اصطادوا فحمل أبا جعفر بقية السكر على أن قال يصف يومه ويستطرد بما فى نفسه

ويوم تجلى الافق فيه بعنبر * من الغيم لذنا فيه بالله والقنص
وقد بقيت فينا من الامس فضلة * من السكر تغرينا بمنتهب الفرص
ركبنا اليه صيحا وليلا وبعضنا * اصيلا وكل ان شد اجلجل رقص
وشهب براة قد رجمنا بشهبها * طيورا يساغ اللهو ان شكت الغصص
وعن شفق تغزى الصباح اوالدجا * اذا اوثقت ما قد تحرك او قص
وملنا وقد نلنا من الصيد سؤلنا * على قنص اللذات والبرد قد قرص
بخيمة ناطور توسط عذبها * جحيم به من كان عذب قد خلص
ادرنا عليه مشمشا له ذهبية * دعته الى الكبرى فلم يجب الرخص
فقل لحريص ان يرانى مقيدا * بخدمته لا يجعل البازى القفص
وما كنت الا طوع نفسى فهل ارى * مطيعا لمن عن شأو فخرى قد نقص

فكان من اصحابه من حفظ هذين البيتين ووشى بهما للسيد فعزله اسوأ عزل ثم بلغه بعد ذلك انه قال لحفصة الشاعرة ما تحبين فى ذلك الاسود وأنا أقدر أن اشترى لك من سوق العبيد عشرة خيرا منه وكان لونه مائلا الى السواد فاسرها فى نفسه الى ان فر عبد الرحمن بن عبد الملك ابن سعيد الى ملك شرق الاندلس محمد بن مردنيش فوجد له بذلك سببا فقتله صبرا بالقلعة وكان عبد الملك بن سعيد يذكر ابنه اباجعفر لعبد المؤمن وينشده من شعره رغبة فى تشريفه بالحضور بين يديه وانشاده فى مجلسه فأمره بحضوره فعند ما دخل عليه قبل يده وانشد قصيدة منها قوله

عليك اطالنى داعى النجاح * ونحوك حثنى حادى الفلاح
وكنت كسا هر ليلا طويلا * ترنح حين بشر بالصباح
وذى جهل تغلغل فى قفار * شكا ظمأ فدل على القراح
دعانا نحو وجهك طيب ذكر * ويذكر للرياض شذا الرياح

وله فى غلام اسود ساق ارتجالا

اداروعلينا الكاس ظبى مهفهف * غدا نشره واللون للعنبر الشحرى
وزادلنا حسنا بزهر كؤسه * وحسن ظلام الليل بالانجم الزهر

وقوله فيه وقد لبس ابيض

وغصن من الآبنوس ارتدى * بعاج كليل علاه فلق
يحاكى لنا الكاس فى كفه * صباح بجنح علاه شفق

وقوله مما كتب به الى اخيه محمد وقد ورد منه كتاب بانعام

وافى كتابك ينبى * عن سابغ الانعام
فقلصت در ودر * من زاخر وغمام

فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على امير المؤمنين الى معاوية سلام عليك أما بعد ثم اكتب ما أشرت به على واجعل عنوان الكتاب الا الى الله تصير الامور قال اعفنى من ذلك قال عزمت عليك لتفعلن قال أفعل فخرج بالكتاب وتجهز وسار حتى ورد دمشق فأتى باب معاوية فقال لآذنه استأذن لرسول أمير المؤمنين على ابن أبى طالب وبالباب أردفة من بنى أمية فأخذته الايدى والنعال لقوله وهو يقول أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وكثرت الجلبة واللغط فاتصل ذلك بمعاوية فوجه من يكشف الناس عنه فكشف واثم أذن لهم فدخلوا فقال لهم من هذا الرجل قالوا رجل من العرب يقال له صعصعة بن صوحان معه كتاب من على فقال والله لقد بلغنى أمره هذا أحد سهام على وخطباء العرب ولقد كنت الى لقائه شيقا ائذن له ياغلام فدخل عليه فقال السلام عليك يا ابن أبى سفيان هذا كتاب أمير المؤمنين فقال معاوية أما انه لو كانت الرسل تقتل فى جاهلية أو اسلام لقتلتك ثم اعترضه معاوية فى الكلام وأراد ان يستخرجه ليعرف

وقوله يذم حماما

يارب حمام لعنابها * أبدى الينا كل حمام
أفق له قط رحيم كما * أصمت سهام من يدى رامى
يخرق صحبا للدخان الذى * لاح كغيم العارض الهامى
وقيم يجذبنى جذبة * وتارة يكسر ابهامى
و يجمع الاوساخ من لؤمه * فى عضدى قصد الاعلامى
وازدحم الاقذال فيه وقد * ضجوا ضجيجا دون افهام
و جملة الامر دخلنا بنى * سام وعدنا كبنى حام

وله فى ضد ذلك والنصف الاخير لابن بقى

لا أنس ماعشت حماما ظفرت به * وكان عندى أحلى من جنى الظفر
نعمت جسمى فى ضدين مغتنما * تنعم الغصن بين الشمس والمطر

وقال له السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة ما أنت الا حسن الفراسة وافر العقل فقال

نسبتم لمن هذبتموه فراسة * وعقلا ولولاكم للازمه الجهل
وماهو أهل للثناء وانما * علاكم لتقليد الايادى له أهل
وما أنا الا منكم واليكم * ومافى من خير فأنتم له أصل

وقال ولما رأيت السعد فى صفع وجهه * منيرا دعانى ما رأيت الى الشكر
وأقبل يدى لى غرائب نطقه * وما كنت أدرى قبله منزع السحر
فأصغيت اصغاء الحديب الى الحيا * وكان ثنائى كالرياض على القطر

وله لا تكثرن عتابى * ان طال عنك فراقى
فما يضر بعاد * يطول والود باقى

وله ماخدمنا كم لأن تشفعوا فينا بدار الجزاء يوم الحساب
ذاك يوم أنا وأنت سواء * فيه كل يخاف سوء العقاب
انما الشان الذب فى هذه الدنيا بما لطانكم عن الاصحاب
واذا ماخذلتموهم بشكوى * وبخلتم عنهم برد الجواب
فاعذروهم ان يطلبوا من سواكم * نصرة وارفعوا حال العتاب
واذا أرض مجدب لفظته * فله العذر فى اتباع السحاب

وله وقد تقدم أمامه فى ليلة مظلمة أحد أصحابه فطفئ السراج فى يده فقال لوقته

لى من جبينك هادى * فى الليل نحو مرادى
فما أريد سراجا * يدلنى لرشادى
أنى وكفك صحب * يبدو بها ذا تقادى

وله فى قوادة

قوادة تفخر بالعار * أقود من ليل على سار

لقى افترس واذا انصرف احترس قال فمن أى أولاده أنت قال من ربيعة قال وما كان ربيعة قال كان يطيل النجاد و يعول العباد و يضرب بيقاع الارض العماد قال فمن أى اولاده أنت قال من جديلة قال وما كان جديلة قال كان فى الحرب سيفا قاطعا وفى المكرمات غيثا نافعا وفى اللقاء لهباسا طعا قال فمن أى أولاده انت قال من عبد القيس قال وما كان عبد القيس قال كان حضر ياخصيبا أبيض وهابا الضيفه مايجد ولا يسأل عما فقد كثير المرق طيب العرق يقوم للناس مقام الغيث من السماء قال ويحك يا ابن صوحان فما تركت لهذا الحى من قريش مجدا ولا فخرا قال بلى والله يا ابن أبى سفيان تركت لهم مالا يصلح الا بهم ولهم تركت الابيض والاحمر والاصفر والاشقر والسرير والمنبر والملك الى المحشر وأنى لا يكون ذلك كذلك وهم منا والله فى الارض ونجومه فى السماء ففرح معاوية وظن أن كلامه يشتمل على قريش كلها فقال صدقت يا ابن صوحان ان ذلك لكذلك فعرف صعصعة ما أراد فقال ليس لك ولا لقومك فى ذلك اصدار ولا ايراد ولا

بعد تم عن أنف المرعى وعلوتم عن عذب الماء قال فلم ذلك ويلك يا ابن صوحان قال الويل لاهل النار ذلك لبني هاشم قال قم فأخرجوه فقال صعصعة الصدق ينبئ عنك لا الوعيد من أراد المشاجرة قبل المحاورة فقال معاوية لشئ ماسوّدوه قومه وددت والله أني من صلبه ثم التفت الى بني أمية فقال هكذا فلتكن الرجال (وحدث) منصور ابن وحشي عن أبي الغياض عبد الله بن محمد الهاشمي عن الوليد بن البختري العبسي عن الحرث بن مسمار البهراني قال حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدي وعبد الله ابن الكوّاء اليشكري ورجالا من أصحاب علي مع رجال من قريش فدخل عليهم معاوية يوما فقال نشدتكم بالله الا ما قلتم حقا وصدقا أي الخلفاء رأيتموني فقال ابن الكوّاء لولا انك عزمت علينا ما قلنا لانك جبار عنيد لا تراقب الله في قتل الاخيار ولكنا نقول انك ما علمنا واسع الدنيا ضيق الآخرة قريب الثرى بعيد المرعى تجعل الظلمات نورا والنور ظلمات فقال معاوية ان الله أكرم هذا الامر بأهل الشام الذابين عن بيضته الناكثين لمحارمه ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله والمحلين ما حرم الله

ولاجئة في كل دار وما * يدري بها من حذقها داري
طريفة مقبولة الملتقى * خفيفة الوطء على الجار
تحافها الاينطوي دائما * أقلق من رابة بيكار
قد بيت مذ عرفت نفعها * ما بين فتاك وشطار
جاهلة حيث ثوى مسجد * عارفة حانة خمار
بسامة مكثرة برها * ذات فكاهات وأخبار
علم الرياضات حونية وسا * سة بتقويم واسحار
مبتاعة للنعل من كيسها * موسرة في حال اعسار
تكاد من لطف أحاديثها * تجمع بين الماء والنار

وما سمعنا في هذا الباب أحسن من هذا والبيت السائر

تقود من السياسة ألف بغل * اذا حرنت بخيط العنكبوت

وشرب ليلة مع أصحاب له وفيهم وسيم فأعرض بجانبه وقطب فتكدر المجلس فقال أبو جعفر

يا من نأى عنا الى جانب * صدا كميل الشمس عند الغروب
لا تزوعنا وجهك المجتلى * فالشمس لا يعهد منها قطوب
ان دام هذا الحال ما بيننا * فاننا عما قليل نتوب
ما نشتكي الدهر ولا خطبه * لولاك ما دارت علينا خطوب

وله أيا لائمي في حمل صحبة جاهل * قطوب المحيا سيئ اللفظ والسمع
لنفعة ترجى لديه صحبته * وان كان ذا طبع يخالفه طبعي
كما احتمل الانسان شرب مرارة الدواء لما يرجو لديه من النفع

وله وقد أحسن ما شاء

تركتكم لا كارها في جنابكم * ولكن أبى ردى الى بابكم دهري
وطاحت بي الاطماع في كل وجهة * تنقلني من كل سهل الى وعر
وما باختياري فارق الخلد آدم * وما عن مراد لاذ أيوب بالصبر
ولكنها الايام ليست مقيمة * على ما اشتهاه مشته أمد العمر
وانك ان فكرت فيما أتيته * تيقنت أن الترك لم يك عن غدر
ولكن لجاج في النفوس اذا انقضى * رجعت كما قد عاد طير الى وكر
واني لمنسوب اليكم وان نأت * بي الدار عنكم والغدير الى القطر
واني لمن بالذي نلت منكم * مقيم على ما تعلمون من البر
وان خنتكم يوما فخانني المنى * وساء لديكم بعد احماده ذكري
على أنني أقررت أني مذنب * وذو الجد من يغني المقر عن العذر

وله يصف نارا

نظرت الى نار تصول على الدجا * اذا ما حسبناها تدانت تبعد
ترفعها أيدي الرياح وتارة * تخفضها مثل المكبر يسجد

فان كنت تطلق ألسنتنا ذبنا عن أهل العراق بألسنة حداد لا يأخذها في الله لومة لائم والا فانا صابرون حتى يحكم الله ويضعنا على فرجه قال والله لا يطلق لك لسان ثم تكلم صعصعة فقال تكلمت يا ابن أبي سفيان فابلغت ولم تقصر عما أردت وليس الامر على ماذكرت أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهرا ودانهم كبرا واستولى بأسباب الباطل كذبا ومكرا أما والله مالك في يوم بدر مضرب ولا مرمى وما كنت فيه الا كما قال القائل (لا حلى ولا سيرى)

ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير من أجلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أنت طليق ابن طليق أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى تصلح الخلافة للطليق فقال معاوية لولا أنى أرجع الى قول أبي طالب حيث يقول

قابلت جهلهم حلما ومغفرة والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

لقتلتكم (وحدث) أبو جعفر محمد بن حبيب قال أخبرنا أبو الهيثم يزيد بن رجاء الغنوي قال أخبرنا الوليد بن البختري عن أبيه عن أبي مزروع الكلبي قال دخل صعصعة ابن صوحان على معاوية فقال

والآخر لا يملك الصبر قلبه * يقوم به غيظ هنالك و يقعد
لها السن تشكو بها ما أصابها * وقد جعلت من شدة القر ترعد

وله على لسان انسان أخلقت بردته

مولاى هذى بردتى أخلقت * وليس شئ دونها أملك
وصرت من باس ومن فاقة * أبكى اذا أبصرتها تضحك

وله يستدعى أحد أبناء الرؤساء الى يوم اجتماع

تدار كنا فانا فى سرور * وما بسواك يكتمل السرور
أهلة انسنا بك فى تمام * أليس تتم بالشمس البدور

وله وقد خطر على منزله من له اليه ميل وقال لولا أخاف التثقيل لدخلت وانصرف فلما علم أبو جعفر كتب اليه

مولاى لم تقصد تعذيب من * يهوى وما قصدك مجهول
طلبت تخفيفا بعدو فى * تخفيف من تهواه تثقيل
غيرك ان زارنى ضجرة * ولج منه القال والقيل
وأنت ان زرت حياة وما * العيش اذا ما طال مملول

وله وقد جلس الى جانبه رجل تكلم فأبان عن علو قدر فسأله عن بلده فقال اشبيلية فغمز ثم قال

ياسيدا لم أكن من قبل أعرفه * حتى تكلم مثل الروض بالعبق
وزادنى أن غدا فى حمص منشؤه * لقد تشاكل بين البدر والافق

وله وقد حضر مجلسا مع اخوان له فى انبساط ومزاح فدخل عليهم أحد ظرفاء الغرب بوجه طلق وبشاشة فاهتز لما سمع بينهم وجعل يصل ما يحتاج من مزاحهم الى صلة بأحسن منزع وأنبل مقصد فأنشده أبو جعفر ارتجالا

ياسيدا قد ضمه مجلس * حل به للمزح اخوان
لم يلق من فجأته خجلة * ولا تغاه عنه كتمان
كأنه من جمعنا واحد * لم ينب منا عنه انسان
ولم نكن ندريه لكن بدا * فى وجهه للظرف عنوان

وله وقد لقى أحد اخوانه وكان قد أطال الغيبة عنه فدار بينهما ما أوجب ان قال

ان لحت لم تلمع سواك الاعين * أو غبت لم تذكر سواك الالسن
أنت الذى ما ان يمل حضوره * ومغيبه السلوان عنه يؤمن

وله وهو من آياته

انى لاحمد طيفها وألومها * والفرق بينهما الدى كبير
هى ان بدت لى شيبة فى جفوة * والطيف فى حين المشيب يزور
واذا توالى صدها أو بينها * وافى على أن المزار عسير

وله وقد سار بعض الاراذل بماله فنكب فى سفره وعاد فقيرا يأسوا أحواله

له يا ابن صوحان انت دومعرفة بالعرب وبحالها فاخبرني عن أهل البصرة وايالك والجهل على قوم لقوم

اغدو لا يغن عنك القيل والقال * فالجود مبتسم والفضل يختال
قالوا فلان رماه الله في سفر * رآه رأيا بما حالت به الحال
فاذهب منه سليبا مثل مولده * عليه ذل وتفجيع واقلال
فقلت لا خفف الرحمن عنه فلم * يكن لديه على القصاد اقبال
فقل له دام في ذل ومسغبة * ولا أعيدت له في المال آمال
قد كان حقك حسن المال يستره * فاليوم أصبحت لا عقل ولا مال

وله وقد سافر أحد الرؤساء من أصحابه

أيا غائبا لم يغب ذكره * ولا حال عن وده حائل
لئن مال دهري بي عنكم * فقلبي نحوكم مائل
فاني شاهدت منكم ملا * من العجز قس بها باقل
لئن طال بي البعد عن لحظكم * فما في حياتي اذن طائل

وله وهو من حسناته

شقت جيوب فرحا عندما * آبت وفي البعد تشق القلوب
فقلت هذا موقف ما يشق الجيب فيه غير صب طروب
فابتسمت زهوا وقالت كذا الاوفى لعود الشمس شق الجيوب

وله وقد اجمع رأيه على أن يغد على أمير المؤمنين عبد المؤمن فأخذ في ذلك مع أصحاب له فجعلوا يثنونه عن ذلك وظهر عليهم الحسد له فقال

سر نحو ما تختار لا تسمعن * ما قاله زيد ولا عمرو
كلهم يحسد ما رمته * مهما يساعد رأيك الدهر
عجبت من رام صدر العلا * يروم أن يصفوله دهر

فقالوا له اتهمتنا في الود فقال لولم أتهمكم كنت أتهم عقلي والعياذ بالله تعالى من ذلك وكيف لا أتهمكم وقد غدوتم تثنوني عن زيارة خليفة لوالدي عنده مكان وله علينا احسان ولي شافع عنده مقرب لمجلسه عقلي ولساني ولكني أنا المخطئ الذي عدلت عن العمل بقول القائل

ولم يستشر في أمره غير نفسه * ولم يرض الا قائم النفس صاحبا

وله في شعاع الشمس والقمر على النهر

الا حبذا نهر اذا ما لحظته * أبى أن يرد اللحظ عن حسنه الانس
ترى القمرين الدهر قد عنيا به * يفضضه بدر وتذهبه شمس

وله في والده وقد شن عليه درعا

أيا قائد الابطال في كل وجهة * تطير قلوب الاسد فيها من الذعر
لقد قلت لما أن رأيتك دارعا * أيا حسن ما لاح الحباب على البحر
وأنشدت والابطال حولك هالة * أيا حسن ما دار النجوم على البدر

وقوله وقد بلغه أن حاسدا شكره

متى سمعت ثناء * عمن غدا لك حاسد

قال البصرة واسطة العرب ومنتهى الشرف والسودد وهم أهل الخطط في أول الدهر وآخره وقد دارت بهم سروات العرب كدوران الرحا على قطبها قال فاخبرني عن اهل الكوفة قال قبة الاسلام وذروة الكلام ومصان ذوي الاعلام الا ان بها اجلافا تمنع ذوي الامر الطاعة وتحزبهم عن الجماعة وتلك اخلاق ذوي الهيئة والقناعة قال فاخبرني عن اهل الحجاز قال اسرع الناس الى فتنة واضعفهم عنها واقلهم عناء فيها غير ان لهم ثباتا في الدين وتمسكا بعروة اليقين يتبعون الائمة الابرار ويخلعون الفسقة الفجار فقال معاوية من البررة والفسقة فقال يا ابن أبي سفيان ترك الخداع من كشف القناع على وأصحابه من الائمة الابرار وأنت وأصحابك من أولئك ثم أحب معاوية أن يمضي صعصعة في كلامه بعد ان بان فيه الغضب فقال أخبرني عن القبة الحمراء في ديار مضر قال أسد مضر بسلاءبين غيلين اذا ارسلتها افترست واذا تركتها احترست فقال معاوية

هنالك يا ابن صوحان العزا راسي فهل في قومك مثل هذا لاهله دونك يا ابن ابي سفيان

فكان منك انخداع * به فرايك فاسد
بصدره منك نار * لهيبها غير خامد
وغله لك مازد * ت فى السعادة زائد
وانما ذاك منه * كالحب فى فيض صائد

وله أبصره من يلوم فيه * فقال ذا فى الجمال فائق
أما ترى ما دهيت منه * كان عذولا فصار عاشق

وله فى أبيه وقد سجنه عبد المؤمن

مولاى ان يحبسك خير خليفة * فبذاك فخرك واعتلاء الشان
فالجفن يحبس نوره من غبطة * والمرهفات تصان فى الاجفان
فابشر فنزع الدرمن أصدافه * يعليه للاسلاك والتيجان
والشمس غدا من ظل دونك مطلقا * ان القذى ملقى عن الاجفان
والعين تحبس دائما أجفانها * وهداية الانسان بالانسان
والطرس يختم ماحواه نفاسة * ويهان ما يبدو من العنوان
فاهنأ به لكن مليا مكثه * سجنا لغير مذلة وهوان
فلتعلون رغم الاعادى بعده * بذرى الخلافة فى ذرى كيوان

مولاى غيرك يعزى بما لم يزل يجرى على الكرام ويذكرتأنيساله فى الوحشة بما يطرأ من الكسوف والخسوف على الشمس المنيرة والبدر التمام

وأنت تعلم الناس التعزى * وخوض الموت فى الحرب السجال

وقد كان مولاى أنشدنى لعلى بن الجهم قائلا ان أحدا لم يسل نفسه عما ناله من السجن بمثله

قالوا سجنت فقلت ليس بضائرى * سجنى وأى مهند لا يغمد

الابيات ماذا نفيدك من العلم وصدرك ينبوعه وبحاطرك لا يزال غروبه وطلوعه وانما هى عادة تبعناها أدبا وقضينا بها فى النفس من الاعلام بالتوجع والتفجع أربا ولعل الله تعالى يتبع هذه التسلية بتهنئه ويعقب بالنعمة هذه المرزئه قال فام الملك بتسريحه اثر ذلك فلما اجتمع وجهه بوجهه جعل يحمد الله تعالى جهرا ويغرد بهذه الابيات وكان سراحه بكرة

طلعت علينا كالغزالة بالضحى * وعزك طماح ووجهك مشرق
فغفر الذنب الدهر أجمع انه * أتى اليوم من حسناه ما هو أليق
فلج فى سماء العز بالسعد طالعا * وقدرك سام أفقه ليس يلحق
فقد سرحت لما غدون مسرحا * قلوب وأفكار وسمع ومنطق

فاهتز أبوه من شدة الطرب وقال له والله انك لتملأ الدلو الى عقد الكرب وله يعتذر وقد دعى الى مجلس أنس سيدى ساعدك سؤلك لما وصل الى أخيك المعتد بك رسولك قابله بما يجب من القبول وأبدى له من الشغل ما منع من الوصول

ومن ذا الذى يدعى لعدن فلا يرى * على الرأس اجلالا اليها يبادر

ومن أحب قوما حشر معهم
قال والله ما أنا عنهم براض
ولكنى أقول فيهم وعليهم
هم والله أعلام الليل
واذناب فى الدين والميل لن
تغلب رايتها اذا رشحت
خوارج الدين برازخ اليقين
من نصروه فلج ومن خذلوه
زلج قال فاخبرنى عن مضر
قال كنانة العرب ومعدن
العز والحسب يقذف
البحر بها أذيه والبر برديه
ثم أمسك معاوية فقال
له صعصعة سل يا معاوية
والا أخبرتك بما تحيد عنه
قال وما ذاك يا ابن صوحان
قال اهل الشام قال فاخبرنى
عنهم قال اطوع الناس
لمخلوق واعصاهم للخالق
عضاة الجبار وخلفة
الاشرار فعليهم الدمار
ولهم سوء الدار فقال
معاوية والله يا ابن صوحان
انك لحامل مدية تمنذ
ازمان الا ان حلم ابن أبى
سفيان يردعنك فقال
صعصعة بل امر الله وقدرته
ان امر الله كان قدرا مقدورا
(حدث) ابو الهيثم قال حدثنى
ابو البشر محمد بن بشر
الغزارى عن ابراهيم بن
عقيل البصرى قال قال
معاوية يوما وعنده صعصعة
وكان قدم عليه بكتاب على
وعنده وجوه الناس
الارض لله وانا خليفة الله فما آخذ من مال الله فهو لى وما تركت منه كان جائزا لى فقال صعصعة ولكن

ولكن الاضطرار لايكون معه اختيار وانى لاشوق الناس الى مشاهدة تلك المكارم وأحبهم فى محاضرة تلك الآداب المترادفة ترادف الغمائم ولكن شغلنى عارض قاطع وبرغمى أنى لدعوتك عاص وله طائع وانى بعد ذلك لحامل على تلك السجية الكريمة فى الغفران مستجير بالخلاص الذى أعهد من خرق فلان ومكر فلان فانى متى غبت لا أعدم مترصدا قرحة يقع عليها ذبابه ومستجمعا اذا أبصر فرصة سل عليها ذبابه

ولكننى أدرى بانى نازح * ودان سواء عند من يحفظ العهدا

وانى لاقول وقد غبت عن تلك الحضرة العليه وجانبت ذلك الجناب السامى والمثابة السنيه

ائن غبت عمن نوره نور ناظرى * لحسبى لديه أن أغيب عقابا
وسوف أوافيه مقر ابزلتى * وفى حلمه أن لا يطيل حسابا

وله فى قصر النهار ولو لم يكن له غيره لكفاه

لله يوم مسرة * أضواؤا قصر من ذباله
لما نصبنا للمنى * فيه باوتار حباله
طار النهار به كر * تاع وأجفلت الغزاله

وهذا المعنى لم يسبق اليه ولم يقدر أحد أن ينزعه من يديه * ولما وصل صحبة والده الى اشبيلية افتتن بواديها واعتكف على الخلاعة فيها مصعدا ومنحدرا بين بساتينه ومنازهه فرليلة بطريانة فمال نحو منزه فيه طرب سمعه فاستوقفه هنالك وهو فى الزورق متكىء وأصحابه وأصحاب ابيه مظهرون انحطاطهم عنه فى المرتبة فأخرج رأسه أحد الانذال المعتادين بالنادر من شرجب والشرجب هو الدرابزين من خشب فيه طاقات وطريانة مقابلة اشبيلية وبها المنازه والابنية الحسنة فضرط له ذلك النذل بغاية ما قدر فرفع رأسه وقد أخذ منه السكر ولم يعتد مثل ذلك فى بلده وقال ياسفلة أتقدم على بهذا قبل معرفتى فمتى علىه واحدة أخرى ثم رفع ثوبه عن ذكره وهو منعظ وقال ياوز يرا جعل هذا عندك وديعة حتى أعرف من تكون ثم رفع ما على استه من ثيابه وقال واعمل من هذا غلافا للعيتك فاذا عرفنا ك ذهبنا لك فغلبه الضحك على الحرج وجعل أصحابه يقولون له ماسمعت ان من دخل هذا الوادى يعول على هذا وامثاله فمال عن ذلك المنزه قليلا واطرق ساعة وقال

نهر حمص لا عدمنا * ك فما مثلك نهر
فيك يلتذ ارتياح * ابد الدهر وسكر
كل عمر قد خلا منـ * ـك فما ذلك عمر
خصه الله بمعنى * فيه للالباب سر
يلعن الانسان فيه * وهو يضحى ويسر

ثم سأل بعد ذلك عن رب المنزه فسمى له واعلم ان ابن سعيد الشاعر المشهور باللص كان حاضرا وانه املى على السفلة ما قال وصنع فكتب له ابو جعفر

ياسمى وان افادا شـ * ـترا لك * غير ما يرتضيه فضل ود
أكذا يزدرى الخليل بأفق * أنت فيه ولم يكن منك رد

ومن لا يعلم يجهل قال معاوية ما احوجك الى ان اذيقك وبال امرك قال ليس ذلك بيدك ذلك بيد الذى لا يؤخر نفسا اذا جاء اجلها قال ومن يحول بينى وبينك قال الذى يحول بين المرء وقلبه قال معاوية اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير قال اتسع بطن من لا يشبع ودعا عليه من لا يجمع (قال المسعودى) ولصعصعة ابن صوحان اخبار حسان وكلام فى نهاية البلاغة والفصاحة والايضاح عن المعانى على ايجاز واختصار (ومن ذلك) خبره مع عبد الله بن العباس وهو ماحدث به المدائنى عن زيد ابن طليح الذهلى الشيبانى قال اخبرنى ابى عن مصقلة ابن هبيرة الشيبانى قال سمعت صعصعة بن صوحان وقد سأله ابن عباس ما السودد فيكم فقال اطعام الطعام ولين الكلام وبذل النوال وكف المرء نفسه عن السؤال والتودد للصغير والكبير وان يكون الناس عندك شرعا قال فما المروءة قال اخوان اجتمعا فان لقيا قهرا وان كان حارسهما قليل وصاحبهما

 نى جليل لحاجان الى صيانة مع نزاهة وديانة قال فهل تحفظ فى ذلك شعرا قال نعم اما سمعت قول مرة بن ذهل

لا أرى من سلطت وغدا ولكن * ليس يخفى عليك من هو وغد

فلما وقف على هذه الابيات كتب له مولاى وسيدى وأجل ذخرى للزمان وعضدى الذى أفخر بمشاركة اسمه وتنيه هذه الصناعة بذكره ورسمه

وخير الشعر أشرفه رجالا * وشر الشعر ما قال العبيد

سلام كنسيم على ذلك المقام الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته وان كان مولاى لم يفا تحنى بالسلام ولا رأنى أهلا لمقاومة الكرام لكن حط قدرى عنده ما نسب لى من الذنب المختلق ولا والله ما نطقت بلسان ولا كنت ممن رمق بل الذى زوّر لسيدى فى هذه الوشاية كان المعين عليها والملم اليها فبادر اليكم قبل أن أسبقه فاتسم باسقط خطتين النذالة الاولى والوشاية الاخرى ولولا أن المجالس بالامانات وأن الخلاعة بساط يطوى على ما كان فيه لكنت أسبق منه لكنى يأبى ذلك خلقى وما تادبت به ومع ذلك فانى أقول

فان كنت ذا ذنب فقد جئت تائبا * ومثلك غفار ومثلك قابل

ولولا ما أخشى من التثقيل وما أتوقع من الخجل اذا التقى الوجهان لأتيت حتى بلغت فى الاعتذار بالمشافهة ما لا يسع القرطاس لكننى متكل على حلم سيدى واغضائه متوسل فى الغفران اليه بعلائه وكتب تحت ذلك شعرا طويلا منه

ولا غرو ان تعفو وأنت ابن من غدا * تعود عفوا عن كبار الجرائم

لكم آل عمار بيوت رفيعة * تشيد من كسب الثنا بدعائم

اذا نحن أذنبنا رجونا ثوابكم * ولم نقتنع بالعفو دون المكارم

وانك فرع من أصول كريمة * ولا تلد الازهار غير الكمائم

وانى مظلوم لزورسمعته * وقد جئت أرجو العفو فى زى ظالم

فأجابه أبو جعفر بما نصه سيدى الذى أكبر قدره وأجل ذكره وأجزل شكره وصل جوابك الذى لو كان لك من الذنب ما تحمله ابن ملجم لاضربت لك عنه صفحا ونسيت بما تأخر ما تقدم ومعاذ الله أن أنسب لفضلك عيبا فأذم لك حضورا أو غيبا وانما قصدت بالمعاتبة ما تحتها من المطارحة والمداعبة على أن سيدى لو تيقنت أنه ظالم لانتدبت

منذ غداطرفك لى ظالما * ما ليت لا أدعو على ظالم

لكننى أتيقن خلاف ذلك وأعلم حتى كأنى حاضر ما كان هنالك وقد أطلت عليك وبعد هذا فلتعتمد على ان تصل الى أو أصل اليك فهذا يوم كما قال البستى

يوم له فضل على الايام * مزج السحاب ضياءه بظلام

فالبرق يخفق مثل قلب هائم * والغيم يبكى مثل جفن هام

فاختر لنفسك أربعا هن المنى * وبهن تصفو لذة الايام

وجه الحبيب ومنزلا مستشرفا * ومغنيا غردا وكاس مدام

وقد حضرت عند محبك الثلاثة فكن رابعها ونادت بك هم الامانى فكن بفضلك سامعها ومركز أفلاك هذه المسرة حين كتب هذه الرقعة الى مجدك منزه مطل على جزيرة سنتبوس لا أزال أترنم فيه بقول ابن وكيع

ابن شيبان حيث يقول واذا تقابل مجريان لغاية عثر الجبين واسلمته الارجل ويجىء الصريح مع العتاق معودا

قرب الجياد فلم يجئه الا فكل فى ابيات فقال له ابن عباس لوان رجلا ضرب آباط ابله مشرقا ومغربا لفائدة هذه الابيات ما عنفته انا منك يا ابن صوحان لعلى علم وحلم واستنباط ما قد عفا من اخبار العرب فمن الحليم فيكم قال من ملك غضبه فلم يفعل وسعى اليه بحق أو باطل فلم يقبل ووجد قاتل أبيه وأخيه فصفح ولم يقتل ذلك الحليم يا ابن عباس قال فهل تجد ذلك فيكم كثيرا قال ولا قليلا وانما وصفت لك أقواما لا تجدهم الا خاشعين راهبين لله مريدين ينيلون ولا ينالون فأما الآخرون فانهم سبق جهلهم حلمهم ولا يمالى أحدهم اذا ظفر ببغيته حين الحفيظة من كان بعدان يدرك زعمه ويقضى بغيته ولو وتره أبوه لقتل أباه أو أخوه لقتل أخاه أما سمعت الى قول ريان بن عمرو بن زيان وذلك ان عمرا أباه قتله مالك بن كومة فاقام ريان زمانا ثم غزا مالكا فاتاه فى مائتى فارس صباحا وهو فى اربعين بيتا فقتله وقتل أصحابه وقتل عمه فيمن

قم فاسقنى والخليج مضطرب * والريح تثنى ذوائب القضب
كانها والرياح تعطفها * صف قنا سندسية العذب
والجو فى حلة ممسكة * قد طرزتها البروق بالذهب

فان كان سيدى فى مثل هذا المكان جرينا اليه جرى الحلبة لحصل الرهان وان كان فى كسر بيته فليبادر الى محل تقصر عنه همة قيصر وكسرى وان أبطأ فان الرقاع بالاستدعاء لاتزال عليه تترى وان كان لايجدى هذا الكلام فما تنفع من العقوبة المؤلمة بالملام وعلى المودة المرعية الدعية أكمل ما يكون من السلام فعندما قرأ الرقعة ركب اليه زورقا وصنع هذه الابيات فى طريقه فعند وصوله أنشده اياها

ركبت اليك النهر يابحر فالقنا * بما يتلقى جوده كل قادم
بفيض ولكن من مدام وهزة * ولكن الى بذل الندى والمكارم
وكنا نسمى قبل كونك حاتما * ومذ حلت فينا لم نعد ذكر حاتم
با آل سعيد يفخر السعد والعلا * فأيديهم تلقى أيادى الغمائم

فامتلأ أبو جعفر سرورا وخلع عليه ما كان عنده هنالك وعده بغير ذلك فأطرق لينظم شيأ فى شكره فأقسم عليه أن لايشغل خاطره فى ذلك الوقت عن الارتياح وحث أكؤس الراح فاقبلوا على شأنهم وكان ابن سيد فى ذلك الحين منتشرا بشرب الراح وكان عند أبى جعفر خديم كثير النادر والالتفات يخاف أهل التستر من مثله فقال ابن سيد هات دواة وقرطاسا فاعطاه ذلك فكتب

ياسيدى قد علمت انى * بهذه الحال لا أطاهر
أخشى اناسا لهم عيون * نواظر ترمى المعاير
احذرهم طاقتى وانى * وثقت بالله فهو غافر
ولا تقس حالتى بحال * منك اعتذارا فالفرق ظاهر
فأنت ان كنت ذا جهار * غير مبال فالجاه ساتر
لاتخش من قول ذى اعتراض * ولا حسود عليك قادر
وانى قد رأيت ممن * يكثر القول وهو ساخر
ما قد أراب العفيف منه * ضحك وظن به يجاهر
أخشى اذا قيل كيف كنتم * قال بحال تسر ناظر
واللص ما بيننا صريعا * بكل كاس عليه دائر
مطرحا للصلاة يصغى * لصولة الدف والمزامر
فأعتدى سيدى مشارا * الى مهما مر ت خاطر
وان أتيت الملوك أبغى * نوالهم قيل أى شاعر
يذكر فى شعره خلافا * وهو لزور المحال ذاكر
بالامس قد كان ذا انتهاك * فحاله بعد ذاك عاذر
ان كان هذا فان حظى * وافى لريح فاب خاسر

فى ذلك قتلت صاحبنا فقال

فلو أمى نقفت بحيث كانوا
لبل ثيابها علق صيب
ولو كانت أمية أخت عمرو
بهذا الماء ظل لها نحيب
شهرت السيف فى الاد نين منى
ولم تعطف أواصرنا قلوب

فقال ابن عباس فى الفارس فيكم حدلى حدا أسمعه منك فانك تضع الاشياء مواضعها يا ابن صوحان قال الفارس من قصر أجله فى نفسه وضخم على أمله بضرسه وكانت الحرب أهون عليه من أمسه ذلك الفارس اذا وقدت الحروب واشتدت بالانفس الكروب وتداعوا للنزال وتزاحفوا للقتال وتخالسوا المهج واقتحموا بالسيوف اللجج قال أحسنت والله يا ابن صوحان انك لسليل أقوام كرام خطباء فصحاء ماورثت هذا عن كلالة زدنى قال نعم الفارس كثير الحذر مدير النظر يلتفت بقلبه ولايدير خرزات صلبه قال أحسنت والله يا ابن صوحان الوصف فهل فى مثل هذه الصفة من شعر قال نعم لزهير بن جناب الكلبى يرثى ابنيه عمرا حيث يقول

فارس تكلأه العصابة منه * بحسام يمر مر الحريق
لاتراه لدى الوغى فى مجال * يغفل الضرب لا ولا فى مضيق

فقال له أبو جعفر يا أبا العباس اشرب هنيئا غير مقدر ما قدرت فلو كان هذا المنحنث على الصفة التي ذكرت كان الذنب منسوبا الي في كوني أحضر في مجلسي من يهتك ستر المستورين ومهما تره هنا بهذه الخفة والطيش والتسرع للكلام فانه اذا فارقنا أثقل من جبل وأصمت من سمكة متزي بزي خطيب في نهاية من السكون والوقار (وتحت الثياب العار لو كان باديا) فكن في امن ماشربت معي فاني والله لا أسمع أحدا من أصحابنا تكلم في شأنك بأمر الا عاقبته أشد العقاب والذنب في ذلك راجع الي فسكن ابن سيد وجعل يحث الاقداح ويمرح أشد المراح على ما كان يظهره من الانقباض تقية لما يخشاه من الاعتراض الى أن قاربت الشمس الغروب ومدلها في النهر معصم مخضوب فقال أبو جعفر

انظر الى الشمس قد ألصقت على الارض خدا

فقال ابن سيد

هي المراة لكن * من بعدها الافق يصدا

فقال أبو جعفر

مدت طرازا على النهر عند ما لاح بردا

فقال ابن سيد

أهدت لطرفك منه * ما للاكارم يهدى

فقال أبو جعفر

درع اللجين عليه * سيف من التبر مدا

فقال ابن سيد

فاشرب عليه هنيئا * وزد سرورا وسعدا

ثم لما أظلم الليل نظروا الى منارة سنتبوس قد عكست مصابيحها في النهر والى النجوم قد طلعت فيه فقال ابن سيد

اخلع على النهر ثوب السكر افذلك واجب

فقال أبو جعفر

وانظر الى السرج فيه * كالزهر ذات الذوائب

وحين صفق للافق نقطته الكواكب

فقبل ابن سيد رأسه وقال ماتركت بعدهذا مقالا لقائل ثم جعلوا يشربون فقال أبو جعفر

سقني والافق برد * بنجوم الليل معلم

فقال ابن سيد

و بساط النهر منها * وهو فضي مدرهم

فقال أبو جعفر

ورواق الليل مرخى * والشذا بالروض قدنم

فقال ابن سيد

من يراه يخاله في الحرب يوما
صوحان صفهما لا عرف
ورثكم قال أمازيد فكما
قال أخو غنى
فتى لا يبالي أن يكون بوجهه
اذا ناز خلان الكرام شحوب
اذا ما ترا آه الرجال تحفظوا
فلم ينطقوا العورا وهو قريب
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه
اليه ويدعوه الندى فيجيب
بيت الندى يا أم عمرو صحيفه
اذا لم يكن في المنقيات حلوب
كأن بيوت الحي ما لم يكن بها
بسائس مايلفى بهن غريب
في أبيات كان والله يا ابن عباس عظيم المروة شريف الاخوة جليل الخطر بعيد الاثر كثير العروة أليف البدو سليم جوانح الصدر قليل وساوس الدهر ذا كر الله طرفي النهار وزلفا من الليل الجوع والشبع عنده سيان لا ينافس في الدنيا وأقل أصحابه من ينافس فيها يطيل السكوت ويحفظ الكلام وان نطق نطق بمقام يهرب منه الدعار الاشرار ويألفه الاحرار الاخيار فقال ابن عباس ما ظنك برجل من أهل الجنة رحم والندى

والندى في الزهر منثو * وعلى عقد منظم

فقال أبو جعفر

والصبا جرت على ميـ * ـت الطلى كف ابن مريم

فقال ابن سيد

كان مبهوتا فلما * نفخت فيه تكلم

فقال أبو جعفر

وكان الكاس والقهـ * ـوة دينار ودرهم

فقال ابن سيد

وبدا الدف يناغي العـ * ـود والمزمار هيم

فقال أبو جعفر

فاذاع الانس منا * كل ما كان مكتم

فقال ابن سيد

أي عيش يهتك المسـ * ـتور لو كان ابن أدهم

فقال أبو جعفر

هكذا العيش ودعني * من زمان قد تقدم

فقال ابن سيد

حين لا خمر سوى ما * بكؤس البيض من دم

فقال أبو جعفر والله ما تعديت ما جال الساعة في خاطري فاني ذكرت أيام الفتنة وما كابدنا فيها من المحن وانا لم نزل في مصادمة ومقارعة ثم رأيت ما نحن الآن فيه بهذه الدولة السعيدة التي أمنت وسكنت فشكرت الله تعالى ودعوت بدوامها ثم لما طلع الفجر قال أبو جعفر

نثر الطل عقوده * ونضا الليل برده

فقال ابن سيد

وبدا الصبح بوجه * مطلع فينا سعوده

فقال أبو جعفر

وغدا ينشر لما * فتر الليل بنوده

فقال ابن سيد

فهلم اشرب وقبل * من غدا ينطق عوده

فقال أبو جعفر

ثم صافحه على رغـ * ـم النوى وافرك نهوده

فقال ابن سيد

واجعل الشكر على ما * نلته منه جحوده

فقال أبو جعفر يا أبا العباس انك أغرت على التهامي في هذا البيت في قوله

وشكر أيادي الغانيات جحودها قال فلم لقيت بالاص لولا هذا وأمثاله ما كان ذلك

النحيرة أحوذي الغريزة لا ينهنهه منه عما أراه ولا يركب من الامر الا عتاده سمام عدى و بازل قرى صعب المقاده جزل الرفاده أخو اخوان وفتى فتيان وهو كما قال البرجمي عامر ابن سنان

سمام عدى بالنبل يقتل من رمى
و بالسيف والرمح الردينى مشعب
مهيب مفيد للنوال مهوّد
بفعل الندى والمكرمات مجرب

في أبيات فقال له ابن عباس أنت يا ابن صوحان باقر علم العرب (ومن أخبار صعصعة) ما حدث به أبو جعفر محمد بن حبيب الهاشمي عن أبي الهيثم يزيد بن رجاء الغنوي قال وقف رجل من بني فزارة على صعصعة فاسمعه كلاما (منه) بسطت لسانك يا ابن صوحان على الناس فتهيبوك أما لئن شمت لا كونن لك لصادقا فلا تنطق الا جددت لسانك بأذرب من ظبة السيف بعضب قوى ولسان على ثم لا يكون لك في ذلك حل ولا ترحال فقال صعصعة لو أجد غرضا

منك لرميت بل أرى شيخا ولا أخال مثالا الا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ أما لو كنت كفؤا

والاص المذكور اسمه أحمد بن سيد يكنى أبا العباس وهو من مشهوري شعراء الاندلس ولما أنشد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بجبل الفتح قوله

غمض عن الشمس واستقصر مدى زحل * وانظر الى الجبل الراسي على جبل

قال له أنت شاعر هذه الجزيرة لولا أنك بدأتنا بغمض وزحل والجبل ومن بديع نظم الاص قوله

سلبت قلبي بلحظ * أبا الحسين خلوب
فلم أسمي بلص * وأنت لص القلوب

ولما اجتمع ابو جعفر بن سعيد المترجم به بالاص أبي العباس المذكور في جبل الفتح عندما وفد فضلاء الاندلس على عبد المؤمن واستنشده فجعل ينشده ما استجفاه به لخروجه عن حلاوة منزع أبي جعفر الى أن أنشده قوله

وما أفنى السؤال لكم نوالا * ولكن جودكم أفنى السؤالا

فقال له أبو جعفر لا جعلك الله في حل من نفسك يكون في شعرك مثل هذا وتنشدني ما كان يحملني على أن أسأت معك الادب والله لو لم يكن لك غير هذا البيت لكنت به أشعر أهل الاندلس * وكتب لابي جعفر أبو الحكم بن هرون في يوم بارد بغرناطة

ياسميي في علم مجدك ما يحـ ـتاج فيه هذا النهار المطير
ندف الثلج فيه قطنا علينا * ففررنا بعدلكم نستجير
والذي أبتغيه في اللحظ منه * ورضاب الذي هويت نظير
يوم قر يود من حل فيه * لو تبدى لمقلتيه سعير

فوجه بما طلب وجاوبه بما كتب

أيها السيد الاجل الوزير * الذي قدره معلى خطير
قد بعثنا بما أشرت اليه * دمت للانس والسرور تشير
كان لغز افكتبه دون فكر * ان فهمي بما تريد خبير

ومن نظم أبي الحكم

اذا ضاقت عليك فول عنها * وسر في الارض واختبر العبادا
ولا تمسك رحالك في بلاد * غدوت بأهلها خبرا معادا

ولما مدح أبو القاسم أخيل بن ادريس الرندي عبد المؤمن في جبل الفتح بقصيدة أولها

ما الفخر الا لآل عبد المؤمن * أثنى عليه كل عبد مؤمن

قال أبو جعفر بن سعيد دعاه التجنيس الى الضعف والخروج عن المقصود والاولى أن لو قال شادا الخلافة وهو أول مبتنى ومن هذه القصيدة

أنا ابن سعد فهو أول مارق * يا ليته بأبيه سعد يكتني
ما قدر مرسية وحكمك نافذ * ان شئت من عدن لارض المعدن

فلما أكملها قال له عبد المؤمن أجدت فقال ارتجالا

من لي أمير المؤمنين بموقفي * هذا وقولك لي أجدت ولم تني
فلقد مدحتك خائفا أن لا يفي * لسني بما يعيي جميع الالسن

موضع الزمام فاتصل الكلام بابن عباس فاستخلك من الفزاري وقال أما لو كلف أخو فزارة نفسه نقل الصخور من جبال شمام الى الهضاب لكان أهون عليه من منازعة أخي عبد القيس خاب أبوه ما أجهله يستجهل أخا عبد القيس وقواه المريرة ثم تمثل

صبت عليه ولم تنصب من أمم
ان الشقاء على الاشقين مصبوب

(وحدث) المبرد عن الرياشي عن ربيعة بن عبد الله النميري قال أخبرني رجل من الازد قال نظرت الى أبي أيوب الانصاري في يوم النهروان وقد علا عبد الله بن وهب الراسبي فضربه ضربة على كتفه فأبان يده وقال بؤبها الى النار يا مارق فقال عبد الله ستعلم اينا اولى بها صليا قال وابيك اني لاعلم اذا أقبل صعصعة بن صوحان فوقف وقال اولى بها والله صليا من ضل في الدنيا عميا وصار الى الآخرة شقيا ابعدك الله وانزحك اما والله لقد انذرتك هذه الصرعة بالامس فأبيت الا تكوصا على عقبيك فذق يا مارق وبال امرك وشرك ابا ايوب في قتله ضربة

ولابن ادريس المذكور

أيها البدر هل علمت بأنى * لم أبت راعيا محياك ودا
انا لو بات من حكيت بجنبى * لم يكن عنه ناظرى يتعدى

وله

شتان مابينى وبينك فى الهوى * أنا أتبعك وأنت عنى تصدف
واذا عتبتك وارعويت يبين لى * فى الحين منك بأن ذاك تكلف
ياليت شعرى كيف يقضى وصلنا * والعمر يفنى والمواعد تخلف

وقيل له لما هجره عبد المؤمن اكتب له واعتذر وبرهن عن نفسك فقال مايكون أمير المؤمنين هجرنى الا وقد صح عنده ولا أنسبه فى أمرى لقلة التثبت والجور وانما أرغب فى عفوه ورحمته فكان هذا الكلام ألان عليه قلب عبد المؤمن لما بلغه وكان قد نقل عنه حساده انه قال كيف تصح له الخلافة وليس بقرشى * ولا بأس أن نزيد من اخبار اللص الذى جرى ذكرناه مع أبى جعفر بن سعيد فنقول هو النحوى المبرز فى الشعر أبو العباس أحمد بن سعيد الاشبيلى ذكره ابن دحية فى المطرب وأخبر انه شيخه وختم كتاب سيبويه مرتين على النحوى ابى القاسم بن الرماك واجتمع به ابو جعفر بن سعيد بجبل الفتح كما سبق ولقب اللص لاغارته على أشعار الناس وله

شاموا الردى فأشموا الترب أنفهم * ولم يبالوا بما فيها من الشمم

ثم جعل يقول قطع الله لسانى ان كان اليوم على وجه الارض من يعرف يسمعه فضلا عن أن يقوله وله القصيدة الشهيرة

ندالك الغيث ان محل توالى * وأنت الليث ان شاؤا القتالا
سلبت الليث شدة ساعديه * نعم وسلبت عنيه الغزالا
وما أفنى السؤال لكم نوالا * ولكن جودكم أفنى السؤالا

وقد تقدم هذا البيت فى حكايته مع ابن سعيد * وقال فى حلقة خياط وهو من محاسنه

كانها بيضة وخزا رماح بها * بادوقونسها بالسيف قد قطعا

وقال فالليل ان واصلت كالليل ان هجرت * أشكو من الطول ما اشكو من القصر

* (رجع الى أخبار أبى جعفر بن سعيد) * قال فى الازهار المنثورة فى الاخبار المأثورة مانصه لما قبض على الوزير أبى جعفر بن عبد الملك بن سعيد العنسى وثقف بمالقة دخل اليه ابن عمه ووصل الى الاجتماع به ريثما استؤذن السيد ابو سعيد ابن الخليفة عبد المؤمن فى أمره قال فدمعت عيناى حين رأيته مكبولا فقال لى أعلى تبكى بعد ما بلغت من الدنيا أطايب لذاتها فأكلت صدور الدجاج وشربت فى الزجاج ولبست الديباج وتمتعت بالسراى والازواج واستعملت من الشمع السراج الوهاج وركبت كل هملاج وها أنا فى يد الحجاج ومنتظر محنة الحلاج قادم على غافر لا يحتاج الى اعتذار ولا الى احتجاج قال فقلت افلا يؤسف على من ينطق بهذا الكلام ثم يفقد وقت عنه فكان آخر العهد به انتهى * رجع الى أخبار النساء) * ومن أشهرهن بالاندلس ولادة بنت المستكفى بالله محمد بن عبد الرحمن ابن عبيد الله بن الناصر لدين الله وكانت واحدة زمانها المشار اليها فى أوانها حسنة المحاضرة

ولا تلطفأ ولا يبوخ شعيرها ثم احتز راسه
واتيابه عليا فقالا هذا
راس الفاسق الناكث
المارق عبد الله بن وهب
فنظر اليه فقطب وقال شاه
هذا الوجه حتى خيل الينا
انه يبكى ثم قال قد كان
اخو راسب حافظا للكتاب
الله تاركا لحدود الله ثم قال
لهما اطلبا لى ذا الثدية
فطلب فلم يوجد فرجعا
اليه وقالا ما أصبنا شيأ
فقال والله لقد قتل فى
يومه هذا وما كذبنى
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا كذبت عليه
قوموا بجمعكم فاطلبوه
فقامت جماعة من أصحابه
فتفرقوا فى القتلى فأصابوه
فى دهاس من الارض
فوقه زهاء مائة قتيل
فاخرجوه بجر برجله ثم
اتى به على فقال اشهدوا أنه
ذو الثدية وقد ذكرنا
أخبار ذى الثدية فيما
سلف من هذا الكتاب
ولعلى فى ربيعة كلام
كثير يمدحهم فيه
و يرثيهم شعرا ومنثورا
وقد كانوا انصاره واعوانه
والركن المنيع من أركانه
فمن بعض ذلك قوله يوم
صفين

لمن راية سوداء يخفق ظلها
اذا قيل قدمها حصين تقدما
فيوردها فى الصف حتى يعلها * حياض المنايا تقطر الموت والدما
جزى الله قوما قاتلوا فى لقائه * لدى الموت قدما ما أعز وأكرما

مشكورة المذاكرة كتبت بالذهب على الطراز الايمن

انا والله أصلح للعالى * وأمشى مشيتى وأتيه تيها

وكتبت على الطراز الايسر

وأمكن عاشقى من صحن خدى * وأعطى قبلتى من يشتهيها

وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف وفيها خلع ابن زيدون عذاره وقال فيها القصائد الطنانة والمقطعات وكانت لها جارية سوداء بديعة المعنى فظهر لولادة أن ابن زيدون مال اليها فكتبت اليه

لو كنت تنصف فى الهوى ما بيننا * لم تهو جاريتى ولم تتخير

وتركت غصنا مثمرا بجماله * وجنحت للغصن الذى لم يثمر

ولقد علمت بانني بدر السما * لكن ولعت لشقوتى بالمشترى

ولقبت ابن زيدون بالمدّس وفيه تقول

ولقبت المدّس وهو نعت * تفارقك الحياة ولا يفارق

فلو طى وما بون وزان * وديوث وقرنان وسارق

وقالت فيه ان ابن زيدون على فضله * يعشق قضبان السراويل

لو أبصر الابر على نخلة * صار من الطير الابابيل

وقالت فيه أيضا

ان ابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولا ذنب لى

يلحظنى شزرا اذا جئته * كأننى جئت لاحصى على

وقالت ولادة تهجو الاصبحى

يا أصبحى اهنأ فكم نعمة * جاءتك من ذى العرش رب المنن

قد نلت باست ابنك ما لم ينل * بفرج بوران أبوها الحسن

وكتبت اليه لما أولع بها بعد طول تمنع

ترقب اذا جن الظلام زيارتى * فانى رأيت الليل أكتم للسر

وبى منك ما لو كان بالشمس لم تلح * وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

ووفت بما وعدت ولما أرادت الانصراف ودعته بهذه الابيات

ودع الصبر محب ودعك * ذائع من سره ما استودعك

يقرع السن على ان لم يكن * زاد فى تلك الخطا اذ شيعك

يا أخا البدر سناء وسنا * حفظ الله زمانا أطلعك

ان يطل بعدك ليلى فلكم * بت أشكو قصر الليل معك

وكتبت اليه

ألا هل لغانم بعد هذا التفرق * سبيل فيشكو كل صب بما لقى

وقد كنت أوقات التزور فى الثنا * أبيت على جمر من الشوق محرق

فكيف وقد أمسيت فى حال قطعه * لقد عجل المقدور ما كنت أتقى

واطيب اخبارا واكرم شيمة * اذا كان اصوات الرجال تغمغما

ربيعة اعنى انهم اهل نجدة * و بأس اذا لاقوا خميسا عرمرما

(وذكر) المدائنى ان معاوية اسر جميل بن كعب الثعلبى وكان من سادات ربيعة وشيعة على وانصاره فلما وقف بين يديه قال الحمد لله الذى أمكننى منك الست القائل يوم الجمل

اصبحت الامة فى امر عجب * والملك مجموع غدا لمن غلب

قد قلت قولا صادقا غير كذب

ان غدا تهلك أعلام العرب

قال لا تقل ذلك فانها مصيبة

قال معاوية وأى نعمة أكبر من أن يكون الله قد أظفرنى برجل قد قتل فى ساعة واحدة عدة من حماة أصحابى اضربوا عنقه فقال اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلنى فيك ولا لانك ترضى قتلى ولكن قتلنى على حطام الدنيا فان فعل فافعل به ما هو أهله وان لم يفعل فافعل به ما أنت أهله فقال معاوية قاتلك الله لقد سببت فابلغت فى السب ودعوت فبالغت فى الدعاء ثم أمر به فاطلق

ولمثل معاوية بابيات للنعمان بن المنذر لم يقل النعمان غيرها فما ذكر ابن الكلبى وهى

تمر الليالى لا أرى البين ينقضى * ولا الصبر من رق التشوق معتقى
سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا * بكل سكوب هاطل الوبل مغدق

فأجابها بقوله

لحى الله يوما لست فيه بملتقى * محيالك من أجل النوى والتفرق
وكيف يطيب العيش دون مسرة * وأى سرور للكئيب المؤرق

وكتبت فى أثناء الكلام بعد الشعر وكنت ربما حثثتنى على ان أنبهك على ما أجد فيه عليك نقدا وانى انتقدت عليك قولك سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا فان ذا الرمة قد انتقد عليه قوله مع تقديم الدعاء بالسلامة

ألا يا اسلمى يا دار مى على البلا * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

اذ هو أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له وأما المستحسن فقول الآخر

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع ودية تهمى انتهى

وبسببها خاطب ابن عبدوس بالرسالة المشهورة التى شرحها غير واحد من أدباء المشارقة كالجمال بن نباتة والصفدى وغيرهما وفيها من التلميحات والتنديرات ما لا مزيد عليه وقد ذكر ولادة ابن بشكوال فى الصلة فقال كانت أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر وكانت تناضل الشعراء وتساجل الادباء وتفوق البرعاء وعمرت عمرا طويلا ولم تتزوج قط ومات الليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين وقيل أربع وثمانين وأربعمائة رحمها الله تعالى * وكان أبوها المستكفى بايعه أهل قرطبة لما خلعوا المستظهر كما أسلفناه فى غير هذا الموضع وكان خاما لا ساقطا وخرجت هى فى نهاية من الادب والظرف حضور شاهد وحرارة اوابد وحسن منظر ومخبر وحلاوة مورد ومصدر وكان مجلسها بقرطبة منتدى لاحرار المصر وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر يمشو أهل الادب الى ضوء غرتها ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها وعلى سهولة حجابها وكثرة منتابها تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم انساب وطهارة أثواب على انها أوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها ولما مرت بالوزير أبى عامر بن عبدوس وأمام داره بركة تتولد عن كثرة الامطار وربما استمدت بشئ مما هنالك من الاقذار وقد نثر أبو عامر كمه ونظر فى عطفيه وحشر أعوانه اليه فقال له

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا كلا كما بحر

فتركته لا يحير حرفا ولا يرد طرفا * وقال فى المغرب بعد ذكره أنها بالغرب كعلية بالشرق الا ان هذه تزيد بمزيته الحسن الفائق وأما الادب والشعر النادر وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها وكان لها صنعة فى الغناء وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها فيمر فيه من النادر وانشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصرها من مثل ذلك وفيها يقول ابن زيدون

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

وقال أيضا يخاطب ابن عبدوس لاشتراكه معه فى هواها

اثرت هزبر الثرى اذ بض * ونبهته اذ هدا فاغتمض

ولما أزف أمره وحان فراقه واشتكت علته وايس من برئه أنشأ يقول

تعفو الملوك عن الجليل من الامور بفضلها الا ليعرف فضلها
ويخاف شدة نكالها (وذكر) لوط بن يحيى وابن دأب والهيثم بن عدى وغيرهم من نقلة الاخبار ان معاوية لما احتضر تمثل

هو الموت لا منجى من الموت والذى
تحاذر بعد الموت ادهى وانظع

ثم قال اللهم اقل العثرة واعف عن الزلة وجد بحلمك على جهل من لم يرج غيرك ولم يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذى خطيئة مهرب فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال لقد رغب الى من لا مرغوب اليه مثله وانى لأرجو أن لا يعذبه الله (وذكر) محمد بن اسحق وغيره من نقلة الآثار أن معاوية دخل الحمام فى بدء علته التى كانت وفاته فيها فرأى تحول جسمه فبكى لفنائه وما قد أشرف عليه من الدثور الواقع بالخليقة وقال متمثلا

أرى الليالى أسرعت فى نقضى
أخذن بعضى وتركن بعضى
حنين طولى وحنين عرضى
أقعدننى من بعد طول نهضى

ومازلت تبسط مسترسلا * اليه يدا لبغي لما انقبض
حذار حذار فان الكريم * اذا سيم خسفا أبى فامتعض
وان سكون الشجاع النهو * ض ليس بما نعه ان يعض
عدت لشعري ولم تنثد * تعارض جوهره بالعرض
اضاقت أساليب هذا القريض ام قد عفا رسمه فانقرض
لعمري فوقت سهم النضال * وأرسلته لو اصبت الغرض
ومنها وغرك من عهد ولادة * سراب تراءى وبرق ومض
هي الما يعز على قابض * ويمنع زبدته من مخض

*(ومن اخبار ولادة مع ابن زيدون ما قاله الفتح في القلائد ان ابن زيدون كان يكلف بولادة ويهيم ويستضيء بنور محياها في الليل البهيم وكانت من الادب والظرف وتتميم السمع والطرف بحيث تختلس القلوب والالباب وتعيد الشيب الى اخلاق الشباب فلما حل بذلك الغرب وانحل عقدة صبره بيد الكرب فر الى الزهراء ليتوارى في نواحيها ويتسلى برؤية موافيها فوافاها والربيع قد خلع عليها برده ونشر سوسنه ووردة وأترع جداولها وانطق بلابلها فارتاح ارتياح جيد بوادي القرى وراح بين روض يانع وريح طيبة السرى فتشوق الى لقاء ولادة وحن وخاف تلك النوائب والمحن فكتب اليها يصف فرط قلقه وضيق أمده اليها وطلقه ويعلمها انه ما سلا عنها بخمر ولا خباها في ضلوعه من ملتهب الجمر ويعاتبها على اغفال تعهده ويصف حسن محضره بها ومشهده

انى ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والافق طلق ووجه الارض قد راقا
وللنسيم اعتلال في اصائله * كأنما رق لى فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم * كما حلت عن اللبات اطواقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمت * بتنا لها حين نام الدهر سراقا
نلهو بما يستميل العين من زهر * حال الندى فيه حتى مال اعناقا
كأن اعينه اذ عاينت ارقى * بكت لما بى فحال الدمع رقراقا
وردة تألق في ضاحي منابته * فازداد منه الضحى في العين اشراقا
سر بنا فحبذا لو فر عبق * وسنان نبه منه الصبح احداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا * اليك لم يعدها الصدران ضاقا
لو كان وفى المنى في جمعنا بكم * لكان من أكرم الايام اخلاقا
لاسكن الله قلبا عن ذكركم * فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملى نسيم الريح حين هفا * وافاكم بفتى اضناه ما لاقى
يا علق الاخطر الاسنى الحبيب الى * نفسى اذا ما اقتنى الاحباب اعلاقا
كان التنازى بعمق الود مذ زمن * ميدان أنس جريا فيه أطلاقا
فالآن أحدما كنا العهد كم * سلوتم وبتينا نحن عشاقا انتهى

وقال أيضا ان ابن زيدون لم يزل يروم دنو ولادة فيعذر ويباح دمه دونها ويهدر

وكنت كذى طمرين عاش ببلغة
من الدهر حتى زار أهل المقابر

(قال المسعودي) ولمعاوية اخبار كثيرة مع علي وغيره وقد أتينا على الغرر من أخباره وما كان في أيامه في كتابنا اخبار الزمان والاوسط وغيرهما من كتبنا مما أفرد للآثار وهذا باب كبير والكلام فيه وفي غيره مما تقدم وتأخر في هذا الكتاب كثير ومن ضمن الاختصار لم يجزله الاكثار وانما نذكر في كل باب من هذا الكتاب طرفا من كل نوع من العلوم والاخبار وما انتخبناه من ظرائف الآثار ليستدل الناظر فيه بما ذكرنا على المراد مما تركنا ذكره وقد تقدم وصفه وبسطه فيما سلف من كتبنا واذ قد تقدم ما ذكرنا فلنذكر الآن جملا من فضل الصحابة وغيرهم عليهم السلام اذ كانوا حجة على من بعدهم وقدوة لمن تأخر عنهم وبالله التأييد *(ذكر الصحابة ومدحهم وعلى والعباس وفضلهما) *دخل عبد الله بن عباس على معاوية وعنده وجوه قريش فلما سلم وجلس قال له معاوية انى أريد ان أسألك عن مسائل قال سل عما بدا لك قال ما تقول في أبي بكر قال

لسوء أثره في ملك دولتها وواليها وقباحح كان ينسبها اليه ويواليها أحقدت بني جمهور عليه وسددت أسهمهم اليه فلما يئس من لقياها وحجب عنه محياها كتب اليها يستديم عهدها ويوكد ودها ويعتذر من فراقها بالخطب الذي غشيه والامتحان الذي خشيه ويعلمها انه ما سلا عنها بخمر ولا خباما في صلوعه من ملتهب الجمر وهي قصيدة ضربت في الابداع بسهم وطلعت في كل خاطر ووهم ونزعت منزعا قصر عنه حبيب وابن الجهم وأولها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضي علينا الاسى لولا تأسينا

وأخبار ولادة كثيرة وفيما ذكرناه كفاية *(ومن المشهورات بالاندلس اعتماد جارية المعتمد بن عباد وأم أولاده وتشتهر بالرميكيه وفي المسهب والمغرب انه ركب المعتمد في النهر ومعه ابن عمار وزيره وقد زردت الريح النهر فقال ابن عباد لابن عمار أجز (صنع الريح من الماء زرد) فأطال ابن عمار الفكرة فقالت امرأة من الغسالات (أي درع لقتال لوجد) فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به مع عجز ابن عمار ونظر اليها فاذا هي صورة حسنة فأعجبته فسألها أذات زوج هي فقالت لا فتزوجها وولدت له اولاده الملوك النجباء رحمهم الله تعالى وحكى البعض منهم صاحب الهداية بسنده الى السافي بسنده الى بعض أدباء الاندلس وسماه ولم يحضرني الآن انه هو الذي قال للمعتمد (اي درع لقتال لوجد) قال فاستحسنه المعتمد وكنت رابعا في الانشاد فجعلني ثانيا واجازني بجائزة سنية قال ابن ظافر وقد أخذت هذا المعنى فقلت

اصف روضا فلو دام ذا النبت كان زبرجدا * ولو جمدت انهاره كان بلورا

ولما قال ابن ظافر

قد اذكت الشمس على المائها

قال القاضي الاعز

فكسا الفضة منه ذهبا

*(رجع) ولما خلع المعتمد وسجن باغمات قالت له يا سيدي لقد هنا هنا فقال

قالت لقد هنا هنا * مولاي أين جاهنا * قلت لها الهنا * صيرنا الى هنا

*وحكي انها قالت له وقد مرض يا سيدي ما لنا قدرة على مرضاتك في مرضاتك ولما قال الوزير ابن عمار قصيدته اللامية الشهيرة في المعتمد والرميكية أغرت المعتمد به حتى قتله وضربه بالطبرزين ففلق رأسه وترك الطبرزين في رأسه فقالت الرميكية قد بقي ابن عمار هدهدا والقصيدة أولها

ألا حي بالغرب حيا حلالا * أناخوا جمالا وحازوا جمالا
وعرج بيومين ام القرى * ونم فعسى أن تراها خيالا

ويومين قريه باشبيلية كانت منها أولية بني عباد وفي هذه القصيدة يقول معرضا بالرميكية

تخيرتها من بنات الهجان * رميكية ما تساوي عقالا
فجاءت بكل قصير العذار * لئيم النجارين عما وخالا
فصار القدود ولكنهم * أقاموا عليها قرونا طوالا
أتذكر أيامنا بالصبا * وأنت اذا الحت كنت الهلالا
اعانق منك القضيب الرطيب * وارشف من فيك ماء زلالا

وأقنع منك بدون الحرام * فتقسم جهدك ان لا حلالا
سأهتك عرضك شيأ فشيأ * واكشف سترك حالا فحالا

ومنها

فيا عامر الخيل يا زيدها * منعت القرى وأبحت العيالا

وسبب قول ابن عمار هذه القصيدة ان المعتمد نذر به وذيل على قصيدته الرائية المذكورة في القلائد بعد قوله

كيف التفلت بالخديعة من يدى * رجل الحقيقة من بنى عمار

وسخر به في أبيات مشهورة قال الفتح في حق المعتمد بعد كلام ومازالت عقارب تلك الداخلة تدب وريحها العاصفة تهب ونارها تقد وضلوعها تحنو وتعقد وتضمر الغدر وتعتقد حتى دخل البلد من واديه وبدت من المكروه بواديه وكر عليه الدهر بعوائده وعواديه وهو مستمسك بعرى لذاته منغمس فيها بذاته ملقى بين جواريه مغتر بعوائد ملكه وعواريه التي استرجعت منه في يومه ونبهه فواتها من نومه ولما انتشر الداخلون في البلد وأوهنوا القوى والجلد خرج والموت يتسعر في ألحاظه ويتصور من ألفاظه وحسامه بعد بيضائه ويتوقد عند انتضائه فلقيهم رحبة القصر وقد ضاق بهم فضاؤها وتضعضعت من رجتهم أعضاؤها فحمل فيهم حملة صيرتهم فرقا وملأتهم فرقا ومازال يوالي عليهم الكر المعاد حتى أوردهم النهر وما بهم جواد وأودعهم حشاه كانهم له فؤاد ثم انصرف وقد أيقن بانتهاء حاله وذهاب ملكه وارتحاله وعاد الى قصره واستمسك فيه يومه وليلته مانعا لحوزته دافعا للذل عن عزته وقد عزم على أفظع أمر وقال بيدى لا بيد عمرو ثم صرفه تقاه عما كان نواه فنزل من القصر بالقسر الى قبضة الاسر فقيد للعين وحان له يوم شر ساظن أنه يحين ولما قيدت قدماه وذهبت عنه رقة الكبل ورجاه قال يخاطبه

اليك فلو كانت قنونك أسعرت * تضرم منها كل كف ومعصم
مخافة من كان الرجال بسيفه * ومن سيفه في جنة او جهنم

واما آلمه عضه ولازمه كسره ورضه وأوهاه ثقله واعياه نقله قال

تبدلت من ظل عز البنود * بذل الحديد وثقل القيود
وكان حديدى سنانا ذليقا * وعضبا رقيقا صقيل الحديد
فقد صار ذاك اوذا ادهما * يعض بساقى عض الاسود

ثم جمع هو واهله وحلتهم الجوارى المنشآت وضمتهم جوانحها كانهم أموات بعد ما ضاق عنهم القصر وراق منهم العصر والناس قد حشروا بضفتى الوادى وبكوا بدموع كالغوادى فساروا والنوح يحدوهم والبرح باللوعة لا يعدوهم وفي ذلك يقول ابن اللبانة

تبكى السماء بمزن رائح غاد * على البهاليل من أبناء عباد
على الجبال التي هدت قواعدها * وكانت الارض منهم ذات اوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * اساود لهم فيها وآساد
وكعبة كانت الاماك تخدمها * فاليوم لاعا كف فيها ولاباد

العظمى متمسكا بالعروة واسعا وافسح من تنفس وقر أواكثر من شهد النجوى سوى الانبياء والنبي المصطفى صاحب القبلتين فهل يوازيه أحد وأبو السبطين فهل يقارنه بشر وزوج خير النسوان فهل يفوقه قاطن بلد للاسود قتال وفي الحروب ختال لم ترعيني مثله ولن ترى فعلى من انتقصه لعنة الله والعباد الى يوم التناد قال أيها ابن عباس لقد اكثرت في ابن عمك قال فما تقول في أبيك العباس قال رحم الله العباس أبا الفضل كان صنو نبي الله صلى الله عليه وسلم وقرة عين صفي الله سيد الاعمام له أخلاق آبائه الاجواد واحلام اجداده الامجاد تباعدت الاسباب في فضيلته صاحب البيت والسقاية والمشاعر والتلاوه ولم لا يكون كذلك وقد ساسه اكرم من دب فقال معاوية يا ابن عباس انا أعلم انك كلفاني أهل بيتك قال ولم لا أكون كذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ثم قال ابن عباس بعد هذا الكلام يا معاوية ان الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه خص محمدا صلى الله عليه وسلم بصحابة آثروه على الانفس والاموال

يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ * فى ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل واديهم ليسكنه * جف القطين وجف الزرع بالوادى
وأنت يا فارس الخيل التى جعلت * تختال فى عدد منهم وأعداد
ألق السلاح وخل المشرفى فقد * أصبحت فى لهوات الضيغم العادى
لما دنا الوقت لم تخلف له عدة * وكل شئ بميقات وميعاد
ان يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا * وقد خلت قبل حمص أرض بغداد
حموا حريمهم حتى اذا غلبوا * سيقوا على نسق فى حبل مقتاد
وأنزلوا عن متون الشهب واحتملوا * فريق دهم لتلك الخيل انداد
وعيث فى كل طوق من دروعهم * فصيغ منهن أغلال لاجياد
نسيت الاغداة النهر كونهم * فى المنشآت كاموات بألحاد
والناس قد ملؤا البرين واعتبروا * من لؤلؤ طافيات فوق أزباد
حط القناع فلم تستر مخدرة * ومزقت أو جه تمزيق أبراد
حان الوداع فنجت كل صارخة * وصارخ من مقدات ومن فاد
سارت سفائنهم والنوح يصحبها * كانها ابل يحدو بها الحادى
كم سال فى الماء من دمع وكم حملت * تلك القطائع من قطعات أكباد

انتهى ما قصد جلبه من كلام الفتح رحمه الله تعالى وسامحه * وقال ابن اللبانة فى كتاب نظم السلوك فى مواعظ الملوك فى اخبار الدولة العبادية ان طائفة من اصحاب المعتمد خامرت عليه فأعلم باعتقادها وكشف له عن مرادها وحض على هتك حرمها واغرى بسفك دمها فابى ذلك مجده الاثيل ومذهبه الجميل وماخصه الله تعالى به من حسن اليقين وصحة الدين الى ان امكنتهم الغرة فانتصروا ببغاث مستنسر وقاموا بجمع غير مستبصر فبرز من قصره متلافيا لامره عليه غلالة ترف على جسده وسيفه يتلظى فى يده

كان السيف راق وراع حتى * كان عليه شيمة منتضيه
كان الموت أودع فيه سرا * ليرفعه الى يوم كريه

فلقى على باب من أبواب المدينة فارسا مشهورا بنجدة فرماه الفارس برمح التوى على غلالته وعصمه الله تعالى منه وصب هو سيفه على عاتق الفارس فشقه الى اضلاعه فخر صريعا سر يعا فرأيت القائمين عندما تسموا الاسوار تساقطوا منها وبعد ما أمسكوا الابواب تخلوا عنها وأخذوا على غير طريق وهوت بهم ريح الهيبة فى مكان سحيق فظننا أن البلد من أقذائه قد صفا وثوب العصمة علينا قد ضفا الى أن كان يوم الاحد الحادى والعشرون من رجب فعظم الخطب فى الامر الواقع واتسع الخرق فيه على الراقع ودخل البلد من جهة واديه وأصيب حاضره بعادية باديه بعد أن ظهر من دفاع المعتمد وبأسه وترامية على الموت بنفسه مالا مزيد عليه ولا انتهى خلق اليه فشنت الغارة فى البلد ولم يبق فيه على سد لاحد ولا لبد وخرج الناس عن منازلهم يسترون عوراتهم بأنامليهم وكشف وجوه المخدرات العذارى ورأيت الناس سكارى وما هم بسكارى وزحل

وهلك يزيد بحوارين من أرض دمشق لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة أربع وستين وهو ابن ثلاث

الآية فاموا بمعالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت اسبابه وظهرت آلاء الله واستقر دينه ووضحت اعلامه وأذل الله بهم الشرك وأزال روحه ومحا دعائمه وصارت كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية والارواح الطاهرة العالية فقد كانوا فى الحياة لله اولياء وكانوا بعد الموت أحياء أصحياء رحلوا الى الآخرة قبل ان يصلوا اليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها فقطع عليه معاوية الكلام وقال ايها يا ابن عباس حدثنى فى غير هذا * (ذكر ايام يزيد بن معاوية ابن أبى سفيان) *

وبويع يزيد بن معاوية فكانت أيامه ثلاث سنين وثمانية أشهر الا ثمانى ليال وأخذ يزيد لابنه معاوية ابن يزيد البيعة على الناس قبل موته ففى ذلك يقول عبد الله بن همام السلولى تلقفها يزيد عن أبيه

لخذها يا معاوى عن يزيدا
فقد علقت بكم فلقفوها
ولا ترموا بها الغرض البعيد

بالمعتمد وآله بعد استئصال جميع ماله لم يصحب معه بلغة زاد ولا بغية مراد فأمضيت عزيمتى فى اتباعه فوصلت اليه باغمات عقب ثقاف استنقذه الله منه فذكرت به شعرا كان لى فى صديق اتفق له مثل ذلك فى الشهر بعينه من العام الماضى وهو الامير أبو عبد الله بن الصفار وهو

لم نقل فى الثقاف كان ثقافا * كنت قلبا به وكان شغافا
يمكث الزهر فى الكمام ولكن * بعد مكث الكمام يدنو قطافا
واذا ما الهلال غاب لغيم * لم يكن ذلك المغيب انكسافا
انما أنت درة للعلى * ركب الدهر فوقها أصدافا
حجب البيت منك شخصا كريما * مثل ما تحجب الدنان السلافا
أنت للفضل كعبة ولوانى * كنت أستطيع لاستطعت الطوافا

قال أبو بكر وجرت بينى وبينه مخاطبات ألذ من غفلات الرقيب وأشهى من رشفات الحبيب وأدل على السماح من فخر على صباح انتهى ثم قال ولما خلع المعتمد وذهب الى اغمات طلب من حواء بنت تاشفين خباء عارية فاعتذرت بأنه ليس عندها خباء فقال

هم أوقدوا بين جفنيك نارا * أطالوا بها فى حشاك استعارا
أما يخجل الجد أن زوّدوك * ولم يصحبوك خباء معارا
فقد قنعوا الجد ان كان ذاك * وحاشاهم منك خزيا وعارا
يقل لعينك أن يجعلوا * سوادا العيون عليكم شعارا

ثم انه بقى ماسورا باغمات الى سنة ٤٨٢ فاخذ بما القه رجل كبير يعرف بابن خلف فسجن مع أصحاب له فنقبوا السجن وذهبوا الى حصن منت ميور ليلا فاخرجوا قائدها ولم يضروه وبينما هم كذلك اذ طلع عليهم رجل فسألوه فاذا هو عبد الجبار بن المعتمد فولوه على أنفسهم وظن الناس انه الراضى فبقى فى الحصن ثم أقبل مركب من الغرب يعرف بمركب ابن الزرقاء فانكسر بمرسى الشجرة قريبا من الحصن فاخذوا بنوده وطبوله وما فيه من طعام وعدة فاتسعت بذلك حالتهم ثم وصلت أم عبد الجبار اليه ثم خاطبه أهل الجزيرة وأهل أركش فدخلها سنة ٤٨٨ ولما بلغ خبر عبد الجبار الى ابن تاشفين أمر بثقاف المعتمد فى الحديد وفى ذلك يقول

قيدى أما تعلمنى مسلما * أبيت أن تشفق أو ترحما
يبصرنى فيك أبو هاشم * فينثنى القلب وقد هشما

وبقى الى أن توفى رحمه الله سنة ٤٨٨ وقد ساق الفتح قضية ثورة عبد الجبار بن المعتمد بعبارته البارعة فقال وأقام بالعدوة برهة لا يروع له سرب وان لم يكن آمنا ولا يثور له كرب وان كان فى ضلوعه كامنا الى أن ثار أحد بنيه بأركش معقل كان مجاورا الاشبيلية مجاورة الانامل للراح ظاهرا على بسائط وبطاح لا يمكن معه عيش ولا يتمكن من منازلته جيش فغدا على أهلها بالمكاره وراح وضيق عليهم المتسع من جهاتها والبراح فسار نحوه الامير سير بن ابى بكر رحمة الله عليه قبل أن يرتد طرف استقامته اليه فوجده

وقد رثاه الاخطل النصرانى فقال من قصيدة

لعمرى لقد دلى الى الخلد خالد * جنازة لا نكس الفؤاد ولا غمر
مقيم بحوارين ليس يريمها * سقته الغوادى من ثوى ومن قبر

فى أبيات

(ذكر مقتل الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام ومن قتل معه من أهل بيته وشيعته)

ولما مات معاوية أرسل أهل الكوفة الى الحسين ابن على انا قد حبسنا انفسنا على بيعتك ونحن نموت دونك ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة بسببك وطواب الحسين البيعة ليزيد بالمدينة فسام التأخير وخرج يتهادى بين مواليه ويقول

لا ذعرت السوام فى فلق الصبح مغيرا ولا عيت يزيدا
يوم اعطى مخافة الموت ضيما * والمنايا ترصدنى ان احيدا

وكان بمكة فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل الى الكوفة قال له سر الى اهل الكوفة فان كان حقا ما كتبوا به عرفنى حتى الحق بك فخرج مسلم من مكة فى النصف من شهر رمضان حتى قدم الكوفة لخمس خلون من شوال والامير عليها النعمان بن بشير الانصارى فنزل على

رجل يقال له عوسجة مستترا فلما ذاع خبر قدومه بايعه من اهل الكوفة اثنا عشر الف رجل وقيل ثمانية عشر الفا فكتب بالخبر الى الحسين وسأله القدوم اليه فلما هم الحسين بالخروج الى العراق أتاه ابن عباس فقال له يا ابن عم قد بلغني انك تريد العراق وانهم أهل غدر وانما يدعونك للحرب فلا تعجل وان أبيت الا محاربة هذا الجبار وكرهت المقام بمكة فاشخص الى اليمن فانها في عزلة ولك فيها انصار واخوان فأقم بها وبث دعاتك واكتب الى أهل الكوفة وانصارك بالعراق فيخرجوا اميرهم فان قووا على ذلك ونفوه عنها ولم يكن بها احد يعاديك اتيتهم وما انا بغدرهم بأمن وان لم يفعلوا اقمت بمكانك الى ان يأتي الله بأمره فان فيها حصونا وشعابا فقال الحسين يا ابن عم اني لأعلم انك لي ناصح وعلي شفيق ولكن مسلم بن عقيل كتب الي باجتماع اهل المصر على بيعتي ونصرتي وقد اجمعت على المسير قال انهم من حرت وجرت وهم اصحاب ابيك واخيك وقتلتك غدا مع اميرهم انك لو قد خرجت فبلغ ابن زياد خروجك استنفرهم اليك وكان الذين كتبوا اليك اشد من عدوك فان عصيتني وابيت الا الخروج الى الكوفة فلا تخرجن

وشره قد تشمر وصدره قد تغير وجمره متسعر وأمره متوعر فنزل عدوته وحل للعزم جبوته وتدارك داءه قبل اعضاله ونازله وما اعدات لات نضاله وانحشدت اليه الجيوش من كل قطر وأفرغ في مسالكه كل قطر فبقي محصورا لا يشد اليه الا سهم ولا ينفذ عنه الا نفس أو وهم وامتلك شهورا حتى عرضه أحد الرماة بسهم فرماه فاصماه فهوى في مطلعه وخر قتيلا في موضعه فدفن الى جانب سريره وأمن عاقبة تغريره وبقي اهله ممتنعين مع طائفة من وزرائه حتى اشتد عليهم الحصر وارتد عنهم النصر وعمهم الجوع وأغب أجفانهم الهجوع فنزلت منهم طائفة متهافته وولت بأنفاس خافته فتبعهم من بقي ورغب في التنعم من شقي فوصلوا الى قبضة الملمات وحصلوا في غصة الممات فوسمهم الحيف وتقسمهم السيف ولما زأر الشبل خيفت سورة الاسد ولم يرج صلاح الكل والبعض قد فسد فاعتقل المعتمد خلال تلك الحال وانثناءها وأحل ساحة الخطوب وفناءها وحين اركبوه أسودا وأورثوه حزنا بات له معاودا قال

غنتك اغماتية الالحان * ثقلت على الارواح والابدان
قد كان كالثعبان قيدك في الورى * فغدا عليك القيد كالثعبان
متمددا بحذاك كل تمدد * متعطفا لارحة للعاني
قلبي الى الرحمن يشكو بثه * ما خاب من يشكو الى الرحمن
يا سائلا عن شأنه ومكانه * ما كان أغنى شانه عن شان
هاتيك قينته وذلك قصره * من بعد أي مقاصر وقيان

ولما فقد من كان يجالسه وبعد عنه من كان يؤانسه وتمادى كربه ولم تسله حبه قال

تؤمل للنفس الشجية فرجة * وتأبى الخطوب السود الا تماديا
ليالي من زاهيك أصفى صحبتها * كذا صحبت قبل الملوك الليالي
نعيم وبؤس ذا لذاك ناسخ * وبعدهما تسخ المنايا الاماتيا

ولما امتدت مدته واشتدت عليه قسوة الكبل وشدته وأقلقته همومه وأطبقته غمومه وتوالت عليه الشجون وطالت لياليه الجون قال

أبناء أسرك قد طبقن آفاقا * بل قد عممن جهات الارض اقلاقا
سرت من الغرب لا يطوى لها قدم * حتى أتت شرقها تنعاك اشراقا
فاحرق الفجع أكبادا وأفئدة * وأغرق الدمع آماقا وأحداقا
قد ضاق صدر المعالي اذ نعيت لها * وقيل ان عليك القيد قد ضاقا
اني غلبت وكنت الدهر ذا غلب * للغالبين وللسباق سباقا
قلت الخطوب أذلتني طوارقها * وكان غربي الى الاعداء طراقا
متى رأيت صروف الدهر تاركة * اذا انبرت لذوي الاخطار أرماقا

وقال لي من أثقه لما ثار ابنه حيث ثار وأثار من حقد أمير المسلمين عليه ما أثار جزع جزعا مفرطا وعلم أنه قد صار في أنشوطة الشر متورطا وجعل يتشكى من فعله ويتظلم ويتوجع منه ويتألم ويقول عرض بي للمحن ورضي لي أن امتحن ووالله ما أبكي الا انكشاف من

نساءك وولدك معك اليه فكان الذى رد عليه لأن اقتل والله بمكان كذا احب الى من ان استحل بمكة فبعث ابن عباس منه وخرج من عنده فمر بعبد الله بن الزبير فقال قرت عينك يا ابن الزبير وانشد

يالك من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ما شئت ان تنقرى

هذا حسين يخرج الى العراق ويخليك والحجاز

وبلغ ابن الزبير أنه يريد الخروج الى الكوفة وهو اثقل الناس عليه قد غمه مكانه بمكة لان الناس ما كانوا يعدلونه بالحسين فلم يكن شئ يؤتاه أحب اليه من شخوص الحسين عن مكة فاتاه فقال أبا عبد الله ما عندك فوالله لقد خفت الله فى جهاد هؤلاء القوم على ظلمهم واستذلالهم الصالحين من عباد الله فقال حسين قد عزمت على اتيان الكوفة فقال فقك الله أما لو أن لى مثل انصارك ما عدلت عنها ثم خاف أن يتهمه فقال ولو أقمت بمكانك فدعوتنا واهل الحجاز الى بيعتك أجبناك وكنا اليك سراعا وكنت أحق بذلك من يزيد وأبى يزيد

(ودخل) أبو بكر بن الحرث بن هشام على الحسين فقال يا ابن عم ان الرحم يظاثر فى عليك بكيت

فوالله انى لخائف ان تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون

أتخلفه بعدى ويتحيفه بعدى ثم أطرق ورفع رأسه وقد تهللت أسرته وظللته مسرته ورأيته قد استجمع وتشرف الى السماء وتطلع فعلمت أنه قد رجا عودة الى سلطانه وأوبة الى أوطانه فما كان الا مقدار ما تنداح دائره أو تلتفت مقلة حائره حتى قال

كذا يهلك السيف فى جفنه * الى هزكنى طويل الحنين
كذا يعطش الرمح لم أعتقله * ولم تروه من نجيع يمينى
كذا يمنع الطرف علك الشكيم مرتقباغرة فى كمين
كأن الفوارس فيه ليوث * تراعى فرائسها فى عرين
ألا شرف يرحم المشرفى مما به من سمات الوتين
ألا كرم ينعش السمهرى * ويشفيه من كل داء دفين
ألا حسنة لابن محنية * شديد الحنين ضعيف الانين
يؤمل من صدرها ضمة * تبوئه صدر كبر معين

وكانت طائفة من أهل فاس قد عثوا فيها وفسقوا وانتظموا فى سلك الطغيان واتسقوا ومنعوا جفون أهلها السنات وأخذوا البنين من حجور آبائهم والبنات وتلقبوا بالامارة وأركبوا السوء نفوسهم الامارة حتى كادت أن تقفر على أيديهم وتدثر رسومها بافراطهم تعديهم الى ارتداك أمير المسلمين رحمه الله تعالى أمرهم وأطفأ جمرهم وأوجعهم ضربا وأقطعهم ما شاء حزنا وكربا وسجنهم بأغمات وضمتهم جوانح الملمات والمعتمد اذ ذاك معتقل هناك وكانت فيهم طائفة شعريه مدنية أو بربرية فرغبوا الى سجانهم أن يستريحوا مع المعتمد من أشجانهم تخلى ما بينهم وبينه وغمض لهم فى ذلك عينه فكان المعتمد رحمه الله تعالى يتسلى بمجالستهم ويجد دائر مؤانستهم ويستريح اليهم بجواه ويبوح لهم بسره ونجواه الى أن شفع فيهم واطلقوا من وثاقهم وانفرج لهم مبهم أغلاقهم وبقى المعتمد يشتكى من ضيق الكبل ويبكى بدمع كالوبل فدخلوا عليه مودعين ومن بشه متوجعين فقال

أما لانسكاب الدموع فى الخد راحة * لقد آن أن يفنى ويفنى به الخد
هبوا دعوة يا آل فاس لمبتلى * بما منه قد عافاكم الصمد الفرد
تخلصتم من سجن اغمات والتوت * على قيود لم يحن فكها بعد
من الدهم أما خلقها فأساود * تلوى واما الايد والبطش فالاسد
فهنيتم النعماء دامت لكلكم * سعادته ان كان قد خانتى سعد
خرجتم جماعات وخلفت واحدا * ولله فى أمرى وأمركم الحمد

ومر عليه فى مرضع اعتقاله سرب قطا لم يعلق لها جناح ولا تعلق بها من الايام جناح ولا عاقها عن أفراخها الاشر الدولا أعوزها البشام ولا الارالك وهى تمرح فى الجو وتسرح فى مواقع النو فتنكد بما هو فيه من الوثاق ومادون أحبته من الرقباء والاغلاق وما يقاسيه من كبله ويعانيه من وجده وخبله وفكر فى بناته وافتقارهن الى نعيم عهدنه وحبور حضرنه وشهدنه فقال

بكيت الى سرب القطا اذ مررن بي * سوارح لا سجن يعوق ولا كبل
ولم تلك والله المعيد حسادة * ولكن حنينا ان شكلي لها شكل
فأسرح لا شملي صديع ولا الحشا * وجيع ولا عيناي يبكيهما ثكل
هنيئا لها اذ لم يفرق جميعها * ولا ذاق منها البعد عن أهلها أهل
واذ لم تبت مثلي تطير قلوبها * اذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل
وماذاك مما يعتريه وانما * وصفت التي في جبلة الخلق من قبل
لنفسي أن ألقى الحمام تشوف * سواي يحب العيش في ساقه كبل
الا عصم الله القطا في فراخها * فان فراخي خانها الماء والظل

وفي هذه الحالة زاره الاديب أبو بكر بن اللبانة وهو أحد شعراء دولته المرتضعين درها المنتجعين دررها وكان المعتمد رحمه الله تعالى يميزه بالتشوف والاحسان ويجوزه على فرسان هذا الشان فلما رآه وحلقات الكبل قد عضت بساقيه عض الاسود والتوت عليه التواء الاساود السود وهو لا يطيق اعمال قدم ولا يريق دمعا الا ممزوجا بدم ما عهده فوق منبر وسرير ووسط جنة وحرير تخفق عليه الالوية وتشرق منه الاندية وتكف الامطار من راحته وتشرف الاقدار بحلول ساحته ويرتاع الدهر من اوامره ونواهيه ويقصر النسر أن يقارنه أو يضاهيه نديه بكل مقال يلهب الاكباد ويثير فيه لوعة الحرث ابن عباد أبدع من أناشيد معبد وأصدع للكبد من مراثي أربد أو بكاء ذي الرمة بالمربد سلك فيها للاحتفاء طريقا لاحبا وغدا فيها الذبول الوفا ساجبا فمن ذلك قوله

انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها السفلي قد كتمت * سريرة العالم العلوي اغمات
طوت مظالتها الابل مذ لتها * من لم تزل فوقه للعز رايات
من كان بين الندى والبأس انصله * هنديه وعطاياه هنيدات
رماه من حيث لم تسترها سابغة * دهر مصيباته نبل مصيبات
أنكرت الالوان آيات القيود به * وكيف تنكر في الروضات حيات
غلطت بينهما بين عقدن له * وبينها فاذا الانواع اشتات
وقلت هن ذؤابات فلم عكست * من رأسه نحو رجليه الذؤابات
حسبتها من قناه أو أعنته * اذا بها لثقاف الجد آلات
دروه ليثا فخافوا منه عادية * عذرتهم فلعمر الليث عادات
لو كان يفرج عنه بعض آونة * قامت بدعوته حتى الجمادات
بحر محيط عهدناه تجيء له * كنقطة الدارة السبع المحيطات
لهفي على آل عباد فانهم * أهلة مالها في الافق هالات
راح الحيا وغدا منهم بمنزلة * كانت لنا بكرا فيها وروحات
أرض كأن على أقطارها سرجا * قد أوقدت من بالادهان أنبات
وفوق شاطئ واديها رياض ربا * قد ظللتها من الانشام دوحات

أبوك أشد بأسا والناس له أرجى ومنه أسمع وعليه أجمع فسار الى معاوية والناس مجتمعون عليه الا أهل الشام وهو أعز منه فخذلوه وتثاقلوا عنه حرصا على الدنيا وضنا بها فخدعوه الغيظ وخالفوه حتى صار الى ما صار اليه من كرامة الله ورضوانه ثم صنعوا باخيك بعد أبيك ما صنعوا وقد شهدت ذلك كله ورأيته ثم أنت تريد أن تسير الى الذين عدوا على أبيك وأخيك تقاتل بهم أهل الشام وأهل العراق ومن هو أعد منك وأقوى والناس منه أخوف وله أرجى فلو بلغهم مسيرك اليهم لاستطغوا الناس بالاموال وهم عبيد الدنيا فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك ويخذلك من أنت أحب اليه ممن ينصره فاذكر الله في نفسك فقال الحسين جزاك الله خيرا يا ابن عم فقد أجهدك رأيك ومهما يقض الله يكن فقال وعند الله نحتسب أبا عبد الله ثم دخل على الحرث بن خالد بن العاص ابن هشام المخزومي وهو والي مكة وهو يقول

كم نرى ناصحا يقول فيعصى * وظنين المغيب يلفى نصيحا

فقال وماذاك فاخبره بما قال للحسين فقال نصحت له ورب الكعبة واتصل الخبر بيزيد فكتب الى

كان واديها سلك بلبتها * وغابة الحسن أسلاك ولبات
نهر شربت بعبريه على صور * كانت لها من قبيل الراح سورات
وربما كنت اسمو للخليج به * وفى الخليج لاهل الراح راحات
وبالغروسات لاجفت منابتها * من النعيم غروسات جنيات

ولم تزل كبده تتوقد بالزفرات وخلده يتردد بين النكبات والعثرات ونفسه تتقسم بين الاشجان والحسرات الى أن شفته منيته وجاءته بها أمنيته فدفن باغمات وأريح من تلك الازمات (وعطلت المآثر من حلاها * وافردت المفاخر من علاها) ورفعت مكارم الاخلاق وكسدت نفائس الاعلاق وصار أمره عبرة فى عصره وصاب أندى عبرة فى مصره وبعد ايام وافى أبو بحر بن عبد الصمد شاعره المتصل به المتوصل الى المنى بسببه فلما كان يوم العيد وانتشر الناس ضحى وظهر كل متوار وضحا قام على قبره عند انفصالهم من مصلاهم واختيالهم بزينتهم وحلاهم وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه وخر على تربه ولثمه

ملك الملوك أسامع فأنادى * أم قد عدتك عن السماع عوادى
لما حللت منك القصور فلم تكن * فيها كما قد كنت فى الاعياد
قبلت من هذا الثرى لك خاضعا * وتخذت قبرك موضع الانشاد

وهى قصيدة أطال انشادها وبنى بها اللواعج وشادها فانحشر الناس اليه وانخفلوا وبكوا ببكائه وأعولوا وأقاموا أكثر نهارهم مطيفين به طواف الحجيج مديمين للبكاء والنحيب ثم انصرفوا وقد نزفوا ماء عيونهم وأقرحوا ماآقيهم بفيض شؤنهم وهذه نهاية كل عيش وغاية كل ملك وجيش والايام لاتدع حيا ولاتألو اكل نشر طيا تطرق رزاياها كل سمع وتفرق منایاها كل جمع وتصمى كل ذى أمر ونهى وترمى كل مشيد بوهى ومن قبله طوت النعمان بن الشقيقه ولوت مجازه فى تلك الحقيقه انتهى ماقصدنا جلبه من كلام الفتح مما يدخل فى أخبار المعتمد بن عباد لمناسبة مامر وكلام الفتح كله الغاية وليس الخبر كالعيان ولذا قال بعض من عرف به انه أراد أن يفضح الشعراء الذين ذكرهم فى كتبه بنثره سامحه الله تعالى وأخبار المعتمد رحمه الله تعالى تحتمل مجلدات وآثاره الى الآن بالغرب مخلدات وكان من النادر الغريب قولهم فى الدعاء للصلاة على جنازته الصلاة على الغريب بعد اتساع ملكه وانتظام سلكه وحكمه على اشبيلية وأنحائها وقرطبة وزهرائها وهكذا شأن الدنيا فى تدريسها نحو ندبتها واغرائها * وقد توجه لسان الدين الوزير بن الخطيب الى أغمات لزيارة قبر المعتمد رحمه الله تعالى ورأى ذلك من المهمات وأنشد على قبره ابياته الشهيرة التى ذكرتها فى جملة نظمه الذى هو أرق من النسيم وابهج من المحيا الوسيم * قلت وقد زرت أنا قبر المعتمد والرميكية أم أولاده حين كنت بمراكش المحروسة عام عشرة والف وعمى على أمر القبر المذكور وسألت عنه من نظن معرفته له حتى هدانى اليه شيخ طعن فى السن وقال لى هذا قبره ملك ملوك الاندلس وقبر حظيته التى كان قلبه بحبها خفاقا غير مطمئن فرأيته فى ربوة

عبيد الله بن زياد بتوليته أهله وحشمه وعليه عمامة سوداء قد تلثم بها وهو راكب بغلة والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل ابن زياد يسلم على الناس فيقولون وعليك السلام يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم حتى انتهى الى القصر وفيه النعمان ابن بشير فتحصن فيه ثم أشرف عليه فقال يا ابن رسول الله مالى ولك وما حملك على قصد بلدى من بين البلدان فقال ابن زياد لقد طال يومك يا نعيم وحسر اللثام عن فيه فعرفه ففتح له وتنادى الناس ابن مرجانه وحصبوه بالحصباء ففاتهم ودخل القصر ولما اتصل خبر ابن زياد بمسلم تحول الى هانئ ابن عروة المرادى ووضع ابن زياد الرصد على مسلم حتى علم بموضعه فوجه محمد ابن الاشعث بن قيس الى هانئ فجاءه فسأله عن مسلم فأنكره فاغلظ له ابن زياد القول فقال هانئ ان لزيادا أبيك عندى بلاء حسنا وأنا أحب مكافأته به فهل لك فى خير قال ابن زياد وما هو قال تشخص الى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين باموالكم فانه قد جاءنى من هو أحق منى وأحق من حقك وحق صاحبك فقال ابن زياد ادنوه منى فانوه منه فضرب وجهه

حسبما وصفه ابن الخطيب رحمه الله تعالى فى الابيات وحصلت لى من ذلك المحل خشية وادكار وذهبت بى الافكار فى ضروب الآيات فسبحان من يؤتى ملكه من يشاء لا اله غيره وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين * وما أحسن قول الوزير ابن عبدون فى مطلع رائيته الشهيرة

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

(وهو القائل)

يانائم الليل فى فكر الشباب أفق * فصبح شيبك فى أفق النهى بادى
غضت عنا فلك أيدى الدهر ناسخة * علما بجهل واصلاحا بافساد
وأسلمت للنوى يا آل مسلمة * وعبدت للرزايا آل عباد
لقد هوت منك خانتها قوادمها * بكوكب فى سماء المجد وقاد

ومنها ومالك كان يحيى شول قرطبة * أستغفر الله لا بل شول بغداد
شق العلوم نطاقا والعلا زهرا * فبين ما بين رواد ووراد

وأين هذه القصيدة فى مدحهم من قصيدة الغض منهم وهى قول أبى الحسن جعفر بن ابراهيم ابن الحاج اللورقى

تعزعن الدنيا ومعروف أهلها * اذا عدم المعروف فى آل عباد
حللت بهم ضيفا ثلاثة أشهر * بغير قرى ثم ارتحلت بلا زاد

وهذا يدلك على أن الشعراء لم يسلم من لسانهم من أحسن فضلا عمن أساء من العظماء والرؤساء وما أمدح قول أبى محمد بن غانم فيهم

ومن الغريب غروب شمس فى الثرى * وضياؤها باق على الآفاق

وقال فى المطمع فى حق بنى عباد وأوليتهم ما صورته الوزير أبو القاسم محمد بن عباد هذه بقية منتماها فى لخم ومرتماها الى مفرض ضخم وجدهم المنذر بن ماء السماء ومطلعهم فى جو تلك السماء وبنو عباد ملوك أنس بهم الدهر وتنفس منهم عن أعبق الزهر وعمروا ربع الملك وأمروا بالحياة والملك ومعتضدهم أحد من أقام وأقعد وتبوأ كاهل الارهاب واقتعد وافترش من عريشته وافترس من مكايد فريسته وزاحم بعود وهد كل طود وأجمل كل ذى زى وشاره وختل بوحى واشاره ومعتمدهم كان أجود الاملاك وأحد نيرات تلك الافلاك وهو القائل وقد شغل عن منادمة خواص دولته بمنادمة العقائل

لقد حننت الى ما اعتدت من كرم * حنين أرض الى مستأخر المطر
فهاتها خلعا أرضى السماح بها * محفوفة فى أكف الشرب بالبدر

وهو القائل وقد حن فى طريقه الى فريقه

اداراتوى كم ظل فيك تلذذى * وكم عقتنى عن دار أهيف أغيد
حلفت به لو قد تعرض دونه * كماة الاعادى فى النسيج المسرد
لجردت للضرب المهند فانقضى * مرادى وعزما مثل حد المهند

على وجهه ورأسه وضرب هانئ بيده الى قائم سيف شرطى من تلك الشرط فجاذبه الرجل ومنعه السيف وصاح اصحاب هانئ بالباب قتل صاحبنا فخافهم ابن زياد وامر بحبسه فى بيت الى جانب مجلسه واخرج اليهم ابن زياد شريحا القاضى فشهد عندهم انه حى لم يقتل فانصرفوا ولما بلغ مسلما ما فعل ابن زياد بهانئ امر منادیا فنادى يا منصور وكانت شعارهم فتنادى اهل الكوفة بها فاجتمع اليه فى وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل فسار الى ابن زياد فتحصن منه فحصره فى القصر فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل فلما نظر الى الناس يتفرقون عنه سار نحو ابواب كنده فما بلغ الباب الا ومعه منهم ثلاثة ثم خرج من الباب فاذا ليس معه منهم أحد فبقى حائرا لا يدرى أين يذهب ولا يجد أحدا يدله على الطريق فنزل عن فرسه ومشى متلددا فى أزقة الكوفة لا يدرى أين يتوجه حتى انتهى الى باب مولاة للاشعث بن قيس فاستسقاها ماء فسقته ثم سالته عن حاله

فاعلمها بقضيته فرقت له وآوته فجاء ابنها فعلم بموضعه فلما أصبح غدا الى محمد بن الاشعث فاعلمه فضى

فاعلمه فقال انطلق فأتني به ووجه معه عبد الله بن العباس السلمي في ميمنة

والقاضي أبو القاسم هذا جدهم وبه سفر جدهم وهو الذي اقتنص لهم الملك النافر واختصهم منه بالحظ الوافر فانه اخذ الرياسة من ايدي جابر واضحى من ظلالها اعيان اكابر عندما اناخت بها اطماعهم واصاخت اليها اسماعهم وامتدت اليها من مستحقيها اليد واتلعوا اجيادا زانها الجيد وفغر عليها فوه حتى هجا بيت العبدي وتصدى اليها من تحضر وتبدى فاقتعد سنامها وغاربها وابعد عنها عجمها واعاربها وفاز من الملك باوفر حصه وغدت سمته به صفة مختصه فلم يمح رسم القضاء ولم يتسم بسمة الملك مع ذلك النفوذ والمضاء ومازال يحمي حوزته ويجلو عزته حتى حوته الرجام وخلت منه تلك الآجام وانتقل الملك الى ابنه المعتضد وحل منه في روض نمق له ونضد ولم يعمر فيه ولم يدم ولاه وتسمى بالمعتضد بالله وارتمى الى أبعد غايات الجود بما أناله وأولاه لولا بطش في اقتضا النفوس كدر ذلك المنهل وعكر أثناء ذلك صفو العل والنهل ومازال للارواح قابضا وللوثوب عليها رابضا يخطف اعداءه اختطاف الطائر من الوكر وينتصف منهم بالدهاء والمكر الى أن أفضى الملك الى ابنه المعتمد فاكتحل منه طرفه الرمد وأحمد مجده وتقلد منه أي باس ونجده ونال به الحق مناه وجدد سناه وأقام في الملك ثلاثا وعشرين سنه لم تعدم له فيها حسنة ولا سيرة مستحسنه الى أن غلب على سلطانه وذهب به من اوطانه فنقل الى حيث اعتقل وأقام كذلك الى ان مات ووارته تربة اغمات وكان للقاضي جده أدب غض ومذهب مبيض ونظم يرتجله كل حين وينفثه أعطر من الرياحين فمن ذلك قوله يصف النيلوفر

ياناظرين لذا النيلوفر البهج * وطيب مخبره في الفوح والارج
كأنه جام در في تألقه * قد أحكموا وسطه فصا من السبج

انتهى المقصود منه وهو أعني الفتح يشيد قصور الشرف اذا مدح ويهدم معاقلها اذا هجا وقدح * ومن أغراضه قوله في المطمع في حق الاديب أبي جعفر بن البتي رافع رايات القريض وصاحب آيات التصريح والتعريض أقام شرائعه وأظهر بدائعه اذا نظم ازرى بالعقود وأتى بأحسن من رقم البرود وكان أليف علمان وحليف كفر لا ايمان مانطق متشرعا ولا رمق متورعا ولا اعتقد حشرا ولا صدق بعثا ولا نشرا تنسك مجونا وفتكا وتمسك باسم التقى وقد هتكه هتكا لا يبالي كيف ذهب ولا بم تذهب وكانت له أهاجي جرع بها صابا ودرع منها أوصابا وقد اثبت له ما يرشف ريقا ويشرب تحقيقا فمن ذلك قوله يتغزل

من لي بغيرة فاتن يختال في * حلل الجمال اذا بدا وحليه
لو شمت في وضح النهار شعاعها * ما عاد جنح الليل بعد مضيه
شرقت لآلي الحسن حتى خلصت * ذهبية في الخد من فضيه
في صفحتيه من الجمال ازاهر * غذيت بوسمي الحيا ووليه
سلمت محاسنه لقتل محبه * من سحر عينيه حسام سميه

وله فيه

ابن الاشعث الى ابن زياد رجلا فاقتحموا على مسلم الدار فثار عليهم بسيفه وشد عليهم فاخرجهم من الدار ثم حملوا عليه الثانية فشد عليهم وأخرجهم أيضا فلما رأوا ذلك علوا ظهر البيوت فرموه بالحجارة وجعلوا يلهبون النار باطراف القصب ثم يلقونها عليه من فوق البيوت فلما رأى ذلك قال أكل ما أرى من الاحلاب لقتل مسلم بن عقيل يا نفس اخرجي الى الموت الذي ليس عنه محيص فخرج اليهم مصلتا سيفه الى السكة فقاتلهم واختلف هو وبكير بن حمران الاحمري ضربتين فضرب بكيرا فم مسلم فقطع السيف شفته العليا وشرع في السفلى وضربه مسلم ضربة منكرة في رأسه ثم ضربه أخرى على حبل العاتق فكاد يصل الى جوفه وهو يرتجز ويقول

اقسم لا أقتل الا حرا
وان رأيت الموت شيأ مرا
كل امرئ يوما ملاق شرا
أخاف ان اكذب أو اغرا

فلما رأوا ذلك تقدم اليه محمد بن الاشعث فقال له فانك لا تكذب ولا تغدر وأعطاه الامان فامكنهم من نفسه وحملوه على بغلة وأتوا به ابن زياد وقد سلبه ابن الاشعث حين أعطاه الامان سيفه وسلاحه وفي ذلك يقول بعض الشعراء كيف

كيف لا يزداد قلبي * من جوى الشوق خبالا
واذا قلت علي * بهر الناس جمالا
هو كالغصن وكالبد * رقواما واعتدالا
اشرق البدر كمالا * واثنى الغصن اختيالا
ان من رام سلوى * عنه قد رام محالا
لست اسلو عن هواه * كان رشدا او ضلالا
قل لمن قصر فيه * عذل نفسي او اطالا
دون أن تدرك هذا * تسلب الرقى الهلالا

وكنت بميورقة وقد حملها متسما بالعباده وهو أسرى الى الفجور من خيال أبي عباده وقد لبس أسمالا ولبس منه أقوالا وأفعالا سجوده هجوده واقراره بالله جحوده وكانت له رابطة لم يكن للوازمها مرتبطا ولا بسكناها مغتبطا سماها بالعقيق وسمى فتى كان يتعشقه بالحمى وكان لا يتصرف الا فى صفاته ولا يقف الا بعرفاته ولا يؤرقه الا جواه ولا يشوقه الا هواه فاذا أحد دعاة حبيبه ورواة تشبيبه قال له كنت البارحة بحماه وذكر له خبرا ورى به عنى وعماه فقال

تنفس بالحمى مطلول أرض * فاودع نشره نشرا شمالا
فصبحت العيون الى كسلى * تجر فيه أردانا خضالا
أقول وقد شممت الترب مسكا * بنفحتها يمينا او شمالا
نسيم جاء يبعث منك طيبا * ويشكو من محبتك اعتلالا

ولما تقرر عند ناصر الدولة من امره ما تقرر وتردد على سمعه انتهاكه وتكرر اخرجه من بلده ونفاه وطمس رسم فسقه وعفاه فأقلع الى المشرق وهو جار فلما صار من ميورقة على ثلاثة بحار نشأت له ريح صرفته عن وجهته الى فقد مهمته فلما الحق بميورقة اراد ناصر الدولة اماحته واخذ ثار الدين منه واراحته ثم آثر صفحه واخمد ذلك الجمر وانفحه واقام اياما ينتظر ريحا علها تزجيه ويستهديها التخلص وتنجيه وفى اثناء بلوته لم يتجاسر احد على اتيانه من اخوته فقال يخاطبهم

احبتنا الا لى عتبوا علينا * فأقصرنا وقد ازف الوداع
لقد كنتم لنا جذلا وانسا * فهل فى العيش بعدكم انتفاع
اقول وقد صدرنا بعد يوم * اشوق بالسفينة ام نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها شراع

وله يتغزل

بنى العرب الصميم الا رعيتم * ما آثركم بها آثار السماح
رفعتم ناركم فعشا اليها * بوهن فارس الحى الوقاح
فهل فى القعب فضل تنفحوه * به من محض البان اللقاح
لعل الرسل شائبة الثنايا * بشهد من ندى نور الاقاح

وله ايضا

وكائما رشأ الحمى لما بدا * لث فى مضلعة الحديد المعلم

فشلا ولولا أنت كان منيعا
وقتلت وافد آل بيت محمد
وسلبت أسيافا له ودروعا
فلما صار مسلم الى باب القصر نظر الى قلة مبردة فاستسقاهم منها فنعهم مسلم بن عمر الباهلى وهو أبو قتيبة بن مسلم ان يسقوه فوجه عمرو ابن حريث فأتاه بماء فى قدح فلما رفعه الى فيه امتلأ القدح دما فصبه وملأه له الثانية فلما رفعه الى فيه سقطت ثنايا فيه وامتلأ دما فقال الحمد لله لو كان من الرزق المقسوم لشربته ثم أدخل الى ابن زياد فلما انقضى كلامه ومسلم يغلظ له فى الجواب امر به فأصعد الى أعلى القصر ثم دعا الاحمرى الذى ضرب مسلم فقال كن انت الذى تضرب عنقه لتأخذ بثارك من ضربته فأصعدوه الى اعلى القصر فضرب بكير الاحمرى عنقه فأهوى رأسه الى الارض ثم أتبعوا رأسه جسده ثم امر بهانئ بن عروة فاخرج الى السوق فضرب عنقه صبرا وهو يصيح يا آل مراد وهو شيخها وزعيمها وهو يومئذ يركب فى أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل واذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان فى ثلاثين ألف دارع فلم يجد زعيمهم منهم أحدا شلالا وخذلانا فقال الشاعر وهو يرثى هانئ بن عروة ومسلم بن عقيل ويذكر ما نالهما

غصب الغمام قسيه فارا كها * من حسن معطفه قويم الاسهم

وله ايضا نظرت اليه فاتقاني بمقلة * تردالى نحرى صدور رماح

حميت الجفون يارشا الحمى * واظلمت ايامى وانت صباحى

وقال قالوا تصيب طيور الجو اسهمه * اذا رماها فقلنا عندنا الخبر

تعلمت قوسها من قوس حاجبه * وايد السهم من الحاظه الحور

يروح فى بردة كالنقس حالكة * كما اضاء بجنح الليلة القمر

وربما راق فى خضراء مورقة * كما تفتح فى اوراقه الزهر انتهى

وقال فى ترجمة ابن اللبانة ابو الحسن شاعر سمع متقلد بالاحسان متشح بالمكرمات والرؤساء وبهم تلك السعادة القعساء فانتجع مواقع خيرهم واقتطع ماشاء من ميرهم وعادت آثامه الى هذا الاوان فخالت به فى ميدان الهوان فكسد نفاقه وارتدت آفاقه وتوالى عليه حرمانه واخفاقه وأدركته وقد خبته سنونه وانتظرته منونه ومحاسنه كعهدها فى الاتقاد وبعدها من الانتقاد وقد أثبت منها ما يعذب جنى وقطافا ويستعذب استنزالا واستلطافا فمن ذلك قوله يستنجد الامير الاجل أبا اسحق ابن أمير المسلمين

قل للامير ابن الامير بل الذى * أبدى به فى المكرمات وفى الندى

والمحتنى بالزرق وهى بنفسج * ورد الجراح مضعفا ومنضدا

جاءتك آمال العفاة ظوامئا * فاجعل لها من ماء جودك موردا

وانثر على المداح سيبك انهم * نثروا المدائح لؤلؤا وزبرجدا

فالناس ان ظلموا فأنت هو الحمى * والناس ان ضلوا فأنت هو الهدى

أخبرنى وزير السلطان أن هذه القطعة لما ارتفعت اعتنت بجملة الشعراء وشفعت فأنجز لهم الموعود وأورق لهم ذلك العود وكثر اللغط فى تعظيمها واستجادة تنظيمها وحصل له بها ذكر وانصقل له بسببها فكر وله من قطعة يصف بها سيفا

كل نهر توقدت شفرتاه * كاتقاد الشهاب فى الظلماء

فهو ماء مركب فوق نار * أو كنار قد ركبت فوق ماء

وكتب الى معز ياعن والدتى

على مثله من مصاب وجب * على من أصيب به المنتجب

وقلب فروق ولب خفوق * ونفس تشب وهم نصب

فقد خشعت للتقى هضبة * ذؤابتها فى صميم العرب

من الجاعلات محاريبها * هوادجها أبدا والقتب

من القائمات بظل الدجا * ولا من تسام الا الشهب

فكم ركعت اثرها فى الدجا * تناجى بها ربها من كتب

ولم سكبت فى أوانى السجود * مدامع كالغيث لما انسكب

وقد خلفت ولدا باسلا * فصيحا اذا قارا أو خطب

الى بطل قد هشم السيف وجهه

وآخر يهوى فى طمار قتيل

أصابهما أمر الامير فاصبحا

أحاديث من يسعى بكل سبيل

ترى جسدا قد غير الموت لونه

ونضح دم قد سال كل مسيل

أيترك أسماء المهايح آمنا

وقد طالبته مذبح بذحول

فتى هو أحيا من فتاة حيية

وأقطع من ذى شفرتين صقيل

ثم دعا ابن زياد ببكير بن حمران الذى ضرب عنق مسلم فقال أقتلته قال نعم قال فما كان يقول وأنتم تصعدون به لتقتلوه قال كان يكبر ويسبح الله ويهال ويستغفر الله فلما أدنيناه لنضرب عنقه قال اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا ثم خذلونا وقتلونا فقلت الحمد لله الذى أقادنى منك وضربته ضربة لم تعمل شيأ فقال لى أوما يكفيك وفى خدش منى وفاء بدمك ايها العبد قال ابن زياد أو فخر اعند الموت قال وضربته الثانية فقتلته ثم اتبعنا رأسه جسده وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضين من ذى الحجة سنة ستين وهو اليوم الذى ارتحل فيه الحسين من مكة الى الكوفة وقيل يوم الاربعاء يوم عرفة لتسع مضين من ذى الحجة سنة ستين ثم أمر ابن زياد

يفل السيوف بأقلامه * ويكسر صم القنا بالقصب

وكان القائد أبو عمرو عثمان بن يحيى بن ابراهيم أجل من جال في خلد واستطال على جلد رشأ يحيي باحتشامه و يسترد البدر بلثامه ويزري بالغصن تثنيه و يثمر الحسن لو دنت قطوفه لجتنيه مع لوذعية تخالها سحرا ونجابة يختال فيها الفضل اختيالا وكان قد بعد عن أنسنا بحمص وانتضى من تلك القمص وكان بثغر الاشبونة فسده ولم ينفرج لنا من الانس بعده ما يسد مسده الى أن صدر فأسرع الينا وابتدر فالتقينا وبتنا ليلة تام عنها الدهر وغفل وقام لنا بما شئنا فيها وتكفل فبينا نحن نقض ختامها وننفض عنا غبار الوحشة وقتامها اذا أنا بابن لبان هذا وقد دخل اذنه علينا فأمرناه بالنزول وتلقيناه بالترحيب وأنزلناه بمكان من المسرة رحيب وسقيناه صغارا وكبارا وأريناه اعظاما واكبارا فلما شرب طرب وكلما كرعها التحف السلوة وتدرعها ومازال يشرب أقداحا و ينشد فينا أمداحا و يفدي بنفسه و يستهدي الاستزادة من أنسه فهتكنا الظلام بما أهداه من البديع واجتلينا محاسنه كالصريع وانفصلت ليلته عن أتم مسره واعم مبره وارتحل عثمان أعزه الله الى ثغره وأقام به برهة من دهره فشيت بها اليه مجددا عهدا ومتضلعا من مؤانسته شهدا فكتب ابن لبان هذه القطعة من القصيدة يذهب الى شكره و يجتهد في تجديد ذكره

ماشام انسان انسان كعثمان * ولا كبغيته من حسن احسان
بدر السيادة يبدو في مطالعه * من المحاسن محفوفا بشهبان
له التمام وما بالافق من قمر * متم دون أن يرمى بنقصان
به الشبيبة تزهى من نضارتها * كما تساقط طل فوق بستان
معصفر الحسن للابصار ناصعه * كأنه فضة شيبت بعقيان
نبئت عنه بأنباء اذا نعتت * تعطلت نفعات المسك والبان
قامت عليه براهين تصدقها * كالشكل قام عليه كل برهان
قد زادها ابن عبيد الله من وضح * ما زادت الشمس نور الفجر للراني
بالله بلغه تسليمي اذا بلغت * تلك الركاب وعجل غير ليان
وليت أني لو شاهدت أنسكما * على كؤس وطاسات وكيزان
فألفظ الكلم المنثور بينكما * كأنما هو من در ومرجان
لله درك ياذا الخطتين لقد * خططت بالمدح فيه كل ديوان
كلا كما البحر في جود وفي كرم * أو الغمامة تسقي كل ظمآن
ان كان فارس هيجاء ومعترك * فانت فارس افصاح وتبيان
فاذكر أبا نصر المعسور منزله * بالرقد ما شئت من مثنى ووحدان
قصائد الاضحى ودوان نزحت * بك الركاب الى أقصى خراسان

انتهى * وقال في ترجمة الاديب أبي بكر عبد المعطي بيت شعر ونباهه وأبو بكر من انتبه خاطره للبدائع أي انتباهه وله أدب باهر ونظم كما سفرت أزاهر وقد أثبت له جملا يبلغ

بني هاشم وأول رأس حمل من رؤسهم الى دمشق فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحر بن يزيد التميمي فقال له أين تريد يا ابن رسول الله قال أريد هذا المصر فعرفه بقتل مسلم وما كان من خبره ثم قال ارجع فاني لم أدع خلفي خيرا أرجوه لك فهم بالرجوع فقال له أخو مسلم والله لا نرجع حتى نصيب بثارنا أو نقتل كلنا فقال الحسين لا خير في الحياة بعدكم ثم سار حتى لقي خيل عبيد الله بن زياد عليها عمر بن سعد بن أبي وقاص فعدل الى كربلاء وهو في مقدار خمسمائة فارس من أهل بيته وأصحابه ونحو مائة راجل فلما كثرت العساكر على الحسين أيقن أنه لا محيص له فقال اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقتلوننا فلم يزل يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه وكان الذي تولى قتله رجل من مذحج واحتز رأسه وانطلق به الى ابن زياد وهو يرتجز

أنا قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وابا
وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فبعث به زياد الى يزيد بن معاوية ومعه الرأس فدخل الى يزيد وعنده أبو برزة الاسلمي فوضع الرأس بين يديه فأقبل ينكث

آمالا فمن ذلك قوله وقد اجتمعنا في ليلة لم يضر بها وعد ولم يعزب عنها سعد وهو قعدى قد شب عن طوق الانس في الندى وما قال خلا عمرو ولا عدا والكهولة قد قبضته وأقعدته عن ذلك وما أنهضته

امام النثر والمنظوم فتح * جميع الناس ليل وهو صبح
له قلم جليل لا يجارى * يقر بفضله سيف ورمح
يبارى المزن ما سحت سماحا * وان شحت فليس لديه شح

وكان مرتسما في عسكر قرطبة وكان ابن سراج يقوم له بكل ما يبغي تطلبه خيفة من لسانه ومحافظة على احسانه ولما خرج الى اقليش خرج معه وجعل يسابر من شيمه فلما حصلوا بفحص سرادق وهو موضع توديع المفارق للفارق قرب منه أبو الحسين بن سراج لوداعه وأنشده في تفرق الشمل وانصداعه

هم رحلوا عنا لامر لهم عنا * فما أحد منهم على أحدحنا
وما رحلوا حتى استفادوا نفوسنا * كانهم كانوا أحق بها منا
فيا ساكني نجد لتبعد داركم * ظننا بكم ظنا فاخلفتم الظنا
غدرتم ولم أغدر وخنتم ولم أخن * وقلتم ولم أعتب وجرتم وما جرنا
وأقسمتم أن لا تخونون في الهوى * فقد وذمام الحب خنتم وما خنا
ترى تجمع الايام بيني وبينكم * ويجمعنا دهر نعود كما كنا

فلما استتم انشاده لحق بالسلطان واعتذر اليه بمريض خلفه وهو يخاف تلفه فاذن له بالانصراف وكتب الى أبي الحسين بن سراج

أما والهدايا ما رحلنا ولا حلنا * وان عز من دون الترحل ما عنا
تركنا ثواب الفضل والعز للعزا * على مضض منا وعدنا كما كنا
وليس لنا منكم على البين سلوة * وان كان أنتم عندكم سلوة عنا

وجمعتنا عشية بروض الرحال بقرطبة ومعنا ملة من الاخوان وهو في جملتهم مناهض لاعيانهم وجلتهم بفضل أدبه وكثرة سحبه فجعل يرتجل ويروي وينثر محاسن الآداب ويطوي ويمتعنا بتلك الاخبار ويقطعنا منها جانب اعتبار ويطلعنا على اقبال الايام وعلى الادبار

أيا ابن عبد الله يا ابن الاكارم * لقد بخلت يمناك سوب الغمائم
لك القلم الاعلى الذي عطل القنا * وفل ظبات المرهفات الصوارم
وأخلاقك الزهر الازاهر بالربا * ترف بثوب الغيوث السواجم
بقيت لتشييد المكارم والعلى * تظاهرها بالسالف المتقادم

واجتمع عند أبيه ملة من أهل الادب وذوي المنازل والرتب في عشية غيم أعقب مطرا وخط فيه البرق أسطرا والبرد يتساقط كدر من نظام ويترا آكثنا ياغادة ذات ابتسام وهو غلام ما نضا برد شبابه ولا انتضى مرهف آدابه فقال معرضا بهم ومتعرضا لتحقق أدبهم

كان الهواء غدير جمد * بحيث البرود تذيب البرد

بالقضيب ويقول قضيبك فطال والله ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع فيه على فيه يلثمه وكان جميع من حضر مقتل الحسين من العساكر ومحاربيه وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة لم يحضرهم شامي وكان جميع من قتل مع الحسين في يوم عاشوراء بكربلاء سبعة وثمانين منهم ابنه علي بن الحسين الاكبر وكان يرتجز ويقول

انا علي بن الحسين بن علي
نحن وبيت الله أولى بالنبي
تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

وقتل من ولد أخيه الحسن ابن علي عبد الله بن الحسن والقاسم بن الحسن وابو بكر ابن الحسن ومن اخوته العباس بن علي وعبد الله ابن علي وجعفر بن علي وعثمان بن علي ومحمد بن علي وهو الاصغر ومن ولد جعفر بن ابي طالب محمد ابن عبد الله بن جعفر وعون ابن عبد الله بن جعفر ومن ولد عقيل بن ابي طالب عبد الله بن عقيل وعبد الله ابن مسلم بن عقيل وذلك لعشر خلون من المحرم سنة اربع وستين وقتل الحسين وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل ابن تسع وخمسين سنة وقيل غير ذلك ووجد بالحسين يوم قتل ثلاث وثلاثون طعنة واربع وثلاثون ضربة

خيوط وقد عقدت فى الهواء * وراحة ريح تحل العقد

وشرب فى دار ابن الاعلم فى يوم لم ير الدهر فيه اساءه وليل نسخ نور أنسه مساءه ومعهم جملة من الشعراء وجماعة من الوزراء منهم أبناء القبطرنة فوقع بينهم عتاب وتعذال وامتهان فى ميدان المشاجرة وابتذال آل به الى تجريد السيف وتكدير ما صفا من ذلك الحيف فسكنوه بالاستنزال وثنوه عن ذلك النزال وقال فى المطمح فى حق أبى بكر يحيى ابن بقى القرطبى صاحب الموشحات البديعة كان نبيل السيرة والنظام كثير الارتباط فى سلكه والانتظام أحرز خصالا وطرز بمحاسنه بكرا وآصالا وجرى فى ميدان الاحسان الى أبعد أمد وبنى من المعارف أثبت عمد الا أن الايام حرمته وقطعت حبل رعايته وصرمته فلم تتم له وطرا ولم تسجم عليه الحظوة مطرا ولا سوغت من الحرمة نصيبا ولا أنزلته مرعى خصيبا فصار راكب صهوات وقاطع فلوات لا يستقر يوما ولا يستحسن نوما مع توهم لا يظفره بأمان وتقلب ذهن كالزمان الا أن يحيى بن على بن القاسم نزعه من ذلك الطيش وأقطعه جانبا من العيش ورقاه الى سمائه وسقاه صوب نعمائه وفيأه ظلاله وبوأه أثر النعمة يحوس خلاله فصرف به اقواله وشرف بعواقبه فعاله وأفرده منها بأنفس درر وقصده منها بقصائد غر انتهى المقصود من ترجمته فى المطمح * وقال فى حقه فى القلائد رافع راية القريض وصاحب آية التصريح فيه والتعريض أقام شرائعه وأظهر روائعه وصار عصيه طائعه اذا نظم أزرى بنظم العقود وأتى بأحسن من رقم البرود وطغا عليه حرمانه فاصفاله زمانه انتهى * وابن بقى المذكور هو القائل

بأبى غزال عازلته مقلتى * بين العذيب وبين شطى بارق

الابيات المذكورة فى غير هذا الموضع ومن موشحاته قوله

عبث الشوق بقلبى فاشتكى * ألم الوجد فلبت أدمعى

أيها الناس فؤادى شغف
وهو من بنى الهوى لا ينصف
كم أداريه ودمعى يكف

أيها الشادن من علمكا * بسهام اللحظ قتل السبع

بدر تم تحت ليل أغطش
طالع فى غصن بان منتشى
أهيف القد بخد أرقش

ساحر الطرف ولم ذا فتكا * بقلوب الاسد بين الاضلع

أى ريم رمته فاجتنبا
وانثنى يهتز من سكر الصبا
كقضيب هزه ريح الصبا

قلت هب لى يا حبيبى وصلكا * واطرح أسباب هجرى ودعى

النخى ثم نزل فاحتز رأسه وفى ذلك يقول الشاعر

وأى رزية عدلت حسينا
غداة تبينه كفا سنان

وقتل معه من الانصار أربعة وباقى من قتل معه من أصحابه على ما قدمنا من العدة من سائر العرب وفى ذلك يقول مسلم بن قتيبة مولى بنى هاشم

عين جودى بعبرة وعويل
واندبى ان ندبت آل الرسول
وابن عم النبى غوثا أخاهم
ليس فيما ينوب بالمخذول
وسمى النبى غودر فيهم
قد علوه بصارم مصقول
واندبى كهلهم فليس اذا ما
عد فى الخير كهلهم كالكهول
لعن الله حيث كان زيادا
وابنه والعجوز ذات البعول

وأمر عمرو بن سعد أصحابه أن يوطئوا خيلهم الحسين فانتدب لذلك اسحق بن حياة الحضرمى فى نفر معه فوطئوه بخيلهم ودفن أهل الغمرية وهم قوم من بنى عامر من بنى أسد الحسين وأصحابه بعد قتلهم بيوم وكان عدة من قتل من أصحاب سعد فى حرب الحسين عليه السلام ثمانية وثمانين رجلا

*(ذكر أسماء ولد على بن أبى طالب رضى الله عنه) *الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم الكبرى

قال خدى زهره مذفوقا
جرت عيناى سفام هفا
حذرا منه بأن لا يقطفا
ان من رام جناه هلكا * فأزل عنك علال الطمع
ذاب قلبى فى هوى ظبى غرير
وجهه فى الدجن صبح مستنير
وفؤادى بين كفيه أسير
لم أجد للصبر عنه مسلكا * فانتصارى بانسكاب الادمع

وقال رحمه الله تعالى

خذ حديث الشوق عن نفسى * وعن الدمع الذى همعا
ماترى شوقى قد اتقدا
وهمى بالدمع واطردا
واغتدى قلبى عليك سدا
آه من ماء ومن قبس * بين طرفى والحشا جمعا
بأبى ريم اذا سفرا
أطلعت أزراره قمرا
فاحذروه كلما نظرا
فبألحاظ الجفون قسى * انامنها بعض من صرعا
أرتضيه جارا وعدلا
قد خلعت العذر والعذلا
انما شوقى اليه جلا
كم وكم أشكو الى الانس * ظمئى لو أنه نقعا
صال عبد الله بالحور
وبطرف فاتر النظر
حكمه فى انفس البشر
مثل حكم الصبح فى الغلس * ان تجلى نوره صدعا
شبهته بالرشا الامم
فلعمرى انهم ظلموا
فتغنى من به السقم
أى ظبى القفر والكنس * من غزال فى الحشا رتعا

انتهى وله ايضا

ماردنى لابس * ثوب الضنا الدارس * الاقمر
فى غصن مائس * شعاعه عاكس * ضوء البصر

وزينب الكبرى أمهم الحنفية وقيل ابنة جعفر ابن قيس بن مسلمة الحنفى وعبد الله وأبو بكر أمهما ليلى بنت مسعود النهشلى وعمر ورقية أمهما تغلبية ويحيى وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن جعفرا الطيار استشهد وخلف عليها عونا ومحمدا وعبد الله وأن عقب جعفر منها من عبد الله ابن جعفر ان أبا بكر الصديق تزوجها بعده وخلف عليها محمدا ثم تزوجها على فخلف عليها يحيى وانها ابنة العجوز الحرسية التى كانت أكرم الناس أصهارا وقد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب تسمية أصهار العجوز الحرسية وان أولهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعفر والعباس وعبد الله أمهم أم البنين بنت حزام الوحيدية ورملة وأم الحسن أمهما أم سعد بنت عروة ابن مسعود الثقفى وأم كلثوم الصغرى وزينب وجمانة وميمونة وخديجة وفاطمة أم الكرام ونفيسة وأم سلمة وأم أبيها وقد أتينا على أنساب آل أبى طالب ومن أعقب منهم ومصارعهم وغير ذلك من أخبارهم فى كتابنا أخبار الزمان (والعقب) العلى من خمسة الحسن والحسين ومحمد

أسير كالسيل * اليه لاباع * الا ودا د
والطيف فى خيل * لهن اسراع * مع الرقاد
يا كوكب الليل * ان كنت ترتاع * فلم فؤادى
كالاسد العابس * لكنه خانس * من الحسود

ومن نظمه قصيدة مدح يحيى بن على بن القاسم المذكور بها منها فى المديح قوله

نوران ليسا يحجبان عن الورى * كرم الطباع ولاجمال المنظر
وكلاهما جمعا ليحيى فليدع * كتمان نور علائه المتشهر
فى كل أفق من جمال ثنائه * عرف يزيد على دخان المجمر
ردنى شمائله ورد فى جوده * بين الحديقة والغمام الممطر
يدر عليه من الوقار سكينة * فيها لقيظة كل ليث مخدر
مثل الحسام اذا انطوى فى غمده * ألقى المهابة فى نفوس الحضر
أربى على المزن الملث لانه * أعطى كما أعطى ولم يستعبر

ومنها

أقبلت مرتاد الجود لك انه * صوب الغمامة بل زلال الكوثر
ورأيت وجه النجح عندك أبيضا * فركبت نحوك كل نجح أخضر

وهى طويلة وقوله أربى على المزن الملث البيت هو معنى تلاعب الشعراء بكرته وأورده كل منهم على حسب مقدرته فقال بعض

من قاس جدوالك بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين شيئين
أنت اذا جدت ضاحك أبدا * وهو اذا جاد دامع العين

وقال آخر

ما نوال الغمام يوم ربيع * كنوال الامير يوم سخاء
فنوال الامير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء

وهما من شواهد البديع وقال أبو عبد الله الحوضى التلمسانى فى قصيدة مدح بها سلطان تلمسان أبا عبد الله الزيانى

أصبح المزن من عطائك يحكى * يوم الاثنين للانام عطاء
كيف يدعى لك الغمام شبيها * ولقد فقته بسنا وسناء
أنت تعطى اذا تقصر مالا * وهو يعطى اذا تطول ماء

(رجع) وذكر العماد فى الخريدة ابن بقى المذكور وأورد له جملة من المقطعات ومحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى وبقى على وزن على (رجع الى بنى عباد رحمهم الله تعالى) وقال ابن اللبانة فى بنى عباد ما نصه بماذا أصفهم وأحليهم وأى منقبة من الجلالة أوليهم فهم القوم الذين تجل مناقبهم عن العد والاحصاء ولا يتعرض لها بالاستيفاء والاستقصاء ملوك بهم زينت الدنيا وتحلت وترقت حيث شاءت وحلت ان ذكرت الحروب فعليهم يوقف منها الخبر اليقين اوعدت المآثر فهم فى ذلك فى درجة السابقين أصبح الملك بهم مشرق القسام والايام ذات بهجة وابتسام حتى أناخ بهم الحمام وعطل من محاسنهم الوراء والامام فنقل الى العدم وجودهم ولم يرع باسهم وجودهم وكل ملك آدمى ففقود وما تؤخره الا لاجل

من لاعقب له منهم ومن له العقب وأنساب غيرهم من قريش بنى هاشم وغيرهم الزبير ابن بكار فى كتابه فى أنساب قريش وأحسن من هذا الكتاب فى انساب آل أبى طالب الكتاب الذى سمع من طاهر بن يحيى العلوى الحسينى بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم وقد صنف فى انساب آل ابى طالب كتب كثيرة منها كتاب العباس من ولد العباس بن على وكتاب أبى على الجعفرى وكتاب المهلوى العلوى من ولد موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وفى قتيل الطف يقول سليمان ابن قبة يرثيه على ما ذكره الزبير بن بكار فى كتاب أنساب قريش من أبيات فان قتيل الطف من آل هاشم
أذل رقابا من قريش فذلت
فان يتبعوه عائد البيت يصبحوا
كعاد تعمت عن هداها فضلت
الم تر أن الارض أضحت مريضة
بقتل حسين والبلاد اقشعرت

فلا يبعد الله الا ياروا هلها * وان أصبحت منهم برغمى تجللت * (ذكر لمع من أخبار يزيد وسيره ونوادر من بعض أفعاله) *

معدود فأول ناشئة ملكهم ومحصل الامر تحت ملكهم عظيمهم الاكبر وسابقة شرفهم الاجل الاشهر وزيرهم الذي يعد في الفضائل بالوسطى والمختصر محمد بن عباد ويكنى أبا القاسم واسم والده اسمعيل ومن شعره قوله

يا حبذا الياسمين اذ يزهر * فوق غصون رطيبة نضر
قد امتطى للجمال ذروتها * فوق بساط من سندس أخضر
كأنه والعيون ترمقه * زمرد في خلاله جوهر

انتهى ولنذكر كلام ابن اللبانة وغيره في حقهم فنقول وصف المعتضد رحمه الله تعالى بما صورته المعتضد أبو عمرو عباد رحمه الله تعالى لم تخل أيامه في أعدائه من تقييد قدم ولا عطل سيفه من قبض روح وسفك دم حتى لقد كانت في باب داره حديقة لا تثمر الا رؤسا ولا تنبت الا رئيسا ومرؤسا فكان نظره اليها أشهى مقترحاته وفي التلفت اليها استعمل جل بكره وروحاته فبكى وأرق وشتت وفرق ولقد حكي عنه من أوصاف التجبر ما ينبغي أن تصان عنه الاسماع ولا يتعرض له بتصريح ولا الماع ومن نظمه عفا الله عنه

أتتلك أم الحسن * تشدو بصوت حسن
تمدني ألحانها * من الغناء المدني
تقود مني ساكنا * كأنني في رسن
أوراقها أستارها * اذا شدت في فنن

وقوله شربنا وجفن الليل يغسل كحله * بماء صباح والنسيم رقيق
معتقة كالتبر أما بخارها * فمخم وأما جسمها فرقيق

وقوله قد وجدنا الحبيب يصفي وداده * وحمدنا ضميره واعتقاده
قرب الحب من فؤاد محب * لا يرى هجره ولا ابعاده

وقال عند حصول رندة في ملكه

لقد حصنت يا رنده * فصرت لملكنا عده
افادتنا لك أرماح * وأسياف لها حده

وقال رحمه الله تعالى

اشرب على وجه الصباح * وانظر الى نور الاقاح
واعلم بأنك جاهل * مالم تقبل بالاصطباح
فالدهر شئ بارد * مالم تسخنه براح

انتهى ومن حكايات المعتضد عباد ما ذكره غير واحد أن ابن جاخ الشاعر ورد على حضرته فدخل الدار المخصوصة بالشعراء فسألوه فقال اني شاعر فقالوا أنشدنا من شعرك فقال

اني قصدت اليك يا عباد * قصد الغليق بالجرى للوادى

فضحكوا منه وازدروه فقال بعض عقلائهم دعوه فان هذا شاعر وما يعدان يدخل مع الشعراء وينتدرج في سلكهم فلم يبالوا بكلام الرجل وتنادروا على المذكور فبقي معهم وكان لهم في تلك الدولة يوم مخصوص لا يدخل فيه على الملك غيرهم وربما كان يوم الاثنين فقال

ولما أفضى الامر الى يزيد بن معاوية دخل منزله فلم يظهر للناس ثلاثا فاجتمع ببابه أشراف العرب ووفود البلدان وأمراء الاجناد لتعزيته بأبيه وتهنئته بالامر فلما كان في اليوم الرابع خرج شعثا أغبر فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان معاوية كان حبلا من حبال الله مده الله ما شاء أن يمده ثم قطعه حين شاء أن يقطعه وكان دون من قبله وخير من بعده ان يغفر الله له فهو أهله وان يعذبه فبذنبه وقد وليت الامر بعده ولست أعتذر من جهل ولا أشتغل بطلب علم فعلى رسلكم فان الله اذا أراد شيأ كان اذكروا الله واستغفروه ثم نزل ودخل منزله ثم أذن للناس فدخلوا عليه لا يدرون أيهنئونه أم يعزونه فقام عصام بن أبي صيفي فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته أصبحت قد رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله ومنحت هبة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله له ذنبه وأعطيت بعده الرياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واحمده على أفضل العطية فقال يزيد ادن مني يا ابن أبي صيفي فدنا حتى جلس قريبا منه ثم قام عبد الله بن مازن فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين رزئت خير

بعض لبعض هذه شنعة بنا ان يكون مثل هذا البادى يقدم علينا ويجترئ على الدخول معنا فاتفقوا على ان يكون هو أول متكلم فى اليوم المخصوص بهم عند جلوس السلطان وقد رأوا أن يقول مثل ذلك الشعر المضحك فيطرده عنهم ويكون ذلك حسما لعلة اقدام مثله عليهم فلما كان اليوم المذكور وقعد السلطان فى مجلسه ونصب الكرسى لهم رغبوا منه أن يكون هذا القادم أول متكلم فى ذلك اليوم فأمر بذلك فصعد الكرسى وانتظروا أن ينشد مثل الشعر المضحك المتقدم فقال

قطعت يا يوم النوى أكبادى * وحرمت عن عينى لذيذ رقادى
وتركتنى أرعى النجوم مسهدا * والنار تضرم فى صميم فؤادى
وكأنما آلى الظلام أليـة * لاينجـلى الا الى ميعـاد
لى بين بين أين تقتاد النوى * ابلى الذين تحملوا بسعاد
ولرب خرق قد قطعت نياطه * والليل يرفل فى ثياب حداد
بشملة حرف كأن زميلها * سرح الرياح وكل برق غادى
والنجم يحدوها وقد ناديتها * ياناقتى عوجى على عباد
ملك اذا ما أضرمت نار الوغى * وتلاقت الاجناد بالاجناد
فترى الجسوم بلا رؤس تنثنى * وترى الرؤس لقى بلا أجساد
يا أيها الملك المؤمل والذى * قد ماسما شرفا على الانداد
ان القريض لكاسد فى أرضنا * وله هنا سوق بغير كساد
فخلبت من شعرى اليك قوافيا * يفنى الزمان وذكرها متمادى
من شاعر لم يضطلع أدبا ولا * خطت بداه صحيفة بمداد

فقال له الملك أنت ابن جاخ فقال نعم فقال اجلس فقد وليتك رياسة الشعراء وأحسن اليه ولم يأذن فى الكلام فى ذلك اليوم لاحد بعده انتهى (رجع الى أخبار بقية بنى عباد) المعتمد على الله ابو القاسم محمد بن المعتضد ابى عمرو عباد ابن القاضى ابى القاسم بن عباد رحمه الله تعالى ملك مجيد واديب على الحقيقة مجيد وهمام تحلى به للملك لبة وللنظم جيد افنى الطغاة بسيفه وأباد وأنسى بسيبه ذكر الحرث بن عباد فاطلع أيامه فى الزمان حجولا وغررا ونظم معاليه فى اجيادها جواهر ودررا وشيد فى كل معلوة فناءه وعمر بكل نادرة مستغربة وبادرة مستظرفة اوقاته وآناءه فنفقت به للعام سوق وبسقت ثمرات احسانه اى بسوق منع وقرى وراش وبرى ووصل وفرى وكان له من ابنائه عدة أقمار نظمهم نظم السلك وزين بهم سماء ذلك الملك فكانوا معاقل بلاده وحماة طارفه وتلاده الى أن استدار الزمان كهيئته واخذ البؤس فى فيئته واعتز الخلاف وظهر وسل الشتات سيفه وشهر والمعتمد رحمه الله تعالى يطلب نفسه أثناء ذلك بالثبات بين تلك النبات والمقام فى ذلك المقام الى أن بدل القطب بالواقع واتسع الخرق على الراقع فاستعضد بابن تاشفين فورد عليه كتابه يشعره بالوفاء فثاب اليه فكر خاطره وفاء وثبت خلال تلك المدة للنزال ودعا من رام حربه نزال الى أن أصبح والحروب قد نهبته والايام

أعطيت طاعة خلق الله كلهم * وانت ترعاهم والله يرعاكا
وفى معاوية الباقى لنا خلف * وأعانك على الرعية فقد

اصبحت قريش مفجوعة بعد ساستها مسرورة بما احسن الله اليها من الخلافة بك والعقبى من بعده ثم انشأ يقول

الله اعطاك التى لا فوقها * وقد اراد المحدثون عوقها
عنك فيأبى الله الا سوقها * اليك حتى قلدوك طوقها

فقال له يزيد ادن منى يا ابن مازن فدنا منه حتى جلس قريبا منه ثم قام عبد الله بن همام فقال آجرك الله يا أمير المؤمنين على الرزية وصبرك على المصيبة وبارك لك فى العطية ومنحك محبة الرعية مضى معاوية لسبيله غفر الله له واورده موارد البر ورووفقك لصالح السياسة أصبت بأعظم المصائب ومنحت أفضل الرغائب فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكره على أفضل العطية وأحدث لخالقك حمدا والله يمتعنا بك ويحفظك ويحفظ لك وعليك وأنشأ يقول

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقة * واشكر حباء الذى بالملك أصفاكا
أصبحت لارزء فى الاقوام نعلمه * كمازرئت ولا عقبى كعقباكا
أما نعيت ولا نسمع بمثلكا

فقال له يزيد ادن مني يا ابن ارتفع من مجلسه امر لكل واحد منهم بمال على مقداره في نفسه ومحله في قومه وزاد في اعطائهم ورفع مراتبهم وقد اتينا في كتابنا اخبار الزمان على ما كان من خبر يزيد وغيبته في حال وفاة ابيه معاوية ومسيره من ناحية حمص حتى بلغه ما بأبيه من العلة وورود على ثنية العقاب من ارض دمشق فأغنى ذلك عن اعادة هذا الخبر في هذا الكتاب وذكر عدة من الاخبار بين واهل السير ان عبد الملك بن مروان دخل على يزيد فقال اريضة لك الى جانب ارض لي ولي فيها سعة فأقطعنيها فقال يا عبد الملك انه لا يتعاظمني كبير ولا اخدع عن صغير فأخبرني عنها والا سألت غيرك فقال ما بالحجاز أعظم منها قدرا قال قد أقطعتك فشكره عبد الملك ودعا له فلما ولى قال يزيد ان الناس يزعمون ان هذا يصير خليفة فان صدقوا فقد صانعناه وان كذبوا فقد وصلناه وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب ومجلس ذات يوم على شرابه وعن يمينه ابن زياد وذلك بعد قتل الحسين فاقبل على ساقيه فقال

تسترجع منه ماوهبته فمثل ذلك العرش واعتدت الليالي حين أمنت من الارش فنقل من صهوات الخيول الى بطون الاجفان وهذه الدنيا جميع ما لديها زائل وكل من عليها فان فما اغنت تلك المملكة وما دفعت وليتها ما ضرت اذ لم تكن نفعت وكل يلقى مجله ومؤجله ويبلغ الكتاب أجله *وقال الفقيه القاضي أبو بكر بن خميس رحمه الله تعالى حين ذكر تاريخ بني عباد وقد ذكر الناس للمعتمد من أوصافه ما لا يبلغ مع كثرته الى انصافه وانا الآن أذكر نبذا من أخباره وأردفها بما وقفت عليه من منظومات أشعاره فانه رحمه الله تعالى جم الادب رائقه عالي النظم فائقه كان يسمى بمحمد ويكنى بابي القاسم على كنية جده القاضي استبد بالامر عند موت أبيه المعتضد وفي ذلك يقول الحصري رحمه الله تعالى

مات عباد ولكن * بقي الفرع الكريم * فكأن الميت حي * غير أن الضاد ميم

قال ابن اللبانة رحمه الله تعالى ولم يزل المعتمد بخير الى أن كانت سنة خمس وسبعين وأربعمائة ووصل اليهودي ابن شاليب لقبض الجزية المعلومة مع قوم من رؤساء النصارى وحلوا باب من ابواب اشبيلية فوجه لهم المعتمد المال مع جماعة من وجوه دولته فقال اليهودي والله لا اخذت هذا العام ولا آخذه منه الا مسحورا وبعد هذا العام لا آخذ منه الا أجفان البلاد ردوه اليه فرد المال الى المعتمد وأعلم بالقصة فدعا بالجند وقال ائتوني باليهودي وأصحابه واقطعوا احبال الخباء ففعلوا وجاؤا بهم فقال اسجنوا النصارى واصلبوا اليهودي الملعون فقال اليهودي لا تفعل وأنا أفتدي منك بزنتي مالا فقال والله لو اعطيتني العدوة والاندلس ما قبلتها منك فصلب فبلغ الخبر النصراني فكتب فيهم فوجه اليهم فاقسم النصراني أن يأتي من الجنود بعدد شعر رأسه حتى يصل الى بحر الزقاق وأمير المسلمين يوسف بن تاشفين اذ ذاك محاصر سبتة فجاز المعتمد اليه ووعده بنصرته فرجع وحث ملوك الاندلس على الجهاد ثم وصل الى ابن تاشفين فكانت غزوة الزلاقة المشهورة ورجع ابن تاشفين الى المغرب ثم جاز بعد ذلك الى الاندلس وتوهم ابن عباد انه اذا أخذ البلاد يأخذ أموالها ويترك الاجفان فعزم ابن تاشفين على ان يخلع ملوك الاندلس ودارت اذ ذاك مكايد جمة ثم وجه ابن تاشفين من سبتة الى المعتمد يطلب منه الجزيرة الخضراء وفيها ابنه يزيد فكتب اليه معتذرا عنها فلم يكن الا كلا ح البصر واذا بمائة شراع قد أطلت على الجزيرة فطير ابنه الحمام اليه فأمره باخلائها فظهر عند ذلك ابن تاشفين وقيل انه لم يجز المرة الاولى حتى طلب من المعتمد الجزيرة لتكون عدة له وكان ذلك بدسيسة بعض أهل الاندلس نصحا لابن تاشفين ثم شرع ابن تاشفين في خلع ملوك الاندلس وقتالهم وأرسل الى كل مملكة جماعة من أهل دولته وأجناده يحاصرونها وأرسل الى حضرة المعتمد اشبيلية وشرع في قتالها والناس قد ملوا الدولة العبادية وسئموها على ما جرت به العادة من حب الجديد لا سيما وقد ظهر من ابن عباد من التهتك في الشرب والملاهي ما لا يخفى أمره فتمنى أكثر الناس الراحة من دولتهم ولما اشتد بحنق المعتمد وجه ٣ من النصارى فاعدلهم ابن تاشفين من لقيهم في الطريق فهزمهم وجهز ابن تاشفين القطائع لاشبيلية وجد في حصارها والمعتمد مع ذلك منغمس في لذاته

استقى شربة تروى مناشئ * ثم صل فاسق مثلها ابن زياد صاحب المروالامانة عندى * ولشديد مغنمى وجهادى

وقد ألقى الامور بيد ابنه الرشيد فلم يشعر ابن عباد الا والعسكر معه فى البلد فأفاق من نومه وصحا من سكره وركب فرسه وحسامه فى يده وليس عليه الا ثوب واحد فوافق العسكر قد دخل من باب الفرج ووافى هنالك طبالا فضربه بسيفه ضربة قسمه بها نصفين فغر الناس أمامه وترامواعن السور ووقف حتى بان الباب وفى ذلك يقول الابيات المذكورة فيما يأتى ان يسلب القوم العدا الى آخره فلما وصل الى الصباغين وجد ابنه مالكا مقتولا فاسترحم له ودخل القصر وزاد الامر بعد ذلك ودخل البلد من كل جهاته فطلب الامان له ولمن معه فامن وجميع من له وأعدت له مراكب واجتاز الى طنجة فلقيه الحصرى الشاعر وكان قد ألف له كتاب المستحسن من الاشعار فلم يقض بوصوله اليه الا وهو على تلك الحالة فلما أخذ المعتمد الكتاب قال للحصرى ارفع ذلك البساط فخذ ما تحته فوالله ما أملك غيره فوجد تحته جملة مال فأخذه ثم انتقل حتى وصل أغمات ولم يزل بها الى أن مات رحمه الله تعالى * وقال الفتح فى ترجمته ما نصه ملك قمع العدا وجمع الباس والندى وطلع على الدنيا بدرهدى لم يتعطل يوما كفه ولا بنانه آونة يراعه وآونة سنانه وكانت أيامه مواسم وثغوره بواسم وليالية كلها درر وللزمان حجولا وغررا لم يغفلها من سمات عوارف ولم يخلها من ظل ايناس وارف ولا عطلها من مأثرة بقى أثرها بادية ولقى مقتفيه منها الى الفضل هاديا وكانت حضرته مطمعا للهمم ومسرحا لآمال الامم ومقذفا للكل كمى وموقفا لكل ذى أنف حمى لم تخل من وفد ولم يصح جوها من انسجام رفد فاجتمع تحت لوائه من جماهير الكماه ومشاهير الحماه أعداد يغص بهم الفضاء وأنجاد يزهى بهم النفوذ والمضاء وطلع فى سمائه كل نجم متقد وكل ذى فهم منتقد فأصبحت حضرته ميدانا زهان الاذهان ومضمار الاحراز الحصل فى كل معنى وفصل فلم يلتحق بزمامه الاكل بطل نجد ولم يتسق فى نظامه الا ذكاء ومجد فأصبح عصره أجل عصر وغدا مصره أكمل مصر تسفع فيه ديم الكرم ويفصح فيه لسان سيف وقلم ويفضح الرضا فى وصفه أيام ذى سلم وكان قومه وبنوه لتلك الحلبة زينا ولتلك الجملة عينا ان ركبوا خلت الارض فلكا يحمل نجوما وان وهبوا رأيت الغمام سجوما وان أقدموا أحجم عنترة العبسى وان فخروا أخجم عرابة الاوسى ثم انحرفت الايام فالوت باشراقه وأذوت يانع ايراقه فلم يدفع الرمح ولا الحسام ولم تنفع تلك المنن الجسام فتململ بعد الملك وحط من فلكه الى الفلك فاصبح خائضا تحدوه الرياح وناهضا يزجيه البكاء والصياح قد ضجت عليه أياديه وارتجت حوانب ناديه وأضحت منازله قد بان عنها الانس والحبور وألوت بهجتها الصبا والدبور فبكت العيون عليه دما وعاد موجود الحياة عدما وصار أحرار الدهر فيه خدما فسحقا لدنيا مارعت حقوقه ولا بقيت شروقه فكم احياها لبنيها وابداها رائقة لمجتنيها وهى الايام لا يبقى من تجنيها ولا تبقى على مواليها ومدانيها ادثرت آثار جلق واخمدت نار المحلق وذلت عزة ابن شداد وهدت القصر ذا الشرفات من سنداد ونعمت بؤس النعمان واكتست غدرها له فى طلب الامان انتهى ثم ذكر الفتح من أخباره وأشعاره ومجالس انسه وغير ذلك من أمره نبذا ذكرنا بعضها فى هذا الكتاب * وقال فى ترجمة ابنه الراضى بالله أبى خالد

ثم أم المغنمين فغنموا وغلب على اصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق وفى ايامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهى وأظهر الناس شرب الشراب وكان له قرد يكنى بأبى قيس يحضره مجلس منادمته ويطرح له متكأ وكان قردا خبيثا وكان يحمله على أتان وحشية قد ريضت وذللت لذلك بسرج ولجام ويسابق بها الخيل يوم الحلبة فجاء فى بعض الايام سابقا فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل وعلى أبى قيس قباء من الحرير الاحمر والاصفر مشهر وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق وعلى الاتان سرج من الحرير الاحمر منقوش ملمع بانواع من الوان فقال فى ذلك بعض شعراء الشام فى ذلك اليوم

تمسك أباقيس بفضل عنانها
فليس عليها ان سقطت ضمان
الا من رأى القرد الذى سبقت به
جيادا مير المؤمنين أتان

وفى يزيد وتملكه وتجبره

كادت لهيبته الجبال تزول
وانقياد الناس الى ملكه يقول الاخوص ملك تدين له الملوك مبارك *

تجبى له بلخ ودجلة كلها * وله الفرات وماسقى والنيل وقيل ان الاخوص قال هذا فى معاوية بعد وفاته يرثيه ولما قتل الحسين بن على رضى الله عنهما بكربلاء وحمل رأسه ابن زياد الى يزيد خرجت بنت عقيل بن ابى طالب فى نساء من قومها حواسر لما قد ورد علينا من قتل السادات وهى تقول

ماذا تقولون ان قال النبى لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتى وباهلى بعد مفتقدى
نصف أسارى ونصف ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم
أن تخلفونى بشر فى ذوى رحمى

وفى فعل ابن زياد بالحسين يقول ابو الاسود الدؤلى من قصيدة

أقول وذا لئن جزع ووجد
أزال الله ملك بنى زياد
وأبعدهم بما غدروا وخانوا
كما بعدت ثمود وقوم عاد

ولما شمل الناس جور يزيد وعماله وعمهم ظلمه وما ظهر من فسقه من قتله ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصاره وما ظهر من شرب الخمور وسيره سيرة فرعون بل كان فرعون أعدل منه فى رعيته وانصف منه لمخاصمته وعامته أخرج أهل المدينة عامله عليهم وهو عثمان بن محمد بن أبى سفيان فقل

يزيد بن المعتمد مانصه ملك تفرع من دوحة سناء أصلها ثابت وفرعها فى السماء وتحدر من سلالة أكابر ورقاة أسرة ومنابر وتصرف أثناء شبيبته بين دراسة معارف وافاضة عوارف وكلف بالعلم حتى صار ملهج لسانه وروضة أجفانه لا يستريح منه الا الى فرس سائل الغره ميمون الاسره يسابق به الرياح ويحاسن بغرته البدر اللياح عريق فى السناء عتيق الاقتناء سريع الوخد والارتقال من آل عوج أوولد العقال الى أن ولاه أبوه الجزيرة الخضراء وضم اليها رندة الغراء فانتقل من متن الجواد الى ذروة الاعواد واقلع عن الدراسة الى تدبير الرياسة ومازال يديرها بجوده ونهاه ويورد الآمل فيها مناه حتى غدت عراقا وامتلأت اشراقا الى أن اتفق فى أمر الجزيرة ما اتفق وخاب فيها الرجاء وأخفق واستحالت بهجتها وأحالت عليها من الحال لجتها فانتقل الى رندة معقل أشب ومنزل للسماك منتسب وأقام فيها رهين حصار ومهين حماة وأنصار ولقيت ريحه كل اعصار حتى رمته سهام الخطوب عن قسيها وامكنت منه يدى مسيها فحواه رمسه وطواه عن غداه أمسه حسبما بسطنا القول فيه فيما مر من أخبار أبيه انتهى والذى أشار اليه هنا وأحال عليه فيما تقدم له من أخبار المعتمد هو قوله بعد حكايته قتل المأمون ابن المعتمد بقرطبة وسياقه أخبار ذلك مانصه ثم انتقلوا الى رندة احدى معاقل الاندلس الممتنعه وقواعدها السامية المرتفعه تطرد منها على بعد مرتقاها ودنو النجوم من ذراها عيون لا نصب بها دوى كالرعد القاصف والرياح العواصف ثم تتكون وادية يلتوى بجوانبها التواء الشجاع ويزيدها فى التوعر والامتناع وقد تجوّنت نواحيها وأقطارها وتكونت فيها لبانا تها وأوطارها لا يتعذر لها مطلب ولا يتضور فيها عدو الا عقله ناب أو مخلب فلما أناخوا منها على بعد وأقاموا من الرجاء فيها على غير وعد وفيها ابنه الراضى لم يحفل باناختهم بازائه ولا عدها من أرزائه لامتناعه من منازلتهم وارتفاعه عن مطاولتهم الى أن انقضى فى أمر اشبيلية ما انقضى وأفضى أمر أبيه الى ما أفضى فحمل على مخاطبته لينزل عن صياصيه ويمكنهم من نواصيه فنزل برأى أبيه وأبقى على أرماق ذويه بعد أن عاقدهم مستوثقا وأخذ عليهم عهدا من الله وموثقا فلما وصل اليهم وحصل فى يديهم مالوا به عن الحصن وجرعوه الردى وأقطعوه الثرى حين اودى وفى ذلك يقول المعتمد يرثيهما وقد رأى قرية نائحة بشجنها نائحة بفننها على سكنها وامامها وكر فيه طائران يرددان نغما ويغردان ترحة وترنما

بكت أن رأت الفين ضمهما وكر * مساء وقد اخنى على الفها الدهر
وناحت فباحت واستراحت بسرها * وما نطقت حرفا يباح به سر
فما لى لا ابكى ام القلب صخرة * ولم صخرة فى الارض يجرى بها نهر
بكت واحدا لم يشجها غير فقده * وابكى لآلاف عديدهم كثر
بنى صغير أو خليل موافق * يمزق ذا فقر ويغرق ذا بحر
نجما ن زين للزمان احتواهما * بقرطبة النكداء أو رندة القبر
غدرت اذن ان ضن جفنى بقطرة * وان لؤمت نفسى فصاحبها الصبر

فقل للنجوم الزهر تبكيه معي * لتلهما فالمحزن الانجم الزهر

انتهى * وقال في ترجمة الراضي ماصورته وكان المعتمد رحمه الله تعالى كثيرا ما يرميه بلامه ويصميه بسهامه فربما استلطفه بمقال أفصح من دمع المحزون وأملح من روض الحزون فانه كان ينظم من بديع القول لآلئ وعقودا تسل من النفوس سخائم وحقودا وقد أثبت من كلامه في بث آلامه واستعارة عذله وملامه ماتستبدعه وتحله النفوس وتودعه فمن ذلك ماقاله وقد أنهض جماعة من اخوته وأقعده وأدناهم وأبعده

اعذلك أن يكون بنا خمول * ويطلع غيرنا ولنا أفول
حنانيك ان يكن جرمي قبيحا * فان الصفح عن جرمي جميل
ألست بفرعك الزاكي وماذا * يرجى الفرع خانته الاصول

ثم قال الفتح بعد كلام ومرت عليه يعني الراضي هوادج وقباب فيها حبائب كن له وأحباب الفهن أيام خلائه من دوله وجال معهن في ميدان المنى أعظم جوله ثم انتزعوا منه بعده واودعوا الهوادج من بعده ووجهوا هدايا الى العدوة والموابها المام قريش بدار الندوة فقال

مروا بنا أصلا من غير ميعاد * فاوقدوا نار قلبي أي ايقاد
واذكروني اياما لهوت بهم * فيها ففازوا بايثاري واحمادي
لاغرو أن زاد في وجدي مرورهم * فرؤية الماء تذكي غلة الصادي

ولما وصل العدو لورقة اعلم أن العدو قد جيش لها واحتشد ونهد نحوها وقصد ليتركها خاوية على عروشها طاوية الجوانح على وحوشها فتعرض له العدو دون بغيته وطلع عليه من ثنيته وأمر الراضي بالخروج اليه في عسكر جرده لمحاربته وأعده لمصادمته ومضاربته فاظهر التمرض والتشكي وأضمر التقاعس والتلكي فرارا من المصادمة واحجاما عن المساومة وجزعا من منازلة الاقران ومقابلة ذوابل المران ومقاساة الطعان وملاقاة أبطال كالرعان ورأى أن المطالعة أرجح من المقارعة ومعاناة العلوم أربح من مداواة الكلوم فقد كان عاكفا على تلاوة ديوان عارفا باجادة صدر وعنوان فعلم المعتمد مانواه وتحقق مالواه فاعرض عنه ونفض يده منه وتوجه المعتمد مع ذلك الجيش الذي لم تنشر بنوده ولا نصرت جنوده فعند مالاقوا العدو لاذوا بالفرار وعاذوا باعطاء الغرة بدلا من القرار وتفرقوا في تلك الافاريت وفرقوا من تخطف أولئك العفاريت فتضيف العدو من بقي مع المعتمد واهتضمه وخضم مافي العسكر وهضمه وغدت مضاربه مجرعوا اليه ومجرى مذاكيه وآب اخسر من بائع السدانه ومضيع الامانه فاطبقت سماء المعتمد على أرضه وشغلته عن اقامة نوافله وفرضه فكتب اليه الراضي

لايكثنك خطب الحادث الجاري * فما عليك بذاك الخطب من عار
ماذا على ضيغم أمضى عزيمته * أن خانه حد أنياب واظفار
لئن أتوك من جبن ومن خور * قد ينهض العير نحو الضيغم الضاري
عليك للناس أن تبقى لنصرتهم * وما عليك لهم اسعاد أقدار

الدعوة لنفسه وذلك في سنة ثلاث وستين وكان اخراجهم لما ذكرنا من بني أمية وعامل يزيد عن اذن ابن الزبير فاغتنمها مروان منهم اذ لم يقبضوا عليهم ويحملوهم الى ابن الزبير فخشوا السير نحو الشام وغنى فعل أهل المدينة ببني امية وعامل يزيد الى يزيد فسير اليهم بالجيوش من أهل الشام عليهم مسلم بن عقبة المري الذي أخاف المدينة ونهبها وقتل أهلها وبايعه أهلها على أنهم عبيد ليزيد وسماها تنة وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وقال من اخاف المدينة أخافه الله فسمى مسلم هذا لعنه الله بجرم ومسرف لما كان من فعله و يقال ان يزيد حين جرد هذا الجيش وعرض عليه انشايقول

أبلغ أبا بكر اذا الامر انبرى * واشرف القوم على وادي القرى

أجمع السكران من قوم ترى

يريد بهذا القول عبد الله ابن الزبير وكان عبد الله يكنى بابي بكر وكان يسمى يزيد السكران

٦٠ طا في الخمير وكتب الى ابن الزبير ادعوا لهلك في السماء فاني * أدعو عليك رجال عك وأشعرا

فاحتل لنفسك قبل آتى العسكرا ولما انتهى الجيش من المدينة الى

لو يعلم الناس فيما أن تقدوم لهم * بكوا لانك من ثوب الصبا عارى
ولو أطاقوا انتقاصا من حياتهم * لم يتحفوك بشئ غير أعمار

فحجب عنه وجه رضاه ولم يستنزله بذلك ولا استرضاه وتمادى على اعراضه وقعده عن اظهاره وانهاضه حتى بسطته سوانح السلو وعطفته عليه جوانح الحنو فكتب اليه بهزل غلب فيه كل منزع جزل وهو

الملك فى على الدفاتر * فتخل عن قود العساكر
طف بالسرير مسلما * وارجع لتوديع المنابر
وازحف الى جيش المعا * رف تقهر الحبر المقامر
واطعن باطراف اليرا * ع نصرت فى ثغر المحابر
واضرب بسكين الدوا * ة مكان ماضى الحد باتر
أولست اسطاليس ان * ذكر الفلاسفة الاكابر
وأبو حنيفة ساقط * فى الرأى حين تكون حاضر
وكذاك ان ذكر الخليل فأنت نحوى وشاعر
من هرمس من سيبويه من ابن فورك اذ تناظر
هذى المكارم قد حويت فكن لمن حاباك شاكر
واقعد فانك طاعم * كاس وقل هل من مفاخر
لحبيت وجه رضاى عنك وكنت قد تلقاه سافر
اولست تذكر وقت لو * رقة وقلبك ثم طائر
لا يستقر مكانه * وأبوك كالضرغام خادر
هلا اقتديت بفعله * واطعته اذ ذاك آمر
قد كان أبصر بالعوا * قب والموارد والمصادر

فكتب اليه الراضى مراجعا بقطعة منها

مولاى قد أصبحت كافر * بجميع ما تحوى الدفاتر
وفللت سكين الدوا * ة وظللت للاقلام كاسر
وعلمت أن الملك ما * بين الاسنة والبواتر
والمجد والعلياء فى * ضرب العساكر بالعساكر
لا ضرب أقوال باقـ * ـوال ضعيفات مناكر
قد كنت أحسب من سفا * هة انها أصل المفاخر
فاذا بها فرع لما * والجهل للانسان عاذر
لا يدرك الشرف الفتى * الا بعال وباتر
وهجرت من سميتهم * وجدت أنهم أكابر
لو كنت تهوى مقيتى * لوجدتنى للعيش هاجر
ضحك الموالى بالعبيـ * ـد اذا تؤمل غير ضائر

كيف النجاة أباخبيب منهم * فان تقتلونا يوم حرة واقم * فنحن على الاسلام أول من قتل ونحن تركنا كم ببدر أذلة * وابنا باسياف لنا منكم ثغل ان

الموضع المعروف بالحرة وعليهم مسرف خرج الى حربه أهلها عليهم عبد الله ابن مطيع العدوى وعبد الله بن حنظلة الغسيل الانصارى وكانت وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس من بنى هاشم وسائر قريش والانصار وغيرهم من سائر الناس فممن قتل من آل أبى طالب اثنان عبد الله بن جعفر بن ابى طالب وجعفر بن محمد بن على بن ابى طالب ومن بنى هاشم من غير آل أبى طالب الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وحمزة بن عبد الله ابن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب والعباس بن عتبة ابن ابى لهب بن عبد المطلب وبضع وتسعون رجلا من سائر قريش ومثلهم من الانصار وأربعة آلاف من سائر الناس ممن أدركه الاحصاء دون من لم يعرف وبايع الناس على انهم عبيد ليزيد ومن أبى ذلك أمره مسرف على السيف غير على بن الحسين بن على ابن ابى طالب السجاد وعلى ابن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب وفى وقعة الحرة يقول محمد بن اسلم

ان كان لى فضل فضلك وهل لذاك النور ساتر
أو كان بى نقص فنى غير أن الفضل غامر
ذكرت عبدك ساعة * يبقى لها ما عاش ذاكر
بالبيت قد غيبته عنده احدى المقابر
أتريد منى أن أكو * ن كمن غدا فى الدهر قادر
هيهات ذلك مطمع * يعيى الاوائل والاواخر
لا تنس يا مولاى قو * لة ضارع لاقول فاخر
ضبط الجزيرة عندما * نزلت بقفرتها العساكر
أيام ظلت بها فر * يدا ليس غير الله ناصر
اذ كان يعشى ناظرى * لمع الاسنة والبواتر
و يصم اسماعى بها * قرع الحجارة بالحوافر
وهى الحضيض سهولة * لكن ثبت بها مخاطر
هبنى اسأت كما اسأ * ت أما لهذا العتب آخر
هب زلتى لبنوتى * واغفر فان الله غافر

فقربه وأدناه وصفح عما كان جناه ولم تزل الحال آخذة فى البوار والامور معتلة اعتلال حب الفرزدق للنوار حتى مضوا لغير طيه وقضوا بين الصوارم والرماح الخطيه حسبما سردناه وعلى ما اوردناه واذا أراد الله سبحانه انفاذ أمر سبق فى علمه فلا مرد له ولا معقب لحكمه لا اله الا هو رب العالمين انتهى كلام الفتح * وعلى الجملة فكانت دولة بنى عباد بالاندلس من أبهج الدول فى الكرم والفضل والادب حتى قال ابن اللبانة رحمه الله تعالى ان الدولة العبادية بالاندلس أشبه شئ بالدولة العباسية ببغداد سعة مكارم وجمع فضائل ولذلك ألف فيها كتابا مستقلا سماه الاعتماد فى اخبار بنى عباد ولا يلتفت لكلب عقور نبح بقوله

مما زهدنى فى أرض اندلس * اسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة فى غير موضعها * كالهر يحكى انتفاخا صولة الاسد

لان هذه مقالة متعسف كافر للنعم ومثل ذلك فى حقهم لا يقدح ومازالت الاشراف تهجى وتمدح * وللمعتمد أولاد ملوك منهم المأمون والرشيد والراضى والمعتمد وغيرهم وقد سردنا خبر بعضهم وكان الدانى المذكور مائلا الى بنى عباد بطبعه اذ كان المعتمد هو الذى جذب بضبعه وله فيه المدائح الانيقة التى هى أذكى من زهر الحديقة فمن ذلك قوله من قصيدة يمدحه بها ويذكر أولاده الاربعة الذين عمروا من المجد أربعة وهم الرشيد عبيد الله والراضى يزيد والمامون والمؤتمن وكانوا نجم ذلك الافق وغيوث ذلك الزمن ولقد أجاد فى ذلك كل الاجاده وأطال لمجدهم نجاده

يغنيك فى محل يعينك فى ردى * يروعك فى درع يروقك فى برد
جمال واجمال وسبق وصولة * كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالرعد

والرق والسبى وغير ذلك مما عنه أعرضنا من مسرف خرج عنها يريد مكة فى جيوشه من أهل الشام ليوقع بابن الزبير وأهل

به الى مسرف وهو مغتاظ
عليه فتبرأ منه ومن آبائه
فلما رآه وقد أشرف عليه
ارتعد وقام له وأقعده
الى جانبه وقال له سلنى
حوائجك فلم يسأله فى أحد
ممن قدم الى السيف الا
شفعه فيه ثم انصرف عنه
فقيل لعلى رأيناك تحرك
شفتيك فما الذى قلت قال
قلت اللهم رب السموات
السبع وما أظللن والارضين
السبع وما أقللن رب
العرش العظيم رب محمد
وآله الطاهرين أعوذ بك من
شره وأدرأ بك فى نحره
أسئلك ان تؤتينى خيره
وتكفينى شره وقيل لمسلم
رأيناك تسب هذا الغلام
وسلفه فلما أتى به اليك
رفعت منزلته فقال ما كان
ذلك لرأى منى لقد ملئ
قلبى منه رعبا وأما على بن
عبد الله فان أخواله من
كندة منعوه منه وأناس
من ربيعة كانوا فى جيشه
فقال على فى ذلك

أبا العباس قوم من لؤى
وأخوالى الملوك بنو وليعه
هم منعوا ذمارى يوم جاءت
كتائب مسرف وبنى اللكيعه
أرادتنى التى لا عز فيها
فحالت دونه أيدى ربيعه

ولما نزل بأهل المدينة ما وصفنا من القتل والنهب

بهجته شاد العلا ثم زادها * بناء بابناء جحاجحة لد
بأربعة مثل الطباع تركبوا * لتعديل ذكر المجد والشرف العد

والمأمون بن المعتمد قتله المتونة بقرطبة والراضي يزيد قتلوه ببرنده كما سقفاخبره آنفا وفي حالتهم هذه يقول الشاعر المشهور عبد الجبار بن حديس الصقلي

ولما رحلتم بالندى في اكفكم * وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لساني بالقيامة قد دنت * فهذي الجبال الراسيات تسير

وفي قضية المعتمد يقول الداني المذكور

لكل شئ من الاشياء ميقات * وللمنى في مناياهن غايات
والدهر في صفة الحرباء منغمس * لوأن حالاته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج في يده * وطالما قمرت بالبيدق الشاة
انفض يديك من الدنيا وزينتها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها الارضي قد كتمت * سريرة العالم العلوي اغمات

وهي طويلة ذكرها الفتح وغيره وللداني أيضا قصيدة عملها في المعتمد وهو باغمات سنة ٤٨٦

تنشق بر يحان السلام فانما * افض به مسكا عليك مختما
وقل لي مجازا ان عدمت حقيقة * لعلك في نعمى فقد كنت منعما
أفكر في عصر مضى بك مشرقا * فيرجع ضوء الصبح عندي مظلما
وأعجب من افق المجرة اذ رأى * كسوفك شمسا كيف أطلع أنجما
لئن عظمت فيك الرزية انها * وجدناك منها في الرزية أعظما
قناة سعت للطعن حتى تقسمت * وسيف اطال الضرب حتى تثلما

ومنها

بكى آل حمود ولا كمحمد * وأولاده صوب الغمامة اذ همى
حبيب الى قلبي حبيب وقومه * عسى طلل يدنو بهم ولعلما
صباحهم كنا به نحمد السرى * فلما عدمناهم سرينا على عمى
وكنا رعينا العزحول جماهم * فقد أجدب المرعى وقد أقفر الحمى
وقد ألبست أيدي الليالي قلوبهم * مناسج سدى الغيث فيها وألحما
قصور خلت من ساكنيها فبابها * سوى الادم تمشي حول واقفة الدمى
تجيب بها الهام الصدى ولطالما * اجاب القيان الطائر المترنما
كأن لم يكن فيها أنيس ولا التقى * بها الوفد جمعا والخميس عرمرما

ومنها

حكيت وقد فارقت ملكك ما الكا * ومن ولهي احكي عليك متمما
مصاب هوى بالنيرات من العلا * ولم يبق في أرض المكارم معلما
تضيق على الارض حتى كأنما * خلقت واياها سوارا ومعصما
ندبتك حتى لم يخل لي الاسى * دموعا بها أبكي عليك ولا دما

مكة بامر يزيد وذلك في سنة على الجيش الحصين بن نمير فسار الحصين حتى أتى مكة وأحاط بها وعاذ ابن الزبير بالبيت الحرام وكان قد سمى نفسه العائذ بالبيت وشهر بهذا حتى ذكرته الشعراء في اشعارها من ذلك ما قدمنا من قول سليمان بن قتة

فان تتبعوه عائذ البيت تصبحوا * كعاد تعمت عن هداها فضلت

ونصب الحصين فيمن معه من أهل الشام المجانيق والعرادات على مكة والمسجد من الجبال والفجاج وابن الزبير في المسجد ومعه المختار بن أبي عبيد الثقفي داخلا في جملته منضافا الى بيعته منقادا الى امامته على شرائط شرطها عليه لا يخالف له رأيا ولا يعصى له أمرا فتواردت أحجار المجانيق والعرادات على البيت ورمى مع الاحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من المحرقات وانهدمت الكعبة واحترقت البنية ووقعت صاعقة فاحرقت من أصحاب المجانيق أحد عشر رجلا وقيل أكثر من ذلك يوم السبت لثلاث خلون من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة قبل وفاة يزيد بأحد عشر يوما وانى

وانى على رسمى مقيم فان امت * سأجعل للباكين رسمى موسما
بكاك الحيا والريش شقت جيوبها * عليك وناح الرعد باسمك معلما
ومزق ثوب البرق واكتست الضحى * حدادا وقامت أنجم الجو أتما
وحار ابنك الاصباح وجدا فما اهتدى * وغار أخوك البحر غيضا فاطمى
وماحل بدر التم بعدك دارة * ولا أظهرت شمس الظهيرة مبسما
قضى الله أن حطوك عن ظهر أشقر * بشم وأن أمطوك اشأم أدهما

وكان قد انفكت عنه القيود فاشار الى ذلك بقوله فيها

قيودك ذابت فانطلقت لقد غدت * قيودك منهم بالمكارم ارحما
عجبت لأن لان الحديد وأن قسوا * لقد كان منهم بالسريرة اعلما
سيجمل من نجى من السجن يوسفا * ويؤويك من آوى المسيح بن مريما

ولابى بكر الدانى المذكور فى البكاء على ايامهم وانتثار نظامهم عدة مقطعات وقصائد هى قرة عين الطالب ونجعة الرائد وقد اشتمل عليها جزء لطيف صدر عنه فى هيئة تصنيف سماه السلوك فى وعظ الملوك ووفد على المعتمد وهو باغمات عدة وفادات لم يخل فى جميعها من افادات وقال فى احداها هذه وفادة وفاء لا وفادة اجتداء قال غير واحد من النادر الغريب انه نودى على جنازته الصلاة على الغريب بعد عظم سلطانه وسعة اوطانه وكثرة صقالبته وحبشانه وعظم أمره وشانه فتبارك من له العزة والبقاء والدوام واجتمع عند قبره جماعة من الاقوام الذين لهم فى الادب حصه ولقضية المعتمد فى صدورهم غصه منهم البالغ فى البلاغة الامد شاعره ابو بحر عبد الصمد وكان به خصيصا وكم البسه من بره حلة وقميصا فقال من قصيدة طويلة اجاد فيها ماشا وجلب بها الى انفس الحاضرين بعد الانس ايحاشا مطلعها

ملك الملوك اسامع فأنادى * ام قد عدتك عن السماع عوادى
لما خلت منك القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت فى الاعياد
قبلت فى هذا الثرى لك خاضعا * وجعلت قبرك موضع الانشاد

فلما بلغ من انشاده الى مراده قبل الثرى ومرغ جسمه وعفر خده فبكى كل من حضر وحذفه ذلك عن سرور العيد وصده اذ كانت هذه القصة يوم عيد فسبحان المبدئ المعيد

* ويحكى ان رجلا راى فى منامه اثر الكائنة على المعتمد بن عباد كأن رجلا صعد منبر جامع قرطبة فاستقبل الناس وانشد هذه الابيات متمثلا

رب ركب قد اناخوا عيسهم * فى ذرا مجدهم حين بسق
سكت الدهر زمانا عنهم * ثم ابكاهم دما حين نطق

وعاش ابو بكر بن اللبانة المعروف بالدانى المذكور آنفا بعد المعتمد وقدم ميورقة آخر شعبان سنة ٤٨٩ ومدح ملكها مبشر بن سليمان بقصيدة مطلعها

ملك بروعك فى حلى ريعانه * راقت بروبقه صفات زمانه

واين هذا من امداحه فى المعتمد * وتذكرت هنا من احوال الدانى انه دخل على ابن عمار

ولما حضرته الوفاة اجتمعت اليه بنو أمية فقالوا له اعهد الى من رأيت من أهل بيتك فقال والله ما ذقت حلاوة

فى ذلك يقول ابو حرة المدينى ابن نمير بئس ما تولى
قد احرق المقام والمصلى
وابن يزيد وغيره اخبارا عجيبة ومثالب كثيرة من شرب الخمر وقتل ابن الرسول واهن الوصى وهدم البيت واحراقه وسفك الدماء والفسق والفجور وغير ذلك مما قد ورد فيه الوعيد بالياس من غفرانه كوروده فيمن جحد توحيده وخالف رسله وقد أتينا على الغرر من ذلك فيما سلف من كتبنا والله ولى التوفيق

(ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم والمختار بن أبى عبيد الله وعبد الله بن الزبير ولمع من أخبارهم وسيرهم وبعض ما كان فى أيامهم)

(قال المسعودى) وملك معاوية بن يزيد بن معاوية بعد أبيه فكانت أيامه أربعين يوما الى أن مات وقيل شهرين وقيل غير ذلك وكان يكنى بأبى يزيد وكنى حين ولى الخلافة بابى ليلى وكانت هذه الكنية للمستضعف من العرب وفيه يقول الشاعر

انى أرى فتنة هاجت مراجلها
والملك بعد ابى ليلى لمن غلبا

خلافتكم فكيف اتقلد وزرها وتنتحلون أنتم حلاوتها وأتحمل مرارتها اللهم انى برىء منها متخل عنها اللهم انى لا أجد نفرا كاهل الشورى فاجعلها اليهم ينصبون من يرونه أهلا لها فقالت له أمه ليت أنك خرقة حيضة ولم أسمع منك هذا الكلام فقال لها وليتنى يا أماه خرقة حيضة ولم أتقلد هذا الامر أتفوز بنو أمية بحلاوتها وأبوء بوزرها ومنعها أهلها كلا انى لبرىء منها (وقد تنوزع) فى سبب وفاته فمنهم من رأى أنه سقى شربة ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ومنهم من رأى أنه طعن وقبض وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ودفن بدمشق وصلى عليه الوليد ابن عتبة بن أبى سفيان ليكون الامر له من بعده فلما كبر الثانية طعن فسقط ميتا قبل تمام الصلاة فقدم عثمان بن عتبة بن أبى سفيان فقالوا نبايعك قال على ان لا أحارب ولا أباشر قتالا فقبلوا ذلك عليه فصار الى مكة ودخل فى جملة ابن الزبير وزال الامر عن آل حرب فلم يكن فيهم من يرومها ولا يتشوف نحوها ولا يرتجى أحد منهم لها ويبايع أهل العراق عبد الله بن الزبير فاستعمل على الكوفة عبد الله بن مطيع العدوى فقال المختار بن أبى عبيد الثقفى لابن الزبير انى لاعرف قوما لو أن لهم

فى مجلس فأراد ان يندر به وقال له اجلس يا دانى بغير الف فقال له نعم يا ابن عمار بغير ميم وهذا هو الغاية فى سرعة الجواب والاخذ بالثار فى المزاح * ونظيره وان كان من باب آخر ان المعتمد مر مع وزيره ابن عمار ببعض ارباء اشبيلية فلقيتهما امراة ذات حسن مفرط فكشفت وجهها وتكلمت بكلام لا يقتضيه الحياء وكان ذلك بموضع الجباسين الذين يصنعون الجبس والجيار بن الصانعين للجير باشبيلية فالتفت المعتمد الى موضع الجيار بن وقال يا ابن عمار الجيارين ففهم مراده وقال فى الحال يا مولاى والجباسين فلم يفهم الحاضرون المراد وتحيروا فسألوا ابن عمار فقال له المعتمد لا تبعها منهم الاغالية وتفسيرها ان ابن عباد صحف الحيازين بقوله الجيارين اشارة الى أن تلك المراة لو كان لها حياء لازدانت فقال له والجباسين وتصحيفه والخفاشين أى هى وان كانت جميلة بديعة الحسن لكن الخفاش انها وهذا شأو لا يلحق * ومن أخبار المعتمد انه جلس يوما والبزاة تعرض عليه فاستحث الشعراء فى وصفها فصنع ابن وهبون بديها

للصيد قبلك سنة مأثورة * لكنها بك أبدع الاشياء
تمضى البزاة وكلما أمضيتها * عاطيتها بخواطر الشعراء

فاستحسنها وأسنى جائزته * وذكر ابن بسام ان أبا العرب الصقلى حضر مجلس المعتمد يوما وقد حمل اليه حمول وافرة من قراريط الفضة فأمر له بكيسين منها وكان بين يديه تماثيل عنبر من جملتها جمل مرصع بالذهب واللآلئ فقال له أبو العرب معرضا ما يحمل هذين الكيسين الا الجمل فتبسم المعتمد وأمر له به فقال أبو العرب بديها

أجدينى جملا جونا شفعت به * جملا من الفضة البيضاء لو جملا
تتاج جودك فى أعطان مكرمة * لا قد تصرف من منع ولا عقلا
فاعجب لشأنى فشأنى كله عجب * رفهتنى فحملت الحمل والجملا

وذكر الجارى هذه القصة فقال قعد المعتمد فى مجلس احتفل فى تنضيده واحضار الظرائف الملوكية وكان فى الجملة تمثال جمل من بلور وله عينان من ياقوتتين وقد حلى بنفائس الدر فأنشده أبو العرب قصيدة فامر له بذهب كثير مما كان بيده من السكة الجديدة فقال معرضا بذلك الجمل ما يحمل هذه الصلة الا جمل فقال خذ هذا الجمل فانه جمال أثقال فارتجل شعرا منه * رفهتنى فحملت الحمل والجملا * وذكر ان ذلك الجمل بيع بخمسمائة مثقال فسارت بهذا الخبر الركائب وتهادته المشارق والمغارب * وتباحث المعتمد مرة مع الجلساء فى بيت المتنبى الذى زعم انه أمير شعره

أزورهم وسواد الليل يشفع لى * وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

فقال ما قصر فى مقابلة كل لفظة بضدها الا أن فيه تقدا خفيا ففكروا فيه فلما فكروا قالوا له ما وقفنا على شئ فقال الليل لا يطابق الا بالنهار ولا يطابق بالصبح لان الليل كلى والصبح جزئى فتعجب الحاضرون وأثنوا عليه فى تدقيق انتقاده قال الصفدى قلت ليس هذا بنقد صحيح والصواب مع أبى الطيب لانه قال أزورهم وسواد الليل يشفع لى فهذا محب يزور أحبابه فى سواد الليل خوفا ممن يشى به فاذا لاح الصبح أغرى به الوشاة ودل عليه أهل النميمة والصبح

أول ما يغرى به قبل النهار وعادة الزائر المريب أن يزور ليلا وينصرف عند انفجار الصبح خوفا من الرقباء ولم تجر العادة ان الخائف يتلبث الى أن يتوضح النهار ويتملئ الافق نورا فذكر الصبح هنا أولى من ذكر النهار والله أعلم انتهى قلت كان يختلج فى صدرى ضعف ما قال الصفدى حتى وقفت على ما كتبه البدر البشتكى ومن خطه نقلت ما صورته هو ما انتقد عليه المعنى انما انتقد عليه مطابقة الليل بالصبح فان ذلك فاسد انتهى فحمدت الله على الموافقة انتهى * وقال فى بدائع البدائه جلس المعتمد للشرب وذلك فى وقت مطر أجرى كل وهدة نهرا وحلى جيد كل غصن من الزهر جوهرا وبين يديه جارية تسقيه وهى تقابل وجهها بنجم الكاس فى راحة كالثريا تخجل الزهر بطيب العرف والريا فاتفق أن لعب البرق بحسامه وأجال سوطه المذهب يسوق به ركامه فارتاعت لحظته وذعرت من خيفته فقال المعتمد بديها

روعها البرق وفى كفها * برق من القهوة لماع
عجبت منها وهى شمس الضحى * كيف من الانوار ترتاع

واستدعى عبد الجليل بن وهبون المرسى وأنشده البيت الاول مستجيزا فقال عبد الجليل

ولن أرى أعجب من آنس * من مثل ما يمسك يرتاع

فاستحسنه وأمر له بجائزة قال ابن ظافر وبيته عندى أحسن من بيت المعتمد انتهى * وقال ابن بسام كان فى قصر المعتمد فيل من الفضة على شاطئ بركة يقذف الماء وهو الذى يقول فيه عبد الجليل بن وهبون من بعض قصيدة

ويفرغ فيه مثل النصل بدع * من الافيال لا يشكو ملالا
رعى رطب اللعين فجاء صلدا * تراه قلما يخشى هزالا

فجلس المعتمد يوما على تلك البركة والماء يجرى من ذلك الفيل وقد أوقد شمعتان من جانبيه والوزير أبو بكر بن الملح عنده فصنع الوزير فيهما عدة مقاطيع بديها منها

ومشعلين من الاضواء قد قرنا * بالماء والماء بالدولاب مقرون
لاحا لعينى كالنجمين بينهما * خط المجرة ممدود ومعطوف

وقال أيضا كانما النار فوق الشمعتين سنا * والماء من منفذ الانبوب منسكب
غمامة تحت جنح الليل هامعة * فى جانبيها خفاق البرق يضطرب

وقال أيضا وانبوب ماء بين نارين ضمنا * هوى لكؤس الراح تحت الغياهب
كأن اندفاع الماء بالماء حية * يحركها فى الماء لمع الحباحب

وقال أيضا كأن سراجى سربهم فى انتظامها * وأنبوب ماء الفيل فى سلاله
كريم تولى كبره من كليهما * لئيمان فى انفاقه بعذلانه

ولما مات والد المعتمد واستقل بالملك قال ذو الوزارتين بن زيدون يرثى المعتضد ويمدح المعتمد بقصيدة طويلة أولها

هو الدهر فاصبر للذى أحدث الدهر * فمن شيم الاحرار فى مثلها الصبر
ستصبر صبر اليأس أو صبر وحشة * فلا تؤثر الوجه الذى معه الوزر

من هم قال شيعة بنى هاشم بالكوفة قال كن أنت ذلك الرجل فبعثه الى الكوفة فنزل ناحيه منها وجعل يظهر البكاء على الطالبيين وشيعتهم ويظهر الحنين والجزع لهم ويحث على أخذ الثار لهم والمطالبة بدمائهم فمالت الشيعة اليه وانضافوا الى جملته وسار الى قصر الامارة فأخرج مطيعا منه وغلب على الكوفة وابتنى لنفسه دارا واتخذ بستانا أنفق عليه أموالا عظيمة أخرجها من بيت المال وفرق الاموال على الناس بها تفرقة واسعة وكتب الى ابن الزبير يعلمه انه انما أخرج ابن مطيع عن الكوفة لعجزه عن القيام بها ويسوم ابن الزبير أن يحتسب له بما أنفقه من بيت المال فأبى ابن الزبير ذلك عليه فخلع المختار طاعته وجدد بيعته وكتب المختار كتابا الى على بن الحسين السجاد يريده على أن يبايع له ويقول بامامته ويظهر دعوته وأنفذ اليه مالا كثيرا فابى عليه أن يقبل ذلك منه أو يجيبه عن كتابه وسبه على رؤس الملا فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وأظهر كذبه وفجوره ودخوله على الناس باظهار الميل الى آل أبى طالب فلما يئس المختار من على بن الحسين كتب الى عمه محمد بن الحنفية يريده على مثل ذلك

الناس بهم وتقربه اليهم بمحبتهم وباطنه مخالف لظاهره فى الميل اليهم والتولى لهم والبراءة من أعدائهم بل هو من أعدائهم لا من أوليائهم والواجب عليه ان يشهر أمره ويظهر كذبه على حسب ما فعل هو وأظهر من القول فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى ابن الحنفية ابن عباس فأخبره بذلك فقال له ابن العباس لا تفعل فانك لا تدرى ما أنت عليه من ابن الزبير فأطاع ابن عباس وسكت عن عيب المختار واشتد أمر المختار بالكوفة وكثر رجاله ومال الناس اليه وأقبل يدعو الناس على طبقاتهم ومقاديرهم فى أنفسهم وعقولهم فمنهم من يخاطبه بامامة محمد بن الحنفية ومنهم من يرفعه عن هذا فيخاطبه بان الملك يأتيه بالوحى ويخبره بالغيب وتتبع قتلة الحسين فقتلهم قتل عمر بن سعد بن أبى وقاص الزهرى وهو الذى تولى حرب الحسين يوم كربلاء وقتله ومن معه فزاد ميل أهل الكوفة اليه ومحبتهم له وأظهر ابن الزبير الزهد فى الدنيا والعبادة مع الحرص على الخلافة وقال انما بنى شبر فاعسى ان يسع ذلك من الدنيا وأنا العائذ بالبيت والمستجير بالرب ولا

حذارك من أن يعقب الزور فتنة * يضيق بها عن مثل ايمانك العذر
اذا أسف الثكلى اللبيب فشفه * رأى أقدح الثكلين أن يذهب الاجر
مصاب الذى يأسى بموت ثوابه * هو البرح لا الميت الذى أحرز القبر
حياة الورى نهج الى الموت مهيع * لهم فيه ايضاع كما يوضع السفر

ومنها

اذا الموت أضحى قصد كل معمر * فان سواء طال أو قصر العمر
ألم تر أن الدين ضيم ذماره * فلم يغن أنصار عديدهم دثر
بحيث استقل الملك ثانى عطفه * وجر من أذياله العسكر المجر
هو الضيم لو غير القضاء رومه * ثناه المرام الصعب والمسلك الوعر
اذا عترت جرد العناجيج فى القنا * بليل عجاج ليس يصدعه فجر

ومنها

أعاديا أوفى الملوك لقد عدا * عليك زمان من سجيته الغدر

الى أن قال بعد أبيات كثيرة

الا أيها المولى الوصول عبيده * لقد رابنا أن يتلو الصلة الهجر
يغادى داعينا السلام كعهده * فما يسمع الداعى ولا يرفع الستر
أعتب علينا ذا وعن ذاك الرضا * فتسمع أم بالمسمع المعتلى وقر

ومنها

وكيف بنسيان وقد ملأت يدى * جسام أياد منك أيسرها الوفر
وان كنت لم أشكر لك المنن التى * تمليتها تترى فلا بقى الكفر
فهل علم الشلو المقدس أننى * مسوغ حال حار فى كنهها الدهر
وان مناقى لم يضعه محمد * خليفتك العدل الرضى وابنك البر
هو الظافر الاعلى المؤيد بالذى * له فى الذى وفاه من صنعه سر
له فى اختصاصى ما رأيت وزادنى * مزية زلفى من تنائحها الفخر
وأرغم فى برى أنوف عصابة * لقاؤهم جهم ولحظهم شزر
اذا ما استوى فى الدست عاقد حبوة * وقام سماطا حفله فلى الصدر
وفى نفسه العلياء لى متبوأ * يساجلنى فيه السما كان والنسر

ومنها

لك الخير ان الزور كان غيابة * طلعت لنا فيها كما طلع البدر
فقرت عيون كان أسخنها البكا * وقرت قلوب كان أزلفها الزعر

ومنها

ولما قدمت الجيش بالامر أشرقت * اليك من الآمال آفاتها الغبر
فقضيت من فرض الصلاة لبانة * فشيعها نسك وقارنها طهر
ومن قبل ما قدمت مثنى نوافل * يلاقى بها من صام من غيره فطر
ورحت الى القصر الذى غض طرفه * بعيد التسامى أن غدا غيره القصر
وأجل عن التاوى العزاء فان توى * فانك لا الوانى ولا الضرع الغمر
وما أعطت السبعون قبل أولى الحجا * من اللب ما أعطاك عشر ولك والعمر
ألست الذى ان ضاق ذرع بحادث * تبلج منه الوجه واتسع الصدر
فلا تهض الدنيا جناحك بعده * فغنك لمن هاضت نوائبها جبر

ولازلت موفور العديد بقرة * لعينك مشدودا بها ذلك الازر
فانك شمس في سماء رياسة * تطلع منها حولنا أنجم زهر
شكرنا فلم تثبت لايام دهرنا * بها وسن أم هز أعطافها سكر
وما ان تغشتها مغازلة الكرى * وما ان تمشت في معاطفها الخمر
سوى نشوات من سجايا ملك * يصدق في علمائها الخبر الخبر
أرى الدهر ان يبطش فانت يمينه * وان تحمك الدنيا فأنت لها ثغر
وكم سائل بالغيب عنك أجبته * هنالك الايادي الشفع والسود الوتر
هنالك التقى والعلم والحلم والنهى * وبذل اللها والبأس والنظم والنثر
همام اذا لاقى المنا جزرده * واقبل له خطر واد باره حصر
محاسن ما للروض سامره الندى * رواه اذا نصت حلاها ولا نشر
متى انتشقت لم تدر داريين مسكها * حياء ولم يفخر بعنبره الشحر
عطاء ولا من وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر
قد استوفت النعماء فيك تمامها * علينا فنا الحمد لله والشكر

وكتب ابن زيدون المذكور الى المعتمد رحمهما الله تعالى يشوقه الى تعاطي الحميا في قصوره البديعة التي منها المبارك والثريا

فز بالنجاح وأحرز الآمالا * وخذ المنى وتحجز الآمالا
وليهنك التأييد والظفر الذي * صدقاك في السمة العلية فالا
يا أيها الملك الذي لولاه لم * تجد العقول الناشدات كمالا
أما الثريا فالثريا نسبة * وافادة وانافة وجمالا
قد شاقها الاغباب حتى انها * لو تستطيع سرت اليك خيالا
رفد ورودكها التغنم راحة * وأطل مزاركها لتنعم بالا
وتأمل القصر المبارك وجنة * قد وسطت فيها الثريا حالا
وأدر هنالك من المدام كؤسها * وأتمها وأشفها جريالا
قصر يقر العين منه مصنع * بهج الجوانب لو مشى لاختالا
لازالت تفترش السرور حدائقا * فيه وتلتحف النعيم ظلالا

وأهدى اليه تفاحا وأعتقد أن يكتب معه قطعة فبدأ بها ثم عرض له غيرها فتركها ثم ابتدا

دونك الراح جامده * وفدت خيروافده
وحدت سوق ذو يها * عندك اليوم كاسده
فاستحالت الى الجمو * د وجاءت مكايده

وكتب الى المعتمد

يا أيها الظافر نلت المنى * ولا أتانا فيك محذور
ان الخلال الزهر قد ضمها * ثوب عليك الدهر مزرور
لازال للمجد الذي شدته * ربع بتعميرك معمور

وفي ذلك يقول أبو حرة مولى الزبير ان الموالي أمست وهي عاتبة على الخليفة تشكو الجوع والحربا ماذا علينا وماذا كان يرزؤنا أي الملوك على ما حولنا غلبا

وفيه يقول بعد مفارقته اياه مازال في سورة الاعراف يقرؤها حتى فؤادي مثل الخز في اللين لو كان بطنك شبرا قد شبعت وقد أفضلت فضلا كثير اللساكين ان امرأ كنت مولاه فضيعني يرجو الفلاح لعمري حق مغبون

وفيه يقول أيضا فيارا كبا اما عرصت فبلغن كبير بني العوام ان قيل من تعني تخبر من لاقيت أنك عائد وتكثر قتلا بين زمزم والركن

وفيه يقول الضحاك بن فيروز الديلمي تخبرنا أن سوف تكفيك قبضة وبطنك شبر أو أقل من الشبر وأنت اذا ما نلت شيأ قضمته كما قضمت نار الغضى حطب السدر

٦١ ط نى فلو كنت تجزى أو تثيب بنعمة * قريبا لرددتك العطوف على عمرو وذلك أن يزيد بن معاوية كان قد ولى الوليد

وافاك نظم لى فى طيه * معنى معمى اللفظ مستور
مراسه يصعب مالم يجع * بالسر قدرى وشحرور

وذكر أبياتا فيها أسماء طيور عمى بها عن بيت ضيره فيها والبيت المطير فيه

أنت ان تغرظافر * فليطع من ينافر

ففكه المعتمد وجاوبه

ياخير من يلحظه ناظرى * شهادة ماشانها زور
ومن اذا خطب دجا ليله * لاح به من رأيه نور
جاءتنى الطير التى سرها * نظم به قلبى مسرور
شعرهو السحر فلا تنكروا * أنى به ماعشت مسحور
اللفظ والقرطاس ان شبها * قيل هما مسك وكافور
هوى لحسن الطير من فكرتى * صقر تولى وهو مقهور
ولاح لى بيت فؤادى له * دأبا على ودك مقصور
حظك من شكرى ياسيدى * حظ غالى منك موفور
قصرت فى نظمى فاعذرنى * ضاهاك فى التقصير معذور
فأنت ان تنظم وتنثر فقد * أعوز منظوم ومنثور
لايعدكم روض من الحظ فى الاكرام والترفسيع ممطور

فكتب اليه ابن زيدون

حظى من نعماك موفور * وذنب دهرى بك مغفور
وجانبى ان رامه أزمة * جر لدى ظلك محجور
يا ابن الذى سرب الهدى آمن * منذ انبرى يحميه مخفور
وآمر الدهر الذى لم يزل * يصغى اليه منه مأمور
ألبس منك الدهر أسنى الحلى * بظافر منحاه منصور
قام وفى المأثور يامن له * مجد مع الايام مأثور
عبدك ان أكثر من شكره * فهو بما توليه مكثور
ان تعف عن تقصيره منعما * فاليسر أن يقبل معسور
ان حلال السحر ان صغته * فى صحف الانفس مسطور
نظم زهانى به اذ جانى * علق عظيم القدر مذخور
لاغروأن أفتن اذ لاحظت * فكرى منه أعين حور
تنم عن معناه ألفاظه * كما وشى بالراح بلور
جهلت اذ عارضته غيرأن * لابد أن ينفث مصدور
يا آل عباد موالاتكم * ذاك من الاعمال مبرور
ان الذى يرجو موازاتكم * من المناوين لمغرور
مكانه منكم كما انحط عن * منزلة المرفوع مجرور

ابن عتبة بن أبى سفيان وكان عمرو منحرفا عن عبد الله فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه فظفر به أخوه عبد الله فأقامه للناس بباب المسجد الحرام مجردا ولم يزل يضرب به بالسياط حتى مات وحبس عبد الله ابن الزبير الحسن بن محمد ابن الحنفية فى الحبس المعروف بحبس عارم وهو حبس موحش مظلم وأراد قتله فعمل الحيلة حتى تخلص من السجن وتعسف الطريق على الجبال حتى أتى منى وبها أبوه محمد بن الحنفية ففى ذلك يقول كثير

تخبر من لاقيت أنك عائذ * بل العائذ المظلوم فى سجن عارم

ومن يرهذا الشيخ بالخيف من منى * من الناس يعلم أنه غير ظالم

سمى نبى الله وابن وصيه * وفكاك أغلال وقاضى مغارم

وقد كان ابن الزبير عمد الى من بمكة من بنى هاشم فحصرهم فى الشعب وجمع أهل الشام عظيما لو وقعت له وأظهر له من نار لم يسلم من فى الدنيا والعين فى القوم محمد

على الخلافة حدث النوفلى على بن سليمان عن فضيل بن عبد الوهاب الكولى عن أبى عمران الرازى عن

لازلتم فى غبطة ما انجلى * عن فلق الاصباح ديجور
ولا تزل تجرى بما شئتم * أعماركم لله مقدور

وكتب المعتمد الى ابن زيدون بعد أن فك معمى كتب به اليه ابن زيدون ماصورته

العين بعدك تقذى * بكل شئ تراه
فليجل شخصك عنها * ما بالمغيب جناه

وقد قدمنا من كلام أبى الوليد بن زيدون رحمه الله تعالى مافيه كفاية (رجع الى بنى عباد) قال ابن حديس لما قدمت وافدا على المعتمد بن عباد استدعانى وقال افتح الطاق فاذا بكير زجاج والنار تلوح من بابيه وواقده يفتحهما تارة ويسدهما أخرى ثم أدام سد أحدهما وفتح آخر فحين تأملتهما قال لى أجز

انظر هما فى الظلام قد نجما * فقلت * كمارنا فى الدجنة الاسد
فقال يفتح عينيه ثم يطبقها * فقلت * فعل امرئ فى جفونه رمد
فقال فابتزه الدهر نور واحدة * فقلت * وهل نجا من صروفه أحد

فاستحسن ذلك وأطربه وأمر لى بجائزة وألزمنى الخدمة * وعلى ذكر ابن حديس فما أحسن قوله

أرالذى ركبت فى الاهوال بحرا * عظيما ليس يؤمن من خطوبه
تسير فلكه شرقا وغربا * وتدفع من صباه الى جنوبه
واصعب من ركوب البحر عندى * أمور أجأتك الى ركوبه

ولغيره

ان ابن آدم طين * والبحر ماء يذيبه
لولا الذى فيه يتلى * ماجاز عندى ركوبه

وقال ابن حديس فى هذا المعنى

لا أركب البحر أخشى * على منه المعاطب
طين انا وهو ماء * والطين فى الماء ذائب

(رجع الى بنى عباد رحمهم الله تعالى) قال ابن بسام أخبرنى الحكيم النديم المطرب أبو بكر الاشبيلى قال حضرت مجلس الرشيد بن المعتمد بن عباد وعنده الوزير أبو بكر بن عمار فلما دارت الكاس وتمكن الانس وغنيت أصواتا ذهب الطرب بابن عمار كل مذهب فارتجل يخاطب الرشيد

ماضر أن قيل اسحق وموصله * ها أنت أنت وذى حص واسحق
أنت الرشيد فدع عن قد سمعت به * وان تشابه أخلاق وأعراق
لله درك داركا مشعشعة * واحضر بساقيك ماقامت بناساق

وكان الرشيد هذا أحد أولاد المعتمد النجباء وله أخبار فى الكرم يقضى الناظر فيها من أمرها عجبا وكذلك اخوته وقد ألممنا فى هذا الكتاب بجملة من محاسنهم وأمهم اعتمادا الملقبة بالرميكية هى التى ترجمناها فى هذا الموضع واقتضت المناسبة ذكر أمر بنى عباد فلنعد الى ما كنا بصدده من أخبارها رحمها الله تعالى فنقول قال ابن سعيد فى بعض مصنفاته كان المعتمد كثيرا ما يأنس بها ويستظرف نوادرها ولم تكن لها معرفة بالغناء وانما كانت مليحة

من الكوفة من قبل المختا
فنفر نا معه فى أربعة آلاف
فارس فقال أبو عبد الله
هذه خيل عظيمة وأخاف
أن يبلغ ابن الزبير الخبر
فيحمل على بنى هاشم فيأتى
عليهم فانتدبو امعى فانتدبنا
معه فى ثمانمائة فارس جريدة
خيل فاشعر ابن الزبير الا
والرايات تخفق على رأسه
قال فجئنا الى بنى هاشم
فاذا هم فى الشعب
فاستحثثناهم فقال لنا ابن
الحنفية لا تقتلوا الا من
قاتلكم فلما رأى ابن الزبير
تنمرنا له واقدامنا عليه لاذ
بأستار الكعبة وقال أنا
عائذ الله (وحدث) النوفلى
فى كتابه فى الاخبار عن
ابن عائشة عن أبيه عن حماد
ابن سلمة قال كان عروة بن
الزبير يعذر أخاه اذا جرى
ذكر بنى هاشم وحصره
اياهم فى الشعب وجمعه
الحطب لتحريقهم ويقول
انما أراد بذلك ارهابهم
ليدخلوا فى طاعته كما أرهب
بنو هاشم وجمع لهم الحطب
لاحراقهم اذ هم أبوا البيعة
فيما سلف وهذا خبر
لا يحتمل ذكره هنا وقد
أتينا على ذكره فى كتابنا
فى مناقب أهل البيت
وأخبارهم المترجم بكتاب
حدائق الاذهان وخطب

ابن الزبير فقال قد بايعنى الناس ولم يتخلف الا هذا الغلام محمد بن الحنفية والموعد بينى وبينه أن تغرب الشمس ثم احترم

الوجه حسنة الحديث حلوة النادر كثيرة الفكاهة لها في كل ذلك نوادر محكية وكانت في عصرها ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن وهي أبدع منها ملحا وأحسن افتتانا وأجل منصبا وكان أبوها أمير قرطبة ويلقب بالمستكفي بالله وأخبار أبي الوليد بن زيدون معها وأشعاره فيها مشهورة انتهى ملخصا * ومن أخبار الرميكية القصة المشهورة في قولها ولا يوم الطين وذلك انها رأت الناس يمشون في الطين فاشتهت المشي في الطين فأمر المعتمد فسحقت أشياء من الطيب وذرت في ساحة القصر حتى عمته ثم نصبت الغرابيل وصب فيها ماء الورد على أخلاط الطيب وعجنت بالايدي حتى عادت كالطين وخاضتها مع جواريها وغاصبها في بعض الايام فاقسمت انها لم تر منه خيرا قط فقال ولا يوم الطين فاستحيت واعتذرت وهذا مصداق قول نبينا صلى الله عليه وسلم في حق النساء لو احسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط قلت ولعل المعتمد أشار في أبياته الرائية الى هذه القضية حيث قال في بنانه

بطأن في الطين والاقدام حافية * كانها لم تطأ مسكا وكافورا

ويحتمل أن يكون أشار بذلك الى ما جرت به عادة الملوك من ذر الطيب في قصورهم حتى يطؤه باقدامهم زيادة في التنعم وسبب قول المعتمد ذلك ما حكاه الفتح فقال وأول عيد أخذه يعني المعتمد باغمات وهو سارح وما غير الشجون له مبارح ولا زى الاحالة الخمول واستحالة الخمول فدخل اليه من يسلم عليه وفيهم بناته وعليهن أطمار كانها كسوف وهن أقمار يبكين عند التساؤل ويبدين الخشوع بعد التخايل والضياع قد غيرصورهن وحير نظرهن وأقدامهن حافية وآثار نعمين عافية فقال

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا * فساءك العيد في اغمات مأسورا
ترى بناتك في الاطمار جائعة * يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة * أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن في الطين والاقدام حافية * كانها لم تطأ مسكا وكافورا
لاخد الا تشكي الجدب ظاهرة * وليس الامع الانفاس ممطورا
افطرت في العيد لاعادت مساءته * فكان فطرك للاكباد تفطيرا
قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك في ملك يسر به * فانما بات بالاحلام مغرورا

انتهى * وقال الفتح أيضا ولما نقل المعتمد من بلاده واعرى من طارفه وتلاده وحمل في السفين واحل في العدوة محل الدفين تندبه منابره واعواده ولا يدنو منه زواره ولا عواده بقي أسفا تتصعد زفراته وتطرد اطراد المذانب عبراته لا يخلو بمؤانس ولا يرى الا عريتا بدلا من تلك المكانس ولما لم يجد سلوا ولم يؤمل دنوا ولم ير وجه مسرة مجلوا تذكر منازله فشاقته وتصور بهجتها فراقته وتخيل استيحاش اوطانه واجهاش قصره الى قطانه واظلام جوه من اقماره وخلوه من حراسه وسماره فقال

بكى المبارك في اثر ابن عباد * بكى على اثر غزلان وآساد

داره عليه نارا فدخل على حجاب قوى فجعل ابن عباس ينظر الى الشمس ويفكر في كلام ابن الحنفية وقد كادت الشمس ان تغرب فوافاهم أبو عبد الله الحدلي فيما ذكرنا من الخيل وقالوا لابن الحنفية ائذن لنا فيه فأبى وخرج الى ايلة فأقام بها سنين ثم قتل ابن الزبير كذلك حدث عمر ابن حبة التميمي عن عطاء بن مسلم فيما أخبرنا به أبو الحسن المهراني البصري بمصر وأبو اسحق الجوهري بالبصرة وغيرهما وهؤلاء الذين وردوا الى ابن الحنفية هم الشيعة الكيسانية وهم القائلون بامامة محمد بن الحنفية وقد تنازعت الكيسانية بعد قولهم بامامة محمد بن الحنفية فمنهم من قطع بموته ومنهم من زعم انه لم يمت وانه حي في جبال رضوى وقد تنازع كل فريق من هؤلاء أيضا وانما سموا بالكيسانية لاضافتهم الى المختار بن أبي عبيد الثقفي وكان اسمه كيسان ويكنى أبا عمرة أو هو غير المختار وقد أتينا على أقاويل فرق الكيسانية وغيرهم من فرق الشيعة وطوائف الامة في كتابنا في المقالات في أصول الديانات وذكرنا قول كل فريق منهم وما أيد به مذهبه وقول من ذكر منهم أن ابن الحنفية

بكت ثرياه لاغمت كواكبها * بمثل نوء الثريا الرائح الغادى
بكى الوحيد بكى الزاهى وقبته * والنهر والتاج كل ذله بادى
ماء السماء على افيائه درر * يالجة البحر دومى ذات از باد

وفى ذلك يقول ابن اللبانة

أستودع الله أرضا عند ما وضحت * بشائر الصبح فيها بدلت حلكا
كان المؤيد بستانا بساحتها * يجنى النعيم وفى عليائها فلكا
فى امره لملوك الدهر معتبر * فليس يغتر ذو ملك بما ملكا
تبكيه من جبل خرت قواعده * فكل من كان فى بطحائه هلكا

وكان القصر الزاهى من اجل المواضع لديه وابهاها واحبها اليه واشهاها لاطلاله على النهر واشرافه على القصر وجماله فى العيون واشتماله بالزهر والزيتون وكان له به من الطرب والعيش المزرى بحلاوة الضرب مالم يكن بحلب لبنى حمدان ولا لسيف بن ذى يزن فى رأس غمدان وكان كثيرا ما يديره براحه ويجعل فيه انشراحه فلما امتد الزمان اليه بعدوانه وسد عليه ابواب سلوانه لم يحن الا اليه ولم يتمن غير الحلول لديه فقال

غريب بارض المغربين أسير * سيبكى عليه منبر و سرير
وتفديه البيض الصوارم والقنا * ويهمل دمع بينهن غزير
مضى زمن والملك مستأنس به * وأصبح منه اليوم وهو نفور
برأى من الدهر المضال فاسد * متى صلحت للصالحين دهور
أذل بنى ماء السماء زمانهم * وذل بنى ماء السماء كبير
فيا ليت شعرى هل ابيتن ليلة * أمامى وخلفى روضة وغدير
بمنبتة الزيتون مورثة العلا * تغنى حمام أو ترن طيور
بزاهرها السامى الذى جاده الحيا * تشير الثر يا نحونا ونشير
ويلحظنا الزاهى وسعد سعوده * غيورين والصب المحب غيور
تراه عسير الايسير امناله * ألا كل ماشاء الاله يسير

انتهى * وقال الحجارى فى المسهب ان امير المسلمين يوسف بن تاشفين اهدى الى المعتمد جارية مغنية قد نشأت بالعدوة واهل العدوة بالطبع يكرهون أهل الاندلس وجاء بها الى اشبيلية وقد كثر الارجاف بان سلطان الملثمين ينتزع بلاد ملوك الطوائف منهم واشتغل خاطر ابن عباد بالفكر فى ذلك فخرج بها الى قصر الزهراء على نهر اشبيلية وقعد على الراح فخطر بفكرها أن غنت عند ما انتشى هذه الابيات

حملوا قلوب الاسد بين ضلوعهم * ولووا عمائمهم على الاقمار
وتقلدوا يوم الوغى هندية * امضى اذا انتضيت من الاقدار
ان خوفوك لقيت كل كريهة * أو أمنوك حللت دار قرار

فوقع فى قلبه أنها عرضت بساداتها فلم يملك غضبه ورمى بها فى النهر فهلكت انتهى فقدر الله تعالى أن كان تمزيق ملكه على يدهم تصديقا للعارية فى قولها

أضر بمعشر والوك منا * وسموك الخليفة والاماما وعادوا فيك أهل الارض طرا * أضر بمعشر والوك منا

من الاخبار بين ان كثيرا الشاعر كان كيسانيا ويقول ان محمد بن الحنفية هو المهدى الذى يملؤها عدلا كما ملئت جورا وحكى الزبير بن بكار فى كتابه انساب قريش فى انساب آل أبى طالب وأخبارهم منه قال أخبرنى عمير قال قال كثير أبيات اله يذكرنا ابن الحنفية رضى الله عنه وأولها

هو المهدى خبرناه كعب أخو الاحبار فى الحقب الخوالى

أقر الله عينى اذ دعانى أمين الله يلطف فى السؤال
وأثنى فى هواى على خيلا وسائل عن بنى وكيف حالى

وفيه يقول أيضا كثير

الا ان الائمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنيه هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان و بر وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا تراه العين حتى يقود الخيل يتبعها اللواء
يغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء

وفيه يقول السيد الحميرى وكان كيسانيا

ألا قل للوصى فدتك نفسى أطلت بذلك الجبل المقاما
مغيبك عنهم سبعين عاما

وماداق ابن حوله طعم موت * ولاوارت له أرض عظاما لقد أمسى بمردف شعب رضوى * تراجعه الملائكة الكلاما

وفيه يقول السيد أيضا

ياشعب رضوى مالمن بك لابرى
وينا اليه من الصبابة أولق
حتى متى والى متى وكم المدى
يا ابن الرسول وأنت حى ترزق

وللسيد فيه اشعار كثيرة لايأتى عليها كتابنا هذا

(وذكر) على بن محمد بن سليمان النوفلى فى كتابه الاخبار مما سمعناه من ابى العباس بن عمار قال حدثنا جعفر بن محمد النوفلى قال حدثنا اسمعيل الساحر وكان راوية السيد الحميرى قال ما مات السيد الاعلى قوله بالكيسانية وأنكر قوله فى القصيدة التى أولها

تجعفرت باسم الله والله أكبر

قال أبو الحسن على بن محمد النوفلى عقيب هذا الخبر وليس يشبه هذا شعر السيد لان السيد مع فصاحته وجزالة قوله لايقول تجعفرت باسم الله وذكر عمر بن شبة النميرى عن مساور بن السائب أن ابن الزبير خطب أربعين يوما لايصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال لا يمنعنى أن أصلى عليه الا أنى أبغض أن أصلى عليه فيرغم بها أنوف رجال من بنى هاشم

وذكر سعيد بن جبير أن عبد الله بن عباس دخل على ابن الزبير فقال له ابن الزبير أنت الذى

* ان خوفوك لقيت كل كريهة * وحصره جيوش لمتونة الملثمين حتى أخذوه قهرا وسيق الى امير المسلمين والقصة مشهورة * وقال الفتح فى شأن حصار المعتمد ماصورته ولما تم الملك أمده وارادالله تعالى أن تخرم عمده وتنقرض ايامه وتنقوض عن عراص الملك خيامه نازلته جيوش أمير المسلمين ومحلاته وظاهرته فساطيطه ومظلاته بعد ماتثرت حصونه وقلاعه وسعرت بالنكاية جوانحه واضلاعه واخذت عليه الفروج والمضايق وانثنت اليه الموانع والعوائق وطرقته طوارقها بالاضرار وامطرته من النكاية كل ديمة مدرار وهوساه بروض ونسيم لامراح ومحيا وسيم زاه بفتاة تنادمه ناه عن هدم انس هو هادمه لايصيخ الى نباسمه ولاينيخ الاعلى لهو يفرق جموعه جمعه وقد ولى المدامة ملامه وثنى الى ركنها طوافه واستلامه وتلك الجيوش تجوس خلاله وتقلص ظلاله وحين اشتد حصاره وعجز عن المدافعة أنصاره ودلس عليه ولاته وكثرت ادواؤه وعلاته فتح باب الفرج وقد لفح شواظ الهرج فدخلت عليه من المرابطين زمره واشتعلت من التقلب جمره تاجج اضطرامها وسهل بها ايقاد الفتنة واضرامها وعند ماسقط الخبر عليه خرج حاسرا عن مفاضته جاحظا كالهر قبل رياضته فلحق اوائلهم عند الباب المذكور وقد انتشروا فى جنباته وظهروا على البلد من اكثر جهاته وسيفه فى يده يتلمظ للطلى والهام ويعد بانفراج ذلك الاستبهام فرماه أحد الداخلين برمح تخطاه وجاوز مطاه فبادره بضربة أذهبت نفسه واغربت شمسه ولقى ثانيا فضربه وقسمه وخاض جيش ذلك الداء وحسمه فاجلوا عنه وولوا فرارا منه فأمر بالباب فسد وبنى منه ماهدم ثم انصرف وقد اراح نفسه وشفاها وابعد الله تعالى عنه الملامة ونفاها وفى ذلك يقول عند ماخلع واودع من المكروه ما اودع

ان يسلب القوم العدا * ملكى وتسلمنى الجموع
فالقلب بين ضلوعه * لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم نزالهم * أن لاتحصننى الدروع
وبرزت ليس سوى القميص على الحشا شئ دفوع
أجلى تأخر لم يكن * يهواه ذلى والخضوع
ماسرت قط الى القتا * ل وكان من املى الرجوع
شيم الالى انا منهم * والاصل تتبعه الفروع

ومازالت عقارب تلك الداخلة تدب ثم ذكر الفتح تمام هذا الكلام فراجعه فيما مر بنحو ثلاث ورقات * ومن حكايات مجالس انسه أيام ملكه قبل أن ينظمه صرف الدهر فى سلكه ماحكاه الفتح عن ذخر الدولة انه دخل عليه فى دار المزينية والزهر يحسد اشراق مجلسه والدر يحكى اتساق تانسه وقد رددت الطير شدوها وجودت طربها ولهوها وجددت كلفها وشجوها والغصون قد التحفت بسندسها والازهار تحيى بطيب تنفسها والنسيم يلهبها فتضعه بين أجفانها وتودعه أحاديث آذارها ونسانها وبين يديه فتى من فتيانه تثنى تثنى القضيب ويحمل الكاس فى راحة أبهى من الكف الخضيب وقد توشح وكأن الثريا

وشاحه وانار فكأن الصبح من محياه كان اقتاحه فلما ناوله الكاس خامرته سوره وتخيل أن الشمس تهديه نوره فقال المعتمد

لله ساق مهفهف غنج * قد قام يسقى فجاء بالعجب
أهدى لنا من لطيف حكمته * في جامد الماء ذائب الذهب

ولما وصل لورقة استدعى ذا الوزارتين القائد أبا الحسن بن اليسع ليلته تلك في وقت لم يخف فيه زائر من مراقب ولم يبد فيه غير نجم ثاقب فوصل وما للام الى فؤاده وصول وهو يتخيل أن الجو صوارم ونصول بعد أن وصى بما خلف وودع من تخلف فلما مثل بين يديه آنسه وازال توجسه وقال له خرجت من اشبيلية وفي النفس غرام طويته بين ضلوعي وكفكفت فيه غرب دموعي بفتاة هي الشمس أو كالشمس اخالها لا يحول قلبها ولا يخلخالها وقد قلت في يوم وداعها عند تقطر كبدي وانصداعها

ولما التقينا للوداع غدية * وقد خفقت في ساحة القصر رايات
بكينا دما حتى كأن عيوننا * تجرى الدموع الحمر منها جراحات

وقد زارتني هذه الليلة في مضجعي وأبرأتني من توجعي ومكنتني من رضابها وفتنتني بدلالها وخضابها فقلت

أباح لطيفي طيفها الخد والنهدا * فعض بها تفاحة واجتنى وردا
ولو قدرت زارت على حال يقظة * ولكن حجاب البين ما بيننا مدا
أما وجدت عنا الشجون معرجا * ولا وجدت منا خطوب النوى بدا
سقى الله صوب القطر أم عبيدة * كما قد سقت قلبي على حره بردا
هي الظبي جيدا والغزالة مقلة * وروض الرياء عرفا وغصن النقا قدا

فكرر استجادته وأكثر استعادته فأمر له بخمسمائة دينار وولاه ورقة من حينه قال الفتح وأخبرني ابن اللبانة انه استدعاه ليلة الى مجلس قد كساه الروض وشيه وامتثل الدهر فيه أمره ونهيه فسقاه الساقي وحياه وسفر له الانس عن مونق محياه فقام للمعتمد مادحا وعلى دوحة تلك النعماء صادحا فاستجاد قوله وأفاض عليه طوله فصدر وقد امتلات يداه وغمر جوده ونداه فلما حل بمنزله وافاه رسوله بقطيع وكاس من بلار قد أترعا بصرف العقار ومعهما

جاءتك ليلا في ثياب نهار * من نورها وغلالة البلار
كالمشترى قد لف من مريخه * اذ لفه في الماء جذوة نار
لطف الحمود لذا وذا فتألفا * لم يلق ضد ضده بنفار
يتحير الراؤن في نعتيهما * أصفاء ماء أم صفاء دوارى

وقال الفتح أيضا وأخبرني ذو الدولة انه استدعاه في ليلة قد ألبسها البدر رواءه وأوقد فيها أضواءه وهو على الحيرة الكبرى والنجوم قد انعكست فيها تتخال الماء زهرا وقابلتها المجرة فسالت فيها نهرا وقد أرجت نوافح الند وماست معاطف الرند وحسد النسيم الروض فوشى بسراه وأفشى حديث آسه وعراه ومشى محتالا بين لبات النور وأزراره

يقول ليس المسلم الذى يشبع ويجوع جاره فقال ابن الزبير انى لا كتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة وجرى بينهم خطب طويل فخرج ابن عباس من مكة خوفا على نفسه فنزل الطائف فتوفى هنالك ذكر هذا الخبر عمر بن شبة النميرى عن سويد بن سعيد يرفعه الى سعيد بن جبير فيما حدثنا به المهرانى بمصر والسكلابى بالبصرة وغيرهما عن عمر ابن شبة وحدث النوفلى فى كتابه فى الاخبار عن الوليد بن هشام المخزومى قال خطب ابن الزبير فقال من على فبلغ ذلك ابنه محمد ابن الحنفية حتى وضع له كرسى قدامه فعلاه وقال يا معاشر قريش شاهت الوجوه أينتقص على وأنتم حضور ان عليا كان سهما صادقا أحد رامى الله على أعدائه يقتلهم لكفرهم ويهوعهم ما كلهم فثقل عليهم فرموه بصرفة الاباطيل وانا معشره على نهج من أمره بنو الحسبة من الانصا فان تكن لنا الايام دولة تنثر عظامهم وتحسر عن أجسادهم والابدان يوم تذبالية وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فعاد ابن الزبير الى خطبته وقال عذرت بنى الفواطم يتكلمون فما بال بنى الحنفية فقال

وهو وجم ودمعه منسجم وزفراته تترجم عن غرامه وتجمجم عن تعذر مرامه فلما نظر اليه استدناه وقربه وشكا اليه من الهجران ما استغربه وأنشده

أيا نفس لا تجزعي واصبري * والا فان الهوى متلف
حبيب جفاك وقلب عصاك * ولاح لحاك ولا منصف
شجون منعن الجفون الكرى * وعوّضنها أدمعا تنزف

فانصرف ولم يعلمه بقصته ولا كشف له عن غصته انتهى * وقال الفتح أيضا أخبرني ذخر الدولة بن المعتضد انه دخل عليه في ليلة قدامتي السرور منامها وامتطى الحبور غاربها وسنامها وراع الانس فؤادها وستر بياض الامانى سوادها وغازل نسيم الروض زوّارها وعوّادها ونور السراج قد قلص اذيالها ومحا من جبين الارض زالها والمجلس مكتس بالمعالى وصوت المثانى والمثالث عالى والبدر قد كمل والتحف بضوئه القصر واشتمل وتزين بسناه وتجمل فقال المعتمد

ولقد شربت الراح يسطع نورها * والليل قد مدّ الظلام رداء
حتى تبدى البدر في جوزائه * ملكا تناهى بهجة وبهاء
وتناهضت زهر النجوم يحفه * لألؤها فاستكمل اللألاء
لما أراد تنزها في غربة * جعل المظلة فوقه الجوزاء
وترى الكواكب كالمواكب حوله * رفعت ثرياها عليه لواء
وحكيته في الارض بين كواكب * وكواعب جمعت سناوسناء
ان نشرت تلك الدروع حنادسا * ملأت لنا هذي الكؤس ضياء
واذا تغنت هذه في مزهر * لم تأل تلك على التريك غناء

وأخبرني ابن اقبال الدولة انه كان عنده في يوم قد نثر من غمه رداء ند واسكب من قطره ماء ورد وأبدى من برقه لسان نار وأظهر من قزحه حنايا قوس آس حفت بنرجس وجلنار والروض قد بعث رياه وبث الشكر لسقياه فكتب الى الطبيب الاديب أبي محمد المصري

أيها الصاحب الذي فارقت عيني ونفسي منه السنا والسناء
نحن في المجلس الذي يهب الرا * حة والمسمع الغنى والغناء
نتعاطى التي تنسي من الرقة واللذة الهوى والهواء
فأته تلف راحة ومحيا * قد أعدّا لك الحيا والحياء

فوافاه وألفى مجلسه وقد تلعت فيه الاباريق أجيادها وأقامت فيه خيل السرور طرادها وأعطته الامانى انطباعها وانقيادها وأهدت الدنيا اليومه مواسمها وأعيادها وخلعت عليه الشمس شعاعها ونشرت فيه الحدائق ايناعها فادبرت الراح وتعوطيت الاقداح وخامر النفوس الابتهاج والارتياح واظهر المعتمد من ايناسه ما استرق به نفوس جلاسه ثم دعا بكبير فشربه كما غربت الشمس في ثبير وعند ما تناولها قام المصري ينشد أبياتا يمثلها

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفقا * بشاد مهز ودع غمدان للعين

ابن هاشم جدتي أوليست فاطمة بنت عمرو بن عائذ جدة أبي أما والله لولا خديجة بنت خويلد ما تركت في بني أسد عظما الا هشمته وان نالتني فيه المصائب صبرت (حدثنا) ابن عمار عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني ابن عائشة والعتبي جميعا عن ابويهما والفاظهما متقاربة قالا خطب ابن الزبير فقال مابال أقوام يفتون في المتعة وينتقصون حواري الرسول وأم المؤمنين عائشة ما بالهم أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يعرض بابن عباس فقال يا غلام أصمدني صمدة فقال يا ابن الزبير قد أنصف القارة من راماها انا اذا ما فئة نلقاها ترد أولاها على أخراها أما قولك في المتعة فسل أمك تخبرك فان أول متعة سطع مجمرها لمحمر سطع بين أمك وأبيك يريد متعة الحج وأما قولك حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد لقيت أباك في الزحف وأنا مع امام هدى فان يكن على ما أقول فقد كفر بقتالنا وان يكن على ما تقول فقد كفر بهجرته عنا فانقطع ابن الزبير ودخل على أمه أسماء فأخبرها فقالت صدق

فأنت أولى بتاج الملك تلبسه * من هوذة بن على وابن ذى يزن

فطرب حتى زحف عن مجلسه واسرف فى تأنسه وأمر فخلعت عليه خلع لا تصلح الا للخلفاء وأدناه حتى أجلسه مجلس الاكفاء وأمر له بدنانير عددا وملأ له بالمواهب يدا * وله فى غلام رآه يوم العروبة من ثنيات الوغى طالعا ولطلى الابطال قارعا وفى الدماء والغا ولمستشع كؤس المنايا سائغا وهو ظبى قد فارق كناسه وعاد أسدا قد صارت القنا أخياسه ومتكاثف الهجاج قد مزقه اشراقه وقلوب الدارعين قد شككتها أحداقه فقال

ابصرت طرفك بين متجر القنا * فبدا لطرفى انه فلك
أوليس وجهك فوقه قمرا * يجلى بنير نوره الحلك

وقال فيه

ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر
حسبنا محياك شمس الضحى * عليها سحاب من العنبر

وقد جمع بنا القلم فى ترجمة المعتمد بن عباد بعض جموح وماذلك الا لما علمنا أن نفوس الادباء الى أخباره رحمه الله تعالى شديدة الطموح وقد جعل الله تعالى له كما قال ابن الابار فى الحلة السيراء رقة فى القلوب وخصوصا بالمغرب فان أخباره وأخبار الرميكية الى الآن متداولة بينهم وان فيها لاعظم عبرة رحم الله تعالى الجميع (رجع الى أخبار النساء) *(ومنهن) العبادية جارية المعتضد عباد والد المعتمد اهداها اليه مجاهد العامرى من دانية وكانت أديبة ظريفة كاتبة شاعرة ذاكرة لكثير من اللغة قال ابن علىم فى شرحه لادب الكاتب لابن قتيبة وذكر الموسعة وهى خشبة بين جملين يجعل كل واحد منهما طرفها على عنقه ماصورته وبذكر الموسعة اغربت جارية لمجاهد اهداها الى عباد كاتبة شاعرة على علماء اشبيلية بالغرمة التى تظهر فى أذقان بعض الاحداث وتعترى بعضهم فى الخدين عند الضحك فاما التى فى الذقن فهى النونة ومنه قول عثمان رضى الله تعالى عنه وسموا نونته لتدفع العين وأما التى فى الخدين عند الضحك فهى الفعصة فما كان فى ذلك الوقت فى اشبيلية من عرف منهما واحدة * وسهر عباد ليلة لامر حزبه وهى نائمة فقال

تنام ومد نفها يسهر * وتصبر عنه ولا يصبر

فاجابته بديهة يقولها

لئن دام هذا وهذا له * سيهلك وجدا ولا يشعر

ويكفيك هذا شاهدا على فضلها رحمها الله تعالى وسامحها *(ومنهن) بثينة بنت المعتمد بن عباد وأمها الرميكية السابقة الذكر وكانت بثينة هذه نحو امن أمها فى الجمال والنادرة ونظم الشعر ولما أحيط بابيها ووقع النهب فى قصره كانت فى جملة من سبى ولم يزل المعتمد والرميكية عليها فى وله دائم لا يعلمان ما آل اليه أمرها الى أن كتبت اليهما بالشعر المشهور المتداول بين الناس بالمغرب وكان أحد تجار أشبيلية اشتراها على انها جارية سرية ووهبها لابنه فنظر من شأنها وهيئت له فلما أراد الدخول عليها امتنعت وأظهرت نسبها وقالت لا أحل لك الا بعقد النكاح ان رضى أبى بذلك وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لابيها وانتظار جوابه فكان الذى كتبته بخطها من نظمها ماصورته

فى متعة النساء ومتعة الحج وتنازعهم فى ذلك وماذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم من انه حرمها عام خيبر ولحوم الحمر الاهلية وماذكر فى حديث الربيع ابن سبرة عن أبيه وقول عمر كانتا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تقدمت بالنهى لفعلت بفاعل ذلك كذا وكذا وما روى عن جابر قال تمتعنا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة أبى بكر وصدر من خلافة عمر وغير ذلك من أقاويلهم فى كتابنا المترجم بكتاب الاستنصار وفى كتاب الصفوة وفى كتابنا المترجم بالكتاب الواجب فى الفروض اللوازم وما قال الناس فى غسل الرجلين ومسحهما والمسح على الخفين وطلاق السنة وطلاق العدة وطلاق التعدى وغير ذلك وقد حدث النوفلى عن أبى عاصم عن ابن جريج قال حدثنى منصور بن شيبة عن صفية بنت أبى عبيد عن أسماء بنت أبى بكر قالت لما قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع أمر من لم يكن معه هدى ان يحل قالت فأحللت فلبست ثيابى وتطيبت وجئت حتى جلست الى جنب الزبير

اسمع كلامى واستمع لمقالتى * فهى السلوك بدت من الاجياد
لاتنكروا أنى سبيت وأننى * بنت الملك من بنى عباد
ملك عظيم قد تولى عصره * وكذا الزمان يؤل للافساد
لما أراد الله فرقة شملنا * واذا قناطع الاسى من زاد
قام النفاق على أبى فى ملكه * فدنا الفراق ولم يكن بمراد
فخرجت هاربة فخازنى امرؤ * لم يأت فى اجماله بسداد
اذ باعنى ببيع العبيد فضمنى * من صانتى الامن الانكاد
وأرادنى لنكاح نجل طاهر * حسن الخلائق من بنى الانجاد
ومضى اليك يسوم رأيك فى الرضا * ولأنت تنظر فى طريق رشادى
فعساك يا أبتى تعرفنى به * ان كان من يرتجى لوداد
وعسى رميكة الملوك بفضلها * تدعو لنا باليمن والاسعاد

فلما وصل شعرها لابيها وهو باغمات واقع فى شراك الكروب والازمات سر هو وأمها بحياتها ورأيا أن ذلك للنفس من أحسن امنياتها اذ علما ما لأمرها وجبر كسرها اذذاك أخف الضررين وان كان الكرب قد ستر القلب منه بحجاب رين وأشهد على نفسه بعقد نكاحها من الصبى المذكور وكتب اليها أثناء كتابه مايدل على حسن صبره المشكور

بنيتى كونى به برة * فقد قضى الدهر باسعافه

وأخبار المعتمد بن عباد تذيب الاكباد فلنرجع الى ذكر نساء الاندلس فنقول *(ومنهن) حفصة بنت حمدون من وادى الحجارة ذكرها فى المغرب وقال انها من أهل المائة الرابعة ومن شعرها

رأى ابن جميل أن يرى الدهر مجملا * فكل الورى قد عمهم سيب نعمته
له خلق كالخمر بعدا مزاجها * وحسن فما أحلاه من حين خلقته
بوجه كمثل الشمس يدعو ببشره * عيونا يعشيها بافراط هيبته

ولها أيضا

لى حبيب لاينثنى لعتاب * واذا ما تركته زادتيها
قال لى هل رأيت لى من شبيه * قلت أيضا وهل ترى لى شبيها

ولها تذم عبيدها

يارب انى من عبيدى على * جمر الغضا ما فيهم من نجيب
أما جهول ابله متعب * أوفطن من كيده لايجيب

وقال ابن الابار انها كانت أديبة عالمة شاعرة وذكرها ابن فرج صاحب الحدائق وأنشد لها أشعارا منها قولها

ياوحشتى لاأحبنى * ياوحشة متماديه
ياليلة ودعتهم * ياليلة هى ماهيه

*(ومنهن) زينب المريية كانت أديبة شاعرة وهى القائلة

فقال قومى عنى فقلت ما الحديث عن أبى عاصم غير النوفلى وقد تنازع الناس فى ذلك فمنهم من رأى انه عنى متعة النساء ومنهم من رأى انه أراد متعة الجلان الزبير تزوج أسماء بكرا فى الاسلام زوجه أبو بكر معلنا فكيف تكون متعة النساء ولما هلك يزيد بن معاوية وولايها معاوية بن يزيد نمى ذلك الى الحصين بن نمير ومن معه فى الجيش من أهل الشام وهو على حرب ابن الزبير فهادنوا ابن الزبير ونزلوا مكة فلقى الحصين عبد الله فى المسجد فقال له هل لك يا ابن الزبير أن أحملك الى الشام وأبايع لك بالخلافة فقال له عبد الله رافعا صوته أبعد قتل أهل الحرة لا والله حتى أقتل بكل رجل خمسة من أهل الشام فقال الحصين من زعم يا ابن الزبير انك داهية فهو أحمق أكلمك سرا وتكلمنى علانية أدعوك أن أستخلفك فترفع الحرب وتزعم انك تقاتلنا لتستعلم أينا المقتول وانصرف أهل الشام الى بلادهم مع الحصين فلما صاروا الى المدينة جعل أهلها يهتفون بهم ويتوعدونهم ويذكرون قتلاهم بالحرة فلما أكثروا من ذلك

يا أيها الراكب الغادي مطيته * عرج أنيخ عن بعض الذي أجد
ما عالج الناس من وجد تضمنهم * الا ووجدي بهم فوق الذي وجدوا
حسبي رضاه وأني في مسرته * ووده آخر الايام أجتهد

*(ومنهن) غاية المنى وهي جارية أندلسية متأدبة قدمت الى المعتصم بن صمادح فاراد اختبارها فقال لها ما اسمك فقالت غاية المنى فقال لها أجيزي اسئلوا غاية المنى فقالت من كساجسمي الضنا وأراني مولها * سيقول الهوى انا هكذا أورد السالمي هذه الحكاية في تاريخه قال ابن الابار وقرأت بخط الثقة حاكيا عن القاضي أبي القاسم بن حبيش قال سيقت لابن صمادح جارية لبيبة تقول الشعر وتحسن المحاضرة فقال تحمل الى الاستاذ ابن الفراء الخطيب ليختبرها وكان كفيفا فلما وصلته قال ما اسمك فقالت غاية المنى فقال أجيزي

سل هوى غاية المنى * من كساجسمي الضنا
فقالت تجيزه وأراني متسما * سيقول الهوى أنا

فحكى ذلك لابن صمادح فاشتراها انتهى *(ومنهن) حمدة ويقال حمدونة بنت زياد المؤدب من وادي آش وهي خنساء المغرب وشاعرة الاندلس ذكرها الملاحي وغيره وممن روى عنها أبو القاسم بن البراق ومن عجيب شعرها قولها

ولما أبى الواشون الا فراقنا * وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة * وقل حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وادمعي * ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

وبعض يزعم أن هذه الابيات لمهجة بنت عبد الرزاق الغرناطية وكونها لحمدة أشهر والله سبحانه وتعالى أعلم * وخرجت حمدة مرة للوادي مع صبية فلما نضت عنها ثيابها وعامت قالت

أباح الدمع أسراري بوادي * له للعين آثار بوادي
فمن نهر يطوف بكل روض * ومن روض يرف بكل وادي
ومن بين الظباء مهاة انس * سبت لبي وقد ملكت فؤادي
لها لحظ تقده لا مرد * وذاك الامر يمنعني رقادي
اذا سدلت ذوائبها عليها * رأيت البدر في أفق السواد
كأن الصبح مات له شقيق * فمن حزن تسربل بالحداد

وقال ابن البراق في سوق هذه الحكاية أنشدتنا حمدة العوفية لنفسها وقد خرجت متنزهة بالرملة من نواحي وادي آش فرأت ذات وجه وسيم أعجبها فقالت وبين الروايتين خلاف اباح الدمع الى آخره ونسب بعضهم الى حمدة هذه الابيات الشهيرة بهذه البلاد المشرقية وهي

وقائلة لعبد الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا وحله فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا * ألذ من المدامة للنديم

الجيش فقال يا أهل المدينة ما هذا الايعاد الذي توعدونا انا والله ما دعونا الى كاب لمبايعة رجل منهم ولا الى رجل من بلقين ولا الى رجل من لخم أو جذام ولا غيرهم من العرب ولكن دعونا كم الى هذا الحي من قريش يعني بني أمية ثم الى طاعة يزيد بن معاوية وعلى طاعته قاتلناكم فانا نا توعدون أما والله الا أبناء الطعن والطاعون وفضلات الموت والمنون * فما شتم ومضى القوم الى الشام وحمل الى ابن الزبير من صنعاء الفسيفساء التي كان بناها ابرهة الحبشي في كنيسته التي اتخذها هنالك ومعها ثلاث أساطين من رخام فيها وشي منقوش قد حشي النقش والسندروس وانواع الالوان من الاصباغ فمن رآه ظنه ذهبا وشرع ابن الزبير في بناء الكعبة وشهد عنده سبعون شيخا من قريش ان قريشا حين بنت الكعبة عجزت نفقتهم فنقصوا من سعة البيت سبعة اذرع من اساس ابراهيم الخليل الذي اسسه هو واسمعيل عليهما السلام فبناه ابن الزبير وزاد فيه الاذرع المذكورة وجعل فيه الفسيفساء والاساطين وجعل له بابين بابا يدخل منه وبابا

يصد الشمس أني واجهتنا * فيحجبها ولا يأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

ومن جزم بذلك الرعيني وقال ان مؤرخي بلاد الاندلس نسبوها لحمدة من قبل أن يوجد المنازي الذي ينسبها له أهل المشرق وقد رأيت أن أذكر كلامه برمته ونصه كائن من ذوي الالباب وفحول أهل الآداب حتى ان بعض المتغلين تعلق بهذه الاهداب وادعى نظم هذين البيتين يعني ولما أبى الواشون الى آخره لما فيهما من المعاني والالفاظ العذاب وما عزه في ذلك الا بعد دارها وخلو هذه البلاد المشرقية من أخبارها وقد تلبس بعضهم أيضا بشعارها وادعى غير هذا من أشعارها وهو قولها وقانا لفعة الرمضاء واد * الى آخره وان هذه الابيات نسبها أهل البلاد للمنازي من شعرائهم وركبوا التعصب في جادة ادعائهم وهي أبيات لم يحلها غير لسانها ولا رقم برديها غير احسانها ولقد رأيت المؤرخين من أهل بلادنا وهي الاندلس أثبتوها لها قبل أن يخرج المنازي من العدم الى الوجود ويتصف بلفظة الموجود انتهى وهو أبو جعفر الاندلسي الغرناطي نزيل حلب وحكى ابن العديم في تاريخ حلب ما نصه وبلغني أن المنازي عمل هذه الابيات ليعرضها على أبي العلاء المعري فلما وصل اليه أنشده الابيات فجعل المنازي كلما أنشده المصراع الاول من كل بيت سبقه أبو العلاء الى المصراع الثاني الذي هو تمام البيت كما نظمه ولما أنشده قوله

نزلنا دوحه فحنا علينا قال أبو العلاء * حنو الوالدات على الفطيم
فقال المنازي انما قلت على اليتيم فقال أبو العلاء الفطيم أحسن انتهى وهذا يدل على أن الرواية عنده حنو الوالدات وقد تقدم المرضعات والله تعالى أعلم * وقال ابن سعيد يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة العربيات لمحافظتهن على المعاني العربية ومن أشهرهن زينب بنت زياد الوادي آشي وأختها حمدة وحمدة هذه هي القائلة وقد خرجت الى نهر منقسم الجداول بين الرياض مع نسائها فسبحن في الماء وتلاعبن * أباح الدمع أسراري بوادي * الابيات انتهى (ومنهن) عائشة بنت أحمد القرطبية قال ابن حيان في المقتبس لم يكن في زمانها من حرائر الاندلس من يعدلها علما وفهما وأدبا وشعرا وفصاحة تمدح ملوك الاندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف وماتت عذراء لم تنكح سنة أربعمائة * وقال في المغرب انها من عجائب زمانها وغرائب أوانها وأبو عبد الله الطبيب عمها ولو قيل انها أشعر منه لجاز ودخلت على المظفر بن المنصور بن أبي عامر وبين يديه ولد فارتجلت

أراك الله فيه ما تريد * ولا برحت معالمه تزيد
فقد دلت مخايله على ما * تؤمله وطالعه السعيد
تشوقت الجياد له وهز الحسام هوى وأشرقت البنود
وكيف يخيب شبل قد غذته * الى العليا ضراغمة أسود
فسوف تراه بدرا في سماء * من العليا كواكبه الجنود
فأنتم آل عامر خير آل * ز كا الابناء منكم والجدود

يخرج منه فلم يزل البيت على ذلك حتى قتل الحجاج عبد الله بن الزبير ٤٩٢ وكتب الى عبد الملك يعلمه بما

زاده ابن الزبير في البيت فأمره عبد الملك بهدمه وورده الى ما كان عليه آنفا من بناء قريش وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم وان يجعل له بابا واحدا ففعل الحجاج ذلك واستوثق الامر لابن الزبير وأخذت له البيعة بالشام وخطب له على سائر منابر الاسلام الا منبر طبرية من بلاد الاردن فان حسان بن مالك بن بحدل أبى أن يبايع لابن الزبير وأراد ها لخالد ابن يزيد بن معاوية وكان المقيم بأمر بيعة ابن الزبير بمكة عبد الله بن مطيع العدوي ففي ذلك يقول قضاعة الاسدي وكان بايع لابن الزبير ثم نكث دعا ابن مطيع للبياع فجئته الى بيعة قلبي لها غير آلف فناولني حسناء لما لمستها بكفي ليست من اكف الخلائف

وهلك يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وعبيد الله بن زياد على البصرة أمير يخطب الناس واعلمهم بموتهما وان الامر شورى لم ينصب له أحد وقال لا أرض اليوم أوسع من أرضكم ولا عددا أكثر من عددكم ولا مال أكثر من مالكم في بيت مالكم مائة ألف ألف درهم عطاء مقاتلتكم ستون ألفا وعطاؤهم وليدكم

وعطاء العيال ستون ألف ألف درهم فانظروا رجلا ترضونه يقوم بأمركم ويجاهد عدوكم وينصف مظلومكم من ظالمكم ويوزع بينكم أموالكم فقام اليه اشراف أهلها ومنهم الاحنف بن قيس التميمي وقيس بن الهيثم السلمي ومسمع بن مالك العبدي فقالوا وما نعلم ذلك الرجل غيرك أيها الامير وانت احق من قام على امرنا حتى تجتمع الناس على خليفة فقال اما لو استعملتم غيري لسمعت وأطعت وقد كان على الكوفة عمرو بن حريث الخزاعي عاملا لعبيد الله بن زياد فكتب اليه عبيد الله يعلمه بما دخل فيه أهل البصرة ويأمره أن يأمر أهل الكوفة بما دخل فيه أهل البصرة فقام يزيد بن رويم الشيباني فقال الحمد لله الذي أطلق أيامنا لا حاجة لنا في بني أمية ولا في امارة ابن مرجانة وهي أم عبيد الله وأم أبيه زياد سمية على ماذكرنا آنفا انما البيعة لاهل الحجاز يعني أهل الحجاز خلع أهل الكوفة ولاية بني أمية وامارة ابن زياد وأرادوا أن ينصبوا لهم أميرا الى أن ينظروا في أمرهم فقال جماعة عمر بن سعد بن أبي وقاص يصلح لها فلما هموا بتأميره أقبل نساء من همدان وغيرهم من نساء كهلان والانصار وربيعة والنخع حتى دخلن المسجد الجامع صارخات باكيات معولات ينددن بالحسين

وليد كم لدى رأى كشيخ * وشيخكم لدى حرب وليد

وخطبها بعض الشعراء ممن لم ترضه فكتبت اليه

أنا البوة لكنني لا أرتضي * نفسي مناخا طول دهري من أحد
ولو أنني أختار ذلك لم أجب * كلبا وكم غلقت سمعي عن أسد

*(ومنهن) مريم بنت أبي يعقوب الانصاري سكنت اشبيلية وأصلها والله أعلم من شلب وذكرها ابن دحية في المطرب وقال انها أديبة شاعرة مشهورة وكانت تعلم النساء الادب وتحتشم لدينها وفضلها وعمرت عمرا طويلا سكنت اشبيلية واشتهرت بها بعد الار بعمائة وذكرها الحميدي وأنشد لها جوابها لما بعث المهدي اليها بدنانير وكتب اليها

مالي بشكر الذي أوليت من قبل * لو أنني حزت نطق اللسن في الحلل
يا فذة الظرف في هذا الزمان ويا * وحيدة العصر في الاخلاص في العمل
أشبهت مريما العذراء في ورع * وفقت خنساء في الاشعار والمثل

ونص الجواب منها

من ذا يجاريك في قول وفي عمل * وقد بدرت الى فضل ولم تسل
مالي بشكر الذي نظمت في عنقي * من اللآلي وما أوليت من قبل
حليتني بحلى أصبحت راهية * بها على كل أنثى من حلى عطل
لله أخلاقك الغر التي سقيت * ماء الفرات فرقت رقة الغزل
أشبهت مروان من غارت بدائعه * وأنجدت وغدت من أحسن المثل
من كان والده العضب المهند لم * يلد من النسل غير البيض والاسل

ومن شعرها وقد كبرت

وما يرتجى من بنت سبعين حجة * وسبع كنسج العنكبوت المهلهل
تدب دبيب الطفل تسعى الى العصا * وتمشي بها مشي الاسير المكبل

*(ومنهن) أسماء العامرية من أهل اشبيلية كتبت الى عبد المؤمن بن علي رسالة تغث فيها اليه بنسبها العامري وتسأله في رفع الانزال عن دارها والاعتقال عن مالها وفي آخرها قصيدة أولها

عرفنا النصر والفتح المبينا * لسيدنا أمير المؤمنينا
اذا كان الحديث عن المعالي * رأيت حديثكم فينا شجونا

ومنها

رويتم علمه فعلمتموه * وصنتم عهده فغدا مصونا

*(ومنهن) أم العلاء بنت القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية سمعت أباها وكانت حاضرة النادرة سريعة التمثل من أهل العلم والفهم والعقل ولها تأليف في القبور ولما توفي أبوها قضاء المرية دخل داره وعيناه تذرفان وجد المفارقة وطنه فأنشد متمثلا

يا عين صار الدمع عندك عادة * تبكين في فرح وفي أحزان

وهذا البيت من جملة أبيات هي

جاء الكتاب من الحبيب بأنه * سيزورني فاستعبرت أجفاني

زاده ابن الزبير في البيت فأمره عبد الملك بهدمه وورده الى ما كان عليه آنفا من بناء قريش وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم وان يجعل له بابا واحدا ففعل الحجاج ذلك واستوثق الامر لابن الزبير وأخذت له البيعة بالشأم وخطب له على سائر منابر الاسلام الا منبر طبريه من بلاد الاردن فان حسان بن مالك بن بحدل أبى أن يبايع لابن الزبير وأراد ها لخالد ابن يزيد بن معاوية وكان القيم بأمر بيعة ابن الزبير بمكة عبد الله بن مطيع العدوى ففي ذلك يقول قضاعة الاسدى وكان بايع لابن الزبير ثم نكث دعا ابن مطيع للبياع فجئته الى بيعة قلبي لها غير آلف فناولني حسناء لا المستها بكفي ليست من اكف الخلائف

وهلك يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وعبيد الله بن زياد على البصرة أمير فخطب الناس واعلمهم بموتهما وان الامر شورى لم ينصب له أحد وقال لا أرض اليوم أوسع من أرضكم ولا عددا كثر من عددكم ولا مال أكثر من مالكم في بيت مالكم مائة ألف ألف درهم عطاء مقاتلتكم ستون ألفا وعطاؤهم ولدكم

يصد الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

ومن جزم بذلك الرعيني وقال ان مؤرخي بلاد الاندلس نسبوها لجدة من قبل أن يوجد المنازى الذي ينسبها له أهل المشرق وقد رأيت أن أذكر كلامه برمته ونصه كانت من ذوى الالباب وفحول أهل الآداب حتى ان بعض المتخلين تعلق بهذه الاهداب وادعى نظم هذين البيتين يعني ولما أبى الواشون الى آخر ما فيهما من المعاني والالفاظ العذاب وما غره في ذلك الا بعد دارها وخلو هذه البلاد المشرقية من أخبارها وقد تلبس بعضهم أيضا بأشعارها وادعى غير هذا من أشعارها وهو قولها وقانا لفعة الرمضاء واد * الى آخره وان هذه الابيات نسبها أهل البلاد للمنازى من شعرائهم وركبوا التعصب في جادة ادعائهم وهي أبيات لم يحلها غير لسانها ولا رقم برديها غير احسانها ولقد رأيت المؤرخين من أهل بلادنا وهي الاندلس أثبتوها لما قبل أن يخرج المنازى من العدم الى الوجود ويتصف بلفظة الموجود انتهى وهو أبو جعفر الاندلسي الغرناطي نزيل حلب وحكى ابن العديم في تاريخ حلب ما نصه وبلغني أن المنازى عمل هذه الابيات ليعرضها على أبي العلاء المعري فلما وصل اليه أنشده الابيات فجعل المنازى كلما أنشده المصراع الاول من كل بيت سبقه أبو العلاء الى المصراع الثاني الذي هو تمام البيت كما نظمه ولما أنشده قوله

نزلنا دوحة فحنا علينا * حنو الوالدات على الفطيم

قال أبو العلاء * حنو الوالدات على الفطيم * فقال المنازى انما قلت على اليتيم فقال أبو العلاء الفطيم أحسن انتهى وهذا يدل على أن الرواية عنده حنو الوالدات وقد تقدم المرضعات والله تعالى أعلم * وقال ابن سعيد يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة العربيات لمحافظتهن على المعاني العربية ومن أشهرهن زينب بنت زياد الوادي آشي وأختها حمدة وحمدة هذه هي القائلة وقد خرجت الى نهر منقسم الجداول بين الرياض مع نسائها فسبحن في الماء وتلاعبن * أباح الدمع أسراري بوادي * الابيات انتهى (ومنهن) عائشة بنت أحمد القرطبية قال ابن حيان في المقتبس لم يكن في زمانها من حرائر الاندلس من يعدلها علما وفهما وأدبا وشعرا وفصاحة تمدح ملوك الاندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف وماتت عذراء لم تتكمل سنة أربعمائة * وقال في المغرب انها من عجائب زمانها وغرائب أوانها وأبو عبد الله الطبيب عمها ولو قيل انها أشعر منه لجاز ودخلت على المظفر بن المنصور بن أبي عامر وبين يديه ولد فارتجلت

أراك الله فيه ما تريد * ولا برحت معالمه تزيد
فقد دلت مخايله على ما * تؤمله وطالعه السعيد
تشوقت الجياد له وهز الحسام هوى وأشرقت البنود
وكيف يخيب شبل قد نمته * الى العليا ضراغمة أسود
فسوف تراه بدرا في سماء * من العليا كواكبه الجنود
فأنتم آل عامر خير آل * زكا الابناء منكم والجدود

وليدكم لدى رأى كشيخ * وشيخكم لدى حرب وليد

وخطبها بعض الشعراء ممن لم ترضه فكتبت اليه

أنا البوة لكنني لا أرتضى * نفسي مناخا طول دهري من أحد

ولو أنني أختار ذلك لم أجب * كلبا ولم تغلق سمعي عن أسد

*(ومنهن) مريم بنت أبي يعقوب الانصاري سكنت اشبيلية وأصلها والله أعلم من شلب وذكرها ابن دحية في المطرب وقال انها أديبة شاعرة مشهورة وكانت تعلم النساء الادب وتحشم لديها وفضلها وعمرت عمرا طويلا سكنت اشبيلية واشتهرت بها بعد الار بعمائة وذكرها الحميدي وأنشد لها جوابها لما بعث المهدي اليها بدنانير وكتب اليها

مالي بشكر الذي أوليت من قبل * لو أنني حزت نطق اللسن في الحمل

يا فذة الظرف في هذا الزمان ويا * وحيدة العصر في الاخلاص في العمل

أشبهت مريما العذراء في ورع * وفقت خنساء في الاشعار والمثل

ونص الجواب منها

من ذا يجاريك في قول وفي عمل * وقد بدرت الى فضل ولم تسل

مالي بشكر الذي نظمت في عنقي * من اللآلي وما أوليت من قبل

حليتني بحلى أصبحت زاهية * بها على كل أنثى من حلى عطل

لله أخلاقك الغر التي سقيت * ماء الفرات فرقت رقة الغزل

أشبهت مروان من غارت بدائعه * وأنجدت وغدت من أحسن المثل

من كان والده المضرب المهند لم * يلد من النسل غير البيض والاسل

ومن شعرها وقد كبرت

وما ترتجى من بنت سبعين حجة * وسبع كنسج العنكبوت المهلهل

تدب دبيب الطفل تسعى الى العصا * وتمشي بها مشي الاسير المكبل

*(ومنهن) أسماء العامرية من أهل اشبيلية كتبت الى عبد المؤمن بن علي رسالة تغث فيها اليه بنسبها العامري وتسأله في رفع الانزال عن دارها والاعتقال عن مالها وفي آخرها قصيدة أولها

عرفنا النصر والفتح المبينا * لسيدنا أمير المؤمنينا

اذا كان الحديث عن المعالي * رأيت حديثكم فينا شجونا

ومنها رويتم علمه فعلمتموه * وصنتم عهده فغدا مصونا

*(ومنهن) أم العلاء بنت القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية سمعت أباها وكانت حاضرة النادرة سريعة التمثل من أهل العلم والفهم والعقل ولها تآليف في القبور ولما توفي أبوها قضاء المرية دخل داره وعيناه تذرفان وجد المفارقة وطنه فأنشدته متمثلة

يا عين صار الدمع عندك عادة * تبكين في فرح وفي أحزان

وهذا البيت من جملة أبيات هي

جاء الكتاب من الحبيب بأنه * سيزورني فاستعبرت أجفاني

عدوكم وينصف مظلومكم من ظالمكم ويوزع بينكم أموالكم فقام اليه اشراف أهلها ومنهم الاحنف بن قيس التميمي وقيس بن الهيثم السلمي ومسمع بن مالك العبدي فقالوا ما نعلم ذلك الرجل غيرك أيها الامير وانت احق من قام على امرنا حتى تجتمع الناس على خليفة فقال اما لو استعملتم غيري لسمعت وأطعت وقد كان على الكوفة عمرو بن حريث الخزاعي عاملا لعبيد الله بن زياد فكتب اليه عبيد الله يعلمه بما دخل فيه أهل البصرة ويأمره أن يأمر أهل الكوفة بما دخل فيه أهل البصرة فقام يزيد بن رويم الشيباني فقال الحمد لله الذي أطلق أيادينا لا حاجة لنا في بني أمية ولا في امارة ابن مرجانة وهي أم عبيد الله وأم أبيه زياد سمية على ماذكرنا آنفا انما البيعة لاهل الحجاز يعني أهل الحجاز خلع أهل الكوفة ولاية بني أمية وامارة ابن زياد وأرادوا أن ينصبوا لهم أميرا الى أن ينظروا في أمرهم فقال جماعة عمرو بن سعد بن أبي وقاص يصلح لها فاقلما هموا بتأميره أقبل نساء من همدان وغيرهم من نسائهم كلان والانصار وربيعة والنخع حتى دخلن المسجد الجامع صارخات باكيات معولات بندب الحسين

وكان المبرزون فى ذلك نساء همدان وقد كان على عليه السلام مائلا الى همدان مؤثرا لهم وهو القائل

فلو كنت بوابا على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقال

عبيت همدان وعبوا جيرا ... ولم يكن بصفين منهم أحد مع معاوية وأهل الشأم الا ناس كانوا بغوطة دمشق بقرية تعرف بعين برما فانهم قوم الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ولما اتصل خبر أهل الكوفة بابن الزبير أنفذ اليهم عبد الله بن مطيع العدوى على ما قدمنا آنفا فتولى امرهم حتى وجه المختار فى أثره ونظر مروان بن الحكم اطباق الناس على مبايعة ابن الزبير واجابتهم له فأراد أن يلحق به وينضاف الى جملته فمنعه من ذلك عبيد الله بن زياد عند لحاقه بالشأم وقال له انك شيخ بنى عبد مناف فلا تجعل فصار مروان الى الجابية من أرض الجولان بين دمشق والاردن واستمال الضحاك ابن قيس الفهرى الناس ورأسهم وانحاز عن مروان وأراد دمشق فسبقه اليها الاشدق عمرو بن سعيد بن العاص فدخلها وصار

غلب السرور على حتى انه * من عظم فرط مسرتى أبكانى

وبعده البيت وبعده

فاستقبلى بالبشر يوم لقائه * ودع الدموع لليلة الهجران

*(ومنهن) مهجة القرطبية صاحبة ولادة رحمهما الله تعالى وكانت من أجل نساء زمانها وعلقت بها ولادة ولازمت تأديبها وكانت من أخف الناس روحا ووقع بينها وبين ولادة ما اقتضى أن قالت

ولادة قد صرت ولادة * من غير بعل فضح الكاتم
حكت انامل لكنه * نخلة هذى ذكر قائم

قال بعض الاكابر لو سمع ابن الرومى هذا لاقر لها بالتقدم ومن شعرها

لئن قد حمى عن ثغرها كل حائم * فما زال يحمى عن مطالبه الثغر
فذلك تحميه القواضب والقنا * وهذا حماه من لواحظها السحر

وأهدى اليها من كان يهيم بها خوخا فكتبت اليه

يا مهديا بالخوخ أحبابه * أهلا به من منجل للصدور
حكى ثدى الغيد تفليكه * لكنه أخزى رؤس الابور

*(ومنهن) هند جارية أبى محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبى وكانت أديبة شاعرة كتب اليها أبو عامر بن شهيد يدعوها للحضور عنده بعودها

يا هند هل لك فى زيارة قتية * نبذوا المحارم غير شرب السلسل
سمعوا البلابل قد شدوا فتذكروا * نغمات عودك فى النقيل الاول

فكتبت اليه فى ظهر رقعته

يا سيدا حاز العلا عن سادة * شم الانوف من الطراز الاول
حسبى من الاسراع نحوك أننى * كنت الجواب مع الرسول المقبل

*(ومنهن) الشلبية قال ابن الابار ولم أقف على اسمها وكتبت الى السلطان ابى يعقوب المنصور تتظلم من ولاة بلدها وصاحب خراجها

قد آن أن تبكى العيون الآبيه * ولقد أرى أن الحجارة باكيه
يا قاصد المصر الذى يرجى به * ان قد ر الرحمن رفع كراهيه
نادالامير اذا وقفت ببابه * يا راعيا ان الرعية فانيه
أرسلتها هملا ولا مرعى لها * وتركتها نهب السباع العاديه
شلب كلا شلب وكانت جنة * فأعادها الطاغون نارا حاميه
حافوا وما خافوا عقوبة ربهم * والله لا تخفى عليه خافيه

فيقال انها ألقيت يوم جمعة على مصلى المنصور فلما قضى الصلاة وتصفحها بحث عن القضية فوقف على حقيقتها وأمر للمرأة بصلة *وحكى ان بعض قضاة لوشة كانت له زوجة فاقت العلماء فى معرفة الاحكام والنوازل وكان قبل أن يتزوجها ذكر له وصفها فتزوجها وكان فى مجلس قضائه تنزل به النوازل فيقوم اليها فتشير عليه بما يحكم به فكتب اليه بعض

أصحابه مداعبا بقوله

بلوشة قاض له زوجة * وأحكامها فى الورى ماضيه
فيا ليته لم يكن قاضيا * ويا ليتها كانت القاضيه

فأطلع زوجته عليه حين قرأه فقالت ناولنى القلم فناولها فكتبت بديهة

هو شيخ سوء مزدرى * له شيوب عاصيه
كلا لئن لم ينته * لنسفعا بالناصيه

وسمعت بعض أشياخنا يحكى القضية عن لسان الدين بن الخطيب وانه هو الذى كتب يداعب زوج المرأة فكتبت اليه

ان الامام ابن الخطيب * له شيوب عاصيه الى آخره فالله أعلم

*(ومنهن) نزهون الغرناطية قال فى المغرب من أهل المائة الخامسة ذكرها الحجارى فى المسهب ووصفها بخفة الروح والانطباع الزائد والحلاوة وحفظ الشعر والمعرفة بضرب الامثال مع جمال فائق وحسن رائق وكان الوزير أبو بكر بن سعيد أولع الناس بمحاضرتها ومذاكرتها ومراسلتها فكتب لها مرة

يا من له ألف خل * من عاشق وصديق
أرالك خليت للنا * س منزلا فى الطريق

فأجابته حللت أبا بكر محلا منعته * سوالك وهل غير الحبيب له صدرى
وان كان لى كم من حبيب فانما * يقدم أهل الحق حب أبى بكر

قيل لو قالت وان كان خلانى كثيرا الخ لكان أجود ولما قال فيها المخزومى

على وجه نزهون من الحسن مسحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا
قواصد نزهون توارك غيرها * ومن قصد البحر استقل السواقيا

قالت ان كان ما قلت حقا * من بعض عهد كريم
فصار ذكرى ذميما * يعزى الى كل لوم
وصرت أقبح شئ * فى صورة المخزومى

وقد تقدمت حكايتها فى الباب الاول من هذا فليتراجع *وقال لها بعض الثقلاء ما على من أكل معك خمسمائة سوط فقالت

وذى شقوة لما رآنى رأى له * تمنيه يصلى معى جاحم الضرب
فقلت له كلها هنيئا فانما * خلقت الى لبس المطارف والشرب

وقال ابن سعيد فى طالعه لما وصف وصول ابن قزمان الى غرناطة واجتماعه بجنته بقرية الزاوية من خارجها بنزهون القلاعية الاديبة وما جرى بينهما وانها قالت له بعقب ارتجال بديع وكان يلبس غفارة صفراء على زى الفقهاء حينئذ أحسنت يا بقرة بنى اسرائيل الا أنك لا تسر الناظرين فقال لها ان لم أسر الناظرين فأنا أسر الساممين وانما يطلب سرور الناظرين منك يا فاعلة يا صانعة وتمكن السكر من ابن قزمان وآل الامر الى أن تدافعوا معه حتى رموه فى البركة فخرج الا وهو قد شرب كثيرا من الماء وثيابه تهطل فقال اسمع

ومروان فقال الاشدق لمروان هل لك فيما أقوله لك فهو خير لى ولك قال مروان وما هو قال أدعو الناس اليك وآخذها لك على أن تكون لى من بعدك فقال مروان لا بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية فرضى الاشدق بذلك ودعا الناس الى بيعة مروان فأجابوا ومضى الاشدق الى حسان بن مالك بالاردن فأرغبه فى بيعة مروان فخنع لها وبويع مروان بن الحكم ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى أبا عبد الملك وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان وذلك بالاردن وكان أول من بايعه أهلها وتمت بيعته وكان مروان أول من أخذها بالسيف كرها على ما قيل بغير رضا من عصبة من الناس بل كل خوفه الا عددا يسيرا حملوه على وثوبه عليها وقد كان غيره ممن سلف أخذها بعدد وأعوان الا مروان فانه أخذها على ما وصفنا وبايع مروان بعده لخالد بن يزيد ولعمرو بن سعيد الاشدق بعد خالد وكان مروان يلقب بخيط باطل وفى ذلك يقول عبد الرحمن بن الحكم

لحا الله قوما أمرواخيط باطل * على الناس يعطى ما يشاء ويمنع واشترط حسان بن مالك وكان رئيس قطقان وسيدها بالشأم

ألفين ألفين وان مات قام ابنه أو ابن عمه مكانه وعلى أن يكون لهم الامر والنهى وصدر المجلس وكل ما كان من حل وعقد فمن رأى منه ومشورة فرضى مروان بذلك وانقاد اليه وقال له مالك بن هبيرة السكرى انه ليست لك فى أعناقنا بيعة وليس نقاتل عن عرض دنيا فان تكن لنا على ما كان لنا معاوية ويزيد نصرناك وان تكن الاخرى فوالله ما قريش عندنا الا سواء فأجابه مروان الى ما سأل وسار مروان نحو الضحاك ابن قيس الفهرى وقد انحازت قيس وسائر مضر وغيرهم من نزار الى الضحاك ومعه أناس من قضاعة عليهم وائل بن عمرو العدوى وكانت معه راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابيه وأظهر الضحاك ومن معه خلافة ابن الزبير والتفى مروان والضحاك ومن معهما بمرج راهط على أميال من دمشق فكانت بينهم الحروب سجالا وكثرت اليمانية عليهم وبواديها مع مروان فقتل الضحاك ابن قيس رئيس جيش ابن الزبير قتله رجل من تيم اللات وقتل معه نزاروا كثرهم من قيس

يا وزير ثم أنشد

ايه أبا بكر ولا حول لى * بدفع أعسان وانذال
وذات فرج واسع دافق * بالماء يحكى حال أذيالى
غرقتنى فى الماء ياسيدى * كفره بالتغريق فى المال

فأمر بتجريد ثيابه وخلع عليه ما يليق به ومراهم يوم بعد عهدهم بمثله ولم ينتقل ابن قزمان من غرناطة الامن بعد ما أجزل له الاحسان ومدحه بما هو ثابت له فى ديوان أجزاله ٣ وحكى عنه فيما أظن أعنى ابن قزمان ويحتمل انه غيره انه تبع احدى الماجنات وكان أحول فأعجبته فى نفسها وأشارت اليه أن يتبعها فاتبعها حتى أتت به سوق الصاغة باشبيلية فوقفت على صائغ من صياغها وقالت له يا معلم مثل هذا يكون فص الخاتم الذى قلت لك عنه تشير الى عين ذلك الاحول الذى تبعها وكانت قد كلفت ذلك الصائغ أن يعمل لها خاتما يكون فصه عين ابليس فقال لها الصائغ جئينى بمثال فانى لم أر هذا ولا سمعت به قط وحكاها بعضهم على وجه آخر وانها ذهبت الى الصائغ وقالت له صور لى صورة الشيطان فقال لها ائتينى بمثال فلما تبعها ابن قزمان جاءته به وقالت له مثل هذا فسأل ابن قزمان الصائغ فخجل ولعنها وكتب ابن قزمان على باب جنته

وقائل ياحسنها جنة * لا يدخل الحزن على بابها
فقلت والحق له صولة * أحسن منها مجدد أربابها

وله

كثير المال تمسكه فيفنى * وقد يبقى مع الجود القليل
ومن غرست يداه ثمار جود * ففى ظل الثناء له مقيل

(رجع) الى أخبار نزهون حكى انها كانت تقرأ على أبى بكر المخزومى الاعمى فدخل عليهما أبو بكر الكتندى فقال يخاطب المخزومى * لو كنت تبصر من تجالسه * فأفحم وأطال الفكر فما وجد شيأ فقالت نزهون * لغدوت أخرس من خلا خله

البدر يطلع من ازرته * والغصن يمرح فى غلائله

وكانت ناجبة ومن شعرها قولها

لله در الياسمى ما أحيسنها * وما أحيسن منها ليلة الاحد
لو كنت حاضر نافيها وقد غفلت * عين الرقيب فلم تنظر الى أحد
أبصرت شمس الضحى فى ساعدى قمر * بل ريم خازمة فى ساعدى أسد

وهذا المعنى متفق مع قول ابن الزقاق

ومرتجة الارداف أما قوامها * فلدن وأما ردفها فرداح
ألمت فبات الليل من قصر بها * يطير ولا غير السرور جناحا
فبت وقد زارت بانعم ليلة * يعانقنى حتى الصباح صباح
على عاتقى من ساعديها حمائل * وفى خصرها من ساعدى وشاح

وابن الزقاق هذا له فى النظم والغوص على المعانى الباع المديد ومن نظمه

رئيس الشرق محمود السجايا * يقصر عن مدائحه البليغ

نسمه يحيى وهو ميت * كما ان السليم هو اللديغ
يعاف الورد ان ظمئت حشاه * وفى مال اليتيم له ولوغ

وقوله
كتبت ولو أنى أستطيع * لاجلال قدرك بين البشر
قددت اليراعة من أنملى * وكان المداد سواد البصر

وقوله
غر يريارى الصبح اشراق خده * وفى مفرق الظلماء منه نصيب
ترف بفيه ضاحكا اقحوانة * ويهتز فى برديه منه قضيب

وقوله
ومهفهف نبت الشقيق بخده * واهتز أملود النقا فى برده
ماء الشبيبة والغرام أرق من * صقل الحسام المنتقى وفرنده
يحيى الورى بتحيته من وصله * من بعد ما وردوا الحمام بصده
ان كنت أهديت الفؤاد له فقل * أى الجوى بجوانح لم يهده

وقوله
أرق نسيم الصبا عرفه * وراق قضيب النقا عطفه
ومر بنا يتهادى وقد * نضى سيف أجفانه طرفه
ومد لمبسمه راحة * فخلت الاقاح دنا قطفه
اشارت بتقبيلها للسلام * فقال فى ليتنى كفه

وقوله
بأبى من لم يدع لى لحظه * فى الهوى من رمق حين رمق
جمعت نكهته فى ثغره * عبقا فى فلق يسبى الحدق
وبدت خجلته فى خده * شفقا فى فلق تحت غسق

وقال
وعشية لبست ملاءة شقيق * تزهى بلون للخدود أنيق
أبقت بها الشمس المنيرة مثل ما * أبقى الحياء بوجنتى معشوق
لو أستطيع شربتها كلفابها * وعدلت فيها عن كؤس رحيق

وقال فى مسامرة كتاب زعماء

لله ليلتنا التى استجدى بها * فلق الصباح لسدفة الاظلام
طرأت على مع النجوم بأنجم * من فتية بيض الوجوه كرام
ان حوربوا فزعوا الى بيض الظبا * أو خوطبوا فزعوا الى الاقلام
فترى البلاغة ان نظرت اليهم * والبأس بين براعة وحسام

وقال
ومجدين فى السرى قد تعاطوا * غفوات الهوى بغير كؤس
جنحوا وانحنوا على العيس حتى * خلتهم يعتبون أيدى العيس
نبذوا الغمض وهو حلو الى أن * وجدوه سلافة فى الرؤس

وقال
وحبيب يوم السبت عندى أننى * ينادمنى فيه الذى أنا أحببت
ومن أعجب الاشياء أنى مسلم * حنيف ولكن خير أيامى السبت

ولنقتصر من نساء الاندلس على هذا المقدار ونعد الى ما كنا فيه من جلب كلام بلغاء الاندلس ذوى الاقدار فنقول قال الخفاجى رحمه الله تعالى

وهاتفة فى البان تملى غرامها * علينا وتتلو من صبابتها صحفا

والمال لا يؤخذ الا غصبا
دعوت غسانا لهم وكلبا
والكسكسين رجالا غلبا
والقين تمشى فى الحديد نكبا
والاعوجيات يثبن وثبا
يحملن سروات ودينا صلبا

وفى ذلك يقول أخوه عبد الرحمن بن الحكم

أرى أحاديث اهل المجد قد بلغت
أهل الفرات وأهل الفيض والنيل

وكان زفر بن الحرث العامرى ثم الكلابى مع الضحاك فلما أمعن السيف فى قومه ولى ومعه رجلان من بنى سليم فقص فرساهما وغشيتهما اليمانية من خيل مروان فقالا له انج بنفسك فانا مقتولان فولى راكضا ولحق الرجلان فقتلا وفى هذا اليوم يقول زفر بن الحرث الكلابى من أبيات كثيرة

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط
لمروان صدعا بينا متناثيا
فقد بيدت المرعى على دمن الثرى
وتبقى حزازات النفوس كما هيا
أرينى سلاحى لا أبا لك انني
أرى الحرب لا يزداد الا تماديا
أتذهب كلب لم تنلها رماحنا
ونترك قتلى راهط هى ماهيا

فلم يرمنى نبوة بعد هذه * فرارى وتركى صاحبى ورائيا عشية أعدو فى الغريفين لا أرى *

من القوم الامن على ولاليا * أيذهب يوم واحد ان أسأته بصالح أيامي وحسن بلائيا * أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا
ومقتل هما مم أمني الامانيا ٤٩٨ وتلاحق الناس ممن حضر الوقعة من أجنادهم بارض الشام وكان النعمان بن

بشير والياعلى حمص قد خطب لابن الزبير مما ثلا للضحاك فلما بلغه قتله وهزيمة الزبيرية خرج عن حمص هاربا فسار ليلته جمعاء متحيرا لايدرى أين يأخذ فاتبعه خالد بن عدى الكلاعي فمن خف معه من أهل حمص فلحقه وقتله وبعث برأسه الى مروان وانتهى زفر بن الحرث الكلابى فى هزيمته الى قرقيسيا فغلب عليها واستقام الشأم لمروان وبث فيه رجاله وعماله وسار مروان فى جنوده من الشأم الى أهل مصر فحاصرها وخندق عليها خندقا مما يلى المقبرة وكانوا زبيرية عليهم لابن الزبير عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم وسيد القسطاط يومئذ وزعيمها أبو رشدين كريب بن ابرهة بن الصباح فكان بينهم وبين مروان قتال يسير وتوافقوا على الصلح وقتل مروان أكدر بن الحمام صبرا وكان فارس مصر فقال أبو رشدين لمروان ان شئت والله أعدناها جذعة يعنى يوم الدار بالمدينة فقال مروان ما أشاء من ذلك شيأ وانصرف عنها وقد استعمل عليها ابنه عبد العزيز

عجبت لها تشكو الفراق جهالة * وقد جاوبت من كل ناحية الفا
ويشجى قلوب العاشقين أنينها * وما فهموا مما تغنت به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الاسى * لما لبست طوقا ولا خضبت كفا

وقال الاستاذ أبو محمد بن صارة

متى تلتقى عيناى بدر مكارم * تود الثريا أنها من مواطئه
ولما أهل المدلجون بذكره * وفاح تراب البيد مسكا لواطئه
عرفنا بحسن الذكر حسن صنيعه * كما عرف الوادى بخضرة شاطئه

وقال يتغزل

يا من تعرض دونه شحط النوى * فاستشرفت لحديثه اسماعى
انى لمن يحظى بقربك حاسد * ونواظرى يحسدن فيك رقاعى
لم تطوك الايام عنى انما * نقلتك من عينى الى أضلاعى

وقال الاديب أبو القاسم بن العطار

عبرنا سماء الجو والنهر مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم
وقد ألبسته الايك برد ظلالها * وللشمس فى تلك البرود رقوم

وله أيضا لله بهجة نزهة ضربت به * فوق الغدير رواقها الانسام
فمع الاصيل النهر درع سابغ * ومع الضحى يلتاح فيه حسام

وقال أيضا هبت الريح بالعشى فحاكت * زردا للغدير ناهيك جنه
وانجلى البدر بعد هذا فحاكت * كفه للقتال منه أسنه

وقال أيضا لله حسن حديقة بسطت لنا * منها النفوس سوالفا ومعاطف
تختال فى حلل الربيع وحليه * ومن الربيع قلائد ومطارف

وله وسنان ما ان يزال عارضه * يعطف قلبى بعطفة اللام
أسلمنى للهوى فواحزنى * أن سرنى عفتى واسلامى
لحاظه أسهم وحاجبه * قوس وانسان عينه رامى

وارتجل أبو جعفر بن حاتمة رحمه الله تعالى لما بات فى قرية بيش

لله منزلنا بقرية بيش * كاد الهوى فيها ادكارا لى يشى
رحنا اليها والبطاح كانها * صحف مذهبة بابريز العشى

فأجازه الوزير ابن جزى بقوله

فى فتية هزت حيا الانس من * أعطافهم فالكل منها منتشى
يأتى علاهم بالصحيح وفظهم * بالمنتقى وجمالهم بالمدهش

وقال السلطان أبو الحجاج الناصر النصرى مرتجلا أيام مقامه بظاهر جبل الفتح سنة ٨٢٥

ولم يتركوا أوطانهم بمرادهم * ولكن لاحوال أشابت مفارقى
أقام بها ليل التهانى تقلبا * وقد سكنت جهلا نفوس الخلائق
فعوضتها ليل الصبابة بالسرى * وأنس التلاقى بالحبيب المفارق

وقدم مروان الشأم فنزل الصبرة على ميلين من طبرية من بلاد الاردن فاحضر حسان بن مالك وأرغبه وأرهبه فقام حسان فى الناس خطيبا ودعاهم الى بيعة عبد الملك بن مروان بعد مروان وبيعة عبد العزيز بن ولم

ولم يثنني طرف من النور ناعس * ولا معطف للبان وسط الحدائق
ولا منهض الاشبال فى عقر غيرهم * ولا ملعب الغزلان فوق النمارق
وعاطيتها صهباء الدياجى مدامة * تميل بها الركبان فوق الاباتق
اذا ما قطعنا بالمطى تنوفة * دجنا لاخرى بالجياد السوابق
بحيث التقى موسى مع الخضر آية * عسى ترجع العقبى كموسى وطارق

وله من عاذرى من غزال زانه حور * قد هام لما بدا فى حسنه البشر
ألحاظه كسيوف الهند ماضية * لها بقلبى وان سالمتها أثر

وقال القاضى أبو القاسم بن حاتم

شكوت بما دهانى وكان سرا * لمن ليست مودته صحيحه
فقلت مصيبة عادت ثلاثا * لصحبتها الشماتة والفضيحه

وقال الفقيه محمد بن سعيد الاندلسى مخاطبا للغتيه الفغار

خفف علينا قليلا أيها العلم * فربما كان فينا من به ألم
لا يستطيع نهوضا من تألمه * وان تمادى قليلا حانت القدم
كفى وصية مولانا وسيدنا * محمد فاسمعوا ما قال والتزموا

وقال ابن جبير اليحصبى فيمن أهدى اليه تفاحا

خليلى لم يزل قلبى قديما * يميل بفرط صاغية اليه
أتانى مقبلا والبشر يبدى * وسائل برة كرمت لديه
وجاء بعرف تفاح ذكى * فقلت أتى الخليل بسيبويه
فأهدى من جناه بكل شكل * يلوح جمال مهديها عليه

وقال قاضى مالقة سيدى ابراهيم البدوى

قطعت يأسى فصنت وجهى * عن الوقوف لذى وجاهه
قصدت ربى فكان حسبى * ألبسنى فضله وجاهه
فلا يرى ينثنى عنانى * مدى حياتى الا التجاهه

وقال ابن خليل السكونى فى فهرسته شاهدت بجامع العديس باشبيلية ربعة مصحف فى أسفار يحيى به لنحو خطوط الكوفة الا انه أحسن خطا وابينه وأبرعه وأتقنه فقال لى الشيخ الاستاذ أبو الحسين بن الطفيل بن عظيمة هذا خط ابن مقلة وأنشد

خط ابن مقلة من ارعاه مقلته * ودت جوارحه لو أنها مقل

ثم قسناه وفه بالضابط فوجدنا أنواعها تتماثل فى القدر والوضع فالالفات على قدر واحد واللامات كذلك والكافات والواوات وغيرها بهذه النسبة انتهى (قلت) رأيت بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مصحفا بخط ياقوت المستعصمى بهذه المثابة وهو من الاوقاف الرستمية ورأيت بالحجرة الشريفة على صاحبها الصلاة والسلام مصحفا مكتوبا فى آخره ما صورته كتبته بقلم واحد فقط ما قط الا مرة فقط انتهى (رجع) وقال ابن عبد ون رحمه الله تعالى

أنه مات مطعونا ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ومنهم من رأى أن فاختة بنت أبى هاشم بن عتبة أم خالد ابن يزيد بن معاوية هى التى قتلته وذلك ان مروان حين أخذ البيعة لنفسه ولخالد بن يزيد بعده وعمرو ابن سعيد بن خالد ثم بداله غير ذلك فجعلها لابنه عبد الملك بعده ثم لابنه عبد العزيز ودخل عليه خالد بن يزيد فكلمه وأغلظ له فغضب من ذلك وقال أتكلمنى يا ابن الرطبة وكان مروان قد تزوج بأمه فاختة ليذله بذلك ويضع منه فدخل خالد على أمه ففتح لها تزوجها مروان وشكا اليها ما نزل به منه فقالت لا يعيبك بعدها فهم من رأى انها وضعت على نفسه وسادة وقعدت فوقها مع جواريها حتى مات ومنهم من رأى انها أعدت له لبنا مسموما فلما دخل عليها ناولته اياه فشرب فلما استقر فى جوفه وقع يجود بنفسه وامسك لسانه فحضره عبد الملك وغيره من ولده فجعل مروان يشير الى أم خالد يخبرهم انها قتلته وأم خالد تقول بأبى أنت حتى عند النزع لم تشتغل عنى انه يوصيكم بى حتى هلك

فكانت أيامه تسعة أشهر وأياما قلائل وقيل ثمانية وأشهر وقيل غير ذلك مما سنورده عند ذكرنا المدة التى هلكت فيها بنو أمية

من الاعوام فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وهلك مروان وهو ابن ثلاث وستين سنة وقد ذكر غير ذلك فى سنه وكان قصيرا أحمر ومولده لسنتين . . . خلتا من الهجرة وهلك بعد أخذ البيعة لولده بثلاثة أشهر وقد ذكر ابن أبى خيثمة فى كتابه فى التاريخ أن النبى صلى الله عليه وسلم توفى ومروان له ثمان سنين وكان لمروان عشرون أخا وثمان أخوات وله من الولد أحد عشر ذكرا وثلاث بنات وهم عبد الملك وعبد العزيز وعبد الله وأبان وداود وعمرو وأم عمرو وعبد الرحمن وأم عثمان وعمرو وأم عمرو وبشر ومحمد ومعاوية وقد ذكرناهؤلاء ومن أعقب منهم ومن لم يعقب وقد كان يزيد بن معاوية خلف من الولد أكثر مما خلف مروان وذلك أنه خلف معاوية وخالدا وعبد الله الاكبر وأبا سفيان وعبد الله الاصغر وعمرا وعاتكة وعبد الرحمن وعبد الله الذى لقبه الاصغر وعثمان وعتبة الاعور وأبا بكر ومحمدا ويزيد وأم يزيد وأم عبد الرحمن ورملة وصفية

(ذكر أيام عبد الملك بن مروان)

وبويع عبد الملك بن مروان ليلة الاحد غرة شهر رمضان من سنة خمس وستين ثم بعث الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن الزبير ومن معه من الناس بمكة فقتل عبد الله يوم الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وكانت ولاية ابن الزبير تسع سنين وعشر ليال ابن

أذهبن من فرقى الفراق نفوسا * ونثرن من در الدموع نفيسا
فتبعتها نظر الشجى فصدقت * رقباؤها نحوى عيونا شوسا
وحملن عقد الصبر اذ ودعننى * فحللن أفلاك الخدور شموسا
حلتـه اذ حلتـه حتى خلتـه * عرشا لها وحسبتها بلقيسا
فازور جانبها وكان جوابها * لو كنت تهوانا صحبت العيسا

وهى طويلة (قلت) ما أظن لسان الدين نسج قصيدته من هذا البحر والروى الا على منوال هذه وان كان الحافظ التنسى قال انه نسجها على منوال قصيدة أبى تمام حسبما ذكرنا ذلك فى محله فليراجع * وقال أبو عبد الله بن المناصف قاضى بلنسية ومرسية رحمه الله تعالى

ألزمت نفسى خمولا * عن رتبة الاعلام
لا يخسف البدر الا * ظهوره فى تمام

وتذكرت به قول غيره

ليس الخمول بعار * على امرئ ذى جلال
فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالى

وقال الوزير ابن عمار وقد كتب له أبو المطرف بن الدباغ شافعا لغلام طرله عذار

أتانى كتابك مستشفعا * بوجه أبى الحسن من رده
ومن قبل فضى ختم الكتاب * قرأت الشفاعة فى خده

وقال القاضى الاديب والفيلسوف الاريب أبو الوليد الوقشى قاضى طليطلة

برح بى أن علوم الورى * قسمان ما ان فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها * وباطل تحصيله لا يفيد

وقال أبو عبد الله بن الصفار وهو من بيت القضاء والعلم بقرطبة

لا تحسب الناس سواء متى * ما اشتبهوا فالناس أطوار
وانظر الى الاحجار فى بعضها * ماء وبعض ضمنه نار

وهذا مثل قول غيره

الناس كالارض ومنها هم * من خشن الطبع ومن لين
مر وتشكى الرجل منه الوجى * والمد يجعل فى الاعين

ومن نظم ابن الصفار المذكور

اذا نويت انقطاعا * فاعمل حساب الرجوع

وقال أبو مروان الجزيرى

ومن العجائب والعجائب جمة * أن يلهج الاعمى بعيب الاعور

وقال حسان بن المصيصى كاتب الظافر بن عباد ملك قرطبة

لا تأمنن من العدو لبعده * ان امرأ القيس اشتكى الطماحا

وقال الشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن عربى قدس سره العزيز فى كتابه الاسفار عن نتائج الاسفار أنشدنى الكاتب الاديب أبو عمرو بن مهيب باشبيلية بيتا تمامها فى جود بن ابراهيم

وسند كرمدة ابن الزبير بعد هذا الموضع من هذا الكتاب عند ذكرنا لجامع ملك بني أمية ثم هاجت فتنة ابن الاشعث في شعبان
من سنة اثنتين وثمانين ثم توفي عبد الملك بن مروان بدمشق يوم السبت لاربع عشرة مضت من ٥٠١ شوال سنة ست وثمانين
وكانت ولايته من منذ بويع الى ان توفي احدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا وبقي بعد عبد الله بن الزبير
واجتماع من اجتمع عليه من الناس ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر الا سبع ليال وسنذكر ما فعله من وقت استقامة من استقام له من الناس وقبض وهو ابن ست وستين سنة وقيل أكثر من ذلك وكان يحب الشعر والفخر والتقريظ والمدح وكان عماله على مثل مذهبه فالحجاج بالعراق والمهلب بخراسان وهشام ابن اسمعيل بالمدينة وغيرهم بغيرها وكان الحجاج من أظلمهم واسفكهم للدماء وسنذكر في هذا الكتاب جوامع من ذكره فيما يلي هذا الباب

(ذكر جمل من افعاله وسيره ولمع مما كان في أيامه ونوادر من اخباره)

ولما أفضى الامر الى عبد الملك بن مروان تاقت نفسه الى محادثة الرجال والاشراف في أخبار الناس فلم يجد من يصلح للمنادمة غير الشعبي فلما حمل اليه ونادمه قال له ياشعبي لاتساعدني على ما قبح ولاترده علي الخطأ في مجلسي ولاتكلفني جواب التشميت والتهنئة ولاجواب السؤال والتعزية ودع عنك كيف أصبح الامير وكيف أمسى وكلمني بقدر

ابن أبي بكر المرعي وكان أجمل أهل زمانه رآه عندنا زائرا وقد خط عذاره فقلت يا أبا عمرو ما تنظر الى حسن هذا الوجه فعمل الابيات في ذلك وهي

وقالوا العذار جناح الهوى * اذا ما استوى طار عن وكره
وليس كذاك لخبرهم * فما بعذري أو عذره
اذا كمل الحسن في وجنة * فخاتمه ويك من شعره

انتهى *قال بعضهم رأيت آخر الكتاب المذكور بعد فراغه شعرا نسبه اليه وهو

اما حاضرا بجماله في خاطري * ومحجبا بجلاله عن ناظري
ان غبت عن عيني فانك نورها * وضمير سرك سائري في سائري
ومن العجائب أنني أبدا الى * رؤيالك ذو شوق مديد وافر
مع انني ما كنت قط بمجلس * الا وكنت منادمي ومسامري

انتهى *وأنشد في الاحاطة لعبد الله الجذامي

اما سيدي أشكو لمجدك أنني * صددت مرارا عن مثولي بساحتك
شكاة اشتياق أنت حقا طبيبها * وما راحتي الا بتقبيل راحتك

قال وهو عبد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد الجذامي فاضل ملازم للقراءة عاكف على الخير مشارك في العربية خاطب للرياسة الادبية اختص بالامير أبي علي المنصور ابن السلطان أيام مقامه بالاندلس ومما خاطبه به معتذرا أياسيدي البيتين انتهى *وقال في ترجمة عبد الله بن أحمد المالقي قاضي غرناطة وكان فقيها بارع الادب انه كتب الى أبي نصر صاحب القلائد والمطمح أثناء رسالة بقوله

تفتحت الكتابة عن نسيم * نسيم المسك في خلق كريم
أبا نصر رسمت لها رسوما * تخال رسومها وضح النجوم
وقد كانت عفت فأثرت منها * سرى اجلاح في الليل البهيم
فتحت من الصناعة كل باب * فصارت في طريق مستقيم
فكتاب الزمان ولست منهم * اذا راموا مرامك في هموم
فما قس بابدع منك لفظا * ولا سحبان مثلك في العلوم

انتهى *وقال الذهبي وقد جرى ذكر محمد بن المسن المذحجي الاندلسي بن الكناني انه أديب شاعر متفنن ذو تصانيف حمل عنه ابن حزم ومن شعره

ألا قد هجرنا المجر واتصل الوصل * وبانت ليالي البين واجتمع الشمل
فسعدى نديمي والمدامة ريقها * ووجنتها روضي وتقبيلها النقل

وقال العلامة محمد بن عبد الرحمن الغرناطي

الشعب ثم قبيلة وعمارة * بطن وفخذ والفصيلة تابعه
فالشعب مجتمع القبيلة كلها * ثم القبيلة للعمارة جامعه
والبطن تجمعه العمائر فاعلمن * والفخذ تجمعه البطون الواسعه
والفخذ يجمع للفصائل هاكها * جاءت على نسق لها متتابعه

فخزيمة شعب وان كنانة * لقبيلة منها الفصائل شائعه
وقريشها تسمى العمارة يافتى * وقصى بطن للاعادى قامعه
ذاهاشم فخذوذاعباسها * أثر الفصيلة لاتناط بسابعه

وكتبت هذه الابيات وان لم تشتمل على بلاغة لما فيها من الفائدة ولان بعض الناس سألنى فيها الغرابتها والاعمال بالنيات * ولما دخل أبو محمد الكلابى الجيانى على القاضى ابن رشد قام له فأنشده أبو محمد بديهة

قام لى السيد الهمام * قاضى قضاة الورى الامام
فقلت قم بى ولا تقم لى * فقلما يؤكل القيام

وقال أبو عبد الرحمن بن حجاف البلنسى

لئن كان الزمان أراد حطى * وحاربنى بانياب وظفر
كفانى أن تصافينى المعالى * وان عاديتنى يا أم دفر
فما اعتز اللئيم وان تسامى * ولا هان الكريم بغير وفر

وقال أبو محمد بن برطلة

الا انما سيف الفتى صونفسه * فنافس بها وفى ذمة واخاء
يزينك مرأى أو يعينك حاجة * فيحسن حالى شدة ورخاء

وقال أيضا

أنفسى صبرا لاير وعلك حادث * بارتاجه واستشعرى عاجل الفتح
فرب اشتداد فى الخطوب لفرجة * كما انشق ليل طال عن فلق الصبح

وقال أيضا

متى يدنو لوعدكم انتجاز * ويبعد عن حقيقته المجاز
أيجعل أن يؤمكم رجائى * فيوقف لابرد ولا يجاز
وجدكم كفيل بالامانى * ومطلوبى قريب مستجاز
اذا ما امكنت فرص المساعى * فجائز أن يطاولها انتهاز
وها أنا قد هززتكم حساما * ويحسن للهنيدة اهتزاز
فما الانصاف أن ينضى كهام * ويودع غمده العضب الجراز
كما نعم العراق بعذب بحر * ويشقى بالظما البرح الحجاز
فاعيى الناس فى المقدار حلم * تجاذبه خمول واعتزاز

وأنشد الشيخ أبو بكر بن حبيش لابن وضاح البيت المشهور وهو

اسرى وأسير فى الآفاق من قر * ومن نسيم ومن طيف ومن مثل

وابن حبيش المذكور هو أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش بفتح الحاء وقد عرف به تلميذه ابن رشيد الفهرى فى رحلته فقال بعد كلام أما النظم فبيده عنانه وأما النثر فان مال اليه توكف له بنانه مع تواضع زائد على صلة مخبره عائد لقيته بمنزله ليوم أو يومين من مقدمى على تونس فتلقى بكل فن يونس وصادفته بحالة مرض من وثء فى رجله عرض وعنده جملة من العواد من الصدور الاجلاد فأدنى وقرب وسهل ورحب وتفاوض

ما استطعمك واجعل بدل صواب القول واذا سمعتنى أتحدث فلا يفوتنك منه شئ وأرنى فهمك من طرفك وسمعك ولا تجهد نفسك فى تطريتى صوابى ولا تستدع بذلك الزيادة فى كلامى فان اسوأ الناس حالا من استكد الملوك بالباطل وان اسوأ الناس حالا منهم من استخف بحقهم

واعلم ياشعبى أن أقل من هذا يذهب بسالف الاحسان ويسقط حق الحرمة فان الصمت فى موضعه ربما كان أبلغ من المنطق فى موضعه وعند اصابته وفرصته وقال عبد الملك للشعبى يوما من أين يهب الريح قال لا علم لى يا أمير المؤمنين قال عبد الملك اما مهب الشمال فمن مطلع بنات نعش وأما مهب الصبا فمن مطلع الشمس الى مطلع سهيل وأما الجنوب فمن مطلع سهيل الى مغرب الشمس واما الدبور فمن مغرب الشمس الى مطلع بنات نعش وفى سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة وتلاقوا بالتلاوم والتنادم حين قتل الحسين فلم يغيثوه وروا انهم قد اخطؤا خطأ كبيرا بدعاء الحسين اياهم ولم يجيبوه ولمقتله الى جانبهم فلم ينصروه و رأوا انهم لا يغسل عنهم ذلك الجرم

أولئك الصدور في فنون من الادب كانها الشذور الى أن خاضوا في الاحاجي واستضاؤا بأنوار أفكارهم في تلك الدياجي فخضت معهم في الحديث وأنشدتهم بيتين كنت صنعتهما وأنا حديث لقصة بلغتني عن أبي الحسن سهل بن مالك وهي انه كان يسائل أصحابه وهو في المكتب ويقول لهم أخرجوا اسمي فكل يفطق على تقديره فيقول لهم انكم لم تصيبوه مع انه سهل فنظمت هذا المعنى فقلت

وما اسم فكه سهل يسير * يكون مصغرا نجم يسير
مصحفه له في العين حسن * وقلبي عند صاحبه أسير

وكان الشيخ أبو بكر على فراشه فزحف مع مابه من ألم الى محبرة وطرس وقلم وكتب البيتين بخطه وقال للحاضرين اروا هذين البيتين عن قائلهما * ومن شيوخ ابن حبيش المذكور أبو عبد الله بن عسكر المالقي كتب له ولاخيه أبي الحسين بخطه اجازة جميع ما يجوز له وعنه وضمن آخرها هذه الابيات

اجبتكما لكن مقرا بانني * اقصر فيما رمتماه عن مداكما
فانكما بدران في العلم أشرقا * فسلم اذعانا وقسرا عداكما
فسيروا على حكم الوداد فانني * أجود بنفسي أن تكون فداكما

قال ابن رشيد وقد جمع صاحبنا أبو العباس الاشعري لابن حبيش فهرسة جامعة ولما وقف عليها ابن حبيش كتب في أولها ما نصه الحمد لله حق حمده أحسن هذا الفاضل فيما صنع أحسن الله اليه وبالغ فيما جمع بلغ الله تعالى به أشرف المراتب لديه غير أني أقول واحده ماسر يرتى لها بجاحده وأصرح بمقال لا يسعني كتمه بحال والله ما أنا للاجادة باهل ولا لامرها لدى بسهل اذ من شرط المجيز أن يعد فيمن كمل ويعد العلم والعمل اللهم غفرا كيف ينيل من عدم وفرا أو يجيز من أصبح صدره من المعارف قفرا وصحيفته من الصالحات صفرا وكيف يرتسم في ديوان الجله من يتسم بالافعال الخله ومتى يقترن الشبه بالابريز أو يوصف السكيت بالتبريز ومن ضعف النهى مجانسة الاقبار بالسها ومن أعظم التوبيخ تشييخ من لا يصلح للتشييخ وان هذا المجموع ليروق ويعجب ولكنه جمع لمن لا يستوجب وان القراءة قد تحصلت ولكن القواعد ما تأصلت وان القارئ علم ولكن المقروء عليه عدم ولقد شكرت لهذا السرى ما جلب وكتبت مسعفاله بما طلب وقرنت الى درره هذا النحشلب قلت وحلي عطل ونطق عطل مكره أخاك لا بطل والله سبحانه وتعالى ينفع بما أخلص له عند الاعتقاد ويسمح للبهرج عند الانتقاد كتبه العبد المذنب محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش اللخمي حامدا لله تعالى ومصليا على نبيه الكريم المصطفى وعلى آله أعلام الطهارة والهدى ومسلما تسليما * وكتب أيضا رحمه الله تعالى في جواب استجازة المسؤل مبذول ان شاء الله تعالى على التجيز ولكن شروط الاجازة موجودة في المجاز معدومة في المجيز والله تعالى يصفح بكرمه ومنه ويشكر كل فاضل على تحصيل ظنه وهو المسؤل سبحانه أن يحفظ بعنايته مهجاتهم ويرفع بالعلم والعمل درجاتهم ويمتعهم بالكمال الرائق المعجب ويقر بالنجيمين عين المنجب كتبه ابن حبيش انتهى

والمسيب بن محمد الفزاري وعبد الله بن سعد بن نفيل الازدي وعبد الله بن وال التميمي ورفاعة بن شداد البجلي فعسكروا بالنخيلة بعد أن كان لهم مع المختار ابن عبيد الثقفي خطب طويل بتثبيطه الناس عنهم عن أراد الخروج معهم ففي ذلك يقول عبد الله ابن الاحمر يحرض على الخروج والقتال من أبيات صحوت وقد صحوا الصبى والعواديا
وقلت لاصحابي أجيبوا المناديا
وقولوا له أذ قام يدعو الى الهدى
وقبل الدعا لبيك لبيك داعيا
في شعر طويل يحث فيه على الخروج ويرثي الحسين ومن قتل معه ويلوم شيعته بتخلفهم عنه ويذكر أنهم قد تابوا الى الله وأنابوا اليه من الكبائر التي ارتكبوها اذ لم ينصروه ويقول أيضا في هذا الشعر
ألا وانع خير الناس جدا ووالدا
حسينا لاهل الدين ان كنت ناعيا
لبيك حسينا مرمل ذو خصاصة
عديم وأمام تشكى المواليا
فاضحى حسين للرماح دريئة * وغودر مسلوبا لدى الطف ثاويا

وقال الوزير الكاتب أبو بكر بن القبطرنة يستجدي بازيا من المتصور بن الافطس صاحب بطليوس

يا أيها الملك الذي آباؤه * شم الانوف من الطراز الاول
حليت بالنعم الجسام قسيمة * عنقي فحل يدي كذاك بأجدل
وامنن به ضافي الجناح كأنما * جذبت قوائمه بريح شمأل
متلفتا والطل ينثر برده * منه على مثل اليماني المخمل
أغدو به عجلا أصرف في يدي * ريحا وآخذ مطلقا بمكبل

وأدخلت على المعتمد يوما بازكورة نرجس فكتب الى ابن عمار يستدعيه

قد زارنا النرجس الذكي * وآن من يومنا العشي
وعندنا مجلس أنيق * وقد ظمئنا وفيه روي
ولي خليل غدا سميي * باليته ساعد السمي

فأجاب ابن عمار

لبيك لبيك من مناد * له الندى الرحب والندى
ها أنا بالباب عبد قن * قبلته وجهك السني
شرفه والداه باسم * شرفته أنت والنبي

واصطبح المعتمد يوم غيم مع أم الربيع واحتجب عن الندماء فكتب اليه ابن عمار

تجهم وجه الافق واعتلت النفس * لان لم تلح للعين أنت ولا شمس
فان كان هذا منكما عن توافق * وضمكما أنس فيهنيكما الانس

فأجابه المعتمد بقوله

خليلي قولا هل على ملامة * اذا لم أغب الا لتحضرني الشمس
وأهدي باكواس المدام كواكبا * اذا أبصرتها العين هشت لها النفس
سلام سلام أنتما الانس كله * وان غبتما أم الربيع هي الانس

واستدعى جماعة من اخوان ابن عمار منه شرابا في موضع هو فيه مفقود فبعث لهم به وبرمانتين وتفاحتين وكتب لهم مع ذلك

خذاها مثل ما استدعيتما * عروسا لا ترف الى اللئام
ودونكم بها ثدين فتاة * أصفت اليهما خدي غلام

وشرب ذو الوزارتين القائد أبو عيسى بن لبون مع الوزراء والكتاب ببطحاء الرقة عند أخيه وابن اليسع غائب فكتب اليه

لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا * والمزن يسكن أحيانا وينحدر
والارض مصفرة بالمزن طافية * أبصرت دراعايه التبر ينتثر

وقال المجاري من القصيدة المشهورة * عليك أحالني الذكر الجميل * في وصف زيه البدوي المستقل وما في طيه

ومثلني بدن فيه خمر * يخف به ومنظره ثقيل

سقى الله قبرا ضم من المجد والتقى
بغربية الطف الغمام الغواديا
فيا أمة تاهت وضلت سفاهة
انيبوا فأرضوا الواحد المتعاليا
ثم ساروا يقدمهم من سميها من الرؤساء وعبيد الله ابن الاحمر يقول
خرجن يلمعن بنا أرسالا * عوابسا تحملنا أبطالا
تريد أن نلقى بها الاقيالا * القاسطين الغدر الضلالا
وقد رفضنا الولد والاموالا * والحفرات البيض والمجالا
نرضى به ذا النعم المفضالا
فانتهوا الى قرقيسياء من شاطئ الفرات وبها زفر بن الحرث الكلابي فاخرج اليهم الانزال وساروا من قرقيسياء ليسيقوا الى عين الوردة وقد كان عبد الله بن زياد توجه من الشام الى حربهم في ثلاثين الفا وانفصل على مقدمته من الرقة خمسة أمراء منهم الحصين بن نمير السلولي وشراحيل بن ذي الكلاع الحميري وادهم بن محرز الباهلي وربيعة بن المخارق الغنوي وجبلة بن عبد الله الخثعمي حتى اذا صاروا

ولما انصرف ابن سعيد عن ابن هود عذله ابن هود على تحوله عنه فقال النفس تواقه ومالى بغير التغرب طاقه ثم قال

يقولون لى ماذا الملال تقيم فى * محل فعند الانس تذهب راحلا
فقلت لهم مثل الحمام اذا شدا * على غصن أمسى بأخر نازلا

وقد رأيت أن اكفر ما تقدم ذكره من الهزل الذى أتينا به على سبيل الاحماض بما لا بد منه من الحكم والمواعظ وما يناسبها (فنقول) قال أبو العباس بن الخليل

فهموا اشارات الحبيب فهاموا * وأقام أمرهم الرشاد فقاموا
وتوسموا بمدامع منهلة * تحت الدياجى والانام نيام
وتلوا من الذكر الحكيم جوامعا * جمعت لما الالباب والافهام
ياصاح لو أبصرت ليلهم وقد * صفت القلوب وصفت الاقدام
لرأيت نور هداية قد حفهم * فسرى السرور وأشرق الاظلام
فهم العبيد الخادمون مليكهم * نعم العبيد وأفلح الخدام
سلموا من الآفات لما استسلموا * فعليهم حتى الممات سلام

وقال العالم الكبير الشهير صاحب التآليف أبو محمد عبد الحق الاشبيلى رحمه الله تعالى

قالوا صف الموت ياهذا وشدته * فقلت وامتد منى عندها الصوت
يكفيكم منه أن الناس ان وصفوا * أمر اروعهم قالوا هو الموت

وقال الخطيب الاستاذ أبو عبد الله محمد بن صالح الكنانى الشاطبى نزيل بجاية

جعلت كتاب ربى لى بضاعه * فكيف أخاف فقرا أو اضاعه
وأعددت القناعة رأس مال * وهل شئ أعز من القناعه

وقال القاضى الكبير الاستاذ الشهير أبو العباس أحمد بن العماز البلنسى نزيل أفريقية

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة * وأنت على سوء من الفعل عاكف
واياك أن تمضى من الدهر ساعة * ولا لحظة الا وقلبك واجف
و بادر باعمال تسرك أن ترى * اذا نشرت يوم الحساب الصحائف
ولا تيأسن من رحمة الله انه * لرب العباد بالعباد لطائف

وقال رحمه الله تعالى

أما آن للنفس أن تخشعا * أما آن للقلب أن يقلعا
أليس الثمانون قد أقبلت * فما لم تبق فى لذة مطمعا
تقضى الزمان ولا مطمع * لما قد مضى منه أن يرجعا
تقضى الزمان فواحسرتى * لما فات منه وما ضيعا
و ياو يلتاه لذى شيبة * يطيع هوى النفس فيما دعا
و بعدا وسحقا له اذ غدا * يسمع وعظا ولن يسمعا

وقال الاستاذ الزاهد أبو اسحق الالبيرى الغرناطى رحمه الله تعالى

كل امرئ فيما يدين يدان * سبحان من لم يخل منه مكان

الحصين بن غير بسهم فقتله فأخذ الراية المسيب بن نجبة الفزارى وكان من وجوه أصحاب على رضى الله عنه وكر على القوم وهو يقول

قد علمت ميالة الذوائب * واضحة اللبات والترائب
أنى غداة الروع والمقانب * أشجع من ذى لبدة مواثب
فقاتل حتى قتل فاستقتل الترابيون وكسروا أجفان السيوف وسالت عليهم عساكر أهل الشأم كالليل ينادون الجنة الجنة الى التقية من أصحاب أبى تراب الجنة الجنة الى الترابية وأخذ راية الترابيين عبد الله بن سعيد بن نفيل وأتاهم اخوانهم يحثون السير خلفهم من أهل البصرة وأهل المدائن فى نحو من خمسمائة فارس عليهم المثنى بن مخرمة وسعيد بن حذيفة وهم يقولون أقلنا ربنا تفريطنا فقد تبنا فقيل لعبد الله بن سعيد بن نفيل وهو فى القتال ان اخوانا قد لحقوا من البصرة والمدائن فقال ذاك لو جاؤا ونحن أحياء فكان أول من استشهد فى ذلك الوقت ممن لحقهم من أهل المدائن كثير بن عمرو المدنى وطعن

سعيد بن سعيد الحنفى وعبد الله بن الحنظل الطائى وقتل عبد الله بن سعيد بن نفيل فلما علم من بقى

وقال أبو العباس بن صقر الغرناطي أو المرى وأصله من سرقسطة

أرض العدو بظاهر متصنع * ان كنت مضطرا الى استرضائه
كم من فتى القى بوجه باسم * وجوانحى تتقد من بغضائه

وقال الكاتب الشهير الشهيد أبو عبد الله محمد بن الابار القضاعي البلنسي رحمه الله تعالى من أبيات

ياشقيق النفس أوصيك وان * شق فى الاخلاص ما تنتهجه
لاتبت فى كمد من كيد * رب ضيق عاد رحبا مخرجه
و بلطف الله أصبح واثقا * كل كرب فعليه فرجه

ولابن الابار المذكور ترجمة طويلة استوفيت منها ما أمكنني فى أزهار الرياض فى أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل للنفس به ارتياح وللعقل ارتياض قال الغبريني فى عنوان الدراية ولم يكن له من الشعر الا قصيدته السينية التي رفعها للامير أبى زكريا رحمه الله تعالى يستنجده و يستصرخه لنصرة الاندلس لكان فيها كفاية وان كان قد نقدها ناقد وطعن عليه فيها طاعن ولكن كما قال أبو العلاء المعرى

تكلم بالقول المضلل حاسد * وكل كلام الحاسدين هراء

ولو لم يكن له من التآليف الا كتابه المسمى بمعادن اللجين فى مراثى الحسين لكفاه فى ارتفاع درجته وعلو منصبه وسمو رتبته ثم قال توفى بتونس ضحوة يوم الثلاثاء الموفى عشرين لمحرم سنة ٦٥٨ ومولده آخر شهر ربيع سنة ٥٩٥ ببلنسية رحمه الله تعالى وسامحه انتهى

وقال ابن علوان انه يتصل سنده به من طرق منها من طريق الراوية أبى عبد الله محمد بن جابر القيسي الوادى آشي عن الشيخ المقرى المحدث المتبحر أبى عبد الله محمد بن حيان الاوسي الاندلسي نزيل تونس عنه ومن طريق والدى صاحب عنوان الدراية عن الخطيب أبى عبد الله بن صالح عنه انتهى (قلت) وسندى اليه عن العم عن التنسي عن أبيه عن ابن مرزوق عن جده الخطيب عن ابن جابر الوادى آشي به كما مر * وقال ابن عبدربه

بادر الى التوبة الخلصاء مجتهدا * والموت ويحك لم يمدد اليك يدا
وارقب من الله وعدا ليس يخلفه * لابد لله من انجاز ما وعدا

وقال الصدر أبو العلاء بن قاسم القيسي

ياواقف الباب فى رزق يؤمله * لاتقتنظن فان الله فاتحه
ان قدر الله رزقا أنت طالبه * لاتيأسن فان الله مانحه

وقال الاعمى التطيلي

تنافس الناس فى الدنيا وقد علموا * أن سوف تقتلهم لذاتها بددا
قل للمعدث عن لقمان أو لبد * لم يترك الدهر لقمانا ولا لبدا
وللذى همه البنيان يرفعه * ان الردى لم يغادر فى الثرى أحدا
مالابن آدم لاتفنى مطامعه * يرجو غدا وعسى أن لايعيش غدا

وقال أبو العباس التطيلي

فجاءهم جمع من الشام بعده
جموع كموج البحر من كل جانب
فما برحوا حتى أثيرت جموعهم
ولم ينج منهم ثم غير عصائب
وغودر أهل الصبر صرعى فاصبحوا
تعاورهم ريح الصبا والجنائب
وأضحى الخزاعى الرئيس مجدلا
كأن لم يقاتل مرة ويحارب
ورأس بنى سمح وفارس قومه
جميعا مع التيمى هادى الكتائب
وعمرو بن عمرو وابن بشر وخالد
وبكر وزيد والحليس بن غالب
أبوا غير ضرب يفلق الهام ضربه
وطعن باطراف الاسنة صائب
فيا خير جيش للعراق وأهله
سقيتم روايا كل أسحم ساكب
فلا تبعدن فرسانكم وحماتكم
اذا البيض أبدت عن خدام الكواعب
فان تقتلوا فالقتل أكرم ميتة
وكل فتى يوما لاحدى النوائب

وما قتلوا حتى أصابوا عصابة * محلين نورا كالليوث الضوارب وقيل ان وقعة الوردة كانت فى سنة ست وستين وفى ايام عبد الملك

ابن مروان توفى الحرث الاعور صاحب ٨٠ ه على عليه السلام وهو الذى دخل على على فقال يا امير المؤمنين الا ترى الى الناس قد اقبلوا على هذه الاحاديث وتركوا كتاب الله قال وقد فعلوها قال نعم قال أما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ارادالهدى فى غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم وهو الذى لاتزيغ عنه العقول ولا تلتبس به الالسن ولا تنقضى عجائبه ولا يعلم علم مثله هو الذى لما سمعته الجن قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد من قال به صدق ومن زال عنه عدا ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم خذها اليك يا أعور (ولما كان) ومن قصة عين الوردة ماقدمنا سار عبيد الله بن زياد فى عساكر الشأم يؤم العراق فلما انتهى الى الموصل وذلك فى سنة ست وستين التقى هو وابراهيم بن الاشتر النخعى وابراهيم على خيل العراق من قبل المختار بالجازر فكانت بينهم وقعة عظيمة قال

والناس كالناس الا أن تجربهم * وللبصيرة حكم ليس للبصر
كالليل مشتبهات فى مناسبها * وانما يقع التفضيل فى الثمر

وقال القاضى أبو العباس بن العماز البلنسى

من كان يعلم لا محالة انه * لابد أن يودى وان طال المدى
هلا استعد لمشهد يجزى به * من قد أعد من اهتدى ومن اعتدى

وقال أيضا

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة * وأنت على سوء من الفعل عاكف
واياك أن تمضى من الدهر ساعة * ولا لحظة الا وقلبك واجف
فبادر باعمال يسرك أن ترى * اذا طويت يوم الحساب الصحائف
ولا تيأسن من رحمة الله انه * لرب العباد بالعباد لطائف

ولما استوزر باديس صاحب غرناطة اليهودى الشهير بابن نقولة وأعضل داؤه المسلمين قال زاهد البيرة وغرناطة أبو اسحق الالبيرى قصيدته النونية المشهورة التى منها فى اغراء صنهاجة باليهود

الا قل لصنهاجة أجمعين * بدور الزمان وأسد العرين
مقالة ذى مقة مشفق * نصيح النصيحة دنيا ودين
لقد زل سيدكم زلة * أقر بها أعين الشامتين
تخير كاتبه كافرا * ولو شاء كان من المؤمنين
فعز اليهود به وانتموا * وسادوا وتاهوا على المسلمين

وهى قصيدة طويلة فثارت اذذاك صنهاجة على اليهود وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفيهم الوزير المذكور وعادة أهل الاندلس ان الوزير هو الكاتب فاراح الله العباد والبلاد ببركة هذا الشيخ الذى نور الحق على كلامه باد وقال أبو الطاهر الجيانى المشهور بابن أبى ركب بفتح الراء وسكون الكاف

يقول الناس فى مثل * تذكر غائبا تره
فمالى لا أرى سكنى * ولا أنسى تذكره

وكان أبو الطاهر هذا فى جملة من الطلبة فربهم رجل معه محبرة آبنوس تأنق فى حليتها واحتفل فى عملها فأراهم اياها وقال أريد أقصد بها بعض الاكابر وأريد أن تتمموا احتفالى بأن تصنعوا لى بينكم أبيات شعر أقدمها معها فأطرق الجماعة وقال أبو الطاهر

وافتك من عدد العلا زنجية * فى حلة من حلية تتبختر
صفراء سوداء الحلى كأنها * ليل تطرزه نجوم تزهر

فلم يغب الرجل عنهم الا يسيرا واذا به قد عاد اليهم وفى يده قلم نحاس مذهب فقال لهم وهذا أعددته للدفع مع هذه المحبرة فتفضلوا بأكمال الصنيعة عندى بذكره فبدر أبو الطاهر وقال

حملت باصفر من نجار حليها * تخفيه احيانا وحينا تظهر
خرسان الا حين يرضع ثديها * فتراه ينطق ما يشاء ويذكر

قال ابن الابار فى تحفة القادم وحضر يوما فى جماعة من أصحابه وفيهم أبو عبد الله بن زرقون فى شعبان فى مكان فلما تملؤا من الطعام قال أبو الطاهر لابن زرقون أجزيا أبا عبد الله وأنشد

حمدت لشعبان المبارك شبعة * تسهل عندى الجوع فى رمضان
كما حمد الصب المتيم زورة * تحمل فيها الهجر طول زمان

فقال دعوها بشعبانية ولوانهم * دعوها بشعبانية لكفانى

انتهى * وقال أبو عبد الله بن خميس الجزائرى

تحفظ من لسانك ليس شئ * أحق بطول سجن من لسان
وكن للصمت ملتزما اذا ما * أردت سلامة فى ذا الزمان

وقال أيضا

كن حارس بيتك مهما فتنة ظهرت * تخلص بدينك وافعل دائما حسنا
وان ظلمت فلا تحقد على أحد * ان الضغائن فاعلم تنشئ الفتنا

وقال مد الى أن خير الناس عيشا * من امنه الاله من الانام
فليس لخائف عيش لذيذ * ولو ملك العراق مع الشام

وله جانب جميع الناس تسلم منهم * ان السلامة فى مجانبة الورى
واذا رأيت من امرئ يوما أذى * لا تجزه أبدا بما منه ترى

وله من أدب ابنا له صغيرا * قرت به عينه كبيرا
وارغم الانف من عدو * يحسد نعماه كثيرا

وقال أبو محمد بن هرون القرطبى

بيد الاله مفاتح الرزق الذى * أبوابه مفتوحة لم تغلق
عجبا لذى فقر يكلف مثله * فى الوقت شيأ عنده لم يخلق

وقال أيضا

لعمرك ما الانسان يرزق نفسه * ولكنما الرب الكريم يسخره
وما بيد المخلوق فى الرزق حيلة * تقدمه عن وقته أو تؤخره

وقال الاديب الاستاذ أبو محمد بن صارة رحمه الله تعالى

يا من يصيخ الى داعى السقاة وقد * نادى به الناعيان الشيب والكبر
ان كنت لا تسمع الذكرى ففيم ثوى * فى رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الاصم ولا الاعمى سوى رجل * لم يهده الهاديان العين والاثر
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الاعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وان كرها * فراقها الثاويان البدو والحضر

وقال رحمه الله تعالى فى ابنة مات له

ألا يا موت كنت بنا رؤفا * فجددت الحياة لنا بزوره
جمادا لفعلك المشكور لما * كفيت مؤنة وسترت عوره
فأنكحنا الضريح بلا صداق * وجهزنا الفتاة بغير شوره

الكلاع وابن حوشب ذى ظليم وعبد الله بن اياس السلمى أبو سدس وغالب الباهلى وأشراف أهل الشام وذلك أن عمير بن الحباب السلمى كان على ميمنة ابن زياد فى ذلك الجيش وكان فى نفسه ما فعل بقومه من مضر وغيرهم من نزار يوم مرج راهط فصاح يا لثارات قيس يا لمضر يا لنزار فتزاحمت نزار من مضر وربيعة على من كان معهم فى جيشهم من أهل الشام من قحطان وقد كان عمير كاتب ابراهيم بن الاشتر سرا قبل ذلك والتقيا فتوطأ على ما ذكرنا وحمل ابراهيم بن الاشتر رأس ابن زياد وغيره الى المختار فبعث به المختار الى عبد الله ابن الزبير بمكة وقد كان عبد الملك بن مروان سار فى جيوش أهل الشام فنزل بطنان ينتظر ما يكون من ابن زياد فأتاه خبر مقتله ومقتل من كان معه وهزيمة الجيش بالليل وأتاه فى تلك الليلة مقتل جيش بن دلجة وكان على جيش بالمدينة لحرب ابن الزبير ثم جاءه خبر دخول بابل بن قيس فلسطين من قبل ابن الزبير ومسير مصعب بن الزبير من المدينة الى فلسطين ثم جاءه مسير ملك الروم لاوى بن فلقط ونزوله المصيصة يريد الشام ثم جاءه خبر دمشق وأن عبيدها

وأنشد أبو عبد الله بن الحاج البكري الغرناطي في بعض مجالسه قوله

ياغاديا في غفلة ورائحا * الى متى تستحسن القبائحا
وكم الى كم لاتخاف موقفا * يستنطق الله به الجوارحا
ياعجبا منك وكنت مبصرا * كيف تجنبت الطريق الواضحا
كيف تكون حين تقرا في غد * صحيفة قد ملئت فضائحا
أم كيف ترضى أن تكون خاسرا * يوم يفوز من يكون رابحا

وممن روى عنه هذه الابيات الكاتب الرئيس أبو الحسن بن الجياب وتوفي ابن الحاج المذكور سنة ٧١٥ رحمه الله تعالى * وقال حافظ الاندلس ومحدثها أبو الربيع سليمان ابن موسى بن سالم الكلاعي رحمه الله تعالى

الهي مضت للعمر سبعون حجة * ولي حركات بعدها وسكون
فيا ليت شعري أين أو كيف أومني * يكون الذي لابد أن سيكون

والصواب انهما لغيره كما ذكرته في غير هذا الموضع وبالجملة فهما من كلام الاندلسيين وان لم يحقق ناظمهما بالتعيين * وقال أبو بكر يحيى التطيلي رحمه الله تعالى

اليك بسطت الكف في لهمة الدجا * نداء غريق في الذنوب عريق
رجائي ضميري كي تخلص جملتي * وكم من فريق شافع لفريق

وحكي ان بعض المغاربة كتب الى الملك الكامل بن العادل بن أيوب رقعة في ورقة بيضاء ان قرئت في ضوء السراج كانت فضية وان قرئت في الشمس كانت ذهبية وان قرئت في الظل كانت حبرا أسود وفيها هذه الابيات

لئن صدتني البحر عن موطني * وعيني بأشواقها زاهره
فقد زخرف الله لي مكة * بأنوار كعبته الزاهره
وزخرف لي بالنبي يثربا * وبالملك الكامل القاهره

فقال الملك الكامل قل

وطيب لي بالنبي طيبة * وبالملك الكامل القاهره

وأظن أن المغربي أندلسي لقوله لئن صدتني البحر عن موطني فلذلك أدخلته في أخبار الاندلسيين على غير تحقيق في ذلك والله أعلم * وأنشد أبو الوليد المعروف بابن الخليع قال أنشدنا أبو عمر بن عبد البر النمري الحافظ

تذكرت من يبكي علي مداوما * فلم ألف الا العلم بالدين والخبر
علوم كتاب الله والسنن التي * أتت عن رسول الله مع صحة الاثر
وعلم الالى من ناقديه وفهمها * له اختلفوا في العلم بالرأي والنظر

وأنشد له أيضا

مقالة ذي نصح وذات فوائد * اذا من ذوي الالباب كان استماعها
عليكم بآثار النبي فانه * من أفضل أعمال الرشاد اتباعها

وقال أبو الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب الازدي الاليابري وسكن أبوه قرطبة

مكابرة وأن خيل الاعراب أغارت على حمص وبعلبك والبقاع وغير ذلك مما نمى اليه من المفظعات في تلك الليلة فلم ير عبد الملك في ليلة قبلها أشد ضحكا ولا أحسن وجها ولا أبسط لسانا ولا أثبت جنانا منه تلك الليلة تجلدا وسياسة للملوك فترك اظهار الفشل وبعث بأموال وهدايا الى ملك الروم فشغله وهادنه وسار الى فلسطين وبها بابل بن قيس على جيش ابن الزبير فالتقوا بأجنادين فقتل بابل بن قيس وعامة أصحابه وانهزم الباقون ومضى خبر قتله وهزيمة الجيش الى مصعب بن الزبير وهو في الطريق فولى راجعا الى المدينة ففي ذلك يقول رجل من كلب من المروانية

قتلنا بأجنادين سعدا وبابلا
قصاصا بما لاقى خنيس ومنذر

ورجع عبد الملك الى دمشق فنزلها وسار ابراهيم ابن الاشتر فنزل نصيبين وتحصن منه أهل الجزيرة ثم استخلف على نصيبين ولحق بالمختار بالكوفة وفي سنة سبع وستين سار مصعب بن الزبير من البصرة وقد كان أخوه عبد الله بن الزبير أنفذه الى العراق واليا فنزل حروراء

والتقى هو والمختار فكانت بينهم حروب عظيمة وقتل زريع وانهزم المختار وقد

عصيت هوى نفسي صغيرا وعندما * رمتني الليالي بالمشيب وبالكبر
أطعت الهوى عكس القضية ليتني * خلقت كبيرا وانتقلت الى الصغر

وقيل ان ابنه أبا الحسن علي بن عبد الملك قال بيتا مفردا في معنى ذلك وهو

هنيئا له اذ لم يكن كابنه الذي * أطاع الهوى في حالتيه وما اعتبر

وقيل ان هذا البيت رابع أربعة أبيات * وقال أبو اسحق بن خفاجة لما اجتمع به أبو العرب وسأله عن حاله وقد بلغ في عمره احدى وثمانين سنة فأنشده لنفسه

أي عيش أو غداء أو سنه * لابن احدى وثمانين سنه
قلص الشيب به ظل امرئ * طالما جر صباه حارسنه
تارة تسطو به سيئة * تسخن العين وأخرى حسنه

وقال أبو محمد عبد الوهاب بن محمد القيسي المالقي

الموت حصاد بلا منجل * يسطو على القاطن والمنجلي
لا يقبل العذر على حالة * ما كان من مشكل أو من جلي

وقال الشيخ عبد الحق الاشبيلي الازدي صاحب كتاب العاقبة والاحكام وغيرهما

ان في الموت والمعاد لشغلا * واد كارا لذي النهى وبلاغا
فاغتنم خطتين قبل المنايا * صحة الجسم يا أخي والفراغا

وقال أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني من أهل جليانة من عمل وادي آش

ألا انما الدنيا بحار تلاطمت * فما أكثر الغرقى على الجنبات
وأكثر من صاحبت يغرق الفه * وقل فتى ينجي من الغمرات.

وكان المذكور من أهل العلم والادب رحل وحج وتجول في البلاد ونزل القاهرة المعزية وكان أحد السياحين في الارض وله تآليف منها جامع اغلاط الوسائل في التعريض والخطب والرسائل وأكثره نظمه ونثره رحمه الله تعالى * وقال عبد العليم بن عبد الملك ابن حبيب القضاعي الطرطوشي

وما الناس الا كالصحائف عبرة * وألسنهم الاكمثل التراجم
اذا اشتجر الخصمان في فطنة الفتى * فقوله في ذاك أعدل حاكم

وقال أبو الحكم عبد المحسن البلنسي

من كان للدهر خدنا في تصرفه * أبدت له صفعة الدهر الاعاجيبا
من كان خلوا من الآداب سر به * من الليالي على الايام تأديبا

وقال أبو حاتم عمر بن محمد بن فرج من أهل مبرتلة مدينة بقرب الاندلس يمدح شهاب الدين القضاعي

شهاب السماء ضياؤها مستور * عنا اذا أفلت توارى النور
فانزع هديت الى شهاب نوره * متألق آماله تبصير
تشفي جواهره القلوب من العمى * ولطالما انشرحت بهن صدور

قتل محمد بن الاشعث وابنان له ودخل قصر الامارة بالكوفة وتحصن فيه وكان يخرج كل يوم لمحاربة مصعب وأصحابه وأهل الكوفة وغيرهم والمختار معه خلق كثير من الشيعة قد سموا الحسينية من الكيسانية وغيرهم فخرج اليهم ذات يوم وهو على بغلة له شهباء فحمل عليه رجل من بني حنيفة يقال له عبد الرحمن ابن أسد فقتله واحتز رأسه وتنادوا بقتله فقطعه أهل الكوفة وأصحاب مصعب أعضاء وأبى مصعب أن يعطي الامان لمن بقي في القصر من أصحابه فحاربوا الى أن أضربهم الجهد ثم أمنهم وقتلهم بعد ذلك فكان ممن قتل مع مصعب عبد الله بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وله خبر مع المختار في تخلصه منه ومضيه الى البصرة وخوفه على نفسه من مصعب الى أن خرج معه في جيشه وقد اتينا على خبره وسائر ما آل وما أليه في كتابنا أخبار الزمان فكان جملة من أدركه الاحصاء ممن قتله مصعب مع المختار سبعة آلاف رجل كل هؤلاء

طالبوا بدم الحسين وقتلوا أعداءه فقتلهم مصعب وسماهم الحسينية وتتبع مصعب الشيعة بالقتل بالكوفة وغيرها

والثانية ابنة النعمان بن بشير الانصارى وقالتا كيف تتبرأ من رجل يقول ربى الله كان صائم نهاره قائم ليله قد بذل دمه لله ولرسوله فى طلب قتلة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله وشيعته فامكنه الله منهم حتى شفى النفوس فكتب مصعب الى أخيه عبد الله يخبرهما وما قالتاه فكتب اليه أن رجعتا عما هما عليه وتبرأتا منه والا فاقتلهما فعرضهما مصعب على السيف فرجعت بنت سمرة ولعنته وتبرأت منه وقالت لو دعوتنى الى الكفر مع السيف لكفرت اشهد أن لمختار كافر وأبت ابنة النعمان بن بشير وقالت شهادة أرزقها فاتركها كلا انها موتة ثم الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته والله لا يكون آتى مع ابن هند فاتبعه واترك ابن أبى طالب اللهم اشهد أنى متبعة لنبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته ثم قدمها فقتلت صبرا فى ذلك يقول الشاعر

ان من أعجب الاعاجيب عندى ... قتل بيضاء حرة عطبول

قتلوها ظلما على غير جرم ... ان لله درهم من قتيل

كتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جر الذيول

فاذا أتى فيه حديث محمد ... خذ فى الصلاة عليه يا مغرور

وترحم على القضاعى الذى ... وضع الشهاب فسعيه مشكور

وقال الاستاذ أبو محمد غانم بن الوليد المخزومى المالقى

ثلاثة يجهل مقدارها ... الامن والصحة والقوت

فلا تشق بالمال من غيرها ... لو أنه در و ياقوت

وتذكرت بهذا قول الآخر

اذا ما القوت يأتى لك ... والصحة والامن

وأصبحت أخا حزن ... فلا فارقك الحزن

وكل ذلك أصله الحديث النبوى من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه معه قوت يومه فكأنما سيقت له الدنيا بحذافيرها وأخبرنا شيخنا القصار أبو عبد الله محمد بن قاسم القيسى مفتى مدينة فاس وخطيبها سنة عشر وألف قال حدثنا شيخنا أبو عبد الله محمد بن أبى الفضل التونسى نزيل فاس الشهير بخروف حدثنا الامام سيدى فرج الشريف الطغطغائى قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم يقول من أصبح آمنا فى سربه الحديث *(رجع)*

وقال الاستاذ العارف بالله سيدى أبو العباس أحمد بن العريف الاندلسى دفين مراكش وقد زرت قبره بها سنة ١٠١٠

اذا نزلت بساحتك الرزايا ... فلا تجزع لها جزع الصبى

فان لكل نازلة عزاء ... بما قد كان من فقد النبى

وقال رحمه الله تعالى

شدوا الرحال وقد نالوا المنى بمنى ... وكلهم بأليم الشوق قد باحا

راحت ركائبهم تندى روائحها ... طيبا بما طاب ذاك الوفد أشباحا

نسيم قبر النبى المصطفى لهم ... راح اذا سكروا من أجله فاحا

يا راحلين الى المختار من مضر ... زرتم جسوما وزرنا نحن أرواحا

أنا أقنا على شوق وعن قدر ... ومن أقام على عذر كمن راحا

وقال أبو محمد المحاربى

داء الزمان وأهله ... داء يعز له العلاج

أطلعت فى ظلمائه ... رأيا كما سطع السراج

لمعاشر أعيا تقا ... فى من قناتهم اعوجاج

كالدر ما لم تختبر ... فاذا اختبرت فهم زجاج

وقال أبو عبد الله غريب الثقفى القرطبى

تهددنى بمخلوق ضعيف ... يهاب من المنية ما أهاب

له اجل ولى اجل وكل ... سيبلغه حيث يبلغه الكتاب

وما يدرى لعل الموت منه ... قريب أينما منه المصاب

وله أيها الآمل ما ليس له ... طالما غرك جهلا أمله

ربما بات يمنى نفسه * خانه دون مناه أجله
وفتى بكر فى حاجاته * عاجلا أعقب ريثا عجله
قل لمن مثل فى أشعاره * يذهب المرء ويبقى مثله
نافس المحسن فى احسانه * فسكفيك مسيئا عمله

قال ابن الابار وهذا البيت الاخير فى برنامج الطبنى * وقال أبو الحسين سليمان بن الطراوة النحوى المالقى

وقائلة اتصبو للغوانى * وقد أضحى بمفرقك النهار
فقلت لها حثثت على التصابى * أحق الخيل بالركض المعار

وقال الحافظ أبو الربيع بن سالم

اذا رمت نفسى مجال أحلتها * على أمل ناء فقرت به النفس
وأنزل أرجاء الرجاء ركائبى * اذا رام الماما بساحتى اليأس
وان أوحشتنى من أمانى نبوة * فلى فى الرضا بالله والقدر الانس

وقال أبو الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهلى الاشبيلى مما أنشده لنفسه فى كتابه الذى سماه بالذخائر والاعلاق فى أدب النفوس ومكارم الاخلاق

اذا تم عقل المرء تمت فضائله * وقامت على الاحسان منه دلائله
فلا تنكر الابصار ما هو فاعله * ولا تنكر الاسماع ما هو قائله

وكان ابو المذكور من وزراء المعتمد بن عباد رحم الله تعالى الجميع * وقال أبو بكر الزبيدى اللغوى

اترك الهم اذا ما طرقك * وكل الامر الى من خلقك
واذا أمل قوم أحدا * فالى ربك فامدد عنقك

وقال القاضى أبو الوليد هشام بن محمد القيسى الشلبى المعروف بابن الطلاع وضت القاضى أبا محمد عبد الله بن شبرين ما يحذر من فتنة النظر الى الوجوه الحسان فقلت

لا تنظرن الى زى رونق أبدا * واحذر عقوبة ما يأتى به النظر
فكم صريع رأيناه صريع هوى * من نظرة قادها يوما له القدر

فاجابنى فى المعنى الذى انتحيته

اذا نظرت فلا تولع بتقليب * فربما نظرة عادت بتعذيب

ورب هنا للتكثير * وقال الاستاذ ابن حوط الله

أتدرى انك الحظا حقا * وأنك بالذى تاتى رهين
وتغتاب الاالى فعلوا وقالوا * وذاك الظن والافك المبين

قال فى الاحاطة أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عمر بن حوط الله الانصارى الحارثى كان فقيها جليلا اصوليا كاتبا أديبا شاعرا متفننا فى العلوم ورعا دينا حافظا ثبتا فاضلا درس كتاب سيبويه ومستصفى أبى حامد الغزالى وكان رحمه الله تعالى مشهورا بالعقل والفضل معظما عند الملوك معلوم القدر لديهم يخطب فى مجالس الامراء والمحافل الجمهورية

خمس وستين ونافع هو الذى تنسب اليه الازارقة من الخوارج اذ كنا أتينا فى كتابنا اخبار الزمان على ذكر حروب الخوارج مع المهلب وغيره من سلف وخلف وذكرنا شأن مرداس بن عمرو بن بلال التميمى وعطية بن الاسود الحنفى وأبى فديك وسودة الشيبانى ووقعة ابن الماجو الخارجى مع المهلب ومقتله وظفر المهلب بهم فى ذلك اليوم وخبر عبد ربه وأخبار خوارج اليمن كابى حزة المختار بن عوف الازدى وبيهس الهيصمى مع ما تقدم من ذكرنا لفرق الخوارج فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات من الاباضية وهم سراة عمان من الازد وغيرهم من الازارقة والنجدات والحمرية والصفرية وغيرهم من فرق الخوارج وبلدانهم من الارض مثل بلاد سنجار وتل أعفر من بلاد ديار ربيعة والسن والبواريج والحديثة مما يلى بلاد الموصل ثم من سكن من الاكراد بلاد اذربيجان وهم المعروفون بالسراة منهم وأسلم المعروف بابن سادلويه وقد كان ملك على أعمال ابن أبى الساج من

 بلاد اذربيجان واران والبيلقان وارمينية ومن سكن منهم بلاد سجستان وجبال هراة وهشتانه

ومن بلاد مكران على ساحل البحر بين بلاد السند وكرمان وأكثرهم صفرية

وبوشنج من بلاد خراسان وحمرية ومنهم ببلاد حمران اصطخر وصاهد بين كرمان وفارس ومنهم ببلاد تيهرت المغرب ومنهم ببلاد حضرموت وغيرها من بقاع الارض وفى سلطنة عبد الملك مات أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب فى سنة ثمان وستين وقيل فى سنة تسع وستين بالطائف وأمه لبابة بنت الحرث بن حزن من ولد عامر بن صعصعة وله احدى وسبعون سنة وقيل انه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وقد ذكر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أنه قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين وصلى عليه محمد بن الحنفية وكان قد ذهب بصره لبكائه على على والحسن والحسين وكانت له وفرة طويلة يخضب شيبه بالحناء وهو الذى يقول

ن يأخذ الله من عينى نورهما ففى لسانى وقلبى منهما نور
قلبى ذكى وعقلى غير مدخل وفى فمى صارم كالسيف مأثور

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم دعا له حين وضع له الماء للطهر فى بيت خالته ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وقيل لابن عباس وكان

مقدما فى ذلك بلاغة وفصاحة الى أبعد مضمار ولى قضاء اشبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة وسلا وميورقة فتظاهر بالعدل وعرف بما أبطن من الدين والفضل وكان من العلماء العاملين مجانبا لاهل البدع والاهواء بارع الخط حسن التقييد وسمع الحديث فحصل له سماع لم يشاركه فيه أحد من أهل الغرب وسمع على الجهابذة كابن بشكوال وغيره وقرأ أكثر من ستين تاليفا بين كبار وصغار وكل له على أبى محمد بن عبد الله بين قراءة وسماع نحو من ستة وثلاثين تأليفا منها الصحيحان وأكثر عن ابن حبيش وابن الفغار والسهيلى وغيرهم ومولده فى محرم سنة ٥٤١ ومات بغرناطة سحر يوم الخميس ثانى ربيع الاول سنة ٦١٢ ونقل منها فى تابوته الذى أحدفيه يوم السبت تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة الى مالقة فدفن بها رحمه الله تعالى انتهى وبعضه بالمعنى مختصرا وللمذكور ترجمة واسعة جدا والمعتمد فى ذلك بلاغته وفصاحته الى أبعد مضمار ولى قضاء اشبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة وسلا وميورقة فتظاهر بالعدل وعرف بما أبطن من الدين والفضل وكان من العلماء العاملين مجانبا لاهل البدع والاهواء بارع الخط حسن التقييد وسمع الحديث فحصل له سماع لم يشاركه فيه أحد من أهل الغرب وسمع على الجهابذة كابن بشكوال وغيره وقرأ أكثر من ستين تاليفا بين كبار وصغار وكل له على أبى محمد بن عبد الله بين قراءة وسماع نحو من ستة وثلاثين تأليفا منها الصحيحان وأكثر عن ابن حبيش وابن الفغار والسهيلى وغيرهم ومولده فى محرم سنة ٥٤١ ومات بغرناطة سحر يوم الخميس ثانى ربيع الاول سنة ٦١٢ ونقل منها فى تابوته الذى أحدفيه يوم السبت تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة الى مالقة فدفن بها رحمه الله تعالى انتهى وبعضه بالمعنى مختصرا وللمذكور ترجمة واسعة جدا والمعتمد فى ذلك بلاغته وفصاحته الى أبعد مضمار ولى قضاء اشبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة وسلا وميورقة فتظاهر بالعدل وعرف بما أبطن من الدين والفضل وكان من العلماء العاملين مجانبا لاهل البدع والاهواء بارع الخط حسن التقييد وسمع الحديث فحصل له سماع لم يشاركه فيه أحد من أهل الغرب وسمع على الجهابذة كابن بشكوال وغيره وقرأ أكثر من ستين تاليفا بين كبار وصغار وكل له على أبى محمد بن عبد الله بين قراءة وسماع نحو من ستة وثلاثين تأليفا منها الصحيحان وأكثر عن ابن حبيش وابن الفغار والسهيلى وغيرهم ومولده فى محرم سنة ٥٤١ ومات بغرناطة سحر يوم الخميس ثانى ربيع الاول سنة ٦١٢ ونقل منها فى تابوته الذى أحدفيه يوم السبت تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة الى مالقة فدفن بها رحمه الله تعالى انتهى وبعضه بالمعنى مختصرا وللمذكور ترجمة واسعة جدا والمعتمد فى ذلك بلاغته

يحفى الفقير ويغشى الناس قاطبة * باب الغنى كذا حكم المقادير
وانما الناس أمثال الفراش فهم * يرون حيث مصابيح الدنانير

وقال تلميذه ابن الابار أنشدنى بعض اصحابنا عنه هذين البيتين ولم أسمعهما منه انتهى (قلت) وبهذا تعرف وهم من نسب البيتين الى عبد المهيمن الحضرمى وقد انشدهما ايضا ابن الجلاب الفهرى فى روح الشعر وروح الشعر * وقال أبو محمد القاسم بن الفتح الحجارى المعروف بابن افريولة

ركابى بارجاء الرجاء مناخة * ورائدها علمى بانك لى رب
وانك علام بما أنا قائل * كما أنت علام بما أضمر القلب
لئن آداها ذنب تولت بعبئه * لقد قرعت بابا به يغفر الذنب

وقال أيضا

عجبا لحبر قد تيقن انه * سيرى اقتراف يديه فى ميزانه
ثم امتطى ظهر المعاصى جهرة * لم يثنه التأنيب عن عصيانه
أنى عصى ولكل جزء نعمة * من نفسه وزمانه ومكانه

وقال الشاعر الكبير الشهير أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجبر الفهرى

ان الشدائد قد تغشى الكريم لأن * تبين فضل سجاياه وتوضحه
كبرد القين اذ يعلو الحديد به * وليس يا كله الا ليصلحه

وقال

لا تغبط المجد فى علمه * وان رأيت الخصب فى حاله
ان الذى ضيع من نفسه * فوق الذى ثمر من ماله

وقال أبو الحجاج يوسف بن احمد الانصارى المنصفى البلنسى

قالت لى النفس أتاك الردى * وأنت فى بحر الخطايا مقيم
هل اتخذت الزاد قلت اقصرى * هل يحمل الزاد لدار الكريم

وكان المنصف المذكور صالحا وله رحلة حج فيها ومال الى علم التصوف رحمه الله تعالى وله فيه أشعار رحلت عنه * وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن الصائغ القرشى الاموى الاندلسى مخمسا أبيات عز الدين بن جماعة قاضى القضاة رحمه الله تعالى

همم الابى على مقدار منصبه * وبسط راحته فى طى منصبه
ما أنت والدهر تشكو من تقلبه * يا مبتلى بقضاء قد بليت به
عليك بالصبر واحذر يا أخى جزعك
صبرا فالصبر فى حرب العداعدد * ذرا العدو يمته الغيظ والحسد
ولا يكن لك الا الله معتمد * واعلم بان جميع الخلق لو قصدوا
أذاك لم يقدروا والله قدروعك
أعلاك فى رتب غر معظمة * بالعرف معروفة بالعلم معلمة
ومن يناويك فى بهماء مظلمة * فاصرف هواك وجانب كل مظلمة
واصحب فديتك من بالنصح قد نفعك
قد اجتليت من الايام تبصرة * وقد كفاك الهدى والذكر تذكرة
فاشكر وقدم مع الاخلاص معذرة * واسال الملك فى الاسحار مغفرة
منه وكن معه حتى يكون معك

وتوفى المذكور بالقاهرة فى الطاعون العام سنة ٧٤٩ * وقال أبو عبد الله الحميدى الناس نبت وأرباب القلوب لهم * روض واهل الحديث الماء والزهر
من كان قول رسول الله حاكمه * فلا شهود له الا الالى ذكروا

وقال أيضا

من لم يكن للعلم عند فنائه * أرج فان بقاءه كفنائه
بالعلم يحيا المرء طول حياته * فاذا انقضى احياه حسن ثنائه

وقال ايضا

دين الفقيه حديث يستضىء به * عند الحجاج والا كان فى الظلم
ان تاه ذو مذهب فى قفر مشكلة * لاح الحديث له فى الوقت كالعلم

ولما تعرض بعض من لا يبالى بما ارتكب الى اصحاب الحديث بقوله

أرى الخير فى الدنيا يقل كثيره * وينقص نقصا والحديث يزيد
فلو كان خيرا كان كالخير كله * ولكن شيطان الحديث مريد
ولابن معين فى الرجال مقالة * فسئل عنها والمليك شهيد
فان يك حقا قوله فهى غيبة * وان يك زورا فالقصاص شديد

أجابه الامام أبو عبد الله الحميدى بقصيدة طويلة منها

وانى الى ابطال قولك قاصد * ولى من شهادات النصوص جنود
اذا لم يكن خيرا كلام نبينا * لديك فان الخير منك بعيد
وأقبح شىء أن جعلت لما أتى * عن الله شيطانا وذاك شديد

الحكمين فقال منعه من ذلك حائل القدر وقصر المدة ومحنة الابتلاء أما والله لو بعثنى مكانه لاعترضت مدارج نفسه ناقضا لما أبرم ومبرما لما نقض أسف اذا طار وأطير اذا أسف ولكن مضى قدر وبقى أسف ومع اليوم غد وللآخرة خير للمتقين وكان لابن عباس من الولد على وهو أبو الخلفاء من بنى العباس والعباس ومحمد والفضل وعبد الرحمن وعبيد الله ولبابة وأمهم رعبة بنت مسرح الكندية فاما عبيد الله ومحمد والفضل فلا اعقاب لهم (وفى سنة سبعين) قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد بن العاص الاشدق وهو عمرو بن سعيد بن العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان ذا شهامة وفصاحة وبلاغة واقدام وكان بينه وبين عبد الملك محادثات ومكاتبات وخطب طويل طلبا للملك وكان فيما كتب اليه عبد الملك انك لتطمع نفسك بالخلافة ولست لها بأهل فكتب اليه عمرو استدراج النعم ايالك أفادك البغى ورائحة الغدرة أو رثتك الغفلة زجرت عما وافقت عليه

وندبت الى ما تركت سبيله ولو كان ضعف الاسباب يؤيس المطالب ما انتقل سلطان ولا ذل عزيز وعن قريب يتبين

وما زلت في ذكر الزيادة مجملا * بها تبدئ التلبيس ثم تعيد
كلام رسول الله وحي ومن يرم * زيادة شئ فهو فيه عنيد

ومنها في ابن معين

وما هوا لا واحد من جماعة * وكلهم فيما حكوه شهود
فان صد عن حكم الشهادة جاهل * فان كتاب الله فيه عتيد
ولولا رواة الدين ضاع واصبحت * معالمه في الآخرين تبيد
هم حفظوا الآثار من كل شبهة * وغيرهم عما اقتنوه رقود
وهم هاجروا في جمعها وتبادروا * الى كل أفق والمرام كؤد
وقاموا بتعديل الرواة وجرحهم * فدام صحيح النقل وهو جديد
بتبليغهم صحت شرائع ديننا * حدود تحروا حفظها وعهود
وصح لاهل النقل منها احتجاجهم * فلم يبق الا عاند وحقود
وحسبهم أن الصحابة بلغوا * وعنهم رووا لا يستطاع جحود
فمن حاد عن هذا اليقين فمارق * مريد لاظهار الشكوك مريد
ولكن اذا جاء الهدى ودليله * فليس لموجود الضلال وجود
وان رام أعداء الديانة كيدها * فكيدهم بالمخزيات مكيد

وقال ابو بكر محمد بن محمد بن محرز الزهري البلنسي والتزم الراء في كل كلمة

اشكر لربك وانتظر * في اثر عسر الامر يسرا
واصبر لربك وادخر * في ستر ضر الفقر أجرا
فالدهر يعثر بالورى * والصبر بالاحرار احرى
والوفر أظهر معشرا * والفقر بالاخيار يغرى

وقال ايضا

اقنع بما أوتيته تنل الغنى * واذا دهتك ملمة فتصبر
واعلم بان الرزق مقسوم فلو * رمنا زيادة ذرة لم نقدر
والله أرحم بالعباد فلا تسل * بشرا تعش عيش الكرام وتؤجر
واذا سخطت لضر حالك مرة * ورأيت نفسك قد عدت فاستبصر
وانظر الى من كان دونك تذكر * لعظيم نعمته عليك فتشكر

وقال الحافظ أبو محمد بن حزم أنشدني والدي أحمد بن سعيد بن حزم

اذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

وقال القاضي أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسي نزيل تونس

وقالوا أما تخشى ذنوبا أتيتها * ولم تك ذا جهل فتعذر بالجهل
فقلت لهم هبني كما قد ذكرتم * تجاوزت في قولي واسرفت في فعلي
أما في رضا مولى الموالي وصفحه * رجاء ومسلاة لمقترف مثلي

وانشد رحمه الله تعالى لنفسه في اليوم الذي مات فيه وهو آخر ما سمع منه ليلة عاشوراه

من صريع بغي وأسير غفلة الرحمة وخلف عمرو بن سعيد بدمشق فبلغه أن عمرا قد دعا الى بيعته بدمشق فكر راجعا اليها فامتنع عمرو فيها فناشده عبد الملك الرحم وقال له لا تفسد أهل بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة وفيما صنعت قوة ارجع الى بيعتك فاني سأجعل لك العهد فرضي وصالح ودخل عبد الملك وعمرو متميز منه في نحو خمسمائة يزولون معه حيث زال وقد تنازع أهل السير في كيفية قتل عبد الملك اياه فمنهم من رأى أن عبد الملك قال لحاجبه و يحك أتستطيع اذا دخل عمرو أن تغلق الباب قال نعم قال فافعل وكان عمرو رجلا عظيم الكبر لا يرى لاحد عليه فضلا ولا يلتفت وراءه اذا مشى الى أحد فلما فتح الحاجب الباب دخل عمرو فاغلق الحاجب الباب دون أصحابه ومضى عمرو لا يلتفت وهو يظن أن أصحابه قد دخلوا معه كما كانوا يدخلون فعاتبه عبد الملك طويلا وقد كان وصى صاحب حرسه ابا الزعيزعة بان يضرب عنقه فكلمه عبد الملك وأغاظ له القول فقال يا عبد الملك أتستطيل علي كأنك ترى لك علي فضلا ان شئت والله نقضت

العهد بيني وبينك ثم نصبت لك الحرب فقال عبد الملك قد شئت ذلك فقال وأنا قد

سنة ٦٩٣

ادعوك يارب مضطرا على ثقة * بما وعدت كما المضطر يدعوكا
دارك بعفوك عبد لم يزل أبدا * في كل حال من الاحوال يرجوكا
طالت حياتي ولما أتخذ عملا * الا محبة أقوام أحبوكا

وقال ابن الزقاق ويقال انها مكتوبة على قبره

أخواننا والموت قد حال دوننا * وللموت حكم نافذ في الخلائق
سبقتكم للموت والعمر طيبة * وأعلم أن الكل لابد لاحق
بعيشكم أو باضطجاعي في الثرى * ألم نك في صفو من العيش رائق
فمن مربي فليمض لي مترحما * ولابك منسيا وفاء الاصادق

وقال الخطيب أبو عبد الله محمد بن صالح الكناني الشاطبي ومولده سنة ٦١٤

أرى العمر يفنى والرجاء طويل * وليس الى قرب الحبيب سبيل
حباه الله الخلق أحسن سيرة * فما الصبر عن ذاك الجمال جميل
متى يشتفي قلبي بلثم ترابه * ويسمح دهر بالمزار بخيل
دلالت عليه في أوائل اسطري * فذاك نبي مصطفى ورسول

وقال أيمن بن محمد الغرناطي نزيل طيبة على ساكنها الصلاة والسلام

أرى حجرات قد أحاطت عراصها * ببحر محيط حصره غير ممكن
بحار المعاني والمعالي وان طمت * لدى لجه تفنى وعن هوله تنى
محمد المحمود في كل موطن * أبو القاسم المختار من خير معدن
نبي اذا أبصرت غرة وجهه * تيقنت أن العز عز المهيمن
لك الله من بدر اذا الشمس قابلت * محياه قالت ان ذا طالع سني

وله كل القلوب مطيعة لك في الهوى * جانب فديتك من تشا أووالى
الحسن وال والقلوب رعية * وعلى الرعية أن تطيع الوالى

وقال أيضا

الا أيها الباكي على مافوته * من الحظ في الدنيا جهلت وماتدري
على فوت حظ من جوار محمد * حقيق بأن تبكي الى آخر العمر
ستدري اذا قمنا وقد رفع اللوا * وأحدها دينا الى موقف الحشر
من الفائز المغبوط في يوم حشره * أجار النبي المصطفى أم أخوالوفر

وله فررت من الدنيا الى ساكن الحمى * فرار محب لا ئذ بحبيب
لجأت الى هذا الجناب وانما * لجأت الى سامي العماد رحيب
وناديت مولاي الذي عنده الغنى * نداء عليل في الزمان غريب
أمولاي اني قد أتيتك لائذا * وأنت طبيبي يا أجل طبيب
فقال لك البشرى ظفرت من الرضا * بأوفر حظ مجزل ونصيب
تناومت في أطلال ليل شبيبتي * فأدركني بالفجر صبح مشيبي

فعلت فقال عبد الملك يا أبا الزعيزعة شأنك فالتفت عمرو الى أصحابه فلم يرهم في الدار فدنا من عبد الملك فقال مايدنيك مني قال ليمسني رجلك وكانت أم عمرو عمة عبد الملك تحت الحكم بن أبي العاص بن وائل فضربه أبو الزعيزعة فقتله فقال له عبد الملك ارم برأسه الى أصحابه فلما رأوا رأسه تفرقوا ثم خرج عبد الملك فصعد المنبر وذكر عمرا فوقع فيه وذكر خلافه وشقاقه ونزل من المنبر وهو يقول

ادنيته مني لتسكن نفرة * فاصول صولة حازم مستمكن
غضبا ومحماة لدي انه * ليس المسي مسيله كالمحسن

وقيل ان عمرا خرج من منزله يريد عبد الملك فعثر بالبساط فقالت له امرأته نائلة بنت فرافصة بن وكيع بن مسعود أنشدك الله أن لاتأتيه فقال دعيني عنك فوالله لو كنت نائما ما أيقظني وخرج وهو مكفهر بالدرع فلما دخل على عبد الملك قام من هناك من بني أمية فقال عبد الملك وقد أخذت الابواب اني كنت حلفت لئن ملكتك لاشدنك في جامعة فاتي بجامعة فوضعها في عنقه وشدها عليه فايقن عمرو أنه قاتله فقال أنشدك الله يا أمير المؤمنين فقال له عبد الملك يا أبا أمية مالك جئت

في الدرع للقتال فايقن عمرو بالشر فقال أنشدك الله أن تخرجني الى الناس في الجامعة فقال له عبد الملك وتماكرني أيضا وأنا أمكر منك تريد أن اخرجك الى الناس فيمنعوك و يستنقذوك من يدي وخرج عبد الملك الى الصلاة وأمر أخاه عبد العزيز وقد كان قدم من مصر في ذلك اليوم بقتله اذا خرج وقد قيل أمر ابنه الوليد بذلك فلما دنا منه عبد العزيز ناشده عمرو بالرحم فتركه فلما رجع عبد الملك من الصلاة ورآه حيا قال لعبد العزيز والله ما أردت قتله من أجلكم الا أن لا يحوزها دونكم ثم أضجعه فقال له عمرو أغدرا يا ابن الزرقاء فذبحه ووالى أخو عمرو يحيى بن سعيد الى الباب بمن معه من رجاله ليكسره فخرج اليه الوليد وموالي عبد الملك فاقتتلوا واختلف الوليد و يحيى فضربه يحيى بالسيف على أليته فانصرع وألقى رأس عمرو الى الناس فلما رأوه تفرقوا من بعد أن ألقى عليهم من أعلى الدار بدر الدنانير فاشتغلوا بها عن القتال وقال عبد الملك وابيك لئن كانوا قتلوا الوليد لقد أصابوا بثارهم وقد كان الوليد فقد حين ضرب وذلك ان ابراهيم ابن عدي احتمله فادخله بيت القراطيس في المعمعة وأتى عبد الملك بيحيى بن سعيد واجتمعت الكلمة اعمل

وقال أبو بكر الزبيدي اللغوي

لولم تكن نار ولا جنة * للمرء الا انه يقبر
لكان فيه واعظ زاجر * ناهيك من يسمع أو يبصر

ولقد صدق رحمه الله تعالى ورضي عنه * ولبعض فقهاء طليرة

رأيت الانقباض أجل شئ * وادعى في الامور الى السلامه
فهذا الخلق سالمهم ودعهم * فرؤيتهم تؤول الى الندامه
ولا تعنى بشئ غير شئ * يقود الى خلاصك في القيامه

وأمر الكاتب أبو بكر بن مفاوز بكتب هذه الابيات على قبره وهي له

أيها الواقف اعتبارا بقبري * استمع فيه قول عظمي الرميم
أودعوني بطن الضريح وخافوا * من ذنوب كلومها باديمي
قلت لا تجزعوا علي فاني * حسن الظن بالرؤف الرحيم
ودعوني بما اكتسبت رهينا * غلق الرهن عند مولى كريم

وقال الخطيب بن صفوان

رأيتك يدنيني اليك تباعدي * فأبعدت نفسي لابتغائي في القرب
هربت له مني اليه فلم يكن * بي البعد في قربي فصح به قربي
فيارب هل نعمى على العبد بالرضا * ينال بها فوزا من القرب بالقرب

وقال الوادي آشي وهذا النظم معناه جليل وتكرار القرب وان قبح عند العروضي فهو عند المحب جميل وهم القوم يسلم لهم في الافعال والاقوال وترتجى بركتهم في كل الاحوال انتهى * وقال بعض قدماء الاندلس

سئمت الحياة على حبها * وحق لذي السقم أن يسأما
فلا عيش الا لمن لم يزل * يقارب في دينه مأثما
فلست تعالج جرح الهوى * هديت بمثل التقى مرهما

وقال أبو جعفر أحمد السياسي القيسي المري

اذا ما جنى يوما عليك جناية * فلوم يدق السمر باسا ويقصف
فلا تنتقم يوما عليه بما جنى * وكل أمره للدهر فالدهر منصف

وقال أيضا

ليس حلم الضعيف حلما ولكن * حلم من لو يشاء صال اقتدارا
من تغاضى عن السفيه بحلم * أصبح الناس دونه أنصارا
من يزوج كريمة الهمة العلـ * ـياء علوا فقد أجاد الخيارا
سترى عند الولادة بينها الـ * ـعلم والحلم والاناة كبارا

وقال الخطيب الصالح أبو اسحق بن أبي العاصي

اعمل بعلمك توت علما انما * جدوى علوم المرء نهج الاقوم
واذا الفتى قد نال علما ثم لم * يعمل به فكأنه لم يعلم

وقال موطئا على البيت الاخير

أمولاى أنت العفو والكريم * لبذل النوال وللمعذره
على ذنوب و تخفيفها * ومن عندك الجود والمغفره

وقال الخطيب المتصوف الشهير أبو جعفر أحمد بن الزيات من بلش مالقة

يقال خصال أهل العلم ألف * ومن جمع الخصال الالف سادا
ويجمعها الصلاح فمن تعدى * مذاهبه فقد جمع الفسادا

وقال أيضا

ان شئت فوز بمطلوب الكرام غدا * فاسلك من العمل المرضى منهاجا
واغلب هوى النفس لا يغررك خادعه * فكل شئ يحط القدر منهاجا

وقال الاديب الكبير الشهير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة البكرى الشنترينى رحمه الله تعالى

بنو الدنيا بجهل عظموها * فخلت عندهم وهى الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على العقيره

وقال

أى عذر يكون لا أى عذر * لابن سبعين مولعا بالصبابه
وهو ما لم تبق منه الليالى * فى اناء الحياة الا الصبابه

وقال أيضا

ولقد طلبت رضا البرية جاهدا * فاذا رضاهم غاية لا تدرك
وأرى القناعة للفتى كنزا له * والبر أفضل ما به يتمسك

وقال أبو محمد بن صاحب الصلاة الدانى ويعرف بعبدون

وعجل شيبى ان ذا الفضل مبتلى * بدهر غداة النقص فيه مؤملا
ومن نكد الدنيا على المرء أن يرى * بها الحر يشقى والئيم مموّلا
متى ينعم المعتر عينا اذا اعتفى * جوادا مقلا أو غنيا مبخلا

وقال أبو الحكم عبيد الله الاموى مولاهم الاندلسى

اذا كان اصلاحى بجسمى واجبا * فاصلاح نفسى لا محالة أوجب
وان كان ما يفنى الى النفس محببا * فان الذى يبقى الى العقل أعجب

وقال الفقيه الزاهد أبو اسحق ابراهيم بن مسعود الالبيرى رحمه الله تعالى

لله اكياس جفوا أوطانهم * فالارض أجمعها لهم أوطان
حالت عقولهم مجال تفكر * وجلالة فبدا لها الكتمان
ركبت بحار الفهم فى فلك النهى * وجرى بها الاخلاص والايمان
فرست بهم لما انتقوا بحفونهم * مرسى لهم فيه غنى وأمان

وقال أبو جعفر بن خاتمة رحمه الله تعالى

يا من يغيث الورى من بعد ما قنطوا * ارحم عبادا أكف الفقر قد بسطوا
عوّدتهم بسط أرزاق بلا سبب * سوى جميل رجا منحوه وانبسطوا

ثم عاد من العراق الى باجيراء ففى ذلك يقول الشاعر أبيت يا مصعب الاسيرا * فى كل يوم لك باجيرا

آتينا على ذلك فى كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا شعر أخته فيه وكانت تحت الوليد بن عبد الملك فيما يرد من هذا الكتاب فى أخبار المنصور اذ هو الموضع المستحق له دون هذا الموضع لما تغلغل بنا الكلام وتسلسل بنا القول نحوه وأقام عبد الملك بدمشق بقية سنة سبعين وقد كان مصعب بن الزبير خرج حين صفا له العراق بعد قتل المختار وأصحابه حتى انتهى الى الموضع المعروف بباجيراء مما يلى الجزيرة يريد الشأم لحرب عبد الملك فبلغه مسير خالد بن عبد الله ابن خالد بن أسيد من مكة الى البصرة فى ولده وعدة من مواليه نا كثا البيعة عبد الله بن الزبير فنزل بعض نواحى البصرة وان قوما قد انضافوا اليه من ربيعة ومنهم عبد الله بن الوليد ومالك بن مسمع البكرى وصفوان بن الايهم التميمى وصعصعة بن معاوية عم الاحنف فكانت لهم بالبصرة حروب كانت آخرها على خالد بن عبد الله فخرجها ربابا بينه حتى لحقوا بعبد الملك وانصرف مصعب راجعا الى البصرة وذلك فى سنة احدى وسبعين

وعدت بالفضل في و ردوفي صدر * بالجود ان اقسطوا والحلم ان قسطوا
عوارف ارتبطت شم الانوف لها * وكل صعب بقيد الجود يرتبط
يامن تعرّف بالمعروف فاعترفت * بجم انعامه الاطراف والوسط
وعالما بخفيات الامور فلا * وهم يجوز عليه لا ولا غلط
عبد فقير ببابالجود منكسر * من شأنه أن يوافي حين ينضغط
مهما أتى لمدّ الكف أخجله * قبائح وخطايا أمرها فرط
ياواسعا ضاق خطو الخلق عن نعم * منه اذا خطبوا في شكرها خبطوا
وناشرا بيد الاجمال رحمته * فليس يلحق منه مسرفا قنط
ارحم عبادا بضنك العيش قد قنعوا * فانما سقطوا بين الورى لقطوا
اذا توزعت الدنيا فما لهم * غير الجنة لحف والثرى بسط
لكنهم من ذرا عيالك في نمط * سام رفيع الذرا ماوقه نمط
ومن يكن بالذي يهواه مجتمعا * فما يبالي أقام الحي أم شحطوا
نحن العبيد وأنت الملك ليس سوى * وكل شئ يرجى بعد ذا شطط

وقال رحمه الله تعالى

ملاك الامر تقوى الله فاجعل * تقاه عدّة لصلاح أمرك
وبادر نحو طاعته بعزم * فما تدري متى يمضي بعمرك

وقال أيضا

اذا كنت تعلم أن الامور * بحكم الاله كما قد قضى
ففيم التفكر والحكم ماض * ولارد للحكم مهما مضى
فخل الوجود كما شاءه * مدبره وابغ منه الرضا

وقال

اذا ما الدهر نابك منه خطب * وشد عليك من حنق عقاله
فكل لله أمرك لا تفكر * ففكرك فيه خبط في خباله

وقال

عدوّك داره ما اسطعت حتى * يعود لديك كالخل الشفيق
فما في الارض أردى من عدوّ * وما في الارض أجدى من صديق

وقال

ان اعرضت دنياك عنك بوجهها * وغدت ومنها في رضاك نزاع
فاحذر بنيها واحتفظ من شرهم * ان البنين لأمهم أتباع

وقال

يامجيب المضطر عند الدعاء * منك دائي وفي يديك دوائي
جذبتني الدنيا اليها بضبعي * ودعتني لحتفي وشقائي
يا الهي وأنت تعلم حالي * لاتذرني شماتة الاعداء

وقال الحافظ الكبير الشهير أبو عبد الله الحميدي صاحب الجمع بين الصحيحين رحمه الله تعالى

كتاب الله عز وجل قولي * وما صحت به الآثار ديني
وما اتفق الجميع عليه بدأ * وعودا فهو عن حق مبين
فدع ما صد عن هذي وخذها * تكن منها على عين اليقين

وقال

طريق الزهد أفضل ما طريق * وتقوى الله بادية الحقوق

وغزل عبد الملك بن مروان ابن الزبير فنزل على امامته وبايعه وسار عبد الملك فنزل على نصيبين وفيها يزيد والحبيشي مولى الحرث في الفي فارس ممن بقي من أصحاب المختار يدعو الى امامة محمد بن الحنفية فحاصرهم فنزلوا على امامته وانضافوا الى جملته وخرج مصعب في أهل العراق وذلك في سنة اثنتين وسبعين يريد عبد الملك وذلف اليه عبد الملك في عساكر مصر والجزيرة والشام فالتقوا بمسكن قرية من أرض العراق على شاطئ دجلة وعلى مقدمة عبد الملك الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي وقيل على ساقته وقد حمد أمره في قيامه بما أهل له فكاتب عبد الملك رؤساء أهل العراق ممن هو بعسكر مصعب وغيرهم وصار يرغبهم ويرهبهم فكان فيمن كتب اليه ابراهيم ابن الاشتر النخعي فلما أتاه كتابه مع الجاسوس اعتقله في رحله وأتى مصعبا بالكتاب قبل أن يفضه ويعلم ما فيه فقال له مصعب أقرأته فقال أعوذ بالله أن أقرأه حتى يقرأه الامير وآتي يوم القيامة غادرا قد نقضت بيعته وخلعت طاعته فلما تأمل مصعب ما فيه وجده أمانا له وولاية لما شاء من العراق واقطاع

فثق بالله يكفك واستعنه * يعنك وذر بنيات الطريق

وقال أبو بكر مالك بن جبير رحمه الله تعالى

رحلت وانني من غير زاد * وما قدمت شيأ للمعاد
ولكني وثقت بجود ربي * وهل يشقى المقل مع الجواد

وتوفي المذكور بأريولة أعادها الله تعالى الى الاسلام سنة ٥٦١ * وقال ابن جبير اليحصبي وهو الكاتب أبو عبد الله محمد

كلما رمت أن أقدم خيرا * لمعادي ورمت أني أتوب
صرفتني بواعث النفس قسرا * فتقاعست والذنوب ذنوب
رب قلب قلبي لعزمة خير * لمتاب ففي يديك القلوب

ولتعلم أن كلام أهل الاندلس بحر لا ساحل له ويرحم الله تعالى لسان الدين بن الخطيب حيث قال في صدر الاحاطة وهذا الغرض الذي وضعناه هذا التأليف يطلبنا به ما قصدناه من المباهاة والافتخار بالاكثار واستيعاب النظام والنثار ويحملنا فيه خوف السآمة على الاختصار والاقتصار وكفى بهذا اجلاء في الاعذار والله تعالى مقيل العثار وساتر العيب المثار بفضله انتهى * ولنختم هذا الباب بقول أبي زكريا يحيى بن سعد بن مسعود القلعي

عفوك اللهم عنا * خير شيء نتمنى
رب انا قد جهلنا * في الذي قد كان منا
وخطينا وخطلنا * ولهونا ومجنا
ان نكن رب أسأنا * ما أسأنا بك ظنا

وذيلته بقولي

فأنلنا الختم بالحسنى وانعاما ومنا آمين

(الباب الثامن)

في ذكر تغلب العدو الكافر على الجزيرة الخضراء بعد صرفه وجوه الكيد اليها وتضريبه بين بلوكها ورؤسائها بمكره واستعماله في أمرها حيل فكره حتى استولى دمره الله تعالى عليها ومحا منها التوحيد واسمه وكتب على مشاهدها ومعاهدها وسمه وقرر مذهب التثليث والرأي الخبيث لديها واستغاث أهلها استغاثة ملهوف بالنظم والنثر أهل ذلك العصر من سائر الاقطار حتى تعذرت بحصارها مع قلة حماتها وأنصارها المآرب والاوطار وجاءها الاعداء من خلفها ومن بين يديها أعاد الله تعالى اليها كلمة الاسلام وأقام فيها شريعة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ورفع يد الكفر عنها وعما حوالها آمين يا معين (قال) غير واحد من المؤرخين أول من جمع فل النصارى بالاندلس بعد غلبة العرب لهم علي يقال له بلاي من أهل اشتوريش من أهل جليقية كان رهينة عن طاعة أهل بلده فهرب من قرطبة أيام الحر بن عبد الرحمن الثقفي الثاني من امراء العرب بالاندلس وذلك في السنة السادسة من افتتاحها وهي سنة ثمان وتسعين من الهجرة وثار النصارى معه على نائب الحر بن عبد الرحمن فطردوه وملكوا البلاد وبقي الملك فيهم الى الآن وكان عدة

بكتاب فقال مصعب لافقال ابراهيم والله لقد كاتبهم وما كاتبني حتى كاتب غيري ولا امتنعوا من ايصالها اليك الا للرضا به والغدر بك فاطعني وابد أبهم فأمرهم على السيف أو استوثق منهم في الحديد والق هذا الرجل فأبى مصعب ذلك وتحير ما كان في عسكره من ربيعة لقتله ابن زياد بن ظبيان البكري وكان من سادات ربيعة وزعمائها بكر بن وائل وسار ابراهيم بن الاشتر على مقدمة مصعب في مشرعة الخيل فلقي خيل عبد الملك ومقدمته عليها أخوه محمد ابن مروان وبلغ عبد الملك ورود ابراهيم ومنازلته محمدا أخاه فبعث الى محمد عزمت عليك أن لا تقاتل في هذا اليوم وقد كان مع عبد الملك منجم مقدم وقد أشار على عبد الملك أن لا تحارب له خيل في ذلك اليوم فانه منحوس وليكن حربه بعد ثلاث فانه ينصر فبعث اليه محمد وأنا أعزم على نفسي لاقاتلن ولا التفت الى زخاريف منجمك والمحالات من الكذب فقال عبد الملك للمنجم ولمن حضر الا ترون ثم رفع طرفه الى السماء وقال

من ملك منهم الى آخر أيام الناصر لدين الله اثنين وعشرين ملكا انتهى * وقال عيسى ابن أحمد الرازى فى أيام عنبسة بن سحيم الكلبى قام بأرض جليقية علج خبيث يقال له بلاى من وقعة أخذ النصارى بالاندلس وجد الفرنج فى مدافعة المسلمين عما بقى بأيديهم وقد كانوا لا يطمعون فى ذلك ولقد استولى المسلمون بالاندلس على النصرانية وأجلوهم وافتتحوا بلادهم حتى بلغوا اربولة من أرض الفرنجة وافتتحوا بلونة من جليقية ولم يبق الا الصخرة فانه لا ذبها ملك يقال له بلاى فدخلها فى ثلثمائة رجل ولم يزل المسلمون يقاتلونه حتى مات أصحابه جوعا وبقى فى ثلاثين رجلا وعشر نسوة ولا طعام لهم الا العسل يشتارونه من خروق بالصخرة فيتقوتون به حتى أعيا المسلمين أمرهم واحتقروا بهم وقالوا ثلاثون علجا ما عسى أن يجىء منهم فبلغ أمرهم بعد ذلك من القوة والكثرة ما لا خفاء به وفى سنة ٣٣ أهلك الله تعالى بلاى المذكور وملك ابنه قاتله بعده وكان ملك بلاى تسع عشرة سنة وابنه سنتين فملك بعدهما اذفونش بن بيطر جد بنى اذفونش هؤلاء الذين اتصل ملكهم الى اليوم فأخذوا ما كان المسلمون أخذوه من بلادهم انتهى باختصار وقال المسعودى بعد ذكره غزوة سمورة أيام الناصر ما صورته وأخذ ما كان بايدى المسلمين من ثغور الاندلس مما يلى الفرنجة ومدينة اربونة خرجت عن أيدى المسلمين سنة ٣٣٠ مع غيرها مما كان بأيديهم من المدن والحصون وبقى ثغر المسلمين فى هذا الوقت وهو سنة ٣٣٦ من شرق الاندلس طرطوشة وعلى سائر بحر الروم مما يلى طرطوشة آخذا فى الشمال افراغه على نهر عظيم ثم لارده انتهى * ومن أول ما استرد الافرنج من مدن الاندلس العظيمة مدينة طليطلة من يد ابن ذى النون سنة ٤٧٠ وفى ذلك يقول عبد الله بن فرج اليحصبى المشهور بابن العسال

يا أهل اندلس حثوا مطيكم * فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى * ثوب الجزيرة منسولا من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا * كيف الحياة مع الحيات فى سفط

ويروى صدر البيت الثالث هكذا

من جاور الشر لا يأمن بوائقه * كيف الحياة مع الحيات فى سفط

وتروى الابيات هكذا

حثوا رواحلكم يا أهل أندلس * فما المقام بها الا من الغلط
السلك ينسل من أطرافه وأرى * سلك الجزيرة منثورا من الوسط
من جاور الشر لا يأمن عواقبه * كيف الحياة مع الحيات فى سفط

وقال آخر

يا أهل اندلس ردوا المعارفا * فى العرف عارية الامرات
ألم تروا بيدق الكفار فرزنه * وشاهنا آخر الابيات شهمات

وقال بعض المؤرخين أخذ الاذفونش طليطلة من صاحبها القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذى النون بعد أن حاصرها سبع سنين وكان أخذه لها فى منتصف محرم سنة ٤٧٨ انتهى وفيه بعض مخالفة لما قبله فى وقت أخذها وسيأتى قريبا بعد ما يؤيده قال وهى مدينة حصينة قديمة أزلية من بناء العمالقة على ضفة النهر الكبير ولها قصبة حصينة فى غاية المنعة ولما

فاقتتلوا حتى غشيهم المساء فقال عتاب بن ورقاء التميمى وكان مع ابن الاشتر يا ابراهيم ان الناس قد جهدوا وأفرهم بالانصراف حسدا له لاشرافه على الفتح فقال ابراهيم وكيف ينصرفون وعدوهم بازائهم فقال عتاب فر الميمنة أن تنصرف فابى ابراهيم ذلك فمضى اليهم عتاب فأمرهم بالانصراف فلما زالوا عن مصافهم أكبت ميسرة محمد عليهم واختلط الرجال وصمدت الفرسان لابراهيم واشتبكت عليه الاسنة فبرى منها عدة رماح وأسلمه من كان معه فاقتلع من سرجه وداربه الرجال وازدحموا عليه فقتل بعد أن أبلى ونكى فيهم وقد نوزع فيمن أخذ رأسه فمنهم من زعم أن ثابت بن يزيد مولى الحصين بن نمير الكندى هو الذى أخذ رأسه ومنهم من ذكر ان عبيد ابن ميسرة مولى بنى يشكر ثم من بنى رفاعة هو الذى أخذ رأسه وأتى عبد الملك بجسد ابراهيم فالقى بين يديه فأخذه مولى الحصين ابن نمير وأخذ حطبا وأحرقه بالنار وسار عبد الملك فى صبيحة تلك الليلة من موضعه حتى نزل بدير الجاثليق من أرض السوداء وأقبل عبيد الله بن زياد بن ظبيان وعكرمة بن أبى

قنطرة واحدة عجيبة البنيان على قوس واحد والماء يدخل تحته بعنف وشدة جرى ومع آخر النهر ناعورة ارتفاعها فى الجو تسعون ذراعا وهى تصعد الماء الى أعلى القنطرة ويجرى الماء على ظهرها فيدخل المدينة وطليطلة هذه دار مملكة الروم وبها كان البيت المغلق الذى كانوا يتحامون فتحه حتى فتحه لذريق فوجد فيه صورة العرب انتهى وقد تقدم شئ من هذا فيما مر من هذا الكتاب (وقد حكى) ابن بدرون فى شرح العبدونية أن المأمون يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة بنى بها قصرا تأنق فى بنائه وأنفق فيه مالا كثيرا وصنع فيه بحيرة وبنى فى وسطها قبة وسيق الماء الى رأس القبة على تدبير أحكمه المهندسون فكان الماء ينزل من أعلى القبة حواليها محيطا بها متصلا بعضه ببعض فكانت القبة فى غلالة من ماء سكب لا يفترو المأمون بن ذى النون قاعد فيها لا يمسه من الماء شئ ولو شاء أن يوقد فيها الشمع لفعل فبينما هو فيها اذ سمع منشدا ينشد

أتبنى بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها لو علمت قليل
لقد كان فى ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يعتريه رحيل

فلم يلبث بعد هذا الا يسيرا حتى قضى نحبه انتهى وقال ابن خلكان ان طليطلة أخذت يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ٤٧٨ بعد حصار شديد انتهى وقال ابن علقمة ان طليطلة اخذت يوم الاربعاء لعشر خلون من المحرم سنة ٤٧٨ وكانت وقعة الزلاقة التى نشأت فى السنة بعدها انتهى وقد رأيت أن أذكر هنا وقعة الزلاقة التى نشأت عن أخذ طليطلة وما يتبع ذلك من كلام صاحب الروض المعطار وغيره فنقول انه لما ملك يوسف بن تاشفين اللمتونى المغرب وبنى مدينتى مراكش وتلمسان الجديدة وأطاعته البربر مع شكيمتها الشديده وتمهدت له الاقطار الطويلة المديده تاقت نفسه الى العبور لجزيرة الاندلس فهم بذلك وأخذ فى انشاء المراكب والسفن ليعبر فيها فلما علم بذلك ملوك الاندلس كرهوا المامه بجزيرتهم وأعد واله العدة والعدد وصعبت عليهم مدافعته وكرهوا أن يكونوا بين عدوين الفرنج عن شمالهم والمسلمين عن جنوبهم وكانت الفرنج تشتد وطأتها عليهم وتغير وتنهب ور بما يقع بينهم صلح على شئ معلوم كل سنة يأخذونه من المسلمين والفرنج ترهب ملك المغرب يوسف بن تاشفين اذ كان له اسم كبير وصيت عظيم لنفاذ أمره وسرعة تملكه بلاد المغرب وانتقال الامر اليه فى أسرع وقت مع ما ظهر لابطال الملثمين ومشايخ صنهاجة فى المعارك من ضربات السيوف التى تقد الفارس والطعنات التى تنظم الكلى فكان له بسبب ذلك ناموس ورعب فى قلوب المنتدبين لقتاله وكان ملوك الاندلس يفيؤن الى ظله ويحذرونه خوفا على ملكهم مهما عبر اليهم وعاين بلادهم فلما رأوا ما دلهم على عبوره اليهم وعلموا ذلك راسل بعضهم بعضا يستبعدون آراءهم فى أمره وكان مفزعهم فى ذلك الى المعتمد بن عباد لانه أشجع القوم وأكبرهم مملكة فوقع اتفاقهم على مكاتبته لما تحققوا أنه يقصدهم يسألونه الاعراض عنهم وانهم تحت طاعته فكتب عنهم كاتب من أهل الاندلس كتابا (وهو) أما بعد فانك ان أعرضت عنا نسبت الى كرم ولم تنسب الى عجز وان أجبتنا دعيت نسبنا الى عقل ولم تنسب الى وهن وقد اخترنا لانفسنا أجمل نسبتيك فاختر

تصاف القوم فانفرد مصعب وتخلى عنه من كان معه من مضر واليمن وبقى فى شبعة نفر منهم اسمعيل بن طلحة ابن عبيد الله التميمى وابنه عيسى بن مصعب فقال لابنه عيسى يا بنى اركب فانج فالحق بمكة بعملك فاخبره بما صنع بى أهل العراق ودعنى فانى مقتول فقال له لا والله لا يتحدث بنا قريش أنى فررت عنك ولا أحدثهم عنك أبدا فقال له مصعب اما اذ أبيت فتقدم أمامى حتى أحتسبك فتقدم عيسى فقاتل حتى قتل وسأل محمد بن مروان أخاه عبد الملك أن يؤمن مصعبا فاستشار عبد الملك من حضره فقال له على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب لا تؤمنه وقال خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بل أمنه وارتفع الكلام بين على وخالد حتى تسابا على مصافهما فأمر عبد الملك أخاه محمدا أن يمضى الى مصعب فيؤمنه ويعطيه عنه ما اراد فمضى محمد بن مروان وقال أمنك أمير المؤمنين على نفسك ومالك وكل ما احدثت وان تنزل أى البلاد شئت ولو أرادك غير ذلك لانزل بك فأنشدك الله فى نفسك وأقبل رجل من أهل الشام الى عيسى بن مصعب ليحتز رأسه فعطف عليه مصعب والرجل غافل

عبد الله بن زياد بن ظبيان فاخذ الفاضر بتين سبق مصعب بالضربة الى رأسه وكان مصعب قد أثخن بالجراح وضربه عبد الله فقتله واحتز رأسه وأتى به عبد الملك فسجد عبد الملك وقبض عبيد الله بن زياد على قائم سيفه فاجتذبه من غمده حتى أتى على أكثره سلا ليضرب عبد الملك فى حال سجوده ثم ندم واسترجع فكان يقول بعد ذلك ذهب الفتك من الناس اذ هممت ولم أفعل فاكون قد قتلت عبد الملك ومصعبا ملكى العرب فى ساعة واحدة وتمثل عبيد الله عند مجيئه برأس مصعب

تعاطى الملوك الحق ماقطعوا النا
وليس علينا قتلهم بمحرم

وقال عبد الملك متى تغذو قريش مثل مصعب وكان قد قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين وأمر عبد الملك بمصعب وابنه عيسى فدفنا بدير الجاثليق ودعا عبد الملك أهل العراق الى بيعته فبايعوه وقد كان مسلم بن عمرو الباهلى من صنائع معاوية وابنه يزيد وكان فى ذلك اليوم فى جيش

لنفسك أكرم نسبتيك فانك بالمحل الذى لايجب أن تسبق فيه الى مكرمة وان فى استبقائك ذوى البيوت ماشئت من دوام لامرك وثبوت والسلام فلما وصله الكتاب مع تحف وهدايا وكان يوسف بن تاشفين لايعرف باللسان العربى لكنه ذكى الطبع يجيد فهم المقاصد وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية فقال له أيها الملك هذا الكتاب من ملوك الاندلس يعظمونك فيه ويعرفونك انهم أهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون منك أن لاتجعلهم فى منزلة الاعادى فانهم مسلمون وذوو بيوتات فلا تغيرهم وكفى بهم من وراءهم من الاعادى الكفار وبلادهم ضيق لايحتمل العساكر فأعرض عنهم اعراضك عمن أطاعك من أهل المغرب فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه فما ترى أنت فقال أيها الملك اعلم أن تاج الملك وبهجته شاهده الذى لاترد فانه خليق بما حصل فى يده من الملك والمال أن يعفو اذا استعفى وأن يهب اذا استوهب وكما وهب جنيلا جزيلا كان لقدره أعظم فاذا عظم قدره تأصل ملكه واذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته واذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم يتجشم المشقة اليهم وكان وارث الملك من غيره املاك لا خزنه واعلم أن بعض الملوك الحكماء الاكابر البصراء بطريق تحصيل الملك قال من جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد ملك البلاد فلما ألقى الكاتب هذا الكلام على السلطان يوسف بلغته فهمه وعلم صحته فقال للكاتب أجب القوم واكتب بما يجب فى ذلك واقرأ على كتابك فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته تحية من سالمكم وسلم عليكم وانكم مما فى أيديكم من الملك فى أوسع اباحه مخصوصين منابا كرم ايثار وسماحه فاستديموا وفاءنا بوفائكم واستصلحوا آخاءنا باصلاح اخائكم والله ولى التوفيق لنا ولكم والسلام فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه وقرن به مايصلح لهم من التحف ودرق اللمط التى لاتوجد الا ببلاده وأنفذ ذلك اليهم فلما وصلهم ذلك وقرؤا كتابه فرحوا به وعظموه وسروا بولايته وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج عنهم وأزمعوا ان رأوا من الفرنج مايريبهم انهم يرسلون الى يوسف بن تاشفين يعبر اليهم أو يمدهم باعانة منه وكان ملك الافرنج الاذفونش لما وقعت الفتنة بالاندلس وثار الخلاف وكان كل من حاز بلدا وتقوى فيه ملكه وادعى الملك وصار وامثل ملوك الطوائف فطمع فيهم الاذفونش بسبب ذلك وأخذ كثيرا من ثغورهم فقوى شأنه وعظم سلطانه وكثرت عساكره وأخذ طليطلة من صاحبها القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذى النون بعد أن حاصرها سبع سنين وكان أخذه لها فى منتصف محرم سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فزاد لعنه الله تعالى بملكه طليطلة قوة الى قوته وأخذ يجوس خلال الديار ويستفتح المعاقل والحصون (قال) ابن الاثير فى الكامل وكان المعتمد بن عباد أعظم ملوك الاندلس ومتملك أكثر بلادها مثل قرطبة واشبيلية وكان مع ذلك يؤدى الضريبة الى الاذفونش كل سنة فلما تملك الاذفونش طليطلة أرسل اليه المعتمد الضريبة المعتادة فلم يقبلها منه وأرسل اليه يهدده ويتوعده بالمسير الى قرطبة لفتحها الا أن يسلم اليه جميع الحصون المنيعة ويبقى السهل للمسلمين وكان الرسول فى جمع كثير نحو خمسمائة فارس فانزله المعتمد

وفرق أصحابه على قواد عسكره ثم أمر قواده أن يقتل كل منهم من عنده من الكفرة وأحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا الى الاذفونش وأخبروه الخبر وكان متوجها الى قرطبة ليحاصرها فرجع الى طليطلة ليجمع آلات الحصار ويكثر العدد والعدة انتهى * وقال الفقيه أبو عبد الله عبد الله بن عبد المنعم الحميري في كتابه الروض المعطار في ذكر المدن والاقطار ما ملخصه انه لما اشتغل المعتمد بغزو ابن صمادح صاحب المرية حين تأخر الوقت الذى كان يدفع فيه الضريبة للاذفونش وأرسلها اليه بعد ذلك استشاط الطاغية غضبا وتشطط وطلب بعض الحصون زيادة على الضريبة وأمعن في التجني وسأل في دخول امر أته القمحيطة الى جامع قرطبة لتلد فيه اذ كانت حاملا لما أشار عليه بذلك القسيسون والاساقفة لكان كنيسة كانت في الجانب الغربي منه معظمة عندهم عمل عليها المسلمون الجامع الاعظم وسأل أن تنزل امر أته المذكورة بالمدينة الزهراء غربي مدينة قرطبة وهي التي أنشأ بناءها الناصر لدين الله وأمعن في بنائها وأغرب في حسنها وجلب اليها الرخام الملون والمرمر الصافي والحوض المشهور من البلاد والاقطار وكان يثيب على الساربة بكذا وكذا غير الثمن وأجرة الحمل وأنفق فيها الاموال العظيمة واشتغل بها وكان يباشر الصناع بنفسه حتى تخلف عن حضور الجمعة ثلاث مرات متواليات وحضر في الرابعة وكان الخطيب يومئذ الفقيه الزاهد منذر بن سعيد البلوطي فعرض به في الخطبة ووبخه على رؤس الملا وقصته في ذلك مشهورة وبناء الزاهر أيضا من أعظم مباني الاسلام فمن أراد الوقوف على ذلك فعليه بتاريخ ابن حيان (ولنرجع) الى الاذفونش فان الاطباء والقسوس لما أشاروا ان تكون المرأة المذكورة ساكنة بالزهراء وتتردد الى الجامع المذكور حتى تكون ولادتها بين طيب نسيم الزهراء وفضيلة موضع الكنيسة من الجامع المذكور وكان السفير في ذلك يهوديا كان وزيرا للاذفونش فامتنع ابن عباد من ذلك فراجعه فاباه وأيأسه من ذلك فراجعه اليهودي في ذلك وأغلظ له في القول وواجهه بما لم يحتمله ابن عباد فأخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه وضرب بها رأس اليهودي فانزل دماغه في حلقه وأمر به فصلب منكوسا بقرطبة واستقى لما سكن غضبه الفقهاء عن حكم ما فعله باليهودي فبادره الفقيه محمد بن الطلاع بالرخصة في ذلك لتعدى الرسول حدود الرسالة التي ما استوجب به القتل اذ ليس له ذلك وقال للفقهاء انما بادرت بالفتوى خوفا أن يكسل الرجل عما عزم عليه من مناجزة العدو وعسى الله أن يجعل في عزيمته للمسلمين فرجا وبلغ الاذفونش ما صنعه ابن عباد فأقسم بآلهته ليغزونه باشبيلية وليحاصرنه في قصره فجرد جيشين جعل على أحدهما كلبا من مساعير كلابه وأمره أن يسير على كورة باجة من غرب الاندلس ويغير على تلك النخوم والجهات ثم يمر على لبلة الى اشبيلية وجعل موعده أمام طريانة للاجتماع معه ثم زحف الاذفونش بنفسه في جيش آخر عرمرم فسلك طريقا غير الطريق التي سلكها الآخر وكلاهما عاث في البلاد وخرب ودمر حتى اجتمعا لموعدهما بضفة النهر الاعظم قبالة قصر ابن عباد وفي أيام مقامه هنالك كتب الى ابن عباد زار ياعليه كثر بطول سقامي في مجلسي الذباب واشتد على الحر فأتحفني من قصرك بمروحة

الحياة ما بك من الجراح فما تصنع بالامان قال ليسلم مالي وبأمن ولدي بعدي فلما وضع بين يدي عبد الملك قال قطع الله يد ضاربك كيف لم يجهز عليك أكفرت صنائع آل حرب معك فأمنه على ماله وولده ومات من ساعته وفي مصرع مصعب بدير الجاثليق من أرض العراق يقول عبد الله بن قيس الرقيات

لقد أورث المصرين عارا وذلة
قتيل بدير الجاثليق مقيم
فما نصحت لله بكر بن وائل
ولا صبرت عند اللقاء تميم
جزى الله بصرا بابن ذات عمامة
ولوفيهم ان المليم مليم

وفي ذلك يقول شاعر اهل الشام من ابيات

لعمري لقد أصحرت خيلنا
باكناف دجلة للمصعب
يهزون كل طويل القنا
ة معتدل النصل والتعلب
اذا ما تفاقم أهل العرا
ق عوتب يوما فلم يعتب
دلفنا اليه لدى موقف
قليل التفقد للغيب

وقد كان مصعب ذا حسن وجمال وهيئة وكمال في الصورة وفيه يقول ابن قيس الرقيات من كلمة

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء وقد أتينا على اخبار مصعب وسكينة بنت

أروح بها على نفسي وأطرد بها الذباب عن وجهي فوقع له ابن عباد بخط يده في ظهر الرقعة قرأت كتابك وفهمت خيلاءك وانجابك وسأنظر لك في مراوح من الجلود اللطية تروح منك لا تروح عليك ان شاء الله تعالى فلما وصلت الاذفونش رسالة ابن عباد ورثت عليه وعلم مقتضاها أطرق اطراق من لم يخطر له ذلك ببال وفشا في الاندلس توقيع ابن عباد وما أظهر من الثقة على جواز يوسف بن تاشفين والاستظهار به على العدو فاستبشر الناس وفرحوا بذلك وفتحت لهم أبواب الآمال وأما ملوك طوائف الاندلس فلما تحققوا عزم ابن عباد وانفراده برأيه في ذلك اهتموا منه ومنهم من كاتبه ومنهم من كلمه مواجهة وحذروه عاقبة ذلك وقالوا له الملك عقيم والسيفان لا يجتمعان في غمد واحد فاجابهم ابن عباد بكلمته السائرة مثلا رعي الجمال خير من رعي الخنازير ومعناه أن كونه مأكولا ليوسف بن تاشفين اسير ايرعى جماله في الصحراء خير من كونه ممزقا للاذفونش أسير الله يرعى خنازيره في قشتالة وقال لعذاله ولوامه يا قوم اني من أمري على حالين حالة يقين وحالة شك ولا بد لي من احداهما اما حالة الشك فاني ان استندت الى ابن تاشفين اوالى الاذفونش ففي الممكن أن يفي لي ويبقى على وفائه ويمكن ان لا يفعل فهذه حالة شك وأما حالة اليقين فاني ان استندت الى ابن تاشفين فاني ارضي الله وان استندت الى الاذفونش اسخطت الله تعالى فاذا كانت حالة الشك فيها معارضة فلأي شئ أدع ما يرضي الله وآتي ما يسخطه فحينئذ قصر أصحابه عن لومه ولما عزم أمر صاحب بطليوس المتوكل عمر بن محمد وعبد الله بن حبوس الصنهاجي صاحب غرناطة أن يبعث اليه كل منهما قاضي حضرته ففعلا واستحضر قاضي الجماعة بقرطبة أبا بكر عبيد الله بن أدهم وكان أعقل اهل زمانه فلما اجتمع عنده القضاة باشبيلية اضاف اليهم وزيره أبا بكر بن زيدون وعرفهم أربعتهم انهم رسله الى يوسف بن تاشفين وأسند الى القضاة ما يليق بهم من وعظ يوسف بن تاشفين وترغيبه في الجهاد وأسند الى وزيره ما لا بد منه في تلك السفارة من ابرام العقود السلطانية وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تفد عليه وفود ثغور الاندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين بالله والاسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيسمع اليهم ويصغي لقولهم وترق نفسه لهم فاعبرت رسل ابن عباد البحر الاورسل يوسف بالمرصاد ولما انتهت الرسل الى ابن تاشفين أقبل عليهم وأكرم مثواهم واتصل ذلك بابن عباد فوجه من اشبيلية اسطولا نحو صاحب سبتة فانتظمت في سلك يوسف ثم جرت بينه وبين الرسل مراوضات ثم انصرفت الى مرسلها ثم عبر يوسف البحر عبور أسهل حتى أتى الجزيرة الخضراء ففتحوا له وخرج اليه أهلها بما عندهم من الاقوات والضيافات وأقاموا له سوقا جلبوا اليه ما عندهم من سائر المرافق واذنوا للغزاة في دخول البلد والتصرف فيها فامتلأت المساجد والرحبات بالمطوعين وتواصوا بهم خيرا هذا مساق صاحب الروض المعطار * وأما ابن الاثير فانه لما ذكر وقعة الزلاقة ذكر ما تقدم من فعل المعتمد بالارسال وقتلهم وتخوف أكابر الاندلس من الاذفونش وانه اجتمع منهم رؤساء وساروا الى القاضي عبد الله بن محمد وقالوا له الا تنظر ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية بعد أن كانوا يأخذونها وقالوا قد غلب على البلاد الفرنج ولم يبق الا القليل حتى نزل النخيلة بظهر الكوفة فخرج اليه اهل الكوفة فبايعوه ووافى الناس بما كان وعدهم به في

حتى نزل النخيلة بظهر الكوفة فخرج اليه اهل الكوفة فبايعوه ووافى الناس بما كان وعدهم به في وان

وان دام هذا الامر عادت نصرانية كما كانت أولا وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال وما هو قالوا نكتب الى عرب أفريقية ونبذل لهم اذا وصلوا الينا شطر أموالنا ونخرج معهم مجاهدين فى سبيل الله فقال لهم انا نخشى ان وصلوا الينا أن يخربوا بلادنا كما فعلوا بافريقية ويتركوا الافرنج ويبدؤا بنا والمرابطون أصلح منهم وأقرب الينا فقالوا له فكاتب أمير المسلمين واسأله العبور الينا أو اعانتنا بما تيسر من الجند فبينما هم فى ذلك يتراوضون اذ قدم عليهم المعتمد بن عباد قرطبة فعرض عليه القاضى بن أدهم ما كانوا فيه فقال له المعتمد ابن عباد أنت رسولى اليه فى ذلك فامتنع وانما أراد أن يبرئ نفسه من ذلك فألح عليه المعتمد فسار الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فوجده ببنتة وأبلغه الرسالة وأعلمه بما فيه المسلمون من الخوف من الاذفونش ففى الحال أمر بعبور العساكر الى الاندلس وأرسل الى مراكش فى طلب من بقى من العساكر فاقبلت اليه يتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر واجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية وكان المعتمد قد جمع عساكره أيضا وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير وقصده المطوعة من سائر بلاد الاندلس ووصلت الاخبار الى الاذفونش فجمع عساكره وحشد جنوده وسار من طليطلة وكتب الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كتابا كتبه له بعض غواة أدباء المسلمين يغلظ له فى القول ويصف ما معه من القوة والعدد والعدد ويبالغ فى ذلك فلما وصل وقرأه يوسف أمر كاتبه أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه وكان كاتبا مفلقا فكتب وأجاد فلما قرأه على أمير المسلمين قال هذا كتاب طويل وأحضر كتاب الاذفونش وكتب فى ظهره الذى يكون ستراه وأرسله اليه فلما وقف عليه الاذفونش ارتاع له وعلم انه بلى برجل لا طاقة له به * وذكر ابن خلكان أن يوسف بن تاشفين أمر بعبور الجمال فعبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها الى عنان السماء ولم يكن أهل الجزيرة رؤا جملا قط ولا خيلهم فصارت الخيل تجمح من رؤية الجمال ومن رغائها وكان ليوسف فى عبور الجمال رأى مصيب فكان يحدق بها عسكره ويحضرها للعرب فكانت خيل الفرنج تجمح منها وقدم يوسف بين يديه كتابا للاذفونش يعرض عليه فيه الدخول فى الاسلام أو الجزية أو الحرب كما هى السنة ومن جملة ما فى الكتاب بلغنا يا اذفونش انك دعوت الى الاجتماع بنا وتمنيت أن تكون لك سفن تعبر فيها البحر الينا فقد عبرنا اليك وقد جمع الله تعالى فى هذه الساحة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعائك ومادعاء الكافرين الا فى ضلال انتهى بمعناه وأكثره بلفظه ولنرجع الى كلام صاحب الروض المعطار فانه أقعد بتاريخ الاندلس اذ هو منهم وصاحب البيت أدرى بالذى فيه قال رحمه الله تعالى فلما عبر يوسف وجميع جيوشه الى الجزيرة الخضراء انزعج الى اشبيلية على أحسن الهيئات جيشا بعد جيش وأميرا بعد أمير وقبيلا بعد قبيل وبعث المعتمد ابنه الى لقاء يوسف وأمر عمال البلاد بجلب الاقوات والضيافات ورأى يوسف ما سره من ذلك ونشطه وتواردت الجيوش مع أمرائها على اشبيلية وخرج المعتمد الى لقاء يوسف من اشبيلية فى مائة فارس ووجوه أصحابه فلما أتى محلة يوسف ركض نحو القوم وركضوا نحوه فبرز اليه يوسف وحده والتقيا منفردين وتصافحا وتعانقا وأظهر كل منهما لصاحبه المودة والخلوص وشكر انعم الله تعالى وتواصيا بالصبر والرحمة وبشرا أنفسهما بما

على البصرة خالد بن عبد
ابن خالد بن اسد وعم
الكوفة بشر بن مروا
أخاه وخلف معه جماعا
من أهل الرأى والمشور
من أهل الشام منهم رو
ابن زنباع الجذامى وبعث
بالحجاج بن يوسف لحر
ابن الزبير بمكة وسار فى
بقية أهل الشام الى دا
مملكته دمشق وكان بشر
ابن مروان أديبا ظريفا
يحب الشعر والسمر
والسماع والمعاقرة وقد
كان أخوه عبد الملك قال
له ان روحا عملك الذى
لا ينبغى أن تقطع أمرا دونه
لصدقه وعفافه ومناصحته
ومحبته لنا أهل البيت
فاحتشم بشر منه وقال
لندمائه أخاف ان انبسطنا
ان يكتب روح الى
أمير المؤمنين بذلك وانى
لاحب من الانس والاجتماع
ما يحبه مثلى فقال له بعض
ندمائه من أهل العراق
بحسن مساعدته ولطيف
حيلته أنا أكفيك أمره
حتى ينصرف عنك الى
أمير المؤمنين غير شاك ولا
لائم فسر بشر وعده
الجائزة وحسن المكافأة ان
هو تأتى له ما وعد به وكان

روح شديد الغيرة وله جارية اذا خرج من منزله الى المسجد أو غيره ختم بابه حتى يعود بعد أن يقفله فاخذ الفتى

دواة وأتى منزل روح عشيا الدرجة ولم يزل يحتال ليلته حتى توصل الى بيت روح فكتب على حائط فى أقرب المواضع من مرقد روح

ياروح من لبنيات وأرملة
اذا نعاك لاهل المغرب الناعى
ان ابن مروان قد حانت منيته
فاحتل لنفسك يا روح بن زنباع
ولا يغرنك انكار ومنعمة
واسمع هديت مقال الناصح الداعى

ورجع الى مكانه بالدهليز فبات فيه فلما أصبح روح خرج الى الصلاة فتبعه غلمانه والفتى متنكر فى جملتهم مختلط بهم فلما عاد روح وافتح باب حجرته تبين الكتابة وقرأها فراعه ذلك وانكره وقال ماهذا فوالله ما يدخل حجرتى انسى سواى ولاحظ لى فى المقام ثم نهض الى بشر فقال يا ابن أخى أوصنى بما أحببت من حاجة وسب عند أمير المؤمنين قال أو تريد الشخوص ياعم قال نعم قال ولم هل أنكرت شيأ أو رأيت قبيحا لا يسعك المقام عليه قال لا والله بل جزاك الله عن نفسك وعن

وخرج روح للصلاة فتوصل الفتى الى دخول الدهليز فى حال خروج روح وكن تحت استقباله من غزو أهل الكفر وتضرعا الى الله تعالى فى أن يجعل ذلك خالصا لوجهه مقربا اليه وافترقا فعاد يوسف لمحلته وابن عباد الى جهته وألحق ابن عباد ما كان أعده من هدايا وتحف وضيافات أوسع بها على محلة يوسف بن تاشفين وباتوا تلك الليلة فلما أصبحوا وصلوا الصبح وركب الجميع وأشار ابن عباد على يوسف بالتقدم نحو اشبيلية ففعل ورأى الناس من عزة سلطانهم ما سرهم ولم يبق من ملوك الطوائف بالاندلس الا من بادر أو أعان وخرج اوخرج وكذلك فعل الصحراويون مع يوسف كل صقع من اصقاعه رابطوا وكابدوا وكان الاذفونش لما تحقق الحركة والحرب استنفر جميع أهل بلاده ومايليها وماوراءها ورفع القسيسون والرهبان والاساقفة صلبانهم ونشروا أناجيلهم فاجتمع له من الجلالقة والافرنجة مالا يحصى عدده وجواسيس كل فريق تتردد بين الجميع وبعث الاذفونش الى ابن عباد ان صاحبكم يوسف قد تعنى من بلاده وخاض البحار وأنا كفيه العناء فيما بقى ولا أكلفكم تعبا أمضى اليكم والقاكم فى بلادكم رفقا بكم وتوفيرا عليكم وقال لخاصته واهل مشورته انى رأيت انى ان مكنتهم من الدخول الى بلادى فنازلونى فيها وبين جدرها وربما كانت الدائرة على يستحكمون البلاد ويحصدون من فيها غداة واحدة ولكنى أجعل يومهم معى فى حوز بلادهم فان كانت على اكتفوا بما نالوه ولم يجعلوا الدروب وراءهم الابعد أهبة أخرى فيكون فى ذلك صون لبلادى وجبر لمكاسرى وان كانت الدائرة عليهم كان منى فيهم وفى بلادهم ما خفت أنا أن يكون فى وفى بلادى اذا نازلونى فى وسطها ثم برز بالمختار من جنوده وأنجاد جوعه على باب دربه وترك بقية جوعه خلفه وقال حين نظر الى ما اختاره منهم هؤلاء اقاتل الجن والانس وملائكة السماء فالمقل يقول المختارون اربعون ألف دارع ولكل واحد اتباع وأما النصارى فيعجبون ممن يزعم ذلك ويرون انهم أكثر من ذلك كله واتفق الكل ان عدد المسلمين أقل من الكفرة ورأى الاذفونش فى نومه كانه راكب فيل يضرب نقيرة طبل فهاله الرؤيا وسأل عنها القسوس والرهبان فلم يجبه أحد فدس يهوديا عمن يعلم تأويلها من المسلمين فدل على معبر فقصها عليه ونسبها لنفسه فقال له المعبر كذبت ما هذه الرؤيا لك ولا أعبرها لك الا ان صدقتنى بصاحب الرؤيا فقال له اكتم على الرؤيا للاذفونش فقال المعبر صدقت ولا يراها غيره والرؤيا تدل على بلاء عظيم ومصيبة فادحة فيه وفى عسكره وتفسيرها قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل وأما ضربه النقيرة فتأويلها فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير الآية فانصرف اليهودى وذكر للاذفونش ما وافق خاطره ثم خرج من بلاد الاندلس وتقدم السلطان يوسف فقصده وتأخر ابن عباد لبعض مهماته ثم انزعج يتفوأثره بجيش فيه حماة الثغور ورؤساء الاندلس وجعل ابنه عبد الله على مقدمته وسار وهو ينشد لنفسه متفائلا مكملا البيت المشهور

لابد من فرج قريب * يأتيك بالعجب العجيب
غز وعليك مبارك * سيعود بالفتح القريب
لله سعدك انه * نكس على دين الصليب
لابد من يوم يكو * ن له أخايوم القليب

سلطانك خير اولكن أمر حدث ولابد لى من الانصراف الى أمير المؤمنين فاقسم عليه أن يخبره فقال له وواقت

و وافت الجيوش كلها بطليوس فاناخوا بظاهرها وخرج اليهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد بن الافطس فلقيهم بما يجب من الضيافات والاقوات و بذل الجهود وجاءهم الخبر بخصوص الاذفونش ولما ازدلف بعضهم الى بعض اذكى المعتمد عيونه فى محلات العسكر اويين خوفا عليهم من مكايد الاذفونش اذهم غرباء لاعلم لهم بالبلاد وجعل يتولى ذلك بنفسه حتى قيل ان الرجل من العسكر اويين لايخرج على طرف المحلة لقضاء أمر أو حاجة الا ويجد ابن عباد بنفسه مطيفا بالمحلة بعد ترتيب الخيل والرجال على أبواب المحلات وقد تقدم كتاب السلطان يوسف الى الاذفونش يدعوه الى احدى الثلاث المأمور بها شرعا فامتلأ الكافر غيظا وعتا وطغا واوجه بما يدل على شقائه وقامت الاساقفة والرهبان ورفعوا صلبانهم ونشروا أناجيلهم وتباعوا على الموت ووعظ يوسف وابن عباد أصحابهما وقام الفقهاء والصالحون مقام الوعظ وحضوهم على الصبر والثبات وحذروهم من الفشل والفرار وجاءت الطلائع تخبر أن العدو مشرف عليهم صبيحة يومهم وهو يوم الاربعاء فأصبح المسلمون وقد أخذوا مصافهم فكع الاذفونش ورجع الى اعمال المكر والخديعة فعاد الناس الى محلاتهم و باتوا ليلتهم ثم أصبح يوم الخميس فبعث الاذفونش الى ابن عباد يقول غدا يوم الجمعة وهو عيدكم والاحد عيدنا فليكن لقاؤنا بينهما وهو يوم السبت فعرف المعتمد بذلك السلطان يوسف وأعلمه انها حيلة منه وخديعة وانما قصده القتل بنا يوم الجمعة فليكن الناس على استعداد له يوم الجمعة كل النهار و بات الناس ليلتهم على أهبة واحتراس و بعد مضى جزء من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبى وكان فى محلة ابن عباد فرحا مسرورا يقول انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فى النوم فبشره بالفتح والموت على الشهادة فى صبيحة تلك الليلة فتأهب ودعا وتضرع ودهن رأسه وتطيب وانتهى ذلك الى ابن عباد فبعث الى يوسف يخبره بها تحققا لما توقعه من غدر الكافر بالله تعالى ثم جاء بالليل فارسان من طلائع المعتمد يخبران انهما أشرفا على محلة الاذفونش وسمعا ضوضاء الجيوش واضطراب الاسلحة ثم تلاحق بقية الطلائع متحققين بتحرك الاذفونش ثم جاءت الجواسيس من داخل محلتهم تقول استرقنا السمع فسمعنا الاذفونش يقول لاصحابه ابن عباد مسعر هذه الحروب وهؤلاء العسكر اويون وان كانوا أهل حفاظ وذوى بصائر فى الحروب فهم غير عارفين بهذه البلاد وانما قادهم ابن عباد فاقصدوه واهجموا عليه واصبروا فان انكشف لكم هان عليكم العسكر اويون بعده ولا أرى ابن عباد يصبر لكم ان صدقتموه الحملة فعند ذلك بعث ابن عباد الكاتب أبا بكر بن القصيرة الى السلطان يوسف يعرفه باقبال الاذفونش و يستحث نصرته فمضى ابن القصيرة يطوى المحلات حتى جاء يوسف بن تاشفين فعرفه بحلية الامر فقال له قل له انى سأقرب منه ان شاء الله تعالى وأمر يوسف بعض قواده أن يمضى بكتيبة رسمها له حتى يدخل محلة النصارى فيضرمها نارا مادام الاذفونش مشتغلا مع ابن عباد وانصرف ابن القصيرة الى المعتمد فلم يصله الا وقد غشيته جنود الطاغية فصدم ابن عباد صدمة قطعت آماله ومال الاذفونش عليه بجموعه وأحاطوا به من كل جهة فهاجت الحرب وحمى الوطيس واستحر القتل فى أصحاب ابن

يخبر الكتابة وقال ليس يدخل حجرتى غيرى وغير جاريتى فلانة وما كتب ذلك الا الجن أو الملائكة فقال له بشرا تم فانى أرجو أن لا يكون لهذا حقيقة فلم يثنه شئ وسار الى الشام فاقبل بشر على الشراب والطرب فلما لقى روح عبد الملك انكر أمره وقال ما اقدامك الا لحادثة حدثت أو لامر كرهته فاثنى على بشر وحمد سيرته وقال لا بل لامر لا يمكننى ذكره حتى نخلو فقال عبد الملك لجلسائه انصرفوا وخلا بروح فاخبره بقصته وانشده الابيات فضحك عبد الملك حتى استغرب وقال ثقلت على بشر و أصحابه حتى احتالوا لك بما رأيت فلا ترع ولما اتصل قتل مصعب باخيه عبد الله أضرب عن ذكره حتى تحدث بذلك العبيد والاماء فى سكك المدينة ومكة فصعد المنبر وجبينه يرشح فقال الحمد لله ملك الدنيا والآخرة يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شئ قدير ألا انه ان يذل الله من كان الحق معه ولن يعز من كان أولياء

الشيطان حزبه انه أتانا خبر من العراق أحزننا وأفرحنا قتل مصعب فاما الذى احزننا من ذلك فان لفراق

عباد وصبر ابن عباد صبرا لم يعهد مثله لاحد واستبطأ السلطان يوسف وهو يلاحظ طريقه وعضته الحروب واشتد عليه وعلى من معه البلاء وأبطأ عليه النصر اويون وساءت الظنون وانكشف بعض أصحاب ابن عباد وفيهم ابنه عبد الله وأثخن ابن عباد جراحات وضرب على رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت الى صدغه وجرحت يمنى يديه وطعن فى أحد جانبيه وعقرت تحته ثلاثة افراس كلما هلك واحد قدم له آخر وهو يقاسى حياض الموت ويضرب يمينا وشمالا وتذكر فى تلك الحالة ابنا له صغيرا كان مغرما به تركه فى اشبيلية عليلا وكنيته أبو هاشم فقال

أباهاشم هشمتنى الشفار * فلله صبرى لذاك الاوار
ذكرت شخيصك تحت العجاج * فلم يثنى ذكره للفرار

ثم كان أول من وافى ابن عباد من قواد ابن تاشفين داود بن عائشة وكان بطلا شجاعا شهما فنفس بمجيئه عن ابن عباد ثم أقبل يوسف بعد ذلك وطبوله تصعد أصواتها الى الجو فلما أبصره الاذفونش وجه حملته اليه وقصده بمعظم جنوده فبادر اليهم السلطان يوسف وصدمهم بجمعه فردهم الى مركزهم وانتظم به شمل ابن عباد واستنشق ريح الظفر وتباشر بالنصر ثم صدقوا جميعا الحملة فتزلزلت الارض بحوافر خيولهم وأظلم النهار بالعجاج والغبار وخاضت الخيل فى الدماء وصبر الفريقان صبرا عظيما ثم تراجع ابن عباد الى يوسف وحمل معه حملة جاء معها النصر وتراجع المنهزمون من أصحاب ابن عباد حين علموا بالتحام الفئتين وصدقوا الحملة فانكشف الطاغية ومر هاربا منهزما وقد طعن فى أحد ركبتيه طعنة بقى يخمع بها بقية عمره وعلى سياق ابن خلكان أن ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر العدو فى يوم الاربعاء وكان الموعد فى المناجزة فى يوم السبت فغدر الاذفونش ومكر فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب أقبلت طلائع ابن عباد والروم على اثرها والناس على طمأنينة فبادر ابن عباد للركوب وبث الخبر فى العساكر فاجت بأهلها ووقع البهت ورجفت الارض وصار الناس فوضى على غير تعبية ولا أهبة ودهمتهم خيل العدو فأحاطت بابن عباد وحطمت ما تعرض لها وتركت الارض حصيدا خامدا وجرح ابن عباد جرحا أساء وفر رؤساء الاندلس وتركوا محلاتهم وأسلموها وظنوا انه وهى لا يرقع ونازلة لا تدفع وظن الاذفونش أن السلطان يوسف فى المنهزمين ولم يعلم أن العاقبة للمتقين فركب أمير المسلمين وأحدق به جياد خيله ورجله من صنهاجة رؤساء القبائل وقصدوا محلة الاذفونش فاقتحموها ودخلوها وفتكوا فيها وقتلوا وضربت الطبول وزعقت البوقات فاهتزت الارض وتجاوبت الجبال والآفاق وتراجع الروم الى محلاتهم بعد أن علموا أن أمير المسلمين فيها فصدموا أمير المسلمين فخرج لهم عنها ثم كروا عليهم فأخرجهم منها ثم كروا عليه فخرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى أن أمر أمير المسلمين حشمه السودان فتر جل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللطوسيوف المهند ومزاريق الزان فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها وأجمحت عن أقرانها وتلاحق الاذفونش بأسود نفدت مزاريقه فأهوى ليضربه بالسيف فلصق به الاسود وقبض على عنانه وانتضى

الحميم لذعة يجدها حميمه أفرحنا فان القتل له شهادة ويجعل الله له ولنا فى ذلك الخيرة أما والله انا لاغوت حتفا كميتة آل أبى العاص وانما نموت قعصا بالرماح وقتلا تحت ظلال السيوف الاوان الدنيا عارية من الملك القهار الذى لا يزول سلطانه ولا يتبدل فان تقبل الدنيا على لا آخذها أخذ الاشر البطر وان تدبر عنى لا أبكى عليها بكاء الحزين المهين فأتى الحجاج الطائف فاقام بها شهورا ثم زحف الى مكة فحاصر ابن الزبير بها وكتب الى عبد الملك انى قد ظفرت بابى قبيس فلما ورد كتابه على عبد الملك بحصار ابن الزبير بمكة والظفر بابى قبيس كبر عبد الملك فكبر من فى داره واتصل التكبير بمن فى جامع دمشق فكبروا واتصل ذلك باهل الاسواق ثم سألوا عن الخبر فقيل لهم ان الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة وظفر بأبى قبيس فقالوا لا نرضى حتى يحمله الينا مكبلا على رأسه برنس على جمل يمر بنا فى الاسواق السترابى الملعون وكان حصار الحجاج لابن الزبير بمكة هلال ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وفيها قتل مصعب ومنع ابن الزبير الحجاج أن يطوف بالبيت ووقف الحجاج بالناس محرما خنجرا

خنجرا كان متمنطقا به فاثبته في فخذه فهتك حلق درعه ونفذ من فخذه مع بداد سرجه وكان وقت الزوال وهبت ريح النصر فانزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه القويم وصدقوا الحملة على الاذفونش وأصحابه فأخرجوهم عن محلتهم فولوا ظهورهم وأعطوا أعناقهم والسيوف تصفعهم والرماح تطعنهم الى أن لحقوا ربوة لجؤا اليها واعتصموا بها واحدقت بهم الخيل فلما أظلم الليل انساب الاذفونش وأصحابه من الربوة وافلتوا بعد ما تشبثت بهم أظفار المنية واستولى المسلمون على ما كان في محلتهم من الآلات والسلاح والمضارب والاوانى وغير ذلك وأمر ابن عباد بضم رؤس قتلى المشركين فاجتمع من ذلك تل عظيم انتهى وبعضه بالمعنى (رجع) الى كلام صاحب الروض المعطار قال ولجأ الاذفونش الى تل كان يلى محلته في نحو خمسمائة فارس كل واحد منهم مكلوم وأباد القتل والاسر من عداهم من أصحابهم وعمل المسلمون من رؤسهم ما آذن يؤذنون عليها والمخذول ينظر الى موضع الوقيعة ومكان الهزيمة فلا يرى الا شكالا محيطا به وبأصحابه وأقبل ابن عباد على السلطان يوسف وصافحه وهناه وشكره وأثنى عليه وشكر يوسف صبر ابن عباد ومقامه وحسن بلائه وجميل صبره وسأله عن حاله عند ما أسلمته رجاله بانهزامهم عنه فقال له هم هؤلاء قد حضروا بين يديك فليخبروك وكتب ابن عباد الى ابنه باشبيلية كتابا مضمونه كتابي هذا من المحلة المنصورة يوم الجمعة الموفى عشرين من رجب وقد أعز الله الدين ونصر المسلمين وفتح لهم الفتح المبين وهزم الكفرة المشركين وأذاقهم العذاب الاليم والخطب الجسيم فالحمد لله على ما يسره وسناه من هذه المسرة العظيمه والنعمة الجسيمه في تشتيت شمل الاذفونش والاحتواء على جميع عساكره أصلاه الله نكال الجحيم ولا أعدمه الوبال العظيم المقيم بعد اتيان النهب على محلاته واستئصال القتل في جميع أبطاله وحماته حتى اتخذ المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها فالله الحمد على جميع صنعه ولم يصبني والحمد لله الا جراحات يسيرة آلمت لكنها فرجت بعد ذلك فلله الحمد والمنة والسلام واستشهد في ذلك اليوم جماعة من الفضلاء والعلماء وأعيان الناس مثل ابن رميلة صاحب الرؤيا المذكورة وقاضي هراكش أبي مروان عبد الملك المصمودي وغيرهما رحمهم الله تعالى (وحكى) أن موضع المعترك كان على اتساعه ما كان فيه موضع قدم الا على ميت أو دم وأقامت العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم واستؤذن في ذلك السلطان يوسف فعف عنها وآثرها مسلوك الاندلس وعرفهم أن مقصده الجهاد والاجر العظيم وما عند الله في ذلك من الثواب المقيم فلما رأت مسلوك الاندلس ايثار يوسف لهم بالغنائم استكثروه وأحبوه وشكروا له ذلك ولما بلغ الاذفونش الى بلاده وسأل عن أبطاله وشجعانه وأصحابه ففقدهم ولم يسمع الا نواح الثكالى عليهم اهتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك غما وهما وراح الى أمه المعاوية ولم يخلف الا بنتا واحدة جعل الامر اليها فتحصنت بطليطلة ورحل المعتمد الى اشبيلية ومعه السلطان يوسف بن تاشفين فأقام السلطان يوسف بن تاشفين بظاهر اشبيلية ثلاثة أيام ووردت عليه من المغرب أخبار تقتضي العزم فسافر وذهب معه ابن عباد يوما وليلة فخلف ابن تاشفين وعزم عليه في الرجوع وكانت جراحاته تورمت عليه فسير معه ولده

يخرج الى عرفة بسبب الحجاج فكانت مدة حصار الحجاج لابن الزبير بمكة خمسين ليلة ودخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد بلغت مائة سنة لم تقع لها سن ولا ابيض لها شعر ولم ينكر لها عقل على حسب ما قدمنا من خبرها في هذا الكتاب فقال يا امه كيف تجدينك قالت أنى لشاكية يا بني فقال لها ان في الموت راحة قالت لعلك تمنيه لي وما أحب أن أموت حتى يأتي على أحد طرفيك اما قتلت فأحتسبك واما ظفرت فقرت عيني بك وأوصى عبد الله بما يحتاج من أمره وأمر نساءه اذا بلغن الواعية عليه ان يضممن أمه أسماء اليهن وكان عروة ابن الزبير على رأى عبد الملك بن مروان وكان كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره بتعاهد عروة وأن لا يسوءه في نفسه وماله فخرج عروة الى الحجاج ورجع الى أخيه فقال هذا خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعمرو بن عثمان بن عفان يعطيانك أمان عبد الملك على ما احدثت أنت ومن معك وأن تنزل أي البلاد شئت لك بذلك عهد الله وميثاقه وغير ذلك من الكلام فأبى عبد الله قبول ذلك وقالت له أمه أسماء أي بني لا تقبل خطة تخاف على نفسك

عبد الله الى أن وصل البحر وعبر الى المغرب ولما رجع ابن عباد الى اشبيلية جلس للناس وهنئ بالفتح وقرأت القراء وقامت على رأسه الشعراء فأنشدوه قال عبد الجليل بن وهبون حضرت ذلك اليوم وأعددت قصيدة أنشدها بين يديه فقرأ القارئ الا تنصروه فقد نصره الله فقلت بعد الى ولشعري والله ما أبقت لي هذه الآية معنى أحضره وأقوم به ولما عزم السلطان يوسف بن تاشفين الى بلاده ترك الامير سيري بن أبي بكر أحد قواده المشاهير وترك معه جيشا برسم غزو الفرنج فاستراح الامير المذكور أياما قلائل ودخل بلاد الاذفونس وأطلق الغارة ونهب وسبى وفتح الحصون المنيعة والمعاقل الصعبة العويصة وتوغل في البلاد وحصل أموالا وذخائر عظيمة ورتب رجالا وفرسانا في جميع ما أخذه وأرسل للسلطان يوسف جميع ما حصله وكتب له يعرفه أن الجيوش بالثغور مقيمة على مكابدة العدو وملازمة الحرب والقتال في أضيق العيش وأنكده وملوك الاندلس في بلادهم وأهليهم في أرغد عيش وأطيبه وسأله مرسومه فكتب اليه أن يأمرهم بالنقلة والرحيل الى أرض العدوة ففعل ذلك ومن أبى حاصره وقاتله ولا تنفس عليه ولتبدأ بمن والى الثغور ولا تتعرض للمعتمد بن عباد الا بعد استيلائك على البلاد وكل بلد أخذته فول فيه أميرا من عساكرك فأول من ابتدأ به من ملوك الاندلس بنو هود وكانوا برطه بضم الراء المهملة وبعدها واو ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وبعدها هاء ساكنة وهي قلعة منيعة من عاصمات الذرى ومأواها ينبع من أعلاها وفيها من الاقوات والذخائر المختلفات ما لا تفنيه الازمان فحاصرها فلم يقدر عليها ورحل عنها وجند أجنادا على هيئة الفرنج وزيهم وأمرهم أن يقصدوها ويغيروا عليها وكمن هو وأصحابه بقرب منها فلما رآهم أهل القلعة استضعفوهم فنزلوا اليهم ومعهم صاحب القلعة فخرج عليه سيري المذكور وقبضه باليد وتسلم الحصن ثم نازل بني طاهر بشرق الاندلس فأسلموا له البلاد ولحقوا بالعدوة ثم نازل بني صمادح بالمرية ولها قلعة حصينة فحاصرهم وضيق بهم ولما علم ابن صمادح الغلب أسف ومات غبنا فأخذ القلعة واستولى على المرية وجميع أعمالها ثم قصد باطليوس وكان بها المتوكل عمر بن محمد بن الافطس المتقدم ذكره فحاصره وأخذه واستولى على جميع أعماله وماله ولم يبق له الا المعتمد ابن عباد فكتب للسلطان يوسف يعرفه بما فعل ويسأله مرسومه في ابن عباد فكتب اليه يأمره أنه يعرض عليه النقلة لبر العدوة بجميع الاهل والعشيرة فان رضي والا فحاصره وخذه وأرسل به كسائر أصحابه فواجهه وعرفه بما رسم به السلطان يوسف وسأله الجواب فلم يجب بنفي ولا اثبات ثم انه نازل اشبيلية وحاصره بها وألح عليه فأقام الحصار شهرا ودخل البلد قهرا واستخرجه من قصره فحمل وجميع أهله وولده الى العدوة فانزل باغمات وأقام بها الى أن مات رحمه الله تعالى وعفا عنه * وأما ابن الاثير ففي كلامه تقديم وتأخير وبعض خلاف لما مر وأخبار المعتمد بن عباد وما رآه من الملك والعز في كل حاضر وباد وما قاساه في الاسر من الضيق والعسر وسوء العيش أمر عجيب يتعظ به العاقل الاريب وأما ما مدحته به الشعراء وأجوبته لهم في حالي يسره وعسره وملكه وأسره وطيه ونشره وتجهمه وبشره فهو كثير وفي كتب التواريخ منه تطيم ونثير وقد قدمنا منه في هذا الكتاب ما يبعث الاعتبار

منها مخافة القتل مت كريما ... وايالك ان تؤسر أو تطعى بيديك فقال يا أمه اني أخاف ان يمثل بي بعد القتل فقالت يا بني وهل تتألم الشاة من السلخ بعد الذبح ودخلوا على ابن الزبير في المسجد وقت الصلاة وقد التجأ الى البيت وهم ينادون يا ابن ذات النطاقين فقال ابن الزبير متمثلا

وعيرها الواشون اني أحبها ... وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ونظر الى طائفة منهم قد اقبلوا نحوه بالسيوف فقال لاصحابه من هؤلاء قالوا أهل مصر قال قتلة عثمان أمير المؤمنين ورب الكعبة فحمل عليهم فضرب رجلا منهم به أدمة فقده وقال صبرا يا ابن حام وتكاثر عليه الرجال من أهل الشام ومصر فلم يزل يضرب فيهم حتى أخرجهم عن المسجد ورجع الى البيت وهو يقول

ولست بمبتاع الحياة بسبة ... ولا مبتغي من رهبة الموت سلما

فاستلم الحجر ثم تكاثروا عليه فحمل عليهم وهو يقول

قد سن أصحابك ضرب الاعناق ... وقامت الحرب بنا على ساق

فأتاه حجر فصك جبينه فادماه وأوضحه فقال

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ويثير

ويثير وخصوصا فى الباب السابع من هذا التأليف الذى هو عند المنصف أثير وفى المعتمد وأبيه المعتضد يقول بعض الشعراء

من بنى منذر وذاك انتساب * زاد فى فخرهم بنو عباد
فتية لم تلدسواها المعالى * والمعالى قليلة الاولاد

وقال ابن القطاع فى كتابه لمح الملح فى حق المعتمد انه اندى ملوك الاندلس راحه وأرحبهم ساحه وأعظمهم سماذا وأرفعهم عمادا ولذلك كانت حضرته ملتقى الرحال وموسم الشعراء وقبلة الآمال ومألف الفضلاء حتى انه لم يجتمع ببابه وتشتمل عليه حاشيته اجنابه * وقال ابن بسام فى الذخيرة للمعتمد شعر كما انشق الكمام عن الزهر لو صار مثله ممن جعل الشعر صناعه واتخذه بضاعه لكان رائقا معجبا ونادرا مستغربا فمنه قوله

أكثرت هجرك غير أنك ربما * عطفتك أحيانا على أمور
فكانما زمن التهاجر بيننا * ليل وساعات الوصال بدور

قال وهذا المعنى ينظر الى قول بعضهم من أبيات

اسفر ضوء الصبح عن وجهه * فقام ذاك الخال فيه بلال
كأنما الخال على خده * ساعات هجر فى زمان الوصال

وعزم على ارسال حظاياه من قرطبة الى اشبيلية فخرج معهن يشيعهن فسايرهن من أول الليل الى الصبح فودعهن ورجع وأنشد أبياتا منها

سايرتهم والليل عقد ثوبه * حتى تبدى للنواظر معلما
فوقفت ثم مودعا وتسلمت * منى يد الاصباح تلك الانجما

وهذا المعنى فى نهاية الحسن ثم ذكر من كلامه جملة (عودوا نعطاف) ولما جاء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الى ناحية غرناطة بعد ما حصر بعض حصون الفرنج فلم يقدر عليه خرج الى لقائه صاحب غرناطة عبد الله بن بلكين فسلم عليه ثم عاد الى بلده ليخرج له التقادم فغدر به ودخل البلد وأخرج عبد الله ودخل قصره فوجد فيه من الذخائر والاموال ما لا يحد ولا يحصى ثم رجع الى مراكش وقد أعجبه حسن بلاد الاندلس وبهجتها وما بها من المبانى والبساتين والمطاعم وسائر الاصناف التى لا توجد فى سائر بلاد العدوة اذ هى بلاد بربر واجلاف عربان فجعل خواص يوسف يعظمون عنده بلاد الاندلس ويحسنون له أخذها ويوغرون قلبه على المعتمد بأشياء نقلوها عنه فتغير على المعتمد وقصد مشارفة الاندلس (وحكى) ابن خلدون أن علماء الاندلس أفتوا ابن تاشفين بجواز خلع المعتمد وغيره من ملوك الطوائف و بقتالهم ان امتنعوا فجهز يوسف العساكر الى الاندلس وحاصر سيرى بن أبى بكر أحد عظماء دولة يوسف اشبيلية و بها المعتمد فكان من دفاعه وشدة ثباته ما هو معلوم ثم أخذ أسيرا وصار طرف الملك بعده حسيرا * وفى وصف ذلك يقول صاحب القلائد بعد كلام ثم جمع هووأهله وحملتهم الجوارى المنشآت وضمتهم كانهم أموات بعد ما ضاق عنهم القصر وراق منهم المصر والناس قد حشروا بضفتى الوادى يبكون بدموع كالغوادى فساروا

كل منكم سيفه كما يصون وجهه لا ينكسر سيف أحد فيقعد كالمرأة ولا يسأل رجل منكم أين عبد الله من يسأل عنى فانى فى الرعيل الاول ثم أنشأ يقول

يارب ان جنود الشأم قد كثروا
وهتكوا من حجاب البيت أستارا
يارب انى ضعيف الركن مضطهد
فابعث الى جنودا منك أنصارا

وتكاثر أهل الشأم عليه ألوفا من كل باب فحمل عليهم فشدخ بالحجارة فانصرع وأكب عليه مولیان له وأحدهما يقول العبد يحمى ربه و يحتمى حتى قتلوا جميعا وتفرق من كان معه من أصحابه وأمر به الحجاج فصلب بمكة وكان مقتله يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين وكانت أسماء أم الحجاج فى دفنه فابى عليها فقالت للحجاج أشهد انى لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير فاما الكذاب فهو المختار وأما المبير فانت الا هو وسنذكر ما علم من أخبار الحجاج فيما يرد من هذا الكتاب وان كنا

والنوح يحدوهم والبوح باللوعة لا يعدوهم انتهى * ولما فرغ أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين من أمر غزوة الزلاقة المتقدم ذكرها ورجع تكرم له ابن عباد وسأله أن ينزل عنده فعرج الى بلاده اذ أجابه الى ماطلب فلما انتهى ابن تاشفين الى اشبيلية مدينة المعتمد وهى من أجل المدن وأحسنها منظرا وأمعن يوسف النظر فيها وفى محلها وهى على نهر عظيم متجر تجرى فيه السفن بالبضائع جالبة من بر المغرب وحاملة اليه وفى غربيها رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخا يشتمل على آلاف من الضياع كلها تين وعنب وزيتون وهذا هو المسمى بشرف اشبيلية وتمتار بلاد المغرب كلها بهذه الاصناف منه وفى جانب المدينة قصور المعتمد وأبيه المعتضد فى غاية الحسن والبهاء وفيها أنواع ما يحتاج اليه من المطعوم والمشروب والملبوس والمفروش وغير ذلك فأنزل المعتمد يوسف بن تاشفين فى أحدها وتولى من اكرامه وخدمته ما أوسع شكر ابن تاشفين له وكان مع ابن تاشفين أصحاب له ينبهونه على حسن تلك الحال وتأملها وما هى عليه من النعمة والاترف ويغرونه باتخاذ مثلها ويقولون له ان فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة كما هو المعتمد وأصحابه وكان ابن تاشفين عاقلا مقتصدا فى أموره غير متطاول ولا مبذر غير سالك نهج الترف والتأنق فى اللذة والنعيم اذ ذهب صدر عمره فى بلاده بالصحراء فى شظف العيش فأنكر على من أغراه بذلك الاسراف وقال له الذى يلوح لى من أمر هذا الرجل يعنى المعتمد انه مضيع لما فى يده من الملك لان هذه الاموال الكثيرة التى تصرف فى هذه الاحوال لابد أن يكون لها أرباب لا يمكن أخذ هذا القدر منهم على وجه العدل أبدا فأخذه بالظلم واخراجه فى هذه الترهات من أفحش الاستهتار ومن كانت همته فى هذا الحد من التصرف فيما لا يعد والاجوفين متى يستجد همة فى ضبط بلاده وحفظها وصون رعيته والتوفير لمصالحها واعمرى لقد صدق فى كل ذلك ثم ان يوسف بن تاشفين سأل عن أحوال المعتمد فى لذاته هل تختلف فتنقص عما عليه فى بعض الاوقات فقيل له بل كل زمانه على هذا فقال أفكل أصحابه وأنصاره على عدوه ومنجديه على الملك ينال حظا من ذلك فقالوا لا قال فكيف ترون رضاهم عنه فقالوا لا رضا لهم عنه فاطرق وسكت وأقام عند المعتمد على تلك الحال أياما وفى أثنائها استأذن رجل على المعتمد فدخل وهو ذو هيئة رثة وكان من أهل البصائر فلما مثل بين يديه قال أصلحك الله أيها السلطان ان من أوجب الواجبات شكر النعمة وان من شكر النعمة اهداء النصائح وانى رجل من رعيتك حالى فى دولتك الى الاختلال أقرب منها الى الاعتدال ولكننى مع ذلك مستوجب لك من النصيحة ما للملك على رعيته فمن ذلك خبر وقع فى أذنى من بعض أصحاب ضيفك هذا يوسف بن تاشفين يدل على انهم يرون أنفسهم وملكهم أحق بهذه النعمة منك وقد رأيت رأيا فان آثرت الاصغاء اليه قلته فقال المعتمد له قله فقال له رأيت أن هذا الرجل الذى أطلعته على ملكك مستأسد على الملوك قد حكم على رفقائه ببر العدوة وأخذ الملك من أيديهم ولم يبق على واحد منهم ولا يؤمن أن يطمع الى المطمع فى ملكك بل فى ملك جزيرة الاندلس كلها لما قد عاينه من هناءة عيشك وانى لتخيل مثل ذلك لسائر ملوك الاندلس وان له من الاقارب وغيرهم من تؤدى الحلول بما أنت فيه من خصب الجناب وقد ارى الاذفونش

ثلاث سنين ثم جمع له العراق بعد موت بشر بن مروان بالبصرة ومات جابر ابن عبد الله الانصارى فى أيام عبد الملك بالمدينة وذلك فى سنة ثمان وسبعين وقد ذهب بصره وهو ابن نيف وتسعين سنة وقد كان قدم الى معاوية بدمشق فلم يأذن له أياما فلما أذن له قال يا معاوية أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حجب ذا فاقة وحاجة حجبه الله يوم فاقته وحاجته فغضب معاوية وقال له لقد سمعته يقول انكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تردوا على الحوض أفلا صبرت قال ذكرتنى ما نسيت وخرج فاستوى على راحلته ومضى فوجه اليه معاوية بستمائة دينار فردها وكتب اليه

وانى لاختار القنوع على الغنى
اذا اجتمعا والماء بالبارد المحض
وأقضى على نفسى اذا الامر نابنى
وفى الناس من يقضى عليه ولا يقضى

والبس أثواب الحياء وقد أرى * مكان الغنى أن لا أهين له عرضى وقال لرسوله قل له والله وجهه

وعشرين في أيامه بالمدينة ودفن بالبقيع وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان باذن ابنه أبي هاشم وكان محمد يكنى بأبي القاسم وقبض وهو ابن خمس وستين وقيل انه خرج الى الطائف هاربا من ابن الزبير فمات بها وقيل انه مات ببلاد أيلة وقد تنوزع في موضع قبره وقدمنا قول الكيسانية ومن قال منهم انه بجبل رضوى وكان له من الولد الحسن وأبو هاشم والقاسم وابراهيم

(حدثنا) نصر بن علي قال حدثنا أبو أحمد الزبيري عن يونس بن أبي اسحق قال حدثنا سهيل بن عبيد ابن عمر الخابوري قال كتب ابن الحنفية الى عبد الملك ان الحجاج قد قدم بلدنا فقد خفته فأحب ان لا تجعل له على سلطانا يبد ولا لسان فكتب عبد الملك الى الحجاج ان محمد بن علي كتب الي يستعفيني منك وقد أخرجت يدك عنه فلم أجعل لك عليه سلطانا يبد ولا لسان فلا تتعرض له فلقيه في الطواف فغمض على شفته ثم قال لم يأذن لي فيك أمير المؤمنين فقال له محمد ويحك أوما علمت

و جيشه واستأصل شأفتهم واعدملك منه أقوى ناصر عليه لو احتجت اليه فقد كان لك منه أقوى عضد وأوقى مجن وبعد فانه ان فات الامر في الاذفونش فلا يفتك الحزم فيما هو ممكن اليوم فقال له المعتمد وما هو الحزم اليوم فقال أن تجمع أمرك على قبض ضيفك هذا واعتقاله في قصرك وتجزم انك لا تطلقه حتى يأمر كل من بجزيرة الاندلس من عسكره أن يرجع من حيث جاء حتى لا يبقى منهم احد بالجزيرة طفل فمن فوقه ثم تتفق أنت وملوك الجزيرة على حراسة هذا البحر من سفينة تجرى فيه ثم بعد ذلك تستحلفه باغلظ الايمان أن لا يضمر في نفسه عودا الى هذه الجزيرة الا باتفاق منكم ومنه وتأخذ منه على ذلك رهائن فانه يعطيك من ذلك ما تشاء فتنفسه أعز عليه من جميع ما يلتمس منه فعند ذلك يقتنع هذا الرجل ببلاده التي لا تصلح الا له وتكون قد استرحت منه بعد ما استرحت من الاذفونش وتقيم في موضعك على خير حال و يرتفع ذكرك عند ملوك الجزيرة ويتسع ملكك وينسب هذا الاتفاق لك الى سعادة وحزم وتهابك الملوك ثم أعمل بعد هذا ما يقتضيه حزمك في مجاورة من عاملته هذه المعاملة واعلم أنه قد تهيأ لك من هذا أمر سماوي تتفانى الامم وتجري بحار الدم دون حصول مثله فلما سمع المعتمد كلام الرجل استصوبه وجعل يفكر في انتهاز الفرصة وكان للمعتمد ندماء قد انهمكوا معه في اللذات فقال احدهم لهذا الرجل الناصح ما كان المعتمد على الله وهو امام أهل المكرمات ممن يعامل بالحيف و يغدر بالضيف فقال الرجل انما الغدر أخذ الحق من يد صاحبه لا دفع الرجل عن نفسه المحذور اذا ضاق به فقال ذلك النديم ضيم مع وفاء خير من حزم مع جفاء ثم ان ذلك الناصح استدرك الامر وتلافاه فشكر له المعتمد ووصله بصلة واتصل هذا الخبر بيوسف فاصبح غاديا فقدم له المعتمد الهدايا السنية والتحف الفاخرة فقبلها ثم رحل انتهى خبر وقعة الزلاقة وما يتبعه ملخصا من كتب التاريخ

(ولما) انقرض بالاندلس ملك ملوك الطوائف بني عباد و بني ذي النون و بني الافطس وبني صمادح وغيرهم انتظمت في سلك الملثمين وكانت لهم فيها وقعات بالاعداء مشهورة في كتب التواريخ (ولما) مات يوسف بن تاشفين سنة خمسمائة قام بالملك بعده ابنه أمير المسلمين علي بن يوسف وسلك سنن أبيه وان قصر عنه في بعض الامور ودفع العدو عن الاندلس مدة الى أن قيض الله تعالى للثورة عليه محمد بن تومرت الملقب بالمهدي الذي اسس دولة الموحدين فلم يزل يسعى في هدم بنيان لمتونة الى أن مات ولم يملك حضرة سلطنتهم مراكش ولكنه ملك كثيرا من البلاد فاستخلف عبد المؤمن بن علي فكان من استيلائه على مملكة اللمتونيين ما هو معروف ثم جاز الى الاندلس وملك كثيرا منها ثم اخرج الافرنج من مهدية أفريقية وملك بلاد افريقية وضخم ملكه وتسمى بامير المؤمنين ولما كانت سنة ٥٤٠ سار الاذفونش صاحب طليطلة وبلاد الجلالقة الى قرطبة ومعه أربعون ألف فارس فحاصرها وكان أهلها في غلاء شديد فبلغ الخبر عبد المؤمن فجهز اليهم جيشا يحتوي على اثني عشر الف فارس فلما اشرفوا على الاذفونش رحل عنها وكان فيها القائد أبو الغمر السائب فسلمها الى صاحب جيش عبد المؤمن يحيى بن ميمون فبات فيها فلما اصبح رأى الفرنج عادوا الى مكانهم ونزلوا في المكان الذي كانوا فيه فلما عاين ذلك رتب هنالك ناسا وعاد الى عبد

أن الله تبارك وتعالى في كل يوم وليلة ثلثمائة وستين لحظة أو قال نظرة لعله أن ينظر الى منها بنظرة أو قال بلحظة فيرحني

الروم وقد كان توعده فكتب اليه ملك الروم لست هذه من سجيتك ولا من سجية آبائك ما قالها الا نبي أو رجل من أهل بيت نبي (وذكر) الشعبي قال أنفذني عبد الملك الى ملك الروم فلما وصلت اليه جعل لا يسألني عن شيء الا أجبته وكانت الرسل لا تطيل الاقامة عنده فحبسني أياما كثيرة حتى استحييت خروجي فلما أردت الانصراف قال لي من أهل بيت المملكة أنت قلت لا ولكني رجل من العرب في الجملة فهمس بشيء فدفعت الى رقعة وقيل لي اذا أديت الرسائل عند وصولك الى صاحبك أوصل اليه هذه الرقعة قال فأديت الرسائل عند وصولي الى عبد الملك ونسيت الرقعة فلما صرت في بعض الدار اذ بدات بالخروج تذكرتها فرجعت فأوصلتها اليه فلما قرأها قال لي أقال لك شيأ قبل أن يدفعها اليك قلت نعم قال لي من أهل بيت المملكة انت قلت لا ولكني رجل من العرب في الجملة ثم خرجت من عنده فلما بلغت الباب رددت فلما مثلت بين يديه قال لي اتدري ما في الرقعة قلت لا قال اقرأها فلما قرأتها فاذا فيها عجبت من قوم فيهم مثل هذا

المؤمن ثم رحل الفرنج الى ديارهم وفي السنة بعدها دخل جيش عبد المؤمن الى الاندلس في عشرين ألفا عليهم الهنتاتي فصار اليه صاحب غرناطة ميمون وابن همشك وغيرهما فدخلوا تحت طاعة الموحدين وحرصوا على قصد ابن مردنيش ملك شرق الاندلس وبلغ ذلك ابن مردنيش فخاف وارسل الى صاحب برشلونة من الافرنج يستنجده فتجهز اليه في عشرة آلاف من الافرنج عليهم فارس وسار صاحب جيش عبد المؤمن الى أن قارب ابن مردنيش فبلغه أمر البرشلوني الافرنجي فرجع ونازل مدينة المرية وهي بايدي الروم فحاصرها فاشتد الغلاء في عسكره فرجع الى اشبيلية فاقام فيها وسار عبد المؤمن الى سبتة فجهز الاساطيل وجمع العساكر ثم سار عبد المؤمن سنة ٥٤٧ الى المهدية فملكها وملك أفريقية وضخم ملكه كما قدمناه * ولما مات بويع بعده ولده يوسف بن عبد المؤمن ولما تمهدت له الامور واستقرت قواعد ملكه رحل الى جزيرة الاندلس لكشف مصالح دولته وتفقد احوالها وكان ذلك سنة ست وستين وخمسمائة وفي صحبته مائة ألف فارس من الموحدين والعرب فنزل بحضرة اشبيلية وخافه ملك شرق الاندلس مرسية وما انضاف اليها الامير الشهير أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش وحمل على قلب ابن مردنيش فرض مرضا شديدا ومات وقيل انه سم ولما مات جاء أولاده وأهله الى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو باشبيلية فدخلوا تحت حكمه وسلموا الاحكام البلاد فصاهرهم واحسن اليهم واصبحوا عنده في اعز مكان ثم شرع في استرجاع البلاد التي استولى عليها الافرنج فاتسعت مملكته بالاندلس وصارت سراياه تعبر الى باب طنطلة وقيل انه حاصرها فاجتمع الفرنج كافة عليه واشتد الغلاء في عسكره فرجع عنها الى مراكش حضرة ملكه ثم ذهب الى أفريقية فهدها ثم رجع الى حضرته مراكش ثم جاز البحر الى الاندلس سنة ثمانين وخمسمائة ومعه جمع كثيف وقصد غربي بلادها فحاصر مدينة شنترين وهي من اعظم بلاد العدو وبقي محاصرها اشهرا فاصابه المرض فمات في السنة المذكورة وحمل في تابوت الى اشبيلية وقيل أصابه سهم من قبل الافرنج والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال * وفي ابنه السيد اسحق يقول مطرف التحيبي رحمه الله تعالى

سعد كما شاء العلا والفخار * تصرف الليل به والنهار
ما دانت الارض لكم عنوة * وانما دانت لامر كبار
مهد تموها فصفا عيشها * واتصل الابن فنعم القرار

ومنها

فالشاة لا يختلها ذئبها * وان اقامت معه في وجار

ولما مات يوسف قام بالامر بعده ابنه الشهير أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن فقام بالامر أحسن قيام ولما مات يوسف المذكور رثاه أديب الاندلس أبو بكر يحيى ابن مجبر بقصيدة طويلة أجاد فيها واولها

جل الاسى فأسل دم الاجفان * ماء الشؤن لغير هذا الشان

ويعقوب المنصور هو الذي أظهر أبهة ملك الموحدين ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط الاحكام الشرعية وأظهر الدين وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام الحدود على

القريب والبعيد وله في ذلك أخبار وفيه يقول الاديب أبو اسحق ابراهيم بن يعقوب الكاتبي الاسود الشاعر المشهور

أزال حجابه عني وعيني * تراه من المهابة في حجاب
وقربني تفضله ولكن * بعدت مهابة عند اقترابي

وكثرت الفتوحات في أيامه وأول ما نظر فيه عند صيرورة الامر اليه بلاد الاندلس فنظر في شأنها ورتب مصالحها وقرر المقاتلين في مراكزهم ورجع الى كرسي مملكته مراكش المحروسة وفي سنة ٥٨٦ بلغه أن الافرنج ملكوا مدينة شلب وهي من غرب الاندلس فتوجه اليها بنفسه وحاصرها وأخذها وأنفذ في الوقت جيشا من الموحدين والعرب ففتح أربعين مدينا مما بأيدي الافرنج من البلاد التي كانوا أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة وخافه صاحب طليطلة وسأله الهدنة والصلح فهادنه خمس سنين وعاد الى مراكش وأنشد القائد أبو عبد الله بن وزير الشلبي وهو من أمراء كتاب اشبيلية قصيدة يخاطب بها يعقوب المنصور فيما جرى في وقعة مع الافرنج كان الشلبي المذكور مقدما فيها

ولما تلاقينا جرى الطعن بيننا * فنا ومنهم طائحون عديد
وجال غرار الهند فينا وفيهم * فنا ومنهم قائم وحصيد
فلا صدر الا فيه صدر مثقف * وحول الوريد للحسام ورود
صبرنا ولا كهف سوى البيض والقنا * كلانا على حر الجلاد جليد
ولكن شددنا شدة فتبلدوا * ومن يتبلد لا يزال يحيد
فولوا وللسمر الطوال بهامهم * ركوع وللبيض الرقاق سجود

(رجع) الى أخبار المنصور بعد مدة الافرنج ولما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها الا القليل خرج طاغية من الافرنج في جيش كثيف الى بلاد المسلمين فنهبوا وسعوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتهى الخبر اليه فتجهز لقصدهم في جيوش موفرة وعساكر مكتبة واحتفل في ذلك وجاز الى الاندلس سنة ٥٩١ فعلم به الافرنج فجمعوا جمعا كثيرا من أقاصي بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه وقيل انه لما أراد الجواز من مدينة سلا مرض مرضا شديدا ويئس منه اطباؤه فعاث الاذفونش في بلاد المسلمين بالاندلس وانتهز الفرصة وتفرقت جيوش المسلمين بسبب مرض السلطان فأرسل الاذفونش يتهدد ويتوعد ويبرق ويطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الاندلس وخلاصة الامر أن المنصور توجه بعد ذلك الى لقاء النصارى وتزاحف الفريقان فكان المصاف شمالي قرطبة على قرب قلعة رباح في يوم الخميس تاسع شعبان سنة ٥٩١ فكانت بينهم وقعة عظيمة استشهد فيها جمع كبير من المسلمين (وحكي) أن يعقوب المنصور جعل مكانه تحت الاعلام السلطانية الشيخ أبا يحيى ابن أبي حفص عم السلطان أبي زكريا الحفصي الذي ملك بعد ذلك افريقية وخطب له ببعض الاندلس فقصدا لافرنج الاعلام ظنا أن السلطان قتحتها فأثر وا في المسلمين أثرا قبيحا فلم يرعهم الا والسلطان يعقوب قد أشرف عليهم بعد كسر شوكتهم فهزمهم شر هزيمة وهرب الاذفونش في طائفة يسيرة وهذه وقعة الارك الشهيرة الذكر (وحكي) أن الذي حصل

وأرادان يغريني بقتلك قال فتأدى ذلك الى ملك الروم فقال ما أردت الا ما قال وذكر عند معاوية عبد الملك فقال هو آخذ بثلاث وتارك لثلاث آخذ بقلب الناس اذا حدث ويحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر الامرين اذا خولف تارك للماراة تارك للغيبة تارك لما يعتذر منه وقال لعبد الملك بعض جلسائه يوما أريد الخلوة بك فلما خلا به قال له عبد الملك بشرط ثلاث خصال لا تطر نفسي عندك فانا أعلم بها منك ولا تغتب عندي أحدا فلست أسمع منك ولا تكذبني فلا رأي لمكذب قال أتأذن في الانصراف قال اذا شئت وذكر الهيثم وغيره من الاخباريين أن عبد الملك بلغه عن عامل من عماله أنه قبل الهدايا فاستخصه اليه فلما دخل عليه قال له أقبلت هدية منذ وليت قال يا أمير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك موفور ورعيتك على أفضل حال قال أجب فيما أسألتك عنه اقبلت هدية منذ وليتك قال نعم قال ان كنت قبلت ولم تعوض انك للئيم ولئن كنت أنت مهديها من غير مال أو استكفيته ما لم يكن مثله مستكفاه انك لخائن جائر وفيما أتيت أمر

لبيت المال من دروع الافرنج ستون ألفا وأما الدواب على اختلاف أنواعها فلم يحصرها عدد ولم يسمع بعد وقعة الزلاقة بمثل وقعة الارك هذه وربما صرح بعض المؤرخين بأنها أعظم من وقعة الزلاقة وقيل ان فل الافرنج هربوا الى قلعة رباح فتحصنوا بها فحاصرها السلطان يعقوب حتى أخذها وكانت قبل للمسلمين فأخذها العدو فردت في هذه المرة ثم حاصر طليطلة وقاتلها أشد قتال وقطع أشجارها وشن الغارات على ارجائها وأخذ من أعمالها حصونا وقتل رجالها وسبى حريمها وخرب منازلها وهدم أسوارها وترك الافرنج في أسوأ حال ولم يبرز اليه أحد من المقاتلة ثم رجع الى اشبيلية وأقام الى سنة ٥٩٣ فعاد الى بلاد الفرنج وفعل فيها الافاعيل فلم يقدر العدو على لقائه وضاقت على الافرنج الارض بما رحبت فطلبوا الصلح فأجابهم اليه لما بلغه من ثورة المبرق عليه بافريقية مع قراقوش مملوك بني أيوب سلاطين مصر والشام ثم توفي السلطان يعقوب سنه ٥٩٥ وما يقال انه ساح في الارض وتخلى عن الملك ووصل الى الشام ودفن بالبقاع لا أصل له وان حكى ابن خلكان بعضه وممن صرح ببطلان هذا القول الشريف الغرناطي في شرح مقصورة حازم وقال ان ذلك من هذيان العامة لولوعهم بالسلطان المذكور * وتولى بعده ولده محمد الناصر المشؤم على المسلمين وعلى جزيرة الاندلس بالخصوص فانه جمع جموعا اشتملت على ستمائة ألف مقاتل فيما حكاه صاحب الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ودخله الاعجاب بكثرة من معه من الجيوش فصادف الافرنج فكانت عليه وعلى المسلمين وقعة العقاب المشهورة التي خلا بسببها أكثر المغرب واستولى الافرنج على أكثر الاندلس بعدها ولم ينج من الستمائة ألف مقاتل غير عدد يسير جدا لم يبلغ الالف فيما قيل وهذه الوقعة هي الطامة على الاندلس بل المغرب جميعا وماذا الا لسوء التدبير فان رجال الاندلس العارفين بقتال الافرنج استخف بهم الناصر وو زيره فشنق بعضهم ففسدت النيات فكان ذلك من بخت الافرنج والله غالب على أمره وكانت وقعة العقاب هذه المشؤمة سنة ٦٠٩ ولم تقم بعدها للمسلمين قائمة تحمد * ولما مات الناصر سنة عشرين وستمائة ولي بعده ابنه يوسف المستنصر وكان مولعا بالراحة فضعفت الدولة في أيامه * وتوفي سنة ٦٢٠ فتولى عم أبيه عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن فلم يحسن التدبير وكان اذ ذاك بالاندلس العادل بن المنصور فرأى أنه أحق بالامر فاستولى على ما بقي في أيدي المسلمين من الاندلس بغير كلفة ولما خلع عبد الواحد وخنق بمراكش ثارت الافرنج على العادل بالاندلس وتصاف معهم فانهزم ومن معه من المسلمين هزيمة شنعاء فكانت الاندلس قرحا على قرح فهرب العادل وركب البحر يروم مراكش وترك باشبيلية أخاه أبا العلاء ادريس ودخل العادل مراكش بعد خطوب ثم قبض عليه الموحدون وقدموا يحيى بن الناصر صغير السن غير مجرب للامور فادعى حينئذ الخلافة أبو العلاء ادريس باشبيلية وبايعه أهل الاندلس ثم بايعه أهل مراكش وهو مقيم بالاندلس فثار على أبي العلاء بالاندلس الامير المتوكل محمد بن يوسف الجذامي ودعا الى بني العباس فمال الناس اليه ورجعوا عن ابي العلاء فخرج عن الاندلس اعني أبا العلاء وترك ما وراء البحر لابن هود ولم يزل أبو العلاء يحارب مع يحيى بن الناصر الى أن قتل يحيى وصفا الامر لابي

لا تخلو فيه من دناءة أو
قال الوليد بن اسحق قال
قال ابن عباس كانت
عاتكة بنت يزيد بن
معاوية وأمها أم كلثوم
بنت عبد الله بن عامر تحت
عبد الملك بن مروان فغضبت
عليه فطلب رضاها بكل
شيء فأبت عليه وكانت
أحب الناس اليه فشكا
ذلك الى خاصته فقال له
عمرو بن بلال رجل من بني
أسد كان قد تزوج بنت
زنباع الجذامي مالي عليك
ان أرضيتها قال أحكمك
فخرج وجلس بباب يبكي
فقالت خاصتها مالك أبا
حفص قال فزعت الى ابنة
عمي فاستأذنوا لي عليها
فأذنت له وبينهما ستر
فقال قد عرفت حالي مع
أمراء المؤمنين معاوية
ويزيد ومروان وعبد الملك
ولم يكن لي غير ابنين فعدا
أحدهما على الآخر فقتله
فقال أميرا لمؤمنين انا قاتل
المتعدي قلت له انا ولي
الدم وقد عفوت فابى
علي وقال ما أحب أن أعود
رعيتي هذا وهو قاتله
بالغداة فانشدك الله
الا ما طلبته منه فقالت
لا أكلمه قال ما أظنك
تكسبين شيأ هو أفضل
من احياء نفس ولم يزل
نخواصها وخدمها وحاشيتها حتى قالت على بثيابي فلبست وكان بينها وبين عبد الملك باب وكانت قد

العلاء بالمغرب دون الاندلس ثم مات سنة ٦٣٠ * وبويع ابنه الرشيد وبايعه بعض أهل الاندلس ثم توفي سنة ٦٤٠ * وولي بعده أخوه السعيد وقتل على حصن بينه وبين تلمسان سنة ٦٤٦ * وولي بعده المرتضى عمر بن ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن وفي سنة ٦٦٥ دخل عليه الواثق المعروف بابي دبوس ففر ثم قبض وسيق الى الواثق فقتله ثم قتل الواثق بنو مرين سنة ٦٦٨ وبه انقرضت دولة بني عبد المؤمن وكانت من أعظم الدول الاسلامية فاستولى بنو مرين على المغرب وأما المتوكل بن هود فملك معظم الاندلس ثم كثرت عليه الخوارج قريب موته وقتله غدرا وزيره ابن الرميمي بالمرية واغتنم الافرنج الفرصة بافتراق الكلمة فاستولوا على كثير مما بقي بايدي المسلمين من البلاد والحصون ثم آل الامر الى أن ملك بنو الاحمر وخطب ببعض الاندلس لابي زكريا الحفصي صاحب افريقية وقد سبق الكلام على أكثر المذكور هنا وأعدناه لتناسق الحديث ولما في بعضه من زيادة الفائدة على البعض الآخر وذلك لا يخفى على المتأمل وقد بسطنا في الباب الثالث أحوال ابن هود وابن الاحمر وغيرهما رحم الله تعالى الجميع * ثم استفحل ملك يعقوب بن عبد الحق صاحب المغرب وحضرة ملك فاس فانتصر به أهل الاندلس على الافرنج الذين تكالبوا عليهم فاجتاز الى الاندلس وهزم الافرنج أشد هزيمة حتى قال بعضهم ما نصر المسلمون من العقاب حتى دخل يعقوب المريني وقتل في بعض غزواته بملك من النصارى يقال له ذونند ويقال انه قتل من جيشه أربعين ألفا وهزمهم اشد هزيمة ثم تتابعت غزواته بالاندلس وجوازه للعهاد وكان له من بلاد الاندلس رندة والجزيرة الخضراء وطريف وجبل طارق وغير ذلك وأعز الله تعالى به الدين بعد تمرد الفرنج المعتدين * ولما مات ولي بعده ابنه يوسف بن يعقوب ففر اليه الاذفونش ملك النصارى لائذا به وقبل يده ورهن عنده تاجه فأعانه على استرجاع ملكه ولم يزل ملوك بني مرين يعينون أهل الاندلس بالمال والرجال وتركوا منهم حصة معتبرة من أقارب السلطان بالاندلس غزاة فكانت لهم وقائع في العدوة مذكورة ومواقف مشكورة وكان عند ابن الاحمر منهم جماعة بغرناطة وعليهم رئيس من بيت ملك بني مرين يسمونه شيخ الغزاة (ولما) أفضى الملك الى السلطان الكبير الشهير أبي الحسن المريني وخلص له المغرب وبعض بلاد الاندلس أمر بانشاء الاساطيل الكثيرة برسم الجهاد بالاندلس واهتم بذلك غاية الاهتمام فقضى الله تعالى أن استولى الافرنج على كثير من تلك المراكب بعد اخذهم الجزيرة الخضراء وكان الافرنج جمعوا جموعا كثيرة برسم الاستيلاء على ما بقي للمسلمين بالاندلس فاستنفر أهل الاندلس السلطان أبا الحسن المذكور فجاء بنفسه الى سبتة فرضة الحجاز ومحل أساطيل المسلمين فاذا بالافرنج جاؤا بالسفن التي لا تحصى ومنعوه العبور وأغاثه أهل الاندلس حتى استولوا على الجزيرة الخضراء وأنكوه في مراكبه أعظم نكاية ولله الامر وقد أفصح عن ذلك كتاب صدر من السلطان أبي الحسن المذكور الى سلطان مصر والشام والحجاز الملك الصالح ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحي الالفي رحم الله تعالى الجميع وهذه نسخة الكتاب المذكور الذي خاطب به أمير المسلمين السلطان أبو الحسن المريني المذكور ملك المغرب رحمه الله تعالى السلطان الملك

ورأيتها قال نعم اذ طلعت وعبد الملك على سريره فسلمت فسكت فقالت أما والله لولا مكان عمرو بن بلال ما أتيتك آلا أن عدا أحدا بنيه على الآخر فقتله وهو ولي الدم وقد عفا أعزمت لتقتلنه قال اي والله وهو راغم فأخذت بيده فاعرض عنها فاخذت برجله فقبلتها فقال هولك وتراضيا بعد أن نكعها ثلاثا وراح عبد الملك فجلس مجلسه للخاصة فدخل عمرو بن بلال فقال له يا ابا حفص ألطفت الحيلة في القيادة ولك الحكم فقال يا أمير المؤمنين ألف دينار ومزرعة بما فيها من الآلات والرقيق قال هي لك قال وفرائض لولدي وأهل بيتي قال وذلك كله وبلغ عاتكة الخبر فقالت ويلي على القواد انما خدعني وكتب عبد الملك الى الحجاج أن صف لي الفتنة فكتب اليه ان الفتنة ليست بالنحوي وتخص بالشكوى وتنتج بالخطب فكتب اليه انك قد أصبت واحسنت الصفة فان أردت أن يستقيم لك من قبلك فخزعهم بالجماعة وأعطهم عطاء الفرقة والصق

بهم الحاجة (وحدثنا) المنقري قال حدثنا أبو الوليد الصباح بن الوليد قال حدثنا أبو رياش عتبة بن نعامة عن

الصالح ابن السلطان الملك الشهير الكبير الناصر محمد بن قلاوون ووصل الى مصر فى النصف وقيل فى العشر الاواخر من شعبان المكرم سنة ٧٤٥ بعد البسملة والصلاة من عند أمير المسلمين المجاهد فى سبيل الله رب العالمين المنصور بفضل الله المتوكل عليه المعتمد فى جميع أموره لديه سلطان البرين حامى العدوتين مؤثر المرابطة والمثاغره موازر حزب الاسلام حق الموازره ناصر الاسلام مظاهر دين الملك العلام ابن مولانا امير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين فخر السلاطين حامى حوزة الدين ملك البرين امام العدوتين ممهد البلاد مبدد شمل الاعاد مجند الجنود المنصور والرايات والبنود محط الرحال مبلغ الآمال أبى سعيد ابن مولانا امير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين حسنة الايام حسام الاسلام أبى الاملاك مشجى أهل العناد والاشراك مانع البلاد رافع علم الجهاد مدوخ أقطار الكفار مصرخ من ناداه للانتصار القائم لله باعلاء دين الحق أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق أخلص لله وجهه جهاده ويسر فى قهر عداة الدين مراده الى محل ولدنا الذى طلع فى أفق العلا بدرا تما وصدع بانواع الفخار فحلا ظلاما وظلما وجمع شمل المملكة الناصرية فاعلى منها علما واحيا لها رسما حائط الحرمين القائم بحفظ القبلتين باسط الامان قابض كف العدوان الجزيل النوال الكفيل تامينه بحياطة النفوس والاموال قطب المجد وسماكه حسب الحمد وملاكه السلطان الجليل الرفيع الاصيل الحافل العادل الفاضل الكامل الشهير الخطير الاضخم الافخم المعان المؤزر المؤيد المظفر الملك الصالح أبو الوليد اسمعيل ابن محل أخينا الشهير علاؤه المستطير فى الآفاق ثناؤه زين الايام والليال كمال عين انسان المجد وانسان عين الكمال وارث الدول النافث بصحيح رأيه فى عقود أهل الملل والنحل حامى القبلتين بعدله وحسامه الناهى فى حفظ الحرمين أجر اضطلاعه بذلك وقيامه هازم احزاب المعاندين وجيوشها هادم الكنائس والبيع فهى خاوية على عروشها السلطان الاجل الهمام الاحفل الافخم الاضخم الفاضل العادل الشهير الكبير الرفيع الخطير المجاهد المرابط المقسط عدله فى الجائر والقاسط المؤيد المظفر المنعم المقدس المطهر زين السلاطين ناصر الدنيا والدين أبى المعالى محمد ابن الملك الارضى الهمام الامضى والد السلاطين الاخيار عاقد لواء النصر فى قهر الارمن والفرنج والتتار محيى رسوم الجهاد معلى كلمة الاسلام فى البلاد جمال الايام تمثال الاعلام فاتح الاقالم صالح ملوك عصره المتقادم الامام المؤيد المنصور المسدد قسيم أمير المؤمنين فيما تقلد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون مكن الله له تمكين أوليائه ونمى دولته التى أطلعها له السعد شمسا فى سمائه واحسن ايزاعه للشكر أن جعله وارث آبائه سلام كريم يفاوح زهر الربا مسراه وينافح نسيم الصبا مجراه يعبقه رضوان يدوم مادامت تقل الفلك حركاته ويتولاه روح وريحان تحييه به رحمة الله وبركاته (أما بعد) حمد الله مالك الملك جاعل العاقبة للتقوى صدعا باليقين ودفعا للشك وخاذل من أسر فى النفاق النجوى قاصر على الدخن والافك والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذى محا بانوار الهدى ظلم الشرك

قال ان أهل العراق استحلوا قدرى قبل انقضاء أجلى اللهم لا تسلطنا على من هو خير منا ولا تسلط علينا من نحن خير منه اللهم سلط سيف أهل الشام على أهل العراق حتى يبلغ رضاك فاذا بلغه فلا تجاوز بخطك وكتب عبد الملك الى الحجاج أنت سالم فلم يعرف ما أراد بذلك فكتب الى قتيبة يسأله عن ذلك و بعث الكتاب مع رسول فلما ورد الى قتيبة وناوله الكتاب ضرط الرسول فخجل واستحيا فقر أقتيبة وأراد أن يقول له اقعد فقال اضرط قال قد فعلت فاستحيا قتيبة وقال ما أردت الا أن أقول لك اقعد فغلطت فقال قد غلطت أنا وغلطت أنت قال قتيبة ولا سواء أغلط أنا من نفى وتغلط أنت من استك أعلم أمير المؤمنين أن سالما كان لعبد الرجل وكان عنده أسيرا وكان يسمى به اليه كثيرا فقال يدبرونني عن سالم وأدبرهم وجلدة بين العين والانف سالم

وأراد عبد الملك انك عندى بمنزلة سالم فلما أتى الحجاج الرسالة كتب له عهدا على خراسان وقد حكى نحو هذا الخبر عن رجل كان فى مجلس خالد بن عبد الله

ونبيه الذي ختم به الانبياء وهو واسطة ذلك السلك ودحابه حجة الحق فهادت بالكفرة محمولة الافلاك وماجت بهم حاملة الفلك والرضا عن آله وصحبه الذين سلكوا سبيل هداه فسلك في قلوبهم أجمل السلك وملكوا أعنة هواهم فلزموا من محجة الصواب أنهج السلك وصابروا في جهاد الاعداء فزاد خلوصهم مع الابتلاء والذهب يزيد خلوصا على السبك والدعاء لاولياء الاسلام وحماته الاعلام بنصر لمضائه في العدا أعظم الفتك ويسر بقضائه درك آمال الظهور واحفل بذلك الدرك فكتبناه اليكم كتب الله لكم رسوخ القدم وسبوغ النعم من حضرتنا بمدينة فاس المحروسة وصنع الله سبحانه يعرف مذاهب الالطاف ويكيف مواهب تلهج الالسنة في القصور عن شكرها بالاعتراف ويصرف من أمره العظيم وقضائه المتلقى بالتسليم ما يتكون بين النون والكاف ومكانكم العتيد سلطانه وسلطانكم المجيد مكانه وولاؤكم الصحيح برهانه وعلاؤكم الفسيح في مجال الجلال ميدانه والى هذا زاد الله سلطانكم تمكينا وأفاد مقامكم تحصينا وتحسينا وسلك بكم من سنن من خلفتموه سبيلا مبينا فلا خفا بما كانت عقدته أيدي التقوى ومهدته الرسائل التي على الصفاء تطوى بيننا وبين والدكم نعم الله روحه وقدسه وبقربه مع الابرار في عليين آنسه من مواخاة احكمت منها العهود تالية الكتب والفاتحة وحفظ عليها محكم الاخلاص معوذتاها المحبة والنية الصالحة فانعقدت على التقوى والرضوان واعتضدت بتعارف الارواح عند تنازح الابدان حتى استحكمت وصلة الولاء والتأمت كلمة النسب لحمة الاخاء فما كان الاوشيكا من الزمان ولا عجب قصر زمن الوصلة أن يشكوه الخلان وردوا رد أو ردن المشارب وحقق قول من يسأل الركبان عن كل غائب أنبأ باستئثار الله تعالى بنفسه الزكيه واكتنان درته السنيه وانقلابه الى ما أعده له من المنازل الرضوانيه بجليل ما وقر لفقده في الصدور وعظيم ما تأثرت له النفوس لوقوع ذلك المقدور حنانا للاسلام بتلك الاقطار واشفاقا من أن يعتور قاصدي بيت الله الحرام من جراء الفتن عارض الاضرار ومساهمة في مصاب الملك الكريم والولي الحميم ثم عميت الاخبار وطويت طي السجل الآثار فلم نر مخبرا صدقا ولا معلما بمن استقر له ذلكم الملك حقا وفي أثناء ذلك حفزنا للحركة عن حضرتنا استصراخ أهل الاندلس وسلطانها وتواتر الاخبار بان النصارى أجمعوا على خراب أوطانها ونحن اثناء ذلكم الشان نستخبر الوراد من تلكم البلدان عما أجلى عنه ليل الفتن بتلكم الاوطان فبعد لأي وقعنا منها على الخبير وجاءنا بوقايته حوم الله بكم البشير وتعرفنا أن الملك استقر منكم في نصابه وتداركه الله تعالى منكم بفاتح الخير من أبوابه فاطفأ بكم نار الفتنة وأخمدها وأبر أمن أدواء النفاق ما أعل البلاد وأفسدها فقام سبيل الحجا بلا وتعبر طريقه لمن جاء قاصدا وقافلا ولما احتفت بهذا الخبر القرائن وتواتر بتنقل الحاضر المعاين أثار حفظ الاعتقاد البواعث والود الصحيح تجره حقا المواريث فاصدرنا لكم هذه المخاطبة المتفننة الاطوار الجامعة بين الخبر والاستخبار الملبسة من العزاء والهناء ثرى الشعار والدثار ومثل ذلكم الملك رضوان الله عليه من تجل المصائب لفقدانه وتحل عرا الاصطبار بموته ولات حين أوانه لكن الصبر

لتضرطن قال قد ضرطت فجعل خالد واعتذر اليه وأمر له بمال وأهدى الى عبد الملك أترسة مكللة بالدر واليا قوت فاعجبته وعنده جماعة من خاصته وأهل خلوته فقال لرجل من جلسائه اسمه خالد اغمز منها ترسا وأراد ان يمتحن صلابته فقام فغمزه فضرط فاستضحك عبد الملك فضحك جلساؤه فقال كم دية الضرطة فقال بعضهم أربعمائة درهم وقطيفة فأمر له بذلك فأنشأ يقول رجل من القوم

أيضرط خالد من غمز ترس
ويحبوه الامير بها بدورا
فيالك ضرطة جلبت غناه
ويالك ضرطة أغنت فقيرا
يود الناس لو ضرطوا فنالوا
من المال الذي أعطى عشيرا
ولو نعلم بان الضرط يغني
ضرطنا أصلح الله الاميرا

فقال عبد الملك أعطوه أربعة آلاف درهم ولا حاجة لنا في ضراطك

(وحدث) أحمد بن سعيد الدمشقي والطوسي وغيرهما في كتاب الاخبار المعروف بالموقعيات عن الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن يزيد بن عتبة بن ابي لهب قال حج عبد الملك في بعض اعوامه فامر للناس بالعطاء فخرجت بدرة مكتوب عليها من

قريش مثلنا ومثلكم أن أخوين فى الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا فى ظل شجرة تحت صفاة فلما دنا الرواح خرجت اليهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فألقته اليهما فقالا ان هذا لمن كنز فأقاما عليها ثلاثة أيام كل يوم تخرج اليهما دينارا فقال أحدهما لصاحبه الى متى ننتظر هذه الحية ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه فنهاه أخوه وقال ما ندرى لعلك تعطب ولا تدرك المال فأبى عليه وأخذ فأسا معه ورصد الحية حتى خرجت فضربها ضربة فجرحت رأسها ولم تقتلها فثارت الحية فقتلته ورجعت الى جحرها فقام أخوه فدفنه وأقام حتى اذا كان من الغد خرجت الحية معصوبا رأسها وليس معها شئ فقال لها ما هذه انى والله ما رضيت ما أصابك ولقد نهيت أخى عن ذلك فهل لك أن نجعل الله بيننا أن لا تضرينى ولا أضرك وترجعين الى ما كنت عليه قالت الحية لا قال ولم ذلك قالت انى لا علم أن نفسك لا تطيب لى أبدا وأنت ترى قبر أخيك ونفسى لا تطيب لك أبدا وأنا أذكر هذه الشجة وأنشدهم شعر النابغة

ليبعدوا

أجل ما ارتداه ذو عقل حصين والاجر أولى ما اقتناه ذو دين متين ومثلكم من لا يخف وقاره ولا يشف عن ظهور الجزع الحادث اصطباره ومن خلفكم فحامات ذكره ومن قدمتم باره فما زال بل زاد فخره وقد طالت والحمد لله العيشة الراضية بالحقب وطاب بين مبداه ومحتضره هنيأ بما من الاجر اكتسب وصار رجيدا الى خير المنقلب ووفد من كرم الله على أفضل ما منح موقنا ووهب فقد ارتضاكم الله بعده لحياطة أرضه المقدسة وحماية زوار بيته مقيلة أو معرسة ونحن بعد بسط هذه التعزية نهنيكم بما خولكم الله أجل التهنية وفى ذات الله الايراد والاصدار وفى مرضاته سبحانه الاضمار والاظهار فاستقبلوا دولة التى العز عليها واقه وعقد الظهور عليها نطاقه وأعطاها أمان الزمان عقده وميثاقه ونحن على ما عاهدناه عليه الملك الناصر رضوان الله عليه من عهوده موثقه وموالاته محققه وثناء كما ئمه عن أذكى من الزهر غب القطر مفتقه ولم يغب عنكم ما كان من بعثنا المصحفين الاكرمين اللذين خطتهما منا اليمين وأوت بهما الرغبة من الحرمين الشريفين الى قرار مكين وانه كان لوالدكم الملك الناصر تولاه الله برضوانه وأورده موارد احسانه فى ذاكم من الفعل الجميل والصنع الجليل ما ناسب مكانه الرفيع وشاكلة فضله من البر الذى لا يضيع حتى طبق فعله الآفاق ذكرا وطوق أعناق الوراد والقصادبرا وكان من أجل مآبه تحفى وأتحف وأعظم ما بعرفه الى رضا الملك العلام فى ذلك تعرف اذنه للتوجهين اذ ذاك فى شراء رباع توقف على المصحفين ورسم المراسم المباركة بتحرير ذلك الوقف مع اختلاف الجديدين فجرت أحوال القراء فيها بذلك الخراج المستفاد ريثما يصلحهم من خراج ما وقفناه عليهم بهذه البلاد على ما رسمه رحمة الله عليه من عناية بهم متصله واحترام فى تلك الاوقاف فوائدها به متوفرة متحصله وقد أمرنا مؤدى هذا الكما لكم وموفده على جلالكم كاتبنا الاسنى الفقيه الاجل الاحظى الاكمل أبا المجد ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الاجل الحاج الاتقى الارضى الافضل الاحظى الاكمل المرحوم ابى عبد الله بن ابى مدين حفظ الله عليه رتبته ويسر فى قصد البيت الحرام بغيته بأن يتفقد احوال تلك الاوقاف ويتعرف تصرف الناظر عليها وما فعله من سداد واسراف وان يتخير لها من يرتضى لذلك ويحمد تصرفه فيها هنالك وخاطبنا سلطانكم فى هذا الشان جريا على ألوف الثابت الاركان واعلاما بما لوالدكم رحمه الله تعالى فى ذلك من الافعال الحسان وكما لكم يقتضى تخليد ذلكم البر الجميل وتجديد عمل ذلكم الملك الجليل وتشييد ما اشتمل عليه من الشراء الاصيل والاجر الجزيل والتقدم بالاذن السلطانى فى اعانة هذا الوافد بهذا الكتاب على ما يتوخاه فى ذلك الشان من طرق الصواب وثناؤنا عليكم الثناء الذى يفاوح زهر الربا ويطارح نغم حمام الايك مطربا وبحسب المصافاه ومقتضى الموالاه نشرح لكم المتزايدات بهذه الجهات ونثبتكم بموجب ابطاء انفاذ هذا الخطاب على ذلكم الجناب وذلك انه لما وصلنا من الاندلس الصريخ ونادى منا للجهاد عزما لمثل ندائه يصيخ أنبأنا أن الكفار قد جمعوا احزابهم من كل صوب وحتم عليهم بأباهم اللعين التناصر من كل أوب وأن تقصد طوائفهم البلاد الاندلسية بايجافها وتنقض بالمنازلة أرضها من أطرافها

فقالت أرى قبرا تراه مقابلى * وضربة فأس فوق رأسى فاغره فيا معشر قريش وليكم عمر بن الخطاب فكان فظا غليظا مضيقا عليكم فسمعتم له وأطعتم ثم وليكم عثمان فكان سهلا فعدوتم عليه فقتلتموه وبعثنا عليكم مسلما يوم الحرة فقتلنا كم فنحن نعلم يا معشر قريش أنكم لا تحبوننا أبدا وأنتم تذكرون يوم الحرة ونحن لا نحبكم أبدا ونحن نذكر قتل عثمان (وحدث) المدينى وابن دأب أن روح بن زنباع جليس عبد الملك رأى منه اعراضا وجفوة فقال للوليد بن عبد الملك أما ترى ما أنا فيه من أمير المؤمنين باعراضه عنى بوجهه حتى لقد فغرت السباع بأفواهها نحوى وأهوت بمخالبها الى وجهى فقال له الوليد احتل له فى حديث تضحكه به كما احتال مرزبان نديم سابور ابن ملك فارس قال روح وما كان من خبره مع الملك قال الوليد كان مرزبان هذا من سمار سابور فظهرت له من سابور جفوة فلما علم ذلك تعلم نباح الكلاب وعى الذئاب ونهيق الحمير وزقاء الديوك وشحيج البغل وصهيل الخيل ومثل هذا ثم توصل الى موضع يقرب من مجلس خلوة الملك

لمعوا كلمة الاسلام منها و يقلصوا ظل الايمان عنها فقدمنا من يشتغل بالاساطيل من القواد وسرنا على اثرهم الى سبتة منتهى الغرب الاقصى وباب الجهاد فاوصلناها الاوقد أخذ أخذه العدو الكفور وسدت أجفان الطواغيت على التعاون مجازا العبور وأتوا من أجفانهم بما لا يحصى عددا وأرصدوها بجمع البحر حيث المجاز الى دفع العدا وتقلصوا عن الانبساط فى البلاد واجتمعوا الى الجزيرة الخضراء أعادها الله بكل من جمعوه من الاعاد لكنا مع انسداد تلك السبيل وعدم أمور نستعين بها فى ذلكم العمل الجليل حاولنا امداد تلكم البلاد بحسب الجهد وأصرخناهم بمن أمكن من الجند وجهزنا أجفانا مختلسين فرصة الاجازة تتردد على خطر بمن جهز للجهاد جهازه وأمرنا الصاحب الاندلس من المال بما يجهز به حركته لمداناة محلة خرب الضلال وأجرينا له ولجيشه العطاء الجزل مشاهرة وأرضخنا لهم فى النوال ما نرجو به ثواب الآخرة وجعلت أجفاننا تتردد فى مينا السواحل وتلج أبواب الخوف العاجل لاحرازا لامن الآجل مشحونة بالعدد الموفورة والابطال المشهورة والخيل المسومة والاقوات المقومة فمن ناج حارب دونه الاجل وشهيد مضى لما عند الله عز وجل ومازالت الاجفان تتردد على ذلك الخطر حتى تلف منها سبع وستون قطعة غزوية أجرها عند الله يدخر ثم لم ينتفع بهذا العمل فى الامداد فبعثنا أحد أولادنا أسعدهم الله تعالى مساهمة به لاهل تلك البلاد فلقى من هول البحر وارتجاجه والحاح العدو ولجاجه ما به الامثال تضرب وبمثله يتحدث ويستغرب ولما خلص لتلك العدوة بمن أبقته الشدائد نزل بازاء الكافر الجاحد حتى كان منه بفرسخين أو أدنى وقد ضرب بعطن يصابح العدو ويماسيه بحرب بهايمنى وقد كان من مددنا بالجزيرة جيش شريت شرارته وقويت فى الحرب ادارته يبلون البلاء الاصدق ولا يبالون بالعدو وهم منه كالشامة البيضاء فى البعير الاورق الا ان المطاولة بحصرها فى البحر مدة ثلاثة أعوام ونصف ومنازلتها فى البر نحو عامين معقودا عليها الصف بالصف أدى الى فناء الاقوات فى البلد حتى لم يبق لاهله قوت شهر مع انقطاع المدد وبه من الخلق ما يربى على عشرة آلاف دون الحرم والولد فكتب الينا سلطان الاندلس يرغب فى الاذن له فى عقد الصلح ووقع الاتفاق على انه لاستخلاص المسلمين من وجوه التجع فاذنا له فيه الاذن العام اذ فى اصراخه واصراخ من بقطره من المسلمين توخينا ذلك المرام هنالك دعى النصارى الى السلم فاستجابوا وقد كانوا علموا فناء القوت وما استرابوا فتم الصلح الى عشر سنين وخرج من بها من فرسان ورجال وأهل وبنين ولم يرزؤا مالا ولا عدة ولا لقوا فى خروجهم غير النزوح عن أول أرض مس الجلد ترابها شده ووصلوا الينا فاجزلنا لهم العطاء وأسلمناهم عما جرى بالحياء فمن خيل تزيد على الآلف عتاقها وخلع ترقى على عشرة آلاف أطواقها وأموال عمت الغنى والفقير ورعاية شملت الجميع بالعيش النضير وكف الله ضرا الطواغيت عما عداها وما انقلبوا بغير مدرة عفار سمها وصم صداها وقد كان من لطف الله حين قضى باخذ هذا الثغر أن قدر لنا فتح جبل طارق من أيدى الكفر وهو المطل على هذه المدره والفرصة منها ان شاء الله تعالى متيسره حتى يفرق عقد الكفار ويفرج

وفراشه وأخفى أثره فلما خلا الملك نبح نباح الكلاب فلم يشك الملك أنه كلب فقال الملك ما هذا فعوى عوى الذئاب فنزل

بهذه الجهة منهم مجاور وهذه الاقطار فلولا اجلابهم من كل جانب وكونهم سدوا مسالك العبور بمجميعهم من الاجفان والمراكب لما بالينا باصطفاقهم ولما لنا بعون الله عقد اتفاقهم ولكن للموانع أحكام ولارادا اجرت به الاقلام وقد أمرنا لذلك الثغر بمزيد المدد وتخييرنا له ولسائر تلك البلاد العدد والعدد وعدنا لحضرتنا فاس لتستريح الجيوش من وعثاء السفر وترتبط الجياد وتنتخب العدد لوقت انظهور المنتظر وتكون على أهبة الجهاد وعلى مرقبة الفرصة عند تمكنها في الأعاد وعند عودنا من تلك المحاولة تيسر الركب الحجازي موجها الى هنالكم رواحله فاصدرنا اليكم هذا الخطاب اصدار الود الخالص والحب اللباب وعندنا لكم ماعند أخي الآباء واعتقادنا فيكم في ذات الله لايخشى جديده من البلاء ومالكم من غرض بهذه الانحاء فوفى قصده على أكمل الاهواء موالى تتميمه على أجل الآراء والبلاد باتحاد الوده تحده والقلوب والايدى على مافيه مرضاة الله عزوجل منعقده جعل الله ذلكم خالصا لوجه العباد مدخورا اليوم التناد مسطورا في الاعمال الصالحة يوم المعاد بمنه وفضله وهو سبحانه يصل اليكم سعدا تتفاخر به سعود الكواكب وتتضافر على الانقياد له صدور المراكب وتتقاصر عن نيل مجده متطاولات المناكب والسلام الاتم يخصكم كثيرا أثيرا ورحمة الله وبركاته وكتب في يوم الخميس السادس والعشرين لشهر صفر المبارك من عام خمسة وأربعين وسبعمائة وصورة العلامة وكتب في التاريخ المؤرخ *ونسخة الجواب من ذلك من انشاء خليل الصفدي شارح لامية العجم في سادس شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة بعد البسملة في قطع النصف بقلم الثلث عبد الله وليه صورة العلامة ولده اسمعيل بن محمد السلطان الملك الصالح السيد العالم العادل المؤيد المجاهد المرابط المظفر المنصور عماد الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين منصف المظلومين من الظالمين وارث الملك ملك العرب والعجم والترك فاتح الاقطار واهب الممالك والامصار اسكندر الزمان مملك أصحاب المنابر والاسرة والتخوت والتيجان ظل الله في أرضه القائم بسنته وفرضه مالك البحرين خادم الحرمين الشريفين سيد الملوك والسلاطين جامع كلمة الموحدين ولى أمير المؤمنين أبو الفداء اسمعيل ابن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبي الفتح محمد ابن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون خلد الله تعالى سلطانه وجعل الملائكة أنصاره وأعوانه يخص المقام العالي الملك الاجل الكبير المجاهد المؤيد المرابط المثاغر المعظم المكرم المظفر المعمر الاسعد الاصعد الاوحد الامجد الانجد السني السري المنصور أبا الحسن علي ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أمده الله بالظفر وقرن عزمه بالتأييد في الاصال والبكر سلام وشت البروق وشائعه وادخرت الكواكب ودائعه واستوعب الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه وثناء اتخذ النفحات المسكية طلائعه ونبه للتغريد في الروض سواجعه وجلى في كاسه من الشفق المحمر مدامه ومن النجوم فواقعه أما بعد حمد الله على نعم أدت لنا الامانة في عود سلطنة والدنا الموروثه وأجلستنا على سرير مملكة زرابيها بين النجوم مبثوثه

الصوت وأحدث صوتا آخر من أصوات البهائم فاجمعوا عنه ثم اجتمعوا فاقتحموا عليه فاخرجوه فلما نظروا اليه قالوا للملك هذا مزبان المضحك فضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ويلك ماحملك على هذا قال ان الله مسخني كلبا وحمارا وكل خلق لما غضبت على فامر الملك بالخلع عليه ورده الى مرتبته التي كان فيها وتجدد للملك به سرور فقال روح للوليد اذا اطمأن المجلس بأمير المؤمنين فاسألني عن عبد الله بن عمر هل كان يمزح أو يسمع مزاحا قال الوليد أفعل وكان ابن عمر صاحب سلامة لايمزح ولا يعرف شيأ من المزاح فتقدم الوليد وسبقه بالدخول فتبعه روح فلما اطمأن بهما مجلس عبد الملك قال الوليد يا أبا زرعة هل كان ابن عمر يمزح أو يسمع المزاح قال روح حدثني ابن أبي عتيق ان امرأته عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية هجته فقالت

ذهب الاله بما تعيش به
وقرت عينك أيما قمر
أنفقت مالك غير محتشم
في كل زانية وفي خمر

وكان ابن أبي عتيق صاحب غزل وفكاهة فاخذ هذين البيتين في رقعة وخرج فاذا هو بابن عمر فقال

يا أبا عبد الله انظر في هذه الرقعة وأشر علي برأيك فيها فلما قرأها عبد الله

وأحسنت بنا الخلف عن سلف عهوده في الاعناق غير منكورة ولا منكوثه وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه الذين بلغ بجهادهم في الكفرة غاية أمله وسوله صلاة تحط بالرضوان سيولها وتجر بالغفران ذيولها ما تراسل أصحاب وتواصل أحباب ويوضح للعلم الكريم ورود كتابكم العظيم وخطابكم الفائق على الدر النظيم تفاخر الخمائل سطوره ويصبغ خد الورد بالخجل منثوره ويحكي الرياض اليانعة فالالفات غصونه والهمزات عليها طيوره ويخلع على الآفاق حلل الايام والليالي فالطرس صباحه والنقس دجوره لفظه يطرب ومعناه يعرب فيغرب وبلاغته تدل على أنه آية لان شمس بيانها طلعت من المغرب فاتخذناه سطوره ريحانا ورجعنا ألفاظه ألحانا ورجعنا الى الجد فشبهنا ألفاته بنصال الرماح وورقه بصقال الصفاح وحروفه المفرقة بافواه الجراح وسطوره المنتظمة بالفرسان المزدحمة في يوم الكفاح وانتهينا الى ما أودعتموه من اللفظ المسجوع والمعنى الذي يطرب طائره المسموع والبلاغة التي فضح المتطبع بيانها المطبوع فاما العزاء باخيكم الوالد قدس الله روحه وسقى عهده وأحسن لسلفه خلفا بعده فلنا برسول الله أسوة حسنة ولولا الوثوق بأنه في عدة الشهداء ما رأى القلب قراره ولا الطرف وسنه عاش سعيدا يملك الارض ومات شهيدا يفوز بالجنة يوم العرض قد خلد الله ذكره يسير مسير الشمس في الآفاق ويوقف على نضارة حدائقه نظرات الاحداق وورثتا منه حسن الاخاء لكم والوفاء بعهود مودة تشبه في اللطف شمائلكم وأما الهناء بوراثة ملكه والانخراط مع الملوك في سلكه فقد شكرنا لكم منحى هذه المنحه وقابلناها بثناء يعطر النسيم في كل نفحه ووقفنا عليها أحداجعل الود علينا إراده وعلى أنفاس سرحة الروض شرحه وتحققنا به حسن ودكم الجميل وكريم اخائكم الذي لا يميد طود رسوخه ولا يميل وأما ما ذكرتموه من أمر المصحفين الشريفين اللذين وقفتموهما على الحرمين المنيفين وانكم جهزتم كاتبكم الفقيه الاجل الاسني الاسمى أبا المجد ابن كاتبكم أبي عبد الله بن أبي مدين أعزه الله تعالى لتفقد أحوالهما والنظر في أمر أوقافهما فقد وصل المذكور بمن معه في حرز السلامة وأكرمنا زلهم وسهلنا بالترحيب سبلهم وجمعنا على بذل الاحسان اليهم شملهم وحضر المذكور بين أيدينا وقر بناه وسمعنا كلامه وخاطبناه وأمرنا في أمر المصحفين الشريفين بما أشرتم وسمعنا لنوابنا في نواحي أوقافهما عاذكرتم وهذا الوقف المبرور جار على أحسن عادة ألفها وأثبت قاعدة عرفها مرعى الجوانب محمى المنازل والمضارب آمن من ازالة رسمه أو اذالة حكمه بدره أبدا في مطالع تمه وزهره دائما يرقص في كمه لا يزداد الا تخليدا ولا اطلاق ثبوته الا تقييدا ولا عنق اجتهاده الا تقليدا جريا على قاعدة أوقاف مما لكنا وعادة تصرفاتنا في مسالكنا ولمزيد الرعايه وافادة الحمايه ووفادة العنايه وأما ما وصفتموه من أمر الجزيرة الخضراء وما لاقاه أهلها ومنى به من الكفار حزنها وسهلها فانه شق علينا سماعه الذي أنكى أهل الايمان وعذبه نوب الزمان كل قلب بأنامل الحفقان وطالما فزتم بالظفر وزرقتم النصر على عدوكم فجر ذيل الهزيمة وفر ولكن الحروب سجال وكل زمان لدولة ولرجاله رجال ولو أمكنت المساعدة لطارت

استرجع فقال له ما ترى فيمن هجاني بهذا الشعر قال أرى أن تعفو وتصفح قال والله يا أبا عبد الرحمن لئن لقيته بناحية لأنيكنه نيكا جيدا فأخذ ابن عمر خذلة ورعدة وارتبد لونه وقال مالك غضب الله عليك قال ما هو الا ما قلت لك وافترقا فلما كان بعد أيام لقيه فاعرض عنه ابن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن اني لقيت صاحب البيتين ونكته فصعق عبد الله بن عمر فلما رأى ما حل به دنا منه وقال له في أذنه انها امرأتي فقبل ما بين عينيه وضحك وقال أحسنت فزدها فضحك عبد الملك حتى خض برجله وقال له قاتلك الله يا روح ما أطيب حديثك ومديده اليه فقام اليه روح فاكب عليه وقبل أطرافه وقال يا أمير المؤمنين الذنب فأعتذر ام الملالة فأصبر وأرجو عاقبتها قال لا والله ما ذاك لشئ نكرهه ثم عاد الى أحسن حالاته (وقد حكى) مثل هذا عن عبد الملك بن مهلهل الهمداني وكان سمير السلمان بن المنصور وكان سليمان قد جفاه فاتاه يوما في قائم الظهيرة واحتدام الهجير فاستأذن

٦٩ ط نى فقال له الحاجب ليس هذا بوقت اذن على الامير فقال أعلمه بمكاني فدخل فاستأذن له فقال له سليمان مره يسلم

بنا اليكم عقبان الجياد المسومه وسالت على عدوكم أباطحهم بقسينا المعوجة وسهامنا المقومه وكحلنا عيون النجوم بمراود الرماح وجعلنا ليل الهجاج بمزقا بسروق الصفاح واتخذنا رؤسهم لصوالج القوائم كرات وفرجنا مضايق الحرب بتوالى الكرات وعطفنا عليهم الاعنه وخضنا جداول السيوف ودسنا شوك الاسنه وفلقنا الصخرات بالصرخات وأسلنا العبرات بالرعبات ولكن أين الغاية من هذا المدى المتطاول وأين الثريا من يد المتناول ومالنا غير امدادكم بجنود الدعاء الذى نرفعه نحن ورعايانا والتوجه الصادق الذى تعرفه ملائكة القبول من سجايانا وأما ما فقدتموه من الاجفان التى طارقها طيف التلاف وأم حرم فنائها الفناء وطاف به بعد الالطاف فقد روّع هذا الخبر قلب الاسلام ونوّع له الحزن على اختلاف الاصباح والاظلام وهذه الدار ما يخلو صفوها من كدر القدر وطالما أنامت بالامن أوّل الليل وخاطبت بالخطب فى السحر ولكن فى بقائكم ما يسلى من خطب العطب ومع سلامة نفوسكم الكريمة فالامر هين لان الدرع فدى بالذهب وأما ما رأيتموه من الصلح فرأى عقده مبارك وأمر ما فيه فارط عزم وان كان فيتدارك والامر يجرى كما يحب لا كما نحب والحروب يزورها نصرها تارة ويغب ومع اليوم غدا وقد يرد الله الردى ويعيد الظفر بالعدا وأما عودكم الى فاس المحروسة طلبا لاراحة من عنده كم من الجنود وتجهيز المن يصل من عندكم الى الحجاز الشريف من الوفود فهذا أمر ضرورى التدبير سرورى التسمير لان النفوس تمل وثير المهاد فكيف ملازمة صهوات الجياد وتسأم من مجالسة الشرب فكيف بممارسة الحرب وتعرض عن دوام اللذه فكيف بمباشرة المنايا الفذة وهذا جبل طارق الذى فتح الله به عليكم وساق هدى هديته اليكم لعله يكون سببا الى ارتجاع ما شرد وحسما لهذا الطاغية الذى مرد ورد الهذا النازل الذى قدم ورد الصبر لما ورد فعادة الالطاف الالهية بكم معروفه وعزماتكم الى جهات الجهاد مصروفه وقد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بانه طارق خير من الرحمن يطرق وجبل يعصم من سهم يمرق من قسى الكفار ويمرق وأما ما فتحتموه من الخيل العتاق والملابس التى تطلع بدورا لوجوه من مشارق الاطواق والاموال التى زكت عند الله تعالى ونمت على الانفاق فعلى الله عز وجل خلفها ولكم فى منازل الدنيا والاخرة سرفها وشرفها واليكم تساق هدايا أثنيتها وتحفكم تحفها واذا وصل وفدكم الحاج وأنار له بوجه اقبالنا عليهم ليلهم الداج كانوا مقيمين تحت ظل اكرامنا وشمول اسعافنا لهم وانعامنا يتخولون تحفا أنتم سببها ويتناولون طرفا فى كؤس الاعتناء بهم تنضدجها واذا كان أوان الرحيل الى الحج فسحنا لهم الطريق وسهلنا لهم الرفيق وبلغناهم بحول الله تعالى مناهم من منى وسؤلهم ممن اذا زاروا حجرته الشريفة حازوا الراحة من العناء وفازوا بالغنى واذا عادوا عاملناهم بكل جميل ينسيهم مشقة ذلك الدرب ويخيل اليهم أن لا مسافة لمسافر بين الشرق والغرب وعمرناهم بالاحسان فى العود اليكم وأمرنا هم بما يمونه شفاها اليكم وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم وتوفر لاخذ الثار حماتكم وتخصكم بتاييد تنزلون روضه الانضر وتجنون به ثمر النصر اليانع من ورق الحديد الاخضر وتحفكم بسعد لا يبلى قشيبه وعز لا يمحو شبابه مشيبه

الى نحو منزلى وقد أمسيت قريبا أنا فى طريقى اذ أذن مؤذن فدنوت ثم صعدت الى مسجد مغلق فصعدت ثم صعدت ثم صعدت قال سلمان فبلغت السماء فكان ماذا قال فتقدم انسان اما كردى أو طمطانى فأم القوم بكلام ما أفهمه ولغة ما أعرفها فقال ويل الكل ومة رمأ مالا وعدده قال يريد ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده فاذا خلفه سكران ما يعقل سكرا فلما سمع قراءته ضرب بيديه ورجليه وجعل يقول أبرعشكى در ليلكى فى حرأم قارئك ومصليك فضحك سلمان حتى تمرغ على فراشه وقال ادن منى يا أبا محمد فانت أطيب أمة محمد ثم دعا بخلعة وقال الزم الباب واغد فى كل يوم وعاد الى أحسن حالاته عنده

(ذكر جمل من أخبار الحجاج وخطبه وما كان منه فى بعض أفعاله)

كانت أم الحجاج عند الحرث ابن كلدة فدخل عليها فى السحر فوجدها تتخلل فبعثت اليها بطلا قها فقالت لم بعثت الى بطلاقى الشئ رابك منى قال نعم دخلت عليك السحر وأنت تتخللين فان كنت بادرت الغداء فانت شرهة وان كنت بت والطعام بين اسنانك فانت قذرة فقالت كل وتحيته

وتحيته المباركة تعاديكم وتراوحكم وتغاوحكم انفاسها المعنبرة وتناجكم بمنه وكرمه انتهى
(ورأيت) بخط منشئ هذا الجواب الصلاح الصفدي رحمه الله تعالى اثر ذكره ما نصه أما بعد
حمد الله تعالى على نعمائه وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله خاتم أنبيائه فقد قرأ الشيخ
الامام العالم العامل العلامة المفيد القدوة عز الدين أبو يعلى حمزة ابن الرئيس الكبير الفاضل
القاضي قطب الدين موسى بن أحمدا بن شيخ السلامية الاحمدي أمتع الله بفوائده الكتاب
الوارد من سلطان المغرب الملك المجاهد المرابط أبي الحسن المريني صاحب مراكش تغمده
الله تعالى برحمته والجواب عنه عن السلطان الشهيد الملك الصالح عماد الدين اسمعيل ابن
السلطان الشهيد الملك الناصر محمد قدس الله تعالى روحهما من انشائي وأنا أسمع ذلك جميعا
من أولهما الى آخرهما قراءة اطربت السمع لفصاحتها وأمالت العطف لراحتها

وأخجلت ورق الحمى بالملوا * ن صدحت في ذروة الغصن
تكاد من لطف ومن رقة * تدخل في الاذن بلا اذن

وذلك في مجلس واحد في ذي القعدة سنة ٧٥٦ بالجامع الاموي بدمشق المحروسة فان رأى
رواية ذلك عني فله علو الرأي في تشريفي بذلك وكتبه خليل بن ايبك الصفدي الشافعي عفا
الله عنه انتهى وكان السلطان أبو الحسن المريني المذكور كتب ثلاثة مصاحف شريفة
بخطه وأرسلها الى المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال ووقف عليها أوقافا جليلة كتب
توقيعه سلطان مصر والشام بمسامحتها من انشاء الاديب الشهير جمال الدين بن نباتة المصري
ونص ما يتعلق به الغرض منه هنا قوله وهو الذي مديمينه بالسيف والقلم فكتب في أصحابها
وسطر الختمات الشريفة فايد الله حزبه بما سطر من أحزابها واتصلت ملائكة النصر بلوائه
تغدو وتروح وكثرت فتوحه لاملياء الغرب فقالت أوقاف الشرق لابد للفقراء من فتوح
ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدي وخط سطورها بالعربي وطالما خط
في صفوف الاعداء بالهندي ورتب عليها أوقافا تجري اقلام الحساب في اطلاقها وطلقها
وحبس املا كا شامية تحدث بنعم الاملاك التي سرت من مغرب الارض الى مشرقها والله
تعالى يمتع من وقف هذه الختمات بما سطر له في أكرم المحائف وينفع الجالس من ولاة
الامور في تقربها ويتقبل من الواقف انتهى * قلت وقد رأيت أحد المصاحف
المذكورة وهو الذي ببيت المقدس وربعته في غاية الصنعة * وقال بعض المشارقة في حق
السلطان أبي الحسن ما صورته ملك أضاء المغرب بأنوار هلاله وجرت الى المشرق أنواء نواله
وطابت نسماته واشتهرت عزماته كان حسن الكتابة كثير الانابة ذا بلاغة وبراعة
وشهامة وشجاعة كتب بخطه ثلاثة مصاحف ووقفها على المساجد الثلاثة أقام في الملك
عشر سنين وسبعة أيام ثم صرف بولده أبي عنان بحروب يطول شرحها انتهى من كتاب
نزهة الانام * ولما ذكر الامام الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق في كتابه المسند الصحيح
الحسن من أخبار السلطان أبي الحسن أمر الربعة التي أرسلها السلطان أبو الحسن بخطه قال
ما ملخصه وأرسل معها للسلطان الملك الناصر بن قلاوون صاحب الديار المصرية من أحجار
الياقوت العظيم القدر والثمن ثمانمائة وخمسة وعشرين ومن الزمرذ مائة وثمانية وعشرين

فقال من للبصرة والخوارج فقيل له ليس لهم الا المهلب بن أبي صفرة فبعث الى المهلب فقال على أن لي خراج ما أجليتهم

الحجاج بن يوسف مشوها
لا دبر له فتقب عن دبره
وأبى أن يقبل ثدي أمه
وغيرها فاعياهم أمره
فيقال ان الشيطان تصور
لهم في صورة الحرث بن كلدة
فقال ما خبركم فقالوا ابني
ولد ليوسف من الفارعة
وكان اسمها وقد أبى ان
يقبل ثدي أمه فقال اذبحوا
جديا أسود وألغوه دمه
فاذا كان في اليوم الثاني
ففعلوا به كذلك فاذا كان
في اليوم الثالث فاذبحوا له
تيسا أسود وألغوه دمه ثم
اذبحوا له أسود سالخا
فالغوه دمه واطلوا به
وجهه فانه يقبل الثدي
في اليوم الرابع قال ففعلوا
به ذلك فكان بعد لا يصبر
عن سفك الدماء لما كان
منه في بدء أمره هذا وكان
الحجاج يخبر عن نفسه أن
أكثر لذاته سفك الدماء
وارتكاب أمور لا يقدم
عليها غيره ولا سبق اليها
سواه (حدثنا) أبو جعفر
محمد بن سليمان بن داود
البصري المنقري قال حدثني
ابن عائشة وغيره قال سمعت
أبي يقول لما غلبت الخوارج
على البصرة بعث اليهم
عبد الملك جيشا فهزموه
ثم بعث اليهم آخر فهزموه

ومن الزبرجد مائة وثمانية وعشرين ومن الجوهر النفيس الملوكي ثلثمائة وأربعة وستين وأرسل حللا كثيرة منها مذهبة ثلاثة عشر ومن الاناق عشرين مذهبة ومن الحلادى ستة وأربعين ومن القنوع ستة وعشرين مذهبة ومن المحررات المختمة ثمانمائة ومن الرصان عشرين شقة والاكسية المحررة أربعة وعشرين والبرانس المحررة ثمانية عشر والمشقفات مائة وخمسين واحرام الصوف المحررة عشرين ومن شقق الملف الرفيع ستة عشر ومن الفضا الى المنوعة والفرش والبخاد المنبوق والحال ثمانمائة وأوجه اللعف المذهبة عشرين وحائطان حلة وحنابل مائة واثنى عشر كلها حرير وفرش جلد مخروز بالذهب والفضة ومن السموف المحلاة بالذهب المنظم بالجوهر عشرة والسروج عشرة بركب ذهب والمهاميز الذهب كذلك وثلاث ركب فضة وستة مزججة ومذهبة ومضمتان من ذهب مما يليق بالملوك وشاشية حديد بذهب مكلل بالجوهر ومن لزمات الفضة عشرة وسرج مخروزة بالفضة عشرة وعشر علامات معششة مذهبة وعشر رايات مذهبة وعشر براقع مذهبة وعشر أمثلة مرقومة وثلاثين جلد اشرك وأربعة آلاف درقة لطمنها مائتان بنهود الذهب وثمانية عشر بنهود الفضة وخباء قبة كبيرة من مائة بنيقة لها أربعة أبواب وقبة أخرى مضربة من ست وثلاثين بنيقة مبطنة بحلة مذهبة وهي حرير أبيض ورابطها حرير ماون وعمودها عاج وآبنوس واكبارها من فضة مذهبة ومن البزاة الاحرار المنتقاة أربعة وثلاثين ومن عتاق الخيل العراب ثلثمائة وخمسا وثلاثين ومن البغال الذكور والاناث مائة وعشرين ومن الجمال سبعمائة وتوجهت مع هذه الهدية أم برسم الحج مع الربعة المكرمة وأعطى الحرة أم أخته أم ولد أبيه مريم ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهبا ولقاضي الركب ثلثمائة وكسوة ولقائد الركب أربعمائة وكساوى متعددة وبغلات وللرسول المعين للهدية ألفا ولشيخ الركب أحمد بن يوسف بن أبي محمد صالح خمسمائة ولجماعة الضعفاء من الحجاج ستمائة وبرسم العطاء للعرب ثلاثة آلاف وثمانمائة ولشراء ربع ستة عشر ألفا وخمسمائة ذهبا انتهى *وذكر في الكتاب المذكور أن السلطان أبا الحسن الموصوف اهدى هدايا غير هذه لكثير من الملوك ومنها الصاحب الاندلس صلة وصدقة وهدية في مرات ومنها الملوك النصارى بعد هداياهم ومنها سلاطين السودان كصاحب مالى ومنها الصاحب افريقية ومنها الصاحب تلمسان انتهى *وقال مؤرخ مصر المقريزى في كتاب السلوك في سنة ٧٣٨ ما نصه وفي ثاني عشرين من رمضان قدمت الحرة من عند السلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب المريني صاحب فاس تريد الحج ومعها هدية جليلة الى الغاية نزل بحملها من الاصطبل السلطاني ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى الجمال وكان من جملتها أربعمائة فرس منها مائة بحرة ومائة خل ومائتا بغل وجميعها بسرج ولجم مسقطة بالذهب والفضة وبعضها سرجها وركبها كلها ذهب وكذلك لجمها وعدتها اثنان وأربعون رأسا منها سرجان من ذهب مرصع بجوهر وفيها اثنان وثلاثون بازا وفيها سيف قرابه ذهب مرصع وحياصة ذهب مرصع وفيها مائة كساء وغير ذلك من القماش العال وكان قد خرج المهمندار الى لقائهم وأنزلهم بالقرافة قريب مسجد الفتح

أحلت فلا حق لك على فجعلوا يقولون ولي عبد الملك على العراق رجلا ضعيفا وجعل يقول بعثت المهلب حتى يحارب الخوارج فركب دجلة ثم كتب المهلب الى عبد الملك انه ليس عندي رجال أقاتل بهم فاما بعثت الي بالرجال واما خليت بيني وبين البصرة فخرج عبد الملك الى أصحابه فقال ويلكم من للعراق فسكت الناس وقام الحجاج فقال أنا لها قال اجلس ثم قال ويلكم من للعراق فصمتوا وقام الحجاج وقال أنا لها قال اجلس ثم قال ويلكم من للعراق فصمتوا وقام الحجاج الثالثة فقال والله أنا لها يا أمير المؤمنين قال أنت زنبورها فكتب اليه عهده فلما بلغ القادسية أمر الجيش أن يقيلوا وان يروحوا وراءه ودعا بجمل عليه قتب فجلس عليه بغير خشبة ولا وطاء وأخذ الكتاب بيده ولبس ثياب السفر وتعمم بعمامته حتى دخل الكوفة وحده فجعل ينادي الصلاة جامعة وما منهم رجل جالس في مجلسه الا ومعه العشرون والثلاثون وأكثر ذلك من أهله وماليه وصعد المنبر

فثلثمائة متنكبا قوسه فجلس واضعا البهامه على فيه فقال بعضهم لبعض قوموا حتى نحصبه قال له بعض أهل وهم

وهم جمع كثير اجد وكان يوم طلوع الهدية من الايام المذكورة ففرق السلطان الهدية على الامراء باسرهم على قدر مراتبهم حتى نفدت كلها سوى الجواهر واللؤلؤ فانه اختص به فقدرت قيمة هذه الهدية مايزيد على مائة ألف دينار ثم نقلت الحرة الى الميدان بمن معها ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة في كل يوم بكرة وعشية ماعمهم وفضل عنهم فكان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم ونصف أردب أرز وقنطار حب رمان وربع قنطار سكر وثمان فانوسيات شمع وتوابل الطعام وحمل اليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم وأجرة حمل أثقالهم مبلغ ستين ألف درهم ثم خلع على جميع من قدم مع الحرة فكانت عدة الخلع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاتهم حتى خلع على الرجال الذين قادوا الخيول وحمل الى الحرة من الكسوة مايجل قدره وقيل لها أن تملي ماتحتاج اليه ولا يعوزها شيء وانما تريد عناية السلطان باكرامها واكرام من معها حيث كانوا فتقدم السلطان الى النشو والى الامير أحمد أقبغا بتجهيزها اللائق بها فقاما بذلك واستخدما لها السقائين والضوية وهيآ كل ماتحتاج اليه في سفرها من أصناف الحلاوات والسكر والدقيق والبقسماط وطلبا الجمالة لحمل جهازها وازودتها وندب السلطان للسفر معها جمال الدين متولي الجيزة وأمره أن يرحل بها في مركب لها بمفردها قدام المحمل ويمتثل كل ماتأمر به وكتب لاميري مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة انتهى * وقال في سنة خمس وأربعين وسبعمائة مانصه وفي نصف شعبان قدمت الحرة أخت صاحب المغرب في جماعة كثيرة وعلى يدها كتاب السلطان أبي الحسن يتضمن السلام وأن يدعو له الخطباء في يوم الجمعة ومشايخ الصلاح وأهل الخير بالنصر على عدوهم ويكتب الى أهل الحرمين بذلك وذلك أن في السنة الخالية كانت بينه وبين الفرنج وقعة عظيمة قتل فيها ولده ونصره الله تعالى بمنه على العدو وقتل كثيرا منهم وملكوا منهم الجزيرة الخضراء فعمر الفرنج مائتي شيني وجمعوا طوائفهم وقصدوا المسلمين وأوقعوا بهم على حين غفلة فاستشهد عالم كثير ونجا أبو الحسن في طائفة من ألزامه بعد شدائد وملك الفرنج الجزيرة واسروا وسبوا وغنموا شيئا يجل وصفه ثم مضوا الى جهة غرناطة ونصبوا عليها مائة منجنيق حتى صالحهم أهلها على قطيعة يقومون بها وتهادنوا مدة عشر سنين اه كلامه وقد تقدم نص هذا الكتاب الموجه من السلطان أبي الحسن قليل راجع قريبا * وقال ابن مرزوق في المسند الصحيح بعد كلام ما ملخصه وكان يعني السلطان أبا الحسن مجتهدا في الجهاد بنفسه وحرمه وجاز للاندلس برسم ذلك بنفسه وأظهر آثاره الجميلة ومنها ارتجاع جبل الفتح ليد المسلمين بعد أن انفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود والحشود اذ كان من عمالته هو والجزيرة ورندة ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه وضيقوا به الى أن استرجعوه ليد المسلمين وأنفق على بنائه احمال مال واعتنى بتحصينه وبنى حصنه وأبراجه وسوره وجامعه ودوره ومخازنه ولما كاد يتم ذلك نازله العدو برا وبحرا فصبر المسلمون صبر الكرام فخيب الله تعالى أمل العدو وعاد خاسرا والمنة لله فرأى أن يحصن سفح الجبل بسور يحيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدو في منازلته ولا يجد سبيلا للتضييق عند محاصرته ورأى الناس ذلك من المحال فانفق الاموال وأنصف العمال فاحاط بجموعه احاطة الهالة

لكم الامور وان تأخذوا الى بنيات الطريق تجدوني لكل مرصد مرصدا والله لا أقيل لكم عثرة

حصر الرجل فما يقدر على الكلام ومن قائل يقول أعرابي ما أبصر حجته فلما غص المجلس بأهله حسر اللثام عن وجهه ثم قام ونحى العمامة عن رأسه فوالله ما حمد الله ولا أثنى عليه ولا صلى على نبيه وكان أول مابدأهم به أن قال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفوني
أنى والله لا أرى أبصارا
طامحة وأعناقا متطاولة ورؤسا
قد أينعت وحان قطافها
وأنى أنا صاحبها كأني أنظر
الى الدماء ترقرق بين
العمائم واللحى
هذا أوان الحرب فاشتدى
زيم
قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعي ابل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم
وقال
قد لفها الليل بعصابي
أروع خراج من الدوى
مهاجر ليس باعرابي
وقال
قد شمرت عن ساقها فشدوا
وجدت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وترعريد
مثل ذراع البكر أو أشد
ان أمير المؤمنين نثر كنانته
فوجدني أمرها طعما
وأحدها سنانا وأقواها
قد احافان تستقيموا تستقم
ولا أقيل منكم عثره يا أهل

بالهلال وأما بناؤه للعاسن والطوالع فامر غير مجهول اه (وقد رأيت) ان أذكر هنا بعض انشاء لسان الدين بن الخطيب فى شان ما يتعلق بجبل الفتح وغيره من بلاد الاندلس وحال العدو الكافر وما يتخرط فى هذا السلك فمن ذلك على لسان سلطانه يخاطب به أحد السلاطين من أولاد السلطان أبى الحسن المرينى (ونصه) المقام الذى يصرخ وينجد ويتهم فى الفضل وينجد ويسعف ويسعد ويبرق فى سبيل الله ويرعد فيأخذ الكفر من عزماته المقيم المقعد حتى ينجز من نصر الله تعالى الموعد مقام محل أخينا الذى حسن الظن بمعده جميل وحد الكفر بسعده كليل وللاسلام فيه رجاء وتأميل ليس للقلوب عنه محيل السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى وعزمه الماضى لصولة الكفر قامعا وتدبيره الناجع لشمل الاسلام جامعا وملكه الموفق لنداء الله مطيعا سامعا معظم مقداره وملتزم اجلاله واكباره المعتد فى الله بكرم شيمته وطيب نجاره المستظهر على عدو الله باسراعه الى تدمير الكافر وبداره سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله مجيب دعوة السائل ومتقبل الوسائل ومتيح النعم الجلائل مريح من عامله فى هذا الوجود الزائف الزائل والايام القلائل بالمتاع الدائم الطائل والنعيم غير الحائل ومقيم أود الاسلام المائل باولى المكارم من أوليائه والفضائل والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المنقذ من الغوائل المنجى من الزوع المائل الصادع بدعوة الحق الصائل بين العشائر والفصائل الذى ختم به وبرسالته ديوان الرسل والرسائل وجعله فى الاواخر شرف الاوائل فحبه كنز العائل والصلاة عليه زكاة القائل والرضا عن آله وصحبه وعترته وحزبه تيجان الاحياء والقبائل المتميزين بكرم السجايا وطيب الشمائل والدعاء لمقام اخوتكم فى البكر والاصائل بالسعد الصادق المخايل والصنع الذى تتبرج مواهبه تبرج العقائل والنصر الذى تهزله الصعاد الملدعطف المترائح المتخايل فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم عزا يانع الخمائل ونصرا يتكفل للكتائب المدونة فى الجهاد ومرضاة رب العباد بسرد المسائل واقناع السائل من جراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه الا استبصار فى التوكل على من بيده الامور وتسبب مشروع تتعلق به باذن الله تعالى أحكام القدر المقدور ورجاء فيما وعد به من الظهور يتضاعف على توالى الايام وترادف الشهور والحمد لله كثيرا كما هو أهله فلا فضل الا فضله ومقامكم المعروف محله الكفيل بالارواء نهله وعله والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وحرس مجدكم ووالى النعم عندنا وعندكم فاننا فى هذه الايام أهمنا من امر الاسلام مارنق الشراب ونغص الطعام وذاد المنام لما تحققنا من عمل الكفر على مكايدته وسعى الضلال والله الواقى فى استئصال بقيته وعقد النوادى للاستشارة فى شأنه وشروع الحيل فى هدم أركانه ومن يؤمل من المسلمين لدفع الردى وكشف البلوى وبث الشكوى واهله حاطهم الله تعالى وتولاهم وتمم عوائد لطفه الذى أولاهم فهو مولاهم فى غفلة ساهون وعن المغبة فيه لاهون قد شغلتهم دنياهم عن دينهم وعاجلهم عن آجلهم وطول الامل عن نافع العمل الا من نور الله تعالى قلبه بنور الايمان وتمامل بنا صحة الله تعالى والاسلام تململ السليم

فررت عن ذكاء وفشت عن تجربة والله لاحونكم لحو العود ولا عصبنكم عصب السلمة ولاضربنكم ضرب غراب الابل ولا أقرعنكم قرع المروة يا أهل العراق طالما سعيتم فى الضلالة وسلكتم سبيل الغواية وسننتم سنن السوء وتماديتم فى الجهالة يا عبيد العصا وأولاد الاماء أنا الحجاج بن يوسف أنا والله لا أعد الا وفيت ولا أحلف الا بريت فايا كم وهذه الزرافات والجماعات وقال وقيل ومايكون وما هو كائن وما أنتم وذاك يا بنى اللكيعة لينظر الرجل فى أمر نفسه وليحذر أن يكون من فرائسى يا أهل العراق انما مثلكم كما قال الله عز وجل مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الآية فاسرعوا واستقيموا واعتدلوا ولا تميلوا واشايعوا وبايعوا واصغوا واعلموا أنه ليس منى الا كثار والاهدار ولا منكم الفرار والنفار انما هو انتضاء السيف ثم لا أغمده فى شتاء ولا صيف حتى يقيم الله لامير المؤمنين أودكم ويذل به صعبكم انى نظرت فوجدت الصدق مع البر ووجدت البر فى الجنة ووجدت واستدل

واستدل بالشاهد على الغائب وصرف الكفر الى مطالب الامم النوائب فلما رأينا أن الدولة المرينية التي هي على عمر الايام شجا العدا ومتوعد من يكيد الهدى وفئة الاسلام التي اليها يحير وكهفه الذي اليه يلجأ قد أذن الله تعالى في صلاح أمورها ولم شعثها واقامة صفاها بان صرف الله تعالى عنها هنات الغدر واراحها من مس الضر وردقوسها الى يد باريها وصير حقها الى وارثها وأقام لرعي مصالحها من حسن الظن بحسبه ودينه ورجي الخير من ثمرات نجمه ومن لم يعلم الا الخير من سعيه والسداد من سيرته ومن لا يستريب المسلمون بصحة عقده واستقامة قصده أردنا أن نخرج لكم عن العهدة في هذا الدين الحنيف الذي وسمت دعوته وجوه أحبابكم شملهم الله تعالى بالعافية وتشبثت به أنفس من صار الى الله تعالى من السلف تغمدهم الله بالرحمة والمغفرة وفي هذا القطر الذي بلاده ما بين مكفول يجب رعيه طبعا وشرعا وجار يلزم حقه دينا ودنيا وجيه وفضلا وعلى الحالين فعليكم بعد الله المعول وفيكم المؤمل فارعونا اسماعكم المباركة نقص عليكم ما فيه رضا الله والنجاة من نكيره والفخر والاجر وحفظ النعم والخلف في الذرية بهذا وعدت الكتب المنزله والرسل المرسله وهو أن هذا القطر الذي تعددت فيه المحاريب والمنابر والراكع والساجد والذاكر والعابد والعالم واللفيف والارملة والضعيف قد انقطع عنه ارفاد الاسلام وشحت الايدي به منذ أعوام وسلم الى عبدة الاصنام وقوبلت ضرائره بالاعذار والمواعيد المستغرقة للاعمار وان عرضت شواغل وفتن وشواغب واحن فقد كانت بحيث لا يقطع السبب بجملته ولا يذهب المعروف بكليته

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

ولو كانت الاشغاب تقطع المعروف وتصرف عن الواجب لم يفتح المقدس والدكم جبل الفتح وهو منازل أخاه بسجلماسة ولا امده ولده السلطان أبو عنان وهو بمراكش وبالامس بعثنا الى الجبل وسماته في جملة ما أهمنا مبلغ جهد وسداد من عوز وقد فضلت عن ضرائرنا أموال فرضت من اجل الله على عباده وطعام سمحنا به على الاحتياج اليه في سبيل جهاده فلم يسهم المتغلب منها لجانب الله بحبة ولا أقطعه منها ذرة مستخفا به جل وعلا متهاونا بنكيره الذي هو أحق أن يخشى فضاعت الامور واختلت الثغور وتشذبت الحامية وتبددت العدد وخلت المخازن وهلكت بها الجرادن وعظمت بها عسرة الاسلام أضعاف ما عظمت حبرته أيام ما كانت تكلفها هم الملوك الكرام والخلفاء العظام والوزراء والنجباء والاشياخ الامجاد قدس الله تعالى أرواحهم وضاعف أنوارهم ولا كالحسرة في الجبل باب الاندلس وركاب الجهاد وحسنة بني مرين وما آثر آل يعقوب وكرامة الله للسلطان المقدس أبي الحسن والد الملوك وكبير الخلفاء والمجاهدين والدكم الذي تردد على قبره مع الساعات والانفاس وفود الرحمة وهدايا الزلفة وريحان الجنة فلولا انكم على علم من أحواله لشرحنا الجمل وشكلنا المهمل انما هو اليوم شيخ مائد وظل بائد لولا أن الله تعالى شغل العباد عنه بفتنة لم يصرف وجهه الا اليه ولا حوم طيره الا عليه ولكان بصدد أن

واشخاصكم الى محاربة عدو كم مع المهلب وقد أمرتكم بذلك وأجلت لكم ثلاثا وأعطيت الله عهدا يؤاخذني به ويستوفيه مني أن لا أجد أحدا من بعث المهلب بعدها الا ضربت عنقه وانتهبت ماله يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقال الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الى من بالعراق من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فاني أحمد الله اليكم فقال الحجاج اسكت يا غلام ثم قال مغضبا يا أهل العراق والنفاق والشقاق ومساوئ الاخلاق يا أهل الفرقة والضلال يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه السلام أما والله لئن بقيت لكم لاحونكم لحو العود ولاؤدبنكم أدب سوى هذا الادب هذا أدب ابن سمية وهو صاحب شرطة كان بالعراق اقرأ يا غلام الكتاب فلما بلغ السلام قال أهل المسجد وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته ثم نزل وأمر للناس باعطياتهم والمهلب يومئذ بمهرجان قاتل الازارقة فلما كان اليوم الثالث جلس الحجاج بنفسه يعرض الناس فمر به عمير بن ضابئ البرجمي ثم أحد بني الحدادية وكان من أشراف أهل الكوفة وكان

يتخذه الصليب دارا وان يقربه عينا والعدوة فضلا عن الاندلس قد اوسعها شرا وارهق ما يجاوره عسرا نسأل الله تعالى بنور وجهه أن لا يسود الوجوه بالفضح فيه ولا يسمع المسلمين الثكلة وما دونه فهو وان أنعش بالتعليل عليله ووقع بالجهد خلقه لحم على وضم الا ان يصل الله تعالى وقايته ويوالى دفاعه وحمايته لا اله الا هو الولى النصير ومازلنا نشكو الى غير المصمت ونمد اليد الى المدبر عن الله المعرض ونخطب له زكاة الاموال من المباني الضخمة والخزائن الثرة والاهراء الطامية والحظ التافه من المفترض برسمه فتمضي الايام لا تزيد الضرائر فيها الا ضيقا ولا الاحوال الا شدة ولا الثغر الا ضعة ولا نعلم أن نظر او قع له ولا فكرا أعمل فيه الا ما كان من تسخير رعيته الضعيفة وبلالة مجباه السخيفة في بناء قصر بمنت ميور من جباله

شاده مرمرا وجلله كاسـ ـفا للطير في ذاره وكور

جلب اليه الزليج واختلفت فيه الاوضاع في رأس نيق لا أمل نزوة وسوء فكرة فلما تم أقطع الهجران فهو اليوم ممتنع البوم وحظ الخراب فلا حول ولا قوة الا بالله حتى جاء أمر الله حالي الصحيفة من البر صفر اليد من العمل الصالح نعوذ بالله من ذلك ونسأله الالهام والسداد والتوفيق والرشاد وقد بذلنا جهدنا قولا وفعلا وموعظة ونصحا واستدعينا تلك الجهة صدقة المسلمين محمولة على أكتاد العباد الضعفاء الذين كانت صدقات فاتحيه رضى الله تعالى عنهم ترفدهم ونوافلهم تتعهدهم فحاركت ذلك الجؤار حلوبا ولا استدعى مطلوبا ولا رفد امجلوبا قالى متى تنضى ركاب الصبر وقد بلغ الغاية واستنفد البلالة بعد أن أعاد الله تعالى العهد وجبر المال واصلح السعي واجرى ينابيع الخير وأنشق رياح الافالة وجلة ما نريد أن نقرره فهو الباب الجامع والقصد الشامل والداعي والباعث أن صاحب قشتالة لما عاد الى ملكه ورجع الى قطره جرت بيننا وبينه المراسلة التي استقرت بعدم رضاه عن كدحنا النصره ومظاهرتنا اياه على أمره وان كنا قد بلغنا جهدا وأبعدنا وسعا واجلت عن شروط ثقيلة لم نقبلها واغراض صعبة لم نكملها ونحن نتحقق انه اما أن تهيج حفيظته وتثور احنته فيكشف وجه المطالبة مستكثرا بالامة التي داس بها أهل قشتالة فراجع أمره غلابا وحقه ابتزازا واستلابا أو يصرفها ويهادن المسلمين بخلال ما لا يدع جهة من جهات دينه الغريب الا عقد معها صلحا وأخذ عليها باعانتها اياه عهدا ثم تفرغ الى شفاء غليله وبلوغ جهده ولا شك انها تجيبه صرفا لباسه عن نحورها ومقارضة كما وقع باطرية من مضيق صدورها ومؤسف جمهورها وكل من له دين ما فهو يحرص على التقرب الى من دانه به وكلفه وظائف تكليف رجاء لوعده وخوفا من وعيده وبالله ندفع ما لا نطيق من جموع تداعت من الجزر وراء البحور والبر المتصل الذي لا تقطعه الرفاق ولا تحصى ذوعه الحذاق وقد أصبحنا بدار غربة ومحل روعة ومفترس نبوة ومظنة فتنة والاسلام عدده قليل ومنتجعه في هذه البقعة جديب وعهده بالارفاد والامداد من المسلمين بعيد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا الى آخر السورة واذا تداعت أمم الكفر نصرة لدينها المكذوب وحمية لصليبها المنصوب فمن يستدعي لنصر دين الله وحفظ أمانة نبيه الا أهل ذلك الوطن

من بعث المهلب فقال أصلح الله الامير اني شيخ كبير زمن عليل ضعيف ولي عدة أولاد فليختر الامير أيهم شاء مكاني أشدهم ظهرا وأكرمهم فرسا وأعمهم أداة قال الحجاج لا بأس بشاب مكان شيخ فلما ولى قال له عنبسة بن سعيد ومالك بن اسماء اصلح الله الامير أتعرف هذا قال لا قال هو عمير بن ضابئ التميمي الذي وثب على أمير المؤمنين عثمان وهو مقتول فكسر ضلعا من أضلاعه فقال انه كان حبس أبي شيخا كبيرا ضعيفا فلم يطلقه حتى مات في سجنه فقال الحجاج أما أمير المؤمنين عثمان فنغزوه بنفسك وأما الازارقة فنبعث اليهم بالبدل أوليس أبوك الذي يقول

هممت ولم أفعل وكدت وليتني
فعلت وأوليت البكاء حلائله

أما والله ان في قتلك أيها الشيخ لاصلاح المصرين ثم أقبل بصعد بصره اليه ويصوب عليه مرة ويسرحها أخرى ثم أقبل عليه فقال يا عمير سمعت مقالتي على المنبر فقال نعم قال والله انه لقبيح بمثلي أن يكون كذابا قم اليه يا غلام فاضرب عنقه ففعل فلما قتل ركب الناس كل صعب وذلول وخرجوا على وجوههم يريدون المهلب فازدحموا على الجسر حتى سقط

حيث

حيث الماذن بذكر الله تعالى تملأ الآفاق وكلمة الاسلام قد عمت الربا والوهاد انما الاسلام غريق قد تشبث باهدابكم يناشدكم الله فى بقية الرمق وقبل الرمى تراش السهام وهذا أوان الاعتناء واختيار الحماة واعداد الاقوات قبل أن يضيق المجال وتمنع الموانع وقد وجهنا هذا الوفد المبارك للحضور بين يديكم مقررا الضرورة منها الرغبة مذكرا بما يقرب عند الله مذكرا الذمام الاسلام جالبا على من وراءهم بحول الله تعالى من المسلمين البشرى التى تشرح الصدور وتسنى الآمال وتستدعى الدعاء والثناء فالمؤمن كثير باخيه ويد الله مع الجماعة والمسلمون يد على من سواهم والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا والتعاون على البر والتقوى مشروع وفى الذكر الحكيم مذكور وحق الجار مشهور وما كان جبريل يوصى به فى الصحيح مكتوب وكراع المسلمين اجتماع كلمة الكفر فنرجو أن يروع الكفر من العز بالله وشد الحيازيم فى سبيل الله ونفير النفرة لدين الله والشعور بحماية الثغور وعمرانها وازاحة علالها وجلب الاقوات اليها وانشاء الاساطيل وجبر ما تلف من عدة البحر أمور تدل على ماوراءها وتخبر بمشيئة الله تعالى عما بعدها وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى ومن خطب على رضى الله تعالى عنه أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رهبة ألبسه الله تعالى سيما الخسف ووسمه بالصغار وما بعد الدنيا الا الآخرة وما بعد الآخرة الاحدى دارى البقاء أفى الله شك ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والاعتناء بالجبل عنوان هذا الكتاب ومقدمة هذا الباب والغفلة عنه منذ أعوام قد صيرتنا الانتفاع باليسير وقد أبرمته المواعيد وغير رسومه الانتظار ومن المنقول ارحموا السائل ولو جاء على فرس والاسراف فى الخير أرجح فى هذا المحل من عكسه وكان بعض الاجواد يقول وقد أقتر اللهم هب لى الكثير فان حالى لا تقوم على القليل وعسى أن يكون النظر له بنسبة الغفلة عنه والامتعاض مكافئا للازراء به وخلو البحر يغتنم لامداده وارفاده قبل أن يثوب نظر الكفر الى قطع المدد وسد البحر ومن ضيع الحزم ندم ولا عذر لمن علم والله عز وجل يطلع من قبلكم على ما فيه شفاء الصدور وجبر القلوب وشعب الصدوع وما نقص مال من صدقة وطعام الواحد كاف الاثنين والدين دينكم والبلاد بلادكم ومحل رباطكم وجهادكم وسوق حسناتكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقد قلدنا العهد الحفظ علينا المصروف العناية بفضل الله تعالى الينا والله المستعان وعليه التكلان والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى * وفى اعتقادى أن هذا المكتوب للسلطان أبى فارس عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن المرينى وأن المراد بالمتغلب الوزير عمر بن عبد الله الذى ظفر به أبو فارس المذكور واستقل بالملك بعد محو اثره حسبما ذكرناه فى غير هذا المحل والله سبحانه أعلم (ومن انشاء لسان الدين) على لسان سلطانه فى استنهاض عزم صاحب فاس السلطان المرينى لنصرة الاندلس (مانصه) المقام الذى يؤثر حظ الله اذا اختلفت الحظوظ وتعددت المقاصد ويشرع الادنى منه اذا تفاضلت المشارع وتمايزت الموارد وتشمل عادة حلمه وفضله الشارد ويسع وارف ظله الصادر والوارد والغائب والشاهد ويعيد من نصر الله للاسلام العوائد ويسد الذرائع ويدر الفوائد مقام محل أخينا الذى

العراض الى المهلب فما أتت على المهلب عاشرة حتى ازدحموا عليه فقال من هذا الذى استعمل

ذلك قال أهل هذا البعث ازدحموا على الجسر حتى ضاق بهم قال انطلق فاعقد لهم جسرين وخرج عبد الله ابن الزبير الاسدى مذعورا حتى اذا كان عند اللجامين لقيه رجل من قومه يقال له ابراهيم فقال له ما الخبر فقال ابن الزبير الشر الشر قتل عمير من بعث المهلب وأنشأ يقول

أقول لابراهيم لما لقيته
أرى الامر أمسى مهلكا متصعبا
تجهز فاما أن تزور ابن ضابئ
عميرا واما ان تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما
ركوبك حيرانا من البلج اشهبا
فاضحى ولو كانت خراسان دونه
رآها مكان السوق أو هو أقربا
والافما الحجاج مغمد سيفه
مدى الدهر حتى يترك الطفل أشيبا

وخرج الناس هربا الى السواد وأرسلوا الى أهاليهم أن زودونا ونحن بمكاننا وقال الحجاج لصاحب الجسر افتح ولا تحل بين أحد وبين الخروج ووجه

حسنت في الملك سيره وتعاضد في الفضل خبره وخبره ودلت شواهد مدارکه للعقوق وتعمده للعقوق على أن الله تعالى لا يهمله ولا يذره فسلك فخره منسقة درره ووجه ملكه شادخة غرره السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله رفيعا علاؤه هاميه لديه من الله تعالى وآلاؤه مزدانة بكواكب السعد سماؤه محروسة بعز النصر أرجاؤه مكملا من فضل الله تعالى في نصر الاسلام وكبت عبدة الاصنام أمله ورجاؤه معظم قدره الذي يحق له التعظيم وموقر سلطانه الذي له الحسب الاصيل والمجد الصميم الداعي الى الله تعالى باتصال سعادته حتى ينتصف من عدو الاسلام الغريم ويتاح على يد سلطانه الفتح الجسيم فلان سلام كريم طيب عميم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذي لا يضيع اجر من أحسن عملا ولا يخيب لمن اخلص الرغبة اليه أملا وموفي من ترك له حقه أجره المكتوب متمما مكملا وجاعل الجنة لمن اتقاه حق تقاته نزلا ملك الملوك الذي جل وعلا وجبار الجبابرة الذي لا يجدون عن قدره محيصا ولا من دونه موئلا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي أنزل الله تعالى عليه الكتاب مفصلا وأوضح طريق الرشد وكان مغفلا وفتح باب السعادة ولولاه كان مقفلا والرضا عن آله وأصحابه وعترته وأحزابه الذين ساهموه فيما مر وماحلا وخلفوه من بعد بالسير التي راقت محتلى ورفعوا عماد دينه فاستقام لا يعرف ميلا وكانوا في الحلم والعفو مثلا والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذي يلفي نصه صريحا لا متأولا والصنع الذي يبهر حالا ومستقبلا والعز الذي يرسو جبلا والسعد الذي لا يبلغ أمدا ولا أجلا فانا كتبناه اليكم أصحب الله تعالى ركابكم حلف التوفيق حلا ومرتحلا وعرفكم عوارف اليمن الذي يثير جذلا ويدعو وافد الفتح المبين فيرد مستجلا من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من التشيع لمقامكم حرس الله تعالى سلطانه ومهد أوطانه الا الخير الذي نسأل بعده تحسين العقبى وتوالي عادة الرحمى والحمد لله على التي هي أزكى وسدل جناح الستر الاضفى وصلة اللطائف التي هي أكفل وأكفى وأبر وأوفى ومقامكم عندنا العدة التي بها نصول ونرهب والعمدة التي نظيل في ذكرها ونسهب وقد أوفدنا عليكم كل ما زاد لدينا أوفتح الله تعالى به علينا ونحن مهما شد المخنق بكم نستنصر أو تراخى ففي ودكم نستبصر أوفتح الله تعالى فابوابكم نهنى ونبشر وقررنا عندكم أن العدو في هذه الايام توقف عن بلاد المسلمين فلم تصل منه اليها سريه ولا بطشت له يد جريه ولا افترعت من تلقائه ثنيه ولا ندري أمكيدة تدبر أم آراء تنقض بحول الله وتبتر أو لشاغل في الباطن لا يظهر وبعد ذلك وردت على بابنا من بعض كبارهم وزعماء أقطارهم مخاطبات يندبون فيها الى جنوحها للسلم في سبيل النصح لايادي سلفت منا لهم قررها ورسائل ذكرها فلم يخف عنا أنه أمر دبر بليل وخبية تحت ذيل فظهر لنا أن نسبر الغور ونستفسر الامر فوجهنا اليه على عادة تنامع سلفه لنعتبر ما لديه وننظر الى بواطن أمره ونبحث عن زيد قومه وعمره فتاتى ذلك وجرمفاوضة في الصلح أعدنا لاجلها الرساله واستشعرنا السداله ووازنا الاحوال واختبرنا واعتززنا في الشروط ما قدرنا ونحن نرتقب ما يخلق الله تعالى من مهادنة

على العراق من هذا الذي عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث على سجستان وبست والرخج فحارب من هنالك من امم الترك وهم أنواع من الترك يقال لهم الطغرغز والجيلخ وحارب من يلي تلك البلاد من ملوك الهند مثل زنبيل وغيره وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب مراتب ملوك الهند وغيرهم من ملوك العالم وذكرنا مملكة كل واحد منهم والصقع الذي هو به وذوي السياسات منهم وبينا أن كل ملك يلي هذا الصقع من بلاد الهند يقال له زنبيل فخلع ابن الاشعث طاعة الحجاج وصار الى بلاد كرمان فتغلب بخلع عبد الملك وانقاد الى طاعته أهل الري والجبال فيما بين الكوفة والبصرة وغيرهما وسار الحجاج الى البصرة وسار الاشعث اليه فكانت له حروب عظيمة وفي عبد الرحمن بن الاشعث يقول

خلع الملوك وسار تحت لوائه
شجر العراق وعراعر الاقدام

وكتب الحجاج بن يوسف الى عبد الملك يعلمه بخبر ابن الاشعث فكتب اليه عبد الملك لعمري لقد خلع طاعة الله بيمينه وسلطانه بشماله وخرج من الدين

تحصل بها الاقوات المهيأة للانتساف وتسكن ماساء البلاد المسلمة من هذا الارجاف وتفرغ الوقت لمطاردة هذه الاماثل الجهاف أو حرب يبلغ الاستبصار فيه غايته حتى يظهر الله تعالى فى نصر الفئة القليلة آيته ولم نجعل سبب الاعتزاز فيما أردناه وشموخ الانف فيما أصدرناه الا ما أشعنا من عزمكم على نصرة الاسلام وارتقاب خفوق الاعلام والنهوض الى دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام وان الارض حمية لله تعالى قد اهتزت والنفرة قد غلبت النفوس واستفزت واستظهرنا بكتيبكم التى تضمنت ضرب المواعد وشمرت عن السواعد وأن الخيل قد اطلقت الى الجهاد فى سبيل الله الاعنة والثنايا سدتها بروق الاسنة وفرض الجهاد قد قام به المؤمنون والاموال قد سمح بها المسلمون وهذه الامور التى تمشت بقريبها أو بعيدها أحوال الاسلام والامانى المعدة لتزجية الايام ثم اتصل بنا الخبر الكارث بما كان من حور العزائم المؤمنة بعد كورها وتسويف مواعد النصرة بعد استشعار فورها وان الحركة معملة الى مراكش الجهة التى فى يديكم زمامها واليكم وان تراخى الطول ترجع أحكامها والقطر الذى لا يفوتكم مع الغفلة ولا يعجزكم عن الصولة ولا يطلبكم ان تركتموه ولا يمنعكم ان طرقتموه وعركتموه فسقط فى الايدى الممدودة واختلفت المواعد المحدوده وخسئت الابصار المرتقبة ورجفت المعاقل الاشبه وساءت الظنون وذرفت العيون وأكذب الفضلاء الخبر ونفوا أن يعتبر وقالوا هذا لا يمكن حيث الدين الحنيف والملك المنيف والعلماء الذين أخذ الله تعالى ميثاقهم وحمل النصيحة أعناقهم هذا المفترض الذى يعد والقائم الذى يقعد باباه الله تعالى والاسلام وتاباه العلماء الاعلام وتاباه الماذن والمنابر وتاباه الهمم والاكابر فبادرنا نستطلع طلع هذا النبأ الذى اذا كان باطلا فهو الظن ولله المن وان كان خلافه لرأى ترجع وتنفق بقرب الملك وتجيح فنحن نوفد كل من يقدم الى الله تعالى بهذا القطر فى شفاعه ويمد اليه كف ضراعه ومن يوسم بصلاح وعباده ويقصد فى الدين بث افاده يتطارحون عليكم فى نقض ما أبرم ونسخ ما أحكم فانكم تحنون به على من استنصركم عكس ما قصد وتحلون عليه ما عقد وهب العذر يقبل فى عدم الاعانه وضرورة الاستعانة والاستكانه أى عذر يقبل فى الاطراح والاعراض الصراح كأن الدين غير واحد كأن هذا القطر لكلمة الاسلام جامد كأن ذمام الاسلام غير جامع كأن الله غير راء ولا سامع فنحن نسألكم بالله الذى تساءلون به والارحام ونأنف لكم من هذا الاحجام وتتطارح عليكم أن تتركوا حظكم فى أهل تلك الجهة حتى يحكم الله بيننا وبين العدو والذى يتكالب علينا بادياركم بعد ما تضاءل لاستنفاركم ولا نكلفكم غير اقتراب داركم وما سامكم المسلمون بها شططا ولا حملوكم الا قصدا وسطا وما ذهبتم اليه لا يفوت ولا يبعد وقد تجاوزت البيوت انما الفائت ماوراءكم من حديث تأنف من سماعه أوداؤكم ودين يشمت به أعداؤكم فأسعفوا بالشفاعة فيمن بتلك الجهة المراكشية قصدنا وحاشى احسانكم أن يرى فيه ردنا وأنتم بعد بالخيار فيما يجر به الله على يديكم من قدره أو يلهمكم اليه من نصره وجوابكم مرتقب بما يليق بكم ويحمل بحسبكم والله سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام

رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أهل العراق ان الشيطان استبطنكم فخالط اللحم منكم والعظم والاطراف

ذلك على يد أمير المؤمنين

وما جوابه عندى فى خلع الطاعة الاقول القائل

أناة وحلما وانتظارا بهم غدا
فما أنا بالقالى ولا الضرع الغمر

أظن صروف الدهر بينى وبينكم
ستحملكم منى على مركب وعر

ألم تعلموا أنى تخاف عزائمى
وان قناتى لا تلين على الكسر

ودخل ابن الاشعث الكوفة وكتب الحجاج كتابا الى عبد الملك يذكر فيه جيوش ابن الاشعث وكثرتها ويستنجد عبد الملك ويسأله الامداد وقال فى كتابه واغوثاه يا الله واغوثاه يا الله واغوثاه يا الله فامده بالجيوش وكتب اليه يا لبيك يا لبيك يا لبيك فالتقى الحجاج وابن الاشعث بالموضع المعروف بدير الجماجم فكانت بينهم وقائع نيف وثمانون وقعة تفانى فيها خلق وذلك فى سنة اثنتين وثمانين وكانت على ابن الاشعث فمضى حتى انتهى الى ملوك الهند ولم يزل الحجاج يحتال فى قتله حتى قتل وأتى برأسه فعلا الحجاج منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على

والاعضاء وجرى منكم مجرى الدم وانضى الى الاضلاع والاخلاع فحشى هناك شقاقا واختلافا ونفاقا ثم أربع فيه

الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى (ومن انشاء لسان الدين) أيضا فى مخاطبة سلطان فاس والمغرب على لسان سلطان غرناطة فيما يقرب من الانحاء السابقة (ما نصه) المقام الذى أقام سعده فى انتظام واتساق وجياده زه الى الغاية القصوى ذات استباق والقلوب على حبه ذات اتفاق وعناية الله تعالى عليه مديدة الرواق وأياديه الجمة فى الاعناق ألزم من الاطواق وأحاديث مجده سمر النوادى وحديث الرفاق مقام محل أبينا الذى شأن قلوبنا الاهتمام بشانه وأعظم مطلوبنا من الله تعالى سعادة سلطانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى والصنائع الالهية تحط ببابه والالطاف الخفيه تعرس فى جنابه والنصر العزيز يحف بركابه وأسباب التوفيق متصلة باسبابه والقلوب الشجية افراقه مسرورة باقترابه معظم سلطانه الذى له الحقوق المحتومة والفواضل المشهورة المعلومه والمكارم المسطورة المرسومه والمفاخر المنسوقة المنظومه الداعى الى الله تعالى فى وقاية ذاته المعصومه وحفظها على هذه الامة المرحومه الامير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم طيب عم كما سطعت فى غيهب الشدة أنوار الفرج وهبت نواسم ألطاف الله عاطرة الارج يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله جالى الظلم بعد اعتكارها ومقيل الايام من عثارها ومزين سماء الملك بشموسها المحتجبة وأقمارها ومريح القلوب من وحشة أفكارها ومنشئ سحاب الرحمة على هذه الامة بعد افتقارها وشدة اضطرابها واضطرارها ومتدارکها باللطف الكفيل بتمهيد أوطانها وتيسير أوطارها والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله صفوة النبوة ومختارها ولباب مجدها السامى ونجارها نبى الملاحم وخائض تيارها ومذهب رسوم الفتن ومطفئ نارها الذى لم ترعه الشدائد باضطراب بحارها حتى بلغت كلمة الله ماشاءت من سطوع أنوارها ووضوح آثارها والرضا عن آله وأصحابه الذين تمسكوا بعهده على أحلاء الحوادث وأمرارها وباعوا نفوسهم فى اعلاء دعوته الحنيفية واظهارها والدعاء لمقامكم الاعلى باتصال السعادة واستمرارها وانسحاب العناية الالهية واسدال أستارها حتى تقف الايام ببابكم موقف اعتذارها وتعرض على مثابتكم ذنوبها راغبة فى اغتفارها فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم أوفى ما كتب لصالحى الملوك من مواهب اسعاده وعرفكم عوارف الآلاء فى اصدار أمرهم الرفيع وايراده وأجرى الفلك الدوار بحكم مراده وجعل لكم العاقبة الحسنى كما وعد به فى محكم كتابه المبين للصالحين من عباده من جمراء غرناطة حرسها الله تعالى وليس بفضل الله الذى عليه فى الشدائد الاعتماد والى كنف فضله الاستناد ثم بيركته جاء تبيننا الذى وضح بهدايته الرشاد الا الصنائع التى تشام بوارق اللطف من خلالها وتخبر سيماها بطلوع السعود واستقبالها وتدل مخايل يمنها على حسن مآلها لله الحمد على نعمه التى نرغب فى كمالها ونستدر عذب زلالها وعندنا من الاستبشار باتساق أمركم وانتظامه والسرور بسعادة ايامه والدعاء الى الله تعالى فى اظهاره واتمامه مالا تفى العبارة باحكامه ولا تتعاطى حصر أحكامه والى هذا اید

فعشش وباض فيه ففرخ واتخذوه دليلا تتابعونه وقائدا تطيعونه ومأمرا تستأمرونه ألستم أصحابى بالاهوازحين سعيتم بالغدر بى فاستجمعتم على وحيث ظننتم أن الله سيخذل دينه وخلافته وأقسم بالله انى لاراكم بطرفى وأنتم تتسللون لواذا منهزمين سراعا مفترقين كل امرئ منكم على عنقه السيف رعبا وجبنا ويوم الزاوية ومايوم الزاوية بها كان فشلكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم وتوليكم على أكتافكم السيوف هاربين لا يسأل الرجل عن بنيه ولا يلوى امرؤ على أخيه حين عض لكم السلاح وقصعتكم الرماح ويوم دير الجماجم بها كانت الملاحم والمعارك العظائم ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله فما الذى أرجوه منكم يا أهل العراق أم ما الذى أتوقعه ولماذا أستبقيكم ولاى شئ ادخركم ألملحمات بعد العدوات أم للنزوة بعد النزوات وما الذى أراقب بكم وما الذى انتظر فيكم ان بعثتم الى ثغوركم جبنتم وان أمنتم أوخفتم نافقتم لا تجزرون بحسنة ولا تشكرون نعمة يا أذل العراق يا استنجحكم نابح أو استشلاكم عاق

الله تعالى أمركم وعلاه وصان سلطانكم وتولاه فقد علم الحاضر والغائب وخلص الخلوص الذى لا تغيره الشوائب ما عندنا من الحب الذى وضحت منه المذاهب وانا لما اتصل بنا ما جرت به الاحكام من الامور التى صحبت مقامكم فيها العناية من الله والعصمه وجعل على العباد والبلاد الوقاية والنعمه لا يستقر بقلوبنا القرار ولا تتاتى بأوطاننا الاوطار تشوقا الما تتيحه لكم الاقدار ويبرزه من سعادتكم الليل والنهار ورجاؤنا فى استئناف سعادتكم يشتد على الاوقات ويقوى علما بان العاقبة للتقوى وفى هذه الايام عميت الانباء وتكالبت فى البر والبحر الاعداء واختلفت الفصول والاهواء وعاقت الوارد الانواء وعلى ذلك من فضل الله الرجاء ولو كنا نجد للاتصال بكم سببا أو نلفى لاعانتكم مذهبا لما شغلنا البعد الذى بيننا اعترض والعدو بساحتنا فى هذه الايام ربض وكان خديمكم الذى رفع من الوفاء راية خافقه واقتنى منه فى سوق الكساد بضاعة نافقه الشيخ الاجل الاوفى الاود الاخلص الاصفى أبو محمد بن احباء سنى الله مأموله و بلغه من سعادة أمركم سوله وقد ورد على بابنا وتحيز الى اللعاق بجنابنا ليتيسر له من جهتنا القدوم ويتأتى له باعانتنا الغرض المروم فبينما نحن ننظر فى تتميم غرضه واعانته على الوفاء الذى قام بمفترضه اذا اتصل بنا خبر قرقورتين من الاحفان التى استعنتم بها على الحركه والعزمة المقترنة بالبركه حطت احداهما بمرسى المنكب والاخرى بمرسى المريه فى كنف العنايه الالهيه فتلقينا من الواصلين فيها الانباء المحققة بعد التباسها والاخبار التى يغنى نصها عن قياسها وتعرفنا ما كان من عزمكم على السفر وحركتكم المعروفة باليمن والظفر وانكم استخرتم الله تعالى فى اللعاق بالاوطان التى يؤمن قدومكم خائفها و يؤلف طوائفها ويسكن راجفها و يضلع أحوالها ويسكن أهوالها وانكم سبقتم حركتها بعشرة أيام مستظهرين بالعزم المبرور والسعد الموفور واليمن الرائق السفور والاسطول المنصور فلا تسألوا عن انبعاث الآمال بعد سكونها ونهوض طيور الرجاء من وكونها واستبشار الامة المحمدية منكم بقرة عيونها وتحقق ظنونها وارتياح البلاد الى دعوتكم التى ألبستها ملابس العدل والاحسان وقلدتها قلائد السير الحسان ومامنها الا من باح بما يخفيه من وجده وجهر بشكر الله تعالى وحمده وابتهل اليه فى تيسير غرض مقامكم الشهير وتتميم قصده واستئناس نور سعده وكم مطل الانتظار بديوان آمالها والمطاولة من اعتلالها وأما نحن فلا تسألوا عن استشعار دنوحبيبه بعد طول مغيبه انما هو صدر راجعه فؤاده وطرف ألفه رقاده وفكر ساعده مراده فلما بلغنا هذا الخبر بادرنا الى انجاز ما بذلنا لخديمكم المذكور من الوعد واغتنمنا ميقات هذا السعد ليصل سببه باسبابكم و يسرع لحاقه بجنابكم فعنده خدم نرجو أن ييسر الله تعالى أسبابها و يفتح بنيتكم الصالحة أبوابها وقد شاهد من امتعاضنا لذلك المقام الذى ندين له بالتشييع الكريم الوداد ونصل له على بعد المزار ونزوح الاقطار سبب الاعتداد ما يغنى عن القلم والمداد وقد ألقينا اليه من ذلك كله ما يلقيه الى مقامكم الرفيع العماد وكتبنا الى من بالسواحل من ولاتنا نحدهم ما يكون عليه عملهم فى برمن يرد عليهم من جهة أبوتكم الكريمه

وآويتموه وكنتم قتلتموه
يا أهل العراق هل شغب
شاغب أو نعب ناعب
أودى كاذب الا كنتم
أنصاره وأشياعه يا أهل
العراق لم تنفعكم التجارب
وتحفظكم المواعظ
أو تعظكم الوقائع هل يجمع
فى صدوركم ما أوقع الله
بكم عند مصادر الامور
وموارد ها يا أهل الشام
انا لكم كالظليم الرامح
عن فراخه ينفى عنهن القذى
ويكنهن من المطر ويحفظهن
من الذباب ويحميهن من
سائر الدواب لا يخلص
اليهن معه قذى ولا يفضى
اليهن بذا ولا يمسهن أذى
يا أهل الشام أنتم العدة
والعدد والجند والحرب
ان حارب محارب أو جانب
مجانب وما أنتم وأهل
العراق الا كما قال نابغة بنى
جعدة
وان تداعيكم حظهم
ولم ترزقوه ولم تكذب
كقول اليهود قتلنا المسيح
ولم يقتلوه ولم يصلب
فى أبيات ولما أسرف الحجاج
فى قتل أسارى دير الجماجم
وأعطى الاموال بلغ ذلك
عبد الملك فكتب اليه أما
بعد فقد بلغ أمير المؤمنين
سرفك فى الدماء وتبذيرك
فى الاموال ولا يحتمل أمير
المؤمنين هاتين الخصلتين لاحد من الناس وقد حكم عليك أمير المؤمنين فى الدماء فى الخطا الدية وفى

ذات الحقوق العظيمه والايادى الحديثة والقديمه وهم يعملون فى ذلك بحسب المراد وعلى شاكلة جميل الاعتقاد ويعلم الله تعالى أننا لولم تعق العوائق الكبيره والموانع الكثيره والاعداء الذين ذهبت بهم فى الوقت هذه الجزيره ماقدمنا عملا على اللحاق بكم والاتصال بسببكم حتى نوفى لابوتكم الكريمة حقها ونوضح من المسرة طرقها لكن الاعذار واضحة وضوح المثل السائر والله العالم بالسرائر والى الله تعالى نبتهل فى أن يوضح لكم من التيسير طريقا ويجعل السعد لكم مصاحبا ورفيقا ولا يعدمكم عنايته منه وتوفيقا ويتم سروركم عن قريب بتعريف أنبائكم السارة وسعودكم الداره فذلك منه سبحانه غاية آمالنا وفيه اعمال ضراعتنا وابتهالنا هذا ماعندنا بادرنا الاعلامكم به اسرع البدار والله تعالى يوفد علينا أكرم الاخبار بسعادة ملككم السامى المقدار ويسر ماله من الاوطار ويصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * وكان طاغية النصارى الملعون لكثرة ماعارس من أمور ملوك الاندلس وسلاطين فاس كثيرا مايدس لاقارب الملوك القيام على صاحب الامر ويزين له الثورة ويعده بالامداد بالمال والعدة وقصده بذلك كله توهين المسلمين وافساد تدبيرهم ونسخ الدول بعضها ببعض لماله فى ذلك من المصلحة حتى بلغ أبعده الله تعالى من أمله الغاية (ومن انشاء لسان الدين بن الخطيب) رحمه الله تعالى عن سلطان الاندلس الى سلطان فاس المرينى يعتذر عن فرار الامير أبى الفضل المرينى الذى كان معتقلا بغرناطة فتحيل الطاغية فى أمره حتى خرج طالبا للملك (مانصه) المقام الذى شهد الليل والنهار باصالة سعادته وجرى الفلك الدوار بحكم ارادته وتعود الظفر بمن يناويه فاطرد والحمد لله جريان عادته فوليه متحقق لافادته وعدوه مرتقب لابادته وحلل الصنائع الالهية تضفو على اعطاف مجادته مقام محل أخينا الذى سهم سعده صائب وأمل من كاده خاسر خائب وسير الفلك المدارفى مرضاته دائب وصنائع الله تعالى له تحجبها الالاطاف العجائب فسبحان شاهد منه فى عصمة وغائب السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى مسدد السهم ماضى العزم تجل سعوده عن تصور الوهم ولازال مرهوب الحد ممتثل الرسم موفور الحظ من نعمة الله تعالى عند تعدد القسم فائزا بفلج الخصام عند لدد الخصم معظم قدره وملتزم بره مبتهج بما يسببه الله تعالى له من اعزاز نصره واظهار أمره فلان سلام كريم طيب برعيم يخص مقامكم الاعلى ومثابتكم الفضلى التى حازت فى الفخر الامد البعيد وفازت من التأييد والنصر بالحظ السعيد ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى فسح لملككم الرفيع فى العز مدى وعرفه عوارف آلائه وعوائد النصر على أعدائه يوما وغدا وحرس سماء علائه بشهب من قدره وقضائه فمن يستمع الآن يجد له شهابا راصدا وجعل نجع آماله وحسن مآله قياسا مطردا فرب مريد ضره ضر نفسه وهاديه اهدى وماهدى والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله الذى ملأ الكون نورا وهدى وأحيا م اسم الحق وقد صارت طرائق قددا أعلى الانام يدا وأشرفهم محتدا الذى بجاهه نلبس أثواب السعادة جددا ونظفر بالنعيم الذى لاينقطع

عنده منع حق واعطاء باطل
فان كنت أردت الناس له
فما أغناهم عنك وان
كنت أردتهم لنفسك فما
أغناك عنهم وسيأتيك
من أمير المؤمنين أمران
لين وشدة فلا يؤنسنك الا
الطاعة ولا يوحشنك الا
المعصية وظن بامير المؤمنين
كل شئ الا احتمالك على
الخطا واذا أعطاك الظفر
على قوم فلا تقتلن جانحا
ولا أسيرا وكتب فى أسفل
كتابه
اذا أنت لم تطلب أمورا
كرهتها
وتطلب رضائى بالذى أنت
طالبه
وتخشى الذى يخشاه مثلى
هاربا
الى الله منه ضيع الدر حالبه
فان ترمنى غفلة فرشية
فيا ربما قد غص بالماء شاربه
وان ترمنى وثبة أموية
فهذا وهذا كل ذا انا صاحبه
فلا تلمنى والحوادث جمة
فانك مجزى بما أنت كاسبه
ولا تعدما يأتيك منى وان
تعد
يقوم بها يوما عليك نوادبه
ولا تدفعن للناس حقا علمته
ولا تعطين ما ليس لله جانبه
وهى أبيات من جيد
ما اخترناه من قول عبد
الملك فلما قرأ الحجاج كتابه كتب أما بعد فقد أتانى كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفى الدماء وتبذيرى أبدا

أبدا والرضا عن آله واصحابه الذين رفعوا السماء سنته عمدا وأوضحوا من سبيل اتباعه مقصدا وتقبلوا شيمه الطاهرة ركعا وسجدا سيوفا على من اعتدى ونجوما لمن اهتدى حتى علت فروع ملته صعدا واصبح بناؤها مديدا مخلدا والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذى يتوالى مثنى وموحدا كما جمع لمكم ما تفرق من الالقاب على توالى الاحقاب فجعل سيفكم سفاحا وعلمكم منصورا ورأيكم رشيدا وعزمكم مؤيدا فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم صنعا يشرح للاسلام خلدا وتصريفا يقيم للدين الحنيف أودا وعزما يملأ أفئدة الكفر كمدا وجعلكم ممن هيأله من أمره رشدا ويسر لكم العاقبة الحسنى كما وعد به فى كتابه العزيز والله أصدق موعدا من جراء غرناطة جرسها ولا زائد بفضل الله سبحانه الا استطلاع سعودكم فى آفاق العناية واعتقاد جميل صنع الله فى البداية والنهاية والعلم بان ملككم تحدى من الظهور على أعدائه بآيه وأجرى جياد السعد فى ميدان لا يحد بغايه وخرق حجاب المعتاد بما يظهر الا لاصحاب الكرامة والولايه ونحن على ما علمتم من السرور بما يهز لملككم المنصور عطفا ويسدل عليه من العصمة سجفا فقاسمه الارتياح لمواقع نعم الله تعالى نصفا ونصفا ونعقد بين أنباء مسرته وبين الشكر لله حلفا ونعد التشيع له مما يقربنا الى الله زلفى ونؤمل من امداده وترتقب من جهاده وقتا يكفل به الدين ويكفى وتروى غلل النفوس وتشفى والى هذا وصل الله سعدكم ووالى نصركم وعضدكم فانا من لدن صدر عن أخيكم أبى الفضل ما صدر من الانقياد لخدع الآمال والاغترار بموارد الآل وقال رأيه فى اقتحام الاهوال وتورط فى هفوة حار فيها حيرة أهل الكلام فى الاحوال وناصب من أمركم السعيد جبلا قضى الله له بالاستقرار والاستقبال ومن ذا يزاحم الاطواد ويزحزح الجبال وأخلف الظن منا فى وفائه واضمر عملا استأثر عنا باخفائه واستعان من عدو الدين بمعين قلما يورى لمن استنصر به زند ولا خفق لمن تولاه بالنصر بند وان الطاغية اعانه وأنجده ورأى انه سهم على المسلمين سدده وعضب للفتنة جرده فسخر له الفلك وأمل أن يستخدمه بسبب ذلك الملك فأورده المهالك والظلم الحالك علمنا أن طرف سعادته كاب وسحاب آماله غير ذات انسكاب وقدم عزته لم يستقر من السداد فى غرز ركاب فان نجاح أعمال النفوس مرتبط بنياتها وغايات الامور تظهر فى بداياتها وعوائد الله تعالى فيمن نازع قدرته لا تجهل ومن غالب أمر الله خاب منه المعول فبينما نحن نرتقب خسار تلك الصفقة المعقودة وخمود تلك الشعلة الموقودة وصلنا كتابكم يشرح الصدور ويشرح الاخبار ويهدى طرف المسرات على أكف الاستبشار ويعرب بلسان حال المسارعة والابتدار عن الود الواضح وضوح النهار والتحقق بخلوصنا الذى يعلمه عالم الاسرار فاعدنا فى الافادة وأبدى وأسدى من الفضائل الجلائل ما أسدى فعلم منه ما آل من رام يقدح زند الشتات من بعد الالتئام ويثير عجاجة المنازعة من بعد ركود القتام هيهات تلك قلادة الله تعالى التى ما كان يتركها بغير نظام ولم يدر أنكم نصبتم له من الحزم حبالة لا يفلتها قنيص وسددتم له من السعد سهما ماله عنه من محيص بما كان من ارسال جوارح الاسطول السعيد فى مطاره حائلا بينه

قضيت حق أهل الطاعة بما استحقوه فان كان قتلى أولئك العصاة سرفا واعطائى أولئك المطيعين تبذيرا فليسوغنى أمير المؤمنين ما سلف وليعدلنى فيه حدا أنتهى اليه ان شاء الله تعالى ولا قوة الا بالله ووالله ما على من عقل ولا قود ما أصبت القوم خطأ فافديهم ولا أعطيتهم الا الله ولا قتلت الا فيك

واما ما أنا منتظره من أمرك فاليهما عدة وأعظمهما محنة فقد علمت أن للعدة الجلاد وللمحنة الصبر وكتب فى أسفل كتابه

اذا أنا لم أتبع رضاك وأتقى
أذاك فيومى لا تزول كوكبه

وما المرئ بعد الخليفة جنة
تقيه من الامر الذى هو كاسبه

أسالم من سالمت من ذى قرابة

ومن لم تسالمه فانى محاربه

اذا فارف الحجاج منك خطيئة
فقامت عليه فى الصباح نوادبه

اذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه
وأقصى الذى تسرى الى عقاربه

فمن ذا الذى يرجو نوالى ويتقى
مصاولتى والدهر جم ثوائبه

فقف بى على حد الرضا لا أجوزه * مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه والا فدعنى والامور فانى * شفيق رفيق أحكمتنى تجاربه

وبين أوطاره فما كان الا التسمية والارسال ثم الامساك والقتال ثم الاقتيات والاستعمال فياله من زجر استنطق لسان الوجود فحده واستنصر البحر فحده وصارع القدر فحده لما جده وان خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيده ومنتسب الى نسبة غير سعيده وشائ غمرته من الكفار خدام الماء وأولياء النار تحكمت فيهم أطراف العوالى وصدور الشفار وتحصل منهم من تخطاه الحمام فى قبضة الاسار فعجبنا من تيسير هذا المرام واتحاد الله لهذا الضرام وقلنا تكيف لا يحصل فى الاوهام وتسديد لا تستطيع اصابته السهام كما قدح الخلاف زندا اطفأ سعدكم شعلته أو أظهر الشتات ألما ابرأ يمن طائركم علته ماذاك الا النية صدقت معاملتها فى جنب الله تعالى وصحت واسترسلت بركتها وسحت وجهاد نذرتموه اذا فرغت شواغلكم وتمت واهتمام بالاسلام يكفيه الخطوب التى أهمت فنحن نهنيكم بمنح الله ومنه ونسأله أن يلبسكم من اعانته أوفى جنته فاملنا أن تطرد آمالكم وتنجح فى مرضاة الله أعمالكم فقامكم هو العمدة التى يدافع العدو بسلاحها وتنبلج ظلمات صفاحها وكيف لا نهنيكم بصنع على جهتنا يعود وبأفاقنا تطلع منه السعود فتيقنوا ما عندناه من الاعتقاد الذى رسومه قد استقلت واكتفت وديمه بساحة الود قد وكفت والله عز وجل يجعل لكم الفتوح عادة ولا يعدمكم عناية وسعادة وهو سبحانه يعلى مقامكم وينصر أعلامكم ويهنى الاسلام أيامكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته (وكان) سلطان الاندلس فى الازمان المتأخرة كثيرا ما يشم أرج الفرج فى سلم الكفار ومهادنتهم حيث لم يقدر فى الغالب على مقاومتهم ولذلك لما قتل السلطان أبو الحجاج الذى كان لسان الدين كاتبه ووزيره وقام بالامر بعده ابنه محمد الغنى بالله الذى ألقى مقاليده للسان الدين أكد أمر السلم وانتظم ما يبرمه القضاء الجزم والقدر الحتم (ومن انشاء لسان الدين) فى ذلك على لسان الغنى مخاطبا السلطان فاس والمغرب أبى عنان (ما صورته) المقام الذى يغنى عن كل مفقود بوجوده ويهز الى جميل العوائد أعطاف باسه وجوده ونستضىء عند اظلام الخطوب بنور سعوده ونرث من الاعتماد عليه اسنى ذخر يرثه الولد عن آبائه وجدوده مقام محل أبينا الذى يرعى الاذمة شانه وصلة الراعى سجية انفرد بها سلطانه ومواعد النصر ينجزها زمانه والقول والفعل فى ذات الله تعالى تكفلت بهما يده الكريمة ولسانه وتطابق فيهما اسراره واعلانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى محروسا من غير الايام جنابه موصولة بالوقاية الالهية أسبابه مسدولا على ذاته الكريمة ستر الله تعالى وحجابه مصروفا عنه من صروف القدر ما يعجز عن رده بوابه ولا زال ملجأ تنفق لديه الوسائل التى تدخرها الاولاد أولياؤه وأحبابه ويسطر فى صحف الفخر ثوابه وتشتمل على مكارم الدين والدنيا أثوابه وتتكفل بنصر الاسلام وجبر القلوب غند طوارق الايام كتائبه وكتابه معظم ما عظم من حقه السائر من اجلاله وشكر خلاله على لاحب طرقه المستضىء فى ظلمة الخطب بنور أفقه الامير عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبى الحجاج ابن أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج بن نصر سلام كريم طيب بر حيم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله

وهى أبيات من جيد

ما اخترناه من شعر الحجاج فلما انتهى كتابه الى عبد الملك قال خاف أبو محمد

صولتى ولن أعود لشئ يكرهه

(وحدث) حماد الراوية أن الحجاج سهر ليلة بالكوفة فقال لحرسى ائتنى بمحدث من المسجد فاعترض رجلا جسيما عظيما فقال اجب الامير فانطلق به حتى أدخله اليه فلم يسلم ولا نطق حتى قال له الحجاج ايه ما عندك فقال له الرجل ايه ما عندك فقال للحرسى أخرجه أخرج الله نفسك أمرتك أن تأتينى بمحدث فاتيتنى بمرعوب قد ذهب فؤاده فخرج الحجاج ومعه صرة دراهم الى المسجد فجعل يناول الناس فيأخذونها حتى انتهى الى شيخ فاعطاه فنبذها فاعادها الحجاج فردها ففعل ذلك الحجاج ثلاثا فدنا منه الحجاج وقال أنا الحجاج ودخل القصر وقال للحرسى الحقنى به فدخل فسلم بلسان ذلق وقلب شديد فقال له الحجاج ممن الرجل فقال من بنى شيبان قال ما اسمك قال سبرة بن الجعد قال يا سبرة هل قرأت القرآن قال جعته فى صدرى وان عملت به فقد حفظته وان لم أعمل به فقد ضيعته قال فهل تفرض قال انى لافرض الصلب وأعرف الاختلاف فى الجد قال فهل تبصر الفقه قال انى لابصر ما أقوم به أهلى وأرشد ذا العمى من قومى قال فهل تعرف

الذى

الذى لا راد لامره ولا معارض لفعله مصرف الامر بقدرته وحكمته وعدله الملك الحق
الذى بيده ملاك الامر كله مقدر الآجال والاعمار فلا يتأخر شئ عن ميقاته ولا يبرح عن محله
جاعل الدنيا مناخ قلعة لا يغتبط العاقل بمائه ولا بظله وسبيل رحلة فما أكثب ظعنه من
حله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صفوة خلقه وخيرة أنبيائه وسيد رسله الذى
نعتصم بسببه الاقوى ونتمسك بحبله ونعتد الافتقار الى فضله ونجاهد فى سبيله من
كذب به أو حاد عن سبله ونصل اليه ابتغاء مرضاته ومن أجله والرضا عن آله وأحزابه
وأنصاره وأهله المستولين من ميدان الكمال على خصله والدعاء لمقامكم الاعلى بعز نصره
ومضاء فضله فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم وقايته لا تطرق الخطوب حماها وعصمة
ترجع عنها سهام النوائب كلما فوقها الدهر ورماها وعناية لا تغير الحوادث اسمها ولا
مسماها وعزا يزاحم أجرام الكواكب منتماها من حمراء غرناطة حوسها الله تعالى ونعم
الله سبحانه تتواتر لديناد فعا ونفعا وألطافه تتعرفها وتراوشفعا ومقامكم الابوى هو المستند
الاقوى والمورد الذى ترده آمال الاسلام فتروى وتهوى اليه أفئدتهم فتجد ما تهوى
ومثابتكم العدة التى تأسست مبانيها على البر والتقوى والى هذا وصل الله تعالى سعدكم
وأبقى مجدكم فاننا لما علمنا من مساهمة مجدكم التى تقتضيها كرام الطباع وطباع الكرم
وندعو اليها ذمم الرعى ورعى الذمم نعرفكم بعد الدعاء لملككم بدفاع الله تعالى عن ارتقائه
وامتاع المسلمين ببقائه بما كان من وفاة مولانا الوالد نفعه الله تعالى بالسعادة التى ألبسه
حلتها والشهادة التى فى أعماله الزكية كتبها والدرجة العالية التى حتمها له وأوجبها
وبما تصير الينا من أمره وضم بنانا من نشره وسدل على من خلفه من ستره وانها العبرة لمن ألقى
السمع وموعظة تهز الجمع وترسل الدمع وحادثة أجل الله سبحانه فيها الدفع وشرح
مجملها وان أخرس اللسان هولها وأسلم العبارة قوتها وحولها انه رضى الله تعالى عنه لما برز
لاقامة سنة هذا العيد مستشعرا شعار كلمة التوحيد مظهرا سمة الخضوع للمولى الذى
تضرع بين يديه رقاب العبيد آمنا بين قومه وأهله متسربلا فى حلل نعم الله تعالى وفضله
قرير العين باكتمال عزه واجتماع شمله قد احترس بأقصى استطاعته واستظهر
بخلصان طاعته والاجل المكتوب قد حضر والارادة الالهية قد أنفذت القضاء والقدر
وسجد بعد الركعة الثانية من صلاته أتاه أمر الله لميقاته على حين الشباب غض حلبابه
والسلاح زاخر عبابه والدين بهذا القطر قد ابيع بالامن جنابه وأمن من يقول للشئ كن
فيكون قد بلغ كتابه ولم يرعه وقد اطمأنت بذكر الله تعالى القلوب وخلصت الرغبات
الى فضله المطلوب الاشقى قيضه الله لسعادته غير معروف ولا منسوب وخبيث لم يكن بمعتبر
ولا محسوب تخلل الصفوف المعقوده وتجاوز الابواب المسدوده وخاض الجموع
المشهوده والامم المحشورة الى طاعة الله المحشوده لا تدل العين عليه شارة ولا بزه ولا تحمل
على الحذر من مثلها نفسه ولا عزه وانما هو خبيث ممرور وكلب عقور وحية سمها وحى
محذور وآلة مصرفة لينفذ بها قدر مقدور فلما طعنه وأثبته وأعلق به شرك الحين فما
أفلته قبض عليه من المخلصان الاولياء من خبر ضميره وأحكم تقريره فلم يجب عند

المثل والشاهد قال المثل
قد عرفناه فما الشاهد قال
اليوم يكون للعرب من
أيامها عليه شاهد من
الشعر فانى أروى ذلك
الشاهد فاتخذه الحجاج
سميرا فلم يدن يطلب شيأ
من الحديث الا وجد عنده
منه علما وكان يرى رأى
الخوارج من أصحاب
قطرى بن الفجاءة التيمى
والفجاءة أمه وكانت من
بنى شيبان وانما هو رجل
من تميم وكان قطرى يومئذ
يحارب المهلب فبلغ قطريا
مكان سبرة من الحجاج
فكتب اليه بابيات منها
لشتان ما بين ابن جعد
وبيننا
اذا نحن رحنا فى الحديد
المظاهر
نجاهد فرسان المهلب كلنا
صبور على وقع السيوف
البواتر
وراح يجر الخز عند أميره
أمير يتقوى ربه غير آمر
أبا الجعد أين العلم والحلم
والنهى
وميراث آباء كرام العناصر
ألم تر أن الموت لاشك نازل
ولابد من بعث الالى فى
المقابر
حفاة عراة والتراب لديهم
فمن بين ذى رمح وآخر خاسر

فان الذى قد نلت يفنى وانما * حياتك فى الدنيا كوقعة طائر

الاستفهام جوابا يعقل ولاعثر على شئ عنه ينقل لطفا من الله أفاد براءة الذمم وتعاورته للعين أيدى التمزيق وأتبع شلوه بالتحريق واحتمل مولانا الوالد رحمه الله تعالى الى القصر وبه ذماء لم يلبث بعد الفتكة العمرية الا أيسر من اليسير وتخلف الملك ينظر من الطرف الحسير وينهض بالجناح الكسير وقد عاد جمع السلامة الى التكسير الا أن الله تعالى تدارك هذا القطر الغريب بأن أقام مقامه لوقته وحينه ورفع بناء عماد ملكه ولم شعث دينه وكان جميع من حضر المشهد من شريف الناس ومشروفهم وأعلامهم ولفيفهم قد جمعه ذلك الميقات وحضر الاولياء الثقات فلم تختلف علينا كلمة ولا شذت منهم عن بيعتنا نفس مسلمة ولا أخيف برى ولا حذر جرى ولا فرى نرى ولا وقع لبس ولا استوحشت نفس ولا نبض للفتنة عرق ولا أغفل للدين حق فاستفد النقل الى نصه ولم يعدم من فقيدنا غير شخصه وبادرنا الى مخاطبة البلاد نهدها ونسكنها ونقرر الطاعة فى النفوس ونمكنها وأمرنا الناس بها بكف الايدى ورفع التعدى والعمل من حفظ شروط المسالمة المعقودة بما يجدى ومن شره منهم للفرار عاجلناه بالانكار وصرفنا على النصارى ما أوصاه مصحبا بالاعتذار وخاطبنا صاحب قشتالة نرى ما عنده فى صلة السلم الى امدها من الاخبار واتصلت بنا البيعات من جميع الاقطار وعنى على حزن المسلمين بوالدنا ما ظهر عليهم بولايتنا من الاستبشار واستبقوا تطير بهم أجنحة الابتدار جعلنا الله تعالى ممن قابل الحوادث بالاعتبار وكان على حذر من تصاريف الاقدار واختلاف الليل والنهار واعاننا على اقامة دينه فى هذا الوطن الغريب المنقطع بين العدو الطاغى والبحر الزخار وألهمنا من شكره ما يتكفل بالمزيد من نعمه ولا قطع عنا عوائد كرمه وان فقدنا والدنا فانتم لنا من بعده الوالد والذخر الذى تكرم منه العوائد والحب يتوارث كما ورد فى الاخبار التى صحت منها الشواهد ومن أعد مثلكم لبنيه فقد تيسرت من بعد الممات أمانيه وتأسست قواعد ملكه وتشيدت مبانيه فالاعتقاد الجميل موصول والفروع لها فى التشيع اليكم أصول وفى تقريركم محصول وأنتم ردء المسلمين بهذه البلاد المسلمة الذى يعينها بارفاده وينصرهم بانجاده ويعامل الله تعالى فيها بصدق جهاده وعند ما استقر هذا الامر الذى تبعت المحنة فيه المحنه وراقت من فضل الله تعالى ولطفه فيه الصفحه وأخذنا البيعة من أهل حضرتنا بعد استدعاء خواصهم وأعيانهم وتراجمت على رقها المنشور خطوط أيمانهم وتأصلت قواعد الفاظها ومعانيها فى قلوبهم وآذانهم وضمنوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه وقد خبر سلفنا والحمد لله وفاء ضمانهم بادرنا تعريف مقامكم الذى نعلم مساهمته فيما ساء وسر واحلى وأمر عملا بمقتضى الخلوص الذى ثبت واستقر والحب الذى ما مال يوما ولا ازور وما أحق تعريف مقامكم بوقوع هذا الامر المحذور وانجلاء ليله عن صبح الصنع البادى السفور وان كنا قد خاطبنا من خدامكم من يبادر اعلامكم بالامور الا انه امر له ما بعده وحادث يأخذ حذره ونبعث الى بابكم من شاهد الحال ما بين وقوعها الى استقرار رها رأى العيان وتولى تسديد الامور باعماله الكريمة ومقاصده الحسان ليكون أبلغ فى البر واشرح للصدر وأوعب للبيان فوجهنا اليكم وزيرنا

فراجع أباجعد ولا تك مغضبا ... وتب توبة تهدى اليك شهادة

فانك ذو ذنب ولست بكافر ... وسر نحونا تلق الجهاد غنيمة

تفد بك أبناء عارا بخا غير خاسر ... هى الغاية القصوى الرغيب ثوابها

اذا نال فى الدنيا الغنى كل تاجر ... فلما قرأ كتابه بكى وركب فرسه وأخذ سلاحه ولحق بقطرى وطلبه الحجاج فلم يقدر عليه ولم يرع الحجاج الا وكتاب قد ورد منه فيه شعر قطرى الذى كان كتب به اليه وفى أسفل الكتاب الى الحجاج أبيات منها

فمن مبلغ الحجاج أن سميره ... قلا كل دين غير دين الخوارج

رأى الناس الا من رأى مثل رأيه ... ملاعين تراكين قصد المخارج

فاقبلت نحو الله بالله واثقا ... وما كربتى غير الاله بفارج

الى عصبة أما النهار فانهم ... هم الاسد أسد الغيل عند التهايج

وأما اذا ما الليل جن فانهم ... قيام بانواح النساء النواشج

ينادون للتحكيم تالله انهم ... رأوا حكم عمرو كالرياح الهوائج

وحكم ابن قريش مثل ذلك فأعصموا ... بحبل شديد المتن ليس بناهج فطرح الحجاج هذا الكتاب الى عنبسة بن سعيد فقال أمرنا

أمرنا وكاتب سرنا الكذا ابن فلان والقينا اليه من تقرير تعويلنا على ذلك المقام الاسنى واستنادنا من التشييع اليه الى الركن الوثيق المبنى ما نرجو أن يكون له فيه المقام الاعنى والثمرة العذبة المجنى فلاهتمامه بهذا الغرض الاكيد الذي هو أساس بنائنا وقامع أعدائنا آثرنا توجيهه على توفر الاحتياج اليه ومدار الحال عليه والمرغوب من أبوتكم المؤملة أن يتلقاه قبولها بما يليق بالملك العالي والخلافة السامية المعالي والله عز وجل يديم أيامكم لصلة الفضل المتوالي ويحفظ مجدكم من غير الايام والليالي وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويوالي نصركم وعضدكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى * وقوله في هذه الرسالة فوجهنا اليكم وزيرا مرنا الى آخره هو لسان الدين رحمه الله تعالى اذ هو كان الوزير اذ ذاك والسفير في هذه القضية ومن صفحات هذا الكلام يتضح لك ما نال لسان الدين رحمه الله تعالى من الرياسة والجاه ونفوذ الكلمة بالاندلس وبالمغرب رحمه الله تعالى وتدأ كرمه السلطان أبو عنان في هذه الوفادة وغيرها غاية الاكرام وكان المقصود الاعظم من هذه الوفادة استعانة سلطان الاندلس الغني بالله بالسلطان أبي عنان على طاغية النصارى كما ألمعنا بذلك في الباب الثاني من القسم الثاني الذي يتعلق بلسان الدين وكان السلطان أبو عنان ابن السلطان أبي الحسن معتنيا بالاندلس غاية الاعتناء وخصوصا بجبل الفتح حتى انه بلغ من اعتنائه به أن أمر عليه ولده ابا بكر السعيد وهو الذي تولى الملك بعده (ومن انشاء لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى) على لسان سلطانه ما خاطب به الامير السعيد المذكور اذ قلده والده جبل الفتح وهو الامارة التي أشرق في سماء الملك شهابها واتصلت باسباب العز أسبابها واشتملت على الفضل والطهارة أثوابها وأجيلت قداح المفاخر فكان الى جهة الله تعالى انتدابها امارة محل أخينا الذي تاسس على مرضاة الله تعالى أصيل فخره واتسم بالمرابط المجاهد على اقتبال سنه وجدة عمره وبدأ بفضل الجهاد صحيفة أجره وافتتح بالرباط والصلاح ديوان تهيه وأمره لما يسره من سعادة نصبته وحباه من عز نصره الامير الاجل الاعز الارفع الاسنى الاطهر الاظهر الامنع الاصعد الاسمى الموفق الارضى محل أخينا العزيز علينا المهداة أنباء مأمول جواره الينا أبي بكر السعيد ابن محل والدنا الذي مقاصده للاسلام وأهله على مرضاة الله تعالى جاريه وعزائمه على نصر الملة الحنيفية متباريه السلطان الكذا أبو عنان ابن السلطان الكذا أبي الحسن ابن السلطان الكذا أبي سعيد ابن السلطان يعقوب بن عبد الحق أبقاه الله تعالى سديدة آراؤه ناجحة أعماله ميسرة أغراضه من فضل الله تعالى متممة آماله رحيبا في السعد مجاله يكنفه من الله تعالى ومحل أبينا غمام وارفة ظلاله هام نواله حتى يرضى الله تعالى مصاعه بين يديه ومصاله وتمضي في الاعداء أمام رايته المنصورة نصاله أخوه المسرور بقربه المنطوي على مضمر حبه أمير المسلمين محمد ابن امير المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن فرج بن نصر سلام كريم طيب برعيم يخص اخوتكم الفضلي وامارتكم التي آثار فضلها بحول الله تتلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله على ما كيف من ألطافه المشرقة الانوار ويسره لهذه الاوطان بنصرته من الاوطار

اشعار كثيرة منها قوله من أبيات

عجبت لحالات البلاء ولدده
وللحين يأتي المرء من حيث لا يدري
وللناس ياتون الضلالة بعدما
أتاهم من الرحمن نور من البدر
والله لا يخفى عليه صنيعنا
حفيظ علينا في المقام وفي السفر
علا فوق عرش فوق سبع ودونه
سماء يرى الارواح من دونها تجري

وقد قيل ان هذا الشعر لغيره من الخوارج ولاصناف الخوارج أخبار حسان من الازارقة والاباضية وغيرهما قد أتينا على ذكرها في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وذكرنا ما اتفقت عليه الخوارج واجتمعت عليه من الاصول من اكفارهم عثمان وعليا والخروج على الامام الجائر وتكفير من ركب الكبائر والبراءة من الحكمين أبي موسى عبد الله بن قيس الاشعري وعمرو بن العاص السهمي وحكمهما والبراءة ممن صوب حكمهما أو رضي

به وا كفار معاوية وناصريه ومقلديه ومحبيه فهذا ما اتفقت عليه الخوارج من الشراة والحرورية ثم اختلفوا بعد ذلك

فكلما دجت بها شدة طلع الفرج عليها طلوع النهار وكلما اضطرب منها جانب أعاده بفضل
الله تعالى من أقامه لذلك واختاره الى حال السكون والقرار والصلاة والسلام على سيدنا
ومولانا محمد رسول المصطفى المختار الذى أكد عليه جبريل صلوات الله عليه حق الجوار
حتى كاد يلحقه بالوسائل والقرب الكبار الذى وصانا بالالتئام واتصال اليد فى نصرة
الاسلام فنحن نقابل وصاته بالبدار ونجرى على نهجه الواضح الآثار ونرتجى باتباعه
الجمع بين سعادة هذه الدار وتلك الدار والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره واحزابه أكرم
الآل والاصحاب والاحزاب والانصار الذين كانوا كما أخبر الله تعالى عنهم على لسان
الصادق الاخبار رحماء بينهم أشداء على الكفار والدعاء لامارتكم السعيدة بالتوفيق
الذى تجرى به الامور على حسب الاختيار والعز المنيع الذمار والسعد القويم المدار
والوقاية التى يأمن بها اهلها من الشرار فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم أسنى
ما كتب للامراء الارضياء الاخيار ومتعكم من بقاء والدكم بالعدة العظمى والسيرة
الرحمى والجلال الرفيع المقدار من جراء غرناطة حرسها الله تعالى ولازائد بفضل الله
سبحانه ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله صلى الله عليه وسلم الذى أوضح برهانه الالطاف
باهره وعناية من الله تعالى باطنة وظاهره وبشارة بالقبول وارذة وبالشكر صادره
والله تعالى يصل لدينا نعمه ويوالى فضله وكرمه والى هذا فاننا اتصل بنا فى هذه الايام
ما كان من عناية والدكم محل أبينا أبقاه الله تعالى بهذه البلاد المستندة الى تاميل مجده
واقطاعها الغاية التى لا فوقها من حسن نظره وجميل قصده وتعيينكم الى المقام بجبل الفتح
ابلاغا فى اجتهاده الدينى وجده فقانا هذا خبر ان صدق مخبره وتحصل منتظره فهو
فخر تجددت أثوابه واعتناء تفتحت أبوابه وعمل عند الله تعالى ثوابه فان الاندلس عصمها
الله تعالى وان أنجدته عدده واموله ونجحت فى نصرها مقاصده الكريمة وأعماله
لا تدرى موقع النظر لها من نفسه وزيادة يومه فى العناية على أمسه حتى يسمع لها بولده
ويخصها بقرة عينه وفاذة كبده فلما ورد الخبر الذى راقت منه الحبر ووضحت من سعادته
الغرر باجازتكم البحر واختياركم فى حال الشيبة الغمر وصدق مخيلة الدين فيكم
واستقراركم فى الثغر الشهير الذى افتتحه سيف جدكم واستنقذ سعد أبيكم سرورنا
بقرب المزار ودنو الدار وقابلناصنع الله تعالى بالاستبشار ووثقنا ان لم نزل على ثقة من
عناية الله تعالى وعناية محل والدنا بهذه الاقطار وحمدنا الله تعالى على هذه الآلاء
المشرقة والنعم المغدقة والصنائع المتألقة بادرنا نهنى اخوتكم أولا بما يسره الله تعالى
لكم من سلامة المجاز ثم بما منحكم الله تعالى من فضل الاختصاص بهذا الغرض
والامتياز فامارتكم الامارة التى أخذت باسباب السماء وركبت الى الجهاد فى سبيل الله
تعالى جياد الخيل والماء وأصبحت على حال الشيبة شجا فى حلوق الاعداء ونحن أحق
بهذا الهناء ولكنها عادة الود وسنة الاخاء فالله عز وجل يجعله مقدما ميمون الطائر
متهلل البشائر تتهلل بصنع الله تعالى بعده وجوه القبائل والعشائر ويجرى خبر سعادتكم
مجرى المثل السائر ويشكر محل والدنا فيما كان من اختياره ومزيد ايثاره ويجازيه

الكتاب فى باب ذكر الحكمين أن أول من حكم بصفين عروة بن أدية التميمى وقيل ان أول من حكم بصفين يزيد بن عاصم المحاربى وقيل ان أول من حكم رجل من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم وكان أول من شرى بصفين من المحكمة رجل من بنى يشكر وكان من وجوه ربيعة ممن كان مع على فانه حكم فى ذلك اليوم قال لاحكم الا لله ولا طاعة لمن عصى الله وخرج عن الصف فحمل على أصحاب على فقتل منهم رجلا ثم حمل على أصحاب معاوية فقاتلوه ولم يقدر على قتل أحد منهم وكر على أصحاب على فقتله رجل من همدان وقد أتى الهيثم ابن عدى وأبو الحسن المدائنى وأبو البخترى القاضى وغيرهم على أخبار الخوارج وأصنافهم فيما أفردوه من كتبهم وذكر أصحاب المقالات فى الآراء والديانات ما تنازعوا فيه من مذاهبهم وذلك فى كتابنا فى المقالات فى أصول الديانات وذكرنا من خرج منهم من وقت التحكيم فى عصر عصر الى آخر من خرج منهم بديار ربيعة على بنى حمدان وذلك فى سنة ثمان عشرة وثلثمائة وهو المعروف

جزاء من سمح فى ذاته بمظنة ادخاره ومذر أينا ان هذا الغرض لايجترى فيه بالكتابه دون الاستنابه وجهنا لكم من يقوم بحقه ويجرى من تقرير مالدينا على أوضح طرقه وهو القائد الكذا ومجدكم يصغى لما يلقيه ويقابل بالقبول ما من ذلك يؤديه والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام انتهى * وكان الطاغية الملعون أيام السلطان أبى عنان رحمه الله تعالى نازل جبل الفتح ثم كفى الله تعالى شره فى ذلك التاريخ (ومن انشاء لسان الدين) على لسان سلطانه أبى الحجاج يخاطب أباعنان سلطان فاس والمغرب بمانصه المقام الذى رمى له الملك الاصيل بافلاذه وأدى منه الاسلام الى ملحمته الاحمى وملاذه وكفلت السعود بامضاء أمره المطاع وانفاذه وشأى حلبسة الكرم فكان وحيد آحاده وفذ افذاذه وابتدع غرائب الجود فقال لسان الوجود نعمت البدعة هذه مقام محل أخينا الذى أركان مجده راسية راسخة وغرر عزه بادية باذخه وأعلام فخره سامية شامخه وآيات سعده محكمة ناسخه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى يجرى بسعده الفلك ويجلى بنور هديه الحلك ويسطر حسنات ملكه الملك ويشهد بفضل بأسه ونداه النادى والمعترك معظم حقوقه التى تأكد فرضها المتنى على مكارمه التى أعيا الاوصاف البليغة بعضها أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم طيب برعيم يخص اخوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذى هيأ لملة الاسلام بمظاهرة ملككم المنصور الاعلام اظهارا واعزازا وجعل لها العاقبة الحسنى بيمن مقامكم الاسنى تصديقا لدعوة الحق وانجازا وسهل لها بسعدكم كل صعب المرام وقدسامتها صروف الايام لياوا عوازا وأتاح لها منكم وليا يسوم أعداءها الثلا وابتزازا ويسكن آمالها وقد استشعرت انحفازا جدا يكون على حلل النعم العميمة والآلاء الكريمة طرازا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذى بهرت آياته وضوحا واعجازا واستحقت الكمال صفاته حقيقة لامجازا ونبيه الذى بين للخلق أحكام دينه الحق امتناعا وجوازا ويسر لهم وقد ضلوا فى مفاوز الشك مفازا والرضا عن آله وأصحابه المستولين على ميادين فضائل الدنيا والدين اختصاصا بها وامتيازا فكانوا غيوثا ان وجدوا محلا وليوثا ان شهدوا برازا والدعاء لمقام اخوتكم الاسمى بنصر على أعدائه تبدى له الجياد الجرد ارتياحا والرماح الملد اهتزازا وعزيظا من أكناف البسيطة وأرجائها المحيطة سهلا وعزازا ويمن يشمل من بلاد الايمان أقطارا نازحة ويعم أحوازا وسعد يجول فى ميدان ذكره المذاع أطراف السنة اليراع اسهابا وايجازا وفخر يجوب جيوب الاقطار جوب المشل السيار عراقا وحجازا ولازالت كتائب سعده تنتهز فرص الدهر انتهازا وتوسع ممالك الكفر انتهابا واحتيازا فانا كتبناه الى مقامكم كتب الله تعالى لكم سعدا ثابت المراكز وعزا لاتلين قناته فى يد الغامز وثناء لايثنى عنان سراه عرض المفاوز وصنعا رحيب الجوانب رغيب الجوائز من جراء غرناطة حرسها الله تعالى وفضله عز وجل قد أدال العسر يسرا وأحال القبض بسطا وقرب نوازح الآمال بعد أن تناءت ديارها شحطا وراض مركب الدهر الذى كان

عبد الملك حين بلغه خبر هرب الحجاج وتحصنه فى دار الامارة بالكوفة من شبيب بعث من الشأم

أسر فيها وقتل منهم خلق عظيم والمعروف بأبى شعيب خرج فى بنى مالك وغيرهم من ربيعة وقد كان أدخل على المقتدر بالله وقد كان بعد العشرين والثلثمائة للاباضية ببلاد عمان مما يلى بلاد بروى وغيرها حروب وتحكيم وخروج وامام نصبوه فقتل وقتل من كان معه وفى سنة سبع وسبعين كانت للحجاج حروب مع شبيب الخارجى وولى عنه الحجاج بعد قتل ذريع كان فى أصحابه حتى أحصى عددهم بالقضيب فدخل الكوفة وتحصن فى دار الامارة ودخل شبيب وأمه وزوجته غزالة الكوفة عند الصباح وقد كانت غزالة نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلى فيه ركعتين تقرأ فيهما سورة البقرة وآل عمران فاتوا الجامع فى سبعين رجلا فصلوا به الغداة وخرجت غزالة مما كانت أوجبته على نفسها فقال الناس بالكوفة فى تلك السنة

وفت الغزالة نذرها

يارب لاتغفر لها

وكانت الغزالة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم وكذلك أم شبيب وقد كان

بعسكر كثيرة عليها
الى شبيب فحاربوه فانهزم
شبيب وقتلت الغزالة وأمه
ومضى شبيب في فوارس
من أصحابه واتبعه سفيان
من أهل الشام فلحقه
بالاهواز فولى شبيب فلما
حصل على جسر دجيل
نفربه فرسه وعليه الحديد
الثقيل من درع ومغفر
فالقاه في الماء فقال له
بعض أصحابه أغرقا يا أمير
المؤمنين قال ذلك تقدير
العزيز العليم فألقاه دجيل
ميتا بشطه فحمل على
البريد الى الحجاج فامر الحجاج
بشق بطنه واستخراج قلبه
فاستخرج فاذا هو كالحجر
اذا ضربت به الارض نبا
عنها فشق فاذا في داخله
قلب صغير كالكرة فشق
فاصيب علقة الدم في داخله
وفي سنة اثنتين وثمانين
قتل الحجاج ابن القرية
لخروجه مع ابن الاشعث
وانشائه الكتب له
ووضعه الصدور والخطب
وكان ابن القرية من
البلاغة والعلم والفصاحة
بالموضع الموصوف وقد
أتينا على خبر مقتله وما كان
من كلامه مع الحجاج وقد
كان قتله صبرا في الكتاب
الاوسط وان قتله اياه كان
بالسيف وقيل بل قدم
اليه فضربه الحجاج بحربة في

لايلين لمن استعطى وقرب غريم الرجاء في هذه الارجاء وكان مشتطا والتوكل عليه سبحانه وتعالى قد أحكم منه اليقين والاستبصار المبين ربطا ومشروط المزيد من نعمه قد لزم من الشكر شرطا ومقامكم هو عدة الاسلام اذا جد حفاظه وظله الظليل اذا الفع للكفر شواظه وملجؤه الذي تنام في كنف أمنه أيقاظه ووزره الذي الى نصره تمد أيديه وتشير ألحاظه ففي أرجاء ثنائه تسرح معانيه وألفاظه وتخطب تمجيده وتحميده يقول قسه وتحتفل عكاظه وتشسعنا الى ذلك الجناب الكريم طويل عريض ومقدمات ودنا اياه لايعترضها نقيض وأفلاك تعظيمنا له ليس لأوجها الرفيع حضيض وأنوار اعتقادنا الجميل فيه يشف سواد الحبر عن أوجهها البيض والى هذا ألبسكم الله تعالى ثوب السعادة المعادة فضفاضا كما صرف بركة ايالتكم الكريمة على ربوع الاسلام ووجوه الليالي والايام وقد ازورت اعراضا وبسطت آمالها وقد استشعرت انقباضا فانا ورد علينا كتابكم الذي كرم أنحاء وأغراضا وجالت البلاغة من طرسه الفصيح المقال رياضا ووردت الافكار من معانيه الغرائب وألفاظه المزرية بدر النحور والترائب بحور اناسية وحياضا فاجتلينا منه حلة من حال الودسابغه وحجة من حجج المجد بالغه وشمسا في فلك السعد بازغه الذي بين المقاصد الكريمة وشرحها وجلا الفضائل العميمة وأوضحها فما أكرم شيم ذلك الجلال وأسمعها وأفضل خلال ذلك الكمال وأرجحها حتثتم فيه على احكام السلم التي تحوط الانفس والحريم بسياج ويداوي القطر العليل منها بأنجع علاج والحال ذات احتياج وساحة الجبل عصمه الله تعالى ميدان هياج ومتبوأ اعلاج ومظنة اختلاف للظنون الموحشة واختلاج فحضر لدينا محتمله وزيركم الشيخ الاجل الاعظم الموقر الاسمى الخاصة الاحظى أبو علي ابن الشيخ الوزير الاجل المحافل الفاضل المجاهد الكامل أبي عبد الله بن محلى والشيخ الفقيه الاستاذ الاعرف الفاضل الكامل أبو عبد الله ابن الشيخ الفقيه الاجل العارف الفاضل الصالح المبارك المبرور المرحوم أبي عبد الله القشتالي وصل الله سبحانه سعادتهما وحرس مجادتهما حالين من مراتب ترفيعنا أعلى محل الاعزاز وواردين على أحلى القبول الذي لاتشاب حقيقته بالمجاز عملا بما يجب علينا لمن يصل الينا من تلك الانحاء الكريمة والاحواز فتلقيناها اشتملت عليه الاحالة السلطانية من الود الذي كرم مفهوما ونصا والبر الذي ذهب من مذاهب الفضل والكمال الامد الاقصى وقد كان سبقهما صنع الله جل جلاله بما اخلف الظنون وشرح الصدور وأقر العيون فلم يصلا الينا الا وقد أهلك الله تعالى الطاغيه ومزق أحزابه الباغيه نعمة منه سبحانه وتعالى ومنة ملأت الصدور انشراحا وعمت الارجاء افراحا وعنوانا على سعد مقامكم الذي راق غررا في المكرمات وأوضاحا ومديده الى سهام المواهب الالهية فحاز أعلاها قداحا فتشوقت نفوس المسلمين الى ما كانت تؤمله من فضل الله تعالى وترجوه وبدت في القضية التي أشرتم بامضائها الوجوه وانبعثت الآمال الى ما آلت اليه هذه الحال انبعاثا والتاثت أمور العدو قصمه الله تعالى التياثا وانتقض غزله من بعد قوته بفضل الله تعالى أنكاثا واحتملت المسئلة التي تفضلتم بعرضها وأشرتم الى فرضها مأخذا

نحره فاتى عليه وابن القرية القائل الناس ثلاثة عاقل وأحمق وفاجر فاما

وابحاثا

وإبحاثا فالقينا فى هذه الحال الى رسوليكم أعزهما الله تعالى ما يلقيانه الى مقامكم الاعلى ومشايتكم القضلى وما يتزيد عندنا من الامور فرد كاتب التعريف بها اليكم محثوثه وجزئياتها بين يدى مقامكم الرفيع مبثوثه وقد اضطربت أحوال الكفر وفالت آراؤه واستحكم بالشتات داؤه وارتجت بزلزال الفتن أرجاؤه وتيسرت آمال الاسلام بفضل الله تعالى ورجاؤه وما هو الا السعد يذال لكم صعب العدو ويروضه والله سبحانه يهيئ لكم فضل الجهاد حتى تقضى بكم فروضه وأما الذى لكم عندنا من الخلوص الصافية شرائعه والثناء الذى هو الروض تارج ذائعه فأوضح من فلق الصبح اذا أشرقت طلائعه جعله الله تعالى فى ذاته ووسيلة الى مرضاته ورسولا كم شرحان لكم الحال بجزئياته ويفردان ما عندنا من الود الذى سطع نور آياته وهو سبحانه وتعالى يصل لكم سعدا سامى المراتب والمراقى ويجمع لكم بعد بعد المدى وتمهيد دين الهدى بين نعيم الدنيا والنعيم الباقى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى * وأبين من هذا فى القضية كتاب آخر من انشاء لسان الدين رحمه الله تعالى (صورته) من أمير المسلمين عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر الى محل أخينا الذى نثنى على مجادته أكرم الثناء ونجدد له ما سلف بين الاسلاف الكرام من الولاء ونتحفه من سعادة الاسلام وأهله بالاخبار السارة والانباء الساطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى رفيع المقدار كريم المآثر والآثار وعرفه من عوارف فضله كل مشرق الانوار كفيل بالحسنى وعقبى الدار سلام كريم بر عميم يخص جلالكم الارفع ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله على عميم آلائه وجزيل نعمائه ميسر الصعب بعد ابائه والكفيل بتقريب الفرج وادنائه له الحمد والشكر ملء أرضه وسمائه والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم رسله الكرام وأنبيائه الهادى الى سبيل الرشد وسوائه مطلع نور الحق يجلو ظلم الشك بضيائه والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه وخلفائه السائرين فى الدنيا والآخرة تحت لوائه الباذلين نفوسهم فى اظهار دينه القويم واعلائه والدعاء لمقامكم بتيسير أمله من فضل الله سبحانه ورجائه واختصاصه بأوفر الحظوظ من اعتنائه فانا كتبناه اليكم كتبكم الله تعالى فيمن ارتضى قوله وعمله من أوليائه وعرفكم عوارف السعادة المعادة فى نهاية كل أمر وابتدائه من حراء غرناطة حرسها الله تعالى ولازائد بفضل الله سبحانه ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم الذى أوضح برهانه وعظم أمره ورفع شانه ثم بما عندنا من الود الكريم وتجديد العهد القديم لمقامكم أعلى الله تعالى سلطانه الا الخير الهامى السحاب والتيسير المتين الاسباب واليمن المفتح الابواب والسعد الجديد الاثواب ومقامكم معتمد بترفيع الجناب متعمد بالود الخالص والاعتقاد الصواب معلوم له فضل الدين وأصالة الاحساب والى هذا وصل الله تعالى سعدكم مديد الاطناب ثاقب الشهاب وأطلع عليكم وجوه البشائر سافرة النقاب فانه قد كان بلغكم ما آلت الحال اليه بطاغية قشتالة الذى كلب على هذه الاقطار الغربية من وراء البحار وما سامها من الاوصاب والاضرار وانه جرى فى ميدان الاملاء والاغترار

أصاب وان كلم أجاب وان سمع العلم وعى وان سمع الفقه روى وأما الاحمق فان تكلم عجل وان حدث ذهل وان حمل على القبيح حمل وأما الفاجر فان استأمنته خانك وان صاحبته شانك وان استكتم لم يكتم وان علم لم يعلم وان حدث لم يصدق وان فقه لم يفقه (وذكر المدائنى) أن الحجاج لم يكن يظهر لندمائه منه بشاشة ولا سماحة فى الخلق الا فى يوم دخلت عليه ليلى الاخيلية فقال لها بلغنى أنك مررت بقبر توبة بن الحمير وعدلت عنه فوالله ما وفيت له ولو كان هو بمكانك وأنت بمكانه ما عدل عنك قالت أصلح الله الامير لى عذر قال وما هو قال سمعته وهو يقول ولو أن ليلى الاخيلية سلمت على وفوق جندل وصفائح لسلمت تسليم البشاشة أو زقا
اليها صدى من جانب القبر صائح
وكان معى نسوة فسمعن قوله فكرهت أن أكذبه فاستحسن الحجاج قولها وقضى حوائجها وانبسط فى محادثتها فلم يرمنه بشاشة ولا ريحية داخلته مثل ذلك اليوم (وذكر) حماد الراوية غير هذا الوجه وهو أن زوج ليلى حلف عليها وقد اجتاز بقبر توبة ليلا أن تنزل وتأتى وتسلم

وذكر البيتين المتقدمين قال وأبت أن تفعل فاقسم عليها زوجها فنزلت حتى

ومحص المسلمون على يده بالوقائع العظيمة الكبار وانه نكث العهد الذى عقده وحل الميثاق الذى أكده وحمله الطمع الفاضح على أن أجلب على بلاد المسلمين بخيله ورجله ودهمها بتياره سيله وقطع ليله وأمل أن يستولى على جبل الفتح الذى يدعى منه فتحها وطلع لليلة المحمدية صبحها فضيقه حصارا واتخذه دارا وعند ما عظم الاشفاق وأظلمت الآفاق ظهر فينا لقدرة الله تعالى الصنع العجيب ونزل الفرج القريب وقبل الدعاء السميع المجيب وطرق الطاغية جند من جنود الله تعالى أخذه أخذة رابية ولم يبق له من باقيه فهلك على الجبل حتف انفه وغالته غوائل حتفه فتفرقت جموعه وأحزابه وانقطعت أسبابه وتجلل لنار الله تعالى مآبه وأصبحت البلاد مستبشرة ورأينا أن هذه البشارة التى يأخذ منها كل مسلم بالنصيب الموفور ويشارك فيما جلبته من السرور أنتم أولى من تتحفه بطيب رياها ونطلع عليه جميل محياها لما تقرر عندنا من دينكم المتين وفضلكم المبين وعلمكم فى المساهمة على شاكلة صالحى السلاطين فاذلك الافضل نيتكم للمسلمين فى هذه البلاد وأثر ما عندكم من جميل الاعتقاد وقد ورد علينا رسولكم القائد أبو عبد الله محمد بن أبى الفتح أعزه الله تعالى مقررا ما لديكم من الود الراسخ القواعد والخلوص الصافى الموارد الواضح الشواهد وأثنى على مكارمكم الاصيله وألفى ما عندكم من المذاهب الجميله فقابلنا ذلك بالشكر الذى يتصل سببه ويتضح مذهبه وسألنا الله تعالى أن يجعله وداً فى ذاته ووسيلة الى مرضاته وتعرفنا ما كان من تفضلكم بالطريدة المفتوحة المؤخر وما صدر عن الرئيس المعروف بالناظر من خدام دار الصنعة بالمرية من قبح محاولته وسوء معاملته فأمرنا بقطع جرايته وثقافه بمطمورة القصبة جزاء لجنايته ولولا اننا توقفنا أن يكون عظيم عقابه مما لا يقع من مقامكم بوفقه لمشهور عفافه ورفقه لجعلناه نكالا لامثاله وعبرة لاشكاله وقد وجهنا جفنا سفريا بالايساق الخيل التى ذكرتم وايصال ما اليه من ذلك أشرتم ويكمل القصد ان شاء الله تعالى تحت لحظ اعتنائكم وفضل ولائكم هذا ما تزيد عندنا عرفانكم به علاء على شاكلة الود الجميل والولاء الكريم الجملة والتفصيل فعرفونا بما يتزيد عندكم يكن من جملة أعمالكم الفاضله ومكارمكم الحافله والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن انشاء لسان الدين) فيما يتعلق بالانداس وانقطاعها وانها لاغنى لها عن العدوة وغير ذلك ما صورته المقام الذى بنور سعادته تتعلى الغماء وتتصل النعماء من نيته قد حصل منها الجانب الله تعالى الانتماء واتفقت منها المسميات والاسماء مقام محل أبينا الذى تتفيأ هذه الجزيرة الغربية أفياء نيته الصالحة وعمله وتثق بحسن العاقبة اعتمادا على وعد الله تعالى المنزل على خيرة رسله وتجتنى ثمار النجح من أفنان آرائه المتألقة تألق الصبح حالى ريثه وعجله وتتعرف حالى المودود والمكروه عارفة الخير والخيرة من قبله أبقاه الله تعالى يحسم الادواء كلما استشرت ويحلى موارد العاقبة كلما أمرت ويعفى على آثار الاطماع الكاذبة مهما خدعت بخلبها وغرت ويضمن سعده عودة الامور الى أفضل

عليه وتكذبه حيث يقول جاءت الى القبر ودموعها على صدرها كغرر السحاب فقالت السلام عليك يا نوبة فلم تستتم النداء حتى انفرج القبر عن طائر كالحمامة البيضاء فضربت صدرها فوقعت ميتة فاخذوا فى جهازها وكفنها ودفنت الى جانب قبره وللعرب فيما ذكرنا كلام كثير على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى آرائهم ومذاهبهم فى الهام والصدى والصفر وقد كانت العرب تعقل الى جانب قبر الميت اذا دفن ناقة وتجعل عليه بردعة وحشية يسمونها البلية وقد ضربوا بذلك أمثالهم وذكره خطباؤهم فى خطبهم فقالوا البلايا على الولايا وقد كان بعضهم يتطير بالسانح ويتيامن بالبارح وبعضهم يضاد هذا فيتطير بالبارح ويتيامن بالسانح فاهل نجد يتشاءمون بالسانح وأهل التهائم بالضد من ذلك على حسب ما قدمنا من قول عبيد الراعى فيما سلف من هذا الكتاب (حدثنا) المنقرى قال حدثنا عبد العزيز بن الخطاب الكوفى قال حدثنا فضيل بن مرزوق قال لما غلب بشر بن أرطاة على اليمن وكان من قتله لابنى عبد الله بن العباس وأهل مكة والمدينة ما كان

ما عليه استقرت معظم مقامه الذي هو بالتعظيم حقيق وموقر ملكه الذي لا يلتبس منه في الفخر والعز طريق ولا يختلف في فضله العميم ومجده الكريم فريق أما بعد حمد الله المثيب المعاقب الكفيل لاهل التقوى بحسن العواقب المشيد بالعمل الصالح الى أرفع المراقي والمراقب يهدي من يشاء ويضل من يشاء فبقضائه وقدره اختلاف المسالك والمذاهب والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الحاشر العاقب ونبيه الكريم الرؤف الرحيم ذي المفاخر السامية والمناقب والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه الذين ظاهروه في حياته باعمال السمر العوالي والبيض القواضب وخلفوه في أمته بخلوص الضمائر عن شوب الشوائب فكانوا في سمت كالنجوم الثواقب والدعاء لمقامكم الاسمى بالسعادة المعادة في الشاهد من الزمن والغائب والنصر الذي يقضي بعز الكتائب والصنع الذي تطلع من ثناياه غرر الصنائع العجائب من جراءة غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من الاعتداد بمقامكم أعلى الله تعالى سلطانه وشمل بالتمهيد أوطانه الاتشيع ثابت ويزيد واخلاص ما عليه في ميدان الاستطاعة مزيد وتعظيم أشرق منه جيد وثناء راق فوق رياضه تحميد وتمجيد والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وحرس الطاهر الكريم مجدكم فقد وصانا كتابكم الذي هو على الخلوص والاعتقاد عنوان وفي الاحتجاج على الرضا والقبول برهان تنطق بالفضل أصوله وتشير الى كرم العقد فروعه الزكية وأصوله ويحق أن ينسب الى ذلك الغرر الاصيل محصوله عرفتمونا بما ذهب اليه عيسى بن الحسين من الخلاف الذي ارتكبه وسبيل الصواب الذي انتكبه وتنبهون على ما حده الحق في مثل ذلك وأوجبه حتى لا يصل أحد من جهتنا سببه ولا يظاهره مهما ندبه ولا يسعف في الابواء مطلبه فاستوفينا ما استدعاه ذلك البيان الصريح وجلبه وخطه القلم الفصيح وكتبه وليعلم مقامكم وهو من اصالة النظر غني عن الاعلام ولكن لابد من الاستراحة بالكلام والتنفث بنفثات الاقلام أننا انما نجري أمورنا مع هذا العدو الكافر الذي رمينا بجواره وبلينا والحمد لله بمصادمة تياره على تعداد أقطاره واتساع براريه وبحاره بأن تكون الامة المحمدية بالعدوتين تحت وفاق وأسواق النفاق غير ذات نفاق والجماهير تحت عهد من الله تعالى وميثاق فهما تعرفنا ان اثنين اختلف منهما بالعدوتين عقد ووقع بينهما في قبول الطاعة رد ساءنا واقعه وعظمت لدينا مواقعه وسألنا أن يتدارك الخرق راقعه لما نتوقعه من التشاغل عن نصرنا وتفرغ العدو الى ضرنا فكيف اذا وقعت الفتنة في صقعنا وقطرنا انما هي شعلة في بعض بيوتنا وقعت وحادثة الى جهتنا أشرعت وان كان لسوانا الفظها فلنا معناها وعلى وطننا يعود جناها فنحن أحرص الناس على اطفائها واخمادها وأسعى في اصلاح فسادها والمثابرة على كفها واستئسادها وما الظن بدار فقد بابها وآمال رثت أسبابها وجزيرة لا تستقيم أحوال من بها الا بالسكون وسلم العدو المغرور المفتون حتى تقضي منه باعانتكم الديون وان اضطرابها انما هو داء نستنصر من رأيكم فيه بطبيب وهدف خطب نرميه من عزمكم بسهم مصيب وأمر نضرع في تداركه الى سميع للدعاء مجيب ونحن فيه يد أمام

محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال ان بشر بن أرطاة قد غلب على اليمن والله ما أرى هؤلاء القوم الا سيغلبون على ما في أيديهم وما ذلك بحق في أيديهم ولكن بطاعتهم واستقامتهم ومعصيتكم لي وتناصرهم وتخاذلكم واصلاح بلادهم وافساد بلادكم وتالله يا أهل الكوفة لوددت أني صرفتكم صرف الدنانير العشرة بواحد ثم رفع يديه فقال اللهم اني قد مللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني فأبدلني بهم خيرا منهم وأبدلهم بي شرا مني اللهم عجل عليهم بالغلام الثقفي الذيال الميال يأكل خضرتها ويلبس فروتها ويحكم فيها بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنها ولا يتجاوز عن مسيئها قال وما كان ولد الحجاج يومئذ (حدثنا) الجوهري عن سليمان بن أبي شيخ الواسطي عن محمد بن يزيد عن سفيان بن حسين قال سأل الحجاج الجوهري ما النعمة قال الامن فاني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش قال زدني قال الصحة فاني رأيت السقيم لا ينتفع بعيش قال زدني قال الشباب فاني رأيت الشيخ لا ينتفع

٧٢ ط ني بعيش قال زدني قال الغنى فاني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش قال زدني قال لا أجد مزيدا (حدثنا) الجوهري

عن مسلم بن ابراهيم أبي عمرو الفراهيدي عن الصلت بن دينار قال مرض الحجاج فارجف أهل الكوفة فلما تماثل من علته صعد المنبر وهو يثني على أعواده فقال ان أهل النفاق والنفاق نفخ الشيطان في مناخرهم فقالوا مات الحجاج ومات الحجاج فوالله ما أرجو الخير كله الا بعد الموت وما رضي الله الخلود لاحد من خلقه في الدنيا الا لأعدونهم عليه ابليس والله لقد قال العبد الصالح سليمان بن داود رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فكان ذلك ثم اضمحل فكأن لم يكن يا أيها الرجل وكلكم ذلك الرجل كأني بكل حي ميت وبكل رطب يابس وقد نقل كل امرئ بثياب ظهره الى حفرته فخد له في الارض ثلاث أذرع طولا في ذراعين عرضا فاكلت الارض لحمه وضمت من صديده ودمه وانقلب الحبيبان يقتسم أحدهما صاحبه حبيبه من ولده يقتسم حبيبه من ماله أما الذين يعلمون فسيعلمون ما أقول والسلام (حدثنا) المنقري عن مسلم بن ابراهيم أبي عمرو الفراهيدي عن الصلت ابن دينار قال سمعت الحجاج يقول قال الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فهذه لله وفيها مثنوية وقال واسمعوا واطيعوا وهذه

يد كم ومقصدنا فيه تبع لقصدكم وتصرفنا على حد اشارتكم جار وعزمنا الى منتهى مرضاتكم متبار وعقدنا في مشايعة أمركم غير متوار وقد كنا الاول اتصال هذا الخبر القبيح العين والاثر بادرنا تعريفكم بجميع ما اتصل بنا في شانه ولم نطو عنكم شيأ من اسراره ولا اعلانه وبعثنا رسولنا الى بابكم العلي نستعد بسلطانه ونرتجي تمهيد هذا الوطر بتمهيد أوطانه وبادرنا بالمخاطبة من وجبت مخاطبته من أهل مربلة واسطبونة تثبت بصائرهم في الطاعة وتقويها وتعدهم بتوجيه من يحفظ جهاتهم ويحميها وعجلنا الى بعضها مددا من الرماة والسلاح ليكون ذلك عدة فيها وعملنا ما أوجب الله تعالى من الاعمال التي يزلف بها وبرتضيها وكيف لا نظاهر أمركم الذي هو العدة المذخوره والفئة الناصرة المنصوره والباطل سراب يخدع والحق اليه يرجع والبغي يردي ويصرع وكم تقدم في الدهر منتزشد عن الطاعة وخرج عن الجماعة ومخالف على الدول في العصور الاول بهرج الحق زائفه ورجم بشهب الاسنة طائفه وأخذت عليه الضيعة وهاده وتنائفه فتقلص ظله ونبا به عن الحق محله وكما قال يذهب الباطل وأهله لاسما وسعادة ملككم قد وطأت المسالك ومهدتها وقهرت الاعداء وتعبدتها وأطفأت جداول سيوفكم النار التي أوقدتها وكأن بالامور اذا أعماتم فيها ارأيكم السديد وقد عادت الى خير أحوالها والبلاد بيمن تدبيركم قد شفي ما ظهر من اعتلالها وعلى كل حال فانا نحن الى تكميل مرضاتكم مبادرون وفي أغراضكم الدينية واردون وصادرون ولاشارتكم التي تتضمن الخير والخيرة منتظرون عندنا من ذلك عقائد لا يحتمل نصها التأويل ولا يقبل صحيحها التعليل فلتكن أبوتكم من ذلك على أوضح سبيل فشمس النهار لا تحتاج الى دليل والله تعالى يسني لكم عوائد الصنع الجميل حتى لا يديع عزمكم مغصوبا الارده ولا ثلما في ثغر الدين الاسده ولا هدفا متعاصيا الا هده ولا عرقا من الخلاف الا جده وهو سبحانه يبقي ملككم ويصل سعده ويعلي أمره ويحرس مجده والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن انشائه رحمه الله تعالى) من جملة رسالة على لسان سلطانه أبي الحجاج يخاطب الرعايا ما نصه محل الحاجة منه والى هذا فقد علمتم ما كانت الحال آلت اليه من ضيقة البلاد والعباد بهذا الطاغية الذي جرى في ميدان الامل جرى الجموح ودارت عليه خمرة النخوة والخيلاء مع الغبوق والصبوح حتى طمح بسكر اغتراره ومحص المسلمون على يده بالوقائع التي تجاوز منتهى مقداره وتوجهت الى استئصال الكلمة مطامح أفكاره ووثق بانه يطفئ نور الله بناره وينازل جبل الفتح فشد مخنق حصاره واداروا شياعه في البر والبحر دور السوار على أسواره وانتهز الفرصة بانقطاع الاسباب وانبهام الابواب والامور التي لم تجر للمسلمين بالعدوتين على مألوف الحساب وتكالب التثليث على التوحيد وساءت الظنون في هذا القطر الوحيد المنقطع بين الامة الكافره والبحور الزاخره والمرام البعيد وانا صابرنا بالله تعالى تيار سيله واستضأنا بنور التوكل عليه في جنح هذا الخطب ودجنة ليله ولجأنا الى من بيده نواصي الخلائق واعتلقنا من حبله المتين بأوثق العلائق وفسحنا مجال الامل في ذلك الميدان المتضايق وأخلصنا لله

مقيل العثار ومثوى أولى الاضطرار قلوبنا ورفعنا اليه أمرنا ووقفنا عليه مطلوبنا ولم نقصر مع ذلك في ابرام العزم واستشعار الحزم وامداد الثغور باقصى الامكان وبعث الجيوش الى ما يلينا من بلاده على الاحيان فرحم الله تعالى انقطاعنا الى كرمه والتجاءنا الى حرمه فخلى بفضله سبحانه ظلم الشدة ومد على الحريم والاطفال ظلال رحمته الممتدة وعرفنا عوارف الصنع الذي قدم به العهد على طول المدة ورماه بجيش من جيوش قدرته أغنى عن ايجاف الركاب واحتشاد الاحزاب وأظهر فينا قدرة ملكه عند انقطاع الاسباب واستخلاص العباد والبلاد من بين الظفر والناب فقد كان جحجح على الحق بأباطيله وسد المجاز باساطيله ورمى الجزيرة الاندلسية بشؤبوب شره وصيرها فريسة بين غربان بحره وعقبان بره فلم يخلص الى المسلمين من اخوانهم مرقبة الا على الخطر الشديد والافلات من يد العدو العنيد مع توفر العزائم والحمد لله على العمل الحميد والسعي فيما يعود على الدين بالتأييد وبينما شققنا على جبل الفتح نقيم وتقعد وكلب الاعداء عليه يبرق ويرعد واليأس والرجاء خصمان هذا يقرب وهذا يبعد اذ طلع علينا البشير بانفراج الازمه وحل تلك العزمه وموت شاة تلك الرقعه وأبقاه الله تعالى على تلك البقعه وانه سبحانه أخذ الطاغية أكمل ما كان اغترارا وأعظم أنصارا وزلزلت أرض عزه وقد أصابت قرارا وان شهاب سعده قد أصبح آفلا وعلم كبره انقلب سافلا وان من بيده ملكوت السموات والارض طرقه بحتفه وأهلكه برغم أنفه وان محلته عاجلها التباب والتبار وعاثت في منارلها النار وتمخض عن سوء عاقبتها الليل والنهار وان حماتها يخربون بيوتهم بايديهم وينادي بشتات الشمل لسان مناديهم وتلاحق الفرسان من جبل الفتح المعقل الذي عليه من عناية الله تعالى رواق مضروب والرباط الذي من حاربه فهو المحروب فأخبرت بانفراج الضيق وارتفاع العائد عن الطريق وبرء الداء الذي أشرق بالريق وان النصارى دمرها الله تعالى جدت في ارتحالها وأسرعت بجيفة طاغيتها الى سوءما لها وحالها وسمعت للنار والنهب باسلابها وأموالها فبهرنا هذا الصنع الالهي الذي مهد الاقطار بعد رجفانها وأنام العيون بعد سهاد أجفانها وسألنا الله تعالى أن يعيننا على شكر هذه النعمة التي ان سلطت عليها قوى البشر فضختها ورجتها ورأينا سر اللطائف الخفية كيف سريانه في الوجود وشاهدنا بالعيان أنوار اللطائف الالهية والوجود وقلنا انما هو الفتح الاول شفع بثان وقواعد الدين الحنيف أبدت من صنع الله تعالى ببنيان اللهم لك الحمد على نعمك الباطنة والظاهرة ومننك الوافره انك ولينا في الدنيا والآخرة انتهى (ومن انشاء لسان الدين رحمه الله تعالى) من أخرى مما يتعلق بضيق حال المسلمين بالاندلس ما صورته وان تشوقتم الى أحوال هذا القطر ومن به من المسلمين بمقتضى الدين المتين والفضل المبين فاعلموا اننا في هذه الايام ندافع من العدو تيارا ونكابر بحرا زخارا ونتوقع الان وفق الله تعالى خطوبا كبارا ونمد اليد الى الله تعالى انتصارا ونلجأ اليه اضطرارا ونستمد دعاء المسلمين بكل قطر استعدادا به واستظهارا ونستشير من خواطر الفضل ما يحفظ أخطارا وينشئ ريح روح الله طيبة معطارا فان القوم من الاعظم قيوم دين النصرانية الذي يأمرها فتطيع ومخالفته

في هذا الشعب فدخلوا في غيره لكانت دماؤهم لي حلالا عذيري من أهل هذه الحمراء يلقى أحدهم الحجر الى الارض ويقول الى أن يبلغها يكون فرج الله لاجعلنهم كالرسم الدائر وكالامس الغابر عذيري من عبد هذيل يقرأ القرآن كانه رجز الاعراب أما والله لو أدركته لضربت عنقه يعني عبد الله بن مسعود عذيري من سليمان بن داود يقول لربه رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي كان والله فيما علمت عبدا حسودا بخيلا (وحدثنا) المنقري عن عبيد بن أبي السري عن محمد بن هشام بن السائب عن أبيه عن عبد الرحمن ابن السائب قال قال الحجاج يوما لعبد الله بن هانئ وهو رجل من أدد حي من اليمن وكان شريفا في قومه وقد شهد مع الحجاج مشاهده كلها وشهد معه تحريق البيت وكان من أنصاره وشيعته والله ما كان أنالك بعد ثم أرسل الى اسماء بن خارجة وكان من فزارة أن زوج عبد الله ابن هانئ ابنتك فقال لا ولا كرامة فدعاله

بالسياط فقال أنا أزوجه فزوجه ثم بعث الى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمامة أن زوج عبد الله بن هانئ ابنتك

الفاسق فزوجه فقال له الحجاج يا عبد الله قد زوجتك بنت سيد فزارة وابنة سيد همدان وعظيم كهلان وما أردد هنالك فقال لا تقل أصلح الله الامير ذلك فان لنا مناقب ماهي لاحد من العرب قال وما هذه المناقب قال ماسب أمير المؤمنين عثمان في نادلنا قط قال هذه والله منقبة قال وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلا وما شهد مع أبي تراب منا الا رجل واحد كان والله ما علمته امرأ سوء قال وهذه والله منقبة قال وما منا أحد تزوج امرأة تحت أبي تراب ولا تولاه قال وهذه والله منقبة قال وما منا امرأة الا نذرت ان قتل الحسين أن تنحر عشر جزائر لها ففعلت قال وهذه والله منقبة قال وما منا رجل علم من أبيه شتم أبي تراب ولعنه الا فعل وقال وأزيدكم ابنيه الحسن والحسين وأمهما قال وهذه والله منقبة قال وما أحد من العرب له من الملاحة والصباحة مالنا وضحك وكان دميما شديد الادمة مجدورا في رأسه عجر مائل الشدق أحول قبيح الوجه مائل الحولة (المقري) عن جعفر بن عمرو الحرصي

لا تستطيع رمي هذه الامة الغربية المنقطعة منهم بجراد لا يسد طريقها ولا يحصى فريقها التفت على أخي صاحب قشتالة وعزمها أن تملكه بدله وتبلغه أمله ويكون الكل يدا واحدة على المسلمين ومناصبة هذا الدين واستئصال شأفة المؤمنين وهي شدة ليس لاهل هذا الوطن بها عهد ولا عرفها نجد ولا وهد وقد اقتحموا الحدود القريبة والله تعالى ولي هذه الامة الغريبة وقد جعلنا مقاليد أمور نا بيد من يقوي الضعيف ويدرأ الخطب المخيف ورجونا أن نكون ممن قال الله تعالى فيهم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وهو سبحانه المرجو في حسن العقبى والمآل ونصر فئة الهدى على فئة الضلال وما قل من كان الحق كنزه ولا ذل من استمد من الله عزه قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الآية ودعاء من قبلكم من المسلمين مدد موفور والله سبحانه على كل حال محمود مشكور انتهى (ومن أخرى) طويلة من جملتها ما صورته وقد اتصل بنا الخبر الذي يوجب نصح الاسلام ورعي الجوار والذمام وما جعل الله تعالى للأموم على الامام ايقاظكم من مراقدكم المستغرقه وجمع أهوائكم المتفرقه وتهيئكم الى مصادمة الشدائد المرعدة المبرقه وهو أن كبير دين النصرانية الذي اليه ينقادون وفي مرضاته يصادقون ويعادون وعند رؤية صليبه يكبرون ويسجدون لما رأى الفتن قد أكلتهم خضما وقضما وأوسعتهم هضما فلم تبق عصبا ولا عظما ونثرت ما كان نظما أعمل نظره فيما يجمع منهم ما افترق ويرفع ما طرق ويرفوما مزق الشتات وخرق فرمى الاسلام بامة عددها القطر المتثال وأمرهم وشأنهم الامتثال أن يدمنوا لمن ارتضاه من أمته الطاعه ويجمعوا في ملته الجماعه ويطلع الكل على هذه الفئة القليلة الغريبة بغتة كقيام الساعه وأقطعهم قطع الله تعالى بهم العباد والبلاد والطارف والتلاد وسوغهم الحريم والاولاد وبالله تعالى نستدفع ما لا نطيقه ومنه نسأل عادة الفرج فما سدت طريقه الا أنار أبنا غفلة الناس مؤذنة البوار وأشفقنا للدين المنقطع من وراء البحار وقد أصبح مضغة في لهوات الكفار وأردنا ان نهزكم بالموعظة التي تكحل البصائر بميل الاستبصار فان جبر الله تعالى الخواطر بالضراعة اليه والانكسار ونسخ الاعسار بالايسار وأنجد اليمين باختها اليسار والافقد تعين في الدنيا والآخرة حظ الخسار فان من ظهر عليه عدو دين الله تعالى وهو من الله مصروف وبالباطل مشغوف وبغير العرف معروف وعلى الحطام المسلوب عنه ملهوف فقد تله الشيطان للجبين وقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ومن نفذ فيه أوله قدر الله في أداء الواجب وبذل المجهود وأفرد بالعبودية وجه الواحد الاحد المعبود ووطن النفس على الشهادة المبوئة دار الخلود العائدة بالحياة الدائمة والوجود أو الظهور على عدوه المحشور اليه المحشود صبرا على المقام المحمود وبيعا من الله تعالى تكون الملائكة فيه الشهود حتى تعين بدالله في ذلك البناء المهدوم بقوة الله والمهدود والسواد الاعظم المحدود كان على أمريه بالخيار المودود قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الآية انتهى *(وقال) صاحب مناهج الفكر بعد وصفه لجزيرة الاندلس وأقدارها ما صورته ولم تزل هذه الجزيرة منتظمة لملكها في

عن مجذى بن رجاء قال سمعت عمران بن مسلم بن أبي بكر الهذلي يقول سمعت الشعبي يقول أتى

سلك الانقياد والوفاق الى ان طما بمترفيها سيل العناد والنفاق فامتاز كل رئيس منهم بصقع كان مسقط راسه وجعله معقلا يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه فصار كل منهم يشن الغارة على جاره ويحاربه في عقر داره الى أن ضعفوا عن لقاء عدو في الدين يعادي ويراوح معاقلهم بالعيث ويغادي حتى لم يبق في أيديهم منها الا ما هو في ضمان هدنة مقدّره وأتاوة في كل عام على الكبير والصغير مقرره كان ذلك في الكتاب مسطورا وقدرا في سابق علم الله مقدورا انتهى *وهذا قاله قبل أن يستولي العدو على جميعها والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين (وترجع) الى ما كنا بصدده من أخذ النصارى قواعد الاندلس فنقول قد قدمنا أوائل هذا الباب أن طليطلة أعادها الله تعالى من أوّل ما أخذ الكفار من المدن العظام بالاندلس (قال) ابن بسام لما توالت على أهل طليطلة الفتن المظلمة والحوادث المصطلمة وترادف عليهم البلاء والجلاء واستباح الفرنج لعنهم الله تعالى أموالهم وأرواحهم كان من أعجب ما جرى من النوادر الدالة على الخذلان أن الحنطة كانت تقيم عندهم مخزونة خمسين سنة لا تتغير ولا يؤثر فيها طول المدة بما يمنع من أكلها فلما كانت السنة التي استولى عليها العدو فيها لم ترفع الغلة من الاندر حتى أسرع فيها الفساد فعلم الناس أن ذلك بمشيئة الله تعالى لامر أراده من شمول البلوى وعموم الضراء فاستولى العدو على طليطلة وأنزل من بها على حكمه وخرج ابن ذي النون منها على أقبح صورة وأفظع سيرة ورآه الناس وبيده اصطرلاب يأخذ به وقتا يرحل فيه فتعجب منه المسلمون وضحك عليه الكافرون وبسط الكافر العدل على أهل المدينة وحبب التنصر الى عامة طغامها فوجد المسلمون من ذلك ما لا يطاق حمله وشرع في تغيير الجامع كنيسة في ربيع الاول سنة ست وتسعين وأربعمائة ومما جرى في ذلك اليوم أن الشيخ الاستاذ المقامي رحمه الله تعالى صار الى الجامع وصلى فيه وأمر مريده بالقراءة ووافاه الفرنج لعنهم الله تعالى وتكاثروا التغيير القبلة فاجسر أحدهم على ازعاج الشيخ ولا معارضته وعصمه الله تعالى منهم الى أن أكمل القراءة وسجد سجدة ورفع رأسه وبكى على الجامع بكاء شديدا وخرج ولم يعرض أحد له بمكروه وقيل لملك النصارى ينبغي أن تلبس التاج لكن كان قبلك في هذا الملك فقال حتى تأخذ قرطبتهم وأعد لذلك ناقوسا تأنق فيه وفيما رصع به من الجواهر فاكذبه الله وأزعجه وورد أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين فاقصر فيما أثر من اذلال المشركين وارغام الكافرين واستدراك أمور المسلمين انتهى ملخصا وقد مر مطولا *وكانت قبالها وقعة بطرنة سنة ست وخمسين وأربعمائة وذلك أن الفرنج خذلهم الله تعالى انتدبت منهم قطعة كثيفة ونزلت على بلنسية في السنة المذكورة وأهلها جاهلون بالحرب معرضون عن أمر الطعن والضرب مقبلون على لذات اللذات من الاكل والشرب وأظهر الفرنج الندم على مغازلتها والضعف عن مقاومة من فيها وخدعوهم بذلك فانخدعوا واطمعوهم فطمعوا وكمن في عدة أماكن جماعة من الفرسان وخرج أهل البلد بثياب زينتهم وخرج معهم أميرهم عبد العزيز بن أبي عامر فاستدرجهم العدو لعنهم الله تعالى ثم عطفوا عليهم فاستأصلوهم بالقتل والاسر وما نجا منهم الا من حصنه أجله وخلص الامير نفسه ومما حفظ عنه انه

بي الحجاج موثقا فلما دخلت عليه استقبلني يزيد بن مسلم فقال انا لله يا شعبي على ما بين دفتيك من العلم وليس بيوم شفاعة بؤ للامير بالشرك وبالنفاق على نفسك فبالحري أن تبوء منه فلما دخلت استقبلني محمد بن الحجاج فقال لي مثل مقالة يزيد فلما مثلت بين يدي الحجاج فقال وأنت يا شعبي فيمن خرج علينا وكثر قلت نعم أصلح الله الامير أحزن بنا المبرك وأجدب الجناب وضاق المسلك واكتحلنا السهاد واستحلسنا الخوف ووقعنا في فتنة لم تكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء قال صدق والله ما برّوا ولا فجروا علينا ولا قووا أطلقوا عنه قال الشعبي ثم احتاج الى فريضة فقال ما تقول في أخت وأم وجد قلت اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وزيد وعلي وعثمان وابن عباس قال فما قال فيها ابن عباس فلقد كان معنيا قلت جعل الجد أبا وأعطى الام الثلث ولم يعط الاخت شيأ قال فما قال فيها عبد الله قلت جعلها من ستة فاعطى

الاخت النصف وأعطى الام السدس وأعطى الجد الثلث قال فما قال فيها زيد قلت جعلها تسعة فاعطى

أنشد لما أعياه الامر

خليلي ليس الرأى فى صدر واحد * أشيرا على اليوم ماتريان

وفى أهل بلنسية يقول بعض الشعراء حين خرجوا فى ثياب الزينة والترفه

لبسوا الحديد الى الوغى ولبستم * حلل الحرير عليكم ألوانا

ما كان أقبحهم وأحسنكم بها * لو لم يكن ببطرنة ما كانا

قال ابن بسام وهكذا جرى لاهل طليطلة فان العدو خذله الله تعالى استظهر عليهم وقتل جماهيرهم وكان من جملة ما غنمه الفرنج من أهلها لما خرجوا اليهم فى ثياب الترفه ألف غفارة خارجا عما سواها انتهى (وقال) ابن حيان وكان تغلب العدو خذله الله تعالى على بربشتر قصبة بالدبرطانية وهى تقرب من سرقسطة سنة ست وخمسين وأربعمائة وذلك أن جيش الاردمليش نازلها وحاصرها وقصر يوسف بن سليمان بن هود فى حمايتها ووكل أهلها الى نفوسهم فأقام العدو عليها أربعين يوما ووقع فيما بين أهلها تنازع فى القوت لقلته واتصل ذلك بالعدو فشدد القتال عليها والحصر لها حتى دخل المدينة الاولى فى خمسة آلاف مدرع فدهش الناس وتحصنوا بالمدينة الداخلة وجرت بينهم حروب شديدة قتل فيها خمسمائة افرنجى ثم اتفق أن القناة التى كان الماء يجرى فيها من النهر الى المدينة تحت الارض فى سرب موزون انهارت وفسدت ووقعت فيها صخرة عظيمة سدت السرب باسره فانقطع الماء عن المدينة ويئس من بها من الحياة فلاذوا بطلب الامان على أنفسهم خاصة دون مال وعيال فاعطاهم العدو الامان فلما خرجوا نكث بهم وغدر وقتل الجميع الا القائد ابن الطويل والقاضى ابن عيسى فى نفر من الوجوه وحصل للعدو من الاموال والامتعة ما لا يحصى حتى ان الذى خص بعض مقدمى العدو لحصنه وهو قائد خيل رومة نحو ألف وخمسمائة جارية أبكارا ومن أوقار الامتعة والحلى والكسوة خمسمائة جمل وقدر من قتل واسر مائة ألف نفس وقيل خمسون ألف نفس (ومن نوادر) ما جرى على هذه المدينة لما فسدت القناة وانقطعت المياه أن المرأة كانت تقف على السور وتنادى من يقرب منها أن يعطيها جرعة ماء لنفسها أو لولدها فيقول لها اعطينى ما معك فتعطيه ما معها من كسوة وحلى وغيره قال وكان السبب فى قتلهم انه خاف من يصل لنجدتهم وشاهد من كثرتهم ما هاله فشرع فى القتل لعنه الله تعالى حتى قتل منهم نيفا على ستة آلاف قتيل ثم نادى الملك بتامين من بقى وأمر أن يخرجوا فازدحموا فى الباب الى أن مات منهم خلق عظيم ونزلوا من الاسوار فى الحبال للخشية من الازدحام فى الابواب ومبادرة الى شرب الماء وكان قد تحيز فى وسط المدينة قدر سبعمائة نفس من الوجوه وحاروا فى نفوسهم وانتظروا ما ينزل بهم فلما خلت من أسر وقتل وأخرج من الابواب والاسوار وهلك فى الزحمة نودى فى تلك البقية بان يبادر كل منهم الى داره باهله وله الامان وأرهقوا وأزعجوا فلما حصل كل واحد منهم بمن معه من أهله فى منزله اقتسمهم الافرنج لعنهم الله تعالى بأمر الملك وأخذ كل واحد منهم دارا بمن فيها من أهلها نعوذ بالله تعالى وكان من أهل المدينة جماعة قد عاذوا برؤس الجبال وتحصنوا بمواضع منيعة وكادوا يهلكون من العطش فامنهم الملك على نفوسهم وبرز لهم فى صور الملكى من العطش فأطلق

الام ثلاثة وأعطى الاخت سهمين وأعطى الجد أربعة قال فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان قلت جعلها ثلاثا قال فما قال فيها أبو تراب قلت جعلها ستة أعطى الاخت النصف وأعطى الام الثلث وأعطى الجد السدس قال فضرب بيده على أنفه وقال انه المرء يرغب عن قوله (المنقرى) عن أبى عبد الرحمن العتبى عن أبيه قال أراد الحجاج الحج فخطب الناس وقال يا أهل العراق انى قد استعملت عليكم محمد ابن الرغبة عنكم أما انكم لا تستأهلونه وقد أوصيته فيكم خلاف وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانصار فانه أوصى أن يقبل من محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم وقد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم أما انى اذا وليت عنكم انكم تقولون لا أحسن الله له الصحابة ومامنعكم من تعجيله الا الفراق وأنا أعجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة ثم نزل (العتبى) عن عبد الغنى بن محمد بن جعفر عن الهيثم بن عدى عن أبى عبد الرحمن الكنانى عن ابن عباس الهمدانى عن عبيد بن أبى المخارق قال استعملنى الحجاج على الفلوجة فقلت أههنا دهقان يستعان برأيه فقالوا جميل بن صهيب فارسلت اليه فجاءنى شيخ سبيلهم

سبيلهم فبينما هم في الطريق اذ لقيتهم خيل الكفر ممن لم يشهد الحادثة فقتلوهم الا القليل ممن نجا بأجله قال وكان الفرنج لعنهم الله تعالى لما استولوا على أهل المدينة يقتضون البكر بحضرة أبيها والثيب بعين زوجها وأهلها وجرى من هذه الاحوال ما لم يشهد المسلمون مثله قط فيما مضى من الزمان ومن لم يرض منهم أن يفعل ذلك في خادم أو ذات مهنة أو وخش اعطاهن خوله وعلما نه يعيشون فيهن عيشة و بلغ الكفرة منهم يومئذ ما لا تلحقه الصفة على الحقيقة ولما عزم ملك الروم على القفول الى بلاده تخير من بنات المسلمين الجواري الابكار والثيبات ذوات الجمال ومن صبيانهم الحسان الوفاعدة حملهم معه ليهديهم الى من فوقه وترك من رابطة خيله ببر بشتر ألفا وخمسمائة ومن الرجالة ألفين (قال) ابن حيان وأختم هذه الاخبار الموقظة لقلوب اولى الالباب بنادرة منها يكتفى باعتبارها عما سواها وهي أن بعض تجار اليهود جاء بر بشتر بعد الحادثة ملتمسا فدية بنات بعض الوجوه ممن نجا من أهلها حصلن في سهم قومس من الرابطة فيها كان يعرفه قال فهديت الى منزله فيها واستأذنت عليه فوجدته جالسا مكان رب الدار مستويا على فراشه رافلا في نفيس ثيابه والمجلس والسرير كما خلفهما ربهما يوم محنته لم يغير شيأ من رياشهما وزينتهما ووصائفه مضمومات الشعور قائمات على رأسه ساعيات في خدمته فرحب بي وسألني عن قصدي فعرفته وجهه واشرت الى وفورما أبذله في بعض اللواتي على رأسه وفيهن كانت حاجتي فتبسم وقال بلسانه ما أسرع ما طمعت فيمن عرضناه لك أعرض عن هنا وتعرض لمن شئت ممن صيرته لحصني من سبي واسراي من أقاربك فيمن شئت منهم فقلت له أما الدخول الى الحصن فلا رأي لي فيه وبقربك أنست وفي كنفك اطمأننت فسمني ببعض من هنا فانى أصير الى رغبتك فقال وما عندك قلت العين الكثير الطيب والبز الرفيع الغريب فقال كأنك تشهيني ما ليس عندي بأباحه ينادي بعض أولئك الوصائف بريد بابهيجة فغيره بجمته قومي فاعرضي عليه ما في ذلك الصندوق فقامت اليه وأقبلت بيدر الدنانير وا كياس الدراهم واسفاط الحلي فكشف وجعل بين يدي العلج حتى كادت توارى شخصه ثم قال لها أدني الينا من تلك التخوت فأدنت منه عدة من قطع الوشي والخز والديباج الفاخر مما حاربه ناظري وبهت واستزلت ما عندي ثم قال لي لقد كثر هذا عندي حتى ما ألذبه ثم حلف بالهه انه لو لم يكن عنده شيء من هذا ثم بذل له باجمعه في ثمن تلك ما سخت بها يدي فهي ابنة صاحب المنزل وله حسب في قومه اصطفيتها لمزيد جمالها والادتي حسبما كان قومها يصنعون بنسائنا نحن أيام دولتهم وقد ردلنا الكرة عليهم فصرنا فيما تراه وأزيدك بأن تلك الخودة الناعمة وأشار الى جارية أخرى قائمة الى ناحية مغنية والدها الذي كانت تشدو له على نشواته الى أن أيقظناه من نومات يا فلانة يناديها بلكنة خذي عودك فغني زائرنا بشجوك قال فأخذت العود وقعدت تسوي به واني لاتأمل دمعها يقطر على خدها فتسارق العلج مسحه واندفعت تغني بشعر ما فهمته انا فضلا عن العلج فصار من الغريب أن حث شرابه هو عليه وأظهر الطرب منه فلما يئست مما عنده قمت منطلقا عنه وارتدت لتجارتي سواه واطلعت لكثرة ما لدى القوم من السبي والمغنم على ما طال عجبي به فهذا فيه مقنع لمن تدبره وتذكر لمن تذكره (قال ابن حيان) قد أشفينا

وبركتك ومشورتك فامر بحاجبيه فرفعا بخرقة حرير وقال ما حاجتك قلت استعملني الحجاج على الفلوجة وهو ممن لا يؤمن شره فاشر علي قال أيما أحب اليك رضا الحجاج أو رضا بيت المال أو رضا نفسك قلت اني أحب رضا كل هؤلاء وأخاف الحجاج فانه جبار عنيد قال فاحفظ عني أربع خلال افتح بابك ولا يكن لك حاجب فيأتيك الرجل وهو على ثقة من لقائك وهو أجدر أن يخافك عمالك وأطل الجلوس لاهل عملك فانه قلما أطال عامل الجلوس الا هيب مكانه ولا تخالف حكمك بين الناس وليكن حكمك على الشريف والوضيع سواء فلا يطمع فيك أحد من أهل عملك ولا تقبل من أهل عملك هدية فان مهديها الا برضى من ثوابها الا باضعافها مع ما في ذلك من المقالة القبيحة ثم اسلخ ما بين اقفيتهم الى عجوب اذنابهم فيرضوا عنك ولا يكون للحجاج عليك سبيل (المنقري) عن يوسف بن موسى القطان عن جرير عن المغيرة عن الربيع بن خالد قال سمعت الحجاج يخطب على

المنبر وهو يقول اخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله في حاجته فقلت لله علي أن لا أصلي

بشرح هذه الحالة الفادحة مصائب جليلة مؤذنة بوشك القاعة طالما حذر أسلافنا لحاقها بما احتملوه عمن قبلهم من اثارة ولا شك عند ذوي الالباب أن ذلك مما دهانا من داء التقاطع وقد أمرنا بالتواصل والالفة فأصبحنا من استشعار ذلك والتمادي عليه على شفا جرف يؤدي الى الهلكة لامحالة انتهى ببعض اختصار *وذكر بعده كلاما في ذم أهل ذلك الزمان من أهل الاندلس وانهم يعللون أنفسهم بالباطل وأن من أدل الدلائل على جهلهم اغترارهم بزمانهم وبعدهم عن طاعة خالقهم ورفضهم وصية نبيهم وغفلتهم عن سد ثغورهم حتى أطل عدوهم الساعي لاطفاء نورهم يجوس خلال ديارهم ويستقري بسائط بقاعهم ويقطع كل يوم طرفا ويبيد أمة ومن لدينا وحوالينا من أهل كلتنا صموت عن ذكرهم لهاة عن بثهم ما أن يسمع عندنا بمسجد من مساجدنا أو محفل من محافلنا مذكرهم أو داع فضلا عن ناقر اليهم أو ماش لهم حتى كأنهم ليسوا منا أو كأن بثقهم ليس بمفض الينا وقد يخلنا عليهم بالدعاء بخلنا بالغناء عجائب فاتت التقدير وعرضت للتغيير ولله عاقبة الامور واليه المصير انتهى ولقد صدق رحمه الله تعالى فان البث سري اليهم جميعا كما ستراه ولا حول ولا قوة الا بالله (وقال) قبله ان بر بشتر هذه تناسختها قرون المسلمين منذ ثلثمائة وثلاث وستين سنة من عهد الفتوح الاسلامية بجزيرة الاندلس فرسخ فيها الايمان وتدورس القرآن الى أن طرق الناحي بها قرطبة تاصدوره ضأن من العام فصك الاسماع واطار الافئدة وزلزل أرض الاندلس قاطبة وصير لكل شغلا يشغل الناس في التحدث به والتساؤل عنه والتصور لحلول مثله اياما لم يفارقوا فيها عادتهم من استبعاد الوجل والاغترار بالامل والاستناد الى امراء الفرقة المهمل الذين هم منهم ما بين فشل ووكل يصدونهم عن سواء السبيل ويلبسون عليهم وضوح الدليل ولم تزل آفة الناس منذ خلقوا في صنفين هم كالملح فيهم الامراء والفقهاء بصلاحهم يصلحون وبفسادهم يفسدون فقد خص الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج صنفيهم لدينا بما لا كفاية له ولا مخلص منه فالامراء القاسطون قد نكبوا عن نهج الطريق ذيادا عن الجماعة وجريا الى الفرقة والفقهاء أئمتهم صموت عنهم صدوف عما أكده الله تعالى عليهم من التبيين لهم قد أصبحوا ما بين آكل من حلوائهم وخابط في أهوائهم وبين مستشعر مخافتهم آخذ في التقية من صدقهم وأولئك هم الاقلون فيهم فما القول في أرض فسد ملحها الذي هو المصلح لجميع أغذيتها وما هي الا مشفية من بوارها ولقد طما التعجب من افعال هؤلاء الامراء لم يكن عندهم لهذه الحادثة الا الفزع لحفر الخنادق وتعلية الاسوار وشد الاركان وتوثيق البنيان كاشفين لعدوهم عن السوأة السوأى من القائهم يومئذ بأيديهم اليه أمورا قبيحات الصور مؤذنات الصدور باعجاز الغير

أمور لو تدبرها حكيم * اذا انتهى وجب ما استطاعا

انتهى باختصار *ثم قال ابن حيان فلما كان عقب جمادى الاولى سنة ٥٧ شاع الخبر بقرطبة برجوع المسلمين اليها وذلك أن أحمد المقتدر بن هود المفرط فيها والمتهم على أهلها لانحرافهم الى أخيه صمد لها مع امداد الخليفة عباد وسعى لاصمات سوء المقالة عنه وقد كتب الله تعالى عليه منها ما لا يمحوه الا عفوه فتأهب لقصد بر بشتر في جموع من المسلمين فخالدوا

ثم صعد المنبر فخطب بمعايب الحجاج والبراءة منه ودخل ابن الاشعث في أمره فلم يلبث الا قليلا ثم اسر ابن الاشعث

العتبي عن أبيه أن الحجاج وجه الغضبان بن القبعثرى الى بلاد كرمان ليأتيه بخبر ابن الاشعث عند خلعه فتفصل من عنده فلما صار ببلاد كرمان ضرب خباءه ونزل فاذا هو باعرابي قد أقبل عليه فقال السلام عليك فقال له الغضبان كلمة مقولة قال له الاعرابي من أين جئت قال من ورائي قال وأين تريد قال أمامي قال وعلام جئت قال على فرسي قال وفيم جئت قال في ثيابي قال أتأذن لي أن أدنو اليك قال وراءك أوسع لك قال والله ما أريد طعامك ولا شرابك قال لا تعرض بهما فوالله لا تذوقهما قال أوليس عندك الا ما أرى قال بل هراوة من ارزن أضرب بها رأسك قال ان الرمضاء قد أحرقت قدمي قال بل عليهما يبردان قال فكيف ترى فرسي هذا قال أراه خيرا من شر منه وأرى آخر أقره منه قال قد علمت هذا قال لو علمته ما سألتني عنه فتركه الاعرابي وولى ثم دخل على عبد الرحمن بن الاشعث فقال ما وراءك يا غضبان قال الشر تغد يا حجاج قبل ان يتعشى بك

الكفار بها جلادا ارتاب منه كل جبان وأعز الله سبحانه أهل الحفيظة والشجعان وحمى الوطيس بينهم الى أن نصر الله تعالى أولياءه وخذل أعداءه وولوا الادبار مقتحمين أبواب المدينة فاقتحمها المسلمون عليهم وملكوهم أجمعين الامن فر من مكان الوقعة ولم يدخل المدينة فاجيل السيف فى الكافرين واستؤصلوا أجمعين الامن استرق من أصاغرهم وفدى من أعاظمهم وسبوا جميع من كان فيها من عيالهم وأبنائهم وملكوا المدينة بقدرة الخالق البارئ وأصيب فى منحة النصر المتاح طائفة من جماة المسلمين المجاهدين فى نصر الدين نحو الخمسين كتب الله تعالى شهادتهم وقتل فئة من أعداء الله الكافرين نحو ألف فارس وخمسة آلاف راجل فغسلها المسلمون من رجس الشرك وجلوها من صدا الافك انتهى وليت طليطلة البائسة استرجعت كهذه ومع هذا فقد غلب العدو بعد على الكل والله سبحانه المرجو فى الادالة (وقال) ابن البسع أخذ العدو مدينة طليلة وأختها طرشونة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ولما صار أمر بلنسية الى الفقيه القاضى أبى أحمد بن جحاف قاضيها صيرها الامير المسلمين يوسف بن تاشفين محصرها القادر بن ذى النون الذى مكن اذفونش من طليطلة فهجم عليه القاضى فى لمة من المرابطين وقتله ودفع ابن جحاف لما لم يعهد من تدبير السلطان ورجعت عنه طائفة الملثمين الذين كان يعتديهم وجعل يستصرخ الى أمير المسلمين فيطئ عليه وفى أثناء ذلك انهض يوسف بن احمد بن هود صاحب سرقسطة لذاريق الطاغية للاستيلاء على بلنسية فدخلها وعاهده القاضى بن جحاف واشترط عليه احضار ذخيرة كانت للقادر بن ذى النون فاقسم انها ليست عنده فاشترط عليه انه ان وجدها عنده قتله فاتفق انه وجدها عنده فاحرقه بالنار وعاث فى بلنسية وفيها يقول ابن خفاجة حينئذ

عاثت بساحتك الظبا يادار * ومحا محاسنك البلى والنار
فاذا تردد فى جنابك ناظر * طال اعتبار فيك واستعبار
أرض تقاذفت الخطوب بأهلها * وتمخضت بخرابها الاقدار
كنت يد الحدثان فى عرصاتها * لا أنت أنت ولا الديار ديار

وكان استيلاء القمنطور لعنه الله تعالى عليها سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وقيل فى التى قبلها وبه جزم ابن الابار قائلا فتم حصار القمنطور اياها عشرين شهرا وذكر انه دخلها صلحا وقال غيره انه دخلها وحرقها وعاث فيها وممن أحرق فيها الاديب أبو جعفر بن البناء الشاعر المشهور رحمه الله تعالى وعفا عنه فوجه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الامير أبا محمد مزدلى ففتحها الله تعالى على يديه سنة خمس وتسعين وأربعمائة وتولى عليها أمراء الملثمين ثم صارت ليحيى بن غانية الملثم حين ولى جميع شرق الاندلس فقدم عليها أخاه عبد الله بن غانية ولما ثارت الفتنة فى المائة السادسة أخرجه مزدلى بن عبد العزيز الى أن قام عليه جيش بلنسية سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وبايعوا ابن عياض ملك شرق الاندلس ففر مروان الى المرية ثم رجعت بلنسية الى أبى عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس بعد ابن عياض وقدم عليه أخاه أبا الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش الى أن رجع أبو الحجاج الى جهة بنى عبد المؤمن الى أن ولى عليها السيد أبو زيد عبد الرحمن ابن السيد أبى عبد الله بن أبى حفص ابن أمير المسلمين

أصلح الله الامير بلاد ماؤها وشل وثمرها هاد قل ولصها بطل والخيل بها ضعاف وان كثر الجند بها جاعوا وان قلوا ضاعوا قال الست صاحب الكلمة الخبيثة تغدبالحجاج قبل أن يتعشى بك قال أصلح الله الامير ما نفعت من قيلت له ولا ضرت من قيلت فيه قال لأقطعن يدك ورجليك من خلاف ثم لاصلبنك قال لا أرى الامير اصلحه الله يفعل ذلك فأمر به فقيد والقى فى السجن فاقام به حتى بنى الحجاج خضراءه واسطا فلما استتم بناؤها جلس فى صحنها وقال كيف ترون قبتى هذه قالوا ما بنى الخلائق قبلك مثلها قال فان فيها مع ذلك عيبا فهل فيكم مخبرى به قالوا والله ما نرى بها عيبا فأمر باحضار الغضبان فأتى به يرسف فى قيوده فلما دخل عليه قال له الحجاج أرأك ياغضبان سمينا قال أيها الامير القيد والرتعة ومن يكن ضيف الامير يسمن قال فكيف ترى قبتى هذه قال أرى قبة ما بنى لاحد مثلها الا ان بها عيبا فان امنتنى الامير اخبرته به قال قل آمنا قال بنيت فى غير بلدك لغير ولدك لا تتمتع به ولا تنعم فلما لا يتمتع فيه من طيب ولا لذة قال ردوه فانه صاحب الكلمة الخبيثة قال أصلح الله الامير ان

عبد المؤمن بن علي فلما ثار العادل بمرسية تمنع واعتز وأظهر طاعة في باطنها معصية ودام على ذلك مع أبي العلاء المأمون وكان قائد الاعنة المشار اليه في الدفاع عن بلنسية الامير زيان ابن أبي الحملات بن أبي الحجاج بن مردنيش فأخرجه من بلنسية وملكها وفر السيد الى النصارى ولم يزل أمر بلنسية يضعف باستيلاء العدو على أعمالها الى أن حصرها ملك برشلونة النصراني فاستغاث زيان بصاحب افريقية أبي زكريا بن أبي حفص وأوفده عليه في هذه الرسالة كاتبه الشهير أبا عبد الله بن الابار القضاعي صاحب كتاب التكملة واعتاب الكتاب وغيره ما فقام بين يدي السلطان منشدا قصيدته السينية الفريدة التي فضحت من باراها وكبادونها من جاراها وهي

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست * فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وعاش مما تعانيه حشاشتها * فطالما ذاقت البلوى صباح مسا
يا للعزيزة أضحى أهلها جزرا * للحادثات وأمسى جدها تعسا
في كل شارقة للمام بارقة * يعود مأتمها عند العداعرسا
وكل غاربة اخجال شائبة * تثني الامان حذارا والسرور أسى
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم * الا عقائلها المحجوبة الانسا
وفي بلنسية منها وقرطبة * ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا
مدائن حلها الاشراك مبتسما * جذلان وارتحل الايمان منبئسا
وصيرتها العوادي الغانيات بها * بسا وحش الطرف منها ضعف ما أنسا
فمن دسا كر كانت دونها حرسا * ومن كنائس كانت قبلها كنسا
يا للمساجد عادت للعدا بيعا * وللنداء غدا أثناءها جرسا
لهفي عليها الى استرجاع فائتها * مدارسا للمثاني أصبحت درسا
وأربعا نعمت أيدي الربيع لها * ما شئت من خلع موشية وكسا
كانت حدائق للاحداق مونقة * فصوح النصر من أدواحها وعسا
وحال ما حولها من منظر عجب * يستجلس الركب أو يستركب الحلسا
سرعان ما عاث جيش الكفر واحربا * عيث الربا في مغانيها التي كنسا
وابتز بزتها مما تحيفها * تحيف الاسد الضاري لما افترسا
فأين عيش جنيناه بها خضرا * وأين عصر جلبناه بها سلسا
محا محاسنها طاغ أتيح لها * ما نام عن هضمها حينا ولا نعسا
ورج أرجاءها لما أحاط بها * فغادر الشم من أعلامها خنسا
خلا له الجو فامتدت يداه الى * ادراك مالم تطأ رجلاه مختلسا
وأكثر الزعم بالتثليث منفردا * ولو رأى راية التوحيد مانبسا
صل حبلها أيها المولى الرحيم فما * أبقى المراس لها حبلا ولا مرسا
وأحي ما طمست منها العداة كما * أحييت من دعوة المهدي ما طمسا

الحديد قد أكل لحمي وبري كناله مقرنين قال أنزلوه فلما استوى على الارض قال اللهم أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين قال جروه فلما جروه قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم قال أطلقوا عنه (المنقري) عن عبد الله بن محمد بن حفص التميمي عن الحسين بن عيسى الحنفي قال لما هلك بشر بن مروان وولي الحجاج العراق بلغ ذلك أهل العراق فقام الغضبان بن القبعثرى الشيباني بالمسجد الجامع بالكوفة خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل العراق ويا أهل الكوفة ان عبد الملك قد ولى عليكم من لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم الظلوم الغشوم الحجاج ألا وان لكم من عبد الملك منزلة بما كان منكم من خذلان مصعب وقتله فاعترضوا هذا الخبيث في الطريق فاقتلوه فان ذلك لا يعد منكم خلعا فانه متى يعلوكم على منبركم وصدر سريركم وقاعة قصركم ثم قتلتموه عد خلعا فاطيعوني وتغدوا به قبل أن يتعشى بكم فقال له أهل الكوفة جبنت يا غضبان بل ننتظر سيرته فان رأينا منكرا غيرناه قال ستعلمون فلما قدم الحجاج الكوفة

أيام صرت لنصر الحق مستبقا * وبت من نور ذاك الهدى مقتبسا
وقمت فيها بامر الله منتصرا * كالصارم اهتز أو كالعارض انبجسا
تمحو الذى كثف التجسيم من ظلم * والصبح ماحية أنواره الغلسا
وتقتضى الملك الجبار مهجته * يوم الوغى جهرة لا ترقب الخلسا
هذى رسائلها تدعوك من كثب * وأنت أفضل مرجو لمن يئسا
وافتك جارية بالنجح راجية * منك الاسير الرضا والسيد الندسا
خاضت خضارة يعليها ويخفضها * عبابه فتعانى اللين والشرسا
وربما سبحت والريح عاتية * كما طلبت بأقصى شده الفرسا
تؤم يحيى بن عبد الواحد بن أبى * حفص مقبلة من تربه القدسا
ملك تقلدت الاملاك طاعته * دينا ودنيا فغشاها الرضا لبسا
من كل غاد على يمناه مستلما * وكل صاد الى نعماه ملتمسا
مؤيد لو رمى نجما لاثبته * ولو دعا أفقا لبى وما احتبسا
تالله ان الذى تزجى السعود له * ما جال فى خلد يوما ولا هجسا
امارة يحمل المقدار رايتها * ودولة عزها يستصحب القعسا
يبدى النهار بها من ضوئه شنبا * ويطلع الليل من ظلمائه لعسا
ماضى العزيمة والايام قد نكلت * طلق المحيا ووجه الدهر قد عبسا
كانه البدر والعلياء هالته * تحف من حوله شهب القنا حرسا
تدبيره وسع الدنيا وما وسعت * وعرف معروفه واسى الورى وأسا
قامت على العدل والاحسان دولته * وأنشرت من وجود الجود مارمسا
مبارك هديه باد سكينته * ما قام الا الى حسنى وما جلسا
قد نور الله بالتقوى بصيرته * فما يبالى طروق الخطب ملتبسا
برى العصاة وراش الطائعين فقل * فى الليث مفترسا والغيث مرتجسا
ولم يغادر على سهل ولا جبل * حيا لقاحا اذا وافيته بخسا
فرب أصيد لا تلفى به صيدا * ورب اشوس لا تلقى له شوسا
الى الملائك ينمى والملوك معا * فى نبعة أثمرت للمجد ماغرسا
من ساطع النور صاغ الله جوهره * وصان صيقله أن يقرب الدنسا
له الثرى والثريا خطتان فلا * أعز من خطتيه ماسما ورسا
حسب الذى باع فى الاخطار ركبها * اليه محييا ان البيع ما وكسا
ان السعيد امرؤ ألقى بحضرته * عصاه محتزما بالعدل محترسا
فظل يوطن من أرجائها حرما * وبات يوقد من أضوائها قبسا
بشرى لعبد الى الباب الكريم حدا * آماله ومن العذب المعين حسا
كانما يتطى واليمن يصحبه * من البحار طريقا نحوه يبسا
فاستقبل السعد وضاحا أسرته * من صفحة فاض منها النور وانعكسا

عبد الملك باره أن يبعث اليه بثلاثين جارية عشرا من النجائب وعشرا من قعد النكاح وعشرا من ذوات الاحلام فلما نظر الى الكتاب لم يدر ما وصفه من الجوارى فعرضه على أصحابه فلم يعرفوه فقال له بعضهم اصلح الله الامير ينبغى أن يعرف هذا من كان فى أوليته بدويا فله معرفة أهل البدو ثم غزا فله معرفة أهل الغزو ثم شرب الشراب فله بذاء أهل الشراب قال واين هذا قيل فى حبسك قال ومن هو قيل الغضبان الشيبانى فاحضر فلما مثل بين يديه قال أنت القائل لاهل الكوفة يتغدون بى قبل أن أتعشى بهم قال أصلح الله الامير ما نفعت من قالها ولا اضرت من قيلت فيه قال ان أمير المؤمنين كتب الى كتابا لم أدر ما فيه فهل عندك شئ منه قال يقرأ على فقرئ عليه فقال هذا بين قال وما هو قال أما النجيبة من النساء فالتى عظمت هامتها وطال عنقها وبعدما بين منكبيها وثديها واتسعت راحتها وثخنت ركبتها فهذه اذا جاءت بالولد جاءت به كالليث وأما

قعد النكاح فهن ذوات الاعجاز منكسرات الثدى كثيرات اللحم يقرب بعضهن من بعض فأولئك يشفين

وقبل الجود طفاحا غوار به * من راحة غاص فيها البحر وانغمسا
يا أيها الملك المنصور أنت لها * عليا توسع أعداء الهدى تعسا
وقد تواترت الانباء أنك من * يحيي بقتل ملوك الصفر اندلسا
طهر بلادك منهم انهم نجس * ولا طهارة مالم تغسل النجسا
وأوطئ الفيلق الجرار أرضهم * حتى يطأطئ رأسا كل من رأسا
وانصر عبيدا بأقصى شرقها شرقت * عيونهم أدمعا تهمى زكا وخسا
هم شيعة الامر وهي الدار قد نهكت * راءمتى لم تباشر جسمها انتكسا
فاملأ هنيئا لك التأييد ساحتها * جردا سلاهب أوخطية دعسا
واضرب لها موعدا بالفتح ترقبه * لعل يوم الاعادي قد أتى وعسا

فبادر السلطان باعانتهم وشحن الاساطيل بالمدد اليهم من المال والاقوات والكسى فوجدوهم في هوة الحصار الى أن تغلب الطاغية على بلنسية ورجع ابن الابار بأهله الى تونس وكان تغلب العدو على بلنسية صبيحة يوم الثلاثاء السابع عشر لصفر من سنة ست وثلاثين وستمائة فهزت هذه القصيدة من الملك عطف ارتياح وحركت من جنانه أخفض جناح ولشغفه بها وحسن موقعها منه أمر شعراء حضرته بمعارضتها غير واحد وحال العدو بين بلنسية وبينه وتعاهد أهلها مع النصراني على أن يسلموها في أنفسهم وذلك سنة سبع وثلاثين وستمائة أعادها الله تعالى للاسلام * وكانت وقعة كتندة على المسلمين قبل هذا التاريخ بمدة وكتندة ويقال قتندة بالقاف من حيز دورقة من عمل سرقسطة من الثغر الاعلى وكانت الهزيمة على المسلمين جبرهم الله تعالى قتل فيها من المطوعة نحو من عشرين ألفا ولم يقتل فيها من العسكر أحد وكان على المسلمين الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين الذي ألف الفتح باسمه قلائد العقيان وكانت سنة أربع عشرة وخمسمائة وممن حضرها الشيخ أبو علي الصدفي السابق الذكر وقرينه في الفضل أبو عبدالله بن الفراء خرجا غازيين فكانا ممن فقد فيها * وقال غير واحد ان العسكر انصرف مفلولا الى بلنسية وان القاضي أبا بكر بن العربي كان ممن حضرها وسئل مخلصه منها عن حاله فقال حال من ترك الخباء والعباء وهذا مثل عند المغاربة معروف يقال لمن ذهبت ثيابه وخيامه بمعنى انه ذهب جميع ماله * ودخل العدو لوشة سنة اثنتين وعشرين وستمائة مع السيد أبي محمد البياسي في الفتنة التي كانت بينه وبين العادل فعاثوا فيها أشد العيث ثم ردها المسلمون الى أن أخذت بعد ذلك كما يأتي * ودخل العدو مدينة المرية يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الاولى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة عنوة (وحكى) أبو زكريا الجعيدي عن أبي عبدالله بن سعادة الشاطبي المعمر أن أبا مروان بن ورد أتاه في النوم شيخ عظيم الهيئة فرمى يديه في عضديه من خلفه وهزه هزا عنيفا حتى أرعبه وقال له قل

ألا أيها المغرور ويحك لا تنم * فلله في ذا الخلق أمر قد انهم
فلا بد أن يرزوا بأمر يسوءهم * فقد أحدثوا جرما على حاكم الامم

قال وكان هذا في سنة أربعين وخمسمائة فلم يمض الا يسير حتى تغلب الروم على المرية في سنة

الغرم وبرون الظمأ ن وأما كما نبس الحالب الناقة فتخرجه من كل شعر وظفر وعرق قال الحجاج أخبرني بشر النساء قال اصلح الله الامير شرهن الصغيرة النقبة الحديدة الركبة السريعة الوثبة الواسطة في نساء الحي التي اذا غضبت غضب لها مائة واذا سمعت كلمة قالت لا والله لا أنتهي حتى أقرها قرارها التي في بطنها جارية ويتبعها جارية وفي حجرها جارية قال الحجاج على هذه لعنة الله ثم قال ويحك فاخبرني بخير النساء قال خيرهن القريبة القامة من السماء الكثيرة الاخذ من الارض الودود الولود التي في بطنها غلام وفي حجرها غلام ويتبعها غلام قال ويحك فاخبرني بشر الرجال قال شرهم السبوط الربوط المحمود في حرم الحي الذي اذا سقط لاحداهن دلو في بئر انحط عليه حتى يخرجه فهن يجزينه الخير ويقان عافى الله فلانا قال على هذا لعنة الله فاخبرني بخير الرجال قال خيرهم الذي يقول فيه الشماخ التغلبي

فتى ليس بالراضي بادني معيشة * ولا في بيوت الحي بالمتوجح

اثنتين وأربعين وخمسمائة بعد تلك الرؤيا بعامين أو نحوهما انتهى * وهو مما حكاه ابن الابار الحافظ فى كتاب التكملة له * وفى وقعة المرية هذه استشهد الرشاطى الامام المشهور وهو أبو محمد عبد الله بن على بن عبد الله بن على بن خلف بن أحمد بن عمر اللخمى الرشاطى المرى وكانت له عناية كبيرة بالحديث والرجال والرواة والتواريخ وهو صاحب كتاب اقتباس الانوار والتماس الازهار فى نسب الصحابة ورواة الآثار أخذه الناس عنه واحسن فيه وجمع وما قصر وهو على اسلوب كتاب ابى سعد بن السمعانى الحافظ المسمى بالانساب * وولد الرشاطى سنة ٤٦٦ بقرية من اعمال مرسية يقال لها اوريوله بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الراء وضم المثناة التحتية وبعد الالف لام مفتوحة وبعدها هاء وتوفى شهيدا بالمرية عند تغلب العدو عليها صبيحة الجمعة ٢٥ جمادى الاولى سنة ٥٤٢ والرشاطى بضم الراء وفتح الشين المخففة وذكر هو أن احد اجداده كان فى جسمه شامة كبيرة وكانت حاضنته عجمية فاذا لاعبته قالت رشاطة وكثر ذلك منها فقيل له الرشاطى انتهى ملخصا من وفيات الاعيان وبعضه بالمعنى * وبعد اخذ النصارى المرية هذه المرة رجعت الى ملك المسلمين واستنقذها الله تعالى على يد الموحدين وبقيت بأيدى اهل الاسلام سنين وكان اول الولاة عليها حين استولى عليها امير المسلمين عبد المؤمن بن على رجلا يقال له يوسف ابن مخلوف فثار عليه اهل المرية وقتلوه وقدموا على انفسهم الرميمى فأخذها النصارى منه عنوة كما ذكرنا واحصى عدد من سبى من ابكارها فكان اربعة عشر الفا * وقال ابن حبيش آخر الحفاظ بالاندلس كنت فى قلعة المرية لما وقع الاستيلاء عليها اعادها الله تعالى للاسلام فتقدمت الى زعيم الروم السلطين وهو ابن بنت الاذفونش وقلت له انى أحفظ نسبك منك الى هرقل فقال لى قل فذكرته له فقال لى اخرج أنت وأهلك ومن معك طلقاء بلا شئ وابن حبيش شيخ ابن دحية وابن حوط الله وأبى الربيع الكلاعى رحمهم الله تعالى ولما أخذت المرية أقبل اليها السيدان أبو حفص وأبو سعيد ابنا أمير المؤمنين عبد المؤمن فحصرا النصارى بها وزحف اليهما أبو عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس محاربا لهما فكانا يقاتلان النصارى والمسلمين داخلا وخارجا ثم رأى ابن مردنيش العار على نفسه فى قتالهم مع كونهم يقاتلون النصارى فارتحل فقال النصارى ما رحل ابن مردنيش الا وقد جاءهم مدد فاصطلحوا ودخل الموحدون المدينة وقد خربت وضعفت الى أن أحياها متها الرئيس أبو العباس أحمد بن كمال وذلك ان أخته أخذت سبية فى دخلة عبد المؤمن للجانة فاختلت بقصره واعتنت باخيها فولاه بلده فصلح به حالها وكان جوادا حسن المحاولة كثير الرفق واشتهر من ولاتها فى مدة بنى عبد المؤمن فى المائة السابعة الامير أبو عمران بن أبى حفص عم ملك افريقية أبى زكريا * ولما كانت سنة خمس وعشرين وستمائة وثار الاندلس على مأمون بنى عبد المؤمن بسبب قيام ابن هود بمرسية قام فى المرية بدعوة ابن هود أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى يحيى بن الرميمى وجده ابو يحيى هو الذى أخذها النصارى من يده ولما قام بدعوة ابن هود وفد عليه بمرسية وولاه وزارته وصرف اليه سياسته وآل امره معه الى ان اغراه بان يحصن قلعة المرية ويجعلها له عدة وهو يبغى ذلك عدة

فقال له حسبك كم حبسنا عطاءك قال ثلاث سنين فامر له بها وخلى سبيله (المنقرى) عن محمد بن السرى عن هشام بن محمد ابن السائب عن أبى عبد الله النخعى قال لما فرغ الحجاج من دير الجماجم وقدم على عبد الملك ومعه أشراف اهل المصرين أدخلهم عليه فبينما هم عنده اذ تذاكروا البلدان فقال محمد بن عمير ابن عطارد أصلح الله الامير ان الكوفة أرض ارتفعت عن البصرة وحرها وعمقها وسفلت عن الشام ووبائها وجاورها الفرات فعذب ماؤها وطاب ثمرها فقال خالد بن صفوان الاهتمى أصلح الله الامير نحن أوسع منهم بريه وأسرع منهم فى السريه وأكثر منهم قندا وعاجا وساجا وباسا ماؤنا صفو وخيرنا عفو لا يخرج من عندنا الا قائد وسائق وناعق فقال الحجاج أصلح الله أمير المؤمنين انى بالبلدين خبير وقد وطئتهما جميعا فقال له قل فانت عندنا مصدق فقال أما البصرة فمجوز شمطاء دفراء بخراء أوتيت من كل حلى وزينة وأما الكوفة فشابة حسناء جميلة لا حلى لها ولا زينة فقال عبد الملك فضلت الكوفة على البصرة (المنقرى) عن عمر بن الخباب الباهلى عن اسمعيل

لنفسه وترك ابن هود فيها جارية تعلق ابن الرميمى بها واجتمع معها فبلغ ذلك ابن هود فبادر الى المرية وهو مضمر الايقاع بابن الرميمى فتغدى به قبل ان يتعشى به واخرج من قصره ميتا ووجهه فى تابوت الى مرسية فى البحر واستبد ابن الرميمى بملك المرية ثم ثار عليه ولده وآل الامر بعد احوال الى ان تملكها ابن الاحمر صاحب غرناطة وبقيت فى يد اولاده بعده الى ان اخذها العدو الكافر عند ما طوى بساط بلاد الاندلس كما سننبه عليه والله غالب على امره * ومما احسن قول ابى اسحق ابراهيم بن الدباغ الاشبيلى فى هزيمة العقاب باشبيلية وقائلة اراك تطيل فكرا * كانك قد وقفت لدى الحساب

فقلت لها أفكر فى عقاب * غدا سببا لمعركة العقاب

فما فى ارض اندلس مقام * وقد دخل البلاد من كل باب

وقول القائد ابى بكر ابن الامير ملك شلب ابى محمد عبد الله ابن وزيرها يخاطب منصور بنى عبد المؤمن وقد التقى هو واصحابه مع جماعة من الفرنج فتناصفوا ثم كان الظفر للمسلمين

ولما تلاقينا جرى الطعن بيننا * فمنا ومنهم طائحون عديد

وحال غرار المنذفينا وفيهم * فمنا ومنهم قائم وحصيد

فلا صدر الا فيه صدر مثقف * وحول الوريد للحسام ورود

صبرنا ولا كهف سوى البيض والقنا * كلانا على حد الجلاد جليد

ولكن شددنا شدة فتبلدوا * ومن يتبلد لا يزال يحيد

فولوا وللسمر الطوال بهامهم * ركوع وللبيض الرقاق سجود

وكان المذكور من فرسان الاندلس وكان ابنه الفاضل أبو محمد غير مقصر عنه فروسية وقدرا وأدبا وشعرا وولاه ناصر بنى عبد المؤمن مدينة قصر أبى دانس فى الجهة الغربية وقتله ابن هود باشبيلية وزعم أنه يروم القيام عليه ومن شعره قوله فى ابن صاحب أعمال اشبيلية

لا تيأسن من الخلافة بعدما * ولى ابن عمرو خطة الاشراف

تبا لدهر هذه أفعاله * يضع النوافع فى يدى كناف

(رجع) ودخل العدو كورة ماردة من محمد بن هود سنة ست وعشرين وستمائة وكان مفتتح المصائب على يده أعادها الله تعالى للاسلام وهى قاعدة بلاد الجوف فى مدة العرب والعجم والحضرة المستجدة بعدها هى مدينة بطليوس وبين ماردة وقرطبة خمسة أيام * وملك بطليوس وماردة وما اليها المظفر محمد بن المنصور بن الافطس مشهور وهو من رجال القلائد والذخيرة وهو أديب ملوك عصره بلا مدافع ولا منازع وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكر المظفرى خمسون مجلدا اشتمل على فنون وعلوم من مغاز وسير ومثل وخبر وجميع علوم الادب وقال يوما والله ما يمنعنى من اظهار الشعر الا كونى لا أقول مثل قول أبى العشائر بن حمدان

أقر أت منه ما تخط يد الونى * والبيض تشكل والاسنة تنقط

وقول أبى فراس ابن عمه

الله عز وجل كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء فلا فناء لما كتب عليه البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء فلا يغرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة فطول الامل يقصر الاجل (المنقرى) عن سهل بن تمام بن بزيع عن عباد بن حبيب بن المهلب عن أبيه قال لما قتل المهلب بن عبد ربه بن الصعتر بكرمان قال اثنونى برجل له بيان وعقل ومعرفة أوجهه الى الحجاج برؤس من قتلنا فدلوه على بشر بن مالك الحرشى فلما دخل على الحجاج قال ما اسمك قال بشر بن مالك الحرشى قال كيف تركت المهلب قال تركته صالحا نال ما رجا وأمن ما خاف قال فكيف فاتكم قطرى قال كادنا من حيث كدناه قال أفلا طلبتموه قال كان الحسد أهم علينا من القتل قال أصبتم قال فكيف كان بنو المهلب قال كانوا أعداء البيات حتى يأمنوا وأصحاب السرج حتى يردوا قال أجل فايهم أفضل قال ذاك الى أبيهم أيهم شاء ان يستكفيه أمرا كفاه قال انى ارى لك عقلا فقل قال هم كالحلقة المستوية لا يدرى أين طرفاها قال اين هم من ابيهم قال فضله عليهم وجدنا

وجدنا العوالي في مقام * تحدث عنه ربات الحجال
كأن الخيل تعلم من عليها * ففي بعض على بعض تعالى

فأين هذا من قولي

أنفت من المدام لان عقلي * أعز علي من أنس المدام
ولم أرتح الى روض وزهر * ولكن للعمائل والحسام
اذا لم أملك الشهوات قهرا * فلم أبغي الشفوف على الانام

وله رحمه الله تعالى

يا لحظه زد فتورا * تزد على اقتدارا
فاللحظ كالسيف أمضى * ما برق غرارا

وابنه المتوكل من رجال القلائد والمسهب وكان في حضرة بطليوس كالمعتمد بن عباد باشبيلية قد أناخت الآمال بحضرتهما وشدت رحال الآداب الى ساحتهما يتردد أهل الفضائل بينهما كتردد النواسم بين جنتين وينظر الادب منهما عن مقلتين والمعتمد أشعر والمتوكل أكتب (رجع) وقال الفاضل الكاتب أبو عبد الله محمد الفازازي وقيل انها وجدت برقعة في جيبه يوم موته

الروم تضرب في البلاد وتغنم * والجور يأخذ ما بقي والمغرم
والمال يورد كله قشتالة * والجند تسقط والرعية تسلم
وذوو التعين ليس فيهم مسلم * الا معين في الفساد مسلم
أسفي على تلك البلاد وأهلها * الله يلطف بالجميع ويرحم

وقيل ان هذه الابيات رفعت الى سلطان بلده فلما وقف عليها قال بعد ما بكى صدق رحمه الله تعالى ولو كان حاضرا بت عنقه * وهذا الفازازي أخو الشاعر الشهير الكاتب الكبير أبي زيد عبد الرحمن الفازازي صاحب الامداح في سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم وهو كما قال فيه بعضهم صاحب القلم الاعلى والقدح المعلى أبرع من ألف وصنف وأبدع من قرظ وشنف فقد طاع القلم لبنانه والنظم والنثر لبيانه كان نسيج وحده رواية وأخبارا ووحيد نسجه رويه وابتكارا وفريد وقته خبرا وأخبارا وصدر عصره ايرادا واصدارا صاحب فهوم ورافع ألوية علوم أما الادب فلا يسبق فيه مضماره ولا يشق غباره ان شاء انشأ أنشاووشى سائل الطبع عذب النبع له في مدح النبي صلى الله عليه وسلم بدائع قد خضع البيان لها وسلم أعجز بتلك المعجزات نظما ونثرا وأوجز في تحبير تلك الآيات البينات فجلا سحرا ورفع للقوافي راية استظهار تخير فيها الاظهر فجمع وعشر وشفع وأوتر وأما الاصول فهي من فروعه في متفرق منظومه ومنثوره ومجموعه وأما النسب فالى حفظه انتسب وأما الايام والدول ففي تاريخه الاواخر والاول وقد سبق من هذه العلوم في منثوره وموزونه ما يشهد باضافتها الى فنونه وله سماع في الحديث ورواية وفهم بقوانينه ودرايه سمع من أبي الوليد اليزيد بن عبد الرحمن بن بقي القاضي ومن أبي الحسن جابر بن أحمد القرشي التاريخي وهو آخر من حدث عنه ومن أبي عبد الله

تجري السوالف على أغر كأنه * برد تحدر من متون غمام
لو كنت صادقة بما حدثتنا * لوصلت ذاك فكان غير لمام

الفضل وكانوا مع والي بقاتل بهم مقاتلة الصعلوك ويسوسهم سياسة الملوك فله منهم بر الاولاد ولهم منه شفقة الوالد قال هل كنت هيأت ما ارى قال لا يعلم الغيب الا الله قال فالتفت الحجاج الى عنبسة فقال هذا الكلام المخلوق لا الكلام المصنوع (وأخذ الحجاج) جرير ابن الخطفى فأراد قتله فمشى اليه قومه من مضر فقالوا أصلح الله الامير لسان مضر وشاعرها هبه لنا فوهبه لهم (وكانت هند) بنت اسماء زوج الحجاج ممن طالبه فقالت للحجاج أتأذن لجرير علي يوما أستنشده من وراء حجاب فقال لها نعم فأمرت بمجلس لها فهيئ فجلست فيه والحجاج معها ثم بعثت الى جرير فدخل عليها يسمع كلامها ولا يراها فقالت يا ابن الخطفى أنشدني ما شببت به في النساء فقال لها ما شببت بامرأة قط ولا خلق الله شيأ هو أبغض الى من النساء قالت يا عدو الله وأين قولك

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا
وقت الزيارة فارجعي بسلام

رت الهموم فبتن غير نيام * وأخو الهموم يروم كل مرام قال ماقلت هذا ولكني أنا الذي أقول

التعبي كثيرا وهو أول من حدث عنه في حياة الحافظ أبي الطاهر السلفي اذ قدم عليهم تلمسان وأجازه الحافظ السهيلي وابن خلف الحافظ وغيرهما وولد بعد الخمسين والخمسمائة وتوفي بمراكش سنة ٦٣٧ رحمه الله تعالى انتهى ملخصا (رجع) ولما ثارت الاندلس على طائفة عبد المؤمن كان الوالي بجزيرة ميورقة أبو يحيى بن أبي عمران التينملي فأخذها الفرنج منه كذا قال ابن سعيد وقال ابن الابار انها أخذت يوم الاثنين الرابع عشر من صفر سنة سبع وعشرين وستمائة انتهى وقال المخزومي في تاريخ ميورقة ان سبب أخذها من المسلمين ان أميرها في ذلك الوقت محمد بن علي بن موسى كان في الدولة الماضية أحد أعيانها ووليها سنة ست وستمائة واحتاج الى الخشب المجلوب من يابسة فأنفذ طريدة بحرية وقطعة حربية وعلم بها والي طرطوشة فجهز اليها من أخذها فعظم ذلك على الوالي وحدثته نفسه بالغزو لبلاد الروم وكان ذلك رأيا مشؤما ووقع بينه وبين الروم وفي آخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة بلغه ان مشطعا من برشلونة ظهر على يابسة ومركبا آخر من طرطوشة انضم اليه فبعث ولده في عدة قطع اليه حتى نزل في مرسى يابسة ووجد فيه لاهل جنوة مركبا كبيرا فأخذه وسار حتى أشرف على المشطع فقاتله وأخذه وظن أنه غالب الملوك وغاب عنه انه أشأم من عاقر الناقة وأن الروم لما بلغهم الخبر قالوا للملكهم وهو من ذرية اذفونش كيف يرضى الملك بهذا الامر ونحن نقاتل بنفوسنا وأموالنا فأخذ عليهم العهد بذلك وجمع عشرين ألفا من اهل البلاد وجهز في البحر ستة عشر ألفا وشرط عليها حمل السلاح * وفي سنة ست وعشرين وستمائة اشتهر أمر هذه الغزوة فاستعد لها الوالي وميز نيفا على ألف فارس ومن فرسان الحضر والرعية مثلهم ومن الرجالة ثمانية عشر ألفا وذلك في شهر ربيع الاول من السنة ومن سوء الاتفاق أن الوالي أمر صاحب شرطته أن يأتيه باربعة من كبراء المصر فساقهم وضرب أعناقهم وكان فيهم ابنا خاله وخالهما أبو حفص بن سيري ذو المكانة الوجيهة فاجتمعت الرعية الى ابن سيري فأخبروه بما نزل وعزموه فيمن قتل وقالوا هذا أمر لا يطاق ونحن كل يوم الى الموت نساق وعاهدوه على خلب الثار وأصبح الوالي يوم الجمعة منتصف شوال والناس من خوفه في أهوال ومن أمر العدو في اهمال فأمر صاحب شرطته باحضار خمسين من أهل الوجاهة والنعمة فأحضرهم واذا بفارس على هيئة النذير دخل الى الوالي وأخبره بان الروم قد أقبلت وانه عد فوق الاربعين من القلوع وما فرغ من اعلامه حتى ورد آخر من جانب آخر وقال ان اسطول العدو قد تظاهر وقال انه عد سبعين شراعا فصح الامر عنده فسمح لهم بالصفح والعفو وعرفهم بخبر العدو وأمرهم بالتجهز فخرجوا الى دورهم كالمنشورين من قبورهم ثم ورد الخبر بان العدو قرب من البلد فانهم عدوا مائة وخمسين قلعا ولما عبر وقصد المرسى أخرج الوالي جماعة تمنعهم النزول فبادروا على المرسى في الرجل والخيل وفي الثامن عشر من شوال وهو يوم الاثنين وقع المصاف وانهزم المسلمون وارتحل النصارى الى المدينة ونزلوا منها على الحربية الحزنية من جهة باب الكحل ولم يزل الامر في شدة وقد أشرفوا على أخذ البلد ولما رأى ابن سيري أن العدو قد استولى على البلد خرج الى البادية ولما كان يوم الجمعة الحادي عشر من صفر

لقد جردا لحجاج للحق سيفه ألا فاستقيموا لا يميلن مائل
ومايستوي داعي الضلالة والهدى ولا حجة الخصمين حق وباطل
قالت دع عنك هذا فأين قولك
خليلي لا تستغزرا الدمع في هند أعيذكما بالله أن تجدا وجدي
ظمئت الى شرب الشراب وحسنه كذي فريه يرجو هداها ومايجدي
قال لها ماقلت هذا ولكني أنا الذي أقول
ومن يأمن الحجاج أما عقابه فمر وأما عقده فوثيق
يسر لك البغضاء كل منافق كما كل ذي بر عليك شفيق
قالت دع عنك هذا فاين قولك
ماعاذلي دعا الملامة واقصرا طال الهوى وأطلتما التفنيدا
اني وجدت ولو أردت زيادة في الحب عندي ماوجدت مزيدا
فقال باطل أصلحك الله ولكني أنا الذي أقول

من سد مطلع النفاق عليهم * أم من يصول كصولة الحجاج قاتلوا

قاتلوا البلد قتالا شديدا ولما كان يوم الاحد أخذ البلد وأخذ منه أربعة وعشرون ألفا قتلوا على دم واحد وأخذ الوالى وعذب وعاش بعد ذلك خمسة وأربعين يوما ومات تحت العذاب وأما ابن سيرى فانه صعد الى الجبل وهو منيع لا ينال من تحصن فيه وجمع عنده ستة عشر ألف مقاتل ومازال يقاتل الى أن قتل يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وستمائة وجده من آل جبلة بن الايهم الغسانى وأما الحصون فاخذت فى آخر رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة وفى شهر شعبان لحق من نجا من المسلمين الى بلاد الاسلام انتهى ماذكره ابن عميرة المخزومى ملخصا * وكان بميورقة جماعة أعلام وشعراء ومن شعر ابن عبد الولى الميورقى

هل أمان من لحظك الفتان * وقوام يميل كالخيزران
مهجتى منك فى جحيم ولكن * جفونى قد متعت فى جنان
فتنتنى لواحظ ساحرات * لست أخشى من فتنة الشيطان

ولما استولى النصارى على ميورقة فى التاريخ المتقدم ثار بجزيرة ميورقة وهى قريبة منها الجواد العادل العالم أبو عثمان سعيد بن حكم القرشى وكان واليها من قبل الوالى أبى يحيى المقتول وتصالح مع النصارى على ضريبة معلومة واشترط أن لا يدخل جزيرته أحد من النصارى وضبطها أحسن ضبط قال أبو الحسن على بن سعيد أخبرنى أحد من اجتمع به أنه لقى منه ما أحبب اليه الاقامة فى تلك الجزيرة المنقطعة وذكر أنه ركب معه فنظر الى حمالة سيف ضيقة قد أثرت فى عنقه فأمر له باحسان وغنباز وكتب معه

حمالة السيف توهى جيد حاملها * لاسيما يوم اسراع وانجاز
وخير ما استعمل الانسان يومئذ * لحسم علتها الباس غنباز

والغنباز عند أهل المغرب صنف من الملبوس غليظ يستر العنق * وأصل أبى عثمان من مدينة طليرة من غرب الاندلس وقد ألفت باسمه التآليف المشهورة بالمغرب ككتاب روح الشجر وروح الشعر وغيره * وأخذ العدو ميورقة بعد مدة * وأخذ العدو جزيرة شقر صلحا سنة تسع وثلاثين وستمائة فى آخرها * وأخذ العدو دمره الله تعالى مدينة سرقسطة يوم الاربعاء لاربع خلون من رمضان سنة اثنتى عشرة وخمسمائة * وكان استيلاء الافرنج على شرق الاندلس شاطبة وغيرها واجلاؤهم من بشاركهم من المسلمين فيما تغلبوا عليه منها فى شهر رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة * وكان استيلاء العدو دمره الله تعالى على مدينة قرطبة يوم الاحد الثالث والعشرين من شوال سنة ست وثلاثين وستمائة * وكان تملك العدو مرسية صلحا ظهر يوم الخميس العاشر من شوال قدم أحمد بن محمد بن هود ولد والى مرسية بجماعة من وجوه النصارى فملكهم اياها صلحا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * وحصر العدو اشبيلية سنة خمس وأربعين وستمائة * وفى يوم الاثنين الخامس من شعبان للسنة بعدها ملكها الطاغية صاحب قشتالة صلحا بعد منازلتها حولا كاملا وخمسة أشهر أو نحوها * وقال ابن الابار فى ترجمة أبى على الشلوبين من التكملة ما صورته وتوفى بين يدى منازلة الروم اشبيلية ليلة الخميس منتصف صفر سنة خمس وأربعين وستمائة وفى العام القابل ملكها الروم

أم من يغار على النساء حفيظة
اذ لا يثقن بغيرة الازواج
هذا ابن يوسف فافهموا وتفهموا
برح الخفاء وليس حيث يفاجى
فلرب ناكث بيعتين تركته
وخضاب لحيته دم الاوداج
فقال الحجاج ياعدو الله تحرض على النساء فقال لا والذى أكرمك أيها الامير ما فطنت لهذا البيت قبل ساعتى هذه وما علمت بمكانك فاقلنى جعلنى الله فداك فاقد فعلت فأمرت له هند بجارية وكسوة وأوفده الحجاج على عبد الملك ولما انهزم بن الاشعث بدير الجماجم حلف الحجاج أن لا يؤتى باسير الا ضرب عنقه فاتى باسرى كثير وكان أول من أتى به اعشى همدان الشاعر وهو أول من خلع عبد الملك والحجاج بين يدى ابن الاشعث بسجستان فقال له الحجاج ايه أنت القائل
من مبلغ الحجاج أنى قد جنيت عليه حربا
ووضعت فى كفى امرئ جلدا اذا ما لا مرعبى

انتهى * وكانت وقعة أنيجة التي قتل فيها الحافظ أبو الربيع الكلاعي رحمه الله تعالى يوم الخميس لعشر بقين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وستمائة ولم يزل رحمه الله تعالى متقدما أمام الصفوف زحفا الى الكفار مقبلا على العدو ينادي بالمنهزمين أعن الجنة تفرون حتى قتل صابرا محتسبا برد الله تعالى مضجعه وكان دائما يقول ان منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها في صغره فكان كذلك ورثاه تلميذه الحافظ أبو عبد الله بن الابار بقصيدته الميمية الشهيرة التي أولها

ألما باشلاء العلا والمكارم * تقد بأطراف القنا والصوارم
وعوجا عليها مأربا ومفازة * مصارع خصت بالطلى والجماجم
نحيي وجوها في الجنان وجيهة * مجاسد من نسج الظبا واللهازم

وهي طويلة ومن شعر الحافظ أبي الربيع المذكور

توالت ليال للغواية جون * ووافى صباح للرشاد مبين
ركاب شباب أزمعت عنك رحلة * وجيش مشيب جهزته منون
ولا أكذب الرحمن فيما أجنه * وكيف ولا يخفى عليه جنين
ومن لم يخل أن الرياء بشينه * فمن مذهبي أن الرياء يشين
لقد ريع قلبي للشباب وفقده * كما ريع بالعلق الفقيد ضنين
وآلمني وخط المشيب بلمتي * فخطت بقلبي للشجون فنون
وليل شبابي كان أنضر منظرا * وآنق مهما الاحظته عيون
فآها على عيش تكدر صفوه * وأنس خلا منه صفا وحنون
وياويح فودي أو فؤادي كلما * تزيد شيبي كيف بعد يكون
حرام على قلبي سكون بغرة * وكيف مع الشيب الممض سكون
وقالوا شباب المرء شعبة جنة * فمالي عراني للمشيب جنون
وقالوا اشتجاك الشيب حد ثمان ما أتى * ولم يعلموا أن الحديث شجون

وقال أيضا

أمولي الموالي ليس غيرك لي مولى * وما أحد يا رب منك بذا أولى
تبارك وجه وجهت نحوه المنى * فاوزعها شكرا وأوسعها طولا
وما هو الا وجهك الدائم الذي * أقل حلى عليائه يخرس القولا
تبرأت من حولي اليك وقوتي * فكن قوتي في مطلبي وكن الحولا
وهب لي الرضا مالي سوى ذاك مبتغى * ولو لقيت نفسي على نيله الهولا

وكان رحمه الله تعالى حافظا للحديث مبرزا في نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لاحكام أسانيده ذاكرا للرجاله ريان من الادب خطب ببلنسية واستقضي وكان مع ذلك من أولي الحزم والبسالة والاقدام والجزالة حضر الغزوات وباشر القتال بنفسه وابلى بلاء حسنا وروى عن أبي القاسم بن حبيش وطبقته وصنف كتبا منها مصباح الظلم في الحديث والاربعون عن أربعين شيخا الاربعون من الصحابة والاربعون السباعية والسباعيات من حديث

أنت الرئيس ابن الرئيس وأنت أعلى الناس كعبا فابعث عطية بالخيول يكبهن عليه كبا
وانهض هديت لعله يجلي بك الرحمن كربا نبئت أن بني يو سف خرمن زاق فتيا
وهي أبيات وأنت القائل شطت نوى من داره الايوان ايوان كسرى من قوى آل يحان
من عاشق أمسى برامة الكسان ان ثقيفا منهم الكذابان كذابها الماضي وكذاب ثمان
أمكن ربي من ثقيف همدان يوما من الليل يسلي ما كان
وأنت القائل وسألتماني المجد أين محله فالمجد بين محمد وسعيد
بين الاشج وبين قيس باذخ يخر لوالده وللمولود
قال لا ولكني الذي أقول أبى الله الا أن يتم نوره
ويطفئ نور الفقعسيين فيخمدا وينزل ذلا بالعراق وأهله
بما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا وما أحدثوا من بدعة وضلالة
من القول لم يصدر الى ذروة العدا قال لسنا نحمدك على هذا القول انما قلته
تأسفا على أن لا تكون ظفرت وظهرت وتحريضا لاصحابك وليس عن هذا سألتك أخبرني عن قولك

الصدفي وحلية الامالي في الموافقات والعوالي وتحفة الوارد ونجعة الوراد والمسلسلات والانشادات وكتاب الاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازي الثلاثة الخلفاء وميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين في غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله والمعجم فيمن وافقت كنيته زوجه من الصحابة والاعلام باخبار البخاري الامام والمعجم في مشيخة أبي القاسم بن حبيش وبرنامج رواياته وجنى الرطب في سني الخطب وتكتة الامثال ونفثة السحر الحلال وجهد النصيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح والامتثال لمثال المبهج في ابتداع الحكم واختراع الامثال ومفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة المعري في ملقى السبيل ومجاز فتى اللحن للاحن الممتحن مائة مسئلة ملغزة ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم في مثال النحل النبوية على لابسها الصلاة والسلام قال ابن رشيد لو قال وزكاة النثير والنظيم لكان احسن وله كتاب العجف المنشره في القطع المشره وديوان رسائله سفر وديوان شعره سفر وكتب الى الاديب الشهير أبي بحر صفوان بن ادريس المرسي عقب انفصاله من بلنسية سنة ٥٨٧

أحن الى نجد ومن حل في نجد * وماذا الذي يغني حنيني أو يجدي
وقد أوطنوها وادعين وخلفوا * محبهم رهن الصبابة والوجد
تبين بالبين اشتياقي اليهم * ووجدي فساوى ما أجن الذي أبدي
وضاقت على الارض حتى كأنها * وشاح بخصر أو سوار على زند
الى الله أشكو ما ألاقي من الجوى * وبعض الذي لاقيته من جوى يردي
فراق أخلاء وصد أحبة * كأن صروف الدهر كانت على وعد
فيا سرحتي نجد ندامتي * له ابدا شوق الى سرحتي نجد
ظمئت فهل طل يبرد لوعتي * ضحيت فهل ظل يسكن من وجدي
ويا زمنا قد بان غير مذمم * لعل لانس قد تصرم من رد
ليالي نجني الانس من شجر المنى * ونقطف زهر الوصل من شجر الصد
وسقيا لاخوان باكناف حاجر * كرام السجايا لا يحولون عن عهد
وكم لي بنجد من سري ممجد * ولا كابن ادريس أخي البشر والمجد
أخوهمة كالزهر في بعد نيلها * وذو خلق كالزهر غب الحيا العد
تجمعت الاضداد فيه جيدة * فمن خلق سبط ومن حسب جعد
أبار احلا أودي بصبري رحيله * وقال من عزمي وثلم من حدي
أتعلم ما يلقى الفؤاد لبعدكم * ألا مذ نأيتم ما يعيد ولا يبدي
فيا ليت شعري هل تعود لنا المنى * وعيشا كما نغمت حاشيتي برد
عسى الله أن يدني السرور بقربكم * فيبدو ومنا الشمل منتظم العقد

انتهى * وقال الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن عند تفسير قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا ما صورته ولقد نزل بنا العدو قصمه الله تعالى سنة سبع وعشرين

وعن قولك
بين الاشج وبين قيس باذخ
يخ لوالدة وللمولود
والله لا تبخبخ لاحد بعدها
وأمر به فضرب بت عنقه ولم
يزل يؤتى برجل رجل حتى
أتى برجل من بني عامر
وكان من فرسان الحجاج
مع ابن الاشعث فقال له
والله لاقتلنك شر قتلة
قال والله ما ذلك لك قال ولم
قال لان الله يقول في كتابه
العزيز فاذا لقيتم الذين
كفروا فضرب الرقاب حتى
اذا أثخنتموهم فشدوا
الوثاق فاما منا بعد واما
فداء حتى تضع الحرب
أوزارها وأنت قد قتلت
فاثخنت وأسرت فاثخنت
فاما أن تمن علينا أو تفدينا
عشائرنا فقال له الحجاج
أكفرت قال نعم وغيرت
وبدلت قال خلوا سبيله ثم
أتى برجل من ثقيف فقال
له الحجاج أكفرت قال نعم
قال الحجاج لكن هذا الذي
خلفك لم يكفر وخلفه
رجل من السكون قال
السكوني أعن نفسي
نخادعني بل والله لو كان
شئ أشد من الكفر لبؤت به
فخلى سبيلها فهذه جمل

من أخبار عبد الملك والحجاج وقد أتينا على مبسوط هذه الاخبار مما لم نورده في هذا الكتاب في كتابنا أخبار الزمان

والاوسط التالى له الذى ماقدمنا من الشرط فيما سلف من هذا الكتاب وبالله العون والقوة

(ذكر أيام الوليد بن عبد الملك)

بويع الوليد بن عبد الملك بدمشق فى اليوم الذى توفى فيه عبد الملك وتوفى الوليد بدمشق للنصف من جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين فكانت ولايته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين وهلك وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وكان يكنى بابى العباس

(ذكر لمع من أخباره وسيره وما كان من الحجاج فى أيامه)

كان الوليد جبارا عنيدا ظلوما غشوما وخلف من الولد أربعة عشر ذكرا منهم يزيد وعمرو ويسر العالم والعباس وكان يدعى فارس بنى مروان لشهامته فعدل الوليد بالامر عن ولده بعده اتباعا لوصية عبد الملك على حسب مارتبها وكان نقش خاتمه يا وليد انك ميت فكان كلما هم أن يجعل الامر فى ولده قلب القص فقرأ انك ميت فيقول لاها الله لاخالفت فيما أمر به انى لميت وفى سنة تسع وثمانين ابتدأ الوليد ببناء المسجد الجامع بدمشق ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فأنفق عليهما

وخمسمائة فخاس ديارنا وأسر جيرتنا وتوسط بلادنا فى عدد حدد الناس عدده فكان كثيرا وان لم يبلغ ماحدوده فقلت للوالى والمولى عليه هذا عدو الله قد حصل فى الشرك والشبكة فلتكن عندكم بركه ولتكن منكم الى نصرة الدين المتعينة عليكم حركه فليخرج اليه جميع الناس حتى لايبقى منهم أحد فى جميع الاقطار فيحاط بهم فانه هالك لامحالة وان يسركم الله له فغلبت الذنوب ورجفت بالمعاصى القلوب وصار كل أحد من الناس ثعلبا ياوى الى وجاره وان رأى المكيدة بجاره فانا لله وأنا اليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل انتهى

*ولاخفاء أن هذا كان قبل أخذ العدو الجزيرة وشرق الاندلس وسرقسطة وميورقة وغيرها مما قدمنا ذكره والبدايات عنوان النهايات * وقال أبو جعفر الوقشى البلنسى نزيل مالقة يمدح أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على

أبت غيرماء بالنخيل ورودا * وهامت به عذب الحمام برودا
وقالت لحاديها أتم زيارة * على العشر فى وردى له فازيدا
غلبتك ماهذا القنوع وبا أنا * عهدتك لاتثنين عنه وريدا
أنونا اذا ما كنت منه قريبة * وضنا اذا ما كان عنك بعيدا
ردى حضرة الملك الظليل رواقه * لعمرى ففيها تحمدين ورودا
بحيث امام الدين يوسع فضله * جميع البرايا مبدئا ومعيدا
أعاد اليها الانس بعد شروده * وأحيا النا ما كان منه أبيدا
ولين أيام الزمان بعدله * وكانت حديدا فى الخطوب حديدا
فلا ليلة الا يروقك حسنها * ولا يوم الا عاد يفضل عيدا

ومنها يصف حال الاندلس ويبعث على الجهاد

ألا ليت شعرى هل يعدلى المدى * فابصر شمل المشركين طريدا
وهل بعد يقضى فى النصارى بنصرة * تغادرهم للرهفات حصيدا
ويغزو أبو يعقوب فى شنت ياقب * يعيد عميد الكافرين عميدا
ويلقى على افرنجهم عبء كلكل * فيتركهم فوق الصعيد هجودا
يغادرهم جرحى وقتلى مبرحا * ركوعا على وجه الفلا وسجودا
ويفتك من أيدى الطغاة تواعما * تبدلن من نظم الحجول قيودا
وأقبلن فى خشن المسوح وطالما * سحبن من الوشى الرقيق برودا
وغبرمنهن التراب ترائبا * وخد منهن الهبير خدودا
فحق لدمعى أن يفيض لا زرق * تملكها دعج المدامع سودا
ويالهف نفسى من معاصم طفلة * تجاور بالقد الاليم نهودا
ويا أسفى ما ان يزال مرددا * على شمل أعياد أعيد بديدا
وآها بعد الصوت منتحبا على * خلود يارلويكون مفيدا

وقال فى آخرها وهو مما استحسنه الناس

حملت اليه من نظامى قلادة * يلقبها أهل الكلام قصيدا

غـدت يوم انشاد الفريض وحيدة * كما قصدت فى المعلوات وحيدا

ولما تمهدت الاندلس لعبد المؤمن وبنيه كان لهم فيها وقائع مع عدو الدين واجتاز اليها عبد المؤمن ثم لما ولى بعده ملكه ابنه يوسف دخل الاندلس سنة ٥٦٦ وفى صحبته مائة ألف فارس من المغرب والموحدين فنزل باشبيلية فخافه الامير أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش صاحب شرق الاندلس مرسية وأعمالها وما انضاف اليها فحمل على قلبه فرضفات وشرع السلطان يوسف فى استرجاع بلاد المسلمين من أيدى الفرنج فاتسعت مملكته بالاندلس وأغارت سراياه على طليطلة اذهى قاعدة ملكهم ثم انه حاصرها فاجتمعت طائفة الفرنج عليه واشتد الغلاء فى عسكره فرحل عنها وعاد الى حضرة ملكه مراكش المحروسة * ولم يزل أهل الاندلس بعد ظهور النصارى دمرهم الله تعالى على كثير منها يستنهضون عزائم الملوك والسوقة لاخذ الثار بالنظم والنثار فلم ينفعهم ذلك حتى اتسع الخرق واعضل الداء أهل الغرب والشرق فمن القصائد الموجهة فى ذلك قول بعضهم لما أخذت بلنسية يخاطب صاحب افريقية أبا زكريا عبد الواحد بن أبى حفص

نادت ـك أندلس فلب نداءها * واجعل طواغيت الصليب فداءها
صرخت بدعوتك العلية فأجبها * من عاطفاتك مايقى حوباءها
واشدد بجلبك جرد خيلك أزرها * تردد عـلى أعقابها أرزاءها
هى دارك القصوى أوت لايالة * ضمنت لهامع نصرها ايواءها
و بها عبيدك لابقاء لهم سوى * سبل الضراعة يسلكون سواءها
خلعت قلوبهم هنالك عزاءها * لما رأت أبصارهم ماساءها
دفعوا الابكار الخطوب وعونها * فهم الغداة يصابرون عناءها
وتنكرت لهم الليالى فاقتضت * سراءها وقضتهم ضراءها
تلك الجزيرة لابقاء لها اذا * لم يضمن الفتح القريب بقاءها
رش أيها المولى الرحيم جناحها * واعقد بارشية النجاة رشاءها
أشفى على طرف الحياة ذماؤها * فاستبق للدين الحنيف ذماءها
حاشاك أن تفنى حشاشتها وقد * قصرت عليك نداءها ورجاءها
طافت بطائفة الهدى آمالها * ترجو بيعيى المرتضى احياءها
واستشرفت أمصارها لامارة * عقدت لنصر المستضام لواءها
ياحسرتى لعقائل معقولة * سئم الهدى نحو الضلال هداءها
أيه بلنسية وفى ذكراك ما * يمرى الشؤن دماءها لاماءها
كيف السبيل الى احتلال معاهد * شب الاعاجم دونها هيجاءها
والى ربا وأباطح لم تعـر من * حلل الربيع مصيفها وشتاءها
طاب المعرس والمقيل خلالها * وتطلعت غـرر المنى أثناءها
بأبى مدارس كالطلول دوارس * نسخت نواقيس الصليب نداءها
ومصانع كسف الضلال صباحها * فيغاله الرائى اليه مساءها

وحكى عثمان بن مرة الخولانى قال لما ابتدأ الوليد ببناء مسجد دمشق وجد فى حائط المسجد لوح من حجارة فيه كتابة باليونانية فعرض على جماعة من أهل الكتاب فلم يقدروا على قراءته فوجه به الى وهب بن منبه فقال هذا مكتوب فى أيام سليمان بن داود عليهما السلام فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم لو عاينت ما بقى من يسير أجلك لزهدت فيما بقى من طول أملك وقصرت عن رغبتك وحيلك وانما تلقى ندمك اذا زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وانصرف عنك الحبيب وودعك القريب ثم صرت تدعى فلا تجيب فلا أنت الى أهلك عائد ولا فى عملك زائد فاغتنم الحياة قبل الموت والقوة قبل الفوت وقبل أن يؤخذ منك بالكظم ويحال بينك و بين العمل وكتب زمن سليمان بن داود فأمر الوليد أن يكتب بالذهب على اللازورد فى حائط المسجد بنا الله لا نعبد الا الله أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التى كانت فيه عبد الله الوليد أمير المؤمنين فى ذى الحجة سنة سبع وثمانين وهذا الكلام مكتوب بالذهب فى مسجد دمشق الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ووفد الحجاج

ناحت بها الورقاء تسمع شدوها * وغدت ترجع نوحها و بكاءها
عجبا لاهل النار حلوا جنة * منها تدعليهم أفياءها
أملت لهم فتجعلوا اما أملوا * أيامهم لاسوّغوا املاءها
بعد النفس أبصرت اسلامها * فتوكفت عن حزبها اسلاءها
أما العلوج فقد أحالوا حالها * فن المطيق علاجها وشفاءها
أهدى اليها بالمكاره جارح * للكفر كزّه ماءها وهواءها
وكفى أسى أن الفواجع جمة * فنى يقاوم أسوها أسواءها
هيهات فى نظر الامارة كفها * تخشاه ليت الشكر كان كفاءها
مولاى هاك معادة أنباءها * لتنيل منك معادة أبناءها
جرّد ظبالك لمحوآثار العدا * تقتل ضراغمها وتسب ظباءها
واستدع طائفة الامام لغزوها * تسبق الى أمثالها استدعاءها
لاغروأن يعزى الظهور لدولة * لم يبرحوا دون الورى ظهراءها
ان الاعاجم للاعارب نهبة * مهما أمرت بغزوها أحياءها
تالله لو دبت لها دبابها * لطوت عليها أرضها وسماءها
ولواستقات عوفها القالها * لاستقبلت بالمقربات عفاءها
أرسل جوارحها تجتلك بصيدها * صيد اوتادا طعنها أرحاءها
هبوالها يامعشر النوحيد قد * آن الهبوب وأحرزوا علياءها
ان الحفائظ من خلالكم التى * لايرهب الداعى بهن خلاءها
هى نكتة المحيا فيهلابها * تجدواسناها فى غد وسناءها
أولوا الجزيرة نصرة ان العدا * تبغى على أقطارها استيلاءها
نقصت بأهل الشرك من أطرافها * فاستحفظوا بالمؤمنين نماءها
حاشاكم أن تضمروا الغاءها * فى أزمة أوتضمروا اقصاءها
خوضوا اليها بحرها يصبح لكم * رهوا وجوبوا نحوها بيداءها
وافى الصريخ مثوّبا يدعولها * فاتبعملوا قصد الثواب ثواءها
دار الجهاد فلاتفتكم ساحة * ساوت بها أحياؤها شهداءها
هذى رسائلها تناجى بالنى * وقفت عليها ريثها ونجاءها
ولربما أنهت سوالب للنهى * من كائنات حملت انهاءها
وفدت على الدار العزيزة تجتنى * آلاءها أوتجتلى آراءها
مستسقيات من غيوث غيائها * ماوقعه يتقدم استسقاءها
قد أمنت فى سبلها اهواءها * اذ سوّغت فى ظلها أهواءها
و بحسبها أن الامير المرتضى * مترقب يفتوحها آناءها
فى الله ماينويه من ادراكها * بكلاءة يفدى أبى اكلاءها
بشرى لاندلس تحب لقاءه * و يحب فى ذات الاله لقاءها

بن يوسف على الوليد فوجده فى بعض نزهه فاستقبله فلما رآه ترجل له وقبل يده وجعل يمشى وعليه درع وكنانة قوس عربية فقال له الوليد اركب يا أبا محمد قال دعنى يا أمير المؤمنين استكثر من الجهاد فان بن الزبير وابن الاشعث شغلانى عنك فعزم عليه الوليد حتى ركب ودخل الوليد داره وتفضل فى غلالة ثم أذن للحجاج فدخل عليه فى حالة تلك وأطال الجلوس عنده فبينما هو يحادثه اذ جاءت جارية فسارت الوليد ومضت ثم عادت فسارته ثم انصرفت فقال الوليد للحجاج أتدرى ما قالت هذه يا أبا محمد قال لا والله قال بعثتها الى ابنة عمى أم البنين بنت عبد العزيز تقول ما عجالك لستلك لهذا الاعرابى المتسلح فى السلاح وأنت فى غلالة فارسلت اليها انه الحجاج فراعها ذلك وقالت والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق فقال الحجاج يا أمير المؤمنين دع عنك مقالة النساء زخرف القول فانما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطلعهن على سرك ولا مكايدة عدوك ولا تطعهن فى غير أنفسهن ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن واياك ومشاورتهن فى الامور فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك ولا تملك الواحدة منهن من صدق

صدق الرواة المخبرون بأنه * يشفى ضناها أو يعيد رواءها
ان دوّخ العرب الصعاب مقادة * وأبى عليها أن تطيع اباءها
فكأن بفاقة العرعرم فالقا * هام الاعاجم ناسفا أرجاءها
أنذرهم بالبطشة الكبرى فقد * نذرت صوارمه الرقاق دماءها
لا يعدم الزمن انتصار مؤيد * تنسوّغ الدنيا به سراءها
ملك أمدّ النيرين بنوره * وأفاده لألؤه لألاءها
خضعت جبابرة الملوك لعزه * ونضت بكف صغارها خيلاءها
أبقى أبو حفص امارته له * فسما اليها حامدا أعباءها
سل دعوة المهدى عن آثاره * تنبيك أن ظباه قمن ازاءها
فغزا عداها واسترق رقابها * وحمى حماها واسترد بهاءها
قبضت يداه على البسيطة قبضة * قادت له في قدّه امراءها
فعلى المشارق والمغارب ميسم * لهداه شرف وسمه أسماءها
تطمو بتونسها بحار جيوشه * فيزور زاخر موجها زوراءها
وسع الزمان فضاق عنه جلالة * والارض طراضنكها وفضاءها
ما أزمع الايغال في اكنافها * الا تصيد عزمه زعماءها
دانت له الدنيا وشم ملوكها * فاحتل من رتب العلاء شماءها
ردت سعادته على أدراجها * ليل الزمان وتنهنهت علداءها
ان يعتم الدول الغزيرة بأسه * فالآن يولى جوده اعطاءها
تقع الجلائل وهو راس راضخ * فيها يوقع للسعود جلاءها
كالطود في عصف الرياح وقصفها * لا رهوها يخشى ولا هو جاءها
سامى الذوائب في أعز ذؤابة * أعلت على قمم النجوم بناءها
بركت بكل محلة بركاته * شفعا يبادر بذلها شفعاءها
كالغيث صب على البسيطة صوبه * فسقى عمائرها وجاد قواءها
يمنيه عبد الواحد الارضى الى * عليا فتجنح بأسها وسخاءها
في نبعة كرمت وطابت مغرسا * وسمت وطالت نضرة نظراءها
ظهرت لمحتدها السماء وجاوزت * لمراد قات فخارها جوزاءها
فئة كرام لا تكف عن الوغى * حتى تصرع حولها أكفاءها
وتكب في نار القرى فوق الذرا * من عزة الويها وكباءها
قد خلقوا الايام طيب خلائق * فثنت اليهم حمدها وثناءها
ينضون في طلب الثغائس أنفسا * حبسوا على احرازها امضاءها
واذا انتضوا يوم الكريهة بيضهم * أبصرت فيهم قطعها ومضاءها
لا عذر عند المكرمات لهم متى * لم يستبن لعفاتكم عذراءها
قوم الامير فمن يقوم بحالهم * من صالحات أخمت شعراءها

انفرجت به عنك أمك فما أحقه بالاخذ عنك والقبول منك وان كن ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فانه غير قابل منك ولا مصغ

لفضلك ثم نهض الحجاج فخرج ودخل الوليد على أم البنين فأخبرها بمقالة الحجاج فقالت يا أمير المؤمنين أحب ان تأمره غدا بالتسليم على فقال أفعل فلما غدا الحجاج على الوليد قال له يا أبا محمد سر الى أم البنين فسلم عليها فقال اعفني من ذلك يا امير المؤمنين فقال لابد من ذلك فمضى الحجاج اليها فجبهته طويلا ثم أذنت له فاقرّته قائما ولم تأذن له في الجلوس ثم قالت ايه يا حجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الاشعث أما والله لولا أن الله جعلك أهون خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة ولا بقتل ابن ذات النطاقين وأول مولود ولد في الاسلام وأما ابن الاشعث فقد والله والى عليك الهزائم حتى لذت بامير المؤمنين عبد الملك فاغاثك بأهل الشام وأنت في أضيق من القرن فأظلتك رماحهم وانجاك كفاحهم ولولا ذلك لكنت أذل من النقد وأما ما اشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع من بلوغ أوطاره من نسائه فان كن

يطول على ليلى رب خطب * يطول لهوله الليل القصير
خذوا ثار الديانة وانصروها * فقد حامت على القتلى النسور
ولا تهنوا وسلوا كل عضب * تهاب مضاربا عنه النحور
وموتوا كلكم فالموت أولى * بكم من أن تجاروا أو تجوروا
أصبرا بعد سبي وامتهان * يلام عليهما القلب الصبور
فأم الصبر مذكار ولود * وأم الصقر مقلات نزور
نخور اذا دهينا بالرزايا * وليس بمعجب بقر يخور
ونجبن ليس نزأر لو شجعنا * ولم نجبن لكان لنا زئير
لقد ساءت بنا الاخبار حتى * أمات المخبرين بها المخبر
أتتنا الكتب فيها كل شر * وبشرنا بانحسنا البشير
وقيل تجمعوا الفراق شمل * طليطلة تملكها الكفور
فقل فى خطة فيها صغار * يشيب لكربها الطفل الصغير
لقد صم السميع فلم يعول * على نباكما عمى البصير
تجاذبنا الاعادى باصطناع * فمنجذب المخول والفقير
فباق فى الديانة تحت خزى * تثبطه الشويهة والبعير
وآخر مارق هانت عليه * مصائب دينه فله السعير
كفى حزنا بأن الناس قالوا * الى أين التحول والمسير
أنترك دورنا ونفر عنها * وليس لنا وراء البحر دور
ولا ثم الضياع تروق حسنا * نباكرها فيجبنا البكور
وظل وارف وخرير ماء * فلا قر هناك ولا حرور
ويؤكل من فواكهها طرى * ويشرب من جداولها نمير
يؤدى مغرم فى كل شهر * ويؤخذ كل صائفة عشور
فهم أحمى لحوزتنا وأولى * بناوهم الموالى والعشير
لقد ذهب اليقين فلا يقين * وغر القوم بالله الغرور
فلا دين ولا دنيا ولكن * غرور بالمعيشة ماغرور
رضوا بالرق بالله ماذا * رأوا وما أشاربه مشير
مضى الاسلام فابك دماعليه * فما ينفى الجوى الدمع الغزير
ونح واندب رفاقا فى فلاة * حيارى لا تحط ولا تسير
ولا تجنح الى سلم وحارب * عسى أن يجبر العظم الكسير
أتعمى عن مراشدنا جميعا * ومالان منهم الابصير
ونلقى واحدا ويفر جمع * كما عن قانص فرت حمير
ولو أنا ثبتنا كان خيرا * ولكن مالنا كرم وخير
اذا ما لم يكن صبر جميل * فليس بنافع عدد كثير

الوليد ثم حول وجهه عنه وأشار بالمصراع الثانى الى نسائه وهن المستعبرات (وذكر العتبى) وغيره من الاخباريين ان عبد الملك لما سأله الوليد عن خبره وهو يجود بنفسه انشأ يقول

كم عائد رجلا وليس يعوده * الا لينظر هل براه يموت

وقيل ان عبد الملك نظر الى الوليد وهو يبكى عليه عند رأسه فقال ياهذا احفن الحجامة اذا أنامت فشمر واتزر بالبس جلد نمر وضع شيفك على عاتقك فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه ومن سكت مات بدائه ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا فقال ان طويلك لقصير وان كثيرك لقليل وان كنا منك لفى غرور ثم أقبل على جميع ولده فقال أوصيكم بتقوى الله فانها عصمة باقية وجنة واقية فالتقوى خير زاد وأفضل فى المعاد وهى أحصن كهف وليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير مع سلامة الصدور والاخذ بجميل الامور وايا كم والبغى والتحاسد فبهما هلك الملوك الماضون وذووا العز المكين يابنى أخوكم مسلمة نابكم الذى تفزعون به اصدروا عن رأيه وأكرموا النجاح فانه الذى وطأ لكم هذا الامر كونوا أولادا

الارحل له رأى أصيل * بهما نحاذر نستجير
يكر اذا السيوف تناولته * وأين بنا اذاولت كرور
ويطعن بالقنا الخطار حتى * يقول الرمح ماهذا الخطير
عظيم أن يكون الناس طرا * باندلس قتيل أو أسير
أذكر بالقراع الليث حرصا * على أن يقرع البيض الذكور
يبادر خرقها قبل اتساع * لخطب منه تخسف البدور
يوسع للذى يلقاه صدرا * فقد ضاقت بما تلقى صدور
تنغصت الحياة فلا حياة * وودع جزيرة اذ لا مجير
قليل فيه هم مستكن * ويوم فيه شر مستطير
ونرجو أن يتيح الله نصرا * عليهم انه نعم النصير

ومن مشهور ماقيل فى ذلك قول الاديب النهير أبى البقاء صالح بن شريف الرندى رحمه الله تعالى

لكل شئ اذا ماتم نقصان * فلا يغر بطيب العيش انسان
هى الامور كما شاهدتها دول * من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد * ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة * اذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضى كل سيف للفناء ولو * كان ابن ذى يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمن * وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ماشاده شداد فى ارم * وأين ماساسه فى الفرس ساسان
وأين ماحازه قارون من ذهب * وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له * حتى قضوا فكأن القوم ماكانوا
وصار ماكان من ملك ومن ملك * كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على كسرى وقاتله * وأم كسرى فما آواه ايوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب * يوما ولا ملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوعة * وللزمان مسرات وأحزان
وللحوادث سلوان يسهلها * وما لما حل بالاسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له * هوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين فى الاسلام فارتزأت * حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ماشأن مرسية * وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكم * من عالم قد سما فيها له شان
وأين حمص وما تحوى به من نزه * ونهرها العذب فياض وملآن
قواعدا كن أركان البلاد فما * عسى البقاء اذا لم تبق أركان
تبكى الحنيفية البيضاء من أسف * كما بكى لفراق الالف هيمان

أبرارا وفى الحروب أحرارا وصية أولاده هذه كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال كما قال الله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم الى قوله ما كنتم تزعمون فكان هذا آخر كلام سمع منه فلما قضى سجاه الوليد ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لم أر مثلها مصيبة ولا مثلها نعمة فقدت الخليفة وتقلدت الخلافة فانا لله وانا اليه راجعون على المصيبة والحمد لله رب العالمين على النعمة ثم دعا الناس الى بيعته فبايعوا ولم يختلف عليه أحد ومات فى أيام الوليد عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وذلك فى سنة سبع وثمانين وكان جوادا كريما وذكر أن سائلا وقف عليه فقال تصدق بما رزقك الله فانى نبئت أن عبيد الله بن العباس أعطى سائلا ألف درهم واعتذر اليه فقال وأين أنا من عبيد الله قال له أين أنت فى الحسب أو فى كثرة المال قال فيهما جميعا قال ان الحسب فى الرجل مروءته وحسن فعله فاذا فعلت ذلك كنت حسيبا فاعطاه ألفى درهم واعتذر اليه فقال له السائل ان لم تكن عبيد الله فانت خير منه وان كنت هو فانت اليوم خير منك

أمس فاعطاه ألفا أيضا فقال لئن كنت عبيد الله انك لاسمع أهل دهرك وما

على ديار من الاسلام خالية * قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما * فيهن الا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة * حتى المنابر ترثي وهي عيدان
ياغافلا وله في الدهر موعظة * ان كنت في سنة فالدهر يقظان
وما شيامرحا يلهيه موطنه * أبعد حمص تغر المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها * ومالها مع طول الدهر نسيان
يارا كبين عتاق الخيل ضامرة * كانها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة * كانها في ظلام النقع نيران
و راتعين وراء البحر في دعة * لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل اندلس * فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم * قتلى وأسرى فما يهتز انسان
ماذا التقاطع في الاسلام بينكم * وأنتم ياعباد الله اخوان
ألا نفوس أبيات لها همم * أما على الخير أنصار وأعوان
يامن لذلة قوم بعد عزهم * أحال حالهم كفر وطغيان
بالامس كانوا ملوكا في منازلهم * واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم * عليهم من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم * لهالك الامر واستهوتك أحزان
ياأم وطفل حيل بينهما * كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس اذ طلعت * كانما هي ياقوت ومرجان
يقودها العجل للمكروه مكرهة * والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد * ان كان في القلب اسلام وايمان

انتهت القصيدة الفريدة ويوجد بايدي بعض الناس زيادات فيها ذكر غرناطة وبسطة وغيرهما مما أخذ من البلاد بعد موت صالح بن شريف وما اعتمدته منها نقلته من خط من يوثق به على ما كتبته ومن له أدنى ذوق علم أن ما يزيدون فيها من الابيات ليست تقارب بها في البلاغة وغالب ظني أن تلك الزيادة لما أخذت غرناطة وجميع بلاد الاندلس اذ كان أهلها يستنهضون همم الملوك بالمشرق والمغرب فكأن بعضهم لما أعجبته قصيدة صالح بن شريف زاد فيها تلك الزيادات وقد بينت ذلك في أزهار الرياض فليراجع وصالح بن شريف الرندي صاحب القصيدة من أشهر أدباء الاندلس ومن بديع نظمه قوله

سلم على الحي بذات العرار * وحي من أجل الحبيب الديار
وخل من لام على حبهم * فما على العشاق في الذل عار
ولا تقصر في اغتنام المنى * فما لنا الى الانس الا قصار
وانما العيش لمن رامه * نفس تداري وكؤس تدار
وروحه الراح وريحانه * في طيبه بالوصل أو بالعقار

أخالك الامن رهط فيهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسألك بالله أنت هو قال نعم قال والله ما أخطأت الاباعتراض الشك بين جوانحي والا فهذه الصورة الجميلة والهيئة المنيرة لا تكون الا في نبي أو عترة نبي وذكر أن معاوية وصله بخمسمائة ألف درهم ثم وجه له من يتعرف له خبره فانصرف اليه فاعلمه انه قسمها في سماره واخوانه حصصا بالسوية وأبقى لنفسه مثل نصيب أحدهم فقال معاوية ان ذلك ليسوءني ويسرني فاما الذي يسرني فان عبد مناف والده وأما الذي يسوءني فقرابته من ابي تراب (قال المسعودي) وقد قدمنا خبر مقتل ابني عبيد الله فيما سلف من هذا الكتاب وهما عبد الرحمن وقثم وما ولدته ابنة أمهما أم حكيم حويرية بنت فارط بن خالد الكنانية وقد كان عبيد الله بن العباس دخل يوما على معاوية وعنده قاتلهما بشر بن أرطاة العامري فقال له عبيد الله أيها الشيخ أنت قاتل الصبيين قال نعم قال والله لوددت أن الارض انبتتني عندك يومئذ فقال له بشر فقد انبتتك الساعة فقال عبيد الله الا سيف فقال بشر هاك سيفي فلما هوى عبيد الله الى السيف ليتناوله قبض

لاصبر للشئ على ضده * والخمر والهم كماء ونار
مدامة مدنية للنى * فى رقة الدمع ولون النضار
سما أبو يق أباريقها * تنافست فيها النفوس الكبار
معلتى والبر من علتى * ما أطيب الخمرة لولا الخمار
ما أحسن النار التى شكلها * كالماء لو كف شرار الشرار
وبى وان عذبت فى حبه * يبعده على اقتراب المزار
خلج غرير نام عن لوعتى * ولا أذوق النوم الا غرار
ذو وجنة كانها روضة * قد بهر الورد بها والبهار
رجعت للصبوة فى حبه * وطاعة اللهو وخلع العذار
يا قوم قولوا بذمام الهوى * أهكذا يفعل حب الصغار
وليلة نبهت أجفانها * والفجر قد فجر نهر النهار
والليل كالهزوم يوم الوغى * والشهب مثل الشهب عند الفرار
كأنما استغنى السها خيفة * وطولب النجم بشار فشار
كذا كما شابت نواصى الدجا * وطير النسر أخاه فطار
وفى الثريا قمر سافر * عن غرة غير منها السفار
كأن عنقودا تثنى به * اذ صار كالعرجون عند السرار
كانها تسبك ديناره * وكفها يقتل منه السوار
كأنما الظلماء مظلومة * تحكم الفجر عليها فخار
كأنما الصبح لمشتاقه * عز غنى من بعد ذل افتقار
كأنما الشمس وقد أشرقت * وجه أبى عبد الاله استنار
محمد محمد كاسمه * شخص له فى كل معنى يشار
أما المعالى فهو قطب لها * والقطب لاشك عليه المدار
مؤثل المجد صريح العلا * مهذب الطبع كريم النجار
تزهى به لخم وساداتها * وتنتمى قيس له فى الفخار
يفيض من جوديديه على * عافيه ما منه تحار البحار
اليمن من يمناه حكم جرى * اليسر من شيمة تلك اليسار
أخ صفا منه لنا واحد * فالدهر مما قد جنى فى اعتذار
فان شكرنا فضله مرة * فقد سكرنا من نداه مرار
ونحن منه فى جوار العلا * تدور للسعد بنا منه دار
الحافظ الله واسماؤه * لذلك الجار وذاك الجوار

(رجع) وقد رأيت أن أثبت هنا رسالة خاطب بها الكاتب البارع القاضى أبو المطرف ابن عميرة المخزومى الشيخ الحافظ أبا عبد الله بن الابار يذكر له أخذ العدو مدينة بلنسية وهى

قد كبرت وذهل عقلك * تعمد الى رجل موتور من بنى هاشم فتدفع اليه سيفك انك لغافل عن قلوب بنى هاشم والله لو تمكن من السيف لبدأ بنا قبلك قال عبيد الله ذلك والله أردت (وكان على عليه السلام) حين أتاه خبر قتل بشر لابنى عبيد الله قشم وعبد الرحمن دعا على بشر فقال اللهم اسلبه دينه وعقله فخرف الشيخ حتى ذهل عقله واشتهر بالسيف فكان لا يفارقه فجعل له سيف من خشب وجعل فى يديه زق منفوخ كلما تخرق أبدل فلم يزل يضرب ذلك الزق بذلك السيف حتى مات ذاهل العقل يلعب بخرئه وربما كان يتناول منه ثم يقبل على من يراه فيقول انظروا كيف يطعمنى هذان الغلامان ابنا عبيد الله وكان ربما شدت يداه الى وراء منعا من ذلك فأنجى ذات يوم فى مكانه ثم أهوى بفيه فتناول منه فبادروا الى منعه فقال أنتم تمنعونى وعبد الرحمن وقشم يطعمانى ومات بشر فى أيام الوليد ابن عبد الملك سنة ست وثمانين وفيها مات عبد الله ابن عتبة بن مسعود الهذلى وعتبة مهاجر وهو أخو عبد الله بن مسعود بن غافل

ألا فئة للدهر تدنو بمن نأى * وبقيا يرى منها خلاف الذى رأى
ويامن عذيرى منه يعذر من أوى * اليه ولا يدرى سوى خلف من وأى
ذخائر ما فى البر والبحر صيده * فلا لؤلؤا يبقى عليه ولا واى

أيها الاخ الذى دهش ناظرى لكتابه بعد أن ادهش خاطرى من اغبابه وسرنى من بشره ايماض بعد أن ساءنى من جهته اعراض جرت على ذكره الصلة فقوم قدح نبعتها وروى أكناف قلعتها وأحدث ذكرا من عهدنا الماضى فنقط وجه عروسه وشعشع خمر كؤوسه وسقى بماء الشبيبة ثراه وأبرز مثال مرآة الغريبة مرآه فبورك فيه أحوذيا وصل رحمه وكم انظره من البهجة ما كان حرمه وحيا الله تعالى منه وليا عنى سالف عهدى تمادى وبشعار ودى نادى و بين والاحسان شيمته وأبان والبيان لا تنجاب عنه ديمته ولا تغلو بغير قلمه قيمته واعتذر عن كلمة تمنى تبديلها ودعوة ذكر وجوم النادى لها ثم أرسلها ترجف بوادرها من خيفه وتوغر زعم صدور قلم وصحيفه وتندر من ريحانة قريش أن تمنعه عرفها وتحدق اليه طرفها واتقى غارة على غره من الناجى برأس طمره ولم يأمن هجران المهاجر بعد وصله وعكر عكرمة المغطى بحلمه على أبى جهله وعند ذكر كتيبة خالد أحجم وذكر يوم أحاطت به فارس فاستلجم فاعتذر عما قال واضمر الحذر الا أن يقال فهلا أيها الموفى على علمه النافث بسحر قلمه أتظن منزلتك فى البلاغة ومهيعها الاحب ومنزعها بالعقول لاعب تسفل وقد ترتفع أو تخفى وان تلفعت عرفنائك باسوده وشهرت حلة عطارد الملاحة والجوده فلم حين تهيب الاخ الاوحد من قصى عطارفها ولو استشار من حفائظها تالدها وطارفها لم يذكر قومه عند أبيها وقد رام خطة أشرف على تأبيها حين أهاب بكم لمهمه ودعا منكم اخاه لأمه ولولا ذلك لما خلا له وجه الكعبه ولا خلص من تلك المضايق الصعبه وبأن أعرتموه نجدتكم الموصوفه غلب على ما كان بايدى صوفه فكيف نجحد اليد عندنا أو نشجد أسنة الالسنة لدنا أو كيف نلقاكم بحدنا وأبوكم بكر معدنا وماتيا منكم الى سبا بن يشجب وان أطلنا فيه التعجب بالذى يقطع أرحامنا ويمنع اشتباكنا وتحامنا بعد أن شددنا فعالنا بفعالكم ورأينا أقدامنا فى نعالكم ولو شئتم توعدتم بأسود سؤدد كم عند الاقدام والحماح الحافكم فى ضرب الهام لكن نقول ان قومنا لكرام ولو شاؤا كان لنا فيكم شره وعرام وأعود من حيث بدأ الاخ الذى أبثه شوقى وأتظم حلاوة عشرته باقية فى حاسة ذوقى طار حنى حديث مورد جف وقطين خف فبالله لا تراب درجوا وأصحاب عن الاوطان خرجوا قصت الاجنحة وقيل طيروا وانما هو القتل أو الاسر أو تسيروا وتفرقوا أيدى سبا وانتشروا مل الوهاد والربا ففى كل جانب عويل وزفره وبكل صدر غليل وحسره ولكل عين عبره لا ترقأ من أجلها عبره داء خامر بلادنا حين أتاها وما زال بها حتى سجى على موتاها وشجا اليوم الاطول كلها وفتاها واندر بها فى القوم بحران أنيجه يوم اثاروا اسدها المهيجه فكانت تلك الحطمة طل الشؤبوب وباكورة البلاء المصبوب أشكلتنا اخوانا أبكانا نعيهم والله أحوذيهم والمعيهم ذاك أبو ربيعنا

بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وكانت الرياسة فى الجاهلية فى صبح بن كاهل ابن الحرث بن تميم بن سعد ابن هذيل وكان ولد عبد الله بن عتبة عبيد الله من كبار أهل العلم ذكر ابن أبى خيثمة قال سمعت ابن الاصبهانى يقول قال سفيان قال الزهرى كنت أظن انى نلت من العلم حتى جالست عبيد الله بن عبد الله فكانما هو البحر وفى سنة أربع وتسعين قتل الحجاج سعيد بن جبير فذكر عون بن أبى راشد العبدى قال لما ظفر الحجاج بسعيد بن جبير وصل اليه قال له ما اسمك قال اسمى سعيد بن جبير قال بل شقى بن كسير قال أبى كان أعلم باسمى منك قال لقد شقيت وشقى أبوك قال له الغيب انما يعلمه غيرك قال لابدلنك بالدنيا نارا تلظى قال لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذت الها غيرك قال فما قولك فى الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فاختر أى قتلة تريد أن أقتلك قال بل اختر يا شقى لنفسك فوالله فما تقتلنى اليوم بقتلة الا قتلتك فى الآخرة بمثلها فأمر به الحجاج فاخرج ليقتل فلما رأى ضحك فامر الحجاج برده وسأله عن ضحكه فقال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عنك فامر

به فذبح فاما كب لوجهه قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الحجاج غيره ومن بالله ثم قال اللهم لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدى فذبح واحتز رأسه ولم يعش الحجاج بعده الا خمس عشرة ليلة حتى وقعت فى جوفه الاكلة فمات من ذلك ويروى انه كان يقول بعد قتل سعيد يا قوم مالى ولسعيد بن جبير كلما هممت على النوم أخذ بحلقى واشتكى الوليد فبلغه عن أخيه سليمان تمنى لموته لما له من العهد بعده فكتب اليه الوليد يعتب عليه الذى بلغه وكتب فى كتابه هذه الابيات

تمنى رجال أن أموت وان أمت
فتلك سبيل لست فيها بأوحد
لعل الذى يرجو فنائى ويدعى
به قبل وقتى أن يكون هو الردى
فما موت من قدمات قبلى بضائرى
ولا عيش من قد عاش بعدى بمخلدى
فقل للذى يرجو خلاف الذى مضى
تزود والا خرى غيرها فكأن قد
مقيم تجرى لوقت وحتفه
سيلحقه يوما على غير موعد

فاجابه سليمان فهمت ما قال أمير المؤمنين ووالله ان كنت تمنيت ذلك لما يخطر ببالى انى لاول وثالث وشيخ جميعنا سعد بشهادة يومه ولم يرمايسوءه فى أهله وقومه وبعد ذلك أخذ من الام بالخنق وهى بلنسية ذات الحسن والبهجة والرونق ومالبث أن أخرس من مسجدها لسان الاذان وأخرج من جسدها روح الايمان فبرح الخفاء وقيل على آثار من ذهب العفاء وانعطفت النوائب مفردة ومركبة كما تعطف الفاء فاودت الخفقة والحصافه وذهب الجسر والرصافه ومزقت الحلة والشمله وأوحشت الحرف والرمله ونزلت بالحارة وقعة الحره وحصلت الكنيسة من جآزرها وظبائها على طول الحسره فاين تلك الخمائل ونضرتها والجداول وخضرتها والاندية وأرجها والاودية ومنعرجها والنواسم وهبوب مبتلها والاصائل وشجوب معتلها دارضا حكت الشمس بحرها وبحيرتها وازهارترى من ادمع الظل فى أعينها ترددها وحيرتها ثم زحفت كتيبة الكفر بزرقها وشقرها حتى احاطت بجزيرة شقرها فاها المسقط الرأس هوى نجمه ولفادح الخطب سرى كلمه و بالجنة أجرى الله تعالى النهر تحتها وروضة أجاد أبو اسحق نعتها وانما كانت داره التى فيها دب وعلى أوصاف محاسنها أكب وفيها أتته منيته كما شاء وأحب ولم تعدم بعده محبين قشيبهم اليها ساقوه ودمعهم عليها أراقوه وقد أثبت من النظم ما يليق بهذا الموضع وان لم يكن له ذلك الموقع

أقلوا ملامى أو فقولوا أو اكثروا * ملومكم عما به ليس يقصر
وهل غير صب ما تنى عبراته * اذا صعدت أنفاسه تتعذر
يحن وما يجدى عليه حنينه * الى أربع معر وفها متنكر
ويندب عهدا بالمشقر فاللوى * وأين اللوى منه وأين المشقر
تغير ذاك العهد بعدى وأهله * ومن ذا على الايام لا يتغير
وأقفر رسم الدار الا بقيه * لسائلها عن مثل حالى تخبر
فلم تبق الا زفرة اثر زفرة * ضلوعى لها تتقد أو تتفطر
والاشتياق لا يزال يهزنى * فلا غاية تدنو ولا هو يفتر
أقول لسارى البرق فى جنح ليلة * كلانا بها قد بات يبكى و يسهر
تعرض مجتازا فكان مذكرا * بعهد اللوى والشئ بالشئ يذكر
أتأوى لقلب مثل قلبك خافق * ودمع سفوح مثل دمعك يقطر
وتحمل أنفاسا كومضك نارها * اذا رفعت تبدو لمن يتنور
يقر لعينى أن أعاين من نأى * لما أبصرته منك عيناى تبصر
وأن يترا آك الخليط الذين هم * بقلبى وان غابوا عن العين حضر
كفى حزنا أنا كأهل محصب * بكل طريق قد نفرنا ونفر
وأن كلينا من مشوق وشائق * بنار اغتراب فى حشاه تسعر
ألا ليت شعرى والامانى ضلة * وقولى ألا ليت شعرى تحير
هل النهر عقد للعزيرة مثل ما * عهدنا وهل حصباؤه وهى جوهر
وهل للصبا ذيل عليه تجره * فيزور عنه موجه المتكسر

وتلك المغانى هل عليها طلاوة * بعاراق منها أو بعارق تسحر
ملاعب أفراس الصبابة والصبا * تروح اليها تارة وتبكر
وقبلى ذاك النهر كانت معاهد * بها العيش مطلول الخميلة أخضر
بحيث بياض الصبح أزرار جيبه * تطيب وأردان النسيم تعطر
ليال بماء الورد ينضح ثوبها * وطيب هواه فيه مسك وعنبر
وبالجبل الادنى هنالك خطانا * الى اللهو لا نكبو ولا نتعثر
جناب بأعلاه بهار ونرجس * فأبيض مفتر الثنايا وأصفر
وموردنا فى قلت قلب كتلة * حذارا علينا من قذى العين تستر
وكم قد هبطنا القاع نذعر وحشه * ويا حسنه مستقبلا حين يذعر
تقود اليه طائعا كل جارح * له مخبر رحب وخصر مضمر
اذا مارمينا به عبثت به * مدللة الاطراف عنهن تكشر
تضم لأروى النيق جزان سهلها * وقد فقدت فيها مهاة وجؤذر
كذاك الى أن صاح بالقوم صائح * وأنذر بالبين المشتت منذر
وفرقهم أيدى سبا وأصابهم * على غرة منهم قضاء مقدر

ونعود الى حيث كنا من تبدد شمل الجزيره وطى بساط الجزيره أما شاطبة فكانت من قصبتها شوساء الطرف وبيطلياتها عروسا فى نهاية الظرف فتخلى عن الذروة من أخلاها وقيل للكافر شأنك وأعلاها فقبل أن تضع الحرب أوزارها كشط عنها ازارها فاستحل الحرمة أو تأولها وما انتظر أقصر المدة ولا أطولها وأما تدمير فجاد عودها على المصر وأمكنت عدوها من القصر فداجى الكفر الايمان وناجى الناقوس الاذان وماوراءها من الاصقاع التى باض الكفر فيها وفرخ وأنزل بها ما أنسى التاريخ ومن أرخ فوصفكم على الحادثة فيها أتى وفى ضمان القدرة الانتصاف من عدو عثا وعتا وانا لنرجوها كرة تفك البلاد من أسرها وتجبرها بعد كسرها وان كانت الدولة العامرية منعت بالقراع ذمارها ورفعت على اليفاع نارها فهذه العمرية بتلك المنقبة اخلق والعدو لها اهيب ومنها أفرق وما يستوى نسب مع البقل نبت وبالمستفيض من النقل ماثبت وآخر علت سماؤه على اللمس ورسا ركنه فى الاسلام رسو قواعده الخمس وكان كما قال أبو حنيفة فى خبر المسح جاء نامثل الشمس والايام العمرية هى أم الوقائع المحكية ومن شاء عدها من اليرموكية الى الاركيه وهذه الايام الزاهرة هى زبدة حلاوتها وسجدة تلاوتها وامامتها العظمى أيدها الله تعالى تمهل الكافر مدة املائه ثم تشفى الاسلام من دائه وتطهر الارض بتجسس دمائه بفضل الله تعالى المرجو زيادة نعمه قبلها وآلائه راجعت سيدى مؤديا ما يجب أداؤه ومقتديا وما كل أحد يحسن اقتداؤه وانما ناضلت تعليا وعهدى بالنضال قديم وناظرت جدليا وما عندى للمقال تقديم وأطعته فى الجواب ولقريحتى يعلم الله تعالى نكول ورويتى لولاحق المسئلة بطير الحوادث المرسلة عصف ما كول أتم الله تعالى عليه آلاءه وحفظ مودته وولاءه ومتع بخلته الكريمة اخلاءه بمنه والسلام انتهت الرسالة * ورأيت فى

فلمثل ريب الدهر ألف بينكم * بتواصل وترحم وتودد حتى تلين جلودكم وقلوبكم * بمسود منكم وغير مسود

يظعنون عنه وقد بلغ أمير المؤمنين ما لم يظهر من لفظى ولا يرى من لحظى ومتى سمع أمير المؤمنين من أهل النميمة ومن ليست له روية أوشك أن يسرع فى فساد النيات ويقطع بين ذوى الارحام والقرابات وكتب فى أسفل الكتاب ومن لا يغمض عينه عن صديقه

وعن بعض ما فيه يمت * وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

فكتب اليه الوليد ما * أحسن ما اعتذرت به
وحذوت عليه وأنت الصادق فى المقال والكامل فى الفعال وما شئ أشبه بك من اعتذارك ولا أبعد مما قيل فيك والسلام وكان الوليد متحننا على اخوته مراعيا السائر ما أوصاه به عبد الملك وكان كثير الانشاد لابيات قالها عبد الملك حين كتب وصيته منها

اعفوا الضغائن عنكم وعليكم * عند المغيب وفى حضور المشهد
بصلاح ذات البين طول بقائكم * ان مد فى عمرى وان لم يمدد

ان القداح اذا اجتمعن فرامها ٦٠٠ * بالكسر ذو حنق وبطش باليد عزت فلم تكسر وان هي بددت * فالوهن والتكسير للمتبدد

وكان عبد الملك مواظبا على حث أولاده على اصطناع المعروف وبعثهم على مكارم الاخلاق وقال لهم يا بني عبد الملك أحسابكم أحسابكم صونوها بذل أموالكم فما يبالى رجل ما قيل فيه من الهجو بعد قول الاعشى

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم
وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

وما يبالى قوم ما قيل فيهم من المدح بعد قول زهير

على مكثريهم حق من يعتريهم
وعند المقلين السماحة والبذل

(حدث) عبد الله بن اسحق ابن سلام عن محمد بن حبيب قال صعد الوليد المنبر فسمع صوت ناقوس فقال ما هذا قيل البيعة فأمر بهدمها وتولى بعض ذلك بيده فتتابع الناس يهدمون فكتب اليه الاخرم ملك الروم ان هذه البيعة قد أقرها من كان قبلك فان يكونوا أصابوا فقد أخطأت وان تكن أصبت فقد أخطؤا فقال من يجيبه فقال الفرزدق يكتب اليه وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين

نواسم

رحلة ابن رشيد لما ذكر أبا المطرف ما صورته وأما الكتابة فقد كان حامل لوائها كما قال بعض أصحابنا الان الله تعالى له الكلام كما ألان الحديد لداود عليه السلام وأخبرنى شيخنا أبو بكر ان شيخه ابا المطرف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم فاعطاه حزمة اقلام وقال استعن بهذه على كتابتك او كما قال صلى الله عليه وسلم * وبعد كتبى لهذه الرسالة رأيت أن اذكر رسالة الحافظ ابن الابار التى هذه جواب عنها وهى من غرض ما نحن فيه فلنقتبس نور البلاغة منها وهى سيدى وان وجم لها النادى وجمجم بها المنادى ذلك لصغرها عن كبره فى المعارف الاعلام وصدرها يوغر صدور الصحائف والاقلام واعيذ ريحانة قريش ان تروح من حفيظتها فى جيش قدها بتهامغاور كل حى وأجابتها الغطاريف من قصى تدلف بين يديها كتيبة خالد وتحلف لا قدحت نار الهيجاء بزند صالد أو تنصف من غامطها وتقذف به وسط غطامطها لاجرم أنى من جريمتى حذر وعما وضحت به قيمتى للجد معتذر الا أن يصوح من الروض نبته وجناته ويصرح بالقبول حلمه وأناته الحديث عن القديم شجون والشان بتقاضى الغريم شؤون فلا غرو أن أطارحه اياه وأفاتحه الامل فى لقياه ومن لى بمقالة مستقله أو اطالة غير مخله أبت البلاغة الاعمادها ومع ذلك فسأنبئ عما دهى درجت اللدات والاتراب وخرجت الروم بنا الى حيث الاعراب أيام دفعنا الاعظم الاخطار وجفعنا بالاوطان والاوطار فالام نذارى برح الالم وحتام نسارى النجم فى الظلم جمع أوصاب ماله من انقضاض ومضض اعتراب شد عن ابن مضاض فلو سمع الاول بهذا الحادث ما ضرب المثل بالحارث يالله من جلاء ليس به يدان وتناء قلما يسفر عن ندان وعد الجد العاثر لقاءه فأنجز ورام الجلد الصابر انقضاءه فأعجز هؤلاء الاخوان مكنهم لا يمتع به أوان وبينهم كنبت الارض ألوان بين هائم بالسرى ونائم فى الثرى من كل صنديد بطل أو منطيق غير ذى خطا ولا خطل قامت عليه النوادب لما قعدت به النوائب وهجمت بيوتها لمفناه الجاجم والذوائب وأما الاوطان المحبب عهدها بحكم الشباب المشيب فيها بمحاسن الاحباب فقد ودعنا معاهدها وداع الابد وأخنى عليها الذى أخنى على لبد أسلمها الاسلام وانتظمها الانتشار والاصطلام حين وقعت أثمرها الطائره وطلعت أنحسها الغائره فغلب على الجذل الحزن وذهب مع المسكن السكن

كزعزع الريح صك الدوح عاصفها * فلم يدع من جنى فيها ولا غصن

وأهاوواها يموت الصبر بينهما * موت الحامد بين البخل والجبن

أين بلنسية ومغانيها وأغاريدورقها وأغانيها أين حلى رصافتها وجسرها ومنزلا عطائها ونصرها أين أفياؤها تندى غضاره وركاؤها تبدو من خضاره أين جداولها الطفاحة وخمائلها أين جنائبها النفاحة وشمائلها شذ ما عطل من قلائد أزهارها نحرها وخلعت شعشعانية ضحاها بحيرتها وبحرها فأية حيلة لاحيلة فى صرفها مع صرف الزمان وهل كانت حتى بانت الا رونق الحق وبشاشة الايمان ثم لم يلبث داء عقرها أن دب الى جزيرة شقرها فام عذبها النمير وذوى غصنها النضير وخرست حمائم أدواحها وركدت

نواسم أرواحها ومع ذلك اقتحمت دانيه فنزحت قطوفها وهى دانية وبالشاطبة وبطعائها من حيف الايام وانحائها ولهفاء ثم لهفاء على تدمير وتلاعها وجيان وقلاعها وقرطبة ونواديها وحمص ووادیها كلها رعى كلؤها ودهى بالتفريق والتمزيق ملؤها عض الحصار أكثرها وطمس الكفر عينها وأثرها وتلك البيرة بصدد البوار وريه فى مثل حلقة السوار ولا مرية فى المرية وخفضها على الجوار الى بنيات لواحق بالامهات ونواطق بها لاول ناطق بهات ماهذا النفخ بالمعمور اهو النفخ فى الصور ام النفر عاريا من الحج المبرور ومالاندلس اصيبت بأشرافها ونقصت من اطرافها قوض عن صوامعها الاذان وصمت بالنواقيس فيها الآذان اجنت مالم تجن الاصقاع اعقت الحق فحاق بها الايقاع كلا بل دانت للسنه وكانت من البدع فى احصن جنه هذه المروانية مع اشتداد اركانها وامتداد سلطانها القت حب آل النبوة فى حبات القلوب والوت ما ظفرت من خلعة ولا قلعة بطلوب الى المرابطة باقاصى الثغور والمحافظة على معالى الامور والركون الى الهضبة المنيعه والروضة المريعه من معاداة الشيعه وموالاة الشريعه فليت شعرى بم استوثق تمحيصها ولم تعلق بعموم البلوى تخصيصها اللهم غفرا طالما ضحر ومن الانباء ما فيه مزدجر جرى بما لم تقدره المقدور فعاسى ان ينفث به المصدور وربنا الحكيم العليم فحسبنا التفويض له والتسليم وياعجبا لبنى الاصفر أنسيت مرج الصفر ورميها يوم اليرموك بكل أغلب غضنفر دع ذا فالعهد به بعيد ومن اتعظ بغيره فهو سعيد هلا تذكرت العامرية وغزواتها وهابت العامرية وهبواتها أما الجزيرة بخيلها محدقه وباحاديث فتحها مصدقه هذا الوقت المرتقب والزمان الذى زجيت له الشهور والحقب وهذه الامامة أيدها الله تعالى هى المنقذة من أسرها والمنفذة لسلطانها مع اسم نصرها فيتاح الاخذ بالثار ويزاح عن الجنة أهل النار ويعلم الكافر لمن عقبى الدار حاورت سيدى بمثار الفاجى الفاجع وحاولت برء الجوى من جوابه بالعلاج الناجع وبودى لو تقع فى الار جاء مصاقبه فترفع من الازراء معاقبه أليس لديه اسواء المكلوم وتدارك المظلوم وبيديه أزمة المنثور والمنظوم خيال يختر فى اقناع اياد وصوغ مالم يخطر على قلب زيد ولا بخاطر زياد بست الجبال الطوالع ٣ لما بست وأبو فتحها وغيضت البحار الطوافح فمن يعبأ بالركايا وفتحها أين أبو الفضل بن العميد من العماد الفاضل وصمصامة عمر ومن قبله الفاضل هذا مدرهها الذى فعل الافاعيل وأحدها الذى سما على ابراهيم واسمعيل وهما اما ما الصناعه وهما ما البراعة واليراعة بهما فخر من نطق بالضاد وبسببهما حسدت الحروف الصاد لكن دفعهم بالراح وأعرى مدرعهم من المراح وشرف دونهم ضعيف القصب على صم الرماح أبقاه الله تعالى وبيانه صادق الانواء وزمانه كاذب الاسواء ولازال مكانه مجاوز اذؤابة الجوزاء واحسانه مكافأ باحسن الجزاء والسلام * وقد عرفت بابن الابار فى أزهار الرياض بما لا مزيد عليه غير انى رأيت هنا أن أذكر فصولا مجموعة من كلامه فى كتابه المسمى بدرر السمط فى خبر السبط قال رحمه الله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت فروع النبوة والرساله وينابيع

وتسعين وهو ابن أربع وخمسين سنة بواسط العراق وكان تأمره على الناس عشرين سنة وأحصى من قتله صبرا سوى من قتل فى عساكره وحروبه فوجد مائة وعشرين ألفا ومات وفى حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة منهن ستة عشر ألفا مجردة وكان يحبس النساء والرجال فى موضع واحد ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشمس فى الصيف ولا من المطر والبرد فى الشتاء وكان له غير ذلك من العذاب ما أتينا على وصفه فى الكتاب الاوسط وذكر انه ركب يوما يريد الجمعة فسمع ضجة فقال ما هذا فقيل له المحبوسون يضجون ويشكون ما هم فيه من البلاء فالتفت الى ناحيتهم وقال اخسؤا فيها ولا تكلمون فيقال انه مات فى تلك الجمعة ولم يركب بعد تلك الركبة (قال المسعودى) ووجدت فى كتاب عنوان البلاغات مما اختير من كلام الحجاج قوله ما سلبت نعمة الا بكفرها ولا نمت الا بشكرها وقد كان الحجاج تزوج الى عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب

 حين أملق عبد الله وافتقر وقد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان الخبر فى ذلك وتهنئة ابن القرية الحجاج

بذلك وقد كان عبد الله بن الجمعة في المسجد الجامع وهو يقول اللهم انك عودتني عادة فعودتها عبادك فان قطعتها عني فلا تبقني فمات في تلك الجمعة وذلك في أيام عبد الملك ابن مروان وصلى عليه أبان بن عثمان بمكة وقيل بالمدينة وهي السنة التي كان بها السيل الجحاف الذي بلغ الركن وذهب بكثير من الحجاج وفي هذه السنة كان الطاعون العام بالعراق والشام ومصر والجزيرة والحجاز وهي سنة ثمانين وقبض عبد الله بن جعفر وهو ابن سبع وستين وولد بالحبشة حين هاجر جعفر الى هنالك وقيل ان مولده كان في السنة التي قبض فيها النبي صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك وذكر المبرد والمدائني والعتبي وغيرهم من الاخباريين ان عبد الله عوتب على كثرة افضاله فقال ان الله تعالى عودني أن يفضل علي وعودته أن أفضل على عباده فاكره ان أقطع العادة عنهم فيقطع العادة عني ووفد عبد الله على معاوية بدمشق فعلم به عمرو ابن العاص قبل دخوله دمشق أخبره بذلك مولى له كان قد سار مع ابن جعفر من الحجاز فتقدمه بمرحلتين وقف

السماحة والبسالة صفوة آل أبي طالب وسراة بني لؤي بن غالب الذين جاءهم الروح الامين وحلاهم الكتاب المبين فقل في قوم شرعوا الدين القيم ومنعوا اليتيم أن يقهر والايم ماقدمن أديم آدم أطيب من أبيهم طينه ولا أخذت الارض أجل من مساعيهم زينه لولاهم ماعبد الرحمن ولاعهد الايمان وعقد الامان ذؤابة غير أشابه فضلهم ماشانه نقص ولاشابه سراة محلتهم سر المطلوب وقرارة محبتهم حبات القلوب أذهب الله عنهم الرجس وشرف بخلقهم الجنس فان تميزوا فشريعتهم البيضاء أو تحيزوا فلعشيرتهم الحمراء من كل يعسوب الكتيبة منسوب لنجيب ونجيبه نجاره الكرم وداره الحرم نمته العرانين من هاشم أبي النسب الاصرح الاوضح الى نبعة فرعها في السماء ومغرسها سرة الابطح أولئك السادة أحيي وافدي والشهادة بحبهم اوفي وأؤدي ومن يكتمها فانه آثم قلبه انتهى (فصل) ما كانت خديجة لتاتي بخداج ولا الزهراء لتلد الا ازاهر كالسراج مثل النحلة لا تاكل الا طيبا ولا تضع الا طيبا خلقت بنت خويلد لتزكو عقبها من الحاشر العاقب ويسمو قبها على النجم الثاقب لم تجد مثلها المهارى ولم يلد له غيرها من المهارى آمت من بعولتها قبله لتصل السعادة بحبلها حبله ملاك العمل خواتمه رب ربات حجال أنفذ من فحول رجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

هذه خديجة من أخيها حزام أحزم ولشعار الصدق من شعارات القص ألزم ركنت الى الركن الشديد وسددت للهدى كما هديت للتسديد يوم نبئ خاتم الانبياء وأنبئ بالنور المنزل عليه والضياء (فصل) وكان قبيل المبعث وبين يدي لم الشعث يثابر على كل حسنى وحسنه ويجاور شهرا من كل سنه يتحرى حراء بالتعهد ويزجي تلك المدة في التعبد وذلك الشهر المقصور على التبرر المقدور فيه رفع التضرر شهر رمضان المنزل فيه القرآن فبيناه لا ينام قلبه وان نامت عيناه جاءه الملك مبشرا بالنجح وقد كان لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح فغمره بالكلاءه وأمره بالقراءه وكلما تحبس له غطه ثم أرسله واذا أراد الله بعبد خيرا عسله

تريدون ادراك المعالي رخيصة * ولابد دون الشهد من ابر النحل

كذلك حتى عاد بالارق من الفرق وقد علق فاتحة العلق فلا يجري غيرها على لسانه وكانما كتبت كتابا في جنانه (فصل) ولما أصبح يؤم الاهل وتوسط الجبل يريد السهل وقد قضى الاجل ومانضا الوجل نوجي بما في الكتاب المسطور ونودي كما نودي موسى من جانب الطور فعرض له في طريقه ماشغله عن فريقه فرفع رأسه متأملا فأبصر الملك في صورة رجل متمثلا يشرفه بالنداء ويعرفه بالاجتباء وانما عضد خبر الليلة بعيان اليوم وأرى في اليقظة مصداق ما أسمع في النوم ليحق الله الحق بكلماته وعلى ماورد في الاثر وسرد رواة السير فذلك اليوم كان عيد فطرنا الآن وغير بدع ولا بعيد أن يبدأ الوحي بعيد كما ختم بعيد اليوم أكملت لكم دينكم فبهت عليه السلام لما سمع نداءه ورأه وثبت لا يتقدم أمامه ولا يرجع وراءه

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي * متقدم عنه ولا متأخر

ثم جعل في الخوف والرجاء لا يقلب وجهه في السماء الا تعرض له في تلك الصوره وعرض عليه ما أعطاه الله سبحانه من السوره فيقف موقف التوكل ويمسك حتى عن التأمل

تتوق اليك النفس ثم أردها * حياء ومثلي بالحياء حقيق
أذود سوادا الطرف عنك وماله * الى أحد الا اليك طريق

(فصل) وفطنت خديجة لاحتباسه فامعنت في التماسه تزوجوا الودود الولود ولفورها بل لفوزها بعثت في طلبه رسلها وانبعثت تأخذ عليه شعاب مكة وسبلها

* ان المحب اذا لم يستزر زارا * طال عليها الامد فطارا اليها الكمد والمحب حقيقه من لا يفيق فيقه بالنفس النفيسة سماحه وجوده وفي وجود المحبوب الاشرف وجوده

كأن بلاد الله ما لم تكن بها * وان كان فيها الخلق طرا بلاقع
أقضي نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى اذا دجى * لي الليل هزتني اليك المضاجع
لقد نبتت في القلب منك محبة * كما نبتت في الراحتين الاصابع

(فصل) وبعد لأي ما ورد عليها وقعد مضيفا اليها فطفقت بحكم الاجلال تمسح أركانه وتفسح مجال السؤال عما خلف له مكانه فباح لها بالسر المغيب وقد لاح وسم الكرامة على الطيب المطيب فعلمت انه الصادق المصدوق وحكمت بانه السابق لا المسبوق اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وما زالت حتى أزالت ما به من الغمه وقالت اني لارجو أن تكون نبي هذه الامة

اني تفرست فيك الخير أعرفه * والله يعلم أن ما خانني البصر
أنت النبي ومن يحرم شفاعته * يوم الحساب فقد أزرى به القدر

لا ترهب فسوف تبهر وسيبدو أمر الله تعالى ويظهر أنت الذي سجعت به الكهان ونزلت له من صوامعها الرهبان وسارت بخبر كرامته الركبان أنت الذي ما حملت أخف منه حامل ودرت ببركته الشاة فاذا هي حافل

وأنت لما ولدت أشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

(فصل) وما لبثت أن غلقت أبوابها وجمعت عليها أثوابها وانطلقت الى ورقة بن نوفل تطلبه بتفسير ذلك المجمل وكان يرجع الى عقل حصيف ويبحث عن بعث بالدين الحنيف فاستبشر به ناموسا وأخبر أنه الذي كان يأتي موسى فازدادت ايمانا وأقامت على ذلك زمانا ثم رأت أن خبر الواحد قد يلحقه التفنيد ودرت أن المجتهد لا يجوز له التقليد طلب العلم فريضة على كل مسلم فرجعت أدراجها في ارتياد الاقناع وألقى في روعها القاء الخمار والقناع فهناك وضح لها البرهان وصح لها أن الآتي ملك لا شيطان

تولى عليه الروح من عند ربه * ينزل من جو السماء ويرفع
نشاوره فيما نريد وقصدنا * اذا ما انتهى أنا نطيع ونسمع

وغيرهم منهم عبد الله بن الحرث بن عبد المطلب فقال عمرو قد أتاكم رجل كثير الخلوات بالتمني والطرقات بالتغني آخذ للسلف منقاد بالسرف فغضب عبد الله ابن الحرث وقال لعمرو كذبت وأهل ذلك أنت ليس عبد الله كما ذكرت ولكنه لله ذكور ولبلائه شكور وللغناء نفور ماجد مهذب كريم سيد حليم ان ابتدأ أصاب وان سئل أجاب غير حصر ولا هياب ولا خفاش ولا سباب كالهزبر الضرغام الجرىء المقدام والسيف الصمصام والحسيب القمقام وليس كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزارها فاصبح ألأمها حسبا وأدناها منصبا يلوذ منها بذليل ويأوي الى قليل ليت شعري بأي حسب تتناول أو بأي قدم تتعرض غير انك تعلو بغير اركانك وتتكلم بغير لسانك ولقد كان أبر في الحكم وأبين في الفصل أن يكفلك ابن أبي سفيان عن ولوعك باعراض قريش وان يكعمك كعام الضبع في وجارها فلست لاعراضها بوفي ولا لاحسابها بكفي وقد أتيح لك ضيغم شرس

للاقران مختلس وللارواح مفترس فهم عمرو أن يتكلم فمنعه معاويه من ذلك وقال عبد الله بن الحرث لا يبقى المرء الاعلى نفسه

*(فصل) سبقت لها من الله تعالى الحسنى فصنعت حسنا وقالت حسنا ومن يؤمن بالله يهد قلبه ما فتر الوحي بعدها ولا مطل الحق الحي وعدها وعد الله لا يخلف الله وعده دانت لحب ذي الاسلام فحياها الملك بالسلام من الملك السلام من كان لله كان الله له أغنت غناء الابطال فغناها لسان الحال

هل تذكرين فدتك النفس مجلسنا * يوم التقينا فلم أنطق من الحصر
لا ارفع الطرف حولي من مراقبة * بقي علي وبعض الحزم في الحذر

يسرت لاحتمال الاذى والنصب فبشرت ببيت في الجنة من قصب هل امنت اذ آمنت من الرعب حتى غنيت عن الشبع بما في الشعب

لا حسب المجد تمرا انت آكله * ان تباغ المجد حتى تلعق الصبرا

واهالها احتملت بعض الحصار وما اطاقت فقد انبي المختار

يطول اليوم لا القاك فيه * وشهر نلتقي فيه قصير

والحبيب سمع المحب وبصره وله طول محياه وقصره

أنت كل الناس عندي فاذا * غبت عن عيني لم اق أحد

مكنت للرياسة مواسية وآسيه فثلثت في محبوحة الجنة مريم وآسيه ثم ربعت البتول فبرعت نطقت بذلك الآثار وصدعت خبر نساء العالمين أربع *(فصل) *الى البتول سير بالشرف التالد وسبق الفخر بالام الكريمة والوالد حلت في الجيل الجليل وتحلت بالمجد الاثيل ثم تولت الى الظل الظليل

وليس يصح في الافهام شيء * اذا احتاج النهار الى دليل

وأبيها ان أم أبيها لا تجد لها شبيها نثرة النبي وطلبة الوصي وذات الشرف المستوى على الامد القصي كل ولد الرسول درج في حياته وحملت هي ما حملت من آياته ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء لا فرع للشجرة المباركة من سواها فهل جدوى أوفر من جدواها الله أعلم حيث يجعل رسالاته حفت بالتطهير والتكريم وزفت الى الكفؤ الكريم فوردا صفو العارفة والمنه وولداسيدي شباب أهل الجنه عوضت من الامتعة الفاخره بسيدي الدنيا والاخره ما أثقل نحوها ظهرا ولا بذل غير درعه مهرا كان صفر اليدين من البيضاء والصفراء وبحالة لا حيلة معها في اهداء الحلة السيراء فصاهره الشارع وخاله وقال في بعض صعلوك لا مال له نرفع درجات من نشاء *(فصل)

أتنتهب الايام افلاذ أحمد * وافلاذ من عاداهم تتودد
و يغمى و يظما أحمد و بناته * و بنت زياد و ردها لا يصرد
أفي دينه في أمنه في بلاده * تضيق عليهم فسحة تتورد
وما الدين الا دين جدهم الذي * به أصدروا في العالمين وأوردوا

انتهى ما سنح لي ذكره من درر السمط وهو كتاب غاية في بابه ولم أورد منه غير ما ذكرته لان في الباقي ما تشم منه رائحة التشيع والله سبحانه يسامحه بمنه وكرمه ولطفه (رجع) الى ما كنا بصدده فنقول قد ذكرنا في الباب الثاني رسالة أبي المطرف بن عميرة الى أبي جعفر بن أمية وهي

ولعبد الله بن جعفر بن أبي طالب أخبار حسان في الجود والكرم وغير ذلك من المناقب وقد أتينا على مبسوط ذلك في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما كان تزوج الحجاج اليه يتذلل بذلك الى أبي طالب وكتب الحجاج الى عبد الملك يغلظ له أمر الخوارج مع قطري فكتب اليه أما بعد فاني أحمد اليك السيف وأوصيك بما أوصى به البكري زيدا فلم يفهم الحجاج ما عناه عبد الملك وقال من جاء بتفسير ما أوصى به البكري زيدا فله عشرة آلاف درهم فورد رجل من الحجاز يتظلم من بعض عماله فقيل له أتعلم ما أوصى به البكري زيدا قال نعم قال فأت الحجاج به ولك عشرة آلاف درهم فاتاه فاحضره فقال أوصاه بان قال

أخول لزيد لا يرغبنهم
يرون المنايا دونهن
اوقتلي
فان وضعوا حربا فضعها
وان أبوا
فشب وقود الحرب بالحطب الجزل

وان عضت الحرب الضروس بنابها * فعرضة حدا السيف مثلك او مثلي فقال الحجاج صدق أمير المؤمنين مشتملة

مشتملة على التلهف على الجزيرة الاندلسية حين أخذ العدو بلنسية وظهرت له مخايل الاستيلاء على ما بقى من الاندلس فراجعها فيما سبق وان كان التناسب التام فى ذكرها هنا فالمناسبة هنالك حاصلة أيضا والله سبحانه الموفق وذكرنا هنالك أيضا جملة غيرها من كلامه رحمه الله تعالى تتعلق بهذا المعنى وغيره فلتراجع ثمة * ورأيت أن أثبت هنا ما رأيته بخط الاديب الكاتب الحافظ المؤرخ أبى عبد الله محمد بن الحداد الوادى آشى نزيل تلمسان رحمه الله تعالى ما صورته حدثنى الفقيه العدل سيدى حسن بن القائد الزعيم الافضل سيدى ابراهيم العراف انه حضر مرة لانزال الطلسم المعروف بفروج الرواح من العلية بالقصبة القديمة من غرناطة بسبب البناء والاصلاح وانه عاينه من سبعة معادن مكتوبا فيه

ايوان غرناطة الغراء معتبر * طلسمه بولاة الحال دوار
وفارس رحه ريح تدبره * من الجماد ولكن فيه أسرار
فسوف يبقى قليلا ثم تطرقه * دهياء يخرب منها الملك والدار

انتهى * وقد صدق قائل هذه الابيات فانه طرقت الدهياء ذلك القطر الذى ليس له فى الحسن مثال ونسل الخطب اليه من كل حدب وانثال وكل ذلك من اختلاف رؤسائه وكبرائه ومقدميه وقضاته وأمرائه ووزرائه فكل يروم الرياسة لنفسه ويجر نارها لقرصه والنصارى لعنهم الله تعالى يضربون بينهم بالخداع والمكر والكيد ويضربون عمرا منهم بزيد حتى تمكنوا من أخذ البلاد والاستيلاء على الطارف والتلاد قال الرائس القاضى العلامة الكاتب الوزير أبو يحيى بن عاصم رحمه الله تعالى فى كتابه جنة الرضا فى التسليم لما قدر الله تعالى وقضى ما صورة محل الحاجة منه ومن استقرأ التواريخ المنصوصه وأخبار الملوك المقصوصه علم أن النصارى دمرهم الله تعالى لم يدركوا فى المسلمين ثارا ولم يبدحضوا عن أنفسهم عارا ولم يخرجوا من الجزيرة منازل وديارا ولم يستولوا عليها بلادا جامعة وامصارا الا بعد تمكينهم لاسباب الخلاف واجتهادهم فى وقوع الافتراق بين المسلمين والاختلاف وتضريبهم بالمكر والخديعة بين ملوك الجزيرة وتحريشهم بالكيد والخلابة بين حماتها فى الفتن المبيرة ومهما كانت الكلمة مؤتلفة والآراء لامفترقة ولا مختلفة والعلماء عما ناة اتفاق القلوب الى الله مزدلفة فالحرب اذذاك سجال ولله تعالى فى اقامة الجهاد فى سبيله رجال وللمنافعة فى غرض المدافعة ميدان رحب ومجال ورويه وارتجال الى أن قال وتطاولت الايام مابين مهادنة ومقاطعة ومضاربة ومقارعة ومنازلة ومنازعة وموافقة ومعانقة ومحاربة وموادعة ولا أمل للطاغية الا فى التمرس بالاسلام والمسلمين واعمال الحيلة على المؤمنين واضمار المكيدة للموحدين واستبطان الخديعة للمجاهدين وهو يظهر انه ساع للوطن فى العاقبة الحسنى وانه منطو لاهله على المقصد الاسنى ومهتم بمراعاة أمورهم وناظر بنظر المصلحة لخاصتهم وجمهورهم وهو يسر حسوا فى ارتغائه ويعمل الحيلة فى التماس هلاك الوطن وابتغائه فتبا لعقول تقبل مثل هذا المحال وتصدق هذا الكذب بوجه او بحال وليت المغرور الذى يقبل هذا الوفكر فى نفسه وعرض هذا المسموع على

الحرث بن كعب بنيه فاتى المهلب بوصيته فاذا فيها يابنى كونوا جميعا ولا تكونوا شتى فتفرقوا وبروا قبل أن تبروا فوت فى قوة وعز خير من ذل وعجز فقال المهلب صدق البكرى والحرث بن كعب وكتب عبد الملك الى الحجاج يعنفنى دماء آل أبى طالب فانى رأيت الموت استوحش من آل حرب حين سفكوا دماءهم فكان الحجاج يتجنبها خوفا من زوال الملك عنهم لاخوفا من الخالق عز وجل ودخلت ليلى الاخيلية على الحجاج فقالت أصلح الله الامير أتيت اخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد قال فاخبرينى عن الارض قالت مقشعرة والفجاج مغبرة والمقتر مغل وذو الغنى مجل والبائس مقل والناس مستنون رحمة الله يرجون قال أى النساء تختارين تنزيلين عندها قالت سمهن لى قال عندى هند بنت المهلب وهند بنت أسماء بن خارجة فاختارتها فدخلت عليها فصنت حليها عليها حتى أثقلتها لاختيارها اياها ودخولها عليها دون من

سواها (حدثنا) المنقرى قال حدثنا العتبى عن أبيه قال قدم على الحجاج ابن عم له من البادية فنظر اليه يولى الناس

مدركات حسه وراجع أوليات عقله وتجربيات حدسه وفاس عدوه الذى لا ترجى مودته على أبناء جنسه فانا أناشده الله هل بات قط بمصالح النصارى وسلطانهم مهتما وأصبح من خطب طرقهم مغتما ونظر لهم نظر المفكر فى العاقبة الحسنه أو قصدهم قصد المدبر فى المعيشة المستحسنه أو خطر على قلبه أن يحفظ فى سبيل القربة أربابهم وصلبانهم أو عمر ضميره من تمكين عزهم بما ترضاه أحبارهم ورهبانهم فان لم يكن ممن يدين بدينهم الخبيث ولم يشرب قلبه حب التثليث ويكون صادق اللهجه منصفا عند قيام الحجه فسيعترف أن ذلك لم يخطر له قط على خاطر ولا مر له ببال وان عكس ذلك كان به ذا اغتباط ويفعله ذا اهتبال وان نسب لذلك المعنى فهو عليه أثقل من الجبال وأشد على قلبه من وقع النبال هذا وعقده التوحيد وصلاته التحميد وملته الغراء وشريعته البيضاء ودينه الحنيف القويم ونبيه الرؤف الرحيم وكتابه القرآن الحكيم ومطلوبه الهداية الصراط المستقيم فكيف نعتقد هذه المريبة الكبرى والمنقبة الشهرى لمن عقده التثليث ودينه المليث ومعبوده الصليب وتسميته التصليب وملته المنسوخة وقضيته المفسوخة وختامه التعطيس وغافر ذنبه القسيس وربه عيسى المسيح ورأيه ليس البين ولا الصحيح وأن ذلك الرب قد ضرج بالدماء وسقى الخل عوض الماء وأن اليهود قتلته مصلوبا وأدركته مطلوبا وقهرته مغلوبا وأنه جزع من الموت وخاف الى سوى ذلك مما يناسب هذه الاقاويل السخاف فكيف يرجى من هؤلاء الكفرة من الخير مقدار الذره أو يطمع منهم فى جلب المنفعة أو دفع المضره اللهم احفظ علينا العقل والدين واسلك بنا سبيل المهتدين ثم قال بعد كلام ما صورته كانت خزانة هذه الدار النصرية مشتملة على كل نفيسة من الياقوت ويتيمة من الجوهر وفريدة من الزمرد وثمينة من الفيروزج وعلى كل واق من الدروع وحام من العدة وماض من الاسلحة وفاخر من الآلة ونادر من الامتعة فمن عقود فذة وسلوك جمة وأقراط تفضل على قرطى مارية نفاسة فائقة وحسنا رائقا ومن سيوف شواذ بالابداع غرائب فى الاعجاب منسوبات الصفائح فى الطبع خالصات الحلى من التبر ومن دروع مقدرة السرد متلاحمة النسج واقية للناس فى يوم الحرب مشهورة النسبة الى داود نبى الله ومن جواشن سابغة اللبسة ذهبية الحلية هندية الضرب دياجية الثوب ومن بيضات عسجدية الطرق جوهرية التضيد زبرجدية التقسيم ياقوتية المركز ومن مناطق لجينية الصوغ عريضة الشكل مرجحة الصفح ومن درق لطيفة مصمتة المسام لينة الجسة معروفة المنعة صافية الاديم ومن قسى ناصعة الصبغة هلالية الحلقة منعطفة الجوانب زارية بالحواجب الى آلات فاخرة من أوتار نحاسية ومناير بلورية وطيافير دمشقية وسبحات زجاجية وصحاف صينية وأكواب عراقية وأقداح طباشيرية وسوى ذلك مما لا يحيط به الوصف ولا يستوفيه العد وكل ذلك التهبه شواظ الفتنة والتقمه تيار الخلاف والفرقة فرزئت الدار منه بما يتعذر اتيان الدهور بمثله وتقصر ديار الملوك المؤثلة النعمة عن بعضه فضلا عن كله انتهى كلامه رحمه الله تعالى (رجع) ولما أخذت قواعد الاندلس مثل قرطبة واشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها انحاز أهل

فغضب الاعرابى وقال بلى انى والله لاحسب منهم حسبا وأكتب منهم كتبا فقال له الحجاج فان كان كما تزعم فاقسم ثلاثة دراهم بين أربعة أنفس فازال يقول ثلاثة دراهم بين أربعة ثلاثة بين أربعة لكل واحد منهم درهم يبقى الرابع بلاشئ كهم ايها الامير قال هم أربعة قال نعم أيها الامير قد وقفت على الحساب لكل واحد منهم درهم وأنا أعطى الرابع منهم درهما من عندى وضرب بيده الى تكته فاستخرج منها درهما وقال أيكم الرابع فلاها الله ما رأيت كاليوم رزأ مثل حساب هؤلاء الحضر بين فضحك الحجاج ومن معه فذهب بهم الضحك كل مذهب ثم قال الحجاج ان أهل أصبهان كسروا خراجهم ثلاث سنين كلما أتاهم وال عجزوه فلأرمينهم ببدوية هذا وعنجهيته فأخلق به أن يهب فكتب له عهده على أصبهان فلما خرج استقبله أهل أصبهان واستبشروا به وأقبلوا عليه يقبلون يده ورجله وقد استعمروه وقالوا أعرابى بدوى ما يكون منه فلما أكثروا عليه قال اعنوا على أنفسكم وتقبيلكم أطرافى وأخواعى هذه الهيآت أما يشغلكم

الاسلام الى غرناطة والمرية ومالقة ونحوها وضاق الملك بعد اتساعه وصارت بين العدو يلتقم كل وقت بلدا أو حصنا ويهصر من دوح تلك البلاد غصنا وملك هذا النزر اليسير الباقي من الجزيرة ملوك بني الاحمر فلم يزالوا مع العدو في تعب وممارسة كما ذكره ابن عاصم قريبا وربما أتحفوا في الكفار كما علم في أخبارهم وانتصروا لملوك فاس بني مرين في بعض الاحايين ولما قصد ملوك الافرنج السبعة في المائة الثامنة غرناطة ليأخذوها اتفق أهلها على أن يبعثوا الصاحب المغرب من بني مرين يستنجدونه وعينوا للرسالة الشيخ أبا اسحق بن أبي العاصي والشيخ أبا عبد الله الطنجالي والشيخ ابن الزيات البلشي نفع الله تعالى بهم ثم بعد سفرهم نازل الافرنج غرناطة بخمسة وثلاثين ألف فارس ونحو مائة ألف راجل مقاتل ولم يوافقهم سلطان المغرب فقضى الله تعالى ببركة المشايخ الثلاثة أن كسر النصارى في الساعة التي كسر خواطرهم فيها صاحب المغرب وظهرت في ذلك كرامة لسيدي أبي عبد الله الطنجالي رحمه الله تعالى ثم ان بني الاحمر ملوك الاندلس الباقية بعد استيلاء الكفار على الجل كانوا في جهاد وجلاد في غالب أوقاتهم ولم يزل ذلك شأنهم حتى أدرك دولتهم الهرم الذي يلحق الدول فلما كان زمان السلطان أبي الحسن علي بن سعد النصري الغالبي الاحمري واجتمعت الكلمة عليه بعد أن كان أخوه أبو عبد الله محمد بن سعد المدعو بالزغل قد بويع بمالقة بعد أن جاءه بعض القواد من عند النصارى وبقي بمالقة برهة من الزمان ثم ذهب الى أخيه وبقي من بمالقة من القواد والرؤساء فوضى وآل الحال الى أن قامت مالقة بدعوة السلطان أبي الحسن وانقضت الفتنة واستقل السلطان أبو الحسن بملك ما بقي بيد المسلمين من بلاد الاندلس وجاهد المشركين وافتتح عدة أماكن ولاحت له بارقة البكرة على العدو الكافر وخافوه وطلبوا هدنته وكثرت جيوشه فأجمع على عرضها كلها بين يديه وأعد لذلك مجلسا أقيم له بناؤه خارج الحمراء قلعة غرناطة وكان ابتداء هذا العرض يوم الثلاثاء تاسع عشر الحجة عام اثنين وثمانين وثمانمائة ولم تزل الجنود تعرض عليه كل يوم الى الثاني والعشرين من محرم السنة التي تليها وهو يوم ختام العرض وكان معظم المتنزهين والمتفرجين بالسبيكة وما قارب ذلك فبعث الله تعالى سيلا عرما على وادي حدره بحجارة وماء غزيرا كأفواه القرب عقابا من الله سبحانه وتأديبا لهم لمجاهرتهم بالفسق والمنكر واحتمل الوادي ماء على حافتيه من المدينة من حوانيت ودور ومعاصر وفنادق وأسواق وقناطر وحدائق وبلغ تيار السيل الى رحبة الجامع الاعظم ولم يسمع بمثل هذا السيل في تلك البلاد وكان بين رؤساء الافرنج في ذلك الوقت اختلاف فبعضهم استقل بملك قرطبة وبعض باشبيلية وبعض بشريش وعلى ذلك كان صاحب غرناطة السلطان أبو الحسن قد استرسل في اللذات وركن الى الراحات وأضاع الاجناد وأسند الامر الى بعض وزرائه واحتجب عن الناس ورفض الجهاد والنظر في الملك ليقضي الله تعالى ما شاء وكثرت المظالم والمغارم فأنكر الخاصة والعامة ذلك منه وكان أيضا قد قتل كبار القواد وهو يظن أن النصارى لا يغزون بعد البلاد ولا تنقضي بينهم الفتنة ولا ينقطع الفساد واتفق أن صاحب قشتالة تغلب على بلادها بعد حروب وانقاد له رؤساء الشرك المخالفون ووجدت النصارى السبيل الى الافساد والطريق الى

تعصون ربكم وتغضبون أميركم وتنقصون خراجكم فقال قائلهم جور من كان قبلك وظلم من ظلم قال فما الامر الذي فيه صلاحكم فقالوا تؤخرنا بالخراج ثمانية أشهر ونجمعه لك قال لكم عشرة وتأتوني بعشرة ضمناء يضمنون فأتوه بهم فلما توثق منهم أمهلهم فلما قرب الوقت رآهم غير مكترثين لما نديوا من الاجل فقال لهم فلم ينتفع بقوله فلما طال به ذلك جمع الضمناء وقال لهم المال فقالوا أصابتنا من الآفة ما نقض ذلك فلما رأى ذلك منهم آلى أن لا يفطر وكان في شهر رمضان حتى يجمع ماله أو يضرب أعناقهم ثم قدم أحدهم فضرب عنقه وكتب عليه فلان ابن فلان أدى ما عليه وجعل رأسه في بدرة وختم عليها ثم قدم اثنانى ففعل به مثل ذلك فلما رأى القوم الرؤوس تبدد وبجعل في الاكياس بدلا من البدر قالوا أيها الامير توقف علينا حتى نحضر لك المال ففعل فاحضروه في أسرع وقت فبلغ ذلك الحجاج فقال انا معاشر آل محمد يعني جده ولدنا نجيب فكيف رأيتم فراستي في الاعرابي ولم يزل عليها واليا حتى مات الحجاج وحبس الحجاج ابراهيم التيمي بواسط فلما دخل السجن وقف على مكان مشرف ونادى بأعلى صوته

الاستيلاء على البلاد وذلك انه كان للسلطان أبى الحسن ولدان محمد ويوسف وهما من بنت عمه السلطان أبى عبد الله الايسر وكان قد اصطفى على امهما روميه كان لها منه بعض ذريه وكانت حظيه عنده مقدمة فى كل قضيه فحيف أن يقدم أولاد الروميه على أولاد بنت عمه السنيه وحدث بين خدام الدولة التنافر والتعصب لميل بعضهم الى أولاد الحرة وبعض الى أولاد الروميه وكان النصارى أيام الفتنة بينهم هادنوا السلطان لامد حدوه وضربوه ولما تم أمد الصلح وافق وقته هذا الشان بين أولياء الدولة بسبب الاولاد وتشكى الناس مع ذلك بالوزراء والعمال لسوء ما عاملوا به الناس من الحيف والجور فلم يصغ اليهم وكثر الخلاف واشتد الخطب وطلب الناس تأخير الوزير وتفاقم الامر وصح عند النصارى لعنهم الله تعالى ضعف الدولة واختلاف القلوب فبادروا الى الحامة فأخذوها غدرا آخر أيام الصلح على يد صاحب قادس سنة سبع وثمانين وثمانمائة وغدوا للقلعة وتحصنوا بها ثم شرعوا فى أخذ البلد فلؤا الطرق خيلا ورجالا وبذلوا السيف فيمن ظهر من المسلمين ونهبوا الحريم والناس فى غفلة نيام من غير استعداد كالسكارى فقتل من قضى الله تعالى بتمام أجله وهرب البعض وترك أولاده وحريمه واحتوى العدو على البلد بما فيه وخرج العامة والخاصة من أهل غرناطة عند ما بلغهم العلم وكان النصارى عشرة آلاف بين ماش وفارس وكانوا عازمين على الخروج بما غنموه واذا بالسرعان من اهل غرناطة وصلوا فرجع العدو الى البلد فحاصرهم المسلمون وشددوا فى ذلك ثم تكاثر المسلمون خيلا ورجالا من جميع بلاد الاندلس ونازلوا الحامة وطمعوا فى منع الماء عن العدو وتبين للعامة أن الجند لم ينصحوا فأطلقوا ألسنتهم بأقبح الكلام فيهم وفى الوزير وبينما هم كذلك واذا بالنذير جاء ان النصارى أقبلوا فى جمع عظيم لاغاثة من بالحامة من النصارى فاقلع جند المسلمين من الحامة وقصدوا ملاقاة الواردين من بلاد العدو ولما علم بهم العدو ولوا الادبار من غير ملاقاة محتجبين بقلتهم وكان رئيسهم صاحب قرطبة * ثم ان صاحب اشبيلية جمع جندا عظيما من جيش النصارى الفرسان والرجال وأتى لنصرة من فى الحامة من النصارى وعند ما صح هذا عند العسكر اجتمعوا وأشاعوا عند الناس أنهم خرجوا بغير زاد ولا استعداد الصلاح الرجوع الى غرناطة ليستعد الناس ويأخذوا ما يحتاج اليه الحصار من العدة والعدد فعند ما أقلع المسلمون عنها دخلتها النصارى الواردون وتشاوروا فى اخلائها أو سكناها واتفقوا على الاقامة بها وحصنوها وجعلوا فيها جميع ما يحتاج اليه وانصرف صاحب اشبيلية وترك أجناده وفرق فيهم الاموال ثم عاد المسلمون لحصارها وضيقوا عليها وطمعوا فيها من جهة موضع كان النصارى فى غفلة عنه ودخل على النصارى جملة وافرة من المسلمين وخاب السعد بذلك بأن شعر بهم النصارى فعادوا عليهم وتردى بعضهم من أعلى الجبل وقتل أكثرهم وكانوا من أهل بسطة ووادى آش فانقطع أمل الناس من الحامة ووقع الاياس من ردها * وفى جمادى الاولى من السنة تواترت الاخبار أن صاحب قشتالة أتى فى جنود لا تحصى ولا تحصر فاجتمع الناس بغرناطة وتكلموا فى ذلك واذا به قد قصد لوشة ونازلها قصدا أن يضيفها الى الحامة وجاء بالعدة والعدد واغارت على النصارى جملة من المسلمين فقتلوا من لحقوه وأخذوا جملة من

الحجاج طلب ابراهيم النخعى فنجا ووقع ابراهيم التميمى (وحكى) عن الاعمش قال قلت لابراهيم النخعى أين كنت حين طلبك الحجاج فقال بحيث يقول الشاعر

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى
وصوّت انسان فكدت أطير

حدثنا الدمشقى الاموى أحمد بن سعيد وغيره عن الزبير بن بكار عن محمد بن سلام الجمحى وحدثنا الفضل بن الحباب الجمحى عن محمد بن سلام قال سأل الحجاج ابن القرية أى النساء أحمد قال التى فى بطنها غلام وفى حجرها غلام ويسعى لها مع الغلمان غلام قال فاى النساء شر قال الشديدة الاذى الكثيرة الشكوى المخالفة لما تهوى فقال أى النساء أعجب اليك قال الشقراء الطويل المنعاج الكسول التى لم يشنها قصر ولا طول قال فاى النساء أبغض اليك قال الرعبلة القصيرة الباهتة الشريرة قال فاخبرنى عن أفضل النساء قال الغضة البضة التى أعلاها قضيب وأسفلها كثيب اللعساء

المدافع الكبار ثم جاءت جماعة أخرى من أهل غرناطة وناوشوا النصارى فالجؤهم الى الخروج عن الخيام وأخذوها وغيرها فهرب النصارى وتركوا طعاما كثيرا وآلة ثقيلة وذلك فى السابع والعشرين من جمادى الاولى من السنة المذكورة * وفى هذا اليوم بعينه هرب الاميران أبو عبد الله محمد وأبو الحجاج يوسف خوفا من أبيهما أن يفتك بهما باشارة حظيته الرومية ثريا واستقر ابوادى آش وقامت بدعوتهما ثم بايعتهما تلك البلاد المرية وبسطة وغرناطة وهرب أبوهما السلطان أبو الحسن الى مالقة * وفى صفر سنة ثمان وثمانين وثمانمائة اجتمع جميع رؤساء النصارى وقصدوا قرى مالقة وبلش فى نحو الثمانية آلاف وفيهم صاحب اشبيلية وصاحب شريش وصاحب استجة وصاحب النقيرة وغيرهم فلم يتمكنوا من أخذ حصن ونشبوا فى أوعار ومضايق وخنادق وجبال واجتمع عليهم أهل بلش ومالقة وصار المسلمون ينالون منهم فى كل محل حتى بلغوا مالقة ففر كبيرهم ومن بقى أسر أو قتل وكان السلطان أبو الحسن فى ذلك الوقت قد تحرك لنواحى المنكب وبقى أخوه أبو عبد الله بمالقة ومعه بعض الجند وقتل من النصارى فى هذه الوقعة نحو ثلاثة آلاف وأسر نحو ألفين من جملتها خال السلطان وصاحب اشبيلية وصاحب شريش وصاحب النقيرة وغيرهم وهم نحو الثلاثين من الاكابر وغنم المسلمون غنيمة وافرة من الانفس والاموال والعدة والذهب والفضة وبعقب ذلك سافر أهل مالقة لبلاد النصارى فكسروا هنالك كسرة شنيعة قتل فيها أكثر قواد غرب الاندلس * ولما استقر السلطان أبو عبد الله ابن السلطان أبى الحسن بغرناطة وطاعت له البلاد غير مالقة والغربية تحرك السلطان أبو الحسن على المنكب ونواحيها وأتى ابنه السلطان أبو عبد الله فى جند غرناطة والجهة الشرقية والتقوا فى موضع يعرف بالدب فكسر السلطان أبو عبد الله * ولما سمع السلطان أبو عبد الله صاحب غرناطة بان عمه بمالقة غنم من النصارى أعمل السفر للغزو باهل بلاده من غرناطة والشرقية وذلك فى ربيع الاول من السنة الى أن بلغ نواحى لشانة وقتل وأسر وغنم فتجمعت عليه النصارى من جميع تلك النواحى ومعه كبير قبرة وحالوا بين المسلمين وبلادهم فى جبال وأوعار فانكسر الجند واسر من الناس كثير وقتل آخرون وكان فى جملة من اسر السلطان أبو عبد الله ولم يعرف ثم علم به صاحب لشانة وأراد صاحب قبرة أن ياخذه منه فهرب به ليلا وبلغه الى صاحب قشتالة ونال بذلك عنده رفعة على جميع القواد وتفاءل به فقلما توجه لجهة أو بعث سرية الا وبعثه فيها * ولما اسر السلطان أبو عبد الله اجتمع كبراء غرناطة وأعيان الاندلس وذهبوا لمالقة للسلطان أبى الحسن وذهبوا به لغرناطة وبايعوه مع انه كان اصابه مثل الصرع الى أن ذهب بصره وأصابه ضرر ولما تعذر أمره قدم اخاه ابا عبد الله وخلع له نفسه ونزل بالمنكب فاقام بها الى أن مات واستقل أخوه ابو عبد الله المعروف بالزغل بالملك بعده * وأما أبو عبد الله ابن السلطان أبى الحسن فهو فى اسر العدو * وفى شهر ربيع الآخر من سنة تسعين وثمانمائة خرج العدو فى قوة الى نواحى مالقة بعد أن كان فى السنة قبلها استولى على حصون فاستولى هذه السنة على بعض الحصون وقصد ذكوان فهد أسوارها وكان بها جملة من اهل الغربية ورندة ودخل ألف مدرع ذكوان عنوة فاظفر الله تعالى بهم أهل ذكوان

خلتها سارية من السوارى فقتلت تهيج المشتاق وتحيى العاشق بالعناق (قال المسعودى) وللوليد بن عبد الملك أخبار حسان لما كان فى أيامه من الكوائن والحروب وكذلك الحجاج وقد أتينا على كثير من مبسوطها فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب ما لم نورده فى ذينك الكتابين كما أن ما ذكرناه فى الكتاب الاوسط لم نورده فى كتاب أخبار الزمان والله أعلم

(ذكر أيام سليمان بن عبد الملك)

بويع سليمان بن عبد الملك بدمشق فى اليوم الذى كانت فيه وفاة الوليد وذلك يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين من الهجرة وتوفى سليمان بمرج دابق من أعمال جبل قنسرين يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وخمس ليال وهلك وهو ابن تسع وثلاثين سنة وعهد الى عمر بن عبد العزيز وقيل ان وفاة سليمان كانت يوم الجمعة لعشر خلون من

صفر سنة تسع وتسعين وان ولايته سنتان وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما على حسب ما وجدنا من

فقتلوهم جميعا ثم طلبوا الامان وخرجوا * ثم انتقل في جمادى الاولى الى رندة وحاصرها وكان أهلها خرجوا الى نصرة ذكوان وسواها فحاصر رندة وهذا سوارها وخرج أهلها على الامان وطاعت له جميع تلك البلاد ولم يبق بغربي مالقة الا من دخل في طاعة الكافر وتحت ذمته وضيق بمالقة وفرق حصصه على بعض الحصون ليحاصر مالقة وعاد الى بلاده * وفي تاسع عشر شعبان من العام سافر صاحب غرناطة لتحصين بعض البلاد وبينما هو كذلك اذا بالخبر جاءه ان محلة العدو خارجة لذلك الحصن * وفي صبيحة الثاني والعشرين من شعبان أصبحت جنود النصارى على الحصن كانوا قد سروا اليه ليلا وأصبحوا عند الفجر مع جند المسلمين فقاتلهم المسلمون من غير تعبية فاختل نظام المسلمين ووصل النصارى الى خباء السلطان ثم التحم القتال واشتد وقوى الله تعالى المسلمين فهزموا النصارى شر هزيمة وقتل منهم خلائق وقصر المسلمون خوفا من محلة سلطان النصارى اذ كانت قادمة في اثر هذه وما ار جعت اليهم الفلول رجعوا القهقرى واستولى المسلمون على غنائم كثيرة وآلات وجعلوا ذلك كله بالحصن ولم يحدث شيء بعد الى رمضان فتوجه الكافر لحصن قبيل ونازله وهد أسواره ولما رأى المسلمون أن الحصن قد دخل طلبوا الامان وخرجوا بامو الهم وأولادهم مؤمنين وفر الناس من تلك المواضع من البراجلة هاربين واستولى العدو على عدة حصون مثل مشافر وحصن اللوز وضيق العدو بجميع بلاد المسلمين ولم يبق وجه لناحية الا استأصلها ولا قصد جهة الا أطاعته وحصلها ثم ان العدو دبر الحيلة مع ما هو عليه من القوة فبعث الى السلطان أبي عبد الله الذي تحت أسره وكساه ووعده بكل ما يتمناه وصرفه لشرقي بسطة وأعطاه المال والرجال ووعده أن من دخل تحت حكمه من المسلمين وبايعه من أهل البلاد فانه في الهدنة والصلح والعهد والميثاق الواقع بين السلاطين وخرج لبلش فأطاعه أهلها ودخلت بلش في طاعته ونودي بالصلح في الاسواق وصرخت به في تلك البلاد الشياطين وسرى هذا الامر حتى بلغ أرض البيازين من غرناطة وكانوا من التعصب وحمية الجاهلية والجهل بالمقام الذي لا يخفى وتبعهم بعض المفسدين المحبين تفريق كلمة المسلمين وممن مال الى الصلح عامة غرناطة لضعف الدولة ووسوس للناس شياطين الفتنة وسماسرتها بتقبيح وتحسين الى أن قام بربض البيازين بدعوة السلطان الذي كان مأسورا عند المشركين ووقعت فتنة عظيمة في غرناطة فقسمها بين المسلمين لما أراده الله تعالى من استيلاء العدو على تلك الاقطار ورجموا البيازين بالحجارة من القلعة وعظم الخطب وكانت الثورة ثالث شهر ربيع الاول عام أحد وتسعين وثمانمائة ودامت الفتنة الى منتصف جمادى الاولى من العام وبلغ الخبر أن السلطان الذي قاموا بدعوته قدم على لوشة ودخلها على وجه رجاء الصلح بينه وبين عمه الزغل صاحب قلعة غرناطة بأن العم يكون له الملك وابن أخيه تحت ايالته بلوشة أو بأي المواضع أحب ويكونون يدا واحدة على عدو الدين وبينما هم كذلك اذا بصاحب قشتالة قد خرج بجند عظيم ومحلة قوية وعدد وعدد ونازل لوشة حيث السلطان أبو عبد الله الذي كان أسيرا وضيق عليها الحصار وقد كان دخلها جماعة من أهل البيازين بنية الجهاد والمعاضدة وليهم وخاف أهل غرناطة وسواها من أن يكون ذلك حيلة فلم يأت لنصرتهم غير

البيازين

اذا عسعس ثم نزل وأذن للناس بالدخول عليه وأقر عمال من كان قبله

بيان ما في كتب التواريخ تنوزع في مقدار سن سليمان فذكر بعضهم أنه قبض وهو ابن خمس وأربعين ومنهم من زعم انه كان ابن ثلاث وخمسين وقد قدمنا قول من قال انه قبض وهو ابن تسع وثلاثين ووجدت أكثر شيوخ بني مروان من ولده وولد غيره بدمشق وغيرها يذهبون الى انه كان ابن تسع وثلاثين والله أعلم

(ذكر لمع من أخباره وسيره)

لما أفضى الامر الى سليمان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء أعطى وما شاء منع وما شاء رفع وما شاء وضع أيها الناس ان الدنيا غرور وباطل وزينة وتقلب بأهلها تضحك باكيها وتبكي ضاحكها وتخيف آمنها وتؤمن خائفها وتثري فقيرها وتفقر مثريها ميالة بأهلها عباد الله اتخذوا كتاب الله اماما وارضوا به حكما واجعلوه لكم هاديا ودليلا فانه ناسخ لما قبله ولا ينسخه ما بعده واعلموا عباد الله أنه ينفي عنكم كيد الشيطان ومطامعه كما يجلو ضوء الشمس الصبح اذا أسفر وادبار الليل اذا

البيازين واشتد عليهم الحصار وكثرت الاقاويل وصرخت الالسن بان ذلك باتفاق بين السلطان الماسو روصاحب قشتالة ودخل على أهل لوشة في بعضهم وخافوا من الاستئصال فطلبوا الامان في أموالهم وأنفسهم وأهليهم فوفى لهم صاحب قشتالة بذلك وأخذ البلد في السادس والعشرين لجمادى الاولى سنة احدى وتسعين وهي أعني لوشة كانت بلد سلف الوزير لسان الدين بن الخطيب كما ذكرناه مستوفى في غير هذا الموضع وهاجر أهل لوشة الى غرناطة وبقي السلطان أبو عبد الله الذي كان مأسورا مع النصراني بلوشة فصرح عند ذلك أهل غرناطة بانه ماجاء للوشة الا ليدخل اليها العدو الكافر ويجعلها فداءه وقيل انه سرح له حينئذ انه اذا كان مرهونا في الفداء وكثر القيل والقال بينهم وبين أهل البيازين في ذلك وظهر بذلك ما كان كامنا في القلوب ثم رجع صاحب قشتالة الى بلاده ومعه السلطان المذكور وفي نصف جمادى الثانية خرج الى البيرة فهد بعض الاسوار وتوعد الناس فاعطاه أهله الحصن على الامان فخرجوا وقدموا على غرناطة ثم فعل بحصن التلين مثل ذلك وقاتلوا قتالا شديدا وماضاقوا وذرعا أعطوه بالمقادة على الامان فخرجوا الى غرناطة وأطاع أهل قلنبيرة من غير قتال فخرجوا الى غرناطة ثم وصل العدو الى متن فريد فرمى عليهم بالمحرقات وغيرها وأحرق دار العدة فطلبوا الامان وخرجوا الى غرناطة وانتقل للصخرة فاخذها وحصن هذه الحصون كلها وشحنها بالرجال والعدة ورتب فيها الخيل لمحاصرة غرناطة ثم عاد الكافر لبلاده وتعاهد مع السلطان الذي في أسره بأن من دخل في حكمه وتحت أمره فهو في الامان التام وأشاعوا أن ذلك بسبب فتنة وقعت بينه وبين صاحب افرنسية فخرج لبلش وأطاعته ثم بعث لمن والاه من البلاد انه أتى بصلح صحيح وعقد وثيق وأن من دخل تحت أمره امن من حركة النصارى عليه وأن معه وثائق بخطوط السلاطين فلم يقبل الناس ذلك الا القليل منهم مثل أهل البيازين فلهجوا بهذا الصلح وأقاموا على صحته الدلائل وتكلموا في أهل غرناطة بالكلام القبيح مع تمكن الفتنة والعداوة في القلوب فبعث له أهل البيازين انه اذا قدم بهذه الحجج لتلك الجهات اتبعه الناس وقاموا بدعوته من غير التباس فاتى على حين غفلة ولم يكن يظن اتيانه بنفسه فاتى البيازين ودخلها ونادى في أسواقها بالصلح التام الصحيح فلم يقبل ذلك منه أهل غرناطة وقالوا ما بعهد لوشة من قدم ودخل ربض البيازين بالرجال سادس عشر شوال سنة احدى وتسعين وثمانمائة وعمه بالحراء وانتقل للقلعة واشتد أمر الفتنة ثم ان صاحب قشتالة أمد صاحب البيازين بالرجال والعدة والمال والقمح والبارود وغيرها واشتد أمره بذلك وعظمت أسباب الفتنة وفشا في الناس القتل والنهب ولم يزل الامر كذلك الى السابع والعشرين من محرم سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة فعزم أهل غرناطة مع سلطانهم على الدخول على البيازين عنوة وتكلم أهل العلم فيمن انتصر بالنصارى ووجوب مدافعته ومن أطاعه عصى الله ورسوله ودخلوا على أهل البيازين دخول فشل ثم ان صاحب غرناطة بعث الى الاجناد والقواد من أهل بسطة ووادي آش والمرية والمنكب وبلش ومالقة وجميع الاقطار وتجمعوا بغرناطة وتعاهدوا وتحالفوا على ان يدهم واحدة على أعداء الدين ونصرة من قصده العدو من المسلمين وخاف صاحب البيازين فبعث لصاحب قشتالة في

أحداثا منها انه أدار الصفوف حول الكعبة وقد كان قبل ذلك صفوف الناس في الصلاة بخلاف ذلك وبلغه قول الشاعر

ياحبذا الموسم من موقف
وحبذا الكعبة من مسجد
وحبذا اللاتي تزاحمنا
عند استلام الحجر الاسود

فقال خالد أما انهن لا يزاحمنك بعدها أبدا ثم أمر بالتفريق بين الرجال والنساء في الطواف وكان سليمان صاحب أكل كثير يجوز المقدار وكان يلبس الثياب الرقاق وثياب الوشي وفي أيامه عمل الوشي الجيد باليمن والكوفة والاسكندرية ولبس الناس جميعا الوشي جبابا واردية وسراويل وعمائم وقلانس وكان لا يدخل عليه رجل من أهل بيته الا في الوشي وكذلك عماله وأصحابه ومن في داره وكان لباسه في ركوبه وجلوسه وعلى المنبر وكان لا يدخل عليه أحد من خدامه الا في الوشي حتى الطباخ فانه كان يدخل اليه في صدره وشي وعلى رأسه طويلة وشي وأمر أن يكفن في الوشي المثقلة وكان شبعه في كل يوم من الطعام مائة رطل بالعراقي وكان ربما أتاه الطباخون بالسفايد التي فيها الدجاج المشوية وعليه الوشي المثقلة فلنهمه وحرصه

على الاكل يدخل يده فى كمه حتى يقبض على الدجاجه وهى حاره فيعصها ود ر الاصمعى قال ذكرت للرشيد

نهم سليمان وتناوله الفراريج بكمه من السفافيد فقال قاتلك الله فما أعلمك بأخبارهم انه عرضت على جباب بنى أمية فنظرت الى جباب سليمان واذا كل جبة منها فى كمها أثر دهن فلم أدر ما ذلك حتى حدثنى بالحديث ثم قال على بجباب سليمان فأتى بها فنظرنا فاذا تلك الآثار فيها ظاهرة فكسانى منها جبة فكان الاصمعى ربما يخرج أحيانا فيها فيقول هذه جبة سليمان التى كسانيها الرشيد وذكر ان سليمان خرج من الحمام ذات يوم وقد اشتد جوعه فاستعجل الطعام ولم يكن فرغ منه فأمر أن يقدم ما لحق من الشواء فقدم اليه عشرون خروفا أكل أجوافها كلها مع أربعين رقاقة ثم قرب بعد ذلك الطعام فأكل معه ندمائه كأنه لم يأكل شيأ وحكى انه كان يتخذ سلال الحلوى ويجعل ذلك حول مرقده فكان اذا قام من نومه يمد يده فلا تقع الا على سلة يأكل منها (حدث) المنقرى عن العتبى عن اسحق بن ابراهيم بن الصباح بن مروان وكان مولى لبنى أمية من أرض البلقاء من أعمال دمشق وكان حافظا للاخبار بنى أمية قال لبس سليمان يوم الجمعة فى ولايته وثمانمائة

ذلك فخرج بعمله قاصدا نواحى بلش وكان صاحب البيازين بعث وزيره الى ناحية مالقة والى حصن المنشأة يذكر ويخوف ومعه النسخة من عقود الصلح فقامت مالقة وحصن المنشأة بدعوته ودخلوا فى اياله خوفا من صاحب قشتالة وصولته وطمعا فى الصلح وصحته ثم اجتمع كبار مالقة مع أهل بلش وذكروا لهم سبب دخولهم فى هذه الدعوة والسبب الحامل لهم على ذلك فلم يرجع أهل بلش عما عاهدوا عليه أهل غرناطة وسائر الاندلس من العهود والمواثيق وخرج صاحب قشتالة قاصدا بلش مالقة ونزل عليها فى ربيع الثانى سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وحاصرها وملكها عند صاحب غرناطة ذلك اجتمع بالناس فاشاروا بالمسير لاغاثة بلش للعهد الذى عقدوه وأتى أهل وادى آش وغيرها وحشود البشرات وخرج صاحب غرناطة منها فى الرابع والعشرين لربيع الثانى من السنة ووصل بلش فوجد العدو نازلا عليها برا وبحرا فنزل بجبل هنالك وكثر لغط الناس وحملوا على النصارى من غير تعبية وحين حركتهم للعملة بلغ السلطان الزغل أن غرناطة بايعت صاحب البيازين فالتقوا مع النصارى فشلين وقبل الالتحام انهزموا وتبددت جموعهم مع كون النصارى خائفين وجلين منهم ولا حول ولا قوة الا بالله فرجعوا منهزمين وقد شاع عند الخواص ثورة غرناطة على السلطان فقصدوا وادى آش وعاد النصارى الى بلش بعد أن كانوا ربتوا جيوشهم للقاء السلطان وأهل غرناطة فلما عادوا الى بلش دخلوا عنوة بعضها وضيقوا بها وكانت ثورة غرناطة خامس جمادى الاولى ولما رأى أهل بلش تكالب العدو عليهم وادبار جيوش المسلمين عنهم طلبوا الامان فخرجوا يوم الجمعة عاشر جمادى الاولى من السنة وأطاعت النصارى جميع البلاد التى بشرقى مالقة وحصن قمارش ثم انتقل العدو الى حصار مالقة وكان أهل مالقة قد دخلوا فى الصلح وأطاعوا صاحب البيازين وأتى اليها النصارى بالميرة ولما نزل بلش بعثوا هدية لصاحب قشتالة مع قائدهم وزير صاحب البيازين وقائد شريش الذى كان مأسورا عندهم فلم يلتفت اليهم صاحب قشتالة لقيام جبل فارة وهو حصن مالقة بدعوة صاحب وادى آش وارتحل صاحب قشتالة الى مالقة ونازلها برا وبحرا وقاتله أهلها قتالا عظيما بمدافعهم وعدتهم وخيلهم ورجلهم وطال الحصار حتى أداروا على مالقة من البر الخنادق والسور والاجفان من البحر ومنع الداخل اليها ولم يدخلها غير جماعة من المرابطين حال الحصار وحاربوا حربا شديدا وقربوا المدافع ودخلوا الارباض وضيقوا عليهم بالحصار الى أن فنى ما عندهم من الطعام فاكلوا المواشى والخيل والحمير وبعثوا الكتب للعدوتين وهم طامعون فى الاغاثة فلم يأت اليهم أحد وأثر فيهم الجوع وفشا فى أهل نجدتهم القتل ولم يظهر لهم ذلك هلعا ولا ضعفا الى أن ضعف حالهم ويئسوا من ناصر أو مغيث من البر والبحر فتكلموا مع النصارى فى الامان كما وقع ممن سواهم فعوتبوا على ما صدر منهم وما وقع من الجفاء وقيل لهم لما تحقق العدو التعاهم تؤمنون من الموت وتعطون مفتاح القلعة والحصن والسلطان ما يعاملكم الا بالخير اذا فعلتم وهذا خداع من الكفار فلما تمكن العدو منهم أخذهم أسرى وذلك أواخر شعبان سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ولم يبق فى تلك النواحى موضع الا وملكه النصارى وفى عام ثلاثة وتسعين

وثمانمائة خرج العدو الكافر الى الشرقية وبلش التى كانت فى الصلح فاستولى عليها واحتجوا بالصلح فلم يلتفت اليهم وأخذ تلك البلاد كلها صلحا ثم رجع لبلاده * وفى عام أربعة وتسعين خرج لبعض حصون بسطة فاخذها بعد حرب واستولى على ماهنالك من الحصون ثم نازل بسطة وكان صاحب وادى آش لما تعين العدو بعلته بعث جميع جنده وقواده وحشد أهل نجدة تلك البلاد من وادى آش والمرية والمنكب والبشرات فلما نزل العدو بسطة أتت الحشود المذكورة ودخلوها ووقعت بين المسلمين والنصارى حروب عظيمة حتى تقهقر العدو عن قرب بسطة ولم يقدر على منع الداخل والخارج وبقى الامر كذلك رجب وشعبان ورمضان ومحلات المسلمين نازلة خارج البلد ثم ان العدو شدد الحصار وجد فى القتال وقرب المدافع والآلات من الاسوار حتى منع الداخل والخارج بعض منع واشتد الحال فى القعدة والحجة وقل الطعام وفى آخر الحجة اختبروا الطعام فى خفية فلم يجدوا الا القليل وكانوا طامعين فى اقلاع العدو عند دخول فصل الشتاء واذا بالعدو بنى وعزم على الاقامة وقوى اليأس على المسلمين فتكلموا فى الصلح على مافعل غيرهم من الاماكن وظن العدو أن الطعام لم يبق منه شئ وان ذلك هو المهيئ لهم للكلام وفهموا عنه ذلك فاحتالوا فى اظهار جميع أنواع الطعام بالاسواق وأبدوا للعدو القوة مع كونهم فى غاية الضعف والحرب خدعة فدخل بعض كبار النصارى للتكلم معهم وهو عين ليرى ماعليه البلد وما صفة الناس وعند تحققهم ببقاء الطعام والقوة أعطوهم الامان على أنفسهم دون من أعانهم من اهل وادى آش والمنكب والمرية والبشرات فان دفعوا هؤلاء عنهم صح لهم الامان والا فلا فلم يوافق أهل البلد على هذا وطال الكلام وخاف أهل البلد من كشف الستر فاتفقوا على أن تكون العقدة على بسطة ووادى آش والمرية والمنكب والبشرات ففعلوا ذلك ودخل جميع هؤلاء فى طاعة العدو على شروط شرطوها وأمور اظهروا بعضها للناس وبعضها مكتوم وقبض الخواص مالا وحصلت لهم فوائد * وفى يوم الجمعة عاشر محرم سنة خمس وتسعين وثمانمائة دخل النصارى قلعة بسطة وملكوها ولم يعلم العوام كيفية ما وقع عليه الشرط والالتزام وقالوا لهم من بقى بموضعه فهو آمن ومن انصرف خرج بماله وسلاحه سالما ثم أخرج العدو المسلمين من البلد وأسكنهم بالربض خوف الثورة ثم ارتحل العدو للمرية وأطاعته جميع تلك البلاد ونزل صاحب وادى آش للمرية ليلقاه بها فلقيه وأخذ الحصون والقلاع والبروج وبايع له السلطان أبو عبد الله على أن يبقى تحت طاعته فى البلاد التى تحت حكمه كما أحب فوعده بذلك وانصرف معه الى وادى آش ومكنه من قلعتها أوائل صفر من العام المذكور واطاعته جميع البلاد ولم يبق غير غرناطة وقراها وجميع ما كان فى حكم صاحب وادى آش صار للنصارى فى طرفة عين وجعل فى كل قلعة قائدا نصرانيا وكان قائد من المسلمين أصحاب هذه البلاد دفع لهم الكفار مالا من عند صاحب قشتالة كرامة منه لهم بزعمهم فتبا لعقولهم وماذلك منه الا توفير لرجاله وعدته ودفع بالتى هى أحسن ثم أخذ برج الملاحة وغيره وبناه وحصنه وشحن الجميع بالرجال والذخيرة واظهر العجبة والصلح مع صاحب وادى آش واباح الكلام بالسوء فى حق

أخرى حتى رضى منها بواحدة فأرخى من سدولها وأخذ بيده مخصرة وعلا المنبر ناظرا فى عطفيه وجمع جمعه وخطب خطبته التى أرادها فاعجبه نفسه فقال أنا الملك الشاب السيد المهاب الكريم الوهاب فتمثلت له جارية من بعض جواريه كان يتحظاها فقال لها كيف ترين أمير المؤمنين قالت أراه منى النفس وقرة العين لولا ماقال الشاعر قال وماقال الشاعر قالت قال

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للانسان
أنت من لا يرى بيننا منك شئ علم الله غير أنك فانى

ليس فيما بدا لنا منك عيب يا سليمان غير أنك فانى

فدمعت عيناه وخرج على الناس باكيا فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا بالجارية فقال لها ماداعاك الى ماقلت لأمير المؤمنين قالت والله ماداعانى اليوم ولا دخلت عليه فأكبره ذلك ودعا بقيمة جواريه فصدقتها فى قولها فراع ذلك سليمان ولم ينتفع بنفسه ولم يمكث بعد ذلك الا مدة حتى توفى وكان سليمان يقول قد أكلنا الطيب ولبسنا اللين وركبنا الفاره ولم يبق لذة الا صديق أطارحه معه فيما بينى وبينه مؤنة التحفظ ودخل عليه يزيد

لعن الله رجلا أجرأك رسنه وحكمك في أمره فقال له يزيد لا تفعل يا أمير المؤمنين فانك رأيتني والامر عني مدبر وعليك مقبل ولو رأيتني والامر مقبل على لاستعظمت مني ما استصغرت ولاستجللت مني ما استحقرت قال صدقت فاجلس لا أم لك فلما استقر به المجلس قال له سليمان عزمت عليك لتخبرني عن الحجاج ما ظنك به أتراه يهوي بعد في جهنم أم قد استقر فيها قال يا أمير المؤمنين لا تقل هذا في الحجاج فقد بذل لكم نصحه وأحقن دونكم دمه وأمن وليكم واخاف عدوكم وانه يوم القيامة لعن يمين أبيك عبد الملك ويسار أخيك الوليد فاجعله حيث شئت فصاح سليمان اخرج عني الى لعنة الله ثم التفت الى جلسائه فقال قبحه الله ما كان أحسن تزيينه لنفسه ولصاحبه ولقد أحسن المكافأة أطلقوا سبيله (ودخل) عليه أبو حازم الاعرج فقال يا أبا حازم ما الذي أنكره الموت قال لانكم عمرتم دنياكم وأخربتم آخرتكم فانتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب قال فاخبرني كيف القدوم على الله قال أما المحسن فكالغائب يأتي أهله مسرورا وأما المسيء

صاحب غرناطة مكرامنه وخداعا وعاودها ثم بعث في السنة نفسها رسلا لصاحب غرناطة أن يمكنه من الحمراء كلما كنه عمه من القلاع والحصون ويكون تحت ايالته ويعطيه مالا جزيلا على ذلك وأي بلاد شاء من الاندلس يكون فيها تحت حكمه قالوا وأطمعه صاحب غرناطة في ذلك فخرج العدو في محلاته لقبض الحمراء والاستيلاء على غرناطة وهذا في سرين السلطانين فجمع صاحب غرناطة الاعيان والكبراء والاجناد والفقهاء والخاصة والعامة وأخبرهم بما طلب منه العدو وأن عمه أفسد عليه الصلح الذي كان بينه وبين صاحب قشتالة بدخوله تحت حكمه وليس لنا الا احدى خصلتين الدخول في طاعته أو القتال فاتفق الرأي على الجهاد والوفاء بما عقده من صلح وخرج بمحلته ان صاحب قشتالة نزل على مرج غرناطة وطلب من اهل غرناطة الدخول في طاعته والا أفسد عليهم زرعهم فاعلنوا بالمخالفة فأفسد الزرع وذلك في رجب سنة خمس وتسعين ووقعت بين المسلمين والعدو حروب كثيرة ثم ارتحل العدو عند الاياس منهم ذلك الوقت وهدم بعض حصون واصلح برج همدان والملاحة وشحنهما بما ينبغي ثم رجع الى بلاده وعند انصرافه نزل صاحب غرناطة بمن معه الى بعض الحصون التي في يد النصارى ففتحها عنوة وقتل من فيها من النصارى وأسكنها المسلمين ورجع لغرناطة ثم أعمل الرحلة الى البشرات في رجب المذكور فأخذ بعض القرى وهرب من بها من النصارى والمرتدين أصحابهم ثم أتى حصن اندرش فتمكن منه وأطاعته البشرات وقامت دعوة الاسلام بها وخرجوا عن ذمة النصارى وهنالك عمه أبو عبد الله محمد بن سعد بجملة وافرة فقصدهم في شعبان من غرناطة واستقر عمه بالمرية واطاعت صاحب غرناطة جميع البشرات الى برجة ثم تحرك عمه مع النصارى الى اندرش فأخذوها لرمضان وخرج صاحب غرناطة لقرية همدان وكان برجها العظيم مشحونا بالرجال والعدة والطعام فحاصره أهل غرناطة ونصبوا عليه أنواعا من الحرب ومات فيه خلق كثير منهم ونقبوا البرج الاول والثاني والثالث وألجؤهم للبرج الكبير وهو القلعة فنقبوها ثم أسروا من كان بها وهم ثمانون ومائة واحتووا على ما هنالك من عدة وآلات حرب * وفي آخر رمضان خرج صاحب غرناطة بقصد المنكب فلما وصل حصن شلوبانية نزله وأخذه عنوة بعد حصاره وامتنعت القلعة وجاءتهم الامداد من مالقة بحرا فلم تقدر على شئ وضيقوا بالقلعة فوصلهم الخبر أن صاحب قشتالة خرج بمحلته لمرج غرناطة فارتحل صاحب غرناطة عن قلعة شلوبانية وجاء غرناطة ثالث شوال وبعد وصولهم غرناطة وصل العدو الى المرج ومعه المرتدون والمدجنون وبعد ثمانية أيام ارتحل العدو لبلاده بعد هدم برج الملاحة واخلائه وبرج آخر وتوجه الى وادي آش فاخرج المسلمين منها ولم يبق بها مسلم في المدينة ولا الربض وهدم قلعة اندرش وخاف على البلاد ولما رأى ذلك السلطان الزغل وهو أبو عبد الله محمد بن سعد عم سلطان غرناطة بادر بالجواز لبر العدوة فجاز لوهران ثم لتلمسان واستقر بها وبها نسله الى الآن يعرفون ببني سلطان الاندلس ودخل صاحب قشتالة لاقاصي مملكته بسبب فتنة بينه وبين الافرنج ثم تحرك صاحب غرناطة على برشانة وحاصرها وأخذها وأسر من كان بها من النصارى وأراد فتيانه القيام على النصارى بجناء

صاحب وادى آش فقتل فيهم * وفى القعدة من السنة رفع صاحب غرناطة من السند وخلت تلك الاوطان من الانس * وفى ثانى عشرى جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وثمانمائة خرج العدو بمعلاته الى مرج غرناطة وأفسد الزرع ودوّخ الارض وهدم القرى وأمر ببناء موضع بالسور والحفير وأحكم بناءه وكانوا يذكرون انه عزم على الانصراف فاذا به صرف الهمة الى الحصار والاقامة وصار يضيق على غرناطة كل يوم ودام القتال سبعة أشهر واشتد الحصار بالمسلمين غير أن النصارى على بعد والطريق بين غرناطة والبشرات متصلة بالمرافق والطعام من ناحية جبل شلير الى أن تمكن فصل الشتاء وكلب البرد ونزل الثلج فانسد باب المرافق وانقطع الجالب وقل الطعام واشتد الغلاء وعظم البلاء واستولى العدو على أكثر الاماكن خارج البلد ومنع المسلمين من الحرث والسبب وضاق الحال وبان الاختلال وعظم الخطب وذلك أوّل عام سبعة وتسعين وثمانمائة وطمع العدوّ فى الاستيلاء على غرناطة بسبب الجوع والغلاء دون الحرب ففر ناس كثيرون من الجوع الى البشرات ثم اشتدّ الامر فى شهر صفر من السنة وقل الطعام وتفاقم الخطب فاجتمع ناس مع من يشار اليه من أهل العلم وقالوا انظروا فى أنفسكم وتكلموا مع سلطانكم فاحضر السلطان أهل الدولة وأرباب المشورة وتكلموا فى هذا المعنى وان العدوّ يزداد مدده كل يوم ونحن لا مدد لنا وكان ظننا أنه يقلع عنا فى فصل الشتاء فخاب الظن وبنى وأسس وأقام وقرب منا فانظروا لانفسكم وأولادكم فاتفق الرأى على ارتكاب أخف الضررين وشاع أن الكلام وقع بين النصارى ورؤساء الاجناد قبل ذلك فى اسلام البلد خوفا على نفوسهم وعلى الناس ثم عدد وا مطالب وشروطا أرادوها وزادوا أشياء على ما كان فى صلح وادى آش منها ان صاحب رومة يوافق على الالتزام والوفاء بالشرط اذا مكنوه من حمراء غرناطة والمعاقل والحصون ويحلف على عادة النصارى فى العهود ويسلم الناس فى ذلك وذكروا أن رؤساء أجناد المسلمين لما خرجوا للكلام فى ذلك امتن عليهم النصارى بمال جزيل وذخائر ثم عقدت بينهم الوثائق على شروط قرئت على أهل غرناطة فانقادوا اليها ووافقوا عليها وكتبوا البيعة لصاحب قشتالة فقبلها منهم ونزل سلطان غرناطة من الحمراء * وفى ثانى ربيع الاول من السنة أعنى سنة سبع وتسعين وثمانمائة استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الاعيان رهنا خوف الغدر وكانت الشروط سبعة وستين منها تأمين الصغير والكبير فى النفس والاهل والمال وابقاء الناس فى أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم ومنها اقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم على أحد منهم الا بشريعتهم وان تبقى المساجد كما كانت والاوقاف كذلك وأن لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا أحدا وأن لا يولى على المسلمين نصرانى أو يهودى ممن يتولى عليهم من قبل سلطانهم قبل وأن يفتك جميع من أسر فى غرناطة من حيث كانوا وخصوصا أعيانا نص عليهم ومن هرب من أسارى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه لمالكه ولا سواه والسلطان يدفع ثمنه لمالكه ومن أراد الجواز للعدوة لا يمنع ويجوزون فى مدة عينت فى مراكب السلطان لا يلزمهم الا الكراء ثم بعد تلك المدة يعطون عشر مالهم والكراء وأن لا يؤخذ أحد بذنب غيره وأن

مع اجتناب المحارم قال فأى القول أعدل قال كلمة حق عند من تخاف وترجو قال فاى الناس أعقل قال من عمل بطاعة الله قال فأى الناس أجهل قال من باع آخرته بدنيا غيره قال عظنى وأوجز قال يا أمير المؤمنين نزه ربك وعظمه أن يراك بحيث ما نهاك عنه أو يفقدك من حيث أمرك به فبكى سليمان بكاء شديدا فقال له بعض جلسائه أسرفت ويحك على أمير المؤمنين فقال له أبو حازم اسكت فان الله عز وجل أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم خرج فلما صار الى منزله بعث اليه سليمان بمال فرده وقال للرسول قل له والله يا أمير المؤمنين ما ارضاه لك فكيف أرضاه لنفسى وذكر اسحق بن ابراهيم الموصلى قال حدثنى الاصمعى عن شيخ من المهالبة قال دخل اعرابى على سليمان فقال له يا أمير المؤمنين انى أريد أن أكلمك بكلام فافهمه فقال له سليمان انا نجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه وارجوان تكون الناصح جميا المأمون غبيا فهات قال يا أمير المؤمنين تادية حق الله وحق أما انتك

أما اذ أمنت بادرة غضبك فساطلق لسانى بما خرست به الالسن من عظمتك

يا أمير المؤمنين انه قد
سخط ربهم خافوك في الله
ولم يخافوا الله فيك حرب
للآخرة سلم للدنيا فلا تأمنهم
على ما يأمنك الله عليه
فانهم لم يأتوا الا ما فيه
تضييع وللامة خسف
وعسف وانت مسؤل
عما اجترموا وليسوا
مسؤلين عما اجترمت
فلا تصلح دنياهم بفساد
آخرتك فان أعظم الناس
عيبا بائع آخرته بدنيا غيره
فقال له سليمان أما أنت
يا اعرابي فقد سللت لسانك
وهو أقطع من سيفك فقال
أجل يا أمير المؤمنين لك
لا عليك فقال سليمان
أما وأبيك يا اعرابي
لا تزال العرب بسلطاننا
لا كناف العز متبوئه ولا
تزال أيام دولتنا بكل خير
مقبله ولئن ساكم ولاة
غيرنا لنحمدن منا ما أصبحتم
تذمون فقال الاعرابي
أما اذا رجع الامر الى ولد
العباس عم الرسول صلى
الله عليه وسلم وصنو أبيه
ووارث ما جعله الله له أهلا
فلا تغافل سليمان كأن لم
يسمع شيأ وخرج الاعرابي
فكان آخر العهد به هذا
الخبر أخبرني به بعض
شيوخ ولد العباس بمدينة
السلام مدينة أبي جعفر المنصور وهو ابن بريهة المنصوري عن أبيه عن علي بن جعفر النوفلي

لا يقهر من أسلم على الرجوع للنصارى ودينهم وان من تنصر من المسلمين يوقف أبدا ما
حتى يظهر حاله ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى فان أبى الرجوع الى الاسلام
تمادى على ما أراد ولا يعاتب على من قتل نصرانيا أيام الحرب ولا يؤخذ منه ما سلب من
النصارى أيام العداوة ولا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى ولا يسفر لجهة من
الجهات ولا يزيدون على المغارم المعتادة وترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثة ولا يطلع
نصراني للسور ولا يتطلع على دور المسلمين ولا يدخل مسجدا من مساجدهم ويسير
المسلم في بلاد النصارى آمنا في نفسه وماله ولا يجعل علامة كما يجعل اليهود وأهل الذمة
ولا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم ولا غيره من أمور دينه ومن ضحك منهم يعاقب ويتركون
من المغارم سنين معلومة وأن يوافق على كل الشروط صاحب رومة ويضع خطيده وامثال
هذا مما تركناه ذكره وبعد ابرام ذلك ودخول النصارى للعمراء والمدينة جعلوا قائدا بالحمراء
وحكاما ومقدمين بالبلد ولما علم ذلك اهل البشرات دخلوا في هذا الصلح وشملهم حكمه على
هذه الشروط ثم أمر العدو الكافر ببناء ما يحتاج اليه في الحمراء وتحصينها وتجديد بناء
قصورها واصلاح سورها وصار الطاغية يختلف الى الحمراء نهارا ويبيت بعدوته ليلا الى أن
اطمأن من خوف الغدر فدخل المدينة وتطوف بها وأحاط خبرا بعمارومه ثم أمر سلطان
المسلمين أن ينتقل لسكنى البشرات وانها تكون له في سكاه باندرش فانصرف اليها وأخرج
الاجناد منها ثم احتال في ارتحاله لبر العدوة وأظهر ان ذلك طلبه منه المذكور فكتب
لصاحب المرية انه ساعة وصول كتابي هذا لسبيل لاحد أن يمنع مولاي أبا عبد الله من
السفر حيث أراد من بر العدوة ومن وقف على هذا الكتاب فليصرفه ويقف معه وفاء بما
عهد له فانصرف في الحين بنص هذا الكتاب وركب البحر ونزل بعدوته واستوطن فاسا
وكان قبل طلب الجواز لنا حية مراكش فلم يسعف بذلك وحين جوازه لبر العدوة لقي شدة
وغلاء وبلاء ثم ان النصارى نكثوا العهد ونقضوا الشروط عروة عروة الى أن آل الحال
بحلهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة بعد أمور وأسباب أعظمها وأقواها
عليهم أنهم قالوا ان القسيسين كتبوا على جميع من كان أسلم من النصارى أن يرجعوا قهرا
للكفر ففعلوا ذلك وتكلم الناس ولا جهد لهم ولا قوة ثم تعدوا الى أمر آخر وهو ان يقولوا
للرجل المسلم ان جدك كان نصرانيا فأسلم فترجع نصرانيا ولما فحش هذا الامر قام أهل
البيازين على الحكام وقتلوهم وهذا كان السبب للتنصر قالوا الان الحكم خرج من السلطان
ان من قام على الحاكم فليس الا الموت الا أن يتنصر فينجو من الموت وبالجملة فانهم تنصروا عن
آخرهم بادية وحاضرة وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك وامتنعت
قرى وأماكن كذلك منها بالفيق واندرش وغيرهما فجمع لهم العدو الجموع واستأصلهم
عن آخرهم قتلا وسبيا الا ما كان من جبل بلنقة فان الله تعالى أعانهم على عدوهم وقتلوا
منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة وأخرجوا على الامان الى فاس بعيالهم وما خف
من أموالهم دون الذخائر ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله في خفية
ويصلي فشدد عليهم النصارى في البحث حتى انهم أحرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ومنعوهم من

حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد وقاموا فى بعض الجبال على النصارى مرارا ولم يقيض الله تعالى لهم ناصرا الى أن كان اخراج النصارى اياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر وألف فخرجت ألوف بفاس وألوف أخر بتلمسان من وهران وجهورهم خرج بتونس فتسلط عليهم الاعراب ومن لا يخشى الله تعالى فى الطرقات ونهبوا أموالهم وهذا ببلاد تلمسان وفاس ونجا القليل من هذه المضرة وأما الذين خرجوا بنواحى تونس فسلم أكثرهم وهم لهذا العهد عمروا قراها الخالية وبلادها وكذلك بتطاون وسلا وفيجية الجزائر ولما استخدم سلطان المغرب الاقصى منهم عسكرا جرارا وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد فى البحر ما هو مشهور الآن وحصنوا قلعة سلا وبنوا بها القصور والحمامات والدور وهم الآن بهذا الحال ووصل جماعة الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها من بلاد الاسلام وهم لهذا العهد على ما وصف والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين والسلطان المذكور الذى أخذت على يده غرناطة هو أبو عبد الله محمد الذى انقرضت بدولته مملكة الاسلام بالاندلس ومحيت رسومها ابن السلطان أبى الحسن ابن السلطان سعد ابن الامير على ابن السلطان يوسف ابن السلطان محمد الغنى بالله واسطة عقدهم ومشيد مبانيهم الأنيقه وسلطان دولتهم على الحقيقه وهو المخلوع الوافد على الاصقاع المرينية بفاس العائد منها الى ملكه فى أرفع الصنائع الرحمانية العاطرة الانفاس وهو سلطان لسان الدين ابن الخطيب وقد ذكرنا جملة من أخباره فى غير هذا الموضع ابن السلطان أبى الحجاج يوسف بن السلطان اسمعيل قاتل سلطان النصارى دون بطرة بمرج غرناطة ابن فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر بن قيس الانصارى الخزرجى رحمهم الله تعالى جميعا وانتهى السلطان المذكور بعد نزوله بمليلة الى مدينة فاس بأهله وأولاده معتذرا عما أسلفه متلهفا على ما خلفه وبنى بفاس بعض قصور على طريق بنيان الاندلس رأيتها ودخلتها وتوفى رحمه الله تعالى بفاس عام أربعين وتسعمائة ودفن بازاء المصلى خارج باب الشريعة وخلف ولدين اسم أحدهما يوسف والآخر أحمد وعقب هذا السلطان الى الآن بفاس وعهدى بذريته بفاس الى الآن سنة ١٠٣٧ يأخذون من أوقاف الفقراء والمساكين ويعدون من جملة الشحاذين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * وقد رأيت أن أذكر هنا الرسالة التى كتب بها المخلوع المذكور الى سلطان فاس الشيخ الوطاسى وهى من انشاء الكاتب المجيد البارع البليغ أبى عبد الله محمد بن عبد الله العربى العقيلى رحمه الله تعالى وسماها بالروض العاطر الانفاس فى التوسل الى المولى الامام سلطان فاس ونصها بعد الافتتاح

مولى الملوك ملوك العرب والعجم * رعيا لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن * جار الزمان عليه جور منتقم
حتى غدا ملكه بالرغم مستلبا * وأقطع الخط ما أبقى على الرغم
حكم من الله حتم لا مرد له * وهل مرد لمحكم منه منحتم
وهى الليالى وقاك الله صولتها * تصول حتى على الآساد فى الاجم
كنا ملوكا لنا فى أرضنا دول * غنائبها تحت افنان من النعم

على روحه وأرواح من سلف من آبائه وقال كان والله هزله جدا وجده علما والله ما رؤى مثل معاوية كان والله غضبه حلما وحلمه حكما وقيل ان هذا الكلام لعبد الملك وكتب سليمان الى خالد بن عبد الله القسرى وهو على العراق فى رجل استجار به من قريش وكان هرب من خالد أن لا يعرض له فأتاه بالكتاب فلم يفضه حتى ضربه مائة سوط ثم قرأه فقال هذه نقمة أراد الله أن ينتقم بها منك لتركى قراءة الكتاب ولو كنت قرأته لانفذت ما فيه فخرج القرشى راجعا الى سليمان فسأله الفرزدق وأناس ممن كان بالباب عما صنع خالد فأخبرهم فقال الفرزدق فى ذلك

سلوا خالدا لا قدس الله خالدا
متى وليت قسر قريشا تدينها
أقبل رسول الله أم بعد عهده
فاضحت قريش قد أغث سمينها
رجونا هداه لا هدى الله سعيه
وما أمه بالام يهدى جنينها
فلما بلغ سليمان ذلك وجه الى خالد من ضربه مائة سوط فقال الفرزدق فى ذلك من أبيات

نعمرى لقد صبت على ظهر خالد * شآبيب ليست من سحاب ولا قطر

فايقظتنا سهام للردى صيب * يرمى بها فجع حتف من يرمى
فلا تنم تحت ظل الملك نومتنا * وأى ملك بظل الملك لم ينم
يبكى عليه الذى قد كان يعرفه * بأدمع مزجت أمواهها بدم
كذلك الدهر لم يبرح كما زعموا * يشم بالصغار الانف ذا الشمم
وصل اواصر قد كانت لنا اشتبكت * فالملك بين ملوك الارض كالرحم
واسط لنا الخلق المرجو باسطه * واعطف ولا تنحرف واعذر ولا تلم
لا تأخذونا باقوال الوشاة ولم * نذنب ولو كثرت اقوال ذى الوخم
فما أطقنا دفاعا للقضاء ولا * أرادت انفسنا ما حل من نقم
ولا ركوبا بأزعاج لسابحة * فى زاخر بأكف الموج ملتطم
والمرء مالم يعنه الله أضيع من * طفل تشكى بفقد الام فى اليتم
وكل ما كان غير الله يحرسه * فان محرو سه لحم على وضم
كن كالسهو ائل اذ سارا لهمام له * فى جحفل كسواد الليل مرتكم
فلم يجم أدرع الكندى وهو يرى * ان ابنه البر قد أشفى على الرجم
أو كالمعلى مع الضليل الاروع اذ * أجاره من أعاريب ومن عجم
وصار يشكره شكرا يكافئ ما * أسدى اليه من الآلاء والنعم
ولا تعاتب على أشياء قد قدرت * وخط مسطورها فى اللوح بالقلم
وعد عما مضى اذ لا ارتجاع له * وعد أحرارنا فى جملة الخدم
ابه حنانيك يا ابن الاكرمين على * ضيف ألم بفاس غير محتشم
فأنت أنت ولولا أنت ما نهضت * بنا اليها خطا الوخادة الرسم
رحماك يا راحما ينمى الى رحما * فى النفس والاهل والاتباع والحشم
فكم مواقف صدق فى الجهاد لنا * والخيل هالكة الاشداق للبهم
والسيف يخضب بالمحمر من علق * ما ابيض من سبل واسود من لمم
ولا ترى صدر عضب غير منقصف * ولا ترى متن لدن غير منحطم
حتى دهينا بدهيا لا اقتدار بها * سوى على الصون للاطفال والحرم
فقال من لم يشاهدها فربتما * يخال جاحمها يقتاد بالخطم
هيهات لوز بنته الحرب كان بها * أعيى يدا من يد جالت على رحم
تالله ما ضمرت غث ضمائرنا * ولا طوت صحة منها على سقم
لكن طلبنا من الامر الذى طلبت * ولا تناقبلنا فى الاعصر الدهم
فخانتا عنده الجد الخؤون ومن * تقعد به نكبات الدهر لم يقم
فاسود ما اخضر من عيش دهته عدا * بالاسمر اللدن أو بالابيض الخذم
وشتت البين شملا كان منتظما * والبين أقطع للموصول من جلم
فرب مبنى شديد قد أناخ به * ركب البلا فقرته أدمع الديم
فنالديه أصيلانا نسائله * اعياجوابا وما بالربع من أرم

فلولا يزيد بن المهلب حلقت
كفلك فتخاء الى الفرخ فى الوكر
لعمرى لقد سار ابن سيبة
سيرة
أرتك نجوم الليل مظاهرة
تجرى
فخذ بيديك الخزى حقا
فانما
جزيت قصاصا بالمرجرجة
السمر
وقال سليمان لعمر بن
عبد العزيز يوما وقد
أعجبه سلطانه كيف ترى
ما نحن فيه قال سرور لولا
أنه غرور وحياة لولا أنه
موت وملك لولا أنه هلك
وحسن لولا أنه حزن ونعيم
لولا أنه عذاب أليم فبكى
سليمان من كلامه وكان
سليمان بخيلا فى الوليد
وعلى الضد منه فى الفصاحة
والبلاغة وقد كان الوليد
أفسد فى أرض لعبد الله بن
يزيد بن معاوية فشكا
ذلك أخوه خالد بن يزيد الى
عبد الملك فقال ان الملوك
اذا دخلوا قرية أفسدوها
الآية فقال له خالد واذا
أردنا أن نهلك قرية أمرنا
مترفيها ففسقوا فيها الآية
فقال عبد الملك أفى عبد الله
يتكلم وبالامس دخل
على قفير فى لسانه ولحن
فى كلامه فقال أفعلى الوليد يقول قال ان كان الوليد يلحن فسليمان أخوه قال خالد وان كان عبد الله وما

لحانا فأخوه خالد فقال الوليد أتتكلم ولست في العير ولا في النفير فقال خالد ألم تسمع ما يقول أمير المؤمنين أنا والله ابن العير والنفير ولو قلت جبيلات وغنيمات والطائف قلنا صدقت أراد بذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفى الحكم بن أبي العاص الى الطائف فصار راعيا حتى رده عثمان وغضب سليمان على خالد القسري فلما دخل عليه قال يا أمير المؤمنين ان القدرة تذهب الحفيظة وانك تجل عن العقوبة فان تعف فاهل لذلك أنت وان تعاقب فاهل ذلك أنا فعفا عنه وذم رجل في مجلس سليمان الكلام فقال سليمان انه من تكلم فاحسن قدر على أن يصمت فيحسن ووقف سليمان على قبر ولده أيوب وبه كان يكنى فقال اللهم اني أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائي وآمن خوفي (قال المسعودي) ولما دفن سليمان سمع بعض كتابه وهو يقول أبياتا منها

وما ساء عما قليل يسر ... وان كثرت أحراسه وكتائبه

ومن يك ذا باس شديد ومنعة ... فعما قليل يهجر الباب حاجبه

وما ظننا بأن نبقى الى زمن * نرى به غرر الاحباب كالحمم
لكن رضا بالقضا الجاري وان طويت * منا الضلوع على برح من الالم
لبيك يا من دعانا نحو حضرته * دعاء ابراهم الحجاج للحرم
واعط الامان الذي رضت قواعده * على أساس وفاء غير منهدم
خليفة الله وافاك العبيد فكن * في كل فضل وطول عندظنهم
وبين أسلافنا ما قد علمت به * من اعتقاد بحكم الارث مقتسم
وأنت منهم كأصل مطلع غصنا * أو كالشراك الذي قد قد من أدم
وقد خطوت خطاهم في مآثرهم * فلم يذموا اذن فيها ولم تذم
وصيت مولى الورى الشيخ الامام غدا * في الناس أشهر من نار على علم
سلالة الامراء الجلة الكبرا * العلية الطهراء القادة البهم
بنو مروان ليوث في عرينهم أبوا * رؤيا قرين لهم في الباس والكرم
النازلين من البيضاء وسط حمى * أحمى من الابلق السامي ومن ارم
والجائسين بدهم الخيل كل ذرا * والداعسين بسمر الخط كل كمي
بر يك فارسهم ان هز عامله * في مارق بلظى الهيجاء مضطرم
ليثا على أجدل عار من اجنحة * يسطو بارقم لداع بغير فم
في اللام يدغم من عساله ألفا * ولم نجد ألفا أصلا بمدغم
أهل الحفيظة يوم الروع يحفظهم * من عصمة الله ما يرمى على العصم
يا من تطير شرارا منه محرقة * لكل مدرع بالحزم محترم
هم وبظائفة التثليث قد فتكوا * كمثل ما يفتك السرحان بالغنم
وان يلمهم يوم الوغى رهج * أنسوك ما ذكروه عن ذوي اللمم
تضيء آراؤهم في كل معضلة * اضاءة السرج في داج من الظلم
هذا ولو من حياء ذاب محتشم * لذاب منهم حياء كل محتشم
طابت مدائحهم اذ طابت انفسهم * فاشتقت النسمات اسمها من النسم
لله درهم والسحب باخلة * بدرهن على الانعام والنعم
بحيث الافق يرى من لون حمرته * كالشيب يخضب بالحناء والكتم
هنالك تهمل أيديهم بصوب حيا * يحيا بالاحداث ما فيها من الرمم
وان بيتي زياد طالما ذكروا * اذا ألمت أحاديث بذكرهم
أحلام عاد وأجسام مطهرة * من المعقة والآفات والاثم
يرون حقا عليهم حفظ جارهم * فلم يضر نازل فيهم ولم يضم
فروعهم بالدواهي لا يراع ولا * يغم منها بما يعرو من الغمم
هم البحار سما حاشا ير أن بها * ما قد أناف على الاطواد من هضم
وليس يسلم من حتف محاربهم * حتى يكون اليهم ملقى السلم
كم فيهم من أمير أوحد ندس * يقرطس الغرض المقصود بالفهم

ويصبح بعد الحجب للناس مقصيا * رهينة بيت لم تسير جوانبه فما كان الا الدفن حتى تفرقت * الى غيره أحراسه وموا كبه

(قال المسعودي) ولسليمان أخبار حسان لما كان في مدة ملكه من الكوائن وقد أتينا على مبسوط ذلك في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا طلبا للايجاز وميلا الى الاختصار وبالله التوفيق

(ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم)

واستخلف عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين وهو اليوم الذي مات فيه سليمان وتوفي بدير سمعان من أعمال حمص مما يلي بلاد قنسرين يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة فكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام وقبض وهو ابن تسع وثلاثين سنة وقبره مشهور في هذا الموضع الى هذه الغاية معظم يغشاه كثير من الناس من الحاضرة والبادية لم يتعرض لنبشه فيما سلف من الزمان كما تعرض لقبور غيره من بني أمية وأمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل انه قبض وهو ابن أربعين سنة وقيل ابن احدى وأربعين سنة وقد تنوزع أيضا في مقدار مدته في الخلافة وقد أتينا على المحصل من ذلك في باب هذا

ولا كسبط إبي حسون من حسنت * أمداحه حسن ما فيه من الشيم
هذا كما ابن أبي ذكرى الهمام فقل * في أصله المنتقى من مجده العمم
خليفة الله حقا في خليقته * كنائب ناب في حكم عن الحكم
مهما تنرقسمات منه نيرة * تنل بنازله ما جل من نعم
فوجهه بدجا أو كفه بجدى * أبهى من الزهر او أندى من الديم
وفضله وله الفضل المبين جرى * كجرى الامثال في الاقطار والامم
وجوده المتوالى للبرية ما * وجوده بينها طرا بمنهدم
اذا ابتغت نعما منه العفاة له * لم يسمعوا كلمة منه سوى نعم
وان يعبس زمان في وجوههم * لم يبصروا غير وجه منه مبتسم
وجه تبين سمات المكرمات به * كما تبين سمات الصدق في الكلم
وراحة لم تزل في كل آونة * في نيلها راحة الشاكي من العدم
لله ما الـ تزمته من نوائله * أيام لا فرض مفروض بملتزم
انسى الخلائف في حلم وفي شرف * وفي سخاء وفي علم وفي فهم
حازم معتمد امنهم ومعتضدا * وامتاز عن واثق منهم ومعتصم
وناصر الدين في الاقبال فاق وفي * محبة العلم ازرى بابنه الحكم
افعال أعدائه معتلة أبدا * متى يرم جزمها بالحذف تجزم
فويل أهل القلى من حية ذكر * للؤتلب اللهام المجر ملتقم
راموا عداوة من ان شاء غادرهم * مثل الاحاديث عن عاد وعن ارم
فسوف يأكلهم من جيشه لجب * بكل قرم الى لحمانهم قرم
وان الاعراب اذ ساروا لغايته * لسائرون الى لقم على لقم
وهم كما قاله ماض أرى قدمي * بسعيه نحو حتفي قد أراق دمي
فقل اذن للناوى الناولان أذى * ياغر غرك ما أبصرت في الحلم
له صوارم لو ناجتك ألسنها * لبشرتك بعمر منك منصرم
وان روحك عن قرب سيقبضه * قبض المسلم ما قد حاز من سلم
فهو الذي ماله نـد يشابهه * من كل متصف بالدهي متسم
يدبر الامر تدبيرا يخالصه * مما عسى أن يرى فيه من الوهم
ويبصر الغيب لحظ الذهن منه اذا * تعمى عن ادراكه ألحاظ كل عمى
وينعم النظر المفضي بناظره * لصوب وجه صواب واضح اللقم
ذو منطق لم تزل تجلو لنا تحته * عن مبطل بخصام المبطل الخصم
ومسمع ليس يصغي للوشاة فلم * ينفق لديه الذي عنهم اليه نمى
فعقله لا تواز يه العقول وهل * يوازن الطود ما قد طال من أكم
٣ أيد جميع الورى من بدو واحضر * نداء مرتبط بالنصر مرتسم
شدوا وجدوا ولا تعنوا ولا تهنوا * قد لفها الليل بالسواقة الحطم

هذا الامام المرتضى السعيد له * سعد يؤيده في كل مصطدم
قد أقسمت أنه المنصور السنة * من نخبة الاولياء مبرورة القسم
فشيعوه ووالوه تروا عجبا * وتظفروا معه بالاجر والغنم
والحمد لله اذ أبقى خلافته * كهفا لنا من يخيم فيه لم يرم
حرز حريز وعز قائم وندى * غمر دراك بلا من ولا سأم
دامت ودام لها سعد يساعدها * في كل مبتدا منه ومختتم
فالله عز اسمه قد زانها بحلى * من غر أمداحه كالدر في النظم
الواهب الالف بعد الالف من ذهب * كالبحر يلمع في مستوقد الضرم
والفاعل الفعل لم يهمم به أحد * والقائل القول فيه حكمة الحكم
ذاكم هو الشيخ فاعجب انه هرم * جودا وحاشاه أن يعزى الى هرم
وحسبنا أن ايدينا به اعتصمت * من حبله بوثيق غير منفصم
فما يحالفه يوما بمضطهد * ولا مؤالفه يوما بمهتضم
ولا موافيه في جهد بمطرح * ولا مصافيه في ود بمتهم
ولا محيا محييه بمكسف * ولا رجاء مرجيه بمخترم
وما تكرمه سرا بمنكشف * ولا تنكره جهرا بمكتتم
وليس لامع مرآه بمكتئب * وليس راضع جدواه بمنفطم
ولا مقبل يمناه الكريمة في * محل ممتهن بل دست محترم
وما وسيلتنا العظمى اليه سوى * ما ليس ينكر ما فيها من العظم
وانما هي وما أدراك ما هي من * وسيلة ردها أدهى من الوخم
نبينا المصطفى الهادي بخير هدى * محمد خير خلق الله كلهم
داعي الورى من أولي خيم وأهل قرى * الى طريق رشاد لاحب أمم
عليه منا صلاة الله ما ذكرت * أمن تذكر جيران بذي سلم
وما تشفع فيها بالشفيع له * دخيل حرمته العليا في الحرم

ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم نعم المولى ونعم النصير أما بعد حمد الله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي طلع طلوع الفجر بل البدر فلاح يدعو الى سبيل كل فلاح أولى قلوب غافلة ونفوس سواه والرضا عن آله وأصحابه وعترته الاكرمين وأحزابه الذين تلقوا بالقبول ما أورده عليهم من أوامر ونواه وعزروه ونصروه في حال قربه ونواه فيا مولانا الذي اولانا من النعم ما اولانا لاحظ الله تعالى لكم من العزة ارواقا ولا اذوى لدوحة دولتكم أغصانا ولا اوراقا ولا زالت مخضرة العود مبتسمة عن زهرات البشائر متحفة بثمرات السعود معطورة بسحائب البركات المتدارکات دون برق ولا رعود هذا مقام العائذ بمقامكم المتعلق باسباب ذمامكم المترجي

(ذكر لمع من أخباره وسيره وزهده)

لم تكن خلافة عمر في عهد تقدم وكان السبب فيها ان سليمان لما حضرته الوفاة بمرج دابق دعا رجاء بن حيوة ومحمد بن شهاب الزهري ومكحولا وغيرهم من العلماء ممن كان في عسكره غازيا ونافرا فكتب وصيته وأشهدهم عليها وقال اذا أنامت فاذنوا بالصلاة جامعة ثم اقرؤا هذا الكتاب على الناس فلما فرغ من دفنه نودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس وحضر بنو مروان فاشرأبوا للخلافة وتشوفوا نحوها فقام الزهري فقال أيها الناس ارضيتم من سماه أمير المؤمنين سليمان في وصيته فقالوا نعم فقرأ الكتاب فاذا اسم عمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك فقام مكحول فقال أين عمر وكان عمر في أواخر الناس فاسترجع حين دعي باسمه مرتين أو ثلاثا فأتاه قوم فأخذوا بيده وعضديه فأقاموه وذهبوا به الى المنبر فصعد وجلس على المرقاة الثانية وللمنبر خمس مراق فكان أول من

بايعه من الناس يزيد بن عبد الملك وقام سعيد وهشام فانصرفا ولم يبايعا وبايع الناس جميعا ثم بايع سعيد

أصلح من قدر عليه فسلك عماله طريقته وترك لعن على عليه السلام على المنابر وجعل مكانه ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا الايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وقيل بل جعل مكان ذلك ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي الآية وقيل بل جعلهما جميعا فاستعمل الناس ذلك في الخطبة الى هذه الغاية ولما استخلف عمر ودخل عليه سالم السدي وكان من خاصته فقال له عمر أسرك ما وليت أم ساءك فقال سرني للناس وساءني لك قال اني أخاف ان أكون أوبقت نفسي وقبره أحسن حالك ان الموضع تخاف اني أخاف معظم ما أن لا تخاف قال عظني ناس من بني آدم أخرج من تحت خطيئة واحدة وكتب طاوس الى عمران أردت أن يكون عملك خيرا كله فاستعمل أهل الخير فقال عمر كفى بها موعظة ولما أفضى اليه الامر كان أول خطبة خطب الناس بها أن قال أيها الناس انما نحن من أصول قد مضت فروعها فما بقاء فرع بعد أصله افتر

لعواطف قلوبكم وعوارف انعامكم المقبل الارض تحت أقدامكم المتلجلج اللسان عند محاولة مفاتحة كلامكم وما الذي يقول من وجهه خجل وفؤاده وجل وقضيته المقضية عن التنصل والاعتذار تجل بيد أني اقول لكم ما اقوله لربي واجترائي عليه اكثر واجترامي اليه اكبر اللهم لا برىء فأعتذر ولا قوي فأنتصر لكني مستقيل مستنيل مستعتب مستغفر وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء هذا على طريق التنزل والاتصاف بما تقتضيه الحال ممن يتحيز الى حيز الانصاف واما على جهة التحقيق فأقول ما قالته الام البنة الصديق والله اني لأعلم اني ان اقررت بما يقوله الناس والله يعلم أني منه بريئة لاقول ما لم يكن وان انكرت ما تقولون لا تصدقوني فاقول ما قاله أبو يوسف صبر جميل والله المستعان على ما تصفون على اني لا انكر عيوبي فانا معدن العيوب ولا أجحد ذنوبي فانا جمل الذنوب الى الله اشكو عجري وبجري وسقطاتي وغلطاتي نعم كل شيء ولا ما يقوله المتقول المشنع المهول الناطق بفم الشيطان المسول ومن أمثالهم سبني واصدق ولا تفتر ولا تخلق افتلي كان يفعل امثالها ويحتمل من الاوزار المضاعفة احمالها ويهلك نفسه ويحبط أعمالها عياذا بالله من خسران الدين وايثار الجاحدين والمعتدين قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين وايم الله لو علمت شعرة في فودي تميل الى تلك الجهة لقطعتها بل لقطفت ما تحت عمامتي من هامتي وقطعتها غير ان الرعاع في كل وقت وأوان للملك أعداء وعليه أحزاب وأعوان كان أحمق أو أجهل من أبي ثروان أو أغفل او أعلم من أشيخ بني مروان ربيعتهم بري ومضر بل بسربال وهو منه عري وفي الاحاديث صحيح وسقيم ومن التراكيب المنطقية منتج وعقيم ولكن ثم ميزان عقل تعتبر به أوزان النقل وعلى الراجح الاعتماد ثم اساغة الاجماد المتصل المتماد والمرجوح الاطراح ثم التزام الصراح بعد النفض من الراح وأكثر ما تسمعه الكذب وطبل جهور الخلق الامن عصمه الله تعالى اليه منجذب ولقد قذفنا من الاباطيل باجار ورميت بما لا يرمى به الكفار فضلا عن الفجار وجرى من الامر المنقول على لسان زيد وعمرو ما لديكم منه حفظ الجار واذا عظم الانكاء فعلى تكاءة التجلد الاتكاء أكثر المكثرون وجهد في تعثيرنا المتعثرون ورمونا عن قوس واحده ونظمونا في سلك الملاحده اكفرا أيضا كفرا غفرا اللهم غفرا أعد نظرا يا عبد قيس فليس الامر على ما خيل لك ليس وهل زدنا على أن طلبنا حقنا ممن رام محقه ومحقنا فطاردنا في سبيله عداة كانوا لنا غائظين فانفتق علينا فتق لم يمكنا له رتق وما كنا للغيب حافظين وبعد فاسأل أهل الحل والعقد والتمييز والنقد فعند جهينتهم تلقى الخبر يقينا وقد رضينا بحكمهم يؤثمنا فيوبقنا أو يبرئنا فيقينا ايه يا من اشرأب الى ملامنا وقدح حتى في اسلامنا رويدا رويدا فقد وجدت قوة وأيدا ويحك انما طال لسانك علينا وامتد بالسوء الينا لان الزمان لنا مصغر ولك مكبر والامر عليك مقبل وعنا مدبر كما قاله كاتب الحجاج الوبر وعلى الجملة فهيهات صرنا الى تسليم مقالك جدلا وذهبنا فأقررنا بالخطا في كل ورد وصدر فلله در القائل * ان كنت أخطأت فما اخطأ القدر * وكأنا بمعنسف اذا وصل الى هنا وعدم انصافه يعلمه الهنا قد ازور وتجانفا ثم

افترمتهانفا وجعل يتمثل بقولهم اذا عيروا قالوا مقادير قدرت وبقولهم المرء يعجزه الحال فيعارض الحق بالباطل والحالى بالعاطل ومنزع بقول القائل رب مسمع هائل وليس تحته طائل وقد فرغنا أول أمس من جوابه وتركنا الضغن يلصق حرارة الجوى به وسلم الآن بما يوسعه تسكيتا ويقطعه تبكيتا فنقول له ناشدناك الله تعالى هل اتفق لك قط وعرض خروج أمر ما عن القصد منك فيه والغرض مع اجتهادك أثناءه فى اصدارك وايرادك فى وقوعه على وفق اقتراحك ومرادك أو جميع ما تزاوله بادارتك لا يقع الا مطابقا لارادتك أو كل ما تقصده وتنويه تحرزه كما تشاء وتحويه فلابد أن يقر اضطرارا بأن مطلوبه يشذ عنه مرارا بل كثيرا ما يفلت صيده من أشراكه ويطلبه فيعجز عن ادراكه فنقول ومسئلتنا من هذا القبيل أيها النبيه النبيل ثم نسرد له من الاحاديث النبوية ماشينا مما يسايرنا فى غرضنا منه ويماشينا كقوله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقضاء وقدر حتى العجز والكيس وقوله أيضا لو اجتمع أهل السموات والارض على ان ينفعوك بشئ لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه أو كما قال صلى الله عليه وسلم فأخلق به أن يلوذ بكنف الاحجام ويزم على نفثه فيه كاف الجم بلجام حينئذ نقول له والحق قد أبان وجهه وجلاه وقهره بحجته وعلاه ليس لك من الامر شئ قل ان الامر كله لله وفى محاجة آدم وموسى ما يقطع لسان الخصم ويرحض عن أثواب أعراضنا ما عسى أن يعلق بها من درن الوصم وكيفما كانت الحال وان ساء الرأى والانتحال ووقعنا فى أوجال وأوحال فثل عرشنا وطويت فرشنا ونكس لوانا وملك مثوانا فنحن أمثل من سوانا وفى الشر خيار ويد الاطائف تكسر من صولة الاغيار فحتى الآن لم نفقد من اللطيف تعالى لطفا ولا عدمنا أدوات أدعية تعطف بالامهلة على جملتنا المقطوعة حبل النعم الموصولة عطفا والا فتلك بغداد دار السلام ومتبوأ الاسلام المحفوف بفرسان السيوف والاقلام مثابة الخلافة العباسيه ومقر العلماء والفضلاء أولى السير الاوليه والعقول الاياسيه قد نوزلت بالجيوش ونزلت وزوولت بالزحوف وزلزلت وتحيف جوانبها الحيف ودخلها كفار التتار عنوة بالسيف ولا تسل اذ ذاك عن كيف أيام تجلت عروس المنية كاشفة عن ساقها مبديه وجرت الدماء فى الشوارع والطرق كالانهار والاوديه وقيد الائمة والقضاه تحت ظلال السيوف المنتضاه بالعمائم فى رقابهم والاردیه وللنجيع سيول تخوضها الخيول فتخضبها الى ارساغها وتهم ظلماء بوردها فتنكل عن تجرعها ومساغها فطاح عاصمها ومستعصمها وراح ولم يغد ظالمها ومتظالمها وخربت مساجدها وديارها واصطلم بالحسام أشرارها وخيارها فلم يبق من جمهور أهلها عين تطرف حسبما عرفت أو حسبما تعرف فلا تلك متشككا متوقفا فحديث تلك الواقعة الشنعاء أشهر عند المؤرخين من قفا فاين تلك الجحافل والآراء المداورة فى المحافل حين أراد الله تعالى بادالة الكفر لم تجد ولا قلامة ظفر اذن ممن سامت له نفسه التى هى رأس ماله وعياله وأطفاله اللذان هما من أعظم آماله وكل أوجل أو أقل رياشه وأسباب معاشه الكفيلة بانتهاضه

المصائب مع كل جرعة شرق وفى كل أكلة غصص لا ينالون نعمة الا بفراق أخرى ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره الا بهدم آخر من أجله وكتب الى عامله بالمدينة أن اقسم فى ولد على بن أبى طالب عشرة آلاف دينار فكتب اليه ان عليا قد ولد له فى عدة قبائل من قريش ففى أى ولده فكتب اليه لو كتبت الينا فى شاة تذبحها الكتبت الى سوداء أو بيضاء اذا أتاك كتابى هذا فاقسم فى ولد على من فاطمة رضوان الله عليهم عشرة آلاف دينار فطالما تخطتهم حقوقهم والسلام (وخطب) فى بعض مقاماته فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه أيها الناس انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم ألا وانى لست بقاض ولكنى منفذ ألا وانى لست بمبتدع ولكنى متبع ان الرجل الهارب من الامام الظالم هو العاصى الا لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق (وبعث) عمر وفدا الى ملك الروم فى أمر من مصالح المسلمين وحق يدعوه اليه فلما دخلوا اذا ترجمان يقف عليه وهو جالس على سرير ملكه والتاج على رأسه والبطارقة عن يمينه وشماله والناس على مراتبهم بين يديه فأدى اليه ما قصدوا

وانتعاشه ثم وجد مع ذلك سبيلا الى الخلاص فى حال ميسرة ومساهلة دون تصعب واعتياص بعد ما ظن كل الظن أن لا محيد ولا مناص فأحقه حينئذ أولاه أن يحمد خالقه ورازقه ومولاه على ما أسداه اليه من رفده وخيره ومعافاته مما ابتلى به كثيرا من غيره ويرضى بكل ايراد واصدار تتصرف فيهما الاحكام الالهية والاقدار فالدهر غدار والدنيا دار مشحونة بالاكدار والقضاء لا يرد ولا يصد ولا يغالب ولا يطالب والدائرات تدور ولا بد من نقص وكمال للبدور والعبد مطيع لا مطاع وليس يطاع الا المستطاع وللخالق القدير جلت قدرته فى خليقته علم غيب للاذهان عن مداه انقطاع ومالى والتكلف لما لا احتاج اليه من هذا القول بين يدى ذى الجلال والمجادة والفضل والطول فله من العقل الارجح ومن الخلق الاسجح ما لا تلتاط معه تهمتى بصغره ولا تنفق عنده وشاية الواشى لاعدمن نفره ولا فاز قدحه بظفره والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب وتجر براحتها الى المتاعب وقديما للاكياس من الناس خدعت وانحرفت عن وصالهم اعقل ما كانوا وقطعت وفعلت بهم ما فعلت بيسار الكواعب التى جبت وخدعت ولئن رهصت وهصرت فقد نبهت وبصرت ولئن قرعت ومعضت لقد أرشدت ووعظت ويا ويلنا من تنكرها الناظره ورميها النافى غمرة أى غمره أيام قلبت لناظهر المجن وغيم افقها المحى وأدجن فسرعان ساعاتها حبالها منبته ورأينا منها ما لم نحتسب كما تقوم الساعة بغته فمن استعاذ من شئ فليستعذ مما صرنا اليه من الحور بعد الكور والانحطاط من النجد الى الغور

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرف

وأبيها لقد أرهقتنا ارهاقا وجرعتنا من صاب الاوصاب كاسا دهاقا ولم نفزع الى غير بابكم المنيع الجناب المنفتح حين سدت الابواب ولم نلبس غير لباس نعمائكم حين خلعنا ما ألسنا الملك من الاثواب والى امه لجأ الطفل لجأ اللهفان وعند الشدائد تمتاز السيوف من الاجفان ووجه الله تعالى يبقى وكل من عليها فان والى هنا ينتهى القائل ثم يقول حسبى هذا وكفان ولا ريب فى اشتمال العلم الكريم على ما تعارفته الملوك بينها فى الحديث والقديم من الاخذ باليد عند زلة القدم وقرع الاسنان وعض البنان من الندم دينا تدينت مع اختلاف الاديان وعادة اطردت على تعاقب الازمان والاحيان ولقد عرض علينا صاحب قشتالة مواضع معتبرة خيرفيها وأعطى من امانه المؤكد فيه خطه بأيمانه ما يقنع النفوس ويكفيها فلم نرو نحن من سلالة الاحمر مجاورة الصفر ولا سوغ لنا الايمان الاقامة بين ظهرانى الكفر ما وجدنا عن ذلك مندوحة ولو شاسعه وأمنا من المطالب المشاغب حجة شرلنا الاسعه واد كرنا أى اد كار قول الله تعالى المنكر لذلك غاية الانكار ألم تكن أرض الله واسعه وقول الرسول عليه الصلاة والسلام المبالغ فى ذلك بابلغ الكلام أنا برىء من مؤمن مع كافر لا تتراآ ى ناراهما وقول الشاعر الحاث على حث المطيه المتناقلة عن السير فى طريق منجاتها البطيه

لا يبقون مع أهل الشر الا قليلا (وكتب عمر) الى أبى حازم المدنى الاعرج أن أوصنى وأوجز وما

ثلثاهم بجميل وأجابهم فدخلوا عليه فاذا هو قد نزل عن سريره ووضع التاج عن رأسه وقد تغيرت صفاته التى شاهدوه عليها كأنه فى مصيبة فقال هل تدرون لماذا دعوتكم قالوا لا قال ان صاحب مصلحتى التى تلى العرب جاءنى كتابه فى هذا الوقت أن ملك العرب الرجل الصالح قد مات فاملكوا أنفسهم أن بكوا فقال لا تبكوا له وابكوا لانفسكم مابدا لكم فانه خرج الى خير مما خلف قد كان يخاف أن يدع طاعة الله فلم يكن الله ليجمع عليه مخافة الدنيا ومخافة الآخرة لقد بلغنى من بره وفضله وصدقته ما لو كان أحد يبعث عيسى يحيى الموتى لظننت أنه يحيى الموتى ولقد كانت تأتينى أخباره باطنا وظاهرا فلا أجد أمره مع ربه الا واحدا بل باطنه أشد حين خلوته بطاعة مولاه ولم أعجب لهذا الراهب الذى قد ترك الدنيا وعبد ربه على رأس صومعته ولكنى عجبت من هذا الذى صارت الدنيا تحت قدميه فزهد فيها حتى صار مثل الراهب ان أهل الخير

وما أناوالتلذذ نحو نجد * وقد غصت تهامة بالرجال

ووصلت أيضا من الشرق الينا كتب كريمة المقاصد لدينا تستدعي الانحياز الى تلك الجنبات وتتضمن مالا مزيد عليه من الرغبات فلم نختر الادارنا التي كانت دار آبائنا من قلبنا ولم نرتض الانضواء الا لمن يجبله وصل حبلنا و بريش نبله ريش نبلنا ادلالا على محل اخاء متوارث لاعن كلالة وامتثالا لوصاة اجداد لانظارهم وأقدارهم أصالة وجلالة اذ قدروا ينا عمن سلف من أسلافنا في الايصاء لمن يخلف بعدهم من أخلافنا أن لا يبتغوا اذا دهمهم داهم بالحضرة المرينية بدلا ولا يجدوا عن طريقها في التوجه الى فريقها معدلا فاخترقنا الى الرياض الاريضة الفجاج وركبنا الى البحر الفرات ظهر البحر الاجاج فلاغروأن نردد نه على مايقر العين و يشفي النفس الشاكية من ألم البين ومن توصل هذا التوصل وتوسل بمثل ذلك التوسل تطارحا على سدة أمير المؤمنين المحارب للمحاربين والمؤمن للمستأمنين فهو الخليق الحقيق بان يسوغ اصغي مشار به و يبلغ أوفى مآربه على توالي الايام والشهور والسنين و يخلص من الثبور الى الحبور ويخرج من الظلمات الى النور خروج الجنين ولعل شعاع سعادته يفيض علينا ونفحة قبول اقباله تسري الينا فتخامرنا أريحية تحملنا على أن نبادر لانشاد قول الشريف الرضي في الخليفة القادر

عطفا أمير المؤمنين فاننا * في دوحة العلياء لانتفرق
مابيننا يوم الفخار تفاوت * أبدا كلانا في المعالي معرق
الا الخلافة ميزتك فانني * أنا عاطل منها وأنت مطوّق

لابل الاحرى بنا والاحجى والانجح لسعينا والارجى أن نعدل عن هذا المنهاج و يقوم وافدنا بين يدي علاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف المحتاج و ينشد ماقال في الشيرازي ابن حجاج

الناس يفدونك اضطرارا * منهم وافديك باختياري
وبعضهم في جوار بعض * وأنت حتى أموت جاري
فعيش لخبزي وعيش لمائي * وعيش لداري وأهل داري

ونستوهب من الوهاب تعالى جلت أسماؤه وتعاظمت نعماؤه رحمة تجعل في يد الهداية أعنتنا وعصمة تكون في مواقف المخاوف جنتنا وقبولا يعطف علينا نوافر القلوب وصنعا يسني لنا كل مرغوب ومطلوب ونسأله وطالما بلغ السائل سؤلا ومأمولا متابا صادقا على موضوع الندم محمولا ثم عزاء حسنا وصبرا جميلا عن أرض أورثها من شاء من عباده معقبا لهم ومديلا وسادلا عليهم من ستور الاملاء الطويلة سدولا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فليظر طائر الوسواس المرفرف مطيرا كان ذلك في الكتاب مسطورا لم نستطع عن مورده صدورا وكان أمر الله قدرا مقدورا الا وان لله سبحانه في مقامكم العلي الذي أيده واعانه سرا من النصر يترجم عنه لسان من النصل وترجع فروع البشائر الصادقة بالفتوحات المتلاحقة من قاعدته المتاصلة الى أصل

عامل من عماله قد كتر شاكوك وقل شاكروك فاما عدلت واما اعتزلت والسلام وذكر المدائني قال كان يشترى لعمر قبل خلافته الحلة بألف دينار فاذا لبسها استخشنها ولم يستحسنها فلما أتته الخلافة كان يشترى له قميص بعشرة دراهم فاذا لبسه استلانه وخرج مع جماعة من أصحابه فمر بالمقبرة فقال لهم قفوا حتى آتي قبور الاحبة فسلم عليهم فلما توسطها وقف فسلم وتكلم وانصرف الى أصحابه فقال ألا تسألوني ماذا قلت لهم وما قيل لي فقالوا وماذا قلت يا أمير المؤمنين وماقيل لك قال مررت بقبور الاحبة فسلمت فلم يردوا ودعوت فلم يجيبوا فبينا أنا كذلك اذ نوديت ياعمر أتعرفني أنا الذي غيرت محاسن وجوههم ومزقت الاكفان عن جلودهم وقطعت أيديهم وأبنت أكفهم من سواعدهم ثم بكى حتى كادت نفسه أن تطفو فوالله ماهو الا ماضي بعد ذلك الا أيام حتى لحق بهم

(وذكر المدائني) قال كتب مطرف الى عمر أما بعد فان الدنيا دار عقوبة لها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم له فكن بها كالمداوي جرحه واصبر على شدة الدواء لما تخاف من عاقبة الداء (وذكر بعض الاخباريين) أن عمر

فيمثله يجب اللياذ والعياذ ولشبهه يحق الالتجاء والارتجاء ولامرما آثرناه واخترناه بعد أن استرشدنا الله سبحانه واستخرناه ومنه جل جلاله نرغب أن يخير لنا ولجميع المسلمين ويؤ ب بنا من حمايته ووقايته الى معقل منيع وجناب رفيع آمين آمين آمين ونرجو أن يكون ربنا الذى هو فى جميع الامور حسبنا قد خار لنا حيث ارشدنا وهدانا وساقنا توفيقه وحدانا الى الاستعارة بملك حفى كريم وفى أعزجار من أبى دواد وأحمى انفا من الحرث بن عباد يشهد بذلك الدانى والقاصى والحاضر والباد ان أغاث ملهوفا فالاسود بن قنان يذكر وان انعش حشاشة هالك فكعب بن مامة على فعله وحده يشكر جليسه كجليس القعقاع بن شور ومذاكره كذا كرسفيان المنتسب من الرباب الى ثور الى التحلى بأمهات الفضائل التى أضدادها أمهات الرذائل وهى الثلاث الحكمة والعدل والعفة التى تشملها الثلاثة الاقوال والافعال والشمائل وينشأ منها ماشئت من عزم وحزم وعلم وحلم وتيقظ وتحفظ واتقاء وارتقاء وصول وطول وسماح نائل فبنو رحلاه المشرق يفتخر المغرب على المشرق وبمجده السامى خطره فى الاخطار وبيته الذى ذكره فى النباهة والنجابة قد طار بيا هى جميع ملوك الجهات والاقطار وكيف لاوهو الرفيع المنتمى والنجار الراضع من الطهارة صفو ألبان الناشئ من السراوة وسط أحجار فى ضئضئ المجد وبحبوحة الكرم وسراوة أسرة المملكة التى أكنافها حرم وذؤابة الشرف التى مجاذبتها لم ترم من معشر أى معشر بخلوا ان وهبوا مادون أعمارهم وجبنوا أن لم يحموا سوى ذمارهم بنومرين وما أدراك ما بنومرين

*سم العداة وآفة الجزر * النازلون بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

لهم من الهفوات انتفاء وعندهم من السير النبوية اكتفاء انتسبوا الى بربن قيس فخرجوا فى البرعن القيس مالهم القديم المعروف قد نفد فى سبيل المعروف وحديثهم الذى نقلته الرجال الزحوف من طريق القنا والسيوف على الحسن من المقاصد موقوف تحمد من صغيرهم وكبيرهم ذابلهم ولدنهم فلله آباء أنجبوهم وأمهات ولدنهم شم الانوف من الطراز الاول اليهم فى الشدائد الاستناد وعليهم فى الازمات المعول ولهم فى الوفاء والصفاء والاحتفاء والعناية والحماية والرعاية الخطو الواسع والباع الاطول كما عناهم بقوله جرول

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا * وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوابها * وان انعموا لا كدر وها ولا كدوا
وتعذلنى ابناء سعد عليهم * وما قلت الا بالذى علمت سعد

وبقوله الوثيق مبناه البليغ معناه

قوم اذا عقدوا عقد الجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

يزيحون عن النزيل كل نازح قاصم وليس له منهم عائب ولا واصم فهو احق بما قاله فى منقر قيس ابن عاصم

لا يغمطون لعيب جارهم * وهم يحفظ جوارهم فطن

فى عنفوان حداثته حتى قال لانك جنيت كذا وكذا قال فهل جنيت أنت جناية قط غضب بها عليك مولاك قال عمر نعم قال فهل عجل عليك العقوبة قال اللهم لا قال العبد فلم تعجل على ولم يعجل عليك فقال له قم فانت حر لوجه الله وكان ذلك سبب توبته وكان عمر يكثر هذا الكلام فى دعائه فيقول ياحليما لا يعجل على من عصاه

(وذكر جماعة من الاخباريين) أن عمر لما ولى الخلافة وفد عليه وفود العرب ووفد عليه وفد الحجاز فاختار الوفد غلاما منهم فقدموه عليهم ليبدأ بالكلام فلما ابتدأ الغلام بالكلام وهو أصغر القوم سنا قال عمر مهلا يا غلام ليتكلم من هو أسن منك فقال مهلا يا أمير المؤمنين انما المرء باصغريه لسانه وقلبه فاذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استعد له الخليفة يا أمير المؤمنين ولو كان التقدم بالسن لكان فى هذه الامة من هو أسن منك قال تكلم يا غلام قال نعم يا أمير المؤمنين نحن وفود التهنئة لا وفود المرزئة قدمنا اليك من بلدنا نحمد الله الذى من بك علينا لم نخر جنا اليك رغبة ولا رهبة أما حلاهم

حلاهم هذه الغريزة التي ليست باستكراه ولا جعل واميرالمؤمنين دام نصره قسيمهم فيها حذو النعل بالنعل ثم هو عليهم وعلى من سواهم بالاوصاف الملوكية مستعل ارفض مرتهم منه عن غيث ملث يمحو آثار اللزبه وانشق غيلهم منه عن ليث ضار منقبض على براثنه للوثبه فقل لسكان الفلا لاتغرنكم اعدادكم وامدادكم فلا يأتي السرحان المواشي سواه مشي اليها النقري او الجفلى بل يصدمهم صدمة تحطم منهم كل عرنين ثم يتلع بعد اشلاءهم المعفرة ابتلاع التنين فهو هو كما عرفوه وعهدوه والفوه اخو المنايا وابن جلا وطلاع الثنايا مجتمع اشده قد احتنكت سنه وبان رشده جاد مجد محترم بحزام الحزم مشمر عن ساعد الجد

لايشرب الماء الامن قليب دم * ولايبيت له جار على وجل
أسدى القلب آدمى الروا لابس جلد النمر يزدى العتاد والنوا
وليس بشارى عليه دمامة * اذا ماسعى يسعى بقوس وأسهم
ولكنه يسعى عليه مفاضة * دلاص كأعيان الجراد المنظم

فالنجاء النجاء سامعين له طائعين والوجل الوجل لاحقين به خاضعين قبل أن تساقوا اليه مقرنين فى الاصفاد ويعيا الفداء بنفائس النفوس والاموال على الفاد حينئذ يعض ذو الجهل والفدامه على يديه حسرة وندامه اذا رأى أبطال الجنود تحت خوافق الرايات والبنود قد لفحتهم نار ليست بذات خمود وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم عاد وثمود زعقات تؤزل الكتائب أزا وهمزا محققا للخيل بعد المد المشبع للاعنة همزا وسلا للهندية سلا وهزا للغطية هزا حتى يقول النسر للذئب هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أتق خليفة الله بذاك فى كل من رام أذى رعيتك أو أذاك فتلك عادة الله سبحانه وتعالى فى ذوى الشقاق والنفاق الذين يشقون عصا المسلمين ويقطعون طريق الرفاق وينصبون حبائل البغى والفساد فى جميع النواحى والآفاق فلن يجعلهم الله عز وجل من الآمنين أنى وكيف وقد أفسدوا وخانوا وهو سبحانه لايصلح عمل المفسدين ولايهدى كيد الخائنين وهانحن قد وجهنا الى كعبة مجدكم وجوه صلوات التقديس والتعظيم بعد ما زينا معاطفها باستعطافكم بدر ثناء أبهى من درا العقد النظيم منتظمين فى سلك أوليائكم متشرفين بخدمة عليائكم ولا فقد عزة ولاعدمها من قصد مثابتكم العزيزة وخدمها وان المترامى على سنائكم لجدير بحرمتكم واعتنائكم وكل ملهوف تبوأ من كنفكم حصنا حصينا عاش بقية عمره مجروسا من الضيم مصونا وقد قيل فى بعض الكلام من قعدت به نكاية الايام اقامته اغاثة الكرام ومولانا أيده الله تعالى ولى ما يزفه اليناس من مكرمة بكر ويصنعه لنا من صنيع حافل يخلد فى صحائف حسن الذكر ويروى معنعن حديث جده وشكره طرس من قلم عن بنان عن لسان عن فكر وغيره من ينام عن ذلك فيوقظ ويسترسل مع الغفلة حتى يذكر ويوعظ وماعهد منذ وجد الاسير يعالى داعى الندى والتكرم بريئا من الضجر بالمطالبة والتيرم حافظا للعار الذى أوصى النبى صلى الله عليه وسلم بحفظه مستغرقا وسعه فى رعيه المستعر ولحظه آخذا من حسن الثناء

فقال عظنا ياغلام وأوجز
قال نعم ياأمير المؤمنين انا
أناسا من الناس غرهم
حلم الله عنهم وطول أملهم
وحسن ثناء الناس عليهم
فلا يغرنك حلم الله عنك
وطول أملك وحسن ثناء
الناس عليك فتزل قدمك
فنظر عمر فى سن الغلام فاذا
هو قد أتت عليه بضع
عشرة سنة فأنشأ عمر رحمه
الله يقول
تعلم فليس المرء يولد عالما
وليس أخو علم كمن هو
جاهل
وان كبير القوم لاعلم عنده
صغير اذا التفت عليه
المحافل

وقد كان رجل من أهل
العراق أتى المدينة فى طلب
جارية وصفت له فارتاد
قوالة فسأل عنها فوجدها
عند قاضى المدينة فاتاه
وسأله أن يعرضها عليه
فقال ياعبد الله لقد أبعدت
الشقة فى طلب هذه
الجارية فارغبتك فيها
لما رأى من شدة اعجابه بها
قال انها تغنى فتعيد فقال
القاضى ماعلمت بهذا فاخلع
عليه فى عرضها فعرضت
بحضرته ولاها القاضى
فقال لها الفتى هات فغنت
الى خالد حتى أنخن بخالد
فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

ففرح القاضى بجاريته وسر بغنائها وغشيه من الطرب أمر عظيم حتى أقعدها على فخذه وقال

فى جميع الاوقات والآنات بحفظه

فهو من دوحة السنا فرع عز * ليس يحتاج مجتنيه لهز
كفه فى الاهمال أغزر وبل * وذراه فى الخوف أمنع حوز
حلمه يسفر اسمه لك عنه * فتفهم يا مدعى الفهم لغزى
لا تسله شيأ ولا تستنله * نظرة منه فيك تغنى وتحزى
فنداه هو الفرات الذى قد * عام فيه الانام عوم الاوز
وحماه هو المنيع الذى تر * جع عنه الخطوب مرجع عجز
فدعوا ذهنه يزاول قولى * فهو أدرى بما تضمن رمزى
دام يحيى بكل صنع ومن * ويعافى من كل بؤس وبرز

وكأنا به قد عمل على شاكلة جلاله من مد ظلاله وتمهيد خلاله وتلقى ورود نا بحسن تهلله واستهلاله وتأنيسنا بجميل قبوله واقباله وايرادنا على حوض كوثره المترع بزلاله والله سبحانه يسعد مقامه العلى ويسعد نابه فى حله وارتحاله ومآله وحاله ويؤيد جنده المظفر ويؤيدنا بتأييده على نزال عدوه واستنزاله وهز الذوابل لاطفاء ذباله وهو سبحانه وتعالى المسؤل أن يريه قرة العين فى نفسه وأهله وخدامه وأمواله وأنظاره وأعماله وكافة شؤنه وأحواله وأحق ما نصل بالسلام وأولى على المقام الجليل مقام الخليفة المولى أزكى الصلاة والسلام على خاتمة أنبيائه وارسله سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أصحابه وآله صلاة وسلاما دائمين أبدا موصولين بدوام الابد واتصاله ضامنين لمجددهما ومردده ما صلاح فساد أعماله وبلوغ غاية آماله وذلك بمشيئة الله تعالى واذنه وفضله وافضاله انتهى * وكاتب هذه الرسالة على لسان السلطان المخلوع قال الوادى آشى فى حقه انه امام هذه الصناعه وفارس حلبة القرطاس والبراعه وواسطة عقد البلاغة والبراعه الذى قطف الكمال لما نور ورتب محاسن البديع فى درر فقره وطوّر وغرف من بحر عجاج واقتطف من خاطر وهاج أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربى العقيلى وما أحسن قوله فيمن قد ظفر به المسلمون

ألا رب مغرور وتنصر ضلة * فحاق به شؤم الضلال وشره
فان يرتفع عندا النصارى بالابتدا * فكم عندنا من حرف حبل بجره

وقال الوادى آشى أيضا فى موضع آخر مانصه ولشاعر العصر مالك زمامى النظم والنثر الفقيه العالم المتقن المتفنن العارف الاوحد النبيه النبيل سيدى محمد العربى وصل الله تعالى رفعة قدره وحرس من غير الايام أشعة بدره

الحب فى جمهور أنواره * فاين الاخوان والاحباب
وأين أين الاجتماعات قد * تهيأت لمن له الاسباب
وأين بنت الحبن لما بدت * طارت اليها شوقا البباب
وأين الالبان لا كوابها * فى برم الاوزاز تسكاب
واللعم بالبسباس قد ألفت * لطبخه فى القدر الاحطاب

هات شيأ بأبى أنت فقلت فزاد الطرب على القاضى ولم يدر ما يصنع فأخذ نعله فعلقها فى أذنه وجثا على ركبتيه وجعل يأخذ بطرف أذنه والنعل معلقة فيها ويقول أهدونى الى البيت الحرام فانى بدنة حتى أدمى أذنه فلما أمسكت أقبل على الفتى فقال ياحبيبى انصرف قد كنا فيها راغبين قبل أن نعلم أنها تقول فنحن الآن فيها أرغب فانصرف الفتى وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال قاتله الله لقد استرقه الطرب وأمر بصرفه عن عمله فلما صرف قال نساؤه طوالق لو سمعها عمر لقال اركبونى فانى مطية فبلغ ذلك عمر فاشخصه وأشخص الجارية فلما دخلا على عمر قال له أعد ما قلت قال نعم فاعاد ما قال فقال للجارية قولى فغنت

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فابادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

فما فرغت من هذا الشعر حتى طرب عمر طربا بينا وأقبل يستعيدها ثلاثا وقد بلت دموعه لحيته ثم أقبل على القاضى فقال

والعود ذودندنة يطربى * آثارها للطاردبداب
وملع الاصوات قدطورحت * وجاء معبد وزرياب
وفض للهوى ختام ولم * يسدّ فى وجه الهوى باب
وقيل للوقار قم قبل أن * تسلب عنك الآن الاثواب
وكل انسان وما يشتهى * ليس على مناه حجاب
مسترسلا ليس له عذل * كلا ولا عليه رقاب
فى راحة خلعت أرسانها * لمثلها تعصر الاعناب
فكل بستان قد استأسدت * فيه النواوير والاعشاب
وأطلع التراب أدواحه * كأنها العرب الاتراب
لما تحلت بحلى زهرها * داخلها بالحسن الاعجاب
عرائس ليس لها فى سوى * مائه اذ ينبسه خطاب
أمام تبدى ثمرات بدا * فى جنباتهن الارطاب
كأنه فى العين ياقوت او * كأنه فى الفم جلاب
هيهات هيهات أمان لها * خلب برق لك خلاب
ماحوت الرؤس أمثالها * فكيف تحويهن الاذناب
قد عاق عن ذلك دهر به * تعدم الافراح والاطراب
يروم الانسان غلابالله * والدهر للانسان غلاب

وقال رحمه الله تعالى لما نزل النصارى لمحاصرة غرناطة

بالطبل فى كل يوم * و بالنفير نراع وليس من بعد هذا * وذاك الا القراع
يارب خيرك نرجو * من هيض منه الذراع لاتسلبنى صبرا * منه لقلبى ادراع

وله رحمه الله تعالى فى الموشحات اليدالطولى فمن ذلك قوله

بدر أهل الزمان الرفيع القدر * لاتزل فى أمان من كسوف البدر

وله من اخرى

هل يصح الامان من شبيه البدر * وهو مثل الزمان منتم للغدر
لم يغر الاغر غير غمر جاهل * عيشه الحلو مر وهو عنه ذاهل
والصبا الغض مر وهو عنه ذاهل
مرشف البهرمان فوق ثغر الدر * مطمع للامان باقتراب الدر

وعارض رحمه الله تعالى بهاتين الموشحتين الموشحة المشهورة

ضاحك عن جمان سافر عن بدر * ضاق عنه الزمان وحواه صدرى

ومن عارض هذه الموشحة ابن ارقم اذ قال

مبسم البهرمان فى المحيا الدرى * صاد قلبى وبان وأنا لم أدر

والانصاف أن معارضة العربى أحسن من هذه وله أيضا معارضتان غير ما تقدم الاولى قوله

بان لى ثم بان ذا خدود حمر * ينثنى مثل بان فى ثياب خضر

وغيرهما عن الزبير بن بكار ومن عبد الله بن أحمد المدينى قال كان بالمدينة فتى من بنى أمية من ولد عثمان وكان ظريفا يختلف الى قينة لبعض قريش وكانت الجارية تحبه ولا يعلم ويحبها ولا تعلم ولم تكن محبة القوم اذ ذاك لريبة ولا فاحشة فاراد يوما أن يبلو ذلك فقال لبعض من عنده امض بنا اليها فانظر لقا ووافاها وجوه أهل المدينة من قريش والانصار وغيرهما وما كان فيهم فتى يجد بها وجده ولا تجد بواحد منهم وجدها بالاموى فلما أخذ الناس مواضعهم قال لها الفتى اتحسنين أن تقولين

أحبكم حبا بكل جوارحى
فهل عندكم علم بما لكم عندى
أتجزون بالود المضاعف مثله
فان كريما من جزى الود بالود

قالت نعم وأحسن أحسن منه وقالت

للذى ودنا المودة بالضعف وفضل البادى به لايجازى
لو بدا ما بنا لكم ملأ الارض واقطار شأمها والحجازا

قال فعجب الفتى من حذقها مع حسن جوابها وجودة حفظها فازداد كلفا بها وقال

والثانية قوله

هل لمرآك ثان فى سنا البدرى * أو لحوباى ثان عن هواك درى

يا مليحا جلا عن محيا جميل * همت فيه ولا هيمان جميل

مل قليلا الى من اليك يميل * عاشق فيك فان كاتم للسر * لك منه مكان فى صميم الصدر

ومن نظم العربى المذكور لما عرض عليه السلطان رياسة كتابه من قصيدة

أوجه سعدى انحط عنه اللثام * أم بدر أفقى فض عنه الغمام

أم أنا فى حالى لا عقل لى * أم حلم قد لاح لى فى المنام

يا لك مرأى من رأى حسنه * هاج لقلبه غراما فهام

كأنما أقبس نور البها * من وجه مولانا الامام الهمام

ابن أبى الحسن الاسرى الذى * قد كان للاملاك مسك الختام

ضرغام قد أنجب شبهاله * فى صدق باس ومضاء اعتزام

حامى وسامى فأفاعيله * تنقلها أبناء سام وحام

دام له النصر الذى جاءه * والسيف من طلى أعاديه دام

فما أمير المؤمنين الذى * له بعروة اليقين اعتصام

أبشر بمجد مقبل لم يزل * الى انصراف لاولا لانصرام

وعزة لم يفض بنيانها * الى انهدام لا ولا لانهدام

لله منك ملك جنده * زهر النجوم وهو بدر التمام

ومنها يطرب من مادحه مثل ما * يطرب قلب الصب سجع الحمام

فيفعل الشعر بأعطافه * ما ليس تفعل بهن المدام

وان حكى فى مدحه يوسفا * فحسنه يشبه زهر الكمام

ومنها فداره ليست ببغدادهم * مع أنها تدعى بدار السلام

ومنها أسأله الاعفاء من كل ما * أعجز عن حمله والتزام

ومنها مستشفعا له بخير الورى * محمد عليه أزكى السلام

ومنها وكل انسان وما اختاره * ورب ذى عذر قد اضحى يلام

وآخرها فالحمد لله على أن غدا * للشمل بعد الانصداع التئام

ولنختم هذه الترجمة بقوله

جزر البساتين والرياض فما * أبهج مرئيها وأحلاه

وأعجب بها للنبات ولتلك فى * أسفله ناظرا وأعلاه

وقدس الله عند ذاك وقل * سبحانه لا اله الا هو

سبحان وارث الارض ومن عليها وهو خير

الوارثين والحمد لله رب العالمين

(تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث اوله القسم الثانى)

أنت عبد الذى اذا هتك الستـ

ـروان كان يوسف المعصوما

فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فشراها بعشر حدائق ووهبها له بمتا

بصلها فما قامت عنده حولا ثم ماتت فورثها

وقضى فى حاله تلك فدفنا معها

وكان من مهمته لما قوله

ـت جنة الخلد للغلـ

ـد فما تبتاعها بالاستهان

ـت اذ نظمت بالنعـ

ـمة منها والموت أحد حال

وقال أشعب الطامع هذا

شهيد الهوى انحروا

على قبره سبعين بدنة وقال

أبو حازم الاعرج المدنى

أما حسب لله يبلغ هذا